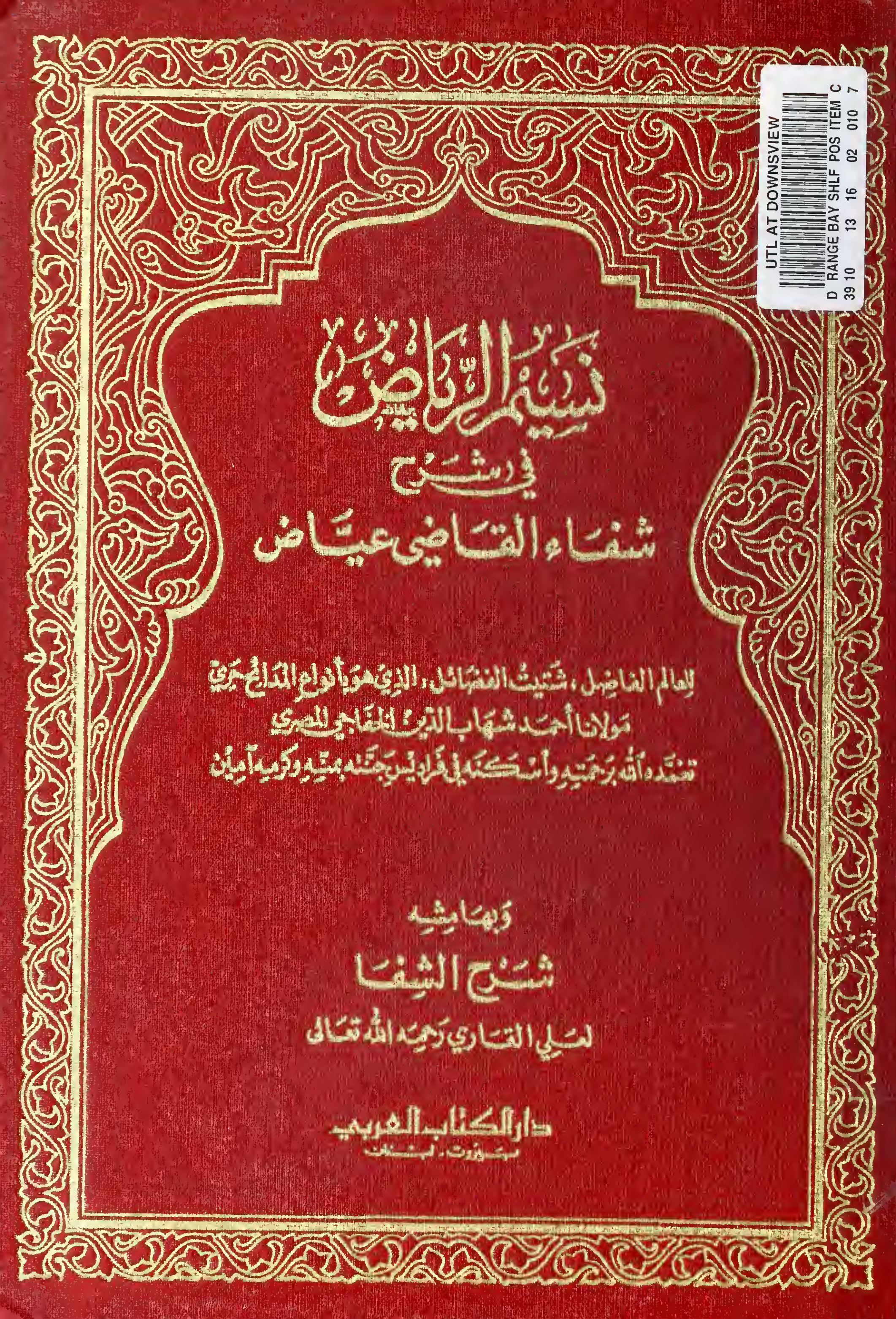


نسيم الرياض
في شرح
شفاء القاضي عياض
للعالم الفاضل، شتيت الفضائل، الذي هو بأنواع المدائح حري
مولانا أحمد شهاب الدين الخفاجي المصري
تغمده الله برحمته وأسكنه في فراديس جنته بمنه وكرمه آمين
وبهامشه
شرح الشفا
لعلي القاري رحمه الله تعالى
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان
UTL AT DOWNSVIEW
D RANGE BAY SHLF POS ITEM C
39 10 13 16 02 010 7











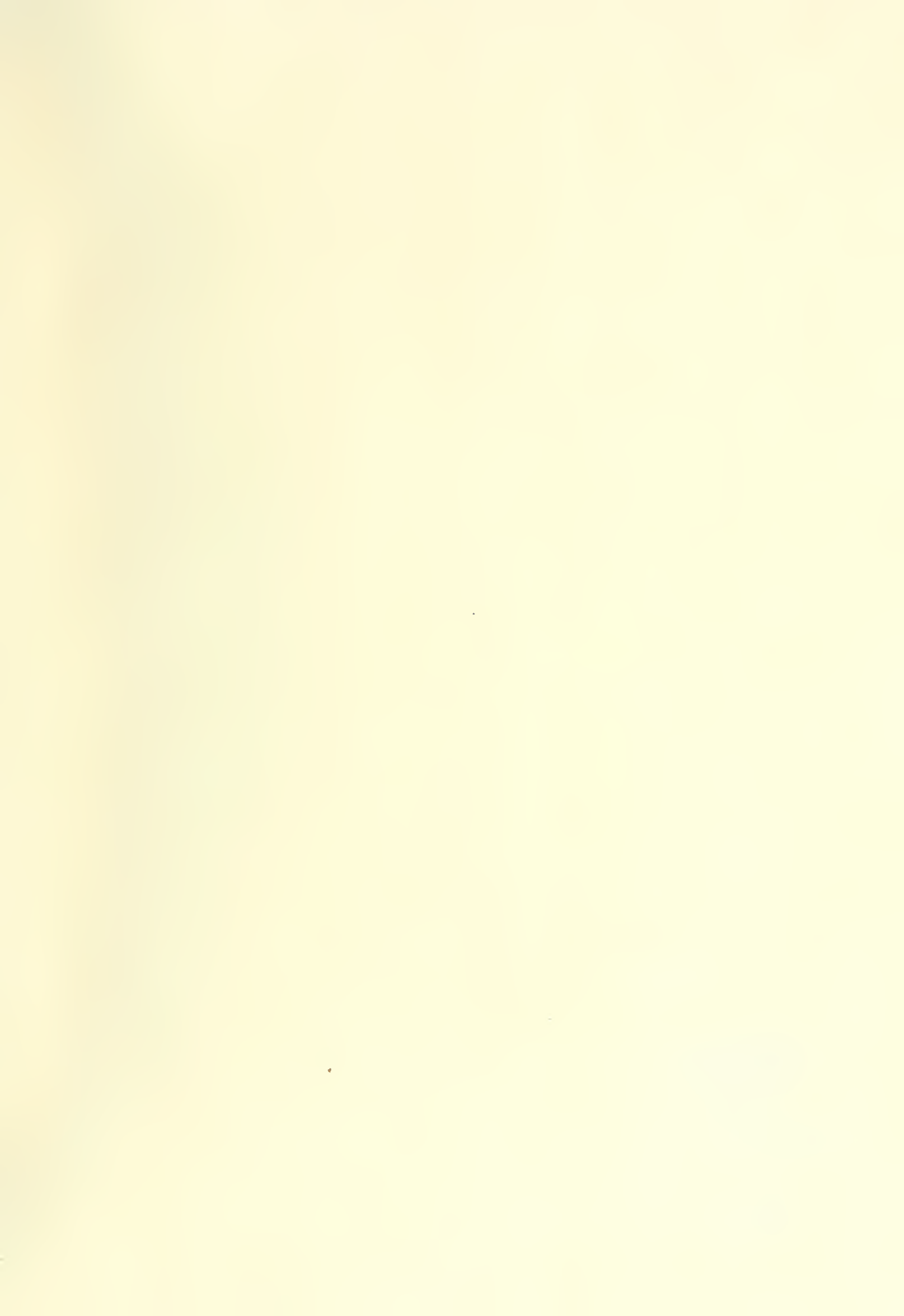


نسيم الرياض

في شرح

شفاء القاضي عياض

الجزء الأول



نسيم الرياض
في شرح
شفاء القاضي عياض

للعالم الفاضل، شتيت الفضائل، الذي هو بأنواع المدائح حري
مولانا أحمد شهاب الدين الخفاجي المصري
تغمده الله برحمته وأسكنه في فراديس جنته بمنه وكرمه آمين

وبهامشه

شرح الشفا

لعلي القاري رحمه الله تعالى

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان


LIBRARY
JAN
4
1981
UNIVERSITY
OF TORONTO

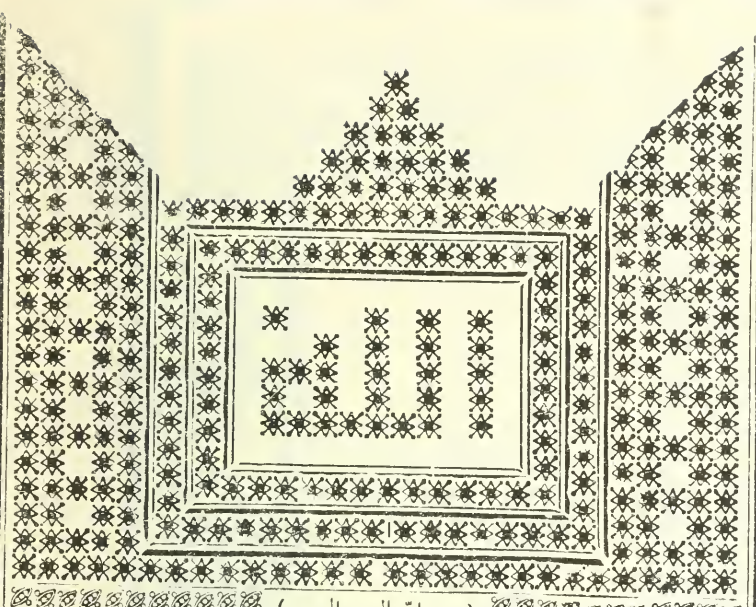
(الجزء الاول)

من نسيم الرياض * في شرح شفاء القاضي عياض * للعالم الفاضل * شتيت الفضائل * الذي هو بانواع المدائح حري * مولانا أحمد شهاب الدين الخفاجي المصري * تغمده الله برحمته * وأسكنه في فراديس جنته بمنه وكرمه آمين

وبهامشه شرح الشفا لعلي القاري رحمه الله تعالى

الناشر

دار الكتاب العربي



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى نور الخافقين ببعثة النور المبين * وجعلها شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * فازال ظلمات الضلال المدلهمه * فاذاهمت أفواه الاباطيل باطفاء نوره أبى الله الأن يتمه * حين أشرق به مصباح الهداية * وقد كاد أن يهم بالانطفاء * واتضح منهج الحق بعد ما اندرس رسمه وعفا * برسالته التى شرح الله بها الصدور وشفا * وانهار به ركن الباطل بعدما صار من الغواية على شفا * فاكمل الله به المنة على البرية * وأحيى به موؤدات المعارف الالهية فى فترة الجاهلية * فصلى الله عليه وزاده تبجيلا وتكريما * كما أمر بذلك فقال صلوا عليه وسلموا تسليما * وعلى عترته وصحبه الذين باعوا له أرواحهم بالجنة وسلموها تسليما * ماذر مسك المداد على كافور الطروس * فعطر اردان الاذهان والنفوس * (هذا وان كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى) * كتاب قدره جليل * وهو على جلالة مصنفه أدل دليل * فانه كما فى مطمح الانفس أجل أعيان الاندلس * جاء بها على قدر * وسبق لنيل المعالى وابتدر * فاستيقظ لها والناس نيام * وورد ماءها وهم صيام * فتحلت به العلوم نحور * وتجلت له منها عرائس حور * كأنهن الياقوت والمرجان * لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان * وألحفته الاصالة ردائها * وسقته درها وندائها * وألقت اليه لرياسة مقاليدها * وملكته طريفها وتليدها * وهو على اختصاصه بهذه المرتبة الرفيعة * واعتنائه باعلاء معالم الشريعة * يعتنى باقامة أود الادب * وينسل اليه أربابه من كل حدب * مع عفاف وصون * أعدم الفساد بعد الكون * وقد وفى ببيان بعض ما يجب من آياته * ونشر على كاهل الدهر ألوية الثناء بين يدى صفاته * مما يحق له ان يكتب بالنور * فى صحائف وجنات الحور * وينقش بقلم العقل معانيه * ويخط على ألواح الاذهان لاطفال الارواح مبانيه * صحف أنزعت بشهد حلا * فى كل ذوق لذلك كان شفا * ولعمرى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أنزل القرآن شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * وشفى به من كان أشفى على شفا جهنم من الكافرين * والصلاة والسلام على سيد المرسلين وسيد الاولين والآخرين * وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وأتباعه أجمعين الى يوم الدين * (أما بعد) * فيقول أفقر العباد الى كرم ربه البارى * على ابن سلطان محمد القارى لما رأيت كتاب الشفاء فى شمائل صاحب الاصطفاء * اجمع ما صنف فى بابه مجملا من الاستيفاء * لعدم امكان الوصول الى انتهاء الاستقصاء * قصدت ان أخدمه بشرح

لقد نشر الدر فيه من فيه * وبلغت أمانيه ما كانت تنويه من التنويه * حديث لو أن الميت نودي باسمه لاصبح حيا بعد ما ضمه القبر * فلما كنت قديما وحديثا * يحثني حادي الشوق نحوه حثيثا * وقطب الصبا غضة مورقة الافنان * ورياضه الزاهرة محفوفة بروح وريحان لشغفي بصفاته وموصوفه * وطربي بسماع تليده وطريفه * ثم لا يحميا سقت عنها ظروف حروفه لا أزال أقف العين بالاثر * منشدا وقد ناب السمع عن البصر * فانني ان أرى الديار بطرفي فلعلي أرى الديار بسمعي * وكان يصدني عنه ما في الباع من القصر * وزمان لا يعرف فيه ورد من صدر * فلما رأيت اه شر وحا ربما تنشرح لها الصدور * وان لم تخل قصورها المشيدة من قصور * وفي بعضها أغاليط * وتطويل ممل وتخليط * الا ان تقليد الناس لي صريح ندائها والبحث قد أمن على دعائها * فتلالأ لا مافيها من تلاعب الظنون (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فسودت بعض الامالي رجاء لان يبيض بها صحف أعمالي فيسر بها كاتب اليمين * وترفعها أيدي الكرام الكاتبين * فلما رآه بعض الاصحاب سألني أن أبرز مخدراته من خلف الحجاب * وألح علي في ذلك دفعة بعد دفعة * وانا أقول له هذا باسمين لا يساوي جمعه * وهو يمديد أمله لاقتطاف ورده لا تجتني * ويهم بذوق ثمراته الغضة الجنا * وقضبه بريح القبول ما ترنحت * وورده بنسيم السحر ما تفتحت * كعذراء أبصرها مبصر * فغطت باكمامها رأسها * ثم عرض لي بغتة ما عرض * مما أضر بجوهر القوى من العرض * فقصدت شفاء الروح والبدن * باسناد الجسم الضعيف لحديث الصحيح الحسن * رجاء للظفر بسعادة الدارين * مما فيه من عين القرة وقرة العين * لنشفى به أمراض القلب اذا أتت الساعة * فنلت منه بحمد الله ترياقا مجربا وبرء ساعة * ولما انجلى على منصة التمام * وفض منه مسك الختام * (سميته نسيم الرياض * في شرح شفاء القاضي عياض) * رجاء أن يهب عليه ريح القبول * وان كانت نسمات الآمال عليله * وتشمله نفحة من نفحات الرسول * صلى الله تعالى عليه وسلم فتشفي من الظماء غليله * واعلم ان سندي في هذا الكتاب وغيره من كتب الحديث سلسلة الذهب من طرق عالية اعلاها واتي عن خاتمة المحدثين الشيخ ابراهيم العلقمي وهو عن أخيه الشمس العلقمي شارح الجامع الصغير عن مؤلفه الجلال السيوطي بقراءتي عليه من أوله الى آخره بالجامع الازهر وسند السيوطي رحمه الله أشهر من الشمس في رابعة النهار وعن شيخ الاسلام شافعي زمانه الشيخ العلامة شمس الدين محمد الرملي عن والده الشيخ أحمد الرملي عن شيخ الاسلام زكريا الانصاري وعن والدي قدس الله روحه عن الشيخ الشهاب الدين ابن حجر الهيثمي وهكذا كابرا عن كابر الى المصنف وهو عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى ابن عياض اليحصبي السبتي الغرناطي المالكي قاضي سبتة بالمغرب صاحب التصانيف الجليلة كشرح مسلم وغيره كالمشارق أي في تفسيره وله مدة طويلة ثم نقل الى غرناطة في سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ولم يطل أمده بها ثم ولي قضاء سبتة ثانيا وكان مولده بسبتة في شهر شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة فهو سبتي الدار والميلاد أندلسي الاصل فان أصوله نشأوا قديما بالاندلس ثم انتقلوا الى مدينة فاس وكان لهم استقرار بالقيروان وانتقل الى سبتة بعد سكنى فاس وهو بحر في العلوم النقلية والعقلية وأما أدبه وبلاغة شعره فحدث عن البحر ولا حرج ووفاته يوم الجمعة بمراكش في جمادي الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة وماقيل من انه لا أصل له وفيه يقول علي بن هارون

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم * والظلم بين العالمين قديم

جعلوا مكان الرأي عينا في اسمه * كي يكتموه وشأنه معلوم

يشرح بعض ما يتعلق به من تحقيق الاعراب والبناء * رجاء أن اسلك في سلك مسالك العلماء يوم الجزاء * فاقول وبالله التوفيق * وبتاييده ظهور التحقيق * ان المصنف رحمه الله تعالى كان وحيد زمانه وفريد أوانه * متقنا لعلوم الحديث واللغة والنحو والآداب * وعالما بايام العرب والانساب * ومن تصانيفه المفيدة الاكمال في شرح مسلم * كمل به المعلم في شرح مسلم * للمازري ومنها مشارق الانوار فسر به غريب الحديث ومنها الشفا في حقوق المصطفى ومنها شرح حديث أم زرع الى غير ذلك وله اشعار لطيفة متضمنة لمضامين منيفة مولده منتصف شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة وتوفي يوم الجمعة سابع جمادي الآخرة وقيل في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة قال

لولاه مافاحت أباطح سبتة * والروض حول فنائها معدوم

وفى طبقات ابن فرحون لعلماء المالكية انه كان اماما فى الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم خطيبا بليغا وذكر من تآليفه نحو ثلاثين تأليفا جليلة وأنشد له من شعره

الله يعلم انى منذ لم أركم * كطائر خانه ريش الجناحين
ولو قدرت ركبت الريح نحوكم * وان يكن بعدكم حين جناحين

(وقال) انظر الى الزرع وخاماته * يحكى وقد ماست امام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

قال واليحصبى بفتح المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة وتثليث الصاد المهملة نسبة الى يحصب بن مالك أبو قبيلة باليمن والغرناطى نسبة الى غرناطة بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ونون وألف بعدها طاء مهملة وهاء ويقال اغرناطة بالف قبل الغين أيضا انتهى ويأتى لذلك مزيد بيان وسبتة مدينة مشهورة * وقرأت فى ديوان ابن المقرى الشافعى رحمه الله ان كتاب الشفا مما شاهدوا بركته حتى لا يقع ضرر لمكان كان فيه ولا تغرق سفينة كان فيها وانه اذا قرأه مريض أو قرئ عليه شفاه الله وهو مما جرب وكان ابتلى بمرض فقرأه فعافاه الله منه وقال فى ذلك

ما بالكتاب هواى لكن الهوى * أمسى بمن أمسى به مكتوبا
كالدار يهوى العاشقون بذكرها * شغفا بها لشمولها المحبوبا
أرجو الشفاء تفاؤلا باسم الشفا * فحوى الشفاء وادرك المطلوبا
وبقدر حسن الظن ينتفع الفتى * لا سيما ظن يصيح مجيبا

ويأتى لذلك مزيد بيان * (وأنا ممن جرب بركته وشاهدها ولله الحمد وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا) * واعلم ان فى الشفا بعض أحاديث ضعيفة وقليل ممن قيل انه موضوع تبع فيه ابن سبع فى شفاءه وقد نبه على ذلك كله الجلال السيوطى رحمه الله تعالى فى كتابه مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا ولم ينصف الذهبى فى قوله انه محشو بالاحاديث الموضوعة والتأويلات الواهية الدالة على قلة تفقده مما لا يحتاج قدر النبوة له ثم قال فعليك بدلائل النبوة للبيهقى رحمه الله فانه كله هدى ونور وقال الذهبى أيضا انه قلد فيما ذكره ابن سبع وكفى المرء نبلا ان تعد معايبه وهو تحامل منه لا ينبغى وسترى ان شاء الله ماذكره فى محله فانا لم نترك شيئا يحتاج اليه قارئ هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) ابتدأ بالبسملة مردفة بالحمدلة عملا بالحديث المشهور (كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع) وفى رواية ببسم الله الرحمن الرحيم وفى أخرى بذكر الله والاشكال فى تعارض هذه الروايات مشهور وكذا التوفيق بينهما بحمل الابتداء على العرفى الممتد أو مجرد التقديم على المقصود وهما متقاربان وكذا ماقيل من ان رواية البسملة يرد عليها الاذان والخطبة ونحوهما من بعض الامور المهمة مما لم يبدأ بها فيه * وأجيب بأن المراد فى الروايات كلها الابتداء باحدهما أو بما يقوم مقامه بدليل الاكتفاء تارة بالبسملة وتارة بالحمدلة وتارة بغيرهما فاندفع الاشكال واشكال التدافع أيضا أو بحمل المقيد على المطلق وهو ذكر الله والكلام على هذا أشهر من قفا نبك فلا فائدة فى الاعادة وهنا اشكال أبداه شيخ مشايخنا السيد عيسى الصفوى رحمه الله وتلقاه من بعده بالقبول من عامة من رأيناه وهو ان البسملة لا تخلو اما أن تكون خبرية أو انشائية ويتجه على الاول ان من شان الخبر الصادق ان يتحقق [illegible] بدونه فى نفس الامر ويكون الخبر حكاية عنه كما اتفقوا عليه وما نحن فيه ليس كذلك لان مصاحبة الاسم والاستعانة به من تتمته وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ اللهم الا ان يجوز مثل ذلك فى نحو قولك أتكلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) اقتداء بالكلام المجيد واقتفاء بالحديث الحميد ثم قال (اللهم صلى على محمد وآله) أى واتباعه المتضمنين لاصحابه (وسلم) وهذا طريق المغاربة حيث يأتون بالتصلية والتحية بين البسملة والحمدلة كما فى الشاطبية ولعل فيه اشعارا بان البسملة المشتملة على نعت الالوهية وصفات الرحمانية والرحيمية بمنزلة شطر الشهادتين من كلمة التوحيد فلا بد من انضمام الشطر الاخير لاتمام معنى التمجيد ليترتب على توفيق تحصيل هذا المقام مقام التحميد فى بعض النسخ المصححة قبل قوله الحمد لله

(قال الفقيه) وفي نسخة الشيخ الفقيه (القاضي الامام الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض) بكسر العين (اليحصبي) بتثليث الصاد والفتح أخف وبه ثبتت رواية الشاطبي وهو نسبة الى يحصب ابن مالك قبيلة من حمير باليمن (رحمة الله تعالى عليه) ولا شك ان هذا الادخال من المقال صدر من بعض أرباب الكمال من تلاميذ المصنف أو من بعده ولكن اللائق في فعله ان يأتي به قبل البسملة ليقع الكل من مقوله ولعله تحاشى من تقديم ذكره فوقع وهم في حقه فالاولى ان يفعل مثل هذا العنوان وراء الكتاب على قصد التبيان أو بعلم آخر اولون مغاير في هذا المكان ثم تحقيق مباحث البسملة والحمدلة وما يتعلق بهما من وجوه التكملة قد كثر في تصانيف العلماء وتآليف الفضلاء وقد ذكرنا طرفا منها في بعض تصانيفنا كما هو دأب البلغاء والمقصود بعون الملك المعبود هو ان المصنف قال (الحمد لله) بالجملة الاسمية لافادة الديمومية لان الفعل دال على اقتران مدلوله بزمان والزمان لا ثبات له فكذا ما قارنه واللام فيه للاستغراق عند أهل السنة خلافا للمعتزلة اذ كل كمال انما هو لله سبحانه وتعالى في حقيقة الحال أو طريقة المآل

أو أقوم متكلما مخبرا انتكلم حصل بهذا اللفظ وفيه توقف وعلى الثاني ان من شان الانشاء أن يتحقق مدلوله به وأصل جملة البسملة ليس كذلك غالبا اذ الاكل والسفر ونحوهما مما ليس بقول لا يحصل بالبسملة فان كانت لانشاء المصاحبة أو الاستعانة يلزم ان تكون الجملة لانشاء يتعلقها والاصل أي ويكون الاصل غير مقصود بوجه ولو قيل ان المعنى ابتدأ أو افتتح أي اجعله بداية الفعل والجملة لانشاء الجعل وانه بداية كل شئ كما نقل عن الامام لا يلزم ما مر الا أنه خلاف المشهور ولا يتم أيضا على تقدير الخبرية لان المصاحبة والاستعانة به من تتمة الخبر وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ وهو شان الانشاء على انه لا يجري حقيقة الا في نحو التأليف مما يمكن ان يكون بداءته له حقيقة واجراؤه فيما سواه يحتاج للمسامحة في جعله بدأله * أقول الظاهر ان هذه الجملة انشائية لانشاء التبرك الموقوف على التلفظ بالبسملة وما توهمه هذا القائل على تقدير الانشاء من الخيالات الواهية والاوهام الفارغة وقوله انها حينئذ لانشاء المتعلق ومثله في غاية المندور وعدم صحته في غاية الظهور ألا ترى ان أدوات الاستفهام باسرها تدخل على الجمل المتحقق مضمونها خارجا فتصير بجملتها انشاء كما يقول من رأى شخصا قائما لم يحط بتشخصه وأحواله خبرا من قام أو على أي حال قام وهكذا مما لم يحط به نطاق الحصر ولم يحم حواله المندور ولا يقال انه مع تحقق القيام في الخارج انه لانشاء المتعلق وكذا كم غلط وقع منك ورب صواب صدر من غيرك كما صرح به الرضي واما الكونه لانشاء الجعل فتعسف من غير داع لارتكاب مثله وأنا أعجب من هذا الفاضل كيف زعم ورود ما قال وممن ارتضاه بعده من فحول الرجال

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدي المساويا

وفي النسخ (قال القاضي الفقيه الامام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض) بكسر العين المهملة وفتح الياء المثناة وبعدها ألف وضاد معجمة (اليحصبي رضي الله عنه) قال في القاموس يحصب مثلثة الصاد حي والنسبة مثلثة أيضا لا بالفتح فقط كما زعم الجوهري ويحصب قلعة بالاندلس انتهى وفي لباب الانساب لابن الاثير اليحصبي بفتح الياء وسكون الحاء المهملة وكسر الصاد المهملة وقيل ضمها أو كسر الباء وهذه النسبة الى يحصب وهي قبيلة من حمير سميت باسم أبيها يحصب بن مالك قلت هكذا ضبطه أبو سعيد بالصاد المكسورة والصحيح فتحها لان يحصب بالكسر فتفتح في النسب كنمري وتغلبي انتهى * قلت بهذا عرفت ان رد صاحب القاموس على الجوهري مردود لانه قول بل لانه القياس المطرد في امثاله وما خالف شاذ لا يعول عليه وهذه الاوصاف ليست من كلام المصنف رحمه الله تعالى وانما كتبها من بعده توقيرا له ولقب بابي الفضل كما قيل

أبى الفضل من أجرى الى الفضل يافعا * فصار به يدعى وصار به يكنى

(الحمد لله) الحمد هو الوصف بالجميل على الجميل الصادر بالاختيار حقيقة أو حكما على وجه التعظيم ظاهرا وباطنا بان لا يصدر ما يخالفه ولا يلزم اعتقاد اتصاف المحمود بالجميل المذكور عند متأخري المحققين وفي هذا المقام كلام طويل الذيل ليس هذا محله والله اسم للمعبود بحق المستوجب جميع المحامد وفي علميته وفي أصله ما يغنيك عن ذكر شهرته والمراد ان جنس الحمد أو جميع افراده مختصة به تعالى فان قلنا الاختصاص الذي يدل عليه اللام بمعنى الانحصار وضعا أو بمعونة المقام يحمل الاختصاص الذي ذكر على الفرد الكامل اما على المبالغة تنزيلا لغيره منزلة العدم أو منزلة حمده تعالى لانه مبتدأ كل جميل أو على الحقيقة لان المحمود عليه بحسب صدوره بالاختيار بالذات ولا اختيار لغيره بالذات عند البعض وهذا بناء على حمل الاختيار على الحقيقي الذاتي والاول بناء على حمله على العرفي الظاهري ولكل وجهة ولو أريد بالاختصاص هنا العلاقة والمناسبة الكاملة فلا تكلف على ما فصله

شراح المطول والعضد وفى شرح السيد ان جملة الحمد لانشاء الحمد لانها من صيغ الحمد شرعا أولدلالتها على الاتصاف بجميل ولو عرفا فيصدق تعريف الحمد عليها وفيه نظر * وههنا بحث أبداه ابن الهمام رحمه الله فى شرح البديع فقال جملة الحمد صيغة انشاء معنى كصيغ العقود وبالغ بعضهم فى انكار كونها انشاء لما يلزم عليه من انتفاء الاتصاف بالجميل قبل حمد الحامد ضرورة ان الانشاء يقارن معناه لفظه فى الوجود ويبطل من قطعتين احداهما ان الحامد ثابت قطعا بل الحامدون والاخرى انه لا يصاغ لغة للخبر عن غيره من متعلق أخباره اسم قطعا فلا يقال لقائل زيد ثبت له القيام قائم فلو كان الحمد اخبارا محضا لم يقل الحمد لله حامد ولا ينفي الحامدون وهما باطلان فبطل ملزومهما واللازم من المقارنة انتفاء وصف الواصف المعين لا الاتصاف وهذا لان الحمد اظهار صفات الكمال الثابتة لا ثبوتها نعم يتراآى لزوم كون كل مخبر منشئا حيث كان واصفا للواقع مظهرا له وهو توهم فان الحامد ماخوذ فيه مع ذكر الواقع كونه على وجه ابتداء التعظيم وهو ليس جزء ماهية الخبر فاختلف الحقيقتان وظهر ان الغفلة عن اعتبار هذا القيد جزء ماهية الحمد هو منشأ الغلط أو بالغفلة عنه ظن انه اخبار لوجود خارج يطابقه وهو الاتصاف ولا خارج للانشاء وأنت تعلم ان هذا خارج جزء المفهوم وهو الوصف بالجميل وتمامه وهو المركب منه ومن كونه على وجه ابتداء التعظيم لا خارج له انتهى * أقول هذا صنو ما مر فى البسملة وهو تعسف لا وجه له فان هذه الجملة يصح فيها الخبرية والانشائية من غير ارتكاب لمثل هذه الاوهام فان انكاره الانشاء لانه يلزمه الاتصاف بالجميل واجد الانه انما انتفى الوصف لا الاتصاف وشتان ما بينهما وقد كفانا ببيان مزيته واما ابطاله الخبرية بقولهم حامد وحامد فمغالطة عجيب لانه ليس نظير من قال زيد قائم بل نظير من قال زيد متكلم فانه مخبر ويصح ان يوصف بانه متكلم أيضا الاتصاف المخبر بما أخبر به عن غيره ومشاركته له فى ذلك كما ان المخبر عن الحمد والاتصاف بالجميل واستحقاقه للتعظيم مع اعتقاده لذلك ظاهر معظم فهو حامد وواصف له وهو ظاهر لمن نور الله تعالى بصيرته وهو ان الحامد الخ ممنوع فانه انما يوجد فيه ذلك اذا لم يتمحض للاخبار فحينئذ يكون التعظيم وابتداؤه لازما له لا جزؤه وقد بسطناه هذا فى العناية فخذ بلك من القلادة ما أحاط بالعنق (المنفرد) قال الراغب المفرد الذى لا يختلط بغيره وهو أعم من الوتر وأخص من الواحد وجمعه فرادى قال الله تعالى (لا تذرنى فردا) أى وحيدا و يقال فى الله فرد تنبيها على انه مخالف للاشياء كلها فى الازدواج المنبه عليها بقوله تعالى (ومن كل شئ خلقنا زوجين) وقيل معناه المستغنى عما عداه فهو كقوله تعالى (ان الله لغنى عن العالمين) فاذا قيل هو فرد فمعناه منفرد بوحدانيته مستغن عن كل تركيب وازدواج تنبيها على انه مخالف للموجودات كلها ومنفرد فى كلام المصنف ضبط بالنون والتاء الفوقية من باب الانفعال والتفعل ومعناه ما مر وفسر أيضا بعدم مشاركة غيره له فى ذاته وصفاته وكل ما يختص به من نعوت جلاله والمراد هنا تفرد مخصوص بمتعلقه الآتى واطلاقه على الله تعالى اما ثبوته كما يشعر به كلامهم أولا كتفاء بورود ما يشاركه فى مادته ومعناه أو بناء على جواز اطلاق ما لا يوهم نقصا مطلقا أو على سبيل التوصيف دون التسمية كما ذهب اليه الغزالى رحمه الله والانفعال للمطاوعة والمراد انه بدون صنع فتفرده بذاته لذاته وكذا التفعل للصيرورة بدون صنع أيضا كتحجر الطين أى صار حجرا صلبا من غير مدخل للغير كتكون وتولد وكذا توحد الا انه قيل فيه انه فى الاصل للتكلف فاريد به غايته وهى الكمال والمبالغة لان المتكلف يبالغ فيما تكلفه ويتأنق فيه كما قيل فى المتكبر (باسمه الاسمى) الباء صلة المنفرد والاسم اما من السمة بمعنى العلامة أو من السمو كالعلو لفظا ومعنى قيل وفى قوله الاسمى ايماء الى الثانى والباء اما للتعدية لانه يقال تفرد وانفرد بكذا اذا استقل به أو للملابسة والاول الارجح ويرجح

(المنفرد باسمه الاسمى) وفى نسخة المتفرد من باب التفعل بمعنى المتوحد فإنهما واحد فى المعنى وان اختلفا فى المبنى والاسمى افعل التفضيل من السمو وهو الارتفاع أى الممتاز عن المشاركة فى اسمه الاعلى والاضافة للتعميم فان لله الاسماء الحسنى وكل واحد منها فى مرتبته هو الاعلى والاغلى واغرب الشمنى فى تفسير الاسمى بالعالى

الثانى بافادته التفرد المطلق وتضمنه الرد على من يقول بمشاركة ذاته لسائر الذوات فى الماهية وتميزها بالصفات العلية والاسمى أفعل تفضيل لا بمعنى الاعلى من السمو وهو العلو والاضافة تأتى لما يأتى له اللام فان كانت للعهد بان يراد به لفظ الله لاشتهاره انه اسم الذات وماسواه أسماء صفات فالمفضل عليه ماسواه من أسمائه الكريمة وفيه اشارة الى انه الاسم الاعظم كما ذهب اليه كثير وفيه أقوال أخر مشهورة أو للجنس فالمراد به أسماؤه المختصة به كالرحمن والرزاق أو مطلق أسمائه لاختصاصها به فى الحقيقة وان أطلق بعضها على غيره كالملك فانه بمعنى آخر فى البدائع لابن القيم أسماؤه تعالى التى تطلق عليه وعلى غيره كحى وسميع هل هى حقيقة فيه تعالى مجاز فى غيره أو مجاز فيه حقيقة فى غيره أو حقيقة فيهما أقوال أظهرها الاخير فتدبر وعلى الثانى المراد ان كل اسم من أسمائه أشرف مما سواه وشرف الاسم بشرف مسماه ❊ فان قلت قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى فى الفقه الاكبر أسماء الله تعالى وصفاته مستوية فى العظم والفضل لا تفاوت بينها وهو مناف لما ذكر ❊ قلت مراده روح الله روحه انها من حيث اضافتها الى المسمى والموصوف لان مسمى جميع الاسماء والموصوف بجميع الصفات واحد وهو الله تعالى وهذا لا ينافى التفاوت فى حقائقها من حيث ان بعضها فى حيطة بعض لتقدمه رتبة و بحسب الظهور كالالوهية التى تشمل حيطتها أكثر الصفات والعلم وقد صرحوا أيضا بتفاوت الصفات فى نفس معانيها وحقائقها كالعلم بالنسبة للقدرة والقدرة بالنسبة للارادة فعدم التفاوت بين الاسماء ليس الا الاستواء بحسب الاضافة الى الذات كما فصله الشيخ بهاء الدين فى شرح الفقه الاكبر وفيه أيضا ان آيات القرآن متساوية فى الفضل قال الشارح تساويها من جهة القرآنية واضافتها الى الله تعالى وان كان لبعضها فضيلة الذكر والمذكور كآية الكرسى وآيات القصص وعليه يترتب ماروى فى فضائل السور (المختص) اختص يكون لازما ومتعديا يقال اختصه بكذا فاختص فيجوز فى المختص ان يكون اسم فاعل ومفعول على التقديرين فيه قبل الادغام والاظهر انه اسم فاعل من اللازم بمعنى منفرد ومستقل وفى الصحاح خصه بالشئ خصوصا وخصوصية والفتح أفصح وخصيص واختصه بكذا خصه به وفى شرح السيد القياس ان تدخل الباء التى هى صلة الاختصاص على مالا يوجد الشئ فى غيره فتقول المختص به الملك كما يقال اختص السواد بزيد وكثيرا ماتدخل على مالا يوجد فى الغير كما فعله المصنف وهو فصيح أيضا والمعنى على التقديرين واحد أى هذا الملك لا يكون لغيره والثانى أكثر استعمالا والاختصاص حينئذ مجاز عن التمييز أى تمييز عن غيره بالملك وهذا ملخص ماقاله القوم كما فى شروح الكشاف وحواشى المطول وهو مع اشتهاره وتلقيه بالقبول عند من يرى التقليد شريعة منسوخة غير مقبول وفى شرح المفتاح للسعد ادخال الباء فى المقصور عليه هو الاستعمال العرفى العام وادخالها فى المقصور هو الاستعمال الشائع العربى وقال قدس سره الاصل فى لفظ التخصيص والاختصاص والخصوص ان يستعمل بادخال الباء فى المقصور عليه فيقال اختص الجود بزيد أى صار مقصورا عليه الا ان الاكثر فى الاستعمال ادخالها على المقصور بناء على تضمن ذلك معنى التمييز والافراد وقيل انه مجاز صار بمنزلة الحقيقة لشيوعه هذا زبدة مامخضته الافكار ❊ وأنا أقول هذا كلام غير محرر لان الظاهر انه يسند حقيقة لكل منهما وقد يترجح احدهما بحسب المقام فان الفاعل الحقيقى من قام به الفعل لامن أوجده كما حقق فى الاصول فاذا أسند الى أحدهما حقيقة تعين دخول الباء على الآخر لان قيام الاختصاص به اما بحسب الامر والاستحقاق أو بقهر وتغلب فعلى الاول يسند حقيقة للمقصور لانه اختص بنفسه وعلى الثانى يسند للمقصور عليه حقيقة لانه بفعله مثاله لومات رجل عن ابن وخال يختص المال بالابن فتقول اختص

(المختص) صفة لله كالمنفرد ويجوز قطعهما بنصبهما أو رفعهما أى المخصوص

مال فلان بابنه دون خاله فلو كان له ابنان وحاز أحدهما المال كله تغليبا والاثق ان تقول اختص الابن بالمال فيتعين دخول الباء على المقصور عليه وفى الثانى بالعكس فالظاهر ان كلا منهما فصيح صحيح لغة حقيقة فيهما وليس المعنى فيهما واحدا كما تقرر وزعم مع هذا انه مجاز خبط وفى كلام اللغويين مايصرح بما قلناه ثم ان قوله تعالى (يختص برحمته من يشاء) يختص فيه متعد واسناده الى الله وادخال الباء على الرحمة اشارة الى انه بمحض كرمه ولطفه ولو أسنده لمن أو للرحمة أوهم خلافه فتامله فانه دقيق جدا (بالملك) الظاهر انه هنا بضم الميم وان جوز فيه الكسر والفتح وهو أبعدها وهو الاختصاص بقدرة التصرف فى الامور المملوكة بتنفيذ الاوامر والنواهى وفسر بالاحتواء على الاشياء قادر على الاستبداد بها وقد يراد به الاشياء التى تحتوى عليها والعظمة والفرق بين المضموم والمكسور له تحقيق بديع فى كشف الكشاف وبينهما عموم وخصوص فان الاول السلطنة والثانى ملك الاعيان وقد يجتمعان وياتى ان الملكوت فسر بالملك والسلطنة وتاؤه للمبالغة كرحموت وجبروت وقد فرق بينهما بان الملك عالم الشهادة والاجسام والملكوت عالم الغيب والارواح وهو فرق لغوى وقيل الاصطلاحى لاهل الحكمة والتصوف والباء داخلة على المقصور وقد سمعته آنفا (الاعز) افعل تفضيل من العز والمنعة قال الراغب العز حالة مانعة للانسان عن ان يهان أو يقهر ويغلب من قولهم ارض عزاز أى صلبة كانه فى عزاز أى محل يصعب الوصول اليه كالجبل الشامخ وهذا مما قاله أهل اللغة قاطبة ومن لم يقف عليه قال فى شرحه معنى كونه أعز ان احتواءه عليه أغلب من كل احتواء ولا ينبغى ان يفسر الاعز هنا بالاشد لانه لامعنى لوصف الملك بالشدة والصلابة (الاحمى) افعل تفضيل من حميته حماية فهو محمى وحمى اذا صنته والمحمى مصون واصله ارض ممتنع من قطع نباته ورعيه وكانوا يفعلونه فى الجاهلية كما يريدون فلما جاء الاسلام نهى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لاحمى الا الله ورسوله فلذا منع شرعا الا باذن الامام لمصلحة واحمى اسم تفضيل على خلاف القياس ان كان بمعنى المفعول كاشغل من ذات النحيين أى ذات زقى السمن وهى امرأة من تيم الله بن ثعلبة كانت تبيع السمن فى الجاهلية فاتاها خوات ابن جبير الانصارى قبل اسلامه فساومها فحلت له نحيا مملوأ فقال امسكيه حتى انظر الآخر فحل الآخر وقال امسكيه فلما شغلها بشغل يديها غشيها وهى لاتقدر على الدفع عن نفسها فى النحيين وشحها بضياع السمن فلما قام عنها قالت له لاهنأك الله فهى فى هذا المثل مفعولة لانها شغلت بالنحيين أو على القياس بمعنى الفاعل بجعله كانه يحمى نفسه لعظمته ان يصل اليه أحد فحمايته أعظم من حماية كل حام لملكه كجوهرة نفيسة وجدها فقير لايسعه ان يدعى انها ملكه لعظمة قدرها عنده كانها حمت نفسها عن تمليك مثله لها كما قيل فى مقدمة الكتاب اذا كانت من قدم المتعدى كانها قدمت نفسها وهو المناسب لقول الاعز فاسناده مجازى والمعنى على الاول انه ملك غيره اذا كان محميا فلكه تعالى محمى بحماية أقوى من كل حماية لانه ملك لايصير لغيره ألا الى الله تصير الامور ولا حاجة لتجريده عن معنى التفضيل على انه وماقبله بمعنى العزيز المحمى كقوله * بيتا دعائمه أعز واطول * على رأى وان قيل بانه مقيس لان المسموع خلافه كقوله

اكر واحمى للحقيقة منهم * واضرب منا بالسيوف القوانسا

وماقيل من انه على القياس من غير حاجة لما مر لان ملك الله احتواؤه على العوالم أكثر منعا لغيره من التوصل اليه وأشد منعا لغيره من التوصل اليه بما ضره فهو أشد منعا من سائر املاك المالكين لامحصل له ولا وجه له لانه ان اراد الادعاء فهو بعينه ماقدمناه وتوهم انه غيره من قلة التدبر وان ادعى غير ذلك فلا معنى له (الذى) صفة لله أو للملك يعنى مالك الملك لاشئ قبله ولا بعده (ليس دونه) دون لها

(بالملك الاعز الاحمى) أى الموصوف باختصاص الاستيلاء على البلاد والعباد باطنا وظاهرا على وجه الاعزية الذى لايحوم حوله ذل ومغلوبية لانه فى غاية المنعة ونهاية الحماية بحيث لايقسر به أحد اولا وآخرا والملك بضم الميم فانه ابلغ من كسرها وعليه النسخ المصححة والاصول المعتمدة وقال التلمسانى هو بضم الميم وكسرها (الذى ليس دونه) أى قريب منه

معان قال الصاغاني يكون بمعنى عند ونقيض فوق وبمعنى امام ووراء فهي من الاضداد ويكون بمعنى
غير وبمعنى خسيس وشريف والاول مشهور وعليه قوله

اذا ما علا المرء رام العلاء * ويقنع بالدون من كان دونا

ولا فعل له وقيل يقال دان يدون دونا وهي هنا بمعنى فوق وامام ولا يجوز ان يكون بمعنى وراء أو غير
(منتهى) اسم مكان أو مصدر ميمي من انتهى اذا بلغ النهاية ويكون انتهى بمعنى انزجر وانكف كما في
قوله

لا تنتهي الانفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

وكونه اسم مفعول مع لزومه ولا صلة معه تكلف بغير داع (ولا وراءه) وراء نقيض قدام ويكون بمعناه
أيضا فهو من الاضداد وهو ما واراك سواء وارى عنك غيرك أو واراك عن غيرك فهو مشترك بينهما
اشتراكا معنويا وليس من الاضداد ويكون بمعنى بعد وبمعنى غير (مرمى) بميمين مفتوحتين بينهما راء
مهملة ساكنة وهو مقصور مفعل من الرمي وقد ورد استعمال هذا اللفظ بعينه واطلاقه في حق الله
تعالى في الحديث فروى المصنف رحمه الله تعالى في مشارقه وابن الاثير في نهايته ليس وراء الله مرمى
وتكلمت به العرب العرباء وبما هو بمعناه قديما كقول النابغة

حلفت فلم تترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مطلب

قال في النهاية أي ليس بعد الله لطالب مطلب لان العقول وقفت ثمه فليس وراء الله ولا وراء معرفته
والايمان به غاية تقصد انتهى كما قيل

على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منه نصيب ولا سهم

في المشارق ليس وراء الله مرمى أي مطلب المطالب والمرمى الغرض الذي يرمى اليه واليه ينتهي سهم
الرامي وبه يجوز السبق كما الى الله انتهت العقول ووقفت فليس وراء معرفته والايمان به ملتمس ولا
غاية يرمى اليها انتهى فالذي ان كان صفة للملك فالمراد انه ليس قبل ملكه شئ ينتهي اليه ويتصل
آخره باوله وليس بعده شئ تتصوره العقول وان كان صفة لله فالمراد انه الدائم الواجب الوجود وما عداه
فهو حادث أوجده وأبدعه فهو بمعنى الاول الآخر فيتصل بما بعده اتصالا ظاهرا وعلى الاول يكون
كالاحتراس المتمم لما قبله لانه لما ذكر اختصاصه بالملك الاعز قد يتوهم مشاركة غيره أو اختصاصه
بملك غير اعز فقال ليس قبل ملكه شئ ولا بعده شئ فهو مالك كل ملك وخالقه فلا يخرج شئ عن حوزة
ملكه وعلى كل حال فالمرمى محل الرمي والهدف اريد به الغرض الاقصى الذي ترمى له الآمال وتتوجه
نحوه وجوه التضرع والابتهال فهو استعارة تمثيلية استعيرت من حال الرامي في توجهه لاصابة المرمى بحال
العارف الذي معرفة الله اقصى مطالبه ومطمح خواطره كما قيل

يا مطلبا ليس لي في غيره ارب * اليك آل التقصي وانتهى الطلب

ولك ان تقول ان كلام المصنف رحمه الله في فاتحة خطابه كقول رب العزة في فاتحة كتابه فان قوله الحمد
لله المختص الى آخره اشارة الى المبدأ الفياض وان الكل منه وله كالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
وقوله وليس دونه منتهى الى آخره اشارة الى المعاد كقوله (مالك يوم الدين) ولما كان ذكره بصفاته
وانعامه في الدارين المقتضي للتوجه اليه بكل وجه حتى يصير كالمشاهد المحسوس الذي يوجه اليه
الخطاب كقوله (اياك نعبد الى آخره) وأتى هنا بما هو بمنزلته وهو قوله (الظاهر) هذا هو المناسب للمقام
وبما ذكرناه من انه على سبيل التمثيل لا يرد عليه ان وراء ودون وما معه امور تقتضي التحيز والجهة
ومثله لا يجوز استعماله في حقه تعالى لان الاستعارة التمثيلية لا تجوز في شئ من مفرداتها واجزائها

ليس للقرب منه نهاية يدركها أحد ولو كان من أهل العناية و يلائمه قوله (ولا وراءه مرمى) مقتبس من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس وراء الله مرمى ولا منتهى أي ليس غيره أو بعده مقصد للورى واصل المرمى بفتح الميمين موضع الرمي شبه بالغرض والهدف الذي ينتهي اليه سهم الرامي قال النابغة

وليس وراء الله للمرء مذهب

وفي النهاية أي ليس بعد الله لطالب مطلب فاليه انتهت العقول و وقفت فليس وراء معرفته والايمان به غاية تقصد وحاصل الجملتين انه تعالى ليس في جهة ولا حيز ومسافة ليكون للقرب غاية وللبعد منه نهاية وأما القرب والبعد الثابت في نحو حديث ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت فانما هو القرب والبعد المعنوي لا الصوري والحسي وانما كمال القرب في الحب بحيث لا يشهد السالك الا الله ويفنى عن شهود ماسواه حتى يفنى عن نفسه ويبقى ببقاه ونهاية البعد هو الغفلة عن الله على وجه يشاركه ما خلقه وسواه (الظاهر) أي بالادلة الدالة على وجوده وكمال كرمه وجوده لعين الحقيقة في شهوده (يقينا) وقطعا

وما قيل من ان معناه ليس تحته محل انتهاء ولا بعده مرمى ومنتهى بمعنى مجاز مرسل كرمى لانه مقصد الرمى اريد به مطلق القصد صحيح لكن ما ذكرناه انسب بالمقام واولى باداء المرام وما قيل عليه من انه خطا لانه لابد فيه من كونه فردا من افراد المطلق والهدف قد لا يكون مقصودا مع ان ابن الاثير رحمه الله تعالى جعل العلاقة فيه المشابهة كلام لا وجه له ولا طائل تحته لان الهدف دائما يقصد للرمى والقصد بالفعل ليس بلازم وما قاله ابن الاثير رحمه الله مخالف للجمهور ولا يلزمنا اتباعه وقيل المعنى انه ليس فى جهة ولا حيز فنفى الشئ بنفى لازمه والظاهر من اسمائه تعالى وهو فى الاصل اسم فاعل من ظهر اذا بدا ولم يخف ويقابله الباطن ثم عم كل محقق معلوم بالبصر او البصيرة وهو المراد هنا لمقابلته بالباطن ويصح ان يفسر بالغالب من ظهر عليه اذا غلبه وقد صح وسمع كما ورد أنت الظاهر فليس فوقك شئ وفى شرح المواقف الظاهر المعلوم بالادلة القاطعة فهو صفة اضافية وقيل الغالب فهو صفة فعلية من ظهر عليه اذا قهره والباطن المحتجب عن الحواس بحيث لا يدرك اصلا فهو صفة سلبية وقيل العالم بالخفيات انتهى * وقال الراغب الظاهر الباطن من صفات الله ولا يقال الا مزدوجا كالاول والآخر فالظاهر قيل انه اشارة الى معرفته البديهية فان الفطرة تقتضى فى كل نظر انه موجود ولذا قال بعض الحكماء طالب المرء فى الآفاق ما هو معه والباطن باعتبار معرفته حقيقة ذاته ولذا قال الصديق غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل هو ظاهر بآياته باطن بذاته وقال المرتضى تجلى لعباده من غير ان يروه فاراهم نفسه من غير ان يتجلى لهم انتهى (أقول) قد عرفت مما ذكرناه ان للظاهر اذا اطلق على الله معانى هو باعتبار بعضها مقابل للباطن ولا يستعمل حينئذ الا مزدوجا وباعتبار الآخر يطلق عليه مفردا كما قاله الراغب رحمه الله تعالى ليس على اطلاقه وفيه كلام حققناه فى شرح أسماء الله الحسنى (لا تخيلا ولا وهما) يعنى ان ظهوره تعالى متحقق مكشوف للعقول ويقين صادق عند من له بصيرة لقيام الادلة القاطعة والبراهين البينة الدالة على وجوده ووحدانيته لا بحسب التخيل والوهم وقيل لا بحسب الظن أو السهو وقيل لا بحسب الطرف الراجح أو المرجوح أو لا بحسب ادراك القوة المتخيلة أو الواهمة فان من شانهما ادراك ما لا تحقق له فغلبت المتخيل والموهوم على كل ما لا تحقق له فنفى ان يكون ظهوره كذلك انتهى وهذا الاخير هو الاصوب وذكر السهو لا وجه له وان وقع ذلك فى كلام أهل اللغة لان الاستعمال على خلافه وقال الراغب التخيل تصوير خيال الشئ فى النفس والتخيل تصوره وخلت بمعنى ظننت يقال باعتبار تصور خيال الشئ المظنون فى النفس وفى حواشى شرح المطالع الفكر حركة النفس فى المعقولات والتخيل حركتها فى المحسوسات والوهم خطرات القلب ومرجوح طرفى التردد والغلط وفى المقتنى الوهم بسكون الهاء وفى الصحاح وهمت فى الحساب أوهم وهما بسكون الهاء اذا غلطت فيه وسهوت ووهمت فى الشئ بالفتح أوهم وهما بسكون الهاء اذا ذهب وهمك اليه وانت تريد غيره وقال ابن القطاع وهمت الى الشئ ووهم وأوهم بمعنى ونصبهما على الحال أو التمييز أو بنزع الخافض فالمعنى ما مر وقيل المراد ان معرفته بحسب اليقين لا بادراك القوة المتخيلة أو الواهمة التى تدرك ما لا تحقق له والفرق بينهما ان المتخيلة هى القوة المتصرفة فى الصور والمعانى بالتركيب والتفصيل كتصور شخص برأسين واختراع ما لا حقيقة له كالغول والواهمة القوة المدركة للمعانى الجزئية الموجودة فى المحسوسات كادراك الشاة عداوة الذئب ورد بان هذا مبنى على فلسفة لا يرتضيها اعلام أهل السنة الآن وقال انه ابطال ونفى له ولا ضير فى مثله وليس فى وصف الله بانه ظاهر ما يدل على ان ذات الله معلومة للبشر بالكنه وان اختلف فى وقوع ذلك وامكانه على ما فصل فى الاصول فلا حاجة للتعرض له

(لا تخيلا) أى لا ظنا بالقوة الخيالية (ووهما) بسكون الهاء أى ولا وهما كما فى نسخة مصححة ولا غلطا بالقوة الوهمية والمراد ان الله تعالى ظاهر بصفاته لدلالة مصنوعاته وظهوره لنا ليس على جهة ظن ووهم منا بل ظهورا يغلب نورا أدركناه بعيون بصائرنا فى الدنيا وسيرونه الاحباء بعيون ابصارهم فى العقبى والحاصل ان جميع المخلوقات دالة على وجود ألوهيته وتحقيق وحدانيته * (ففى كل شئ له آية تدل على انه واحد) *

هنا على ان في اقترانه بقوله (الباطن) مايدل على خلافه لانه بمعنى الذى لايدرك بالابصار ادراك احاطة لقوله (لاتدركه الابصار) كما حقق في محله وقد وقع في اكثر النسخ بدون عاطف كما ذكرناه وهو الصحيح رواية لان الصفات كلها وقعت متصلة بدون عاطف لما بين المنفرد والمختص من كمال الاتصاف ولما بين الظاهر والباطن من التقابل فلو عطف هنا توهم انهما لايجتمعان كما في قوله عز وجل (مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) فان عطف الصفتين الاخيرتين فيه لعدم اجتماعهما وهنا ليس كذلك لان المراد انه في حالة واحدة ظاهر بكثرة الادلة وقوتها وبنعوت ذاته وأفعاله التى لاتخفى باطن خفي عن ادراك كنه ذاته وحقيقة صفاته وحجب انوار اللاهوتية في عالم الغيب والشهادة عن مشاهدته وهذا مما اهمله أهل المعاني في مباحث الفصل والوصل بل في كلام بعضهم مايدل على خلافه وقد تعرض له بعض المتأخرين رحمه الله واشار اليه العلامة الزمخشري في مواضع من كشافه كاول سورة غافر وقال السيد في الصفات الجارية على واحد قد تذكر بالعطف للمناسبة والتصريح بالاجتماع وقد يترك عطفها اشعارا بالاستقلال كل منها وقد يذكر في موضع و يترك في بعض تفننا فانه يوجب توجه الذهن أو لزيادة مناسبة فرعاية الانسب ابلغ والابلغ انسب ولما كان الظهور والبطون متقابلين كان التصريح بالاجتماع انسب انتهى * وهذا بناء على مافي النسخة الاخرى من ذكر العاطف ولايخفى مافي توجيهه من القصور لاهماله العطف لعدم الاجتماع كما مر في ثيبات وابكارا وكانه اعتبر ما وقع لهم في قوله تعالى (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) والذى ذكره الزمخشري في نزغة اعتزالية كما نبه عليه شراحه وليس محل تفصيله وقد علمت مما قلنا معنى الظاهر والباطن وقال السهيلي معناه العالم بما ظهر وبما بطن (تقدسا لاعدما) اعرابه كاعراب ماقبله والتقدس تفعل من القدس وهو الطهارة والتنزه اى ان بطونه وخفاءه لتنزهه وعلوه من ان تحيط به البصائر والابصار لالكونه معدوما أو غائبا أولا من جهة عدمه أوعدم كمال منه بل لقصور غيره وتنزهه عن ان يحيط بكنهه ان أريد بالباطن الخفي عن البصر في الدنيا فالتقدس التنزه عن مشابهة الحوادث عن قبول الرؤية فيها او العدم بضم فسكون من عدمته اعدمه كعلمته اعلمه عدما وعدما بفتحتين بمعنى فقدته واختار الاول هنا للسجع وماقيل من ان معنى العدم هنا الفقد كما في الصحاح أي ليس خفاؤه لافتقاره كما يختفي بعض الفقراء لفقره فهذيان محرم ولبعض الشراح هنا كلام لامعنى له تركناه لانه غنى عن النقد والتزييف (وسع كل شئ رحمة وعلما) العلم مطلقا معلوم وفي صفات الله تحقيقه في الكلام والرحمة ميل الطبع ورقته وهو مالا يوصف الله تعالى به فيعتبر باعتبار غايته ولازمه فيراد به الانعام أو ارادته وذهب الباقلاني رحمه الله الى انه تجوز به عن معاملته معهم معاملة الراحم بمن يرحمه وذهب الاشعري رحمه الله الى انه تجوز به عن ارادته ذلك فعلى رأى القاضي يجوز ان يقال اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك وعلى رأى الشيخ لايجوز وفي القرآن مواضع تناسب كلا من الرأيين فقوله (ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما) يناسب بحسب الظاهر الارادة لاقترانها بالعلم الذى هو صفة ذاتية وقوله (هذا رحمة من ربي) اشارة الى ان السيد يناسبه الاحسان كذا في شرح الاربعين الرازية للقرافي ولبسط الكلام فيه مقام آخر يأتي اوائل الباب الاول ووجه ارتباط هذا بما قبله انه لما كان مطمح نظره في هذا الكتاب بيان شرف المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه النعمة العظمى على جميع المخلوقات بدأ بحمد الله تعالى ونعمه بمايدل على عظمته في ذاته وان الملك له لاتصرف فيه لاحد سواه ثم ثنى ببيان حال خلقه في ملكه ومايعاملهم به على وجه ينساق الى المراد بقال وسع الى آخره ولو قال الذى وسع كان أولى والسعة ضد الضيق استعيرت للشمول والشئ الموجود مطلقا أو اعم

(الباطن) وفي نسخة والباطن أي باعتبار ذاته دون صفاته (تقدسا) أي تنزها فانه كما قال الغزالي وغيره كل ماخطر ببالك فالله وراء ذلك (لاعدما) بضم فسكون لغة في المفتوحين أي لافقدا وعدما اذلا يقتضي عدم ظهوره نفي وجوده ونوره لانه قد ثبت بالدليل القطعي قدمه وماثبت قدمه استحال عدمه والتحقيق المتضمن للتدقيق على وجه التوفيق انه باطن لايدرك احد حقيقة ذاته ولايحيط احد بكنه صفاته وهذا بالنسبة الى ماسواه فانه لايعرف الله الا الله ونصبهما على التمييز واما قول الدلجي المفاد تعليل لكونه باطنا فهو وان كان صحيحا في هذا المبنى لكن التعليل لايصح بحسب المعنى في قوله (وسع كل شئ رحمة وعلما) أي احاط بكل شئ رحمته وعلمه فان كل شئ لايستغنى عن رحمته ايجادا وامدادا وعلمه شامل للجزئيات والكليات احصاء واعدادا والجملة مقتبسة من قوله تعالى ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما والاقتباس ان يتضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث على وجه لايكون فيه اشعار بانه منه

منه على الخلاف المشهور فيه وهو هنا ما سوى الله وان صح اطلاقه عليه كما فى قوله تعالى (قل اى شئ أكبر شهادة قل الله) لان شمول الرحمة للذات لا يصح وان شمله العلم وشموله لما سواه ظاهر لان كل شئ منعم حتى المعذب بترك الاشد والمعدوم ورحمة وعلما منصوبان على التمييز والجملة مستأنفة وتعلق العلم بكل شئ كليا وجزئيا مبرهن عليه فى الاصول * وفى شرح السيد هنا نقلا عن التفسير الكبير انا لا نعلم كنه صفات الله كما لا نعلم كنه ذاته وانما المعلوم لنا انا لا نعلمها الا بلوازمها وآثارها وذاته لم تكمل بها لان الذات كالمبدأ لها فيلزم استكمال الذات بالممكن بالذات بل كمال الذات يستلزم الصفات * وفى عوارف المعارف أجمع الصوفية على ان له تعالى صفات ثابتة لا بمعنى انه محتاج اليها ويفعل بها بل بمعنى نفى الضد وثبوتها قائمة به وهذه مسئلة نفيسة سكت عنها الاصوليون وربما أوهم كلامهم خلافها وتوضيحها انه لا احتياج له تعالى الى الصفة الموجودة فى تحقق أثرها بل لو لم تكن موجودة كان الاثر بحاله الا ان وجودها لكل لاقتضاء كمال الذات لها ويدفع قول الحكيم الكامل بالذات اعلى من الكامل بما سواه لاستلزامه الاستكمال وظهر ان مذهب اهل السنة اعلى عقلا ونقلا الا ان فيه ايهام تعطيل الصفة ويدفعه ان مجرد وجودها فائدة وان سلم فليكن سببا عاديا للآثار كسائر الاسباب عند الاشعرى رحمه الله فلا استكمال ولا تعطيل فتدبر واحفظه فانه عزيز انتهى * أقول قوله لاستكمال الذات بالممكن بالذات اشارة الى ما قاله فى تعليقه له ان الخلق هو الايجاد بعد العدم مطلقا ولذا لا يقال صفات الله تعالى مخلوقة لانها لم تسبق بالعدم وان كان التحقيق انها ممكنة بالذات أى محتاجة الى الغير لان كل محتاج ممكن فليست واجبة بالذات بذواتها والا لزم تعدد الواجب لذاته وذلك لا يجوز والصفات ليس شئ منها مسبوقا بالعدم بل موجودة ازلا وأبدا وان جاز ان يقال فى سائرها انها مخلوقة وان الذات خلقتها او اوجدتها ونحوه لكن بمعنى انها محتاجة الى الذات لا انها أوجدتها بعد العدم * لكنهم يتحاشون عن استعماله وان كان صحيحا ويرون الخوض فى مثله سوء الادب وابا بدعة لعدم وروده فى الشرع فلا محذور فى تلك التعرض له الا اذا الجأت له الضرورة ولذا قال فى التفسير الكبير الذات المقدسة كالمبدأ للصفات وقد استشكل ظاهره لانها اذا لم تكن مبدأ لم تكن الصفات ممكنة بل واجبة فيلزم تعدد الواجب وهو لا يجوز * (واجيب بان المتبادر من المبدأ انه موجد بعد العدم والصفات غير مسبوقة بعدمها بل لم تزل موجودة الا ان الذات تقتضيها وتحتاج اليها وتتوقف عليها فالذات بالنسبة اليها كالمبدأ الا مبتدأ لما مر انتهى) * واعلم ان بعض علماء المغاربة قال ان الفلاسفة اجمعت على نفى الصفات لشبه تقرب مما قاله المعتزلة فقالوا او وجدت الصفات لزم افتقارها للذات لاستحالة قيامها بنفسها او بعضها اشرط لبقاء بعض كالحياة للعلم فيلزم الافتقار والتأخر وهو مناف للوجوب * واجيب بمنع الملازمة فان الافتقار للغير ان كان فى افادته الوجود كان حادثا ونحن لا ندعى هذا بل نقول جميع صفاته واجبة الوجود غنية عن مقتضى الوجود فان عنيتم بالافتقار عدم الانفكاك فهو لا ينافى الوجوب ولما اعتقد الامام رحمه الله صحة قول الفلاسفة ان الافتقار مطلقا يوجب الامكان وان وجود الصفات تقتضى التركيب والمركب مفتقر لجزئه فلا يكون الا ممكنا واستشعر النقص بصفاته تعالى فقال نستخير الله فى القول بامكانها لذاتها ثم جزم به ووفاه بكلمة والعياذ بالله تعالى لم يسبق اليها فقال هى ممكنة باعتبار ذاتها واجبة بوجوب ذات الله تعالى والذات قابلة لصفاتها وفاعلة لها وهى زلة شنيعة * اقول هذا من نفائس الذخائر المستودعة خزائن القلوب وقد تكلم فيها قدماء الحكماء والمتكلمين كما نقله الامام فى المسائل الاربعين عن الرئيس وجزم بان علة الامكان الافتقار ونازعه فيه العلامة القرافى فى حواشيه على هذه المسائل فقال الصفات يجب قيامها بالموصوف و يستحيل عليها القيام بنفسها فان عنيتم بالافتقار هذا القدر

فسلم

(وأسبغ) اى أكمل بالرحمة الخاصة والعلم المختص بالهداية (على اوليائه) اى المؤمنين على قدر كمالاتهم ومراتب حالاتهم (نعما)
بكسر ففتح جمع نعمة وفي نسخة بضم فسكون مقصور الغة في النعمة لكنه يكتب بالياء مع انه غير ملايم لقوله

(عما) بضم المهملة وتشديد الميم جمع عميمة وهى العامة الشاملة التامة ووهم من قال من المحشين انها جمع عمة فانه يقال نخل عم ونخلة عميمة والحاصل ان رحمته وسعت كل شئ في أمر الدنيا لكن له رحمة خاصة بارباب العقبى كما قال ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون الآية وكذا علمه بكل شئ محيط بمعنى المعية كما قال وهو معكم أينما كنتم ونحن أقرب اليه من حبل الوريد لكن لارباب الخصوص معية خاصة كما يدل عليه قول موسى عليه الصلاة والسلام ان معى ربى وقول نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم للصديق الاكبر رضى الله تعالى عنه لا تحزن ان الله معنا وتأمل التفرقة بين الكلامين فان الثاني مشير الى مقام جمع الجمع والاول مشير الى مقام التفرقة والمنع واما ما ذكره الدلجى من ان تصدير هذه الفقرة بالواو الموضوعة للجمع دون ماقبلها مع ان اجزاء

الصفات المتعاقبة على موصوف واحد مشعرة به يلوح بزيادة جمعية وارتباط معية ففيه مناقشة خفية لان اجزاء الصفات المفردة يؤتى بها من غير واو الجمعية في الجمل الاسمية كقوله تعالى وهو الغفور الودود مع جواز اتيان العاطف بخلاف الجمل الفعلية ولهذا قال

فسلم لكن العبارة ردية ولا يلزم منه الامكان اذ الافتقار على هذا التقدير في القيام لا في الوجود ولا يلزم من الافتقار في القيام الافتقار في الوجود فان العرض مفتقر للجوهر في قيامه ومستغن عنه في وجوده فانه من الله فلا يلزم من مطلق الافتقار الامكان فبطل قوله كل مفتقر ممكن بل المفتقر يكون افتقاره باعتبارين كيبه وباعتبار قيامه ومنه افتقار الصفة لموصوفها وباعتبار وجوده كافتقار الاثر للمؤثر وهذا هو المقتضى للامكان فالافتقار اعم والامكان اخص والاستدلال بالاعم على الاخص غير مستقيم انتهى * أقول تحرير محل النزاع مع بيان الحق فيه ان مطلق الاحتياج للغير مستلزم للامكان او الاحتياج في الوجود فقط فالرئيس ومن حذا حذوه جزموا بالاول والقرافي ومن نحا نحوه كالسنوسي منعوه وقالوا بالثاني وشنعوا على من خالفهم ولا يتم لهم هذا بسلامة الامر فان كل ما احتاج لسواه حاجة تامة بحيث لا يوجد بدونه سواء كان علة اوشرطا لوجوده كالجوهر للعرض مثلا لا يمكن وجوده بدونه فيلزم امكان عدمه بالذات وان لم يكن حادثا وهذا المحذور فيه في صفات الله القائمة به وان كان الادب ترك التصريح به كغيره وهذا من مخدرات الاسرار التي لا تدرج لغير محرم فنقول الذات المقدسة غير مفتقرة للصفات التي ليست عينها بل الصفة مفتقرة للذات لاسنادها له وعدم صحة استغنائها عنه بديهة واذا كانت الذات غير محتاجة للصفات ولا مستكملة بها لا يلزم تعطيلها ايضا لان وجودها فائدة لكونها صفات كمال فليست مؤثرة بالذات ولا واجبة بالذات بل بالاسناد للذات التي هى كالمبدأ لها لانها قديمة ليست منفكة لكن وجوبها ليس لذاتها بل لغيرها وهذا لا ينافي الامكان ولا يقتضى الحدوث الزماني وبقولنا كالمبدأ ظهر ان قول المعترض انها مبدأ وفاعل تقول عليه وقال الاسنوى في شرح منهاج البيضاوى بعد ما نقل قول الامام في الاربعين ان صفات الله ممكنة لذاتها واجبة الوجود لوجوب الذات قد تلخص مما قاله الامام ان الصفات واجبة للذات لا بالذات اى واجبة لاجل الذات المقدس لا ان ذات الصفات اقتضت وجود نفسها انتهى * وقال بعض فضلاء العصر فتكون الصفات ممكنة في حد أنفسها معللة بالذات القديم لكن يجب ان يكون الذات موجبا بالنسبة اليها وان كان مختارا بالنسبة الى ماسواها من مخلوقاته والا لزم حدوثها بناء على ما تقرر من ان الصادر عن المختار حادث البتة انتهى

(واسبغ) اى اتم واكمل وهو في الاصل صفة للدرع والثوب الطويل استعيرت من الطول والسعة لما ذكر ثم صار حقيقة فيه لشيوعه (على اوليائه) جمع ولى فعيل بمعنى فاعل اومفعول اى موالى ويطلق على الله وعلى غيره نحو (الله ولى الذين آمنوا * الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهو من الموالاة وهى الاتصال والقرب ويكون ذلك في النسب والدين والصداقة والنصرة وله معنى يعم كل مؤمن وآخر يختص بمن اخلص لله فولاه امره واخص منه وهو من افاض الله عليه ما فضله به على غيره من أسرار ومعارف الهيئة أنار بها بصيرته حتى يشاهد صنعه وينكشف لنفسه القدسية خفايا الملك والملكوت وهى مرتبة جليلة ويأتي لذلك مزيد بيان وكل نبى ولى ولا عكس وقيل ولاية النبى افضل من نبوته كما ان نبوته افضل من رسالته ولا يلزم منه تفضيل الولى على النبى كما توهم والمراد هنا الاول او الثاني ويحتمل ان يكون الاسباغ هنا على حقيقته بان يشبه النعم المسبغة بملبس يصونه على انه استعارة مكنية وتخييلية كما في قوله

اذا ما عزا دهرى وخفت خطوبه * على دروع من نداء سوابغ

(نعما) جمع نعمة وهى ما انعم الله به واعطاه من فواضل احسانه ويكون بمعنى الانعام والاحسان والحمد على الانعام أمكن من الحمد على النعم كما فصل في محله (عما) هو بعين مهملة مضمومة وميم مفتوحة

مشددة تليها الف اما زائدة كالف زيد فى قولك رأيت زيدا حالة الوقف فالفه زائدة او بدل من التنوين كما فى سائر المنصوبات المنونة او هى ألف مقصورة كالف حبلى ومعناه عميمة اى عامة شاملة لكل شئ من الاجزاء والجزئيات قال ابن عصفور فى شرح شواهد الايضاح عند الكلام على قول الشاعر

طافت به الفرس حتى بذ ناعضها * عم النخيل اقاحا غير منتشر

العم الطوال من النخل واحده عميمة عن ابى حاتم ويعقوب وكانه خفف من عمم ثم ادغم لاجتماع المثلين وقال اللحيانى نخلة عم ونخيل عم اى طوال فعم على هذا مصدر وصف به الواحد وغيره ويبعد ان يكون من باب ذلك لقلته وقال ابن دريد العم العظام واحدها عمى كحبلى وهذا أقيس الوجوه انتهى * واقتصر على التسهيل على انه فعل بضم فسكون جمع عميمة لان فعيلة تجمع على فعل قياسا وفى كتاب النبات للدينورى فى باب النخل العمة النخلة التى يصعد اليها اذا جنيت وهى العميمة ايضا والنخل العم الذى استحكمت وكملت وطالت وكذا فى جميع النبات وفى العم يقول * فعم كعمكم يافع * وطفل كطفلكم يومل * اى كبار بلغ نفعهم ككباركم وصغار تومل كصغاركم فسمى صغارها اطفالا انتهى * ومما قصصناه عليك علمت ان قول المصنف عما اما منون او غير منون مقصور وانه يجوز فيه ان يكون جمعا ومفردا بمعنى عظيمة او عميمة شاملة فافاد وصف نعم الله بالزيادة فى الكم والكيف وللشراح رحمهم الله فيه كلام غير واف بحق المقام ثم لما كانت بعثة الرسل اجل النعم واجلها بعثة خاتم الرسل عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام عطف على قوله اسبغ الخ قوله (وبعث فيهم) من عطف الخاص على العام لبراعة الاستهلال وماقبله تمهيد له والبعث فى الاصل الاثارة او الايقاظ من النوم وبمعنى الاحياء والنشر من القبور وبمعنى ارسال الرسل وهو المراد هنا فاذا تعدى بفى فمعناه انه جعله بين اظهرهم واذا تعدى بالى فمعناه انه مرسل لدعوتهم سواء كان فيهم ام لا وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر وضمير فيهم للاولياء بمعنى المؤمنين من غير تكلف لانه ليس قبله ما يصلح للرجوع له غيره والمراد مطلق المؤمنين وبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم لا يقتضى تخصيص البعثة بهم فينبغى ان لا تجعل فى بمعنى الى حتى يرد عليه ان البعثة عامة للثقلين غير خاصة بهم وانه ينبو عنه قوله الآتى عربا وعجما وقيل ان ضمير فيهم يفسره قوله عربا وعجما وليس راجعا لغيره وقيل انه راجع لكل موجود من الثقلين المفهوم من قوله قبل كل شئ وقيل بعث بمعنى ارسل فيما بينهم بان أوحى اليه بتبليغ الشرائع والبعث وان كان فى الكفار فان كثيرا منهم قد علم منه انه سيصير من أهل ولايته ومنهم من اشرف عليها وهو المراد بالاولياء أو هذا ليس بيانا الاول البعثة ثم قال البعثة انما هى فى العرب بل فى أهل مكة والمبعوث فيهم جاء وهو بين اظهرهم فضمير فيهم لاولياء العرب وضمير انفسهم الآتى للعرب والعجم لقوله عربا وعجما فلا تكون الاولياء مرجعا لهما الا بالتكلف بان يقال كان فيهم العجم والاوجه انه استخدام أو اريد بالبعثة فيهم وجودهم فى زمنها او يكون مبعوثا فى الكل أو فى بمعنى الى أو يراد مطلق الاولياء اعم من الكل والبعض والبعثة باعتبار فرد والانفسية باعتبار الجميع * اقول هذا تعسف نحن فى غنية عنه والحق انه لما ذكر عموم الرحمة اتبع ذلك ببيان ان رحمته الكاملة الشاملة مخصوصة باوليائه وهم مطلق المؤمنين وان من أعظمها عليهم بعد الايمان بالله بعثة هذا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم واتباعهم له ولا يلزم منه تخصيص الرسالة بهم كما فى قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم) كما يأتى وهو مبنى على ان مطلق النعمة عامة للبر والفاجر والنعمة التامة مخصوصة كما قيل لا نعمة لله على كافر وعموم رسالته صلى الله عليه وسلم مشهور ومعلوم من غير هذا وقوله (رسولا) مفعول بعث ولم يذكر المرسل اليهم اشارة الى عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم والرسول

(وبعث) اى ارسل الله (فيهم) اى فى اوليائه ولاجل احبائه ولذا قيل انه لم يرسل فى الحقيقة الى اعدائه ثم المؤمنون هم المراد باوليائه لقوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم (رسولا) أى نبيا مرسلا أمر بتبليغ الرسالة موصوفا بكونه

بمعنى

بمعنى المرسل وهو نبي أوحى اليه بامر بتبليغه والنبي من أوحى اليه مطلقا فبينهما عموم وخصوص مطلق وذهب صاحب القاموس رحمه الله الى انه وجهي وفيه نظر وسيأتي تفصيله عند كلام المصنف عليه في الباب الرابع من القسم الاول (من أنفسهم) بضم الفاء جمع نفس ولها معان منها العين والذات الشاملة للروح والجسد ومنها الروح ومرجع الضمير كالسابق والمراد انه من جنس البشر وانما امتاز عنهم بالرسالة والخصائص المودعة في ظاهر عنصره التي أهله الله تعالى بها الان يكون أهلا لامانته ولم نفسره بما فسر به قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) بانه من جنسهم عربي مثلهم لان المخاطب ثمه العرب امتنانا عليهم واقامة الحجة لديهم وان فسر ايضا بما هنا ولكل مقام مقال لانه لا يناسب التعميم بعده وفيه تجنيس لما بعده وبعثه في الجنس يحول ما للبعض للكل كما يقال بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم فلا ينافي كون المبعوث فيهم طائفة مخصوصة وبعضهم فتح هذه الفاء قالوا وهو خطأ رواية ودراية (انفسهم) بفتح الهمزة والفاء والنصب على البدلية من قوله رسولا لجواز ابدال المعرفة من النكرة أو بتقدير عامل اه ويجوز رفعه على انه خبر مبتدأ مقدر وجره على البدلية من أنفسهم قبله ورجح بانه المروي والموافق لقراءة الآية وفيه اشارة الى القراءتين وهو افعل تفضيل من النفاسة من نفس بالضم صار مرغوبا فيه فهو نفيس عظيم في النفوس يحرص عليه وقيل الانفس الاعلى والاشرف ومنه الحديث سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي الرقاب أفضل قال أنفسها عند أهلها أي أفضلها وفيه نظر وهو قريب مما قبله (عربا وعجما) بضم أولهما وسكون ثانيهما هنا للفاصلة وفيه لغة أخرى بفتحهما والعرب الجيل المعروف والعجم من عداهم وهو المراد ثم غلب على صنف من فارس والعرب اسم جنس جمعي واحده عربي وقيل لا واحد له وقد يخص بسكان القرى والامصار منهم كما يخص الاعراب بسكان الاخبية والبوادي ولذا قيل لا واحد له لان العرب مغاير لهم أو اعم فلا يصح ان يكون مفردا له حتى غلط سيبويه رحمه الله تعالى في القول به وقال الراغب في توجيهه الاعراب جمعه في الاصل ثم صار اسما لسكان البادية والغلبة بعد الجمعية كالانصار ولذا نسب له بلفظ فلا يرد ما قالوه وسميت العرب لسكناهم في بلدة تسمى عربة كما قاله الازهري وما قيل من ان أولهم اسمعيل صلى الله تعالى عليه وسلم وكلهم من نسله ليس بمقبول عندهم لانهم كانوا قبله بنواحي اليمن وأبوهم قحطان وأمهم أو مقدمهم جرهم والعمالقة واسمعيل صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج منهم فتكلم بالعربية كما يأتي بيان ذلك والعرب قسمان عاربة ومستعربة فالعاربة بمعنى الخالص وعرب عاربة كليل أليل والمستعربة ولد اسمعيل عليه السلام ومن بعده طرأت عليه العربية وعليه حمل أول العرب أي المستعربة وقحطان بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكونه من ولد اسمعيل عليه الصلاة والسلام غلط نشأ من اشتراك اسمي كما في الروض الانف وغيره ونصبهما على التمييز أو بنزع الخافض (وأزكاهم) افعل تفضيل من الزكاة وهي الزيادة محسوسة كانت أو معنوية والطهارة الحسية والمعنوية أيضا أي هو صلى الله تعالى عليه وسلم أكثرهم عبادة وتقوى ومعرفة بالله وشرفا وأطهرهم وأنزههم عن القبائح عنصرا وخلقا وخلقا لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم من دنس البشرية كما سيأتي (محتدا) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر التاء الفوقية وآخره دال مهملة وهو والجرثومة والارومة والمنصب والعنصر والضنضئ بمعنى وهو أصل النسب كما في فقه اللغة وفي الصحاح حتد بالمكان محتدا أقام وثبت والمحتد الاصل وفي القاموس من معانيه الاصل والطبع فاصل معناه الاصل مطلقا وظاهر كلام الثعالبي ان حقيقته أصل النسب فكانه مشترك وعلى كل حال فما في شرح المواقف من انه مكان أقام به والعرب تقول لله بلاد اطلعتك يعنون به شرف النسب كقولهم لله درك

(من أنفسهم) بضم الفاء من جنسهم العربي أو البشري دون الملكي للحكم الالهي (أنفسهم) بفتح الفاء ونصب السين أي أشرفهم واعظمهم في نفوسهم فالاول جمع النفس بسكون الفاء والثاني أفعل من النفيس وجمع بينهما كما قرئ في الآية بهما ونصب أنفسهم الثاني على انه صفة رسولا أو بدل أو حال وفي بعض الحواشي ضبط بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي هو أنفسهم من نفس بالضم صار مرغوبا فيه لشرفه (عربا وعجما) بضم فسكون فيهما وهو لغة في فتحيهما والمراد العرب هنا اعم من سكان القرية والبادية كما ان المراد بالعجم ضد العرب الشامل لاهل الفارس والترك والهند وغيرهم ونصبهما على التمييز وقال الدلجي حالان لازمان من ضمير أنفسهم وردا بيانا لنوعي المنفوسين واما قول بعضهم في حاشيته وأنفسهم بفتح الفاء أي اعلاهم وخيارهم وهو من النفاسة ولا يجوز ضمها لان الضمير عائد الى الاولياء فخطأ ولعله مبني على ان لفظ أنفسهم لم يكن مكررا عنده والا فان اراد عدم جواز الضم في أنفسهم الثاني فلا كلام فيه الا ان تعليله لا يصح وان اراد معنا فغلط محض (وأزكاهم) أي أطهرهم وانماهم (محتدا) بفتح الميم وكسر الفوقية أي أصلا وطبعا

لايخلوما فيه من القصور لمن تدبر والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف العرب والعجم وأعظمهم نسبا فما قيل من انه لا يناسب عموم التفضيل ليس بشئ يحتاج للرد (ومنمى) بميمين مفتوحتين بينهما نون ساكنة اسم زمان أو مكان أو مصدر ميمى من نميته اذا نسبته أو من نمى المال اذا زاد أى حسبه صلى الله تعالى عليه وسلم ونسبه الذى انتمى اليه أزكى من جميع الاحساب وأشرف من سائر الانساب فلا وجه لما قيل ان المراد به انه أزكى من جميع المؤمنين الذى بعث فيهم أو ان محل نمائه أى مكة أو المدينة أزكى مما عداه لازدياد الدين وظهوره بها ويجوز ان يراد أن ذاته فى نما العمر والصبا أطهر على انه مجاز عقلى لما عرف منه صلى الله تعالى عليه وسلم فى طفوليته من نزع حظ الشيطان منه وشق صدره ورفع خفة الصبا عنه ولا يرد عليه ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا فى الصغر كما قيل ونصبهما على التمييز أيضا (وأرجحهم عقلا) رجحان العقل زيادته ووصفه به مشهور فى الكتب القديمة وسيأتى ويقابله الخفة والنقص وهو فى الاصل يستعمل فى الموزون ثم صار حقيقة عرفية فى مطلق الزيادة الممدوحة تمثيلا أو مجازا مرسلا أو استعارة مكنية من رجحت كفة الميزان اذا زيد ما فيها فاريد به لازمه والاستعارة فيه أحسن كما قال الاخطل

واذا وزنت حلومهن الى الصبا ✲ رجح الصبا بحلومهن فمالا

وفيه اشارة لما فى الحديث كما يأتى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما شق صدره قال أحد الملكين للآخر زنه بعشرة الى ان قال لو وزنته بجميع أهل الارض رجح والوزن فيه كما قالوه اعتبارى والرجحان انما هو فى الفضل وفائدة فعل الملكين ذلك ليعلمه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وامته فالعقل يقال للقوة القابلة للعلم ولما يستفاد بواسطتها وقيل هو نور روحانى تدرك به النفس ومحله القلب أو الدماغ أو هو مشترك بينهما فيه خلاف مشهور يقال العقل عقلان مستفاد ومكتسب ومطبوع ومسموع وهو من عقل الدابة لمنعه الانسان عن القبائح كما قال الشاعر فى التلميح لاصله

قد عقلنا والعقل أى وثاق ✲ وصبرنا والصبر مر المذاق

(وحلما) وهو قوة توجب الصبر على الاذى وقال الراغب الحلم ضبط النفس عن هيجان الغضب وقيل الصبر على الاذى وقيل الحليم من عفا بعدما ستر وقيل من لا يعجل بالانتقام ان عزم عليه فهو حقود وان عزم على عدمه فهو عفو وغفور فان الحلم ومعناه الا أن يقال انه من يعزم على ان لا ينتقم البتة بشرط أن لا يظهر ذلك فان أظهره فهو عفو وبهذا يظهر الفرق بين الحلم والعفو وقد فهم من كلام السلف ان الحلم صفة تعارض الانتقام وتمنعه ومنع الانتقام وحده هو العفو وقد يمنع الحليم تعجيل العقوبة مع القدرة عليه ويؤخر لحكمة خفية ويفارقه بان صاحبه لا يقدر على الانتقام حالا مع انتظاره للفرصة ولا يخفى ما فيه وهو فى صفات البشر ان يملك نفسه فلا يغضب اذا أوذى أو رأى ما يكره مع تمام الوقار فاذا وصف به الله أريد غايته لامتناعه عليه فهو ترك الانتقام أو تعجيله مع القدرة عليه ومغايرة الاول للحقد والعفو ظاهرة وأما الثانى فلا مناسبة بينه وبين الحقد فانه تعالى لا يوصف به وكذا مغايرته للعفو بحسب المفهوم وبحسب الماصدق فانه قد يحلم ولا يغفر كما فى حلمه على الكفرة فى الدنيا وقد يقال غفر له ولا يقال حلم فتدبر (وأوفرهم) أى أكثرهم وأتمهم من الوفرة وهى الكثرة والسعة (علما وفهما) العلم هو الادراك الجازم وحصول صورة الشئ فى العقل أو الصورة الحاصلة فيه أو عنده مفردا كان أو مركبا وقد يراد به المعلوم الحاصل فى الذهن والملكة والتهيؤ وأكثريته ظاهرة والفهم هيئة للنفس يتحقق بها ما يحس قال الله تعالى (ففهمناها سليمان) وقول الجوهرى كغيره الفهم العلم على عادتهم فى التسامح فليسا مترادفين حتى يكونا هنا كقوله ✲ وألفى قولها كذبا ومينا ✲ اذ العلم مطلق الادراك

(ومنمى) بفتح الميمين مصدر ميمى أى نموا وزيادة وارتقاء وقد ذكر الحلبي وغيره انه اذا كان الفعل معتل اللام مثل رمى فقياس المصدر منه مفعل مثل نمى منمى ورمى مرمى وسرى مسرى انتهى وفيه ان مصدر الثلاثى المجرد مطلقا يجى على مفعل بفتح العين قياسا مطردا كمقتل ومضرب ومشرب كما فى الشافية فلا وجه لقيده بالمعتل نعم هذا التقييد يعتبر فى اسمى الزمان والمكان منه والله أعلم واختار الدلجى انهما اسما مكان فحتد من حتد اذا أقام والمراد بهما مكة المشرفة فان للامكنة دخلا ما فى شرف الاخلاق وطهارتها وحسن الافعال ونجابتها (وأرجحهم) بالنصب عطفا على أنفسهم الثانى أى أوزنهم (عقلا) أى تعقلا (وحلما) أى تحلما (ووافرهم) أى أتمهم (علما وفهما) وفى نسخة بالعكس رعاية لحلما والفهم هو العلم وسرعة ادراك الشئ فالحمل على المعنى الثانى أولى واختلف فى حقيقة العقل والاقرب قول القاضى أبى بكر العقل علم ضرورى بوجوب الواجب وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ولعله أراد به تعريف العقل الكامل والله تعالى أعلم وقيل الفهم ازالة الوهم

(وأقواهم) أى أشدهم وفى نسخة أوفاهم أى أزيدهم (يقينا) أى علما زال فيه الريب تحقيقا (وعزما) أى اهتماما بالغا ليس فيه رخصة مافقيل جدا وقيل صبرا (وأشدهم) أى بهم كما فى نسخة صحيحة (رأفة) أى زيادة رحمة (ورحما) بضم فسكون أى رحمة وعطفا قال تعالى وأقرب رحما قرأ الشامى بضم الحاء والباقون بسكونها وفى نسخة مقصور وهو تعميم بعد تخصيص لا بمجرد تغاير لفظى كما ذكره الحلبي وفيه ايماء الى قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ثم من قوله لا تخييلا ووهما الى هنا منصوبات على التمييز خلافا لما بعده ولذا فصله بقوله (زكاه) بتشديد الكاف أى طهره

(روحا وجسما) فهما بدلان من الضمير فانه عينهما لا غيرهما على خلاف التمييز وقال الدلجى ميزان حولا عن كونهما مفعولين وايراده هذه الفقرة بلا عاطف دون ماقبلها لكمال انقطاع بينهما لاختلافهما ثبوتا وسلبا انتهى وهو وهم منه وغفلة صدرت عنه لان هذا الكلام انما يصح لو عطف فى زكاه وترك العطف فى حاشاه ثم المراد بالجسم الجسد وهو جسم كثيف ظاهرى بخلاف الروح فانه جسم لطيف باطنى أما تزكية روحه صلى الله تعالى عليه وسلم فلكونه أشرف الارواح المطهرة لانه أشرفها كما قال المحشى فانه كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم أول ماخلق الله روحى وسائر الارواح انما خلق ببركة روحه ونور وجوده كما روى لولاك لما خلقت الافلاك فانه صحيح معنى ولو ضعف مبنى وأما تزكية جسده فلشق

(٣ شفا ل) جبريل عليه السلام صدره واستخراج حظ الشيطان منه وغسله بماء زمزم لا بماء الجنة كما قاله المحشى الا انه ان صح روايته يجمع بينهما درايته ويمكن أن يكون الروح والجسم كنايتين عن الخالق والخلق فانهما امر كيان من جانب الحق وأغرب المحشى حيث قال فى رأفة ورحما اشترط من أجاز العطف انه لابد من زيادة معنى فى المعطوف وقال هنا فيه دلالة على جواز العطف وان تغاير اللفظان والمعنى واحد من غير زيادة وأبعد الحلبي حيث تبعه فى الموضعين وقال هنا وهذا الازائد ولا مساو ولعله فعل ذلك لا جل انتهى

والفهم سرعة انتقال النفس من الامور الخارجية لغيرها فالمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم الناس وأحذقهم وفيه اشارة الى أن علمه صلى الله تعالى عليه وسلم كعلم غيره من البشر ضرورى وكسبى وقول بعض الصوفية ان العلوم كلها بالنسبة اليه ضرورية قد رده الشيخ زروق بانه ان حمل على ظاهره لزمه ان ينتفى عنه التكليف لان العلوم الضرورية لا يكلف بها ولا يؤجر عليها وان أريد انه لشدة ذكاء نفسه القدسية علمه بالكسبيات كغيرها فهو صحيح (وأقواهم يقينا) اليقين والايقان اتقان العلم بنفى الشبه عنه فلا يوصف به الضرورى ويتفاوت قوة وضعفا ولذا قال المصنف رحمه الله أقواهم ويشهد له الوجدان وقيل انه لا يتفاوت وانما التفاوت فى آثاره ولذا قيل لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ونسب للحنفية وامام الحرمين فما يتخيل انه أقوى انما هو أجلى عند العقل (وعزما) العزم والعزيمة عقد القلب على امضاء الامر يقال عزمت الامر وعليه وبه ومنه أولوا العزم من الرسل لقوة باسهم وامضاء عزمهم فى تنفيذ أوامر الله وتبليغ شرائعه فمن توهمه معنى آخر فقال ليس المراد بالعزم مطلق عقد القلب بل مافى قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل لم يصب وعزم الله ايجابه وفى التهذيب عزمة من عزمات الله أى حق من حقوقه واجب مما أوجبه والعزم الصبر وقول السيد عيسى قال المرزوقى والعزم توطين النفس وعقد القلب على ماقصد فعله ولا يجوز اطلاقه على الله والعرب تمدح بقوته لدلالته على قوة الطبيعة وعدم التزلزل فى الرأى والتدبير والامر بما يظهر أولو بتغير ماعزم عليه فيتردد وقد علمت مايخالفه من انه ورد اطلاقه على الله تعالى كما ورد فى مسلم وصححه شراحه الا ان يريد انه لا يطلق بالمعنى المذكور ولا يخفى بعده (وأشدهم بهم رأفة ورحما) الرحم بضم الراء وسكون الحاء المهملتين يقال رحمه رحمة ورحما كنقل ورحمى كرجعى فهو هنا منصوب أو مقصور والرحمة العطف والشفقة والانعام والرأفة بمعناه فذكره هنا للتأكيد أو هو عطف تفسيرى أو الرأفة أخص لانها أشد الرحمة كما فى الصحاح وغيره وعلى هذا قدم الاخص الاعلى فى الاثبات على عكس المعروف فى استعمال البلغاء للفاصلة كما قاله الشراح وتبعا للقاضى فى التفسير وغيره ولا وجه له كما بيناه فى حواشيه لان الرأفة حيث قارنت الرحمة قدمت عليها ولو فى غير فاصلة كقوله تعالى رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها حيث قدمت فى الحشو والذى غرهم كلام الجوهرى وغيره والحق تغايرهما حيث اجتمعا فان معنى الرحمة الانعام أو ارادته والرأفة التلطف والمعاملة برفق لانه يقابله العنف والتجبر كما يعرفه من يفهم كلام العرب فلا بد من تقديمها على الرحمة كما قيل فى المثل الايناس قبل الابساس وكما قال * اضاحك ضيفى قبل انزال رحله * وقال الحسن الكرم التبرع بالمعروف قبل السؤال والرأفة مع البذل ويوضحه قول قيس الرقيات

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء

ومن تتبع مواقعه وعرف مقابله جزم بما قلناه ويأتى لهذا مزيد بيان أيضا فى الباب الاول وقال أشدها تفننا وايهاما للمطابقة كقوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم (زكاه روحا وجسما) التزكية

وقد بينت لك الفرق بين الرأفة والرحمة واما الفصل بين الروح والجسد فظاهر للعامة فضلا عن الفضلاء الخاصة (وحاشاه) اى نزهه الله وبرأه (عيبا ووصما) اى عارا على ما صرح به فى القاموس فهو تخصيص بعد تعميم خلافا لمن زعم انهما متساويان وتبعه الحلبي والدلجى ثم نصبهما بنزع الخافض اى من عيب ووصم (وآتاه) بالمد اى اعطاه الله تعالى (حكمة) وهى فى الاصل ما يمنع من الجهالة فانها مأخوذة من الحكمة بفتحتين وهى اللجام المانع من النفور اى علما بالشرائع المشتملة على الحكم المبنية على الاتقان والاحكام (وحكما) بضم فسكون اى قضاء بالاحكام قال المحشى وتبعه الدلجى فيه تجنيس التحريف وهو تحريف من احدهما والصواب التطريف وهو ان يختلف المتجانسان فى اعداد الحروف وتكون الزيادة فى الآخر على ما فى شرح مختصر التلخيص ثم هما منصوبان على المفعولية الثانية واغرب التلمسانى بقوله هما مترادفان وجمعهما للتأكيد (وفتح به) اى فتح الله تعالى بسبب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (اعينا عميا) اى عن رؤية الحق وهو بضم فسكون جمع عمياء بفتح فسكون ممدودا وابعد التلمسانى حيث قال عميا صفة للاعين وهو جمع اعمى وقال المحشى كان الاولى ان يأتى بجمع كثرة لكن قد يأتى جمع القلة بمعنى الكثرة كقوله تعالى جنات عدن بمعنى جنان وقد تأتى الكثرة بمعنى القلة كقوله تعالى ثلاثة قروء اى اقراء وتبعه الحلبي وقال الاولى ان يأتى به جمع كثرة لكنه تبع الحديث الصحيح والمراد به هنا وبالحديث الكثرة انتهى وقال الحافظ العسقلانى الكثرة العددية من الامور النسبية فيحتمل ان يكون العدول عن جمع الكثرة فى الحديث الى جمع القلة للاشارة الى ان الكفار اكثر من المسلمين

التطهير والتقديس والتنمية والزيادة اى خلقه زائدا على من سواه منزها عن دنس البشرية ووسخ العناصر والكلام على الروح وانه جوهر مجرد او سار فى البدن سريان ماء الورد فى الورد او هى ما لا يدرك كنهه ولا ينبغى الخوض فيه مبسوط فى تآليف مستقل به والنفس تكون بمعنى الروح ايضا فتركيبته صلى الله تعالى عليه وسلم كونه فى اكمل تقويم واحسن صورة مكملا بالقوى الظاهرة والباطنة مطهرا من حظ الشيطان ودنس فى نفسه وبدنه بشق قلبه وغسله كما سيأتى وفصل هذه الجملة واتى بها فعلية لانها كالمؤكدة لما قبلها او لتلوين الخطاب (وحاشاه) فعل ماض يقال حاشاه يحاشيه قال * ولا احاش من الاقوام من احد * وليس هذا مأخوذا من حاشا الاستثنائية فانها مشتركة بين معان ثلاثة فيكون فعلا متصرفا بمعنى جنب وباعد واداة تنزيه كما فى قوله تعالى حاش لله وتكون للاستثناء واحكامها مفصلة فى بابها وليس هذا محله وهل هو بمعنى اخرج او بمعنى نزه فنصب ما بعده على نزع الخافض اى من عيب او عن عيب او بمعنى جنب فنصبه على انه مفعول به وهذا اقرب سواء ورد عن العرب ام لا وهذا تجوز او تضمين فمعناه من نزه وعزله عن النوع السابق الانسانى الذى هو عيبة العيوب والضمير راجع للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل نصب ما بعده على التمييز كامتلأ الاناء ماء وفى الحديث اسامة احب الناس الى ما حاشا فاطمة وليس هذا محل الكلام فيه فالمعنى جنبه (عيبا ووصما) اى كل عيب ووصم لان النكرة فى سياق النفى معنى للعموم مع ان النكرة قد تعم فى الاثبات والوصم بفتح الواو وسكون الصاد المهملة ان فسر بالعيب فهو من عطف احد المترادفين على الآخر اطنابا فى مقام الخطابية تتميما للفاصلة وان فسر بالعار كما فى القاموس فهما متقاربان والتوصم فى الجسد كالتكسر والفترة والكسل فعلى هذا يفسر بالتوانى وهو ابلغ والمعنى ان الله نزهه عن العيوب الحسية والمعنوية ووفقه للجد فى اموره من غير توان لتوفيقه للجد فى اموره (وآتاه) بالمد بزنة اعطاه بمعناه فيتعدى لمفعولين (حكمة) فى القاموس انها العدل والحكم والنبوة والعلم والقرآن والكلام الحق وهى من احكمه عن كذا اذا منعه لانها تمنع صاحبها عن النقائص ومن حكمة الدابة وقال البيضاوى هى فى عرفهم استكمال النفس الانسانية باقتباس النظريات وكسب الملكة التامة والمداومة على الافعال الفاضلة بقدر الطاقة البشرية قيل والعلم يشمل ما ذكره القاضى فى تعريفه رحمه الله قال بعض المحققين انها العلم بالاشياء كما هى والعمل به كما ينبغى وفيه نظر (وحكما) اى قضاء وفصلا للامور على الحق سواء كان الزاما للغير ام لا ويجوز ان يراد به خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين والاول اظهر ولذا اقتصر عليه الشراح ويكون بمعنى الحكمة وليس مرادا هنا وهى مساوية لها للاشتقاق السابق وبينهما نوع من الاشتقاق يجوز ان يكون من جناس التحريف وما فيه من السؤال والجواب بعد النظر لها امر سهل لا ينبغى تكثير السواد بمثله (وفتح به) اى بسببه والباء للآلة (اعينا عميا) جمع عين وفتح العين بمعنى فتح اجفانها وهو كناية او مجاز عن جعلها مبصرة بعد ان لم تكن كذلك او هو عبارة عن كونه واسطة فى نيل سعادة الدارين بسبب دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه سبب عادى لان الله تعالى جعل ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام

امارة

امارة لخالق الهداية فيمن ارسل اليهم كالشبع والري والاعين جمع قلة وكان مقتضى المقام جمع الكثرة لكنه اتبع اللفظ الوارد فيه كما ستراه وجمع القلة قد يكون للكثرة كعكسه اه هو هنا النكتة كعده قليلة بالنسبة لقدرته تعالى او لكونها كانت قليلة في الابتداء وسياتي تحقيقه وعميا جمع عمياء وتكون جمع اعمى وهو صفة من العمى وهو عدم البصر عما هو من شانه فان لم يرد المعنى الاول فهو استعارة لا تمثيل وتشبيه جعلت الحواس التي لا ينتفع بها كالمفقودة فمن توهم ان ذكر الاعين المشبه مانع من استعارة لم يفتح عينه وليس هذا كقول المتنبي

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي * واسمعت كلماتي من به صمم

لان معناه ان كلامه لبلاغته وحسنه شاع وذاع وملأ الاسماع حتى كان الاعمى يراه والاصم يسمعه (وقلوبا غلفا) جمع قلب وهو العضو المعروف ويراد به العقل وقد فسر به هنا وهو الظاهر اقول وغلفا بضم الغين المعجمة وسكون اللام جمع اغلف بمعنى ذي غلاف وغطاء فهي مغطاة في أكنة ومنها غلام اغلف بمعنى اقلف من غلفت السيف ونحوه ويكون جمع غلاف فاصله غلف بضم اللام فخفف وبه قرئ قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ويصح ارادته هنا على انه بدل اشتمال فيكون المفتوح غلافه وغطاؤه وعلى الوجه الاول الاولى عطفه على الاعين المفتوحة تفلسا او بتقدير وازالة غباوة قلوب غلف على نهج قوله * متقلدا سيفا ورمحا * وهذا مبني على ان القلب محل العلم والقوة المدركة قائمة به لا بالدماغ وتغطية المحل يلزمها تغطية ما فيه ومعناه ان قلوبهم كانت محجوبة عن الهداية فازال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حجابها وكشف غطاءها حتى اهتدت ففيه استعارة تمثيلية او تخييلية او مكنية كما حقق في الكشاف وشروحه وهو لا ينافي قوله تعالى وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم لانه فيمن طبع على قلبه وهذا في غيره او المنفي الدلالة الموصلة والمثبت مطلق الدلالة والاول اولى (وآذانا صما) آذان جمع اذن بضمتين وتسكن تخفيفا وهي الجارحة المعروفة وصما بالضم ثم التشديد جمع صماء كعمي وعمياء ويجوز فتح صاده على انه مفرد مؤنث ممدود قصر للوقف ووصف به الجمع كجبال راسية والصمم آفة تمنع السمع وفتحها ازالته مجاز مشهور ويقال في ضده انسدت استعير هنا لعدم الاذعان للحق والانتفاع به لانها لم تسمع السمع المعتد به فنزل سمعها منزلة العدم فلما ارشدوا للحق وكشفت عنهم الحجب المظلمة وانقادوا مذعنين كانوا كمن زال صممه (فآمن به) اي بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقة الايمان جعل الغير في امان فهو متعد بنفسه ثم ضمن معنى الاقرار والاعتراف فعدي بالباء كآمن بالله بمعنى صدقه واعترف به وقد يعدى باللام وهو في الشرع التصديق بما علم مجيء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به ضرورة تفصيلا فيما علم تفصيلا واجمالا فيما علم اجمالا وتلفظ القادر به شرط له فمن اخل به فهو كافر فهو كالعمل خارج عنه وذهب بعضهم الى انه جزء منه داخل في حقيقته الا انه عند بعض المحققين جزء لا يلزم من عدمه عدمه كالشعر والظفر من الانسان والاوراق والسعف من الشجر كما ذهب اليه بعض السلف وتفصيله في كتب الكلام (وعزره ونصره) بعين مهملة وزاي معجمة ثم راء مهملة بمعنى وقره وعظمه ويكون بمعنى أعانه على عدوه والاول المراد لما فيه من التأسيس واصل العزر بفتح فسكون المنع فاستعمل فيما ذكر لما فيه من المنع عن الاهانة ونحوها وكذلك التعزير المعروف اطلق عليه لمنعه عن العود للجناية ولم يعدل عنه لايهامه المعنى الاخير لدفع السياق له ويرجحه موافقته للقرآن في قوله عز وجل وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه مع ما فيه من الاعتماد على أقوى الدليلين وهو اللفظ والفعل ولا يلتفت لما قيل لولا القرآن لكان الاولى ان يقال عززه بمعجمتين احترازا عن المشترك بين الاهانة وضدها وسياتي انه قرئ بهما في آية الفتح والاعانة النصر والدفع عنه

(وقلوبا) جمع قلب وسمي به لتقلبه في ايدي مقلب القلوب كما قال الشاعر (وماسمي الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا انه يتقلب) (غلفا) بضم فسكون جمع اغلف كانه جعل في غلاف فهو لا يعي وقالوا قلوبنا غلف اي ذوات غلف لا تعي كلمة الحق ولا تفهمها لانها لا تصل اليها (وآذانا) بمد الهمزة جمع اذن (صما) بضم فتشديد الميم جمع صماء لا اصم كما سبق اي لا تسمع النصيحة والحاصل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم اتاهم بآيات واضحة ومعجزات لائحة فاجتلت ابصارهم ووعت قلوبهم وقبلت اسماعهم (فآمن به) اي صدق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما جاء به (وعزره) اي عظمه ووقره وهو بتشديد الزاي ووهم التلمساني حيث قال تخفف وتشدد في القاموس العزر اللوم والتعزير التعظيم او المعنى منعه من عدوه اذ أصل العزر المنع ومنه التعزير لانه يمنع من معاودة القبيح (ونصره) اي ايده واعانه ايماء الى قوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه والضمير في الآية يجوز ان يكون لكل منهما والاظهر ان يكون الى الاخير فان الايمان به متضمن للاول فتامل ثم الفاعل قوله

(من) أى الذى (جعل الله تعالى له فى مغنم السعادة) أى فى غنائم السعادة الايمانية وحيز السيادة الايقانية

(قسما) بكسر فسكون أى حظا ونصيبا مقسوما وأما بفتح القاف فهو مصدر (وكذب به) أى كفر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وصدف عن آياته) أى أعرض عن معجزاته البرهانية أومال عن قبول آياته القرآنية (من كتب الله) أى قدر وقضى وأوجب (عليه الشقاء) بالمد مفتوحا ويكسر أى الشقاوة كما فى نسخة وهى الاولى من الاولى كما لا يخفى وقال التلمسانى الشقاء العذاب وهو ممدود انتهى ولا يخفى عدم الملاءمة بالمقابلة للسعادة مع ان صاحب القاموس قال الشقاء الشدة والعسر ويمد والظاهر ان معناه التعب كما فسر به قوله تعالى فتشقى وقوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى لا بمعنى العذاب المتعارف والله أعلم (حتما) أى حتما مقضيا يعنى وجوبا متحتما لازما لا بدله من فعله ولا تبديل ولا تحويل فيه أصلا وقطعا (ومن كان فى هذه) أى فى الدنيا الدنية التى هى محل تحصيل الكمالات الدينية (أعمى) أى عن الامور العلمية والعملية
أو عن طريق الحق وبصيرة الصدق (فهو فى الآخرة أعمى) فاعل أو خبر أى فهو فيها أعمى بالطريق الاولى أو أشد عمى للسجع
عما كان فى الدنيا أو أعمى عن النجاة ورؤية سبيل أهل الهدى والحاصل ان أعمى فى الموضعين أفعل وصف والمعنى من كان فى الدنيا

ما يضره ويقال نصرت السحابة اذا أمطرت ونصره اذا أعطاه وقدم التوقير على النصر لموافقة الواقع ودفع
الاحتمال * (تنبيه) * فى القاموس ان التعزير فى اللغة من أسماء الاضداد لانه يطلق على التفخيم
والتعظيم وعلى التاديب وعلى أشد الضرب وعلى ضرب دون الحد قال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيثمى
والظاهر ان هذا الاخير غلط لان هذا وضع شرعى لا لغوى لانه لم يعرف الا من جهة الشرع فكيف
ينسب الى أهل اللغة الجاهلين بذلك من أصله والذى فى الصحاح بعد تفسيره بالضرب ومنه سمى
ضرب ما دون الحد تعزيرا فاشار الى ان هذه الحقيقة الشرعية منقولة عن الحقيقة اللغوية بزيادة قيد
هو كون ذلك الضرب دون الحد الشرعى فهو كلفظ الصلاة والزكاة ونحوهما المنقولة لوجود المعنى
اللغوى فيها بزيادة وهذه دقيقة مهمة نظر لها صاحب الصحاح وغفل عنها صاحب القاموس وقد وقع له
نظير ذلك كثيرا وكله غلط يتعين بالتفطن له انتهى وقوله فكيف ينسب الى آخره قال شيخنا ابن قاسم
لا يقال هذا لا يأتى على ان الواضع هو الله تعالى لانا نقول هو تعالى انما وضع اللغة باعتبار ما تعارف
الناس مع قطع النظر عن الشرع وقوله (من) موصول تنازعه الفعلان (جعل الله له) أى قضى
وقدر كما علم بالنص كقوله أولئك هم المفلحون وكل ميسر لما خلق له

واذا يسر الاله سعيدا * لاناس فانهم سعداء

وليس فى هذا ايجاب ولا جبر كما توهم (فى مغنم السعادة) مغنم كمقعد بمعنى الغنم والغنيمة وهى الفوز بما
يطلب من الشئ ونحوه ويطلق على ما يغتنم من كل شئ والسعادة ضد الشقاوة وتختص بالفوز بالنعيم
الاخروى واضافة المغنم بالمعنى المصدرى لامية وهى بيانية ان كان بمعنى ما يغتنم ويجوز ان يكون كلجين
الماء كما قيل وهو حسن لان المغنم والغنيمة ما أخذ من العدو قهرا فكأن المؤمنين لما اختصوا بالسعادة
دون غيرهم كأنهم سلبوهم اياها والجامع بينهما ان كلا منهما له فائدة عظيمة لا تحصل الا بجد وجهد
ولا وجه لما قيل ان وجهه خفى أو أقوى فى المشبه فانه ظاهر لمن له أدنى تأمل (قسما) بكسر القاف
بمعنى الحظ والنصيب ويجوز فتحها قال فى المصباح قسم من باب ضرب والقسم بالكسر اسم مصدر ثم
أطلق على الحصة والنصيب ومناسبته للمغنم ظاهرة (وكذب به) يقال كذب بكذا تكذيبا اذا أنكره
وجحده وكذبه اذا جعله كاذبا فى كلامه هذا هو المعروف فى الفرق بين المتعدى بنفسه وبالباء فالمراد انه
أنكر ذاته صلى الله تعالى عليه وسلم من حيث النبوة والرسالة ولم يقل كذبه لانه بمعنى ما بعده فمن فسره
بانه جعله كاذبا أو أنكره فقد خالف الظاهر وقيل المراد ان هذا الوعيد والشقاء الابدى ثابت لمن أنكره
كان وصفه بغير صفته كاسود أو غير قرشى فقد فسره بغير مراده (وصدف) بمهملتين وذا بمعنى أعرض
(عن آياته) جمع آية وهى العلامة والامارة وآية القرآن ألفاظ منه ذات مقطع ومبدأ وتكون بمعنى
المعجزة التى هى علامة النبوة ويجوز ارادة كل من معانيه هنا ووزنها فعلة ساكنة أو محركة أو فاعلة
ويأتى بيان ذلك مع زيادة أى أعرض عن تدبر علامات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم مكابرة كما قال الله
تعالى فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها والآية تضاف الى الله تعالى والى الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم كما هنا لانه جاء بها وجرت على يديه تصديقا له صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتب عليه
الشقاء حتما) كتب بمعنى حكم وقدر فى الازل أو أوجب أو كتبه فى اللوح المحفوظ وقيل انه يكتب
السعادة والشقاوة فى بطن أمه على جبينه أو بين عينيه أو فى رق لا يرى فى عنقه كما ورد وهو اما تمثيل
لسبق شقاوته وسعادته أو هو على حقيقته وظاهره وحتما بمعنى لازما وواجبا لا بد منه ولما كان الشقى
لا يهتدى لعمى بصيرته نبه على حاله مقتبسا من القرآن فقال (ومن كان فى هذه) الدار الدنيا (أعمى)
عن مشاهدة الآيات الظاهرة (فهو فى الآخرة أعمى) وأضل سبيلا أتى بالصيغة البديعة من الاكتفاء

للسجع وعماه لعدم رؤيته طريق النجاة وهذه اشارة للدنيا أى من كان فى الدنيا أعمى القلب
والبصيرة لايبصر رشده كان فى الآخرة أعمى على طريق النجاة لايراها وأضل سبيلا منه فى الدنيا لزوال
الاستعداد أولان الاهتداء بعد لاينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل أعمى الثانى أفعل
تفضيل كاجهل وابله ولذا لم يمله أبو عمرو ويعقوب فان أفعل التفضيل تمامه بمن فالفه فى حكم المتوسطة
كاعمالكم بخلاف النعت فان ألفه متطرفة لفظا وحكما فكانت عرضة للامالة من حيث انها تصير
ياء فى التثنية وأمالها حمزة والكسائى وورش على أصله بين بين فيهما وأورد عليه انه ينتقض بمثل قوله
الذى هو أدنى الكافرين ألاترى أن حمزة والكسائى وأبابكر أمالوها فى الموضعين مع قيام هذا الاحتمال
فى الثانى ويمكن ان يقال مراده ان ألفه فى حكم المتوسطة والموضع اللائق للامالة آخر الكلمة حيث
تصير ياء عند التثنية فنبه أبو عمرو ويعقوب على الفرق بين الكلمتين بامالة الاول دون الثانى أو يقال
من أمال الثانى راعى المشاكلة بينه وبين أصله وهو المعنى الحقيقى وفى بعض الشروح قالوا لكونه اسم
تفضيل أمال أبو عمرو الاول دونه لان ألفه غير متطرفة لما مر كما قاله الفارسى والزمخشرى وفيه انهم
امالوا ولا ادنى من ذلك مع التصريح بمن لايميلوه اذا قدرت معه أولى وأحرى * (أقول) * ذكروا للامالة
أسبابا كمجاورة الكسرة أو الهاء ولايشترط فيه تطرف وكونها منقلبة عن ياء أو تصير ياء فى التثنية
ونحوها وهذا يشترط فيه أن يكون ألفه متطرفة كما فى التسهيل ثم انهم قالوا أسباب الامالة مجوزة
لاموجبة فاذا اتصل بها ما يجعلها فى حكم المتوسطة وفات ما هى متطرفة حقيقة فترك امالته اذا أميل
الثانى للفرق بينهما أرجح من الامالة فيه فسقط ماذكر برمته لانهم لم يعنوا ان أفعل التفضيل مع من
ظاهرة أو مقدرة فيه مانع من الامالة بل مرجح لتركها لاسيما مع قصد الفرق بين أفعل التفضيل وغيره
وليس فيما ذكر ما ياباه وأما الكافرين فلا يحتاج للعذر لما مر * فان قلت شرط أفعل التفضيل ان
لايصاغ وصفه على أفعل فعلى كالعيوب وما قابلها والالوان لان حق فعله ان يكون ثلاثيا وفعل هذا
النوع افعل المشدد اللام ولذا صححت عينه اذا كان ثلاثيا كعور رعاية لاصله وقال ابن مالك رحمه الله
تعالى الاقرب أن يقال لما كان بناء الوصف من هذا النوع على أفعل كاعور لم يبن منه اسم تفضيل لئلا
يلتبس أحدهما بالآخر * قلت قد أجيب عنه بانه فى العيوب الظاهرة وهذا من العيوب الباطنة وهذا
على التعليل الاول ظاهر وأما على الثانى فغير تام الا أن يقال حق وصفه ان لايكون على أفعل فعلا
ويشهد له قول الجوهرى عمى وما خالفه محمول على غيره شذوذا فاذا أريد بالعمى عمى البصيرة فلا اشكال
فيه فان أريد عمى البصر عقوبة لهم فوجه التوفيق بينه وبين قوله فاذا هم قيام ينظرون ان فى القيامة
مواقف مختلفة باختلاف أحوالهم والاقتباس هنا مبين لما قبله ومثبت له وعطفه رعاية للنظم فانه
لما ذكر أن من كذبه وأعرض عن آياته متحتم الشقاوة عقبه بما يدل عليه من كلام الله وفى الكشاف
ان العمى حقيقة فى البصر والبصيرة والعمه مخصوص بالثانى فحينئذ يجوز بناء اسم التفضيل
منه فان كان حقيقة كما فى البصر فقط لم يتجه بناؤه كما فى درة الحريرى لان ما يمتنع فى الحقيقة فى مجازها
لانا اذا قلنا لايجوز بناء التعجب من الموت لايصح أن يقال ما أموته فمن منع بناء التفضيل من الالوان
والعيوب لايجوزه بعد التجوز فيه وأما القول بانه تمثيل فلا يجدى الا الفساد اذ لا تجوز فى مفرداته فهو
غفلة من قائله وسيأتى الكلام على الاقتباس فى آخر الخطبة ولما ذكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم
وصل الى أعلى مراتب الكمال وان كمال غيره انما هو بهدايته والاقتباس من نور شريعته ناسب ان
يعظمه ويدعو له أداء لبعض حقه وتوسلا به الى الله فى قبول حمده واعظام قدره فقال (صلى الله عليه
وسلم) والصلاة فى العرف عبادة معروفة وفى اللغة الدعاء وفى اشتقاقها كلام مفصل فى محله كما سيأتى

لايبصر طريق هدايته لايرى فى العقبى سبيل عنايته وقيل أعمى الثانى للتفضيل كاجهل وابله ولهذا عطف عليه فى الآية وأضل سبيلا ولم يمله أبو عمرو ويعقوب لان أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه فى حكم المتوسط كما فى أعمالكم ولايبعد أن يراد بالعمى فى الدنيا الجهالة والضلالة فى الامور الدينية وكونه أعمى فى الآخرة الطريق الصورية والمعنوية (صلى الله تعالى عليه وسلم) جملة خبرية مبنى انشائية معنى

(صلاة تنمو) بفتح فسكون فضم من النمو أي تزيد عددا دائما (وتنمى) بصيغة المجهول من الانماء أي

ويزيدها الله أو يزيد
ثوابها أبدا والمعنى
تزيد في نفسها ويزاد فيها
وفي نسخة صحيحة بدل
الاولى تنمى كترمى
بالياء بدل الواو وهو الاولى
من جهة صنيع الجناس
المستحسن في المبنى مع انه
اللغة الاشهر عند الاكثر
ففي الصحاح نمى المال
وغيره ينمي نماء وربما
قالوا ينمو نموا وانماه الله
تعالى انماء انتهى وفي
غالب النسخ المصححة
تنمو بالواو وعن الخليل
انه الافصح وبهذا يتبين
ان قول الحلبي وفي لغة
ينمو وهو ضعيف هو
الضعيف لمخالفة الجمهور
ولمعارضته شيخه مجد
الدين الفيروزابادي
صاحب القاموس حيث
قال نما ينمو زاد كنمى
ينمي وأما ما نقل عن
الكسائي لم أسمعه بالواو
الا من أخوين من بني
سليم ثم سألت بني سليم
فلم يعرفوه فالجواب عنه
انه على تسليم صحته يكون
لغة لغيرهم ومن حفظ
صار حجة على من لم
يحفظ (وعلى آله) أي
اتباعه ولذا لم يقل وأصحابه
وفي نسخة وصحبه على انه
تخصيص بعد تعميم أو
المراد بالآل أقاربه
والعطف لزيادة التشريف والتكريم (وسلم) بفتح اللام عطف على صلى (تسليما) أي تسليما عظيما

بعض

بعض الكلام عليه وما اشتهر من أنها من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الآدميين تضرع ودعاء
صحيح عن السلف وبه تمسك الشافعي في الجمع بين معنيي المشترك ورده صاحب التوضيح بما هو
مذكور في كتب الأصول ولما فيه من معنى التعطف عدي بعلى للمنفعة مع تعدي الدعاء بها للمضرة
وعقب الحمد بالصلاة لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فان السلف فسروه بلا اذكر الا وتذكر معي كما
سيأتي الكلام عليه واذا ذهب كثير من الشافعية الى كراهة افراد الصلاة عن السلام لفظا وكتابة أو
هو خلاف الاولى كما سيأتي بيانه والسلام اسم مصدر بمعنى التسليم وخص الانبياء عليهم الصلاة والسلام
بالصلاة والسلام استقلالا كما خص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم غالبا بالترضية وغيرهم بالترحم
كما سيأتي في محله والاصح انه لا يكره الدعاء بالرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم كما لا يكره التسليم على الصحابة
رضي الله تعالى عنهم وان كان من آداب الشريعة تركه رغما للشيعة في التسليم على آل البيت وعندي
انه يكره الدعاء بالرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم من العامة في موطن لم تؤثر فيه لاسيما منفردا (صلاة)
اسم مصدر منصوب على المفعولية المطلقة لافادة تقوية عامله وتقرير معناه (تنمو وتنمى) كذا في
غالب النسخ كما قاله التلمساني وفي بعضها تنمى بفتح المثناة وكسر الميم وتنمى بضم المثناة الفوقية
وفتح الميم وفي المقتفى ان الاول أصح وأوضح رواية ودراية وفي المصباح نما الشئ ينمي من باب رمى نماء
بالفتح والمد كثر وزاد وفي لغة نما ينمو من باب قعد ونميته الى أبيه نسبته نميا وانتمى انتسب وضبط
الثاني على الرواية الاولى بفتح المثناة والميم مضارع نمي ينمى كابى يابى وعلى ضمة تائه وفتح ميمه وهو
مجهول من نمى الحديث ينميه أي رفعه وبلغه فالمراد بالاول انها تكثر وتضاعف تضاعف الحسنات أو
هو دعاء بتكثيرها الى غير النهاية والثاني بمعنى ترفع الى الملأ الاعلى لقبولها اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه * وقيل تنمى الاول بصيغة المعروف أي تزيد وترفع بنفسها كالشجرة وفي
نسخة صحيحة تنمو بالواو وضعف بان صاحب الصحاح ضعفه ورده حكايته في القاموس وغيره انتهى
والظاهر أن تنمو الاول بمعنى تزيد والثاني بمعنى تبلغ وترفع وتبلغه لما سيأتي من أن لله ملائكة تبلغه
صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة من صلى عليه فلا حاجة لما قيل من أن الثاني بصيغة المجهول أي يزاد
عليها بانضمام مثلها معها فاندفعت المناقشة بان كل رحمة تنمى فهي تنمى على انه يحتمل التأكيد
انتهى فانه تعسف أنت في غنية عنه بما قدمناه وكذا ما قيل من أن المطلوب صلاة مستقرة مستمرة
تنميها فتنمو وتزيدها فتزيد وهذه الجمل للانشائية والخبرية تنبيها لك عليه (وعلى آله) عطف على قوله
عليه وقيل على المجرور باعادة الجار واصل معناه الاتباع ولذا فسره بهم فيما سيأتي ولم يضف في الاكثر
المطرد الا الى العقلاء الأشراف وزيد قيد الذكور والكل أغلبي لقولهم آل الله وآل البيت قال

وانصر على آل الصليب * ب وعابديه اليوم آلك

فهو أخص من الاهل ثم خص في العرف ببني هاشم وبني المطلب وقيل هم عترته وأهل بيته وقيل هم
جميع أمته كما سيأتي في كلام المصنف مع الكلام عليه واختاره الامام مالك والنووي والاصح جواز
اضافته الى الضمير وان زعم المبرد انه من لحن العامة وانه اذا أضيف يقال أهله وأصله أول من آل يؤول
الى كذا اذا رجع اليه بقرابة ونحوها الا ان الكثير يرجع اليه في المهمات وقيل أصله أهل فقلبت الهاء
همزة والهمزة ألفا واستدل بتصغيره على أهيل ولا دليل فيه لانه قيل أهل وأهيل وآل وأويل قيل كان
ينبغي ذكر الصحب مع الآل لان الصلاة عليه تستحب عليهم وأجيب بان معناه هنا الامة والاتقياء منهم
فيشملهم مع الاختصار وهو مذهب مالك والمصنف رحمه الله مالكي المذهب وقد تفرد ابن عبد السلام
رحمه الله بانه لا يستحب الصلاة الا على من ورد ذكره في الحديث من الآل والازواج والذرية وهو غير
مرضي (وسلم تسليما) سلم بصيغة الماضي أو الامر وهذا موجود في أكثر النسخ وقد سقط من بعضها كما في

ووقع في بعض النسخ زيادة كثيرا وهو مخل بالسجع المرعي في الفواصل ثم ظاهر آية يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما دال على وجوب الصلاة والسلام عليه كما ذكر وكذا حديث من ذكرت عنده فلم يصل علي دخل النار فابعده الله تعالى وحديث رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وبه قال الطحاوي من الحنفية والحليمي من الشافعية واللخمي من المالكية وابن بطة من الحنابلة والجمهور على انها في العمر فرض مرة والمحققون على انها فرض في كل مجلس ذكر صلى الله تعالى عليه وسلم فيه والله تعالى أعلم

(أما بعد) بضم الدال مبنيا لحذف المضاف اليه وكونه منويا وقال الحلبي وبفتحها اجازه هشام وقال النحاس انه غير معروف ورفعها منونة وكذا نصبها انتهى وذكر النووي في باب الجمعة من شرح مسلم انه اختلف العلماء في أول من تكلم بأما بعد فقيل داود عليه الصلاة والسلام وقيل يعرب بن قحطان وقيل قس بن ساعدة وقال بعض المفسرين أو كثير منهم انه فصل الخطاب الذي أوتيه داود وقال المحققون فصل الخطاب الفصل بين الحق والباطل انتهى وفي الكشاف ويدخل فيه يعني في فصل الخطاب أما بعد فان المتكلم اذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد انتهى وفي غريب مالك للدارقطني بسند ضعيف أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما جاءه ملك الموت قال من جملة كلامه أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء وهذا يدل على ان أول من تكلم به يعقوب لا داود عليهما الصلاة والسلام ونظير فصل الخطاب كلمة هذا فانه يفصل بها بين الكلامين كقوله تعالى هذا وان للطاغين لشر مآب أي الامر هذا أو هذا كما ذكر أو خذ هذا المعد للمتقين وأما تنظير المحشي بقوله تعالى هذا وان للمتقين لحسن مآب فغفلة عن لفظ التنزيل وهو قوله تعالى هذا ذكر وهو ليس من هذا الباب نعم نظيره ما قال الشاعر

* (هذا وكم لي بالجنينة سكرة * أنا من بقايا خمرها مخمور) فانه أشار بهذا الى كلام تقدم ثم استأنف كلاما ثانيا والله تعالى أعلم * ثم اعلم ان قس بن ساعدة الايادي بضم القاف وتشديد المهملة بليغ حكيم ومنه الحديث يرحم الله قسا اني لارجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده قيل هو أول من كتب من فلان الى فلان وفيه نظر لقوله تعالى انه من سليمان وأول من خطب بعصا وأول من أقر بالبعث من غير سماع قيل انه عاش ستمائة سنة وقد رآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسوق عكاظ وهو راكب جملا له أحمر وورد رحم الله قسا انه كان على دين أبي اسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام رواه الطبراني عن غالب بن ابجر وفي رواية رحم الله قسا كأني أنظر اليه على جمل أورق تكلم بكلام له حلاوة ولا أحفظه رواه الازدي في الضعفاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ومن قوله أيها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ثم هو من أهل الفترة وأما يعرب بن قحطان فهو أبو اليمن وقيل هو أول من تكلم بالعربية وههنا قولان آخران في أول من قال أما بعد فقيل كعب بن لؤي وقيل سحبان وهو بليغ يضرب به المثل لكن هذا القول غير صحيح لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقولها في خطبته وهو قبل سحبان اجماعا لانه كان في زمن معاوية وما أجيب عنه بانه أول من قالها بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الاسلام لا يخفى بعده لاني ما أظن ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا لا يتركونها في خطبهم بعد ما سمعوها منه صلى الله تعالى عليه وسلم في خطبته والله تعالى أعلم

بعض الشروح وهو يحتمل أن يكون تسليما اعلى من ذكر قبل تأكيدا له بحسب المعنى لفعله ومصدره أو لقوله وعلى آله بعطفه على صلة الصلاة السابقة على السلام بعد تشريكه معهم في أصل الصلاة والتسليم تمييزا لشرفه وعلو قدره ولما كان المستحب أن لا يفرد الآل بالصلاة عن السلام أردفه به تتميما للمقام كما ارتضاه الشارح الفاضل ويحتمل أن يفيد العطف التشريك في الصلاة والسلام أي على النبي وآله اذ لفظ سلم في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليست من كلام المصنف وان اقتضى كلام الشارح انه ثابت في كلامه ويكون ما ذكرناه تأكيدا له وهذا دعاء المقصود به تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه السلام عليه أو جعله سالما من النقائص والآفات وأما تأكيد السلام بالمصدر دون الصلاة اقتداء بالنظم المجيد فلان الصلاة من الله ومن الملائكة رحمة وتعظيم واقعة منهم بلا تردد وأما البشر فلما صدر عن بعضهم كالكفرة ما صدر من أذيتهم وتنقيصهم أمروا مع الصلاة بالتسليم من النقائص والانقياد وأكد لوقوع الانكار وما يخالفه وهذا خفي على بعض الناس وقال انما تركها في الصلاة لما أكدت بالاعلام بان الله وملائكته يصلون عليه وبتقديمها اعتناء بشأنها ولا كذلك السلام فحسن تأكيده بالمصدر جبرا له وهو لا يجزى هنا كما توهم لانه أخبر ان الله عز وجل صلى عليه بقوله صلى الله عليه فيكون قوله بعده وسلم بصيغة الامر أي سلم أي أوجد السلام عليه فيطابق الآية لفظا ومعنى وهو تعسف غني عن الرد * ثم ان المصنف أتى بسجع الخطبة على روي واحد ولم يجعل كل فاصلتين على حدة وهو أسلوب من أساليب السجع ثم ذيله بما هو خارج عن السجع ومثله كثير في الخطب فمن توهم انه منه وأورد عليه أنه يطول بعض فقره وهو معيب فقد توهم اذ لا يتوهم ان تسليما كالقافية هنا الا بتكلف (أما بعد) أما حرف شرط لوقوع الفاء

بعدها لفظا أو تقديرا وتوكيدا لان معناها مهما يكن من شئ فقد علق مشروطها على وقوع شئ ما في الكون مما لا يخلو عنه ضرورة فكانه قال انه واقع على كل حال البتة وتفصيل غالبا أو دائما بتقدير معادل فيما لم يذكر ويفصل بينها وبين الفاء بامور ذكرها النحاة منها الظرف كبعد هنا والعامل اما فعل مقدر أو ما في حيز الجواب وهو مبني على الضم كغيره من الظروف المقطوعة عن الاضافة وأجاز فتحه من غير تنوين وقال ابن النحاس انه غير معروف وروى عن سيبويه رفعها ونصبها كما فصل في محله وأما بعد قيل انها فصل الخطاب واختلفوا في أول من تكلم بها على أقوال (أشرق الله قلبي وقلبك) أشرقت الشمس ونحوها بمعنى أضاءت وهو لازم كما قال الله تعالى وأشرقت الارض بنور ربها وقد استعمل متعديا في كلام المولدين كما هنا فيكون اما حملا له على اضاء لانه بمعناه والشئ يحمل على نظيره وضده وأضاء جاء متعديا ولازما كما صرحوا به أو هو متضمن معناه أو معنى التصيير أي صير الله قلوبنا مشرقة كما قيل به في قوله

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

والخطاب هنا للسائل الآتي وهذه جملة دعائية معترضة بين الشرط والجزاء لانه بعد ذكر الظرف لا يذكر فاصل آخر والقلب معروف ويطلق على العقل والروح وما قيل انه لطيفة ربانية لها تعلق بالقلب الجسماني لا يوقف على حقيقتها تبع فيه بعض الصوفية وكانه أراد الاخير ثم ان المصنف رحمه الله تعالى بدأ بنفسه في الدعاء كما ورد في القرآن رب اغفر لي ولوالدي وفي حديث رواه الترمذي كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ذكر أحدا ودعا له بدأ بنفسه وقد وقع ما يخالفه كثيرا فقال الزركشي في حواشي ابن الصلاح بان ذلك اذا كان المدعو به واحدا فان تغاير فهو مخير وقال النخعي رحمه الله تعالى كان يقول اذا دعوت فابدأ بنفسك فانك لا تدري في أي دعائك يستجاب لك فبين العلة فيه وهذا ليس مخصوصا بالحديث الآخر وهو كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ذكر أحدا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بدأ بنفسه فقال رحمة الله علينا وعلى أخي كذا فانه لم يذكر للتخصيص وفي شرح العقيدة البرهانية للتفريني انه يقدم الدعاء للاخوان ايثارا لهم لما ورد في الحديث ان العبد اذا دعا لاخيه المسلم قال الله تعالى لبيك عبدي ولك أبدا فاي فضيلة تلتمس وراء هذه وهي كونه مبدوا به في الاجابة فمقام الايثار مقام عال شريف فان شاء بدأ بنفسه وان شاء بدأ بغيره انتهى فقد علم مما قالوه انه اذا دعا لنفسه وغيره في الافضل من طرقه أقوال قد يجمع بينها بانها بحسب المقام ولكل امرئ ما نوى (بانوار اليقين) الانوار جمع نور وهو كالضوء الا ان بينهما فرقا ولذا قال الله تعالى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وفيه تفصيل ذكرناه في حواشي البيضاوي وهل هو جرم أم لا فيه كلام في كتب الحكمة فقيل عرض يحصل في الاجرام عند مقابلة النير بتوسط جرم شفاف كالهواء والماء والمفيض له المبدأ الفياض للصور بالشروط المعدات للافاضة فلولا قصور البشرية ما احتاجت الى واسطة وقد قيل ان مشاهدة كل ما يرى بتوسط نور على ما يقبل الاضاءة بمثابة علم اليقين ومعاينة جرم النار المفيض للنور بما يقبل الاضاءة بمثابة حق اليقين والاتصال به عين اليقين ثم ان النور لما كان ظاهرا بنفسه مظهرا لغيره شاع اطلاقه على ما ضاهاه كالرسل والعلم والعقل فان فهمت فنور على نور واليقين ايقان العلم بنفي الشك والشبه عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الله والمعنى الحضوري والضروري فنور اليقين اما من قبيل لجين الماء أي اليقين الذي هو كالنور في قوة الظهور وقيل المراد الادلة المبينة له استعارة أو العقل أي رزقنا الله عقلا سليما نهتدي بنوره الى سبيل الرشاد وشرح مشكاة صدورنا لنعلم علوما نافعة ساطعة البرهان ودعا بذلك لان ما ساله يتوقف عليه وقيل المراد بنور اليقين العلم اللدني وهو معرفة الذات والصفات

(اشرق الله) اي اضاء ونور (قلبي وقلبك بانوار اليقين) أي بانواع انواره من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين على قدر مراتب العارفين في ميادين الدين والاصل في النور الظهور * واعلم ان مقتضى القواعد العربية واستعمال الفضلاء الادبية ايراد الفاء بعد اما بعد بل بعد بعد أيضا اما التقدير اما أو اما لتوهم اما مع رفع توهم الاضافة وافادة الدلالة التعقيبية وقد قال سيبويه ان معنى اما بعد مهما يكن من شئ بعد فتعين اتيان الفاء الجزائية وسياتي في قوله فانك فالجمل المذكورة دعائية اعتراضية واما قول التلمساني في قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فليس في محله لان اما هذه تفصيلية لا شرطية

بمشاهدة

(ولطف لى ولك) باللام فيهما على الاصول المصححة لا بالباء الموحدة (بما) أى بمثل ما وفى نسخة كما (لطف باوليائه) فما مصدرية وفى نسخة صحيحة بما لطف لاوليائه فما موصولة وفى نسخة بعباده المتقين بالباء جمعا بين اللغتين وتفننا فى العبارتين فمن الاولى قوله تعالى ان ربى لطيف لما يشاء ومن الثانية الله لطيف بعباده يرزق من يشاء ولطف بفتح الطاء من اللطف وهو على ما فى المجمل بمعنى الرفق والرأفة وعلى ما فى الصحاح بمعنى التوفيق والعصمة وقيل بمعنى الهداية واما بالضم فمعناه دق وصغر والالطف ما قال بعضهم من ان اللطف فى اللغة الرقة وهو من الله تعالى زيادة بره للانام بامور تدق عن الافهام منها هدايتهم للايمان والاسلام وتوفيقهم لطاعاته ومراعاة الاحكام وكفهم عن المعاصى والآثام وتيسير أسباب الراحات الدنيوية والاخروية عليهم ودفع المضار المانعة عنهم وجلب المنافع اليهم ثم التقوى هو التوقى عن مخالفة المولى (الذين شرفهم) أى الله تعالى كما فى نسخة (بنزل قدسه) بضمتين ويسكن الثانى فيهما الا ان السكون فى الثانى اقل وفى الاول أكثر ثم النزل ما يهيأ للضيف من الكرامة لانسه وقيل النزل المنزل وبه فسر قوله تعالى جنات الفردوس نزلا وقد جزم المحشى بانه مراد المصنف هنا والظاهر انه لامنع من الجمع كما أشار اليه صاحب القاموس النزل بضمتين المنزل وما هيئ للضيف ان ينزل عليه كالنزل والمعنى بالنزل الحال

بمشاهدة كشفية لا بمجرد ادلة عقلية ونقلية ومنه علم الخضر عليه الصلاة والسلام وهذه مرتبة فوق مرتبة الايمان بالغيب ولا يخفى بعده (ولطف لى ولك) لطف كقعد من اللطف وهو الرفق والرأفة وهو من صفات الله تعالى وفيه تفاسير منها التوفيق والبر والاحسان أو معاملة عباده بذلك وايصاله من حيث لا يشعرون ولذا يوصف بالخفاء وجعل تذييلا لقوله تعالى لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ومن ثمة قيل انه من اللطافة المقابلة للكثافة وقيل انه العلم بالدقائق التى لا يهتدى لها والمشهور تعديته بالباء كقوله تعالى الله لطيف بعباده وجاء تعديه باللام فى قوله ان ربى لطيف لما يشاء لما فيه من معنى التوفيق والتيسير أو ضمن لهذا أو لمعنى الايصال كما ذهب اليه صاحب العمدة والراغب وذهب صاحب المجمل الى انه حقيقة وفى النهاية يقال لطف به وله اذا رفق واليه أشار من قال هو اجتماع الرفق فى الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها لمن قدرت له وكذا جمع المصنف رحمه الله تعالى بين حرفى التعدية فقال (بما لطف به لاوليائه المتقين) وهو انما يتعدى باحدهما فاما ان يقدر لاحدهما متعلقا أو تجعل الباء سببية لا معدية وفى نسخة بما لطف به بعباده بالباء فيهما وهو أيضا مام فلاغبار على كلامه كما توهم والاولياء جمع ولى فعيل بمعنى فاعل لانه موال لله أو بمعنى مفعول لانه تعالى تولى أمره وله معنى عام وهو كل مسلم منقاد لله وخاص وهو العارف بالله وصفاته المواظب على طاعته المجتنب للمعاصى المعرض عن اللذات والشهوات المستغرق فى شهود الذات المتجلى بكل خلق محمود وله مراتب الا انه لا يشترط فيه ان يكون له كرامة وقال الدوانى وهو المتقى العارف بالله وصفاته المتوجه بكليته قلبه الى جناب قدسه قالوا والمراد بالمعرفة ما كان عن كشف صريح صحيح بعد التهذيب أو ملاحظة ذاته وصفاته فى كل افعاله وعند الصوفية هو الفانى فى الله الباقى به والفناء لاستغراق فى شهادته القلبية حتى لا يشعر بغيره حتى بنفسه وعدم شعوره وهو انتهاء السير اليه والبقاء به لكونه مظهر الافعال الله وارادته من غير اختياره فى غير اختياره والمتقين صفة كاشفة أو المراد بها معنى خاص لان المتقى اسم فاعل من الوقاية وهى الصيانة وفى العرف من يقى نفسه عما يضره فى الآخرة وله مراتب أولها التوقى عن العذاب بالتبرى عن الشرك وعليه قوله والزمهم كلمة التقوى وثانيها التجنب عما يؤثم فعلا وتركا حتى الصغائر عند قوم وعليه قوله ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا وثالثها ان يتنزه عما يشغله عن الحق فينقطع اليه بكليته وهو المراد بقوله اتقوا الله حق تقاته فهو دعاء بان يوفقه لتيسير ما يسره (الذين شرفهم الله عز وجل بنزل قدسه) الشرف فى الاصل المكان العالى نقل لعلو المرتبة والمنزلة والنزل بضمتين ويخفف بتسكين ثانيه وهو الفضل والريع فى الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشئ وهو أيضا ما يهيأ للضيف اذا نزل ثم قيل لمطلق الزاد والكرامة وهذا هو المراد هنا ويكون بمعنى المنزل والمسكن قال الله تعالى كانت لهم جنات الفردوس نزلا ويصح ارادته أيضا والقدس بضمتين ويخفف ثانيه مصدر بمعنى الطهر واسم جبل القدس لطهارته بالعبادة فيه والقدس من اسماء الله تعالى بمعنى المنزه عما لا يليق به والمبارك وقدس الله وحظيرة قدسه الجنة وهو المراد أى شرفهم باكرامه لهم فى جنته أى باسكانه اياهم فيها أو بكرامة تطهيره اياهم أو بجعل الطهارة

المقدس عن الدنس وفى نسخة بنور قدسه وهو اظهر معنى لان المراد به وبما بعده مقامات العارفين فى الدنيا وان كانت سبب درجات فى العقبى فلا يلائم تفسير نزل قدسه بالجنة لنزاهتها عن الكدورات الدنيوية كما اختاره الدلجى ثم قال ويجوز ان يريد به ما يهيأ لهم من الطعام اذا دخلوها الوارد به نزل أهل الجنة زيادة كبد الحوت واما ما هو فى ولكم فيها ما تدعون نزلا فحال من ضمير تدعون تلويحا بان ما يتمنونه بدعائهم بالنسبة الى عطائهم مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف

(وأوحشهم) من الوحشة ضد الانسية يقال أوحشه فاستوحش أى جعلهم ذوى وحشة (من الخليقة) وفى نسخة من بين الخليقة (بانسه) لان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس ولا يمكن دفع العوائق الا بقطع العلائق فالمعنى أبعدهم الله تعالى عن الخليقة وقربهم منه على مراعاة الشريعة والطريقة والحقيقة فيكونون كاثنين باثنين قريبين غريبين عرشيين فرشيين مع الخلق فى الصورة ومع الحق فى السريرة كما هو دأب الانبياء وعادة الاولياء به آنسون ومن غيره آيسون (وخصهم من معرفته) أى جعلهم أهل الخصوص من أجل معرفته وفى نسخة بمعرفته أى جعلهم مخصوصين بها بحيث لا يلتفتون الى معرفة غيره أصلا (ومشاهدة عجائب ملكوته) فعلوت من الملك بزيادة الواو والتاء للمبالغة وفرق بين الملك والملكوت اذا اجتمعا بان يخص الاول بظاهر الملك والثانى بباطنه أو الاول بالعالم السفلى والآخر بالعالم العلوى قال الله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وقال عز وجل فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ ومعنى المشاهدة المعاينة واغرب التلمسانى حيث فسرها بالحضور مع قوله مصدر شاهد بمعنى رأى ثم العجائب جمع عجيب وهو ما يتعجب فيه من الامر الغريب (وآثار قدرته) أى من مطالعة مصنوعاته (بما ملأ قلوبهم حبرة) بفتح المهملة وسكون الموحدة أى مسرة من الحبور وهو السرور وقيل معناها النعم والكرامة ومنه قوله تعالى فهم فى روضة يحبرون أى ينعمون ويسرون ويكرمون ثم الجار متعلق بخص أو بالمشاهدة ومن مصدرية أو موصولة وقلوبهم مفعول به وحبرة مفعول ثان كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حق الكفار يوم الاحزاب ملأ الله قبورهم نارا أو منصوب بنزع الخافض وايصال الفعل كقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة وقيل منصوب على التمييز واما ما ذكره التلمسانى من انه يقال بفتح الباء الموحدة وتسكينها فوهم لان الفتح انما جاء بدون التاء على ما فى القاموس أو بضم الحبرة وهى سرور ظهر حبره أى أثره على وجوههم فكساها بهاء وجمالا فى الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره و بكسرهما وقد يفتحان أى بهاؤه وجماله (وولّه) بالتشديد (عقولهم) أى جعلها والهة بتدبرها وتفكرها (فى عظمته) وفى نسخة من عظمته (حيرة) أى ذوات تحير بما غشاها من ضياء جمال وبهاء كمال وفى نسخة وذرع عقولهم أى تركها متحيرة ولا يخفى صنعة التجنيس بين حبرة وحيرة

وله

نزلا على الاضافة البيانية كما قيل والحاصل انه خصهم بتشريفه وعلو منازلهم وتطهيرهم عن النقائص ولتقدم التخلى على التحلى عقبه بقوله (وأوحشهم عن الخليقة بانسه) فى نسخة من بدل عن وأوحش ماض بمعنى صيرهم فى وحشة ونفرة عما لا يلائم ومنه الوحش والانس ضده وهو التقرب مع الانبساط لما يهوى ولذا قيل الانس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة وقيل هو انبساط المحب الى المحبوب والوحش بالسكون والوحش بكسر الحاء صفة منه بمعنى المتوحش وشاع فى العرف بمعنى القبيح ولذا تظرف القائل

ووحشة لم تزل تحركها * يد النوى فهى دائما وحشه

والخليقة بمعنى الخلق والناس ويكون بمعنى الخلق والطبيعة وبمعنى الجديرة يقال طبيعة خليقة بكل مدح وخليقة جديرة والباء بانسه سببية يعنى ان انسهم بالله واستغراقهم فى مشاهدته تفرقهم عمن سواه والانس هنا روحانى كما قيل

فالجسم منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيس

(وخصهم من معرفته) من بيانية مبينة لما الآتية ان قلنا بجواز تقديم البيان على المبين كما ذهب اليه بعض النحاة والمانع يقول هو بيان لامر مقدر والآتى تفصيل لما أبهم وأجمل فى ذلك المقدر ومعرفة الله معرفة ذاته وصفاته بوجه ما ولها مراتب وهذا مما لا خلاف فيه انما الخلاف فى معرفة الذات بالكنه هل هى واقعة أم لا ممكنة أم لا كما فصل فى الكلام ومعنى المعرفة معروف (ومشاهدة عجائب ملكوته) المشاهدة المعاينة من الشهود وهو الحضور والملكوت صيغة مبالغة من الملك كالرحموت من الرحمة وقد يخص بما يقابل عالم الشهادة ويسمى عالم الامر كما ان مقابله يسمى عالم الشهادة وعالم الملك قيل وهو المراد هنا فهو ما غاب عن الحس وقيل بل المراد هنا الملك المشاهد ومن فى قوله من معرفته ابتدائية لا بيانية أى ان الله خص أولياءه بما سرهم وولههم لانهم لما عرفوه نظروا فى عجائب مصنوعاته فنشأ لهم ما ملأهم نضرة وسرورا ثم نزلت بهم حيرة بين الطمع فى الوصول والياس

حيرة عمت فاى فتى * رام عرفانا فلم يحر

ومن تحتمل البيانية بناء على جواز تقديمها كما مر ففيه احتمالان لكل منهما وجهة (وآثار قدرته) الآثار بالمد جمع أثر وآثار القدرة المقدورات البارزة فى الوجود بعد تعلق القدرة بها من بين الممكنات وقد حمل هذا على عالم المشاهد المحسوس وما قبله على عالم الغيب كما سمعته آنفا وهو الاحسن من حمله على الثانى (بما ملأ قلوبهم حبرة) بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة ويجوز فتحها كما قال التونسى ثم راء مهملة تليها هاء تانيث وملأ مهموز اضد فرغ والحبرة السرور وهو منصوب على التمييز وما الموصولة عبارة عما انكشف لهم من المعارف الالهية وتفسيره بلطيفة روحانية تكلف كما مر (وولّه عقولهم فى عظمته حيرة)

وله مشـدد اللام تفـعيل من الوله يقال وله يوله ولهـا من باب تعب وفي لغـة قليلة من باب وعـد والذكر والانثى واله ويجوز في الانثى والهـة كذا في المصـباح والوله الحزن أو ذهاب العقل الناشى منـه وفي المصـباح وله اذا ذهب عقـله من باب فرح أو حزن وقيل الوله لغة نفس الحيرة والعقل قوة للنفس بها ادراك الانسان وتمييزه عما سواه لولا العقول لكان أدنى ضيغم * ادنى الى شرف من الانسان والحيرة بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية والراء المهملة قال في المصباح حار في أمره يحار حيرا من باب تعب وحيره الامر لم يدر وجه الصواب فيه فهو حيران وقال الازهري أصله ان ينظر الانسان الى شئ فيغشاه ضوؤه فيصرف بصره عنه وفي الصحاح الوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وهو في العرف كونه مبهوتا واقفا بين المعرفة والذهول فان اعتبر فيه الفعل أو الحيرة فلا بد فيه من التجريد والا فلا وهو منصوب على انه مفعول مطلق لوله وتمييز والمعنى انهم عجزوا عن ادراكها فلما ازدادت العظمة ازداد العقل تحيرا وثبورا فان العظمة جلال الله وكبرياؤه التي تقف العقول دونها وفي التفسير في حديث الكبرياء (ردائي والعظمة ازاري) اشارة الى الفرق بينهما وهو ان الكبير من هو في ذاته كبير سواء استكبره غيره أم لا وسواء عرفت هذه الصفة أم لا والعظمة عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره فالصـفة الاولى ذاتية لا الثانية والذاتية أعلى وأشرف فلذا جعلها ازارا وتلك رداء وقيل له متكبر دون متعظم فتأمـله وفي العبارة تجنيس ولف ونشر ان قلنا الذي ملأ القلوب سرورا معرفته والذي حـير العقول عجائب ملكوته وآثار قدرته لان من عرفه ابتهج بعبوديته وترقب فيضه والعبد يزهو على مقدار مولاه وأثرت تلك المشاهدة الوله والحيرة لان عيون البصائر لا تطيق النظر لاشعة أنوار القدس (فجعلوا همهم به واحدا) الفاء تعقيبية أو تفريعية والهم في الاصل مصدر بمعنى الحزن والعزيمـة والارادة لكل مطلوب يهمك ويعنيك وكل من المعاني غير الاول جائز هنا أي لما شاهدوا باهر قدرته تحيرت عقولهم في كبرياء عظمته علموا ان ماسواه كلا شئ فوجهوا جميع وجوه الارادة والعزيمة اليه وجعلوا قبلتهم واحـدة فلا مراد لهم سواه لاشتغالهم به عما عداه

تملك بعض حبك كل قلبي * فان ترد الزيادة هات قلبا

وفي التفسير الكبير ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من جعل همومه هما واحـدا كفاه الله هم الدنيا والآخرة فكان العبد يقول همومي في الدنيا والآخرة غير متناهية فلا يقدر عليها الا الموصوف بقدرة غـير متناهية فانا لا أقدر على دفع حاجاتي ولا تحصـيل مهماتي بل القادر عليها الله سـبحانه فانا لذلك أجعـل همي مشـغولا بذكره ولساني واقفا على ذكره فاذ فعلت ذلك كفاني برحمتـه مهمات الدنيا والآخرة قلت أنا في معناه

من صـير همه جميعا هما * يكتال به السرور كيلا جما
والحرفتي بذاك ختماهما * من يسبح لا يخاف بحرا طما

والباء سببية لا صلة الهم أي جعلوا قصدهم واعتناءهم به تعالى حال كونه واحدا في القصدية فلا مقصد سواه أو حال كون قصدهم واحدا والمآل واحد * وقيـل المعنى انهم جعلوه واحدا فلم يريدوا منه الا ماء الا أن فيه قصورا فعرفوا انهم لم يبق لهم طلب وتطلب فقصـدوه لا لشئ وهذا معنى قولهم آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الجاه فتجلى لهـم جمـال ذي الجلال حتى نسوا أنفسـهم ونسيانهم وهو كلام نفيس لكنه لا يناسب كلام المصنف رحمه الله تعالى والجار والمجرور يجوز أن يكون مفعولا ثانيا لجعل وواحدا حال من الضمير المجرور أو من الضمير المستتر في الجار والمجرور به هو الاولى (ولم يروا) حقيقـة لا مجازا أو قيل لا حقيقة ولا مجازا (في الدارين) الدنيا والآخرة وأصـل معنى الدار معروف وقد شاع في لسان الشرع استعماله فيما ذكر حتى صار حقيقة فيهما فكأنهما القائم ما عند الله بمنزلة دار أنزل

(فجعلوا همهم به) أي بالله ودينـه قائمـين بحقوق ألوهيتـه ووظائف عبوديته (واحدا) أي هما واحدا اشارة الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله تعالى هم الدنيا والآخرة والمراد بالهـم هنا القصد والهمة والعزم والجزم التام ولا يبعد ان يكون بمعـنى الحزن الموجب للاهتـمام في سبيل الله أو بسبب دينه فالضمير له سبحانه وأبعد التلمساني في جعـل الضمير للوله المفهوم من وله (ولم يروا) أي لم يعتقدوا أو لم يبصروا (في الدارين

غيره مشاهدا) بضم الميم وفتح الهاء أي مشهودا الا انه كما قال بعض العارفين من أرباب الاسرار ليس في الدار غيره ديار وقال آخر من أصحاب الشهود سوى الله والله ما في الوجود وزاد أبو يزيد على من سواه وقال ليس في جبتي غير الله ومن هذا المقام المحقق منصور الحلاج نطق وقال أنا الحق وقال مجنون بني عامر في هذا المعنى أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا فهذا مقام وحال لارباب الكمال بلا حلول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال ويؤيد هذا المقال قول الملك المتعال كل شئ هالك الا وجهه ويقويه ما ورد عن النبي النبيه عليه الصلاة والسلام أصدق كلمة قالها لبيد * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وفي نسخة بكسر الهاء وهو لطيف جدا موافق للفظ واحد فانه يفيد بانضمام الفتح لارباب الفتوح انه شاهد ومشهود كما انه حامد ومحمود وقد علم كل اناس مشربهم وفهم كل طائفة مذهبهم وكل حزب بما لديهم فرحون ولعل بعض أرباب النسخ استنكر لفظ مشاهدا فاسقطه مع انه لم يتم بدونه التسجيع بقوله واحدا وكانهم اكتفوا بلفظ غيره حالة وقفه (فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون) وفي أصل التلمساني يتمتعون أي يتعيشون والمعنى انهم بمطالعة صفات انعام ولائه ونعوت بلائه وابتلائه يتلذذون فاستوى عندهم المنحة والمحنة في ثبوت كمال المحبة خلافا للناقصين في المودة على ما أخبر الله تعالى في حقهم من الحرف بقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه وفي هذا الحال قال بعض أرباب الكمال

ولا

وليس لي في سواك حظ * فكيف ما شئت فاختبرني

وفي القضية اشارة خفية الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن أي بين صفتي الجمال والجلال ونعتي البسط والقبض المعبر عنهما بالبقاء والفناء والتفرقة والجمع وأمثال ذلك من اصطلاحات الصوفية والسادات السنية وفي كثير من النسخ المصححة كماله بدل جماله وهو غير ملائم لمقابله لان الكمال هو الجمع بين الجمال والجلال وقد يوجه باتيان الاخص بعد الاعم والله تعالى أعلم * ثم لما ترقى الى أعلى المقامات وهو مشاهدة الذات تنزل الى ملاحظة الصفات فان تلك الحالة العالية قد تكون لحظة ولمحة لا تستمر في الازمنة الماضية فقال (بين آثار قدرته) أي من صفات الافعال (وعجائب عظمته) أي من صفات الذات ولو قال وأنوار عظمته لكان له وجه حسن في بلاغته (يترددون) أي تارة الى هذا ينظرون وأخرى بهذا ينتظرون بخلاف أهل الحجب والغفلة فهم في ريبهم يتحيرون

فيها بعض عبيده والغافل يظنه مجانا سكنها والحال نقد عمره كراؤها (غيره مشاهدا) الضمير لله وجملة لم ير وامعطوفة على جملة جعلوا الانهم اذا لم يهتموا بغيره ذهلوا عما عداه و يحتمل عطفها على أول الجمل وهذا محتمل لمعنيين الاول ان يريد ان في الكون مشاهدات سواه ولكن العارف المستغرق في مشاهدة جماله وجلاله لا يراها وهذه مشاهدة الصديقين وتسميها الصوفية الفناء في التوحيد والثاني ان يريد انه ليس في الوجود غيره لان كل شئ هالك الا وجهه وكان الله ولا شئ معه وهو الآن كما كان على ما قاله أرباب الشهود فالمراد انه لا مشاهد حتى يروه على حد قوله * لا ترى الضب بها ينجحر * ورجح بعضهم الاول والمشاهد اسم مفعول بمعنى المدرك بحاسة البصر من الشهود وهو المعاينة أو الحضور وفي الشروح هنا كلام طويل ولا حاجة لنا به (فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون) الجمال الحسن الذاتي لا الصوري والمتبادر من الحسن الثاني ولذا لا يوصف به الله بدون تقييد وورد وصف الله به في الحديث فقال (ان الله جميل يحب الجمال) وليس للمشاكلة كما فصله شراحه والجلال العظمة يعني انهم يشاهدون جمال ربهم وأنوار ذاته بعيون البصائر والبصر في الآخرة يرونه دون احاطة كرؤية غيره ويومي اليه جعل المشاهد نفس الجمال والتنعم الترفه والتلذذ فلا نعيم لهم بغير تلك المشاهدة كما قال الله تعالى (ورضوان من الله أكبر) على ما بينه المفسرون ولم يخلق الجن والانس الا للعبادة وبها تصفية الباطن وصقل الحواس حتى يعبد الله كانه يراه وقوله بمشاهدة متعلق بيتنعمون قدم عليه للحصر ولرعاية الفاصلة وفي نسخة كماله بدل جماله والتنعم بالجمال والكمال ظاهر واما بالجلال فقيل انه يقتضي الادب والخوف فلا يناسب التنعم فيحتاج للتاويل أو التغليب وليس كذلك فان القرب ممن عظم وجل من ان يتقرب لحظائر قدسه أعظم وقعا من غيره فان من تقرب من سلطان جليل يسر ويفتخر بقربه وفي حكم ابن عطاء الله النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده واقترابه والعذاب وان تنوع انما هو بوجود حجابه (وبين آثار قدرته) أي مقدوراته (وعجائب عظمته يترددون) يعني انهم قائمون في مقام جائلة فيه أفكارهم لا يفترون عن الجري في ميادين الاعتبار فتذهب تارة الى بدائع المصنوعات المشاهدة في مرائي آثار باهر قدرته وتارة ترقى لسرادق عظمته فتظل أعناقهم خاضعة وعيون أبصارهم خاشعة والتردد المجيء والذهاب فشبهت حركات الافهام المعنوية بحركات الاجسام الجسمية ومنه التردد بمعنى الشك قال الشاعر

(وبالانقطاع اليه)لقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا (والتوكل عليه)لقوله عزوعلا فاتخذه وكيلا (يتعز زون) وفيه اشارة لطيفة الى انهم الى غيره مايتذللون لانهم بما آتاهم الله تعالى يرضون و يقنعون (لهجين) بفتح فكسر اى حال كونهم مولعين ملازمين ومواظبين مداومين متمسكين (بصادق قوله) من اضافة الصفة الى الموصوف اى بقوله الصادق المطابق (قل الله) اى موجودا ومعبودا ومشهودا وقل الله وليس فى الكون سواه (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) اى اترك اهل الغفلة واللعب والاشتغال بما لايعنيهم فى دينهم وما لايحملهم على الحضور مع ربهم حال كونهم فى شروعهم فى الباطل وهو ماسوى الحق يضيعون اعمارهم ويخربون آثارهم عبثا بلافائدة عائدة فى امر اولاهم وفى حال اخراهم وهذا المعنى الذى أوما ليه الشيخ من الاشارات الصوفية لاينافى ماذكره لمفسرون وارباب العربية من أن لفظ الجلالة فاعل لفعل مقدر اومبتدأ خبره محذوف لمايدل عليه السياق والسباق بالاتفاق لانه جواب عن سؤال تقدم فى قوله تعالى فى حق اليهود وماقدروا الله حق قدره اى ماعظموه حق عظمته اوماعرفوه حق معرفته اذقالوا ماانزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس الى ان قال قل الله اى امتنعوا عن الجواب وعجزوا عن الكلام الصواب قل الله اى انزل الكتاب وفى هذا كفاية لاولى الالباب

لاتنكرن عدم الزيارة سيدى ❊ فمحبتى طبع بغير تردد

والمراد انهم مواظبون على التفكر فى عظمة الله ففيه استعارة تمثيلية (وبالانقطاع اليه) الانقطاع مطاوع قطعه اذا فصله فانقطع ثم شاع فى التوجه لاخذ من شئ لامر وترك غيره وهو المراد هنا واذا عداه بالى و يتعدى باللام ايضا يعنى انهم لماتوجهوا الى الله ظاهرا وباطنا وقطعوا علائق الخلائق لتوكلهم عليه ورضاهم بما قضاه وقدره وبجعلهم امورهم مفوضة الى الله عزوا وتقووا لان عبد الملك العظيم الملازم لسدته قوى عزيز ولذا ورد فى الحديث من خاف الله خاف منه كل شئ (والتوكل عليه يتعززون) والتعزز تفعل من العز ضد الذل ويكون بمعنى القوة ومنه قوله تعالى فعززنا بثالث وكل من المعنيين جائز هنا (لهجين) جمع لهج بزنة حذر اى ملازمين مداومين لذكر الله وقولهم هذا من اللهجة بفتح الهاء وسكونها وهى فى اللغة اللسان اوطرفه ويطلق على الكلام يقال هو فصيح اللهجة ولهج بالشئ من باب تعب اولع به ولزمه كما فى المصباح (بصادق قوله قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) يعنى ان هؤلاء المخلصين لله المختصين به الذين شغلوا ظاهرهم وباطنهم بمحبته وردهم دائما ذكر الله والاعراض عما سواه متمثلين بهذه الآية يعنون انهم مراقبون لله معرضون عن غيره فلذا يأمرون أنفسهم اويأمر بعضهم بعضا بما ذكر والصدق مطابقة الخبر للواقع مع الاعتقاد كما هو معروف ووصفت هذه الجملة الانشائية به نظر المالتضمنته اولقول مقدر كربنا الله ونحوه اولان الامر للتاركة مآله نحن لانعبأ بكم ومقصود المصنف التمثل به كما تمثل به الشبلى رحمه الله تعالى لمن قال له اوصنى فقال عليك بالله ودع ماسواه وكن معه ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ❊ وبهذا سقط ما اورده الشراح من انه كيف وصف الانشاء بالصدق وان الآية ليست مناسبة هنا فانها هكذا وماقدروا الله حق قدره اذقالوا ماانزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا الى آخره اى قل الله الذى انزل التوراة اوانزلها الله فامره الله بجواب منكرى الوحى اما لتعين الجواب اوتنبيها على انه لايمكن غيره اوتنبيها على انهم بهوتون لايقدرون على الجواب لهم ثم قال ذرهم فى اباطيلهم فما عليك الا البلاغ و جملة يلعبون حالية فتمثل بها المصنف رحمه الله تعالى لترك ماسوى الله والانقطاع له كما تمثل بها الشبلى رحمه الله تعالى وان كان سياقها فى التلاوة لمعنى آخر اذ يكفى لمثله المناسبة بوجه ما ❊ وقيل وصف هذا القول بانه صادق وصف له بصفة صاحبه مثل كتاب صادق وقيل الصدق هنا هو الخلوص اوالثبات والكمال الصادق الحلاوة ومنه الصداقة ولاحاجة اليه لما مر واضافة صادق كجرد قطيفة واستعارة الخوض من المشى فى الماء للاقتحام فى الباطل كما قدره المفسرون ونحوه استعارة الحياض وفى بعض النسخ بعد قوله تعالى وهى جملة معترضة اوحالية للتعظيم والتمييز والاشارة الى ان ضمير اليه لله فليس هذا اقتباسا كما توهم لان شرطه ان لايذكر انه من كلام الله ثم انه قيل ان معنى هذه الآية قل يامحمد جوابا لهم عن قولهم من انزل التوراة الله انزلها ثم ذر الكفار فى أباطيلهم وهو لايناسب هذا المقام الان يقال مآله الامر بقول الحق والاعراض عن الباطل ❊ اقول ماذكروه لايترا آى فى بادى النظر وليس بشئ لما مر وان سلمه الشراح واجابوا بان المراد لهجين بمثل هذا اقتداء بقوله تعالى فى دفع المنكرين المغرورين بالدنيا التى امهلهم ولعب باطل الامافيها من ذكر الله فيتم الاقتباس من نور التنزيل و يناسب المقام ومقام المصنف اجل من ان يخفى عليه مثله وهو على طرف الثمام وههنا بحث وهو انه قيل ان ذكر الله بتكرير الجلالة بدعة لاثواب فيها قال

الخطاب في شرح مختصر الشيخ خليل سئل العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى عمن يقول الله الله مقتصرا على ذلك هل هو مثل سبحان الله والله اكبر ونحوه فاجاب بانه بدعة لم ينقل مثله عن احد من السلف وانما يفعله الجهلة والذكر المشروع لابد فيه كلام من ان يكون جملة مفيدة والاتباع خير من الابتداع ونحوه ما افتى به البلقيني رحمه الله في قوم لايزالون يقولون محمد محمد كثيرا ثم يقولون في آخره مكرم معظم فاجاب بانه ترك أدب وبدعة لم ينقل ولا يثاب عليها وكذا قولهم على محمد وتابعه عليه كثير من علماء * أقول ماذكره في اسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مكرر امن كونه بدعة ظاهر لانه مع كونه لم يتعبد به داخل فيما نهى عنه لقوله لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا كما سيأتي بيانه ولم يرد تعظيم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالدعاء له والصلاة والسلام عليه فلو عظم بمثل ذلك كان مراغما للسنة ولو ذكر احد سلطانا باسمه زجر وه وأهانوه فما بالك باشرف الخلق واعظمهم واما ذكر الله تعالى فقد ورد الامر به ووعد ذاكره بالثواب في آيات واحاديث لاتحصى كقوله تعالى الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفي الحديث القدسي من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطى السائلين الى غير ذلك مما لايحصى ولم يقيد بقيد على ان الذاكر قصده التعظيم والتوحيد فهو اذا قال الله ملاحظا لمعناه فكانه قال معبودي واجب الوجود ومستحق لجميع المحامد ولم يزل اهل الله من العلماء والصلحاء يفعلونه من غير نكير وكان الاستاذ البكري رحمه الله يفعله ويقول أستغفر الله مما سوى الله وكل شئ يقول الله وفي مجالسه اجلة العلماء والمشايخ وهذا هو الحق وقد صنف في رد مقابلة ابن عبد السلام هذه عدة رسائل رأيناها وممن صنف فيها القطب القسطلاني والعارف بالله المرصفي والشيخ عبد الكريم الخلوتي وبعض من عاصرناه اللهم احشرنا في جملة الذاكرين ولاتجعلنا من الغافلين (فانك) جواب اما واكده لان المسؤل عنه يحسن توكيده والخطاب لسائل معين محقق سائله أو لغير معين مفروض وما قيل من ان مقام المصنف رحمه الله يأبى من ان يفرض سائلا يخاطبه وان قوله الاتي كررت السؤال ومابعده يأباه ليس بشئ لانه كثيرا ما يقع من المصنفين مثله وفرض الامور لنكت واقع في القرآن والحديث كثير كقوله (ولوترى اذ المجرمون) وغيره مما لايحصى ويجوز ان يكون من باب التجريد كقوله * طحابك قلب في الحسان طروب * ومابين اما والجواب معترض (كررت على السؤال) التكرار اعادة ذكر الشئ مرة فصاعدا ويطلق على الذكر الثاني والاول ومجموعهما والجار متعلق بكررت لما فيه من معنى الالحاح والسؤال الطلب ويكون سؤال استفهام وسؤال استعطاء وهما معروفان (في مجموع) المجموع اسم مفعول من الجمع ضد التفريق وفي العرف كتاب يجمع من كلام الغير كما في قوله

لله مجموع له رونق * كرونق الحبات في عقدها

كانت مجامع الورى عنده * تموت للخجلة في جلدها

ففي عبارته هضم لنفسه بانه ليس فيه الا الجمع والتقدير في تأليف مجموع وتقدير في شأن مجموع ركيك وفي متعلقة بالسؤال لا بكررت لانه لايتعدى بفي بخلاف السؤال فانه يتعدى بنفسه وبعن ومن وفي اذا كان بمعنى الرجاء والشفاعة دون الاستعطاء فتقول سالت الامير في كذا ويحتمل ان يكون للتعليل كدخلت امرأة النار في هرة فيصح تعلقه بكررت ايضا (يتضمن) التضمين جعل الشئ في ضمن الشئ وداخله فالتعبير به لانهم يجعلون اللفظ ظرفا للمعنى لانه المقصود منه اوهو من ظرفية الكل للجزء لما فيه من زيادة شرح وبيان وغير ذلك وقد يعكس كما فعل في شرح المفتاح فالمعنى انه يحتوي عليه وتفسيره يتحصل منه وبسببه فيه تسمح (التعريف بقدر المصطفى) التعريف الاعلام واصله جعل الغير عارفا والتعريف في الميزان معروف ويجوز ارادته هنا على بعد فيه وقدر الشئ مقداره غلب في رتبة شرفه

(فانك) سبق انه جواب اما والجملة الدعائية معترضة بينهما (كررت على السؤال) اي راجعته واكثرته (في مجموع) اي في مصنف جمع فيه صنف من الشمائل النبوية ومؤلف اجتمع فيه نوع من الفضائل المصطفوية (يتضمن التعريف) اي يحتوي الاعلام (بقدر المصطفى

وأصله تقدير الشيء بوزن ونحوه والمصطفى المختار المنتخب افتعال من الصفوة وهو صفة غلبت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغ لحد العلمية كالرحمن ولو كان علما بالغلبة لزم تعريفه باللام أو الاضافة وليس كذلك والغاذكر في الاسماء لانهم يخصوها بالاعلام كما سيأتي فما قيل من انه لقب وضعي أو بالغلبة واللام للمح الاصل ليس بشيء لانه لم يسمع في عهده وأسماؤه صلى الله تعالى عليه وسلم توقيفية على المشهور كما سيأتي قيل ولو قال ببعض قدر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم كان أحسن ولا يخفى انه لا يلزم من سؤاله وقوع مسؤاله وكذا قال فيما يأتي جاءتني أمرا أمرا على أنه اذا أريد الاجمال سقط القيل والقال (عليه الصلاة والسلام) وفي نسخة صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لم يقصد السجع حتى يرد عليه ان الاوفق بالسجع الاولى وانه يلزم طول الفقرة الاخيرة ويعتذر له بانه اشارة لجوازه والامر فيه سهل واسناد الصلاة لله كما سيأتي أكثر تعظيما (وما يجب له من توقير) تعظيم (واكرام) افعال من كرم بمعنى نفس بالضم وعز أي عده موقرا معظما لمحبته وتعظيم آله وأصحابه (وما حكم من لم يوف) أي يتمم ويكمل من وفاه حقه اذا أعطاه له وافيا تاما والحكم ما حكم به العلماء فيه أو خطاب الله المتعلق به (واجب عظيم ذلك القدر) أي مقامه الشريف وهو من اضافة الصفة لموصوفها أي والقدر العظيم واضافة واجب لامية واحد مفعولي يوف محذوف أي لم يوفه أو يوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو لم يوف واجب قدره حقه فالمحذوف الاول أو الثاني أو هو بمعنى يتمم ويكمل فلا حذف لتعديه لواحد وما يجب في محل نصب معطوف على تعريفه وكذا ما حكم وما استفهامية أي يتضمن جواب هذا السؤال وقيل موصولة والعائد مقدر على الاول المضاف المقدر هو المفعول وهو وان اكتسب الصدارة مما أضيف اليه لا يصح عمل ما قبله فيه الا انه قصد به لفظه على طريق الحكاية أي جواب قولك ما حكم الى آخره فلا يلزمه عمل ما قبل الاستفهام فيه ولا تعليق العامل عن المعطوف دون المعطوف عليه وتعليق يتضمن وليس من أفعال القلوب فيجاب بانه ضمن معناه وذلك من وضع الظاهر موضع المضمر وتعليق العامل بواسطة حرف حتى يجاب باثبات النحاة له كما في شرح التسهيل ومنه تعليق فكر ونظر نحو فلينظر أيها أزكى طعاما لتعديهما بفي والواجب ما يجب اعتقاده في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم (أو قصر في حق منصبه الجليل) التقصير والاقصار ترك ما لا بد منه وفي المحكم قيل قصر عنه اذا تركه وهو لا يقدر عليه واقصر اذا تركه وهو يقدر عليه وحقه ما يستحقه مما لا بد منه والمنصب بفتح الميم وكسر الصاد المهملة في كلام العرب بمعنى الحسب والشرف كما ذكره أهل اللغة واستفاض في كلام الفصحاء كما قال أبو تمام * ومنصب عناه * ووالد سماه * وفي المصباح يقال له منصب وزان مسجد أي علو ورفعة وفلان له منصب صدق يراد به المنبت والمحتد ومن لم يقف على هذا قال انه لغة المرجع ويطلق على المرتبة وقيل القدر فكأنه من نصب اذا جد وارتفع وأما المنصب بمعنى العمل فمولد لم يرد في كلامهم أصلا كقوله

نصب المنصب أوهى جلدى * وعناى من مداراة السفل

فكأنه لانه نصب فيه للنظر في الامور أو هو من النصب والحيلة واطلاقه على ما وضع عليه القدر كقول أبي تمام

كم قلت لما فار غيظا وقد * أزيح عن منصبه المعجب

لا تعجبوا ان فار من غيظه * فالقلب مطبوع على المنصب

وفيه مع استعماله المولد تحريف آخر (قلامة ظفر) أي تقصير قليل بمقدار قلامة ظفر فنصبه لاقامته

(عليه الصلاة والسلام) أي بتعظيمه كقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره وتوهم الحلبي ان المراد بالقدر هو المقدار فقال لو قال ببعض قدره لكان أحسن والمراد بالمصطفى المختار المجتبى المرتضى لحديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وهذا بحسب النسب واما بطريق الحسب فلقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ولقوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ولا شك انه الفرد الاكمل في هذا المعنى (وما يجب له من توقير) أي ويتضمن بيان ما يجب له من تعظيم واحترام (واكرام وما) أي وبيان أي شيء (حكم من لم يوف) بالتخفيف ويجوز التشديد أي من لم يكمل ولم يوقر (واجب عظيم ذلك القدر) الاضافة بيانية أي القدر الواجب من تعظيم ذلك القدر العظيم (أو قصر) أي أو ما حكم من فرط (في حق منصبه) بفتح الميم وكسر الصاد أي مقامه (الجليل) بالجيم وهو الشريف المنيف (قلامة ظفر) بضم فسكون واختير للسجع والافصح ضمتين هو الافصح ويجوز بكسر الظاء وسكون الفاء أيضا وقد قرئ بهن في الآية لكن السكون مطلقا شاذ والقلامة بالضم ما يسقط من الظفر وهو كناية عن الشيء الحقير والامر اليسير

مقام المصدر أو بنزع الخافض بعد حذف المضاف وقلامة فعالة من القلم وهو القطع من الاطراف سواء كانت من ظفر أو غيره كالشجر ولذا سمى القلم به لقطعه وهو قبل القطع يراع ونصبه كما ذكره أهل اللغة واضافته الى الظفر لامية كيد زيد فلا وجه للقول بانه تجريد وزنة فعالة تكون لما يلقى من الشئ كالقمامة والكناسة وشذ منه الخلاصة مع مافيه والظفر للانسان معروف وفيه لغات أفصحها ظفر بضمتين وتسكن للتخفيف وجمعه اظفار وربما جمع على أظفر ويقال ظفر بزنة جمل وأظفور كاسبوع وقول الجوهري انه جمع ظفر سهو أو من طغيان القلم أراد أن يقول أظفر فزاد الواو وقلامة الظفر كناية عن القلة والحقارة كما قال أبو نواس

أيها المدعى سليمى شفاها * لست منها ولا قلامة ظفر

و بقلامة الظفر يشبه الهلال وتظرف فيه سعد الدين بن عربي حيث قال

ناديت من أهواه وهو مقلم * أظفاره يانزهة المتأمل

أبعدت ظفرك وهو بعضك فالذي * يهواك أجدر بالبعاد الاطول

فاجابني اتظنني قلمتها * عن حاجة لكن لمعنى عن لى

لاريك يامن بالهلال تقيسني * ان الهلال قلامة من انملى

يعني انه حقير مبتذل عنده والمراد بعدم توفية حقه ترك ماحقه ان يذكر كله أو بعضه والتقصير ترك ذكره على ماينبغي فهو مغاير لما قبله فلا يلزمه عطف الخاص على العام باو وقد أباه النحاة أو يعتذر بان الاول بمعنى كثيرا وهذا بمعنى قليلا ونحوه (وأن أجمع لك مالاسلافنا) جمع سلف وسلف جمع سالف وهو من مضى من أصولك وأقربائك ثم عم لكل متقدم من الناس والمراد من تقدمه من العلماء وهو المتبادر عند الاطلاق وهذا في محل جر معطوف على مجموع (وأئمتنا في ذلك) أي أئمة الدين المقتدى بهم من أصحاب الكتب والمذاهب جمع امام وأصله أئمة بهمزتين فابدلت الثانية ياء قيل ويجوز ان يراد أئمة مذهب المالكية (من مقال) بيان لما (وابينه بتنزيل صور وامثال) أبين بالنصب عطف على أجمع أي يوضح ماينقله عن المتقدمين بذكر بعض افراده أو صفاته أو أمثلته فاستعير التنزيل وهو الاهباط من علو الى سفل لذكر الافراد الخارجية فان الكلي لعدم تحققه في الخارج بعيد عن الافهام كالعالي والجزئي محسوس فهو كالسافل والصور بزنة كبر بصاد مهملة جمع صورة وهي النوع أو الصفة أو الفرد كما ذكره أهل اللغة ومنه قول العلماء صورة المسئلة كذا والامثال جمع مثال أو مثل وفي بعض النسخ سور بسين مهملة كما ذكره ابن رسلان قال والمراد الآيات من تسمية البعض باسم الكل مجازا والتنزيل معروف والفرق بينه وبين الانزال مشهور على مافيه وقيل انه هنا بمعنى الترتيب كما ذكره وهذا كله تكلف فالحق انه بالصاد فان المراد توضيحه بتصويره بما يحاكيه في الخارج وذكر نظائره (فاعلم) أي اذا لم ترجع عن الحاحك في الطلب فاعلم أمره بالعلم لصعوبة ماطلبه قبل الشروع فيه ليلقي فكره له وسمعه اعتناء به وبجوابه وكثيرا ماياتي به المصنفون لذلك ويأتي الكلام عليه وانه قد استعملته العرب كما في قوله

فاعلم فعلم المرء ينفعه * ان سيوف يأتي كل ماقدرا

فلذا خصه بالدعاء له بالاكرام فقال (أكرمك الله) بعد مادعا لنفسه وله سابقا وهي جملة معترضة دعائية أي جعلك الله تعالى معززا مكرما لحسن سؤالك وعظم ماسالت عنه وكونك باعثا لي على تدوين مثله ويجوز أن يقال انه أكرمه بسؤاله له لاعتقاده انه أهل لما طلبه منه مخصوص به في عصره فلذا جازاه بهذا الدعاء (انك حملتني) بالحاء المهملة أي كلفتني مايشق كحمل الاثقال فهو استعارة تمثيلية كما في قوله

(وان أجمع لك مالاسلافنا) أي لعلمائنا المتقدمين (وأئمتنا) أي لمشايخنا المتأخرين (في ذلك من مقال) أي فيما ذكر من وجوب تعظيم قدره والحكم فيمن صدر عنه بخلافه من الاقوال (وأبينه) أي المقال (بتنزيل صور وأمثال) أي بتصوير صور وامثال وتقرير محامل يزول به الاشكال ايضاحا للمعنى وايصالا الى الذهن في المبنى (فاعلم) أي أيقن وتنبه أيها المخاطب (أكرمك الله تعالى) أي كما قصدت اكرام النبي المكرم (انك حملتني) بتشديد الميم أي كلفتني بالحمل

(من ذلك) أى الامر الذى سالتنى (أمرا امرا) بفتح الهمزة فى الاول وكسرها فى الثانى أى أمرا شاقا أو شيأ عظيما او اماقوله تعالى لقد جئت شيئا امرا أى عجبا أومنكرا (وارهقتنى) أوقعتنى (فيماندبتنى) أى دعوتنى (اليه عسرا) بضم فسكون وبضم أى أمرا عسيرا الاأقدر عليه من التحفظ عن السهو واليسير كما قيل فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ولا ترهقنى من أمرى عسرا (وارقيتنى) أى أصعدتنى واطلعتنى من الترقى بمعنى الصعود وهو يائى وفى القاموس رقى اليه كرضى رقيا بعد كارتقى وترقى أو مهموز حيث قال رقأ فى الدرجة صعد لكن النسخ المصححة بالمركز تؤيد الاول فتامل والحاصل انهما لغتان والاول هو الاشهر فى البيان واما قول التلمسانى بهمز ويسهل والهمز أفصح وقيل التسهيل فيتوهم منه ان الاصل هو الهمزة وهو غير صحيح لان التسهيل بمعنى الابدال غير مطابق لقواعد الاعلال فانه انما يكون على طبق ماقبله من الحركة كما لايخفى على أرباب الكمال والله تعالى أعلم بالحال (بما كلفتنى مرتقى) بضم مصدرا أى ارتقاء (صعبا) أى شديدا وليس كما توهم التلمسانى بقوله وكان المعنى ارقيتنى فارتقيت مرتقى صعبا أى محلا عسيرا حيث جعل المرتقى اسم مكان فاحتاج الى تقدير فارتقيت والله تعالى أعلم (ملأ قلبى رعبا) بضم فسكون وبضم أى خوفا وفزعا

(٥ - شفا ل)

ووقع فى أصل التلمسانى خوفا ورعبا فقال معناهما واحد لكنه مخالف لسائر الاصول من النسخ المصححة ثم الضمير فى ملأ راجع الى ما أو المرتقى والثانى أقرب لكن يؤيد الاول قوله (فان الكلام فى ذلك) أى المكلف (يستدعى تقرير أصول) أى تمهيد قواعد مقررة (وتحرير فصول) أى تشييد فروع محررة مما يجب له صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ويمتنع كما سيأتى (والكشف) أى ويستدعى البيان (عن غوامض) جمع غامضة وهى مالايدرك الابعد روية (ودقائق) جمع دقيقة وهى أدق مما قبلها مما يدق فهمه فى كل قضية (من علم الحقائق) بيان لما قبلها وهى جمع الحقيقة وهى الامور الثابتة من الادلة النقلية والعقلية وقد ابعد الحلبى والتلمسانى فى عطف الكشف على الكلام مع عدم ظهور خبره فى المقام

تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها (من ذلك) الاشارة للمسؤل عنه ومن بيانية على أحد القولين فى جواز تقدمها على المبين كما مر او ابتدائية لان حمله لذلك ابتداء مما يطلبه منه ثم انتهى الى الزيادة ويحتمل ان تكون تعليلية (أمرا امرا) أمرا الاول بفتح الهمزة واحد الامور ويحتمل ان يكون واحد الاوامر والاول أولى والثانى بكسرها وهو بمعنى عظيم أو منكر او عجيب والكل محتمل هنا الا الاول أولى أى كلفتنى أمرا عظيما لا أصفه أو منكرا عندى أو عجيبا طلبه منى لانى لست باهل له ففيه تواضع وهضم لنفسه (وارهقتنى) بتاء الخطاب والارهاق والرهق تكليف مالايطاق وأصل معنى رهق غشيه وقد فسر قوله ولا ترهقنى من أمرى عسرا بلا تكلفنى أمرا صعبا لا أقدر عليه وهو التحفظ عن التقصير فيما ساله (فيماندبتنى اليه) أى طلبته منى ومنه المندوب (عسرا) بزنة فعل وهو الامر العسير (وارقيتنى) من الرقى وهو الصعود للمكان العالى أى الجاتنى اليه بتكرير سؤالك والحاحك على فى طلب الاجابة (بما كلفتنى) ما مصدرية أى بتكليفك ماسالته وهو من الكلفة وهى المشقة والتكاليف المشاق وكلفته الامر حملته بمشقة ويتعدى لمفعول ثان بالتضعيف والكلف تغير فى الوجه كالبهق كما قلت فى قصيدة

للبدر قالت وقد حكى وجهاله ❊ فضح التكلف شيمة المتكلف

(مرتقى) مصعدا أو صعودا (صعبا) وعرا شاقا (ملأ قلبى رعبا) خوفا وفزعا وفيه استعارة مكنية وتخييلية وفى جعله عاليا اشارة الى علو قدره وشرفه (فان الكلام فى ذلك) المسؤل وهو تعليل لماذكر من الصعوبة والمشقة (يستدعى تقرير أصول) أى يقتضى مالابد منه من التقرير وهو التحقيق والتثبيت وفى النهاية التقرير ترديد الكلام على المخاطب حتى يفهمه ومنه تقرير الدرس للطلبة وأصل معناه جعل الشئ قارا فى مكانه والمراد قراره فى الذهن أو الخارج والاصول جمع أصل وهو فى اللغة الاساس وفى الاصطلاح مايبتنى عليه غيره والقاعدة الكلية والدليل ويصح ارادة كل منها هنا وتقديمه على مابعده ظاهر (وتحرير فصول) أى تهذيب أمور مفصلة والفصول جمع فصل بمعنى فاصل أو مفصول وتحرير الشئ تلخيصه واظهار زبدته وأصل معناه جعل الشئ حرا أى خالصا ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه وحر الطين مالم يخالطه غيره والحر مقابل العبد واما التحرير بمعنى الكتابة فخاص اريد به عام وأصله الكتابة المخصصة أو كتابة العتاقة والحرية كما فى كشف الكشاف (والكشف) أى الاظهار والتبيين وهو منصوب معطوف على مفعول يستدعى لا على الكلام كما توهم فانه تعسف لركاكة المعنى وان صح (عن غوامض) جمع غامض أو غامضة وهو خلاف الواضح واصله المكان المنخفض من الارض فاريد به ماذكر لخفائه وجعله غامضة ليناسب الحقائق فى التانيث أو تاؤه لا يلتفت اليها لا لان فاعل الصفة لايجمع على فواعل لانه مخصوص بصفات من يعقل بشروطه اما اسماء الاجناس وصفات مالا يعقل فيجوز فيها لجعلها بمنزلة الاسماء غفلة (ودقائق من علم الحقائق) جمع دقيقة فعيلة

من الدقة وهى خلاف الغلظة أو صغر الجرم فاستعير لما يصعب ادراكه ثم شاع حتى صار حقيقة عرفية لان الدقيق كذلك والمراد به بعض أحواله التى لا تدركها العقول القاصرة مما يدرك بالكشف ومشاهدة عين البصيرة الصافية فليست هى الغوامض السابقة لاسيما اذا فسرت بامره قبل البعثة فليس تابعى لان المقام يغتفر فيه التكرار وكيف يتاتى هذا مع قوله من علم الحقائق وهى جمع حقيقة وهى الذات والماهية المركبة من الذاتيات أو العلوم المدركة بتصفية الباطن كما اصطلح عليه أرباب السلوك وهى غير منافية للمعنى الاول وهى فى كلام العرب الامور التى يحق حمايتها والانفة عن تركها عن الرؤساء وقال الخليل الحقيقة ما يصير اليه حق الامر ووجوبه كما قال

ألم تدرانى قد حميت حقيقتى * واشرت حد الموت والموت دونها

قال المرزوقى (عما يجب للنبى) صلى الله تعالى عليه وسلم بيان لما قبله وقيل انه بيان للمكشوف وما يجب له كالعظمة وعموم الرسالة وشرفه ذاتا وحسبا ونسبا ونحوه (ويضاف اليه) أى ينسب له ويوصف به وعطفه بالواو لانه غير مقابل لما قبله وهو كالقيد له وقيل المراد به خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يرد عليه ما سيصرح به لما سياتى (أو يمتنع عليه) كالعيوب والنقائض وما لا يليق بمقام الرسالة (أو يجوز عليه) من أمور البشر كالاسقام والامراض التى لا تورث نفرة ويضاف وما بعده معطوف على الصلة لا صلة موصول محذوف كما جوزه الكوفيون فى نحو قوله

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

كما بين فى محله (ومعرفة معنى النبى والرسول والرسالة والنبوة والخلة والمحبة) روى بالنصب عطفا على مفعول يستدعى وروى بالجر عطفا على ما يجب لا على دقائق كما فى المقتفى وقيل على المضاف اليه تقرير والمراد المعرفة هنا معناها المشهور لا التعريف وان جاز وانما استدعى الحال معرفة هذه لابتناء كثير من صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم عليها (وخصائص هذه الدرجة العلية) مجرور معطوف على النبى والدرجة واحدة الدرج وهى المراقى والمراد بها هنا رتبة النبوة والرسالة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره ولذا لم يقل خصائصه وقيل الجامعة لهذه الصفات كلها والخصائص ما يختص به ولا يتعداه لغيره جمع خاصة أو خاصية على كلام فيه فى شرح المفتاح (وههنا مهامه) ههنا اشارة الى المسلك الذى سالكه للوصول لمقصده والمهامه جمع مهمه كجعفر وهو القفر والمفازة البعيدة قيل انما سميت بها لانها لكونها مخوفة يخفض فيها الاصوات فيقول كل لرفيقه مه مه كما سميت المفازة اصمت (فيح) بفاء مكسورة وياء ساكنة وحاء مهملة جمع أفيح أو فيحاء وهى الارض الواسعة والمهمه يذكر ويؤنث كما قال

* ومهمه مغبرة ارجاؤه * وفى هذا الاستشهاد نظر وهذه استعارة تمثيلية شبه بيان ما ذكر لصعوبته بفلاة لاحتياجه لسعة الاطلاع وتوقفه على انظار دقيقة فى معرفته مقام النبوة فانه قد يقع فيها ما لا يليق به صلى الله تعالى عليه وسلم أو يصفه بما ليس فيه فيدخل فى زمرة من كذب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا من عطف القصة على القصة لبيان صعوبته ما كلفه السائل بطريق آخر حيث جعله أولا جبلا شامخا وعر اصعوده ثم بعد النزول منه مفازة بعيدة كما قيل

كيف الوصول الى سعاد ودونها * قلل الجبال ودونهن حتوف

ومما يقضى منه العجب ما قيل انه جواب سؤال مقدر أى كيف زعمت انك كلفت أمرا عظيما صعبا وهذا أمر لا صعوبة فيه فاجاب بانه كيف لا يصعب وسالكه محتاج لاقتحام مهامه فيح هذا شانها وكيف يصح جعله جوابا لسؤال مقدر مع اقترانه بالواو مع انه لا وجه للسؤال ولا للجواب سوى تسويد وجه الصحف

النبى والرسول) أى بالحدود الفارقة بينهما ومعرفة مجرورة معطوفة على مدخول عن أو من أو منصوب عطفا على انها معمولة ليستدعى أيضا (والرسالة والنبوة) بالجر لا غير والمراد بهما الحالان فهما مغايران لما قبلهما (والمحبة والخلة) بضم الخاء وهما نعمتان كاملتان ما اجتمعتا فى غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (وخصائص هذه الدرجة العلية) بالجر جمع خصيصة وهى ما يختص به الشخص والدرجة المنزلة والمرتبة والرفعة ودرجات الجنة ارفع منازلها والدرجات ضد الدركات وقد سومح فى التسجيع بين العلية وما قبلها فانه من الامور الرسمية ثم رأيت ابن السكيت قال العلية بفتح العين وكسر اللام وكسر العين وسكون اللام فتعين الثانى موافقة المرام (وههنا) أى وفى هذه المواضع المذكورة فيها للتنبيه وهنا اسم اشارة للمكان القريب (مهامه فيح) أى مفازات واسعة ومهامه بفتح الميم الاولى وكسر الثانية جمع مهمه بفتحتين مفازة بعيدة وخلاء ليس فيه ماء والفيح بكسر الفاء جمع فيحاء بفتح ومد لا جمع افيح كما توهمه التلمسانى أى الارض الواسعة

(يحار

(يحار فيها القطا) حار يحار كخاف يخاف اذا لم يهتد لقصده وضمير فيها للمهامه والقطا طائر معروف واحدته قطاة وهى توصف بسرعة الطيران والاهتداء فى الظلمات والتبكير حتى يقال انها ترد الماء من مسيرة عشرة أيام ثم تعود من ليلتها فلا تخطئ صادرة ولا واردة ولذا ضرب بها المثل فقيل اهدى من القطا كما قيل

والناس اهدى فى القبيح من القطا * وأضل فى الحسنى من الغربان

وهذا اما داخل فى التمثيل أو ترشيح له للمبالغة فى بعد هذا المقصد والمراد انه مما يضل أرباب الهداية وتتحير فيه وقيل انه استعارة أخرى تصريحية (وتقصر عنها الخطا) وفى نسخة بها بدل عنها وتقصر بفتح التاء وسكون القاف وضم الصاد مضارع قصر بزنة كرم ضد طال والخطا بضم الخاء جمع خطوة بضم الخاء وفتحها وهى ما بين القدمين والمعنى أن هذه المهامه مع سعتها او كونها لا يعلمها سالكها او غيره أو لكونها وعرة ذات شوك وصخور تمنع الماشى فيها من مد الخطا وباء بها بمعنى فى أو سببية وعلى النسخة الاخرى قصرها عنها بمعنى العجز عنها المار أو اطولها أو هو على حد قوله

* ولا ترى الضب بها ينجحر * فالمراد انها لا تسلك أصلا وهو من جملة الترشيح أو التمثيل أو هو تمثيلية أخرى وعلى كل حال فالمراد صعوبة ما كلف به وان الافكار فيها بطيئة الحركات أو عاجزة عنها رأسا وما بعده كالتجريد كما ستراه (ومجاهل) مرفوع غير منون جمع مجهل وهو المفازة التى لا اعلام فيها كما فى المقتفى وهو المراد هنا وقيل المجهل المفازة أيضا وفى القاموس المجهل ما يحملك على الجهل وجهله تجهيلا نسبه اليه وأرض مجهل كمقعد لا يهتدى فيها ولا يثنى ولا يجمع انتهى وقال ابن سيدة فى قوله

* انا لنصفح عن مجاهل قومنا * مجاهل فيه ليس له واحد بكثر غلبة الا قولهم جهل وفعل لا يجمع على مفاعل فهو من قبيل ملامح ومحاسن انتهى وفيه نظر لا يخفى وعلى القول بان مجهل اسم الارض لا يثنى ولا يجمع فجمع المصنف له اما على القياس لان مفعل ومفعلة يجمعان اطرادا على مفاعل أو يكون ثبت ذلك عنده فان قلت ما معنى قوله فى القاموس ما يحملك على الجهل قلت يريد ماذكره أهل اللغة والعربية من ان صيغة مفعل تكون للزمان وتكون فى كلام العرب لا يقتضى وقوع ما اشتق منه ويدعو اليه وان لم يقع بالفعل كقولهم الولد مجبنة ومبخلة أى يجعل المرء جبانا لتخلفه بسببه عن الحرب وبخيلا لحرصه على بقائه ليربى ولده وبخيلا ليبقى ماله لولده وهو من نوادر العربية فاعرفه (تضل فيها الاحلام) تضل بفتح الفوقية وكسر الضاد المعجمة مضارع ضل اذا لم يهتد أو بمعنى هلك والاحلام جمع حلم بكسر الحاء وسكون اللام بمعنى العقل أى العقول غير مهتدية لمعرفتها على الاستعارة المكنية والتخييلية أو هو اسناد مجازى وهو أحسن من تقدير ذى الاحلام لانه يزيل بهاء رونق الكلام وجعل الاحلام مجازا عن أصحابها والمراد الصعوبة بعيد (ان لم تهتد بعلم علم) تهتد مبنى للفاعل أى ان لم يحصل لها الهداية لتمسكها بها او سلوكها بدليلها او يجوز بناؤه للمجهول وعلم بفتحتين العلامة المنصوبة فى الطريق لتعرف بها ولذا سميت نصبا ويكون بمعنى الجبل أيضا لانه يهتدى به كما قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كانه علم فى رأسه نار

وفى قولها صخرا وهو اسم أخيها لطيفة اتفاقية هنا لمناسبة الجبل وعلم ضد جهل لاضافة المشبه به للمشبه كقوله * ذهب الاصيل على لجين الماء * وقد يضاف المشبه للمشبه به كما تقول

نهر شربت منه ماء الدر المذاب ولك ان تقول انه استعار العلم بفتحتين للكبير من العلماء لاهتداء الناس بعلمه كما يقال فلان جبل فى العلم أو علم وقدره واشتهاره كما فسره فى البيت وبين علم وعلم

(تحار) بفتح التاء أى تتحير (فيها) أى فى سبيل معرفتها افهام ذوى النهى كما قد تحار فى سير المفازة المحسوسة اذا سلكتها (القطا) وهو بفتح القاف مقصور طائر يضرب به المثل فى كمال الهداية فيقال هو اهدى من القطا سمى بصوته وقد قيل انه يترك فراخه ويطلب الماء مسيرة عشرة أيام وأكثر فيرده ويرجع فيما بين طلوع الفجر وظهور الشمس ولا يخطئ صادرا ولا واردا وهو اسم جنس وقول الجوهرى على ما نقله الحلبى غيره انه جمع قطاة فيه تجوز والحاصل ان القطا يعرف فى المجاهل مظان المياه فلا يكاد يخطئها فاذا رأت الماء قالت قطا قطا فتعرف العرب دنو الماء ولهذا يقال فلان أصدق من القطا (وتقصر) بضم الصاد (بها) وفى نسخة فيها (الخطا) بضم ففتح جمع الخطوة بضم وفتح أى تعجز فى تلك المفازة أو بسيرها الخطوات من الاعياء (ومجاهل) بفتح الميم وكسر الهاء عطفا على مهامه وهو جمع مجهل للمكان الذى لا علم فيه يهتدى به (تضل) بفتح فكسر أى تضيع وتهلك (فيها الاحلام) بالفتح جمع الحلم بالكسر أى العقول (ان لم تهتد) أى الاحلام (بعلم علم) بفتح العين واللام فى الاول وبكسر فسكون فى الثانى أى بعلامة يعلم بها فالعلم بمعنى العلوم أو المراد به نوع من العلوم وأغرب الحلبى بقوله الظاهر ان المراد بالعلم الجبل وأبعد محش آخر بقوله المراد به الراية ولعل محل كلامه بما قصد الاستعارة بها وقال الدلجى من اضافة المشبه به الى المشبه من التشبيه المؤكد أى بعلم كالعلم

(ونظر سديد) بسين مهملة أى وبتامل على صوب صواب (ومداحض) بالرفع أى مزالق (تزل) بفتح فكسر فتشديد
(بها) أى بسببها أوفيها
(الاقـدام ان لم تعتمد)
أى الاقـــدام مجازا أو
أصحابها (على توفيق من
الله وتايـد) بياءين أى
تقويةواعانةعلى نيـل
المـــراد من التحقيق
(الكنى) أى مع هـذا كله
من صعوبةالحال ومزلة
أقدام الرجال بحيث كاد
قبولهـا أن يكون مـن
المحـال تحـملت المقال
وقبلت الســؤال (لمـا
رجـــوته) بكسر اللام
وتخفيف المـيم على ان
اللام للعلة وما موصوفة
أوموصولة وهو بصيغة
المتكلم وفى نسخة بالخطاب
وهو بعيد ولا يبعـد ان
يضـبط لمـا بفتح اللام
وبتشـديد المـيم على
الظرفية كما عليه جمهور
القراء فى قوله تعالى لمـا
صبروا الا انه يمنعه وجود
من البيانيــة بعــده
والحاصل ان خـبر الكن
مقدر كما أشرنا اليه وقوله
(لى ولك) متعلق برجوته
(فى هـذا الســؤال
والجواب) أى بسببهما
لف ونشر غير مرتب وقدم
نفسه فى الدعاء لانه الادب
المستحب وقدم السؤال
لان وجوده مقـدم على
الجواب وشـهوده (من
نوال) بيـان لما أى
حصول حسن منال وطيب حال ومآل فى الدنيا (وثواب) أى وتحصيل جزاء وعطاء فى العقبي

تجنيس وقيـل فى عبارة المصنف رحمه الله تعالى ان علم الاول بكسر فسكون والثانى بفتحتين عكس المشهور وهو وان لم يخل من وجه صحة خلاف الاولى (ونظر سديد) النظر بمعنى الابصار والفكر وهو ترتيب أمور معلومة للتادى الى مجهول وقيل ملاحظة المعـقول لتحصيل المجهول والملاحظة توجـه النفس نحو المعلوم الحاضر فى ذهنه والسديد ماله سداد بفتح السـين وهو الصواب من القول والعمل وان لم يحصل بالنظر (ومداحض) معطوف على مهامه وهو مكان الدحض بدال وحاء مهملتين وضاد معجمة وهو الزلق وسقوط الماشى ونحوه مما يزيل الاقدام عن محالها وحل ونحوه وفيه استعارة تصريحية بتشبيه الوقوع فى الخطا لغموض المطالب ودقتها بزلة القدم فى المزالق المؤدية للسقوط وقوله (تزل بها الاقـدام) بفتح حرف المضارعة وكسر الزاى المعجمة أوفتحها من الزلل وهو الزلق فى الطين ونحوه متحرز به عن الخطا فهو تأكيد لمداحض وترشيح أوتجريد بنحوى والاقدام جمع قدم وهو معروف وهو استعارة تمثيلية لكثرة الخطا وماقيل من ان المراد بالاقدام المعقول فى الاذهان المدركة بجامع الايصال الى المرام على انه استعارة تصريحية غير سديد واستعارة الرجـل للعقل لاتخفى ركاكتها على من له عقل (ان لم تعتمد على توفيق من الله عزوجل وتأييـد) لاعتماد افتعال من العمدة وهى فى الاصل مايتكأ عليه ويستند اليه ثم شاع فى كل مايعول عليه وهو بمعناه الاصلى مناسب لمداحض والثانى مناسب للقصود ففيه تورية والتوفيق خلق القدرة على الطاعة وقيل خلق الطاعة وقيـل تسهيل سبيل الخير وأصله جعل الاسباب على وفق المسببات وهو تفعيل من الوفق كما ان الاتفاق افتعال منه ثم خص بما ذكر وهو أوفق باصله من قول المعتزلة انه اظهار الآيات الدالة على وحدانيتـه وابداع مايعرف به فى الانسان كالعقل والسمع والبصر لطفا منه تعالى والتأييد التقوية والاعانة من الايد وهو القوة والمعنى انه ان لم يعنه الله بتوفيقه وتاييده زل وأخطأ وما أحسن تذييل الحيرة والضلال بقوله لم يهتد الخ وتذييل الزلل والدحض بقوله ان لم يعتمد ولما كان ماذكر للسائل من صعوبة [illegible] توقفه على أمور خطيرة يشعر بعدم اجابته استدرك دفعه بقوله (الكنى لما رجوته) بكسر اللام الجارة وتخفيف ما الموصولة والعائد لها الهاء ويجوز أن تكون موصوفة وليس لما بفتح اللام وتشديد الميم ولا ما المص[illegible]رية لاحتياجه للتكلف والجار والمجرور متعلق بمقدر مقدم أومؤخر للحصر أى اجبتك لهذا دون غيره أودون غيرك والرجاء بالمد ترقب مايرجى حصوله والفرق بينه وبين الطمع ان الراجى مؤمل لعدم الفوت بسبب رجائه له وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر كقوله تعالى والذى اطمع أن يغفر لى خطيئتى (لى ولك) قدم نفسه لمطابقته للمقام ولان المرء يبدأ بنفسه فى الخير وليس الايثار مطلوبا فى كل محل ولذا استحب تقديم المرء نفسه فى الدعاء كما مر لا لما قيل من ان النفس تراعى حالها أولا الا من شرفت نفسه فانه يؤثر غيره (فى هذا السؤال والجواب من نوال وثواب) فيه لف ونشر غير مرتب لان النوال والثواب ناظر لقوله لى والسؤال والجواب لقوله لك والنوال العطاء كالنائل والمنال والتناول تفاعل منـه والثواب من ثاب اذا رجع وهو الجزاء بخير أوشر لكن العرف والشرع خصصه بالخير كما فى النهاية وهو المراد هنا ومن بيانية مبينة لما على الوجهين وقد يقال ليس فيه توزيع لتعلق كل منهما بكل منهما كما ذهب اليـه بعض الشراح لان للمصنف رحمه الله تعالى عطاء من الله لما صنفه وله ثواب عليه وللسائل نوال وعطاء لوصوله لمسؤاله وثواب لتسببه لايجاد هـذا الكتاب والدال على الخـير كما سياتى كفاعـله ووجـه الاول ان النوال عطاء دنيـوى عاجـل للسائل بسـؤاله والثواب أخروى للمصـنف رحمـه الله تعالى عـلى اجابتـه لان المتبادر من النـوال الدنيـوى ومن الثـواب الاخروى فـلا وجـه لما قيـل من انه لادليـل عليـه وفى بعض النسـخ ثواب النوال بالاضافـة وهو مؤيد

الثانى

للثانى (بتعريف قدره الجسيم) التعريف التبيين والباء سببية والقدر شرف الرتبة والجسيم العظيم
الجسم فاريد به مطلق العظيم على انه مجاز مرسل أو استعارة بتشبيه العظيم المعنوى بالحسى والقدر الجسيم
ان كان علو رتبة عند الله والناس فهو مغاير لما بعده وعطفه عليه ظاهر وان أريد اتصافه بكل صفة جيدة
فهو من عطف الخاص على العام والى كل منهما ذهب بعض الشراح (وخلقه العظيم) الخلق
بضمتين ويسكن ثانيه تخفيفا وهو الطبيعة والسجية وقد عرفوه بانه ملكة للنفس تصدر عنها الافعال
بسهولة من غير فكر وروية فخرج بالملكة كل عارض غير قار من الاحوال وبصدوره عن النفس
مايصدر عن الجوارح كالكتابة وغيرها من الصنائع وبقيد السهولة ما كان بصعوبة كالصبر على
بعض النوائب وكذا ماصدر بغير تفكر فكله لا يسمى خلقا والخلق للنفس بمنزلة الخلق للبدن والخلق
الحسن من أعظم المنن من الله وفى الحديث أكثر مايدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق
وخلق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم الاخلاق قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وسيأتى
الكلام فيه (وبيان خصائصه) جمع خصيصة وهى ماخصه الله تعالى به فانفرد به عن كل ماسواه أو
انفرد به عن غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو عن أمته والاولى خصائص مطلقة حقيقية وما
عداها اضافية وليس جمع خاصة لانها كالخاص خلاف العامة لا بمعنى ماتفرد به ولا الخاصة بمعنى الاثر
الذى لا يظهر سببه كجذب المغناطيس الحديد فى مصطلح الاطباء وكخواص التراكيب عند أهل
المعانى على مافصل فى شرح المفتاح وماذهب اليه بعض علماء الشافعية من منع الكلام على الخصائص
النبوية أو كراهته قيل انه متأول وقيل غير صحيح كما فى الخصائص الكبرى للسيوطى وسيأتى بيانه
وقيل محل الخلاف بيان ماحرم عليه كنزع لامته وخائنة الاعين وفيه نظر والحق ان منها ما يلزم ذكره
لئلا يقتدى به غيره أو يدفع توهم ارتكابه لغير المشروع كزيادة زوجاته على أربع وماهو مستحب
كغيرها ويدخل فيها مااختصت به أمته عليه الصلاة والسلام واذا عرفت هذا فقوله (التى لم تجتمع
قبله فى مخلوق) بيان شامل لسائر الاقسام لان المراد انه تفرد بمجموعها دون كل فرد فرد منها فاعرفه
(ومايدان الله تعالى به) أى يعبد ويطاع لامره به من الدين المعروف وهو معطوف على خصائصه
وقيل على قدره (من حقه) بيان لما وقد ورد فى الادعية المأثورة أسألك بحق محمد نبينا والمراد بحقه
رتبته ومنزلته أو الحق الذى جعل الله له على أمته تفضلا به عليه كما فى الدر المنظم لابن حجر والمراد هنا
الثانى وهو مايجب له صلى الله تعالى عليه وسلم على أمته من حق بمعنى ثبت ويجوز أن يراد به مايقابل
الباطل من اليقين الثابت حقيته بالدليل كما قيل وفيه تكلف كالقول بان من للتبعيض لان اضافته
للعموم فلو كانت بيانية لزم ادعاء بيان جميع حقوقه أو المراد جنس الحقوق فتأمل (الذى هو أرفع
الحقوق) صفة مادحة والمراد انها أرفع من غيرها من حقوق البشر لا مما عداها حتى حقوق الله
وارفع من الرفعة وهى العلو والشرف فتعريف الحقوق للعهد أو الاستغراق العرفى ويجوز أن يكون
صفة مخصصة للحق وتخصيص الارفع منها بالذكر اهتماما به والمراد بيانه على طريق الاجمال اذ
التفصيل يضيق عنه الحصر (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا) الاستيقان
استفعال من اليقين من يقن كفرح واستيقن وتيقن وأيقن بمعنى علم علما محققا لاشبهة فيه لاتقانه
بالادلة النافية للشبه ولذا قيل انه لا يوصف به علم الله ويقال بلج اليقين دون العلم كما فصلناه فى عناية
القاضى وقوله ويزداد افتعال من الزيادة وفيه دليل على ان الايمان يقبل الزيادة والنقص والكلام
فيه مفصل فى محله لا حاجة لنا به هنا واقتبس المصنف رحمه الله الآية هنا تعليلا لتعريف قدره وخلقه
وخصائصه الذى به يتيقن ذلك أو لكون أنعمه بدت ببيان حقوقه فكأنه قال بتعريف فضائله

(بتعريف قدره الجسيم
وخلقه العظيم) بضمتين
ويسكن الثانى أى بسبب
تبيينهما (وبيان
خصائصه) أى فضائله
المختصة (التى لم تجتمع
قبل) أى قبل خلقه (فى
مخلوق) ومن المعلوم
استحالة وجود مثله بعده
(ومايدان) أى وبيان
مايطاع (الله تعالى به)
أى ويتخذ دينا (من حقه
الذى هو أرفع الحقوق)
أى بعد حق الحق
(ليستيقن) متعلق
بتعريف أى ليثبت أو
يتيقن (الذين أوتوا
الكتاب) أى نبوته ايقانا
يريد العلماء (ويزداد)
أى بذلك (الذين آمنوا
ايمانا) يريد العوام أو
الاعم والله أعلم ثم قوله
ليستيقن علة لقوله
بتعريف قدره وبيان
خصائصه وأما قول
التلمسانى أى لكنى أفعل
لما رجوته وليستيقن
فخالف للنسخ المصححة
حيث لم يوجد فيها الواو
العاطفة

وخصائصه بتحقق تيقن أهل الكتاب حقية رسالته لموافقته لنعمته المذكور في كتبهم و يزداد ايمان المؤمنين من أمته بتحقق ماله صلى الله عليه وسلم من المحامد فالمراد باهل الكتاب اليهود والنصارى والكتاب التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وتخصيص هؤلاء بالذكر ليس للحصر لان المراد تعميمه وشموله لجميع أهل العلم باحوال الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا بمجرد اتباع معنى النظم القرآني وان لم يطابق السياق كما قيل وقد يقال المراد بالذين أوتوا الكتاب أهل العلم بالتفسير والحديث وبمن بعدهم من عداهم من المؤمنين والمعنى ان هذا التعريف المتيقن ما تضمنه العلماء و يزيد ايمان العوام ويجوز للمقتبس ان يقصد غير المراد به على طريق التمثيل وان كانت هذه الآية وردت في عدد خزنة جهنم وكونهم تسعة عشر فانه مما استيقنه أهل الكتاب لموافقته ما عندهم وازداد ايمان غيرهم لعلمهم بذلك وفي الآية دليل على أن الايمان يقبل الزيادة والنقصان والكلام فيه مشهور فلا حاجة لذكره اذ لا يخفى ان ايمان الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام ليس كايمان غيرهم فان قلنا بدخول الاعمال فيه فهو ظاهر كما بين في الاصول (ولما) بكسر اللام وتخفيف الميم من ما الموصولة أو الموصوفة وتقدير العائد كما مر وهو علة ثانية للتعريف المستفاد من هذا الكتاب (أخذ الله على الذين أوتوا الكتاب) المراد بالذين أوتوا الكتاب هنا أيضا أهل العلم مطلقا أو أهل الكتب المتقدمة في النزول أو اليهود كما هو أحد التفاسير في هذه الآية وقد استدل بها على وجوب نشر العلم والمراد العهد والميثاق الذي أخذه الانبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم ان يبلغوا ما سمعوه كما قال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الا ليبلغ الشاهد منكم الغائب ونحوه وقيل المراد ما أخذ من العهد يوم الست بربكم في عالم الذر (ليبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا) ولم يتل الآية بتمامها لعدم مناسبة باقيها لما أراده والضميران المنصوبان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه مما سبق في كلام المصنف رحمه الله تعالى وان كان في النظم بخلافه فلا حاجة الى القول هنا بانه علم من السياق وان لم يجر له ذكر كما قيل وقيل هما للكتاب وهو عام للعلوم والعلماء ويدخل فيه أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دخولا أوليا ولم يؤكد يكتمونه كما أكد ليبيننه اما لانه جملة جوابية ولا يكتمونه حالية وليست كما قيل بتقدير مبتدأ أي وهم لا يكتمونه لاجل الواو الحالية لان الحال المنفية يجوز فيها الوجهان وليست كالمضارع المثبت كما صرح به النحاة أو هو معطوف على الجواب فهو جواب والجواب المنفي لا يؤكد قيل وهو أصوب *(تنبيه)* قال الزركشي في قواعده تصنيف كتب العلم لمن منحه الله فهما واطلاعا فرض كفاية ولن تزال هذه الامة مع قصر أعمارها في ازدياد وترق في المواهب والعلم فلا يحل كتمه فلو ترك التصنيف لضيع العلم على الناس وقد قال الله تعالى واذا أخذ الله ميثاق الخ وفي التوراة علم مجانا كما علمت مجانا انتهى * فان قلت قوله ليبيننه هل هو جواب قسم معلوم من السياق أو مقدر * قلت هذا محتمل الا أن ابن الاثير قال في البديع ان للعرب ألفاظا تتلقاها تارة بما يتلقى به القسم كقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس الآية وتارة لا تتلقاها به كقوله تعالى واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة وتارة يكون الذي بعدها يحتمل الامرين كقوله تعالى واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم وفي معنى هذه الآية قوله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون قال شيخ والدي الشهاب ابن حجر قال ابن عباس وجماعة انها نزلت في اليهود والنصارى وقيل في اليهود لكتمهم صفته صلى الله تعالى عليه وسلم التي في التوراة وقيل هي عامة وهو الصواب لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم ذكر الآية التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى وقال انها نزلت في اليهود وكتمهم صفته

(ولما) عطف على لما رجوته أي ولاجل ما (أخذ الله على الذين أوتوا الكتاب) أي من الميثاق وفي نسخة ميثاق الذين أوتوا الكتاب أي من العلماء (ليبيننه) بفتح اللام على انه جواب للقسم الذي ناب عنه قوله أخذ الله ميثاق الذين أي استحلفهم والمعنى ليظهرن أمر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جميعه (للناس ولا يكتمونه) أي شيأ منه وهو المناسب للمقام أو الضمير للكتاب وهو مشتمل على المرام وفي بعض النسخ بالخطاب فيهما وهو صحيح وقد قرأتهما السبعة في الكتاب فالياء لغيبتهم والتاء حكاية لمخاطبتهم وتتمة الآية المقتبس منها فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون وعن علي كرم الله تعالى وجهه ما أخذ الله على أهل الجهل ان يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا

(ولما) اى وللحديث الذى (حدثنابه ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتى عليه) وهو هشام بن احمد بن هشام بن خالد الاندلسى الوقشى بفتح الواو والقاف وبالشين المعجمة نسبة الى وقش قرية من قرى طليطلة بالاندلس الكنانى الفقيه الحافظ ولد سنة ثمان واربعمائة واشتغل بالفنون وقرأ على المشايخ ومهر فى النحو والعربية واللغة وفنون الادب واعتنى بالحديث قال القاضى عياض كان غاية فى الضبط والاتقان وله تنبيهات وردود على كبار المصنفين فى بعضها فقال وكان له نظر فى الاصول واتهم بالاعتزال وكان من المتفننين فى ضروب المعارف وكان يعرف الفرائض والهندسة وغيرهما ومات فى جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وأربعمائة كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى وهو هشام بن أحمد بن هشام الهلالى يعرف بابن بقوة ٣٩ بالباء الموحدة المفتوحة والقاف الساكنة بعدها واو مفتوحة وتاء مقلوبة فى الوقف هاء وهو امام حافظ وشيخ من شيوخه الذين اعتمد على النقل عنهم فى هذا الكتاب وغيره وكثرت الروايات عنه فى أسانيد القاضى رحمه الله تعالى وتكرر السماع عليه ذكره الحافظ أبو محمد بن عبيد الله الحجرى وأبو العباس أحمد بن الزبير الثقفى وللقاضى رحمه الله تعالى شيخ آخر على نحو هذا الاسم هو القاضى أبو الوليد هشام بن أحمد بن سعيد الكنانى الوقشى الضابط صاحب كتاب غريب الموطأ جليل النفع كبير القدر والله تعالى أعلم (قال) أى هشام (حدثنا الحسين بن محمد) زاد فى نسخة الجيانى بجيم مفتوحة فسكون تحتية فهمزة ممدودة فنون فياء نسبة وهو الحافظ أبو على الغسانى وستأتى ترجمته مبسوطة كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى له كتب مفيدة جدا توفى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة (حدثنا أبو عمر) بضم العين (النمرى) بفتح النون والميم نسبة الى نمر بكسر الميم وهو أبو قبيلة واغا فتح فى النسب استيحاشا لتوالى الكسرات وهو حافظ المغرب وشيخ الاسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى الاندلسى الشاطبى ولد فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة وترجمته شهيرة وتصانيفه كثيرة توفى بشاطبة ليلة الجمعة سلخ شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة واستكمل خمسا وتسعين سنة وخمسة أيام واعلم انه وقع فى أصل التلمسانى زيادة حدثنا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب الشيبانى التبريزى البغدادى مات فى ذى الحجة سنة ثمان وستين وأربعمائة حتى قال الناس مات فى هذه السنة حافظ المشرق وحافظ المغرب يعنون أبا بكر الخطيب

صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها والعبرة فيها أيضا بعموم اللفظ والبينات ما نزل على الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الكتب والوحى والهدى الادلة العقلية والنقلية قال وقوله فى الآية الثانية من بعد ظرف لقوله يكتمون لا لانزلنا لفساد المعنى يعنى ان البيان متأخر عن الكتم لا عن الانزال لسبقه عليه وهو غير مسلم لجواز أن يراد بما أنزل وبين ما أنزل فى التوراة وبين لاسلاف بنى اسرائيل وبالكتم كتم اليهود الذين كانوا فى زمن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذا يجوز تعلقه بكل منهما ولما استدل على مدعاه بالنظم الكريم عقبه بالاستدلال بالحديث فقال (ولما) بكسر اللام وتخفيف الميم أيضا (حدثنا به أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله) هو الامام القرطبى الزاهد المحدث المعروف بابن العواد أحد شيوخ المصنف وقد اجتمع للمصنف من الشيوخ بين من سمع منه وبين من أجاز مائة شيخ وهو ممن عرض عليه القضاء ولم يقبله وتوفى بقرطبة سنة تسع وخمسمائة وولد سنة اثنين وخمسين وأربعمائة وفى نسخة هو ابن هشام بن خالد الاندلسى الوقشى بفتح الواو والقاف وبالشين المعجمة نسبة الى وقش قرية من قرى طليطلة بالاندلس الكنانى الحافظ الفقيه ولد سنة ثمان وأربعمائة واشتغل بالفنون وسمع من أبى عمر الطليطلى وابن عمر السفاقسى وأبى عمر بن الحداد وروى عنهم ومهر فى النحو والعربية واللغة وفنون الادب واعتنى بالحديث قال القاضى عياض كان فى غاية الحفظ والاتقان وله تنبيهات وردود على كبار المصنفين فى بعضها فقال وكان ينظر فى الاصول واتهم بالاعتزال وقال الرشادى ولى القضاء ببلاد من بلاد الاندلس وكان من المتفننين فى ضروب المعارف وكان يعرف الشروط والهندسة والفرائض وغيرها مات فى جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وأربعمائة (بقراءتى عليه) قال المحدثون من سمع من لفظ شيخه يقول حدثنا وأخبرنا وأنبأنا قال العراقى وهو متجه ومن قرأ عليه أو سمع بقراءة غيره عليه فالاجود ان يقول قرأت على فلان أو قرئ عليه وأنا أسمع وفى العرض يقول حدثنا فلان بقراءتى عليه أو قرئ عليه وأنا أسمع كما فصل فى مصطلح الاثر ولذا قال المصنف بقراءتى عليه (قال حدثنا الحسين بن محمد) هو الحافظ أبو على الغسانى المشهور وقال (حدثنا أبو عمر) أى قال الحسين حدثنا أبو عمر وهو شيخ الاسلام حافظ المغرب ابن عبد البر بن عاصم (النمرى) القرطبى صاحب الاستيعاب وغيره من الكتب الجليلة ولد فى ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلثمائة بقرطبة وتوفى بشاطبة ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة وعمره خمس وتسعون سنة وقوله النمرى بفتح النون والميم نسبة الى نمر بفتح النون وكسر الميم اسم قبيلة وهو فى الاصل اسم جدهم نمر بن قاسط بن هنب وفتحت ميمه فى النسبة تخفيفا لئلا تتوالى كسرتان وياء مشددة على القياس المطرد فى كل مكسور العين مضموم الفاء أو مكسورها أو مفتوحها فان كان مكسورها كابل

وأبا عمر رحمهما الله تعالى (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) أي القرطبي من قدماء شيوخ ابن عبد البر قال الذهبي في الميزان كان تاجرا صدوقا لقي ابن داسة والكبار كذا ذكره الحلبي وقال التلمساني يعرف بابن الزيات شيخ أبي عمر بن عبد البر روى عنه في المسند الكبير (حدثنا أبو بكر محمد بن بكر) أي ابن محمد بن عبد الرزاق بن داسة بمهملتين وتخفيف الثانية عند الجمهور بصري وهو أحد رواة أبي داود وعنه مشهور الترجمة وقد روى عنه بالاجازة أبو نعيم الاصبهاني (حدثنا سليمان بن الاشعث) وهو الامام الحافظ صاحب السنن أبو داود السجستاني قال أبو عبيد الآجري سمعته يقول ولدت سنة اثنتين ومائتين وكتب عنه شيخه أحمد بن

حنبل حديث العتيرة وأراه كتابه فاستحسنه ومناقبه معروفة قيل الين الحديث لابي داود كما ألين الحديد لداود عليه السلام مات في سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة (حدثنا موسى بن اسمعيل) وهو أبو سلمة التبوذكي نسبة الى تبوذك دار اشتراها الحافظ روى عن شعبة وهمام وخلق وروى عنه البخاري وأبو داود وقال عباس الدوري كتبنا عنه خمسة وثلاثين ألف حديث توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين ثقة ثبت أخرج له الجماعة أصحاب الكتب الستة (حدثنا حماد) وهو ابن سلمة بن دينار الامام أبو سلمة أحد الاعلام روى عن أبي عمران الجوني وغيره وروى عنه شعبة ومالك وغيرهما صدوق يغلط وليس هو في قوة مالك وأخرج له مسلم والاربعة كذا ذكره الحلبي وقال التلمساني هو حماد بن زيد بن درهم يكنى أبا اسمعيل الازرقي مولى لجرير بن حازم البصري الازدي أخو عبد سعيد مات سنة تسع وتسعين ومائة (أخبرنا علي بن الحكم) أي البناني البصري روى عن أنس وأبي عثمان النهدي وطائفة منهم نافع وعنه الحمادان وعبد الوارث وعدة أخرج له البخاري والاربعة (عن عطاء) أي ابن أبي رباح أبو محمد القرشي مولاهم المكي أحد الاعلام يروي عن عائشة وأبي هريرة وخلق وعنه الاوزاعي وابن جريج وأبو حنيفة والليث وأمم توفي وله ثمانون سنة أخرج له الائمة الستة كذا ذكره الحلبي وقال التلمساني هو ابن يسار أبو محمد مولى ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهو هلالي مدني

جار فيه الفتح والبقاء كسرها كما ذكره النحاة قال (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) في المقتفى هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي من قدماء شيوخ ابن عبد البر وفي الميزان انه كان تاجرا صدوقا لقي الكبار وأخذ عنهم الا انه لم يكن جيد الضبط فربما وقع له الخلل والمصنف رحمه الله نسبه لجده قال (حدثنا أبو بكر محمد بن بكر) المعروف بابن داسة من مشايخ الحديث المشهورين وداسة بدال مهملة تليها ألف ثم سين مهملة بعدها هاء تأنيث وهو أحد رواة سنن أبي داود قال (حدثنا سليمان بن الاشعث) هو الامام الحافظ أبو داود سليمان بن الاشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمر الازدي السجستاني صاحب السنن ولد سنة اثنين ومائتين وسمع بمصر والحجاز والعراق من خلق كثير وروى عنه ابن داسة وغيره وله ترجمة مفصلة في التواريخ ومات في سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة قال (حدثنا موسى بن اسمعيل) هو أبو سلمة بن اسمعيل المنقري التبوذكي نسبة لتبوذك بمثناة فوقية مفتوحة فوحدة مضمومة فذال معجمة مفتوحة تليها كاف اسم موضع نزل قوم من أهله عند أبي سلمة هذا فقيل له تبوذكي أو لانه كان له دار بها وأصل معنى التبوذكي من يبيع ما في بطون الدجاج ككبدها ونحوه وقيل انه نسبة أيضا لبيع التبوذك وهو السرجين وموسى هذا روى عنه أصحاب السنن ووثقوه وقيل انه فيه لين توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين قال (حدثنا حماد) أطلقه والمراد به كما قاله البرهان الحلبي حماد بن سلمة بن دينار أحد الاعلام مولى قريش أو تيم وهو ثقة لم يتهمه الا من رق دينه وقيل انه كان من الابدال لانه تزوج كثيرا ولم يولد له وهو من عادتهم كسرعة الصلاة لطي الزمان لهم او لغيره كما ذكره السيوطي في ترجمة ابن الهمام رحمه الله وكان مجاب الدعوة ولم يرد حماد بن زيد وان كان من الكبار ايضا لان التبوذكي تفرد بالرواية عن حماد بن سلمة ولم يروعن حماد بن زيد كما قاله ابن الجوزي في كتاب الجمال في اسماء الرجال فما في بعض الحواشي من انه حماد بن زيد وهم توفي سنة مائة وسبع وستين وله ترجمة في الميزان (قال حدثنا علي بن الحكم) البناني البصري وقد روى عنه الحمادان وعداه من المحدثين توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وهو ثقة وقيل فيه لين (عن عطاء) هو اسم مشترك بين جماعة منهم ابن أبي رباح ابو محمد المكي القرشي مولاهم أحد الاعلام روى عن عائشة وجابر وابن عباس وزيد بن ارقم رضي الله تعالى عنهم وروى عنه الاوزاعي وأبو حنيفة وغيرهما وعاش ثمانين سنة وتوفي سنة خمس أو أربع عشرة ومائة وهو من كبار التابعين المتفق على توثيقه وجلالته وفي المقتفى انما ميزته لاشتراك اسمه بين جماعة رووا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وهذا هو المراد هنا دون غيره وقال التلمساني المراد به عطاء بن يسار الهلالي مولى ميمونة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها ورجح الاول بان الذهبي وابن الجوزي لم يذكرا لعطاء بن يسار رواية له عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولا يخفى انه لا يلزم من عدم ذكرهما أن لا يكون له رواية عنه في الواقع مع ان النووي وغيره قالوا له رواية عنه * أقول هذا كله خبط عشواء فان المصنف رحمه الله روى هذا عن ابن

(عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه) وهو عبد الرحمن بن صخر على الاصح من بين نيف وثلاثين قولا وقد رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كمه هرة فقال يا أباهريرة فاشتهر به وقد بسطنا ترجمته في المرقاة شرح المشكاة والاوجه في وجه عدم انصراف هريرة في أبي هريرة هو ان هريرة صارت علما التلك الهرة ونقل التلمسانى في كنيته انه هل يجر أولا قال أبو الفضل قاسم بن سعيد العقبانى انه يجر ورواه عن الائمة المشارقة منهم ابن حجر يعنى العسقلانى وغيره الشيخ أبو عبد الله بن مرزوق وقال هريرة اسم جنس مصروف اضيف اليه فهو على ماهو عليه وهو جزء اسم وجزء الاسم يجر وذكر لى بعض اصحابنا ان ابا الفضل هو الذى افاد المشارقة صرفه فانهم كانوا لايجرونه فابدى لهم علة الجر واستحسنوها وصوبوها وقال قوم انه لايجرونه قال الشمنى المشرقى وأبو عبد الله من شيوخنا وألف فيه وقال انه بعد التركيب حدث فيه المنع لانه علم وفيه تانيث وهما مانعان ومنه قوله فى أبى خراشة

اباخراشة امانت ذانفر * فان قومى لم تاكلهم الضبع

وروى أبو شاة فى قوله فقال رجل يقال له أبو شاة واكتبوا لابى شاة بالوجهين وهو كابى هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو سيد العالمين وسند العالمين محمد بن عبد الله بن

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان على هذا النسب وقع اجماع الامة وقد ضبطت هذه الاسماء فى رسالتى المسماة بالمورد فى المولد وقد ولد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشعب وقيل بالدار التى عند الصفا التى بنتها زبيدة مسجدا

عبد البر وقد ذكره فى كتاب العلم وصرح بانه ابن أبى رباح كما رأيته فيه وعبارته قال قرأت على عبد الوارث بن سفيان بن قاسم بن اصبغ حدثهم قال حدثنا بكر بن حماد قال حدثنا مسدد قال حدثنا الوارث عن على بن الحكم عن رجل عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وساق الحديث والرجل الذى يرويه عن عطاء يقولون ان الحجاج بن ارطاة وليس عندى كذلك والحجاج بن ارطاة مشهور بالتدليس ورواه حماد بن مسلمة عن على بن الحكم ولم يقل به رجل وكذلك رواه عمارة الصيدلانى عن على بن الحكم عن عطاء عن أبى هريرة رضى الله عنه ثم ذكر له طرقا أخر وقال الحسن دخلنا فاغتممنا وخرجنا فلم نزدد الا غما اللهم اليك نشكو هذا الغثاء الذى كنا نحدث ان أجبناهم لم يفقهوا وان مسكنا عنهم وكلناهم الى غى شديد لولا ما اخذ الله على العلماء فى علمهم ما انبأناهم بشئ ابدا وكان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يقول لولا آيتان فى كتاب الله ماحدثتكم شيأ ان الذين يكتمون ما انزلنا والتى تليها الحديث انتهى * فاخذ المصنف رحمه الله ماقاله ابن عبد البر وقدم فيه وأخر وغير والمراد انه فى اصله صرح بان عطاء هو عطاء بن أبى رباح فما فى الحواشى ناشئ من عدم الوقوف على ماتقول الائمة (عن أبى هريرة) الدوسى وهو ممن غلبت كنيته اسمه ولذلك اختلف فيه وقيل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كناه بها لما رآه يحمل هرة فى كمه وقيل المكنى له غيره صلى الله عليه وسلم وفى اسمه اقوال نحو الثلاثين أشهرها انه عبد الله أو عبد الرحمن وكان اسمه فى الجاهلية عبد شمس واسلم عام خيبر وشهدها ولازم مجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صابرا زاهدا ولذا عد من احفظ الصحابة رضى الله تعالى عنهم وروى عنه مالم يرو غيره وفى البخارى عنه انه قال لم يحفظ احد أكثر منى الا عبد الله بن عمرو بن العاص فانه كان يكتب وانا لا اكتب وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعا له بالحفظ فلم ينس شيأ سمعه بعد والحديث فيه معروف ومات بالمدينة وقيل بالعقيق وفى الشروح الجديدة نقلا عن الحافظ ابن حجر ان هريرة مجرور بالكسرة لان المجموع علم منقول والمنقول يبقى على أصله قبل النقل لان جزء العلم غير علم فلا يخرج عن تنكيره وصرفه ولو اعطى مثله حكم العلم لم تدخل اللام فى مثل شمس الدين فيجوز أبو الهريرة وأبى هريرة بالتنوين وكونه غير منصرف للعلمية والتانيث لان المضاف والمضاف اليه ككلمة واحدة ورد عليه انه يلزمه رعاية الاصل والحال فى لفظة واحدة فيعرب باعراب المضاف اليه نظر الاصله ويمنع صرفه نظرا للحال ثم قال ان البرهان الحلبى قال هريرة لاينصرف لكثرة الاستعمال واطال فيه من غير طائل وانا اقول هذا كلام ناشئ من عدم التامل وهو مما يقضى منه العجب فان السماع فيه منع الصرف وكتب العربية مشحونة بنقله عن علماء العربية وهو مصرح به فى ايضاح ابن الحاجب وفى كتب ابن مالك ونقله شراح التسهيل واتفق عليه شراح الكشاف فانهم بقاطبتهم قالوا فى شهر رمضان المركب الاضافى اذا جعل علما فجزؤه الثانى هو المنظور اليه فى احكام العلمية ولزوم أل اذا قارنت الوضع وامتناعها فى غيره كابن داية وصرح به سيبويه وأبو على رحمهما الله تعالى وانما غرهم فيه كلام بعض المتاخرين من المغاربة تبعهم فى بعض حواشى المفصل انه لامانع من لمح اصله الا انه يأباه السماع وقد اشبعنا الكلام عليه فى السوانح فان اردت شفاء الغليل فانظره (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(من سئل عن علم) اى مما يتعين تعليمه وقيل الحديث ورد فى الشهادة وقيل فى تبليغ الرسالة عند الحاجة والاظهر ان المراد به العلم الشرعى كما قال به الحليمى وكثيرون يؤيده حديث ابن ماجه من كتم علما مما ينفع الله به الناس فى الدين الجمه الله بلجام من نار والعلوم الشرعية ما يستفيدون من الكتاب والسنة من اصولها وفروعها ومقدماتها التى تتوقف على معرفتها بقدر الحاجة اليها دون التوغل فيها (فكتمه) اى بعدما علمه (ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة) اى عند قيامهم من قبورهم واللجام بالكسر ما تلجم به الدابة ليمنعها عن النفور وشبه ما يوضع فى فيه من نار بلجام فى فم الدابة وهو انما كان جزاء امساكه عن القول الحق وخص اللجام بالذكر تشبيها له بالحيوان الذى يسخر ويمنع من قصد ما يريده فان العلم من شانه ان يدعو الناس الى الحق القويم ويرشدهم الى الطريق المستقيم وقد اخرجه ابو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى وقال الترمذى حسن واخرجه ايضا احمد وابن حبان والحاكم وصححه وفى حديث ابن مسعود فكتمه عن اهله وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كتم علما علمه الله او اخذ عليه اجراجىء به يوم القيامة ملجما بلجام من نار وقال الشافعى

ومن منح الجهال علما اضاعه

ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وسئل بشر عن هذا الحديث فقال اياى تعنى دع هذا اللجاج هنا حتى يأتى اهله فان نشره فى غير اهله كمنعه عن اهله وروى عن انس مرفوعا قال لا تطرحوا الدر فى افواه الكلاب يعنى الفقه والعلم فى ايدى الظالمين والمرائين وطالبى الدنيا وعن انس ايضا مرفوعا طلب العلم فريضة وواضع العلم فى غير اهله كمعلق الجوهر واللؤلؤ على الخنزير وروى مرفوعا ان عيسى عليه السلام قام خطيبا فى بنى اسرائيل وقال لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها عن اهلها فتظلموهم ومما ينسب لعلى كرم الله تعالى وجهه

وناشر العلم بين الجاهلين به * كموقد الشمع فى بيت لعميان

من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة) قال السيوطى رحمه الله فى تخريج احاديث هذا الكتاب هذا الحديث اسنده المصنف رحمه الله من طريق ابى داود واخرجه الترمذى وحسنه وابن حبان والحاكم وابن ماجه بسند صحيح من طريق محمد بن سيرين انتهى واسنده ايضا ابن عبد البر من طرق كما فى نقل عن الامام من انه لم يصح وعن غيره من انه ضعيف لا يلتفت اليه وفى الفاظ طرقه اختلاف ففى بعضها كتم علما مما ينفع الله به الناس وفى بعضها ثم كتمه بدل فكتمه والمراد كما قالوا بالعلم المتوعد على كتمه ما يلزم تعلمه ويتعين كتعليم حديث عهد باسلام ما يتعلق بالصلاة ومستفت فى الحلال والحرام ولا حاجة لتقييده باهلية السائل لحديث واضع العلم عند غير اهله كمقلد الدرر رقاب الخنازير لانه ليس على اطلاقه فان الافتاء فرض كفاية فان تعين كان فرض عين وقال الفقهاء ايد الله الدين ببقائهم يجب على الامام فى كل مسافة قصر ان يضع فيها من يعلم الناس امر دينهم ومن العلم ما هو فرض كفاية كالفقه وما هو فرض عين كمعرفة الله وما يجب له وما يستحيل عليه ومباح كالعلوم التى ليست بدينية وحرام كالسحر والشعبذة والكتم الاخفاء ولجام بزنة ركاب ما يوضع فى فم الدابة معروف وهو معرب لكام او لغام وقيل انه عربى لتصريفه كالجم وملجم وهو فى المعرب نادر والجمه اذا وضعه فى فيه والجمه الغرق اذا وصل الماء لفمه ويقال الجم اذا سكت قال ابو نواس

مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام   انما السالم من الـ * ـجم فاه بلجام

والالجام فى السكوت والغرق مجاز شاع حتى صار بمنزلة الحقيقة والجمه الغرق بمعنى اهلكه ابلغ من علا عليه الماء لما فيه من بيان سبب هلاكه بمعنى النفس والمقصود هنا انه يحرق جلته كما فى الجمه الغرق وان يراد احراق لسانه بدخول النار لفيه أو بوضع حديدة محماة فيه ويجعل ذلك علامة عليه كالحيوانات العجم فجوزى من جنس عمله لفظا ومعنى فهو مستعار لما يمنع الكلام كاللجام المانع من الجماح او هو مجاز مرسل والاستعارة التخييلية غير مناسبة هنا والباء بلجام للآلة او المصاحبة وقيل ان الله يخلق له صورة لجام من نار يوضع فى فيه وقيل انه تشبيه لما وصل لفيه من النار وخص اللجام لتشبيهه بدابة منعت عما تريده وهو تكلف وهذا لا ينافى قوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم الآية لان فى القيامة مواقف متعددة لكل منها حال يخصه يوم القيامة سمى به اليوم الموعود لقيام الناس فيه من قبورهم او لوقوفهم فيه كما يقال له الموقف وهو يوم الحشر والحساب من قام بمعنى ظهر * (تتمة وفائدة مهمة) * قال النووى فى الاذكار ذكر الفقهاء والمحدثون انه يجوز ويستحب العمل فى الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا واما الاحكام كالحلال والحرام والمعاملات فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح او الحسن الا ان يكون فى احتياط فى شىء من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع او الانكحة فان المستحب ان يتنزه عن ذلك ولكن لا يجب انتهى وخالف ابن العربى المالكى فى ذلك فقال ان الحديث الضعيف

الضعيف لا يعمل به مطلقا وقال السخاوي في كتابه القول البديع سمعت شيخنا ابن حجر رحمه الله
تعالى مرارا يقول شرائط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة الاول متفق عليه وهو ان يكون الضعيف غير
شديد كحديث من انفرد من الكذابين والمتهمين من فحش غلطه والثاني ان يكون مندرجا تحت اصل
عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له اصل اصلا والثالث ان لا يعتقد عند العمل ثبوته لئلا ينسب الى
النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله والاخيران عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد والاول نقل العلائي
الاتفاق عليه وعن احمد انه يعمل به اذا لم يوجد غيره وفي رواية عنه ضعيف الحديث احب الينا من
رأى الرجال وذكر ابن حزم الاجماع على ان مذهب ابي حنيفة ان ضعيف الحديث اولى عنده من الرأى
والقياس اذا لم يجد في الباب غيره فتحصل ان في العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب لا يعمل
به مطلقا يعمل به مطلقا يعمل به في الفضائل بشروطه وقيد ابن الصلاح رحمه الله تعالى جواز رواية
الضعيف باحتمال صدقه في الباطن وهل يشترط في الاحتمال ان يكون قويا ام لا فيه خلاف وظاهر
كلام مسلم رحمه الله تعالى انه اذا لم يكن قويا لا يعتد به انتهى وللعلامة الدواني في انموذجه على هذه المسئلة
اشكال اورده على القوم وحاول الجواب عنه بما زاده اشكالا وليس بشئ وهو انه قال اتفقوا على انه
لا يعمل بالحديث الضعيف ولا يثبت به الاحكام الشرعية ثم انهم ذكروا انه يجوز بل يستحب العمل
به في فضائل الاعمال كما في الاذكار وفيه اشكال لان جواز العمل واستحبابه من الاحكام الخمسة الشرعية
فاذا استحب العمل به كان ثبوت ذلك بالحديث الضعيف وهو ينافي ما تقدم ويناقضه وحاول بعضهم
التفصي عنه بان المراد انه يجوز روايته وهو لا يرتبط بما قالوه والذي يصلح للتعويل عليه ان يقال اذا وجد
حديث في فضيلة عمل من الاعمال لا يحتمل الحرمة والكراهية يجوز العمل به ويستحب لانه مأمون
الخطر ومرجو النفع اذ هو دائر بين الاباحة والاستحباب فالاحتياط العمل به رجاء للثواب فان دار بين
الحرمة والاستحباب لا يعمل به وان دار بين الكراهة والاستحباب فلينظر ايهما اقوى خطرا يرجع
اليه وان دار بين الاباحة والاستحباب فهو اسهل لان المباح يصير بالنية مستحبا فجواز العمل به
واستحبابه مشروط بعدم احتمال الحرمة الا انه اذا لم توجد الحرمة فجواز العمل به ليس لاجل الحديث
على ان الاباحة ايضا من الاحكام الخمسة فالحق ان الجواز معلوم من خارج والاستحباب معلوم من
القواعد الشرعية الدالة على استحباب الاحتياط في الدين فلم يثبت شئ من الاحكام بالحديث انتهى
* اقول اذا احطت خبرا بما قدمناه في كلام الحافظ السخاوي عرفت ان ما قاله الجلال مخالف لكلامهم
برمته وما نقله من الاتفاق غير صحيح مع ما سمعته من الاقوال والاحتمالات التي ابداها لا تفيد سوى
تسويد وجه القرطاس والذي اوقعه في الحيرة توهمه ان عدم ثبوت الاحكام به متفق عليه وانه يلزم
من العمل به في الفضائل والترغيب انه يثبت به حكم من الاحكام وكلاهما غير صحيح اما الاول فلان
من الائمة من جوز العمل به بشروطه وقدمه على القياس واما الثاني فلان ثبوت الفضائل والترغيب
لا يلزمه الحكم الا ترى انه لو روى حديث ضعيف في ثواب بعض الامور الثابت استحبابها والترغيب
فيه او في فضائل بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم او الاذكار المأثورة لم يلزم مما ذكر ثبوت حكم
اصلا ولا حاجة لتخصيص الاحكام والاعمال كما توهم للفرق الظاهر بين الاعمال وفضائل الاعمال واذا
ظهر عدم الصواب لان القوس في غير يد باريها ظهر انه لا اشكال ولا خلل ولا اختلال (فبادرت) بادر
فاعل بمعنى فعل والمبادرة العجلة الى فعل ما رغب فيه وهو يتعدى بنفسه وبالى يقال بادرته وبادرت اليه
ولما كانت الفاء لا تدخل في خبر كان لا سيما اذا كان ضميرا فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها قالوا انه
معطوف على مقدر هو الخبر المتعلق به قوله لما اي لكني اجبتك لما رجوته فبادرت

(فبادرت) عطف على
الخبر المقدر لقوله لكني
قبلت وما تأخرت بل
اقبلت فبادرت

الى آخره (الى نكت) أى الى جمع نكت وتاليفها ونكت جمع نكتة كنقط ونقطة ويجمع أيضا على
نكات بالكسر كبقعة وبقاع وعليه اقتصر فى القاموس وسمع فيه أيضا نكات بالضم وقيل ألفه للاشباع
والنكتة المعنى الدقيق النادر والكلام القليل الحسن وهى فى الاصل فعلة من النكت وهو النبش
الخفيف فى التراب بعود ونحوه والانسان يفعله اذا تفكر فى أمر خفى فنقلت لما ذكر اما لتأثيره فى النفس
أولانه يحتاج لفكر وتامل أوهى منقولة من النكتة بمعنى نقطة من لون تخالف ماهى فيه اما لدقتها فى
النظر بالنسبة لما هى فيه أولمخالفتها لغيرها من الكلام وماقيل من أنها تطلق على قليل صدا فى وجه
المرآة أو السيف كالوسخ كما ورد فى حديث الجمعة لايناسب المقام مع انه مأخوذ مما مر (مسفرة) وفى
نسخة سافرة وفى أخرى مسفرة سافرة بالجمع بينهما وهو الكشف مطلقا وقوله فى القاموس سفرت المرأة
كشفت عن وجهها تمثيل لاتخصيص حتى يكون تجريدا كما قيل لقوله تعالى والصبح اذا اسفر وفى
المقتفى سفر بمعنى كشف قال * سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومالن غصونا والتفتن جآذرا
وعلى نسخة سافرة مسفرة ينبغى ان يتغاير فسفرة بمعنى مشرقة مضيئة وسافرة بمعنى كاشفة للغرض
بحيث لايحتاج لكتاب آخر قيل وفى وصف النكت بالاسفار لطافة ونكتة أى لانها تكشف ماتحت
التراب وهو أمر سهل (عن وجه الغرض) الوجه بمعنى الجهة المقصودة والوجه الذى به المواجهة
ويستعار لخيار الشئ وأوله ولرئيس القوم والغرض بغين وضاد معجمتين بينهما راء مهملة مفتوحة
كاوله الهدف ويتجوز به عن الفائدة المقصودة من الشئ أوهو حقيقة عرفية لكونه مقصدا وهو قبل
الشيوع استعارة أو مجاز مرسل من استعمال المقيد فى المطلق أو الشئ فى لازمه والنكت المسفرة
العبارات الدالة على المراد والوجه ان كان بمعنى الجارحة ففى الغرض استعارة مكنية يرشحها سافرة أوهو
استعارة أيضا (مؤديا من ذلك الحق المفترض) مؤدى اسم فاعل من أداه تادية اذا أوصله من الاداء وهى
حال من فاعل باردت أو من وجه الغرض والاشارة على الاول للغرض الذى هو تعريف حق المصطفى
صلى الله تعالى عليه وسلم ومن الداخلة عليه بيانية بناء على جواز تقدمها على المبين أو تبعيضية لان
حق المصطفى أكثر من أن يحيط به كتاب وهو الحق وعلى الثانى الاشارة للحق الذى هو نعت اسم الاشارة
وهو على الوجهين مفعوله لتعديه لمفعولين والثانى على الاول الحق والمفترض صفته وعلى الثانى هو
المفترض ويصح ان يفسر هنا بموصلا الى السائل مراده أو قاضيا لحقه كانه ليقين اجابته عليه دين فى ذمته
يلزمه أداؤه والافتراض افتعال من الفرض والمراد به اللازم جعله فرضا مبالغة والكلام فى الفرض
والواجب مشهور ولا فرق بينهما عند الشافعية وعندنا ما ثبت بنص قطعى فرض وغير واجب وما ثبت
بدليل ظنى واجب وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر واعتقاد ما فى هذا الكتاب واجب جملته لا بيانه
كتابة وتاليفا ولذا قيل انه هنا فرض كفاية وأعاد المصنف رحمه الله تعالى اللام الجارة فى قوله لما اشارة
الى استقلال كل منهما بالعلية لاجابة سؤاله ولاشك فى كفاية كل واحد منهما فان الاجر الجزيل والعطاء
الجليل اذا ترتب على فعل يكفى فيه تقريره وان لم يدون والمقصد اذا كان له طريقان فالسالك مخير فى
سلوك أيهما شاء لاسيما وهذه الطريق أكثر ثوابا وأحسن لعدم انقطاعها وفى الحديث اذا مات
ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أوولد صالح يدعوله أو علم ينتفع به وأما كراهة بعض
السلف تدوين الكتب فلاصحة له على اطلاقه فان السلف على خلافه وقد أمر عمر بن عبد العزيز رضى
الله تعالى عنه وناهيك به الزهرى بتدوين الحديث وكتابته كما فى البخارى وكان مالك أول من صنف
فى الحديث لا أول ما كتب منه فان من الصحابة رضى الله تعالى عنهم من كتبه كما مر ولذا حكى بعضهم
الاجماع على جوازه وانما منع بعضهم منه فى العصر الاول لخوف التباسه بالقرآن اذلم يكن حينئذ

(الى نكت) بضم ففتح
جمع نكتة وهى ماخفى
ادراكه حتى يفتقر الى
تفكر ونكت فى الارض
أى طعنها وأما قول بعض
هى كل نقطة من بياض
فى سواد وعكسه فليس
فى محله المراد أى الى بيان
لطائف (مسفرة) بكسر
الفاء أى مضيئة ومنيرة
وموضحة ومبينة وفى
نسخة سافرة أى كاشفة
(عن وجه الغرض) أى
المطلب والمقصد (مؤديا
من ذلك) أى حال كونى
مؤديا من أجل ماذكر
(الحق المفترض) بفتح
الراء

يدون غيره مع عدم الاحتياج له فسقط ما قيل من ان العلتين الاخيرتين لا يقتضيان المقصود هنا
واقتضاء اعادة العامل الاستقلال في غاية الظهور فلا حاجة لاثباته كما قيل (اختلستها) الاختلاس
الاخذ بسرعة خفية فقوله (على استعجال) تأكيد او تجريد فان فسر بالاخذ خفية او بالاستلاب كما في
القاموس فهو تاسيس ومنهم من أخذ فيه قيد القهر أو المكابرة ففيه لطف لجعله كالمحارب للزمان لينال
فرصة ينتهزها كما قيل   انتهز الفرصة ان الفرصه * تصير ان لم تنتهزها غصه
وفي المقتنى اختلسوها بضمير الجمع وتكلفوا التوجيه بان المراد ان القوم اختلسوها من يد العوائق وانا
تلقيتها منهم ودونتها وصحح رواية هذه النسخة وقال السيد المشهور خلافه وهو اوجه لا الصواب كما توهم
(لما المرء بصدده) المرء مثلث الميم الانسان وفسره بعض اللغويين بالرجل والاول اظهر وليس هذا
التفات ولا تفنن لان المراد التعميم ولذا لم يقل لما أنا والصدد بفتحتين ومهملات بمعنى المقابلة أو القرب
والثاني أقرب وهو تعليل للمبادرة والاستعجال أو للاختلاس يعني انه أسرع فيه لخوف ان تحول
العوائق بينه وبين مراده (من شغل البدن والبال) الشغل بضم الشين المعجمة ويجوز فتحها والغين
المعجمة المضمومة واسكانها يقال شغله اذا عاقه واشغله بالهمزة لغة رديئة وكتبه بعض أعمال الصاحب
له في رقعة فوقع عليها من يكتب اشغالي لا يصلح لاشغالي ولا وجه لترديد صاحب القاموس فيه
والبدن معروف والبال له معان منها الفكر والحال والقلب وهو أقرب هنا ولو فسر بالقلب صح أي
الامراض والهموم عائقة عما يريد وقلما يخلو عاقل من مثله فان الهموم بقدر الهمم (بما طوقه) ماض
مجهول بضم الطاء المهملة وكسر الواو المشددة ويتعدى لمفعولين أولهما المستتر القائم مقام الفاعل
والثاني ضمير الغائب وهو من الطوق بمعنى الطاقة والوسع فالمعنى بما كلف وابتلي به أو طوق العنق
فهو استعارة لما الزم به ومنه طوق الحمامة لبياض في عنقها كما قال المتنبي

اقامت في الرقاب له أياد * هي الاطواق والناس الحمام

وهذا ورد في كلام العرب لكل أمر لازم محمودا كان أو مذموما وقوله في كشف الكشاف انه لم يرد الا في الذم
لا وجه له لانه سال حاتما ابن له عن ابل له أفناها القرى فقال له طوقتك مجد الدهر طوق الحمام كما ذكره
في مرآة الزمان ويأتي له في الفصل الثالث مزيد بيان في الشرح هنا كلام طويل بغير طائل (من مقاليد
المحنة) بيان لما والمقاليد اما جمع لا واحد له من لفظه أو واحده مقليد أو مقلاد أو اقليد وهو معرب اكليد
بمعنى القفل ومعناه بعد التعريب المفتاح أو الجزء منه والاول أنسب باصله وورد بمعنى الحبل المفتول
ومنه ضاقت مقاليده أي أموره هذا محصل ما قالوه في معناه وحينئذ فالمراد به ما كلفه ولزمه من الامور
الشاغلة ومنه تقليد الاعمال السلطانية من الامور الدنيوية على انه ماخوذ من المعنى الاول والثاني لانها
كالمفتاح لغيرها أو اسباب لغيرها أو كالخزانة أو كالحبل المفتول في عنقه الذي يربطه على ما كلف به
ويعوقه عن السعي فيما يريده أو هو كناية عن كل محنة لان من أعطى مفتاح شئ فكأنه مسلم له فالمعنى
انه ابتلي بجميع المحن أو بكثير منها فان فسر طوقه بجعله طوقا له أو جعلت المقاليد بمعنى الحبال المفتولة
وجعل كونها في خناقه بمنزلة العقود والاطواق التي يتحلى بها على انه استعارة تهكمية كما قاله السهيلي في
قوله تعالى في جيدها حبل من مسد كان وجها وجيها واما جعل المقاليد بمعنى القلائد لاقتضاء التطويق
له كما قيل فلو ساعدته اللغة كان حسنا والمحنة اسم للامتحان بمعنى الاختبار والتجربة ويكون بمعنى
المصيبة أو البلية اما لان المرء يختبر بها فيعرف صبره وتجلده أو لان الله يختبر بها عباده أي يعاملهم
معاملة المختبر ليجزيهم الجزاء الاوفى أو لان المبتلى بها يختبر بها زمانه وأصدقاءه واخوانه

جزى الله المصائب كل خير * عرفت بها عدوي من صديقي

وفي المقتنى المراد بالمحنة هنا مباشرة القضاء الذي ابتلي به المصنف رحمه الله تعالى وكانه صح له بنقل عنه

(أختلستها على استعجال) وكان الاولى ان يقول الاستعجال ليلائم تعريف البال وفي نسخة اختلسها بالمضارع المتكلم ووقع في نسخة اختلسوها بالواو أي المفروض من نشر العلم واظهاره لاسيما بعد السؤال وتكراره وهو خطا ظاهر ثم الاختلاس بالخاء المعجمة اختطاف الشئ بسرعة ففي الكلام تاكيدا وتجريد (لما) بكسر اللام علة للمبادرة أو الاختلاس وما موصولة أي للامر الذي (المرء بصدده) أي في سبيله مما استقبله (من شغل البدن والبال) أي من الاشتغال المتعلق بالقالب والقلب والمال والحال وحسن المآل ثم الشغل بضمتين وبضم فسكون وقرئ بهما في السبع وبفتح فسكون وقيل بفتحتين ضد الفراغ والبال بالموحدة القلب والحال ويصح ارادة كل منهما خلافا لما قاله الحلبي من ان المراد به الاول لذكر البدن (بما طوقه) أي الانسان كما في نسخة صحيحة هو بضم طاء وكسر واو مشددة أي بسبب ما حمله الله وكلفه وفي نسخة صحيحة بما قلده الانسان أي الزمه كالطوق في عنقه (من مقاليد المحنة) أي مفاتيح المشقة والدالة

فانه ثقة والقضاء أعظم مصيبة لكونه على خطر عظيم (التى ابتلى بها) صفة كاشفة أو مؤكدة ان فسرت المحنة بالبلية والابتلاء مختص بما يسوء الناس وان كان فى الاصل بمعنى الاختبار والمرء قد يختبر بما يحب لينظر هل يشكر وبما يكره لينظر هل يصبر أم لا فالبلاء يكون حسنا وسيئا ولذا قيل ابلى بلاء حسنا فالصفة حينئذ مخصصة (فكادت تشغل عن كل فرض ونفل) أى عوائق الدهر ومحنه قاربت ان تعوقه عما يهم من أمور الدين ولم يقل شغلت لانه غير واقع والادعاء ليس بمناسب للمقام وتشغل بفتح المثناة الفوقية والغين المعجمة الحلقية بمعنى تعوق وضم التاء وكسر الغين لغة رديئة وقال كل فرض ليدخل فيه المطلوب والفرض والواجب والمكتوب متقاربة المعانى وقد فرق بينها كما مر بان الاول ما ثبت بدليل قطعى وغيره بخلافه وقيل الفرض ما لا خلاف فيه أو ثبت بذلك والنفل والسنة والمستحب والتطوع ما لم يطلب طلبا جازما ومنهم من فرق بينها كما فصل فى محله (وترده بعد حسن التقويم الى أسفل سفل) أى تردنى تلك الشواغل والعوائق بعد حسن ونضارة روض شبابى واستقامة غصن قوامى لعكس ذلك من تعويج قناتى وتصوب ماء حياتى أو تعدل بى عن الطريق المستقيم المستبين الى أسفل سافلين وسجن سجين لبيئة لها عن عبادة رب العالمين أو المراد ترد نوع الانسان بعد ما كان فى أحسن صورة مستجمعا للخواص الكائنات لانه النسخة الكبرى قائما بوظائف عبوديته الى ضد ذلك لان المراد بقوله السابق لما لمربه صدد ما استعد له كل أحد بالطبع فى أمور دينه ودنياه وذكر الامر العام المسلم يقتضى دخول المتكلم فيه بطريق برهانى وهو ابلغ واسفل سفل كاسفل سافلين وقد فسره المفسرون بالنار وارذل العمر والهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة والمراد هنا الاخير وفيه لف ونشر بقوله بما طوقه ناظر لشغل البال وترده الخ لشغل البدن فانه نهاية ضعفه وظهور عجزه فان فسر بالنار على ان شغل البدن داخل فى المحنة والمشغول عن جميع الفرائض والنوافل من أهل الدرك السافل وليس هذا المصنف ولا الانسان معين بل للجنس كقوله تعالى ان الانسان لفى خسر ومع ذلك كان فى الاثبات نفى فلا يرد عليه شئ كما يتوهم وهو لم يذكر الآية حتى يرد عليه ما قيل المراد بالتقويم الاستقامة فى الدين واسفل سفل اتباع الهوى وايثار الدنيا على مرضاة ربه كا كثر من تولى القضاء وهو المذكور فى قوله تعالى ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فهو الاسفل هنا لا المذكور فى سورة التين لانه غير ملائم هنا لاختصاصه بالكفرة وقد مر لك ما يتضح به ما فى هذا الكلام من الخلل والسفل ضد العلو يكون حسيا ومعنويا ثم شرع فى التاسف على ما ابتلى به نوع الانسان وعلى ما ضاهاه بما ابتلى به هو فى نفسه فقال (ولو أراد الله بالانسان خيرا) أى لو أراد الله تعالى بجنس الانسان وجميع افراده خيرا حتى أكون مندرجا فيهم وخيرا بمعنى خير محض بحيث لا يصدر عنه سواه كما قال الله تعالى ولو شاء لهداكم أجمعين وهذا مراد من قال خيرا كاملا ومن ظن تغايرهما فقد وهم اذ الخير انما يكمل اذا لم يكن معه شر كما لا يخفى (لجعل شغله) فاعل شغل المستتر الظاهر انه لله ويجوز ان يكون للانسان واما الضمير المضاف اليه فهو للانسان لا غير والمراد بشغله ما يشغل به نفسه من افعاله وأقواله لوقوعه فى مقابلة همه وقيل المراد به ما يشغل قلبه وقالبه من العبادة فان منها قلبية كمعرفة الله وبدنية كالحج فلا وجه لتخصيصه (وهمه) أى ما يهتم ويعتنى به أو ما يعزم عليه عزما مصمما من هممت بالشئ اهم بالضم من باب قعد يقعد فعطفه على الاول من قبيل عطف المتغايرين وعلى الثانى

(التى ابتلى بها) بصيغة المجهول والظاهر انه أراد بالمحنة جميع الامور التكليفية والحوادث الكونية النازلة على الافراد الانسانية والحلبى حملها على محنة مباشرة الاحكام والقضاء وأورد حديث من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين رواه أصحاب السنن الاربعة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وقال الترمذى حسن غريب وقال الحاكم صحيح الاسناد وفى رواية للنسائى من استعمل على القضاء فكانما ذبح بالسكين وقال التلمسانى أراد المصنف بذلك كونه فى حيطة القضاء التى هى محنة وبلية كما قال بعضهم (فكادت) اى قربت مقاليد المحنة (تشغل) أى الانسان (عن كل فرض ونفل) وهو بفتح التاء والغين واما اشغل فهو لغة جيدة أو قليلة أو رديئة على ما فى القاموس (وترد) أى وكادت ترد السالك (بعد حسن التقويم) أى باستقامته على الطريق القويم (الى أسفل سفل) وهو بضم السين وكسرها ضد العلو والمعنى الى قبح التنزيل بارتكاب الفعل الذميم ايماء الى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم أى من الفطرة المستقيمة ثم رددناه أسفل سافلين أى من ارتكاب المعصية الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون يعنى وهم فى أعلى عليين وثوابهم غير مقطوع فى كل زمان وحين (ولو أراد الله بالانسان) أى بفرد من هذا الجنس وفى نسخة بعبده (خيرا) أى فى تحصيل كماله وتحسين مآله (لجعل شغله) أى جعل اشتغال خاطره (وهمه) أى ما يهتم به الانسان ويروى ووهمه أى باله يعنى اهتمام باله

من عطف الخاص على العام ويجوز ان يراد به الحزن فهو من عطف المتغايرين والحزن وبينهما فرق وقد يجيئان بمعنى لكن الاول أقعد لان هذا لا يلائم ما بعده لان الحزن لا يكون الا مستقبلا ولذا احتاجوا لتاويل قوله انى ليحزننى ان تذهبوا به وأيضا الحزن لا يكون فيما يحمد الا بتكلف كاعتبار فواته فمن اقتصر عليه فقد قصر حيث قال الهم الحزن والمراد بالشغل الفعل الاختيارى والحزن انفعال النفس لخوف ماسيأتى وليس المراد به الارادة كما توهم من وهم بكذا اذا أراده فان كلام المصنف مقتبس من الحديث وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فان من كانت الدنيا أكبر همه أنساه الله صنيعته وجعل فقره بين عينيه ومن كانت الآخرة أكبر همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع شمله وأتته الدنيا راغبة ولا يخفى ان ما فسر به الحزن غير مستقيم وان لكلام المصنف رحمه الله معنى آخر بدليل سياقه وسباقه مع ان الهم فى الحديث أيضا يجوز أن يكون بمعنى الارادة ويعضده ما وقع فى بعض طرق الحديث وكانت الآخرة نيته فتدبره وقوله (كله) تأكيد للشغل والهم معا أو تأكيد للثانى وتأكيد الاول مقدر كما قيل ولم يتعرض صاحب المغنى فى أنواع الحذف له فان حذف التأكيد ينافى المقصود منه مع انه لا مانع منه ويجوز جعله تأكيدا للثانى كما قيل لان الهم اذا لم يكن فى شئ يدل على عدم الاشتغال به بفحوى الخطاب وجعل مبنى للفاعل وبناؤه للمجهول خلاف الظاهر وان احتمل وقوله (فيما) متعلق بجعل أو بالشغل والهم على التنازع فيقدر فى أحدهما (يحمد غدا أو يذم محله) بفتح الحاء لا بكسرها فانه غير مناسب هنا وهو بمعنى المكان الذى يحل فيه وسيأتى المراد منه والحمد والذم ضدان معروفان والغد اليوم الذى بعد يومك ويكون بمعنى المستقبل مطلقا وقد يراد به يوم القيامة وهو المراد هنا وفى المثل لكل يوم غد وأما قوله * وسوف ترى يوما وليس له غد * فهو كناية عن يوم الموت وأصله غدو وربما جاء على الأصل فى ضرورة الشعر كقول ذى الرمة

وما الناس الا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

وفى الشروح يجوز فى يحمد ويذم أن يبنيا للفاعل وينصب محل على التنازع ويجوز بناؤهما للمجهول والرفع وضميره لله أو للانسان أيضا والمحل مكان الاقامة * وليس المحل بمعنى كالمقام فى قول الشماخ

وماء قد وردت بغيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

وهذا هو الظاهر الا ان زيادة الاسماء ممنوعة ولذا قيل ان حمد المحل وذمه كناية عن حمده وذمه فى نفسه على أبلغ وجه أو بجعل حمد جزائه وذمه كحمده فتجوز فى نسبته وقيل المراد بمحله من صدر عنه وعبر به عن الفاعل ايماء لما عليه الاشعرى رحمه الله من أن الفاعل الحقيقى هو الله والعبد محل للكسب ومباشرته لما خلقه الله وأوجده * فان قلت كيف يكون شغل العبد الذى يريد الله به خيرا مما يذم وهو الحرام وما يقرب منه * قلت أجيب بان الشغل أعم من الشغل بالفعل وبالترك فيشغله فيما يحمد بفعله وفيما يذم بتركه فيجعل شغله واهتمامه بفعل ما يحمد من الواجب والمندوب وترك ما يذم من الحرام والمكروه وقيل انه تكلف والمراد بالشغل بما يذم اشتغال قلبه به ويؤيده عطف الهم عليه فالاشتغال بالطاعة بفعلها وبالمعصية الحذر منها ولا يخفى انه لا فرق بينه وبين ما قبله وقد يقال الاشتغال فيما يحمد والهم بمعنى الحزن فيما يذم وهو حسن أو التقدير فى معرفة ما يحمد ويذم كما قيل

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

ولك أن تقول المراد بما يحمد ويذم الامور المهمة التى من شانها ذلك يعنى ان اشتغاله وهمته فى معالى الامور دون سفسافها وغدا قيد لهما كما هو معروف فى القيد المتوسط وقد يفسر غدا بالمستقبل للانسان بعد موته كما قيل

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

(كله فيما يحمد) بصيغة المعلوم أى فى فعل مامور وترك منهى مما يمدحه الانسان (غدا) أى يوم القيامة (أو يذم) أى مما يكره السالك (محله) بفتح الحاء ويجوز كسرها والحاصل أن يكون شغله وهمه فى بيان الامر الممدوح والمذموم بان يرتكب الاول ويجتنب الثانى وقال الشمنى أى فيما يحمد بفعله واجبا كان أو نفلا أو فيما يذم بتركه وهو الواجب انتهى وبعده لا يخفى وفى نسخة صحيحة ولا يذم بصيغة المجهول فيه وفيما قبله وهو ظاهر جدا ومحله مفعول ليحمد ويذم على التنازع خلافا للتلمسانى حيث جعل العائد على الموصول فيما يحمد منصوبا محذوفا وأما بناء الفعلين على صيغة المجهول ورفع محله كما قاله الدلجى فخل للتسجيع بقوله كله

او يقدر مثله في الثاني واذا اشتمل الشغل القلبي فاولا تاباه ولا حاجة لجعلها بمعنى الواو وقيل المراد بما يحمد ويذم التجرد عن العلائق مما يحمد في القيامة ويذم اليوم لفقر صاحبه غدا قيد للاول فقط او لتغاير محليهما وفاعليهما وفي بعض النسخ محله مرفوع نائب عن الفاعل وجعل مجهول وما بعده مرفوع ايضا رعاية للفاصلة وهو متجه ايضا وفي بعض النسخ او لا يذم بزيادة لا فيه على ان ما يحمد الطاعات وما لا يذم المباحات اى شغله وهمه المباحات او الطاعات فلا يلزم وقوع او بين المترادفين لبعده الان همه في المباحات لا يناسب المقام فان نصب روى الاولى وبنى جعل للفاعل نصب محله على الظرفية اشارة الى اعتبار الزمان والمكان في كليهما كما قيل في قوله تعالى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا اذ لم يقابل الضر بالنفع والرشد بالغي والاظهر ان يقال انه لما ذكر انه مطوق بالمحن الشاغلة عن الخيرات عقبه بان هذا مقتضى النظرة الاولى ومن اراد الله به خيرا صرفه عن الالتفات الى المصائب وجعل شغله مقصورا على كسبه الخير وحزنه على ما فرط فيه من اشتغاله بما يذم فانه قل ما يخلو منه احد ومن حاسب نفسه قطع العلائق ولم تقعده العوائق كما قيل

اراك تطلب دنيا لست تدركها ＊ فكيف تدرك اخرى لست تطلبها

(فليس ثمه) بفتح المثلثة والميم المشددة وهو اسم اشارة مبني على الفتح وترسم بهاء السكت لانها ملحقة في الوقف وقيل انها تاء تأنيث في لغة قليلة واختلف فيه هل هو موضوع للبعيد أو القريب وكل منهما صحيح هنا وفي شرح التسهيل كونها للقريب أقرب وهي من قولهم ومن ثمه كان كذا اشارة لمعنى يكون منشأ لغيره وكذا فسروها بمن أجل وهو استعارة بجعل منشأ الشئ كمكانه ويؤخذ منه التعليل فان كانت من تعليلية فهو ظاهر وان كانت ابتدائية فالتعليل يفهم من السياق كما أفاده شيخنا رحمه الله تعالى في الآيات البينات والفاء فصيحة أو تعليلية تفريعية والاشارة للدار الآخرة ومكان القيامة كما قيل لانها نصب عين المؤمن وهي تعلم من قوله غدا والاحسن انها اشارة الى الزمان الدال عليه فانها قد يشار بها اليه أى اذا انكشف الغطاء في ذلك اليوم عرفت انه ليس فيه غير ما ذكر (سوى حضرة النعيم) سوى بمعنى غير والحضرة مصدر حضر ضد غاب كالحضور وفي النهاية حضرة الرجل قربه ويكون بمعنى المجلس والفناء والكتاب في الانشاء يستعملونه للتعظيم كالمقام العالي وحضرة الخليفة تأدبا باضافة ماله لمحله فالمراد هنا تعظيم النعيم أو المراد به الجنة لمقابلته بالجحيم والنعيم المسرة والترفه في العيشة وفي نسخة نضرة النعيم أى بهجته وحسن منظره (أو عذاب الجحيم) العذاب العقاب الشديد والجحيم المكان الشديد الحر والنار المتاججة واسم لجهنم والاضافة لامية لا بمعنى في ولا لادنى ملابسة كما قيل لانه عدول عن الظاهر بغير فائدة والحصر بالنسبة لما يجزى به المرء أى ليس في الآخرة الا احد هذين الامرين وليس فيها تصرف لاحد فينبغي الاهتمام بامرها وبهذا ظهر المراد وانه ينبغي للعاقل ان لا يزال مفكرا في الآخرة ومعرفة ما يذم ويؤدي للعذاب الاليم وما يحمد فيؤدي للنعيم المقيم فيدأب في الطاعة والعمل الصالح حتى تحمد عاقبته وعذاب بالجر عطف على حضرة أو النعيم تهكما به والاول أولى وهذا اما بناء على عدم الاعتراف أو بادخاله في النعيم باعتبار المآل للنعيم أو بعده نعيما بالنسبة للجحيم (ولكان عليه بخويصته) وفي نسخة بخويصة نفسه وهو عطف على جواب لو وأعاد الكلام فيه اشارة الى انه جواب آخر مستقل وليس من تتمة ما قبله والضمير المستتر في كان للانسان وجعله لله بتقدير لكان الله متصرفا في شانه ايلزم خويصته تعسف من غير داع وعليه متعلق بمقدر وكذا بخويصته اى لكان الواجب عليه اهتمامه بنفسه لانه لما ذكر انه استعجل بما طاب من الخير وخاف من محن الدهر الشاغلة عنه وعروض ما يضعف عزمه وبدنه العائق عنه وعن غيره من العبادة

(فليس ثم) بفتح فتشديد ويوقف عليه بلا هاء السكت كما في قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت وقال التلمساني والث الاتيان بهاء السكت وهو الاكثر اى هناك غدا (سوى حضرة النعيم) اى حضوره وفيه اشارة الى قوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا وفي نسخة صحيحة نضرة النعيم واقتصر عليه التلمساني اشعارا الى قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم اى بهجته وحسنه وابعد من قال انه اضافة الشئ الى نفسه ويمنعه البصري ويجوزه الكوفي على ماذكره التلمساني (او عذاب الجحيم) اى لانحصار المنزلتين كما قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم (ولكان) عطف على لجعل (عليه) اى لوجب عليه الاشتغال (بخويصته) بضم ففتح فشددة تصغير خاصة والمراد بها نفسه او الامر الذي يختص به من المهمات الدينية والدنيوية وروى بخويصة نفسه وقد قيل المراد بها الموت وفيه ايماء الى قوله تعالى عليكم انفسكم والى ما ورد عليك بخاصة نفسك ودع عنك امر العامة ومن غريب ما وقع ان بعض الناصحين قال لمن كان في صدد ان يكون من السلاطين عليك بخويصة نفسك فلما تولى بعد مدة من الزمان قال اقتلوه

كالقضاء

كالقضاء وأمور الدنيا عقبه بان من يرد الله به خيرا وفقه لاشتغاله بما هو خير لان ما آله لجزاء عمله من خير وشر فينظر ما يقدم عليه و يتقيد باصلاح نفسه بالعمل الصالح والعلم فيدع العوائق من أمور غيره وأمور نفسه التى لا تهمه فان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فعلى هذا عليه ليس مفعولا للامر وقيل انه اسم فعل للاغراء وهو الحث والطلب لانه يقال عليك وعليه وعلى بمعنى الزم والاخير شاذ وعلى هذا يتعدى بنفسه وقد يتعدى بالباء نحو عليك بذات الدين فيفسر بما يناسبه وقال الرضى الباء زائدة وهى تزاد كثيرا بعد أسماء الافعال لضعفها فى العمل لانه فسر على بناء ولين وعليه بيلزم وقال ابن عصفور فى حديث من لم يستطع فعليه بالصوم الصوم مبتدأ خبره عليه والباء زائدة واعترض بانه يقتضى ايجاب الصوم وزيادة الباء فى مبتدأ غير حسب وفيه كلام طويل فى كتب العربية فعليه متعلق بمقدر أو اسم فعل و بخويصة متعلق بمقدر كامر أو بعليه أو هو مبتدأ والباء زائدة وعليه خبر مقدم لتأكيد الحصر والجملة خبر كان كما بيناه وخويصة بضم الخاء وفتح الواو وسكون الياء لان ياء التصغير لا تحرك وصاد مهملة تصغير خاصة وهى ما يختص وحيث وقع خويصة مع النفس وأريد به النفس لم يرد الا مصغرا والتصغير للتقليل والتحقير وقد يرد لغيره والاول هو الاصل ففيه اشارة الى أن من تقيد بنفسه قلت أموره وخفت أحواله فلم يصرف زمانه الا فى المهمات وفى الحديث عليك بخويصة نفسك فالمراد بالخويصة النفس واضافتها لتغاير اللفظ والمفهوم كعرق النساء أو هو من اضافة العام للخاص كمدينة بغداد والمراد عوارضها الذاتية المختصة بها و بنفعه دون الناس وما لا يفيد وقيل هو ذكر الموت وتهيئة أسبابه ولا يخفى بعده (واستنقاذ مهجته) المهجة لها معان منها الروح وهو المراد والاستنقاذ والانقاذ التخليص أى عليه بتخليص روحه من العذاب باصلاحها وصونها عن القبائح (وعمل صالح يستزيده) الاستزادة طلب الزيادة وليس الطلب مرادا بل المراد المبالغة فى زيادته ويجوز ابقاؤه على أصله و وصفه بالزيادة اشارة الى أنه ليس بفرض والصالح المحمود شرعا وقدمه على العلم لانه المقصود أولا للترقى (وعلم نافع يفيده أو يستفيده) من العلوم الشرعية وما لا بد منه كالعقائد الحقة وقدم الافادة وان كان مؤخرا عن الاستفادة لانها أنسب بالمقام وأشرف (جبر الله صدع قلوبنا) الجبر اصلاح ما انكسر ومنه الجبيرة والصدع الشق وهو الكسر الذى لم يبن فى الاجرام الصلبة كالزجاج والعظم وفيه اشارة الى أن هذه القلوب كالحجارة قسوة ففيه استعارة فى الجبر أو تجوز بالاطلاق فى المقيد أى أزال الله ما فى قلوبنا من النقائص وأصلح ما فيها من العيوب والاحسن ان يقال دعاء بان يزيل الله ما فى قلبه من الغفلة والقسوة المانعة عن قبول ما ينفعه فشبه القلوب القاسية باناء صلب مكسور لا يقر فيه شئ ففيه استعارة مكنية فى قلوبنا وتخييلية فى صدع والجبر ترشيح وهذا أولى مما فى الشروح (وغفر عظيم ذنوبنا) من اضافة الصفة للموصوف بحسب الاصل وخص العظيم اما لان الصغائر من الله بغفرتها بالمكفرات المشهورة كالصلوات الخمس ونحوها أو لان من يغفر الذنب العظيم يغفر غيره بالطريق الاولى أو لان كل ذنب عظيم نظر العظم من عصى كما قيل ان الذنوب كلها كبائر ✻ فان قلت ما الفرق بين العفو والمغفرة ✻ قلت بين مفهوميهما بحسب الوضع عموم وخصوص فان المغفرة من الغفر وهو الستر والعفو بمعنى المحو ولا يلزم من الستر المحو وعكسه كأن يحاسبه بذنب على رؤس الاشهاد ثم يعفو عنه أو يستره و يجازيه عليه اما بالنظر بكرم الله فهو اذا ستر عفا فبينهما عموم وخصوص مطلق ولذا يقال فى مقام الملاطفة فى الاكثر عفا الله عنه كما سيأتى فى تفسير قوله تعالى عفا الله عنك (وجعل جميع استعدادنا) معنى الاستعداد طلب العدة بالضم وهى ما لا بد منه لوجود الشئ ثم شاع فى لازمه وهو التهيؤ وهو المراد هنا ويكون بمعنى الاستحقاق كما فى المحاكمات وهما متقاربان (لمعادنا) أى جعل

فان صغير صاده فى أذنى الى الآن (واستنقاذ مهجته) بضم الميم أى استخلاص روحه مما يرديه (وعمل صالح يستزيده) أى الانسان بان يجعل ذلك العمل سببا لزيادة درجته (وعلم نافع) أى شرعى (يفيده) أى لغيره فيكون معلما (أو يستفيده) بنفسه بان يكون عالما أو من غيره فيكون متعلما (جبر الله صدع قلوبنا) أى أصلح الله كسرها بما اعتراها من طوارق محن وبوارق أحن (وغفر عظيم ذنوبنا) أى ومحا عيوبنا العظيمة وسترها (وجعل جميع استعدادنا) أى عدتنا فى أمر زادنا (لمعادنا) أى ليعود نفعه لنا فى مرجعنا وآخر أمرنا

اشتغالنا بما فيه عوننا على النجاة والفوز بالسعادة فى الآخرة والمعاد محل العود فخص بالمحشر لعود الارواح لابدانها فيه أو تعود للقاء الله ليجزيهم باعمالهم كقوله تعالى اليه مرجعكم وللمفسرين فى قوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أقوال منها ما ذكر ومنها انه الجنة لانهم كانوا فيها فى عالم الذر أو لكونها معدة لهم كانهم كانوا فيها فان العرب تجرى ماهو بالقوة الممكنة مجرى ما بالفعل فيقولون جفنته يقعد فيها ثلاثة رجال أى واسعة وعليه قول ابن القيم

فحى على جنات عدن فانها * منازلك الاولى وفيها المخيم

(وتوفر دواعينا) معطوف على جميع أو استعداد والتوفر الكثرة والدواعى جمع داع أو داعية وهى ما يحمل على فعل الشئ قال الاسنوى فى شرح منهاج البيضاوى اذا علم الانسان أو ظن أو اعتقد ان له فى الفعل أو الترك مصلحة راجحة حصل فى قلبه اليه ميل جازم فهذا العلم ونحوه هو المسمى بالداعية مجازا من دعاه لكذا اذا طلبه فكان علمه بالمصلحة طالب منه الفعل وقد يسمى الداعى غرضا وهذا هو المراد لانه المعروف فى كلامهم * قيل المراد دعوتنا وطلبنا ودواعى الدهر ما يستدعيه من الحوادث والمراد أعمالنا وما نطلبه انتهى فالمقصود الدعاء بان يجعل الله ميله مصروفا لما ذكر وهذا كله بيان لما قدمه (فيما ينجينا) هو أفعال أو تفعيل من النجاة وهى الخلاص مما يخشى كعذاب الله وما يبعد عنه وكان الظاهر ان يقول لما ينجينا لانه على المعنى الاول يتعدى باللام لكنه جعل شدة ميله كانها متمكنة فيه فالظرفية مجازية كقوله تعالى لاصلبنكم فى جذوع النخل وقيل الدواعى تضاف لما يترتب عليه كدواعى الوماء وليس بلازم كقولهم دواعى الدهر وكما فى عبارة المصنف (ويقربنا اليه زلفى) زلفى فعلى من أزلف بمعنى أدنى وقرب قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين فالمراد قرب أو تقريب كامل فهو مفعول مطلق منصوب بالفعل المذكور من معناه كجلس قعودا أو بمقدر من لفظه ففيه ايجاز بليغ كما فى تبيان الطيبى لان معنى انبته نباتا أنبته فنبت نباتا والمراد قرب المنزلة والرتبة المعنوية باكرام الله تعالى الذى هو أقرب من حبل الوريد (ويحظينا) بضم المثناة التحتية من الحظوة بضم الحاء وكسرها وهى القبول وعلو المرتبة عند من تحب وهى قريب معنى مما قبله لان القرب المكانى ينزه عنه البارى وما ورد فى حقه فى القرآن والحديث المراد به قرب معنوى باعتبار علمه به أو كرامته لديه وهذا هو المراد هنا ولذا فسر بعضهم الحظوة بالتفضيل على الغير فالمعنى انه طلب من الله ان يكرمه ويفضله على غيره لتغاير الجملتان بحسب الظاهر وان تقاربا معنى وما أورد عليه من أنه لا يفيد ما ذكر هنا لانه انما يفيده اذا تعدى بعلى كما قاله الجوهرى رحمه الله ولا صحة له هنا لا وجه له لانه غير مسلم مع ان باب التقدير واسع (بمنه) متعلق بما قبله وهو خبر وقيل تنازع فيه هو وما بعده على القول بتوسط المتنازع فيه ولا حاجة الى جعله متعلقا بمصادر تلك الافعال لانه تقدير لا داعى اليه والمنة تكون بمعنى تعداد الجميل وهى تحسن من الله ومن أسمائه المنان ويقبح من غيره ولذا قيل المنة تهدم الصنيعة والظاهر انها مكروهة لغير من كفر النعمة وجحدها وقيل انها حرام من كل أحد وقيل حرمتها مخصوصة بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر فانكاره من عدم الاطلاع وتكون نفس الانعام (ورحمته) بالجر معطوف على منه وهى فى الاصل رقة القلب ولامتناع ذلك فى حقه تعالى أريد بها غايتها وهى اللطف والاحسان فهى من صفات الافعال أو ارادته فهى صفة ذاتية والباء فى قوله بمنه سببية وقيل انها بالاستشفاع وأورد عليه انه معنى غريب لم يقله أحد من النحاة ورد بان مراده انها للتعدية ولكن أريد التشفع بمدخولها كما يقال فى باء البسملة انها للتبرك والمراد انه توسل الى الله به كما ورد أعوذ بك منك ولك ان تقول انها للقسم الاستعطافى وما آله الاستشفاع وتمثيله له بقوله بحياتك صريح فيما قلناه فلا غرابة

(وتوفر دواعينا) أى وجعل تكثير مكاسبنا ومطالبنا (فيما ينجينا) من الانجاء أو التنجية أى فيما يخلصنا وفيه ايماء الى الدعاء المأثور ولا تجعل الدنيا أكبر همنا وفى نسخة بفتح الفاء فى توفر على انه جملة دعائية معطوفة على ما قبلها من الجمل وأو روى بصيغة المضارع المعلوم لناسب قوله (ويقربنا الى الله زلفى) أى تقريبا خاصا وفى التنزيل ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال البيضاوى زلفى مصدر أو حال واغرب التلمسانى فى قوله انه جمع مفرده زلفة اذ الصواب ان جمع زلفة زلف ككاف جمع كافة (ويحظينا) بضم أوله وكسر الظاء المعجمة أى يرفع قدرنا ويخصنا بالمنزلة العلية والمرتبة الحظية (بمنه) أى بسبب امتنانه وهو متعلق بيحظينا ويقربنا أيضا وأبعد التلمسانى فى قوله أى متوسلين بمنه (ورحمته) أى باحسانه والمعنى انه لا يعاملنا باعمالنا ولعل الجمل المضارعية أحوال من الجمل الدعائية

ولا استغراب الا من عدم التدبر نعم يبقى الكلام فى ان القسم الاستعطافى الواقع فى السؤال هل يختص بالباء والوقوع بعد الامر لا لظاهر كلامهم انه لم يسمع الا كذلك وفى الكشف فى أول سورة النساء انه غير لازم (ولما نويت) لما بالفتح والتشديد ظرف زمان عامله جوابه والنية القصد وفى العرف القصد المقارن للفعل وغير المقارن عزم (تقريبه) أى جعله تقريبا الى الافهام أو الى الحصول بالتدريج الآتى ونحوه والتقريب عند أهل المعقول سوق الدليل على وجه يقتضى المطلوب (ودرجت تبويبه) أصل التدريج جعل درجة بعد درجة وفى الصحاح درجه اليه أدناه على التدريج وتبويبه مصدر مبنى للمفعول أى جعله أبوابا والمراد انه رتبه بابا بابا وقد يراد بالتدريج التأنى والمهل كما قال

درج الايام تندرج * وبيوت الهم لا تلج

يعنى انه سهله ورتبه ترتيبا حسنا متناسبا (ومهدت تأصيله) أصل التمهيد بسط المهاد وهو الفراش والتأصيل ذكر القواعد والاصول يعنى انه ذكر فيه قواعد وأدلة تبتنى عليها مسائل أبوابه فليست مجرد دعوى خالية عن الادلة والنقول الصحيحة وليس المراد انه سهله وأوضحه كما لا يخفى (وخلصت تفصيله) أى ميزت فصوله أو فروع قواعده وتفاصيلها عن الاجمال والادلة وأصل التخليص الاخراج والابعاد من الخلاص قيل ويحتمل ان يراد بالتأصيل الاجمال وعبر به رعاية للفاصلة ولو قيل انه على هذا من الاصول والقواعد كان أظهر (وانتحيت حصره) بالحاء المهملة أى قصدت من نحا نحوه اذا قصده وأصله انتحوت وفى نسخة انتخبت بالخاء المعجمة والباء الموحدة والحصر أصل معناه الحبس والمراد به حصر الكل أو الكلى فى اجزائه أو جزئياته أى قصدت أو اختصرت حصر أنواعه فى هذه الابواب أو الابواب المعينة فلا وجه لتفسيره بالاختصار على النسخة المشهورة وحصر الكل فى اجزائه ظاهر وقوله فى عروس الافراح انه لا يمكن لان الحصر جعل الشئ فى محل محيط به فالمحيط حاصر والمحاط محصور مظروف وشان الكل مع اجزائه على العكس لان الكل محيط بالاجزاء والاجزاء منحصرة فى الكل فكيف يجعل الكل منحصرا فيها ليس بشئ لانه اصطلاح لا مشاحة فيه والمراد ان الاجزاء المفصلة لا يخرج عنها الكل كما لا يخرج المظروف عن ظرفه وهو أمر سهل (وتحصيله) أى جعله حاصلا فيه بعد جمعه من الكتب المعتبرة وقيل المراد ان الناس يحصلونه لاختصاره وضبطه فان ما كل من طلب العلم حصله ولا كل من حصله أصله ولا كل من أصله فصله ولا كل من فصله وصله (ترجمته) جواب لما والمراد سميته وأصل معنى الترجمة التعبير عن لغة باخرى ويكون بمعنى التبليغ لما خفى من الكلام لبعد قائله أو الحائل بينه وبين سامعه أو لقصور فهمه كما فى شرح البخارى ومنه قوله

ان الثمانين وبلغتها * قد احوجت سمعى الى ترجمان

واطلاق الترجمة على التسمية على طريق التشبيه لجعل معرفة المسمى باسمه كمعرفة المعنى بالتعبير عنه بلغة أخرى وهو مجاز متعارف والقول بان التسمية قبل الخروج من الذهن الى الخارج لانه لما كان غير معلوم عبر عنه بالترجمة لجامع بينهما تكلف لا حاجة اليه لما عرفته والترجمان هو المبلغ عربى وقيل انه معرب درغمان تصرفوا فيه وفيه لغات فى كتب اللغة (بالشفا) متعلق بترجمته بمعنى سميته (بتعريف حقوق المصطفى) الباء سببية متعلقة بالشفا أو بمعنى فى قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى كتاب نزهة العيون الشفا ملايم للنفس يزيل عنها الاذى ويستعمل فى القرآن على ثلاثة أوجه الفرح كقوله تعالى ويشف صدور قوم مؤمنين أى يسرهم والعافية كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين والبيان كقوله شفاء لما فى الصدور وهو مع ما بعده هنا علم منقول والكلام فى أسماء الكتب هل هى أسماء جنس أو أعلام جنسية أو شخصية ومسماها المعانى أو الالفاظ أو النقوش أو مجموعها احتمالات ليس هذا تفصيلها والشفا ممدود وقصر هنا للوقف على فواصل السجع كالقوافى والممدود يجوز ان يقصر اذا

(ولما نويت تقريبه) أى وحين أردت تقريب التصنيف الى عالم وجوده بفضل الله وجوده (ودرجت تبويبه) بتشديد الراء أى جعلت تبويبه مرتبا ومدرجا يعنى درجة درجة فى التاليف (ومهدت تاصيله) بتشديد الهاء أى صيرت أصوله ممهدة مؤسسة واغرب التلمسانى حيث قال مهدت أى فرشت وتاصيله أى تفريقه (وخلصت تفصيله) أى وجعلت فصوله مبينة معينة (وانتحيت) أى وقصدت (حصره وتحصيله) أى تبيينه فى الامور التى ذكرها قال التلمسانى وفى رواية بالخاء المعجمة والباء الموحدة من الانتخاب وهو التصفية الا ان الرواية الاولى اظهر من الثانية قلت بل لا يظهر له معنى أصلا فقوله انتخبت حصره فهو تصحيف وتحريف بلا شبهة (ترجمته) جواب لما أى سميته (بالشفا) وهو بكسر الشين ممدودا وقصر وقفا أو مراعاة للسجع بقوله (بتعريف حقوق المصطفى) وقد أجازوا للناثر ما يجوز للشاعر من الضرائر وقصر الممدود سائغ اتفاقا وأجاز عكسه الكوفيون ومنعه البصريون حجة الاولين *فلا فقر يدوم ولا غناء* ورد بان الرواية الصحيحة *فلا فقر يدوم ولا غنا كا* واغرب الحلبى فى نقل كلام ابن مرزوق بقوله و يقال انه قصر لان هذا الكتاب

ووقع عليه حقيقة أو تقدير أو هو لمشاكلة مصطفى وهو مجوزة محسنة فلاغبار عليه وما قيل من انه قصر لانه قصر عن شان هذه الحقوق لطيفة لا تصلح للتوجيه وقيل انه ضرورة والضرورة كما تجري في الشعر تجري في السجع كما في شروح التسهيل وهو غريب من قائله واغرب منه تجويز مد المصطفى وغيره مما لا طائل تحته را اسمه موافق لمسماه فان السلف الصالحين قالوا انه جرب قراءته لشفاء الامراض وفك عقد الشدائد وفيه أمان من الغرق والحرق والطاعون ببركته صلى الله عليه وسلم واذا صح الاعتقاد حصل المراد وقد كنت حال كتابة هذا المحل في ضيق صدر وحرج وانا الآن منتظر لكل خير وفرج كما قلت

يارب ظهري مثقل بالعنا * وما أقاسي من شديد الجفا
والمتن قد كل وصدري به * ضيق فوسعه بشرح الشفا

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد النبي الامي الطاهر الزكي صلاة تحل بها العقد وتفرج بها الكرب (وحصرت الكلام فيه في أقسام أربعة) ضمير فيه للكتاب أو لتعريف حقوق المصطفى والجار والمجرور متعلق بالكلام أو حال منه والحصر والقصر بمعنى الحبس لغة واصطلاحا تخصيص شئ بشئ بحيث لا يتجاوزه ووجه الحصر في مثله استقرائي وجعله عقليا بالعناية تكلف وضمير فيه ان كان للكتاب كما هو المتبادر فهو من حصر الكل في أجزائه وتسمية الكل جزأ باعتبار معناه لغة والفرق بين الجزء والجزئي ان الاول لا يطلق المقسم عليه اذ كل واحد منها لا يسمى كتابا حقيقة وفي الاصطلاح القسم الجزئي لا الجزء فان أطلق عليه فهو مجاز لمشابهته له كما يقال تقسيم الكل الى أجزائه وادعى بعضهم انه حقيقي أيضا ولا مانع منه وان لم يرتضه بعضهم فان اعاد الضمير للتعريف فهو من تقسيم الكلي لجزئياته والاقسام على ظاهرها (القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لهذا النبي) الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم (قولا وفعلا) التعظيم والتبجيل والتفخيم بمعنى وهو توقيره وتكريمه بما يرفع قدره أو يظهر رفعته والعلي من أسمائه تعالى من العلو اذ هو جل شانه هو العلي حقيقة علوا منزها عن الجهة والحلول ويوصف بالاعلى أيضا وان كان لا علو لغيره بالنسبة اليه وأعلى المقادير بعد قدر الله قدر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يخفى موقع العلي الاعلى هنا فان التعظيم انما يعتد به من العظيم وعلو رتبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان ناسبت ان يشار اليها بما يدل على البعد الا ان المصنف رحمه الله آثر اشارة القرب اشارة الى ان تعظيم الله له قربه منه وأدنى منزلته وانه ينبغي لمن يحبه ان يكون نصب عينه كانه حاضر عنده ولذا قال النبي دون الرسول لان النبوة اتصال صرف بالله والرسالة وساطة بينه و بين الخلق و بهذا الاعتبار كانت أفضل كما في قواعد القرافي وسياتي مفصلا الكلام فيه والاشارة تاتي للتعظيم كما بينه أهل المعاني (وتوجه الكلام فيه) توجه بصيغة الماضي أي تم وكمل من قولهم توجه اذا صار ذا جاه وليس المراد كما في بعض الشروح انه حصل وجه الكلام فيه والوجه السبيل والجهة المقصودة بالتوجه لما فيه من التكلف وقوله (في أربعة أبواب) من حصر الكل في اجزائه لا الكلي في جزئياته كما توهم

(الباب الاول في ثنائه عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول)

الباب يطلق على الفرجة التي يدخل منها للدار وعلى ما يسد به ويغلق من خشب ونحوه ويطلق في عرف المصنفين على مسائل من الكتاب متناسبة أفردت بترجمة لان ما فيها من المسائل والقواعد يتوصل به لمعرفة جزئياته أو لانه يصونها ويحفظها وقيل انه بمعنى البابة وهي النوع وهو سمج بارد وهو قد يشتمل على الفصول جمع فصل وهو نوع من المسائل مفصول عن غيره أو ترجمة فاصلة بينه و بينه فهو مصدر بمعنى فاعل أو مفعول كما يشتمل الكتاب على الابواب غالبا والثناء الوصف بالجميل ولا يختص باللسان في المشهور لقوله أنت كما أثنيت على نفسك على ما فيه وقدر الشئ مقداره وشرفه رتبته ويكون بمعنى التعظيم كما في قوله وما قدروا الله حق قدره أي ما عظموه حق تعظيمه في أحد الوجوه فيه فيجوز تفسيره

يقصر عن حقوقه صلى الله تعالى عليه وسلم والله أعلم (وحصرت الكلام فيه) أي في هذا الكتاب (في أقسام أربعة) وفي نسخة أربعة أقسام وهذا بيان بعد الاجمال والله تعالى أعلم بالحال (القسم الاول) بكسر القاف وهو النصيب والجزء واما بالفتح فهو مصدر قسمت الشئ (تعظيم العلي الاعلى) من باب اضافة المصدر الى فاعله أي الله سبحانه وتعالى (اقدر هذا النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم نسخة الكريم والاولى زيد في وجود المصطفى (قولا وفعلا) كما سياتي كذلك (وتوجه الكلام) بصيغة الماضي أي انحصر (فيه) أي في القسم الاول ولا يبعد ان يكون مصدرا مبتدأ خبره قوله (في اربعة أبواب الباب الاول) أي من القسم الاول (في ثنائه تعالى) أي حسن ذكره (عليه واظهاره عظيم قدره) أي مرتبته (لديه) وهو مع مراعاته للسجع أخص من عنده على ما قاله النحويون من ان عنده يجوز ان يكون بحضرته وفي ملكه واما لديه فيختص بالحضرة (وفيه عشرة فصول) سياتي تفصيلها

هنا بكل منهما ولديه بمعنى عنده و بينهما فرق مشهور واذا قيل عند الله فله معان لاستحالة حقيقته عليه تعالى فيكون بمعنى علم الله او حكمه كما فى قوله تعالى فاولئك عند الله هم الكاذبون و بينهما فرق دقيق بيناه فى حواشى القاضى فى سورة النور ويكون بمعنى فضل الله كما فى قوله تعالى قالت هو من عند الله

*(الباب الثانى فى تكميل الله له المحاسن خلقا وخلقا) *

المحاسن جمع حسن على خلاف القياس أو هو جمع لواحد مقدر كمحسن بزنة مقعد أولا واحد له وهى الامر الحسن مطلقا أو الحسن الخفى وخلقا وخلقا بفتح فسكون وضم وسكون منصوبان على التمييز والخلق الايجاد والخلق السجية والطبيعة وهى ملكة راسخة فى النفس لا تقبل الزوال بسهولة على الاصح وهى للنفس كالخلق للجسم لان أحدهما صورته الباطنة والآخر صورته الظاهرة و بحسن الاخلاق وقبحها يكون الحمد والذم وما يترتب عليه وحسن الصورة يدل على حسن السيرة ولذا يمدح به كمل الرجال ولذا أخطأ الامدى رحمه الله تعالى من اعترض على أبى تمام فى وصف ممدوحه بالجمال لانه يليق بالغزل لما ذكرنا (وقرانه جميع الفضائل) القرآن بوزن العيال مصدر بمعنى الجمع وجميع مفعوله والفضائل جمع فضيلة وهى الصفة الحميدة مطلقا سواء كان لها أثر متعد أم لا وقد يختص بالثانى الفضائل وبالاول الفواضل وكان شيخنا الزبادى رحمه الله تعالى يقول فى مثله اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا كالفقير والمسكين وهو كلام حسن (الدينية والدنيوية) الدينية منسوبة للدين وهو وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات فى العقبى فيخص بالدين الحق الذى جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ويستعمل فيما يشمل الباطل كما فى قوله تعالى (لكم دينكم ولى دين) ان لم تقل انه تشاكل أو بحسب اعتقادهم والمراد الاول هنا وللدين معان أخر كالجزاء والطاعة والدنيوية منسوبة للدنيا وهى الارض وما عليها من المخلوقات وأحوالها ويطلق على المال وما يملك وفى النهاية انه اسم لهذه الحياة والمراد بالاول العبادة ونحوها وبالثانى نحو حسن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم وصحة بدنه وغير ذلك وهى فعلى مؤنث أدنى من أفعل تفضيل لكنها اجرت مجرى الاسماء وجردت من معنى التفضيل ولوازمه ولذا ورد تنوينها شذوذا وفى النسبة اليها ثلاث لغات حذف ألفه فيقال دنى وقلبها واوا فيقال دنياوى وزيادة ألف فيقال دنيوى كما بين فى علم التصريف وداله مضمومة وقد يكسر من الدنو بمعنى القرب وقيل من الدناءة كما قال الشاعر

أعاف دنيا تسمى من دناءتها * دنيا والافمن مكر وهها الدانى

ووجه التسمية ظاهر والدنيا قد تقابل بالدين كما ورد فى الحديث وغيره وقد تقابل بالآخر أيضا وكل منهما صحيح فصحيح فلا وجه لما قيل من ان الدنيا بمعنا ها لا تقابل بالدين لكن ساغ مقابلتها له وهو المراد بقرينة المقابلة أو المراد ما نسب الى الدنيا فقط فان المنسوب الى الدين منسوب الى الآخرة أيضا ولا يخفى ما فيه من الخلل فتدبر (فيه نسقا) ضمير فيه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متعلق بقران أو بقوله نسقا بناء على جوازه ونسقا حال من جميع فان كان مصدرا فهو مأول بصفة والا فهو على ظاهره يقال در نسق وكلام نسق على نظام واحد فالمراد انه جمعها على وجه متناسب يأخذ بعضه بحجز بعض وفسرها التلمسانى تبعا ولا وجه له (وفيه سبعة وعشرون فصلا) قال السيد ليس فى الكتاب الاستة وعشرون فالظاهر انه عد ما بين ترجمة الباب الى الفصل فصلا وان لم يسمه به وكذا الحال فى جميع ما عدا من الفصول الا فى موضعين يقل الكلام فيهما بين الترجمة والفصل فلا تغفل لكنه لم يعد ما بين القسم الى الباب بابا لان العادة تسميه المسائل الجمة بالباب ولم يدخل فى باب لتعلقه بالابواب كلها وقد سبقه اليه التلمسانى وزاد عليه انه لم يذكر أوصاف الفصول بالعدد بحيث يقول الاول أو الثانى الخ فيعلم منه ان الصدور عنده من جملة الفصول وبذلك يستقيم الامر ويتم العدد

(الباب الثانى) أى من القسم الاول (تكميله تعالى له المحاسن) أى المناقب الصورية والمعنوية جمع حسن على غير قياس وكانه جمع محسن (خلقا) بالفتح (وخلقا) بضمتين وبسكون الثانى وقدم الاول لسبق وجوده الناشئ منه اظهار كرمه وجوده (وقرانه) بكسر القاف أى وفى مقارنته وجمعه (جميع الفضائل الدينية والدنيوية) بحذف الالف عند مباشرة ياء النسبة والمراد بها الفضائل الدنيوية التى تنفع فى الامور الاخروية والا فقد قال أنتم اعلم بامور دنيا كم ثم الدنيا على ما قاله المصنف فى مشارق الانوار اسم لهذه الحياة لدنوها من أهلها وبعد الآخرة عنها انتهى وقيل لدناءتها (فيه) أى فى حقه (نسقا) بفتحتين أى جمعا متتابعا ولا معنى لقول التلمسانى هنا أى عطفا وتبعا ولقد أجاد الدلجى حيث أفاد أى متناسبا بعضها بعضا مستوية فى كمالها كجواهر منتظمة فى نظام واحد زيادة لجمالها (وفيه سبعة وعشرون فصلا) قال التلمسانى بل هى ستة وعشرون فصلا أقول ولعله أتى بالسابع فصلا (الباب الثالث) أى من القسم الاول من

(الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها)

الخبر في العرف واللغة ما ينقل عن الغير وزاد فيه أهل العربية واحتمل الصدق والكذب في حد ذاته والمحدثون يستعملونه بمعنى الحديث وقد يفرقون بينهما فيقولون الحديث ما جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والخبر ما جاء عن غيره ولذا قيل لصاحب التاريخ اخباري بصيغة الجمع وقيل بينهما عموم وخصوص فكل حديث خبر ولا عكس وعبر به المصنف رحمه الله تعالى هنا لانه أشمل واذا كانا بمعنى فالمراد به ما أضيف اليه صلى الله تعالى عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرا أو نحوه ويدخل فيه ما هم به قلبه اذا علم بنوع من الوجوه وكذا ما يتعلق بحليته الشريفة وفي هذا المقام تفصيل مذكور في مصطلح الحديث والصحيح والحسن كل منهما اما لذاته أو لغيره لانه اذا رواه عدل تام الضبط واتصل سنده ولم يكن معللا ولا شاذا فهو الصحيح لذاته فان لم يسلم مما يضعفه وانجبر بتعدد الطرق ونحوه فهو الصحيح لغيره وما لم يشتمل على أعلى صفات القبول فهو حسن والمشهور ما تعددت رواته ولم يصل الى حد التواتر ويطلق على ما شاع مطلقا وان لم تتعدد طرقه سواء كانت شهرته بين المحدثين أم لا وهو الذي عناه المصنف هنا ولذا عطفه على الصحيح وأهل الحديث يستعملونه بهذا المعنى أيضا كما ذكره ابن حجر ويدل عليه قول المصنف في أول هذا الباب * اعلم أن الحديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا على صحيحها ومشهورها انتهى وقيل المراد اشتهر بين المحدثين على انه من عطف الخاص على العام (بعظيم قدره) متعلق بورد لانه مصدر بمعنى رفعته أو منزلته وقيل انه حال من قدره وجاء من المضاف اليه لان المضاف صفة له فكانه هو المعمول لان تقديره قدره العظيم حال كونه كائنا (عند ربه) فتدبر (ومنزلته) أي رتبته الرفيعة عنده أيضا والعرب تقول المنزلة في المعنوي كالمكان والمكانة فكان التاء للنقل (وما خصه به في الدارين) الدنيا والآخرة تسميتهما بهذا شائعة كما مر لانهما مسكن ابن آدم فاما أن تكون الدار حقيقتها هذا ثم خصت بما يحيط به بناء ونحوه أو تكون مجازا صار حقيقة عرفية وخواص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منها ما خص به عن سائر الخلق حتى الرسل ومنها ما هو بالنسبة للرسل عليهم الصلاة والسلام ومنها ما هو بالنسبة لامته كما مر وسيأتي (من كرامته) أي مما فيه تكريم وتبجيل له صلى الله تعالى عليه وسلم فمن بيانية أو تعليلية كقوله (مما خطيئاتهم اغرقوا) وهو بيان لان المذكور هنا بعض الخصائص التي خص بها تعظيما له صلى الله تعالى عليه وسلم دون ما خص به صلى الله تعالى عليه وسلم من بعض الاحكام الجزئية المخصوصة بالتحليل والتحريم مما لا يظهر فيه التكريم وان تضمنه في الجملة ولم يذكر لذلك وهو غير مناسب لغرض التأليف (وفيه اثنى عشر فصلا) هكذا هو في النسخ كلها وهو المروي عنه مع ان الفصول خمسة عشر وقد سلك الشراح في الجواب عنه مسالك منها ما قاله التلمساني ان الثلاثة الزائدة بعد ما أكمل العدد أجنبية من هذا الباب مناسبة للباب الاول لانه ذكر جملة من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم في أثنائه كقوله (رؤف رحيم * وما أرسلناك الا رحمة للعالمين * ذي قوة عند ذي العرش * الله نور السموات الخ) الى آخر ما ذكره في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم ففهم منه ان الفصول الثلاثة انما وضعها بعد ان تم مراده ولاح في خاطره أمر يعذر تركه أوجب ذكرها وجعلها ذيلا لهذا الباب وذكر من كلامه ما يدل عليه ومنها انه كان عازما على جعلها اثنى عشر فلما وصل الى الباب الثالث اقتضى الحال زيادتها وهذا بناء على ان الخطبة مقدمة على التأليف والقول بان قوله السابق نويت ودرجت باباه غير مسلم وهكذا كما انه جعل القسم الرابع بابين مع انه زاد عليه ثالثا ومنها ان مفهوم العدد غير معتبر وهذا أضعفها لان كلامهم في الاستدلال به في النصوص وأما في المخاطبات فلا فالحاصل انها ذيل للاثنى عشر المقصودة أو أمر زاده على ما كان في تصوره وذهنه *(الباب الرابع فيما أظهره الله على يديه من الآيات والمعجزات)*

الكتاب (فيما ورد من صحيح الاخبار) أي الاحاديث والآثار (ومشهورها) أي مشهور الاخبار عند الاخيار (بعظيم قدره عند ربه ومنزلته) أي مكانته وهو عطف تفسير لعظيم قدره (وما خصه) أي الله تعالى كما في نسخة يعني وبما جعله مخصوصا (به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا) هكذا في النسخ كلها التي عليها الرواية والتصحيح والمقابلة والذي في هذا الباب من الفصول خمسة عشر ولعله زاد بالاثنى عشر فصولا مهمة وبزيادة الثلاثة مكملة ومتممة وهذا ما اخص كلام التلمساني (الباب الرابع) أي من القسم الاول (فيما أظهره الله تعالى على يديه) أي بسببه (من الآيات) أي العلامات التي هي خوارق العادات (والمعجزات) وهي تختص بالتحدي

(وشرفه به من الخصائص والكرامات) تعميم بعد تخصيص وإيماء الى ان كرامات أولياء أمته بمنزلة معجزاته وفي

الآية جمع آية ولها معان منها العلامة الدالة على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وفي أصلها أربعة أقوال لاهل العربية * أحدها للخليل رحمه الله تعالى وهو ان أصلها أيية بفتحتين بزنة فعلة فقلبت الياء الاولى ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها على خلاف القياس اذ هو يقتضي قلب الثانية أو الادغام لتقدمه على الاعلال * الثاني للكسائي رحمه الله تعالى ان أصلها آيية على وزن فاعلة فحذفت عين الكلمة والقياس الادغام كدابة * الثالث للفراء رحمه الله تعالى أصلها أيية بسكون الياء الاولى فقلبت الفاء على خلاف القياس * الرابع لبعضهم أصلها أييية بكسر الياء الاولى فقلبت الفاء لثقل التضعيف والمعجزة أمر خارق للعادة معجز للبشر أظهره الله على يديه صلى الله تعالى عليه وسلم واسناده الى الله تعالى لانها من أفعاله كما قال ابن الهمام رحمه الله تعالى وأما كونها قد تكون من قبيل الترك كان يقول نبي آية صدقي ان أضع يدي على رأسي ولا يقدر أحد على ذلك فلندوره لا يعتد به أولانه باعتبار انه كف كالفعل الوجودي وكذا اخباره عن الغيب وانما أسند الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باعتبار صدوره عنه وان كان بايجاد الله وخلقه على ما عليه أهل السنة والآية والمعجزة تشتركان في الدلالة على صدقه لكن الآية أعم لانه لا يشترط فيها مقارنة النبوة والتحدي فكل معجزة آية ولا عكس فشق صدره صلى الله تعالى عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل البعثة ونحوه آية وليس بمعجزة وأما قول السهيلي رحمه الله تعالى في بعض الخوارق أنها علامة للنبوة لا معجزة بناء على عدم اقترانها بالتحدي المشروط عنده فرده ابن الهمام رحمه الله تعالى بان أمره مبني على دعوى النبوة في كل زمان وهو غير وارد عليه وسيأتي للمصنف رحمه الله تعالى كلام في هذا (وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا) المذكور في الكتاب تسعة وعشرون لكنه عد صدر الباب فصلا كما مر ونبه عليه التلمساني والخصائص جمع خصيصة وهي الصفة الخاصة به سواء كانت في ذاته أو صفاته أو فيما يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من معجزاته وكراماته فهي تشتمل على أمور كثيرة ذكر منها في الباب الثالث تفضيله في ذاته وسيادته صلى الله تعالى عليه وسلم لبني آدم في الدارين وقربه من ربه بالاسراء والمحبة والخلة وذكر هنا ما جرى على يديه من المعجزات وما ضاهاها من الكرامات فقصد البابين وما ذكر هنا مختلف معنى وان تشابه العنوان كما يعرف بالنظر في الكتاب فلا يرد عليه ان ما ذكر هنا هو بعينه في الثالث من قوله وما خصه وهو قبيح وغاية ما يقال في توجيهه انه أراد في كل موضع بيان ما سبقه فالمراد بالثالث الكرامات التي لم يقصد بها اثبات النبوة وكونها علامة كاسرائه والامور الاخروية وفي الثاني ما يقصد به ذلك وفيه ما فيه انتهى وقد عرفت سقوطه وانما أوقعه فيه اتحاد العنوان ظاهرا وهو على طرف الثمام على انا نقول انهما متغايران معنى كما يعرف بالتأمل الصادق وقيل ان الخصائص والمعجزات آيات كما سيأتي في بابه والكرامة لغوية لا اصطلاحية فلا تنافي المعجزة وأما الكرامة التي خص بها صلى الله تعالى عليه وسلم في الدارين المذكورة قبله فقد قيل انها مما لم يقصد به اثبات النبوة ولا كونها علامة عليها كالاسراء ولا طائل تحته وقيل ان الكرامات هنا الخوارق التي قبل دعوى الرسالة وفي شرح المواقف انها تسمى كرامة وارهاصا وهو التأسيس ولسبقها على اظهار الرسالة كانت كالتأسيس لها فان قلت اخباره عن المغيبات كيف بعد معجزة قلت هو على قسمين ما وقع في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم كعير قريش ونحوه ولا شبهة في كونه معجزة وما وقع بعده كاخباره صلى الله عليه وسلم بالخوارج وذي الثدية وتسميته كرامة أقرب لعدم مقارنته للتحدي والقول بانه معجزة لعجزهم عنه سواء كان العجز عدميا أم لا لا يجدي (القسم الثاني فيما يجب على الانام) أي يلزمهم حتى يأثموا بتركه والانام الخلق أو الانس والجن أو كل ما على وجه الارض والمناسب هنا الثاني وقيل انه ما يعتريه النوم (من حقوقه) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع حق وهو الامر الثابت له وقدم تفسيره (ويترتب القول فيه في أربعة أبواب) يترتب أي يتمكن أو يذكر

مرتبة كراماته (وفيه ثلاثون فصلا) قال التلمساني الذي فيه من الفصول تسعة وعشرون ولعله عد ما صدر من الباب الى الفصل فصلا (القسم الثاني فيما يجب على الانام) قال المحشي فيه أقوال فقيل كل من يعتريه النوم وقيل الانام الاناس وقيل الانام المخلوقات قلت يرد القول الاول انه مهموز لا معتل العين ففي القاموس الانام كسحاب الخلق أو الجن والانس أو جميع ما على وجه الارض انتهى ولعل الخلق خصه بالحيوانات أولا ولا يخفى ان المعاني الثلاثة محتملة في قوله تعالى والارض وضعها للانام وأما هنا فيراد به الانس والجن أو جميع الخلق على القول بانه بعث الى الخلق كافة كما في رواية مسلم فيجب على كل فرد من المخلوقات ما يناسبه في كل مقام من حقوقه عليه الصلاة والسلام (ويترتب القول) قال التلمساني أي يتمكن والظاهر ان المعنى يجيء الكلام مرتبا (فيه) أي في هذا القسم (في أربعة أبواب)

(الباب الأول) أي من القسم الثاني (في فرض الايمان به) أي في بيان كون الايمان به فرضا عينيا على جميع الاعيان (ووجوب طاعته) أي في سائر ما أمر به ونهى عنه (واتباع سنته) أي متابعة طريقته أي قولا وفعلا وتخلقا (وفيه خمسة فصول) قال التلمساني بل هي أربعة والعذر تقدم (الباب الثاني) أي من القسم الثاني (في لزوم محبته ومناصحته) أي مصادقته وموافقته ومخالصته (وفيه ستة فصول) بل هي خمسة (الباب الثالث) أي من القسم الثاني (في تعظيم أمره) أي شانه أو حكمه (ولزوم توقيره) أي تعظيمه ونصره (وبره) أي زيادة احسانه وعدم مخالفته فانه فوق منزلة الاب وفي قراءة شاذة وهو أب لهم فيجب بره ويحرم عقوقه ولو في أمر مباح في حده وقيل طاعته (وفيه سبعة فصول) بل ستة (الباب الرابع) أي من القسم الثاني (في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك) بالجر أي وفي بيان فرض ماذكر (وفضيلته) أي وفي ثواب ماذكر وزيادة فضله (وفيه عشرة فصول) بل تسعة *(القسم الثالث فيما يستحيل) أي لا يمكن وجوده (في حقه) أي عقلا ونقلا (وما يجوز عليه شرعا) أي قولا وفعلا (وما يمتنع) أي في الجملة أو ما لا يجوز عليه شرعا (ويصح) أي وما يصح (من الامور البشرية ان يضاف) أي ينسب خلاصة فائدتها (اليه فلا

مرتبا من الترتيب وهو جعل كل شئ في مرتبته اللائقة به وكونه من تقسيم الكل أو الكلي تقدم مع مافيه

(الباب الاول في فرض الايمان به) أي كون التصديق برسالته صلى الله تعالى عليه وسلم فرضا فالاضافة للمفعول أوهي لامية أو بيانية فيجب الايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم وبشريعته وانها ناسخة لغيرها ووجوب ذلك على كل من بلغته الدعوة (ووجوب طاعته) أي اطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم والانقياد له (و) وجوب (اتباع سنته) أي طريقته صلى الله تعالى عليه وسلم التي أمرنا باتباعها أمر ايجاب (وفيه خمسة فصول) وقد أجاد في تفننه فعبر بالفرض تارة وبالوجوب أخرى كما قال في القسم الاول وتوجه الكلام فيه وفي الثاني ويترتب القول فيه وفي الثالث وتحرير القول فيه وفي الرابع وينقسم الكلام فيه

(الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفيه ستة فصول) النصح والنصيحة والمناصحة ارادة الخير للغير وارشاده له وهي كلمة جامعة كما سيأتي والمفاعلة على حقيقتها لانها ان يفعل ويقول لصاحبه ما يفعله الآخر به وان لم يتحد فنصيحة الامة ايمانهم بما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وانقيادهم لاوامره ونواهيه ونصيحة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم بتبليغهم ما أمر بتبليغه وارشادهم للخير وقيل انه بمعنى النصح كالمخادعة في قوله (يخادعون الله) وماذكر في الكتاب من ثواب محبته ونحوه استطرادي وله تحقيق في شروح الكشاف

(الباب الثالث في تعظيم أمره) أي شانه وحاله كتعظيم حديثه وآله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل اللائق هنا تقديم اللزوم الآتي لا توسيطه فيقول لزوم تعظيم أمره وتوقيره فكانه أشار الى تقديمه تقديرا لان من اللازم تعظيم أمره وتوقيره فهو من عطف العام على الخاص وليس الامر بمعنى الطلب هنا وفي ذكره ايماء الى ان توقيره أشد لزوما من توقير أمره مع ما في تركه أولا من المبادرة الى ذكر تعظيمه لشدة الاعتناء بنفس التعظيم ففي كلامه ترق من الادنى الى الاعلى (ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول) توقيره تعظيم ذاته وأحواله ومن ينسب اليه وأمته ومعاهده وآثاره بحيث لا يدانيه أحد فيه فدل صراحة على لزوم تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلا وجه لما مر وبره بكسر الباء وأصل معنى البر السعة ومنه البر بالفتح مقابل البحر ثم شاع في الشفقة والاحسان والصلة وهو المراد هنا وصلته صلى الله تعالى عليه وسلم بصلة اتباعه من أهله وغيرهم ممن مر ذكره

(الباب الرابع في حكم الصلاة عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (والتسليم) من الفرضية والاستحباب على كيفية مخصوصة فقوله (وفرض ذلك) أي فرضيته أو المفروض منه من عطف الخاص على العام (وفضيلته) أي فضيلة المذكور من الصلاة والسلام ولتاويله بما ذكر أفرد الضمير ويكثر مثله في اسم الاشارة كقوله تعالى عوان بين ذلك (وفيه عشرة فصول) مع ماذكر معه استطرادا كفضيلة المدينة وسكناها ومسجدها وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وزيارته صلى الله تعالى عليه وسلم

(القسم الثالث فيما يستحيل في حقه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي يمتنع امتناعا قويا حتى يلحق بالمحال عقلا كالكذب ونحوه وأصل معنى الاستحالة التغير من حال الى حال ومنه استحال الخمر خلا ويقال استحال اذا صار أعوج وقد ورد في كلام العرب استعماله في كلامهم كثيرا كما وقع في عبارة الكتاب ومن لم يقف عليه اعترض على قول المتنبي كانك مستقيم في محال (وما يجوز عليه) أي يصح ان ينسب اليه سواء كان واجبا أو جائزا أو المراد ما يصح اتصافه به صلى الله تعالى عليه وسلم كاعراض لا تشين رتبته العلية من الامور المتعلقة بالدين وغيرها لان الجواز بمعنى الاباحة من الاحكام الشرعية فقوله (وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه) المراد به الامور المتعلقة بالدنيا دون الدين فيصح التقابل لان معناه ما يعرض لنوع الانسان في بدنه ويجوز ان يريد به ما يستحيل ويجوز على انه عطف تفسيري

فلا يرد عليه ما قيل انه لم يذكر ما يجب واللائق ذكره أولا لانه اذا بين ما يستحيل منه فقد بين ما يجب لان استحالة الشيء تستلزم وجوب نقيضه فلذا أجمل واختصر والمراد باضافته أن يقول انه متصف به واما انه ذكر ما يجب وقد تعرض له فيما يأتي في أبوابه جعله ثمرة وأبوابا لانه من أعظم الثمرات كما لا يخفى (وهذا القسم أكرمك الله) جملة دعائية والمعنى جعلك الله مكرما مبجلا (هو سر الكتاب) أي خلاصته أو أفضله والخفي منه والمراد انه المقصود بالذات منه ولما كان ما تضمنه من بيان ما تصح اضافته اليه وما لا تصح مما تمس الحاجة اليه في تعريف عظيم مقامه وجليل مقداره هو المقصود من التأليف لئلا يقع أحد فيما لا يليق بمقامه أو يترك ما لا بد منه كان ما ذكر هنا زبدة الكتاب ولبه وقيل السر بمعنى الاصل لان ما سبقه مبني على العصمة من الرذائل ولا تساعده اللغة (ولباب ثمرة هذه الابواب) لباب كل شيء خالصه كما قال الزبيدي ومنه اللب للعقل ولبيك أي أجابه مع اخلاص والثمرة بمعناها الاصلي وتكون بمعنى الفائدة والنتيجة والغاية وهو مجاز مشهور والابواب المشار اليها جملة أبواب الكتاب أو البعض السابق من الابواب بناء على انه كالقواعد لما بعده وما بعده كالامور المبنية عليه فهو كالثمرة له فاضافة اللباب بيانية كما قيل وهذه استعارة مصرحة بتشبيه مقصوده بثمرة ذات لب وقيل انها مكنية وتخييلية بجعل الكتاب بمنزلة شجرة مثمرة تشبيها مضمرا في النفس واثبات الثمرة تخييل واضافته كذهب الاصيل ورد بان القواعد تأباه اذ لا ذكر للكتاب في هذه الفقرة ولا يخفى ان مراده بالكتاب هذه الابواب لان الكتاب عبارة عنها وقيل المراد بالثمرة ما يستفاد من غيره أو المقصود ولما كان غيره كالدليل عليه كان كالدليل أو المراد ان ثمرته أي تعلمه والانتفاع به لباب الثمرات (وما قبله له) أي ما ذكر قبل هذا القسم من الابواب والاقسام ما هو (كالقواعد) القواعد في الاصل الاساس وخشبات تركب الهودج فيها والعمد وأتى بالكاف لانها ليست قواعد كلية بل شخصية اذ موضعها ذات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل والاظهر تشبيهها بالقواعد الحقيقية (والتمهيدات) جمع تمهيد أي أمر تمهد وهو في الاصل مصدر بمعنى اتخاذ المهاد والفراش كما مر والمراد انها مقدمة وتوطئة له (والدلائل على ما نورده فيه) ضمير فيه للقسم ونورده بمعنى نذكره من ورد الماء وهو الذهاب للشرب ويقابله الصدر ثم تجوز به عن الاتيان بشيء ما والدلائل جمع دليل على خلاف القياس وفي الآيات البينات انه جمع دلالة فان فعالة يجمع على فعائل قياسا وذكر امام الحرمين انها تكون بمعنى الدليل والظاهر انه مجاز ويأتي ايضاح ذلك مبسوطا عند قوله فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته (من النكت البينات) قدمر ان النكت الامور الدقيقة الغامضة فجعلها بينات جمع بينة بمعنى واضحة بالنسبة للاذكياء ولما كان ما قبله من استحقاق التوقير والجلالة وثبوت النبوة والرسالة كالدليل على ما يجب له صلى الله تعالى عليه وسلم ويمتنع عليه لانه اذا قيل يستحيل عليه النقائص لعلو قدره وظهور شرفه صح جعله دليلا الا انه لما لم يكن مستلزما له استلزاما عقليا جعل كالدليل والاستدلال عليه يعلم من علم الكلام وما في غيره اقناعي وان كان لا شبهة فيه لمن جلا الايمان مرآة ذهنه ويحتمل البينة هنا أن تكون بمعنى بينة المدعي أو هو ايهام وتورية لقوله بعده (وهو الحاكم على ما بعده) تشبيه بليغ أي كالحاكم على القسم الرابع من جزا سابه ومنقصه صلى الله عليه وسلم والحكم خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين واجراؤه وابرازه أيضا ولا يخفى موقعه هنا والحاكم في الحقيقة هو القاضي ونحوه لا هذا القسم ونحوه فان مسائله ومن يعلمها اذا حقق ما يجب له ويجوز تبين له ذلك فجعل تبين ذلك كالحكم في شانه صلى الله تعالى عليه وسلم وشان منقصه (والمنجز من غرض هذا التأليف وعده) الوعد معروف وانجازه ايقاع ما وعد به واعطاؤه وأصل معناه الاتمام أو الاحضار

(ان الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي الى ترجمان) وقد يرد الاعتراض للتنزيه كما في قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أو للتنبيه في مثل (واعلم فعلم المرء ينفعه ان سوف يأتي كل ما قدر) (هو سر الكتاب) أي خلاصته (ولباب ثمرة هذه الابواب) أي أبواب هذا القسم كما في ذكره الدلجي والصواب أبواب هذا الكتاب والمعنى انه زبدة نتيجتها وخلاصة فائدتها (وما قبله) أي من القسمين (له كالقواعد) جمع القاعدة وهي الاساس في المنقولات والمعقولات من قوانين كلية مشتملة على مسائل جزئية (والتمهيدات) أي التوطئات (والدلائل) أي وكالدلائل العقلية والنقلية (على ما نورده فيه) أي في حقه ما يجب ويستحب ويباح ويحرم وغير ذلك مما يعذر قائله أو يؤدب (من النكت البينات) أي اللطائف الواضحات (وهو) أي هذا القسم الثالث أيضا (الحاكم على ما بعده) أي من القسم الاخير (والمنجز)

 بصيغة الفاعل مخففا أي وهو الموفي (من غرض هذا التاليف وعده) أي الذي سبق وعده

من نجز الامر والغرض هو المقصود من الشئ ومن ابتدائية أو بيانية والمراد بالغرض هنا تعريف حقوق المصطفى وضمير وعده راجع لما رجع اليه قوله هو أولا حالا كالغرض والمنجز بصيغة الافعال أو التفعيل وفاعله مارجع اليه الضمير أيضا والفاعل الحقيقى هو المصنف رحمه الله تعالى فالنسبة مجازية أو استعارة مكنية مخيلة مرشحة بجعل هذا القسم لتتميمه غرض التاليف كانه كريم وعده التفضل بمقصوده واجابة السائل لما سال منه من تاليف جملة الكتاب فكانه بهذا منجز للوفاء بالكلى أو هو من قبيل الحج عرفة والسائل وان لم يسئل مافى هذا القسم صريحا الا انه لما استدعى ذلك كان كانه مقصود له بالذات فلذا اعتنى به المصنف رحمه الله (وعند التقصى) هو تفعل من الاستقصاء بالقاف والصاد المهملة وهو بلوغ أقصى الشئ وغايته أو طلبه كما فى قوله

يامطلبا ليس لى فى غيره أرب * اليك آل التقصى وانتهى الطلب

وفى بعض النسخ التقضى بضاد معجمة من تقضى الامر اذا تم ومضى أو بمعنى التقاضى والالحاح ويحتمل على الوجهين أن يكون أصله تقضض فابدل احدى المثلين ياء للتخفيف كما قيل فى تظننت تظنيت واللام فى قوله (لموعدته) بمعنى وعده أو وعوده صلة له أو تعليلية والمجاز الموعد مقابل لخلافه قال الله تعالى (انه لايخلف الميعاد) وتقدر عندهم ان الوعد يكون فى الخير والثواب والوعيد فى ضده ويجوز الخلف فيه ولو من الله وقد يكون الكلام الواحد وعدا ووعيدا باعتبارين كقول الله تعالى لاهل الكن من عادى رسلى فانه نصرة لهم وههنا اشكال مشهور وهو وان تخلف الوعيد كذب غير جائز على الله تعالى وعن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن أوعده على عمل عقابا فهو بالخيار * وسئل أبو عمرو بن العلاء رحمه الله أيجوز أن يعد الله على عمل ثوابا ثم لا ينجزه قال لا قال فاذا أوعد عقابا أفلا بد ان ينجزه فقال له من قبل المعجزة وأنبئت ان العرب كانت شرفها ان تفى بالوعد وان لا تفى بالوعيد قال

وانى وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

قالوا ولا يلزمه الكذب لا لان الكذب يكون فى الماضى والخلف فى المستقبل لان فساده ظاهر لانه عدم المطابقة مطلقا بالاتفاق بل لان الوعيد مشروط بشروط مقدرة مسلمة معلومة من شئ آخر كعدم الاصرار أو عدم التوبة أو عدم العفو فيكون فى قوة الشرطية فلا يلزم الكذب أصلا وقيل ان الوعد والوعيد انشاء لا يتصف به كما ذكره علماء الرسوم فى مثل قولهم الصبى يقاوم الاسد انه لانشاء التعجب وفى قوله تعالى رب انى وضعتها انثى لانشاء التحسر وقال بعض المشايخ الوعد حق العبد والوعيد حق الله والكريم قد يترك حقه ولا يشاحح فيه وفى قواعد القرافى اختلف فى لزوم الوعد والوفاء به الفقهاء فقال مالك لا يلزم وبه قضى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه وقال سحنون يلزم اذا دخل فى أمر كقوله لآخر بع دارك وأنا أقرضك دراهم تشترى بها دارا تسكنها هذا ما قالوه برمتهم فى هذه ولها تتمة

لعل الدهر ينجز ميعادها (والتفصى عن عهدته) هو تفعل بالفاء والصاد المهملة منقوص بمعنى الخروج والخلاص وبينه وبين ماقبله تجنيس والعهدة بضم العين المهملة وهاساكنة يليها دال مهملة ضمان مايتعهده العاقل فى ذمته فيلزمه وأصل معناه الوثيقة فجعل المصنف رحمه الله اجابة سائله كامر التزمه فى ذمته يلزمه أداؤه ففيه استعارة تصريحية وعن متعلق بما بعده من قوله (يشرق به صدر العدو اللعين) يشرق من شرق يشرق كفرح يفرح من الشرق وهو وقوف الشراب ونحوه فى الحلق والغصة مثله لكن استعمالها فى غير المائعات أكثر والمعروف اسناده للحلق الذى هو مجراه كقوله

لو بغير الماء صدرى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

(وعند التقصى) بالقاف بمعنى الاستقصاء والتتبع أى وعند بلوغ المقصد الاقصى (لموعدته) بفتح الميم وكسر العين والتاء فيه للوحدة وهو بمعنى الموعد والمراد به المصدر وان كان يصلح أن يكون زمانا أو مكانا وقيل الموعدة اسم للعدة (والتفصى) بالفاء أى التخلص والتفلت (عن عهدته) أى التزامه وتحمله (يشرق) بفتح الياء والراء أى يضيق (صدر العدو) أى قلبه وأغرب التلمسانى بقوله هو مقدم كل شئ وأوله (اللعين) أى الملعون حسدا منه والمراد بالعدو الجنس أو ابليس واقتصر عليه التلمسانى والاول أظهر وأتم لشموله كل كافر كما يدل عليه مقابلته بالمؤمن فى قوله

و يسند للانسان نفسه وأما اسناده للصدر كما في عبارة المصنف رحمه الله فغير معروف فكأنه قصد به
المبالغة في كثرته وعدم الخلاص منه لان الغصة تكون سائغة اسعته فاذا كان الصدر نفسه شرقا لا يدفع
وشرق هنا بمعنى تألم واغتاظ كما في قول الاعشى

وتشرق بالقول الذي قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

وليس في قوله صدر القناة شاهد للمصنف رحمه الله وتعريف العدو جنسي أو استغراقي وهم اعداء
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ووصفه باللعين للذم لا للتقييد اذ كل عدو له صلى الله تعالى عليه وسلم
كافر مستحق اللعنة وأصله المطرود مطلقا كما في قول الشماخ

ذعرت به القطا وتعيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

ثم خص بالمطرود عن رحمة الله أو للعهد والمراد به ابليس بقرينة اللعين لانه مطوق باللعنة ليوم الدين
وقيل يشرق بمعنى يضيق كضيق صدر من شرق بريقه عند موته وفي المقتفى يضيق صدره حسدا
(و يشرق قلب المؤمن باليقين) مضارع أشرق اذا أضاء وهو لازم وجوز بعضهم تعديه كما في قوله

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

والباء آلية أو سببية كما في قوله تعالى (وأشرقت الارض بنور ربها) والقلب مشبه بما يقبل
الاضاءة أو بمشكاة واليقين مشبه بالنور كما يشبه به مطلق العلم ويشبه الجهل بالظلمة ويجوز فتح ياء
يشرق لانه يقال شرقت الشمس وأشرقت بمعنى والمعروف المزيد وان أثبت أهل اللغة ثلاثية أيضا
والاشراق صفة الكواكب ونحوها وما يقع عليه الضوء من الاجرام (ويملأ أنواره) الضمير المضاف
اليه لليقين والاضافة له مع انه جعل قبله النور عين اليقين اما لانه من قبيل لجين الماء اشارة الى أن
الاضافة لا تخص القلب بل تفيض على ما حوله فتملؤه أو المراد بالانوار أنوار أخر حاصلة من ذلك النور
أيضا كالهداية الى الحق ودفع الشبه الى نحوه كما ان نور الشمس الذاتي يحصل منه أنوار أخر تملأ الكون
والمراد بكونها مالئة له انها عامة شاملة له وهو استعارة مكنية مخيلة حيث شبهت الانوار بالمياه الفائضة
من البحار وأثبت لها المل ء ويجوز عود الضمير للقلب (جوانح صدره) جمع جانحة وهي الضلوع
التي تلي الصدر تحت الترائب كالضلوع مما يلي الظهر ولذا أضيف للصدر واضافة الصدر بضمير
القلب لما بينهما من الملابسة التامة والقلب معروف وتفسيره بلطيفة مدركة مرتبطة بهيكل الانسان
وقع لبعض الصوفية وهو مخالف للغة ومراد المصنف رحمه الله فلا وجه له كما مر (ويقدر العاقل النبي)
صلى الله تعالى عليه وسلم (حق قدره) يقدر بزنة ينصر يعرف مقداره ويتصور عظيم مقامه صلى الله
تعالى عليه وسلم كما هو وقد فسر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره بما
عرفوه حق معرفته والعاقل بعين مهملة وقاف وفي حواشي التلمساني انه بغين معجمة وفاء وقال المراد
انه يكون سببا لتنبه الغافل وقدرته ولو لم يقل انه رواية قلنا انه تحريف من الناسخ ومن له لب اذا تنبه
لما قاله المصنف وأحاط به خبرا عرف اجمالا اجلالة شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ولمعت من أفق
اليقين له بوارق برهانه وان لم يحط بجملته فانه لا تسعه العقول ولا يحيط به نطاق البيان كما قال

انما مثلوا صفاتك للناس * كما مثل النجوم الماء

ويقدر معطوف على يشرق (ويتحرر) الكلام فيه أي يتم ويجيء محررا مهذبا في هذا القسم وفيه
متعلق بالكلام لانه مصدر أو اسم مصدر يعمل عمل فعله أو حال منه وقوله (في بابين) متعلق بيتحرر
* (الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية) * أي الامور المتعلقة بما يجب ويجوز ويمتنع عليه بحسب
الشرع والدين (ويتشبث به القول في العصمة) التشبث بمثناة فوقية وشين معجمة وباء موحدة مشددة

(ويشرق) بضم أوله وكسر الراء أي يضيء ويستنير (قلب المؤمن باليقين) قيد مخرج للمنافقين وفي الكلام تجنيس تحريف (ويملأ أنواره) أي أنوار يقينه (جوانح صدره) بفتح الجيم وكسر النون جمع جانحة أي أضلاعه التي تحت الترائب مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر والمراد الاحاطة بجميع جوانب صدره (ويقدر) بضم الدال وقول التلمساني بضم وبكسر ليس في محله أي يعظم أو يعرف (العاقل) المهملة والقاف وفي نسخة بالمعجمة والفاء (النبي حق قدره) أي حق عظمته أو حق معرفته

* (اذ مبلغ العلم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم) * ولذا قال بعض العارفين الخلق عرفوا الله تعالى وما عرفوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وليتحرر) يتخلص ويتلخص (الكلام فيه في بابين الباب الاول) أي من القسم الثالث (فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث) أي يتعلق (به القول في العصمة) وهي خلق الله تعالى الامتناع من المعصية والامور الدينية

ومثانة التعلق والتمسك بما فيه ضعف كقولهم الغريق يتشبث بالحشيش أي النبات وضمير به لما فهم مما قبله أي بما ذكر أو بما يختص الى آخره جعله لكونه مرتبطا به كأنه متمسك به وفي التعبير به مع العصمة لطف لانها في الاصل بمعنى الربط ثم صارت بمعنى المنع وخصت عرفا بمنع الله عبده عن جميع ما لا يرضاه من الذنوب بمجرد حفظ الله له أو بخلق الله له صفة نفسانية تمنعه من ارتكابها ولكونها بخلق الله لمن يختار تفضلا منه لا يتوهم انه مبني على القول بالايجاب وان النبوة كسبية وهو ليس بمذهب أهل السنة ويكون أيضا بمعنى صونه عن أذية أعدائه بحيث لا يقدرون عليها كما في قوله تعالى والله يعصمك من الناس كما سيأتي واذا وقع لبعض الاولياء تسمى حفظا لا عصمة فلا يقال لغير الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه معصوم ولذا اختلف في الدعاء بالعصمة لغيرهم هل يجوز أم لا والصحيح كما قاله ابن حجر في الزواجر انه يجوز لانه ورد في الادعية المأثورة اللهم اعصمنا في الحركات والسكنات لكنه بمعنى مطلق الحفظ وسيأتي تحقيقه وتعلق العصمة بما ذكر لانها مبدأه ومنشاه (وفيه) أي في هذا الباب (ستة عشر فصلا) يأتي بيانها

(الباب الثاني في أحواله الدنيوية) أي الطارئة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا من جهة الاشباح لا من جهة الارواح ولذا قال (وما يجوز طروؤه عليه) أي عروضه وحدوثه يقال طرأ مهموزا بزنة منع طروأ كقعود وتبدل همزته واوا وتدغم في مثلها فيقال طرو كعلو وقد سمع ذلك كما في كتب اللغة القاموس وغيره ولا فرق بينهما وان كان في كلام ابن القطاع ما يقتضيه وفي المقتفى انه ضبط هنا بتشديد الواو واذا أسند الى الناس كان بمعنى القدوم يقال طرأ علينا فلان أي قدم فلذا قال (من الاعراض البشرية) جمع عرض بفتحتين وهو ما يعرض له من جهة ظاهرة سواء كان عرضا قارا أم لا والاطباء يخصونه بغير القار فيقولون عرض ومرض ويصف الاعراض الطارئة الحدوث حقيقة ولو فسر بالقدوم كان مجازا لكنه لا داعي له لما مر والبشرية المنسوبة للبشر ففيها اشارة الى انها غير مختصة به وما يجوز احتراز عن الاعراض المنقصة التي لا تجوز عليه فلا اطناب فيه كما توهم

(القسم الرابع في تصرف) هو تفعل من التصريف الذي هو التحول (وجوه الاحكام) ومعنى الحكم والوجوه جمع وجه له معان مجازية منها النوع والقسم يقال الكلام على أربعة أوجه وتصرفها تحولها وتبدلها كتصريف الرياح وقيل تنوعها وكونه بمعنى تنوعها وذكر الوجوه تجريد عدول عن الجادة بلا فائدة والمراد بيان أنواع الاحكام المتعلقة بها وما يلزم من قالها (على من تنقصه) متعلق بتصرف أي نسبة ما فيه نقص لجنابه صلى الله تعالى عليه وسلم المبرأ عن النقائص (أو سبه) السب الشتم أي بيان حكم من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم والفرق بينه وبين ما قبله ان السب المجاهرة بالصفات الذميمة والتنقيص أعم منه فان من قال يا محمد فقد تنقصه وليس بشاتم له وينبغي ان يخص بغير الشتم فليسا متساويين ولا بينهما عموم وخصوص حتى يرد عليه انه لا يصح العطف بأو هنا أو يتكلف فيقال حكم العام غير حكم الخاص أو يقال السب بمعنى اللعن وعلى متعلقة بتصرف أو بالحكم وكونها بمعنى الى أي تحول وجه الاحكام اليه على انه استعارة تعسف من غير داع ويجوز كون الجار والمجرور حالا (وينقسم الكلام فيه في بابين) ضمن ينقسم معنى ينحصر ويتم كما عبر به قبيله فمن قال معناه الى بابين أو حال كونه فيهما الى أمور فقد تكلف

(الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب ونقص) النقص هنا أعم من السب أو بمعناه كما مر فلذا عطف بالواو وليس بمعنى أو كما قيل وقيل الواو بمعنى أو كما فهم من كلامه الآتي (من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول) المراد بالنص هنا التصريح وله معان أخر كلفظ القرآن ولفظ الحديث والدلالة على ما لا يحتمل اللفظ غيره والتعريض ما يفيد معنى يلوح له الكلام ويومئ اليه كأنه يؤخذ من عرضه

الدنيوية وما يجوز طروّه بضمتين فسكون واو فهمز وفي نسخة بالادغام أي وقوعه وحدوثه (عليه من الاعراض البشرية) أي من العوارض الانسانية فان الاعراض جمع عرض بفتحتين وهو ما يعرض للانسان من مرض ونحوه من السهو والنسيان ثم اعلم ان صاحب القاموس ذكر مادة طرأ مهموزا ومعتلا وعلى تقدير الهمز يجوز الابدال والادغام (وفيه تسعة فصول) بل ثمانية (القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام) أي تنوع أنواعها من مسائلها ونوازلها (على من تنقصه) أي من عد فيه نقصا أو تكلم بما يتضمن نقصه (أو سبه) تخصيص بعد تعميم أي شتمه (عليه الصلاة والسلام) وفي معناه سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام) وينقسم الكلام فيه في بابين (الباب الاول) أي من القسم الرابع (في بيان ما هو في حقه سب ونقص) تعميم بعد تخصيص (من تعريض) أي كناية وتلويح (أو نص) أي ظاهر وتصريح وقال محشي نص عليه اذا عينه وعرض اذا لم يذكره منصوصا عليه بل يفهم الغرض بقرينة الحال (وفيه عشرة فصول) بل تسعة

أي

أي جانبه يقال نظر اليه بعرض وجهه وهو قسم من أقسام الكناية والمراد هنا ما يقابل النص لوقوعه عد لاه وفيه كلام طويل في كتب المعاني والتفسير بيناه في حواشي البيضاوي

(الباب الثاني في حكم شانئه) هو اسم فاعل مهموز الآخر من الشنآن وهو البغض والعداوة ويجوز ابدال همزته ياء وفتح نونه وتسكينها (ومؤذيه) هو الآتي بما فيه اذيته قولا أو فعلا يقال أذاه يؤذيه ايذاء واذاء ولا عبرة بما في القاموس من انكاره للايذاء كما بيناه في كتابنا شفاء الغليل (ومتنقصه) بتشديد القاف وفي نسخة صحيحة منتقصه بتقديم النون على المثناة الفوقية يقال انتقصه ونقصه وتنقصه اذا أتى بما فيه نقص لكمال قدره من قول أو فعل أو ترك يقتضي ذلك (وعقوبته) بالجر عطف على حكم أو على شانئه والضمير عائد على كل واحد لتأويله بالمذكور أو على أحدهما الا انه عين الاخير والعقوبة ضد العفو ما يقع في مقابلة ذنب واما قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به فهو مشاكلة أو بمعناه اللغوي (وذكر استتابته) معطوف على حكم والمراد به ما يتعلق بتوبته من القبول وعدمه اثباتا ونفيا وأصل معناه طلب التوبة وقيل الاستفعال للتحويل عن أصله الى غيره كقوله ❊ان البغاث بارضنا تستنسر❊ أي يتحول من البغاثية الى النسرية فالمراد به التحول الى التوبة بعد الكفر فتدبر (والصلاة عليه) أي الصلاة على جنازة من ذكر بعد موته (ووراثته) أي حكم وراثته نفيا واثباتا كما في ميراث المرتد وهل يرث هو من غيره أولا وتأخير الصلاة والوراثة عن الاستتابة في غاية الاحكام لمصادفته محزه (وفيه عشرة فصول) كذا في كثير من النسخ وهو سهو من قلم الناسخ والصواب كما في بعض النسخ خمسة فصول وهو الذي صححه مغلطاي والشمني في حواشيه وهو الظاهر ولا يتأتى فيه ما مر في الزيادة كما قيل اذ لو كان زيادة لم يضر ز النقص فكان المصنف بيض له ولم يلحقه بعد أقول هذا ما قاله برمتهم وسيأتي قريبا ما يرشدك الى الصواب فيه (وختمناه) أي جعلنا ختام هذا القسم لا الباب الثاني كما قيل أو الضمير للكتاب (بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله) أي لما ناسب هذا القسم جعله مكملا لما قبله من المسائل ومتصلا به بان عده بابا ثالثا من هذا القسم وان لم يكن منه والوصلة بضم الواو الاتصال وهو اسم مصدر بمعنى اسم الفاعل فلولا ما قصده كان هذا خاتمة الكتاب أو قسما خامسا (في حكم من سب الله ورسله) عليهم الصلاة والسلام مطلقا أو غير نبينا صلى الله عليه وسلم (وملائكته وكتبه وآل النبي) عليه الصلاة والسلام (وصحبه) رضي الله تعالى عنهم أي في حكم من صدر منه سب لواحد من هؤلاء أو للجميع أو الفريقين منهما مجتمعا أو منفردا ولا ينافيه كون من الموصولة تفيد العموم حتى يتوهم انه بقي حكم من سب فردا من هؤلاء غير مذكور والعطف بالواو لا يقتضي انه في حكم من سب هؤلاء على سبيل الاجتماع مع ان المراد الاعم من ذلك كما لا يخفى ولا حاجة الى ان يقال الواو بمعنى أو فان العموم يكفي لصحة امكان شموله سواء كان ذلك في الواقع أولا مع ان مثله انما يدقق فيه اذا كان في كلام يستدل بلفظه كالقرآن والحديث اما في كلام المصنفين فلا مع ان تعريف الموصول كاللام فيجري فيه أقسامها فسقط ما في بعض الشروح هنا من التعسف (واختصر الكلام فيه) بالماضي المجهول وفي بعض النسخ نختصر بالمضارع والاختصار تقليل اللفظ مع تكثير المعنى أي جعل الكلام متصفا بالاختصار فيما ذكر (في خمسة فصول) قال الصواب في عشرة كما في بعض النسخ وهو المطابق للواقع واما كون الزيادة بدت له بعده بناء على تقدم الخطبة على التاليف أو العدد لا مفهوم له فلا ينافي الزيادة فقدم ما فيه ولك أن تقول ان ضمير فيه ليس للباب الثالث حتى يرد عليه ما ذكر بل لما تقدم اجمالا والمعنى انه كان هم ان يجعل الباب الثاني عشرة فصول فاختصره في خمسة وأفرد للخمسة الباقية بابا ثالثا فصارت فصوله خمسة وهذا وان كان في غاية الخفاء أحسن من حمله على

(الباب الثاني) أي من القسم الرابع (في حكم شانئه) بهمز بعد النون أي مبغضه ومنه قوله تعالى ان شانئك هو الابتر (ومؤذيه) بالهمز ويجوز ابداله أي مضره وهو أخص مما قبله وبعده وهو قوله (ومتنقصه) وفي نسخة منتقصه (وعقوبته) أي وفي بيان عقابه وجزائه في الدنيا (وذكر استتابته) أي طلب توبته (والصلاة) أي وذكر صلاة الجنازة (عليه ووراثته) أي من المسلم أو المسلم منه (وفيه عشرة فصول) قال الحلبي هكذا في الاصول لكن بخط مغلطاي ان صوابه خمسة يعني عوض عشرة (وختمناه) أي القسم الرابع (بباب ثالث جعلناه تكملة) أي تكميلا (لهذه المسألة ووصلة) بضم الواو أي توصيلا (للبابين اللذين قبله) أي من القسم الرابع (في حكم من سب الله تعالى) متعلق الباب الثالث (ورسله) وكذا حكم أنبيائه (وملائكته وكتبه) أي المنزلة (وآل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصحبه) عموما أو خصوصا (واختصر الكلام) بصيغة المجهول الماضي وفي نسخة بصيغة المتكلم وفي أخرى واختصرنا الكلام أي بالاقتصار على المقصود (فيه) أي في هذا الباب (في خمسة فصول) بل في عشرة فصول على ما ذكره التلمساني وقال الحلبي هكذا وقع أيضا في الاصول وصوابه عشرة فصول لانه فيما يأتي ذكره عشرة

الخطاوهذا ماوعدناك به فان صادف محز القبول والا فاطرحه فى زوايا الغضول و يكون هذا معنى قوله (و بتمامها) أى بتمام هذه الفصول المكملة لماقبلها (ينتجز الكتاب) تفعل من نجز بجيم وزاى معجمة أى تم وانقضى فهو مطاوع نجز قال ابن القطاع نجزت الحاجة وأنجزتها فتنجزت قضيتها وقالوا نجز بالفتح والكسر أشهر وفى غيره انه بمعنى يحضر أو يتم أو ينقطع وفى المقتنى أنجزت حاجتك قضيتها والكتاب حاجة للسائل موعود بها وهو مختلف فى النسخ ففى بعضها من الافتعال وفى بعضها من التفعل والكل بمعنى واختار المزيد لانه أبلغ وقيل ليفيد انه بفعله (تنبيه) فى الملائكة أقوال لاهل اللغة فقيل جمع ملاك بزنة فعل شذ وذا وقيل مفرده ملأك كشمأل حذفت همزته بعد القاء حركتها على ماقبلها ثم ردت للجمع فوزنه فعائله وهمزته زائدة وقيل ملأك على وزن مفعل فيه زائدة وو زن جمعه مفاعلة وقيل مفرده مألك فنقلت فوزن جمعه مفاعلة وقيل مفرده ملاكة كفعالة من لاكه يلوكه فحذفت عينه تخفيفا ووزنه مفعل وملائكة وزنه مفاعلة ويقال فيه ملائك أيضا (وتتم الاقسام) يعنى الاربعة المذكورة (والابواب ويلوح فى غرة الايمان لمعة منيرة) يلوح بالحاء المهملة بمعنى يبدو و يظهر والغرة فى الاصل بياض فى جبهة الفرس و يطلق على كل شئ وأوله واللمعة بضم اللام من لمع الشئ يلمع لمعانا اذا أضاء وجمعه لمع ولماع كبرمة وبرام واللمعة أيضا البقعة فيها الكلأ والقطعة من النبت اذا يبست فابيضت وموضع لا يصيبه ماء الغسل ذكره الصغانى وعليه استعمال الفقهاء واما اللمعة بالفتح فمصدر لمع والرواية هنا على الضم ومنيرة من أنار و يكون لازما ومتعديا أى ذات نور و يكون بمعنى بين واضح ومبين ومظهر والمراد انه اذا تم مافى كتابه وانتقش فى صحائف الاذهان ازداد نور الايمان لان الايمان بالله ورسله عليهم الصلاة والسلام اذا اقترن بتعظيم هذا النبى الكريم ومحبته والعلم بما تؤدى اليه مخالفته من النكال أوصل صاحبه لاعلى عليين اذا عرفت هذا فيلوح ان قرئ بالمثناة الفوقية ففاعله لمعة وان كانت بالتحتية ففاعله ضمير ماذكره ولمعة الموصوف تمييز أو حال وغرة الايمان أشرفه وأظهره فاضافته حقيقية أو هو كلجين الماء لانه به يشمر صاحبه وتظهر سعادته فى الدارين أو يظهر انه جواد سابق فى حلبة السابقين الاولين ففيه استعارة مكنية وتخييلية وعلى الرفع فيه تجريد كقوله * وفى الرحمن للضعفاء كاف * واللمعة هى الغرة أو غرة الايمان بمعنى ظاهره واعلاه على انه استعارة مصرحة وجعل ماذكر فيه لمعة فيه أى نورا لا تحاليه لانه زيادة فى ايمانه واشار بانه لمعة الى انه من جنسه لا يكاد يتميز عنه وان كان البياض يقبل الزيادة حتى يتميز بعضه عن بعض بشدة بياضه ولذا وصفه بالانارة فان فهمت فهو نور على نور وفى بعض الشروح انه شبه الايمان بفرس ينجى صاحبه من المهالك والاغر محمود فى جنسه ففيه استعارة مكنية واثبات الغرة تخييل أو شبه كتابه هذا بلمعة منيرة فى غرة فرس على نهج الاستعارة المصرحة وكنى بغرة الايمان عن الكتب المؤلفة فى شانه صلى الله تعالى عليه وسلم وكنى باللمعة عن كتابه وان له من بينها شانا لجمعه ما تفرق فيها وفاعل تلوح لمعة لا ضمير الكتاب كما توهم أو الغرة مطلق البياض والايمان التصديق بما جاء به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واضافته من اضافة الصفة لموصوفها أى فى الدين النقى يلوح لمعة منيرة واللمعة كتابه فكانه زاد بياض الدين ونوره وتنكير لمعة للتعظيم أو للتقليل بالنسبة لشرف مقامه والاول أولى ولا يلزم من كون كتابه منيرا سلب النور عن غيره من الكتب حتى يكون ذماله غايته ان له زيادة عليها واعترض على المصنف رحمه الله تعالى بجعله للمعة فى الغرة بانها لا تظهر فيها فكان عليه ان يقول يلوح فى جبهة الايمان غرة وبما قررناه علم ان هذا بمراحل عن المرام وانه غنى عن الرد ولك ان تقول اللمعة هنا جزء من الغرة لا أمر زائد عليها والمعنى ان الايمان كالغرة المميزة لصاحبها لان هذه الامة غر محجلون و يعنى ان هذا الكتاب شعبة من شعبه

(وبتمامها) أى باتمام فصول هذا الباب الثالث من القسم الرابع (ينتجز الكتاب) أى ينقضى وينتهى (وتتم) أى وتكمل (الاقسام) أى الاربعة (والابواب) أى الثلاثة عشر جميعها وهو كالتفسير لماقبله (وتلوح) أى تضئ وتظهر به (فى غرة الايمان) أى بياض جبهته ومقدمة طلعته (لمعة) بالضم أى قطعة (منيرة) أى منورة لمن اطلع عليها وقد يقال الغرة استعيرت للشرف والشهرة

وهذا

وهذا أحسن وأوضح مما قالوه وقوله (وفي تاج التراجم درة خطيرة) أي عبارته الدالة عليه لاستلزامها لاظهار الايمان والاقرار به بمنزلة تاج على رأس عظيم لدلالتها على رفعة قدره وما يدل منها على هذه المعاني كدرر مكللة بها التاج ومناسبة الغرة للتاج والدرة ظاهرة فهو على هذا خبر مبتدأ أو تقدير عبارته أو هي درة على الاستخدام لان ما تقدم معان وهذه ألفاظ وكونها زينة ظاهر وفيه استعارة مكنية لتشبيه العارف بها بذي سلطان واثبت له ما هو من لوازمه والتراجم جمع ترجمة بمعنى العبارة في كلامهم كثير كقوله في ادب الكاتب ترجمة تروق بلا معنى وقدم انه معرب وفي شرح ادب الكاتب انه عربي وهي تفعلة من الرجم يقال رجمت اذا ظننت قال الله تعالى رجما بالغيب قال

ماكان من غيب ورجم ظنون * فكان الترجمان الذي يصيب

بظنه معنى كلام المتكلم بلسانين ويقال ترجمان وترجمان وفي النهاية تراجم جمع ترجمان بفتح التاء وضمها وهو المترجم وفيه نظر وخطيرة بخاء معجمة وطاء وراء مهملتين بمعنى ذات قدر عظيم وقيل التراجم ما ألف في معناه كدلائل النبوة لترجمتها عن نعوت النبوة وجوز بعضهم ان يراد بالتراجم العلماء بناء على انه جمع ترجمان وهو بعيد جدا ولما ذكر ان كتابه من الانوار الربانية أردفه بجعله من بين نظائره كدرة باعها الما على انه شبه التراجم أي الكتب بالملوك للانقياد لها والعمل بما يقتضيه أو تشبه كتب السير بتاجها الذي به محزها وكتابه بدرة نفيسة تشبيها بليغا أو استعارة تمثيلية أو مكنية تخييلية مرشحة وتاج التراجم كالجبين الماء وفيه اشارة الى ان كتب المتقدمين في غنى عنه وفي تاج معطوف على قوله في غرة فهو متعلق بيلوح (تزيح كل لبس) تزيح كتزيل وزنا ومعنى والضمير المستتر فيه راجع لما يرجع له ضمير يلوح وهو جملة الاقسام والابواب ويجوز رجوعه للمعة وهو أولى من رجوعه لدرة لازالتها بضيائها ظلمة اللبس وان رجحوه لقربه وعدم العاطف ومثل هذه الجمل بعد النكرات المتبادر انها صفات وان جاز ان تكون استئنافية واما كونها حالا فبعيد واللبس في الاصل الخلط والاختلاط قال الله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل فالمراد الاشتباه أو الشبه يعني ان كتابه يزيل الاشتباه في احواله صلى الله تعالى عليه وسلم أو في الدين في الجملة وقيل اللبس هنا بضم اللام الشبهة (وتوضح كل تخمين وحدس) لفظ حدس سقط من بعض النسخ ووقع في بعضها على انه قافية فهو فقرة مستقلة وفي المقتفي انه سقط من نسخة المصنف فتخمين قافية مع ما بعدها على نمط واحد وله وجه والتخمين والحدس متقاربان وهما الاعتقاد بمجرد الظن والتوهم وعند أهل الميزان الحدسيات أمور يحكم فيها العقل بما يلوح للنفس من الامارات الدالة عليه كالحكم بان القمر يستفيد الضوء من الشمس بواسطة تشكلات نوره بحسب قربه وبعده منها فالمراد هنا ان كتابه هذا يوضح الامور المتوهمة بحيث يشرق عليها انوار اليقين فيضمحل التخمين ويطلق الحدس أيضا على سرعة الانتقال من المبادي للطالب والمراد الاول لانه حقيقة لغة (وتشفي صدور قوم مؤمنين) مناسبة هذا الكتاب وللمعنى المقصود في الآية ظاهر لان المراد انه يشفيهم من مرض الجهل والشبه والغيظ حيث حكم بقتل العدو كما حكم هنا بقتل الساب الا انه وقع هنا في نسخة يشف بدون ياء في آخره لانه مجزوم في النظم الكريم وفي نسخة بياء في آخره لانه مستأنف مرفوع في كلام المصنف رحمه الله اذ لم يتقدمه ما يقتضي الجزم قالوا وهو مصحح هكذا في نسخ المشايخ كمغلطاي والنسخة الاولى لا وجه لها هنا الا قصد حكاية لفظ التلاوة والاقتباس وأورد عليه انه جعله من كلامه ولا موجب للحذف فيه وكيف تقصد التلاوة والضمير في الآية لله لا للدرة واللمعة حتى يرد عليه انه ينبغي ان تكون العبارة تشفي بالتاء الفوقية لان فاعله ضمير المؤنث ويعتذر عنه بانه عائد عليها باعتبار كونها كناية عن الكتاب كما قيل فانه تكلف انت في غنى عنه بما سمعته آنفا وأول الآية

(وفي تاج التراجم) بكسر الجيم أي ويلوح في تاج تراجم الايقان (درة خطيرة) أي ذات خطر وقدر ويعني بها جوهرة نفيسة أو لؤلؤة ليس لها قيمة لمن وقع يده عليها ثم كل من لمعة ودرة مرفوعة على الفاعلية لان لاح فعل لازم ففي القاموس ألاح بدا والبرق أومض كلاح وجعل التلمساني ضمير يلوح الى الكتاب المتقدم ذكره وانتصابهما على الحال (تزيح) استئناف مبين أو جملة حالية من الازاحة أي تزيل اللمعة وفي معناها الدرة (كل لبس) بفتح فسكون أي اشكال وخلط وشبهة وخبط (وتوضح) أي تكشف وتظهر (كل تخمين) أي قول من غير تحقيق (وحدس) أي صادر عن ظن ووهم وهو قد سقط من أصل المؤلف على ما قاله بعضهم لكن لا بد من ذكره لتمام السجع وهما بمعنى واحد (وتشفي صدور قوم مؤمنين) عطف على تلوح وفي نسخة بحذف الياء ولعله قصد التلاوة لكنه مع ما بعده بصيغة التانيث في نسخة صحيحة

قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وهو مجزوم فيهما في جواب امر غير مذكور ولا يقدر في كلام المصنف رحمه الله تعالى ولا يخفى ان الحكاية مسوغة لما ذكر والمقتبس قد يبقى بلفظه وقد يتغير كما في قول ابن الرومي

فقد أنزلت حاجاتي * بواد غير ذي زرع

فان المراد به في القرآن واد لا نبات فيه وفي الشعر رجل لا خير فيه كما ان المراد في النظم بالقوم بنو خزاعة وهنا مطلق المؤمنين والمراد انه يشفي صدورهم بما يقفون عليه من صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم لايمانهم حتى يقال ان المؤمنين قلوبهم مشفية ويجاب بان الايمان يقبل الزيادة وزيادة الشفاء شفاء فانه كلام ناشئ من سوء الفهم وقد اختلفوا في جواز الاقتباس فاجازه بعضهم مطلقا ومنعه آخرون مطلقا وفصل بعضهم فقال الحق جوازه ولو مع تغيير لفظه اذا لم يقصد التلاوة ولم ينقل الى معنى سخيف من هزل ونحوه فان فيه تلاعبا بالقرآن لا يجوز ولذا نقل عن الامام مالك رحمه الله انه لا يجوز التفاؤل من المصحف وما وقع في فتاوى الصوفية من ان عليا كرم الله وجهه فعله لا أصل له وفي كتب فقه الشافعية جواز ذلك مع الكراهة (وتصدع بالحق) أي تجهر بما يدل على الحق وهو الامر الثابت في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن عرفة رحمه الله تعالى في قوله فاصدع بما تؤمر أي فرق بين الحق والباطل يقال تصدع القوم اذا تفرقوا أي يظهر به أو يحكم أو يفصل ويأتي الكلام على هذه الآية عند ذكر المصنف لها وما قيل انه يحتمل ينشق بالحق أي يظهر من خلال تراكيبه تعسف لا داعي له وقيل المراد بالحق هنا القرآن لما فيه في كثير من آياته وقد جاء الحق مرادا به القرآن في الآيات وهو تكلف أيضا وهو في الاصل استعارة من صدع الاناء اذا شقه وقيل المراد ينشق القلوب بما فيه من الادلة القاطعة والبراهين الساطعة (ويعرض) بضم أوله وكسر ثالثه رباعي أي يصد (عن الجاهلين) بحقوق الله ورسوله والغافلين عن علي قدره واعراض الكتاب عنهم استعارة لعدم التفاته لاقوالهم ذكرا وردا كمنكر الحشر ونحوه فلا يعبأ بهم فانه انما صنف كتابه للمؤمنين أو المراد عدم انتفاعهم به فانهم كتبت عليهم الشقاوة والسامع للحق اما مؤمن يستشفي به صدره ويزداد ايقانا أو كافر له عقل سليم يرتجى قبوله الحق أو ذو غباوة مفرطة أو معاند فاشار الى الاول بقوله تشفي والى الثاني بقوله تصدع والى غيره بقوله تعرض الخ وهذا لا يلاحظه المصنف في كلامه لان كتابه انما صنفه للمؤمنين كما صرح به وقد يراد في بعض الاقسام من يضاهيهم في بعض الصفات (وبالله سبحانه لا اله سواه استعين) في النسخ هنا اختلاف ففي بعضها بدل سبحانه وتعالى وفي بعضها اسقاطهما وفي بعضها لا اله الا الله الحق المبين وليس فيه اختلاف معنى والتسبيح التنزيه عما لا يليق وسبحان مصدر سبح والكلام عليه ليس هذا محله وطلب المعونة من الله على ما قصده من التاليف والانتفاع به وسبحه لان السائل ينبغي ان يقدم الحمد والتعظيم قبل الطلب كما وقع في الفاتحة فنزهه أن يخيب قاصده ولذا قال لا اله سواه أي لا معبود ولا مقصود في المهمات سواه والجملتان معترضتان بين استعين ومعموله المقدم للاهتمام وافادة الحصر لان الاستعانة الحقيقية لا تكون الا من الله وغيره وسائط ولذا استشكل حصر الاستعانة في اياك نستعين مع الاستعانة باسمه في باء بسم الله على أحد الوجوه * وأجيب بان طلب المعونة لا يكون الا من الله واما معونة الشفاعة والتوسل فيكون من غيره كانبيائه ورسله كما ذكره شراح الكشاف والمعونة اما ضرورية يتوقف عليها الفعل كالآلة أو مسهلة كالراحلة للقادر على المشي كما فصله القاضي في تفسير واياك نستعين قيل وعلى نسخة بالله لا سواه اشكال لان التقديم يفيد الحصر والعطف بلا يفيده أيضا ولذا منع أهل المعاني العطف به بعد الحصر كما في عبارة المصنف وقالوا انه غير صحيح عندهم ثم أجاب بان الذي منعوه بعدما

(وتصدع بالحق) أي تجهر به وتظهره (وتعرض عن الجاهلين) أي تتركهم ايماء الى قوله سبحانه وتعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين (وبالله تعالى لا اله) أي توكلنا اذ لا معبود بحق موجود (سواه) أي غيره والجملة معترضة حالية (استعين) أي أطلب المعونة به لا بغيره من المخلوقين بقوله تعالى اياك نستعين أي نخصك بالاستعانة لان غيرك عاجز عن الاعانة وفي نسخة وبالله لا سواه استعين لا اله الا هو الملك الحق المبين

والا فلا يقال ماقام الا زيد لا عمرو واما بعد حصر التقديم ونحوه فلم يقف عليه فيجوز ان يفرق بينهما مع افادته الحصر وقصده غير متعين الى آخر ما قرره فاطال فيه * أقول هذا اعجب منه فان هذه المسئلة ذكرها عبد القاهر والسكاكى ووقع فى كلام الزمخشرى فى مواضع ما يخالفه كقوله تعالى فى سورة آل عمران ماهى الاشهوات لاغير وذكر شراحه كلهم ان هذا لم يقم عليه دليل عند العلامة والخلاف انما هو بعد ما والا والنفى الصريح لافى غيره فالسؤال والجواب ساقط وقد تكلمنا عليه فى السوانح ثم انه شرع فى المقصود فقال

(القسم الاول فى تعظيم العلى الاعلى)

أسماء الكتب وألفاظ التراجم فيها احتمالات مشهورة أقربها ان المراد بها الالفاظ والمعروف انها ظروف وقوالب للمعانى فاذا عكس كما هنا فهو بتقدير مضاف أى فى بيان تعظيم الخ والبيان يكون بهذا اللفظ وغيره فهو من ظرفية الخاص فى العام لدخوله فيه وشموله له تشبيه احد الشمولين بالآخر على المشهور والمعنى لما يخيل أولا وأتى له بلفظ تقديره كان كالظروف المقصود الذى يؤتى له بظرف مناسب أوهو كاللباس كما فصلوه وقيل فى بمعنى اللام والمراد بكونه فيه انه مقصود منه فلا ينافى ذكر غيره بطريق التبعية والعلى هو العالى شانه فى نفسه والاعلى عما عداه فالاول بالنظر لذاته فلذا قدم والثانى بالنظر لغيره وليس للتفضيل على معنى انه لا يشاركه ولا يدانيه شئ ولذا عدى بعن فقال الله تعالى (عما يقول الظالمون) لبعده عن مخلوقاته ولذا قال الله تعالى سبح اسم ربك الاعلى * فان قلت لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها فى سجودكم ولما نزل (فسبح باسم ربك العظيم) قال اجعلوها فى ركوعكم فما وجهه * قلت هو الهام والهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحى وقد فهمه من الموحى به لان تنزيه الخالق المنعم عن مشاركة مخلوقاته فى علوه وتعظيمه يكون قولا واعتقادا وفعلا ومشاركة القول للاعتقاد والفعل بالتلبس بما يدل عليه واظهره وضع أشرف اعضائه فى تراب الذل الذى ينبت العز وكل مكان ينبت العز طيب فلذا كان العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد وكان دعاؤه مستجابا ولما كثر تعظيم العظماء بالانحناء قائما امر بان يقول سبحان ربى العظيم فى الركوع ومن هنا يفهم وجه ذكر الاسم والرب وفى تعبير المصنف رحمه الله من البلاغة ما عرفته فان تعظيم العظيم اعظم والعلو فى المكان فعله علا يعلو كدعا يدعو وفى الرتبة على يعلى كرضى يرضى (لقدر النبى المصطفى) صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم معناه (قولا وفعلا) وفى نسخة لقدر المصطفى وهو متعلق معنى بتعظيم واللام للتقوية وفى تعظيم قدره أى رتبته تعظيم أبلغ من تعظيم ذاته والمراد بالقول ما ورد فى القرآن والكتب السماوية والاحاديث القدسية وبالفعل ما خصه به من التاييد ورفع ذكره ودينه ونسخ شريعته لما عداها واكرامه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمعجزات وغيرها ولا وجه لتخصيص الاول بالقرآن والثانى بالمعجزات الا ان يكون قد اقتصر على أعظم ما أعظم به فليس بسهو كما قيل (قال القاضى الامام أبو الفضل وفقه الله تعالى وسدده) هو عياض ابن موسى السبتى بفتح السين نسبة لسبتة بلدة بالمغرب لانه كان بها قاضيا كما مر ولذا اشتهر بالقاضى اليحصبى بالحركات الثلاث فى الصاد كما مر وهى قبيلة من العرب وقد قدمنا ترجمته وقد أفردها بعض أهل العصر بجزء سماه * زهر الرياض * فى محاسن عياض * وما وقع فى النسخ من قوله الامام من تلامذته النساخ لانه لا يمدح نفسه كما تقدم (لاخفاء على من مارس شيأ من العلم) أى ليس شئ من الخفاء والاستتار عند من له علم ومارس بمعنى عالج ولازم من الممارسة وهى وضع الحبل فى البكرة للسقى ويقال مرس الشئ اذا عركه كما فى افعال ابن القوطية ثم شاع فى كل ملابسة

(فصل)
(فى تعظيم العلى الاعلى) أى رفعة ورتبة (لقدر النبى المصطفى) وفى نسخة بحذف النبى ووجوده أولى كما لا يخفى (قولا) ورد به القرآن الكريم والفرقان القديم (وفعلا) من معجزات باهرة وآيات ظاهرة ونصبهما بنزع الخافض (قال الفقيه) على ما فى نسخة (القاضى الامام) على ما فى أخرى (أبو الفضل رحمه الله تعالى) ففيه اشعار بانه ملحق من كلام غيره وفى نسخة صحيحة وفقه الله وسدده ففيه تصريح بانه من كلام نفسه لكن لا يلائمه حينئذ وصف الامام (لاخفاء) بفتح الخاء أى لا يخفى (على من مارس) أى لازم ودارس (شيئا) أى قليلا (من العلم

مع المزاولة والملازمة وشيأ المراد به شئ قليل أوشئ يعتدبه والاول أبلغ والثانى أنسب بالممارسة ونفس الامر والمراد بالعلم المعلومات أوالاصول والقواعد مطلقا أوالشرعى منها وليس المراد به الملكة ولا الصورة الذهنية والشئ ما يصح ان يعلم ويخبر عنه والوجود فى الخارج ويصح ابقاؤه على عمومه كما يقال فلان ليس بشئ أى ليس مما يصدق عليه لفظ شئ ولامانع منه كما قيل (أوخص بادنى لمحة من فهم) خص بضم الخاء على صيغة المجهول الماضى بمعناه الاصلى من التخصيص وقيل انه بمعنى فضل أى صار ذا فضل ان لم يكن التخصيص اضافيا والمقام يأباه لان المراد ان الله تعالى خصه بشئ قليل من الفهم دون ان يعطيه شدة فهم وذكاء فان ماذكر اذا لم يخف على مثله لم يخف على أحد غيره واوعلى أصلها لاحد الشيئين أى لايخفى على مثل هذين ولاحاجة الى جعلها بمعنى الواو والفهم تصور المعنى من اللفظ أوسرعة الانتقال ويجوز أن يكون أو بمعنى بل كما فى قول جرير

كانوا ثمانين أوزادوا ثمانية * لولا رجاؤك قدقتلت أولادى

فهى للترقى ممن عنده علم الى من له أدنى فهم وأدنى يكون بمعنى أصغر مقابل الاكبر وبمعنى أقل مقابل الاكثر وبمعنى أخس وأرذل مقابل أشرف كما فى قوله تعالى (تستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير) والكل من مادة دنى وقيل الاخيرة مقلوب أدون من الدون وهو الردى أى أردأ ولمحة بفتح اللام من اللمح وهو كما فى القاموس اختلاس النظر وسرعته فلذا كنى بها عن القلة كقوله تعالى (وما أمر الساعة الا كلمح البصر) وقال التلمسانى اللمحة بالضم قليل النظر وبالفتح المرة قيل فان صح الضم هنا فالمراد بالادنى الاقل وبالفهم قليله وهذا بطريق الكمية والاول بطريق الكيفية ومن فى قوله من فهم ان كانت بيانية فهو استعارة بجعل ماللبصر للبصيرة ويؤيده انه وقع فى نسخة بادنى لحظة واللحظ النظر بمؤخر العين وان كانت ابتدائية أى لمحة ناشئة من فهم فهو يجوز فيه أن يكون باقيا على حقيقته وفى نسخة من الفهم معرفا (بتعظيم الله قدر نبينا) أى مرتبته وشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم والباء قيل انها للملابسة وقيل بمعنى فى وقيل بمعنى من أى من جهته وقيل انها سببية وهل هو مستقر ولغو فى متعلقه احتمالات ووجوه أشار اليها الشراح وعلى كل حال لم يأتوا بما يثلج الصدر والظاهر ان مراد المصنف رحمه الله تعالى انه لاخفاء فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم عند من له أدنى بصيرة وحينئذ فخفاء اسم لا وقوله على آخره متعلق به لانه يتعدى بعلى يقال خفى عليه كذا فهو حينئذ منون لشبهه بالمضاف بتعلق الجار ويجوز بناؤه على الفتح على لغة حكاها نحاة بغداد وقد روى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لامانع لما أعطيت) بلاتنوين فقال المحقق الحفيد رحمه الله تعالى جمهور النحاة على وجوب التنوين فى مثله بجعل الظرف معمولا له فيكون شبيها بالمضاف وأما جعله معمولا لمقدر على انه خبر لا فلا يناسب المعنى اذ المقصود كونه للاسم لا للخبر كما لايخفى لكن بعض النحاة جوز ترك التنوين وكذا جوزه الزمخشرى وتبعه القاضى فى قوله لاتثريب عليكم اليوم الا انه منعه فى قوله لاغالب لكم اليوم فكأنه مال الى المذهبين فى الموضعين انتهى فان قلنا على متعلقة بخفاء على الوجهين فقوله بتعظيم الى آخره خبر لا والباء بمعنى فى أو للملابسة أو بمعنى من والظرف مستقر فان قلنا انه لغو فالباء متعلقة بعلم أو بفهم لان العلم قد يتعدى بالباء وقدر بالنصب متعلق بتعظيم (وخصوصه اياه) أى تخصيصه نبيه الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم من بين سائر الناس فالخصوص بمعنى التخصيص لابمعنى التفصيل كما توهم فانه عدول عن الظاهر بغير داع وهو مصدر مضاف للفاعل وهو ضمير الله والضمير المنفصل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مفعوله (بفضائل

أوخص) بصيغة المجهول أى خصه الله تعالى من بين العوام (بادنى لمحة) بفتح اللام وهى النظرة الخفية وروى لحظة وأما قول التلمسانى هى بضم أوله أى شئ قليل من النظر وأصله من لمح البصر وهو نظر لاتردد فيه واللمحة بالفتح المرة وهو والاولى ههنا لانه اذا كان يفهم ذلك مرة فيظهر فذو المراد أولى وأشهر فهو كلام غير محرر اذضم اللام غير مشتهر فتدبر (من فهم) ويروى من الفهم وهو أظهر (بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلاة والسلام) الباء ظرفية متعلقة بخفاء وقدر منصوب على المفعولية (وخصوصه اياه) أى وتخصيص الله تعالى نبينا (بفضائل) أى بزوائد من الكرامات

ومحاسن

(ومحاسن ومناقب) كلها مجرورة بالفتح لمنع الصرف والجار والمجرور متعلق بخصوص والمراد ما أعطاه الله له من الكمال النفسي والبدني خلقا وخلقا وصورة وسيرة من الامور الدينية والدنيوية التى لا يدانيه فيها أحد وهذه عبارات متقاربة معنى متغايرة مفهوما وقد تفسر بمعان متغايرة متباينة فيقال المراد بالفضائل ما تفرد به من العلم والعمل وبالمحاسن ما يتعلق بذاته الكريمة وبالمناقب ما يفتخر به من عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم وسيادته وشفاعته فى المحشر كما هو مقتضى العطف وأصل الفضائل جمع فضيلة وقد يخص بما لا يتوقف تحققه على تعدى أثره ويقابله الفواضل كما مر والمحاسن الحسن فى الصورة جمع حسن على خلاف القياس أو جمع محسن وهو الموضع الحسن من البدن كما فى القاموس والمناقب ما يفتخر به كما مر وضده المثالب وحاول بعضهم اثبات تغايرها بما لا تساعده اللغة عليه ويأتى فى الحديث (انا سيد ولد آدم ولا فخر) أى انا لا أفتخر به كعادة الناس وان كان لا فخر أعظم من فخره وقوله ولا فخر احتراس وتكميل وهو يكون فى الاول والآخر والوسط خلافا لمن خصه بالاخيرين فالاول كقوله

ألا يا اسلمى يا دارمى على البلا * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

والآخر كالحديث والوسطى كقوله

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الحياء وديمة تهمى

فان الدعاء بالسلامة أولا احتراس ولا ينافيه قوله لا زال كما صرح به بعض الادباء وان غفل عنه من فضل بيت طرفة عليه (لا تنضبط بزمام) فتضبط بالتاء الفوقية ويجوز بالتحتية على ان الضمير للفضائل وما معها أو للمذكور وأصل الضبط الحفظ بالامساك بيد ونحوها واما كونه بمعنى الاحصاء والحصر ومنه الضابط للقضية الكلية وقيل بينهما فارق عرفى فلم يرد فى اللغة وانما استعمله المصنفون والمولدون كان الكلى لجميع افراده حافظ لها وممسك وللتجوز وجه أى ما ذكر لا يمكن احصاؤه وتفصيله وبزمام روى بالباء واللام كما قال التلمسانى والاول أظهر والثانى أشهر فان باء السببية ولام التعليل متقاربان معنى والزمام بكسر الزاى المعجمة ما يزم به أى يشد البغل والناقة ولا تختص بالثانى كما فى القاموس وفى كلامه هنا استعارة تصريحية أو تمثيلية فالقول بانه لا استعارة فيه وان فسر بمطلق الشد لا وجه له وانما هو كما قيل فى المثل كثرة الشد ترخى فافهم وأما جعله استعارة مكنية بتشبيه الفضائل بناقة قوية تغلب صاحبها افر كيلك جدا (وتنويه من عظيم قدره) يقال نوهت اسمه اذا رفعت ذكره وأشعت تعظيمه قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك وفى حديث عمر رضى الله تعالى عنه انا أول من نوه بالعرب أى رفع ذكرهم بالديوان والاعطاء وهو مجرور بالعطف على التعظيم أو الخصوص وعظيم قدره بمعنى قدره العظيم وفى نسخة لعظيم قدره باللام والمشهور من المبينة لمقدر يفسره قوله (بما تكل عنه الالسنة والاقلام) أوله بناء على جواز تقديم البيان على المبين كما ذهب اليه بعض النحاة فلا وجه لرده بمنع تقديم ما فى حيز الصلة عليها الا انه على هذا متعلق بمقدر أو حال من الموصول وقيل من بمعنى اللام أو زائدة وبما متعلق بتنويه وما عبارة عن أمور أو وجوه وتكل بمعنى اعيى وتعجز الالسنة والاقلام عن احصائها أو على تشبيه الالسنة والاقلام بالناس أو هو من كل السكين بمعنى عدم قطعها فهو أيضا استعارة مصرحة أو مكنية وبين الالسنة والاقلام مناسبة تامة فانهم قالوا القلم أحد اللسانين فيشبه أحدهما بالآخر وينسب له كما قيل

وألسنة الاقلام تشكر دائما * صنيع الذى أوليت فى اليد والفم

(ومحاسن) أى ومستحسنات من الاخلاق المكرمات (ومناقب) أى وبنعوت وصفات كثيرات من الكمالات العلمية والعملية التى أسناها معرفة الله سبحانه وتعالى من حيث الذات والصفات (لا تنضبط) أى لا تجتمع لكثرتها ولا تنحصر ولا تدخل تحت ضبط (لزمام) بكسر الزاى قال التلمسانى يروى بالباء واللام انتهى لكنه فى النسخ المصححة باللام فقط أى لضابط يريد ضبطها ويقصد ربطها ويجتهد فى احصائها ويتوهم امكان استقصائها وهو مستعار من زمام الناقة وهو ما يجعل فى حلقه مسكوكة فى أنفها لحصول انقيادها (وتنويه) أى وبرفع ذكره ومن تبعيضية وأبعد الدلجى فى قوله من زائدة (من عظيم قدره) أى من قدره العظيم وفى نسخة صحيحة من عظم قدره وفى أخرى بعظيم قدره (بما تكل) بفتح فكسر فتشديد أى بما تعجز وتعيى (عنه الالسنة) أى ألسنة الانسان فى البيان (والاقلام) أى وتبيان البنان

(فمنها) أى مما علم عنه بما من الفضائل (ماصرح به فى كتابه) الضمائر لله أى نص عليه وأظهره وقال المرزوقى رحمه الله تعالى فى قوله * فلما صرح الشر أمسى وهو عريان * فقال صرح الشر بالنصب اذا أظهره وصرح هو اذا انكشف ومثله بين الشر وبين هو فيكون لازما متعديا بالباء ومتعديا بنفسه (ونبه به) أى بما ذكر فى كتابه وأصله معنى ايقاظ النائم وتذكير الغافل ويراد به مطلق الذكر كما هنا والمصنفون يخصون بذكر أمر تبين أو سبق ذكره ومنه تنبيه فى التراجم وقال التلمسانى أصل التنبيه أن يكون فى شئ وقعت فيه الغفلة عنه من قول أو فعل فلا اشكال ولا التباس (عن جليل نصابه) فى المصباح كغيره من كتب اللغة النصاب والمنصب كمسجد العلو والرفعة وله منصب صدق أى منبت ومحتد وامرأة ذات منصب أى حسب وجمال لانه رفعة لها انتهى فأصل معنى النصاب والمنصب العلو والشرف حسبا ونسبا من الانتصاب وهو القيام أى ان الله جل وعلا بذكره له صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتابه المنزل نبه على جليل رفعته وشرفه وهذا هو أصل معناه فى استعمال العرب فما قيل انه لم يظهر له معنى هنا الا أن يكون مأخوذا من نصاب الزكاة مجازا عن مقامه الذى ساد فيه الخلق كلهم كلام ناش من عدم فهم كلام العرب وعدم معرفة اللغة وقد سبق الكلام فيه فتذكره ويأتى أيضا الكلام عليه (وأثنى به عليه من اخلاقه وآدابه) بيان لما أى بما مدحه الله به مما ذكر والثناء ممدود بتقديم المثلثة قال الجواليقى هو تكرير الحمد ولا يكون فى الذم وهو فعال من ثنيت تقول ثنيت وأثنيت عليه ثناء حسنا والثناء الاسم وربما استعمل فى الشر قال زهير

سيأتى آل حصن حيث كانوا * من الكلمات مافيه ثناء

ولقائل أن يقول انما سمى الذم ثناء على سبيل التهكم والنثا بتقديم النون والقصر فى الخير والشر والفعل منه نثا ينثو ويأتى فى صفة مجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاتنثى فلتاته فلا يلتفت الى من قال انه لايبنى منه فعل وقال بعض أهل اللغة الثناء يكون فى الخير والشر والنثا لايكون الا فى الذكر الجميل والقول الحق هو الاول انتهى فالصحيح ان الثناء مخصوص بالمدح والنثا عام فيه وفى مقابله وليس مخصوصا باللسان كما مر فثناء الله حقيقى ولا دخل للاصطلاح فيه كما توهم فهو واظهار الصفات الكمالية مطلقا والله تعالى لما مهد بساط الوجود ومد مائدة الجود فى ساحة الامكان كشف كمال صفاته وأظهر نعم مبدعاته والاخلاق جمع خلق بضمتين وبضم فسكون الطبع والسجية التى فطره الله عليها والآداب بالمد جمع أدب والادب فى اللغة كما قاله البطليوسى أدبان أدب نفس وأدب درس ويقال أدب خبرة وأدب عشرة كما قيل

ياسائلى عن أدب الخبرة * أحسن منه أدب العشرة

وقال الجواليقى فى شرح أدب الكاتب الادب الذى كانت العرب تعرفه هو مايحسن من الاخلاق وفعل المكارم كترك السفه وبذل المجهود وحسن اللقاء قال الغنوى

لم يمنع الناس منى ماأردت ولا * أعطيهم ماأرادوا حسن ذا أدبا

كانه ينكر على نفسه أن يعطيه الناس ولا يعطيهم واصطلح الناس بعد الاسلام بمدة طويلة على أن يسموا العالم بالنحو والشعر أديبا ويسموا هذه العلوم أدبا وهو من كلام المولدين واشتقاقه من الادب وهو العجب أو من الادب مصدر أدب القوم اذا دعاهم قال طرفة

نحن فى المشتاة ندعو الجفلا * لاترى الادب منا ينتقر

فكانه تعجب منه لحسنه أو من صاحبه لفضله اذ يدعو الناس الى المحامد والفضل وينهاهم عن القبائح والجهل والفعل منه أدبت فانا أديب انتهى فالادب هنا بمعناه اللغوى وهو اجتماع خصال الخير

(فمنها ماصرح به تعالى فى كتابه ونبه به على جليل نصابه) أى عظيم منصبه (وأثنى) أى وما أثنى (به عليه) أى فى كتابه (من أخلاقه) أى أحواله الباطنة (وآدابه) أى أفعاله الظاهرة كما أخبر به عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله أدبنى ربى فاحسن تاديبى

والفقهاء يطلقونه على ما يقرب من السنن في العبادة وفي بعض الشروح الادب حسن التناول والاخذ (وحض العباد على التزامه) الحض بحاء مهملة وضاد معجمة والحث بمثلثة الطلب الشديد السريع والالتزام افتعال من اللزوم فهو بمعنى الالزام البليغ ويكون بمعنى المعانقة وهو مجاز عن اللزوم أيضا أو كناية متفرعة على المجاز وعلى كل حال فالمراد به عدم المفارقة لما كان عليه من الاخلاق والآداب كما قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له طاعات ومحاسن فأمر الناس باتباعه فيها وأمرهم الله تعالى أيضا بذلك بقوله وما آتيكم الرسول فخذوه وفيه اشارة الى انها على قسمين قسم أمر باتباعه وقسم لم يؤمر به كالامور الجبلية والخصائص النبوية ولذا وصف الاسوة بحسنة وان كان كل ما هو عليه حسن قيل المراد به ما كان فرضا ونفلا فان التزم ذلك فرضا فنحن نلتزم فعله وفريضته وان التزمه نفلا فنحن نلتزمه ونلتزم كونه نفلا والحاصل انا نلتزم ما التزمه على الوجه الذي التزمه اذا لم يختص به كما يعلم من مقابله وهذا كلام حسن الا انه ينبو عنه قوله (وتقليد ايجابه) لمنافاة الايجاب للنفلية ولك ان تقول انما عنى المصنف ان ما أمرنا باتباعه فيه على قسمين مستحب أشار اليه بقوله حض العباد على التزامه فان الطلب يكون ايجابيا وغير ايجابي كما بين في الاصول وواجب أشار اليه بقوله تقليد ايجابه فليس هذا تأكيد الما قبله كما قيل وحمل الفقرتين على الايجاب يخل بالآداب والتقليد وضع القلادة في الجيد استعير للالتزام استعارة تصريحية أصلية لا تبعية ويجوز جعله مجازا مرسلا والتقليد والايجاب مصدران مضافان للمفعول ويجوز في الثاني أن يكون مضافا للفاعل وما قيل من ان الثاني أخص من الاول والايجاب ليس بمعناه الحقيقي بل هو مبالغة في الاحتراز عن تركه أو مجازا عن الاتيان من أوجب اذا أتى بالوجبة والضميران لما صرح به أو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أي ما حض به على التزام أمره تعسف لا ينبغي ان يصدر عن مثله (فكان جل جلاله) الجلال العظمة وفي جعل الجلال جليلا مبالغة في تعظيمه كما حققه الامام المرزوقي في جد جده وقال الاصمعي الجلال لا يوصف به غير الله لغة وقيل انه قد يوصف به غيره كقول الحماسي

ألم على أرض تقادم عهدها * بالجزع واستلب الزمان جلالها

ويجوز أن يكون المعنى جلت عظمته عن ان يساويها عظمة غيره مما يسمى عظمة عند الناس فالاسناد حقيقي فان أريد جلت ذاته من جهة كبريائها فالاسناد مجازي كجد جده والتفريع على ما قبله على ما أعطاه الله لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والثناء عليه وأعلا مقامه فانه يدل على انه (هو الذي تفضل وأولى) أي أنعم وأعطى أفضل رسله عطايا جزيلة جليلة بان خلقه أعظم الناس حسبا ونسبا وجعله أشرف الرسل وأكثرهم أمة وهذا ناظر لقوله تعظيم قدره وأولى بمعنى أعطى وفي النهاية أن العطاء من غير مكافأة فعلى الاول هو عطف تفسيري وعلى الثاني من عطف الخاص على العام (ثم طهره وزكى) الطهارة الحسية معلومة والمعنوية نظافة الظاهر والباطن من الاوصاف الذميمة والاخلاق الردية وزكى يكون بمعنى طهر وبمعنى نمى ويجوز ارادة كل منهما فالمعنى انه طهره وزاد طهارته وهذا ناظر لاخلاقه وآدابه صلى الله تعالى عليه وسلم والعطف للتراخي الزماني أو الرتبي لما بين التخلية والتحلية من البعد وليست هذه التحلية مؤخرة على ما فسرناه (ثم مدح بذلك وأثنى) على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم في مواضع كثيرة من القرآن كقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ونحوه مما يأتي وهذا ناظر لقوله وأثنى الخ والمدح الثناء بكل جميل اختياريا كان أولا ولذا اختاره وأما كونه للاشعار باختصاص الحمد بالله فبعيد جدا والكلام على الثناء قدمر وقيل المراد بالتفضل هنا لتفضل علينا بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الذي هو نعمة ورحمة والتطهير تطهيرنا من الشرك

(وحض) بتشديد المعجمة أي ورغب وحث (العباد على التزامه) أي حملهم على قبول تكليفه بوصف دوامه (وتقليد ايجابه) أي باطاعة جنابه فيما أوجبه في كتابه (فكان جل جلاله) أي عظمت عظمته وعز جماله (هو الذي تفضل) أي أعطاه من فضله (وأولى) أي أنعم عليه بما علم المولى بانه الاولى وهذا قبل ظهوره بجوده لما تعلق به من كرمه وجوده (ثم طهره وزكى) أي طهره بالتخلية وزينه بالتحلية في عالم دنياه بما ينفعه في عقباه من التحلية وأما قول الدلجي ثم طهره من عبادة الاصنام فلا يناسب لمقامه عليه السلام (ثم مدح) أي مدحه (بذلك وأثنى) أي عليه مع انه من آثار فعله وأنوار فضله فهو الحامد والمحمود كما انه هو الشاهد والمشهود في جميع ميادين الوجود فليس في الدار غيره موجود

والآثام والثناء علينا بكنتم خير أمة وغيره وهو لا يناسب السياق والسباق (ثم أثاب عليه الجزاء الاوفى) اثاب بمعنى أعطى الثواب وهو الجزاء فاما انه تجريد او أثاب بمعنى أعطى أو الجزاء مفعول مطلق من غير لفظه كجلست قعودا فلا حاجة اليه مع الاوفى وهو يتعدى لمفعولين فالاول مقدر أى أثابه وعليه ضميره راجع لما تفضل عليه والوافى بمعنى التام والاوفى أفعل تفضيل منه (فله الفضل عودا وبدأ) أى أولا وآخرا والبدء الابتداء والعود الرجوع والابتداء يقابل بالانتهاء ويقابل بالعود أيضا وعنه المبدئ والمعيد والفضل الانعام والاحسان مطلقا أو من غير مقابل وهما منصوبان على الظرفية وقيل على نزع الخافض أى انه تعالى ابتدأ بانعامه على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بان خلقه على أتم خلقه وأكملها أتم زكاء وطهره ظاهرا وباطنا ثم عاد على احسانه فتممه وزاده الثناء الجميل والثواب الجزيل ولو لم يشبه لانه أوجده وأقدره تفضلا منه كان ذلك له وقيل المراد بالبدء الخلق والايجاد وبالعود الجزاء والمعاد كقوله تعالى انه هو يبدئ ويعيد والسياق يأباه لتفرعه على ما قبله بالفاء الواقعة أحسن موقع فالمراد انه تفضل عليه بما أولاه من المحاسن والمناقب ونسب ما فعله لتكرماله ثم مدحه به وأثابه عليه أتم ثواب فكان بذلك متفضلا فى البدء والعود (والحمد أولى وأخرى) أى هو مستحق للحمد فى أول الامر وآخره أو فى الدنيا والآخرة لانه المتفضل دائما فى الدارين وقيل تقديره أولى الحمد وأخراه لانه صيغة تفضيل وقد حقق أهل اللغة انه يكون اسما للتفضيل وظرفا بمعنى قبل فيجرى عليه أحكامه ووزنه على الاول افعل وعلى الثانى فوعل وهذا ينون فيقال أولا واذا كان اسم تفضيل تجرى عليه أحكامه ومؤنثه أولى ومؤنث الاول أولة وقد ثبت ذلك عن العرب كما ذكره المرزوقى فى شرح الفصيح ومقابلهما أخرى وآخرة وقد تغلب عليهما الاسمية للدارين فيصيران بمنزلة اسمين جامدين يستعملان استعمالهما لان اسم التفضيل يلزم التذكير والافراد ان لم يضف أو يقترن بالالف واللام ولذا خطئ أبو نواس فى قوله

كان صغرى وكبرى من مواقعها ❊ حصباء در على أرض من الذهب

وان أجابوا عنه كما فصلناه فى شرح الدرة وأما كونه وصفا مجردا عن التفضيل ومثله يجوز فيه المطابقة وعدمها فرد بانه سماعى كما فى التسهيل وغيره وبان معنى التفضيل مراد منه بلا شبهة لان الدنيا متقدمة والاخرى متأخرة فلا يصح أن يقال انهما تجردا عنه ولا يخفى ما فيه فانه سمع فى القرآن والكلام مثله كاف فى ثبوته مع انه يرد على مدعاه بالنقض لانه اذا كان التفضيل مرادا منه كيف يقال انه غلبت عليه الاسمية فهل هذا الا جمع بين الحادى والملاح ❊ واعلم ان ما ذكره المصنف معنى بليغ فانه ذكر انه تعالى ينعم بانواع ثم يمدح عبده ويثنى لقبوله لنعمائه ويجزيه على ذلك أتم جزائه وهو أحسن من قول ابن طباطبا لممدوحه

لا تنكرن أهداءنا لك منطقا ❊ منك استفدنا حسنه ونظامه

فالله عز وجل يشكر فعل من ❊ يتلو عليه وحيه وكلامه

وله نظائر فى معناه فى كتب الادب وفى لئام الخلق عكسه فان منهم من اذا رأى من أنعم عليه متجملا قد يحسده ويؤذيه وهو أحد الوجوه فى قول المتنبى

وأظلم أهل الارض من بات حاسدا ❊ لمن بات فى نعمائه يتقلب

(ومنها ما أبرزه) أى أظهره ظهورا تاما لان أصله جعله على براز بالفتح أى مكان مرتفع (للعيان) ما يشاهد بفتح العين ولا تفتح فيه العين لانه مصدر عاينه معاينة وعيانا كقتال وفى المثل كما سيأتى فى كلام المصنف ليس الخبر كالعيان بل ورد فى الحديث وروى كثيرون منهم أحمد وابن حبان (يرحم الله أخى

(ثم أثاب) أى جازاه (عليه الجزاء الاوفى) أى بالجزاء الاوفر والحظ الاكبر أو نصبه على المصدر من غير فعله (فله الفضل بدأ وعودا) أى فله الاحسان على وجه الزيادة فى الابتداء والاعادة (والحمد لله أولى وأخرى) أى فى الدنيا والعقبى وفى نسخة والحمد أولى وأخرى عطفا على الفضل أى وله الحمد كما فى قوله تعالى وله الحمد فى الاولى والآخرة فهذه النسخة أولى من الاولى كما لا يخفى ويجوز أن يكونا اسمى تفضيل أى وله أولى الحمد وأخراه والمراد استيعابه كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وأما قول بعضهم ان اسم التفضيل لا يستعمل الا مضافا أو موصولا بمن أو معرفا باللام فنقوض بقوله سبحانه ولعذاب الآخرة أخزى كانوا هم أظلم وأطغى اللهم الا ان يعتبر من المقدرة فى حكم المذكورة (ومنها ما أبرزه) أى أظهره (للعيان) بكسر العين أى للمعاينة

موسى ليس العاين كالمخبر أخبره ربه تبارك وتعالى ان قومه فتنوا به فلم يلق الالواح فلما رآهم وعاينهم ألقى الالواح فتكسر منها ما انكسر) وروى للعيان ما أبرزه الله للعيان فاللام للتعدية أو للتعليل قيل والمراد به ما علم يقينا سواء كان مشاهدا أو منقولا نقلا صحيحا بحيث يتيقن ويصير كالمشاهد لانه عد منها تاييده بالمعجزات وليست كلها مشاهدة مع انه بالنسبة لمن بعد عصره غير مشاهد الا أنه بمنزلته لصحته لا للتواتره لان أعاده في جميعها التواتر غير مسلم ولك ان تقول انه تغليب لقوة المشاهد ولكثرته (من خلقه) بفتح الخاء وسكون اللام كما قيده الشمني وفي المقتفى انه بضمها وهو بارز للعيان بالمعنى السابق والمعطوف هو التخصيص به فلا تكرار فما قيل انه غير سديد لانه ما أبرزه للعيان ولانه سيذكره غير سديد قيل والمناسب لقوله وتخصيصه وتاييده ان يكون الخلق بمعنى التخليق والايجاد وهو تأويل من غير حاجة وضمير خلقه لله أو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ✻ واعلم ان هذا كله انما يحتاج اليه اذا جعل قوله وتخصيصه الآتي مجرورا معطوفا على خلقه اما لو رفع وعطف على ما أبرزه لم يحتج الى تكلف وعلى الاول كيف يعترض على من جعل الخلق بضم الخاء فتدبر (على أتم وجوه الكمال والجلال) الجار متعلق بخلقه سواء كان بمعنى تخليقه أم لا أو صفة مقدر أي خلقا كائنا على آخره أو حال من المضاف قيل والتقدير اذا قرئ بالضم المطبوع على أتم الوجود أو هو متعلق بمضاف مقدر أي ابراز خلقه أو هو حال والوجوه الانواع والمراد أتم الوجوه المتحققة في زمن ما أو الوجوه الممكنة وهو أحسن اذ لم يوجد مخلوق يدانيه صلى الله تعالى عليه وسلم فضلا على أن يساويه ولا داعي لهذه التكلفات فانه غني عن التأويل والمراد بالجلال مهابته في عين رائيه (وتخصيصه بالمحاسن الجميلة) مر بيان المحاسن والجميلة من الجمال وهو الاتصاف بالصفات الحميدة ولذا ورد اطلاقه على الله كما في حديث (ان الله جميل يحب الجمال) وفي عرف اللغة حسن الصورة المشاهد وهو بهذا المعنى لا يطلق على الله وهو مراد المصنف وفي الحواشي التلمسانية الجميلة والحميدة كلاهما نعت فالاول بمعنى فاعل لان الفعل منه جمل بضم الميم أي لازم والثاني بمعنى مفعول ولابد من لحوق التاء في آخر كل واحد منهما لانه صفة للجمع ولا يجوز أن يوصف الجمع بمفرد بخلاف ما اذا كان للواحد فانه لا يخلو اما أن يكون بمعنى فاعل كعليم بمعنى مفعول كجريح وفي المحصول للفخر التاء في فعيلة للنقل من الوصفية الى الاسمية الصرفة فلا يقال شاة أكيلة ونطيحة يعني لغلبة الاسمية وتقديره ان هذه التاء من فعيل بمعنى مفعول اذا كان تابعا للموصوف لم يلفظ بالتاء وقد ثبتت كخصلة حميدة وصفة حميدة فاذا حذف موصوفه جرى مجرى الاسماء فتثبت فيه التاء كهذه جريحة وأما اذا كان فعيل بمعنى فاعل فانه بالتاء فتحققه فانه مفيد أقوال فهم من كلامه ان الموصوف اذا كان جمعا تثبت تاؤه على كل حال ولم نر من ذكره غيره وبقية كلامه ظاهر (والاخلاق الحميدة) أي المحمودة وهي الصفات المعنوية التي هي للباطن كالصورة للظاهر وعليها مدار كمال البشرية والثواب والعقاب قيل وهو مبالغة أو مجاز والتخصيص في الجملة لانه لم يرد عد الخصائص هنا فقط ولذا فسر التلمساني التخصيص بالتعيين ولا مانع من حمله على ظاهره نظرا لكمالها أو مجموعها (والمذاهب مذهب الكريمة) المذاهب جمع وهو الطريق ويطلق على ما اختير من الافعال وغيرها كما يقال مذهب الفقهاء والمراد مسالكه صلى الله عليه وسلم في أحواله مع أمته أو في نفسه ✻ وللناس فيما يعشقون مذاهب ✻ وهو مأخوذ من الذهاب وهو الخروج الى المقاصد سواء وصل اليها أم لا ولذا اختلف فقهاؤنا فيه فقيل لا يشترط الوصول وقال نصير يشترط لقوله تعالى اذهبا الى فرعون فانه بمعنى ائتياه والكريمة بمعنى الحسنة النفيسة المطلوبة لاهل الكمال وقيل هي بمعنى العزيزة

(من خلقه) بفتح الخاء المعجمة خلافا لمن توهم وضبطه بالضم اذ المراد هنا شمائله الظاهرة ومن لبيان ما الموصولة (على أتم وجوه الكمال) أي أكمل أنواع وجوه كمال الجمال وهي صفات اللطف والاكرام (والجلال) وهي صفات القهر والانتقام أو المراد بالكمال النعوت الثبوتية وبالجلال الصفات السلبية وهي قولنا في حقه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا في زمان ولا في مكان وسائر الامور الحدوثية فحينئذ يقال معناه المنزه عن شوائب النقصان في نظر أرباب الحال وفي نسخة بكسر الخاء المعجمة بمعنى الخصال (وتخصيصه) أي ومن جعله مخصوصا (بالمحاسن الجميلة) أي الحسنة من الافعال (والاخلاق الحميدة) أي المحمودة من الاحوال (والمواهب الكريمة) أي المرضية من الاقوال

(والفضائل العديدة) أى الكثيرة التى عدها من المحال وهو من العدو معناه الكثير لا من العدد فيتوهم انها حصرت واحصيت
ويروى السديدة أى الفضائل الواقعة على سنن السداد (وتاييده) أى ومن تقويته (بالمعجزات الباهرة) أى البارعة

الفائقة الغالبة القاهرة (والبراهين الواضحة) أى وبالادلة الظاهرة (والكرامات البينة) أى الخوارق اللائحة وهى أعم من المعجزات فانها مقرونة بالتحدى مع عدم المعارضة مما يصدق الله تعالى بهما أنبياءه فى دعوى النبوة وسميت معجزة للاعجاز عن الاتيان بمثلها وسميت آية لكونها علامة دالة على تصديق الله تعالى لهم مع ان المقام مقام يذم فيه الايجاز ويمدح الاطناب سيما فى خطاب الاحباب (التى شاهدها) أى عاينها واغرب التلمسانى بقوله أى حضرها ففاعل بمعنى فعل أى شهدها (من عاصره) أى من أدرك عصره وزمانه ويروى من عاصرها أى البراهين والكرامات (ورآه من أدركه) أى صادف أوانه ويروى من أدركها (وعلماء علم اليقين) وفى نسخة علم يقين أى من غير شك وتخمين قال بعض العارفين علم اليقين ما كان بشرط البرهان وعينه بحكم البيان وحقه بنعت العيان
فعلم اليقين لاصحاب العقول وعينه لاصحاب العلوم وحقه لاصحاب المعارف (من جاء بعده) أى من التابعين واتباعهم (حتى انتهى) أى الى ان وصل (علم حقيقة ذلك) أى بلغ حقيقة ما هنالك (الينا) بعد

المنزهة عن النقائص (والفضائل العديدة) أى المعدودة من المفاخر من قولهم فلان عديد بنى فلان اذا كان يعد فيهم ويعتد به أو المراد الكثير قال صاحب المحكم فى قوله تعالى سنين عددا جعله الزجاج مصدرا وقال المعنى تعد عددا ويجوز ان يكون نعتا للسنين والمعنى ذوات عدد والفائدة فى قوله عددا فى الاشياء المعدودة انك تريد توكيد كثرة الشئ لانه اذا قل فهم مقداره وعدده فلم يحتج الى ان يعد واذا كثر احتاج الى العد فالعدد فى قولك أقمت أياما عددا تريد به الكثرة انتهى فقول بعض الشراح هنا نقلا عن التلمسانى انه من العد بالكثر لملاءالكثيرة تكلف نشأ من ان ذكر العدد يدل على القلة كما ذكره ابن هشام عن ابن عبد السلام فى هذه الآية من ان عددا بمعنى معدودة ذكر ليدل على القلة لان ما كثر فى الغالب لا يمكن عده ولا يمكن هذا هنا لانها ذكرت لتعظيم النعمة فلعل ذكرها لمناسبة رؤس الآى انتهى (وتأييده بالمعجزات الباهرة) التأييد النصر والتقوية من الايد وهو القوة والمعجزات جمع معجزة اسم فاعل من الاعجاز افعال من العجز ضد القدرة والمراد اثبات العجز واظهاره ممن شانه التحدى وقيل العجز مجاز عن عدم القدرة كالجهل لعدم العلم وهما فى الاصل أمر وجودى أو متعلق به فيمن شانه القدرة فلا يقال عجز الحجر عن الحركة وهو أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى أو بزمانه على وجه يدل على صدق مدعى النبوة لذى من شانه التحدى ولا يشترط فيه التحدى بالفعل والباهرة بمعنى العجيبة أو الظاهرة ظهورا لا يمكن ستره ومنه قمر باهر أى تام الاضاءة أو الغالبة لمن يهم بمعارضتها وبه فسر قوله

ثم قالوا تحبها قلت بهرا ＊ عدد الرمل والحصى والتراب

(والبراهين الواضحة) جمع برهان وهو الدليل القوى الذى يحصل به اليقين وليس المراد به البرهان المنطقى لياوانيا وان شمله والواضحة بمعنى الظاهرة (والكرامات البينة) جمع كرامة وهى أمر أكرم الله به من اصطفاه من عباده المتقين بدون تحد ودعوى نبوة فيكون للنبى والولى وأعم من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة والتحدى بالقوة أو بالفعل وبقولنا أكرم الخ خرج السحر وما يصدر من الكهنة والشياطين وجعل الوصف بها شاملا لما قبلها حتى البراهين تعسف ركيك (التى شاهدها من عاصره) أى كان فى عصره ومدة حياته والمشاهدة الرؤية بالعين من الشهود وهو الحضور عنده أو المراد علمها علما متيقنا فيدخل فيه نحو ابن أم مكتوم رضى الله تعالى عنه ويشمل ما سبق مما لا يدرك بالبصر (ورآها من أدركه) أصل معنى الادراك اللحوق يقال أدرك زمنه اذا لحقه ومنه أدرك الطعام والثمر أى لحق حال النضج وادراك الغلام بلوغ حال الرجولية فادراك البصر لشئ لحوقه برؤيته ثم شاع فى معنى العلم مطلقا وهذه الجملة مفسرة لما قبلها فليست حشوا زائدا كما توهم ويمكن الفرق بينهما بان يراد بالاولى من طالت صحبته له صلى الله تعالى عليه وسلم وشاهد حاله كله من الاولين والسابقين وبهذه من بعدهم على ان الاطناب فى مقام الخطابة مستحسن وفى نسخة عاصرها وادركها والاولى أولى (وعلمها علم يقين من جاء بعده) من التابعين فمن بعدهم لتواتر بعضها واشتهار بعض آخر منها ونحو ذلك مما ينفى الشبه وعلم اليقين كشجر الاراك فاضافته لامية أو بيانية على رأى ويلحق به ما كان بطريق الكشف (حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا) أصل معنى انتهى بلغ النهاية ولذا يكون كما فى قوله
＊ وكل شئ بلغ الحد انتهى ＊ والمراد انه بلغنا ووصل الينا الان من انتهى اليه الشئ وصله وضمير الينا للمتأخرين ومن بعدهم الى الحشر وهذا لا يناسب ما مر من تفسير من أدركه بمتأخرى الصحابة ممن ولد

وفاضت أنواره) أى ظهرت آثاره وكثرت أنواره ويروى أنوارها (صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا حدثنا) وفى بعض النسخ أخبرنا (القاضى الشهيد أبو على الحسين بن محمد الحافظ) رحمه الله تعالى وهو الاندلسى المعروف بابن سكرة بضم فتشديد ترجمته معروفة استشهد بثغر الاندلس سنة أربع عشرة وخمسمائة وكان من أهل العلم بالحديث (قراءة منى عليه) نصب قراءة على نزع الخافض أو على انه تمييز أو حال أى حدثنا بقراءة أو من جهة قراءة أو حال قراءة منى عليه لا بقراءته ولا بقراءة غيره وهذا على مذهب من لا يرى بين حدثنا واخبرنا وانبأنا فرقا كالبخارى ومن تبعه (قال حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار) أى ابن أحمد الحمامى بفتح مهملة وتخفيف وهو من أهل الخير والصلاح على ما ذكره ابن ماكولا فى اكماله (وأبو الفضل أحمد بن خيرون) بفتح معجمة فسكون تحتية ممنوعا وقد يصرف ثقة عدل متقن له ترجمة فى الميزان توفى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة قال الحلبى رأيت عن المزنى ان الاصل فى خيرون الصرف ولكن المحدثون لا يصرفونه اشبهه بالجمع المذكر السالم انتهى والاظهر انه بناء على اعتبار المزيدتين مطلقا عند بعضهم كالفارسى كما قالوا فى سيرين وغلبون

بعد الهجرة لان لفظ الادراك يشير اليه اشارة مفتكون عبارته شاملة لجميع الامة تفصيلا والافهذا داخل فيما قبله لانهم ممن جاء بعده (وفاضت أنواره علينا) أصل معنى الفيض فى الماء ونحوه من المائعات يقال فاض السيل اذا كثر وأفاض بالالف لغة وفاض الاناء فيضا امتلأ وافاضه صاحبه ملأه وفاض الخير كثر واستفاض الحديث انتشر واشتهر فهو مستفيض ولا يقال مستفاض وهو لحن عند الاصمعى وأثبته بعضهم فشبه الانوار وانتشارها بماء سائل متدفق والمراد بانواره ماظهر من بركته صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو للعلم لانه ورد اطلاق النور على كل منهما أو أراد بالنور الايمان وما يترتب عليه من العلوم الشرعية الموصلة لسعادة الدار بن المنقذة من ظلمة الضلال وفى نسخة وفاضت حقيقته وأنوارها أى الحقيقة المحمدية وما لها من الكمال فى نفس الامر وضمير أنوارها للحقيقة أو للكرامات (صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا) أى دائما عقب ما ذكر مما وصل للامة من خيره بالدعاء له صلى الله تعالى عليه وسلم ولآله الذين هم واسطة بيننا وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما وصل الينا ففيه شبه لف ونشر (حدثنا القاضى الشهيد أبو على الحسين بن محمد الحافظ قراءة منى عليه) قراءة منصوب بنزع الخافض أى بقراءة منى عليه أو مفعول مطلق أى وانا اقرأ قراءة منى عليه صفتان له وهذا الحديث أسنده المصنف رحمه الله تعالى من طريق الترمذى وهو حديث حسن أخرجه أحمد والبيهقى فى سننه والقاضى المذكور شيخ المصنف قرأ عليه بالاندلس وهو ابن فيرة بن حيون الصدفى السرقسطى الاندلسى المعروف بابن سكرة وهو من المشهورين بعلم الحديث وترجمته مفصلة فى اسماء الرجال وقال الشهيد لانه استشهد ببعض ثغور الاندلس فى وقعة قتندة وقعت فى سادس ربيع الاول سنة أربع عشرة وخمسمائة وله من العمر نحو من ستين سنة والحافظ وصف لكل من أكثر رواية الحديث وانتهاؤه انقطع هذا فى عصرنا وكان آخر الحفاظ السيوطى والسخاوى وبين بقوله قراءة الخ وجه الاخذ عنه فانه كما تقدم يكون بقراءة الشيخ وقراءة التلميذ عليه وقراءة غيره وهو يسمع والغالب الاول فاذا كان غيره احتاج للبيان حتى منع ابن الصلاح رحمه الله تعالى ان يقول من قرأ على الشيخ حدثنا مطلقا وان أجازه غيره كما فصلوه (قال حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار) ابن أحمد المعروف بالحمامى بفتح الحاء المهملة وتخفيف الميمين سمع من ابن شاذان وخلق كثير بعده وكان من أهل الخير والصلاح (وأبو الفضل أحمد بن خيرون) فى المقتفى هو الحافظ الناقد أبو الفضل أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون البغدادى الباقلانى سمع من أبى على بن شاذان وأبى بكر البرقانى وروى عنه خلق كثير وروى عنه شيخه الخطيب أبو بكر وأبو على بن سكرة وأبو عامر العبدرى وترجمته مشهورة وهو عدل متقن توفى فى رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وله من العمر أربع وثمانون سنة وقد ذكره فى الميزان وصحح عليه وخيرون بفتح الخاء المعجمة تليها مثناة تحتية ساكنة وعن المزنى ان الاصل فى خيرون الصرف الا ان المحدثين لا يصرفونه لشبهه بجمع المذكر السالم انتهى يعنى ان هذه الصيغة لما لم تعهد فى الاعلام المفردة اشبه من الاسم الاعجمى وهو أحد الوجوه فى امثاله من الاعلام التى على هذه الزنة كزيدون وعبدون كما فى شرح التسهيل فان فيه لغات فيعرف بالحروف اعراب الجمع حكاية لاصله و يعرب بالحركات مع لزوم الياء كغسلين أو الواو كهارون و يمتنع حينئذ من الصرف كما ذكرناه وقال أبو العلاء المعرى فى كتاب عبث الوليد ان بعض العرب يجعل ألف نحو الصلاة واوا فهذا منه ولذا منع

(قال) أى كلاهما (حدثنا أبو يعلى البغدادى) بالمعجمة فى الثانية وهو الاصح والافيجوز بمهملتين ومعجمتين وباهمال احداهما واعجام الاخرى وهو أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر يعرف بابن زوج الحرة (قال حدثنا أبو على السنجى) بكسر مهملة وسكون نون فجيم نسبة الى بلدة تسمى سنج مرو (حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب) هو أبو العباس المحبوبى المروزى التاجر الامين راوى جامع الترمذى عنه مشهور (قال حدثنا أبو عيسى بن سورة) بفتح مهملة وسكون واو فراء (الحافظ) أى الترمذى وهو صاحب الجامع الضرير قيل ولد اكمه قال الذهبى ثقة مجمع عليه ولا التفات الى قول أبى محمد بن حزم انه مجهول فانه ماعرفه ولا أدرى بوجود الجامع ولا العلل انتهى ولاشك ان تجهيل الترمذى

يضر ابن حزم بلا عكس كما لايخفى (قال حدثنا اسحق بن منصور) هذا هو الكوسج الحافظ روى عن ابن عيينة فمن بعده وعنه الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه (حدثنا عبد الرزاق) أى ابن همام بن نافع أبو بكر الصغانى الحافظ أحد الاعلام روى عن ابن جريج ومعمر وابى ثور وعنه أحمد واسحق صنف الكتب أخرج له أصحاب الكتب الستة (أنبأنا معمر) بفتح الميمين ابن راشد أبو عروة البصرى عالم اليمن أخرج له الجماعة قال معمر طلبت العلم سنة مات الحسن ولى أربع عشرة سنة (عن قتادة) هو ابن دعامة أبو الخطاب السدوسى الاعمى الحافظ المفسر روى عن عبد الله ابن سرجس وأنس وخلق وعنه أيوب وشعبة وخلق (عن أنس رضى الله عنه) أى ابن مالك خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وترجمته شهيرة ومناقبه كثيرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتى) أى جىء (بالبراق) بضم الموحدة وتخفيف الراء سمى به لسرعة سيره كالبرق أولشدة بريقه وقيل لكونه أبيض وقال المصنف لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان فى خلال صوفها الابيض طاقات سود وقد وصف فى الحديث بانه أبيض وقد يكون من نوع الشاة البرقاء وهى معدودة فى البيض انتهى وهو دابة دون البغل وفوق الحمار ويضع حافره عند منتهى طرفه كما فى الصحيح وفى رواية على مانقله ابن أبى خالد فى كتاب الاحتفال فى أسماء خيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال لاذكر ولا أنثى وفى تفسير الثعلبى جسده كجسد الانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الابل واظلافه كاظلاف البقر وصدره كأنه ياقوتة وظهره كأنه درة بيضاء وله جناحان فى فخذيه يمر كالبرق

صرفه وهو غريب جدا فقول بعضهم كانه أراد بمنع الصرف مجرد منع الكسر والتنوين والافشرطه صيغة منتهى الجموع وتبعه الشارحان خبط ناس من عدم الوقوف على كلام النحاة فى أمثاله (قال حدثنا أبو يعلى البغدادى) أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر ويعرف بابن زوج الحرة كما ذكره ابن ماكولا رحمه الله تعالى وقال انه سمع على بن على السنجى جامع الترمذى ببغداد ويعلى بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة واللام المفتوحة مقصورة (قال حدثنا أبو على السنجى) بكسر السين المهملة ثم نون ساكنة ثم جيم ثم ياء نسبة لسنج مرو وهو كما قال ابن ماكولا أبو على الحسين بن محمد بن أحمد ابن شعبة المروزى السنجى ورد بغداد وحدث عن الترمذى بجامعه عن أبى العباس محمد بن أحمد ابن محبوب عن الترمذى وسمع منه وروى عنه زوج الحرة وغيره (قال حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب) هو أبو العباس المحبوبى المروزى راوى جامع الترمذى (قال حدثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ) سورة بفتح السين المهملة تليها واو ساكنة ثم راء مهملة وهاء والد أبى عيسى الترمذى الضرير المحدث المشهور هو وتصانيفه كالجامع والسنن قيل انه ولد أكمه وسمع ابن قتيبة وغيره مات بترمذ فى رجب سنة مأتين وتسعة وسبعين قال الذهبى فى الميزان انه ثقة مجمع عليه ولا عبرة بطعن ابن حزم فيه لانه لم يعرف أحواله وترمذ بفتح المثناة الفوقية وكسر الميم وبكسرهما وهو المشهور وبضمهما كما قاله السمعانى ونصبهما كما قاله النووى فى التهذيب (قال حدثنا اسحق بن منصور) الكوسج الحافظ المشهور توفى فى سنة احدى وخمسين ومأتين وهو ثقة فى الرواية (قال حدثنا عبد الرزاق) بن همام بن نافع أبو بكر الصنعانى أحد الاعلام الثقاة الذين يروى عنهم أصحاب الكتب الستة وهذا حديث حسن مسند فى الترمذى وغيره ولم يروا الا عن عبد الرزاق فهو غريب كما قاله صاحب المقتفى والسيوطى فى تخريج أحاديث هذا الكتاب قال (أخبرنا معمر) هو بفتح الميمين بينهما عين ساكنة مهملة وبالراء معمر بن راشد بن عروة البصرى عالم اليمن ثقة له أوهام معروفة احتملت له فى سعة ما أتقن وله ترجمة فى الميزان توفى فى رمضان سنة ثلاث أو أربع وخمسين ومائة باليمن أخرج له الجماعة قال معمر طلبت العلم سنة مات الحسن ولى أربع عشرة سنة (عن قتادة) هو ابن دعامة أبو الخطاب السدوسى الاعمى الحافظ المفسر روى عن عبد الله بن سرجس وأنس وخلق كثير وعن أيوب وشعبة وخلق توفى سنة سبعة عشر بعد المائة وقيل غير ذلك وله ترجمة فى الميزان (عن أنس بن مالك) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه وستاتى ترجمته فى الباب الثانى (ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق) بصيغة المجهول أى أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام

والسلام به فحذف فاعله لشهرته كما صرح به فى غير هذه الرواية ولانه يعلم من آخر الحديث والبراق كغراب دابة فوق الحمار ودون البغل سمى به لشدة سرعته كما يقال مركانه برق خاطف أو لشدة تلألئه وبريقه أو بياضه وقال المصنف رحمه الله تعالى انه سمى به لانه ذو لونين كما يقال شاة برقاء اذا كان خلال بياض صوفها طاقات سود واورد عليه انه مخالف لما صرح به فى بعض طرق هذا الحديث من انه أبيض الأن يقال انه باعتبار الاغلب فيه وفى كتاب خيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان وجهه كوجه الانسان وذنبه كذنب الغزال وقوائمه كقوائم الثور وجسده كالفرس وقال الثعلبى جسده كالانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه بعين مضمومة وراء مهملتين وفاء كعرف الفرس وقوائمه كالابل واظلافه كالبقر كانها ياقوتة وظهره كدرة بيضاء وله جناحان فى فخذيه يضع حافره عند منتهى طرفه كما ورد فى الصحيح وهو مذكر وسمع تأنيثه باعتبار الدابة وقيل تذكيره كتذكير الملك وتذكير وصفه فان بنى التذكير على عدم التانيث لانه الاصل لفظا ومعنى وقال ابن الملقن انه ليس بذكر ولا أنثى وقول جبريل فى رواية تانى يابراق لاتنفرى لاينافيه لانه نظر الظاهر حاله واحتمال التأويل أو نظرا للحوق تاء الوحدة اذ لم يقم دليل على أحد الشقين وقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين أغلبى أو مخصوص بدواب الارض وصيغة المذكر لاتختص بما هو مؤنث لانها أصل فلا جمع بين معنيين متنافيين فى قائم وقائمه كما توهمه الكندى وهو ملك خلق على هذه الصورة لحمل الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا مانع منه كذلك العرش أو هو دابة مخلوقة فى الجنة وقد قالوا انها تدخلها بعض دواب الارض أيضا وبلغوها نحو عشرة ونظموها فى شعر مشهور (شعر)

براق شفيع الخلق ناقة صالح * وعجل لابراهيم كبش لنجله
وهدهد بلقيس ونملة بعلها * حمار عزير كلب كهف لمثله
وحوت ابن متى ثم باقورة لمن * يبربام فى رحاء ومحله
فهذه عشر فى الجنان وغيرها * يكون ترابا يوم حشر لكله

(ليلة أسرى به) بصيغة المجهول والجار والمجرور قائم مقام فاعله وليلة منصوب على الظرفية لانى والاسراء كان ليلا فى سبع وعشرين من ربيع الاول وقيل لسبعة عشر خلت من رمضان وقيل سبع وعشرين من ربيع الآخر وقيل من رجب وقيل انه كان فى شوال وكان ليلا لانه أدل على القرب وسنه صلى الله تعالى عليه وسلم خمسون سنة وتسعة أشهر وأسرى وسرى بمعنى وهما سير الليل وقيل أسرى لاوله وسرى لآخره واختار السهيلى ان سرى لازم وأسرى متعد ترك مفعوله والاسراء والمعراج كانا فى ليلة واحدة يقظة بجسده على الاصح وبينهما فرق سياتى لان ماذكر هنا استطرادى (ملجما مسرجا) مخففان بزنة مصحف أى مهيأ للركوب بسرجه ولجامه وهما حالان من البراق وهل هو علم أو اسم جنس منحصر فى فرد كالشمس الظاهر الثانى لوروده معرفا ومنكرا والقول بتعدده والاستدلال عليه بقوله ومن كل شئ خلقنا زوجين مما لاينبغى الاشتغال به لكن الامام السهيلى رحمه الله تعالى أفاده انه كان قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تركبه الانبياء عليهم الصلاة والسلام ذكره فى شرح السيرة وستسمعه عن قريب (فاستصعب عليه) ضمير استصعب للبراق أو للركوب المعلوم من السياق وضمير عليه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى انه صلى الله عليه وسلم لما أراد ركوبه لم يقر حتى يركبه ويجوز عود ضمير عليه للبراق أيضا أى صار الركوب صعبا على البراق كما قيل وهو تكلف والفعل مبنى للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول لانه

(ليلة أسرى به) ظرف بنى على الفتح لاضافته الى الجملة الفعلية الماضوية المبنية للمجهول (ملجما مسرجا) اسما مفعول من الالجام والاسراج وهما حالان مترادفان أو متداخلان (فاستصعب) أى استعسر البراق (عليه) أى لبعد عهده بالانبياء من جهة طول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام على ماذكره ابن بطال فى شرح البخارى وهى ستمائة سنة على ماذكره التلمسانى أو لانه لم يركبه أحد قبل نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بناء على خلاف سيأتى فى ذلك وقيل استصعب تيها وزهوا بركوبه عليه السلام

سمع من العرب لازما ومتعديا يقال استصعب الامر علينا بمعنى صعب واستصعبت الامر أى وجدته صعبا يعنى انه امتنع وأبى ان يركب بسهولة ولذا فسر بنفر أى شمس كما ورد فى بعض الروايات ويقال دابة شموس وشموص بمعنى حرون وروى ان جبرائيل عليه الصلاة والسلام مسك ركابه وميكائيل عليه الصلاة والسلام زمامه ومن هنا علم ان قول بعض الشعراء فى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم * جبريل خادمه وميكائيل * ليس بمنكر لما فيه من ترك الادب كما توهم وسبب استصعابه فيه وجوه منها انه لم يركبه أحد قبله قال الشمنى رحمه الله تعالى وهو مبنى على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يركبه أو هو ولبعد عهده بالركوب لطول زمن الفترة وما قيل من ان الخلاف فيه الظاهر انه فى ركوب هذا النوع لجواز تعدد شخصه وهذا الشخص لم يركبه أحد منهم وان ركبوا غيره أو لما فى جبلة الفرس الاصيل من عدم التذلل كلام واه رواية ودراية وقيل انه كان نشاطا وفرحا بركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأباه ماروى من انها نفرت ونفشت عرفها وقيل كان خوفا من تقصيره فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انما توقف حتى يأخذ عليه العهد أن يركبه فى الجنة كما فى قصة الجزع وحنينه ومن القريب ما فى تذكرة القرطبى فى تفسير قوله تعالى خلق الموت والحيوة ان الموت خلق فى صورة كبش والحياة فى صورة فرس انثى بلقاء وقد كانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها وحكاه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وطعن الحلبى فى صحته عنه وقال السهيلى فى الروض الانف بعد ما نقل الخلاف فى ان البراق هل كانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام تركبه قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أولا وما ورد فيه ان سبب نفاره ماورد فى كتاب البعث ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال له يا محمد هل مسست الصفراء اليوم فقال ما مسستها ولكن مررت بها فقال تبا لمن يعبد من دون الله وقد اختلفوا فى المراد بالصفراء فيه فقيل الذهب وعبادتها حبها كما يقال عبد الدرهم والدينار وقيل لكل شئ مغناطيس ومغناطيس الانسان الذهب وقيل هو صنم من ذهب كسره صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح وسببه اما اهانة أو لارادة كسره أو غير ذلك وقال ابن حجر رحمه الله تعالى هذا واه جدا * أقول فى الخصائص الكبرى ان ابا يعلى وابن عدى والبيهقى وابن عساكر أخرجوا عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شهد مع المشركين بعض مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قريب فلم يعد بعد ذلك لمشاهدهم قال الطبرى والبيهقى معنى قوله انما عهده الى آخره انه شهد من استلم الاصنام لا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم استلمها أو المشاهد مشاهد الحلف ونحوه لامشاهد الاصنام وقال ابن حجر هذا الحديث أنكروه وانما المنكر منه قوله انما عهده الى آخره فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس بمراد انما المراد انه شهد استلام المشركين لها وروى أيضا ان بوانة صنم كانت لقريش تشهده يوما فى السنة وأبو طالب معهم فكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ان يحضره فابى فغضب هو وعماته فقالوا له يا محمد ما تريد ان تحضر لقومك عيدا أو تكثر لهم جماعة فلم يزالوا به حتى ذهب وغاب فعاد مرعوبا فزعا فقالت له عماته ماذهالك قال انى أخشى ان يكون بى لمم فقلن له ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما رأيته قال انى كلما دنوت من الصنم منها تمثل لى رجل أبيض يصيح وراءك يا محمد لا تمسه فما عاد صلى الله تعالى عليه وسلم الى عيدهم حتى تنبأ وانما فصلنا هذا لان الامام السهيلى تردد فيه فى الروض بقى هنا انه هل أردف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل أم لا فذكر البرهان

انه أردفه خلفه وفى رواية انه ركب قدامه والذى ظهر لى انه انما استصعب لما لم يعرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وظن انه غير نبى فلذا عرق خجلا لما اعلمه جبريل عليهما الصلاة والسلام بانه نبى الله (فقال له جبريل) عليه الصلاة والسلام للبراق لما فعل هذا وجبريل علم للملك المشهور وفيه لغات وصلت أربعة عشر لغة جبريل وجبرين وغيرهما مما يأتى فى اثناء الباب الثانى وببعضها قرئ وهو عبرانى أو سريانى ومعناه عبد الله على الاصح وايل اسم الله تعالى فى لغتهم وليس بمعنى عبد وما قيل من ان ايل لا يعرف من أسماء الله تعالى ليس بشئ (أبمحمد تفعل هذا) فى نسخة زيادة يا براق وفى رواية ابن حبان ما حملك على هذا ما ركبك خلق قط اكرم على الله منه وروى البيهقى يا براق والله ما ركبك مثله وروى البزار يا براقة لا تنفرى من محمد فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبى مرسل افضل من محمد ولا اكرم على الله منه قال قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة وانى أحب أن اكون فى شفاعته فقال انت فى شفاعتى انشاء الله قيل ففى رواية المصنف رحمه الله تعالى اختصار فان قيل بتعدد الاسراء فالامر سهل وليس كما قال فانه اختلاف رواية لا اختصار والاستفهام انكارى وقدم الظرف لتخصيص الانكار أو زيادته به لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أجل من علاه فلا يليق النفار منه والاشارة راجعة لمصدر استصعب أو لما فهم منه كما أشار اليه بقوله (فما ركبك أحد أكرم على الله منه) ألفاء للسببية وأكرم افعل تفضيل من الكرم وهو وصف جامع لكل خير وشرف وضده اللؤم والكرم فى العرف بمعنى الجود فيقابله البخل والمراد هنا الاول فان قلت المراد انه ليس أحد عند الله أكرم منه ولا أفضل ولا مثله ولا يدانيه والعبارة قاصرة * قلت قال فى شرح المقاصد استدلوا على تفضيل الصديق بحديث ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أحد أفضل من أبى بكر رضى الله تعالى عنه ومثله وان كان ظاهره نفى أفضلية الغير لكن انما يساق لاثبات أفضلية المذكور ولهذا أفاد أفضلية أبى بكر رضى الله تعالى عنه والسر فيه ان الغالب فى حال كل اثنين هو التفاضل دون التساوى فاذا نفى افضلية احدهما ثبت أفضلية الآخر انتهى وقيل اذا قيل ليس فى البلد افضل منه فالمراد ليس فيها من يساويه ويدانيه فضلا عمن يزيد عليه وهو معروف فى استعمال البلغاء وروى هنا ما ركبك مثله وهو يؤيده فهو كناية اذ الافضل لا بدله من مساواة المفضول من بعض الوجوه وان زاد فى بعض آخر فقصد بنفيه نفى لازمه وهو المساواة وفيه بحث وظاهر الحديث ان البراق ركبه غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقد مر انه ثابت وقال النووى انه لم يصح وقال ابن حجر رواياته كلها واهية ولذا قيل هنا ان المعنى هنا انه لم يركبك احد فكيف ركبك اكرم منه على حد قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * وقيل الذى رواه النسائى والسهيلى وابن هشام والقرطبى انه ركبه غيره من الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام حتى قيل ان ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحج عليه فى كل سنة حتى قيل له براق ابراهيم وقول النووى اشتراك جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه يحتاج الى نقل صحيح يحتمل انه انكار لعموم المشاركة ثم ان ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم له انما هو لبيت المقدس ثم ربطه فى الصخرة ولم يصعد عليه بل على رفرف أى معراج من نور وقال الشيخ عز الدين بن غانم المقدسى فى كتاب شجرة الايمان ان مركبه صلى الله تعالى عليه وسلم الى بيت المقدس الاول البراق ثم مركبه الثانى الى سماء الدنيا المعراج ثم مركبه الثالث من سماء الدنيا الى السماء السابعة أجنحة الملائكة ثم مركبه الرابع الى سدرة المنتهى جناح جبريل ثم مركبه الخامس

(فقال له جبريل) وفيه ثلاث عشرة لغة والمتواتر منها أربع معروفة (أبمحمد تفعل هذا) أى يا براق كما فى رواية وضبط تفعل بالخطاب المذكر ولو روى بصيغة المجهول الغائب لكان له وجه والهمزة للانكار التوبيخى والاشارة الى الاستصعاب المفهوم من استصعب (فما ركبك) بالخطاب المذكر تعظيما له (احد اكرم) بالرفع والنصب (على الله تعالى منه) وفى رواية فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبى مرسل افضل ولا اكرم على الله منه فقال قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة وانى أحب ان اكون فى شفاعته فقال أنت فى شفاعتى

(قال) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو أنس رواية عنه (فارفض) بتشديد الضاد المعجمة أي فسال البراق (عرقا) نصب على التمييز المحول من الفاعل أي تبدد عرقه حياء وخجالة مما صدر عنه بمقتضى طبعه فهذا يؤيد القول الاول فتامل وقد قال الزبيدي في مختصر كتاب العين في اللغة وصاحب التحرير وهي دابة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والثناء قال النووي وهذا الذي قالاه من اشتراك جميع الانبياء معه يحتاج الى نقل صحيح انتهى وقد قال ابن بطال مامعناه ركبها الانبياء وأقره السهيلي على ذلك وفي سيرة ابن هشام انه بلغه عن عبد الله يعني ابن الزبير في حج ابراهيم البيت وفي آخره وكان ابراهيم يحجه كل سنة على البراق انتهى ونقل القرطبي في تذكرته قبيل أبواب الجنة بيسير عن ابن عباس ومقاتل والكلبي في قوله تعالى خلق الموت والحياة ان الموت والحياة جسمان فتجعل الموت في هيئة كبش لايمر بشئ ولايجد ريحه شئ الامات وخلق الحياة في صورة فرس انثى بلقاء وهي التي كان جبريل والانبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار دون البغل لاتمر بشئ يجد ريحها الاحيي الى أن قال حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس والماوردي عن مقاتل والكلبي وفيها أيضا في صفة الجنة ونعيمها ان البراق يركبها الانبياء مخصوصة بذلك في أرضها وهذا من كلام الترمذي الحكيم وحديث فما ركبك أحد أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم صريح في ذلك وكل هذا رد على النووي كذا قاله الحلبي لكن فيه بحث اذ ليس فيما ذكر نقل صحيح ولادليل صريح على ان البراق واحد مشترك فيه فعلى تقدير صحة التعدد ينبغي أن يجعل اللام للجنس جمعا بين الروايات وان يكون لكل نبي براق لكن أخرج الطبراني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا وأبعث على البراق فهذا يشير الى اختصاصه عليه السلام يومئذ به واشتراكهم قبل ذلك اليوم وقد ذكر السيوطي في البدور السافرة قال معاذ وأنت تركب العضباء يارسول الله قال لا تركبها ابنتي وأنا على البراق اختصصت به دون الانبياء يومئذ الحديث فهذا ظاهره اتحاد البراق مع احتمال اختصاصه بركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم دون الانبياء حينئذ

والله تعالى أعلم وقد جاء في بعض الروايات ان جبريل عليه الصلاة والسلام أيضا ركب معه عليه الصلاة والسلام والظاهر انه ركب خلفه بل جاء صريحا فيما رواه الطبراني في الاوسط من رواية محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه ان جبريل أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالبراق فحمله بين يديه الحديث قال الطبراني لايروى عن أبي ليلى الابهذا الاسناد قال الحلبي وهو معضل ورده قول العسقلاني انه ليس بمعضل بل سقط عليه قوله عن جده وهو ثابت في أصل الطبراني انتهى وفي مسند أبي يعلى عن علقمة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتيت بالبراق فركب خلفي جبريل عليه السلام الحديث قال الحلبي فهذا نقل في المسئلة ولكنه مرسل قلت والمرسل حجة عند الجمهور وقد ذكر ابن حبان في صحيحه ان جبريل عليه السلام حمله على البراق رديفا له قال الحلبي هذا وما تقدم يتعارضان لكن حديث أبي يعلى ضعيف ولو صح لجمع بينهما بانه تارة ركب هذا ذهابا أو ايابا والآخر كذلك اذا قلنا ان الاسراء مرة وهو الصحيح على ماقاله بعضهم قلت الصواب في دفع التعارض و الجمع بين التناقض ان يجعل رديفا حالا من الفاعل في حمله على ماهو الظاهر ليكون الضميران المستتران لجبريل عليه السلام والبارزان له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المقتضى للادب خصوصا في الرسول بالنسبة الى المطلوب المحبوب ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لابي ذر وقد رآه يمشي امام أبي بكر أتمشي أمامه وهو خير منك ثم اعلم انه اختلف في الاسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة أولا وأيهما كان قبل الآخر وهل كان ذلك في اليقظة أو المنام أو بعضه كذا وبعضه كذا أو يقال أسرى به ولا يتعرض لمنام ولا يقظة على مافي أوائل الهدى لابن القيم فتصير الاقوال خمسة وهل كان المعراج مرة أو مرات واختلفوا في زمانه فقيل للسابع والعشرين من شهر ربيع الاول وقيل من الآخر وقيل لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقيل ليلة سبع وعشرين من رجب وبه جزم النووي في الروضة في السير وخالف في الفتاوى فقال انهما ليلة السابع والعشرين من شهر الربيع الاول وخالف المكانين المذكورين في شرح مسلم فجزم بانهما ليلة السابع والعشرين من شهر الربيع الآخر تبعا للقاضي عياض وعن الماوردي انهما في شوال وسيأتي أقوال سبعة في تعيين السنة

الرفرف الاخضر من النور مد مابين الخافقين (قال) هو من كلام الراوي عن أنس رضي الله تعالى عنه (فارفض عرقا) أرفض بهمزة وراء ساكنة مهملة وفاء وضاد معجمة مشددة بزنة أحمر بمعنى سال وتصبب وعرقا تمييز محول عن الفاعل وعرقه لخجله أو مهابته من استصعابه وثبوت الخجل لنحوه غير مستبعد وقيل ارفض بمعنى ترشرش عرقه وقال ابن رسلان عن المصنف رحمه الله ارفض بمعنى خر على الارض

و برك

(الباب الاول) أي من القسم الاول (في ثناء الله تعالى) أي مدحه (عليه واظهاره عظيم قدره لديه) أي عنده في مقام قربه كما يفهم من الآيات المتلوة والاحاديث النبوية وقال الدلجي أي عنده في اللوح المحفوظ لتعلم الملائكة زيادة شرفه وتمييزه على غيره اذهي المرادة هنا فيلتزموا توقيره وتعظيمه انتهى لكنه يحتاج الى نقل كما لايخفى ثم قال الدلجي الثناء هنا باعتبار غايته فهواما نعام بانواعه من تكريم وتعظيم فيرجع الى صفات الافعال واما ارادة ذلك فيرجع الى صفات الذات والافهو في الاصل امابمعنى الحمد والشكر أو المدح أو عام فيهما وموردذلك كله الجوارح وهو في حقه محال فيكون مجازا مرسلا لكون العلاقة غير المشابهة ففيه بحث ظاهر اذالثناء من باب الكلام وهو في حقه سبحانه وتعالى ثابت حقيقة على ماعليه أهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة فلايحتاج الى اعتبار مجاز الغاية بخلاف صفتي الغضب والرحمة لماحقق في محلهما والله تعالى أعلم (اعلم) خطاب عام وهو الاحق أو خاص بالسائل كما سبق (ان في كتاب الله العزيز) أي النادر في بابه أو الغالب على سائر الكتب بنسخه في خطابه (آيات كثيرة مفصحة) أي موضحة مصرحة (بجميل ذكر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم) أي المجتبى في باب الصفاء والوفاء (وعدمحاسنه) أي وبتعداد مكارم أخلاقه

وبرك كما روى انقض أيضا والمعروف في كتب اللغة الاول وفي بعض الروايات ارفض عرقا وقر وفي السيرة ثم قر وفسر بانه جرى عرقه ثم سكن وانقاد وترك النفار وقلت في معناه بديهة (شعر)

عرق البراق وقد أراد محمد * يعلوعليه لاجل جل مصالحه

فكانه لنفاره خجلا بدا * لتأسف يبكي بكل جوارحه

واعلم أن المصنف رحمه الله تعالى انما ذكر هذا الحديث مسندا على خلاف دأبه في هذا الكتاب وغير أسلوبه في غيره من الاقسام والابواب لانه لما كان هذا أول الاقسام وتاج التراجم والمرام وتقديمه له لاهتمامه به صدره بحديث ثابت فيه من الدلالة على ماأراد بيانه من التعظيم قولا وفعلا مالم يتيسر لغيره من الانبياء عليهم السلام مما يقصر عنه الافهام وتتحير فيه العقول والاوهام وهودعوة الملك الجليل له ليلا لحظائر قدسه كما يدعى المقرب المطلع على الاسرار وأرسل لدعوته عظام ملائكته ببراق مسرج ملجم على عادة الملوك اذاعظموا من دعوا وأرسلوا اليه بعض المقربين بمركوب كانوا يسمونه فرس النبوة فاوصله الى حرم عزته لمكان لايصل اليه سواه وكلمه بغير واسطة وتجلى اه بلاحجاب ولذا قال جبريل عليه الصلاة والسلام انه أكرم خلقه عليه وسياتي تفصيله في بابه ان شاء الله تعالى

* (الباب الاول في ثناء الله تعالى عليه) * الثناء المدح كما تقدم تقريره (واظهاره عظيم قدره لديه) بقول غير ثناء ظاهرا كالقسم به والامر باتباعه فهما متغايران اذالاصل في العطف التغاير أوأراد بالفعل القول الصريح في ثناء وغيره والمراد عظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم بالنسبة لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أومطلقا فبينهما عموم وخصوص وجهي وهو تباين جزئي فالثناء من غيرتفضيل ينفرد به الاول وينفرد الثاني بالاسراء ونحوه ومادة الاجتماع تفضيل بالقول على غيره فان اريد بالثناء مايدل على الكمال مطلقا بطريق المجاز فالعطف للتفسير والتوضيح (اعلم ان كتاب الله العزيز) بالجر صفة لله أوللكتاب لان العزيز معناه القوى الغالب ويقال عزه اذاغلبه وفي المثل من عزبز وهو من أسمائه تعالى ويوصف القرآن به وهو المراد بالكتاب لانه بمعانيه واعجازه فان كل كتاب وغلبه واعلم أمرمن العلم يصدربه مايعتنى به من الكلام تقوية وتأكيدا وحثا على القاء البال لمابعده تنبيها على انه مماينبغي ان يعلم ولايترك وقدورد كذلك في القرآن وكلام العرب كقوله (فاعلم أنه لااله الاالله) ولذا التزم بعده غالبا ان المؤكدة كقوله

فاعلم فعلم المرء ينفعه * ان سوف يأتي كل ماقدرا

(آيات كثيرة) اسم ان كثيرة وصفته جمع آية وأصل معناها العلامة والجماعة ثم خصت بمقدار من القرآن وجمع من الحروف له مبدأ ومنقطع مندرجة في سورة في الاكثر وفي اشتقاقها وتصريفها مامرشيء منه (مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم) أي مبينة له والافصاح لغة الكشف ويقال أفصح اذا أتى بكلام فصيح وهو يتعدى بعن والمصنف رحمه الله تعالى عداه بالباء ولم يسمع فهي بمعنى عن فانها تاتي بمعناها ولايختص هذا بمادة السؤال كما في قوله عزوجل فاسئل به خبيرا أوهو مضمن معنى ناطقة أي دالة أومحمول على ماهو بمعناه كانبى أو المراد انها مبينة في حدذاتها والباء للملابسة من أفصح اللبن اذاذهبت رغوته وجميل ذكره بمعنى ذكره الجميل وتفسيره بان الذكر الجميل يظهر بهالايخفى مافيه والجميل المحمود من الصفات وخصه بعضهم بالاختياري ولنافيه كلام في حواشي التهذيب (وعدمحاسنه) أي تفصيلها لمابينهما من الملازمة في الجملة وفيه ايماء الى ان تفصيلها لايحيط

(وتعظيم أمره وتنويه قدره) أى رفعة شانه وحكمه (اعتمدنا منها) أى من تلك الآيات (على ماظهر معناه) أى من منطوق الدلالات (وبان فحواه) أى تبين مقتضاه من مفهوم العلامات على ماله من الكمالات (وجمعنا ذلك) أى ماذكر من الاصول فى عشرة فصول (الفصل الاول) أى النوع الاول من هذا الباب (فيماجاء) أى فى كتابه (من ذلك) أى مما ذكر من الآيات (مجىء المدح والثناء) نصب مجىء على المصدر (وتعداد المحاسن) بفتح التاء أى ومجىء تكرار أخلاقه الحسنة وهو جمع حسن على غير قياس ونصبه على مافى نسخة غير مستقيم (كقوله تعالى) وفى نسخة لقوله تعالى باللام وهو غير ملائم للمرام (لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية) بدأ بها فانها مشتملة على جملة من امتنانه سبحانه مما يوجب تعظيم رسوله ويعلى شأنه منها القسم المستفاد من اللام المقرونة بقد الدالتين على تحقيق الكلام ومنها الايماء فى جاء الى ان رسولنا لو كان فى الصين لكان الواجب عليكم المأتى اليه لتعلم علم الدين ومعرفة اليقين فيكون اتيانه فضلا منا عليكم واحسانا منه اليكم فيجب حسن استقباله واطاعة أمره واقباله ومنها تنكير رسول فانه يشير الى انه رسول عظيم تفخيما لشأنه وتأييدا لبرهانه ومنها انه جعل من جنسكم البشرى فانكم لن تطيقوا على التلقين الملكى وليكون ادعى الى متابعته حيث يفعل هو أيضا بمقتضى مقالته ولو كان ملكا لربما قيل ان القوة البشرية ليست كالقدرة الملكية ومنها انه جعل من صنفكم العربى والا لقلتم أرسل اليه عربى والرسول اليه أعجمى ثم بقية الآية عزيز عليه ماعنتم أى شديد شاق عليه عنتكم وتعبكم ووقوعكم فى عذابكم حريص عليكم ان تؤمنوا كلكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم والرأفة أشد الرحمة فذكر الرحيم تذييل أو عكس مراعاة للفواصل لا لكونه أبلغ كما توهم الدلجى

به نطاق البيان (وتعظيم أمره) أى شانه وماله فى نفسه أو هو مقابل النهى والمراد ايجاب اتباعه فترك النهى اكتفاء لان الامر بالشئ نهى عن ضده أو المراد مطلق الطلب مجازا (وتنويه قدره) أى رفعه باشاعته على وجه التعظيم والتكريم يقال نوه باسمه تنويها اذا رفعه كما قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك قيل هو تصريح باللازم أو تعميم بعد التخصيص (اعتمدنا منها) أى من الآيات والمراد باعتماده على بعضها اقتصاره عليه أو جعله عمدة مقصودا بالذات وغيره بالتبع ويقال اعتمد على كذا اذا اتكأ عليه وليس بمراد هنا وجملة اعتمدنا صفة آيات وجمعنا الآتى بعده معطوف عليه وقيل انها حال من المجرور بعدها على رأى من جوز تقديم الحال على صاحبها المجرور وفيه نظر (على ماظهر معناه وبان فحواه) ظهر وبان بمعنى أى اتضح وانكشف والمعنى مافهم من اللفظ ويراد به مايقابل الذات والمراد الاول والظهور ضد الخفاء لاما اصطلح عليه الاصوليون والفحوى لغة كالمعنى والفحوى عند الاصوليين بمعنى مفهوم الموافقة ويمد ويقصر والاشهر فيها القصر كذا قال أبو على فى المقصور والممدود مأخوذ من الفحا وهى التوابل والابراز قيل وينبغى ان يراد به هنا مطلق المفهوم وهو معتبر بلا خلاف ولذا اعتبره فقهاؤنا فى ظاهر الرواية وانما الخلاف فى صحة الاستدلال به من النصوص فلا وجه لما قيل ان المصنف مالكى المذهب ومالك رضى الله تعالى عنه لايقول بالمفهوم حتى يجاب بان صاحب الملخص نقل عنه انه قائل به لخروجه عن سنن السداد وقيل انه بمعناه اللغوى فهو من عطف أحد المترادفين على الآخر وقد تخص الفحوى بما يفهم قطعا أو من خلال التراكيب وان لم يكن بالمطابقة (وجمعنا ذلك) المعتمد عليه (فى عشرة فصول الفصل الاول فيماجاء من ذلك مجىء المدح والثناء) وليس من قبيل الفصول المذكورة والمدح والثناء متقاربان وليس من عطف الخاص على العام كما قيل (وتعداد المحاسن) بالجر عطف على المدح وذكر الحلبى انه صحح نصبه ووجه بان أصله ومجىء تعداد على انه مفعول مطلق معطوف على مثله بعد حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكونه منصوبا على الحانية سهو وتعداد بفتح التاء مصدر بمعنى التعديد (كقوله) تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية) بالنصب بتقدير أعنى أو أذكر أو أقرأ اشارة لبقية الآية اختصارا قال بعض المفسرين هذه الآية آخر آية نزلت وقد قيل يستفتونك فى آخر النساء وآخر سورة براءة وقيل آية الربوا وأراد بعضهم التوفيق فلم يساعده التوفيق ووقع فى حديث جمع القرآن ان هذه الآية لم توجد الا مع خزيمة الانصارى رضى الله تعالى عنه ووقع فى البخارى مثله فى قوله تعالى رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه الى آخره واستشكل ذلك بانه ينافى اتفاقهم على تواتر القرآن وأجيب بان المراد التثبت فى تلقيها ممن تلقاها عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بغير واسطة والمبالغة فى استظهار ما كتب بين يدى النبى صلى الله

تعالى

(قال السمرقندي) بفتح سين مهملة وميم وسكون راء هو المشهور على الالسنة واما ماضبطه بعض المحشين كالتلمسانى وغيره من سكون ميم وفتح راء فهو لحن على ماصرح به القاموس وهو الامام الجليل الحنفى المحدث المفسر نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندى الفقيه أبو الليث المعروف بامام الهدى تفقه على الفقيه أبى جعفر الهندوانى هو الامام الكبير صاحب الاقوال المفيدة والتصانيف المشهورة العديدة توفى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة له تفسير القرآن أربع مجلدات والنوازل فى الفقه وخزانة الفقه فى مجلدة وتنبيه الغافلين وكتاب البستان وذكر التلمسانى انه أبو على واسمه الحسن ابن عبد الله منسوب الى بلدة سمرقند من أهل الظاهر روى عن داود ابن على الظاهرى لكن المعتمد هو الاول وسيأتى فى مواضع من كتاب الشفاء حيث يروى عنه القاضى بواسطة واحدة والله أعلم أبو الليث السمرقندى متقدم يلقب بالحافظ وهو الفرق بينهما ذكره التلمسانى (وقرأ بعضهم من أنفسكم بفتح الفاء) وهى قراءة شاذة مروية عن فاطمة وعائشة رضى الله تعالى عنهما وقرأ به عكرمة وابن محيص وغيرهما فى المستدركة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها كذلك (وقراءة الجمهور بالضم) وضبطه بعضهم بالفتح وهو غير مشهور وضبط قراءة بصيغة المصدرية ويمكن قراءته بالجملة الفعلية ثم رأيت فى حاشية انهما روايتان والجمهور بالضم معظم الناس (قال القاضى الامام أبو الفضل وفقه الله تعالى) أى المصنف (أعلم الله تعالى المؤمنين

تعالى عليه وسلم أوانه وجد من شاركه فى حفظها فتواترت وقيل المنفى وجودها مكتوبة لا محفوظة فتدبر (قال أبو الليث السمرقندى) رحمه الله تعالى نسبة لسمرقند مدينة معروفة بما وراء النهر قال التلمسانى المصحح فى النسخ بفتح السين والراء وسكون الميم والمعروف فتح الميم وسكون الراء وتبعه فيه صاحب القاموس اذ قال اسكان الميم وفتح الراء لحن وفيه نظر وهى معرب شمر كند وشمر اسم رجل وكند بمعنى قرية والسمرقندى هذا هو الامام الجليل المعروف بامام الهدى وهو نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم الفقيه الحنفى المشهور صاحب التصانيف الجليلة كالتفسير والنوازل وخزانة الفتاوى وتنبيه الغافلين والبستان توفى ليلة الثلاث لاحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة من أئمة الحنفية أيضا آخر يدعى بابى الليث السمرقندى متقدم على هذا كما قاله السمعانى وهذا يعرف بالحافظ وبهذا اللقب يفرق بينهما (وقرأ بعضهم من أنفسكم بفتح الفاء وقرأ الجمهور بالضم) أى بفتح الفاء وضمها او او فى قوله وقرأ من المحكى فهو معطوف على مذكور فى أصله وفى عبارة المصنف على مقدر وفى المحتسب لابن جنى انها قراءة عبد الله بن قسيط المكى ومعناها على الفتح من خياركم وأشرفكم ومنه قولهم هو من أنفس المتاع أى اجوده وخياره ومنه المنافسة وهى اشتداد الرغبات فى أمر يقتضى التحاسد عليه والغبطة وهى كما فى شرح ادب الكاتب مأخوذة من النفس فكان المنافس فيه لرغبته وحرصه عليه مثل نفسه عنده وهذه القراءة شاذة كما يعلم من نسبة الضم للجمهور وعزاها بعضهم لابن محيص ورواها فاطمة رضى الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم وانفس على الفتح أفعل تفضيل وجوز التلمسانى فيه ان يكون اسم فاعل وهو بعيد وعلى الضم جمع نفس لانه ما من قبيلة الا وقد ولدت من نسله صلى الله عليه وسلم كما يأتى الا بنى تغلب لتمسكهم بالنصرانية والجمهور بالضم كثير من الخلق جمعه جماهير وحكى التلمسانى فتح جيمه وهو غريب (قال القاضى الامام أبو الفضل عياض وهو رواية بالمعنى لانه لا يمدح نفسه وعبارة المصنف كما فى بعض النسخ قال أبو الفضل وفقه الله تعالى وقد سقط كله من بعض النسخ المتداولة (أعلم) ماض من الاعلام (الله تعالى المؤمنين) جعل المخاطب هنا المؤمنين لقوله تعالى فى سورة آل عمران (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) والقرآن يفسر بعضه بعضا وهذا الخطاب هو المسمى فى الاصول بخطاب المشافهة وهل هو مختص بالموجودين منهم فى زمان النزول أو النازلين فى مهبط الوحى أو يعم الموجودين منهم وغيرهم ممن سيوجد من هذه الامة اقوال اختلف فيها بعد الاتفاق على دخولهم فى حكمه وانما الخلاف فى كونه يدل عليهم وضعا أولا فالدلالة هل هى قياس أو اجماع أو دليل آخر وليس هذا محل تفصيله وهو شبيه بالخلاف المذكور فى المنطق بين الفارابى وأبى على فى عنوان موضوع القضية وان لم ينتبهوا له ووجه التخصيص بالمؤمنين انهم المنتفعون ببعثته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدارين وان كان رحمة لجميع العالمين والمقصود بهذا الخطاب الامتنان عليهم أو اعلامهم بمضمونه وان كان منهم من يعلمه تغليبا اهتماما بارشادهم ولذا أكد بالقسم أوهو وللاشارة الى ان نطاق علمهم لا يحيط بعظيم قدره وقيل انه

لتنزيل العالمين منهم منزلة غيرهم لغفلتهم عن عظيم هذه النعم والتقصير عن شكرها وقيل هو لقصد اعلام الجاهل واظهار المنة على العالم واستبعد وقيل ان قوله بالمؤمنين التفات راعى فيه نكاته أو هو من وضع الظاهر موضع المضمر تشريفا لهم واهانة لمن عداهم وفي الالتفات بعد هنا ورد بان المؤمنين لاسيما الصحابة رضي الله تعالى عنهم عالمون بمدلول هذا الخبر فلا اعلام لهم بحسب الحقيقة الا ان ينزلوا منزلة غيرهم لغفلتهم عن هذه النعمة وشكرها والعمل بمقتضاها أو اراد مجرد توجيه الكلام نحوهم والاظهر ان المقصود هنا اظهار المنة وتنبيه من غفل عن هذه الصفات وفوائدها كما مر أقول هذا زبدة القيل والقال هنا وتحت الرغوة اللبن الفصيح فان هذا مع ما فيه من التكرار والتقصير يحتاج للتنقيح والتقفير فان وضع الظاهر موضع المضمر لا يخرجه عن الالتفات وان جاز ان يقال انه تجريد بناء على عدم المغايرة بينهما ولما كان الكلام هنا ليس محل التأكيد لعدم جهل المؤمنين وترددهم في مضمونه احتاج للتوجيه فتدبر (أو العرب) على ان المراد بانفسهم جنسهم وانه صلى الله تعالى عليه وسلم عربي مثلهم وقد رجح هذا أكثر المفسرين لتبادره ولان قوله بعده فان تولوا فقل حسبي الله يدل على عموم اختصاصه بالمؤمنين وقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم قد فسر بما ذكر لان ضمير منهم عائد على الامة المسلمة السابقة في قوله من ذريتنا أي ابراهيم واسمعيل اذ أمة من ذريتهما الا العرب كما قيل واحتمال اختصاص بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم بهم مدفوع بالقرائن والادلة القاطعة وهذا لان العرب كلهم من ذرية اسمعيل عليه الصلاة والسلام والصحيح عند أهل التاريخ خلافه وقال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب اسمعيل ليس أول من نطق بالعربية لان العرب من ولد قحطان وهو أول من تكلم بالعربية حين تبلبلت الالسن ببابل وسار حتى نزل باليمن هو وأولاده ثم نطق بعده ثمود بلسانه وشخص حتى نزل بالحجر فكان منهم تسعة قبائل قديمة فنطقت ألسنتهم بالعربية وبعث فيهم هود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام ولما انزل الله اسمعيل الحرم وهو صغير وأنبط له زمزم مرت به رفقة من جرهم فرأوا امالم يكونوا رأوه فاخبرتهم أمه بنسبه وحاله فتبركوا به وبمكانه ونزلوا معه فنشأ اسمعيل عليه الصلاة والسلام معهم بين ولدانهم وتكلم بلسانهم فانكحوه منهم وقالوا انطق بالعبرية ثم غيروه فقالوا بالعربية لسان العجمي ويقال لهم العرب العاربة ولغيرهم المتعربة والمستعربة الداخلة في العرب كتبرز ويعامس انتهى والذي قاله الازهري كما مر انهم نزلوا بيقعة أو سكنوا بلدة يقال لها عربة فسموا بها عربا (أو أهل مكة) لانهم أقرب نسبا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم أو لانهم أول من جاء اليه أو لانهم أشرف العرب وهو أشرفهم فهو خيار من خيار وهذا لا يقتضي تخصيص بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم بهم لان التخصيص المذكور لا يفيد الحصر وانما يقتضي الترجيح وعموم الرسالة مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرحت به النصوص واتفقوا عليه ولا يرد عليه ان نوحا عليه الصلاة والسلام كان مبعوثا لاهل الارض كافة بعد الطوفان لانه لم يبق على الارض الا من كان معه فعموم رسالته لهم لعدم وجود غيرهم كآدم صلى الله عليه وسلم واما نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فعموم رسالته من أصل بعثته على ان دعوة نوح عليه الصلاة والسلام لم تعم من بعده وكون نوح عليه الصلاة والسلام أول الرسل كما ورد في الحديث الصحيح فقد بينه شراح البخاري بما لا مزيد عليه واستدل لعموم رسالة نوح صلى الله تعالى عليه وسلم بدعائه على جميع أهل الارض حتى هلكوا غير أهل السفينة وأجيب بجواز بعثة غيره في زمانه وعلمه بانهم لا يؤمنون به فدعا على من لم يؤمن

أو العرب أو أهل مكة

من قومه وغيرهم الا انه لم ينقل الينا وأيضا شريعة نوح عليه الصلاة والسلام لم تبق الى يوم القيامة لنسخها وقال ابن عطية انه دعا قومه للتوحيد وبلغهم فاشركوا فدعا عليهم لانه عليه الصلاة والسلام لطول مدته اشتهر أمره في جميع الارض وقال ابن دقيق العيد رحمه الله بالدعوة للدعوى يجوز ان تكون عامة في حق بعض الانبياء عليهم السلام وان لم تعم فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك وهو كلام حسن (أو جميع الناس) من بنى آدم الموجودين في عصره ومن بعدهم الى يوم القيامة لا من تقدمه لان المذكور هنا ليس البعثة وحدها بل بعثته لمن صعب عليه عنته وحرص على هدايته لشفقته التامة عليهم وقد رجح بعضهم هذا التفسير على غيره لما في الثلاثة الاول من ايهام الاختصاص وان دفع بان الادلة قد قامت على خلافه وقد مر ان في الاول وضع الظاهر موضع المضمر لتشريفهم والاشارة الى منشئ ما ذكر ولذا رجحه بعضهم وقدم الكلام في ترجيح بعض هذه الوجوه والمنة عليه بكونه من جنسهم لمشاهدتهم معجزاته التي تدعوهم للسعادة مع ما فيه من الرفق بهم لان الجنس لجنسه أميل وآنس به ولذا قيل لو كان ملكا بهيئته الاصلية لم يتيسر لهم التلقي عنه ولا التلبس عليهم * فان قلت ما وجه قول بعض الشراح المراد بالناس جميع المكلفين فيشمل الجن وقد صرح في القاموس باطلاقه عليهم قلت قد صرح به جماعة من أهل اللغة والتفسير وصرح به ابن خالويه رحمه الله تعالى والعرب تقول ناس من الجن وفي الحديث جاء قوم فوقفوا فقيل لهم من أنتم فقالوا ناس من الجن ولذا جوز بعضهم في قوله تعالى من الجنة والناس ان يكون بيانا للناس ومن الغريب قول السبكي انه مشترك بينهما فتارة يكون بمعنى الانسان واصله اناس وتارة يكون شاملا لهما واصله على هذا نوس بمعنى تحرك وقيل الناس هنا شامل لمن تقدم عهد الرسالة بنظر دقيق والظاهر على الثلاثة الاخيرة انه نزل الكل منزلة الجاهل فاعلمهم أو العالم فقصد اظهار المنة أو غلب وقيل قصد اعلام الجاهل واظهار المنة للعالم وفي صحته نظر اقول وجه جعل المجيء شاملا لمن تقدم انه أخذ عليهم الميثاق على ان يؤمنوا به ويخبروا أممهم بانه سيبعث فلما جاءهم خبره جعل كانه جاءهم حقيقة أو لانه سيشفع لهم في المحشر فكان مجيئه لهم كغيرهم ولا يخفى بعده وان صح ثم ان اعلام الله بفائدة الخبر أو لازمها اذا كان لكثيرين لا مانع من قصد اعلام بعض والامتنان على بعض كما انه لا مانع من قصدهما معا للجميع بان يعلمهم بما فيه نفع عظيم ويمتن به فالتردد في صحته لا وجه له (على اختلاف المفسرين) أي اعلامنا مبنيا على اختلافهم في اختيار بعض لبعض هذه الوجوه وآخر لآخر لما بدا لهم من وجوه الترجيح كما أشرنا اليه (من المواجه بهذا الخطاب) من بفتح الميم اسم استفهام نونه مكسورة لالتقاء الساكنين وكونه بكسر الميم حرف جر بيان للمؤمنين أي من الذين وجه اليهم الخطاب بعيد غير لائق والمواجه بضم الميم اسم مفعول مرفوع خبرا أو مبتدأ على القولين والمواجه المخاطب لمقابلة وجهه لوجهك أو لخطاب مصدر خاطبه اذا شافهه بالكلام ويطلق على توجيه الكلام للغير وعلى الكلام الموجه وعلى ما يدل عليه كالكاف ويصح ارادة كل منها هنا وعلى ما مر متعلق بمقدر صفة أو خبر مبتدأ مقدر أي هذا وما ذكر مبني الى آخره واصله في جواب القائل من المواجه الى آخره والاختلاف مصدر متعد بالحرف يقال اختلف في كذا والاختلاف ما مر من التخصيص والتعميم فالمطلوب تعيين أحد الوجوه للسائل وهو كما قيل معلق عنه عامله وان تعدى بالحرف تعليق افعال القلوب اما لتضمنه معنى العلم كما قالوه في قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا أو على قول يونس بجريه في جميع الافعال أو الجملة الاستفهامية مستأنفة كما في قوله تعالى

أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه) أي من الذي وقع له المواجهة من المؤمنين أو غيرهم (بهذا الخطاب) يعني جاءكم فمن بفتح الميم موصول وكسر نونه في الوصل لالتقاء الساكنين والمواجه بصيغة المفعول مرفوع ثم الظاهر العموم الشامل لجميع الانس بل والجن أيضا على وجه التغليب اما من اختار المؤمنين فلانهم المرادون في الحقيقة والمنتفعون بمتابعته في الطريقة واما من اختار العرب فلما يدل عليه ظاهر قوله تعالى حريص عليكم ولما يتبادر من قوله أنفسكم جنس العرب ولا ينافي ما اخترناه من العموم فتح الفاء لانه اذا كان أشرف جنس العرب فيكون أفضل سائر الاجناس فانهم أكرم الناس لما تقرر في محله واما من اختار أهل مكة فلما أشار اليه المصنف بناء على قراءة الضم

ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين * من فرعون فى قراءة من بفتح الميم فمتعلق الاختلاف متروك أو مقدر كانه لما ذكر الآية قيل فيما اختلفوا فقيل فى جواب القائل كما قدروه وقد قيل عليه انه مع سماجته فيه ان هذا السؤال المقدر لا يتولد من ذكر الاختلاف وأيضا المصنف رحمه الله تعالى لم يقصده وليس مرادا فى هذه الآية الى آخر ما طواه بغير طائل مع ذكره أمورا مفصلة من العربية ليس هذا محلها والخلاف والاختلاف متقارب بان الان علماء الحنفية فرقوا بينهما كما ذكره الخصاف فى أدب القضاء فقال الخلاف ما وقع فى محل لا يجوز فيه الاجتهاد وهو ما كان مخالفا للكتاب والسنة والاجماع والاختلاف بخلافه بان يكون فى محل يجوز فيه الاجتهاد فالاول لو حكم به قاض ورفع لغيره يجوز له فسخه بخلاف الثانى وهذا معنى قولهم خلاف لا اختلاف (انه بعث فيهم رسولا من أنفسهم) ان بالفتح وهو مع ما بعده ساد مسد مفعولى اعلم وان كان مصدرا مفردا بحسب التأويل الا انه لاشتماله على النسبة فى حكم الجملة فليس كالمصدر الصريح من جميع الوجوه كما بينه النحاة كما ذكروه وقد أفردناه بالتأليف فى الرسائل ولذا قال المحققون انه لا يحتاج لتقدير مضاف اذا وقع خبرا كما توهموه وأنفسهم هنا بضم الفاء جمع نفس والضمير فى بعث راجع لله وكون انه بعث الخ بدلا من قوله بهذا الخطاب بدل كل أو اشتمال تكلف غير محتاج اليه وهذا جار على الوجوه كلها فان كان الخطاب للمؤمنين فالمراد بكونه من أنفسهم انه على طريقتهم ومعتقدهم وان كان للعرب فالمراد انه من صميمهم ونوعهم وان كان لاهل مكة فالمراد انه نشأ من تربتهم وبين أظهرهم وان كان للناس فالمراد انه من جنسهم وليس هذا على بعض الوجوه كما توهم وفيه اشارة الى شرف من بعث منهم ومن هنا تعلم ان شموله للجن غير مناسب للمقام (يعرفونه) بيان لفائدة كونه منهم وهى معرفتهم لذاته وصفاته وأحواله وذكره فى الكتب القديمة وتواتر اخباره واضاءة أنواره وهذا جار على الوجوه كلها أيضا والمراد بالمعرفة المعرفة بالفعل أو بالقوة لان عندهم ما لا يخفى من ذلك وبالفعل على التغليب ولم يرد معرفة نبوته حتى يكون كفرهم عنادا كما قيل وان صح بالتأويل السابق (ويتحققون مكانه) أى قدره ورتبته ويحتمل ان يراد محله الحقيقى خصوصا اذا كان الخطاب لاهل مكة وهذا ليس تحته كبير فائدة الا ان يكنى به عن معنى بعيد مثل انهم يهابونه ولا يقدرون على أذيته أو انهم يعلمون انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يأخذ ما جاء به عن أحد وفى نسخة مكانته بالتاء وهى أولى لان المكان الحقيقى والمجازى بخلاف المكانة فانها تختص بالثانى كما صرح به أهل اللغة فكان التاء فيه للنقل وهذه النسخة أنسب بالمقام وبقوله يتحققون فتدبر (ويعلمون صدقه وامانته) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان معروفا بذلك حتى كان يدعى قبل البعثة بالامين وتوضع عنده الودائع والامانات وهذا على اطلاقه من غير نظر لدعوى النبوة ولما قبلها فلا حاجة الى ان يقال المراد ما عداها ويؤيده حديث هرقل مع أبى سفيان رضى الله تعالى عنه المذكور فى الصحيحين (ولا يتهمونه بالكذب) أى لا يصفونه به ولو افتراء وتهمة لانه نشأ بين أظهرهم وجربوه فلم يسمع من أحد منهم ما يتهم به ولذا قال هرقل فى حديث البخارى ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى ووهم يهم بمعنى غلط أو ظن واتهمه أدخل التهمة عليه أو نسبها اليه وفى القاموس تهمة كهمزة ما يتهم به وفى معنى التقريب ان هاءه قد تسكن وفى النهاية اتهمته ظننت فيه ما نسب اليه وباء بالكذب للسببية أو للملابسة أى لا ينسبون ولا يظنون ملابسته بالكذب أو لا يتهمونه بسبب الكذب وقيل انها للتعدية (وترك النصيحة لهم) ترك بالجر معطوف على الكذب أى لم يتهمه أحد بترك النصيحة حتى كانوا

(انه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفون) أى محله ومرتبته بحليته ونعته (ويتحققون مكانه) أى مكان ولادته ونسبه ورتبته أو رفعة قدره وعلو شانه ويؤيده ما فى نسخة مكانته وهو مخل بالتسجيع لما قبله ملايم لقوله (ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب) فى دعوى رسالته أى ولذا كانوا يسمونه محمد الامين لكمال ديانته (وترك النصيحة لهم) أى وترك اراده الخير لهم

يرجعون اليه فى مشكلهم ومشاورتهم قبل الدعوة للنبوة والنصيحة ضد الغش وفى معناها لغة اختلاف فقيل وهو الاشهر معناها الخلوص يقال نصحه اذا أراد له الخير وأظهره وغشه فى ضده ومنه التوبة النصوح وهى الخالصة ظاهرا وباطنا الذى لا يرجع صاحبها عنها أصلا ورأيت فى فتاوى ابن تيمية ان من الناس من قال ان نصوحا اسم رجل كان فى زمن عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم تاب توبة مشهورة فأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتوب الناس توبة كتوبته قال وهو كذب من قائله اذ لم يسمع بأحد سمى نصوحا فى الاعصر المتقدمة ولم يقل هذا أحد من المسلمين فضلا عن العلماء وانما ذكرت هذا لانى سمعت بعض جهلة الوعاظ من الروم يذكرونه فى مجالسهم فاياك ان تغتر بمثله (لكونه منهم) متعلق بيعرفون أو به وبما بعده على التنازع لانه تعليل لمجموع الكلام أو هو خبر مبتدأ أى وهذا لكونه الى آخره وهو جار على الوجوه كلها وقيل انه متعلق بيعلمون فان القريب يعرف حال القريب أو بلا يتهمون فتكون دليلا له وقدم أن الكلام يحتمل أن المراد انهم يعلمون نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم بالقوة أو بالفعل وقد تقدم ما فيه فتذكره (وانه لم يكن فى العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولادة أو قرابة) انه بالفتح وهو وما بعده فى محل جر عطف على كونه وهو عطف مغاير أو تفسيرى تفصيلى وهذا أولى من عطفه على ان الاول لبعده ولانه لم يعلم به الا بتكلف بان ينزل وقوعه منزلة الاعلام وقبيلة بفتح القاف بنو أب واحد وجمعه قبيل وقيل هما بمعنى وهو الجماعة وقيل بينهما فرق فالاول بنو أب واحد والثانى من آباء مختلفة أو هو أعم وطبقات أنساب العرب ستة وهو الشعب بالفتح وهو أكبرها ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهى العشيرة وقد نظمها التاذفى فى قوله شعر

شعب بفتح الشين والقبيله * من بعدها عمارة أصيله
وهى بكسر العين ترهى ثم قل * بطن وفخذ بعدها ولا تحل
وسادس فصيلة تؤويه * وهى العشيرة التى تليه

والشعوب بضم العين جمع شعب بفتحها فى العجم والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل فى العرب ولذا قيل لمن يفضل العجم على العرب شعوبية ونسبه له وهو جمع لانه كانصارى وقوله الا ولها الى آخره يعنى به ان فى كل قبيلة من العرب له صلى الله تعالى عليه وسلم أب أو جد أو أم ولو جدة بدون واسطة أو بواسطة وفى هذه الجملة الواقعة بعد الا مع الواو قولان فذهب الزمخشرى الى انها صفة والواو لالصاقها بالموصوف تشبيها لها بالحال والجمهور على انها حالية والمعنى لم تكن قبيلة على حال من الاحوال الا على هذه الحال من اتصال النسب لامتناع الواو والتفريغ فى الصفات كما فصل فى محله والمراد بالقرابة القرب من عمود النسب الفرعى والاصلى مطلقا الا انها فى العرف اذا أطلقت خصت بالفرعى ولذا لو أوصى أو وقف على أقاربه لم تدخل فروعه وأصوله والفرق ظاهر بينه وبين أقرب أقاربه والقرابة بالفتح تكون مصدرا بمعنى القرب يقال هو ذو قرابة ولا يقال من قرابته الا تجوزا أو يكون اسم جمع بمعنى الاقارب وانكار الحريرى له فى الدرة بينا رده فى شرحها والمراد فى عبارة المصنف رحمه الله تعالى بالقرابة المعنى العرفى لانه لو كان بمعناه الحقيقى لغة لزم عطف العام على الخاص بأو وهو انما يكون بالواو كعكسه وفى شرح السيد انه يكون بأو نادرا والاول هو المعروف عند النحاة كما فى المغنى وغيره وقوله لم يكن فى العرب الخ ورد فى الاثر كما أخرجه أبو نعيم فى الدلائل من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تفسير هذه الآية قيل ومثله لا يكون من قبل الرأى فهو فى حكم الحديث المرفوع وفيه

(لكونه منهم) وهو أبعد للتهمة فى ترك النصيحة فى حقهم (وانه) بالفتح عطف على انه السابق الواقع مفعولا ثانيا لاعلم ولا يبعد أن يكون مجرور المحل معطوفا على كونه والحاصل انه (لم تكن فى العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) على الصاحبة قوله تعالى وآتى المال على حبه أى مع رسول الله (ولادة) أى قرابة قريبة (أو قرابة) أى بعيدة

بحث الا انه سيأتى رفعه أيضا وأخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يكن بطن من قريش الا وله صلى الله تعالى عليه وسلم به قرابة كما قال حسان رضى الله تعالى عنه

وسطت نسبتى الذوائب منهم * كل دار فيها أب لى عظيم

ووقع فى بعض نسخ الشفاء عند بعض الشراح هنا زيادة وهى قوله (وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى) قل لا أسئلكم عليه أجرا (الا المودة فى القربى) قال السيوطى رحمه الله فى تخريج أحاديث هذا الكتاب ان هذا له طرق كثيرة استوفيناها فى الدر المنثور ومنها ما أخرجه البخارى من طريق طاوس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال (لم يكن بطن من قريش الا كان لى فيهم قرابة ألا تصلوا ما بينى و بينكم من القرابة) وأخرج الطبرانى نحوه من طريق سعيد بن جبير عنه فالقربى على هذا قرابة أهل مكة خاصة وعلى ما رواه أبو نعيم فى الدلائل كما ر قرابة جميع العرب لاتصال نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم بهم كما مر فمعنى الآية عند ابن عباس رضى الله عنهما ألا تودونى لاجل القرابة بينى وبينكم والخطاب بقريش خاصة لما رواه الضحاك من ان المشركين كانوا يؤذونه فنزلت وما روى من انها نزلت فى آل البيت خاصة فقال ابن حجر انه موضوع وما روى من انها نزلت فى الانصار لانه لما قدم المدينة قالوا يا رسول الله انك تنوبك نوائب وقد جمعنا لك ما تستعين به عليها فنزلت قال ابن حجر انه ضعيف و يبطله ان الآية مكية وأقوى ما ورد فى سبب نزولها ما أخرجه قتادة من أن المشركين قالوا لعل محمدا يطلب أجرا على ما يتعاطاه فنزلت وهذا محصل ما قالوه فى سبب نزولها وقيل الآية مكية والذى صححه ابن حجر يخالفه وفى قوله فى القربى تعليلية كما فى ان امرأة دخلت النار فى هرة الحديث أوهى للظرفية المجازية وهو حال أوصفة ان جوزنا تقدير المتعلق معرفة فكان القربى ظرف المودة * واعلم انهم اختلفوا فى هذا الاستثناء هل هو متصل أو منقطع فقيل انه متصل والآية منسوخة بقوله تعالى قل ما سألتكم من أجر فهو لكم وقيل هو منقطع لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يبغون على تبليغهم أجرا فالمعنى انى اذكركم المودة فى القربى وفى زاد المسير انه اختيار المحققين فلا يشوبه نسخ وفى شرح البخارى أن الآية نزلت لاستكشاف شر الكفار فهى منسوخة بآية القتال وهو لا يتم على كونها مدنية و يعضد الانقطاع ما فى الكشاف عن أن المودة ليست أجرا حقيقة لان قرابته قرابتهم وصلته لازمة لهم مودة وهو مقتضى السياق فما فى بعض الشروح من ان الصحيح الذى يرتبط به كلامه ما أخرجه البخارى من انه لم يكن بطن من قريش الا وله صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم قرابة لا ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى كما أخرجه أبو نعيم ليس بصحيح وفيما ذكره الزمخشرى نظر اذ لزوم اتصال شئ لاحد لا ينافى كونه أجرا مطلوبا بعمل نعم المتبادر من الاجر انه ما لا يستحق الا بالعمل وما لزم بدونه لا يسمى أجرا والثواب لازم للعمل فيه وذهب بعضهم الى جواز الوجهين فان نظر الى الظاهر أو ان المراد بالاجر مطلق ما يترتب على شئ أو بالمودة لوازمها يكون متصلا وهو المراد فى هذه الآية وان أريد حقيقته فهو منقطع وهو المنفى فى الآية الاخرى فلا منافاة ولا نسخ وهو كلام حسن أقول هذا زبدة ما محضه التتبع وقد ظهر لك منه جواز الوجهين وان المودة اما مودة أقاربه أو مودة بعضهم لبعض وما طلب أجره بتبليغ الرسالة واداء الامانة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لحرصه على هدايتهم وشفقته عليهم عد طاعتهم نفعا له لما فيها من كثرة اتباعه وقوة شوكته والقربى ذوى القرابة القريبة أو البعيدة كما قيل

اذا كان أصلى من تراب وكلها * بلادى وكل العالمين أقاربى

(وهو) أى هذا المعنى المستفاد من قوله وانه الخ (عند ابن عباس) كما رواه عنه البخارى والطبرانى (وغيره) أى من المفسرين (معنى قوله تعالى الا المودة فى القربى) فى قوله تعالى قل لا أسئلكم عليه أى على التبليغ أجرا الا المودة أى لكن المودة فى القرابة لازمة من الجانبين وأنا لا أقصر فى نصيحتكم وارادة الخير لكم ومحبتكم فيجب عليكم أيضا ان تجتهدوا فى متابعتى ونصرتى ودفع الاذى عن أهل ملتى

فى كلام المصنف رحمه الله تعالى منزل على الاقوال كلها والضمير فى قوله وهو عند الخ جميع ما ذكر قبله أو للاخير فلا غبار عليه ثم شرع فى توجيه القراءة بالفتح الشاذة فقال (وكونه) ولم يعطفه بأو لتحقق المعنيين والقراءتين كما قيل وقد جوزه أيضا أن يكون عطفا على مدخول اللام فى قوله لكونه والنصب لعطفه على مفعول اعلم أو تعلمون والرفع على انه مبتدأ خبره قوله نهاية الى آخره واقتصر عليه فى المتقى واستبعده بعضهم ولا وجه له فان الدراية والرواية تؤيده لان ابتداء كلام لبيان القراءة الشاذة ولذا أخره (من أنفسهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح) أى بناء على قراءة الفتح للفاء وهذه المتعاطفات متقاربة بقولك أن تفسرها بما يجعلها متقاربة والامر فيه سهل وأفاد النظم لزيادة شرفه وفضله لانه أخبار من الله تعالى الذى لا يتوهم عاقل خلافه فلا يرد عليه ما قيل من ان المبنى على القراءة كونه معلما به ومرادا من فحوى النظم لا أصل له ولا ما توهم من أن الامر كذلك قطعا فلا ينبغى على القراءة الشاذة نعم يرد على رفع كونه ويدفع بالتأويل وكذا ما قيل من أنه مبنى على القراءة المتواترة أيضا فلذا قدمها وهو ظاهر السقوط بغير دفع (وهذه) أى المنقبة والصفة الجميلة التى تضمنتها الآية على هذه القراءة أو على القراءتين أو هذه الآية باعتبار ما تضمنته وكون الاشارة للوصف بالانفسية والتأنيث لرعاية الخبر ارتكاب لما يحتاج للتأويل من غير داع له (نهاية المدح) فى بابه ونهج المقصود منه وهذا يمكن عوده الى القراءتين وان كان الظاهر الثانى فقط فعلى القراءة الاولى نهاية المدح بعلو الحسب والنسب لان العرب أشرف الناس وقد حازت كل قبيلة نوعا من ذلك فمن اتصل بجميعهم حاز جميع محاسنهم وحلاوة ألسنتهم فكان صلى الله عليه وسلم أجل منهم كلهم وهذا هو المقصود بكونه منهم وكذا اذا قلنا المراد جميع الناس وان توهم خلافه فى قولك هو واحد من الناس أو من بنى فلان ونحوه وعلى الثانى هو نهاية النهاية لانهم أنفس الناس وهو أجلهم وافادته لهذا من بديع الكناية على نمط قوله عز وجل كانت من القانتين وقوله فلان من العلماء فانه أبلغ من كانت قانتة وفلان عالم ولذا عدل عنه مع انه أوجز لافادته انه مع اتصافه به له قدم راسخ فيه لا دخيل كقوله مثلك لا يبخل كما فى شرح المفتاح وهو مأخوذ من كلام ابن جنى فى المحتسب وعبارته العرب تقحم لفظ مثل توكيدا وسببه انهم يريدون جعله من جماعة هذه أوصافهم تبيينا للامر وتوكيدا له ولو كان فيه وحده لا قلق منه موضعه ولم ترسخ فيه قدمه ولم يؤمن عليه انتقاله الى ضده ومثله قولهم فى مدح الانسان أنت من القوم الكرام أى لك فى الفضل سابقة وأول وأنت مقيم عليه محفوف به لست دخيلا فيه من غير أول ولا أصل فيخشى بنوك عنه ولما أريد مثل هذا فى الثناء على الله ولم يجز أن يكون تابعا فيه لسلفه ولا موجودا فيه نظير عدل به الى وجه ثالث وهو أن يجعل قديما وراسخا عليه فكان أثبت له وذلك نحو وكان الله سميعا بصيرا انتهى اذا عرفت هذا فقول بعض الشراح هنا انه يفهم من هذا الاعلام أن كونه من أشرفهم لان من كان أشرف وهو رسول الله فهو أشرف من الاشرف وهو نهاية المدح بالنسبة لغيره فلا يرد عليه أن كونه من جملة أشرفهم ليس نهاية المدح انتهى ليس بشئ فانظر الى هذا مع سماجته وافلاسه من افادته وانظر بعين الانصاف لا بعين الرضاء فيما قلناه * واعلم ان دخول من على أفعل التفضيل كما فى عروس الأفراح على وجهين الاول أن تكون جماعة فاضلة مستوية فى الرتبة فى زيادتها على غيرها فتقول فى كل منها هو من الافضل ولا يقال ذلك عند تفاوتها الثانى أن يكون نوع أفضل الانواع فيقال فى كل فرد منه انه من الافضل كما فى قوله (من أنفسكم) على قراءة الفتح فتنبه لهذه الدقيقة انتهى * أقول هذا على ما قاله انما يفيد مدح قوم النبى صلى الله عليه وسلم أولا ولا يلزم من شرف قوم شرف جميع افراده كما لا يخفى فالحق ما قدمناه فانه أنفس وأعجب من هذا ما قيل ان فى كلام المصنف رحمه الله

(وكونه) قال الحلبى هو بالرفع لكن الظاهر كما اقتصر عليه الدلجى انه بالجر عطفا على قوله والمعنى وهو معنى كونه عليه السلام (من أشرفهم) أى نسبا (وأرفعهم) أى حسبا (وأفضلهم) أى سخاوة ونجادة (على قراءة الفتح) أى بناء عليها (وهذه) أى المنقبة (نهاية المدح) أى من هذه الجهة

تعالى بحثنا ظاهر الان مافى الآية على هذه القراءة ليس نهاية المدح لان قولك هو أنفس الخلق وأفضلهم أبلغ منه مع ان الخطاب لم يشمل الانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما يتم اذا كانت من بيانية لا ابتدائية أو تبعيضية كما هو المتبادر فكونها نهاية مدح فى القرآن فيه خفاء فالاظهر انه مبالغة أريد بها الكمال انتهى فانظره فانه مع عدم وقوفه على مراد المصنف لا محصل له ويقتضى ان الآية فيها عدول عن الابلغ وهذا مما يقتضى منه العجب (تنبيه) قال بعض الفضلاء رحمه الله تعالى عليه هنا فى حديث (أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش) أى من نطق بالضاد العربية وبيد بمعنى من أجل ولا يلزم من كونه من قريش الذين هم أفصح العرب أن يكون أفصحهم وممدوحا بالفصاحة وقد ترددت فيه زمانا حتى رأيت الفاضل الكورانى فى شرح جمع الجوامع قال بعد ما ذكر الحديث وان بيد بمعنى من أجل وفيه نظر قوى وهو ان كونه من قريش لا يقتضى كونه أفصح من قريش فالحق انها بمعنى غير من المدح الذى يشبه الذم أقول هذه غفلة على غفلة لانه ترك آخر الحديث وهو تربيت فى بنى سعد والذى صححه ابن حجر فى تخريج أحاديث الرافعى (أنا سيد ولد آدم بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد واسترضعت فى بنى زهرة) وروى أنا أفصح العرب الخ واللفظ الاول مقلوب فانه نشأ فى بنى زهرة واسترضع فى بنى سعد وأما أنا أفصح من نطق بالضاد فلم يصح يعنى انه اتفق له انه فى قبيلتين هما أفصح العرب وأملحهم فحاز أساليب اللسانين المليحين وكل أحد انما يفوق فى لسانه قومه فقط فلزم منه أن يكون أفصح فى جميع العرب ثم ان ما ظنه منجا لا منجا فيه فانه لا يفيد أولا كونه أفصح من سائر قريش فقد وقع فيما فر منه ثم ان شيخنا الشهاب أحمد بن قاسم رحمه الله من الآيات البينات ذكر كلام الكورانى ورده على عادته فى التعصب عليه انتصار الاجلال بما حاصله ان فيه جملة مقدرة ومثله كثير تقديرها وأنا أفصح منهم فزاد فى الطنبور نغمة لا تطرب ولا تضحك (ثم وصفه بعد) أى بعد الاعلام المذكور (باوصاف حميدة) أى محمودة أوحامدة على التجوز فى النسبة (وأثنى عليه بمحامد كثيرة) قيل ثم هنا بمعنى الفاء كما فى قوله جرى فى الانابيب ثم اضطرب لعدم الفاصلة بين الاعلام والوصف فالترتيب فى الاخبار دون الحكم كما قاله النحاة ورده ابن عبد السلام فى كتاب المجاز بان فى صحته نظرا لان الترتيب فيه ان ثم لا تفيد التراخى الا بتعسف يرجع لغيره من الوجوه فالاحسن أن يقال انها للتفاوت الرتبى لان بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأشرفهم نعمة عظيمة لكافة الخلق وحرصه على هدايتهم وشفقته دونها بمراتب ولك أن تقول وجه ما قاله النحاة ان الترتيب المذكور لما كان على ما يقتضى من الالفاظ يعطى حكم البعيد كما قرره الزمخشرى فى الاشارة اليه بذلك فى قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه على ان ما ذكر كل منهما أمر ممتد يجوز عطفه باعتبار آخره بالفاء وباعتبار غيره بثم كما قالوه فى قول السكاكى فاوضح ثم ليقل فهو تأسيس لا تأكيد والاوصاف جمع وصف بمعنى الموصوف به لا المصدر وحميدة بمعنى محمودة عند الله والناس والمحامد جمع محمدة وهى المحمود به أيضا والثناء بالمحامد لا يغاير الوصف بالصفات الحميدة ولا يعاب مثله فى مقام الخطابة مع انه لما كانت الاوصاف جمع قلة عقبه بجمع الكثرة دفعا للايهام والاول مطابق لظاهر الآية والثانى لما تضمنته مما لا يحصى (من حرصه) صلى الله تعالى عليه وسلم (على هدايتهم ورشدهم واسلامهم) من بيانية مبينة لما قبلها من الاوصاف وما بعده والحرص فرط الشره وقيل هو الشح على الشئ أن يضيع وفيه نظر والمراد هنا شدة الطلب لما يريده ويحبه والهداية الدلالة مطلقا أو الموصلة وقيل المراد بها هنا الاهتداء لعطف الرشد عليها وقيل المراد ما قاله الاشاعرة من انها خلق الاهتداء الى الايمان لا الدعوة اليه والطاعة كما ذهب اليه المعتزلة لان حرصه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس على الدعوة التى على عادته

(ثم وصفه) أى الله سبحانه و(تعالى بعد) بالضم أى بعد قوله من أنفسكم (باوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد) بالمنع جمع محمدة بمعنى مدحة (كثيرة) أى عديدة (من حرصه على هدايتهم) أى دلالتهم على العقائد الدينية (ورشدهم) أى ارشادهم الى ما فيه صلاح أمورهم من الاحكام الشرعية (واسلامهم) أى انقيادهم واستسلامهم للحوادث الكونية بقوله حريص عليكم

ولايخفى مافيه وحرصه صلى الله تعالى عليه وسلم على الدعوة المراد طلب تأثيرها لامجردها والرشد وان كان ضد الغى فهو الهداية فينبغى تفسيره بالصلاح ظاهرا وباطنا لتغايرها كما يقتضيه ظاهر العطف وههنا بحث وهو ان ابن عبد السلام رحمه الله قال فى القواعد فى قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا أكثر الاحكام تبنى على ظاهر الامر حتى يظهر خلافه ومايبطله لانه لو شدد بطلت التجارات والمعاملات وهذا يشكل على أشتراط الشافعية فى الرشد حسن التصرف فى المال والصلاح فى الدين بحيث لايلم بكبيرة ولايصر على صغيرة فان اجماع المسلمين على معاملة المجهولين والحكم لهم وعليهم وقبول اعتاقهم وهداياهم مما يأباه والآية لاتدل على ماذكروه والعجب من الامام فانه قال فى النهاية اذا بلغ الصبى ولم يوجد منه مايخالف الرشد انفك الحجر عنه * أقول قد رد كلام الفقهاء بوجوه ثلاثة مخالفة الاجماع ونص القرآن ومناقضة كلام النهاية له مع انه تبعهم فيه فكلامهم فاسد والله يعلم المفسد من المصلح * فان الذى قالوه معنى الرشد وحقيقته وهو صلاح الدين والدنيا بلاشبهة والمشروط فى الآية استئناس الرشد وهو كما قاله المفسرون احساسه وابصاره وذلك بظهور اماراته فالنظر لظاهر الحال وهو الذى عول عليه الفقهاء وأشار اليه فى النهاية فلا مخالفة بين ماقالوه والاسلام معروف وهو مغاير لما قبله ولذا عطف بالواو ثم انه قيل ان المصنف قدم هذه الصفة مع تأخيرها فى الآية لان المقام مقام مدح وهو فى الحرص أتم وأكمل وسياق الآية للامتنان وهو كونه يعز عليه حالهم فاشار الى تفاوت المقامين * فان قيل المنة فى الحرص أتم * قلنا مسلك الآية على الترقى وماهنا بخلافه للتفنن فتدبر تدر مقاصد المصنف ولطف نظره أو يقال لما كانت العزة منشأ لحرصه صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت فى الآية على وفق الواقع لبيان حاله فى ابتداء أمره فلما حكاه المصنف رحمه الله بيانا لمحامده قدم المقصود بالذات الذى به الحمد ثم انه جعل متعلق الحرص فى كلامه هدايتهم للايمان وصلاح شانهم كما ذهب اليه المفسرون لدلالة السياق عليه ولقوله فى غير هذه الآية ان تحرص على هداهم فان القرآن يفسر بعضه بعضا والحرص لايتعلق بالذوات (وشدة مايعنتهم) من الاعنات قال الله تعالى (ولوشاء الله لاعنتكم) أو من التعنت وبكل منهما روى كلام المصنف رحمه الله وأثبتهما أهل اللغة فقالوا يقال عنته وأعنته والعنت المشقة أو الوقوع فيها ويجىء بمعنى الاثم والفساد والهلاك وقد اعترض صاحب المواهب رحمه الله تعالى على عبارة المصنف رحمه الله هذه بان ظاهرها ان قوله شدة معطوف على مجرور على التى تعلقت بالحرص ولايستقيم عليه المعنى ولذا قيل انه بتقدير مضاف مجرور معطوف على الحرص المجرور بمن أى وكراهة شدة الى آخره أقول هو كما قال معطوف على حرصه ولكن لاحاجة فيه الى تقدير لان معنى شدته عليه انه صعب شاق عليه فيراد به انه مكروه تأباه نفسه فالمعنى من حرصه على هدايتهم ومن كراهته لمايضرهم وصاحب المواهب لم يخف عليه العطف ولكن أوقعه التقدير فيما وقع فيه وعزته عليه الآتية معطوف عليه وقد تنازع الشدة والعزة قوله عليه وما موصولة أو مصدرية وفى قول المصنف المذكور اشارة الى جواز الموصولية فالتقدير ماعنتموه لاماعنتم به لان حذف العائد المجرور ضعيف فما قيل من أن المصنف أشار الى ان المراد فى الآية ماعنتم به وقد جعلت مامصدرية أى عنتكم فيتفاوت المعنيان وان تلازما لاوجه له قال فى المصباح تعنته أدخل عليه الاذى وأعنته أوقعه فى العنت وفيما يشق عليه تحمله انتهى (ويضر بهم فى دنياهم وأخراهم) يضر بفتح الياء وضم الضاد المعجمة مضارع ضر وروى بضم الياء وكسر الضاد مضارع أضر لانه يقال أضره وأضر به فلا يلتفت ان أنكره لظنه ان همزته انما تكون للتعدية ومعنى أضره وأضر به أوقعه فى الضرر والدنيا تقال فى مقابلة آخرة وأخرى كما فى عبارة

(وشدة مايعنتهم) من الافعال أو التفعيل أى مايشق عليهم ولايطيقونه (ويضر بهم) ضبط فى نسخة بضم الياء وكسر الضاد وهو غير صحيح لوجود الباء زائدة فى مفعوله وقول الدلجى ان الباء زائدة غير صحيح ففى القاموس ضره وبه وأضره والصواب ضبطه بفتح وضم والتقدير ومايضرهم (فى دنياهم وأخراهم)

المصنف (وعزته عليه) عطف على شدة عطف تفسير لقوله تعالى (انما أشكو بثى وحزنى) ففيه اشارة الى تفسير عزيز فى الآية وانه من عز عليه كذا اذا صعب وشق كما قال

* يعز علينا ان نفارق من نهوى * وادمعان أخر مفصلة فى كتب اللغة تركناها لعدم مناسبتها هنا

قيل كان المناسب للتفسير وعطفه أن يؤخر الاشهر الاظهر فيقول عزته وشدته لكنه عكس للمبادرة لما يعتمد المراد حتى يسلم السامع من عنت الانتظار ولا حاجة لجعل الشدة غير العزة للتنازع فى عليه فان التفسير لا ينافى التنازع (ورأفته) صلى الله تعالى عليه وسلم (ورحمته بمؤمنيهم) معطوف على حرصه وقوله بمؤمنيهم متعلق بما قبله على التنازع ولا تنازع فى الآية الا على رأى من يجوز التنازع فى المتقدم والرأفة مع الرحمة حيث وقعت مقدمة لا للفاصلة كما قاله القاضى ومن تبعه لوقوعه كذلك فى الحشو كقوله تعالى (رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها) بل لان أصل معنى الرأفة التلطف والشفقة ويقابلها العنف والجبروت كما يشهد له كلام فصحاء العرب كقول قيس الرقيات

ما كه ملك رأفة ليس فيه * جبروت لهم ولا كبرياء

فلذا قدمت على الرحمة بمعنى الانعام كما فى المثل الايناس قبل الامساس والذى غرهم قولهم فى كتب اللغة الرأفة أشد الرحمة كما فى الصحاح وغيره والرحمة فى كلامهم بمعنى رقة القلب فى حق البشر وهى فى حقه تعالى بمعنى الانعام أو ارادته نظر الغايتها وقد قلت هذا بطريق البحث ثم رأيت الامام القرطبى قال فى شرح الاسماء الحسنى ما نصه قال الله تعالى وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة الآية وحيث ذكر هذان الوصفان قدم الرؤف على الرحيم فى الذكر وسببه ان الرحمة فى المشاهد انما تحصل بمعنى فى المرحوم من فاقته وضعفه وحاجته والرأفة تطلق عندنا على ما يحصل الرحمة من شفقة على المرحوم وقال المشايخ الرؤف المتعطف والذى جاد بلطفه ومن يعطفه انتهى فحمدت الله تعالى على موافقة الصواب ثم اضافة مؤمنيهم للضمير ظاهر فى ان الضمير ليس للمؤمنين فقط ودخوله تحت قوله السابق أعلم الله الى آخره يشعر بان رأفته ورحمته صلى الله تعالى عليه وسلم بمؤمنى المخاطبين على الاقوال كلها حتى على القول بان المخاطبين المؤمنين و بينهما تدافع كما قيل ودفع التدافع بان الاضافة بيانية أى بالمؤمنين الذين هم المخاطبون وأتى بالظاهر ليبين علة الرأفة والرحمة ولو قال بهم لفات هذا أو قصد عود الضمير على ذكر غير المؤمنين فى الوجه الاول ولا يخفى بعده وركاكته والاولى أن يقال الضمير عائد على شئ مفهوم من الكلام كالمخاطبين أى من ذكر او الامة (وقال بعضهم) القائل هو الحسين بن الفضل (أعطاه) أى أعطى الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه الآية تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم (اسمين من أسمائه رؤف رحيم) الظاهر رفعه موافقة للنظم على انه خبر مبتدأ مقدر أى هما رؤف رحيم ويجوز نصبه بمقدر وهو أعنى ونحوه أو على انه بدل من اسمين وجره على انه بدل من أسمائه والاسم يكون بمعنى العلم وما يقابل الفعل والحرف وما يقابل الصفة المشتقة والمراد هنا ما يطلق على ذات ومسمى صفة كان أم لا وفى بدائع ابن القيم الاسماء التى تطلق على الله وعلى غيره كحى وعليم هل هى حقيقة فى الله مجاز فى غيره أو على العكس أو حقيقة فيهما أقوال ثلاثة أظهرها الاخير انتهى وقول المصنف رحمه الله تعالى أعطاه الى آخره فيه ميل الى القول الاول * فان قلت كيف يصح ما قاله عقلا ونقلا و بعض الاسماء مجاز فيهما كالنور و بعضها مجاز فى الله حقيقة فى غيره كالرحيم لان الرحمة رقة القلب أو بالعكس كالملك وقاضى القضاة * قلت لم يعن بالحقيقة الوضعية اللغوية ولو أراد ذلك لم يصح بل العقلية أو العرفية الشرعية وقيل انها مشتركة اشتراكا لفظيا لعدم تشاركهما فى معنى ونقل عن الغزالى رحمه الله تعالى * فان قلت كثير من أسمائه تعالى يطلق على غيره

(وعزته عليه) أى ومن غاية ما يعنتهم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله عزيز عليه ما عنتم وكان الاولى مراعاة الترتيب القرآنى كما لا يخفى بان يقدم قضية العزة على الشدة ثم يقول (ورأفته ورحمته بمؤمنيهم) أى ومؤمنى غيرهم وفى نسخة بمؤمنهم بصيغة الافراد على ارادة الجنس بطريق الاستغراق بقوله بالمؤمنين رؤف رحيم والرأفة أدق من الرحمة ولعل التفاوت بحسب القابلية والرتبة (قال بعضهم أعطاه) أى الله (اسمين من أسمائه رؤف) بالاشباع ودونه فمن الاول قول كعب ابن ملك الانصارى (نطيع نبيا ونطيع ربا هو الرحمن كان بنا رؤفا) ومن الثانى قول جرير (يرى للمسلمين عليه حقا كفعل الوالد الرؤف الرحيم) (رحيم) أى على وصف التنكير وأما بصيغة التعريف فالظاهر انه لا يجوز اطلاقهما على غيره سبحانه

كحي وكريم وسميع وغيرها فكيف يكون هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت قال الغزالي المراد انه تعالى أعطاهما له بمعنى من المعاني التي أطلق بها على الله فجعله صلى الله تعالى عليه وسلم متجليا ببعض صفاته كما جعله متخلقا باخلاقه بوجه ما وان لم يكن على الوجه الاكمل اللائق بجناب العزة كما قيل كل ما يصلح للمولى على العبد حرام والمقصود انه لما ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم في القرآن وصفه بصفتين خلع عليه منها خلعتي اكرام دال على تميزه عما عداه وفي تفسير ابن المنير المسمى بالبحر الكبير * فان قلت ما وجه اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم بتسميته باسمين من أسمائه تعالى وقد سمى موسى عليه الصلاة والسلام كريما فقال تعالى وجاءهم رسول كريم وبالاعلى حيث قال لا تخف انك أنت الاعلى وسمى ابراهيم عليه الصلاة والسلام حليما واسمعيل عليه الصلاة والسلام عليما حليما فقال في آية وبشرناه بغلام عليم وفي أخرى حليم * قلت وجه الخصوصية ايرادهما معا في سلك واحد ونسق متصل في القراءة ولا يكاد يوجد هذا الا في وصف الله تعالى لنفسه فهي كرامة أكرمه الله تعالى بها ليدل على مكانته صلى الله تعالى عليه وسلم وان رتبته فوق سائر الرتب * (تتمه) * اعلم ان الآيات القرآنية حيث ختمت باسمائه تعالى وقعت مكررة وما كرر اما في معنى ما قبله كغفور رحيم فيفيد مبالغة في تلك الصفة على وجه يليق بالربوبية أو مغاير له كعزيز حكيم لافادة احتراس وتكميل لان العزيز قد يفعل بعزته ما لا تقتضيه الحكمة فلما أجرى ما هو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من الاختفاء به ما لا يخفى فتدبر (ومثله في الآية الاخرى قوله تعالى) سقط هذا من بعض النسخ ووقع بدون واو (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية) بالنصب كما مر أي اقرأ الآية أو اذكرها فانها مماثلة لتلك في الدلالة على انه مبعوث في قوم هو من جنسهم سواء ضمت الفاء أو فتحت لانه اذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم من أشرفهم كان منهم ضرورة وفي تفسير ابن المنير من أنفسهم من جنسهم يعرفون حاله وانه ما قرأ ولا درس وقد جاءه العلم دفعة فقص سير الاولين والآخرين على ما هي عليه حرفا بحرف فيعلم العاقل انه أمر خارق من عند الخالق كل ذلك ابلاغ في ظهور حجته ووضوح معجزته فكيف يليق أن يجعل المقتضي مانعا فيلحدون ويجحدون انتهى وقوله في الآية الاخرى صفة مثله لانه نكرة متوغل في الابهام لا يتعرف بالاضافة وليس بحال لانها لا تجيء من المبتدأ على الاصح لا لان مثله لا يكون ذا حال كما توهم لان الاضافة والنكرة مسوغة له بلا خلاف ويجوز أن يكون مثله مبتدأ خبره في الآية وما بعده بدل منها والمن الانعام مطلقا أو على من لا يطلب و يكون بمعنى تعداد النعم استكثارا لها وهو غير محمود الا من الله تعالى لانه ينبه يذكر العبد فيبعثه على الشكر ومن الخلق قبيح مطلقا ولذا نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنه لقوله (ولا تمنن تستكثر) حتى قيل ان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم حرمة المن وهو مكروه من غيره ولذا قيل انه حرام أيضا فان كان لغرض صحيح جاز ولذا قيل المنة تهدم الصنيعة كما قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وكما قال الشاعر

وان امرئ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها انه لبخيل

(وقال آخر)

اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا * من المكارم حتى يثمر الشجر

ولا تشيننه بمن منك تتبعه * فشيمة المن أن تؤذي به الثمر

والمنعم المالك الحقيقي وعطاؤه عز وعطاء غيره ذل لان آخذه يجعل يده سفلى (وفي الآية الاخرى * هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الآية) في هذه الآية امتنان وثناء عظيم كما تقدم والامي هو الذي لا يكتب ولا يقرأ الخط وان قرأ ما حفظه بالسماع من غيره وانما سمي أميا نسبة الى الام كناية كيوم

(ومثله) أي ومثل معنى الآية الاولى (في الآية الاخرى في قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين) خصوا لكونهم المنتفعين (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية وفي آية أخرى هو الذي بعث في الاميين) أي العرب الذين غالبهم ما قرأ ولا كتب (رسولا منهم) أي أميا مثلهم لكن الامية في حقه عليه الصلاة والسلام معجزة ومنقبة وفي حق غيره معيبة ومنقصة (الآية) تمامها يتلو عليهم آياته أي مع كونه أميا فهذا أظهر معجزاته ويزكيهم أي من خبائث الاحوال والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة أي السنة والشريعة (وقوله) أي وفي الآية الاخرى قوله

ولدته أمه فانه يكون على جبلته من غير ان يحسن كتابة ونحوها أو لامة العرب لانهم كانوا أميين الكتابة مفقودة فيهم الا النادر الاحكم له كما ورد في الحديث بعثت الى أمة أمية ثم أطلق الاميون على من كتب منهم ومن لم يكتب كما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تغليبا وقيل الامى الذى يقرأ ولا يكتب والمراد بكونه منهم انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمى مثلهم قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ففيه اشارة الى حكمته وانه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه مع ذلك اظهر علم الاولين والآخرين وقصصهم وأخبارهم وفيه أيضا موافقة ما تقدم من بشارة الانبياء عليهم الصلاة والسلام به ونعته في كتبهم بانه أمى واليه اشار البوصيرى رحمه الله تعالى بقوله كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

و بالاشارة الى الوجه الاول تظرف القائل

من أعجب الاشياء انى امرئ * عمى خالى وأبى أمى

(تنبيه) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى فى كتاب تخريج أحاديث الرافعى عد فقهاء الشافعية رحمهم الله تعالى ان مما حرم الله عليه صلى الله تعالى عليه وسلم الخط والشعر وانما يتجه التحريم ان قلنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحسنهما واستدل بالآية المذكورة وبحديث انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب والاصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يحسنهما ولكن يميز بين جيد الشعر ورديه وادعى بعضهم انه صلى الله تعالى عليه وسلم صار يعلم الكتابة بعد ان كان لا يعلمها لقوله من قبله فى الآية فان عدم معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب الاعجاز فلما نزل القرآن واشتهر الاسلام وكثر المسلمون وظهرت المعجزة وأمن الارتياب عرف حينئذ الكتابة وقد روى ابن أبى شيبة وغيره ما مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كتب وقرأ قال مجاهد فذكرت هذا للسدى فقال قد سمعت أقواما يذكرون ذلك وليس فى الآية ما ينافيه وروى ابن ماجة عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر والقدرة على قراءة المكتوب فرع معرفة الكتابة وأجيب باحتمال أقدار الله تعالى له على ذلك من غير تقدم معرفة الكتابة وهو أبلغ فى المعجزة أو فيه تقدير أى سألت عن المكتوب فقيل لى هو كذا وفى حديث سهل بن الحنظلة انه صلى الله عليه وسلم لما أمر معاوية رضى الله تعالى عنه ان يكتب للاقرع بن حابس وعيينة بن حصين قال عيينة أترانى أذهب الى قومى بصحيفة كصحيفة المتلمس فاخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصحيفة فنظر فيها فقال قد كتب لك بما أمر قال يونس بن ميسرة راويه فنرى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بعد ما أنزل عليه ومن الحجة عليه ما أخرجه البخارى فى صلح الحديبية أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ الكتاب وليس يحسن ان يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الحديث وقال ابن دحية واليه ذهب أبو ذر وأبو الفتح النيسابورى وأبو الوليد الباجى وصنف فيه كتابا وسبقه اليه ابن شيبة وقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده فى الحديبية وقال أبو بكر بن عربى لما قال الباجى هذا طعنوا عليه ورموه بالزندقة وكان الامر عندهم متشدّا فعقد مجلسا للمناظرة فاقام الباجى الحجة ونسبهم الى عدم المعرفة فكتب بذلك لعلماء الآفاق افريقية وصقلية وغيرهما فجاءت أجوبتهم بموافقته ومحصل ما توارد واعليه وان معرفة الكتابة بعد معرفة أميته صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينافى المعجزة بل هى معجزة أخرى بعد معرفة أميته وتحقق معجزته وعليه تتنزل الآية السابقة والحديث فان معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تقدم تعليم معجزة وصنف أبو محمد بن مغوز كتابا رد فيه على الباجى وبين خطأه وحكى ان أبا محمد الهورى كان يرى الباجى فرأى فى النوم ان قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انشق وماج فلم يستقر فاندهش لذلك

وقال لعله لاعتقادى لهذه المقالة ثم عقدت التوبة مع نفسى فسكن واستقر ثم قص الرؤيا على ابن معوز
فعبرها بذلك واستظهر بقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا
الآية ومحصل ما أجاب به ابن معوز عن ظاهر حديث البراء ان القصة واحدة والكاتب فيها على بن أبى
طالب كرم الله وجهه وقد وقع فى رواية البخارى من حديث البراء أيضا لما صالح النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم أهل الحديبية كتب على رضى الله تعالى عنه بينهم كتابا فكتب فيه محمد رسول الله فتحمل
الرواية الاولى على ان معنى كتب أمر الكاتب ويدل عليه رواية المشهور فى هذه القصة أيضا والله انى
لرسول الله وان كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله وقد ورد كثيرا فى الاحاديث بمعنى أمر كحديث انه صلى
الله تعالى عليه وسلم كتب الى قيصر وكتب الى النجاشى وكتب الى كسرى ونحوه وكلها محمولة على انه
أمر بالكتابة ويشهد له قوله فى بعض طرق هذا الحديث لما امتنع الكاتب ان يمحو محمد رسول الله قال له
صلى الله تعالى عليه وسلم ارنى فاراه موضعه فمحاه ثم ناوله لعلى رضى الله تعالى عنه فكتب بامره ابن عبد
الله بدله واجاب بعضهم بانه على تقدير حمله على ظاهره يحتمل أن يراد انه كتب مع عدم علمه بالكتابة
وتمييز الحروف كما يكتب بعض الملوك علاماتهم وهم اميون والى هذا ذهب القاضى أبو جعفر السمنانى
انتهى ولا يخفى بعد هذا الجواب وان شاهدنا مثله نادرا وقوله تعالى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم الآية فى
هذه الآية غاية المدح كالتى قبلها لما فيهما من انه يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ولذا صرح
بالمنة فيها كما بين فى التفسير فلا حاجة الى اعادته كما فى الشرح الجديد وفى هذه ايذان بانه تعالى أتم النعمة
بارساله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أكمل دينه وفى الكاف وجهان أحدهما ماذهب اليه ابن جرير
من انها متصلة بما قبلها من دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فبعث
الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ووعده بان يجعل من ذريته امة مسلمة فمعنى الآية لاتم نعمتى
عليكم بالشريعة الحنيفية وأهديكم لدين ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما أرسلنا فيكم رسولا منكم اجابة
لدعوته فهو متصل بما قبله كما ذهب اليه الفراء وهى متعلقة بما بعدها وهو فاذكرونى أذكركم والخطاب
جار على الوجوه السابقة فبعثه بانه كما قاله ابراهيم تاليا الكلام ربه مزكيا لامته معلما لحكمته وقدم يزكيهم
هنا وأخر فى دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام نظر اللقصد والفعل فيهما كما قاله القاضى أحمد رحمه الله
تعالى يعنى ان التزكية هى المقصودة بالذات من تعليم الكتاب والحكمة فلذا قدمت فى الآية الآتية
لانها أهم وبالفعل لا توجد الا بعده فلذا اخرت فرقا بين المقامين قيل لو استشهد المصنف رحمه الله تعالى
بآية دعوة ابراهيم لكان أحسن وأوفى بالمقصود لما اشتملت عليه من المدائح مع افادة ذكره على
ألسنة الانبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام وليس كما قال لان ما هنا اخبار من الله تعالى عما
ذكر فيفيد وقوعه والدعاء لا يفيده والباب معقود لثناء الله عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لا لثناء الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وان حكاه الله تعالى فهذا ناش من عدم معرفة مقاصد الكتاب (وروى عن على
رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى من أنفسكم) قال الفاضل الحلبى يعنى فى قراءة
من فتح الفاء كما قاله ابن رسلان ويعضده ما فى المواهب اللدنية عن ابن مردويه انه صلى الله تعالى عليه
وسلم قرأ من أنفسكم بالفتح وقال انا أنفسكم نسبا الى آخر ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من الحديث
المرفوع وهذا مما أهمله المخرجون لاحاديث هذا الكتاب فلذا (قال نسبا وصهرا وحسبا) تمييز لاسم
التفضيل لايهام المفضل به الذى يفسر بتمييزه وقد فسره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما عرفته
والنسب القرابة مطلقا أو من جهة الاباء وفى النهاية النسب الولادة القريبة وهو صلى الله تعالى
عليه وسلم أشرف الخلق نسبا وكذلك سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما ورد فى الحديث لم يبعث

كما أرسلنا فيكم رسولا
منكم الآية الى قوله
فاذكرونى بالطاعة أذكركم
بالمثوبة (وروى عن على
ابن أبى طالب كرم الله
تعالى وجهه عنه عليه
الصلاة والسلام) أى كما
رواه ابن أبى عمر العدنى
فى مسنده (فى قوله تعالى
من أنفسكم قال نسبا) أى
قرابة مختصة بالآباء على
ما فى القاموس ونصبه
على التمييز وكذا قوله
(وصهرا) قال البيضاوى
فى قوله تعالى وهو الذى
خلق من الماء بشرا
فجعله نسبا وصهرا أى
قسمه قسمين ذوى نسب
أى ذكورا ينسب اليهم
وذوات صهر أى اناثا
يصاهر بهن والحاصل
انه شريف الجانبين وكريم
الطرفين ثم قوله (وحسبا)
أريد به ما يعده الانسان
من مفاخر آبائه من الدين
أو الكرم أو المال وقيل
الحسب والكرم قد
يكونان بمن لا شرف
لآبائهم والشرف
والمجد لا يكونان الا بهم

(ليس في آبائي) أي اسلافي من الاب والجد والام والجدة (من لدن آدم) بفتح لام وضم دال وسكون نون ويجوز وسكون الدال وكسر النون أي من عند ابتداء زمن آدم عليه الصلاة والسلام الى وجود الخاتم صلى الله تعالى عليه وسلم (سفاح) بكسر السين وهو صب ماء الرجل بلا عقد على ماقاله المحشي والاولى ان يقال المراد به الوطئ من غير مجوز لان السرية لا عقد لها والحاصل ان المراد به الزنا ومالا يجوز وطؤه شرعا (كلنا نكاح) أي ذو عقد أو كل واحد منا ناكح أو قصد به المبالغة كرجل عدل وهو واقع على التغليب والافام اسمعيل عليه الصلاة والسلام سرية اللهم الاان يقال قد اعتقها وعقد عليها قال المحشي ويروى كلها نكاح وهو كذا في نسخة ولعل التقدير كل المجامعة ذات نكاح وفي حديث لما خلق الله تعالى آدم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة الى ان أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط

نبي الاوهوذونسب في قومه وفي المصباح النسب مصدر مطلق الوصلة بالقرابة يقال بينهما نسب أي قرابة سواء جاز بينهما التناكح أولا وجمعه أنساب ومنه استعيرت النسبة في المقادير والصهر واحد الاصهار وقال الخليل أهل بيت المرأة وقال الازهري رحمه الله تعالى الصهر يشتمل على قرابات النساء من ذوي المحارم وذوات المحارم كالابوين والاخوة وأولادهم والاعمام والاخوال والخالات فهؤلاء اصهار زوج المرأة ومن كان من قبل الزوج من ذوي قرابته فهم اصهار المرأة أيضا وقال ابن السكيت كل من كان من قبل الزوج من أبيه أو أخيه أو عمه فهم الاحماء ومن كان من قبل المرأة فهم الاختان ويجمع الصنفين الاصهار وصاهرت اليهم اذا تزوجت منهم والحسب بفتحتين مايعد من المآثر وهو مصدر حسب بالضم وقال ابن السكيت الحسب والكرم يكونان في الانسان وان لم يكن لابائه ورجل حسيب أو كريم بنفسه واما المجد والشرف فلا يوصف بهما الشخص الا اذا كان ذلك فيه وفي آبائه وقال الازهري رحمه الله تعالى الحسب الشرف الثابت له ولآبائه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم تنكح المرأة لحسبها الانه مما يعتبر في مهر المثل والحسب الفعال الحميدة له ولآبائه مأخوذ من الحساب وهو عد المناقب لانهم كانوا اذا تفاخروا عدوها (ليس في آبائي من لدن آدم) عليه الصلاة والسلام (سفاح كلنا نكاح) وفي نسخة كلها نكاح بالهاء بدل النون وكذا وقع في سنن الترمذي مرويا بالوجهين أي ليس في آبائي من حيث أبوتهم فيلزم ان لا يكون في امهاته صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا ذلك كما يدل عليه السياق ولدن ولدى ظرف مكان بمعنى عند الا انهما لا يستعملان الا في الحاضر يقال لدنه ولديه مال اذا كان حاضرا وجاء من لدنا رسول أي من عندنا وقد يستعمل لدا في الزمان واذا أضيف لمضمر قلبت ألفه ياء الا في لغة بني الحارث وماقيل من ان لدن بمعنى عند الا انها لاتصح الا في ابتداء الغاية كما في عبارة المصنف رحمه الله تعالى الحصر فيه لاوجه له فانه اغلبي والسفاح الزنا والفجور من سفحت الماء اذا صببته فكأنه أراق ماءه واضاعه وعلى رواية كلها الضمير المؤنث للوطئات واسناد النكاح لها حقيقة ان كان بمعنى الجماع ومجاز ان كان بمعنى العقد فلا وجه للاطلاق في محل التقييد وعلى الاخرى وهي أصح الضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لآبائه واسناد النكاح لهم بتأويل ذي نكاح ونحوه أو على التجوز في الاسناد كأنهم تجسموا من النكاح كقوله فانما هي اقبال وادبار والنكاح يطلق على الوطئ والعقد بلا خلاف انما الخلاف في انه حقيقة فيهما أو في أحدهما على اقوال مفصلة في الفروع والاصول وقيل ولم يرد في القرآن الا بمعنى العقد لانه في الوطئ صريح في الجماع وفي العقد كناية عنه وهي أوفق بالبلاغة والادب كما ذكره الزمخشري والراغب واذا كان بمعنى العقد هنا فالمراد به عقد صحيح موافق لدين الاسلام أو لغيره من الاديان السالفة وحيث أخبر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو بوحي من الله أنبأه الله به انه صانه واسلافه عما يشين وطهر أرحامهم عن دنس السفاح فلم يزل كما قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في الوفاء ينقل من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الطيبة مصفى مهذبا لم يتشعب شعبتان الا كان في خيرهما وقال السيد ان المؤرخين اتفقوا على ان هاجر أم اسمعيل عليه الصلاة والسلام كانت ملكا لابراهيم عليه الصلاة والسلام فان لم يكن هناك عتق وزواج تعين ان يكون المراد في الحديث النكاح بعموم المجاز عقد صحيح يبيح الوطئ اذ المقصود نفي الفجور فيشمل الزواج وغيره من غير محذور كما حققته وهذا وظاهر الحديث انه لا فجور في الآباء مطلقا لكن الاظهر بشهادة ماسبق ومايأتي وما في المواهب مرفوعا من انه لم يلتق أبواي على السفاح ان المراد طهارة النسل كما أشرنا اليه وتبعه تلميذه ابن الحنبلي أقول ويمكن ان معنى لم يلتق نسب أبواي بقرينة

(قال ابن الكلبي) وهو محمد بن السائب أبو النصر المفسر النسابة الاخباري بترجمته معروفة في الميزان وغيره (كتبت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة أم) لعله أراد به التكثير والافحال أن يكون بينهما خمسمائة أم اذ بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين عدنان أحد وعشرون أبا اجماعا وبين عدنان وآدم على ما بينه ابن اسحق وغيره ستة وعشرون أبا فيكون بينه صلى الله تعالى عليه وسلم و بين آدم عليه الصلاة والسلام سبعة وأربعون أبا سبع وأربعون أما ولا يعد أنه عد أمهاته وأمهات أعمامه وأمهات أعمام آبائه الى آدم والله تعالى أعلم (فما وجدت فيهن سفاحا) أي ذات سفاح (ولا شيأ مما كانت عليه الجاهلية) أي من أخذ الاخدان لشهادة حديث ابن عدى والطبراني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح وقد نقل عن أكثر أهل السير كزبير بن بكار وغيره أن كنانة خلف على برة بعد أبيه خزيمة على عادة العرب في الجاهلية في أن أكبر ولد الرجل يخلف على زوجته اذا لم يكن منها وهذا مشكل لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول كانا نكاح ليس فينا سفاح ما ولدت من سفاح أهل الجاهلية وذكر السهيلي وغيره في هذا اعذارا منها أن الله تعالى يقول ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف أي من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة هذا الاستثناء أن لا يعاب نسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وبعده لا يخفى وذكر الحافظ أبو عثمان عمرو بن بحر في كتاب له سماه كتاب الاصنام قال وخلف كنانة بن خزيمة بن مدركة على زوجة أبيه بعد وفاته وهي برة بنت أد بن طابخة تحت كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وانما غلط كثير من الناس لما سمعوا ان كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمها وتقارب نسبها قال وهذا الذي عليه مشايخنا من أهل العلم بالنسب قال ومعاذ الله أن يكون أصاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقت بنكاح وقال من اعتقد غير هذا فقد أخطأ أو شك في الخبر ويؤيد ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم نتقلب في الاصلاب الزاكية الى الارحام الطاهرة

الروايات الاخر جمعا بينهما (قال ابن الكلبي) هو محمد بن السائب الكلبي أبو نصر المفسر النسابة المحدث أخرج له الترمذي وستأتي ترجمته مفصلة ونسبته الى كلب وهي قبيلة معروفة وتوفي في السنة التي مات فيها الشافعي وهي سنة أربع وثمانين ومائة قاله الحلبي وصاحب المقتفى هذا والمشهور أن الشافعي توفي شهيدا يوم الجمعة سلخ رجب سنة أربع ومائتين وقال التلمساني وصاحب المواهب انه هشام بن محمد بن السائب فالكاتب هو الوالد فلعله نسب الكتابة الآتية تارة الى نفسه حقيقة أو تجوزا فرواه المصنف كذا قال السيد (كتبت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا) أي وطئا بطريق الزنا قيل أراد بالام ما يشمل الجدات ومن في حكمهن كام العم والعمة وأم عم الاب ونحوه فان الجدات الحقيقية لا تقارب ذلك وقد عدوا الى آدم عليه السلام سبعة وأربعين أبا ويعلم من هذا النقل أن السفاح لم يقع في الاقارب كما في الشرح من ان ذلك النقل أحط رتبة لا طائل تحته * أقول هذا اشارة الى السؤال المشهور وعلى ما قاله ابن الكلبي رحمه الله تعالى من أن أمهاته صلى الله تعالى عليه وسلم وجداته لا تبلغ هذا العدد فكيف ما قاله وأنت اذا تاملت قول المصنف السابق لم تكن قبيلة من العرب الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرابة أو ولادة عرفت انهم لم يقفوا على المراد فانهم جعلوا النسب شجرة لها ساق وعمود وشعب وأغصان متفرقة متفرعة فان نظرنا الى عمود النسب وما عليه ومحاذيه لم يبلغ عدد الامهات ما يدانيه فضلا عن ان يساويه وان نظرنا الى الفروع والشعب وسائر قبائل العرب فجميعهم لهم به صلى الله تعالى عليه وسلم اتصال نسبي ونساؤهم أمهات له واحاطة ابن الكلبي واضرابه بمثل ذلك غير مستبعدة فانهم لهم اعتناء بالانساب يعدونها من أعظم علومهم وتوضيحه انك اذا نظرت لقبيلة وجدتها من نسل رجل واحد فجميع ذكورهم آباء له صلى الله تعالى عليه وسلم أو أعمام أو أخوال وجميع نسائهم جدات أو عمات أو خالات لعدة قرابتهم وولادة له والمراد أن نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم بحواشيه وأطرافه جبل لم يمسه دنس عار فاذا فتحت عين البصيرة لم تجد غبارا فاعرفه وانما اطلت الكلام لاني رأيتهم استشكلوه ولم يأت أحد فيه بما يشفي الغليل (ولا شيأ مما كانت عليه الجاهلية) وفي نسخة مما كان في نسخة أهل الجاهلية وعلى النسخة الاخرى أهل مقدر أو المراد الامة أو المراد بالجاهلية أهلها كما يطلق المجلس والمقام على أهله والجاهلية زمان كثرت فيه الجهالة أو ناس كذلك وهي ما قبل الاسلام أو أيام الفترة وقد تطلق على زمان الكفر مطلقا وعلى ما قبل الفتح والمراد أنه ليس في نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم زنا ونحوه مما يعاب وعطف قوله ولا شيأ الخ من عطف العام على الخاص لا من عطف الخاص على العام كما قيل فانهم كانت لهم أنكحة لا يعدونها سفاحا فحرمها الشرع كنكاح المصاحبة وعدها في بعض الشروح أمورا أكثرها زنا وأطال فيها من غير طائل ومنها نكاح المقت وهو نكاح زوجة الاب وأورد عليه الزبير ابن بكار ما ذكره المؤرخون أن كنانة خلف على برة بنت أد زوجة أبيه خزيمة على ما كانت عليه الجاهلية تفعله اذا مات الرجل خلف على زوجته بعده أكبر بنيه من

غيرها وردبما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ماولدني من سفاح الجاهلية شئ ماولدني الانكاح
كنكاح الاسلام وبما ذكره المصنف رحمه الله تعالى عن الكلبي وقد أجيب عنه باجوبة منها انه لم يكن
سفاحا محرما قال السهيلي رحمه الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء
الاماقدسلف فان الاستثناء يدل على تحليله وانه ليس في نسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
مايعاب وانه لم يكن في نكاح أجداده صلى الله تعالى عليه وسلم سفاح ألاترى أنه لم يقل في شئ نهى عنه في
القرآن الاماقدسلف نحو ولاتقربوا الزنا ولاتقتلوا النفس التي حرم الله ولم يستثن من المعاصي التي
نهى عنها الافي هذه وفي الجمع بين الاختين لانه كان مباحا في شرع من قبلنا كما جمع يعقوب بين راحيل
واختها اليا فقوله الاماقدسلف التفات الى هذا المعنى وتنبيه على هذا المعزى ونقل هذه النكتة عن ابن
العربي وهذا بناء على ان نكاح زوجة الاب كان جائزا قبل الاسلام وكانوا اذامات أحدهم ورث أولياؤه
نكاح زوجته ولو كرها فأنزل الله تعالى لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها وظاهر كلام بعض المفسرين
أن نكاح زوجة الاب كان جائزا في أول الاسلام ويأباه قوله تعالى انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فان
كان هنا بمعنى لم يزل وهو أحد معانيها الازائدة فانها لاتزداد اذا عملت وذهب بعض المفسرين الى أنه
لم يكن حلالا أبدا وقوله الاماقدسلف لايدل عليه ولذا اعترض على من استدل به ودفع مامر بما نقله
الجاحظ من أن كنانة من خزيمة وان خلف على زوجة أبيه بعده وهي برة بنت ادبن طابخة وهي أم أسد
فهي لم تلد منه ذكرا ولا أنثى حتى تكون جدة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن كانت ابنة أخيها
وهي برة بنت مر بن ادبن طابخة أخت تميم بن مرة عند كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وانما غلط
كثير من الناس لما سمعوا أن كنانة خلف على برة لاتحاد اسمهما وتقارب نسبهما قال وهو الذي عليه
أهل العلم بالنسب ومعاذ الله أن يكون أصاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نكاح مقت وقد قال
مازلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام ومن اعتقد غيره وشك في هذا الخبر فقد أساء وأخطأ وكذا
ماقيل من أن هاشما خلف على واقدة زوجة أبيه فانه رد بأنها ليست جدة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فان أم عبد المطلب انصارية ولذا كانت الانصار أخواله صلى الله تعالى عليه وسلم كما فصل في السير
* واعلم أن المصنف رحمه الله تعالى لما ذكر آيات قرآنية فيها الثناء على رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم سردها في ترتيب أنيق لم ينبه عليه أحد ممن تكلم عليه فانه بدأ بقوله تعالى لقدجاءكم رسول من
أنفسكم الآية الدالة على أن الرسول الذي جاءهم أزال عنهم العنت والمشقة وهداهم النور المبين وهو
منهم معروف فيما بينهم ثم عقب ماذكر من التخلية بما يدل على التحلية من قوله تعالى لقدمن الله الخ
فدل على أنه منة ونعمة عظيمة لتعليمه وارشاده للعلوم والحكم والاتيان بكتاب لم يشرف بما بدأ منه أحد
من الامم ثم يختمه بما يؤكد هذه المنة من انهم أميون لاقدرة لهم على القراءة والكتابة مع أن الكتب
السالفة ليست بلسانهم فلولم يبعث منهم هذا النبي الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم لم ينقذوا من
الضلالة ويهتدوا للسعادة فاعرفه (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى وتقلبك في
الساجدين قال من نبي الى نبي حتى أخرجتك نبيا) وروى أخرجك قال السيوطي هذا الحديث أخرجه
ابن سعد والبزار وأبونعيم في الدلائل بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو عبد الله بن
عباس بن عبد المطلب الصحابي المشهور حبر هذه الامة وترجمان القرآن الفائق في العلم والكرم أحد
العبادلة توفي سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير وقد كف بصره كما سيأتي والتقلب تفعل من القلب وهو
التحول من جهة الى أخرى وجعل أعلى الشئ أسفله وهو بالمعنى الاول في الآية وفيها وجهان آخران

(وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين) أي كما رواه ابن سعد والبزار وأبونعيم في دلائله بسند صحيح عنه انه (قال من نبي الى نبي حتى أخرجك) وفي نسخة صحيحة حتى أخرجتك (نبيا) ولايخفى أن المراد به أن بعض الآباء كانوا من الانبياء وفي الآية عنه وعن غيره معاني أخر

أن

غيرماذكره ابن عباس أحدهما ان المراد تردده في تصفح أحوال الصحابة في تهجدهم بعدما نسخ فرضية قيام الليل فان بيوتهم مملوأة بالذكر والصلاة ولهم دوى كدوى النحل أو تصرفك بين المصلين قياما وركوعا وسجودا ولذا قيل انه لم يذكر صلاة الجماعة الا في هذه الآية وعلى هذا اقتصر أكثر المفسرين وعلى الاول اقتصر الرازى في أسرار التنزيل واستدل بها على اسلام آباء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأجداده فقال انه كان ينتقل ذرة من ساجد الى ساجد فتدل على أن آباءه صلى الله عليه وسلم لم يكونوا مشركين ويدل عليه أيضا ما ورد في الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يزل ينقل من أصلاب وأرحام طاهرة وقد قال الله تعالى انما المشركون نجس وسيأتى تفصيله في حال الابوين ولا دلالة فيما ذكر لان المراد بتقلبه انتقاله من صلب نبى الى نبى ولو مع الوسائط والمراد بالحديث انه ليس في أصوله سفاح كما ورد في الحديث تصريح بان هذا هو المراد فالمراد تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم والثناء عليه بعد مدحه بان الله طهر أصوله كما طهر فروعه وملائمة هذا لما قبله وهو فتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك الخ ظاهرة لان المعنى فوض أمورك كلها في جميع أحوالك الى من يراك اذا قمت لكل صلاة أو لصلاة الليل ويراك في أخفى من هذا ان كنت ذرة في أصلاب المصلين وعبر عن الصلاة بالسجود لانه أعظم وأقرب الى الله فان العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد فالمراد انه يراك في ظهورك وبطونك لاستواء الظاهر والخفى في علمه خلافا لمن توهم انه لا ملائمة بينهما وبهذا ظهر أيضا مناسبة هذه الآية لما قبلها في كلام المصنف ووجه تأخيرها والمراد بالرؤية ظاهرها أو الحفظ والكلاءة والرعاية كما يقال نظر الله اليك أى حفظك في جميع حالاتك من حين كنت نطفة فكيف لا يحفظك من أعدائك وينصرك عليهم وسقط أيضا ما يتوهم على هذا التفسير انه ان جميع الاصلاب التى حوته كذلك فالواقع خلافه والا فلا فرق بينه وبين غيره من بنى اسمعيل عليه الصلاة والسلام وقد روى عن ابن عباس أيضا ماذكره غيره من المفسرين ففيه روايتان عنه (وقال جعفر) هو جعفر الصادق أبو عبد الله (بن محمد) بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه روى الحديث عن أبيه وعن نافع وعطاء والزهرى وغيرهم وروى عنه كثير كمالك والسفيانين وابن جريج وابن اسحاق واتفقوا على امامته وجلالته وسيادته ولد سنة ثمانين وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائة قيل مسموما ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وعمه في قبر واحد ويقال انه ولد في الصديق مرتين لان أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن الصديق وأمها أسما بنت عبد الرحمن بن الصديق وكذا يقال ولد مرتين لمن انتسب من جهتين ووثقه في رواية الشافعى وابن معين وأبو حاتم والذهبى وهو من فضلاء أهل البيت وعلمائهم والاحاديث المروية عنه مقبولة الا رواية أولاده اذا لم ترد من طريق آخر فانهم رووا عنه مناكير كثيرة حتى ذهب بعض الناس الى تمريضه ولا تزر وازرة وزر أخرى وكانه لذلك لقب بالصادق (علم الله تعالى وتقدس عجز خلقه عن طاعته) في نسخة ضعف خلقه والطاعة اسم مصدر هو الاطاعة من أطاع اذا انقاد واتبع الامر فلم يخالفه قال ابن فارس اذا مضى لامره فقد أطاعه اطاعة واذا وفقه فقد طاوعه والاستطاعة الطاقة والقدرة أى انه عز وجل علم عجز القوى البشرية عن اطاعته كما ينبغى من غير أن يكون بينهم وبينه واسطة من جنسهم لها تجرد باعتباره وتعلق بمقتضى الفطرة به يفيض على من هو دونه ولذا كانت الرسالة سفارة بين يدى الله وبين العقلاء يزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرة ولا حاجة هنا كما قيل الى تفصيل معنى النبوة والرسالة (فعرفهم ذلك) العجز وانهم لو لم يكونوا عاجزين لم يقم بينهم وبينه رسولا موصوفا بما سيأتى ولذا أقام الله عذر من لم يأته رسولا فقال وما كنا

(وقال جعفر بن محمد) أى ابن على بن الحسين بن أبى طالب الهاشمى المدنى المعروف بالصادق أمه أم فروة بنت القاسم ابن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر وكان يقول ولدت في الصديق مرتين متفق على امامته وجلالته وسيادته قال البخارى في تاريخه ولد سنة ثمانين وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائة انتهى وقد أخرج له مسلم والاربعة وكذا البخارى في كتابه أدب المفرد (علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته) أى عن معرفة ما يطلب منهم فعلا وتركا من طاعته بغير واسطة رسول وبعثته لبيان عبادته (فعرفهم) بتشديد الراء أى فاعلمهم (ذلك) أى العجز

معذبين حتى نبعث رسولا (لكي يعلموا أنهم لاينالون الصفو من خدمته) ينالون بمعنى يصلون ويأخذون والصفو بمعنى الصافي الخالص بفتح الصاد المهملة والصفوة مثلثة وخدمته بمعنى عبادته وطاعته وصفوتها خلوصها من الحظوظ النفسية فلا يشوبها ما يكدرها من التقصيرات (فاقام بينهم وبينه) وفي نسخة بينه وبينهم بتقديم المفيض على المستفيض لتقدمه ذاتا ورتبة وفي الاولى قدمهم لانهم المحتاجون للوساطة فقدموا رعاية للمقام واقامته بينهم جعله قائما وموجودا بينهم أو أقامه خليفة له (رسولا مخلوقا من جنسهم) وسقط رسولا من بعض النسخ أي بشرا منهم فليس الجنس منطقيا بل لغوي وهو أعم من المصطلح لشموله النوع وغيره وما قيل من أن المراد من جنس أشرافهم اذ اصل الكلام بالنظر الى الانسان الاشرف أو المراد من العناصر ونحوها مما يعم الثقلين ولذا عدل للجنس كلام لايناسب المقام وفيه تعقيد من غير حلاوة فتركه خير وفي الاخير يكون الظرف لغوا والقصد بهذا زيادة الالتئام وسهولة الاتباع وقوله (في الصورة) أي جنسيته صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو بحسب الصورة الظاهرة لا المعنى الباطني لما سيأتي في القسم الثالث لتكون له المناسبة بين الجانبين فيتأهل للوساطة بين الله وعباده (وألبسه) أي كساه الله حللا (من نعته الرأفة والرحمة) ففيه استعارة مكنية والنعت والصفة بمعنى ورأيت في بعض كتب العربية ان بعض النحويين فرق بينهما فقال النعت لا يقال الا في غير الله لقولك نعت الثوب ونعت الفرس ولا يقال نعت الله بخلاف الوصف والصفة والمشهور هو الاول وعليه كلام المصنف رحمه الله والضمير المضاف اليه نعته لله والرأفة مفعول ألبس الثاني وقد قدمنا لك الفرق بين الرأفة والرحمة ووجه تقديمها وما وقع لهم من الغلط فيه فليكن على ذكر منك فان بعض الشراح أطال فيه هنا بغير طائل *(تنبيه)* قال القرافي في التقييد شرح مسائل الاربعين الرحمة أصلها ميل الطبع ورقته وهو مستحيل على الله تعالى فيصرف للمجاز وهذه الرقة لها لوازم لان من رق طبعه أراد لاحسان وأحسن فكلاهما يصح التجوز به وذهب الباقلاني الى أن التجوز عن الفعل فقال رحمه عامله معاملة الراحم المرحوم وذهب الاشعري الى أنها ارادته فعلى رأي القاضي الرحمة محدثة وعلى رأي الشيخ قديمة وعلى رأي القاضي يجوز أن يقال اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك وهو عنده الجنة وعلى رأي الشيخ يحرم ذلك لان مستقرها لذات وفي القرآن مواضع لاتستقيم الا على أحد الرأيين فقوله تعالى ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما يتعين فيه الارادة لاقترانها بالعلم وهو صفة ذاتية والوسع وقوله هذا من رحمة ربي الاشارة الى السد وهو من باب الاحسان انتهى وهل هي مجاز مرسل أو استعارة تبعية أو تمثيلية احتمالات بينها في حواشي القاضي * واعلم أن المصنف رحمه الله تعالى لما ذكر في هذا المحل آيات دالة على نهاية الثناء على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان معناها كلها ان الله بعث في هذه الامة الامية رسولا هو أعظم مخلوقاته حسبا ونسبا أودعه في الاصلاب الطيبة والارحام الطاهرة وجعل واسطته أنبياء ورسلا وأوحى اليه بكتاب هو أعظم الكتب السماوية وجعله مشتملا على علوم الاولين والآخرين فاقام به الملة السمحة وأتم به دينه ونصرهم على أعدائهم وملكهم الدنيا ولطف بهم اذ جعله بشرا أمثالهم يخاطبهم بلسانهم وفي ذلك رأفة بهم وأتم نعمة عليهم وعلى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ذلك اذ رأف بهم وأنعم عليهم بنعم الدنيا والآخرة ولذا وصفه بصفتين متجاورتين في قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ومثله مما خص الله به نفسه فلما جعل خليفة الله خلع عليه خلعة فوق خلعة تمييزا له وتكريما كما يفعله الملوك فقوله ألبسه من نعته الرأفة والرحمة يعني به المذكور في الآية السابق ذكرها ولم يجمع له غيرهما * فان قلت كيف هذا وقد وصفه بصفات غيرهما وجمع له بين صفتين أيضا في قوله تعالى في آية الاسراء لنريه من آياتنا

(لكي يعلموا أنهم لاينالون الصفو من خدمته) أي الخالص من طاعته بل انما ينالون بالواسطة من فضله ورحمته كما قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وفي قضية ابليس ايماء الى أن كثرة الخدمة غير مفيدة مع قلة الرحمة (فاقام الله بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة) أي مباينا لصنفهم في السيرة (ألبسه من نعته الرأفة والرحمة

انه هو السميع البصير بناء على ان الضمير لعبده * قلت هذا ما ذهب أكثر المفسرين الى خلافه وان الضمير لله تعالى ولو قلنا انه له فهاتان الصفتان لم يجز لهما ذكرهنا ولا مناسبة لهما بهذا المقام فلذا خصهما المصنف بالذكر فما قيل معنى الباسه الرأفة والرحمة انه وصفه بهما بما شاركه فى أصل المعنى وان تغايرا فى الحقيقة وان بينهما مشاركة لفظية ومناسبة ما وانما خصهما من بين الصفات لكمال مناسبتهما البعثة للثقلين ووساطته بينهما مع شدة الاحتياج لذلك كما قال صاحب معيار المريدين فى قوله (تخلقوا باخلاق الله) معناه اتصفوا بالصفات المحمودة وتنزهوا عن الصفات المذمومة وليس معناه أن يأخذ من صفات القديم شيئا ومثاله من يوقد سراجا من سراج أو يأخذ علما من عالم فانه لا يأخذ عين سراجه ولا عين علمه بل يحصل له من أشراق سراجه سراج ومن افاضة علمه علم آخر هو كلام من لم يصل الى العنقود مع انه لا تحصل له وليس تحته كبير فائدة (وأخرجه الى الخلق سفيرا صادقا) المراد انه أخرجه من العدم والتقدير الى الوجود الخارجى العينى أو من الاصلاب والارحام والسفير الرسول والمصلح بين القوم والمراد الاول أى رسولا من الله لهم وهو مأخوذ من سفرت الشئ سفرا اذا كشفته وأوضحته لانه يوضح ما أمر به و يظهر ومنه اسفار الصبح والمراد بالخلق جنسهم أو جميعهم لعموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم كما سيأتى وصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الله تعالى عصمه من الكذب ولم يؤثر عليه تهمته به فضلا عن وقوعه كما مر فى حديث هرقل (وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته) طاع وأطاع بمعنى انقاد وأذعن وقيل طاع بمعنى انقاد وأطاع بمعنى اتبع الامر ولم يخالفه وليس بينهما بعد بحسب المآل والموافقة ضد المخالفة ومعناها الاتفاق والتظاهر أى من اتفق معه على ما كان عليه فى دينه وقبول ما جاء به فقد وافق الله والضمير الاول للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والثانى لله ويجوز العكس لانه لا طاعة لله الا بطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا طاعة للرسول الا بطاعة الله والمراد الاتحاد الحقيقى لانه لا ينطق عن الهوى فهو مبلغ والآمر هو الله أولانه لا يأمر الا بما فيه طاعة الله وعبادته فطاعته عبادة وقيل المراد ان طاعته مثل طاعته فى الوجوب لان الله أمرنا بطاعته قيل وهو قصور أو خفاء وذكر الموافقة بعد الطاعة وهى بمعنى الاطاعة للتأكيد قيل وتوضيح الاتحاد الحقيقى ان من أطاع الرسول عليه الصلاة والسلام ليس له اطاعة لا يكون مطاعها الحق وهذا كما قيل ان وجود العرض فى نفسه هو وجوده فى الموضوع فليس للسواد وجود لا يكون تابعا للموضوع ولذا امتنع انتقاله عنه بخلاف وجود الجسم فى الحيز فلذا انتقل عنه كما قاله التفتازانى ورد بانه لا يستقيم هذا لان الاتحاد الحقيقى هو ان يصير شيئا بعينه شيئا آخر من غير أن يزول عنه شئ أو ينضم اليه شئ وهنا قد انضم الى أوامره ونواهيه كونها وحيا من الله تعالى ليست كأوامره ونواهيه بامور طبيعية قبل النبوة وهذا كقول السلطانى لوزيره مر الناس عنى بكذا فانه صادر من الوزير صورة و يعد أمر الوزير وهو فى الحقيقة أمر السلطان فالاتحاد مجازى بطريق الانتقال والتغير كما يقال صار الماء هواء أى زالت عن هيولاه صورة خلفتها أخرى أو هو من قبيل صار الابيض اسود أو انضم اليه شئ آخر كصار التراب طينا وما قيل فى توضيحه أيضا غير صحيح لان الاتحاد الحقيقى وعدم المغايرة والعرض له حقيقة مغايرة لحقيقة موضوعه فلا يقال ان حقيقة السواد هى حقيقة الجسم وهذا الفاضل جعل حقيقة طاعة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هى طاعة الله وأين الوجود من الحقيقة وقد تقرر أن وجود العرض والجوهر زائد على ماهيتهما ولهذا لم يصدق تعريف الجوهر بانه ماهية اذا وجدت فى الخارج لم يكن فى موضوع على ذات البارى لان وجوده عين ذاته ثم ان معنى قولهم ان وجود العرض هو وجوده فى موضعه انهما لا يتمايزان فى الاشارة الحسية وقد توهم

(وأخرجه الى الخلق سفيرا) أى وأظهره مرسلا اليهم حال كونه رسولا ومصلحا لما بينهم (صادقا) أى مطابقا قوله فعله وموافقا حكمه خبره (وجعل طاعته طاعته) بنصبهما أى كطاعة الله تعالى أى فيما يامره وينهاه وهو تشبيه بليغ مفيد للمبالغة وهو ان طاعته عين طاعته وكذا قوله (وموافقته موافقته) أى فى أمر دينه ودنياه فلا تجوز مخالفته فى طريق مولاه كما قال سبحانه وتعالى فى حقه فليحذر الذين يخالفون عن أمره

من هذه العبارة ان وجود السواد مثلا في نفسه هو وجوده في الجسم وليس بشئ اذ يصح ان يقال وجد في نفسه فقام بالجسم وهذا يقتضي المغايرة * أقول انما قلت هذا مع طوله لئلا يظن ان في السويداء رجالا وتحقيقه ان المدلولين اذا تغايرا بحسب المفهوم واتحدا في الخارج بحسب الماصدق كالحيوان والمتحرك بالارادة يكون الاتحاد حقيقيا بحسب الخارج واطاعة الله واطاعته كذلك من غير شبهة فان الله تعالى اذا أوجب الصلاة وأمر بها فأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بها الخلق فامتثلوا فاطاعة الله واطاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اقامة الصلاة وهي أمر واحد في الخارج وان تغاير مفهوماهما فانه أمر اضافي يختلف باختلاف المضاف اليه وكذا وجود العرض في نفسه ووجوده في موضوعه لعدم التمايز والانتقال بخلاف وجود الجسم وما انضم اليه شئ آخر كالخشب والسرير والماء المنقلب هواء ليس من هذا القبيل لتغايرهما في الخارج فهذا القائل خبط عشواء وأطال من غير طائل * فان قلت كيف يتم هذا ان قلنا باجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا أمرهم باجتهاده هل يقال اطاعة أمره اطاعة لله مع احتمال أمر بخلافه كما في قصة الاسراء * قلت نعم هو اطاعة لله لقوله (وأطيعوا الرسول) من غير قيد ولذا عقبه المصنف رحمه الله تعالى قوله (فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله) تقدم ان ضميري طاعته طاعته فيهما وجهان وقد قيل هنا ان جعل الضمير الاول لله يفيد ان طاعة الله منحصرة في طاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لتعريف الطرفين لان المعتبر منها ما وافق الشرع والشرع من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فهو أبلغ الا ان دلالة هذه الآية عليه ليست بظاهرة وتوضيحه كما قيل ان معناها اليس اد صلى الله تعالى عليه وسلم اطاعة الا وهو لله بتنزيل الموجود منزلة المعدوم كما في قوله تعالى (وما رميت اذ رميت) ويحتمل أن يكون معناها من يطع الرسول عليه الصلاة والسلام في تفاصيل ما جاء به فقد أطاع الله في قوله تعالى (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) الا ان هذه الآية هي الدالة على انه جعل طاعته كطاعته في أصل الوجوب لا في ذاته ووصفه لا الآية التي تلاها المصنف رحمه الله تعالى فلا يصح ان يقال معنى جعل طاعته طاعته انه جعلها قبلها في الوجوب لان قوله فقال الخ بالفاء لتفسيره أو تفريعه عليه بما يخالفه كما سيأتي وردبانه لا ينبغي قصر الدلالة على وجوب طاعته في الآية الثانية لان الآية التي تلاها المصنف رحمه الله تعالى دالة على ذلك أيضا فان مضمونها انه جعل طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم طاعة الله وطاعة الله واجبة شرعا وعقلا فطاعته صلى الله عليه وسلم كذلك وان لم يكن مثلها في كل الوجوه فدل ذلك على انه يجوز ان يكون مراد جعفر الصادق بقوله انه جعل طاعته مثل طاعته في الوجوب وهو كلام حسن والذي جنح اليه القائل ان القاضي وغيره قال في تفسير قوله تعالى (من يطع الرسول) الآية ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مبلغ والآمر هو الله وهذا الحصر يقتضي انه لا آمر ولا ناهي سواه وانه لا اطاعة لغيره الا بحسب الظاهر وأنا أقول هذا كله من ضيق العطن فان كون الامر كله لله ليس فيه اشتباه وما على الرسول الا البلاغ لكن لما كان العباد لا تطلع على ذلك الا بأمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت اطاعته وتصديقه واجبان علينا جعل أمره ونهيه او مثله بعد حقيقة بحسب اللغة كما قال في البردة

نبينا الآمر الناهي فلا أحد * أبر في قول لا منه ولا نعم

وفي هذا التفريع خفاء ليس هذا محل بيانه فاي ماس في النظر بهذين الامرين وقوله طاعته تشبيه بليغ كقولك أبو يوسف أبو حنيفة ويجوز عكسه وجعل عينه ادعاء فلا ينافي الآية لان الشرط والجزاء متغايران نظر الى نفس المقام ولكل مقام مقال (وقال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) هذا اما ابتداء كلام في ذكر ما جاء في الثناء من الله تعالى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو من تتمة

(فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد روى من أحبني فقد أحب الله ومن عصاني فقد عصى الله تعالى وكذا قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (وقال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وكذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة على ما رواه الحاكم عن أبي هريرة

كلام جعفر رضى الله تعالى عنه وبه جزم فى الشرح الجديد وهو حينئذ متصل باول كلامه أى لما علم عجزهم عن نيل صفو خدمته أقام بينه وبينهم سفيرا من جنسهم رحمة لهم فانه انما بعث رحمة للعالمين أو بقوله ألبسه من نعته الرأفة والرحمة وهو أقرب والعالمين عام شامل للمتقين والعصاة والكافرين كما سيأتى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للكافرين بتأخير العذاب ومنع الاستيصال فمن خالفه فعذابه من نفسه كعين جرت فانتفع بها قوم وكسل آخرون فهى رحمة لهما وما قيل ان المفسرين لم يتعرضوا لبيان نفى الغضب مع وقوعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا وقد قصد الله تعالى ببعثته ان لا يؤمن به قوم فيعذبهم وليس الحصر هنا نظرا لعموم العالمين لانه لو اريد به هذا قيل وما أرسلناك الا رحمة للعالمين أو يقال القصد بالذات الرحمة والغضب بالتبعية وهو فى جنب الرحمة كالعدم أو المعنى لا جل للرحمة على الكل لا الغضب على الكل الى آخر ما قاله واطال فيه من غير طائل ولعمرى ان ماظنه مشكلا فى غاية الظهور فانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة عامة شاملة كما ورد انما أنا رحمة مهداة فانه لم يرد لاحد ضررا وقد اجتهد فى نفع كل احد ولكن من يضلل الله فما له من هاد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغضب لنفسه وانما يغضب لانتهاك حرمات الله كما سيأتى بيانه ولعمرى ان صاحب الكشاف أجمل وأجمل فلا حاجة للاطالة هنا ورحمة مفعول له وللعالمين متعلق به أى ما أرسلناك الا لترحم بك العالمين بهدايتك اياهم لسعادة الدارين وفى مسلم قيل يا رسول الله ادع الله على المشركين فقال انى لم ابعث لعانا انما بعثت رحمة ويجوز ان يكون حالا من الكاف أى الا ذا رحمة أو هو عين الرحمة وليس للعالمين متعلق بارسلناك لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا فى الاستثناء المفرغ نحو ما مررت الا بزيد والمعنى الا لا رحم بالبناء للفاعل لا للمفعول كما قيل (قال أبو بكر بن طاهر) قال الشمنى والبرهان الحلبى هو أبو بكر بن طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز المغافرى الشاطبى وقال التلمسانى هو عبد الله بن طاهر الابهرى وهو من أقران الشبلى ومن مشايخ الجيلى عالم ورع مات قرب الثلاثين وثلاثمائة وهناك أبو بكر بن طاهر واسمه محمد بن أحمد بن طاهر الاشبيلى القيسى يروى عن أبى على الغسانى وروى عنه السهيلى والاول أقدم من الثانى وهو المراد والله أعلم والذى عند سيدى أبو الحسن أبو بكر بن طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز المغافرى الشاطبى والله أعلم أيهم هو انتهى (زين الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بزينة الرحمة) يعلم من هذه العبارة ان فى قوله السابق ألبسه الرأفة والرحمة استعارة مكنية بجعل كل منهما كالحلة والخلعة البهية (فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق) الفاء هنا للتفسير والتفصيل وكونه مرفوع اسم كان وهو مصدر كان التامة أى وجوده ورحمة منصوب خبرها وكونه لا خبر له وتقديره من ربنا قبيح وما بعده معطوف عليه والزينة ما يتزين به لباسا أو غيره واضافته للرحمة كلجين الماء أو بيانية وقيل الزينة هنا اللباس أى ألبسه الله رحمة رحمانية شاملة له وفيه اشارة الى انها منة من الله بها عليه غير الجبلية البشرية والشمائل جمع شمال بالكسر مثل شمال خلاف اليمين قال الازهرى الشمال خلقة الرجل أى خلقه وجمعه شمائل ورجل كريم الشمائل أى فى اخلاقه ومخالطته انتهى وبه سمى كتاب الشمائل وما الطف قول ابن الوردى فيه مضمنا

يا ألطف مرسل كريم ❊ ما ألطف هذه الشمائل

من يسمع لفظها تراه ❊ كالغصن مع النسيم مائل

فعطف صفاته من عطف العام على الخاص ان لم يخصص بالصفات الظاهرة والشمائل بخلافها وقال الشراح صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم تشمل غضبه وظاهر مرآه لانه لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله وغضبه للاصلاح وهو رحمة فى ذاته واما مرآه الحسن فانه لمحبته والتصديق به ألا ترى ان عبد الله بن

(قال أبو بكر بن طاهر) وفى نسخة محمد بن طاهر أى ابن محمد بن أحمد بن طاهر الاشبيلى القيسى وبهذا يعرف ان ليس المراد به عبد الله بن طاهر الابهرى الذى هو من أقران الاشبيلى خلافا لما توهمه التلمسانى قال العسقلانى هو معافرى شاطبى روى عن أبيه وابن على النسائى وغيرهما وأجازله أبو الوليد الباجى (زين الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بزينة الرحمة) أى بزيادة الرحمة (فكان كونه) أى وجوده (رحمة) واغرب الدلجى فى قوله مكان كونه موصوفا بالرحمة رحمة (وجميع شمائله) جمع شمال بالكسر وهو الخلق بالضم والمراد بها أخلاقه الباطنة (وصفاته) الظاهرة من نحو كرمه وجوده (رحمة) الاولى مرحمة لتغاير الاولى والمعنى محل رحمة نازلة (على الخلق) أى عامة وخاصة

سـلام رضى الله تعالى عنه لما رآه صلى الله تعالى عليـه وسلم آمن به قال انى لما رأيت وجهه الشريف تبينت انه ليس بوجه كذاب فان أريد بالخلق جميعهم كما مر فقوله (فمن أصابه شىء من رحمته فهو الناجى فى الدارين) أى فى الدنيا والآخرة والناجى بمعنى السالم من اصابة ما يكرهه ويضره قيـل المراد به من انتفع انتفاعا معتدا به بان يكون مصدقا به أو انتفع بشىء معتد به أو ان وجوده صلى الله تعالى عليه وسـلم وصفاته هداية فمن اهتدى بشىء منهما نجا وقيـل المراد بشىء من رحمته انه اهتدى بهدايتـه لان من لم يهتد كانه لم تصبه الرحمة كما ان من شرب الماء ولم يرو كانه لم يشرب وهذا هو التفسـير الصحيح وما قبـله تكلف فالمعنى ان من هداه الله للايمـان به صلى الله تعالى عليه وسلم سـلم من كل مكروه ونال كل مرغوب فاسقام الدنيا وآلامها لا تعد مكروها بعد العـلم بما فيها من تكفير السيئات ونيل الحسنات (من كل مكروه) يلحق من لم يهتد فلم يؤمن به فى الدنيا كالقتل والسبى واخذ الجزية وفى الآخرة العذاب المخلد (والواصل فيهما الى كل محبوب) اما فى الدنيا فان كان ذا غنى ونعـمة فظاهـر والا فالمؤمن العاقل اذا صبر وقام بوظائف العبودية فى دنيا سريعـة الزوال كان ما أصابه من المكروه لايصاله للنـعم الاخروية محبوبا عنده واما حاله فى الآخرة فغنى عن البيان فما قيل انه يشكل عمومه بالمؤمن العاصى المعـذب وبان مصائب المؤمنين فى الدنيا كثـيرة الا أن يقال فى الدارين متعلق بالمكروه والمحبوب أو المراد انه سبب فى الجملة أو الكل بمعنى الجل لا وجه له فانه من قسم الوسواس (ألا ترى ان الله يقول وما أرسلناك الا رحمـة للعالمين) وفى نسخة ألم تره فى نسخة اسقاط ان أى ألم تعلم ان الله لما قصر بعثته على الرحمـة عـلم انه من اصابته هذه الرحمة لم ينل مكروها اذ نيله ينافى الحصر وهذا ترغيب كما فى حديث (من قال لا اله الا الله دخل الجنة) فلا مسامحة فى المدعى حتى يحتاج للتأويل وهذه العبارة تسميها العلماء تنوير الانها تشير الى ان ما بعدها موضح لما قبلها ولذا عبر بالرؤية لجعله كالمحسوس وهـذا من كلام ابن طاهر فلا تكرار فيه والكلام على الآية مبسوط فى التفسير وشهرته تغنى عن ذكره (فكانت حياته رحمة ومماته رحمـة كما قال صلى الله تعالى عليه وسـلم حياتى خير لكم وموتى خير لكم) هذا الحديث رواه ابن مسـعود رضى الله عنه بسند صحيح ورواه الحارث ابن أسامة فى مسنده بسند صحيح أيضا والحديث الذى بعده فى صحيح مسلم وفى رواية موته بدل مماته أى كل منهما نافع لامته صـلى الله تعالى عليه وسـلم فلا يتوهم انقطاع نفعه صلى الله تعالى عليه وسـلم عنا بموته لان كثيرا منا اذا مات انقطع عمله عنه وعن غـيره الا ما استثنى والخير النافع الذى يرغب فيه وهو يكون صفة مشبهة وافعل تفضـيل مخفف من أخـير كشر من أشر ولا ينطق باصله الا نادرا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (بلال خير الناس وابن الاخير) وقرئ فى الشواذ سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ويكون صفة كالخير بالتشديد ويجوز كل منهما هنا أى كل من حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وموته نفع لمن دخـل تحت الخطاب أو ان حياته أنفع من موته فى وقتها وموته انفع فى وقته من وجه لنفعه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم لانه وشفاعته عند عرض اعمـالهم عليـه يوم الاثنين وفتح باب الاجتهاد وترك الاتـكال والمشى على الاحتياط وكالانابة بالحزن لموته وتسـهيل كل مصيبة بمصيبته والاعتبار به والرحمة الناشئة من اختلاف أمته وارتفاع الشديد بتوقيره وفى الحديث زيادة فى بعض التعاليق وهى اما حياتى فابين لكم السنن وأشرع لكم الشرائع واما موتى فان أعمـالكم تعرض على فما رأيت منها حسنا حمدت الله وما رأيت منها سيئا استغفرت وأيضا فان الملائكة عليهـم الصلاة والسلام تعرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة من صـلى عليه وتبلغها له فى وقت واحـد وان لم يحص عددها كما سيأتى

(فمن أصابه شىء من رحمته فهو الناجى) قال التلمسانى أى الخالص (فى الدارين) أى حالا ومآلا (من كل مكروه) أى مغضوب (والواصل فيهما) أى وهو الواصل فى الكونين (الى كل محبوب) وفيه ايماء الى ما ورد من الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصاب من ذلك النور اهتـدى ومن أخطأه فقـد ضـل وغوى (ألا ترى) بصيغة الخطاب المعلوم ويجوز ان يقرأ بصيغة الغـائب المجهول أى ألا تعلم (ان الله تعالى يقول وما أرسلناك الا رحمـة) أى ذا رحمـة وأريد بها المبالغة (للعالمين) أى من غير تقييد للمؤمنين ولامته دون غيرهـم من المخـلوقين ويستفاد من نسبة الرحمة الالهية انها ليست من الامور العارضية (فكانت حياته رحمـة ومماته رحمة) بل وليس هنالك موت ولا فوت بـل انتقال من حال الى حال وارتحـال من دار الى دار فان المعتقد المحقق انه حى يرزق (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه الحارث بن أبى أسامة فى مسـنده والبزار باسناد صحيح (حياتى خير لكم) وهو ظاهـر (وموتى خـير لكم) قال الدلجى بشـهادة وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم حيا وميتا انتهى وغـرابته لا تخفى فالاظهر ان يقال لانه يعرض على أعمالكم فاشفع فى غفران سيئاتكم وادعو لكم فى تحسين حالاتكم والمعنى انى متوجـه اليكم وراحم عليكم وشفيع لكم حيا وميتا بالنسبة الى حاضركم وغائبكم أو التقدير وموتى قبلكم خير لكم فيوافق ما أراده المصنف بقوله

كالشمس فى كبد السماء وضوئها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

كما فى بعض الشروح ونقل فى بعضها ما لا مساس له بالمقام وفيه نقلا عن ابن عربى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا مت لا أزال أنادى فى قبرى أمتى أمتى حتى ينفخ فى الصور فطنين الآذان لما تدركه الروح المتمكنة فى قلبه ورأسه من ذلك النداء فلذا استحبت الصلاة عليه اذا طنت الآذان اداء لشئ من حقه كما فى العطاس كما قاله الترمذى رحمه الله تعالى ولعظم الاجر على مصيبته صلى الله تعالى عليه وسلم ولدا سادت فاطمة أمها خديجة رضى الله تعالى عنهما وجميع اخواتها من مات فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم لما فى صحفها من مصيبتها به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قيل عليه انه لا شبهة فى ثوابها بهذا الرزء العظيم ولكنها لم تفضل أمها بذلك بل بكونها بضعة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال فى سنن أبى داود لا أعدل ببضعة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحدا واما تفضيلها على اخواتها فلحديث فاطمة أفضل نساء العالمين الا مريم بنة عمران ونحوه ولو كان تفضيلها بهذه المصيبة فضلت عائشة رضى الله تعالى عنها خديجة رضى الله تعالى عنها والاكثر على خلافه ثم أورد على حد الاجتهاد من الخير الذى حصل بموته صلى الله تعالى عليه وسلم ان الاجتهاد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم كان فى زمنه أيضا كما بين فى كتب الاصول ولك ان تقول المراد كثرته مع ما يتفرع عليه من المذاهب والتأليف قيل وعرض الملائكة عليهم الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ممن لا يحصى فى وقت واحد لم يثبت وهو مردود بانه ورد من طرق صحيحة كما سيأتى مفصلا فلا وجه لانكاره والاحسن ان رحمته لهم فى حياته لانه هداهم لسبيل الخير وما دام صلى الله تعالى عليه وسلم بين أظهرهم فهم آمنون من عذاب الاستئصال والمسخ والخسف ونحوه كما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ورحمته لهم فى مماته لتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم فرطا لهم كما سيأتى وبه فسر قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم ثم ان تفضيل فاطمة وعائشة رضى الله تعالى عنهما بما مر لا ينافى كون خديجة رضى الله تعالى عنها أفضل لانه قد يكون فى المفضول ما ليس فى الفاضل كما لا يخفى واعلم انه حكى عن الاشعرى والقشيرى وأصحابه انهم قالوا ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بنبى فى قبره وان رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم انقطعت بموته وقد شنع عليهم بذلك جماعة وقالوا بتكفيرهم وقال السبكى انه افتراء عليهم وقد كتب بذلك الى الآفاق وكيف يقال مثله مع ما صح فى الحديث من ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء فى قبورهم يصلون وانما فهم هذا عنهم الكرامية وادعوا انه لازم لمذهبهم ولازم المذهب ليس بمذهب فانه صلى الله تعالى عليه وسلم حى فى قبره باق على ما كان عليه حتى سئل النووى رحمه الله تعالى عمن رآه صلى الله تعالى عليه وسلم فى منامه يأمره بأمر هل يجب عليه أم لا فاجاب بانه ان لم يخالف الشرع وكان له فى خاصة نفسه ينبغى العمل به وانما لم يجب لان النائم لم يضبط ما قيل له وربما لم يفهمه أو يكون اشارة لما يحتاج للتأويل وهو كلام حسن فلا ينافى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من رآنى فقد رآنى حقا الحديث (وكما قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا) هذا الحديث صحيح متنا وسندا رواه مسلم عن أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه فقال اذا أراد الله تعالى رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا اراد هلكة أمة أحيى نبيها فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره وهكذا فى النسخ بتقديم الفرط ووقع فى بعضها مؤخرا وكانه من الناسخ والذى فى مسلم اضافة رحمة لامة مخالف لما فى الشفاء فقول المخرجين انه حديث مسلم لا يخفى ما فيه فلعله رواه من طريق آخر الا ان يقال انه رواه بالمعنى واقتصر على بعضه والامة الجماعة ثم شاع فيمن بعث اليهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم

(وكما قال) أى على ما رواه مسلم (اذا أراد الله تعالى رحمة بامة) قال الحافظ المروزى المعروف رحمة أمة وكذا رواه مسلم كذا ذكره الحجازى قلت وفى الجامع الكبير أيضا بلفظ ان الله تعالى اذا أراد رحمة أمة من عباده (قبض نبيها قبلها) أى قبل موته جميعها فجعله لها فرطا وسلفا) أى بين يديها كما فى الصحيح وهما بفتحتين أى متقدما وسابقا فانها ما اصيبت بمصيبة أعظم من موت نبيها واصل الفرط هو الذى يتقدم الواردين ليهيئ لهم ما يحتاجون اليه عند نزولهم فى منازلهم ثم استعمل للشفيع فيمن خلفه ثم تتمة الحديث على ما فى صحيح مسلم عن أبى موسى مرفوعا واذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حى فاهلكها وهو ينظر فاقر عينيه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره

ووجب عليهم اتباعه فان اتبعوه فهم أمة الاجابة وهم وغيرهم أمة الدعوة والمراد الاول والقبض في الاصل أخذ الشئ واستيفاؤه يقال قبض المال والمتاع ويقال قبض الله أو الملك زيدا أو روحه والمشهور في الاستعمال الاول وكان العدول عنه هنا اشارة الى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم ولا تأكل الارض أبدانهم فموتهم ليس كموت غيرهم فهم كمن أرسله الملك لامر فاتمه وعاد اليه والفرط بفتحتين أصله من يرسله الناس قدامهم لمنزل رحلتهم ليهيئ لهم لوازمهم أولينظر واما به من ماء وعشب وانه هل يحسن نزول السفر اليه أم لا أو ليزيل ما يخاف وينظر هل به عدو أم لا من فرط بمعنى تقدم فهو فعل بمعنى فاعل كتبع بمعنى تابع لا جمع له كخدم وخادم لاطلاقه على الواحد وغيره و يطلق على الطفل الذى يموت قبل أبويه أو أحدهما كما ورد في دعاء الجنازة وهو من هذا القبيل لا لمعنى آخر فهو اما لانه يحصل بسببه أجر كمنافع المنازل أو لما ورد من انه يقف على الحوض ليسقى أبويه وفيه استعارة بديعة لجعله القبر منزلا كل أحد سائر اليه وموردا وكل وارد عليه ولذا يقال حيا من الدنيا ومورد هامن صيرته الحياة في ظهر فالموت ورد لا بد ان يرده وان الناس مسافرون ليست الدنيا دار اقامة لهم

وانا لفى الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا يسرى

ويقال أفرط فلان ابنه اذا مات قبله والسلف بونه معناه ما تقدم اعطاؤه في المال كالسلم وبمعنى القرض وسلف المرء من مضى من آبائه واقربائه لتقدم موته ولذا يسمى الصدر الاول السلف الصالح فكان ما أصاب الامة بفقد نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم جعل سلفا أو قرضا للاجر الذى يجازوا به على الصبر

والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

ولذا قيل لما قدم من العمل الصالح فرطا والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اب لامته لانه سبب لحياتهم الابدية كالاب الذى هو مبدء الحياة ولذا كانت زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم أمهات المؤمنين ففي حياته صلى الله تعالى عليه وسلم من الرحمة ما لا يخفى كما فاذا ارتحل ومات انتقل لجوار ربه مع الرفيق الاعلى وهو راض عنهم لقبول ما بلغهم ونصرتهم ومحبتهم له وشهاداتهم على ابلاغه ولولا ذلك لاهلكوا فكانت رحلته صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لهم مع ما اصابهم من الاجر بمصيبته وحمده واستغفاره لهم اذا عرضت عليه أعمالهم قريبا فجزاه الله حيا وميتا خير الجزاء (وقال السمرقندى) الامام الحنفي وقد تقدمت قريبا ترجمته (رحمة للعالمين يعنى الجن والانس) هذا تفسير للآية المذكورة بان المراد به جنس العقلاء من الثقلين بقرينة صيغة جمع المذكر السالم وان كان جمع عالم وهو كل ما يعلم به الصانع من العقلاء وغيرهم فالمفرد أعم من جمعه فخص ثم جمع بجعله صفة أو ملحقا بها لان فاعل بالفتح اسم آلة كالخاتم والطابع وقيل غلب العقلاء أو جعل اسما لذوى العلم من الثقلين أو الثقلين والملك أو الانس قال الشريف الجرجانى يطلق على كل جنس لا فرد فهو للقدر المشترك بين الاجناس فيصح اطلاقه على كل جنس وعلى مجموعها لا المجموع واذا عرف بلام الاستغراق شمل كل فرد من جنس كالاقاويل فمن فسره بجميع الخلق فعلى الاصل ومن فسره بالجن والانس فعلى بعض الوجوه أو خصه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث اليهما ومن فسره بالمؤمن والكافر أراد انه يشملهما لا ان معناه ذلك وهذا يقتضى ان هذا غير مخالف لقوله (وقيل لجميع الخلق) وسياقه مع تمريضه يأباه فالحق كما في بعض الشروح انه لما اختار تفسير العالمين بالثقلين ذكر تفسير المرضه ثم أخذ في بيان ما به تكون الرحمة على ما اختاره فقال (للمؤمنين رحمة بالهداية) أى أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن آمن بهداية تزيد على هداية الايمان أو لمن قدر ايمانه قيل وهو على الثاني عام شامل للملائكة والجماد ان قلنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل اليهم على أحد القولين فيه وسيأتى تحقيقه وان عمه رحمته أيضا وقوله

(وقال السمرقندى) أى أبو الليث امام الهدى الحنفي كما ذكره الدلجى (رحمة للعالمين) بالنصب على الحكاية (يعنى) أى يريد سبحانه وتعالى بالعالمين (للجن والانس) أى المؤمنين بقرينة تقابله بقوله (وقيل لجميع الخلق) أى المكلفين لقوله (للمؤمن رحمة) بالنصب ويجوز رفعها أى رحمة خاصة (بالهداية) وكان الاولى ان يقول رحمة للمؤمن بالهداية ليطابق الآية وليوافق قوله

(ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب) أى الى العقبى ولا يبعدان يكون تقديم المؤمن اشارة الى حصر الرحمة المختصة بالهداية كما قال الله تعالى هدى للمتقين أى بالدلالة الموصلة التى هى خلق الهداية فى خواص الانسان من أهل الايمان مع انه هدى للناس باعتبار عموم الهداية بالدلالة المطلقة التى هى بمعنى البيان (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) أى فيما رواه جرير وابن أبى حاتم فى تفسيرهما والطبرانى والبيهقى فى دلائله (هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذا عوفوا مما ١٠٥ أصاب غيرهم من الامم المكذبة) أى من أنواع العقوبة ومآل هذا القول الى ما قبله ثم الاظهر ان العالمين يشمل الملائكة أيضا ويدل عليه قوله (وحكى) بصيغة المجهول وقال الحجازى ويروى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل عليه الصلاة والسلام هل أصابك من هذه الرحمة) أى المنقسمة على هذه الامة من نبى الرحمة (شئ) أى من الرحمة مختص بك فالاشارة الى موجود فى الذهن اذ الرحمة معنى يوجده الله تعالى فيمن يشاء من خلقه وفيها يتفاوتون (قال نعم كنت أخشى العاقبة) أى آخر امرى من سوء الخاتمة لما وقع لابليس من الزلة (فامنت) بفتح فكسر وضبطه التلمسانى بصيغة المجهول ففى القاموس الامن ضد الخوف أمن كفرح وقد أمنه كسمع ائتمنه واستأمنه انتهى ولا يخفى ان بناء المجهول غير ظاهر فى المعنى اذ المراد فصرت آمنا ببركة القرآن الذى نزل عليك (لثناء الله عز وجل على بقوله ذى قوة عند ذى العرش مكين) أى صاحب مكانة (مطاع) له أى بين الملائكة (ثم) أى فيما هنالك (أمين) أى على أمر الوحى غيره ووجه استدلاله به انه تعالى حيث مدحه فى محكم كتابه العظيم وأخبر عن حسن حاله للنبى الكريم لا يتصور تبدل حاله ولا تغير مآله ولا يبعد ان يجعل قوله أمين بمعنى مأمون العاقبة وقد سنح بالبال والله تعالى أعلم بالحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم رحمة لجميع خلق الله تعالى فان العالمين لا شك انه حقيقة فيما سواه ولا صارف بالاتفاق يصرفه عن دلالة الاطلاق ثم من المعلوم انه لولا نور وجوده وظهور

للمؤمن الى آخره بدل من قوله للعالمين أو متعلق بمقدر وعلى الاول هو بيان لمختاره وهو الظاهر وعلى الثانى بصاحبهما (ورحمة للمنافق بالامان من القتل) مطلقا بخلاف الكافر فانه لا يأمن الا بالامان أو اداء الجزية والنفاق اسم اسلامى معناه اخفاء الكفر واظهار الاسلام مأخوذ من نافقاء اليربوع أو من النفق بمعنى السرب (ورحمة للكافر بتأخير العذاب) وفى نسخة المؤمنين والمنافقين والكافرين بالجمع والمراد تأخيره لما بعد الموت واما عذاب الدنيا بالقحط وغيره فلا يختص بطائفة وقيل المراد نفى الاستئصال والمسخ والخسف وأورد عليه أيضا ان الزنديق سواء ادخل فيه أو فى الكافر عذابه مؤخرا أيضا فالظاهر اشتراكهما فيه وتمييز المنافق باجراء احكام الاسلام عليه ظاهرا أو يقال انه أراد فى كل قسم ذكر رحمة مخصوصة من غير تخصيص والامان انسب بالمقام للعموم ثم ذكر ان من رحمة الكافر أيضا الشفاعة له من هول الموقف ورحمته صلى الله تعالى عليه وسلم لسائر المخلوقات فائقة اذ لولاه ما خلقت فتأمله (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فى تفسير هذه الآية وبيان من شمله العالمين (هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا) أى عافاهم الله تعالى بالعفو عنهم عاجلا (مما أصاب غيرهم من الامم المكذبة) أى المكذبة للانبياء السالفة فان الله عاقب من كفر منهم بالاستئصال والخسف والمسخ وما نزل عليهم من السماء فلا يرد من قتل فى غزوات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واما النفاق فلم يشتهر فى الامم السالفة حتى يعلم حكمه وقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هذا مسندا اليه فى الطبرانى ودلائل البيهقى وفى تفسير ابن جرير وابن أبى حاتم (وحكى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل) عليه الصلاة والسلام حكى بالبناء للمجهول كما صححه البرهان فى المقتفى فهو مقطوع عن كلام ابن عباس وما قيل من ان كونه مقطوعا غير مقطوع به بعيد ويجوز بناؤه للفاعل وهذا لم يوجد فى شئ من كتب الحديث نقله كما فى تخريج السيوطى وغيره (هل أصابك من هذه الرحمة شئ) فيه اشارة الى انه مرحوم مقرب وانما السؤال عن رحمة زائدة نالته من رحمة النبى صلى الله عليه وسلم وهذا ان كان من كلام ابن عباس رضى الله عنهما ناظر لما فى الآية على مختاره الاول فكأنه قال هل دخلت فى العالمين فناسب السؤال لارادة الثقلين وان كان على الثانى فكأنه قيل هل دخل فى الخلق فاصابه شئ من هذه الرحمة وقيل لا شبهة فى انه صلى الله عليه وسلم واسطة كل رحمة وخير وان رحمته أصابت جبريل وسؤاله اما ليعترف ويتحدث بالنعمة أو للتلذذ أو من باب طرح المسألة والاختبار وهذه كلها أمور واهية وجبريل عليه السلام غير محتاج للاعتراف وكثرة اجتماعه به صلى الله عليه وسلم تغنى عن التلذذ وطرح المسئلة ليس بشئ (قال) جبريل عليه الصلاة والسلام (كنت اخشى العاقبة) بتقدير مضاف أى سوء العاقبة أو المراد بالعاقبة السيئة بجعل التعريف للعهد بقرينة الخشية فانها بمعنى الخوف وانما يكون فى المكروه والعاقبة ما يعقب الشئ ويحصل منه خيرا كان أو شرا (فامنت) بفتح الهمزة المقصورة وكسر الميم الخفيفة مبنى للفاعل من الامن ضد الخوف وسيأتى فيه ضبط غير مقبول (لثناء الله عز وجل على بقوله) انه لقول رسول كريم (ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين) عند الله فى علمه

كرمه وجوده لما خلق الافلاك ولا أوجد الاملاك فهو مظهر للرحمة الالهية التي وسعت كل شيء من الحقائق الكونية المحتاج الى نعمة الايجاد ثم الى منحة الامداد ويتصره القول بانه مبعوث الى كافة العالمين من السابقين واللاحقين فهو بمنزلة قلب عسكر المجاهدين والانبياء مقدمته والاولياء مؤخرته وسائر الخلق من أصحاب الشمال واليمين ويدل عليه قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ومن جملة انذاره للملائكة قوله سبحانه وتعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ويقويه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت الى الخلق ١٠٦ كافة وقد بينت وجه ارساله الى الموجودات العلوية والسفلية في رسالتى المسماة بالصلاة العلية في الصلاة المحمدية

(وروى عن جعفر بن محمد) أي الباقر (الصادق) نعت لجعفر (في قوله تعالى فسلام) أي فسلامة من كل ملامة (لك) أي لرحمتك (من أصحاب اليمين) خبر سلام أي حاصل من أجلهم ولو كان من أعظمهم واجلهم (أي بك) أي أي بسبب وجودك أو كرمك وجودك (انما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بالشفاعة العظمى فانها شاملة للنفوس العليا والسفلى من الاولى والاخرى فشملت رحمته في الابتداء والانتهاء في الدنيا والعقبى وقال التلمساني لمحمد روى باللام والباء واللام تعليلية والباء سببية فتكون كرامته مضافة الى ضمير الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى انتهى والنسخ المصححة والاصول المعتمدة على الاضافة الى المفعول وهو الظاهر في المعنى قال الدلجي أي من أجل اكرام الله اياه فوضع الظاهر موضع المضمر والاظهر انه التفات من الخطاب الى الغيبة ثم أغرب الدلجي ان من على هذا زائدة ويجوز ان تكون بمعنى لام التعدية أي لسببك وقع السلام لاصحاب اليمين من أجل اكرام الله تعالى اياك وماقاله تكلف بعيد انتهى والكل تكلف بل تعسف ووجه التحقيق انه أراد ان الخطاب في ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم والتقدير فسلامة عظيمة لاجلك وبسببك حاصلة لاصحاب اليمين وقوله من أجل توضيح لقوله بك اما بطريق عطف البيان أو على سبيل الاستئناف والالتفات في التبيان وهذا التأويل خلاف ماقاله أهل التفسير فسلام لك ياصاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين أي يقال له سلام لك أي مسلم لك انك منهم أو يا محمد انك لاترى فيهم الا ماتحب من سلامتهم من العذاب وان منهم من يقول يوم القيامة سلام عليك

أي في حكمه وقضائه اذ ثناء العظيم يقتضي رضاه وقبوله وهو لا يرضى ويقبل الا من كان مرحوما مقربا فلما علم ذلك من القرآن الذي هو رحمة نازلة بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم اطمأن خاطره وامن سوء الخاتمة واما ماورد من انه قال ماجفت لى عين منذ خلقت النار مخافة ان أعصى فيقذفنى فيها وان الله تعالى قال له لم تبكى وقد أمنتك فقال من يأمن مكرك كما في الاحياء فهو لا ينافي ماذكر لان المقرب لا يزال خائفا ممن يهابه فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون أو لانه من عظمة الله هل يذهل عن الامان وقد مدح في الآية بامور منها القوة وهي معلومة من الاحاديث الواردة في اقتلاع المدائن والجبال واهلاك صيحة كل من سمعها وهبوطه الارض وصعوده في طرفة عين الى غير ذلك ومكانته منزلته عند الله جلت عظمته وشانه ولذا قال عند ذى العرش ولم يقل الله ونحوه وقربه من سرادقات عزه الى مالم يصل اليه غيره من المقربين وهو مطاع في السماء والارض أمين على سر الغيب والوحى وموازين القيامة لكن سيأتى انهم اختلفوا في رسول كريم وان الاصح انه جبريل عليه الصلاة والسلام لقوله (ولقد رآه بالافق المبين) فان الرائى هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المعبر عنه بصاحبكم والمرئى جبريل في صورته الاصلية واكثر المفسرين ان المطاع الامين سيد العالمين وقدم ان أمنت بزنة علمت مبنى للفاعل وقال التلمسانى انه مبنى للمفعول بضم الهمزة ولم يزد على ذلك ولم يسنده لرواية والمشهور خلافه وعليه فان كان بتشديد الميم فهو ظاهر وان كان بتخفيفها فهو ركيك جدا لانه ان كان من الامانة ضد الخيانة فهو غير مناسب للمقام وان كان من الامن فكذلك لا لان أمن لازم فانه متعد ألا ترى (قوله لا يأمن مكر الله) بل لان مفعوله الثانى يكون من المعانى دون الذوات فيحتاج لتقدير وحذف على ان اصله أمن سوء عاقبتى ومثله لا داعى له وكريم بمعنى جامع لانواع الخير ففيه شهادة له بعلو الرتبة وليس المراد كريم مرسله كما قيل به في ألقى الى كتاب كريم وان جاز وفسره المصنف رحمه الله تعالى فيما سيأتى في الكلام على هذه الآية في الفصل الخامس من هذا الباب بقوله أي كريم عند مرسله (وروى عن جعفر بن محمد الصادق) تقدمت ترجمته قريبا في قوله تعالى في سورة الواقعة (فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) في هذه الآية وجوه ذكر منها هنا ماروى عن جعفر الصادق لمناسبته لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة ونعمة تامة ولما عقد له الفصل من ثناء الله عليه وهو قوله (فسلام) أي سلامة (لك) يا محمد (من أصحاب اليمين أي بك) فسره به بناء على ان اللام تعليلية والعلة والسبب متقاربان وان فرق بينهما أي لاجلك واجل كرامتك ومعناه انه (انما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) قد جعل الله في هذه الآية

الآية من حضره الموت ثلاثة أقسام مقربين وأصحاب اليمين ومكذبين ضالين والمقربون فسرهم ابن عطية بوجهين الاول الاصناف الاربعة المنعم عليهم في قوله تعالى أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والثاني من لا حساب عليهم من المؤمنين وقد فسر به السابق أيضا في قوله تعالى ومنهم سابق بالخيرات أو أصحاب اليمين من غلبت حسناته سيئاته أو عفي عنه ولو بعد حين والمكذبون الضالون الكفرة والمنافقون وله تفصيل في التفسير لا ينبغي تكثير السواد به هنا وفسر مكي قوله (فسلام لك من أصحاب اليمين) بان الله سلمه من عذابه قيل وعليه المخاطب بقوله لك المحتضر المذكور أولا وأصله فسلم أيها المحتضر سلاما حاصلا لك فحذف الفعل ورفع سلام بعد نصبه مفعولا مطلقا ليدل على الدوام والاستمرار وقوله لك صفة سلام ومن تعليلية أي من أجل انك من أصحاب اليمين وقيل المخاطب بقوله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسلام مبتدأ ولك خبره ومن أصحاب اليمين حال من الضمير المستكن في الخبر أي فلك يا محمد سلامة من جهة أصحاب اليمين أو من أصحاب اليمين خبره ولك حال واللام تعليلية أي سلامة وأمن من عذاب الله من جهة أصحاب اليمين حال كون ذلك لاجلك لشفاعتك فيهم وهذا مراد جعفر وقدم الجار والمجرور الذي هو حال على عامله وهو متعلق من أصحاب اليمين لافادة الحصر أي انما سلم أصحاب اليمين لاجلك ومن للابتداء أي سلامة ظهرت منهم انما هي لاجلك فليست انما المجرد المبالغة لان أصحاب اليمين لم يكونوا مقربين ففيهم مما يقتضي عدم السلامة فكانه قيل انما سلموا لاجلك ولكرامتك على الله تعالى ولا قلب في الآية وقال قتادة المعنى سلموا من عذاب الله وسلمت عليهم الملائكة أو المعنى لك يا محمد منهم سلام تحية اذ يزورونك في الجنة وقيل المعنى يدعون لك بان يصلي الله ويسلم عليك أو هو تحية أصحاب اليمين في السلامة هنا أقوال هذا محصل ما في بعض الشروح على طول فيه وهو رد لما في شرح ابن الحنبلي من انه على قول جعفر الصادق في الآية قلب والمعنى فسلام منك حاصل بالمعنى المذكور لهم ففسر لك بقوله بك لانه واقع موقع منك أي من أجلك وفي القلب تنبيه على شرف أصحاب اليمين كما في عكس التشبيه في نحو قوله

وبدا الصباح كأن غرته ❊ وجه الخليفة حين يمتدح

فان افادة الآية ان ليست سلامتهم الا من أجل كرامتك بمعونة المقام فانما المبالغة مع الحصر والا فلمجرد المبالغة كما في الجنى الداني عن ابن عطية ان انما الاتنا رقها المبالغة فان ساعد المعنى على الاصح صح والا بقيت للمبالغة وقيل المعنى فسلام لك منهم لانهم معك في الجنة واللام بمعنى على وقيل معناه تقول الملائكة لمن مات من أصحاب اليمين مبشرين له ببشارتين سلام لك انك من أصحاب اليمين انتهى أقول الظاهر ان مراده ان السلام بمعنى السلامة من العذاب واللام تعليلية بمعنى الباء كما مر وقوله انما الى آخره بيان لحاصل المعنى المراد وأصحاب اليمين بمعنى الفائزين لان اليمين يتبرك بها كما يتشأم بالشمال ولك متعلق بمقدر وهو كائن ومن متعلقة بمعدود أي سلامة المعدود من أصحاب اليمين لاجلك أولك متعلق به مقدم من تأخير لافادة الحصر أي لم يجعلهم الله تعالى من أصحاب اليمين الا بسببك أي لاتباعهم أو لشفاعتك لهم وفيه اقامة الظاهر مقام الضمير وتوضيحه ان في الآية معان كما مر اختار منها المصنف رحمه الله تعالى ما ذكر لافادته من ثناء الله على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فان اما فصل بينها وبين جوابها بشئ من اجزاء الجواب مفردا وفي حكمه كجملة الشرط فما بعد الفاء جملة هي جواب الشرط وسلام مبتدأ لان اصله سلامتهم ولك خبره ومن أصحاب الخ حال من المضاف المقدر أو من الضمير المستتر في الخبر والمعنى ان كان من أصحاب اليمين فسلامتهم لاجلك وان كانوا من أصحاب اليمين والحصر من سياق التقسيم أو من التعليل ولا قلب كما توهم فتدبر

(وقال الله تعالى الله نور السموات والارض) أي منورهما كما قرئ به ومظهر ما خلق فيهما أو موجد أنوارهما (الآية) بالنصب ويجوز رفعها وخفضها أي اقرأها أو هي معلومة أو الى آخرها والمراد ما بعدها وهو قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم وقد أوضحت معنى الآية في الرسالة المسماة بالصلاة العلية في الصلاة المحمدية عند قوله اللهم صل وسلم على نورك الاسنى واعلم أن النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة ويستحيل اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف ونحوه من نوع تأويل (قال كعب) وفي نسخة كعب الاحبار بالحاء المهملة وهو كعب بن ماتع بالمثناة فوق أدرك زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره وأسلم في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقيل في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وقيل أدرك الجاهلية وصحب عمر وأكثر ما روى عنه وأيضا روى عن جماعة من الصحابة وروى عنه أيضا جماعة من الصحابة والتابعين وكان يسكن حمص وكان قبل اسلامه على دين اليهود ويسكن اليمن توفي في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين متوجها للغزو ودفن بحمص ويقال له كعب الحبر أيضا بفتح الحاء وكسرها الكثرة علمه أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وأغرب شارح حيث قال هو كعب بن مالك الانصاري (وابن جبير) وهو سعيد بن جبير أحد أكابر التابعين والعلماء العاملين روى عن ابن عباس وغيره وعنه أمم من المحدثين أخرج له الجماعة في كتبهم الستة وكان أسود الصورة وأنور السيرة مستجاب الدعوة قتل سنة خمس وتسعين وهو ابن تسع وأربعين شهيدا في شعبان ومما يدل على كماله في اليقين وتمكنه في الدين ما روى انه لما دخل على الحجاج بعد ارساله اليه قام بين يديه فقال له أعوذ منك بما استعاذت مريم اذ قالت أعوذ بالرحمن

منك ان كنت تقيا فقوله ما اسمك قال سعيد بن جبير وقال شقي بن كثير فقال أمي أعلم باسمي قال شقيت وشقيت أمك فقال الغيب يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا تلظى فقال لو علمت ان ذلك بيدك ما اتخذت الها غيرك قال لاوردنك حياض الموت فقال اذا أصابت اسمي أمي يعني اذا كنت شهيدا أكون سعيدا قال فما تقول في محمد قال نبي ختم الله تعالى به الرسل وصدق به الوحي وأنقذ به من الجهالة امام هدى ونبي رحمة قال فما تقول في الخلفاء قال لست عليهم بوكيل وانما استحفظت أمر ديني قال فأيهم أحب اليك فقال أحسنهم خلقا وأرضاهم لخالقه وأشدهم منه فرقا قال فما تقول في علي وعثمان أفي الجنة هما أم في النار قال لو دخلت فرأيت أهلهما لاخبرتك فما سؤالك عن أمر غيب عنك قال فما تقول في عبد الملك بن مروان قال فمالك تسألني عن امرئ أنت واحد من ذنوبه قال فمالك لم تضحك قط قال لم أر ما يضحكني من خلق من التراب والى التراب يعود قال فاني أضحك من اللهو قال ليست القلوب سواء قال فهل رأيت من اللهو شيئا قال لا فدعا بالزمر والعود فلما انفخ فيه بكى فقال له الحجاج ما يبكيك قال ذكرني يوم ينفخ في الصور وأما هذا العود فمن نبات الارض وعسى ان يكون قطع في غير حقه وأما هذه المثاني والاوتار فان الله سيبعثها معك يوم القيامة قال فاني قاتلك قال ان الله وقت وقتا أنا بالغه فان أجلي قد حضر فهو أمر قد فرغ منه ولا محيص ساعة عنه وان تكن العافية فالله أولى بها قال اذهبوا به فاقتلوه قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له استحفظ لها يا حجاج حتى ألقاك يوم القيامة فامر به ليقتل فلما تولوا به ليقتلوه ضحك فقال له الحجاج ما أضحكك قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك ثم استقبل القبلة فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين قال فحولوه عن القبلة قال فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم قال اضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى قال اضربوا عنقه قال اللهم لا تحل له دمي ولا تمهله بعدي فلما قتله لم يزل

(وقال الله تبارك وتعالى الله نور السموات والارض الآية) أي اقرأ الآية أو اذكرها وهي (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الى آخره وفي هذه الآية اسرار ولطائف أفردها بالتأليف الامام الغزالي في كتاب سماه مشكاة الانوار وفيه فوائد جمة وكذا الامام السهيلي (قال كعب) هو كعب الاحبار بن ماتع بالمثناة الفوقية ابن هينوع ويقال عمرو بن قيس بن معز بن جسم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن حمير بن قطن بن عوف بن زهير بن أيمن بن حمير بن سبا الحميري الشافعي أدرك زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره وأسلم في خلافة أبي بكر وقيل في خلافة عمر وصحبه وأكثر الرواية عنه وعن غيره من الصحابة وروى الصحابة عنه أيضا وكان أدرك الجاهلية على اليهودية وسكن اليمن ثم سكن حمص بعد اسلامه وبها توفي في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين ويقال له كعب الحبر بفتح الحاء المهملة وكسرها لكثرة علمه ويأتي فيه كلام متعلق به وأخرج له أصحاب السنن وغيرهم (وابن جبير) هو سعيد بن جبير الوالبي مولاهم أبو عبد الله أو أبو محمد التابعي العابد الزاهد الثقة أحد أعلام رواة الحديث وروى عن ابن عباس وغيره وروى عنه من لا يحصى وخرج له أصحاب السنن وغيرهم وقتله الحجاج ظلما في سنة خمس وتسعين ولم يسلط على أحد بعده بدعوته رضي الله تعالى عنه

دمه يغلي حتى ملأ أثواب الحجاج وفاض حتى دخل تحت سريره فلما رأى ذلك هاله وأفزعه فبعث الى بياذوق المتطبب فسأله عن ذلك فقال لانك قتلته ولم يهله ذلك ففاض دمه ولم يجمد في نفسه ولم يخلق الله شيئا أكثر دما من الانسان فلم يزل به ذلك الفزع حتى منع منه النوم فيقول مالي ولك ياسعيد بن جبير ستة أشهر ثم ان بطنه استسقى حتى انشق فمات فلما دفن لفظته الارض وبقي بعد سعيد ابن جبير ستة أشهر ونقل ان السجون عرضت بعد موته فوجد فيها ثلاثة وثلاثون ألفا من المظلومين وقد أحصى من قتله صبرا فوجد مائة ألف وعشرين ألفا (المراد بالنور) أي بنوره (الثاني هنا) أي في تتمة هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اقوله (وقوله مثل نوره أي نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) على انه عطف بيان لما قبله وبهذا يندفع ماقاله الدلجي في قوله هنا أي في هذه الآية من قوله مثل نوره هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فضميره لله تعالى وقوله مثل نوره أي نور محمد عليه الصلاة والسلام ان كان قولهما فهو مناقض لماقبله الا أن يقال الاضافة بيانية أي مثل محمد الذي هو نوره هو بعيد أو لغيرهما فلا تناقض انتهى والاظهر أن يقال المراد بالنور محمد والتقدير مثل نور الله الذي هو مشرق ظهوره ومظهر نوره في عالم الكون بخلقه وأمره حسب قضائه وقدره كمشكاة الى آخره فان النور عبارة عن الظهور وقد انكشف به الحقائق الالهية والاسرار الاحدية والاستار الصمدية وبه أشرقت الكائنات وخرجت عن حيز الظلمات وبه صلى الله تعالى عليه وسلم فسر بعض المفسرين قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين

عنه عليه بذلك وقصته معه مشهورة (المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) النور من نار ينور اذا نفر ومنه نوار للظبية وبه سميت المرأة فوضع لانتشاره أولا زالته الظلام فكأنه ينفر منه ثم أطلق على الله وعلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى القرآن كما في هذه الآية وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في دعائه اللهم لك الحمد نور السموات والارض ومن فيهن والنور كما بينته في عناية القاضي عند الحكماء كيفية تدركها الباصرة أولا وبواسطتها سائر المبصرات كما يفيض من النيرات على الاجرام الكثيفة وزعم بعضهم انه اجرام صغار تنفصل من المضيء فتتصل بالمستضيء كما فصلوه في كتبهم ويقرب منه الضوء الا أن الزمخشري قال الاضاءة فرط الانارة فقيل انه جعل الضوء أبلغ من النور لقوله تعالى (جعل الشمس ضياء والقمر نورا) وأنكره في الفلك الدائر وقال ليس له في اللغة شاهد ولا في الاستعمال مساعد وقد سوى بينهما ابن السكيت ولا دليل في الآية وأجيب بان كلام ابن السكيت بحسب أصل الوضع وما ذكر بحسب الاستعمال كما في الاساس والتحقيق ما في الكشف من أن الضوء فرع النور وهو الشعاع المنتشر ولذا أطلق النور على الذوات دون الضوء ولكون الابصار بعد حلية الضوء كان فيه مبالغة من جهة أخرى وتنويره ماحققه في الروض الانف في قول ورقة

ويظهر في البلاد ضياء نور ❊ يقوم به البرية أن تموجا

بان في البيت مايوضح الفرق بينهما فان الضياء الشعاع المنتشر عن النور فالنور أصله ومبدؤه كما قال تعالى (فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم) وجعل الشمس ضياء لان القمر لا ينتشر عنه ما ينتشر عنها لاسيما في طرفي الشهر ولذا سمى الله القمر نورا دون ضياء فعلم أن بينهما فرقا لغة واستعمالا وان في كل منهما أبلغية من جهة وان اطلاق النور على الله وجهه ظاهر فسقط ما قيل ينبغي أن يكون النور على الاطلاق أقوى لقوله تعالى (الله نور السموات) لكنه انما يتجه اذا لم يكن بمعنى المنور والظاهر ان اطلاق النور على الله مجازا ما بمعنى المنور أو استعارة الا ان الغزالي رحمه الله تعالى قال في المشكاة انه حقيقة لان النور معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره ثمان فهمت فهو نور على نور وهو ميل لما قاله الاشراقيون قال العلامة في شرح حكمة الاشراق (الله نور السموات والارض) لا بمعنى منورهما على ما يقوله بعض المفسرين هربا من اطلاق اسم النور عليه بل بمعنى انه محض النور البحت وان سائر الانوار من نوره انتهى وقد عرفت ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمي نورا أيضا فتفسير النور الثاني به كما قالوه ظاهر الا ان قوله يأتي مافيه (وقوله تعالى مثل نوره أي مثل نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) والمثل المماثل والمشابه والصفة العجيبة وللامام الغزالي كلام لطيف في النور نورده وان طال لان كلام الحبيب لا يمل وهو النور يشير الى الظهور وهو أمر اضافي فقد يظهر الشيء لانسان ويبطن عن غيره واضافة الظهور الى الحواس الدراكة أقوى وأجلاها حاسة البصر والاشياء بالنسبة اليها ثلاثة أقسام منها مالا يبصر بنفسه كالاجسام المظلمة ومنها ما يبصر ولا يبصر به غيره كالشمس والسراج والنور اسم لهذا القسم الثالث وهو عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر عنده غيره وقد يطلق على ما يفيض منه على ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال وقع نور الشمس على الارض ولما كان سر النور وروحه هو الظهور للادراك كان الادراك موقوفا على وجود النور فهو الظاهر المظهر واسم النور

بالنور الباصر أحق منه بالنور فلذا أطلقوا على نور العين المبصرة وقالوا للاعمى فقد نور البصر فسموا الروح الباصرة نورا الا أنه موسوم بانواع النقصان فان يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا مابعد ولا هو وراء حجاب و يبصر الظاهر دون الباطن ولا يبصر مالا يتناهى و يغلط كثيرا فيرى الكبير صغيرا وعكسه والبعيد قريبا وعكسه والساكن متحركا والمتحرك ساكنا ثم ان قلنا ان في قلب الانسان روحا ونفسا انسانية وعقلا وهو أولى باسم النور لسلامتها من تلك النقائص الا ان المبصرات ليست عندها متساوية لتفاوتها بالبداهة ونحوها وعند اشراق أنوار الحكمة يصير العقل مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة وأعظم الحكمة كلام الله تعالى فنزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ يتم به الابصار فلذا سمى القرآن نورا فقال والنور الذى أنزلنا فالعين عينان عين ظاهرة هى من عالم الشهادة وعين باطنة هى من عالم الغيب دقيقة اذا كان مايبصر نفسه وغيره أولى باسم النور فان كان من جملة مايبصر به غيره أيضا مع انه يبصر نفسه وغيره فهو أولى باسم النور من الذى لا يؤثر فى غيره أصلا بل بالحرى وان يسمى سراجا منيرا الفيضان أنواره الى غيره وهذه الخاصة توجد للروح القدسى النبوى اذ تفيض بواسطته أنوار المعارف على الخلائق وبهذا ظهر معنى تسمية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم سراجا منيرا وكذا الانبياء والعلماء وان تفاوتوا والذى يقتبس منه السراج جدير بان يكنى عنه بالنار وهى التى تونس من جانب الطور وهذه السرج الارضية انما تقتبس من أنوار علوية والروح القدسى النبوى يكاد زيته يضىء ولو لم تمسه نار ولكن انما يصير نورا على نور اذا مسته النار و يقابل النور الظلمة ولا ظلمة أشد من كتم العلم انتهى وقد اعترض على عبارة المصنف رحمه الله تعالى بانها غير محررة وآخرها مناف لاولها لان أولها يقتضى ان النور أطلق على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هنا فانه يطلق عليه كما مر فاذا كان المراد بالنور فى قوله مثل نوره صلى الله تعالى عليه وسلم فاللائق التفريع وان يكون الضمير راجعا لله سبحانه والمعنى مثل نوره أى نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصح بوجه والموافق ان يقول نور الله أى محمد وأجيب بانه غير وارد لانه ليس كلاما واحدا صدر من كعب وابن جبير بل كلامان أولهما لابن جبير وثانيهما لكعب على اللف والنشر المشوش وذلك مغن عما قيل من أن اضافة النور لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم بيانية فالنور منحصر فى ذاته وعلى غيره الاضافة للتشريف والتعظيم بانه ليس فى كلامه قرينة تدل على ماقاله ولم يقله غيره والمنقول عن كعب وابن جبير ان الضمير المجرور لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما نقله المصنف عنهما وهو المنقول فى تفسير القرطبى والوقف الحسن على الله نور السموات والارض فقول المصنف رحمه الله تعالى المراد بالنور الثانى محمد يعنى به المقصود من النور الثانى ماهو شأن محمد فليس محمولا عليه حمل هو غايته انه تجوز فى العبارة وهذا أقرب وأسلم من التكلف الا أنه لا ينبغى منع كون الاضافة بيانية أيضا أقول هذا محصل ماقالوه من الاعتراض والجواب وأنت اذا تاملته رأيته متعسفا ومثله لا يخفى على هؤلاء والذى ظهر لى ان النور الثانى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق المجاز والاول هو الله أضيف لجميع مخلوقاته للتعميم والثانى مضاف لله التشريف والتعظيم والثالث اضافته كلجين الماء أتى به بيانا للتشبيه الذى بنيت عليه الاستعارة فالمعنى انه نور عم نوره جميع مخلوقاته وخص نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم باوفر اسم منه فسماه باسمه وألبسه حلته كما ألبسه الرأفة والرحمة ثم فسره بنور محمد أى هو محمد النور المبين وبهذا ترتبط الآيات بما قبلها ويأخذ كلام المصنف بعضه بحجز بعض فينشط من الاشكال كما ينشط الفحل من العقال وفى نسخة أى محمد باسقاط مثل ولا غبار عليها (وقال سهل بن عبد الله) بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التسترى كما سيأتى الصالح المشهور الذى لم يسمح الدهر بمثله علما وورعا وله كرامات مشهورة صحب

(سهل بن عبد الله) هو التسترى منسوب الى تستر قال النووى هو بمثناتين من فوق الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة مدينة بخوزستان وقال التلمسانى والتاء آن مضمومتان وقيل بضم الثانية وتفتح وقيل بفتح فقط وقيل بفتح الاولى و بضم الثانية و يقال ششتر بشينين معجمتين من أعمال الاهواز وقيل بخوزستان انتهى وفى القاموس تستر كجندب بلد وبشينين معجمتين لحن وسورها أول سور بعد الطوفان وقد روى انه كان صاحب الكرامات العالية ولم يكن فى وقته له نظير فى المعاملات ولم يزل يشتغل فى الرياضة العملية الى أن كان يفطر فى كل يوم على أوقية من خبز الشعير بلا ادام فكان يكفيه لقوته درهم واحد فى عام وهو مع ذلك يقوم الليل كله ولا ينام وأسلم عند وفاته يهود نيف على السبعين لما رأوا الناس انكبوا على جنازته وشاهدوا أقواما ينزلون من السماء فيتمسحون بجنازته و يصعدون و ينزل غيرهم فوجا بعد فوج وقد توفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين

ذا النون المصرى بمكة وتوفى سنة ثلاث وثمانين فى المحرم وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائتين بالبصرة ومولده سنة مائتين وقيل احدى ومائتين بتستر وهى بلدة من كور الاهواز ويقال ششتر بمعجمتين وبها قبر البراء بن عازب وقال النووى رحمه الله تعالى هى بمثناتين من فوق الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة ساكنة مدينة بخورستان (المعنى الله هادى أهل السموات والارض) هذا التفسير هو المأثور عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقال الامام الرازى فى شرح الاسماء الحسنى هذا حسن الا أن تفسيره بما ذكر فى الاسماء الحسنى التسعة والتسعين لا يجوز لانه يصير تكرارا محضا واجيب بانه يجوز ان يكون الهادى اعم كما قالوه فى الرؤف الرحيم أو يعتبر فيه هداية بالغة الى حد لا يتناهى فيحصل به المغايرة فى الجملة كالرحمن الرحيم وقوله لا يجوز لا وجه له فان له نظائر فى هذه الاسماء وفى شروح الكشاف معنى نور السموات والارض هادى العالمين مبين ما يهتدون به ويتخلصون من ظلمات الكفر والضلال بوحى منزل ونبى مرسل والتأويل الذى عليه التعويل ما يساعده النظم سياقا وسباقا وما قبله من قوله تعالى (سورة أنزلناها) الى هنا اشارة الى ضمن ما بين من الاحكام الى نزاهة المؤمنين وطهارة ساحة أفضل المرسلين هدانا بها الى معالم الحكم ثم ذكر بعدها انه الهادى ثم قال (يهدى الله لنوره من يشاء) فاخذ الكلام بعضهم بحجز بعض فما قيل من ان تشبيهه بالنور فى الهداية وبناء كلام ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عليه مستبشع عندى كلام لا وجه له فاى استبشاع فى مثله وفى ذكر أهل اشارة الى ان الاضافة فى الآية للسموات والارض مجازية تجوز فى نسبتها الاضافية كما فى قوله تعالى (مالك يوم الدين) أو هو بتقدير مضاف والاول أولى وفى بعض الشروح الرواية عن المصنف رحمه الله تعالى قراءة عليه نصب أهل والمعروف الكسر ثم (قال) أى سهل رضى الله تعالى عنه (مثل نور محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذ كان مستودعا فى الاصلاب) وفى نسخة فى اصلاب آبائه وهذا من تتمة تفسيره المذكور وقيل انه على تفسير آخر منقول عن سهل أيضا كما نقله عنه البغوى فى تفسيره والظاهر الاول لان قوله ثم الى آخره نص فيه والضمير المستتر فى كان راجع لنور محمد أو لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه ورجحه بعضهم بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى صلب آبائه لا نوره وفيه نظر أى مثل نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وصفته العجيبة وقت كونه فى الى آخره والاصلاب جمع صلب بضم فسكون وقد تضم اللام اتباعا وفيه لغات تقدمت وأصل معناه الشديد فسمى به الظهر وعظم فيه ممتد ما بين الكاهلين الى عجب الذنب وهى فقار الظهر الممتدة فيه كالسلسلة قيل كان نوره صلى الله تعالى عليه وسلم فى جبهة آبائه من آدم الى أبيه عبد الله وهو نور حسى كالقمر فى الليلة الظلماء والمستودع فى الاصلاب مادة جسمه اللطيف والنور تابع لتلك المادة وكان يظهر فى أمهاته أيضا كما ورد فى صحيح الاخبار واستيداعه فى الاصلاب وجوده فيها كما قيل

أنواره كانت بجبهة آدم ※ لا تختفى عمن له عينان

وبصلب آدم كان وقت هبوطه ※ وبصلب نوح وهو فى الطوفان

※ قلت أنكر اولا أن يكون النور فى الاصلاب ثم اعترف به وكونه تابعا للمادة يقتضيه اقتضاء ظاهرا والمستودع بالفتح سيأتى بيانه (كمشكاة صفتها كذا) فى نسخة وصفها كذا وكذا كناية عن قوله (فيها مصباح) الى آخره فانها استعملت كذلك أى صفة نور محمد صلى الله عليه وسلم كصفة نور مشكاة والمشكاة كوة غير نافذة والكوة بفتح الكاف وضمها اسم ما لا ينفذ ولا يخرج وقيل انها معربة من الحبشة وقيل هى القنديل وقيل هى موضع الفتيلة وقيل معلاقه والمصباح القنديل وقيل الفتيله ماخوذ من الصباح أو الصباحة والسراج الفتيلة المرقودة والناس يطلقه على محلها وهو مجاز مشهور

(المعنى) أى معنى الآية كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (الله هادى أهل السموات والارض) أى فهم بنوره يهتدون وبظهوره يوحدون ففسر النور بالهادى لان النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره وقدر المضاف ليتعلق كمال هدايته بارباب ولايته (ثم قال) أى سهل بن عبد الله (مثل نور محمد) أى صفة نوره العجيبة الشأن الغريبة البرهان (اذا كان) أى حين صار (مستودعا) بفتح الدال أى مودعا (فى الاصلاب) أى اصلاب الآباء أولهم آدم عليه الصلاة والسلام من الانبياء فنوره صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل صلب انتقل اليه (كمشكاة صفتها كذا) أى كصفة كوة غير نافذة موصوفة بكونها فيها مصباح أى سراجا أو فتيلة المصباح فى زجاجة أى قنديل من الزجاج الزجاجة كانها الى آخرها فشبه مادة جسمه وقالبه فى اصلاب الآباء السالفة بالكوة فى الحائط التى ليست نافذة مع قوله

(وأراد بالمصباح قلبه والزجاجة) أى وأراد بالزجاجة (صدره أى كأنه) يعنى صدره المعبر به عن الزجاجة (كوكب) أى نجم (درى) بضم أوله وتشديد آخره أى مشرق يتلألأ كأنه منسوب الى الدر المضىء وتخفيف ياء فهمز نسبة الى الدرة بمعنى الدفع فكأنه يدفع الظلام بنوره ويرفع الحجاب لظهوره وبكسر أوله مع التخفيف والهمز ولعله من تغيرات النسب كما يقال فى بصرى بصرى (لما فيه من الايمان والحكمة) أى من نور الايمان والايقان والمراد بالحكمة نور النبوة والايقان على وجه العيان (توقد) بصيغة المجهول من أوقد مذكرا ومؤنثا وتوقد بصيغة الماضى المعلوم فقراءة التأنيث مرجعها الزجاجة وقراءة التذكير مرجعها المصباح الزجاجة على حذف المضاف (من شجرة مباركة) أو مبتدأة منشئة من شجرة كثيرة البركة زيتونة لا شرقية ولا غربية (أى من نور ابراهيم عليه الصلاة والسلام) اذ هو أصل شجرة التوحيد وفضل ثمرة التفريد (وضرب) بصيغة المفعول أو الفاعل أى بين وعين (المثل بالشجرة المباركة) وعين قطوبى الشجرة لها هذه الثمرة فجعل عليه الصلاة والسلام لكونه معدن أسرار عوارف المنافع وأنوار لطائف الشرائع الذين هم أكابر الانبياء واتباعهم الاصفياء اذ غاليهم بل كلهم بعده من ذريته فهو شجرة النبوة مشبهة بشجرة مباركة زيتونة لكثرة نفعها اذ هو فاكهة وادام ودواء ودهن لضياء والحاصل ان نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انتقل من آبائه الكرام الى ان ظهر ظهورا بينا فى ظهر

هذا معناه لغة وأما المراد هنا فأشار اليه المص بقوله (وأراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره) الزجاجة بالضم وهى مثلثة لكن هذا أعرفها وأفصحها وعلى ما ذكره المص تكون المشكاة جسده الشريف وكون القلب فى الصدر أى فى جانبه الايسر مما لا شبهة فيه وهذا من تتمة كلام سهل وقيل انه ليس منه وللسلف تفاسير أخر هنا منها ان المشكاة ابدان آبائه والزجاجة اصلابهم والمصباح نوره صلى الله عليه وسلم المستودع فيهم كما سيأتى فى شعر العباس رضى الله تعالى عنه وانما جعل المصباح فى المشكاة لانه يكون فيها أقوى ضوأ وقيل المشكاة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فالزجاجة اسماعيل عليه الصلاة والسلام والمصباح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (أى كأنه) أى صدره الشريف (كوكب درى) فى الزاهر لابن الانبارى الدرى الكوكب المضىء وفيه خمس لغات ضم الدال وكسرها وفتحها مع الهمز وبدونها مشدد الياء قيل انه منسوب الى الدر لحسنه وصفائه فوزنه فعلى وهو بالضم والهمز فعيل من درأ الكوكب جرى أو دفع أو طلع بغتة وهو شاذ لان فعيل من ابنية العرب ومريق اسم العصفر أعجمى وعده سيبويه رحمه الله تعالى من أبنيتهم وقال أبو عبيدة أصله درو كسبوح فجعلت الضمة كسرة والواو ياء كما قالوا فى عتو عتى ومن قال درى بكسر الدال كسره من اجل الياء التى بعد الراء مجانسة لها ومن قال انه منسوب للدر بناه على عدم فعيل فالهمزة من تغييرات النسب وعلى الكسر هو فعيل كشريب وسكيت صفة مشبهة وهو أفصحها والضم نادر والقول بانه لحن غير صحيح بعد وروده فى القرآن واما درىء بفتح الدال والهمز فشاذ لا نظير له الا السكينة بفتح السين فى لغة حكاها أبو زيد فدرى بمعنى متلألئ أى مشرق غاية الاشراق ولم يجعلوا الضمير للقلب لاستتاره قيل ولم يشبه بالشمس أو القمر لما يعرض لهما من الخسوف والكسوف ورد بان المصباح يعرض له الانطفاء بالكلية وهو قابل له فى كل أوقاته فالصواب ان يقال ان هذا أوفق بالتشبيه باعتبار ان النيرين لا يحويهما مكان ضيق منيران فيه وأيضا أشراقهما عام للبر والفاجر بخلاف المصباح ولو تركوا هذا كله لكان أحسن وقوله (لما فيه من الايمان والحكمة) ضمير فيه للصدر وجعل ذلك فيه بواسطة القلب ولو ارجع للقلب لم يبعد والحكمة العلم النافع ولا وجه لتخصيصها بعلوم القرآن وقيل المراد بها هنا النبوة كما فى قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (يوقد من شجرة مباركة) فى يوقد قراآت بالفوقية والتحتية والضم والفتح على الماضوية والمضارعية ولا تعين لشىء منها هنا وذهب بعضهم الى انه بالفوقية المفتوحة ماض كتكسر واشارة على قراءة توقد بضم المثناة الفوقية وفتح القاف المخففة لان الضمير فيها اما للمشكاة وللزجاجة والضمير فى الاول انما هو للمصباح مرادا به القنديل الذى فيه الزجاجة ونسبة التوقد اليه أولى من نسبة الايقاد اليهما وان قيل أوقد المسجد مع ما فى التوقد من النسبة المكملة للاصل المشبه به السارية الى فرعه ومن للابتداء أى ذلك المصباح يوقد من زيت هذه الشجرة ومباركة بمعنى متيمن بها لكثرة منافعها ونبتها وللزيتون بركة عظيمة مشاهدة حتى ذكر فى كتاب الفلاحة ان الحكماء يصفون شيئا من أغصانها فى بيوتهم فى كل رأس كل سنة تبركا بها (أى من نور ابراهيم) المراد بتوقد المصباح من هذه الشجرة وصول نور النبوة من أبيه ابراهيم اليه عليهما الصلاة والسلام لان النسب يشبه بالشجرة وابراهيم عليه الصلاة والسلام أبو الانبياء وجد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ودعوته (وضرب المثل بالشجرة المباركة) المثل كلام شبه مضربه بمورده وضربه ذكره كذلك من ضرب

ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ صار علما في علم التوحيد ولاسيما في باب التفويض والاستسلام فهو شجرة كثيرة الخير لان من بعده من الانبياء كلهم من ذريته وكان أكثرهم في جهة الشان من الارض التي بارك الله تعالى حولها وكان الزيتونة اشارة اليها وقوله لاشرقية ولا غربية أي حيث لا تقع الشمس عليها احيانا دون حين بل حيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة جبل مرتفعة أو صحراء واسعة فان ثمرتها تكون أنمى وزيتها أصفى أولا نابتة في شرق المعمورة ولا غربها بل في وسطها وهو توابع الشام فان زيتونه أجود الزيتون في غيرها وهذا بطريق العبارة وأما بتحقيق الاشارة فايماء الى قبلة أهل التوحيد وكعبة أهل التفريد حيث انها ليست شرقية كقبلة النصارى ولا غربية كقبلة اليهود وبالجملة اشارة الى أن الملة الحنيفية أعدل الملل الاسلامية فأهلها متوسطون بين الخوف والرجاء فلا خوف لهم يزعجهم الى بعد القنوط ولا رجاء يجرهم الى بساط الانبساط وقال بعضهم لادنيوية ولا أخروية بل جذبة الهية الى مكانة معنوية (وقوله يكاد زيتها يضيء أي يكاد نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي المقتبسة من شجرة النبوة (تبين) بفتح فوقية وكسر موحدة أي تظهر (للناس قبل كلامه) أي بادعاء النبوة حالة الرسالة لقوة مافيها من الانوار الالهية ولكونه مظهر الاسرار الصمدية (كهذا الزيت) أي في صفاء ظاهره وباطنه حيث يضيء ولو لم تمسه نار من الانوار الحسية وبعد اجتماع النبوة والرسالة والجمع بين الخلوة والجلوة نور على نور كما في اجتماع النار مع ضياء الزيت في كمال الظهور يهدي الله لنوره أي لاجل نوره وبواسطة ظهوره أو الى حضرة نوره وأخذ النور من حضوره من يشاء من خواص أوليائه وأكابر أصفيائه ويضرب الله الامثال للناس فيه أشعار بان ماقبله انما هو مثل للاستئناس ليدرك المعنى في قالب المبنى لكن لا يعقلها الا العالمون العاملون المخلصون الكاملون رضي الله تعالى عنهم وجعلنا بفضله منهم

اللبن والخاتم اذا صنعه على قالب مخصوص فضربه بمعنى بيانه ويكون المثل تشبيها واستعارة تمثيلية في الاكثر والمراد هنا الثاني لانه شبه ظهور نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المتصلة بابيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتشبيه المتصل به بمصباح أضاء بزيت من شجرة مباركة واقتصر على بعض أجزاء التمثيل لظهور مافيه وفائدة التمثيل كما في الكشاف ابراز المعقول في هيئة المخصوص لتتضح وترسخ في الاذهان ولذا أكثر في الاحاديث والكتب الالهية وفي بعض الشروح كما ضرب صدر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالزجاجة وقلبه بالمصباح ومافيه من الايمان والعلم والحكمة بالنور وضوء المصباح الذي تحقق توقده من نار زيت هذه الشجرة ووضعها بلاشرقية ولاغربية اشارة الى أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا بل حنيفا مسلما كما فسره به ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لان النصارى تصلي للشرق واليهود للغرب وعلى مااختاره المصنف رحمه الله تعالى بعد قول سهل لابد من اعتبار أن التقدير في الآية كمثل نور مشكاة كما قدرنا على قول سهل فسقط ماقيل من أن التقدير كمصباح في مشكاة أي كمثل ضوء في مشكاة بناء على أن في جانب المشبه قلبا كقوله

وكان النجوم بين دجاها ❊ سنن لاح بينهن ابتداع

وفي شرح البخاري أن هذا الذي حكاه المصنف من أن المصباح كناية عن قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والزجاجة عن صدره والشجرة عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام تاويل بعيد عن ظاهر القرآن والصحيح ماعليه جمهور المفسرين من أنه تعالى ضرب هذا مثلا لنوره وتمثالا لقصور أفهام الخلق اذ لولاه ماعرف الله قال وما أشبه هذا التأويل بتأويل المفضل قول الفرزدق

أخذنا بأطراف السماء عليكم ❊ لنا قمراها والنجوم الطوالع

لما سأله الرشيد عنه فقال أراد بالقمرين ابراهيم ومحمدا صلى الله تعالى عليهما وسلم وبالنجوم الطوالع أنت وآباؤك فقال له أحسنت انتهى وفيه نظر (وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء أي يكاد نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه) أي تكليمه ودعواه النبوة وتحديه (كهذا الزيت) تبين مضارع بان بمعنى اتضح والكلام يكون مصدرا بمعنى التكلم كقوله ❊ فان كلاميها شفاء لما بيا ❊ أو المراد به مايتكلم به فيقدر مضاف أي قبل ايراد كلامه الذي يتكلم به وقيل ان يوحى اليه فعلى هذا شبه نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بزيت أخذ من شجرة للاضاءة فان النور المحمدي المأخوذ من النور الخليلي سبب لاضاءة سراج قلبه الذي أضاء به الكون وشبه الكلام بالنار لاظهاره النبوة والدين وأورد عليه أن نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كان في الاصلاب قبل خلق جسمه الشريف ومافيه من قلب وصدر فكيف يصح تشبيه القلب والصدر بهما الا أن يقال أصل المادة موجود مع كل واحد من أجزائها الاصول موجودة في الاصلاب كما سيأتي من تعلق لروح به فيتم التشبيه والاوجه ماروى عن كعب من انه مثل ضربه الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال المشكاة صدره والزجاجة قلبه

(وقد قيل في هذه الآية) أي على ما ذكره المفسرون وأرباب العربية (غير هذا) أي غير ما ذكرنا مما يتعلق بالعبارة والعاقل تكفيه الاشارة لان الزيادة على العلامة ربما تورث الملالة والسآمة (والله تعالى أعلم وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا المواضع نورا) أي عظيما مطلقا (وسراجا منيرا) أي شمسا مضيئة حقا ولعل وجه التذكير انها كوكب والظاهر انه من باب التشبيه البليغ وكون المشبه به أقوى من حيث شهرته ووضوح دلالته العامة للخاص والعام من عالم الخلق (فقال) أي الله تعالى (قد جاءكم من الله نور) أي لظهور الحق وابطال الباطل وأطلق عليه الصلاة والسلام لانه يهتدى به من الظلمات الى النور (وكتاب مبين) بين الاعجاز ومبين الاحكام بالايجاز وهذا شأنه للمدعى الاول وبيانه أن الاصل في العطف المغايرة وقد حاول بعض المفسرين بانه من باب الجمع بين الوصفين باعتبار تغايرهما اللفظي وان المراد بهما القرآن وقد يقال في مقابلهم وأي مانع من أن يجعل النعتان للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فانه نور عظيم لكمال ظهوره بين الانوار وكتاب مبين حيث انه جامع لجميع الاسرار ومظهر للاحكام والاحوال والاخبار (وقال) أي الله سبحانه مخاطبا له صلى الله تعالى عليه وسلم (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا) أي على من بعثتك اليهم بتصديقهم وتكذيبهم أو شاهدا على جميع الشهداء من الانبياء كما يستفاد من قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وهو وما بعده أحوال مقدرة مخبرة بحيازته جميع الجهات المعتبرة (ومبشرا ونذيرا) أي منذرا ولعل وجه العدول رعاية الفواصل أو تفنن لانه العبارة في المحل القابل فهو بشير ونذير ومبشر ومنذر للمطيعين بالجنة والوصلة وللعاصين بالحرقة والفرقة (وداعيا) أي جميع الخلق (الى الله) أي الى دينه وحبه ومقام قربه (باذنه) أي بأمره وتيسيره (وسراجا منيرا) يميز بين الحق والباطل في المعتقدات وبين الحلال والحرام في المعلامات وبين محاسن الاخلاق ومساويها في الرياضات فهو الداعي بالشريعة والطريقة والحقيقة الى المراتب الحقية والدرجات العلية عليه أفضل الصلاة وأكمل التحية

والمصباح نبوته توقد من شجرتها ومحاسنه تظهر قبل الكلام وان يوحى اليه واذا فسر النور بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم المشكاة بالصدر فالمراد كمثل ذى مشكاة أو أن التشبيه باعتبار الاجزاء فلا تقدير انتهى وقيل اضاءة الزيت قبل أن تمسه النار اشارة الى ان نبوة ابراهيم التى هى بمثابة زيت تلك الشجرة وهكذا ايمانه يكاد يبين للناس قبل كلامه ولما كان قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بمثابة المصباح الذى يوقد مافيه من زيت تلك الشجرة التى تكاد تضىء ولولم تمسسه نار وكان مافيه من نور الايمان والنبوة بمثابة نور ذلك الزيت كانا بحيث يبينان للناس قبل كلامه فأشار الى ذلك مكتفيا بذكر أحدهما احالة للآخر على المقايسة بقوله لهذا الزيت والاشارة للذى فى الآية الموصوف بالاضاءة (١) قبل اقتباس النار فالايضاح كالاضاءة كما ان الخفاء كالاظلام والتكلم كامساس النار فى ترتب ظهور شئ ما عليه (وقد قيل فى الآية غير هذا والله تعالى أعلم) من الوجوه المنقولة فى التفاسير واقتصر المصنف رحمه الله تعالى بما ذكر لما فيه من الثناء على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد سماه الله فى القرآن فى غير هذا نورا وسراجا منيرا) لما ذكر أن بعضهم فسر النور فى مثل نوره بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مما استبعده كثير من العلماء أردفه بما يغنى عنه أو يدفع الاستبعاد عنه فقال ان الله أطلق عليه النور فى غير هذه الآية حيث سماه نورا على ما تقدم فى كلام الغزالى وغيره من انه المرشد الهادى للناس بما يفيض عليه من الانوار القدسية والمنير الزائد النور أو المظهر لغيره ما خفى عليه (فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) الخطاب لاهل مكة فى قوله يا أهل الكتاب قد جاءكم الخ وقد فسر النور بالاسلام والكتاب شامل للتوراة والانجيل وكانوا يخفون مافيهما من صفات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره فلذا فسر النور به وبالقرآن فسماه نورا لكشفه ظلمات الجهل والضلال ولذا وحد الضمير لاتحاد الطريق فى هدايتهما فان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن كما سيجىء (وقال الله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه) الاذن على ظاهره لان أمره أذن له أو المراد به الارادة فانه كثيرا ما يتجوز به عنها وعن الامر كما فى مجاز القرآن لابن عبد السلام رحمه الله تعالى وفسر بتوفيقه أيضا وتيسيره (وسراجا منيرا) واطلاق النور مر بيانه واطلاقه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والاسلام والقرآن فان بكل منها تتقوى البصيرة على ادراك المعقولات كما يتقوى بالنور على ادراك المحسوسات وسماه شاهدا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد على أمته بالقبول والانكار وعلى الرسل بالتبليغ وعلى أممهم وهو المبشر لهم الجنة ونعيمها والنذير بضده لمن كفر وهو الداعى الى توحيد الله وطاعته وتشبيهه صلى الله تعالى عليه وسلم بالسراج فى غاية الوضوح والبلاغة

---

(١) قوله قبل اقتباس النار هكذا وجدنا النسخ كلها حيث راجعناها وهو وان كان مناسبا من جهة المعنى الا أن سياق الآية يأبى عن ذلك فالظاهر قبل امساس النار حتى يكون موافقا للآية لمصححه

لانه يستضىء من الوحى ويضىء للناس بما أتاهم به ففيه من البلاغة ما ليس فى قوله شمسا وقمرا
ووصف السراج انه منير للتوكيد وقيل لان من السراج ما لا يضىء اذا أرق فتيله وقل زيته وقد قيل
ثلاثة تضر رسول بطىء وسراج لا يضىء ومائدة ينتظر اليها من يجىء (ومن هذا) القبيل الذى عقد هذا
الفصل لذكره من ثناء الله على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك الى آخر
السورة) الهمزة لانكار النفى ونفى النفى اثبات فناسب عطف المثبت عليه وقوله الى آخر السورة
يقتضى انها كلها ثناء من الله على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فان الكلام فيه والثناء بحسب
الظاهر انما هو فى أوائلها الى قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) قلت هذا بحسب بادى النظر كما قيل
وعند التحقيق هى كذلك بأسرها فانها تدل على نعم أنعم الله بها على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهى متضمنة للثناء عليه بما أعطاه الله تعالى من الكمال الذى لم ينله سواه ولا يدانيه فيه واحد وهو
من أبلغ الثناء ففى قوله تعالى (ان مع العسر يسرا) اشارة الى أنه ثبت جأشه لما اقتحمه من الشدائد
كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر فى مكابدة قومه وايذائهم له وهو مداوم على الدعوة والتبليغ
ثم انه بشره بانه كرر يسره وزاده على عسره فانه لا يغلب عسر يسرين على قاعدة اعادة النكرة والمعرفة
المشهورة وفى قوله تعالى (فاذا فرغت فانصب) أى اذا فرغت من التبليغ فاتعب فى العبادة اشارة الى
أنه صلى الله عليه وسلم أدى الامانة ونصح الامة وتمت له النعمة المستحقة لابلغ الشكر وهو العبادة
فالسورة كلها متضمنة لتعديد النعم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مع مدحه والثناء عليه وأمره بالشكر
على ما أولاه والابتهال اليه لا الى غيره فى كل ما ينوبه وبهذا تبين ان السورة كلها من هذا القبيل (شرح
أى وسع) الشرح قال الراغب أصل معناه بسط اللحم ونحوه ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور الهى
وقال غيره التوسعة مطلقا ولا تختص بالظرف كما قيل انه من صفات الظروف باعتبار امكان ظرفيتها
لامور فوصف القلب به باعتبار اتصافه بامور فاذا قيل شرحه أوله فهو متصف به واذا أطلق كما فى
الآية فالمراد تخليته لليقين وتحمل المشاق من غير قلق ونحوه من الكمال ويراد به الفرح وعدم
الانقباض ومنه شرحت الحديث اذا بينته وفسرته وشرحت اللحم قطعته طولا وقد فسر ما هنا بالاخير
بناء على انه بيان لشق قلبه فى صباه كما ذكره القاضى ومما يدل على ان أصل معناه الاتساع المقابل
للضيق قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا) وتفسير المصنف له بالماضى المثبت لان الاستفهام الانكارى نفى معنى ونفى النفى اثبات كما مر
ولم يقلب المضارع ماضيا واختاره فى النظم على شرح وهو أوضح وأوجز لانه أبلغ لانه ذكر الشىء بلازمه
وهو اثبات بينة لانه كناية عن الاثبات اللازم له أى ان الله وسع قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جاء
الحق ودعوة الخلق أو بما أودع فيه من العلم والحكمة أو بما يسره من تلقى الوحى بعد ما شق عليه كما
ذكره المفسرون (والمراد بالصدر هنا القلب) فهو تسمية للحال باسم المحل والظرف باسم المظروف
والقلب معروف وتفسيره بلطيفة يمتاز بها الانسان عمن عداه ليس بشىء كما مر (وقال ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما شرحه بالاسلام) وروى بالايمان أى التصديق الكامل المقرون بالعمل والكلام
عليه وعلى الاسلام ليس هذا محله أى بحلوله فيه وقبوله واذعان حقيقته واتباع مقتضاه وهذا أخرجه
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ابن مردويه وابن المنذر من طريق عطاء وابن أبى حاتم عن عكرمة
(وقال سهل) قد تقدمت ترجمته وقوله (بنور الرسالة) رداء الطيبى والرسالة هى ارسال الله اياه لتبليغ
وحيه والمعنى انه شرحه برسالة شبيهة بالنور لاظهارها للشريعة وسائر العلوم فهو كلجين الماء أو المراد

(ومن هذا) أى من الباب أو النوع أو القبيل (قوله تعالى ألم نشرح لك الى آخر السورة) استفهام أفاد انكار نفى الشرح مبالغة فى
اثباته اذ انكار النفى نفى له ونفى النفى اثبات أى قد شرحناه لك ومن ثم عطف عليه قوله ووضعنا عنك وزرك
اشارة الى المبنى ورعاية
للمعنى (ومعنى قوله شرح
وسع) بالتشديد (والمراد
بالصدر هنا القلب) لان
الصدر غير قابل للتضييق
والتوسيع أى وسع قلبه
لتجليات ربه وتنزلات
حكمه بعد ما كان يضيق
صدره لما ينعكس عليه
من غبار غيره لقوله تعالى
ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون
أى فينا أو فى القرآن أو
فيك ثم قال تعالى كتاب
أنزل اليك فلا يكن فى
صدرك حرج منه فهذا
نهى تكوين كما ان قوله
تعالى كن أمر تكوين
فيكون المأمور ولا يكون
النهى وبه ينتفى التلوين
ويتحقق التمكين المعبر
عنه بمرتبة جمع الجمع بين
مناجاة الحق ومفاداة
الخلق بحيث لا يحجبه
الكثرة عن الوحدة ولا
عكسه (قال ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما)
أى كما رواه ابن أبى حاتم
عن عكرمة وابن مردويه
وابن المنذر فى تفسيرهما
عنه انه قال (شرحه بنور
الاسلام) وفى نسخة
بالاسلام وفى أخرى بالايمان
والمعانى متقاربة المبانى
أى فسح قلبه ووسعه بسبب نور الانقياد وتفويض الامر الى المريد المراد العالم بالعباد والعباد فى جميع البلاد وفيه ايماء الى قوله تعالى
أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (وقال سهل بنور الرسالة) أى شرحه به خصوصا فلا ينافى ما تقدم عموما

عنه ومات بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وكانت أمه خادمة أم سلمة رضي الله تعالى عنها من أمهات المؤمنين فكان اذا بكى في صغره جعلت ثديها في فمه فاصاب لذلك بركة عظيمة حتى صار عالما زاهدا يضرب به المثل في كمال العلم والعمل أخرج له الجماعة في الكتب الستة (ملأه) بالهمزة أي ملأ قلبه (حكما) أي ما يحكم من الاحكام (وعلما) أي بجميع ضروريات الانام وفي نسخة بكسر الحاء وفتح الكاف جمع الحكمة فلعله أراد بها السنة وبالعلم ما يتعلق بالكتاب من جهة دلالة المعنى وقراءة المبنى (وقيل معناه ألم نطهر قلبك) من الاستئناس بالناس (حتى لا يؤذيك) وفي نسخة لا يقبل (الوسواس) أي لا يشوش عليك الموسوسون من الانس والشياطين في حالة الحضور في حضرة العيان وهو أتم وأعم من تفسير بعضهم الوسواس بالشياطين والحاصل ان الهمزة للتقدير في البيان والمعنى قد طهرنا لك صدرك ولذا عطف عليه قوله

آثارها المضاهية له لجعله معدنا للحقائق والباء للتعدية أو للسببية (وقال الحسن) هو الحسن بن أبي الحسن البصري التابعي واسمه يسار بالتحتية والمهملة وهو من أجل التابعين وهو في الزهد والعلم واظهار الحق بمرتبة عالية غنية عن البيان مكث ثلاثين سنة لم يضحك ولم يخرج من محل الطاعة ولقي كثيرا من الصحابة وتروى عنه أحاديث كثيرة وحيث أطلق المحدثون الحسن فهو المراد وجلالته لم يختلف فيها ولم يخرج وانما اختلفوا في كونه لقي عليا رضي الله تعالى عنه وروى عنه فذهب كثير منهم الى أنه لم يثبت رؤيته له ولانه ألبس خرقة المشايخ الصوفية قدس الله أرواحهم ونفعنا بسرهم على الطريقة المعروفة بينهم وذهب كثير من المحدثين الى أنها دعة لم تصح ولكن الجلال السيوطي رحمه الله تعالى صنف فيها جزأ لطيفا وقال انها ثابتة وأثبت أيضا ان الحسن رحمه الله تعالى اجتمع بعلي كرم الله تعالى وجهه وكذا ذكره الحافظ بن حجر فلا عبرة بانكار مثله وشن الحسن متحمل له والمثبت مقدم على النافي فانه مولى للانصار وولد لسنتين بقيا من خلافة عمر رضي الله تعالى عنه ومات بالبصرة سنة ستة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وكانت أمه تخدم أم سلمة زوجة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رضي عنها فكان اذا بكى عندها في صغره وضعت ثديها في فمه فاصابه بركتها حتى صار يضرب به الامثال في العلم والزهد والفصاحة وله قصة مع الحجاج مشهورة (ملأه حكمة وعلما) وروى كما في بعض النسخ حكما بضم الحاء المهملة وسكون الكاف أو بكسرها وفتح الكاف جمع حكمة وهي العلم بالحقائق النافعة والشرعية والحكم بالضم أيضا يكون بمعناها كما ورد في الحديث ان من الشعر لحكما وحكمة وقيل أنه يريد رواية الحكمة هنا ما في حديث الشق لصدره من أنه حشي ايمانا وحكمة والحكم بالضم الفقه أو القضاء بالعدل أو التصديق أو الكمال والعطف للتأكيد والتتميم وملؤه مجاز عن عدم سعة شئ غيره أو عن كثرته وقيل انه جعل على صورة جسم ثم ملئ به فهو حقيقة وبعض أهل البصيرة يرى الايمان والعلم مجسما متلألئا ومصباحا ومشعلا وأنا أرى ذلك من ثمرتهما كما سيجئ انتهى (وقيل معناه ألم نطهر قلبك) أي ننظفه من حظ الشيطان ودنس الاوهام وهو اشارة الى ما ورد في شق صدره الشريف واخراج علقة سوداء منه وقوله هذا حظ الشيطان منك وسيأتي مفصلا مشروحا وفي بعض النسخ لك قلبك كما في الآية وزيادة لك مع عدم الحاجة لما قيل للاشارة الى أن الله غني عن العالمين فاللام للتعليل أي فعلنا ذلك لاجلك لا لاجلنا لعدم احتياجنا لشئ من المخلوقات وفي تفسير القاضي انه للابهام قبل الايضاح فيفيد مبالغة وهذه النكتة جارية في ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك يعني انه لما ذكر الفعل علم ان ثمة مشروح ومرفوع ولما قبل لك اشتد ابهامه وتوهم انه أعرض عن ذكره فلما ذكر بعده صار أوقع في النفس وآكد لانه في قوة ذكره مرتين مجملا ومعينا لان لك بمعنى شيئا لك ثم قال صدرك عينه قيل والفضل للمتقدم (حتى لا يؤذيك الوسواس) قال ابن مالك فعلل ضربا صحيح كدحرج وثنائي مكرر نحو كبكب ولهما مصدران مطردان فعللة وفعلال بالكسر كزلزال وهو أقيس فيه وأما الفتح فورد فيه شاذا لكنه كثير في المكرر كتمتام وفافا وهو للمبالغة كفعال في الثلاثي والحق أنه صفة وجعله مصدرا أريد به الفاعل أو بتقدير ذو مما لا داعي له كما جنح اليه الزمخشري ومن تبعه انتهى فعلى ما اختاره هو الوسواس بالفتح بمعنى الموسوس صفة حقيقية من غير تأويل فهي بمعنى الشيطان وعلى ما اختاره الزمخشري يفسر بالوسوسة لانه مصدر عنده ويجوز تفسيره بالشيطان على انه مجاز وتطهير قلبه مما ذكر من حظ الشيطان والوسوسة اما بان خلقه سالم الصدر أو هو اشارة الى ما ورد في الحديث الصحيح من شق صدره وقلبه واخراج علقة سوداء منه وقول الملك هذا حظ الشيطان منك وغسله لما أراد الله تقديسه وتنويره بنور منه حال طفوليته ليستعد لقبول الوحي ومشاهدة

الملكوت

(ووضعنا عنك وزرك) أى اثمك وأصله ما يحمل على الظهر ولذا قال (الذى أنقض ظهرك) أى اثقله حتى ظهر نقيضه ونقيض الظهر صوته (وقيل) أى فى المراد من قوله وزرك (ما سلف من ذنبك) يعنى من التقصيرات أو الهفوات والغفلات (يعنى) أى يريد صاحب القيل بهذا القول (قبل النبوة) لانه كان بعدها فى مرتبة العصمة (وقيل أراد) أى الله تعالى به (ثقل أيام الجاهلية) وهو بكسر المثلثة وفتح القاف ضد الخفة ويجوز تسكينها تخفيفا وهو ولا ينافى ان الثقل بالكسر والسكون واحد الاثقال لانه لا شك ان المراد به نوع من أثقال الاحمال وهو الواقع فى أزمنة الجاهلية من أصحاب الفترة قبل ظهور نور الدولة الاسلامية وقبل اعلاء اعلام العلوم الدينية ولعل فيه ايماء الى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان أى تفاصيل ما يتعلق به على وجه الايقان ومنه قوله تعالى ووجدك ضالا أى جاهلا عن كمال المعرفة فهدى أى فهداك هداية كاملة وهدى بك جميع الامة واما الثقل بفتحتين بمعنى متاع المسافر فلا يبعد ان يكون مرادا هنا اشعارا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم حال سلوكه وسيره كان حاملا لامور ثقيلة على ظهره فعرفها الله تعالى عنه حتى تمكن فى مقام تفويضه وتسليم أمره (وقيل أراد ما أثقل ظهره من الرسالة) أى اعبائها فانه من باب التوجه من الحق الى الخلق وهو مستثقل عند أرباب الولاية الا بعد حصول مرتبة جمع الجمع الذى يزيل تفرقه بالكلية بحيث لا تشغله الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة (حتى بلّغها) بتشديد اللام أى حتى بلغ الرسالة بعدما بلغ تلك الحالة (حكاه الماوردى) من علماء الظاهر وهو ممن تفقه على أبى حامد الاسفرائنى وصنف فى الفقه والتفسير والاصول توفى سنة خمسين وأربعمائة وهو أبو الحسن على بن

الملكوت ونحوه مما لا تطيقه القوى البشرية وهذا مما يؤذن بانه على حقيقته وظاهره ولا يحتاج لتأويله وقد فسر شرح الصدر بهذا وقيل بقوة المجاهدة وقيل بعدم التوجه لغير الله وقال بعض الشراح الاولى شرح الشرح بجمع الكمالات القلبية الشاملة لجميع ما ذكر جمعا بين الاقوال فان التخصيص بلا مخصص غير متجه وبهذا يندفع الاشكال فى هذه التفاسير وامثالها من انه ان ثبت كل منها بنقل فلا وجه الجمع بين المنقول والا فلا وجه العدول عن التعميم مع ظهوره فنقول مقصود السلف ان ما ذكر مراد من غير حصر والوسوسة وحديث النفس والهواجس والخواطر القلبية واصل معناها الهمس والاصوات الخفية ولذا قيل لصوت الحلى وسواس وقد اشتهر ذلك فى كلام العرب وما أحسن قول على الباخرزى فى المعنى

وخريدة تكسو الجمال لباسا ❋ قاسى الفؤاد لحبها ما قاسى
حنت خلاخلها بنغمة ساقها ❋ ولذاك سمى جرسها وسواسا

وما أحسن قول أبى الفتح الطبى يقال شعرك وسواس هذيت به ❋ وقد يقال لصوت الحلى وسواس وفى الحديث ان الله تجاوز عن أمتى ما وسوست به صدورها ما لم يعمل به أو تتكلم والكلام فى ان جميعه معفو عنه وفيه تفصيل كما بين فى محله لا حاجة للتطويل به هنا كما فى بعض الشروح واما شق الصدر وما فيه فسيأتى فلا حاجة لتلقى الركبان به (ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك) الوزر الحمل الثقيل ووضعه ازالته عنه لانه اذا تعدى بعلى كان بمعنى التحميل واذا تعدى بعن كان بمعنى الازالة وقال ابن عبد السلام فى مجاز القرآن شبه اسقاط مؤاخذته بما سبق النبوة باسقاط مشاق الاحمال الثقيلة والوزر يكون بمعنى الذنب أيضا والانقاض حصول النقيض وهو صوت فقرات الظهر وقيل صوت الجمل أو الرجل أو المركوب اذا ثقل ما عليه ولا يدل هذا على عظم وزره بل المراد استعظامه لشدة خوفه واجلاله لله انتهى فالانقاض التثقيل فى الحمل حتى يسمع له نقيض أى صوت كما قاله الازهرى وقال ابن عرفة هو اثقال يجعل ما حمل عليه نقضا أى مهزولا ضعيفا قيل وهذا تمثيل فان الظهر اذا اثقل حمله فله نقيض والفعل بالمعنى المجازى على ظاهره أو على ارادة القرب أى يكاد ينقض أو على التشبيه البليغ أو على تقدير لو كان وفيه بعد ولا يخفى ما فيه من التكلف فاختر لنفسك ما يحلو وسيأتى للمصنف كلام فى هذه الآية (قيل ما سلف من ذنبك يعنى قبل النبوة) مرضه لما سيأتى من عصمته صلى الله عليه وسلم من الصغائر والكبائر قبلها وبعدها وهذا بناء على جواز صدور تقصيرات تعرف عقلا أو بشرع سابق انه خلاف الاليق أو من أمور حرمت عليه فى دينه فعدها أوزارا وان لم تكن كذلك فاندفع ما قيل من غير مناسب لكلامه الآتى فتدبر (وقيل أراد ثقل) هو ضد الخفة بكسر المثلثة وفتح القاف ويجوز تسكينها تخفيفا وللاثقال معان أخر مذكورة فى كتب اللغة أى أراد بالوزر (أيام الجاهلية) هى زمن الفترة بعد عيسى عليه الصلاة والسلام الى بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وثقلها عدم رضاه بما هم عليه منها من الشرك وعبادة الاصنام والحروب المقاتلة للحظوظ النفسانية وغير ذلك مما استقبحه صلى الله تعالى عليه وسلم لسلامة فطرته (وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى) أى الوزر مستعار من الحمل الثقيل لما قاساه من المشقة فى ابتداء تلقيه الوحى من هيبة الملك وحفظ ما يلقى اليه وتكذيب قومه وغيرهم لما عرض نفسه على القبائل

وشدة أذيتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم ولاصحابه رضى الله تعالى عنهم ووضع ذلك عنه بما فيه من قوة الصبر وتسهيل الله ذلك عليه بعدما كان يخاف ان لا يبلغ الامانة ولا يقوى على مقاومتهم وهو بين أظهرهم لان هذه السورة مكية ووضع الوزر في القولين السابقين مجاز عن عدم خلق الذنب أو خلق القدرة عليه كالحذف المستعمل عند المصنفين في عدم الاتيان بالمحذوف حقيقة عرفية وحقيقته اللغوية اسقاطه بعد ذكره وقيل المراد بالوزر ثقل ذنوب أمة الاجابة الموضوعة عنهم بالشفاعة والماوردي هو على بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي نسبه أبوه لعمله أو لبيعه والقياس الوردي وهو صاحب التصانيف الجليلة في التفسير وفقه الشافعية والاصول والحديث كالحاوى والاحكام السلطانية وهو كتاب جليل لم يصنف في بابه مثله ولم ينصفه امام الحرمين حيث قال في تصنيفه المسمى بالغياثي انه قال في الاحكام يجوز ان يكون الذمي وزيرا ومن هذا مبلغ علمه ومنتهى فهمه كيف يتصدق للتصنيف والفتوى قال ابن الملقن في طبقاته والذي جوزه أي الماوردي انما هو وزارة التنفيذ لا التفويض فتنبه له قلت قد تنبه لذلك فرأينا جوابه غير صحيح وله رحلة لابي حامد ودرس بالبصرة و بغداد واتهم بالاعتزال مع انه خالفهم في بعض أقوالهم مات رحمه الله تعالى سنة خمسين واربعمائة وقد بلغ ستا وثمانين سنة (والسلمى) بضم السين المهملة وفتح اللام منسوب لسليم بالتصغير وهو أبو عبد الرحمن السلمى صاحب الحقائق واسمه محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة وتوفى في شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ونقل الذهبي عن يوسف القطان انه قال كان يضع الاحاديث للصوفية وقد خالفه فيه الخطيب وقال انه ثقة صاحب علم وحال كما نقله السبكي في طبقاته واطال في ترجمته بما لا يناسب الكتاب (وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي) قيل انه يعني ان الوضع مجاز عن ان لا يخليه بتحمل الذنوب وهذا القول بعيد والتعليل بان العصمة ثابتة له صلى الله تعالى عليه وسلم فاسد اذ المقصود ذكر النعمة والثناء عليه وسيأتي الكلام على هذا في القسم الثالث أقول لا بعد فيه فانه تقدم ان وضعه بمعنى رفعه وازالته فاذا أريد منعناك منه بعدم خلق الذنب ودواعيه فيك أو لعدم أقدارك عليه لم يبعد لما في كل منهما من عدم تلبسه بالوزر وأي بعد في هذا وقد ورد مثله كثيرا لتنزيل ما بالقوة منزلة ما بالفعل ألا ترى الى قوله في الحديث رفع القلم عن ثلاث ولم يوضع عليهم قلم حتى يرفع والقول بان أحدا من أهل اللغة لم يفسر وضع بمعنى عصم عجيب من قائله ومثله غني عن الرد وقد نقل هذا القرطبي في تفسيره والسمرقندي تقدم الكلام عليه (ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة) يحيى بن آدم بن سليمان الاموي مولاهم الكوفي أبو زكريا أحد الاعلام الذين أخرج لهم أصحاب الكتب الستة وثقه ابن معين وغيره وتوفى في سنة ثلاث بعد المائتين وروى عنه أحمد بن حنبل وغيره ومن فسر رفع الذكر بالنبوة فشرح الصدر عنده اما مفسر بالرسالة أو المراد به لها أو يفسره بغير ذلك ولذا فيه كلام سنبينه ولا يلزم من رفعه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة تفرده بها عن غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ يكفي رفعه على من في عصره وقيل المراد بالنبوة ما سبق بها سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الازل وآدم عليه الصلاة والسلام بين الماء والطين حيث أخذ الميثاق على ان من أدركه صلى الله تعالى عليه وسلم منهم اتبعه ولا دليل عليه في كلام المصنف أقول هذا كلام شراح هذا الكتاب وانما يحتاج اليه اذا نقل المراد سواء تعلقت الباء برفع أو بذكر انه شرف ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم حيث خاطبه بيا أيها النبي و يا أيها الرسول فعظمه وقال الله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وهو المذكور في شروح الكشاف اما اذا قلنا بذلك فلا يحتاج اليه ولكن هذا غير ما ذكره المصنف عندهم ولا وجه له

حبيب الشافعي (والسلمى) من علماء الباطن وهو أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن حبيب الكوفي سمع عليا وابا موسى وغيرهما توفي في زمن بشر بن مروان بالكوفة سنة اثنتي عشرة واربعمائة وهو بضم السين وفتح اللام منسوب الى سليم كذا ذكره التلمساني وهو غير صحيح فانه متناقض الآخر والاول فتأمل والصواب ما ذكره الحلبي بقوله هو أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة وتوفي في شعبان سنة اثنتي عشرة واربعمائة له ترجمة في الميزان (وقيل عصمناك) أي حفظناك من ارتكاب الذنوب في فعلك (ولولا ذلك) أي عصمتنا لك (لاثقلت الذنوب ظهرك) وهذا معنى بديع (حكاه السمرقندي) أي أبو الليث وبقي قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم) أي ابن سليمان الاموي مولاهم الكوفي أحد الاعلام اخرج له أصحاب الكتب الستة توفي سنة ثلاث ومائتين (بالنبوة) أي ورفعنا ذكرك بسبب النبوة بين الملائكة أو بالنبوة المقرونة بالرسالة بين جميع الامة أو بالنبوة الروحانية المختصة قبل خلقه آدم بين أرواح المرسلين والملائكة المقربين

(وقيل اذا ذكرت) بضم التاء والضمير لله (ذكرت معى) بفتحها والخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
والفعل مجهول فيهما (قول لا اله الا الله محمد رسول الله) قول بالرفع بدل من الجملة قبله أو خبر مبتدأ مقدر
به ويجوز نصبه بتقدير أعنى وما يضاهيه أى أعنى بذكرك معى ذكر لا اله الى آخره وفى بعض النسخ
روى قول الى آخره قيل وهذا بناء على العادة الغالبة أو على الافضل المأمور به وهذا جواب عن سؤال انه
قد يقول المؤمن لا اله الا الله مقتصرا عليها وايضا كثيرا ما يذكر الله وحده نحو سمع الله لمن حمده وربنا
ولك الحمد كما ورد فى كثير من مواطن العبادة وأجيب بان اذا الشرطية لا عموم لها ولذا قال المنطقيون ان
قضيتها جزئية وليس قول لا اله الا الله من جملة كلام من فسر ورفعنا الى آخره بقوله اذا ذكرت ذكرت
معى لما سيذكره المصنف عن الخدرى وكذا هو فى زاد المسير وفيه عقبه قال قتادة فليس خطيب
ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله الآتى فى كلام
المصنف رحمه الله وهذا تفسير مأثور عليه الجمهور والحصر فيه مشكل بما مر والظاهر ان يحمل ذكره
تعالى على أفضل الذكر وهو لا اله الا الله الى آخره حتى ورد انه يقوم مقام كل الاذكار وكل الصيد فى
جوف الفرا والقرينة على هذا ان المقام مقام امتنان وتذكير بالنعم وكونه مذكورا معه اذا ذكر أفضل
الذكر أليق بمقامهما وتوسيط المصنف هنا قيل وهى صيغة تمريض والقول للجمهور لا يخفى ما فيه
انتهى ولم يرض هذا الشارح الجديد فقال المراد ذكر المؤمن وهو لا يذكر الله الا ويذكر معه رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فالمصلى اذا قال سمع الله لمن حمده هل يقولها الا وفى ذهنه النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم لانه الذى أمره بها فليس المراد بالذكر الذكر القولى فقط بل الاذكار الفعلية والتركية
والقلبية والقائل فهم ان المراد بالذكر اللفظى وهذا فهم من لم يتتبع مقاصد الشريعة ثم أطال فى هذا
بما محصله ما ذكر ولم يأت بشئ غير ان زاد فى الشطرنج بغلة وفى الطنبور نغمة * أقول هذا جملة ما قالوه فى
هذا التفسير المأثور ولم يأتوا بما تقرر به عين التقرير فان قوله اذا ذكرت ذكرت معى ان أخذ كلية خالف
الواقع فانه كم ذكر الله وحده وكم ذكر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وحده وان عين موضعا فهو
ترجيح بلا مرجح وان جعلت القضية مهملة فلا يخفى ما فى الاهمال من الركاكة وقد أمعنت فيه النظر
فلم أر ما يثلج الصدر وترديد السائل غير صفر حتى لاح لى ان الجواب الحق ان يقال الذكر محمول على
الذكر فى مجامع العبادة ومشاهدها فان ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم مقرون بذكره فيها فى
الواقع فى الصلوات والخطب فلا ترى مشهدا من مشاهد الاسلام الا وهو كذلك فلا ينفك ذكره صلى
الله تعالى عليه وسلم عن ذكره تعالى فى يوم من الايام ولا ليلة من الليالى بل ولا فى وقت من الاوقات
المعتد بها فتتجه الكلية * فان قلت من أين لك هذا التقييد فهل هو الا ترجيح من غير مرجح * قلت
المقام ناطق بهذا القيد فان المراد التنويه بذكره صلى الله تعالى عليه وسلم واشاعته على قدر الدال
على قربه صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه كقرب اسمه من اسمه وانما يكون هذا بذكره فى المحافل
والمشاهد والجوامع والمساجد وأى اشاعة أقوى من الاذان لا فى الاسواق والطرق التى يطرح فيها كل
ذكر ثم انهم اعترضوا على المصنف رحمه الله تعالى باتيانه بقيل فى تفسير الجمهور المأثور وليس بمناسب
وهذا أيضا من قلة التيقظ فانه بالنظر الى تمامه وقول لا اله الا الله وهو كذلك وقوله (وقيل فى الاذان)
دال عليه فسقط ما قيل الوجه التقديم بدون التمريض ثم الترديد فى البيان وفى الاذان ظرف لذكرت
أو رفعنا قيل وهو الاظهر على ما نقله فى المعالم عن مجاهد وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى
الاذان والاقامة والخطب والتشهد ولعل ذكر مجاهد الاذان ليس للتخصيص أو لتخصيصه برفع
الصوت على المبالغة وقيل فى الآخرة وقيل باخذ الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالمتابعة

(وقيل) أى فى معناه
(اذا ذكرت ذكرت معى)
وسيأتى ان هذا حديث
مرفوع (قيل فى قوله)
كذا بالاضافة الى الضمير
أى فى قول القائل
والاظهر ان قال فى قول
(لا اله الا الله محمد رسول الله)
كما فى نسخة وهو مجرور
كما هو ظاهر واغرب الحلبى
حيث تبع ضبط بعضهم
بالرفع وحاول وجهه
بما لا طائل تحته ولعله
مبنى على انه وجد فى
نسخة قول بلا حرف الجر
(وقيل فى الاذان) والاول
اعم ولا يبعد ان يقال
المراد برفع ذكره انه جعل
ذكره ذكره كما جعل
طاعته طاعته ولا مقام
فوق هذا فى المرتبة وهو
تشبيه بليغ يمنع الاتحاد
القائل به أهل الاتحاد

قيل وهذا مبنى على الغالب أيضا والافقد يقتصر فى الخطبة على ذكر الله تعالى وهو جائز عند أبى حنيفة ومثله نادر فى حكم العدم وفى بعض النسخ فى الاذان والاقامة والنسخة الاولى أشهر ولما كانت الاقامة كالاذان وصفا وحكما ادخلت فيه بطريق التغليب وقد ورد اطلاق الاذان على الاقامة أيضا والشئ بالشئ يذكر * واعلم ان تحقيق هذا المقام ماقاله الامام الشافعى فى أول رسالته الجديدة وبينه السبكى فى تعليقه على الرسالة فقال رحمه الله تعالى قال الامام رضى الله تعالى عنه عن مجاهد فى تفسير الآية لاأذكر الاذكرت معى أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله قال الشافعى يعنى ذكره عند الايمان بالله والاذان ويحتمل ذكره عند تلاوة القرآن وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية قال السبكى هذا الاحتمال من الشافعى جيد جدا وهو مبنى على أن المراد بالذكر الذكر بالقلب وهو صحيح فعلى هذا يعم لان الفاعل للطاعة أو الكاف عن المعصية امتثالا لامر الله تعالى به ذاكر للنبى صلى الله عليه وسلم بقلبه لانه المبلغ لها عن الله وهذا أعم من الذكر باللسان فانه قاصر على الاسلام والاذان والتشهد والخطبة ونحوها قال الشافعى فلم تمس بنا نعمة ظهرت ولا بطنت نلنا بها حظا فى دين أو دنيا أو دفع عنا بها مكروه فيهما أو فى واحد منهما الا ومحمد صلى الله عليه وسلم سببها انتهى * أقول علم من هذا انه ان أبقى العموم والحصر على ظاهره حمل الذكر على الذكر القلبى فيشمل كل موطن من مواطن العبادة والطاعة فان العاقل المؤمن اذا ذكر الله تذكر من دل على معرفته وهداه الى طاعته وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قيل فانت باب الله أى أمرئ اتاه من غيرك لايدخل ومن كلام النبوة الاولى من أراد الوصول الى الله تعالى من غير باب النبوة قطعه الله تعالى عنه ولك ان تقول المراد برفع ذكره تشريفه صلى الله تعالى عليه وسلم بمقارنته لذكره فى شعائر الدين الظاهرة وأولها كلمتا الشهادة وهما أساس الدين ثم الاذان والصلاة والخطب فالحصر اضافى (قال القاضى أبو الفضل) عياض المؤلف وقدمر ان هذا من تصرف النساخ والا فهو يقول يقول الفقير ونحوه (هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) الاشارة لما وقع فى سورة ألم نشرح وهو بيان لحاصلها قال فى المغنى التقرير حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بامر قد استقر ويجب ان يليها أى الهمزة الشئ الذى يقرره به وحمل الزمخشرى قوله ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير على التقرير مرادا به التقرير بما بعد المنفى لا بالنفى وغيره يجعله انكارا ابطاليا فيكون اثباتا للنفى والمصنف رحمه الله تبع فيما ذكره الزمخشرى (ولكل وجهة هو موليها) فعلى هذا التقرير تفعيل من الاقرار وقد يكون من قر قرارا فيكون بمعنى تثبيت الحكم قيل وفى حمل ماهنا عليه تكلف لانه لابد فيه من ايلاء المقرر اداة الاستفهام نحو أزيدا ضربت فى تقرر المفعول وهنا وليها المنفى ولم يقصد تقريره فينبغى ان يحمل على الاول ويؤيده ماورد فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت ربى عز وجل فقلت يارب انه قد كان أنبياء قبلى منهم من سخرت له الريح الى آخره فقال يا محمد ألم نشرح لك صدرك الحديث * أقول يجوز ان يراد بتثبيت مابعد النفى كما أريد فى الاول الاقرار بما بعده فان كلا منهما تاويل على خلاف الظاهر كما صرح به ابن هشام وادعاء الظهور فى احدهما دون الآخر تحكم وقد فسر التقرير هنا بالتمهيد (على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه) على متعلقة بالتقرير سواء كان من الاقرار أو بمعنى التثبيت اما الاول فالتأويله بحمله على الاقرار وحمل يتعدى بعلى فاما كان مأولا به عدى تعديته واما على الثانى فظاهر وقيل ان على بمعنى الباء لان الاقرار يتعدى بها فتقول اقر بكذا وهو كقوله تعالى حقيق على أن لاأقول وهذا منه وليس بمعنى التثبيت والا لقال المصنف رحمه الله تعالى تقرير من الله تعالى جل اسمه لعظيم نعمه وقيل عليه انه من التثبيت أى تثبيت من الله عز وجل لنبيه على ما أحاط به علمه من عظيم

(قال القاضى أبو الفضل الفقيه رحمه الله) أى المصنف (هذا) أى ماذكر فى هذه السورة من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر (تقرير) أى تثبيت وتمهيد (من الله جل اسمه) أى عظم اسمه فضلا عن مسماه (لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على عظيم نعمه لديه) أى دال على عظمة نعمه السابقة الظاهرة والباطنة له عنده سبحانه وتعالى (وشريف منزلته) أى قربه ومرتبته (عنده) أى عنديته المعبر بها عن المكانة (وكرامته) أى وعلى شريف اكرامه واعظامه (عليه) سبحانه وتعالى

(بان شرح قلبه للايمان) أى الكامل الايقان (والهداية) أى الموصلة الى مقام الاحسان أوهداية افراد الانسان الى مراتب حقائق الايمان (ووسعه) بتشديد السين أى وجعل قلبه وسيعا (لوعى العلم) أى حفظه (وحمل الحكمة) أى وتحمل مايحكم العلم به من أمر النبوة (ورفع عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثقل أمور الجاهلية عليه وبغضه) بتشديد الغين المعجمة أى جعله مبغوضا (لسيرها) بكسر ففتح جمع سيرة والضمير الى الجاهلية أى لقواعدها وكان الظاهر أن يقول وبغض سيرها له ولعله من باب القلب على قصد المبالغة وأما ماضبط بصيغة المصدر فى بعض النسخ فلا وجه له أصلا لانوعا ولافصلا (وماكانت) عطف على سيرها أى ولما كانت الجاهلية (عليه بظهور دينه) متعلق برفع أى بغلبة أمر دينه وتعليته (على الدين كله) أى على الاديان جميعها (وحط) أى وضع الله (عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة) أى تكاليف ثقلهما وحملهما وهو الجمع بينهما بالاخذ عن الحق وهو مرتبة النبوة والايصال الى الخلق وهو منزلة الرسالة وهو أمر صعب الا من وفقه الله تعالى وقواه ومنه قوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا والاعباء بفتح الهمزة جمع عبء

نعمه وذلك لان هذه النعم عامها وخشى لعدم شكره أن لايكون منعما فثبت فؤاده على مشهودانها نعم جسيمة ولايخفى مافيه والباقى بان شرح الآتى للسببية أوهى متعلقة بالتقرير على انه من الاقرار وعلى متعلقة بمقدر أى منبها على عظيم الى آخره فلاحاجة الى ماقيل ان على بمعنى الباء والمنزلة تقدم انها الرتبة العلوية علوا ومعنويا وكرامته عليه يعنى كونه مكرما معززا عنده موقرا (بان شرح قلبه للايمان والهداية) تقدم معنى الشرح وان شرح بمعنى وسع وفسح فهو لسعته يقبل مايدخل من ايمانه وتصديقه بالله فى أول أمره وزيادة مراتب ايمانه والهداية بمعنى الاهتداء أوالمراد قبول الهداية أوهدايته الناس كما قال الله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام (ووسعه لوعى العلم وحمل الحكمة) معطوف على شرح عطف تفسير والوعى الحفظ والحكمة فسرت بالنبوة وبالفقه فى الدين وفهم القرآن والاتباع له وقيل الورع وحملها العلم بها والعمل مع الاتقان وهذا ناظر لتفاسير الآية السابقة وترك بعضها اكتفاء بحكمة فتذكره (ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية عليه) أى أزالها وثقل بزنة عنب ويجوز تسكينه وعليه متعلق به وهذا ناظر لقوله ووضعنا عنك وزرك وتفسيره بمعنى عام شامل لمامر والجاهلية ما كانت العرب عليه قبل الاسلام من الجهل بالله والشرائع وارتكاب أمور رفعها الله لما جاء الحق وزهق الباطل كمامر (وبغضه لسيرها ولما كانت عليه) السيرة فعلة من سار يسير ويكون لازما ومتعديا ويقال منه سار وأسار وسير والسيرة جمعها سير كسدرة وسدر وهى الهيئة والحالة وشاعت فى الطريقة يقال سار سيرة حسنة أوقبيحة كما قال * وأول راض سيرة من يسيرها * وغلبت السير والسيرة فى السنة أهل الشرع على المغازى كما فى المصباح والضمير المضاف اليه للجاهلية وقال التلمسانى سيرها عوائدها وبغضه فى النسخ فعل ماض مشدد مبنى للفاعل وفى الطرة بغضه مصدر أى بضم الموحدة وسكون المعجمة وعليه صح والصواب أن يقال بغض له سيرها بالتضعيف والفاعل هو الله قال الشارح ولكن لم يوجد فى نسختى سوى ماذكرته أولا انتهى وفى بعض الشروح الذى فى النسخ المقروءة على أبى ذر المحدث أوالبرهان الحلبى بغضه بصيغة الفعل المشددة المعطوف على رفع عنه وليس بالاسم المجرور بالعطف على أمور الجاهلية لانه لم يرفع عنه ثقل بغضه لسيرها لبقائه وبقاء لوازمه وأما عطفه على وعى ففاسد مع مافيه من ذكر معنى الوضع من اثناء معنى الشرح وذكر معنى الشرح فى معنى الوضع اذ معناه الرفع والحط الأن ثقل البغض اذا قارن العجز عن ازالته زاده هذا كما قيل مع تكلفه غير مناسب لمعنى الآية أوهو اشارة الى انه عبارة عن العصمة عن حيه أقول مافى الحواشى التلمسانية من تصحيح بغضه بصيغة المصدر المجرور هو الصحيح وهو معطوف على العلم المضاف اليه وعى بمعنى فهم وضمير بغضه المضاف اليه راجع لله أى وسع الله قلبه لفهم العلوم والحكم وفهم بغض الله لما هم عليه حتى كان لايخالطهم فى أعيادهم ومجامعهم قبل البعثة كما قال الله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان وهذا كله ناظر لشرح صدره للاسلام ولا ادخال فيه لتفسير فى تفسير كما توهموه وعلى قراءة بالفعل يكون فى كلامه قلب من غير نكتة وحق العبارة بغض له سيرها (بظهور دينه على الدين كله) متعلق بشرح وقيل برفع وقيل الباء للمصاحبة بمعنى مع والظهور بمعنى الغلبة علبه حيث قهر أهله وأبطل حكمه ولذا تعدى بعلى وأصله ضد الخفاء والدين للجنس الشامل للاديان ولذا أكده بكل (وحط عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة) معنى الحط التنزيل وهو قريب من الوضع فهذا اشارة لتفسير قوله ووضعنا عنك وزرك والرسالة والنبوة غير محتاجه للبيان لاسيما هنا والاعباء بالمد كالاحمال والاثقال وزنا ومعنى جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة والعهدة بضم فسكون فعلة من العهد وله معان

منها الامان والموثق والذمة ويقال تعهدته وتعاهدته اذا ترددت اليه وأصلحته وحفظته وتسمى
وثيقة البيع عهدة لانه يرجع اليها عند الاحتياج ويقال عهدة هذا عليك أى تبعته وما تلزم منه فالمعنى
هنا ان الله حمله احمال الرسالة ولذمته باجراء أحكامها وتبليغها فكان فى أول الامر فى حرج ومشقة من
خوف التقصير فلما يسر الله له ذلك انشرح صدره واستراح من نقلها وبرئت ذمته من عهدتها لما بلغ
الامة وأدى الرسالة فامتن الله عليه بما يتضمن الثناء العظيم من انه أقدره على التحمل والصبر ولذا قيل
ان حط العهدة مجاز عن توفيقه لمعالجة تلك الاثقال وتحملها على الوجه اللائق وهو كلام حسن (لتبليغه
للناس مانزل اليهم) وروى بتبليغه بالباء بدل اللام وهما متقاربان أى حط عنه تلك الاحمال وأراحه
من الاثقال لاجل انه بلغ ما أمر به وما على الرسول الا البلاغ وقيل معناه فعل ذلك لاجل التبليغ
فالسببية غايته أو أراد بيان الحط بان وفقه على التبليغ على الكلام ولا يخفى انه غير مناسب للمقام
مع ما فيه من التعقيد بلا فائدة وانما خص الناس وهو مبعوث للثقلين بالاتفاق وللملائكة أيضا كما
سيأتى بيانه لان حط الاعباء انما هو بتبليغ الناس وتسخيرهم وكسر شوكتهم فانهم الذين عادوه
وحاربوه وكذبوه وأما الجن فجرد سماع القرآن أطاعوه ولم يقع منهم ما يتعبه وان كان منهم من لم يؤمن
وليس الكلام فى بيان رسالته وعمومها حتى يعترض بتركهم عليه وقيل انه اكتفاء كقوله سرابيل
تقيكم الحر وقيل المراد بالناس ما يشمل الجن فانه ورد اطلاقه عليهم وفى الحديث ناس من الجن وبه
فسر قوله تعالى قل أعوذ برب الناس وجعل قوله من الجنة والناس بيانا له وروى عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما وذهب بعضهم الى انه حقيقة وقال السبكى انه لفظ مشترك بحسب الظاهر وهما
معنيان متقاربان ولفظان متغايران فالناس بمعنى بنى آدم أصله أناس ومادته ان الناس من الانس ضد
الوحشة وبالمعنى العام للثقلين أصله نوس بمعنى تحرك وقيل انه اقتصر على الاشرف المقصود بالذات
وأنت فى غنى عنه كله بما مر (وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه اسمه باسمه)
قدمر انه يقال ناه بالشئ نوها ونوه به تنويها اذا رفع ذكره وعظمه ومر فى حديث عمر أنا أول من نوه بالعرب
أى رفع ذكرهم بالديوان والاعطاء كما فى المصباح وهذا اشارة لمعنى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
وتنويهه بالجر معطوف على قوله لتبليغه لان تعظيم الله له ورفع ذكره له يروح قلبه ويسره لانه يدل على
قبول رب العزة لما فعله من أدائه ما فى عهدته وبذل جسمه وروحه فى تتميم خدمته وهذا فى غاية
الظهور وقيل معطوف على ان شرح وقيل على تقريره فهو مرفوع والداعى لارتكابه مع بعده انه كان
الظاهر أن يقول نوه تفسيرا لرفعنا على سننه السابق وانما عدل عن التعبير بالفعل الى عطف المصدر
الصريح على المأول لئلا يتوهم انه كلام مستأنف والباء فى قوله بعظيم متعلقة بتنويهه وليست زائدة
فانه قيل نوهه ونوه به كما قيل لان الاشهر هو التعدية بالباء كما مر فى كلام سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه
وقوله رفعة ذكره بكسر الراء وآخره تاء تأنيث مضاف لذكره وروى بفتحها واضافته للضمير ونصب
ذكره وروى رفيع عطف على جليل ورفعة ذكره اما بهذا الرفع أو برفع زائد عليه واسمه الثانى منصوب
مفعول قران بكسر القاف مصدر بمعنى الضم والجمع ومنه قران التمر واقران غلط فيه وقيل رواية
وفى نسخة وقرانه اسمه مع اسمه (قال قتادة رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة الا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) قدمرت ترجمة قتادة رحمه الله تعالى
وتأتى أيضا ومر أيضا تحقيق هذا الكلام الا انه بقيت أمور ينبغى التنبه لها وهى ان بعضهم قال هنا ان
ما ذكره هنا هو الاكمل الجارى فى العرف والعادة بعد البعثة اذ الشهادة ليست شرطا فى أصل الخطبة
وهذا فى الدنيا ويعلم أمر الآخرة بالمقايسة عليها وفى الحديث كل خطبة ليس فيها شهادة فهى كاليد

بكسر فسكون فهمز
(لتبليغه) باللام وفى
نسخة بالباء وما لهما
واحد اذ اللام تعليلية
والباء سببية أى لابلاغه
صلى الله تعالى عليه وسلم
(للناس مانزل اليهم)
أى متلوا كان أو غيره
من أمر ونهى ووعد ووعيد
وهذا مقتبس من قوله
تعالى وأنزلنا اليك
الذكر لتبين للناس ما نزل
اليهم (وتنويهه) أى
ولرفعه قدره المشعر (بعظيم
مكانه) أى مكانته وشأنه
(وجليل رتبته) أى
عظيم مرتبته (ورفعه)
أى ولرفع الله (ذكره)
وفى نسخة ورفعة ذكره
ويروى ورفيع ذكره
(وقرانه) أى وجمع الله
أى فى كلامه بامره وحكمه
(مع اسمه اسمه قال
قتادة رفع الله عز وجل
ذكره فى الدنيا والآخر)
أى رفعة حسية ومعنوية
(فليس خطيب) أى
فوق منبر (ولا متشهد)
أى عند ايجاد الايمان
أو تجديد الايقان
(ولا صاحب صلاة) أى
فى قعدة أخيرة (الا يقول
أشهد أن لا اله الا الله
وأن محمدا رسول الله) أو
عبده ورسوله وان الاولى
مخففة من المثقلة

الجذماء والمراد بالصلاة الفرد الكامل المتبادر فلا ترد صلاة الجنازة والمتشهد من تشهد بالوحدانية سواء كان بهذا اللفظ كمن يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله المروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وعليه أبو حنيفة فلا يرد انه قد يقتصر فى خطبة الجمعة والعيدين وغيرهما على ذكر الله بالتسبيح ونحوه فيهل وهذا انما يرد لو كان قتادة رحمه الله تعالى قائلا به فى عصره وهذا ليس بشئ يتصدى بجوابه وقيل ان مراد قتادة بيان رفعة ذكره فى الدنيا التى هى عنوان رفعة الآخرة وقوله فليس خطيب الى آخره يريد ان الخطباء قبله كانوا يعدون مآثرهم ومفاخر قومهم فلما جاء الاسلام صارت الخطبة اسما للمشروعة باى مذهب كان وأى خطبة كانت كما فى الحج والخسوف والعيد والجمعة وغيرها وفاعل ذلك كله يعتقد وحدانية الله تعالى شاهدا بان محمدا رسول الله ممتثلا لامره مقتديا بهديه والمصلى لا يعتد بصلاته حتى يعتقد ذلك وأنت ترى ما فى هذا الكلام الذى لا محصل له ولا يجدى شيأ فالقول ما قالت حزام والثمرة تدل على الشجرة وقوله الا يقول مستثنى من أعم الاحوال أى ليس يوجد فى حال من الاحوال الا قائلا وما قاله قتادة رواه عنه البيهقى وابن أبى حاتم فان قلت ما وجه التفريع فى قوله فليس الى آخره وأمر الآخرة لا يعلم بالمقايسة والمتشهد أعم من الخطيب والمصلى فكان ينبغى تقديمه أو تأخيره قلت أخذه من اطلاق الآية والحديث والتفريع وجهه ان من رفع الله ذكره فى الدارين حقيق بان يشهد له بذلك والمتشهد المراد منه الآتى بكلمة الشهادة فى غير الخطبة والصلاة لان غيره يقال له خطيب ومصل فتدبر (روى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) وهو سعيد بن مالك ابن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر وهو خدرة المنسوب اليه على الاصح وسيأتى الصحابى الانصارى ونسبته بخدرة بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة يليها راء مهملة وهاء وهو حى من الانصار سمى باسم جدهم ثم نسب اليه كتميم فلا منافاة بينهما وقيل خدرة أمه وهذا الحديث كما قاله السيوطى والشيخ قاسم فى تخريج أحاديث هذا الكتاب أخرجه أبو يعلى فى مسنده وابن حبان فى صحيحه والطبرى فى تفسيره واسناده حسن فلا وجه لما قيل من ان فى زاد المسير ما يخالفه فان ذلك من واد وهذا من واد ولا لما قيل ان فى المعالم انه صلى الله تعالى عليه وسلم سأل جبريل عن هذه الآية فقال قال الله تعالى الى آخره فلعله بعد السؤال جاء وقال ان ربى الى آخره وقوله قال الله نقل بالمعنى لان الرواية المسندة اما فى كلام المصنف رحمه الله وقوله (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتانى جبريل فقال ان ربى وربك يقول تدرى كيف رفعت ذكرك) تقديره أتدرى فحذف من حرف الاستفهام وهو جائز مع القرينة فى النظم والنثر كما فى المغنى وغيره وقول التجانى انه قليل مخصوص بالشعر مخالف للرواية والدراية وقد روى هذا الحديث أيضا أتدرى بثبوت الهمزة على أصلها سواء كان الاستفهام حقيقيا كقوله وان زنا وان سرق أو غير حقيقى كقوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم على قراءة والاستشهاد بهذه الآية للحقيقى سهو والاستفهام هنا غير حقيقى لاستحالته على علام الغيوب والسرائر بل هو تقريرى ليقر بعد علمه فيعلمه من لدنه والمشهور فى مثله ان معناه أتدرى جواب هذا السؤال وليست كيف فيه خارجة عن معنى الاستفهام على ان المعنى كيفية رفع ذكرك وان كانوا يقولونه فى بيان حاصل المعنى فما قيل من انه مخرج عن معنى الاستفهام أى تدرى كيفية الرفع وهذا من الانبساط مع المحبوب لاجل زيادة التوجه والاستفسار لكنه أعجمية مع ان لفظ الكيفية لم يسمع من العرب كما صرح به أهل اللغة وتدرى متعلق عن الجملة التى بعده كما فى قول زهير

وما أدرى وسوف أخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

وكيف فى محل نصب على الحال من المفعول على القاعدة المشهورة فى اعرابها من انها ان وقعت قبل

(وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) كما فى صحيح ابن حبان ومسند أبى يعلى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتانى جبريل) عليه الصلاة والسلام (فقال ان ربى وربك يقول تدرى) أى أتدرى كما فى نسخة صحيحة (كيف رفعت ذكرك قلت) وفى نسخة فقلت

أي الله سبحانه وتعالى (اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي الزاهد البغدادي أحد مشايخ الصوفية بالعراق كان قانتا مجتهدا في العبادة لا ينام من الليل الا ساعتين ويختم القرآن في كل يوم وله أحوال ومعارف وكرامات سنية مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة كذا ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني والحاصل انه قال معنى رفعنا لك ذكرك (جعلت تمام الايمان بذكري معك) وفي نسخة بذكرك معي وهو الاظهر فلا يصح ولا يعتد به شرعا مالم يتلفظ بكلمتيه اقرارا بحقية وحدانيته تعالى وحقية رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم بناء على اشتراط التلفظ بهما في صحته من قادر وبه قال الجمهور والحق ان اشتراطه مع اظهاره انما هو لاجراء احكام الاسلام عليه في الدنيا من عصمة دمه وماله ونحو ذلك فمن آمن بقلبه ولم يتلفظ بهما نفعه ايمانه عند الله تعالى وكان تاركا للافضل كذا ذكره الدلجي وفيه ابحاث ليس هنا محلها

كلام تام فهي حال والا فهي خبر الا ان هذه القاعدة غير مسلمة كما في المغني وشروح الكشاف وهي سؤال عن الحال والصفة أي على أي حال ومعنى رفعت لك ذكرك وليست منصوبة بتدري لان لها الصدر ووقع في بعض النسخ فقلت الله ورسوله والمراد به هنا جبريل عليه السلام لانه من رسل الملائكة الذين يرسلون بالوحي لانبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام اعلم كذا عندي في نسخة مصححة مقروءة على المشايخ وفي نسخة شرح عليها الشارح الجديد اسقاطها وقال لم أجدها في نسخة من الشفاء واللائق عدم ذكرها وليس كما قال والتفضيل اما في الزيادة في مطلق العلم فلا يلزم ثبوت أصل العلم له في هذه المسئلة أو المراد اعلم فيها نظرا الى ان حصول بعض الوجوه له تجوزا وظنا فالترجيح في الكيفية والمطلوب حصول اليقين أو وجه آخر واعلمية جبريل عليه الصلاة والسلام منه صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه علم علم الاولين والآخرين كما ثبت في الصحيح أو بالنظر الى علم الله فعلمهما أتم من علمه وان كان علم أتم من علم أحدهما أو بالنظر الى ان تلك الحالة لم تكن دائمة له صلى الله تعالى عليه وسلم كذا قاله الشارح المدقق أقول الظاهر انه أراد تفضيلهما عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في خصوص هذا العلم أو على الاطلاق اما على الله فظاهر واما جبريل فلعلمه ببعض الامور التي لم يعلمها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاعلام الله له بها ولكونها في الملا الاعلى ولا يلزم من هذا شك ونقص لمقام النبوة حتى يلزم تكلف ما ادعاه واما ماورد في الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم علم علم الاولين والآخرين فليس المراد به ما فهمه لانه لو كان كذلك علم المغيبات كلها وقد أمره الله بان يقول لا أعلم الغيب ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وقال لا أدري ما يفعل بي ولا بكم وهذا مما لا يشك فيه وانما المراد انه علمه كل علم عند الاولين والآخرين متعلق بمعرفة الله وأحوال الامم السالفة والآتية اجمالا من خير وشر وأوحى اليه ببعض المغيبات أيضا وأخبر بها بعض أصحابه كما في حديث حذيفة فتعلق أفعل مني أو من كل أحد غيرهما أولا متعلق له كما في قوله الله أكبر في أحد الوجوه وقيل المراد اعلم من كل عالم نحو الله أكبر أو اعلم مني بناء على انه علم رفع ذكره وهذا مما لاريب فيه أو فهم من جبريل عليه الصلاة والسلام انه عالم بكيفية الرفع دونه وانه جاء مخبرا بها له ولو كانت مما استأثر الله به قال لجبريل ما المسؤل عنها باعلم من السائل كما في حديث آخر أو المراد انهما سيان في عدم العلم لان قولك ما زيد باعلم من عمرو المراد به نفي المساواة كما مر وهو أحد احتمالات في مثله واما ما ورد من علم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علم الاولين والآخرين فلعله كان آخر أحواله بعد انقطاع ايحاء جبريل له وقيل المراد ان الله أعلم من كل عالم ومنه يستمد العلم أي لا أعلم الا ما علمني ربي واما كونه علم علم الاولين والآخرين فهو نعمة من الله خصه بها ولم يرد انها انقطعت عنه والكريم لا يقطع عوائده كما أنعم الله فيما مضى كذلك ينعم فيما بقي واحتياجه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الوحي مقتضى مقام العبودية واظهار الافتقار من لوازمها وكون هذه آخر أحواله غير سديد لان هذه القصة وقعت ليلة الاسراء وهي من أول أحواله وجبريل عليه الصلاة والسلام لم ينقطع عنه حتى فارق الدنيا ومع هذا ابتنائه على ما عنده من الطراز الاول وكذا ما قبله ولولا خوف ان يظن ان بالسويداء رجالا تركته رأسا (قال اذا ذكرت ذكرت معي) قدمر شرحه (قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكري معك) لم يسم المصنف رحمه الله تعالى ابن عطاء فلم يدر ما مراده به لان المشهور به اثنان فلذا قال التلمساني هو أبو عبد الله محمد بن عطاء شيخ وقته وهو مات كما قاله القشيري سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وقال الشمني انه أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الزاهد البغدادي الآدمي وجزم بانه المراد هنا الشارح الجديد لان المشايخ قالوا ان له لسانا في فهم القرآن يختص به وكان صحب الجنيد وسئل رضي الله تعالى عنه عن الوجد والسماع فقال هو صحيح فقيل له انه لم يبلغنا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين انه

تواجد فقال أما الصحابة فكوشفوا بالشريعة فى سرهم فكانوا لا يغلبون عن تحمل الاحوال بخلاف من بعدهم فانه لم ينل هذه الرتبة وقوله بذكرى معك روى بذكرك معى وهذه النسخة واضحة والاولى مشهورة مخالفة للظاهر لان مع تدخل على المتبوع وقد تجىء لمطلق المصاحبة وقد تقدم انه باعتبار الاكثر المعتاد فى مواطن وأقوال مخصوصة كقول المتشهد أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقد قيل ان فى كلام المصنف رحمه الله تعالى تكرارا وانتشارا واللائق بالمصنف ذكر الاقوال ثم حاصل معنى الآيات وفى بعض العبارة قلب ايماء الى شرفه صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله لا يذكرك أحد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية فان الظاهر عكسه كما قيل وانا أقول هذا من عدم الوقوف على مراده لانه لما ذكر السورة لما فيها من الثناء عليه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو بصدده عقبها بذكر أقوال المفسدين فيها ثم لخصه ووضحه بعبارة فصيحة ثم ذكر الدليل على ما قالوه واية مسندة ثم ختمه بكلام أرباب الطريقة من مشايخ الصوفية فانه مسك الختام ونقل لهم عبارات ثلاثة فقال ذكرك معى وذكرى معك وذكرك عين ذكرى وهذا بحسب المقامات كقولهم ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبله أو معه أو بعده اما الاول فظاهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رسوله وخليفته وهذا بحسب الحقيقة فى نفس الامر واما الثانى فلانهم انما عرفوا الله منه وبعد معرفته كما قيل وقد تقدم

فانت باب الله أى امرئ ✽ أتاه من غيرك لا يدخل

وأما الثالث فلانه من ذكره من حيث كونه رسولا مبلغا عن الله فقد ذكر الله ومن هنا قيل من رآنى فقد رأى الحق فلا تكرار ولا قلب الا لمن ليس له قلب ينظر بعينه الحق وجعل ذكره تمام الايمان اما لان الايمان عنده تصديق بالجنان وتصديق باللسان كما هو قول لاهل السنة وأما من يقول بانه مجرد التصديق فجعله تمامه باعتبار انه لا يعتد به بدونه ولا يترتب عليه الاحكام ما لم يأت به لسانا لان الامر مبنى على الظاهر والله أعلم بالسرائر قيل وهذا قول غير قتادة لانه لم يعتبر كونه من تتمة الايمان فتوهم العينية فاسد وفيه نظر فتدبر (وقال أيضا) أى وقال ابن عطاء المعرى قولا كالذى قبله وأيضا مفعول مطلق لفعل مقدر من آض اذا عاد ورجع قيل واستعير هنا لمجرد الانضمام ولك ان تبقيه على معناه الحقيقى لانه عاد لكلام ابن عطاء رحمه الله تعالى (جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكرنى) ذكرا مفعول ثان لجعل والظرف بعده صفة أو تمييز محول عن المفعول والجار والمجرور هو الثانى والمعنى واحد أى كان ذكرك عين ذكرى لعدم انفكاكه عنه غالبا أو هو مثله فى التقرب به والاجر وهو معدود من افراده لما ورد ان كل مطيع لله ذاكره والاسناد مجازى والفاء تفسيرية أو تفريعية (وقال جعفر بن محمد الصادق) تقدم بيانه قريبا (لا يذكرك أحد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية) الاستثناء من أعم الاحوال والجملة التى بعد الا حالية ولا حاجة لتقدير قد معها كما ذكره النحاة والربوبية صفة مصدر من الرب وهذه الياء تسمى الياء المصدرية ولا بد معها من تاء التأنيث وفى هذه الياء بحث ذكرناه فى رسالة المصدر والسوانح ومعنى كلام جعفر رضى الله تعالى عنه انه لا يعترف أحد برسالتك الا بعد ان يعترف بوحدانية الله وربوبيته لانه يجب معرفة الله عقلا قبل ذلك لئلا يلزم الدور كما ذهب اليه الماتريدية أو سمعا كما ذهب اليه غيرهم كما تقرر فى الاصول وقيل المراد الا وقد أراد ذلك أو عبر بالماضى عن المضارع مبالغة فى تحقق وقوعه وفى الاول اشكال لعدم مقارنة الحال العامل وذلك لان المراد بالرسالة انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والعادة ان يقال رسول الله ورسول رب العالمين ونحوه أو لان معنى الرسالة شرعا انه انسان بعثه الله لتبليغ أحكامه والالوهية جامعة للربوبية وخصت الربوبية هنا لمناسبتها للرسالة لمربوبية الرسول للمرسل اليه وقيل المراد ان من آمن بك آمن بى وفيه تكلف ظاهر ثم ان ما قاله الصادق وغيره يشترك

(وقال) أى ابن عطاء (أيضا جعلتك ذكرا من ذكرى) أى نوع ذكر من اذكارى (فمن ذكرك ذكرنى) أى فكانه ذكرنى وهو قريب مما قبله (وقال جعفر بن محمد الصادق) بالرفع (لا يذكرك أحد بالرسالة) أى بالارسال للعبودية (الا ذكرنى بالربوبية) أى وبتوحيد الالوهية

(وأشار بعضهم) كالماوردى (بذلك) أى بقوله ورفعنا لك ذكرك (الى مقام الشفاعة) فانه يظهر رفعته فى تلك الحالة على جميع البرية ثم لامنع من ارادة الجمع (ومن ذكره) جار ومجرور ومضاف (معه تعالى) أى مع ذكره (ان قرن) بفتح ان المصدرية (طاعته) صلى الله تعالى عليه وسلم (بطاعته) سبحانه وتعالى (واسمه باسمه فقال وأطيعوا الله والرسول) وكان الاظهر ان يقال وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول كما فى نسخة (وآمنوا بالله ورسوله) وربما يقال الآية الاولى هى الاولى للدلالة على الاتحاد فى المدعى بحسب المعنى

فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام بحسب الظاهر فالانسب حمله على ما يظهر فيه الاختصاص والتميز انتهى وقد عرفت معناه وانه محمول على الايمان بالله ورسوله والاعتراف بذلك المقتضى لمقارنة اسمه لاسمه مع التعبد باظهاره والنداء به على رؤس الاشهاد كما يفصح عنه التعبير بالرفع الذى بينه وبين الوضع صنعة الطباق واما عدم مقارنة الحال فظاهر السقوط لتقدم الايمان بالله أو ارادته على الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واما التلفظ بما يدل على ذلك فلذكره عقبه من غير فاصل بعدم مقارنا عرفا ومثله يكفى عند النحاة فلا حاجة الى جعل الحال مقدرة واما ما ادعاه من عدم الاختصاص بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقد علم مما مر ان هذه المقارنة فى نداء الاذان والاقامة والخطب والصلاة والاتيان بكلمة الشهادة المعتبر فى الاعتداد بالايمان وهذا كله مختص بهذه الامة فيختص القرآن الواقع فيه بهذه الكيفية بسيدها ونبيها عليه أفضل الصلاة والسلام اختصاصا حقيقيا بالنسبة لكل من عداه من الرسل والامم وهذا فى غاية الظهور (وأشار بعضهم فى ذلك الى مقام الشفاعة) المراد بالبعض من فسر قوله عز وجل ورفعنا لك ذكرك المشار اليه بقوله فى ذلك جعلنا ذكرك مرفوعا فى الدنيا والآخرة فانه فى الآخرة بالشفاعة وهو أحد أقوال خمسة فيه وقيل هو الماوردى وقال البرهان لا أعرفه (تتمة لطيفة) لما ذكر الله عز وجل فى آخر السورة التى قبل هذه قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى الى قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث ثم أتى بعدها بقوله ألم نشرح لك صدرك قال بعض المشايخ اشارة الى ان شكر النعمة والاعتراف والرضاء بها انما ينشأ منه انشراح الصدر ورفعة الذكر ثم وسط بينهما اعباء الرسالة التى تنقض الظهر وفذلك عسر بين يسرين فلذا قال فان مع العسر يسرا الى آخره ثم أشار الى ان مقصوده من الدنيا انما هو اداء خدمة الامانة وانه لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه الذى هو مطلبه لا ماسواه فلذا قال تعالى فاذا فرغت فانصب ولم يقل له استرح بل اجتهد فيما يقربك والى الله تعالى فارغب كما قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها فتنبه لاسرار التنزيل (ومن ذكره معه ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال أطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله ورسوله) لما قرر الثناء من الله برفعة قدره وذكره فانه اذا ذكر ذكر معه كما مر وذكر القرآن فى كلام الناس وما يحكى عنهم اتبعه بما هو من قبيله وهو ذكر الله جل وعلا لنفسه وذكر الرسول معه معطوفا عليه من غير فاصل كالا يتين المذكورتين وفيهما زيادة على ماذكر لابن عطاء لفظا اقتران طاعته لطاعته لان أحدهما لا ينفك عن الآخر كما قال الله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله والمقارنة المصاحبة كما قال

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ❊ فكل قرين بالمقارن يقتدى

ومصاحبة الاسمين ظاهرة فيما ذكروأما مصاحبة الطاعة للطاعة فهى معنوية لا لفظية هنا بمعنى انها لا تنفك عنها بل هى عينها كما مر وجعل هذين من قبيل الذكر المقارن لذكره أمر حقيقى لا من قبيل عموم المجاز ولا من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز كما قيل فانه فى الآيتين كذلك لاقتران الطاعة لله بطاعته فى قوله تعالى أطيعوا الله والرسول لانه بمعنى وأطيعوا الرسول وأما قوله آمنوا بالله ورسوله فمثال لمقارنة الاسم على اللف والنشر المرتب وبعضهم جعل كل آية مثالا لهما فاحتاج الى التكلف فقال معنى الطاعة الانقياد وقد يكون بحسب الظاهر كالاسلام الذى هو الانقياد والاستسلام وقد يكون بحسب الظاهر والباطن كما قدمنا فى الايمان ومنهم من قال الذكر هنا عدم الغفلة ومطيع الله ذاكر له كمطيع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فكل من قرن طاعته بطاعته وقرن اسمه باسمه ذاكر لله عز وجل ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم معه حقيقة وليس هنا ذكر مجازى فمن زعم ان الذكر الاول مجاز والثانى حقيقة وان الآية من باب عموم المجاز

اذا المراد بالذكر هنا معنى يعمهما فرارا من الجمع بين الحقيقة والمجازفة دار تكب شططا انتهى
والحاصل ان المصنف رحمه الله تعالى ان قصد اقتران الاسمين وزاد الطاعة لوقوعها فى الآية والحديث
فالامر فى الحقيقة ظاهر من غير ارتكاب شئ مما قالوه وان أراد بيان كل منهما على اللف والنشر لان فى
كليهما اقتران الاسمين فظاهر أيضا وان أراد اقتران الطاعتين والاسمين فى كل منهما فهو الذى يحتاج
للتكلف ومن ذكره خبر مقدم وان قرن مبتدأ مؤخر واما كون من مبتدأ لا نهاية فى بعض كما قيل فى قوله
تعالى (ومن الناس من يقول آمنا) فى البقرة فلا وجه له (فجمع بينهما بواو العطف المشرك) بكسر الراء
المشددة وضمير بينهما للاسمين وقيل للاسمين والطاعتين وجعلها مشتركة لافادتها المشاركة
المتعاطفين فى الحكم من غير ترتيب والجمع به دال على التعظيم والمناسبة بخلاف ثم لدلالتها على تفاوت
الرتبة لا التسوية وكذا الفاء والواو محتملة للامور الثلاثة التقدم والتأخر والمعية على الصحيح (ولا يجوز
جمع هذا الكلام فى غير حقه عليه السلام) قيل أى جوازا من غير نهى فلا يباح * واعلم ان الجواز
يطلق فى لسان حملة الشرع على أمور كرفع الحرج أعم من ان يكون واجبا أو مندوبا أو مكروها وعلى
مستوى طرفى الفعل والترك وعلى ما ليس بلازم وهو اصطلاح لفقهاء فى العقود هكذا ظاهر
والغريب ما فى قواعد الزركشى ان جاز كذا استعملوه فى الوجوب قال وهو ظاهر فيما اذا كان الفعل
دائرا بين الحرمة والوجوب فيستفاد من قوله يجوز رفع الحرمة فيبقى الوجوب أى تشريك الله تعالى
وغيره بالعطف بالواو فى حكم من الاحكام لا يجوز الا فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أمر شرف
به رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر فى تفسير ورفعنا لك ذكرك وقد اعترض بعض الشراح على
هذا وقال ان القاضى وهم فيه فان الذى لا يجوز لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جمع اسم الله
واسمه مع اسم غير النبى فى ضمير يعود على الله وعلى صاحب الاسم فلا يجوز لنا ان نستعمله الا أن يرد
عن الله كقوله (ان الله وملائكته يصلون على النبى) واما عطف اسم ظاهر بالواو على اسم الله فما أظن
ان أحدا يمنعه وكيف يختص هذا بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوله (من كان عدوا لله وملائكته
ورسوله) وقوله (كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) وفى الحديث القدسى (قسمت الصلاة بينى
وبين عبدى نصفين) وقيل أيضا ان أراد أن مثله لم يرد فى القرآن وغيره فليس كذلك وان أراد انه
لا يجوز لنا فأى مانع من ان يقال أطع الله وأطع القاضى أو الامير لقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولى الامر منكم) وأجاب بعضهم بان مراده انه منهى عنه تنزيها وأدبا لورود الحديث بما يدل
على رعاية الادب فى اللفظ وترك ما يوهم خلافه بالاتفاق وأطلق نفى الجواز اعتمادا على تصريح الخطابى
وغيره ولا دليل فى الآية لما سيجئ ولاحتمال الجواز بالتبعية نعم يشكل هذا بقوله تعالى (كل
آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) و(من كان عدوا لله وملائكته) و(أن اشكر لى ولوالديك الى
المصير) ومثله فى الحديث الا أن يقال انه لبيان الجواز وهو من الشارع بالفعل أولى وأقوى وان يختص
النهى بالامة والله تعالى يفعل ما يريد كما ذكره القرطبى فى معنى الجمع بالضمير وان تكون المواضع
الواردة مختصة أو الممنوع جمع الامة معه فلا يرد الاولان فتأمل وقال تلميذه ابن الحنبلى قوله (اطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) فيه التشريك بين الطاعتين طاعة الله وطاعة غيره بالواو فى حق
غير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه بالتبعية ولذا لم يكرر أطيعوا مرة أخرى كما لم يكرر اللام فى
حديث (الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) فى العامة فاندفع ما مر وقيل كلام
الغزالى فى الاحياء يدل على انه حرام كما ذكره فى باب آفات اللسان الا أن الله تعالى يعفو عن العوام مثله
ونقل كلامه وأطال بما هذا محصله وسيأتى تحقيق هذا المقام فى شرح الحديث الآتى بما يثلج به الصدر

(فجمع بينهما) أى من غير اعادة العامل (بواو العطف المشركة) بتشديد الراء وفى نسخة بتخفيفها أى الجاعلة للمعطوف اشتراكا فى المعطوف عليه بالنسبة الى الفعل المسند اليه وهو لا ينافى ان بينهما تفاوتا فى المرتبة حيث ان الايمان بالله يقتضى الاصالة والايمان برسوله يوجب التبعية (ولا يجوز جمع هذا الكلام فى غير حقه) أى فى حق أحد غير حقه (عليه الصلاة والسلام) أى ممن لا يكون فى مرتبته من وجوب الايمان والاسلام والا فيقال آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأمثاله وكان الاظهر ان يقال ولا يجوز لاحد غير الله سبحانه وتعالى أن يجمع هذا الجمع فى الكلام كما يدل عليه استدلاله بالاحاديث الواردة عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال

(حدثنا الشيخ أبو على الحسين بن محمد الجيانى) بفتح الجيم وتشديد التحتية نسبة الى بلدة بالاندلس مات سنة ثمان وتسعين وأربعمائة له كتب مفيدة فى تقييد الالفاظ وغيرها (الحافظ) وهو فى اصطلاح المحدثين من أحاط علمه بمائة ألف حديث (فيما أجازنيه وقرأته على الثقة) بكسر المثلثة وهو المعتمد وهو أبو على بن سكرة الصدفى أو غيره من مشايخه (عنه) مرويا عن الجيانى وقد أجاز وكان يمكنه السماع منه (وقال) أى الجيانى فى الاجازة أو الراوى عنه فى القراءة (انبأنا أبو عمر النمرى) بفتحتين وقد سبق انه الحافظ ابن عبد البر (قال حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر بن داسه) سبق ذكره (حدثنا أبو داود السجزى) بكسر مهملة وسكون جيم فزاى نسبة الى سجستان بكسر أوله وقيل بفتحه على غير قياس وهو أقليم ذو مدائن بين خرسان والسند وكرمان (حدثنا أبو الوليد) هشام بن عبد الملك الباهلى (الطيالسى أخرج له الجماعة الستة قال أحمد هو اليوم شيخ الاسلام مات سنة سبع وعشرين ومائتين (حدثنا شعبة) هو ابن الحجاج سمع كثيرا من التابعين ومات سنة مائة وستين (عن منصور) أى ابن المعتمر أبو عتاب السلمى توفى سنة احدى وثلاثين ومائة (عن عبد الله بن يسار) بتحتية مفتوحة وسين مهملة هذا هو الجهنى الكوفى أخرج له أبو داود والنسائى وهو اخو سليمان وسعيد توفى عام احدى وثلاثين ومائة (عن حذيفة) أى ابن اليمان (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اسنده المصنف هنا من طريق أبى داود ورواه أيضا النسائى وابن أبو شيبة

ان شاء الله تعالى قال (حدثنا الشيخ أبو على الحسين بن محمد الجيانى الحافظ فيما أجازنيه وقرأته على الثقة عنه) الشيخ من طعن فى السن ثم شاع فى كل من تصدر لافادة العلوم وأبو على الحسين بن محمد بن أحمد الغسانى الجيانى بفتح الجيم وتشديد الياء التحتية وألف ونون تليها ياء النسبة الى جيان وهى بلدة بالاندلس ولد فى المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة وحمل عن ابن عبد البر وغيره من الائمة وروى عن ابن الحكم وابن سكرة وزهير وخلق وتوفى فى ليلة الجمعة لاثنى عشر خلت من شعبان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ولم يخرج من الاندلس وقوله وقرأته على الثقة عنه الثقة كعدة مصدر وثق به ومنه اذا ائتمنه واستوثق أحكم ثم تجوز بالمصدر عن المؤتمن على الحديث وغيره وشاع حتى صار حقيقة ولم يعين المصنف رحمه الله تعالى من أراد قال البرهان لا أعرفه وكانه ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته وقوله أجازنيه يعنى انه روى عنه بالاجازة وان كان يمكنه السماع منه فذكر ان روايته عنه بواسطة قال السيد رحمه الله تعالى وتوثيق مثل المصنف رحمه الله تعالى لشخص يخرجه عن حكم المجهول وايهام التعديل فيه خلاف فى كتب المصطلح فمنهم من قبله بناء على الاحتجاج بالمرسل ومنهم من قال لا يكتفى به ومنهم من فرق بين تعديل العالم وغيره كقول مالك أخبرنى الثقة وكذا يقوله الشافعى رضى الله تعالى عنه وقيل يقبل ممن عرف انه اذا أطلق يعنى به معينا وقال أبو حاتم الرازى اذا قال الشافعى حدثنى الثقة عن ابن جريج فهو مسلم بن خالد الزنجى واذا قال أخبرنى الثقة عن ابن أبى ذئب فهو ابن أبى فديك واذا قال أخبرنى الثقة عن الليث بن سعد فهو يحيى بن حسان واذا قال أخبرنى الثقة عن الوليد بن كثير فهو عمرو بن أبى سلمة واذا قال أخبرنى الثقة عن صالح مولى التوءمة فهو ابراهيم ابن أبى يحيى والاجازة يأتى الكلام عليها وهى أن يقول له أجزتك أن تروى عنى كذا أو جميع مروياتى وفى تصحيح لفظها كلام فى ابن الصلاح فيه كلام كتبناه فى حاشية ليس هذا محله وهى مقبولة ولا عبرة بقول أبى طاهر الدباس انها لا تقبل نعم هى انزل من غيرها وانما قدمها المصنف رحمه الله تعالى لعلو سنده فيها على السماع الذى بعدها وان كان بينهما فرق قال (حدثنا أبو عمرو النمرى) هو العلامة الحافظ ابن عبد البر وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) هو عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن أحد شيوخ ابن عبد البر تقدم ذكره أيضا وكذا أبو بكر بن داسة الذى ذكره بقوله (حدثنا أبو بكر بن داسة قال حدثنا أبو داود السجزى) وهو سليمان بن الاشعث صاحب السنن وسيد الحفاظ كما تقدم والسجزى بكسر السين المهملة تليها جيم ساكنة وزاى معجمة منسوب الى سجستان على خلاف القياس وقيل انه منسوب الى سجز وهو اسم سجزستان أو بلدة منها قال فى جامع الاصول وهو الاشبه وهو أقليم بقرب خراسان قال (حدثنا أبو داود الطيالسى قال حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله ابن يسار عن حذيفة) رضى الله تعالى عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الطيالسى هو هشام ابن عبد الملك الحافظ الامام المتقن الثبت ومن ظرف أخباره انه روى عن سبعين امرأة وهذا فى غاية الغرابة وروى عنه أحمد وأبو داود وقال أحمد انه كان فى عصره شيخ الاسلام وأخرج له أصحاب الكتب الستة توفى سنة سبع وعشرين ومائتين وله من العمر أربعة وتسعون سنة كما فى الميزان واما عبد الله ابن يسار فبمثناة تحتية ثم سين مهملة الجهنى الكوفى أخرج له أبو داود والنسائى توفى عام احدى وثلاثين ومائة ولهم عبد الله بن يسار كنيته أبو همام لكن قال الحافظ البرهان انه لم نر لواحد منهما رواية

عن حذيفة فى الكتب الستة وأما خارجها فلا أدرى وليس فى الكتب الستة أحد يقال له عبد الله بن بشار بالموحدة والشين المعجمة انتهى وهذا الحديث روى من طرق كثيرة وأما حذيفة فترجمته مسطورة مشهورة فلا حاجة لذكرها وشعبة هو ابن الحجاج بن الورد الحافظ أمير المؤمنين فى الحديث كما قال ابن الجوزى وممن يقال له هذا اللقب أيضا سفيان الثورى (قال لا يقولن أحدكم ماشاء الله وشاء فلان ولكن ماشاء الله ثم شاء فلان) قال التلمسانى وقع فى نسخة باثبات مابعد ثم أى ثم ماشاء وعليه صحح العرفى وفى الطرة ثم شاء بدون ما وهو كذا بخط القاضى وهذا هو الاشهر وهو المروى فى شرح مسلم للنووى وهذا النهى تنزيهى لرعاية الادب بترك العطف بالواو الموهمة للتساوى كما سيأتى بخلاف ثم الدالة على البعد رتبة وزمانا وفى شرح التجانى انما جاء النهى عن التشريك فى المشيئة بين الله وغيره لايهامه ان مشيئة الله تعالى موقوفة على مشيئة غيره تعالى عن ذلك فاذا لو خلصت المشيئة لله جاز أن يعلق الفعل على مشيئة غيره مجازا ثم التى للتراخى وعطف مشيئة العبد على مشيئة الله على أن يكون ما موصولة أو عطف مشيئة العبد على مشيئة الله على أن تكون مصدرية وعلى الوجهين الخبر محذوف أى كائن أو كائنة انتهى ثم انه قيل ان هذا وان لم يكن فيه عطف غير اسم الله على اسمه ففيه التنفير عما يوهم سوء الادب لفظا واستنباطه مما ذكر على أن قوله ماشاء الله الى آخره وقوله ماشاء الله وفلان هو شامل لماشاء الله ومحمد ويعضده ماورد فى الحديث عن الطفيل انه رأى ناسا من اليهود والنصارى فقالوا له نعم القوم أنتم لولا قولكم ماشاء الله وشاء محمد وفى رواية أنهم قالوا له انكم تشركون ولا تدرون فاخبر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقام خطيبا ونهى عن ذلك وسوغ ان يقال ماشاء الله وحده ثم محمد وقول المصنف رحمه الله السابق لا يجوز هذا الجمع فى غير حقه لا يوجب جوازه فى حقه فى الاماكن كلها وانما يدل على جواز الجمع بين الاسمين والطاعتين وقد صرح بعضهم بكراهة أعوذ بالله وبك ولولا الله وفلان انتهى * ثم أن هذا الحديث روى بلفظ آخر وهو ولا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد بل قولوا ماشاء الله ثم شئت قال العلامة الطوفى فى كتاب اللآلى هذا تنبيه على تراخى رتبة المخلوق عن الخالق والواو تفيد الجمع والتشريك بلا ترتيب * فان قيل قد أقرهم صلى الله تعالى عليه وسلم على قولهم الله ورسوله أعلم ولم يأمرهم أن يقولوا ثم رسوله * أجيب بان فى ماشاء الله وشئت تسوية بينهما فى أصل المشيئة وقوتها لفظا ولا كذلك الله ورسوله أعلم فان أعلميته بالنسبة اليهم حق وبين الله ورسوله اشتراك فى أصل الاعلمية لان الله أعلم من الرسول وكل أحد والرسول أعلم من غيره من الصحابة وغيرهم ولانه تعالى صرح بتبعية الخلق له فى المشيئة لقوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله وفيه نظر لان علم الخلق متأخر عن علمه تعالى أيضا وبقى فى هذا المقام كلام سنذكره بعد شرح الحديث الآتى (قال الخطابى) بالمعجمة والتشديد والموحدة وهو أبو سليمان حمد بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وقيل اسمه أحمد بن محمد بن ابراهيم البستى المعروف بالخطابى وجاء عنه أنه قال ان اسمى الذى سميت به حمد لكن الناس كتبوا أحمد فتركته قيل انه نسبة الى زيد بن الخطاب بن نفيل العدوى أخى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقال الذهبى لم يثبت هذا وكان رأسا فى سائر العلوم لا سيما الحديث والفقه والادب شافعى المذهب أخذ العلوم عن كثيرين فالفقه عن القفال واللغة عن أبى عمر والزاهد وصنف التصانيف الجليلة المشهورة منها معالم السنن وغريب الحديث وشرح أسماء الله الحسنى وغير ذلك وله شعر حسن توفى ببست سنة ثمان وثلاثمائة رحمه الله (أرشدهم صلى الله تعالى عليه وسلم الى الادب فى تقديم مشيئة الله على مشيئة من سواه) أرشده دله وهداه لما فيه الرشاد والصلاح وفى المصباح عن أبى زيد يقال أرشده اليه وله وعليه والادب رياضة النفس ومحاسن الاخلاق وفعله أدبته وأدبته ومنه أدبه تأديبا اذا

لا يقولن أحدكم ماشاء الله وشاء فلان) أى مع اعادة الفعل بصريحه فكيف مع حذفه وتقديره لتوهم الاشتراك فى معية المشيئة وان كانت الواو مفيدة لمطلق الجمع والاشتراك لا شك انه من الاشتراك وفلان يشمل جميع الخلق ولو من الانبياء والاصفياء (ولكن) أى يجوز له أن يقول (ماشاء الله ثم شاء فلان) على ما فى الاصول المصححة أى متابعة لمشيئته موافقة لارادته لان للمشيئة ولو تأخرت تأثيرا فى قضيته فان شاء الله كان سواء شاء وأبى فلان ومالم يشأ لم يكن سواء شاء أو ماشاء فلان مع أن العبد لم يكن له مشيئة الا بعد تعلق مشيئة الله بمشيئته كما قال سبحانه وتعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله (قال الخطابى) بفتح معجمة وتشديد مهملة هو الامام الحافظ أبو سليمان البستى نسبة الى جده ويقال انه من سلالة زيد بن الخطاب كان اماما كبيرا تفقه على القفال وغيره توفى ببست سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (أرشدهم صلى الله تعالى عليه وسلم الى الادب) أى الواجب مراعاته من جهة الرب (فى تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه)

عاقبته على اساءته لانه يدعوه الى حقيقة الادب أى دلهم على رعاية الادب فى كلامهم هذا وأما الادب
المعروف بين الناس ومنه العلوم الادبية فاصطلاح لم يرد فى كلام العرب العرباء والمشيئة الارادة وفرق
الحنفية بينهما كما فصلوه فى الاصل والفرع لكنهما متقاربان معنى وليس هذا محل تحقيقه وقال ابن
عطاء الله الادب الوقوف مع المستحسنات (واختارها بثم التى للنسق والتراخى بخلاف الواو التى هى
للاشتراك) ضمير اختارها لمطلق المشيئة أو لمشيئة الله أو لمشيئة من سواه أى اختار المشيئة ملتبسة بثم
على المشيئة بالواو وليس هذا من باب الحذف والايصال وأصله اختار لها كقوله تعالى عزوجل واختار
موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فانه لاداعى له هنا أى أرشدهم الى أن يراعوا الادب فى هذا بتقديم
مشيئة الله وتأخير مشيئة غيره معطوفة بثم والنسق العطف بأحد الحروف المشهورة من نسقه اذا ضمه
والتراخى تفاعل من الرخاء وأصل معناه الاتساع ومنه تراخى الامر تراخيا امتد زمانه وفى الامر تراخ أى
فسحة كما فى المصباح والواو لمطلق الجمع والاشتراك فى الحكم ونحوه من غير دلالة على ترتيب ولا تنافيه فى
الواقع أيضا فليس فى ذكرها رعاية الادب والدلالة على عدم المساواة بل ربما يوهم خلافه لاسيما اذا
لوحظ العدول عن ثم اليها فاندفع ماقيل من ان الواو لمطلق الجمع لا للمساواة الدالة على ترك الادب وماذكره
المصنف رحمه الله تعالى هو الصحيح عند النحاة وقد أنكر الفراء دلالة ثم على التراخى وقال بعضهم
ان الواو تفيد الترتيب والترتيب يكون حقيقيا وزمنيا وذكريا ولابن عبد السلام كلام فيه فى كتاب
المجاز كفانا ترك المصنف له مؤنة ذكره وهذا الحديث أخرجه أبو داود والنسائى وغيرهما وهو حديث
صحيح ثم انه قيل هنا أن المنع فى الحديث ان كان لاجل الجمع بين الله وغيره فى حكم الاتيان بالواو
فالاستشهاد به ظاهر وان كان الامر فى المشيئتين فهو يدل على النهى عما يوهم خلاف الحق وترك
الادب فيفيد مدعى المصنف استنباطا فلا يرد عليه أن المنع فى الحديث انما هو لاجل أن مشيئة العبد
متأخرة عن مشيئة الله تعالى لا للعطف والجمع وأيضا فى الكلام ايهام توقف مشيئة الله على مشيئة العبد
فمنع لهذا لانه على التقديرين يفيد مدعاه أيضا كما مر ثم ان ظاهر كلام المصنف يقتضى انه لا يمنع الجمع
بين مشيئة الله ورسوله بالواو وينافيه مارواه البيهقى رحمه الله تعالى فى حديث طويل لا تقولوا ماشاء الله
وشاء محمد فان صح خص بما ذكره المصنف من الطاعة والايمان ونحوه مما لم يرد فيه نهى * (فائدة) * فى
بعض الشروح أن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن اذا ضم لقوله تعالى
وماتشاؤون الا أن يشاء الله أنتج ان ماتشاؤون كائن لامحالة وهو خلاف لتخلف كثير من مشيئتهم
وأجيب بان المعنى ماتشاؤون شيأ كائنا الا ماشاء الله كينونته (ومثله الحديث الآخر) أى هو مثله فى
التنزيه عما يوهم من العبارة وهو حديث صحيح فى صحيح مسلم وسنن أبى داود مسندا (أن خطيبا
خطب عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا الخطيب هو عدى بن حاتم كما قاله الطوفى وقال البرهان
الحلبى لا أعرف اسمه وقال بعض الحفاظ انه ثابت بن قيس بن شماس وهو خطيب الانصار الصحابى
الانصارى الذى شهد له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وان فى عبارة المصنف مفتوحة ويجوز
كسرها على الحكاية والخطبة مصدر خطب ويطلق على الكلام نفسه وهى معروفة وهذا الخطيب
كان قد خطب قومه عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على عادة العرب فى الخطب للامور المهمة
وللنكاح قاعدا أو قائما وكذا كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب للامور ثم حدث المنبر بعد الهجرة
(فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد) قال فى المصباح الرشد الصلاح وهو خلاف الغى والضلال ورشد
رشدا من باب تعب ورشد يرشد من باب قتل فهو راشد والاسم الرشاد ويتعدى بالهمزة انتهى وقد قال
مثله غيره من أهل اللغة فشين رشد فى الحديث مفتوحة وهو المشهور رواية ويجوز كسرها وروى من

واختارها) قال الحجازى
ويروى واحتازها بمهملة
وزاى والظاهر انه
تصحيف أى اختار العبارة
فى تغييرها التعبير بها (بثم
التى هى للنسق) بفتحتين
أى للعطف بالترتيب
(والتراخى) أى المهلة
فى الوجود والرتبة
(بخلاف الواو التى هى
للاشتراك) وهو قد يكون
بالمعية والقبلية والبعدية
وبخلاف الفاء التعقيبية
(ومثله) أى مثل
الحديث المتقدم فى النهى
(الحديث الآخر ان
خطيبا خطب عند النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم)
قيل هو ثابت بن قيس
ابن شماس (فقال من
يطع الله ورسوله فقد
رشد) بفتحهما وبكسر
الثانى بمعنى اهتدى

باب علم أيضا ومن الغريب ما حكاه السبكي في طبقاته أن شهاب الدين بن المرحل قرأ على الحافظ المزي رشد بكسر الشين فرد عليه وقال رشد بالفتح وقال له قال الله تعالى لعلهم يرشدون فقال ابن المرحل وكذلك قال فأولئك تحروا رشدا فسكت يعني الحافظ أن يفعل المضموم مضارع فعل مفتوحا أو مضموما والثاني غير محتمل فتعين الأول فأجابه بان مصدره ورد على فعل بالتحريك وهو مصدر فعل المكسور قال ابن هشام والذي في كتاب سيبويه رشد كسخط فخفاء السماع على وفق سماع ابن المرحل فلله دره قال السبكي رحمه الله لا وجه للقياس مع الرواية فان المروي في الحديث هو المشهور في اللغة انتهى وكذا نقله السيوطي في شرح سنن أبي داود واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل (ومن يعصهما) قيل آثر المصنف رحمه الله تعالى رواية الوقف على يعصهما ليظهر منشأ القول بان المنع للوقوف وان لم يرض به كما ستراه وقد خفي هذا على المعلقين انتهى قلت كيف يخفى وقد ذكره الدلجي فلا ينبغي مثله من مثله (فقد غوى) في النهاية غوى يغوى من باب ضرب والغي والغواية الضلال والانهماك في الباطل وفي شرح سنن أبي داود غوى روي بفتح الواو وكسرها قال عياض والصواب الفتح انتهى (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت قم أو قال اذهب) وفي سنن أبي داود قم اذهب بئس خطيب القوم أنت فان لم تتعدد القصة فبعضها رواية بالمعنى الا أن قوله أو قال يقتضي شك الراوي ويحتمل أنه اختلاف في الرواية ان كان القائل غير الراوي الأول وهو معطوف على مقدر مثله أو هو معطوف على الأول فتدبر ولم يكتف بقوله بئس الى آخره حتى زاد طرده للزجر تنبيها على ان من لا أدب له لا يصلح لصحبته والتكلم بحضرته والمراد بقم أيضا اذهب من مجلسي كما قال

كأس اذا أبصرت في القوم محتشما * في الحال قالت له قم غير مطرود

وأما على الرواية الاخرى فاذهب بدل من قم مفسر له أو باسقاط العاطف أي قم فاذهب وبئس مستوف لجميع الذم كاستيفاء نعم لجميع المدح وقم لما كان المراد به الطرد كما عرفته لم يقتض كونه قاعدا وهذه الخطبة يخطبها القاعد والقائم كخطبة النكاح فمن قال لعله كان يخطب قاعدا ولعلها لم تكن خطبة مشروعة كالجمعة فانها يجب فيها القيام لغير عاجز بل خطبة نصيحة أو مفاخرة على عادتهم فقد أخطأ في فهم المراد وكيف يتوهم أن يخطب للجمعة غيره بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم (قال أبو سليمان) هو الخطابي (كره) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية) أي كره أن يعبر عنهما بضمير واحد ففيه مضاف مقدر أي بين مسمى الاسمين بكلمة واحدة وهي ضمير التثنية في قوله يعصهما والحرف له معان منها الوجه والكلمة المخصوصة عند النحاة ومطلق الكلمة والطريقة قال الازهري في التهذيب كل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمى حرفا فيقال هذا حرف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أي الكلمة التي قرأها أو قرأته ومنه الحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف في أحد الاقوال وللناس فيه كلام كثير حتى أفرد بالتأليف وأما مجيء الكناية بمعنى الضمير فاصطلاح كما في الكشاف في أول سورة البقرة وقال الرضي الكناية في اللغة والاصطلاح أن يعبر عن معنى لفظا كان أو معنى بلفظ غير صريح في الدلالة عليه اما للابهام على السامع كجاء في فلان أو للاختصار كالضمائر الراجعة الى متقدم انتهى فحرف الكناية بمعنى وجه الكناية أو طريقة الكناية أو كلمتها وهي الضمير وهذا هو الاشبه فيه وان نوقش في الاختصار بان بعض الضمائر أطول من بعض الظواهر كزيد وايا. فقيل بانه أغلبي وعدل عنه الشريف في شرح الكشاف وعلل بدفع التكرار والامر فيه سهل فمن قال هنا حرف الكناية آلته وهي ضمير الغائب بان أراد معناها من ضمير واحد والحرف لغوي أفرد لارادة الجنس أو لشدة الاتصال ولانه الاصل لها وقال الرضي الكناية غير الصريح لدلالته على المعنى بواسطة

(ومن يعصهما) أي فقد غوى كما في نسخة صحيحة أي ضل عن طريق الهدى (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت قم) أي من هذا المجلس أي فانك قليل الادب والحديث أخرجه النسائي في اليوم والليلة وأبو داود في الادب ورواه مسلم أيضا (قال أبو سليمان) أي الخطابي (كره) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) أي من الخطيب (الجمع بين الاسمين بحرف الكناية) مأخوذة من الكن وهو الستر تعبير كوفي بمعنى الضمير المأخوذ من الضمور والضمار الذي هو الخفاء ويقابلها الظهور والظاهر وهو ضد المضمر وهو تعبير بصري (لما فيه) أي في الجمع بينهما بالكناية

(من التسوية) أي توهما المقتضى للشركة بينهما وفيه ان توهم التسوية موجود ظاهرا في المظهر أيضا مع ان
طاعتهما وعصيانهما
متلازمان في ترتب الهداية
والغواية كما يشير اليه
قوله تعالى والله ورسوله
أحق أن يرضوه بافراد
الضمير الشامل لكل
منهما وان كانت رتبته
تعالى أجل وأعظم من
تقابل بمرتبة مخلوق وان
كان تشرف وتكرم
ولذا قال النووي والصواب
ان سبب النهي والذم
هو ان الخطيب شأنه
الايضاح واجتناب الرمز
والاشارة لا كراهة الجمع
بين الاسمين بالكناية
لانه ورد في مواضع منها
قوله عليه الصلاة والسلام
أن يكون الله ورسوله
أحب اليه مما سواهما
ومما يقوي كلام النووي
ان كلام الخطيب جملتان
مستقلتان (وذهب
غيره) أي غير الخطابي
وأراد بعضهم (الى انه
انما كره الوقوف) أي
التوقف (على يعصهما)
لوصح هذا الوقف سواء
أتى بعده بقوله فقد غوى
أو اقتصر اكتفاء بما
يعرف من الضد فانه
مقصر لا محالة لعدم تمام
الكلام ونظام المرام
ووجود الايهام (وقول
أبي سليمان) أي الخطابي
(وأصح) أي من قول
القائل السابق (لما روى
في الحديث الصحيح انه
قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر) أي في هذا الحديث (الوقوف على يعصهما) وأنت قد عرفت

مؤيدا

المرجع ولا يخفى ان أنا وأنت فيهما تصريح بالمراد وقال التلمساني الضمير مطلقا يسمى كناية من الكن وهي الستر انتهى فقد نفخ في غير ضرم فانه كيف يعد صريحا وهو صادق كل متكلم ومخاطب وانما يدل صريحا بواسطة حضور معناه والعجب ممن نقل اطلاق الحرف على الكلمة عن حواشي الشمسية للعماد وممن تبعه وقال انه اصطلاح منطقي وفي الشرح الجديد ان الكراهة هنا تنزيهية وكلام الاحياء يقتضي انها تحريمية وفيه ان ثابتا كان خطيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان حسان رضي الله تعالى عنه شاعره ولما قدم وفد تميم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقام خطيبهم فخطب وافتخر قام ثابت رضي الله تعالى عنه فخطب بكلام جزل وهو من كبار الصحابة الانصار شهد المشاهد فبشره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة كما ورد في الحديث فكيف يقال له بئس خطيب القوم أنت وأجاب عنه بانه لا ينافي ذلك زجره لخطائه بمخالفة الادب لاسيما وقد ورد في الحديث الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال شارطت ربي فقلت اللهم انما أنا بشر فاي المسلمين لعنته أو سببته أو آذيته وشتمته فاجعله له زكاة وأجرا ورحمة وفي رواية اجعلها كفارة له يوم القيامة وفي رواية أبي داود في السنن بدل قوله فقد غوى فانه لا يضر الا نفسه (لما فيه) أي الجمع (من التسوية) والآتي بيان المراد بها (وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول أبي سليمان أصح لما روى في الحديث انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما) وقال النووي الصواب ان سبب النهي ان الخطبة شأنها الايضاح واجتناب الرمز ولهذا كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لتفهم لا كراهة الجمع بين الاسمين بالكناية لانه ورد في مواضع منها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يكون الله ورسوله أحب اليه ممن سواهما وقال العلائي في كتاب الفصول المفيدة قيل في الجمع بين هذه الاحاديث وجوه * منها ان هذا خاص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانه يعطي مقام الربوبية حقه ولا يتوهم فيه تسوية له بما عداه أصلا بخلاف غيره من الامة فانه مظنة التسوية عند الاطلاق والجمع في الضمائر بين الله وغيره فلذا جاز الجمع بينهما في كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وغير ذلك وأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الخطيب بالافراد لئلا يوهم كلامه التسوية والمخاطب الوفد الذين قرب عهدهم بالاسلام ومثله قوله لا تقولوا ما شاء الله وشئت الى آخره ويعلم منه ما في كلام الله بالطريق الاول ويرد عليه حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه الذي علم فيه الامة ما يقولونه عند الحاجة فان فيه ومن يعصهما فيدل على عدم الخصوصية الا أن يقال يؤخذ من مجموع الحديثين انهم يقولون في خطبة الحاجة ومن يعص الله ورسوله ولا يجمع فيها وفيه نظر * ومنها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين أنكر على ذلك الخطيب كان هناك من يتوهم منه التسوية بين المقامين عند الجمع في الضمير ولعل هذا أقرب مما قبله * ومنها ان ذلك الجمع لم يكن على وجه التحتم بل على وجه الندب والارشاد الى الاولى لما في افراد اسم الله عز وجل من التعظيم له بدليل انه ورد خلافه في الاحاديث وهو قريب مما قاله الاصوليون من ان الواو لا تفيد الترتيب * ومنها ان ذلك الانكار كان مختصا بذلك الخطيب لانه فهم من التسوية فيختص بمن كان حاله كذلك ولعل هذا الجواب هو الاقوى لانها واقعة حال وذلك احتمال الا انه اذا انضم اليه حديث أبي داود الذي علم فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمته كيفية خطبة الحاجة قوي الاحتمال ومثله قيل في حديث لا تفضلوني على موسى عليه الصلاة والسلام انتهى أقول في هذا المقام اضطراب واشكال لان مقصود المصنف رحمه الله تعالى ذكر ثناء الله على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وما يدل على رفعة قدره فلما انتهى الى انه رفع ذكره حيث قرنه بذكره وأدرج فيه انه قرن طاعته بطاعته بالواو المشركة عقبه بحديث النهي عن قول ما شاء الله وشاء فلان

مؤيدابه انه لايجوز العطف بالواو فى حق غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بناءعلى هذه الرواية والنهى
عن عطف مشيئته بالواودون ثم ثم ترقى الى النهى عن جمع اسم الله وغيره فى كلام واحد وهو كلام
متجاذب الاطراف بحسب الظاهر سواء قلنا النهى تنزيهى على الصحيح أو تحريمى لكن اذا تأملت
كلامه وجدته مخالفالما فى نفس الامر فان العطف بالواو على اسم الله لايختص بالنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم لوروده فى حق غيره صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا فى القرآن والحديث ولامانع منه عقلا وشرعا
والحديث الاول فيه رواية أخرى صحيحة كما مر ماشاء الله وشاء محمد فلا يكون مؤيداله بل مخالفا وجمع
الضمير ورد فى القرآن والاحاديث كقوله أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ولما رأى
الناس هذا مخالفا للمأثور ذهب بعضهم الى التوفيق وبعضهم انه كان فى ابتداء الهجرة ثم نسخ وقيل
الخطبة شأنها الافصاح وان كلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم جملة واحدة ايقاع الظاهر فيها قليل
لغة بخلاف كلام الخطيب وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لو أفرد كان معظما وهو أعظم الناس
تواضعا وقيل انه أدب شرعى مخصوص بغير كلام الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يرد مافى
القرآن والحديث وقيل فعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لبيان الجواز وأما الحديث الاول
فذهب بعض المحققين الى انه مخصوص المشيئة لقوله ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وقوله وماتشاؤن
الا أن يشاء الله فانه ندب لتعليق الامور بمشيئة الله وحده فلا يجوز تشريك مشيئة غير الله بمشيئته سواء
فى ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره الابثم الدالة على التراخى فان نفس مشيئة العبد بمشيئة الله
أيضا لانه الذى خلق فيه الدواعى وغاية مايوجه به كلام المصنف انه مكروه عنده فى حق غير النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان فى كلام غير الله وكلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لما فيه من
الابهام وانه لماذكره فى العطف أتى بالمشيئة ومابعده استطرادا اذا عرفت هذا فقوله لما فيه من
التسوية أى فى تثنية الضمير وجمعه تسوية بينهما لانه لفظ واحد متصل لاسيما اذا لوحظ العدول عن
العطف الدال على التفاوت بالتقديم والتبعية ولذا قال ليقل (من يعص الله ورسوله) وليس فى الواو
تسوية عند المصنف رحمه الله تعالى كما قيل بل تشريك اذ الواو تقتضى التغاير والاستقلال لقيامها
مقام تكرار العامل أو تقديره معها وقول النحاة العطف بالواو بمعنى الضمير لم يريدوا من جميع الوجوه
وقوله ذهب غيره أى غير الخطابى الى انه كره من الخطيب وقوفه على يعصهما بناء على انه فعل ثلاثى
أوسعال أو نحوه فيوهم عطفه على الفاعل فيكون العاصى راشدا وهو فاسد وقيل المراد بالوقوف سكتة
خفيفة بقطع النفس لاقطع الكلام مرة واحدة كما روانما سكت اشارة لمحل الذم واكتفاء بالمقصود
وتنبيها على جواز الحذف أوذهولا ونسيانا ولا حاجة لما تكلفه وصرفه عن ظاهره وقوله وقول أبى
سليمان أصح أى من القول بان الانكار عليه لوقفه لا للجمع فى الضمير لان قوله له قل ومن يعص الله
ورسوله صريح فيه وأما القول بان الجمع وارد أيضا الى آخره فقد عرفته ومافيه فلا حاجة للتطويل به
وأما قوله أصح دون هو الصحيح فلان عدم ذكره الوقوف والرد عليه بما مر والرد عليه بما ذكر لا يعينه
لاسيما مع احتمال تعدد القضية (وقد اختلف المفسرون وأصحاب المعانى) قال بعض الشراح لم يرد
بعلم المعانى هنا علم البلاغة المشهور بل أراد من لهم زيادة اختصاص بالبحث عن معانى الكتاب والسنة
غير المفسرين بقرينة المقابلة وجوز أن يراد المعنى المعروف لما فيه من المجاز الذى هو من مباحثه كما
سيأتى (فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى هل) واو (يصلون راجعة) وعائدة (على الله
تعالى والملائكة أم لا) وفى نسخة وعلى ملائكته ورجع يتعدى بعلى والى والمراد بالرجوع والعود
ارادتهما منه بقرينة ماقبله وهو معروف غنى عن الشرح وهل هنا بمعنى الهمزة فلذا عادلتها أم كما ورد

الاحتمالين ومن حفظ
حجة على من لم يحفظ
والاثبات مقدم على النفى
(وقد اختلف المفسرون)
للقرآن (وأصحاب المعانى)
أى من أرباب البيان
(فى قوله تعالى ان الله
وملائكته) الاكثر
على النصب عطفا على
اسم ان (يصلون على
النبى هل يصلون) أى
جملتها باعتبار كنايته
العائدة (راجعة الى الله
تعالى وملائكته جميعا)
وخبر عنهم مشتركة بينهم
فى ضمير واحد (أم لا)
أى بل هى راجعة الى
الملائكة فقط ويقدر لله
عامل آخر لتغاير الصلاتين

(فاجازه بعضهم) أى ممن قال بالجمع بين المعنيين المشتركين فى اطلاق واحد فان الصلاة من الله تعالى انزال الرحمة ومن الملائكة الاستغفار والدعوة ومنهم الشافعى وأتباعه (ومنعه آخرون) أى منع رجوعها اليهم (لعلة التشريك) أى بين المعنيين ومنهم أبو حنيفة وأشياعه أو لاجل توهم الاشتراك فى الفعل وأجازه الاولون لظهور المغايرة عند أرباب العقل ونهى الخطيب انما كان لترك الادب الذى هو كما مر شان الخطبة من الايضاح واجتناب الرمز (وخصوا) أى البعض الآخرون (الضمير) أى فى يصلون (بالملائكة وقدروا الآية) أى هكذا (ان الله يصلى وملائكته يصلون) أى وجعلوا خبر الثانى دليلا على خبر الاول كما فى نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف والمحققون يجعلونه من باب عموم المجاز ويقولون التقدير ان الله وملائكته يعظمون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كل بما يناسبه من أنواع التعظيم وأصناف التكريم والاولى عندى أن يقال الضمير راجع الى الكل والمعنى يثنون عليه فالله تعالى عند المقربين وفى كتابه المبين وعلى لسان جبريل الامين والملائكة فيما بينهم لا سيما اذا قلنا انه أيضا مبعوث اليهم فيجب حينئذ تعظيمه لديهم وثناؤه عليهم وهذا المعنى لغوى حقيقى على ما ذكره صاحب القاموس من ان الصلاة هى الرحمة والدعاء والاستغفار وحسن الثناء هذا وقراءة ابن عباس وروبت عن أبى عمرو وملائكته بالرفع اما عطفا على محل اسم ان مبتدأ خبره محذوف وهو مذهب البصريين (وقد روى عن عمر رضى الله تعالى عنه) قال الدلجى ولم أدر من رواه (انه قال) أى مخاطبا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من فضيلتك عند الله تعالى) أى من جملة فضائلك فى حكمه (ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله

فى الحديث هل تزوجت بكرا أم ثيبا والكلام عليه مبسوط فى محله وقوله فى قوله متعلق باختلف والتقدير المشهور فى أمثاله اختلفوا فى جواب هل الى آخره اذ لا اختلاف فى الاستفهام وانما الخلاف فى الرجوع وعدمه فهل الضمير عائد على الله تعالى والملائكة أم على الملائكة فقط وخبر الجلالة محذوف أى ان الله يصلى وملائكته يصلون (فأجازه) أى الرجوع اليهما (بعضهم ومنه آخرون لعلة التشريك) أى للزوم التشريك بين الله والملائكة والتسوية بينهما فى عبارة واحدة وهو ضمير الواو وان كان معنى الصلاة فى حقهما واحدا كما مر من انه ممنوع لما فيه من عدم رعاية التعظيم الدال على التفريق بالتفريق أو بنفسه على ما فيه فان كان هذا التعليل نقل مذهبا لبعض من منع فلا كلام فيه والمصنف رحمه الله تعالى ثقة وأجل من أن يكون لم يفهم مرادهم فسقط ما فى بعض الشرح من انه لم يقله أحد سواه والمنع له علة أخرى مذكورة فى كتب أصول الفقه وهى لزوم استعمال اللفظ المشترك فى معنييه أو الجمع بين الحقيقة والمجاز فانهم قالوا الصلاة من الله تعالى رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الآدميين تضرع ودعاء فان كانت هذه معان حقيقة لزم الاول والا بان يكون فى واحد منها حقيقة وفى غيره مجاز لزم الثانى *وأجيب بانه على تسليم صحة النقل من عموم المجاز وهو استعماله فى معنى عام مجازى شامل لهما على الاحتمالين أو من عموم المشترك فلا يلزم ما ادعاه المجوزون الذين استدلوا بهذه الآية وبان المنع على ما ادعاه المصنف رحمه الله تعالى انما هو فى غير الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقام يوهم تسوية الله بغيره لانه حق لهما يفعل الله فيه ما يشاء ويخلعه عمن يشاء وهو لا يسأل عما يفعل كما مر تحقيقه وقد صرح به القرطبى فى تفسيره هنا وفى تفسير القاضى لقوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته يصلى عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المعنى المشترك وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة بمعنى الدعاء وقيل الترحم والانعطاف المعنوى مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصورى وفى دقائق المنهاج للنووى ان التفسير المذكور للصلاة شرعى وكلام شيخ الاسلام زكريا يقتضى انه لغوى *واعلم ان فى تفسير الصلاة السابق كلاما لنا فيه رسالة مستقلة وليس هذا محلها فحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد (وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلى وملائكته يصلون) أى من ذهب الى ان العلة التشريك ولم يجوزه مطلقا خص الضمير بالملائكة وقدر فى الاول خبرا فالتقدير عنده ان الله يصلى وملائكته يصلون فحذف من الاول ما يدل عليه الثانى على عكس المشهور فى الحذف والتقدير ولكن مثله جائز ان قرأ بنصب ملائكته عطفا على اسم ان فان رفع تعين كونه كذلك وعلته عند المصنف رحمه الله تعالى الهرب من التشريك وعند غيره ما مر وكون الحذف من الاول لدلالة الثانى عليه ضعيف غير مسلم مع انه قيل عليه أيضا انه على هذا التقدير وان اندفع التشريك لم يندفع ايهامه بحسب الظاهر من اللفظ (وقد روى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله) من فضيلتك خبر مقدم وعند متعلق به وان جعل مبتدأ مؤخر والعكس بجعل من التبعيضية لكونها بمعنى بعض مبتدأ أخرق للسياج من غير احتياج وان ذكره بعضهم

فى

وقدقال تعالى) الظاهر انه ليس من قول عمرو عطفه عليه لقربه منه معنى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الآيتين) يعنى ويغفر لكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين فالآية الثانية تدل على ما تقدم من ان اطاعة الرسول كاطاعة الله وقوله فان تولوا أى أعرضوا أو تعرضوا عن كل من اطاعة الله وطاعة الرسول فان الله لا يحب الكافرين بالاعراض عن طريق المؤمنين المطيعين واما الآية الاولى فهى فى رتبة مقام المحبوبية أولى حيث جعل متابعة حبيبه شرطا لتحقق محبته ثم رتب على محبته المقرونة باتباعه محبة ثانية مجازاة من الله سبحانه وتعالى على محبتهم فمتابعتهم له محفوفة بمحبتين لله سابقة ولاحقة أزلية وأبدية علمية وتنجيزية بل المحبة الاولية هى التى أوجبت المحبة الآخرية كما أشار اليه قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه والحاصل انه تعالى سد باب المحبة على جميع الخلق الا بملازمة باب الحبيب ومتابعة آداب الطبيب الجامع بين مرتبة المحبة والمحبوبية والمريدية والمرادية والطالبية والمطلوبية والسالكية والمجذوبية فابواب أرباب الهدى سدت السدى ومن جاء هذا الباب لا يخشى الردى ثم المحبة ميل نفس الى ما فيه كمال يحملها على ما يقرب اليه فاذا علم العبد ان الكمال الحقيقى ليس الا الله وان كل كمال فى نفسه أو غيره انما هو من الله وبه واليه لم يكن حبه الا لله تعالى وفيه تعالى وذلك يدعو الى طاعته المستلزمة لطاعة رسوله ولكونها بالارادات أشدمنها بالادراكات فسرت بارادة طاعته والتحرز عن معصيته ومحبته تعالى لعباده ارادة هدايتهم وتوفيقهم فى الدنيا وحسن ثوابهم فى الاخرى والعقبى

فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله كما مر وهذا الحديث قال المخرجون انهم لم يجدوه فى شئ من كتب الحديث وان ورد ما هو بمعناه فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى (وقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الآيتين) هذا يحتمل ان يكون استئنافا من المصنف رحمه الله تعالى ويحتمل ان يكون من كلام عمر رضى الله تعالى عنه أيضا وهو المقصود بالذكر هنا وانما نقل أول كلامه ليكون مذكورا بتمامه فلا يرد عليه ما قيل من انه قد سبق بلفظه فلا فائدة فيه غير الاطالة وقيل انه لا تكرار فيه على كلا التقديرين لاختلاف المقامين فانه أولا ذكر اقتران اسمه باسمه وطاعته بطاعته لرفع ذكره واعلاء قدره وذكره هنا لان الله عظمه مع تأدبه مع ربه فجعل طاعته نفس طاعته ولا يخفى انه لا محصل له نعم لك ان تقول ان ما نحن فيه أبلغ مما مر فيكون ترقيا فى مدحه لان اقتران شئ بشئ دون كونه عينه بحيث لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر وان من عصى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عصى الله فان كان هذا مراده فمرحبا بالوفاق وعلى كل حال فليس فى ذكر هذا مع ما مر كبير فائدة فلو اقتصر على أحدهما حصل المراد وقال القاضى فى تفسيره المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال أدرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والكمال الحقيقى ليس الا لله عزوجل وان ما يراه العبد كمالا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله والى الله فلا ينبغى المحبة الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه له فلذا فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومطاوعته وبهذا علمت وجه الملازمة فى الشرطية وقال الامام اتفق المتكلمون على ان المحبة نوع من أنواع الارادة وان الارادة لا تعلق لها الا بالحوادث والمنافع فيستحيل تعلقها بذاته وصفاته فاذا قيل العبد يحب الله فمعناه يحب طاعته وثوابه ونحوه وأما محبة الله له فهى عبارة عن ارادة الخير له فى الدارين ونقل الشارح الفاضل ان العارفين قالوا بان العبد يحب الله لذاته واما حبه لشئ آخر فدرجة نازلة والقول الاول ضعيف لانه لا يمكن ان يقال ان كل شئ انما كان محبوبا بالمعنى آخر اذ لا بد من الانتهاء الى شئ يكون محبوبا لذاته فكما نعلم ان اللذة محبوبة لذاتها كذلك نعلم ان الكمال محبوب لذاته فمن سمع أخبار رستم فى شجاعته مال قلبه اليه مع القطع بان محبته معصية فعلمنا ان الكمال محبوب لذاته واكمل الكمال لله فيقتضى انه محبوب لذاته من ذاته وقيل المراد هنا ان صدقتم فى دعوى المحبة فاتبعونى فان اتباعى علامة ذلك فاذا اتبعتمونى يزيدكم الله فضلا فيحببكم فتعم الملازمة أو هى أمر اعتبارى أى انما تعتبر محبتكم باتباعى أو هى قضية اتفاقية أو بواسطة قضية ضرورية عرفية أقول هذا محصل ما قالوه وفى الشرح الجديد هنا كلام طويل من غير طائل والحق الحقيق بالقبول ان المصنف رحمه الله تعالى قصد بعد ما ذكر ان الله رفع ذكره وطاعته قرين ذكره وطاعته ان يبين ان طاعته تقتضى محبة الله تعالى ورضوانه الذى هو أكبر من جميع ما مر لان محبة الله واجبة اذ بها يكمل الايمان فانه لا يؤمن أحد حتى يكون الله أحب اليه من نفسه

وحبه لا يكون الا بطاعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وطاعته انما تكون بطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لانها أعظم ما امر به لقوله أطيعوا الله وأطيعوا

الرسول) ومتابعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اتباعه فى أوامره ونواهيه فاذا كان هذا تحقق محبة الله ومن أحب الله أحبه كما قيل

لاوحق الخضوع عند التلاقى * ماجزا من يحب الايحب

وبهذا علمت ان ذكر آية الطاعة أمر لازم هنا ليتم الدليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم أحب الخلق الى الله تعالى لانه يحب من اتبعه فادعاء التكرار من قصور الانظار ومابعده من فتق الديباج وترقيعه بالخيش وبهذا عرفت معنى محبة الله لعبده ومحبة عبده له * (وروى) كما رواه ابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وابن المنذر عن مجاهد وقتادة (انه لما نزلت هذه الآية قالوا) أى الكفار أو المنافقون والقائل منهم عبد الله بن أبى سلول لعنه الله نزل قوله منزلة قولهم كلهم لعظمته عندهم (أن محمدا يريد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى) صلى الله تعالى عليهما وسلم (فانزل الله تعالى قل أطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم) الحنان بفتح الحاء المهملة بعدها نون مخففة يليها ألف ونون ومعناه الرحمة والعطف ومنه قوله تعالى (وحنانا من لدنا) وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما أدرى ما الحنان وفى النهاية أن ورقة مر ببلال رضى الله تعالى عنه وهو يعذب فى الله فقال والله لئن قتلتموه لاتخذته حنانا والحنان الرحمة والعطف والرزق والبركة أى لاجعلن قبره موضع حنان أى مظنة رحمة وبركة فاتمسح به كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا فى سبيل الله من الامم الماضية والمعنى على هذا هنا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يريد أن يجعلنا ممن نتبرك به ونخضع له خضوعا يؤدى لعبادته كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لان محبة الله بالاطاعة والخضوع له بالعبادة وقد جعل اتباعه يتوقف عليه محبة الله قيل وفيما ذكره صاحب النهاية نظر لان بلالا رضى الله تعالى عنه انما عذب بعدما أسلم وورقة مات قبل البعثة وفيه تأمل فانه قيل ان القائل ذلك زيد بن عمرو ابن نفيل وانما قول المعترض ان ورقة أسلم قبل البعثة فليس بصحيح لما فى البخارى مما يخالفه صريحا (٢) وانما الذى لم يدرك البعثة زيد المذكور والنصارى مفرده عند سيبويه نصران ومؤنثه نصرانة ولم يستعمل بياء النسبة وقال الخليل واحده نصرى كمهرى ومهارى وقيل هو منسوب الى نصرة وهى قرية نزلها عيسى عليه الصلاة والسلام وقال قتادة هى ناصره ولكنه غير فى النسب ونصارى ممنوع من الصرف للالف وهم قوم عيسى عليه الصلاة السلام وقد افترقوا فرقا بسبب قصة يونس المفصلة فى التواريخ وذكرها هنا التلمسانى أيضا وعيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان قال التلمسانى لم يذكر الله امرأة فى القرآن باسمها الا مريم ذكرها فى نحو ثلاثين موضعا والحكمة فيه ان الملوك والاشراف لايذكرون حرائر زوجاتهم باسمائهن بل يكنون عنهن بالاهل والعيال ونحوه فاذا ذكروا الاماء لم يكنوا ولم يحتشموا عن التصريح فلذا صرح باسمها اشارة الى أنها أمة من اماء الله وابنها عبد من عبيد الله ردا على اليهود الذين قالوا فى عيسى عليه الصلاة والسلام ومريم ماقالوه وهو كلام حسن جدا وعيسى ليس بمشتق من العيس بمعنى البياض لانه اسم عجمى معرب والاشتقاق مختص بكلام العرب وان كانوا اذا عربوه ألحقوه بكلامهم وتصرفوا فيه فقد يفرضون اشتقاقه لبيان وزنه وحكمه وعيسى عليه الصلاة والسلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة أو أربع وهو الاشهر عند المفسرين والمحدثين وقيل ثمانين سنة وقيل مائة وعشرين سنة كما نقله ابن حجر فى الاصابة واختلف أيضا فى مكثه فى الدنيا بعد نزوله من السماء فقيل سبع سنين وقيل أربعين وقيل غير ذلك ونزول الآية رد لما قالوه لامره بطاعته وتوقيره بما يليق به ونفيه تكذيب لهم وتسفيه ورغما بالراء المهملة والغين المعجمة والميم مثلث الراء بمعنى تذليل

(وروى) أى عن جماعة كابن المنذر عن مجاهد وقتادة (أنه لما نزلت هذه الآية) أى قل ان كنتم تحبون الله (قالوا) أى بعض الكفار (ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا) أى ربا ذا رحمة (كما اتخذت النصارى عيسى حنانا) ومنه قوله تعالى وحنانا من لدنا وقيل متحببا وقيل متمسحا به ومنه قول ورقة بن نوفل حين مر ببلال وهو يعذب والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا أى لاجعلن قبره موضع حنان أى مظنة رحمة من الله فاتمسح به متبركا كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا فى سبيل الله من الامم الماضية فيرجع ذلك عارا عليكم ومسبة عند الناس راجعة اليكم (فانزل الله عز وجل) أى بعد تلك الآية (قل أطيعوا الله والرسول) تأكيدا للمتابعة (فقرن طاعته بطاعته صلى الله عليه وسلم) أى تعظيما لقدره وتشريفا لامره (رغما لهم) بفتح الراء وهو الاشهر أى غيظا لانوفهم وكرها لالوهم فى القاموس الرغم الكره ويثلث وأصل هذه الكلمة من الرغام وهو التراب يقال رغم أنفه بالكسر اذا ألصق بالرغام فالمعنى الصاقا لانوفهم بالتراب جزاء لانفتهم من ملازمة هذا الباب ومتابعة هذا الجناب على وفق الكتاب وآداب

(٢) وما فى النهاية ذكره ابن اسحق فى السير وأيده ابن حجر بما فى البخارى نسخه

رب الارباب لاولى الالباب (وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى فى أم الكتاب) أى أصل الكتاب المشتمل على اجمال جميع الابواب من الثناء على الله والتعبد له والاستعانة به وطلب الهداية اليه والوعد والوعيد منه وهو سورة الفاتحة الخاتمة (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) أى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذا أولى ما قيل فى الآية وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل فيه دخولا أوليا بلا مرية (فقال أبو العالية والحسن البصرى) أما الحسن بن أبى الحسن البصرى فقد تقدمت ترجمته مجملة وأما أبو العالية فهما اثنان تابعيان من أهل البصرة فاحدهما أبو العالية الرياحى بكسر الراء وبالتحتية واسمه رفيع بن مهران أسلم بعد عامين من موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم روى عن عمر وأبى وابن عباس رضى الله تعالى عنهم وروى عنه قتادة وغيره أخرج له الجماعة توفى سنة تسعين والثانى أبو العالية البراء بفتح موحدة وتشديد راء بعده همزة واسمه زياد روى عن ابن عباس وغيره وروى عنه أيوب السختيانى وغيره أخرج له الشيخان والنسائى والثانى بالكنية أشهر والمراد هنا الاول وله تفسير وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعظمه ويجلسه معه على السرير ويفرش تحته

(الصراط المستقيم) بالنصب على الحكاية وهو أولى من الرفع المبنى على الاعراب بالابتدائية (هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه) بشهادة حديث خير القرون قرنى وحديث أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ولا يخفى انه لا يصح الحمل الا بتقدير وهو طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخيار أتباعه أو يحمل عليه مبالغة كرجل [illegible] فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعه لكمال اتباعه عين الطريق فى عالم التحقيق فان من المعلوم انه ليس هنالك صراط حسى

وقهر واكراه وأصله من الرغام وهو التراب لان المهان يسحب فى الارض على التراب ثم عم فقيل له أرغم الله أنفه ورغما عليه أى قهرا وذلا وغيظا وهو منصوب مفعولا له أى ارادة ذلك بهم وتحصيله وفيما ذكر من تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتذليل أعدائه أتم مناسبة بغرض المصنف رحمه الله هنا (وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى فى) سورة (أم الكتاب) وهى سورة الفاتحة ولها أسماء كثيرة مذكورة مبينة فى محلها لا حاجة لنا بذكرها هنا ووجه هذه التسمية فيه وجوه أشهرها انها سميت به لانها مبدؤه ومفتتحه فكأنها أمه أو لاشتمالها على مقاصده اجمالا ووجه التسمية لا يلزم اطراده مع ما فيها من المرجحات وفيه تحقيقات تكفلت بها شروح الكشاف فعليك بها ان أردتها (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فقال أبو العالية والحسن البصرى) تقدمت ترجمته وأما أبو العالية فهو اسم مشترك والذى رجحه الشراح انه رفيع بن مهران التابعى الذى أسلم فى خلافة الصديق رضى الله تعالى عنه فانه خرج له الشيخان وله تفسير مات فى سنة تسعين على الصحيح وقيل هو زياد بن فيروز البراء بتشديد الراء المهملة لانه كان يبرى النبل وهو أيضا ممن خرج له الشيخان ومات فى سنة تسعين أيضا وتردد بعضهم فى المراد به هنا ورفيع بالتصغير كما قاله النووى فى تهذيبه الرياحى نسبة لامرأة من بنى رياح أعتقته سائبة فهو مولاها أسلم بعد عامين من موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عنه أصحاب الكتب الستة ومعنى السائبة ان يعتق ويترك ولاؤه وميراثه طلبا للاجر وهذا انما كان فى الجاهلية ونهى عنه فى الاسلام وهذا التفسير مما أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى العالية عن ابن عباس رضى الله عنهما وصححوه ورواه الحسن البصرى كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وتسميتها أم الكتاب وأم القرآن على طريق الاستعارة مأثور مشهور وان أطلق الاول على غيره كاللوح المحفوظ والقول بان هذه التسمية مكروهة مما لا يلتفت اليه وان ذكره بعضهم تكثير للسواد قيل وانما صرح المصنف رحمه الله باسم السورة مع ظهوره وكونه على خلاف عادته فيما يذكره من الآيات لما فيه من تعظيم الله له واعتنائه بشأنه حيث ذكره فى أول كتابه ومبدأ خطابه (الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه) جملة اهدنا الدعائية بيان للمعونة المطلوبة والكلام على الهداية وتعديتها ومراتبها مفصلة فى حواشينا على تفسير البيضاوى والصراط جادة الطريق من السرط وهو الابتلاع ومثله تسميته لقما لانه يلتقمه وقرئ بالصاد والسين وباشمامها زايا وبها خالصة فى رواية ضعيفة وهو يذكر ويؤنث والمراد به هنا طريق الحق وهو ملة الاسلام أو القرآن أو الايمان وتوابعه والاسلام وشرائعه أو السبيل المعتدل أو طريق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما أو النبيين عليهم الصلاة والسلام أو طريق الجنة أو طريق السنة والجماعة أو طريق الخوف والرجاء أو جسر جهنم وهذا ما عليه أكثر المفسرين قال الامام السهيلى ويرد على بعضها أن المراد بهذا ما بعده من قوله صراط الذين الى آخره * قلت هذا ليس بمتفق عليه نعم يرد على ما ذكره المصنف انه اذا فسر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه يصير المعنى اهدنا النبى وصحبه ولا معنى له الا بتقدير طريق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه وفيه ركاكة لا تخفى ولذا قيل الظاهر على هذا انه شبههم بالطريق الحق فى ايصاله للمطلوب أى اهدنا اياهم لنؤمن بهم ونتبعهم وقيل سمى المرشد للطريق

فليس المراد الا انه طريق معنوي فمن تبعه أوصله الى مطلوبه و بلغه الى محبوبه (حكاه) أي روى هذا التفسير (عنهما أبو الحسن الماوردي) تقدم ذكره أي عن أبي العالية والحسن ورواه في المستدرك عن أبي العالية وصححه (وحكى مكي عنهما نحوه)

أي بمعناه لا بلفظه ومكي هذا هو أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي أصله من القيروان وانتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وهو من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية كثير التاليف في علم القرآن توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بقرطبة (وقال) أي مكي (هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) ولعل وجه تخصيصهما انهما مما اتفق الامة على حقيتهما وجلالتهما وعلى ثبوت أحكامهما بمحضر بقية الصحابة في مجالسهما فكان أقوالهما وأفعالهما بمنزلة الاجماع التقريري أو السكوتي بخلاف من بعدهما فانه وقع الاختلاف في أمورهم من حيث تنكير بعض الصحابة وتقرير آخرين منهم في شانهم ولا عبرة بطعن كلاب أهل النار من المبتدعة الرافضة طريق الابرار الخارجة عن الصراط المستقيم والدين القويم (وحكى أبو الليث السمرقندي مثله) أي مثل المحكي السابق في الصراط المستقيم عن المكي راويا له (عن أبي العالية في قوله عز وجل) أي في تفسير قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) أي انه رسول الله وصاحباه ومالهما واحد لان الثاني بدل أو عطف بيان للاول

وبناء

طريقا تسمية للدال باسم المدلول أي المسبب باسم السبب فهو مجاز مرسل كما قيل وفي المعالم حكاية هذا القول بلفظ طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو اما رواية أو اشارة الى حذف مضاف فيه كما ذكر والمستقيم المستوي من غير اعوجاج والاستقامة تكون حسية ومعنوية وقوله وأصحابه يجوز فيه الرفع عطفا على رسول الله أو خيار ورجح هذا الماسيأتي والجر عطفا على أهل بيته وبه جزم في المقتفى فالمعنى خيار أصحابه والاضافة بيانية هنا وهناك اذ جميع أهل بيته وأصحابه خيار عدول حتى من لابس الفتن منهم لاجتهادهم وعلى عدالتهم مشى ابن الهمام في تحريره وجزم به العراقي وابن عبد البر وعليه الاكثر وحكي اجماع أهل السنة والجماعة عليه ويجوز أن تكون الاضافة لامية سواء جعلت الخيرية بمعنى العدالة أم لا لتفاوت مراتبهم فيها أو النعمة لين العيش وخصبه وأصلها من النعومة وهمزة أنعم للتصيير وهو أحد معاني صيغة أفعل وهي نحو أربعة وعشرين معنى (حكاه عنهما أبو الحسن الماوردي) وقد تقدمت ترجمته وهذا الاثر رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وصححه (وحكى مكي نحوه عنهما) وهو أبو محمد بن أبي طالب شيخ الصوفية وأهل السنة المتبحر في التفسير وغيره من العلوم وله تفسير كبير وكتابه القوت كتاب جليل توفي بقرطبة سنة سبع وثلاثين وأربعمائة وأصله من القيروان ولد بها ثم انتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وبها توفي ودفن (وقال) مكي (هو) أي الصراط المستقيم في الفاتحة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه) العطف اما تفسيري فالجملة المبنية للمحكي أو هو قول آخر فللمكي فيه قولان وليست الجملة مستانفة الا ان يراد انها معطوفة على جملة مستانفة وقوله (أبو بكر وعمر رضي الله عنهما) بدل من صاحباه أو عطف بيان وأبو بكر رضي الله تعالى عنه أفضل الصحابة وأسبقهم في الصحبة وهو أفضل من طلعت عليه الشمس بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باتفاق أهل السنة ولا عبرة بخلاف الشيعة فيه أسلم هو وأبواه وابنه وحفدته وهو الصاحب في الغار وفي السر والجهار ولم يزل ملحوظا بعين الرضى موحدا لم يسجد لصنم قط وقال أبو الحسن الاشعري لم يزل بعين الرضا منه وقد اختلف في مراده فقيل لم يزل مؤمنا قبل البعثة و بعدها وقيل لم يزل بحالة غير مغضوب عليه فيها لعلم الله بانه سيؤمن ويصير من خلاص الابرار وقال السبكي لو كان كذلك ساواه كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم في ذلك وهذه العبارة لم تثبت عنه والصواب ان يقال لم يثبت عنه كفر بالله * قلت هذا هو المعنى الاول بعينه والذي أراه ان ضمير منه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد انه لم يفارقه طرفة عين ولم يخالفه بث شعرة وبهذا استحق التقدم على غيره وتوفي سنة أربع عشرة وله أربع وستون سنة وعمر هو ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحاديث كثيرة و روى عنه كثير من الصحابة والتابعين وقد صنف ابن كثير كتابا مستقلا في ترجمته وسيرته وماروى عنه مات رضي الله تعالى عنه سنة ثلاث وعشرين وعمره ثلاث وستون على المشهور وفضائله غنية عن البيان (وحكى أبو الليث السمرقندي) تقدمت ترجمته (مثله عن أبي العالية) السابق ذكره والمراد بالمماثلة مشاركته في تفسير الصراط بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وان اختلفا في تخصيص الاصحاب وعدمه (في قوله صراط الذين أنعمت عليهم) هو بدل مما قبله أو عطف بيان فهو عين الاول وقال السبكي رحمه الله تعالى من الغريب ماقيل انه غير الاول فكأنه على رأي من يجوز حذف حرف العطف واختلف هل لله على كافر نعمة فاثبتها المعتزلة ونفاها غيرهم

وبناء أنعمت للفاعل استعطاف لقبول الدعاء بالهداية وغير وصف عند سيبويه وبدل من الذين عند أبي علي ومن الضمير عند غيره على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة والايمان والسلامة من غضب الله تعالى انتهى فالمراد عند هذا القائل بالذين أنعمت عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وخيار أهل بيته وصحبه فهو بدل أو هذا التفسير مع ماسبق على الاحتمال والبدل فلا حاجة الى القول بان أبا العالية هذا غير القائل بان الصراط النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما سبق لتنافيهما ولا يخفى ان قوله مثله ياباه (قال) أي أبو الليث (فبلغ ذلك) أي سمع هذا التفسير (الحسن) السابق ذكره (فقال صدق والله ونصح) أي صدق أبو العالية فيما قاله وانه تفسير للآية والقسم لتأكيد صدقه وجزمه بما قاله أو غلبة ظنه وقال بعض الشراح أكثر المفسرين على ان المنعم عليهم في هذه الآية هم المذكورون في قوله تعالى فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما واذا نظرت الى قوله وحسن أولئك رفيقا وجمعت بينه وبين قوله صراط الذين أنعمت عليهم تجده شرحا له لان الصراط الطريق وهو محتاج للرفيق وفي الحديث خير الرفقاء أربعة يعني قوله من النبيين والصديقين الى آخره فانهم أربعة وهذا مما نبه عليه الامام السهيلي أقول ونحوه من اللطائف ماقاله الحوي تلميذ الفخر الرازي في كتاب له سماه أقاليم التعاليم ان بسم الله الرحمن الرحيم اشارة الى حقيقته الكاملة التي لا يحيط بها ادراك مدرك وهو في الازل خلق الخلق برحمته ولهذا لا يقال رحمن لغيره ثم بعد الخلق أبقى المخلوق بالرزق ورزقه بالرحمة فهو رحيم أي له رحمة بها رزق ولذا قيل لغيره رحيم لانه قد يجري الرزق على يد غيره فهو اذا رحمن رحيم خلق ورزق فتمت نعمته فوجب شكره فلذا قال الحمد لله رب العالمين ثم انه تعالى في مرة أخرى بعد الموت والفوت يخلق المكلفين كما كانوا ويرزقهم في الدار الآخرة فهو رحمن رحيم كما كان فلذا قال ثانيا الرحمن الرحيم باعتبار المعاد الذي هو مالكه فلذا قال مالك يوم الدين فاذا تبين انه الخالق الرازق أولا وآخرا فلا عبادة الا له فقال اياك نعبد ولما كانت النعمة لا تفي ولا يفي بها الشكر من عباده الضعفاء قال واياك نستعين لتكون العبادة كما يرضى لعباده ويليق بجلاله فاذا عبدناه وأعاننا ينبغي الوصول اليه ليحصل الشرف الاقصى بالمثول بين يديه وذلك بسلوك طريق يوصل اليه فقال اهدنا الصراط المستقيم ومن أراد سلوك طريق بعيد لابد له من رفيق فقال صراط الذين الى آخره أي النبيين والصديقين فهم أحسن الرفقاء ثم اذا وجد الطريق خيف قطاع الطريق فقال غير الى آخره واذا أمن منهم خيف الضلال في الطريق لاشتباه معالمه فقال ولا الضالين انتهى (وحكى الماوردي) السابق ذكره (ذلك في تفسير صراط الذين أنعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد) بن أسلم المدني وهو يروي عن أبيه وابن المنكدر وروى عنه أصبغ وقتيبة وهشام وضعفوه وله تفسير وترجمة في الميزان وأخرج له أصحاب السنن وتوفي سنة اثنين وثمانين بعد المائة وفي تفسير الصراط بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعه من الثناء والتعظيم مالا يخفى لاسيما اذ كره في أم الكتاب ومبدئه الواجب قراءته في كل صلاة وهو ذكر اسم السورة على خلاف عادته كما مر (وحكى أبو عبد الرحمن السلمي) مر ذكره وترجمته (عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أول الآية (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد) الى آخره والطاغوت ما يعبد من دون الله وقيل الشيطان وفي وزنه واشتقاقه كلام في التفسير واستمسك مبالغة في التمسك يقال مسك وأمسك وتمسك واستمسك بمعنى والعروة في الاصل النبات الثابت في الارض ويقال لما تعقد في الحبل ليدخل فيه اليد للتمسك ومنه عروة القميص والكوز

(قال) أي أبو الليث (فبلغ ذلك) أي فوصل تفسير أبي العالية هذا (الحسن) أي من عاصم (فقال صدق والله) أي في البيان (ونصح) أي الامة في هذا التبيان وحكى الماوردي ذلك أي القول المذكور (في تفسير صراط الذين أنعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد) أي ابن أسلم المدني روى عن أبيه وابن المنكدر وعنه أصبغ وقتيبة وهشام ضعفوه له تفسير وقد أخرج له الترمذي وابن ماجه ووالده زيد يروي عنه البخاري بواسطة (وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم) أي بعض العارفين (في تفسير قوله تعالى فقد استمسك) أي تمسك (بالعروة الوثقى انه) أي العروة الوثقى وتذكيره باعتبار خبره وهو (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ من وثق به نجا ومن تبعه اهتدى

ثم استعيرت لكل مايستعصم به ويلتجأ اليه ووثقى فعلى من الوثاقة وهى الاحكام والشد الوثيق الربط المحكم الذى لاانفصام له أى لاانقطاع والانفصال فاذا أريد بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو استعارة ومجاز على المجاز لشهرة الاول والتحاقه بالحقيقة والمراد ان من صدق وآمن به سلم من كل سوء فى الدنيا والآخرة فهو استعارة تصريحية والاستمساك ترشيح أو استعارة تبعية فان فسرت بالتوحيد والاسلام كما روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحيح البخارى فالمراد ان نفعه والسلامة بسببه محكمة متصلة فى الدارين وصاحبه آمن من السقوط والانقطاع وقوله عن بعضهم قال بعض الشراح لم يسمه ولم أره ولا وجه لاستبعاد ماذكر مع صحته وظهور وجه التجوز فيه (وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد) أى قال بعضهم هذا معنى العروة الوثقى وهو ظاهر مما مر وشهادة التوحيد قول أشهد أن لا اله الا الله وقريب منه تفسيره بلا اله الا الله وهى كلمة التوحيد أى الايمان بوحدانية الله تعالى عز وجل قيل وأول هذين القولين الصق بقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت) الى آخره وعليهما ففيه ثناء على ماجاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويلزمه الثناء عليه نفسه والظاهر عند التجانى غيره وان الآية استعارة لعقده لنفسه عقدا وثيقا الاتزل معه قدمه ومن شان العرب تشبيه المعانى بالذوات المرئية فيشبه فى الآية التمسك بالدين بالتمسك بعروة وثيقة لاتنقطع ونحوه قول السعد فى شرح الكشاف شبه التدين بالدين الحق والثبات على الهدى والايمان بالعروة الوثقى فى الحبل المحكم المامون من انقطاعه فذكر المشبه به وأريد المشبه ولايمتنع كون العروة استعارة للعهد أو الكتاب كما فى قوله تعالى واعتصموا بحبل الله انتهى وعدهذا أقرب من استعارته لذات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لايرد عليه شئ مما مر (وقال سهل) هو سهل بن عبد الله التسترى وقد قدمنا ترجمته (فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فى هذه الآية بلاغة عظيمة حيث قال نعمة الله ولم يقل نعم الله والتاء للوحدة بحسب الاصل والعد يقتضى الكثرة ولذا قال الحساب الواحد ليس بعدد الا أنه قد يعم ويستغرق نوعية أو جنسية فلك أن تقول فيه ايماء الى ان النعمة الواحدة ولو كانت الواحدة حقيقة تشتمل على نعم لاتحصى فالصحة نعمة واحدة مثلا وهى تشتمل على صحة كل جزء جزء فى كل حين ظاهرا او باطنا فلو أراد أحد تفصيلها عجز وفى حواشى المطول للسيرامى المعنى ان تشرعوا فى عد افراد نعمة من نعم الله لاتطيقون عدها وانما أتى بان وعدم العد مقطوع به نظرا الى توهم انه يطاق انتهى وأصل معنى الاحصاء العد بالحصا وكانت العرب تفعله كما قال الاعشى

ولست بالاكثر منهم حصى ✿ وانما العزة للتكاثر

ثم صار حقيقة فى العد مطلقا والمراد هنا الحصر والاستقصاء لان ماليس كذلك لا يعد والا لكان المعنى ان تعدوا نعم الله لاتعدوها أو المراد ان تريدوا عدها وقوله قال أعاده تأكيدا للاول وللفصل بين كلام الله وتفسيره والقائل هو سهل والنعمة تكون بمعنى الانعام والمنعم به فان أريد الاول فالباء للتعدية تقول أنعم عليه بكذا و محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو المنعم به لانه النعمة العظمى لكونه رحمة لسائر الخلق كما وقع فى نسخة مروية عن المصنف نعمته محمد من غير باء وان أريد الثانى فالباء سببية فالمعنى نعمته كائنة بسببه أو انعامه ففيه فوائد ومنافع لاتحصى فلا منافاة بين عدم الاحصاء وكون المنعم به محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فلا وجه لما قيل من انه من أعظم النعم والمراد بالمعنى الاعم المتناول لها بقوله لاتحصوها والا فالنعمة به من أعرف المعارف المعلومة والاحصاء انما يكون فى المعدود لقوله تعالى وأحصى كل شئ عددا انتهى واضافة نعمة يجوز ان تكون للعهد أو الاستغراق لان الاضافة تاتى لما تاتى له اللام كما تقرر فى الاصول فعدم الاحصاء لها أو لما يترتب عليها

(وقيل) أى المراد بالعروة (الاسلام وقيل شهادة التوحيد) والمآل متحد عباراتنا شتى وحسنك واحد (وقال سهل) أى التسترى (قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها قال) أى سهل (نعمته بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ويروى نعمته محمد عليه الصلاة والسلام والاول هو الصحيح لعدم صحة الحمل فى الثانى اللهم الا أن يقال التقدير نعمته نعمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاضافة الى الجلالة نظرا الى الحقيقة والاصالة والمراد بنعمته انعامه به علينا اذ انعامه أصل النعم لصدورها عنه فائضة علينا لايحصى عدأنواعها اجمالا فضلا عن افرادها تفصيلا

(وقال

(وقال الله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون الآيتين أكثر المفسرين على ان الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى المراد بالذى هنا تفاسير منها انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه أكثر المفسرين وهو فى غاية الوضوح واقتصر عليه المصنف رحمه الله تعالى لمناسبته لما عقد له الفصل من المدح والثناء عليه بانه صادق مصدق وقيل هو جبرائيل عليه الصلاة والسلام وقيل انه مفرد لفظا جمع معنى لان تقديره الفريق أو الجنس الذى بعضه جاء بالصدق وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضه صدق به وهم المؤمنون وقيل معنى جاء بالصدق آمن بالصدق الذى هو لا اله الا الله أو القرآن فاولئك هم المتقون مبنى على ان المراد هو ومن تبعه كما فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون أو تنزيل الواحد منزلة الجماعة تعظيما له وقال التفتازانى الاوجه ان يراد بالثانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والامة فاولئك على ظاهره وفيه نظر واختلف فى تفسير الذى صدق به كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وقال بعضهم وهو) أى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (الذى صدق به) المراد بالبعض ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لانهم نقلوا هذا التفسير عنه ومعنى صدق به آمن به كما فى الكشاف وفى المعالم معناه صدق الرسول به أى بلغه الى الخلق وقال البيضاوى صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل أو صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه انتهى وقيل فى هذا خفاء الا ان يقال معناه جعل الخلق مصدقا به وهو بالتبليغ فليتأمل وقيل ضمير به للصدق فيتناول الرسول والمؤمنين والذى مبتدأ خبره أولئك وهذه الآيات قد دلت على انه صلى الله تعالى عليه وسلم جاء من عند ربه بصدق دلت معجزاته على صدقه قطعا وانه صدق جبرئيل عليه الصلاة والسلام فيما آتاه به ووصفه بانه متق وحصر التقوى فيه لان المراد به تقوى كاملة لا تتيسر لغيره والحصر من تعريف الطرفين وفيه مدح عظيم له واعلم ان الذى قد ياتى بمعنى الذين ويغنى عنه فى غير تخصيص كثيرا اذا أريد به الجنس لا افرادا منه مخصوصة فلفظه مفرد ومعناه جمع لتقدير موصوف له مفرد اللفظ مجموع كالفريق ونحوه كما مر وفى شرح التسهيل التقدير فى هذه الآية الجمع أو الفريق الذى جاء الى آخره فله جهتان بحسب اللفظ والمعنى روعى اللفظ فوصف بالمفرد وروعى المعنى فعاد عليه ضمير الجماعة كقوله تعالى كمثل الذى استوقد نارا وليس الذى أصله الذين فخفف بحذف النون كما جوزه بعض النحاة لانه لو كان كذلك لم يجز افراد عائده فان أريد بالموصول جماعة معينة لم يجز افراده الا نادرا كقوله

وان الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

قال ابن مالك فى شرح التسهيل (وقرئ) فى الشواذ والقارئ هو عكرمة وأبو صالح (وصدق على التخفيف) قال فى المصباح صدق خلاف كذب وصدقته يتعدى ولا يتعدى وصدقته بالتثقيل نسبته الى الصدق وقلت له صدقت انتهى والصدق يكون فى الافعال أيضا فيقال حملة صادقة كما قاله الراغب أى أخبر عن الله بما هو صحيح نسبته الى الله مطابق لما فى الواقع وهو أيضا معتقد ومصدق به كانه قد يقول الانسان أمرا واقعا لا يعتقده كقول الدهرى العالم حادث أوجده الله أو المراد انه صدق فى تبليغه الوحى كما أنزل اليه وقيل المعنى انه صادق بسببه لكونه معجزة له فسقط ما قيل من أنه مكرر مع قوله الذى جاء بالصدق والتاسيس أولى من التاكيد مع ما فيه من الخطا وترك الادب لان القراءة لا يعترض عليها ولو كانت شاذة (وقال غيرهم) وفى نسخة قال غيره والافراد نظرا لافراد لفظ البعض والجمع نظرا الى المعنى لانهم جماعة والقائل قتادة ومقاتل (الذى صدق به المؤمنون) يعنى على القراءتين وتفسير الذى جاء بالصدق بمحمد صلى الله تعالى عليه

(وقال تعالى والذى جاء بالصدق) أى بالحق المطابق للواقع (وصدق به) أى جمع بين مجىء الصدق واتيان التصديق (أولئك هم المتقون) أى فى التحقيق وجمع المشار اليه بالنظر الى ان معنى الموصول الجنس المفيد للعموم فالمراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والجمع من حيث انه الفرد الاكمل للتعظيم أو المراد هو وأمته وهذا أظهر فى باب التكريم (الآيتين) فيه ان البقية ليس لها دخل فى القضية (أكثر المفسرين على ان الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لان الكلام فيه والمراد هو وحده أو من معه من الانبياء أو أمته من الاصفياء (وقال بعضهم وهو الذى صدق به) وهو الظاهر لعدم اعادة الموصول (وقرئ صدق به بالتخفيف) وهو يؤيد انه هو الذى صدق به لان الثانى متعين فيه (وقال غيرهم الذى صدق به المؤمنون) وفيه اشعار بتقدير الموصول وهو جائز عند بعض أرباب الاصول

(وقيل هو أبو بكر رضي الله تعالى عنه) أي وأتباعه أو جمع لتعظيمه (وقيل علي رضى الله تعالى عنه) أي وأتباعه وأشياعه أو جمع لتكريمه والأظهر ان تفسير الجمع بينهما لارادة أمثالهما وخصا بالذكر لانهما أول من وقع منه التصديق على خلاف بين المرتضى والتصديق (وقيل غير هذا من الاقوال) ومن جملتها ما أشرنا اليه في سابق الحال (وعن مجاهد رضى الله تعالى عنه) أي ابن جبير بفتح جيم فسكون موحدة وقيل جبير بالتصغير وروى عن أبي هريرة وابن عباس وعنه قتادة وابن عون كان اماما في القراءة والتفسير حجة في الحديث قال كان ابن عمر يأخذ لي بركابي ويسوى على ثيابي اذا ركبت قيل انه رأى هاروت وماروت وكاد يتلف أخرج له الستة (في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه) أي بما يذكر ويروى عنه وعن أصحابه لما يفيد من الدلالات اليقينية والافادات العلمية في الامور الشرعية مما تطمئن به القلوب وتسكن به النفوس أو بمجرد ذكره وذكر أصحابه فان عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وعند نزول الرحمة يحصل للقلوب الاطمئنان والسكينة

وسلم فالاخبار باولئك الى آخره على ظاهره لكنه كما قيل يلزم فيه تقدير موصول أي والذين صدق وابه وهو ممنوع عند بعض النحاة وجوزه آخرون وقال انه الحق رواية ودراية اذا دل عليه دليل ومنه قوله تعالى وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم أي وما أنزل اليكم وقول حسان رضى الله تعالى عنه

فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

وارتضاه ابن مالك والمانعون يمنعون تخريج الآية عليه ويقولون هي حالية بتقدير قد أو يقولون الذي بمعنى الجنس الذي الخ من غير حاجة الى التقدير (وقيل أبو بكر رضى الله تعالى عنه وقيل علي كرم الله تعالى وجهه وقيل غير هذا من الاقوال) كتفسيره بجبريل أو بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق وصدق به المؤمنون الذين يجيئون في القيامة بالقرآن ويقولون هذا هو الذي جاء بالصدق وقد اتبعناه واما تخصيص أبي بكر رضى الله تعالى عنه فلانه الصديق الاكبر الذي سبق الناس كلهم لتصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يصدر منه غيره قط وكذا علي كرم الله وجهه فانه يسمى الصديق الاصغر الذي لم يتلبس بكفر قط ولم يسجد لغير الله مع صغره وكون أبيه على غير الملة ولذا خص بقول كرم الله تعالى وجهه وقيل تخصيصهما للاولية في التصديق أو للتصديق في أول اللقاء وهذا منقول عن مجاهد ولا يرد على هذا ولا على ما قبله انه يلزمه حذف الموصول بدون الصلة أو ان يراد بموصول مع صلة شيء ومنه مع صلة أخرى آخر لان الموصول هنا واحد لفظا جمع معنى بتقدير موصوف كذلك كفريق ونحوه والصلة له على التوزيع أي جمع بعضه جاء به وبعضهم صدقه فلا محذور فيه كما ذكره الطيبي وهذا جار في الوجه الاخير اذ لا مانع منه فلا وجه لقول القاضي ومن تبعه انه اذا كان الجائي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمصدق أبو بكر ونحوه يلزم اضمار الذي وهو غير جائز مع انه ذكر هذا في الوجه السابق وليس بينهما فارق والفرق بانهما فردان متشخصان هنا لا يجدي نفعا لما مر ولا حاجة الى ان الذي أصله الذين فخفف بحذف النون لطوله بالصلة أقول الذي غر هؤلاء ان الذي لا يراد به متعدد الا اذا كان غير مخصص بمعين قال في التسهيل يغني عن الذين الذي في غير تخصيص كثيرا وفيه للضرورة قليلا انتهى (وعن مجاهد) قال السيوطي رواه عنه ابن جرير وابن أبي حاتم ومجاهد من كبار التابعين وهو أبو محمد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة والراء المهملة المقرئ المفسر الزاهد العابد روى عنه أصحاب السنن وغيرهم وهو ثقة المحدثين كما ذكره الذهبي في ترجمته ومولده في خلافة عمر رضى الله تعالى عنه سنة احدى وعشرين وتوفي بمكة سنة اثنين أو ثلاث ومائة وهو ساجد وقيل كنيته أبو الحجاج وان اسم أبيه جبير بالتصغير وقيل انه رأى هاروت وماروت فكاد يتلف (في قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم) قيل انه مبالغة لكونه سببا للذكر أو انه جعل عين الذكر كرجل عدل أو على تقدير مضاف أي ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله تعالى ذكر رحمت ربك ولا وجه لما قيل من انه بعيد خارج عن النص وافراده على المعنى الاول نظر الاصله فانه يستوي فيه الواحد المذكر وغيره واطمئنان القلب سكونه وعدم اضطرابه يقال اطمأن بالموضع اذا قام به واتخذه وطنا وموضع مطمئن منخفض واختلف أهل اللغة فيه فقيل ان اطمأن كاحمار ثم همز وقيل كانت الهمزة مقدمة على الميم فقلبت والمشهور ان الذكر على ظاهره واطمئنان القلب به لاستئناسه به والتعبير بالمضارع للاستمرار التجددي لدوام ذكره وروى عن مجاهد أيضا أن المراد بذكر الله هنا القرآن وفي الحديث القدسي اذا كان الغالب على

(الفصل الثاني) (في وصفه تعالى له) وفي نسخة في وصفه له تعالى وهو خطأ فاحش (بالشهادة وما يتعلق به من الثناء
والمدح والكرامة) المراد بالشهادة شهادته صلى الله تعالى عليه وسلم بالتزكية للامة أو بالتبليغ للانبياء في موقف القيامة بناء على
الاحتمالين المفهومين من قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله

عبدي الاشتغال بذكري جعلت همه ولذته في ذكري اللهم اجعلنا ممن تطمئن قلبه بذكرك ويكون همته مصروفة بحمدك وشكرك

(الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة) أي بانه صلى الله عليه وسلم شاهد على أمته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الامم بتبليغ أنبيائهم لهم وفي بعض النسخ الصحيحة في وصفه له تعالى بتقديم له والمعنى ظاهر وليست احدى النسختين جديرة بالحك والحكم بالسقم كما قيل لظهور المعنى وان ضمير وصفه المستتر في قوله تعالى لله وضميراه للرسول وتوهم خلافه بعيد كما في قوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا فانه لا يتوهم عود ضمير تسبحوه لرسوله والقول بعوده له على أن المعنى يسبحوا معه مستبعد جدا والشهادة مشتقة من المشاهدة وهي المعاينة والمراد بها الخبر القاطع تقول شهد على كذا ويكون شهد بمعنى حضر (وما يتعلق بها من الثناء والكرامة) أي الاكرام له ويكون اسم مصدر بمعنى الحاصل بالمصدر وهو الاكرام يعني أن المقصود في الفصل الاول ثناء الله ومدحه لنبيه صلى الله عليه وسلم بكونه أنفس الناس ذاتا وحسبا ونسبا وكونه خيرا ورحمة عامة في حياته ومماته وكونه نورا محضا منورا للعالم وكونه ذا صدر واسع منشرح ورفعة قدره واسمه بمقارنته لاسم ربه وذكره وانه الصراط المستقيم والمقصود هنا ان الله جعله شاهدا على أمته وسائر الامم وأنبيائهم وما ذكر فيه من الثناء والاكرام مذكور بالتبعية للشهادة استطرادا لمناسبته له وبهذا تبين مغايرة ما عقد له الفصلان فلا تكرار ولا عموم ولا خصوص بقرينة المقابلة كما قيل وستقف عليه قريبا (قال الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية) أي وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا كما مر وشاهدا وما عطف عليه حال مقدرة ومن عادة المصنف رحمه الله أن يذكر الآية في محل لغرض ثم يسوقها في محل آخر لغيره فذكر هذه الآية أولا لتأييد كونه نورا ثم ذكرها هنا لكونها شاهدا على التبليغ فلذلك قال (جمع الله تعالى له) صلى الله عليه وسلم (في هذه الآية ضروبا) أي أنواعا جمع ضرب أي صنف أو هو جمع ضرب وضرب بالفتح والكسر وهو النظير أي أمورا متناسبة متماثلة (من رتب الاثرة وجملة أوصاف من المدحة) رتب بضم ففتح جمع رتبة وهي كالمرتبة والمنزلة المقام المعنوي والاثرة كما في المقتفى بضم الهمزة وسكون المثلثة ثم راء مهملة يليها تاء تأنيث كذا ضبط هنا والاثرة بالفتح في الهمزة والثاء وبضم الهمزة وكسرها مع اسكان الثاء الاستبداد بالشيء والانفراد به والمدحة بكسر الميم الثناء والذكر الحسن فاذا فتحت الميم قلت المدح انتهى وقيل الاثرة بضم الاول وكسره وسكون المثلثة وبفتحهما وهو الافصح كما ذكره النووي الانفراد بالشيء ويكون اسما لما به الانفراد كذا قرروه ومقتضاه أن في الآية أمورا مخصوصة انفرد بها صلى الله عليه وسلم وليس كذلك فالوجه أنها بالضم المكرمة كما في القاموس أو المراد الافراد بالذكر أو في الجملة أو تحمل الاوصاف على معنى يختص به يعني أنها اذا فسرت بالمكرمة والفضيلة فلا اشكال في كلام المصنف رحمه الله تعالى وان فسرت بالانفراد اقتضى أن ما ذكر هنا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وليس كذلك فيحتاج للتأويل بما قاله وقد تبعوا فيه بعض الشراح في اعتراضه بقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك

وما يتعلق به أي بوصفه فهو تعميم بعد تخصيص ببعضه ونسخة صحيحة وما يتعلق بها والمتبادر أنها ترجع الى الشهادة والتحقيق أنها لمعنى ما المبين بما بعدها (قال الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا) أي على ما بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم يوم القيامة أو شاهدا لله بالوحدانية أو مشاهدا له بالصمدانية (ومبشرا) أي للمؤمنين بالجنة والوصلة (ونذيرا) أي منذرا ومخوفا للكافرين بالحرقة والفرقة ولعل وجه العدول عن منذرا الى نذيرا مراعاة للفاصلة أو تفنن في العبارة ولذا لم يقل بشيرا مع انه بمعنى مبشر (الآية) وتمامها وداعيا الى الله أي الى الاقرار به وبتوحيده باذنه أي بتيسيره أو بامره وهو قيد لجميع ما تقدم لا للدعوة وحدها كما يستفاد من البيضاوي والله تعالى أعلم وسراجا منيرا أي يستضاء به من
ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره ما يتخلص به عن الضلالة (جمع الله تعالى له في هذه الآية) أي بعد ما يتعلق به عين العناية
وتحقق له كمال الرعاية (ضروبا) أي أنواعا وأصنافا (من رتب الاثرة) بضم راء وفتح تاء جمع رتبة بمعنى المنزلة والمرتبة المخصوصة والاثرة
محركة وبالضم وبالكسر ما يستأثر به على غيره والاثرة بالضم المكرمة المتواترة كالمأثرة على ما في القاموس وقال النووي بالفتحتين
هو الافصح (وجملة أوصاف) أي وجمع له نعوتا مجملة أو كثيرة (من المدحة) بكسر الميم أي الثناء والذكر الحسن واذا فتحت الميم قلت

على هؤلاء شهيدا الان قوله هؤلاء للمبعوث اليهم اللهم الا أن تحمل الاشارة على جميع أهل المحشر ولا دليل فيه انتهى ولا يخفى ان ماذكر من الجواب والسؤال لا وجه له أما الاول فلان قوله الآتى وهى من خصائصه يأباه وأما الثانى فلانه بعد تفسير الشهادة بانها شهادة على الامة بابلاغهم ما أرسله الله تعالى به والبشارة لمن أطاعه فى ذلك والنذارة لمن عصاه كيف يتوهم مشاركة غيره له فى ذلك وهذا مما يقتضى منه العجب عندى وهذا حديث اجمالى فلذلك فصله فقال (فجعله شاهدا على أمته لنفسه بابلاغهم) مصدر مضاف الى مفعوله الاول أى بسبب ابلاغه اياهم (الرسالة) مفعوله الثانى وأعجب منه أنه فسره بقوله أى مقبولا قوله عند الله من غير طلب بينة كما هو شان الشاهد العدل صرح به الزمخشرى فالشهادة مجاز انتهى (وهى) أى شهادته عليهم لنفسه (من خصائصه) صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الفاضل ابن الحنبلى انما كانت الشهادة المذكورة من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم لان غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كان ذا شهادة بمقتضى قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الا أنه مطالب بالبينة وشهادته لا تقبل الا بشهادة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته له بالتبليغ لقومه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرنا بالتبليغ لامهم فنحن نشهد بذلك وقد بين الله تعالى هذا بقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فقد ولانا الله ببركته الشهادة على جميع الخليقة وجعلنا أولا مكانا وان كنا آخر زمانا فلله الحمد على ذلك وفى البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يدعى بنوح عليه الصلاة والسلام يوم القيامة فيقول لبيك رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول له من يشهد لك فيقول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته فيشهدون الحديث وقيل الشهادة فى هذه الآية شهادة للانبياء عليهم الصلاة والسلام بتبليغهم وهى من خصائصه أيضا بالنسبة لبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام لشهادة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم بذلك وقد مر فى الفصل الاول عن اللباب ما فيه تعميمها لشهادات متعددة وهو الوجه حيث لا مخصص انتهى وفى شرحه هنا خبط وخلط لا حاجة لنا به (ومبشر الاهل طاعته ونذير الاهل معصيته) فيه كلام سيأتى فى الفصل التاسع والانذار والتخويف والاعلام بما يحذر منه والتبشير الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولذا قالوا لو قال شخص لعبده أيكم بشرنى بقدوم زيد فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لانه هو الذى أظهر سروره فلو قال أخبرنى عتقوا جميعا ومنه البشرة وتباشير الصبح وأما قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم فعلى التهكم كقوله تحية بينهم ضرب وجيع فهو مجاز من استعمال اللفظ فى ضد معناه كذا فى الشرح الجديد وفيه خطأ فاحش تبع فيه غيره فان أردت تحقيقه فانظره فى حواشينا على البيضاوى فانك لا تجده فى غيرها (وداعيا الى توحيده وعبادته) داعى اسم فاعل من الدعوة وهى طلب الاقبال أى انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا الناس الى اعتقاد وحدانية الله تعالى ونفى الشريك والايمان به تعالى وعبادته قال فى المصباح دعوة الله تعالى ابتهلت اليه بالسؤال ودعوت زيدا ناديته وطلبت اقباله فمن قال ان أصل الدعوة للطعام لم يصب والعبادة خدمة الله والخضوع له ولا يتم الا بالاخلاص فلذا قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وتفسير التوحيد هنا بالدين عدول عن الظاهر بلا سبب وقيل ان المصنف رحمه الله أشار الى أن الدعاء الى الله يراد به الدعاء الى الاقرار بوجوده وتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته وما يجب تنزيهه عنه وقيده بقوله باذنه أى تيسيره اشارة الى أنه أمر صعب لا يتأتى الا بمعونته ويجئ بمعنى العلم كقوله تعالى وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله وقوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله أى بعلمه وتوفيقه انتهى أقول هذا كلام غير منقح والتحقيق فيه ما قاله العز بن عبد السلام فى كتاب

(شاهدا على أمته لنفسه) أى لذاته الشريفة (بابلاغهم الرسالة) من اضافة المصدر الى مفعوله أى بابلاغه اياهم ما يتعلق بامر الرسالة (وهى) أى هذه الخصلة التى هى الشهادة لنفسه على الامة بدون البينة (من خصائصه عليه الصلاة والسلام) أى حيث لم يجعل غيره شاهدا بنفسه لنفسه على أمته فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا جحدت أممهم تبليغهم اياهم فشهدوا لانفسهم به فان الله تعالى يطالبهم بالبينة وهو أعلم فتشهد لهم به فتقول أممهم لنا بم عرفتم ذلك فتقول باخبار الله تعالى لنا فى كتابه فيسئل الله تعالى نبيناعنا فيزكينا بشهادة وكذلك جعلناكم أمة وسطا الآية وكفى بها حاكما على كون الاجماع حجة (ومبشر الاهل طاعته) أى بالثواب العظيم (ونذير الاهل المعصية) أى بالعقاب الاليم (وداعيا الى توحيده وعبادته) أى من الدين القويم وفى أصل الدلجى وداعيا الى الله باذنه على وفق الآية أى بتيسيره وتسهيله

مجاز القرآن ان أذن الله مشيئته وارادته لان الغالب فى الاذن أن لا يقع الا بمشيئة واختيار والملازمة الغالبة تصحح المجاز أو بامر التكوين فان الامر يلازمه مشيئة الامر غالبا وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى فهزموهم باذن الله بامر الله وقوله كن وهو من مجاز التمثيل شبه سهولة الاشياء بقدرته بسهولة هذه الكلمة على الناطق بها تفهيما لسرعة نفوذ مشيئته وقدرته فيما يريده ويعبر بالاذن عن التيسير والتسهيل كما فى قوله تعالى والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه أى بتيسيره وتسهيله اذ لا يحسن أن يقال دعوته باذنى ولا قمت وقعدت باذنى ولذا قال الزمخشرى يجوز أن يراد بالاذن هنا الامر أى يدعوكم الى المغفرة بامره اياكم بطاعته وكلاهما من مجاز الملازمة انتهى (وسراجا منيرا يهتدى به للحق) وروى يهدى به وهو اشارة الى وجه التشبيه وتنويره وكلاهما مجهول مضموم الياء مروى عن المصنف رحمه الله تعالى وقدم تفسيره وانه صلى الله تعالى عليه وسلم يهتدى به فى ظلمات الجهالة وتقتبس من أنواره وقد وصفه الله تعالى فى هذه الآية بخمس صفات قابل كلا منها بما يناسبها غير صفة الشهادة اذ لم يقل له راقبنى لان الامر بالمراقبة يناسب المشاهدة فما بعده كالتفصيل له فقابل البشارة ببشارة المؤمنين بالفضل الكبير وقابل الانذار بالنهى عن متابعة الكفار والمبالاة باذاهم وقابل الدعوة بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به لان من أتاه الله برهانا حقيق بان يكتفى به عمن سواه وقال ابن عطية رحمه الله تعالى هذه الآية أرجى آية فى القرآن لانه أمره بتبشير المؤمنين بالفضل الكبير وقد فسر هذا الفضل بقوله فى آية أخرى والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير (حدثنا الشيخ أبو محمد بن عتاب) بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية وألف وباء موحدة علم منقول من صفة بمعنى كثير العتب والشيخ فوق الكهل وهو فى العرف اسم لكل من تصدى لافادة العلم كما مر وهو عبد الرحمن بن عتاب شيخ المصنف رحمه الله تعالى سمع منه فى رحلته للاندلس وهو من علماء الحديث توفى فى جمادى الاولى سنة عشرين وخمسمائة وله سبع وثمانون سنة قال (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) وهو أبو القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم التميمى المعروف بابن الطرابلسى تلميذ أبى على الغسانى قرأ عليه البخارى مرات وروى عنه وعن القابسى وغيره قال (حدثنا أبو الحسن القابسى) وهو الحافظ الفقيه العلامة أبو الحسن على بن محمد بن خلف المغافرى أخذ بافريقية عن ابن مسرور بن الدباغ ودارس بن اسمعيل وبمصر عن حمزة بن محمد الحافظ ولد سنة أربع وعشرين وثلثمائة وتوفى فى ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة بمدينة القيروان وكان ضريرا وكتبه فى نهاية الصحة ضبطها له ثقات أصحابه والقابسى بقاف وألف وباء موحدة وسين مهملة وياء نسبة لقابس وهى بلدة بالمغرب بين سفاقس وطرابلس ولم يكن منها ولكنه عرف بعمه وعمه كان يشد عمامته شد أهل القابس قال (حدثنا أبو زيد المروزى) وهو محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الامام النحرير الزاهد العابد المجمع على جلالته وعظمته جاور بمكة وحدث بها وببغداد بصحيح البخارى عن الفربرى وهى أجل الرواية عنه لجلالة أبى زيد وتوفى بمرو يوم الخميس ثالث عشر رجب سنة احدى وسبعين وثلثمائة وترجمته مشهورة ونسبته لمرو البلدة المعروفة واذا نسب اليها الناس زيدت الزاى على خلاف القياس وفى الثياب وغيرها يقال مروى فرقا بينهما ومن اللطائف قولى فى هذا فى أرجوزة

(وسراجا منيرا) أى مضيئا (يهتدى به للحق) بصيغة المجهول أى يهتدى الخلق به الى الحق كما يهتدى بنور السراج نور الابصار والى صراط مستقيم (حدثنا الشيخ أبو محمد بن عتاب رحمه الله) بفتح مهملة وتشديد فوقية فوحدة قال الحجازى ليس للقاضى عياض رواية عن محمد بن عتاب وانما يروى عن أبى محمد بن عبد الله بن محمد بن عتاب انتهى وكذا قال التلمسانى هو عبد الله بن محمد بن عتاب سمع منه القاضى فى رحلته الى الاندلس انتهى وقال العسقلانى هو مسند الاندلس فى زمانه عبد الرحمن بن محمد ابن عتاب القرطبى الاندلسى سمع من أبيه وكان واسع الرواية فاكثر عنه وعن حاتم بن محمد الطرابلسى وغيرهما وأجازله جماعة من الكبار منهم مكى ابن أبى طالب المقرى وكان ابن عتاب عارفا بالقرآت ذاكرا الكثير من التفسير والعربية واللغة والفقه كريما متواضعا زاهدا ومات سنة عشرين وخمسمائة (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) أى ابن عبد الرحمن بن حاتم التميمى المعروف بابن الطرابلسى وقد قرأ عليه أبو على الغسانى صحيح البخارى مرات (حدثنا أبو الحسن) أى على بن محمد بن خلف المغافرى الفروى (القابسى) بكسر الموحدة وانما قيل القابسى لان عمه كان يشد عمامته شدة أهل قابس توفى سنة ثلاث وأربعمائة بمدينة القيروان ودفن بباب تونس (حدثنا أبو زيد المروزى) وهو محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الامام البارع المحقق النحرير المدقق الزاهد العابد المجمع على جلالته وعظمته قال الحاكم جاور بمكة وحدث بها وببغداد بصحيح البخارى عن الفربرى وهو أجل الروايات بجلالة أبى زيد توفى بمرو سنة احدى وسبعين وثلثمائة

(حدثنا أبو عبدالله محمد بن يوسف) بتثليث السين وبالهمز والابدال كيونس وهو ابن مطر بن صالح بن بشر بن ابراهيم الفربرى وكان ثقة ورعا توفى سنة عشرين وثلاثمائة قال أبو نصر الكلاباذى كان سماعه لهذا الكتاب يعنى صحيح البخارى من محمد بن اسمعيل البخارى مرتين مرة بفربر سنة ثمان وأربعين ومائتين ومرة ببخارى سنة اثنتين وخمسين ومائتين انتهى وروى انه قال سمعت الجامع بفربر فى ثلاث سنين وفربر مدينة بخراسان بكسر الفاء أو بفتحها وفتح الراء الاولى فقيل الكسر أكثر وقيل الفتح أشهر (قال حدثنا البخارى) وهو أظهر من أن يذكر وهو أبو عبدالله محمد بن اسمعيل البخارى وقد روى عنه الترمذى وابن خزيمة وجماعة والصحيح ان النسائى لم يسمع منه وكان اماما حجة حافظا فى الحديث والفقه مجتهدا من أفراد العالم مع دينه وورعه وتالفه ذهب بصره فى صباه فرده الله تعالى عليه بدعاء أمه ومات يوم الفطر بعد الظهر سنة خمسين ومائتين (حدثنا محمد بن سنان) بكسر السين مصروف وممنوع وهو أبو بكر العوفى الباهلى البصرى روى عنه البخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه (حدثنا فليح) بضم فاء وفتح لام وسكون تحتية تصغير فالح أو أفلح مرخما وهو ابن سليمان العدوى روى عن نافع وغيره وعنه جماعة وأخرج له الائمة الستة (حدثنا هلال) أى ابن على وهو هلال بن أبى ميمونة يروى عن أنس وعطاء ابن يسار وأبى سلمة وعنه مالك وفليح وغيرهما أخرج له أصحاب الكتب الستة (عن عطاء بن يسار) بفتح تحتية وخفة مهملة وروى عن ميمونة وأبى زيد وأبى ذر وعدة وعنه زيد بن أسلم وشريك وخلق وكان من كبار التابعين وعلمائهم أخرج له الائمة الستة (قال لقيت عبدالله بن عمرو بن العاصى) اختلف فى كتابته والجمهور كما قاله النووى على كتابته بالياء وهو الفصيح عند أهل العربية ويقع فى كثير من كتب الحديث والفقه وأكثرها بخلاف الياء وهى لغة انتهى وقال ابن الصلاح فى الاملاء على المسلسل بالاولية بقول كثير من أهل الضبط فى حالة الوصل بالياء جريا على الجادة والمتداول على الالسنة والمشهور حذف الياء وهو مشكل على من استظرف من العربية ولم يوغل وربما أنكره ولا وجه لانكاره فانه لغة لبعض العرب شبه ما فيه الالف واللام بالمنون لما بينهما من التعاقب وبها قرأ عدة من القراء السبعة كما فى قوله تعالى الكبير المتعال وشبهه انتهى وقد أثبت ابن كثير ياء المتعال وصلا ووقفا والجمهور على حذفها فى الحالين وأراد بشبهه التلاق والتناد فان قالون بخلاف عنه وورشا وافقا ابن كثير فى اثبات الياء وصلا لا وقفا والحاصل أن المنقوص لا خلاف فى جواز حذف لامه فى اسم الفاعل واثباته وانما الكلام على ان العاص هل هو اسم الفاعل من عصى بمعنى مرتكب العصيان أو حامل العصا أو الضارب بها أو هو معتل العين فلا يكون من هذا الباب وحينئذ اثبات الياء فيه خلاف الصواب وهو الذى اقتصر عليه صاحب القاموس حيث قال فى الاجوف والاعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الاكبر وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص هذا وترجمة عبدالله مشهورة فى الكتب المطولة مسطورة قيل بينه وبين أبيه عمرو فى السن اثنتا عشرة وقيل احدى عشرة سنة وقد أسلم قبل أبيه وأخرج البخارى هذا الحديث منفردا عن بقية أصحاب الكتب

ومروزى جاء فى الاناسى ٭ والنوب مروى على القياس

قال (حدثنا أبو عبدالله محمد بن يوسف) هو الفربرى المشهور وسمع البخارى من مصنفه مرتين مرة بفربر ومرة ببخارى ورواه وفربر بكسر الفاء وفتحها وفتح الراء المهملة وسكون الباء الموحدة تليها راء مهملة قرية من قرى بخارى وهو ثقة ورع زاهد حافظ ترجمته مشهورة ولد سنة احدى وثلاثين ومائتين وتوفى سنة عشرين وثلاثمائة لعشر بقين من شوال ويوسف اسم أعجمى مثلث السين وليس مشتقا من الاسف وان وافق ذلك لفظه فى قول الله تعالى يا أسفا على يوسف قال (حدثنا البخارى) وهو الامام الحافظ محمد بن اسمعيل بن ابراهيم الجعفى البخارى الامام الورع الزاهد المتفق على جلالته وتاليفه أصح الكتب بعد كتاب الله وترجمته مشهورة ولد سنة أربع وتسعين ومائة وتوفى بقرية خرتنك من أعمال بخارى سنة ست وخمسين ومائتين قال (حدثنا محمد بن سنان) هو محمد بن سنان العوفى الامام أبو بكر يروى عن همام وجرير بن صارم وفليح وروى عنه أصحاب السنن قال (حدثنا فليح) بفاء ولام وحاء مهملة وهو لقب له تصغير فلح صفة مشبهة من الفلاح ويحتمل أن يكون تصغير مفلح أو أفلح تصغير ترخيم وهو فليح بن سليمان بن أبى المغيرة بن حنين واسمه عبد الملك توفى سنة ثمان وستين ومائة وهو عدوى مدنى روى عن سعيد بن الحارث وضمرة بن سعيد ونافع وغيرهم وروى عنه ابنه وأصحاب الكتب الستة وقال ابن معين وأبو حاتم والنسائى انه ليس بالقوى وقال الحافظ بن حجر صدوق لكنه كثير الخطا ولكن الشيخان اعتمداه قال قال (حدثنا هلال) هو هلال بن على وهو هلال بن أبى ميمون يروى عن أنس وعطاء بن يسار وأبى سلمة وعنه مالك وفليح وغيرهما وأخرج له أصحاب الكتب الستة وقال النسائى ليس به باس قال الواقدى مات فى آخر خلافة هشام بن عبد الملك (عن عطاء بن يسار) بفتح الياء التحتية والسين المخففة المهملة أبو محمد المدنى من كبار التابعين توفى سنة أربع وتسعين أو ثلاث ومائة وهذا الحديث تفرد به البخارى وأخرجه فى التفسير بغير هذا السند أيضا (قال لقيت عبدالله ابن عمرو بن العاص) واو عمرو مشهورة قال ابن التلمسانى جوز بعضهم تركها وعبدالله هذا

هو

هو أبو محمد ويقال أبو عبد الرحمن القرشي السهمي الزاهد العابد الصحابي كان بينه وبين أبيه في السن اثنتي عشر سنة وأمه ريطة بنت منبه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله أسلم عبد الله قبل أبيه وكان كثير العبادة والرواية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قيل انه أكثر رواية من أبي هريرة رضي الله تعالى عنه لانه كان يكتب وأبو هريرة لم يكتب وانما لم تشتهر روايته كأبي هريرة لانه سكن مصر والواردون اليها قليل وأبو هريرة سكن المدينة والمسلمون يقصدونها من كل وجهة وتفصيل ترجمته مشهورة توفي بفلسطين وعمره ثلاث وسبعون سنة وعمرو أبوه اشهر من ان يذكر والعاصي يرسم بالياء وبدونها واثباتها أولى وقال ابن الصلاح كتبه كثير في حالة الوصل بالياء وفي حالة الوقف بحذفها ولا وجه لمن أنكره فانه لغة لبعض العرب شبهوا ما فيه الالف واللام بالمنون لتعاقب اللام والتنوين وبها قرئ في السبعة الكبير المتعال ونحوه والذي غر المنكر ان النحاة خصوه بالمنكر كما ذكروه في باب الرسم (فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني صفته صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة بدليل قوله في الجواب انه لموصوف في التوراة فان السؤال يعاد في الجواب صراحة أو ضمنا وهو من القواعد الاصولية كما وقع مصرحا به في الرواية الصحيحة وأخبر يتعدى للأمر المسؤول عنه وللمنقول عنه الخبر أيضا كالخبر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان المشهور في الاول تعديته بالباء وهذا ما لا اشتباه فيه عندي فلا حاجة لما قيل من انه انما تعدى بها هنا وهو مخبر به لا عنه لتضمنه معنى الكشف أي أخبرني كاشفا عنها وموضحا لها وقوله انه يجوز ان يريد جعل صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موضوعا يحمل عليه ما ذكر في التوراة وانه لا يصح تضمينه معنى السؤال تعسف خارج عن جادة الصواب وكذا ما قيل انه نظر للفظ فتدبر (قال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن) أي قال عبد الله رضي الله تعالى عنه لمن قال له أخبرني عن صفته صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة أجل أي نعم هي مذكورة فيها لان كلامه يقتضي ان صفته صلى الله تعالى عليه وسلم مذكورة فيها وأجل كما في المغني لتصديق المخبر واعلام المستفهم ووعد الطالب وصرح في القاموس بانها تجيء بعد الاستفهام وغيره فقال أجل كنعم الا انه أحسن منه في التصديق ونعم أحسن منه في الاستفهام وقال الرضي هي لتصديق المخبر ولا تجيء بعد ما فيه معنى الطلب وهو المنقول عن الزمخشري وجماعة فالوجه على هذا كما قيل انه بعد خبر ضمني وهو انه موصوف في التوراة واما تقدير الاستفهام أو جعله لتصديق خبر عن نفسه فليس بشيء انتهى وهو رد على بعض الشراح حيث قال أجل بمعنى نعم حرف ايجاب وهو مؤول عند من شرط فيه تصديق الخبر أو هو تصديق لخبر نفسه ولذا أردفه بقوله والله والتأكيد لا القسم للاعتناء به لان السائل غير منكر أو لتنزيله منزلته لغفلته عنه أو لما شاع من انكار اليهود وتحريفهم وفي شرح التسهيل أجل لتصديق الخبر ماضيا أو غيره مثبتا ومنفيا ولا تجيء بعد الاستفهام وعن الاخفش انه يجيء بعده الا انه في الخبر أحسن من نعم ونعم في الاستفهام أحسن منها ولم يذكر مجيئها بعد الطلب كما في هذا الحديث الا انه يقطع النزاع كما قيل صحح نحوك بالحديث ولا تصحح الحديث بنحوك وهذا بناء على جواز اثبات الاحكام النحوية وفيه تفصيل في شرح المغني وفي قوله والله دليل على جواز الحلف من غير تحليف بلا كراهة وقد ورد كثيرا في الاحاديث والتوراة اسم الكتاب الله المنزل على موسى صلى الله تعالى عليه وسلم وهي كلمة غير عربية بل معربة وفي وزنها وأصل معناها كلام طويل ليس هذا محله * فان قلت عبد الله

السنة في موضعين أحدهما في التفسير وثانيهما في البيوع وهو الذي ساقه القاضي أبو الفضل منه حيث قال (فقلت) وفي نسخة قلت (أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبي وقع في روايتنا أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة ولم يذكره هنا القاضي يعني بل ذكره فيما سيأتي (قال) أي ابن عمرو (أجل) أي نعم أخبرك فكان قوله أخبرني متضمنا لمعنى أتخبرني أو الا تخبرني على ما هو مقتضى حسن الادب في العبارة وان كان الامر أيضا هنا محمولا على الالتماس دون التحكم والاجبار (والله) قسم ورد ردا للمكذبين من اليهود والنصارى والمشركين (انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن) وفيه اشعار بانه حافظ للكتابين وان ما يوجد في القرآن مع ايجازه واعجازه أكثر مما يوجد في غيره من التوراة ونحوه أو ايماء الى ان اليهود حذفوا بعض صفاته من التوراة أو غيروا مبانيه أو معانيه قال الحلبي فان قيل ما الحكمة في سؤال عطاء بن يسار لعبد الله ابن عمرو عن صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة وهو قرشي سهمي قيل لانه كان يحفظها وقد روى البزار من حديث ابن لهيعة عن وهب عنه انه رأى في المنام كان في احدى يديه عسلا وفي الاخرى سمنا وكانه يلعقهما فاصبح فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تقرأ الكتابين التوراة والقرآن فكان يقرأهما انتهى والظاهر ان العسل معبر بالقرآن حيث فيه شفاء للناس وايماء الى حلاوة الايمان واشعار بانه أعلى وأغلى من الادهان وان الجمع بينهما نور في عالم الاتقان بالنسبة الى أهل الايقان

رضى الله تعالى عنه قرشى عربى فلا يناسب سؤاله عما فى التوراة والتوراة وغيره من الكتب القديمة قال الفقهاء لا تجوز قراءته فاوجه هذا * قلت ان عبدالله كان يقرأ ويكتب كما مر وقال البرهان الحلبى فى المقتفى انه رضى الله تعالى عنه كان يحفظ التوراة وقد روى البزار من حديث ابن لهيعة عن وهب ان عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما رأى فى المنام فى احدى يديه عسلا وفى الاخرى سمنا وهو يلعقهما فلما أصبح ذكر ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له تقرأ الكتابين التوراة والقرآن فكان يقرؤهما اذكره هذا الحديث بعض شيوخى انتهى واما النهى عن قراءتها وان صرح به الفقهاء فليس على اطلاقه لوقوعه فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الكثير من الصحابه رضى الله تعالى عنهم من غير انكار فهو مقيد بمن لم يميز المنسوخ والمحرف منها او يضيع وقته فى الاشتغال بها واما غيره فلا يمنع منه بل قد يطلب لالزامهم فيما أنكروه منها كما فى قصة الرجم ويأتى لذلك مزيد بسط عن هذا وقوله ببعض صفته فى القرآن فى بعض النسخ ببعض ما فى القرآن وفيه دلالة على ان وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم فى القرآن أكثر مما فى التوراة لتفصيله وان تفرق فى آيات وسور متعددة وهذا مما لاشبهة فيه فما قيل من ان فيه كلفة تامة الان يقال المراد توافق الكتابين على بعضها وان زاد كل منهما على الآخر لاوجه له عند من له أدنى بصيرة وقوله فى التوراة كما سيأتى أهب لك كل خلق كريم ولو سلم انه اشتمل من قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم مخصوص بمدح خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم والصفات أعم منه فلا حاجة الى تكلف الجواب بانه وعد يحتمل عدم التنجيز أو التعليق والتخصيص وقد وقع فى الشروح هنا كلام طويل بلا طائل وقوله تعالى (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) بدل من بعض أو بيان له وقد تقدم تفسيره ولفظ النبى صادق محرره مع قوله انا أرسلناك وخطاب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بما فى التوراة خطاب للحاضر فى العلم بما جعل كالماضى لتحققه أو حكاية لما يقال فى المستقبل أو لجعله على نهج استحضار الصورة الآتية والتعبير عما يعبر به فى ذلك الزمان على قياس حكاية الحال الماضى أو نادى الكليم ثم خاطب الحبيب التفاتا وقيل كونه بتقدير سيقول له فى المستقبل كما قيل فى قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس ان تقديره يقال لهم فى القيامة كنتم فى الدنيا يأباه ان ما سيقال فى المستقبل ليس فيه حرز للاميين والذى فيه داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ذكره من الالتفات انما يتمشى على رأى السكاكى كذا قيل وفى الشرح الجديد هذا نوع من الالتفات غريب ذكره ابن أبى الاصبع وسماه الالتفات فى الضمائر كان يذكر ضميرين لمخاطبين أحدهما لواحد والآخر لغيره أو ضميرين لغائبين كذلك وهنا ضمير فى أصل النداء أى أدعوك أيها النبى وهو للكليم صلى الله عليهما وسلم والآخر فى قوله أرسلناك لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بالالتفات المذكور لا ما ذهب اليه الجمهور ولا السكاكى انتهى أقول الغرابة منه فان ما ظنه غريبا ذكره جميع أهل المعانى وهو عندهم يسمى الافتنان وتلوين الخطاب والادباء يسمونه التفاتا والاعتراض انما يأتى اذا وقف على أول عبارة التوراة فان كان قبله خطاب لموسى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتراضه وارد والافلا (وحرزا للاميين) الحرز بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين ثم زاى معجمة وهو فى الاصل مصدر بمعنى الحفظ ثم شاع وصار حقيقة فى المكان الذى يحفظ فيه فيقال حرز حريز كحصن حصين ومنه احترز عن كذا أى تحفظ منه وأحرز قصب السبق أى حازه فجعله نفسه حرزا مبالغة لحفظه أموالهم وأنفسهم فى الدارين والمراد بالاميين العرب لغلبة الامية فيهم وقيل لانهم لا كتاب لهم وخصهم مع عموم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم لشرفهم أولا رساله صلى الله تعالى عليه وسلم بين أظهرهم أولان الحفظ من العجم اختص بهم وقيل المراد حفظهم من آفات النفوس وغوائل الدهر أو من آفات العجم وتغلبهم أو من مطاق العذاب مادام

(يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا) حال مقدرة من الكاف (ومبشرا ونذيرا) وهذا منصوص فى القرآن ولعل معناه مذكور فى التوراة (وحرزا) أى حفظا أو حافظا (للاميين) أى يمنعهم بهدايته اياهم من كل مكروه والاميون جمع الامى وهو من لا يحسن الكتابة والقراءة نسبة الى أمة العرب حيث كانوا لا يحسنونهما غالبا أو الى الام بمعنى انه كما ولدته أمه وهذا المعنى مستفاد من القرآن حيث قال هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم الآية وفى تخصيصهم تشريف لهم

صـلى الله تعالى عليه وسـلم فيهم لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أومن عذاب الاستئصال لحديث سالت ربى عزوجل ثلاث خصال فاعطانى اثنتين ومنعنى الثالثة والاثنتان هلاك السنة والقحط والغرق والثالثة كون باسهم بينهم (أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل) قدم العبودية لشرفها كما قال

لاتدعـــنى الابياعبـدها ✽ فانه أشرف أسـمائى

ولذا خص وصفها بالذكر فى الاسراء وليست بالمعنى العام الذى يتصف به كل مخلوق بل بالمعنى الخاص الذى رضيه الله لعبده حتى أطلعه على حظائر قدسه وجعله رسولا مبلغا عنه وكفاه جميع مؤناته فقـال أليس الله بكاف عبده فان الملك لايرضى بوقوف عبده بباب غيره واحتياجه لسواه واهانة أحد له فانه هو الذى يؤدبه فلذا قال سميتك المتوكل دون جعلتـك أووصفتك وقدم العبودية هنا تشريفا وتعظيما اذ المراد الكامل فى العبودية وانظر قوله سميتك دون جعلتك أووصفتك المنادى بشـدة توكله الذى صيره علماله ولذا قيل ان فيه اشعارا بشدة توكله صلى الله تعالى عليه وسلم السارى فى أمته (ليس بفظ ولاغليظ ولاصخاب فى الاسواق) فيه التفات من الخطاب اذ مقتضى الظاهر ان يقول لست ان لم يكن هذا كلام آخر من التوراة ضمه عبدالله رضى الله تعالى عنه الى الاول وفى الالتفات هنا بعد النظر يه هنا حسن الاقتباس اذلم يوجه بمثله وان كان منفيا والفظ كما فى المصباح الرجل الشـديد الغليظ القلب يقال منه فظ يفظ من باب تعب فظاظة اذا غلظ حتى يهاب فى غير موضعه وغلظ خلاف رق غلظة بالكسر وحكى فى البارع التثليث وعذاب غليظ شـديد الالم وغلظ الرجـل اشتد واغلظ له فى القول عنفه وغلظ بالتخفيف أكدها انتهـى فمعنى ليس بفظ انه ليس له قسوة قلب ولاتشديد على الناس لانه ملته سمحاء وليس بغليظ اما تاكيد له أو بمعنى انه لايعنف الناس والمراد انه ليس بسيـئ الخلق قال الله تعـالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولذا قيل المعنى ليس بسيـئ الخلق ولاغليظ القلب ليوافق الآية وقيل ليس شديد القول فلا تـكرار فيه ولاينافيه وقوع الغلظة والشدة اللائقة أو الواجبة احيانا لانها لاتنافى حسن الخلق فالمراد نفيهما بحسب الطبيعة والخلقة أوفى غير محلهما وامّا ماوقع فى الصحيح فى حق عمر رضى الله تعالى عنه أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صـلى الله تعالى عليه وسلم فقيل لم يقصد قائله التفضيل بل هو لاصل الفعل قيل وافظ من باباه وقيل انه من قبيل الخل أحلى من العسل واختاره الدماميني فى حواشى البخارى أى غلظتك ياعمر أشـد من رقته صـلى الله تعالى عليه وسلم والوجه انه بالنظر الى الفظاظة اللائقة فى محلها فما وقع من أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنه أزيد مما وقع منه صلى الله تعـالى عليه وسلم لانه رحمة للعالمين وشفيـع للمذنبين فهو يختار الايسر الاحسـن فيـما هو محـله والفاروق رضى الله تعالى عنه اختار الفظاظة اللائقة فاختار كل منهما الاحسن له وغايته ان الفاروق ترك فى بعض الاوقات الاولى لاحتياجه لما لم يحتج له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامحذور فى مثله والسخاب والصخاب صيغة مبالغة من الصخب وهو ارتفاع الصوت وشـدته وهـما لغتان فى كل صاد لاصقت حرف الحلق وهو من غير داع أمر مذموم جدا والصاد أفصح والسين لغة ربيعة وقد روى بالوجهـين هنا وقوله فى الاسواق جمـع سوق وهو موضـع يجتمع فيـه الناس للبيـع والشراء ونحوه وهو يذكر ويؤنث والسوق خلاف الملك ولمـا كان فى الغالب محلا لارتفاع الاصوات والصياح لاسيما من الدلالين قيـده به والمراد نفيه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مطلقا لانه اذا انتفى فى المحل المعتاد فيه انتفى فى غيره بالطريق الاولى وهو أبلغ من الاطلاق وأفصح لانه نفى بدليـل عـلى حد قوله ✽ ولاترى الضب بها ينجحر ✽ وللعـرب فى مثله ثلاث مقاصد نفيهما ونفى القيد ونفى المقيد وهذا هو الارجح هنا لان فيه اثبات دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم للاسواق تواضعا وتركا لعادة الجبابرة من الملوك ورداً لقولهم مال هـذا الرسول

(انت عبدى ورسولى) وهذا أيضا موجود فى القرآن حيث أضافه بوصف العبدية والرسالة اليه سبحانه وتعالى (سميتك المتوكل) حيث قال وتوكل عـلى الله أولكونه رئيس المتوكلين فى قوله سبحانه وتعالى وعـلى الله فليتوكل المتوكلون (ليس بفظ) فيـه التفات تنشيطا للسامع والمعنى ليس هو سيـئ الخلق قليل التؤدة (ولاغليظ) أى قاسى القلب قليل الرحمة كما قال سبحانه وتعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وأما تفسـير الحلبى وغـيره الغليـظ بالشديد القول فلا يلائم مبنى الآية وان كان شدة القول والجفاوة متفرعة على غلظ القلب والقساوة (ولاصخـاب) صـاد وتشـديد معجمة وهو سخاب بالسـين المهملة من السـخب وهو لغـة ربيعة بمعنى رفع الصوت وصيغته فعال للنسـبة كتمار لان المراد به نفيه مطلقا من غير قيد قليل وكثير وقوله (فى الاسواق) قيد واقعى لان الغالب ان يقع فيها ارتفاع الصوت للمخاصمة والمشاجرة على وفق المشاهدة أو احترازى فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرفع صوته فى التلاوة حال الامامة وفى الموعظـة حال الخطبـة

(ولا يدفع بالسيئة) أي منه (السيئة) أي الواصلة اليه من غيره مع انه جائز لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وسميت الثانية سيئة للمشاكلة والمقابلة أو بالاضافة الى التحمل والصبر كما أشار اليه سبحانه وتعالى بقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله وهي مقابلة السيئة بالحسنة لكن الافضل والاكمل ماقاله سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ادفع بالتي هي أحسن وهي المقابلة بالاحسان وهذا طريق أهل العرفان (ولكن يعفو) أي ولكن يدفعها بالتي هي أحسن فكان يعفو أي عن الخطائين في الباطن (ويغفر) أي في الظاهر وكان حقه ان يقول ثم ويحسن اليهم على ماهو المتبادر مما سبق ومما يفهم من قوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ولذا حكى ان بعض الاكابر دخل عليه خادم بطعام حار فانكب على بدنه فقرأ الخادم والكاظمين الغيظ قال كظمت فقرأ والعافين عن الناس قال عفوت فقرأ والله يحب المحسنين قال أعتقتك وقد وقع مثل هذا كثيرا في نعته صلى الله تعالى عليه وسلم حيث حلم على جفاوة الاعراب فيما أغلظوا له بالقول والفعل وأحسن اليهم بالمال الكثير (ولن يقبضه الله حتى يقيم) أي الله (به) أي بسببه وببركته (الملة العوجاء) أي غير المستقيمة ولان العرب غيرتها عن النهاية استقامتها فصارت كالعوجاء والمراد بها ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهي العادلة المائلة عن الاديان الباطلة الى دين الحق الذي هو التوحيد المطلق كما أشار اليه بقوله

يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لانهم قالوا لما أظهر صلى الله تعالى عليه وسلم الدعوة انه ينبغي أن لا يأكل ولا يشرب ويكون ملكا أو لا يدخل السوق ليكون ملكا وفي الشرح الجديد المراد انه ليس بسخاب في موضع من المواضع فالنفي للقيد لانتفاء المطلق وانما نفى المقيد ابتداء للتصريح بنفي ماهم عليه من التقبيح أو للمبالغة في نفي المطلق بجعله دليلا لكونه مقررا معروفا وقال الطيبي رحمه الله المراد نفي الصخابية وكونه في الاسواق وهو عجيب لان نفي الصخابية فيها لاينافي كونه فيها بلاصخابية ولا الصخابية من غير كونه فيها بشهادة الذوق قال شيخنا الاقرب الى الفهم انه نفي المقيد لشناعته مع انه مظنته وموضع اعتياد الناس ليفيد انه لا يفعله في غيره بالاولى ولا يرد ان صخابا صيغة مبالغة فبتقدير توجه النفي الى قيده وهو في الاسواق تثبت له الصخابية لانا نمنعه بان الصيغة هنا للنسبة كخياط ومنه وما ربك بظلام في أحد الوجوه ولا ضير اذا كان المراد نفي الصخابة المقيدة لانتفائها مطلقة لان نفي مطلقها لاينافي ثبوت أصل الصخب له وهو قد ثبت في محله كالخطبة والتلبية ونحوهما انتهى اقول فيه نظر من وجهين الاول ان رده على الطيبي وتعجبه ليس في محله لما عرفت من انه أحد الاحتمالات في أمثاله وماذكره أمدح لانه نفي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتياد صخب واعتياد دخول الاسواق كارباب الدنيا الثاني انه ادعى أن المبالغة لا تناسب هنا والتجا الى جعل الصيغة للنسب وليس بلازم لجواز كون المبالغة في النفي لا في المنفي كما ذهب اليه خاتمة المفسرين في الآية الا أن فيه نظرا الا ان صرف المبالغة للقيد الذي في الصيغة ليس بالسهل مع امكان التفصي عنه بوجه وفي هذا المقام مباحث أخر مذكورة في غير هذا المحل وقد أفردناها في رسالة مستقلة (ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر) لان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن وقد قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله فلذا قال ولكن يعفو ويغفر فلا يسيئ لمن أساء اليه ويدفع بالتي هي أحسن وفي الآية مشاكلة وكذا في كلام المصنف وان كان نفيا فتدبر وفي ذكر المغفرة بعد العفو تأكيد ان كانا بمعنى أو يعفو تارة ويستر أخرى فلا يفصح فيقول في خطبه مابال أقوام يفعلون كذا كذا قيل وفي كلام التفتازاني ميل للاول وقيل بين العفو والمغفرة في حق غير الله فرق فان العفو لغة بمعنى المحو فهو ازالة السيئة من ظاهره وخاطره والمغفرة مشتقة من الغفر وهو الستر ولا يلزم من سترها ازالتها وقوله ولكن الى آخره استدراك بانه لا يلزم من عدم جزائها بمثلها العفو لجواز ان يكله الى الله تعالى ويؤخره للآخرة انتهى أقول قد ورد العفو الغفور في اسماء الله عز وجل وتغاير مفهوميهما واشتقاقهما مما لا شبهة فيه ثم بعد ذلك قيل انهما متساويان وهو المشهور والتحقيق ان بينهما فرقا من وجوه منها مانقله الامام القرطبي رحمه الله تعالى في شرح الاسماء الحسنى عن بعض العلماء ان الغفران ستر لا يقع معه عقاب وعتاب والعفو انما يكون بعد عقاب أو عتاب فان استعمل في غيره فهو بطريق المجاز ومر في الخطبة الكلام فيه أيضا فتذكره (ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء) الملة الدين وبينهما فرق والعوجاء مؤنث أعوج وهو ضد المستقيم ولكثرة اطلاق الملة على الكفر فسرها بعضهم هنا به وقال الشارح المحقق العوج ضد الاستقامة وهو كما في النهاية بفتح العين في المرئي وبالكسر في غيره وكلام القاموس يدل على التعميم واقامة المعوج جعله مستقيما والمراد بالملة هنا ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام التي عوجتها العرب بتغييرها كما قال الله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم لا ملة الكفر كما توهم فانه أزالها انتهى وفي

النهاية الملة العوجاء ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام التي غيرتها العرب عن استقامتها لانهم ذرية
اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وكانوا يزعمون انهم على ملته الحنيفية والحنيف من يوحد
الله و يعبده لان الحنف في اللغة الاستقامة وانما قيل للمائل الرجل أحنف تمليحا أو تفاؤلا وكان
ابراهيم عليه الصلاة والسلام حنيفا أي مستقيما و بهذا تعين المراد بالملة وقبضه الله أي توفاه وقبض
روحه وأصل القبض أخذ المال واستيفاؤه فاطلاقه على هذا بتشبيه الحياة والروح بالمال كما قال عمارة

اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق في غير واجب

أو هو من باب استعمال المقيد في المطلق ثم شاع فصار حقيقة فيه (بان يقولوا لا اله الا الله) اقتصر على هذا
و جعله عبارة عن الدين القيم لان العوج الواقع عموده الشرك وعبادة الاصنام و بهذا يستقيم وقيل
المعنى انهم يأتون بكلمة التوحيد وذلك كما قيل عصمة دمائهم وأموالهم غير ان المنجي هو التصديق بها
عن صميم القلب وانما لم يقل محمد رسول الله وهي قرينة كلمة التوحيد التي لا تكاد تنفك عنها اكتفاء
على حد سرابيل تقيكم الحر والقول بانها زيادة على الملة الابراهيمية فلذا لم يذكرها هنا فيه انه يجب
على أمة الخليل قبل وجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان تصدق بان محمدا رسول الله كما صدق به
ابراهيم نفسه وقيل المراد الرجوع الى التوحيد ولا ينافيه زيادة الايمان بشئ آخر ففيه اشارة الى ان
الاعوجاج من جهة الشرك هذا محصل ما في الشرح وفيه بحث لانا لا نسلم انه بعينه داخل في الايمان
التفصيلي للامم السابقة ومثله لا يقال بالرأي وما ذكر لا يناسب ما نحن فيه (و يفتح به أعينا عميا وآذانا
صما وقلوبا غلفا) قد مر هذا في الخطبة وهذا الحديث مروي في البخاري بتأنيث ضمير بها على انه راجع
لكلمة التوحيد والمصنف رحمه الله ذكره فجعله عائدا عليها باعتبار اللفظ أو للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وروى البيهقي عن كعب ليبصر الله به أعينا عورا و يقيم به ألسنة معوجة حتى تشهد الخ وهو هنا
بنصب أعينا وما عطف عليه و يفتح بالتحتية وعلى رواية البخاري بالفوقية المضمومة ورفع الاعين
وما بعده و وقع في رواية أعين عمي بالاضافة وكذا الكلام في الآذان والقلوب وعلى هذا فالعمي جمع
أعمى وكذا الصم جمع أصم وعلى الاول جمع عميا وصما قيل والظاهر ثبوتهما في التوراة فلا اشكال
أقول لا يخفى ان التوراة عبرانية وهذه ترجمة وان اختلاف لفظها معناها واحد فلا اشكال فيها لعدم
تغايرها الا في العمي والعور والذي في القرآن صم بكم عمي وكان النكتة فيه ان التوحيد اثبات الله ونفي
ماسواه فهم لما أثبتوا الله تعالى والشريك كانوا كفاقد احدى عينيه أو العور عبارة عن ذهاب العين
مطلقا ثم ان العمي يوصف به العين وصاحبها حقيقة فقصره على الثاني تقصير وفتح العين عبارة عن
الابصار اما المنافيه من فتح الاجفان أو لتشبيه الابصار بفتح الباب وقد شاع هذا حتى صار حقيقة
وعكس حتى شبهت الابواب المغلقة بالاعين كما قيل

قد أغلقت أبوابه دائما * كأنها أجفان عميان

وقال وأقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادق باب الجفن يفتح مقفلا

وفيه معنى دقيق ليس هذا محله وازالة الاحساس في الحواس المذكورة بآفات تصيبها فشبهت لعدم
نفعها بالموت الا انه لا يقال فتح أذنه وقلبه فهو على حد قولهم متقلدا سيفا ورمحا والغلف جمع أغلف وهو
الذي عليه غلاف أي غشاء وغطاء كقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف بضم فسكون وقرئ بضمتين على
انه جمع غلاف كحمار وحمر أي هي أوعية للعلم وليس هذا بمناسب هنا فهو بالسكون لا غير اذ المعنى
لا ينظر ولا يسمع ولا يعي ما جئت به (وذكر مثله) ذكر بصيغة المجهول والذي في البخاري ذكره في

(بان يقولوا لا اله الا الله) أي ومحمد رسول الله فهو من باب الاكتفاء أو من اطلاق الجزء وارادة الكل أو على ان الكلمة المذكورة هي علم للشهادتين ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة اذ من المعلوم ان اليهود والنصارى وأمثالهم يقولون لا اله الا الله ولا تفيدهم هذه الكلمة من دون اقرارهم بان محمدا رسول الله وفي الحديث ايماء الى قوله سبحانه وتعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (و يفتح) بالنصب عطفا على يقيم أو يقولوا (به أعينا) جمع عين (عميا) جمع أعمى (وآذانا) بالمد جمع أذن (صما) جمع أصم (وقلوبا غلفا) جمع أغلف والغلاف غشاء القلب وغلافه المانع من قبول الحق ووصول الصدق وتعقل أمر المبدأ أو المعاد كما أخبر الله تعالى عن أحوالهم بقوله صم بكم عمي أي عن سماع الحق والنطق به وادراكه ببصرهم فهم لا يعقلون أي الحق ولا يعلمون الصدق ولعله لم يقل وألسنة بكما لانه يلزم من الصمم الاصلي البكم الفرعي والله أعلم (وذكر مثله) بصيغة المجهول ولعل مثله مروي لابن عمر ولعطاء بن يسار كما في البخاري تعليقا وأسنده الدارمي

(عن عبدالله بن سلام) بتخفيف اللام وقيل تشدد ابن الحارث الاسرائيلى ثم الانصارى الخزرجى الصحابى كان حليفا لبنى الخزرج
كنيته أبو يوسف بابنه وهو من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ع م وكان اسمه فى الجاهلية حصينا فسماه عليه الصلاة
والسلام عبدالله أسلم أوّل قدومه عليه الصلاة والسلام المدينة ونزل فى فضله قوله تعالى وشهد شاهد من
بنى اسرائيل على مثله
وكذا قوله سبحانه
وتعالى قل كفى بالله
شهيدا بينى وبينكم
ومن عنده علم الكتاب
شهد مع عمر فتح بيت
المقدس وشهد له صلى
الله تعالى عليه وسلم بالجنة
روى عنه ابناه محمد
ويوسف وغيرهما توفى
سنة ثلاث وأربعين أخرج
له أصحاب الكتب الستة
(وكعب الاحبار) بالحاء
المهملة وسبق بعض
ترجمته والمعنى وذكر
مثله أيضا عن كعب
الاحبار فيما رواه الدارمى
من طريق أبى واقد
الليثى (وفى بعض طرقه)
أى طرق هذا الحديث
(عن ابن اسحق) كما
رواه ابن أبى حاتم فى
تفسير سورة الفتح
عن وهب بن منبه
وفى بعض النسخ أبى
إسحق بالياء وهو تصحيف
وصوابه بالنون وهو
الامام صاحب المغازى
رأى عليا واسامة
والمغيرة بن شعبة وأنسا
وروى عن عطاء والزهرى
وطبقته وعنه شعبة
والحمادان والسفيانان وخلق وكان من بحور العلم
صدوقا وله غرائب فى سعة ما روى تستنكر واختلف فى الاحتجاج به وحديثه حسن بل وفوق الحسن وقد صححه جماعة مات سنة
احدى وخمسين ومائة أخرج له البخارى فى التاريخ ومسلم والاربعة فى سننهم

صحيحه تعليقا (عن عبدالله بن سلام وكعب الاحبار) عبدالله بن سلام بفتح السين المهملة ولام مخففة
لاغير ونقل التلمسانى انه يخفف ويشدد وكذا سلام بن أبى الحقيق ومحمد بن سلام شيخ البخارى وسلام
ابن مشكام وما عداه بالتشديد وقال العراقى فى ألفيته

نحو سلام كله فثقل * لا ابن سلام الحبر والمعتزلى

وابن سلام هذا أسلم فى عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم المدينة وكان حبرا عالما بالتوراة
والقرآن وشهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وتوفى سنة ثلاث وأربعين وهو اسرائيلى من ولد
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وكان اسمه فى الجاهلية حصينا فسماه
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عبدالله ونزل فى فضله قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله
وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب وحضر مع عمر رضى الله تعالى عنه
فتح القدس والجابية وهو انصارى خزرجى بالولاء وكان من كبار الصحابة روى له أصحاب الكتب الستة
وغيرهم وقد مر ان كعب الاحبار هو كعب بن ماتع بالمثناة من فوق ابن هينوع يكنى بابى اسحق الحميرى
التابعى المشهور أدرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره وأسلم فى خلافة أبى بكر رضى الله تعالى
عنه وقيل فى خلافة عمر رضى الله عنه وكان على اليهودية وصحب عمر رضى الله عنه وروى عنه كثيرا وعن
غيره كصهيب وابن المسيب وسكن حمص بعد ما كان باليمن واتفقوا على سعة علمه وشدة دينه وتوثيقه
وتوفى فى خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين متوجها الى العراق وقيل توفى بحمص كما مر وكما يقال له كعب
الاحبار يقال له كعب الحبر بكسر الحاء وفتحها كما مر باضافة الاسم للقب ولقب به لكثرة علمه أو
لكثرة كتابته فالحبر بمعنى المداد الذى يكتب به والحبر أيضا بمعنى العالم كذا فى المصباح وتهذيب
الاسماء للنووى وفى مثلثات ابن السيد فقوله فى القاموس كعب الحبر ويكسر ولا تقل الاحبار غير
صحيح وهذا الحديث أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ودلائل النبوة وذكره ابن ظفر فى كتابه خير
البشر الذى أفرده كما فى الكتب السالفة من التبشير بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو كتاب بديع
فى معناه رأيناه ورويناه ومر ان هذا الحديث رواه البخارى مسندا عن عبدالله بن عمرو بن العاص كما
ذكره المصنف رحمه الله ورواه عن ابن سلام تعليقا على عادته فى تعليق ما كان بعض رجاله على غير شرطه
كما بينه شراحه وفيما ذكروه مخالفة لما فى تاريخ الشام للواقدى (وفى بعض طرقه عن ابن اسحق)
الطرق جمع طريق وهى معروفة وتطلق على الروايات والاسانيد لاتصالها بالحديث وتلمح القائل

له حديث فى الجود مشتهر * ترويه عنه الركبان من طرق

وفى المقتفى للبرهان كان هذا فى الاصل عن أبى اسحق فضرب عليه وكتب فى الهامش ابن اسحق وهو
الامام محمد بن اسحق بن أبى بكر ويقال له أبو عبدالله المطلبى مولاهم المدنى صاحب المغازى رأى أنسا
رضى الله تعالى عنه وروى عن عطاء والزهرى وطبقته وعن شعبة والحمادان وخلق كثير وكان من بحور
العلم صدوقا وله غرائب ربما تستنكر لسعة حفظه ولذا اختلف فى الاحتجاج به وحديثه حسن وفوق
الحسن صححه جماعة وأخرج له أصحاب السنن وله ترجمة فى الميزان توفى سنة احدى وخمسين ومائة وقيل
اثنين وقيل سنة خمسين وجده من سبى العراق وهو أوّل سبى دخل المدينة منها وقد طعن فيه هشام لروايته

(ولاصخب) بفتح فكسر على الوصف وسبق معناه ويفهم من بعض الحواشى انه رفع الصوت فى السوق فقوله (فى الاسواق) للتأكيد أولقصد التجريد (ولامتزين بالفحش) بالضم أى ولامتجمل ولامتخلق ولامتصف بالقول الفاحش والفعل الفاحش قال الحجازى ويروى ولامتدين وكذا قال التلمسانى بالدال من الدين والزاى من الزينة والظاهر انه مصحف وان تكلف له السيد قطب الدين عيسى بان معناه لايجعله دينا وطريقة انتهى ولا يخفى انه لا يفيد نفى الفحش عنه بالكلية وهو المطلوب فى المدحة الجلية وفى حاشية المنجانى ولامتزى بالفحش أى متصف به والزى غالبا انما يكون فى الاوصاف الحسنة وقد يجئ فى خلافها وقرئ قوله تعالى هم أحسن اثاثا ورئيا بالراء والزاى وعين زى واو وانما قلبت واوها ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وفيما تصرف منه من الافعال لطلب الخفة والفحش البذاء بالمنطق وأصل الفحش فى كل شئ الخروج عن المقدار والحد حتى يقبح وقيل نفى تزينه به عنه مع كونه لايراه زينة انما هو باعتبار كون أهله يرونه زينة وفخرا بشهادة أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فزين لهم الشيطان أعمالهم (ولاقوال) بتشديد الواو (للخنا) بفتح الخاء المعجمة مقصورا الكلام القبيح ومنه قول زهير شعر اذا أنت لم تقصر عن الجهل والخنا

(٢٠ - شفا ل)

* أصبت حليما أو أصابك جاهل * فهو من باب التخصيص بعد التعميم وفعال ليس للمبالغة بل للنسبة كما فى قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد واللام فى الحديث والآية لمجرد التقوية (أسدده) قطعه عما قبله لكمال انقطاع بينهما لانه حكاية عن صفات نفسية سلبية وهذا عن هبات الهية ثبوتية أى أقيمه وأوفقه (لكل جميل) أى نعت جزيل (وأهب له) بفتح الهاء أى أعطيه من فضلى (كل خلق كريم) أى من مكارم الاخلاق المتعلقة بالخالق والمخلوق ولذا قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم

لروايته عن فاطمة بنت المنذر وقال كيف يراها وليس بشئ لجواز ان يسمع منها وهى خلف الحجاب كما روى الناس عن عائشة رضى الله تعالى عنها وغيرها وكذلك طعن فيه الامام مالك وقال انه دجال من الدجاجلة الا انه روى عنه انه رجع عن ذلك والقادح فيه غير منصف لانه كان أعلم الناس بالانساب وانما أنكر عليه ما كان يأخذه عن أولاد اليهود الذين أسلموا بعض ما ذكر فى الغزوات من عورات المسلمين واشعار الهجاء فيهم لحرصه على الرواية مع ان عليه المعول فى المغازى وكان شعبة وسفيان يوثقانه ويقولان هو أمير المؤمنين فى الحديث قال السيوطى هذه الطريق أخرجها ابن أبى حاتم عن وهب بن منبه فى تفسير سورة الفتح ووقع فى حواشى التلمسانى هنا زيادة وعبد الرحمن بن يزيد وقال عمرو بن عبد الله بن على السبيعى رأى عليا واسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة رضى الله تعالى عنهم ولم أر هذه فى النسخ (ولاصخب فى الاسواق) بكسر الخاء صفة مشبهة تفيد المبالغة باعتبار افادة الثبوت وقد مر بيانه (ولامتزين بالفحش) فحش كقفل وزنا ومعنى فى كل شئ جاوز الحد فهو فاحش والفحش القول السيئ ويطلق على الزنا وقيل فى تفسير قوله تعالى ولا يأتين بفاحشة أى لايزنين والحاصل انه كل قبيح قولا كان أو فعلا ومتزين روى براء معجمة ومثناة تحتية ونون وروى بدال مهملة من الدين وروى منقوصا متزى بياء بدل النون من الزى وهو اللباس والهيئة أى لايتلبس بامر قبيح أو يتجمل به ويباهى به ولايرد على ظاهره انه يوهم انه قد يأتى به غير متجاوز أو غير متزين به لانه لامفهوم له لجريه على عادة أرباب الفحش فى المباهات بها وقيل انه استعارة تهكمية وقيل التزين بمعنى الاتصاف على التجريد أو المراد انه لايرى الفحش زينة فهى مكنية وهذا علامة من علاماته صلى الله تعالى عليه وسلم لانه نشا بين قوم يتزينون بالفواحش كالقتل والزنا والطواف عراة فاتى بما يخالف عادتهم (ولاقوال للخنا) قوال فعال صيغة مبالغة أى كثير القول والخنا بخاء معجمة ونون مقصور قبيح الكلام وهذا مع ماقبله يفيد انه لايصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم شئ منه قليلا أو كثيرا لان الفحش بمعناه وقيل فعال هنا للنسبة أى ليس بذى قول للخنا كتمار ونبال وليس المراد انه اشارة الى انه ربما يقوله لموجب لانه ما كان لموجب ليس بفاحش وقيل المراد نفى المبالغة ولم ينف أصل قوله للصيانة عن توهم الكذب فى كلامه تعالى لو صدر عنه ما يوهم فحشا وعن الهلاك الذى يثمره ذلك التوهم فوق الهلاك الذى يثمره توهم انه ربما يقول الخنا ولما ذكر صفات التخلية بقوله ليس بفظ الى آخره أخذ فى صفات التحلية بطريق الوعد ممن لايخلف وعده فقال (أسدده لكل جميل) مستأنفا لقصد أعلى مما قبله ولذا لم يعطفه وقيل انه جواب سؤال تقديره فما تفعل به بعد ان صنته عن النقائص فقال أسدده الى آخره والجميل الحسن صورة كان أو معنى ومر فى الحديث ان الله جميل يحب الجمال والتسديد التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل وتسديده يشمل تسديد جميعه وبعضه فقوله بكل جميل ليس تجريدا كما قيل والكلية للمبالغة أو هو كاستغراق جمع الامير الصاغة أى بكل جميل يليق به (وأهب له كل خلق كريم) أهب بفتحتين مضارع

وهب بمعنى أعطى والخلق بضمتين وتسكن اللام السجية والطبيعة التى فطره الله عليها وهو يوصف بالكرم بمعنى الخير والكمال يقال كرم كرما اذا نفس وعز ويكون بمعنى العطاء الكثير وليس بمراد هنا وان أوهمه قوله أهب ففيه تورية وقيل هو من قبيل عطف الخاص على العام للاهتمام ويقال لكل صفة خلق ولذا يجمع على أخلاق فلا حاجة الى تقدير كل فرد خلق كما توهم وهو وعد منه تعالى وهو لا يخلف الميعاد وفيه نظر وكونه جامعا لمكارم الاخلاق غير محتاج للبيان وسيأتى نبذ منه (واجعل السكينة لباسه والبر شعاره) اجعل مضارع المتكلم وهو الله والسكينة بفتح السين وكسر الكاف المخففة ثم ياء ونون وهاء وفيها لغة بكسر السين وتشديد الكاف نقلها المصنف رحمه الله تعالى فى مشارقه وبها قرئ فى الشواذ وهى فعيلة من السكون والمراد بها هنا الوقار والطمانينة ووردت فى القرآن فى قوله عز وجل هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ووردت فى الاحاديث الصحيحة بمعان أخر قيل انها مشتركة فيها وللمفسرين فيها أقوال فعن على رضى الله تعالى عنه انها ريح هفافة وقيل انها ملك له وجه انسان وله رأسان وعيون ذات أشعة وطست من ذهب تغسل فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل انها شئ كان يلتى فيه موسى عليه الصلاة والسلام الالواح والعصى وقيل هى رحمة وقال السيوطى رحمه الله تعالى انها اسم ملك مخصوص وفى حديث الوحى غشيته صلى الله تعالى عليه وسلم السكينة وهى ما كان يلحقه عند نزوله وقيل انها صورة هو مع بنى اسرائيل اذا ظهرت انهزمت أعداؤهم وفى حديث بناء الكعبة فارسل الله السكينة وهى ريح سريعة المرور والمراد هنا الاول وأما هذه المعانى فيحمل عليها ماورد فى الاحاديث ولا حاجة لذكرها هنا ولما كان السكون والوقار مبدؤه ما يلوح لقلبه فى مراقبته جعله فى الآية فى القلب ويلزمه ما يظهر عليه من الخشوع والتثبت وباعتباره جعله لباسا له من باب تشبيه المعقول بالمحسوس فلكل منهما وجه وجيه بليغ فلا حاجة الى التوفيق بينهما بان ما فى الآية بمعنى ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه أو العقل كما قيل والبر الطاعة والاحسان أو زيادته والخير والرحمة والشعار بمعنى اللباس الذى يلى الجسد سمى به لانه يمس شعره وبدنه ويكون بمعنى العلامة أيضا والمناسب هنا الاول لذكره مع اللباس ويقابل الشعار بهذا المعنى الدثار وهو ما يتغطى به الانسان وفى الحديث الانصار شعار الناس دثار أى هم خاصة له صلى الله تعالى عليه وسلم والناس عامة أو هم أقرب اليه من غيرهم وهو بزنة اللباس ولما كانت السكينة ظاهرة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى سائر أحواله ويراه كل أحد برا وفاجرا جعلها لباسا والبر والخير والرحمة وان لازمه أيضا وعم أحواله انما يقف عليه المؤمنون ببصائرهم جعله شعارا فانظر حسن موقعه مع ما قبله وما بعده أيضا وهو قوله (والتقوى ضميره) لان الضمير ما يضمر فى القلب وينوى فى خاطره بحيث لا ينساه والاسم الضمير المضمر الموضع والمفعول قال

مستقر لها فى مضمر القلب والحشا * سريرة ود يوم تبلى السرائر

ويسمى القلب ضميرا لخفائه أو لانه محله فانظر كيف انتقل من الظاهر للخفى ثم الاخفى مع ما فيه من شبه اللف والنشر مع الامور السابقة والتقوى عبارة عما يقى من العذاب فى الآخرة ولها مراتب أولها التبرى عن الشرك والثانى التنزه عن كل ما يؤثم والثالث أن يتنزه عما يشغل سره عن الله وبهذا علمت التئامها مع الضمير (والحكمة معقوله) الحكمة كالحكم كل كلام جامع لما يرشد الى الحق فيشمل المواعظ والامثال لانتفاع الناس بها وتطلق على العلوم الشرعية وتطلق على القضاء بالعدل وبه فسر قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والقرآن تفسيرها هنا بالعلم باحوال

(ثم اجعل) ويروى واجعل (السكينة) أى سكون القلب واطمئنانه ورزانة القلب ووقاره فهى فعيلة من السكون والكاف منها مخففة عند الكافة الا ما حكاه القاضى فى مشارق الانوار عن الكسائى والفراء من جواز تشديدها قال المنجانى وهو نقل غريب وتدفع غرابته بجعل التشديد للمبالغة كما فى السكيت والسكين ثم رأيت صاحب القاموس قال السكينة والسكينة بالكسر مشددة الطمانينة وقرئ بهما فى قوله تعالى فيه سكينة من ربكم أى ما تسكنون به اذا أتاكم (لباسه) أى دثاره وهو مما يظهر آثاره (والبر) أى الطاعة لله والاحسان بخلق الله (شعاره) بكسر أوله أى دأبه وعادته (والتقوى ضميره) أى فى صدره كما فى الحديث التقوى هنا وفيه ايماء الى ان كمال التقوى محصور فيه (والحكمة) أى العلمية والعملية (معقوله) أى بحيث يظهر وجه منقوله فى معقوله وقال التلمسانى الحكمة أى النبوة والعلم معقوله ومكتومه وسره ولا يخفى خفاء أمره

الموجودات على ماهى عليه بقدر الطاعة أو مطلق المعلومات كما قيل غير مناسب وان صح والمعقول يكون مصدرا واسم مفعول فالمراد انها بعقله وادراكه أو ما يعقله كله حكم ومواعظ وعلوم نافعة لانه لا ينطق عن الهوى (و) اجعل (الصدق والوفاء طبيعته) أى لا ينطق بغير ما وافق الواقع واذا عاقد أحدا أو وعد وعدا لا يخلفه وهذا أمر طبيعى له جعله الله فيه (والعفو والمعروف خلقه) المعروف والعرف قال فى المصباح هو الخير والرفق والاحسان ومنه قولهم من كان آمرا بالمعروف فليأمر بالمعروف أى من أمر بخير فليأمر برفق انتهى و يقابله المنكر والمعروف ما تعرفه وتألفه العقلاء ولذا قيل المعروف كاسمه معروف (والعدل سيرته) العدل القصد فى الامور وهو ضد الجور والسيرة فعلة فهى فى الاصل الهيئة فى السير ثم صارت اسما للطريقة يقال سار سيرة حسنة أى طريقة وحاله العدل وعدم الخروج على الحق قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان قيل فى تفسيره العدل الفرائض والاحسان النافلة وقيل العدل استواء السريرة والعلانية والاحسان أن تفضل السريرة العلانية وقيل العدل الانصاف والاحسان التفضيل وقال ابن عطية العدل فعل كل مفروض من العقائد والعبادة وأداء الامانات والانصاف والاحسان فعل المندوب وقال البغوى العدل بين العبد وربه ايثار حقه على حظ نفسه واجتناب الزواجر وامتثال الاوامر وبينه و بين نفسه منعها عما فيه هلاكها والصبر بينه و بين غيره بذل النصيحة وترك الخيانة وانصافهم من نفسه والصبر على أذاهم قيل جعل العدل سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينافى أن يكون الاحسان سيرته فى محل يليق به ولا أن يكون العفو طبيعة له صلى الله تعالى عليه وسلم لمصلحة تليق بالمقام وقيل عليه أن الاحسان أخص من العدل فان تمثيل المشركين بحمزة رضى الله تعالى عنه فى أحد وعدم تمثيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلاهم احسان ولو فعله كان عدلا ومقتضى هذا الاحسان ينفرد عن العدل وليس كذلك وأما العفو فان كان باذن الشرع كعفوه صلى الله تعالى عليه وسلم عن الذى اخترط سيفه ليقتله فهو عفو وعدل وعفوه عما لم يؤذن فيه كالحدود لم يقع منه لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن مثله أقول هذا القائل فسر العدل بالمساواة فى المكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان أن يقابل الخير بمثله وزيادة والشر باقل منه ومقتضاه تغايرهما ومراده المقابلة فيما لا بد من مقابلته وترك العفو عنه فلو أذن له فى العفو أو التقليل وفعل ذلك لم يكن عدلا ولا جورا بل مرتبة زائدة على العدل والمعترض ظن ان كل ما ليس بعدل جور وليس كذلك (والحق شريعته) الذى رأيناه فى النسخ المقروءة بنصبه ما عطف على مفعول اجعل وحينئذ لا يرد عليه شئ كما أورد على الرفع فان تعريف طرفى المسند والمسند اليه يقتضى الحصر فيقتضى بمفهومه ان ما عداه من الشرائع باطل وليس كذلك ولذا قال بعضهم المراد الحق الكامل الذى لا ينسخ وقيل الحصر على ظاهره ولا يحتاج فى تصحيحه الى تقدير ذلك الوصف أو جعل التعريف عهديا عبارة عنه لان شريعته فى زمن موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يكن فى الشرائع حق غيرها وما سواها باطل كذا فى النسخة التى عندى ولا محصل لها ولا يندفع السؤال بما قاله ولك أن تقول ان شريعته فى زمانه هى الحق لا غيرها لانتساخ الشرائع بها والكلام يفيده هذا بدون تقدير والحق الثابت وخلاف الباطل وما يستحقه الانسان على غيره والشريعة دينه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى شرعه الله لامته وهى قانون الهى وضعه الله على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام ليسوقهم الى خير الدارين والشريعة قيل انها فى الاصل الطريق الواضح المستقيم كالشرعة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ويكون بمعنى المشرعة والموردة أى المحل الذى يشرب منه من خاض نهرا ونحوه ثم نقلت للدين أما لانه طريق الخير والسعادة أو لتضمنها ما هو سبب للحياة الباقية كالموردة المتضمنة لسبب الحياة

(والصدق) أى فى المنطق (والوفاء) أى بالوعد (طبيعته) أى غريزته وجبلته التى لا يمكنه مخالفتها (والعفو) أى عن الاساءة (والمعروف) أى الاحسان فى محله شرعا وعرفا (خلقه) بالضم أى دأبه وعادته (والعدل) أى فى حكمه أو الاعتدال فى حاله (سيرته) أى طريقته (والحق) أى اظهاره (شريعته) أى دينه وملته

الفانية ورد بان معناها انما هو الطريق والموردة انما سميت بها لانها موصلة للماء وفيه نظر لا يخفى (والهدى أمامه) والهدى الدلالة بلطف ولذا اختصت بالخير ولها أنواع أولها خلق القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة التى لا يتمكن بها من الاقتداء لصالحه والثانى نصب الدلائل الحقة والثالث ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وانزال الكتب والرابع أن يكشف عن قلوبهم حتى يشاهدوا الاشياء * فان قلت كيف تشمل هذه الانواع والاول لم يدلهم الله عليه * قلت هذا من سوء الفهم فان المراد ان خلقها بمنزلة الدلالة فيها وقوله أمامه بكسر الهمزة بضبط البرهان الحلبى وهو الظاهر وضبطه بعضهم بفتحها وهو بمعنى قدام احدى الجهات الست ومعناه على الاول مقتداه ومتبعه وبه سمى الامام للاقتداء به وقال تعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام انى جاعلك للناس اماما أى انه متبع للهدى وهو كناية عن ملازمته له وعدم انفكاكه عنه وقيل ان تعريفه للعهد أى هدى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده والمراد بهداهم ما اتفقوا عليه من التوحيد والاصول لا الفروع ويجوز أن يراد بالامام الطريق كما قيل فى قوله تعالى وانهما لبامام مبين وعلى الفتح فالمراد بطريق الكناية أى انه ملاحظه كما يقال فى ضده أنه ظهرى وخلف ظهرى (والاسلام ملته) بنصبهما ورفعهما كما مر والاول هو المصحح فى النسخ التى عندنا وهو الاحسن قيل المراد ان الاسلام اسم لهذه الملة فالمعنى انه جعلها خير الملل وسماها بهذا الاسم أو هو عام والمراد الكامل منه وهذه التسمية فى التوراة صريحا أو ضمنا لقوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل أى من قبل نزول القرآن سماهم بهذا فى الكتب الالهية والظاهر ان هذه الصفات السلبية والايجابية ذكرت فى التوراة والانجيل تعريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم فينبغى حملها على الكامل منها ليكون من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم التى تميز بها عن غيره والملة كالدين والشريعة تطلق على الاسلام وغيره وهى متغايرة بحسب المفهوم متحدة بحسب الخارج والاسلام أصل معناه اللغوى الاستسلام والانقياد ثم خص فى لسان الشرع بالانقياد لما جاءت به الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام بلا خلاف انما الخلاف فى اختصاص الاسلام بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والمشهور انه لا يختص بهم فيقال لكل ملة الاسلام ولاهلها مسلمون ولكل نبى أنه مسلم لقوله تعالى فى حق لوط عليه الصلاة والسلام فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقيل انه توصف به هذه الامة ويوصف به غيرهم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون أممهم وارتضى هذا السيوطى وصنف فيه رسالة مستقلة وأطال فيها وتبعه بعض الشراح هنا ثم قال ان الاسلام بالمعنى الشرعى المتضمن للشهادتين وسائر الاحكام المفروضة على هذه الامة يختص بهذه الامة دون جميع من عداهم من الامم والانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو اسم منقول كالصلاة وأما بالمعنى اللغوى وهو الانقياد فهو عام لكل منقاد لشريعة من الشرائع ويؤيده قوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل أقول فيما قاله السيوطى نظر لا يخفى ثم ان معنى الاسلام والفرق بينه وبين الايمان مفصل فى كتب الاصول فلا حاجة لذكره (وأحمد اسمه) أى جعل اسمه أحمد وسماه به فى الكتب القديمة قبل وجوده وهو علم منقول من اسم التفضيل أى هو أكثر حمدا لله من سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجميع الخلق وهو صاحب لواء الحمد يوم القيامة كما سيأتى وقال السخاوى فى سفر السعادة انه صفة كاحمر وأبيض نقلت لهذه وسيأتى الكلام عليه فى أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما ذكر صفاته الموصوف بها فى نفسه شرع فى صفاته التى لوحظ فيها غيره وهو جواب

(والهدى) بضم الهاء أى الهداية (امامه) بكسر الهمزة أى قدوته مما يقتدى به فى جميع حالاته وفى نسخة معتمدة بالفتح أى قدامه ونصب عينيه لا يتعدى منه ولا يميل عنه (والاسلام) أى الاستسلام الظاهر والباطن (ملته) أى دينه الذى عليه ويقرره (وأحمد اسمه) أى فى التوراة والانجيل وهو لا ينافى أن يكون له أسماء أخر بل فيه ايماء بانه أبلغ الاسماء وذلك لافادة المبالغة الزائدة التى لا توجد فى غيره من الابنية ولو كانت من هذه المادة كحمد ومحمود فانه بمعنى أحمد كل من حمد وحمد فله النسبة الجامعة بين كمال صفتى الحامدية والمحمودية المترتبة على جمال نعتى المحبية والمحبوبية فتأمل فانها من الاسرار الخفية والانوار الجلية

لسؤال مقدر تقديره هل ينفع بهذا الظاهر المظهر الكامل فى نفسه غيره فقال (أهدى به بعد الضلالة) كما قيل وقيل انما فصله لعلو رتبة الهداية سواء كانت الايصال أو الدلالة الموصلة وأهدى بفتح الهمزة مضارع هدى وفيه تقوية لمدحه السابق والمراد الهداية الى ما به النجاة والى ما به تكميل الناجى فاذا قال (وأعلم به بعد الجهالة) والضلالة بمعنى الضلال وهو سلوك غير الطريق الموصلة ويقال أضل الشئ اذا ضيعه وهى تكون عن قصد وعمد وبغير قصد كقوله تعالى فعلتها اذا وأنا من الضالين أى المخطئين وبين الهداية والضلالة صنعة الطباق البديعية والباء للسببية أو للتعدية واعلم مضارع بضم الهمزة وتشديد اللام كما فى المقتنى والجهالة بفتح الجيم مصدر كالضلالة بمعنى الجهل والجهل والجهالة ضد العلم وهو الاعتقاد الذى لا يطابق الواقع وفى المصباح جهلت الشئ جهلا وجهالة خلاف علمته وفى المثل كفى بالشك جهلا انتهى (وارفع به بعد الخمالة) ضبطه ابن رسلان بفتح الخاء المعجمة والميم ونقل عن بعض النحاة انه لا يقال خمالة وانما هو خمولة وفى الصحاح الخامل الساقط الذى لا نباهة له وقد خمل يخمل خمولا وأخملته أنا وفى الجمهرة رجل خامل الذكر بين الخمول والخمولة وهو ضد النبيه والنابه * أقول هذا الحديث صحيح وثبوت هذه اللفظة فيه يكفى دليلا لصحتها أو هو لمشاكلة الضلالة وللازدواج معها ولو قلنا انه غير قياس والمراد برفعه جعل الدين والتوحيد بعد ما ترك فى الفترة لغاية الجهل مشهورا شائعا فهو مجاز كقوله تعالى عز وجل ورفعنا لك ذكرك وبين الجهالة والخمالة طباق أو شبهه (وأسمى به بعد النكرة) يقال أسميته كأكرمته وسميته بالتشديد ككرمته ويتعدى بنفسه وبالباء كسميته زيدا وبزيد اذا جعلته اسما له وعلما وبالتشديد ضبطه البرهان فى المقتفى وروى بضم الهمزة وسكون السين المهملة والنكرة بضم النون وسكون الكاف وبفتح النون وكسر الكاف خلاف المعرفة ويطلق بمعنى المجهول كقول الشاعر فى مجهول النسب

وأمه معرفة * لكن أبوه نكرة

والباء للسببية أى أعرف الناس بسببه أو بما أوحيه اليه الناس المجهولين أو أعرفهم ما جهلوه من التوحيد أو أعرف الناس ما لم يعرفوه من الانبياء وقصصهم وقيل الاولى التعميم وقيل المراد أعرف به من هو فى حكم النكرة غير معروف ولا بشهرة موصوف وهو تكلف وبين التعريف والتنكير شبه الطباق ومعنى هذا وما قبله انى أرسله فى زمان جهالة وضلالة وفترة فيؤمن به أول مساكين الناس وضعفاؤهم على عادة الرسل عليهم الصلاة والسلام فيصيرون به بعد خمولهم وكونهم مجهولين أعز الناس وأكرمهم فان من الصحابة رضى الله تعالى عنهم من كان بدويا واعرابيا وبعد اشراق نور النبوة عليه صار صدرا تقبل الجبابرة يديه ورجليه وقد كان الدين والعلم قبيل بعثته عليه الصلاة والسلام نكرة لكن لا تقبل التعريف فافاض الله منه على أمته ما لم تسمع به الامم حتى أبدعوا علوما وتاليف تحار فيها الافكار فجزاه الله خير الجزاء وهذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم (وأكثر به بعد القلة) أكثر بضم الهمزة وسكون الكاف وكسر المثلثة وتخفيفها أو بفتح الكاف وتشديد المثلثة المكسورة لانه يتعدى بالهمزة والتضعيف قال الله تعالى قد جادلتنا فأكثرت جدالنا وقولهم أكثر من الاكل يحتمل زيادة من وحذف المفعول أى أكثر الفعل من الاكل كما فى المصباح والمراد انه يكثر به الارزاق مطلقا أو على من اتبعه أو أكثر أمته بعد قلتها فى ابتداء أمره أو بعد عدمها لان القلة ترد فى كلام العرب بمعنى العدم أيضا وهو بعيد وقيل المراد أكثر به قواعد الملة بعد القلة لانهم كانوا ابلة وجاء

(أهدى به) بفتح الهمزة أى أرشد الخلق بسببه (بعد الضلالة) أى بعد تحقق حضور رحصولها منهم أو بعد تعلق ثبوت وصولها بهم وفيه ايماء الى ان ظلمة ضلالتهم لا ترتفع الا بنور هدايته لهم مشيرا الى الحديث القدسى والكلام الانسى ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطاه فقد غوى وارتدى ولا يبعد أن يكون المراد بعد ضلالته مشيرا الى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أى جاهلا بالطريق أو عاشقا بالتحقيق (واعلم) بتشديد اللام المكسورة أى اجعل الناس ذوى معرفة (به) أى بالوحى وانزال القرآن عليه (بعد الجهالة) أى بعد ظهور زمان الجاهلية أيام الفترة أو بعد جهالته لقوله سبحانه وتعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان يعنى تفصيله (وارفع به) أى ببركته رتبة هذه الامة (بعد الخمالة) بفتح الخاء المعجمة بمعنى الخمول أى بعد ان لم يكن لهم ذكر وقدر وشان وبرهان فى الظاهر وان كانوا فى علم الله تعالى وفى اللوح خير أمة أو أرفع شانه بتعليمنا اياه ببيانه بعد خمول ذكره وخفاء أمره كقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك (واسمى به) بتشديد الميم المكسورة كذا ضبطه الشراح ولا يبعد ان يجوز بتخفيف الميم أى أشهره بالمعرفة (بعد النكرة) بضم النون (وأكثر به) من التكثير ويجوز من الاكثار أى اجعل الكثرة ببركته (بعد القلة) أى فى ماله وفى عدد اتباعه

العين وهى الفقر ومنه قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (وأجمع به بعد الفرقة) ايماء الى قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وهذا معنى قوله (وأؤلف) أى أوقع الالفة والمودة (به بين قلوب مختلفة) أى فى اغراض فاسدة (وأهواء متشتتة) أى آراء مبتدعة غير مجتمعة (وأمم متفرقة) وجماعات من قبائل متباينة قال التلمسانى وقع هنا بخط المصنف بتقديم التاء على الفاء من التفرق و بتقديم الفاء على التاء من الافتراق وهى نسخة العوفى (واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس) كان حقه ان يقول به هنا أيضا لان خيرية أمته انما هى لاجل أفضلية نبوته بناء على الملازمة العادية لكن جعله سببا أولى من عكس القضية كما أشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله لما دعا الله داعينا لطاعته بافضل الرسل كنا أفضل الامم

فاقامها وأعاد منها ما انقص بكلمة التوحيد وهو تكلف (وأغنى به بعد العيلة) أغنى مضارع من الاغناء وهو اعطاء الغنى والعيلة بفتح المهملة وسكون التحتية الفقر قال الله تعالى ووجدك عائلا فأغنى من عاله اذا قام بامره وكفله والعامة تقول عيلة بمعنى عيال جمع عيل كجياد وجيد ولو استعمله بليغ كان له وجه من المجاز والصحيح ورود العيلة بمعنى عيال كما فصله البيهقى فى كتاب الانتصار للشافعى والمراد ما كان هو وأمته عليه فى ابتداء أمره ثم صار بعد ذلك لهم من النعم والسعة بما أحل لهم من الغنائم وفتح من الممالك ما هو غنى عن الشرح والبيان (وأجمع به بعد الفرقة) أى أجمع به بين الناس بعد افتراقهم وتنافر قلوبهم لما بينهم من العداوة المؤدية للحروب وترك الديار كما كان بين العرب والعجم وبين قبائل العرب وبين القبيلة الواحدة ألا ترى ما كان بين المسلمين والمشركين مما أدى الى الهجرة وترك الاوطان وبين الاوس والخزرج من الحروب والمهاجاة بل بين الاب والابن والاخ وأخيه كما قال أبو فراش

وقبلى كان الغدر فى الناس شيمة * وذم زمان واستلام خليل
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه * وخلى أمير المؤمنين عقيل

فلما جاء الاسلام ألف الله بين قلوبهم وسل أحقادهم وضغائنهم حتى صار الواحد منهم ينزل عن احدى زوجتيه للآخر ويقطع برده نصفين أو المراد انه جمع العقائد والملل على التوحيد وملة الدين أو المراد الاعم منها فقوله (وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة) عطف تفسير لما قبله ومتفرقة كما قال التلمسانى بتقديم التاء على الفاء من التفرق وبتقديم الفاء على التاء من الافتراق فى نسخة العوفى والتاليف جعل الاشياء مؤتلفة مجتمعة أى أجمع بينهم على مودة وائتلاف بعد الافتراق والعداوة كما قال الله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا واسناد التاليف الى الله فى الآية لا ينافى كون التاليف بسبب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه السبب الظاهرى والفاعل الحقيقى هو الله تعالى عز وجل والتاليف بين القلوب يستلزم التاليف بين الذوات فلا منافاة بينهما كما توهم أو المراد التاليف بين عقائدهم بحيث تكون عقيدتهم واحدة متفقة على الحق والتوحيد والاهواء جمع هوى وهو ميل النفس لما تشتهيه وتحبه والمتشتتة المتفرقة أى أجعل هويهم واحدا متفقا محمودا والهوى غلب اطلاقه على المذموم كما قال الله تعالى ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم والامم جمع أمة وهى الفرقة من الناس وغيرهم يعنى ان كل أمة كانت على دين واعتقاد وعلى طريقة فمنهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم من هو على دين موسى عليه الصلاة والسلام ومنهم من هو على دين عيسى عليه الصلاة والسلام فنسخ الله بشريعته صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الشرائع وجعل الدين دينا واحدا قيما من حاد عنه هلك وشقى فى الدارين (واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس) كما قال الله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أى أنه تعالى قضى بذلك وقدره فى الازل وعالم الذر وأخرجت بمعنى أوجدت وخلقت وأخرجت من العدم والمراد أمة الاجابة وهم من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم ويطلق على أمة الدعوة وهم جميع الناس الموجودين بعد بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المراد كنتم مذكورين فى الامم الذين قبلكم موصوفين بانكم خير لخيرية نبيكم ودينكم أو بما بينه من قوله بعده تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وفى هذه الآية دليل على ان اجماعهم حجة (وفى حديث آخر أخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفته فى التوراة) رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الدلائل عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه والدارمى عن كعب موقوفا ورواه باسناد ضعيف (عبدى

(وفى حديث آخر) رواه الدارمى عن كعب موقوفا والطبرانى وأبو نعيم فى دلائله عن ابن مسعود (أخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفته فى التوراة عبدى) أى المخصوص عندى أحمد

(أحمد المختار) أي على سائر الاخيار وفي نسخة بالجر فاللام للجنس الاستغراقي أي أحمد كل من اختيره واصطفيته من الانبياء والملائكة والاصفياء (مولده) أي مكان ولادته وظهور رسالته (بمكة ومهاجره) بضم الميم وفتح الجيم أي موضع هجرته ومحل نقلته (بالمدينة) ليحصل للحرمين الشريفين بركته أولا وآخرا وباطنا وظاهرا وليكون زيارة البقعتين بمنزلة ابداء الشهادتين (أوقال طيبة) بفتح الطاء وهو اسم من أسماء المدينة كطابة والتقدير انه قال بالمدينة أو بطيبة كما في نسخة فاو للشك في الاسم لا في المسمى وقد روى ان لها في التوراة أحد عشر اسما هذان منها وكانت قبل الاسلام تسمى بيثرب باسم رجل من العماليق قبيلة منسوبة الى عملاق كان يسكنها فلما جاء الاسلام وسكنها عليه الصلاة والسلام كره لها هذا الاسم لما فيه من لفظ التثريب فسماها طيبة وقد جاء في القرآن لفظ يثرب ولكن الله سبحانه وتعالى لم يسمها بذلك وانما قاله حكاية عن الكفار والمنافقين وقال واذقالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا فنبه سبحانه وتعالى بما حكى عنهم انهم قد رغبوا عن اسم سماها به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبوا الا ما كانوا عليه من جاهليتهم وقد سماها الله سبحانه وتعالى المدينة بقوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله وقد روى في معنى قوله تعالى وقل رب أدخلني مدخل صدق انه المدينة وان مخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار وقد ورد من سمى المدينة بيثرب فليستغفر الله هي طابة رواه أحمد في مسنده عن البراء (أمته الحمادون لله) أي المبالغون في حمده سبحانه وتعالى تبع النبيهم أحمد فكما انه أحمد الخلق فهم أحمد الامم ومما يدل على كثرة حمدهم ودوام شكرهم تقييده بقوله (على كل حال) أي من السراء والضراء وفي حاشية المنجاني أمته الحمادون يحمدون الله على كل حال وفي رواية حماد بن سلمة عن كعب انه قال وجدت في التوراة زيادة على هذا وهي يوضئون أطرافهم ويتزرون على انصافهم في قلوبهم أناجيلهم يصلون الصلاة لوقتها رهبان بالليل ليوث بالنهار ولم تزل اليهود بعدما غيرت من صفات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تغار على ظهور شئ مما بقي فيها وتكتم أشد الكتم وقد أخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود في مسنده انه قال ان الله تعالى عز وجل انبعث نبيه لادخال رجل الجنة وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دخل كنيسة فاذا هو بيهود فاذا يهودي يقرأ التوراة فلما أتوا على صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمسكوا وكان في ناحيتها رجل مريض فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالكم أمسكتم فقال المريض انهم أتوا على صفة نبي فامسكوا يعني على عادتهم أولاجل حضورك عندهم قال ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة وقال للقارئ ارفع يدك فرفع يده فقرأ حتى أتى على صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي بكمالها فقال هذه صفتك وصفة أمتك ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لولا أخاكم وأخرج الواقدي في مصنفه مما يتعلق بصفات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان النعمان السابي حبرا من أحبار اليهود فلما سمع بذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدم عليه فسأله عن أشياء ثم قال ان أبي كان يختم على سفر ويقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه ما يحل وما يحرم واذا فيه انك خير

أحمد المختار) أضافه اليه تشريفا له وأحمد عطف بيان أو بدل والمختار الذي اختاره من جميع خلقه وهو بمعنى المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم (مولده بمكة) أي موضع ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه البقعة الشريفة (ومهاجره) أي محل هجرته الذي هاجر اليها صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمدينة أو قال طيبة) والمدينة المصر الجامع ووزنها فعيلة لانها من مدن وقيل مفعلة بفتح الميم من دان غلبت على مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والجمع مدائن بالهمزة على القول باصالة الميم ووزنها فعائل وبغير همزة على القول بزيادتها ووزنها مفاعل لان للياء أصلا في الحركة فترد اليه كما قيل في معائش والهجرة في اللغة الترك ثم خصت بترك مكان الى آخر وكانت واجبة قبل فتح مكة وللمسلمين هجرتان للحبشة وللمدينة وغالب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقع لهم الهجرة لعداوة الناس لهم وكان اسم المدينة يثرب فكره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك لما فيه من ايهام معنى التثريب ولها اسماء منها ما ذكره وطيبة بفتح الطاء وتخفيف الياء الساكنة مؤنث طيب بالفتح لغة في الطيب بمعنى الرائحة الطيبة أوهي مخففة من طيبة بالتشديد ويقال طابة أيضا والمراد انها مطهرة من الشرك والخباثة وقوله أو قال شك من الراوي فيما قاله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وطيبة مجرور بالفتح لمنعه من الصرف تقديره أو قال بطيبة لا مرفوع تقديره مهاجره طيبة وان جاز على بعد فيه قيل وظرفية طيبة لمهاجره بضم الميم وفتح الجيم من ظرفية الكلي للجزئي كما يقال الانسان في زيد وكذا مولده بمكة ولو قيل انه مصدر ميمي لم يبعد فتدبر (أمته الحمادون لله على كل حال) الحمادون الكثيرون الحمد وتعريف الطرفين يفيد الحصر فكثرة الحمد مختصة

الانبياء وان أمتك خير الامم واسمك أحمد وأمتك الحمادون قربانهم دماؤهم وأناجيلهم فى صدورهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن عليهم تحنن الطير على فراخه ثم قال اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب ان يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوما فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرؤى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم وقال أشهد أنى رسول الله والنعمان هذا هو والذى قتله الاسود العنسى وقطعه عضوا عضوا وهو يقول أشهد أن محمدا رسول الله وانك مفتر كذاب على الله (وقال تعالى) أى فى حق المتقين من المؤمنين (الذين يتبعون الرسول النبى) أى الجامع بين مرتبة النبوة وهى أخذ الفيض من الحضرة بالحق المسمى بالولاية وبين مرتبة الرسالة وهى تبليغ الاحكام الشرعية الى الخلق فهو برزخ جامع بين الاستفادة والافادة وبين الكمال والتكميل الذى هو أعلى مقامات أرباب السعادة ولعل وجه تقديم الرسالة فى الذكر مع تأخر تحققها فى الوجود هو الاهتمام بنعت الرسالة أو الترتيب بحسب التدلى لا الترقى فى المرتبة (الامى) أى مع كونه عاريا عن الكتابة والقراءة السابقة الدالة على ان معارفه كلها من العلوم اللدنية والفتوحات الغيبية (الآيتين) أى الى آخر الآيتين الدالتين على نعوته الجلية وصفاته البهية وهو والذى يجدونه أى يصادفون نعته ويعلمون صفته مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل وهما زبدة الكتب المنزلة على اليهود والنصارى يأمرهم بالمعروف استئناف مبين لاوصافه المزبورة عندهم أو مطلقا أى يأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بما يعرفه جميع أرباب المعرفة بالمنقولات ويستحسنه أرباب الطبيعة المستقيمة من أصحاب المعقولات حيث يأمرهم بمكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وينهاهم عن المنكر أى جنس المنكرات شرعا وعرفا نقلا وعقلا ويحل لهم الطيبات أى الحلالات والمستلذات ويحرم عليهم الخبائث أى المحرمات والمضرات ويضع عنهم أى عن من تبعه من اليهود والنصارى خصوصا اصرهم أى عهودهم الثقيلة التى أخذ عليهم العمل بها فى التوراة من العبادات والرياضات والسياحات والاغلال التى كانت عليهم من التكاليف الشاقات كقطع الاعضاء الخاطئة وقرض مواضع النجاسات وتعين القصاص فى العمد والخطا واحراق الغنائم وظهور الذنوب على أبواب فاعليها فالذين آمنوا به وعزروه أى عظموه فى نفسه ونصروه على عدوه واتبعوا النور الذى أنزل معه أى مع رسالته وهو القرآن أو الوحى الشامل للكتاب والسنة أولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية قل يا أيها الناس أى الشامل لليهود والنصارى وغيرهم عامة انى رسول الله اليكم جميعا أى كافة بخلاف موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فانهما كانا مبعوثين الى بنى اسرائيل خاصة ولعله من هنا قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى يعنى لما كان هو وغيره كعيسى الا اتباعى الذى له ملك السموات والارض أى حيث يعم ملكه العلويات والسفليات شملت رسالته جميع الموجودات على ما بيناه فى بعض المصنفات لا اله الا هو فكأنه لا رسول له الا هو فانه لولاه ولولا هو لما خلق غيره ولما وجد من يعرف معنى هو لا من حيثية مبناه ولا من طريقة معناه يحيى ويميت بالابقاء والافناء وبالهداية والاغواء فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى تأكيد وتثبيت أو تبكيت لتوقفهم عن الايمان بمثل هذا النبى الذى يؤمن بالله ايمان مشاهدة وعيان ومراقبة وايقان وكلماته وبجميع

بهذه الامة على كل حال من قيام وقعود واضطجاع وسفر وحضر فى السراء والضراء لان الله تعالى مستحق الحمد استحقاقا ذاتيا فلا يختص بحال دون حال وهو بالنظر للمجموع أو الغالب أو المتعين منهم أو هذا من شأنهم وحمله على الكل تكلف كما قيل والحمد لا يلزم ان يكون فى مقابلة النعمة كالشكر فلا يحتاج الحمد فى الضراء للتوجيه وان كان العبد منعما عليه فى كل حال بنعمة الايجاد والجوارح والحواس والضراء منفعة بالثواب عليها وحفظه عن الاضر ولك أن تقول كثرة الحمد فى هذه الامة لما فى أوقات الصلوات من قراءة سورة الحمد والثناء على الله فيها على أبلغ وجه لم يقع لغيرهم من الامم واعلم ان فى بعض الشروح الاعتراض على المصنف وغيره ممن أكثر النقل من التوراة وغيرها من الكتب المنسوخة وقد حرم الفقهاء قراءتها والنظر فيها فانها محرفة مبدلة وبالغ بعض الفقهاء فقال يجوز الاستنجاء باوراقها وهذا مما لا ينبغى التلفظ به ثم انهم اختلفوا بعد ذلك فى تحريفها وتبديلها هل هو بتغييرها بالزيادة والنقصان أو بتأويلها وتفسيرها بغير المراد منها وقالوا الاشتغال بها ينافى الغرض من نسخها فلا يجوز وذهب بعضهم الى أن التحريف فى التأويل لا غير لاستحالته بعد انتشارها وكثرة نسخها ولا مانع من قراءتها لمعرفة صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ولالزامهم بما أنكروه وكيف يحرم هذا وقد قال الله تعالى قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ووقع فى الاحاديث النقل عنها ولو حرفوها لحرفوا آية الرجم التى ألزمهم عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه بها وقد ارتضى هذا ابن تيمية وفى شرح التجانى اذا وجد فيها ما يقوم النظر على عدم تبديله وأفاد النظر فيه مقصدا شرعيا فلا يبعد ان يباح النظر فيه والاشتغال به وهو كلام حسن (وقال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الآيتين)

أى اقرأواذكرها تين الآيتين بتمامهما أعنى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وانما اقتصر المصنف على بعضهما للاختصار ونحن ذكرناهما ايضاحا لمن لم يحفظ وادخار الثواب التلاوة وانما ذكر المصنف هاتين الآيتين لان الفصل معقود للشهادة أى لكونه عليه الصلاة والسلام شاهدا على أمته وغيرهم ولما يتعلق بها فذكر أولا ما يدل على مقصوده من القرآن العظيم ثم بين بانه موصوف بذلك فى الكتب الالهية كالتوراة والانجيل ثم ذكر هذه الآيات لتعلقها بما ذكر لانها تدل على صحة ما نقل من التوراة فى ذكره فيها وقد قال فى الترجمة ذكر الشهادة وما يتعلق بها وقد قيل انه ذكر استطرادا لما فى الآية الاولى من التنبيه على ان وصفه واسمه مذكور فى التوراة كما نقله وفى الثانية ذكر كونه رسولا ونبيا أميا كما فى التوراة وقيل ذكرت لما فرض من الثناء والمدح له صلى الله تعالى عليه وسلم ولما نزل قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ قال ابليس لعنه الله تعالى أنا شئ فطمع فى الرحمة فلما سمع قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون أيس من أن تناله الرحمة وقالت اليهود والنصارى نحن متقون داخلون فى هذه الرحمة فلما سمعوا قوله تعالى الذين يتبعون الرسول الى آخره خرجوا عن العموم وهذا كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال كتبها الله لهذه الامة وهو كما قيل مبنى على ان الذين يتبعون خبر مبتدأ تقديره هم الذين الخ أو بدل بعض ان كان تعريف الموصول هنا للاستغراق فان كان للعهد فهو بدل كل من كل فان جعل الذين مبتدأ وقوله يأمرهم الى آخره خبره فلا تخصيص الا أنه يخالف التفسير المأثور عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والقول بان البدل مخصص ذهب اليه كثير من الاصوليين كابن الحاجب وغيره وأنكره الهندى لان المبدل منه فى نية الطرح ولا حجة له فيه لانه وان لم يكن مطروحا من كل الوجوه فطرحه يدل على خلاف مدعاه ونقل عن الشافعى رحمه الله تعالى انه كان يقول بدل البعض والاشتمال من المخصصات وهو الحق والامى هو الذى لا يقرأ ولا يكتب وهو صفة مادحة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم تقريره والقول بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده بعد ذلك تقدم ما فيه وانه نسبة لام القرى أو لامه التى ولدته وفى شرح التجانى أنه قرئ فى الشواذ الامى بفتح الهمزة منسوب الى الام بمعنى القصد لانه مقصود كل أحد باتباعه واتباع شريعته وفى تقديم الرسول على النبى مع انه أخص منه مخالفة للظاهر فقيل لانه أرسل فانبأ عن الله يعنى انه بمعناه اللغوى وهو المنبئ لا بمعنى من أوحى اليه بشرع سواء أمر بتبليغه أم لا وقيل قدم الرسول للاهتمام به ولذا رد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه لما قال آمنت بكتابك الذى أنزلت وبرسولك الذى أرسلت وقال له قل ونبيك الذى أرسلت ليكون الكلام جاريا على الترتيب اللائق به وليسلم من التكرار وقيل انما أخر النبى لدفع احتمال أن يراد بالرسول معناه اللغوى واحتمال أن يراد بالنبى معناه وحقيقته اللغوية أيضا أجيب عنه بانه يحصل من الاجتماع معنى ليس فى الانفراد وقيل ليس الصفة مجرد النبى بل النبى الامى لاشتهاره بذلك فى الكتب السالفة فالمقصود الاخبار بمجموعهما كالرمان حلو حامض فهو أخص من الرسول أو ذكر النبى للتعميم فذكر أولا الاعلى ثم الادنى ليستوعب جميع صفاته للترقى ومعنى وجدانه فى التوراة والانجيل انهم يجدونه فيهما اسما وصفة والمعروف ضد المنكر وهو ما عرف

كلمات الله المنزلة على الانبياء مجملة ومفصلة واتبعوه لان متابعته تورث المحبة لعلكم تهتدون لكى تهتدوا ببركة متابعته الى طريق محبته وآداب مودته

(وقد قال تعالى فبما رحمة) قيل ما مزيدة للمبالغة والاظهر انها مبهمة مفسرها رحمة والمعنى فبرحمة عظيمة ونعمة جسيمة كائنة (من الله لنت لهم) أى تلطفت للخلق وتوجهت اليهم من الحق حيث وفقك للرفق وفيه اشارة خفية الى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يريد الثبات على النبوة التى هى ١٦٢ الولاية الخاصة الموجبة أن لا يغفل صاحبها عن الحضرة لحظة ولا يحتمل ما يوجب التفرقة المانعة عن مقام الجمعة وأراد الله سبحانه وتعالى له الترقى الى مقام جمع الجمع بحيث لا تحجبه الكثرة عن الوحدة ولا تمنعه الوحدة عن الكثرة وبهذا تبين أن مقام الرسالة أعلى مرتبة من ولاية الرسول المعبر عنها بالنبوة خلافا لمن توهم خلاف ذلك فقال الولاية خير من الرسالة وان أول كلامه بان المراد بالولاية النبوة لا جنس الولاية معللا بان الولاية هى أخذ الفيض اللازم منه توجه صاحبه الى الحق وان الرسالة هى الافادة بالاضاءة المستلزمة للاقبال على الخلق فانا نقول اذا استغرق فى عين الجمع بحيث انه فنى عن الجميع ولم يوجد فى عين الشهود غيره موجود ولا فى الدار غيره ديار فانى يتصور منه الاقبال والادبار وهذا بحر بلا قعر فيرجع الى ساحل بلا وعر (الآية) وتمامها قوله ولو كنت فظا أى سيئ الخلق مع الخلق بناء على ان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس غليظ القلب أى شديدة بالعزلة عنهم لانفضوا من حولك أى تفرقوا عن مجلسك ولم يحصل لهم حظ من أنسك فاعف عنهم من ما صدر من الغفلة منهم واستغفر لهم فيما يختص بحق الله تعالى اتماما للشفقة عليهم وشاورهم فى الامر تلطفا بهم فاذا عزمت بعد المشاورة أو الاستخارة فتوكل على الله ولا تعتمد على ما سواه ان الله يحب المتوكلين المعتمدين على ما قدره وقضاه فيهديهم الى

انه طاعة لله من ترك الاوزار ومن الاتيان بمكارم الاخلاق كصلة الرحم والطيبات كل حسن حلال والخبائث ما كان بخلافه كالخنزير وكل مستقذر ويدخل فيه الربا والسحت بمعنى الرشوة التى تسحت البركة ووضع الاصر بمعنى الثقل أو العهد لان بنى اسرائيل أخذ عليهم العهد بالتزام أمور شاقة كقرض موضع النجاسة وتحريم الغنائم فخفف الله عن هذه الامة بعدم التكليف بها وعزروه بمعنى وقروه وعظموه ونصروه بدفع أعدائه عنه والمراد بالنور الذى أنزل معه القرآن أى اتبعوا القرآن مع أتباعه اشارة الكتاب والسنة والمفلحون الفائزون بكل خير (وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية) ذكر هذه الآية لتعلقها بما تقدم فى التوراة من قوله ليس بفظ ولا غليظ أى فبرحمة من الله وما مزيدة لتأكيد الكلام وتزيينه وزعم ابن كيسان انما نكرة تامة فى محل جر ورحمة بدل والاول هو الوجه أى برحمة الله لك وتوفيقه ولطفه بك ان خلقك لينا مهذب الاخلاق حمولا صبورا لايؤاخذ الناس بما فرط منهم حتى جبلت القلوب على محبتك ولو لم تكن كذلك كنت فظا أى شديدا غليظ القلب متجاوزا للحد لا يألفونك فيتفرقون عنك يقال فضضت الشئ فضا فانفض اذا فرقته قيل فامتناع التفرق عنه لامتناع كونه فظا غليظا كما هو شأن لو فالشرطية ينتج فيها استثناء نقيض التالى لزوم نقيض مقدمه أى لم ينفضوا من حوله فلم يكن فظا غليظا فانتفاء كونه فظا غليظا اللازم لانتفاء الانفضاض ثابت بابطال الانفضاض المرتب على كونه فظا غليظا بطريق قياس الخلف لانه اثبات مقصود بابطال نقيضه وقيل الاولى أن يقال المعنى لكن لم تكن فظا فلذلك لم ينفضوا والمقصود اظهار المنة وان عدم الانفضاض من اللين الذى هو من رحمة الله ففيها ترهيب وترغيب ولكل وجهة وقيل ليس المراد الاستدلال بانتفاء الانفضاض على لينه وانتفاء كونه غليظ القلب كما فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله الخ حيث استدل بانتفاء الفساد على انتفاء تعدد الالهة لان التحقيق ان لو لا تفيد امتناع الشرط لامتناع الجزاء وانما تقتضى انتفاء ما يليها واستلزامه لتاليه كما قرره على انه صلى الله تعالى عليه وسلم عالم بحاله وانه ذو لين وقوله فبما رحمة الخ ليس لافادة أنه ذو لين وانما هو لافادة أن لينه ليس الا برحمة منه تعالى وما ذكر انما يكون استدلالا لو لم يكن عالما بحاله الا أن يقال المقصود بالاستدلال غيره تعريضا ولو قيل لان بالغيبة لم يكن تعريضا أصلا فتدبر وقال فى الكشاف ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وقال المحقق التفتازانى فى شرحه الحصر انما استفيد من تقديم الجار والمجرور وزيادة ما انما تفيد تأكيد ذلك فلذا قيل ان فى كلامه حذفا أى ما مزيدة والظرف مقدم للتأكيد والدلالة الى آخره انتهى فهو من باب اللف التقديرى وتبعهم بعض الشراح هنا أقول ما ارتكبوه من التكلف من عدم الوقوف على مذهب الزمخشرى فى هذه المسئلة فانه ذهب الى أن زيادة حرف فى التركيب يفيد الحصر والذوق السليم شاهد له فان تقوية الحكم قد يقتضى الحكم أن لا يشاركه غيره فيه قال ابن هشام فى رسالته المشهورة فى اعراب لا اله الا الله ذهب الزمخشرى الى أن الله مبتدأ واله خبره وقال فى أثناء تقريره أن نحو ما جاءنى رجل يفيد نفى واحد غير معين فيجوز للسامع مجئ اثنين فاذا قيل ما جاءنى من رجل علم انه لم يجئه أحد من جنس الرجال ومن ثمه صح أن يقال ما جاءنى رجل بل رجلان ولم يصح ما جاءنى من رجل بل رجلان وكذا فبرحمة

من الله لنت لهم وفيما انقضهم ميثاقهم لعناهم لولم يؤت بما جوزنا ان اللين واللعن كانا الشيئين الذ كورين والغيرهما وحيث دخلت ماقطعنا بان اللين لم يكن الا للرحمة وان اللعن لم يكن الا لنقض الميثاق انتهى ويؤيده قول الفقهاء ان السبب الموهوم لا يعتبر الا في مقابلة السبب الظاهر كما اذا رأينا قتيلا في محلة أعدائه لا يقال ان غيرهم قتله وحمله الى محلتهم كما في شرح الهداية ثم قال فاذا كنت مجبولا على اللطف واللين فاعف عنهم ما صدر منهم في حقك واستغفر الله واطلب منه المغفرة لهم وطيب قلوبهم بمشاورتهم فيما تريد فاذا اتفقت الشورى على أمر أعزم وتوكل فانك منظور بعين الرضى والمحبة (قال السمرقندى) رحمه الله تعالى تقدم بيانه وترجمته (ذكرهم) أى ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وفى نسخة ذكره وذكر مشدد فيهما وقيل انه مخفف (منته) أى انعامه أو امتنانه عليهم (انه جعله رسولا رحيما رؤفا لين الجانب) بفتح الهمزة بدلا من منته أو بتقدير بانه والضمير لله أو للشان وخص المؤمنين بالذكر مع عموم رحمته لان الآية فى حقهم والضمير راجع اليهم وقد تقدم الفرق بين الرأفة والرحمة فى موضعين وقوله لين الجانب يصح ان يكون تفسير [illegible] والجانب أى الذى يليهم منه وهو كناية عن معاملته لهم ومواجهته لهم ولين بتشديد الياء وروى بتخفيفها من اللين بكسر اللام ضد الخشونة (ولو كان فظا خشنا فى القول لانفضوا من حوله) المعروف ان الخشونة ضد النعومة والملاسة الا ان الجوهرى جعلها ضد اللين وهو الواقع فى كلام العرب كقول الحماسى

اذن لقام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذولوثة لانا

لان اللين فى الغالب من الرقة والملاسة فهى عبارة عن الشدة فى القول والفعل وقد يمدح بها اذا كانت على من يستحقها كما فى البيت وقوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وكونها طبعا وسجية مطردة غير ممدوح وقد قيل ظاهر قول المصنف رحمه الله تعالى هنا ان خشونة القول صفة مبينة للفظاظة فيكون التفرق مرتبا على مجرد الخشونة على أمر واحد وهو فى الآية مرتب على أمرين الفظاظة وغلظة القلب فما فسر به الآية غير موافق لها فيحتاج هذا التصحيح والتوفيق فاما ان يقال انه أشار الى ان التفرق مترتب على الاول وحينئذ يلزمه ترتبه على ما تركب منه مع غيره من جنسه وفيه ان لزوم ترتبه على خشونة القول الفعل غير مسلم ويجوز ان يكون فظا فى كلامه بمعنى غليظ القلب وخشنا بمعنى فظا ولما كان منشأ الخشونة هذه الغلاظة قدمها فى الآية واقتصر عليها المصنف رحمه الله تعالى فان الامر القلبى انما يثمر بعد قول أو فعل فتامل أقول لك ان تقول ترتب التفرق فى الآية على أمرين الذى سلمه المعترض غير مسلم لان الجوهرى قال الفظ الغليظ وقال فى المصباح رجل فظ شديد غليظ القلب يقال منه فظ القلب يفظ من باب تعب فظاظة اذا غلظ حتى يهاب فى غير موضعه انتهى فتكون الصفة الثانية فى الآية مبينة للاولى كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ففظا فى التفسير بمعنى غليظ القلب وقوله خشنا فى القول بيان لما به تظهر الفظاظة ففى الآية صفة واحدة وفى التفسير اثنتان عكس ما توهمه المعترض ومن دأبه ان يستسمن الورم على ان ما بنى عليه كلامه من كون خشنا صفة اساس فى الهوى وما بناه عليه كبنيان القصور على الامواج (ولكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا) سمح بوزن ضرب مصدر كالسماحة بمعنى سهلا ومنه الحديث آتيتكم بالملة الحنيفية السهلة وفسره بعضهم بجواد كريم والسهل بزنته وكذا كل ما بعده الذى لا صعوبة فيه أولا فظاظة ولا غلظة والطلق بالفتح هنا ويجوز تثليثه صفة مشبهة وهو فى الاصل يوصف به فيقال طلق الوجه أى غير عبوس فيه بشاشة وسرور ويوصف به صاحبه أيضا كما هنا ويكون بمعنى الجواد وليس بمناسب للمقام كما قيل وفيه لغات نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى فى قوله

من دأبه الافصاح حين ينطق * طلق طليق طلق [illegible]

الصلاح وينصرهم بالنجاح والفلاح (قال السمرقندى ذكرهم الله تعالى) وفى نسخة ذكر الله تعالى بتشديد الكاف (منته) أى امتنانه وفى نسخة منونين على صيغة الجمع لاشتمال هذه المنة على منن كثيرة (انه) أى سبحانه وتعالى (جعل) وبروى ان جعل (رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا) أى للمتقين فان الرأفة أرق من الرحمة (لين الجانب) أى مع الاقارب والاجانب فى جميع المراتب (ولو كان) أى بالفرض (فظا) أى سيئ الخلق فى الفعل (خشنا) أى غليظا (فى القول لتفرقوا من حوله) أى ولم ينتفعوا بفعله وقوله (ولكن جعله) أى الله سبحانه وتعالى (سمحا) أى جوادا زيادة على ما طلب منه فى معاملاتهم أو مسامحا لهم فى فرطاتهم وزاد فى نسخة سهلا أى لينا (طلقا) بفتح فسكون أى منبسط الوجه (برا) بفتح الباء أى بارا كثير الاحسان الى أمته كالولد البار بابويه وقرابته أو جامعا للخير كله فانه من البر الذى هو وسيع الفضاء (لطيفا) أى رفيقا شريفا يراعى قويا وضعيفا

والبار من فيه خير وشفقة ورفق واحسان ورحمة واللطيف الشفيق لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أشفق الناس على أمته وهو من أسمائه تعالى قال الله تعالى الله لطيف بعباده وفسر بالخبير العالم بخفيات الامور وهذه الصفات تفهم من اللين ونفي غلظة القلب فان البخل في محل الانفاق من عدم الشفقة وطلاقة الوجه من عدم الفظاظة لانها تلزمه غالبا والباقي ظاهر (هكذا قاله الضحاك) قال البرهان الحلبي هو ابن مزاحم الهلالي الخراساني التابعي روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيرهما من الصحابة ضعفه بعضهم لكن أحمد وابن معين وثقاه وروى عنه أصحاب السنن وغيرهم وله ترجمة في الميزان وتوفي سنة خمس ومائة وقيل غير ذلك ومن أجلة التابعين أيضا الضحاك بن قيس المعروف بالاحنف واشهرته بالاحنف لم يجوز أحد من أرباب الحواشي أن يكون المراد به هذا ومن حسن الاتفاق موافقة معنى اسم الراوي للمروي وهكذا بمعنى مثل هذا وها للتنبيه والكاف للتشبيه واذا اسم اشارة والمماثلة والمغايرة باعتبار ان اللفظ القائم بمتكلم غير القائم بآخر وان اتحد نوعهما أو حرف التشبيه مقحم غير مقصود أي هذا وسترى تحقيقه قريبا (وقال الله تعالى عز وجل * وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) سيأتي تفسير هذه الآية وفسر بعض الشراح رحمه الله تعالى قوله كذلك فقال اسم الاشارة المجرور بالكاف التي للتشبيه واللام قبل كاف الخطاب لبيان كون المشار اليه بعيدا وهو ما فهم من الآية قبلها أي وكما جعلناكم مهتدين الى صراط مستقيم أو جعلنا قبلتكم أصل القبل أقول هذا خلاف ما ارتضاه المحققون من شراح الكشاف فيه وفي أمثاله قال العلامة التفتازاني رحمه الله تعالى في قول الكشاف أي ومثل ذلك الجعل يريد ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل العجيب به على ما يتوهم من ان المعنى ومثل جعل الكعبة قبلة جعلناكم أمة وسطا واذا تحققت هذا فالكاف مقحمة اقحاما كاللازم لا يكادون يتركونه في لغة العرب وغيرهم هكذا ينبغي ان يفهم هذا المقام انتهى أقول هكذا قاله الطيبي وغيره ولم أزل أبحث عن هذا كل من ناقشته من الفضلاء فلم أظفر بما يثلج الصدر فتصفحت الدفاتر وراجعت خزائن الضمائر فرأيت في شرح القصائد الطوال في شرح قول زهير

كذلك خيمهم ولكل قوم * اذا مستهم الضراء خيم

نقلا عن الجرجاني انه قال لفظ كذلك يكون تثبيتا الخبر متقدم أو متأخر فهي نقيض كلا لانها تنفي ذلك فمعنى البيت ان هرما وأباه ثبت لهم حسن في دفع الملمات اذا نزلت بقومهم وان كانت الاخلاق تتغير عند نزول الشدائد وحلول العظائم ومثله قوله تعالى كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انتهى فقد علمت من هذا ما ذهب اليه أهل المعاني من ان كذلك يكون في كلام العرب لتثبيت ما بعدها وتقريره من غير نظر للتشبيه وانه طريق مسلوك لبلغاء العرب وتوضيحه ان وجه الشبه يكون كثيرا في النوعية والجنسية كقولك هذا الثوب كهذا الثوب في كونه خزا أو برا وهذا التشبيه يستلزم وجود أمثاله وثبوته في ضمن النوع فاريد به على طريق الكناية مجرد الثبوت لما بعده ولما كانت الجملة تدل على الثبوت كان معناه موجودا بدونها وهي مؤكدة له فكانت كالكلمة الزائدة وهذا معنى قولهم انها مقحمة واما دلالتها على كون ما بعدها عجيبا غريبا فلان ما ليس كذلك لا يحتاج لبيان فلما اهتم باثباته في الكلام البليغ علم انه أمر غريب وبهذا تبين لك معنى قوله ومثل هذا الجعل العجيب * فان قلت ما مناسبة كونهم أمة وسطا شهداء على الناس لما سيق له النظم من تحويل القبلة * قلت وجهه ان أهل الكتاب لما أنكروا تحولهم عن قبلة من قبلهم رد عليهم انكارهم بان هذه الامة وأهل هذه الملة شهداء عليكم يوم الجزاء وشهادتهم مقبولة عند الله فانهم أحق باتباعهم والاقتداء باهل قبلتهم ولا وجه

(هكذا) أي مثل ما سبق لفظا أو معنى (قاله الضحاك) وهو ابن مزاحم الهلالي الخراساني يروي عن أبي هريرة وابن عباس وابن عمر وأنس رضي الله تعالى عنهم وعنه خلق وثقه أحمد وابن معين وضعفه شعبة أخرج له أصحاب السنن الاربع وتوفي سنة خمس ومئة (وقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أي خيارا أو عدولا أو معتدلين في الاخلاق غير واقعين في طرفي الافراط والتفريط من التشبيه والتعطيل والاسراف والتقتير والتهور والجبن وامثال ذلك (لتكونوا شهداء على الناس) أي بتبليغ رسالة أنبيائهم اليهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أي مطلعا ومشاهدا ومشرفا

لانكارهم

(قال أبو الحسن القابسى) بكسر الموحدة وسبق ذكره (أبان الله تعالى) أى أظهر ظهورا بينا (فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل أمته بهذه الآية) أى بسببها أو فيها بقوله (وفى قوله) أى سبحانه وتعالى (فى الآية الاخرى وفى هذا) متعلق بما قبله (وهو) أى الله سبحانه وتعالى (سماكم المسلمين من قبل) يعنى فى الكتب المتقدمة (وفى هذا) أى القرآن (ليكون الرسول شهيدا عليكم) بالتبليغ اليكم (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ رسالهم اليهم (وكذلك) أى ومثل هذا المعنى يفيده (قوله فكيف) أى كيف حال الكفرة يوم الحسرة (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) أى بنبى يشهد على أمته (الآية) وفى بعض النسخ تمامها وجئنا بك على هؤلاء أى على الشهداء من الانبياء أو على أمتك من الاصفياء والاولياء شهيدا حين يشهدون على الامم المكذبة بتبليغ الانبياء اليهم الرسالة (وقوله وسطا) أى (عدولا) وفى نسخة عدلا أى موصوفين بالعدالة والديانة (خيارا) أى مختارين من هذه الامة ان كان الخطاب للصحابة وان كان الخطاب لجميع الامة فهم خيار الامم السالفة (ومعنى هذه الآية) أى بناء على مبنى هذه العاطفة على الجملة المقدرة المعبر عنها بقوله

لانكاركم عليهم لان قولهم وفعلهم مقبول دونكم وهذا التحقيق لم أسبق اليه فعليك بادخار جواهره فى حقاق الاذهان فانك لاتراه فى غير هذا المكان (قال أبو الحسن القابسى) تقدم الكلام فى ترجمته ونسبته (أبان الله تعالى) أى بين واظهر (فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل أمته بهذه الآية) الباء للتعدية أو السببية واختار بعضهم كونها ظرفية بمعنى فى لقوله (وفى قوله فى الآية الاخرى) وهى قوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل (وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) ضميره هو لله أى الله عز وجل سماكم المسلمين فيما أوحاه لرسله عليهم الصلاة والسلام فى الكتب القديمة ثم سماكم به فى هذا القرآن كما تقدم وقيل المعنى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام سماكم المسلمين قبل هذا الوقت فى قوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك أو ابراهيم عليه الصلاة والسلام سماكم مسلمين كما نقل عنه فى هذا القرآن وقوله ليكون متعلق بسماكم وفسرت شهادته بتزكية شهادة المخاطبين وتصديقها على ان على الاولى بمعنى اللام وشهادتهم للانبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم وعلى الثانية على أصلها ان كان المراد بالناس أممهم أو بمعنى اللام ان كان المراد اياهم فتطابق هذه الآية وماقبلها كما سيأتى فى كلام المصنف وتعاكسهما لفظا لان التزكية مؤخرة زمانا عن الشهادة فى الاولى والمزكى مؤخر رتبة عن المزكى فى الثانية وترقى فى مدح المخاطبين فى الثانية ببيان انهم سيشهدون ويزكيهم من لا ينطق عن الهوى وللاهتمام به قدم ذكره فى الثانية وان مثله سيزكيهم ومنهم من فسر شهادتهم بما مر وشهادته على المخاطبين بالتبليغ فيتطابق الآيتان على هذا والظاهر ان شهادتهم هذه قبل شهادتهم تلك فلذا قدمت فى احديهما وأخرت فى الاخرى لان السياق لهم بدلالة صدرها وان ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيها وشهادته بالتبليغ وهم غير منكرين لانهم لم يقضوا حق ما افترض عليهم فنزلوا منزلة من لم يبلغه لعدم الجرى على موجبها فهى كالشهادة عليهم واستشكلوا كون لام ليكون للتعليل اذا أريد شهادة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالتبليغ على المخاطبين لانها لاتتوقف على تسميتهم مسلمين وجعلهم مسلمين بدليل ان من الرسل عليهم الصلاة والسلام من يشهد على أممهم بالتبليغ ولا اسلام لهم فلذا فسرت بالشهادة بالتبليغ مع الاطاعة وقيل مناط العلية الشهادة الثانية وفيه مالا يخفى ومنهم من جعلها لام العاقبة (وكذلك) أى كما أبانت الاولى فضلهم أبان (قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية) المراد بالامة جماعة فيها نبيها والشهيد هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يشهد على ما عملوه أى كيف يكون حالهم اذا شهد بصلاحهم وفسادهم أو بالاخير فقط أو على التبليغ ويجوز التعميم واقتصر أكثرهم على الاول لانه أنسب بالتوبيخ والآية بالنصب أى أذكرها أو بقيتها وهو قوله تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا أى جئنا بك يا محمد على هؤلاء الشهداء شهيدا على صدقهم أو على الامم أو على التبليغ أو على أمتك بالتزكية ولا منافاة بين كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاهدا للانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى الامم وبين ما سيأتى من ان أمته صلى الله تعالى عليه وسلم يشهدون وهو يزكيهم اما لانه صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد معهم ثم يزكيهم أو انه جعل التزكية شهادة لانها فى حكمها (وقوله تعالى وسطا أى عدلا خيارا) الوسط بفتح السين ما وقع بين الطرفين بحيث تكون نسبته اليهما متساوية وقد يراد به ما يكشف من جوانبه ولو من غير تساو كما فى المصباح وبسكونها بمعنى بين وفى الفرق بينهما كلام لاهل اللغة بيناه فى شرح الدرة ثم استعير لاحسن الشئ وخياره ولذا قيل خير الامور أوسطها وقال الشاعر

حب التناهى غلط ※ خير الامور الوسط

وردهذا الامام السهيلى فى الروض الانف وقال الوسط يكون مدحا وذما كقولهم أثقل من مغن وسط وقالوا الوسط أخو الدون وانما يمدح به فى مقامين أحدهما الشهادة وسط الشاهد فى الحق وعدم ميله الى أحد الجانبين والثانى النسب كما قيل فى وصف أم المؤمنين خديجة رضى الله تعالى عنها انها كانت وسيطة فى قومها لان وسط القبيلة أعرفها وصميمها لاحاطة الاباء والأمهات به من كل جانب فلذا كان مدحا والاطراف تسارع اليها الخلل والاوساط محمية عنه وعلى هذا المعنى أشار الشاعر بقوله فى وصف قلعة كانت هى الوسط المحمى فاكتنفت * بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

وأورد عليه التجانى فى شرحه أنه مخالف للغة فانهم متفقون فيها على أن الوسط صفة مدح ومنه الصلاة الوسطى وليس وارداعليه فان استعمال الوسط فيما ذكر مجاز فلا يلزم اطراده والسهيلى رحمه الله تعالى لا ينكر كونه بمعنى الخيار وانما ينكر لزوم ذلك له كما قاله بعضهم ومن هنا عرفت انه يرد بمعنى العدل وبمعنى الخيار وبهما فسرت الآية والاول معناه ظاهر والخيار يكون اسما مفردا بمعنى المختار والاختيار ويكون جمع الخير كسهم وسهام كما صرح به فى المصباح والعدل فى الاصل مصدر فاذا أطلق على الواحد والجماعة وقد يجمع فيقال عدول ولذا أفرده المصنف رحمه الله هنا وجمعه فيما سيأتى فلا منافاة بينهما وقيل على المصنف ان النبى عليه السلام فسر الوسط فى هذه الآية بالعدل فى حديث رواه الترمذى وصححه وثبت تفسيره به فى صحيح البخارى والعدل والخيار معنيان متغايران وقد رجح الاول بتقديمه لشمول الثانى للجماد ولذا أخره وعطفه الزمخشرى باو فجمع المصنف بينهما ان أراد انهما مرادان معا فى الآية فالاكثر على منع مثله وان أراد أحدهما فلا ينبغى العدول عما صح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ الظاهر أنه بين مراد الله حتما لا احتمالا والمصنف أعلى شأنا من أن لا يعرف مثله الا أن يقال أنه ذكر الثانى بالتبعية للاول للزومه له انتهى أقول قد ظهر لك مما قدمناه ان الخيار بمعنى الخير والمختار وكل عدل فهو خير مختار فذكر المصنف له بعد العدل دون عطفه بالواو أو باو لجعله صفة مادحة للعدل لان العدل من هذه الامة لا بد أن يكون خيرا فلا منافاة بين ما ذكره وبين الحديث وليس مثله مما يستشكل ويستصعب وفيه اشارة الى أن التفسيرين مآلهما واحد وعطف الزمخشرى له باو للتخيير بين التفسيرين اللذين ذكرهما السلف فان مآلهما واحد فان اختيارهم للشهادة يدل على انهم عدول فلا ينافى التفسير المأثور بل يناسبه مناسبة تامة فلا وجه لما قيل هنا من أن كلام المصنف رحمه الله تعالى محل تأمل حيث أفرد عدلا هنا ووصفه بخيار وهو جمع خير مع جمعه بعده فى قوله عدولا خيارا لما عرفته والعدل يطلق على الواحد وغيره كما فى الصحاح يقال قوم عدل وعدول فما ذكره كله من ضيق العطن وقحط الفطن وفى تركيبه هنا خزازة لانه يحتاج الى تقدير أى قوله وسطا أى عدلا خيارا فيه تفضيل لهم ومدح وقوله (ومعنى هذه الآية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم أمة وسطا خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم ويشهد لكم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالصدق) اشارة الى أن المشبه به فى هذه الآية وهى قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا الى آخره الهداية المذكورة قبله فى قوله تعالى يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وقيل المعنى كما اصطفينا ابراهيم عليه الصلاة والسلام أو كما فضلناكم بهذه القبلة وقد بينا لك أن المحققين من شراح الكشاف على أن المشار اليه ما بعده ولم يقصد التشبيه بما قبله وقدمر تفصيله وهو على هذا صفة مصدر مقدر للفعل المذكور بعده والجار والمجرور فى محل نصب أى جعلناكم جعلا كذا وهذا مع ظهوره غفل عنه من قال اسم الاشارة هنا على هذا فى محل رفع على الابتداء على ان جعلناكم بتاويل جعلنا اياكم فيكون كالضمير الذى يفسره خبره ونحو ان هى الاحياتنا الدنيا وهذا تعسف لا معنى له وقوله بان الى آخره تنازعه الفعلان

(وكما هديناكم) أى المستفاد من قوله تعالى يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فالمعنى كما هديناكم الى الصراط المستقيم والدين القويم المشترك بين عامة أهل التوحيد والتسليم (فكذلك خصصناكم) بتشديد الصاد ويجوز تخفيفها (وفضلناكم) أى على عامة الامم الماضية (بان جعلناكم أمة) أى جماعة مجتمعة غير متفرقة بل متفقة على حقيقة واحدة (خيارا) أى مختارين بخير الرسل (عدولا) عادلين عاملين بافضل الكتب (لتشهدوا للانبياء) أى الرسل (على أممهم) أى بتبليغ الرسالة يوم القيامة (ويشهد لكم الرسول بالصدق) أى بصدق القول وحق الامانة والديانة (قيل) قد ثبت بطرق متكاثرة كادت أن تكون متواترة فكان حقه أن يقول صح ونحوه ولا يعبر بقيل المشعر بضعفه اذ رواه البخارى وغيره

(أن الله جل جلاله) أى عظم كبرياؤه (اذا سال الانبياء هل بلغتم) أى أممكم فيما أرسلتكم به اليهم (فيقولون نعم فتقول أممهم ماجاءنا من بشير ولا نذير فتشهد أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء ويزكيهم النبى عليه الصلاة ١٦٧ والسلام) ويخبر الله تعالى شهادتهم بتزكيته لهم (وقيل معنى الآية انكم) بالفتح ويجوز الكسر أى أيها الامة (حجة) أى ذو شهادة ثابتة (على كل من خالفكم) أى من الامم المكذبة (والرسول حجة) أى بينة واضحة دالة (عليكم) أى على صدقكم وصدق من وافقكم (حكاه السمرقندى) أى نقل هذا القول عن بعض المفسرين (وقال الله تعالى) أى فيما أثنى عليه وبين اكرامه لديه (وبشر الذين آمنوا) أى من امتك لامن غيرهم (ان لهم قدم صدق عند ربهم) ماقدموه من الاعمال الصالحة كما قاله الخطابى وغيره من المفسرين وقال بعضهم ماقدم لهم عند ربهم من السعادة السابقة فى اللوح المحفوظ وقد قال حسان بن ثابت

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا
لاولنا فى طاعة الله تابع

(وقال قتادة والحسن) تقدم ذكرهما (وزيد بن أسلم) هو أبو أسامة مولى عمر بن الخطاب توفى سنة ست وثلاثين ومائة

ويشهد بالنصب والتخصيص بهذه الامة من فحوى الخطاب لانهم اذا كانوا شهداء على جميع الامم السالفة وأنبيائهم والرسول شاهد لهم لم يبق أحد من بنى آدم غيرهم يشهد هذه الشهادة فانحصرت أو نقول المصنف رحمه الله تعالى مالكى المذهب ومذهب مالك رحمه الله تعالى افادة لام التعليل الحصر كما نقله الخطابى فى شرح الآثار عنه فى استدلاله بقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها على حرمة أكلها فان أردت تفصيله فانظره فما قيل من ان التخصيص من السياق أو نظر للواقع الى آخر ماذكره وأطال فيه من غير طائل بعد ما استشكله غير ظاهر وفى قوله ليشهدوا الخ اشارة الى ان على بمعنى اللام لا للمضرة لانها اذا دخلت على المشهود به لاتكون للمضرة وقيل ضمن الشهيد معنى الرقيب وقدم للتخصيص متعلقة وعليه فالناس فى الآية بمعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا باس به (قيل ان الله جل جلاله) هذا أبلغ من قوله جل وعلا فانه على نهج جد جده (اذا سأل الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (هل بلغتم) ليظهر حال الامم وفضل هذه الامة فانه يعلم السر وأخفى (فيقولون نعم فتقول أممهم ماجاءنا من بشير ولا نذير فتشهد أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء) عليهم الصلاة والسلام (ويزكيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال السيوطى رحمه الله فى تخريجه هذا حديث مرفوع أخرجه البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه وقيل عليه ان البغوى روى ان الله يجمع الاولين والآخرين فى صعيد واحد ثم يقول للكفار ألم يأتكم نذير فينكرون ويسئل الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسئلهم البينة واقامة الحجة فيؤتى بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيشهدون انهم قد بلغوا فتقول الامم من أين علموا وهم أتوا بعدنا فيقولون يار بنا أرسلت الينا رسولا وأنزلت علينا كتابا أخبر تنا فيه بتبليغ الرسل ثم يؤتى بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيسال عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم وماذكره المخرج فيه نظر واضح اذ ما أخرجه البخارى انما هو فى نوح عليه الصلاة والسلام وامته لاماذكره المصنف رحمه الله تعالى ولذا قال قيل والحكمة فى هذا اظهار فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفضل أمته على سائر الامم بقبول شهادتهم وتزكية أفضل الخلق لهم والله تعالى عالم غنى عن السؤال وفيه معنى حسن لكونهم وسطا لتوسطهم بين الامم والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولظهور علمهم وعدالتهم واقامة الحجة على غيرهم (وقيل معنى الآية انكم حجة على من خالفكم) (١) قال فى المقتفى انكم بفتح الهمزة وفى النسخة التى ذكرت بفتحها وكسرها بالقلم أى اجماعهم حجة وشهادتهم مقبولة معتبرة والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حجة على الجميع كما قال السمرقندى أيضا (وقال الله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) أى لهم تقدم ورتبة رفيعة عند الله عبر عنها بالقدم لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لان بها العطاء واضافة الى الصدق لبيان فضله ومزيته قال أبو عبيد كل سابق خير قدم وفيه اشارة الى ان الصدق هنا بمعنى الخير مجازا قيل كان حقه ان يذكر هذا فى فصل الشفاعة وأجيب عنه بان هذا الفصل لما كان معقودا لوصف الله له بالشهادة ومايتعلق بها كالتبشير بما يدل على فضله وفضلهم عند الله تعالى استطرد التبشير بالشفاعة مع احتمال ان يراد بقدم الصدق تزكيته المقرونة بتصديقه ففيه مناسبة تامة لما نحن فيه (قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم) قتادة هو أبو الخطاب ابن دعامة الدوسى الحافظ المفسر وروى عنه خلق كثير وهو ثقة ثبت الا انه قيل فيه انه مدلس توفى كهلا سنة سبعة عشر أو ثمان عشرة بعد المائة وترجمته مفصلة فى الميزان والحسن البصرى تقدمت

(١) وفى نسخ المتن وشرح القارى وقع هنا قوله والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندى والشارح هذا وان أتى به على طريق النقل فى طرز آخر الا انه يرى من الشرح كما هو عادته والظاهر من عبارته (المصحح)

(قدم صدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن أيضا) أي في رواية أخرى (هي) أي قدم صدق وأنث الضمير لتأنيث خبره وهو قوله (مصيبتهم بنبيهم) سواء أدركوا وقت الموت أو حصل لهم جملة الفوت فانه صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ يكون لهم فرط حق وقدم صدق عند ربهم وقال الحجازي يروى هي فضيلتهم بينهم أي فيما بينهم ولا يخفى عدم ملاءمته للمقام ولعله تصحيف أو تحريف ولو كان فضيلتهم بينهم لكان وجها وجيها فانه حينئذ لهم سبق حال صدق وتقدم مقام حق عند ربهم وهذا معنى نسخة هي محبتهم لنبيهم (وعن أبي سعيد

الخدري) نسبة الى خدرة بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة قبيلة (هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شفيع صدق عند ربهم) ولعل التعبير بها عن القدم لاقدامه عليها وتقدمه على سائر أهلها (وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة أودعها في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني وفي أمته ببركة متابعته على وفق محبته ووجه الاختصاص مع ان الرحمة بكل أمة لاحقة على وفق سابقة لان سبق وجوده وأثر كرمه وجوده وظهور نوره ونشر سروره مما لا يلحقه أحد من اخوانه كما أشار اليه بقوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ثم قوله أودعها بصيغة الفاعل وهي نسخة المصنف وفي نسخة العوفي على بناء المفعول وجعله التلمساني مضارعا وهو مستقيم باسناد الفعل اليه سبحانه وتعالى وأما قوله ويتجه اذا أسقط في من الكلام ومحمد مرفوع اذ هو النائب محل
عن الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى فكلام ساقط الاعتبار كما لا يخفى على المعربين الاخيار (وقال محمد بن علي الترمذي) هو من كبار المشايخ له تصانيف في علوم القوم ومن تاليفه نوادر الاصول في الحديث باسانيده وهو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الزاهدي المؤذن روى عن أبيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما واعتنى بهذا الشان ورحل فيه وروى عنه يحيى بن منصور وخلق كثير من علماء نيسابور فانه قدمها سنة خمس وثمانين ومائتين وعاش نحوا من ثمانين سنة وهو معظم جليل علما وعملا واعتقادا عند أكابر ما وراء النهر من العلماء والسادة الصوفية لاسيما الطائفة السادة النقشبندية وتكلم على اعتقاده أبو العباس ابن تيمية من أجل كتابه ختم الولاية ولعله ما فهم مقصوده من الاشارات الخفية وقد سبق تحقيق الترمذي مبنى ومعنى ومنها أبو عيسى الحافظ الترمذي كما تقدم والله أعلم

ترجمته وزيد بن أسلم هو الفقيه مولى عمر رضي الله تعالى عنه وهو ثقة حديثه صحيح توفي سنة ست وثلاثين بعد المائة وله ترجمة في الكامل والميزان (قدم صدق) مبتدأ خبره المفسر له قوله (هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع) في نسخة لهم وروي ليشفع وشفيع فالقدم على هذا الشفيع سمي قدما لتقدمه وسياتي قريبا تفسيره بالشفاعة عن أبي سعيد الخدري بتقدير قدم انسان صدق أي صادق كرجل عدل والشفاعة طلب نفع للغير ومثله لا يوصف بالصدق والكذب فاما ان يتجوز بالصدق عن القبول لمشابهته لتحقق ما شفع فيه فيصير كالخبر المطابق للواقع أو يقال المراد شفاعة يقدم صاحبها على رجائها كما في قولهم حمل حملة صادقة وقيل المراد ان الشفيع صادق في خبره ومن يكون كذلك تقبل شفاعته (وعن الحسن أيضا هي مصيبتهم بنبيهم) أي وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم قبلهم كما تقدم انه فرط لهم وسابقة ينفعهم حياته ومماته

كالغيث ان جئته وافاك ريقه * وان تاخرت عنه لج في الطلب

(وعن أبي سعيد الخدري) رضي الله تعالى عنه تقدم ان اسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة ابن عبيد بن الابجر بموحدة وجيم وهو ابن خدرة بضم الخاء المعجمة واسكان الدال المهملة الذي نسب اليه على الاصح وقيل خدرة أم الابجر الصحابي الرفيع القدر المشهور من فقهاء الصحابة ومن أصحاب الشجرة توفي بالمدينة ودفن بالبقيع سنة أربع وستين وقيل أربع وسبعين وروى عنه أحاديث كثيرة (هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شفيع صدق عند ربهم) جعلت الشفاعة سابقة لتقدمها أو تقدم صاحبها وقوله وهو شفيع الى آخره اشارة الى ان الصدق صفة مضاف مقدر والصدق بمعنى الصادق أو بمعناه المصدري وقيل انه اشارة الى جواز تفسير القدم به صلى الله تعالى عليه وسلم باعتبار الشفاعة أيضا كما أو الى المسامحة في تفسيره بالشفاعة فتتوافق الاقوال (وقال سهل بن عبد الله التستري) تقدم الكلام عليه (هي سابقة رحمة أودعها الله تعالى في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) قال التلمساني أودعها بفتح الهمزة والدال والعين وفي نسخة العزفي بضم الهمزة وكسر الدال وضم عين المضارع وفتحه اذا سقطت في ورفع محمد على أنه نائب عن الفاعل وهو الله وليس ما قاله بشيء لان ودع يتعدى بنفسه لمفعولين على كل حال فتضمن معنى الحفظ ونحوه هنا ولا باس به ومعناه اجعله متصفا بها لينتفع الناس بها عند الحاجة والسبق لما مر أو في الازل سابقة رحمة بمعنى رحمة سابقة أو الاضافه بيانية وقيل هي رحمة قدمها بوفاته لما في الحديث اذا أراد الله بامة رحمة قبض نبيها قبلها فجعله فرطا لها وسلفا وتقدم تفصيله ومثل القدم هنا ما ورد في الحديث في صفة النار يضع الجبار فيها قدمه أي من تقدم في علم الله خلقه لها أو الجبار اسم الله وقيل الجبار بمعنى الجبارين والقدم على ظاهره وليس هذا

(هو) أى قدم صدق (امام الصادقين والصديقين) بكسر الهمزة أى قدوتهم ومقتداهم أو بفتحها أى مقدمهم خلقة ورتبة وقدامهم فى مقام الشفاعة كما أشار اليه بقوله (الشفيع المطاع) أى المقبول الشفاعة ولعله عدل عن الشفيع المشفع للايمان الى قوله سبحانه وتعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعنى بخلاف المؤمنين فانه لهم شفيع مطاع مع ان النفى فى الآية منصب على القيد والمقيد جميعا (والسائل المجاب) أى المستجاب فى سؤاله الاعم من الشفاعة وبقية أحواله (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه عنه السلمى)

(الفصل الثالث)

(فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة) أى فى عتابه المنزل فى كتابه والمورد بفتح الميم وكسر الراء محل ورود الكلام ومقصد المرام والمبرة بفتحتين وتشديد الراء بمعنى البر وهو الاتساع فى الاحسان على ما فى القاموس (من ذلك) أى من هذا القبيل (قوله تعالى عفا الله عنك) معاتبة على وجه الملاطفة (لم أذنت لهم) أى للمنافقين حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين

محل تفصيله (وقال محمد بن على الترمذى) الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن بن بشر الزاهد المؤذن الحكيم وليس هو صاحب السنن وهذا روى عن أبيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما وروى عنه خلق كثير لما قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومائتين وعاش نحوا من ثمانين سنة وقد طعن الناس فى اعتقاده لكلام صدر عنه فى بعض تصانيفه والله أعلم بالسرائر وترمذ فيها لغات تقدمت (وهو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمى) بضم السين وفتح اللام أبو عبد الرحمن شيخ الصوفية وقد تقدم الكلام عليه وهو ضمير عائد على قدم صدق وتذكيره رعاية لمعنى العضو ونحوه والصادق معناه ظاهر وقال الفاضل الزملكانى الصديق فعيل من الصدق وأصله فى القول والخبر واختلفوا فى تفسيره وورد فى الشرع لمعان يجمعها كلها المبالغة فى الصدق وتكثيره فاما اقوال العلماء فيه فقيل الصديق من كثر منه الصدق وقيل من لم يكذب قط وقيل من لم يتات منه الكذب لتعوده الصدق وقيل من صدق بقوله واعتقاده وحقق بصدقه فعله واشتهر حتى بلغ درجة تلى درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وورد فى القرآن العظيم فى مواضع كقوله تعالى أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم وأولئك اشارة لمن اتصف بالصفات السابقة فمن اتصف بها هو الصديق والشهيد ويعنى بالشهداء الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين هم شهداء على الناس يوم القيامة فلهم أجر ونور لم تره عين ولا أذن به سمعت الى آخر ما فصله ونقل فيه كلام أرباب الكشف والصديقية مرتبة قبل النبوة ليس فوقها درجة الا النبوة فهى الولاية وتنضم للنبوة أيضا كولاية النبى ولذا قال الله تعالى فى حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه كان صديقا نبيا ووصف به النبى هنا ومناسبة هذه الآية وتفسيرها لما عقد له الفصل ظاهرة لان العدل فى الشهادة المقبول قوله لا يكون الا صادقا صديقا وقد قرنت الشهادة بالصديقية فى القرآن على القول المرضى فما قيل من ان هذه الآية ليس فيها الوصف بالشهادة وما يتبعها وانها ليست من الفصل وتخصيصها بالاستطراد غير واضح لا وجه له لا سيما وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اماما مطاعا مجابا لما سأل يدل على قبول كلامه وعدم رد شهادته

(الفصل الثالث فيما ورد فى خطابه اياه) أى خطاب الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم والخطاب فى الاصل مصدر بمعنى المخاطبة وهى توجيه الكلام لغيره ويطلق على الكلام المخاطب به وعلى الاول هى نسبة بين المتخاطبين وهى بالنسبة الى الكلام الازلى القائم بالنفس محال ولذا اختلف فى صدق الخطاب على الكلام النفسى كما حكاه ابن الحاجب ويصح ارادة المعنيين هنا فالظرفية مجازية من ظرفية الخاص فى العام وقيل انه بتقدير حين والورود بمعنى المجىء والوقوع مجاز مشهور أو حقيقة عرفية وقيل انه تجوز فى اسناد الورود الى ما خوطب به مجازا عقليا بتشبيه المبرة والملاطفة بشريعة الماء بجامع الانتفاع ففيه استعارة مكنية وتخييلية ولا يخفى ما فيه فقد يرتد ويكون فى معنى من تاول من غير داع (مورد الملاطفة والمبرة) مورد اسم مكان أو مصدر ميمى بمعنى الورود والملاطفة المعاملة بلطف وشفقة والمفاعلة مجازية لتنزيل استحقاقه له منزلة فعله أو هى لاصل الفعل من غير مشاركة ولذا عطف عليه المبرة بمعنى البر وهو الاحسان والخير ولا يخفى ان الفصول معقودة لمعانى متغايرة وتغايرها ظاهر فلا حاجة لما قيل ان المراد هنا لطف وبرة لم يكن مما سبق من المدح والشفقة والقسم (فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم) فى نسخة بدل قوله تعالى عز وجل وضمير لهم للمنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك وذلك اشارة لما ورد على الوجه المذكور قال فى الكشاف وتبعه البيضاوى ان هذا كناية عن الخيانة لان العفو مرادف لها ومعناه أخطات وبئس ما فعلت وقد شنع الناس

عليه في هذا حتى كان سببا لمنع الناس من قراءة كتابه كما حكي عن الامام السبكي لما فيه من ترك الادب
وقال ابن المنير في تفسيره المسمى بالبحر عفا الله عنك دعامة في الكلام يقصد المتكلم بها ملاطفة
المخاطب وهو عادة العرب في التلطف بتقديم الدعاء لاستدعاء الاصغاء أو خبر معناه لا عهدة عليك لانه
تعالى غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهو تخصيص وتمييز لا ان الاذن ذنب متعلق به العفو لان
تحمله ومسامحته لهم مع أذاهم حمل لا يتقدم على نفسه واسقاط الحظوظ فهو عتب عليه بلطف لا ملامة
فيه أي قد بلغت في الامتثال والاحتمال الغاية وزدت ما أجدى بك في محبة الله وطاعته والرفق بالبر
والفاجر وأين هذا من التخطئة والزمخشري نزع به هنا عرق العجمة لاساءة الادب على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وأراد بعضهم أن يصلح ذلك فافسد فقال بدأ بالعفو قبل الذنب ولو عكس انقطع نياط
قلبه وكله ذهول عن عتب الحبيب في حيفه على نفسه وهو تخفيف لا تعنيف ومدح لا قدح وهذا كما
قيل له اذ جهد وجد في العبادة طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولعلك باخع نفسك الآية وان كان
يستدعي ذنبا كاستدعاء رضي الله تعالى عنك لغضب سابق فهو تنبيه على انه أمر أن يرفق بنفسه فكانه
قيل له أن أتيت الى الحلم والاحتمال فانت غير مؤاخذ بل مثاب لكن يرخص له في لذة وراحة فيعمل
بالعزيمة فيقال له ما كان هذا بلازم لك فاذا احتملته فلا عهدة عليك ايجابا لحقه ورفعا لقدره لالتزامه
ما لا يلزمه وذلك أنهم ادعوا الطاعة وزاحموا المطيعين في نيتهم فاستأذنوا ليكون قعودهم باذن لا ينافي
دعواهم ولو لم يؤذن لهم هتكوا حجاب الهيبة وخلعوا ربقة الطاعة وقامت الحجة عليهم فانهم ليسوا
في ورد ولا صدر فلما أذن لهم تمت مكيدتهم واليه الاشارة بقوله تعالى حتى يتبين لك الى آخره وليس في
هذا المخالفة مصلحة مرضية فان الله تعالى بين أنه باذنه لهم طبق نحو الكراهة فانه لا مصلحة في خروجهم
بل فيه مفسدة شوهاء وعاقبة شنعاء لانهم لو خرجوا كانوا مخذلين باعثين للفتنة يمشون بالنمائم ويثيرون
غبار الضغائن مشتتين للشمل كالغربان فانهم ذباب يقعون على الدبر والقذر فكانت المصلحة
العظمى في قعودهم وان كان فيه سترة أمرهم واحتمال مكرهم وغاية الغائلة التباس أمرهم وقيام
حجتهم وهو قد عرفهم وانكشفت له عورتهم ولكن لم يفضحهم حلما وكرما واتساع صدور كم ضاق
نطاق عمر رضي الله تعالى عنه عن ذلك وأشار بضرب أعناقهم فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم
لا يا عمر تتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه فانه قد يخدش الصدور السليمة ويرتع في حصائد الالسنة
فاشفق على العدو فاستبقاه وعلى اولى أن تزحزحه الشبهة عن رتبة علاه وجل عما ذلك نفسه في ذات
الله تعالى انتهى * أقول جزاه الله خيرا عما أعداه للعقول السليمة من أنفس التحف * ودافع
به عن حرم النبوة العالي الرتبة لمن عرف * وأنت اذا تأملت ما بعده من النظم تراه مصرحا بما
أفاده ألم تسمع قوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة
وفيكم سماعون لهم فأي رأي أشد من الاذن في تخلفهم وأي حلم أعظم من الستر عليهم فكيف
يكون في أول الكلام عتاب وآخره بيان لان ما وقع عين الصواب ولو كان هذا في رسالة كاتب
مزقها سلطانه * فما ظنك بمالك الملك تعالى شانه (قال أبو محمد مكي قيل هذا افتتاح
كلام) أي هذا جار على نهج البلغاء وأرباب الترسل والانشاء في ابتداء كلامهم بالدعاء توقيرا
وتعظيما وفيه اشارة الى ان هذه الجملة انشائية دعائية على أرجح الاحتمالين فيها كما سمعته آنفا
(بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله) أي هو مثله في أنه دعاء للتعظيم لم يقصد اليه لما يوهمه الدعاء
بالصلاح من الفساد ولغيره من الذل كما ورد في الحديث لقد عجبت من يوسف عليه الصلاة

والسلام

(قال أبو محمد المكي) من
الكلام عليه وفي نسخة
مكي (قيل هذا) أي قوله
عفا الله عنك (افتتاح
الكلام) أي ابتداء
كلام الله سبحانه له
في كتابه عند خطابه (بمنزلة
أصلحك الله) وما صنعت
في حاجتي (وأعزك الله)
هلا شرفتني بزيارتك
لي ونحو ذلك فيما يخاطب
به الملوك والعظماء
بتقديم الدعاء والثناء على
أبناء الانبياء ونظيره
ما ورد في الحديث لقد
عجبت من يوسف وكرمه
وصبره والله يغفر له حين
سئل عن البقرات
العجاف والسمان
ولو كنت مكانه ما أخبرتهم
حتى اشترطت أن
يخرجوني والحاصل أن
العادة جارية في مقام
التبجيل والاكرام لمخاطبة
الكرام بنحو هذا الكلام
وان لم يكن هناك شيء من
الاثام ثم التشبيه لا يقتضي
المشابهة من جميع
الوجوه فلا يرد أن مثل
هذا الكلام انما يكون
بين المتساويين في الاقدام
أو من الادنى في مخاطبة
الاعلى لا بالعكس كما لا يخفى

والسلام وكرمه وصبره والله يغفر له وقد قدم هذا المصنف لانه التحقيق المرضى عنده لما ستعرفه فى قوله (وقال عون بن عبد الله أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب) عون هذا هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى الكوفى الزاهد الفقيه أخو عبيد الله الراوى عن أبى هريرة وابن عباس وجمع وقيل روايته عن الصحابة مرسلة وليس بتابعى لكن له حديث عن ابن عمر رضى الله عنهما فى مسلم وروى عن الزهرى وأبو حنيفة وأبو العميس وأخرج له أحاديث كثيرة وهو ثقة توفى فى حدود الستين بعد المائة وفى نسخة خبره بدل أخبره والمعنى واحد وكذا يخبره لكن فى المتنى أن يخبره فى النسخة المصححة بالتشديد وهو الصحيح وهو مع أخبره من تنويع الكلام لان أخبر وخبره بمعنى والتنويع أن يكون فى الكلمة لغتان فيجمع بينهما كقول بشار

اذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها * خرجت مع البازى على سواد

فى العبارة ثلاثة أوجه قيل المراد بالذنب هنا خلاف الاولى والاليق لان حسنات الابرار سيئات المقربين والوجه هو الاول بعض الشراح ارجع هذا لما قبله ورد بان بينهما فرقا ظاهرا الا انه على الاول لاذنب أصلا والجملة انشائية دعائية وعلى هذا هى خبرية فان أراد أن المال واحد صح ما قاله ثم ان هذا كيف يعد ذنبا وان لم نقل الجهاد فرض كفاية فتخلف بعضهم بالاذن لا باس فيه لاسيما اذا كان فى ذلك مصلحة ونفع وقال نفطويه الآتى ذكره اذا أمر الملك أحدا على جيش كان ذلك تخييرا له فيما يأمرهم وينهاهم فيمتنع العتب عليه فيما فعله لمصلحة لاسيما اذا كان مقامه فى غاية الجلالة عنده (وحكى السمرقندى عن بعضهم أن معناه عفاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم) فيه ايهام لان عفا من المعافاة لاشتراكهما فى أصل المادة وليس بمراد بل قصد التجنيس للفرق بينهما ولذا ورد الجمع بينهما فى الحديث نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة وفيه اشارة الى أن الذنب كالمرض والعفو عنه بمنزلة الطب الشافى له الا أنه قيل عليه أن سليم القلب ليس بمناسب هنا لانه وان كان مدحا فى نحو قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم لان معناه خلوصه من الغل والغش الا أنه صار فى الاستعمال عبارة عن الغفلة وضعف الرأى وقلة الحزم والعزم كما فى لباب التفاسير وأجيب عنه بان ما ورد مدحا فى القرآن يجوز التعبير به فى مقام المدح وان أوهم خلافه لعرف طارئ عليه وفيه نظر وقد تقدم الكلام على السمرقندى وترجمته (قال ولو بدأ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم) بدأ مبنى للفاعل وفاعله ضمير يعود على الله والنبى منصوب مفعول وبدأ مهموز بمعنى ابتدأ لا معتل بمعنى ظهر (لخيف عليه) أى لخاف عليه من يحبه لا الله (أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام) لتأثيره فى قلبه وجلالة قائله ومهابته خصوصا من هو أخوف الناس منه لعلمه بما لم يعلمه غيره وسيأتى الكلام عليه وفيه مبالغة والمراد كما قيل انه كاد أن يخاف عليه أو يخاف عليه من لا يعرف أنه آمن مغفور له أو خيف عليه بحسب الظاهر أن يكون شانه ذلك فى ذاته ومثله لا يوجب خللا فى المقصود كما توهم وهذا مبنى على أن خوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من العقاب بعد تامينه من الله له غير جائز وسياتى تفصيله وانفطار القلب وانشقاقه عبارة عن الخوف المهلك كما تنشق الاجسام من خشية الله تعالى كما قال الله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله (لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه) سكن ماض بالتشديد والتخفيف وفى نسخة سكن وقلبه مرفوع

(وقال عون بن عبد الله) أى ابن عتبة بن مسعود الهذلى الكوفى الزاهد الفقيه أخو عبيد الله الذى هو أحد الفقهاء السبعة بمدينة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقيل روايته عن الصحابة مرسلة لكن حديثه عن ابن عمر فى مسلم ولم يلحقه وعنه الزهرى وأبو حنيفة وقد أخرج له مسلم والاربعة توفى فى حدود ستين ومائة (أخبره الله بالعفو قبل أن يخبره بالذنب) تسليته له فى هذا الباب وملاطفة معه فى مقام العتاب وقوله يخبره من باب الافعال أو التفعيل وهما بمعنى واحد وأما قول الحلبى وكأنه أراد التنويع فى الكلام ليس له نتيجة فى المراد لان التشديد فى هذا المقام ليس للتنويع المتفرع على التكثير بل للتعدية كما صرح به صاحب القاموس والجوهرى فى التقرير (وحكى السمرقندى) أى أبو الليث (عن بعضهم ان معناه عافاك الله تعالى يا سليم القلب) عن غير ذكر الرب كما فسر به قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم (لم أذنت لهم قال) أى السمرقندى أو بعضهم المنقول عنه ما تقدم (ولو بدأ) بالهمزة أى ابتدأ الله (النبى) أى له صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة ولو بدأه (بقوله لم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه) أى ينصدع وينقطع (من هيبة هذا الكلام) أى المشعر بانه وقع فى الآثام (لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو) أى مبتدئا بالمسامحة عن اجازته (حتى سكن قلبه) أى وسلم من الدهش به وفى نسخة يسكن قلبه وفى بعض النسخ بتشديد الكاف فقلبه منصوب

(ثم قال له لم أذنت لهم بالتخلف) أى عن غزوة تبوك (حتى يتبين لك الصادق فى عذره عن الكاذب) أى فى عذره لما حكى عن مجاهد ان بعضهم قالوا فى غزوة تبوك نستاذنه فى الاقامة ان أذن لنا قعدنا وان لم يأذن لنا أقمنا واعتذرنا له بعد ذلك بعذر يقبله منا (وفى هذا) أى الخطاب فى مقام العتاب وفى نسخة وهذا (من عظيم منزلته عند الله تعالى ما لا يخفى على ذى لب) أى صاحب عقل سليم من وهم سقيم (ومن اكرامه اياه وبره به) أى انعامه له (ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب) بكسر النون عرق من الوتين ينوط القلب به من جانب الصلب اذا قطع مات صاحبه وقال بعض المفسرين هو الوريد ويروى فى غير الشفاء مناط القلب (قال نفطويه) بكسر نون وسكون فاء وفتح طاء مهملة وواو فسكون تحتية فهاء مكسورة وفى نسخة بضم الطاء وسكون الواو وفتح الياء والتاء المنقلبة عنها الهاء وقفا على وفق القياس وقيل بسكون الهاء وصلا أيضا ويؤيده ماذكره ابن الصلاح ان أهل العربية يقولون فيه وفى نظائره بواو مفتوحة مفتوح ما قبلها ساكن ما بعدها ومن ينحو بها نحو الفارسية يقولها بواو ساكنة مضموم ما قبلها مفتوح ما بعدها وآخرها هاء على كل قول والتاء خطأ وسمعت الحافظ أبا محمد عبد القادر بن عبد الله يقول سمعته ابراهيم

أو منصوب وروى يسكن مضارع مضموم الاول مشددو قلبه منصوب مفعول ويجوز تخفيفه ورفع قلبه يعنى أنه تعالى لرأفته به صلى الله تعالى عليه وسلم ورحمته قدم العفو أو لا ليسكن قلبه أى يطمئن ويامن قيل المراد به يدوم له السكون وعدم الاضطراب لا منه أوهو من قبيل سبحان من صغر البعوض واعترض عليه بعض الشراح بانه لا طائل تحت هذا الكلام لانه خوطب باشد منه نحو فلا تكونن من الجاهلين ولم يضطرب لتامين الله له بقوله ليغفر لك الله ونحوه ورد بانا لا نسلم أنه أشد منه أو مثله فانه نهى عن الوقوع فيه من غير عتب وتخويف كما سيجىء ولو سلم فهذا اعتراض أشد تخويفا من النهى مع انه لا يلزم من عدم الرعاية فى مقام عدمها فى مقام آخر ولا من الرعاية الرعاية واللازم الامن من النار ونحوها على أن الوعد لا يمنع الدهشة والخوف من الصدمة كما سيقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام فى يوم القيامة والعشرة المبشرة بالجنة يخافون من سوء العاقبة لاحتمالات وسياتى تحقيق هذا ان شاء الله تعالى فى محله (ثم قال له لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق فى عذره من الكاذب) ثم هنا لمجرد الترتيب الذكرى بغير مهملة أو بمهملة لتنزيل ما تقتضى وانعدم بمنزلة البعيد كما حقق فى قوله تعالى ذلك الكتاب فى أحد الوجوه ويتبين بمعنى يتضح ويظهر ويتميز هذا من هذا وينفصل فيتعلق من به باعتبار ما تضمنه من الانفصال وحتى متعلق بمقدر لا باذنت لفساد المعنى أى حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين أى لم أذنت للمنافقين بالتخلف عن تبوك كان عليك أن لا تاذن لهم حتى يتبين الى آخره كما فى لباب التفاسير وغيره والاستفهام فيه اسعار بما ندروه (وفى هذا) المذكور من تقديم العفو وتاخير السؤال (من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذى لب) المنزلة المرتبة المعنوية وعند ظرف مكان اذا أضيف الى المنزه عن المكان فهى بمعنى فى علم الله أو فى حكمه كما فى قوله تعالى كان عند الله عظيما وبينهما فرق دقيق وتكون للقرب المعنوى كما فى قوله تعالى ابن لى عندك بيتا فى الجنة بمعنى احسانه وانعامه كما فى قوله تعالى قالت هو من عند الله كما مر فاختر لنفسك ما يحلو واللب العقل والمراد الكامل أوهو على ظاهره مبالغة ومن بيان مقدم على المبين عند من أجاز تقديمه أو هو بيان لقدر بهم وما بعده بيان أو صفة أخرى للمبهم (ومن اكرامه تعالى اياه) صلى الله تعالى عليه وسلم (وبره به) لرعاية خاطره والتسلية له وتقديم الدعاء والعفو فى أول خطابه كما مر فتذكره (ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب) نياط فعال من النوط وهو التعليق ومنه المناط فقلبت واوه ياء لانكسار ما قبلها وهو عرق غليظ علق به القلب من الوتين وقيل هو الوتين نفسه فاذا انقطع مات صاحبه فلذا كنى به عن الموت قال ابن خالويه فى كتابه ليس فى أسماء المنية قال الله عز وجل الا أن تقطع قلوبهم معناه الا أن يموتوا يقال قطع قلبه ورمى بنيطه ورماه الله بذنبه وطالبه بحقه اذا مات انتهى وللنياط معان أخر كالعرق المستوطن الصلب والمراد أن له صلى الله تعالى عليه وسلم منزلة عند الله ورتبة أكرمه بها وأنعم عليه بما لا تطيق العقول معرفة كنهه وغايته ولا تفى الاعمار بتحصيله

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

فانقطاع النياط كناية عن تعذره وصعوبة مسلكه أو عبارة عن عدم وفاء الاعمار به وحيلولة الموت دونه وما قيل من أنه يجوز أن يكون اشارة الى أنه من عرف كمال اكرام الله تعالى عز وجل ورعايته له عرف أنه فى غاية التقصير فيخاف خوفا يثمر الهلاك تعسف وارتكاب لما يأباه فحوى الكلام والغاية هنا النهاية وتفسيرها بالفائدة غير مناسب ومنهم من فسرها بحملة الشئ وجعله استعارة وهو بعيد ودون هنا بمعنى قبل كقولك دون الدار منازل (قال نفطويه) هو لقب لابى عبد الله

الحافظ أبا العلاء يقول أهل الحديث لايحبون ويه أي يقولون نفطويه بضم الواو وسكون الياء مثلا بواو ساكنة تفاديا من ان يقع في آخر الكلام ويه انتهى وهو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدي النحوي الواسطي ظاهري المذهب اه التصانيف الحسان في الآداب توفي سنة ثلاث وثلثمائة ببغداد ودفن بباب الكوفة (ذهب ناس) أي من المفسرين (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذه الآية) بصيغة المفعول (وحاشاه من ذلك) أي منزه عن ان يعاتب أو ينسب اليه ذنب

(بل كان مخيرا) ضبط بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الموحدة في حاشية الحلبي وهو تصحيف وتحريف والصواب انه بتشديد التحتية المفتوحة أي مختارا بين الاذن وعدمه اذ لم يتقدم اليه في ذلك نهي من الله سبحانه كما ذكره الزمخشري وأقول بل التخيير مصرح به في قوله تعالى فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم (فلما أذن لهم) أي في هذه القضية وفي نسخة فلما ان أذن (أعلمه الله) بما أضمروه مما هو من دأبهم (انه لو) وفي نسخة ان (لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم) أي وظهر خلافهم وتحقق شقاقهم (وانه لاحرج) أي لا اثم (عليه في الاذن لهم) زاد القشيري بعد ذكر هذا المعنى في تبيين المبنى ان عفا ههنا ليس بمعنى غفر بل كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق وهي لم تجب

ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الازدي النحوي الواسطي صاحب التصانيف الجليلة توفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وقيل سنة أربع ببغداد وقيل بواسط وولد سنة أربع وأربعين ومائتين وقيل خمسين ولقب به لدناءة منظره والنفط معروف معرب وفي هذا وأمثاله كسيبويه الاصل الصحيح فيه فتح الواو وسكون الياء وبعضهم يسكن الواو ويفتح الياء وقيل انه من تغيير المحدثين تجنبا من لفظ ويه ولذا قيل في هجائه

أحرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقي صياحا عليه

وقال المعري ان هذا مما أحدثه المولدون وويه بلغة أهل البصرة اداة تصغير ويجوز فيه كسر النون وفتحها ويجوز في مثله الاعراب والبناء على كسر الهاء لتركيبه تركيب مزج وهو الاقيس (ذهب ناس الى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك) أي والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن ان يفعل مايستحق العتاب عليه وقد تقدم الكلام على حاشا مفصلا انه لاعتاب في هذه الآية بل فيها اعزازه واكرامه بالدعاء له وتصويب لفعله والتعبير بالعتاب فيه اشارة الى ان مافعله خلاف الاولى عند صاحب القيل (بل كان مخيرا) بين الاذن وعدمه اذ لم يتقدمه نهي كما قيل وفيه نظر والاولى ان يقول انزل وحي عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك لقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم كما سيأتي في أول القسم الثالث الا ان ابن الجوزي قال ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم الى آخره ولفظ مخيرا هنا قد علمت انه بالمثناة التحتية وقال البرهان الحلبي انه في بعض النسخ مخبرا بموحدة مخففة وهما نسختان مصححتان عنده فالاولى أولى والمعنى على هذه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مأذون له بوحي غير متلو لم يخبرهم به تحريضا لهم على الجهاد (فلما أذن لهم أعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم) وهم يدعون بطلب الاذن انه لو لم يأذن لهم ما تخلفوا فاذا ظهر كذبهم وانكشف مغطاهم لزم شق العصا ومايترتب عليه فكان مافعله أولى وأصوب (وانه لاحرج عليه في الاذن لهم) أي ليس فيما فعله ضيق واثم لكن لو صبر تبين أمرهم وفيه اشارة الى كمال الرفق به صلى الله تعالى عليه وسلم والرعاية له وانه لم يقع منه تقصير يقتضي العتب ولا خطأ في الاجتهاد ولا ارتكاب لخلاف الاولى كما توهم (قال الفقيه القاضي أبو الفضل) هو المصنف عياض كما مر (يجب على المسلم المجاهد نفسه) بتهذيب الاخلاق والصبر وكسر شهوتها كما يدل عليه مابعد فانه الجهاد الاكبر قيل الوجوب هنا أعم من الشرعي بل مالايليق تركه وهو شائع بهذا المعنى كما صرح به في شرح المواقف وغيره فيشمل المسنون والمندوب وفي تعبيره بالمسلم المجاهد لطف لم ينبهوا عليه لتعريضه بانهم منافقون تاركون للجهاد (الرائض بزمام الشريعة خلقه) هو من رضت الدابة أروضها اذا ذللتها للانقياد لما تريد وتلين شكيمتها والزمام مايقود دها كاللجام ففيه استعارة مكنية وتخييلية والزمام بمعناه الحقيقي أو عبارة عن الاحكام الشرعية على حد ينقضون عهد الله وفسر التلمساني الرياضة بالتعليم والزمام بالسبب

عليهم قط فكذلك قوله تعالى عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنب أو انما يقول العفو ولا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب انتهى ولعل الاولى ان يقال وقع العتاب ولا يلزم من العتاب تحقق العقاب المحتاج الى العفو وانما هو بيان ان عدم أذنهم كان أصلح بخصوص شأنهم لفضاحة حالهم وخزية مآلهم خلاف مااختاره صلى الله تعالى عليه وسلم من الاخذ برضاهم بدناءة أعمالهم استبقاء لهم على أحوالهم واعتمادا على الله في ادبارهم واقبالهم (قال الفقيه القاضي أبو الفضل) أي المصنف (يجب على المسلم) أي الكامل (المجاهد نفسه) أي في مرضاة ربه (الرائض بزمام الشريعة خلقه) بضمتين وبسكن الثاني وهو منصوب والمراد به تدريبه وتمرينه

عما شرعه الله لنا من أنواع تهذيبه والرائض بهمزة مكسورة اسم فاعل من رضت المهر أروضه رياضة ذللته وجعلته طوع ارادتك والزمام بالكسر بمعنى اللجام وهو مستعار للاحكام (ان يتادب بآداب القرآن) أي من المستحسنات كما قال الله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وفي نسخة بآداب القرآن فهو مصدر بمعنى المفعول أي بما يتادب به منه (في قوله وفعله) أي مع الحق فيهما بالعدل والصدق في معاملاته (ومعاطاته) أي عطائه وأخذه ومناولاته (ومحاوراته) بالحاء المهملة أي مخاطباته ومجاوباته

ومراجعاته ومعارضاته مع الخلق فان الصالح من قام بحقوق الله وحقوق العباد وكلها مستفاد من القرآن على أحسن البيان ولذا لما قيل لعائشة رضي الله تعالى عنها عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن تعني كان يمتثل لماموراته ويجتنب عن منهياته وفيه ايماء الى أنه لا يكون كمن قال لاخيه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا فمتخرا بذلك متغررا به كافرا لنعمة ربه معرضا نفسه لسخطه مستوليا عليه حرصه متماديا في غفلته تاركا نظره في عاقبته ولعمري ان أكثر الاغنياء وان لم يلهجوا بنحوه فالسنة أحوالهم ناطقة مع شهود أفعالهم (فهو) أي القرآن (عنصر المعارف الحقيقية) أي أساسها ومنبعها من العلمية والاحوال العملية بضم العين والصاد وبفتح الاصل (وروضة الآداب الدينية والدنيوية) أي المحتاج اليها في أمور الدين والدنيا مما له تعلق ما بامر العقبى وطريق المولى لقوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ما فرطنا في الكتاب من شيء أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم والعجب كل العجب من المؤمن بالكتاب والسنة المبينة للخطاب ان يعدل عن تعلمهما والعمل بهما مع ان بعضهما فرض عين خاصة ومنه ما فرض كفاية عامة وهو يقدم عليهما اكتساب العلوم المذمومة أو المباحة من المنطق والكلام والهيئة والحساب والفلسفة ودقائق العربية وغيرهما مما كان السلف لم يتداولوها ولم يتناولوها بل طعنوا فيها وفي من أقبل عليها (وليتامل)

والطريقة وفي كلامه تسامح ولا يستغرب مثله (ان يتادب) فاعل يجب (بآداب القرآن) وفي نسخة بآداب القرآن بصيغة الجمع والآداب كما قاله الازهري وغيره يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل ومنه أدبه اذا عاقبه على اساءته لانه داع لحقيقة الرياضة المحمودة فيخرج الانسان في فضيلة الادب وأدب أدبا من باب ضرب صنع صنيعا كالطعام به ودعى الناس اليه فهو آدب بزنة فاعل قال

نحن في المشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الادب فينا ينتقر

ومنه المادبة للمائدة والقرآن مادبة الله وهو الداعي اليها وفي كلام المصنف رحمه الله اشارة الى الحط على مثل الزمخشري مما خاطب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأساء الادب في مقامه الشريف بما لم يقله له رب العزة اذ قال له عفا الله عنك وذعاه وقال اه هنا أخطات وبئسما فعلت وقد تقدم ذلك بما فيه (في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته) الجار والمجرور متعلق بيتادب ومعاطاته من العطاء والعطية وهي ما تعطيه وقال في المصباح ومنه المعاطاة لانها مناولة لكن استعملها الفقهاء في مناولة خاصة ومنه فلان يتعاطى كذا اذا قدم عليه انتهى فالمعاطاة هنا مصدر المراد به الافعال الواقعة معه فهي أخص من الفعل كما ان المحاورة مخاطبته ومصاحبته فهي أخص من القول فما قيل من ان المعاطاة الفعلية جمع معاطة كعادة ومعادات في قوله * موكل بعداة المعاداة * على ما فيه من احتمال افرادهما وربط تائهما ومحاوراته القولية جمع محاورة بالحاء المهملة وهي المجاوبة ومعاطاته وان احتملت الافراد الا ان محاوراته جمع قطعا فناسب أن يكون مقابله جمعا انتهى لا وجه له كما (فهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية) ضميره هو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما لم أو للقرآن وهذا أرجح وعليه الشراح والعنصر بضم الصاد المهملة ويجوز فتحها بمعنى الاصل وفسره التلمساني بالمنبع ولا وجه له والمعارف العلوم أو المعلومات والحقيقة المتحققة في نفس الامر والروضة أرض ذات مياه وأشجار وأزهار طيبة منتزهة والمراد بالدينية هو ما يتعلق بالعبادة والتوحيد ونحوه من الامور الشرعية والدنيوية ما يؤخذ من الشريعة متعلقا بالدنيا فهي دينية أيضا ككرم الاخلاق وحسن العشرة وتدبير المعيشة شبهه بالرياض لما فيه مما يدفع الكدورات البشرية وينسر الارواح الزكية أو شبه الآداب بالمياه والازهار فهو تشبيه لذكر الطرفين فيه لا لان وصفه بالدينية والدنيوية ياباه كما قيل ولا يصح كونه استعارة كما قيل الاعلى قول أو تاويل بعيد فتدبر (وليتامل) التامل تفعل من الامل وهو رجاء ما يبعد حصوله من الخير نقل لمعنى آخر وهو كما في المصباح التدبر واعادة النظر في الشيء مرة بعد أخرى حتى تعرفه والمصنفون رحمهم الله تعالى يستعملونه فيما فيه دقة أو شبهة واللام لام الغائب وفاعله ضمير راجع للمسلم وفي العبارة حزازة ولو أسقط اللام ووصفه على يتادب كان أولى وعلى هذه النسخة قال بعض الشراح انه أمر معطوف على يجب ان يتادب ميلا مع المعنى لانه في معنى ليتادب فهو كما قيل في قوله تعالى ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته أي ليبشركم وليذيقكم وان كان الاولى انه بتقدير أرسلها ليذيقكم كما في المغني ومن العجب

أى وليتدبر المسلم المذكور (هذه الملاطفة العجيبة) أى والمخاطبة الغريبة الكائنة (فى السؤال) أى فى سؤاله سبحانه وتعالى بصورة الاستفهام عنه عليه الصلاة والسلام (من رب الارباب) أى المنزه عن المناسبة بينه وبين ماخلق من التراب (المنعم على الكل) أى عموما وخصوصا (المستغنى عن الجميع) أى جميع العباد من السعداء والاشقياء أو عن عبادة جميعهم هذا وقال الجوهرى كل وبعض معرفتان ولم يجيئا عن العرب بالالف واللام وهو جائز لان فيهما معنى الاضافة أضيفت أولم تضف انتهى وقال ابن فارس كل اسم موضوع للاحاطة يكون مضافا أبدا الى مابعده وقد صرح الزجاج بقوله بدل البعض من الكل كما حكاه عنه أبو حيان (ويستثير) بفتح التحتية وسكون المهملة وفتح الفوقية وكسر المثلثة من ثار الشئ اذا ارتفع وانتشر واستثاره طلب ظهوره ويروى ويثير ويبين وجعله الحجازى اصلا كما فى نسخة والظاهر ان يكون مجزوما للعطف على يتأمل كما جزم به الدلجى ويجوز رفعه كما فى نسخة أى يظهر وينتشر ويبحث ويستخرج (مافيها) أى فى هذه الملاطفة العجيبة (من الفوائد) اى المنافع الغريبة

م قيل انه أمر معطوف على يتأدب ولو قيل انه من عطف القصة على القصة كان أسهل (هذه الملاطفة العجيبة) كما قدم حيث قدم الدعاء والتبشير على مايوهم الاعتراض والعتاب مراعاة لخاطره صلى الله عليه وسلم وتطييبا لقلبه وهو العلى الغنى عن عباده الفعال لما يريد فكيف بالامة الذين يجب عليهم التادب معه (فى السؤال من رب الارباب) متعلقة بملاطفة أو صفة لها بتقدير الكائنة والرب الموجد المربى والسيد المالك مصدر وصف به مبالغة أو صفة مشبهة وفى اختصاصه به تعالى أقوال فقيل يختص به اذا أطلق من غير اضافة وكان مفردا فاذا جمع كما فى عبارة المصنف رحمه الله تعالى جاز لعدم الايهام بالواحد الاحد كقوله تعالى أأرباب متفرقون خير وأما قوله

وهو الرب والشهيد على * يوم الحوارين والبلابلا

(وقوله)

ارب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

فنادر جاهل لا يعتد به وليس الكلام فى صحته بحسب اللغة بل الشرع هل هو حرام أو مكروه وقيل انما ينهى عن كثرة استعماله واضافته للعقلاء بخلاف رب العرش والدار والاصح انه ينهى عنه اذا أوهم معنى المعبود فمحل التعجب كون السؤال من الرب العالم الغنى عن خلقه كما أشار اليه بقوله (المنعم على الكل المستغنى عن الجميع) لم يبين ما أنعم به واستغنى فيه ليفيد العموم وكذا كل اطلاق لم تقم قرينة على تقييده والسين هنا ليست للطلب بل للتاكيد للغناء وعرف الكل الالف واللام كقولهم بدل الكل والبعض وهما لم يسمعا معرفين بها فى كلام العرب كما ذكره الجوهرى وغيره من أئمة اللغة وقد جوزه الجوهرى فقال كل وبعض معرفتان ولم يجئ عن العرب بالالف واللام وهو جائز لان فيهما معنى الاضافة أضفته أو لم تضف انتهى يعنى انه يلزم الاضافة لفظا أو تقديرا (١) الا ان الالف واللام قد تقوم مقام الاضافة وتسد مسدها كما صرح به النحاة والقياس يقتضى صحة دخولها عليهما الا انه تسمح فى قوله معرفتان وتجوز به عن مضافين لانهما يضافان للنكرة كثيرا مطردا نحو كل رجل يقول كذا مع ان فيما قاله نظرا لان كل مالم يسمع بعينه يمتنع وقد ذكر ابن خالويه فى كتاب ليس انه سمع نادرا فالحق ماقاله الجوهرى ولا اعتراض عليه وأردف المصنف المنعم بالمستغنى اشارة الى انه لم يرد بانعامه فائدة ولا حاجة له به وعلم مما تقرر انه انما أمر بالتامل حثا على رعاية الادب فى حقه تعالى (ويستثير مافيها) أى فى الملاطفة أو الآداب القرآنية (من الفوائد) ويستثير بالمثناة الفوقية والمثلثة بعد سين الطلب من أثار

(١) وقد وجدنا فى بعض النسخ هنا ما ياتى ذكره ان الجحد فى غالبها ورأينا درجه فى الهامش مناسبا اعتمادا عليه وهو قوله هذا فكأنه جمع بين أل والاضافة وهو تابع فى ذلك للزجاجى وقد اعتذر عنها الزجاجى ان ذلك مجاز وكان الاولى به ان يتركها ولا يعتذر وقد نكت الاديب ابن سهل الاسرائيلى الاندلسى على الشيخ أبى القاسم الزجاجى فى قوله حيث قال

أموسى أيا كلى وبعضى حقيقة * وليس مجازا قولى الكل والبعضا

خفضت مكانى اذ جزمت وسائلى * فكيف جمعت الجزم عندى والخفضا

(٢) وهذا دليل على ان يهود الاندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية فان ابراهيم بن سهل قال هذين البيتين قبل اسلامه والله أعلم وروى انه مات مسلما غريقا فى البحر فان كان حقا فان الله رزقه الاسلام فى آخر عمره والموت على الشهادة قلت وكان شيخنا أبو الحسن بن على يقول سمعت شيئان لا يصحان اسلام ابن سهل وتوبة الزمخشرى من الاعتزال فان تصانيفه طافحة بمدح بها أهل التوحيد والعدل وهم اخوانه المعتزلة مع انه فى كثير من المسائل يخالفهم وهو لا يدرى لانه على ما قال كان يتقى حماقتهم وان كان لبلاغته قد صار منهم رأسا وقال أيضا وأما ابن سهل فالمشهور عنه ورأيته بخط أبى حيان انه عشق يهوديا شابا يسمى محمدا فنقل تغزله فى موسى الى محمد وأسلم من أجله والله أعلم (٢) أقول قال فيه أيضا

تسليت عن موسى بحب محمد * ولولا هدى الرحمن ما كنت أهتدى

وما عن قلا قد كان ذاك وانما * شريعة موسى بدلت بمحمد

(وكيف) أي ومن جملتها ان يعلم انه سبحانه وتعالى كيف (ابتدأ) أي في الخطاب (بالاكرام) أي بتعظيمه بقوله عفا الله عنك مصدرا
في الكتاب (قبل العتب) بفتح وسكون أي قبل بيان العتاب (وآنس) بالمد وفي نسخة بالفتح والشد وأصل الايناس ضد الايحاش
فالمعنى كيف اذهب وحشة الانس وأظهر لذة الانس من حضرة القدس (بالعفو) أي بذكره (قبل ذكر الذنب)

الارض كما قال الله تعالى عز وجل وأثاروا الارض وعمروها أي يحركه ويبرزه كما يثار الصيد من مكمنه
والتراب من مقره ومنه اثارة الفتنة والشر والمعنى يظهره لنفسه وغيره وفي نسخة ابن رسلان يستبين
بالنون بدل الراء وفي نسخة بعض الشراح يتبين ويستثير وهو كالعطف التفسيري كما قال وهو مجزوم
معطوف على يتامل أي يتعرف ويتفحص ويجوز رفعه وقد وقع في نسخة ويستثير بمعنى يبحث
ويستخرج مرفوعا ان انتهى فيجوز جزمهما عطفا على يتامل ونصبهما عطفا على يتادب أو في جواب
الامر بتقدير ان بعد الواو أي ليكن منه الامران التامل والاستثارة وتعيين هذا كما في بعض الشروح لا داعي
له * والفوائد جمع فائدة وهي ما ينتبه له الزكي من ملاطفة الله له وحسن خطابه ولينه والسؤال عما
هو أعلم المشير الى انه خبير بما صدر منه وواقف على ما حققوه من مكائدهم حارس لضباب حقدهم من
نافقهم وتعظيمه ورونق خطابه في المبدأ والختام المقتضي للزوم الادب معه (وكيف ابتدأ بالاكرام
قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثمة ذنب) كيف اسم استفهام يسئل به عن الكيفية
والحالة وقد يخرج عن الاستفهام والصدارة كما فصله شراح البخاري في باب كيف كان بدء الوحي
ولا حاجة لذا له هنا وابتدأ بفتح التاء والهمزة وثمة تقدم الكلام عليها وانها اسم اشارة بمعنى هناك والهاء
المرسومة للسكت والوقف وفيه لغة أيضا بتاء التانيث وهي احتمال هنا وفي قوله ان كان ذنب اشارة
الى انه لا ذنب له صلى الله تعالى عليه وسلم بل هو من محاسنه كما قال البحتري

اذا محاسني اللاتي أدل بها * كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر

واذا لم يكن ذنب ولا ارتكاب لخلاف الاولى لم يكن عليه ملامة وعتب فهذا يدل على ان قوله قبل العتب
المراد منه ان كان هناك عتب ولظهوره استغنى المصنف عن ذكره فهذا من بدائع الاكتفاء وقد حام
حول هذا من قال لم يقل المصنف رحمه الله ان كان عتب كما قال ان كان ذنب اكتفاء بالثاني عن الاول
لانهما نظيران وشيخنا حمل العتب على ما هو صورته لئلا ينافي ما سيذكره من انه لا عتب عليه أصلا
وغلطوا من ذهب اليه والمراد بالذنب خلاف الاولى وهذا كله من ضيق العطن فتدبره كذا من الزوائد
جعله كيف مقحمة وآنس بمد الهمزة بزنة قاتل وروى بالقصر وتشديد النون وقواه وكيف قيل انه
معطوف على ما فيها والظاهر انه معطوف على هذه الملاطفة أي وليتأمل كيف الخ بعينه قواه فيما
سيأتي ثم انظر كيف بدأ الخ فتنبه له (وقال الله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا
قليلا) أي لولا ان ثبتناك على الحق والصواب والسداد قاربت الميل الى مرادهم ميلا ما قليلا ففي
الآية تصريح بان الله عصمه صلى الله عليه وسلم على الميل الى خلاف الصواب فضلا عن الوقوع فيه
وفيه دليل ظاهر على ما قدمه من انه لا ذنب له رأسا وفيما فسروه به اشارة الى ان العفو ليس عن
ذنب وتقصير (قال بعض المتكلمين) أي المفسرين الذين تكلموا على هذه الآية وكثيرا ما
يستعمله المصنف رحمه الله وغيره بهذا المعنى اللغوي ويجوز ان يراد المعنى المصطلح أي أهل
علم الكلام وأصول الدين لتعلق هذا بعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهي من مباحثه

من اضافة المصدر الى مفعوله وفي نسخة قبل ذكره الذنب وجعله الحجازي أصلا والآخر رواية والمراد الذنب باعتبار الصورة الظاهرة المأخوذة من المعاتبة المعبر عنها بخلاف الاولى لما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين من حيث الغفلة في تلك الحالة عن مشاهدة المولى ولذا استدركه المصنف بقوله (ان كان) أي بالفرض والتقدير (ثم) بالفتح فتشديد أي هنالك (ذنب) والمعنى انه لا ذنب هنالك حقيقة وانما وقع في صورة المعتبة (وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) المعنى ولولا ثبوت تثبيتنا اياك لقد قاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من أدنى الميل اذ ذاك لكن امتنع قرب ميلك وهواك لوجود تثبيتنا اياك ونظيره لولاك لما خلقت الافلاك وهذا ان لولا حرف امتناع للشئ لوجود غيره وان مع الفعل في تأويل
المصدر والجملة في محل الرفع على الابتداء والخبر محذوف لعلم السامع به واللام جواب لو كقولهم لولا زيد أي موجود فلا
لهلك عمرو والمحققون يقدرون مضافا قبل المبتدأ ليستغني به عن تقدير الخبر مع قيام لو مقامه واختلفوا في سبب نزول الآية فقيل
وهو المحكي عن مجاهد وابن جبير ان قريشا قالوا لا ندعك تستلم الحجر الاسود حتى تمس أوثاننا فخطر في باله انه يفعل ليتمكن من استلام
الحجر في ما له وقيل في استدعاء الاغنياء طرد الفقراء وقيل غير ذلك وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال
اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين (قال بعض المتكلمين) أي من جملة المفسرين

(عاتب الله الانبياء) أى كآدم ونوح وداود عليهم الصلاة والسلام (بعد الزلات) أى العثرات الصورية والخطرات البشرية الضرورية فان الزلة ماصدر من سالك الطريقة من غير قصد المخالفة (وعاتب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه) أى قبل وقوع الزلل وحصول الخلل (ليكون) أى النبى عليه الصلاة والسلام (بذلك) أى بسبب ذلك العتاب على وجه الاهتمام (أشد انتهاء) أى على المخالفة (ومحافظة الشرائط المحبة) أى وأكثر مراعاة لشرائط المودة من الموافقة والمتابعة فى الطاعة (وهذه) أى الحالة (غاية العناية) أى ونهاية الرعاية فى الحماية فان المعاتبة انما تكون على حسب المكانة اماترى ان الله تعالى أخذ الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمثاقيل الذر لقربهم عنده وحضورهم وتجاوز عن العامة امثال الجبال لمكان بعدهم وغيبتهم فان الزلة على بساط الاداب ليست كالذنب على الباب كما لا يخفى على أولى الالباب (ثم انظر) أى ايها الناظر بعين الاعتبار وتفكر فيما يشار اليه من علو المقدار لاحمد المختار صلى الله تعالى عليه وسلم (كيف بدأ) أى الله (بثباته) أى على الموافقة (وسلامته) أى من المخالفة (قبل ذكر ما عتبه عليه) وفى نسخة عاتبه عليه (وخيف ان يركن اليه)

فلاوجه لما قيل ان المنقول عنهم من غير ذلك العلم (عاتب الله الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (بعد الزلات (وعاتب نبينا) محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل وقوعه) العتب والعتاب مخاطبة من توده بما صدر منه مما لا يناسب ليزيله أو يترك العود له وهو يكون ناشئا عن المحبة والادلال والزلات جمع زلة بالفتح من الزال وأصله دحوض القدم ثم عبر به عن الوقوع فيما لا يرضى من غير قصد ولذا فسر بالخطا وفى التعبير بالوقوع بمعنى الصدور فى الواقع مع الزال لطف لان من زل يقع وضمير وقوعه للذنب ويجوز عوده لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بتقدير قبل وقوعه فى الذنب وللثان تقدره قبل احتمال وقوعه كما يدل عليه تعبيره فى الآية بقوله كدت تركن اليهم أى تميل لان القرب من الميل للذنب يقتضى عدم وقوعه والمراد بزلات الانبياء عليهم الصلاة والسلام خلاف الاولى الذى هو بالنسبة لعلو مقامهم كالزلة من غيرهم ولخفائه قيل كان اللائق مع عدم وقوعه فان القبلية تقتضى الوقوع بحسب الظاهر وان صرحوا بانه غير لازم بدليل قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى وفى بعض الشروح معترضا على ما نقله المصنف رحمه الله تعالى بانه لا عتب فيما ذكروا انما هو تذكير بنعمة العصمة له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مناف لما سيأتى من عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن الكبائر والصغائر ومقامهم منزه عن الزلات وان صدر عنهم ماهو بصورتها فهو لحكمة كبيان الجواز والتشريع للامم وقال الصفوى العتاب قبل وقوع الذنب يستلزم أمرين أحدهما وقوع العتاب فى زمن لم يقع فيه الذنب والآخر وقوع الذنب بعده فاستعمله فى لازمه الاول فقط مجازا فان قلت العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الوحدة يقال عاتبه وعتب عليه قال

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

قلت جزم محققوا المفسرين بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يهم بالركون اليهم والعتاب عتابان عتاب منجز كما قال لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وهذا انما يكون مع كينونة الركون وعتاب معلق كما فى قوله تعالى ولولا ان ثبتناك الى آخره وهذا انما يكون مع عدمه أى لولم نثبتك وقع منك ذنب القرب من الركون لكنا ثبتناك فلم يقع والمنقول عن بعض المتكلمين وان أقره المصنف رحمه الله تعالى لا ينافى ما جزم به من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعاتب أصلا لان المنفى المنجز المستلزم للوقوع والمثبت خلافه كذا قيل ولا يخفى ما فيه فتامل (ليكون بذلك) المذكور أو العتب على ما ادعاه (أشد انتهاء) أى أقوى فى تركه لما ذكر مما لا يليق به والانتهاء افتعال من النهى يقال نهاه فانتهى لا من النهاية (ومحافظة لشرائط المحبة) أى مداومة لما تقتضيه المحبة من قصر الهمة على ما يرتضيه المحبوب (وهذه غاية العناية) من الله به صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه اشارة الى المعاتبة قبل الوقوع لما ذكر من الفوائد ولذا أنث أو هو لرعاية الخبر والعناية قصد المساعدة والاعتناء بحفظه وأمره يقال عنيت بأمر فلان بالبناء للمفعول عناية وعنيا شغلت به وهذه أقوى من عناية الله بغيره من الانبياء فلذا جعلها غاية وقيل انما جعلها غاية مبالغة (ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان يركن اليه) أتى بثم لبعد مرتبة هذا مما قبله لان فى المعطوف عليه احتمال صدور الزلة وفى هذا اكرامه وتأمينه من صدورها منه وهو اما من كلام المصنف رحمه الله تعالى أو من تتمة كلام ذلك البعض ملتفتا من الغيبة الى الخطاب ايقاظا للمأمور وحثا له على التامل وهو من عطف القصة على القصة أو عطف على مقدر أى تامل ما ذكر ثم انظر والنظر بمعنى التفكر والتدبر مستعار من نظر البصر وقيل ثم مجردة عن المهلة ولان الفراغ من ذلك التامل انما يكون بعد مهلة وبدأ بثباته أى لم يقل لقد كدت تركن لولا ان ثبتناك وقال بثباته ولم يقل بتثبيته كما فى الآية لان قوله كدت يدل عليه وهو محل المدح

أولان تثبيت الله يلزمه الثبات والسلامة عما خيف عليه والمعاتب عليه الركون وخيف مبنى للمجهول أى وقع الخوف مما هو شانه وقيل فاعله المقدر هو الله وان كانت حقيقة الخوف مستحيلة عليه لان المراد معاملته معاملة من يخاف عليه ما ذكر كما قالوا فى قوله عزوجل ليبلوكم أيكم أحسن عملا ليعاملكم معاملة المحبة ولا اختبار ولا ابتلاء أى خاف عليه القرب من الركون وفيه مبالغة لانه اذا خيف عليه القرب من شئ خاف عليه ذلك الشئ بالطريق الاولى وهذا لا محذور فيه حتى يقال المراد بالركون فى عبارة المصنف رحمه الله تعالى الوقوع لانه هو الخوف فهو غير الركون المذكور فى الآية وقيل ان كدت من أفعال المقاربة وقد أخبر به مؤكدا بقوله لقد ومثله مما يعتب عليه الا ان قوله شيئا قليلا يدل على انه مما لا يضر لقلته وهو عناية به صلى الله تعالى عليه وسلم ونعمة عظمى لانه تعالى صفاه وحماه من شوائب الخطرات القلبية التى لا ثبات لها وانما يؤاخذ بما وقع عن عزم وتصميم كما قالوه فى تفسير قوله تعالى وأن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وله تفصيل ليس هذا محله (ففى اثناء عتبه براءته وفى طى تخويفه تامينه وكرامته) اثناء الشئ بالمدخلاله وتضاعيفه يقال جاء فى اثناء الناس أى بينهم جمع ثنى بكسر فسكون وياء تحتية أو ثنى بالقصر والمراد بكون البرأة فى اثنان العتب انها معه فى كلام واحد بلا فاصل فلا يعترض عليه بانه مقدم هنا كما قيل لان الدال على البرأة قوله لولا ان ثبتناك وفى طيه أى داخله أو فى ضمنه أو فى تخويفه للطى فيما ذكر اذلم يفهم منه صريحا قيل وفيه بعد وتامينه وكرامته تثبيت الله تعالى له وتنزيهه عن القرب الى الميل يعنى انه عتب بالركون للاعداء وتخويفه بقوله اذا لاذقناك العذاب معلق بما هو صريح فى عصمة الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم عن القرب فضلا عن الوقوع فيه تعريضا بالمنافقين واسماعا لهم على حد قوله * اياك عنى فاسمعى ياجارة *
وقد تقدم انه لا عتب ولا ذنب وانما هو تكريم فلذا قيل انه كان ينبغى للمصنف رحمه الله تعالى تركه وكلامه فى غاية الظهور فلا حاجة لان يقدر فيه اثناء الكلام الدال على العتب والتخويف فانه لا داعى له (ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك الآية) أى مثل ما تقدم فى اللطف به أو مثل لولا ان ثبتناك فى الشفقة والتسلية وهو أقرب أو مثل عفا الله عنك فى الملاطفة والتهوين وضميرانه للشان وقد للتحقيق والمضارع بمعنى الماضى أو بمعنى ربما بالنسبة لسائر معلوماته والذى يقولونه انه ساحر أو مجنون أو شاعر أو كذاب ونحوه مما لا يضره أى لا تحزن لنفسك كما فى الكشاف ويدل عليه ما بعده ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وهو خبر أريد به لازم الفائدة كقوله انى وضعتها انثى اذ المقصود تطييب قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال على رضى الله عنه) وكرم وجهه وهذا رواه الترمذى وصححه الحاكم (قال أبو جهل) هذه كنيته كناه بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يكنى أبا الحكم فالله كناه أبا جهل والناس كنوه أبا الحكم والجهل وان كان ضد العلم فالمعروف فى كلام العرب انه ضد الحلم كما قال

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وهو عمرو بن هشام فرعون هذه الامة وقد قيل انه مع جهله وكفره كان يحنى العصاة ولذا قيل انه مصغر استه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم فى أول الاسلام يرجو اسلامه ويقول اللهم أعز الاسلام باحد الرجلين أبى جهل وعمر بن الخطاب فلما أسلم عمر رضى الله تعالى عنه علم انه هو الذى أجيبت فيه دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم واما أبو جهل أشقاه الله تعالى فقتل ببدر واختلف فى قاتله كما فصل فى السير وأسلم ابنه عكرمة وحسن اسلامه ونصر الله به الدين تحقيقا لرجاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم

انا

ففى اثناء عتبه براءته وفى طى تخويفه) أى فى ضمن اخافته (تامينه) أى جعله مامونا من المخالفة (وكرامته) أى بالثبات على الموافقة (ومثله) أى فى هذا المعنى (قوله تعالى قد نعلم انه) أى الشان (ليحزنك الذى يقولون) قرأ نافع من احزنه يحزنه والباقون من حزنه يحزنه بفتح الزاى فى الماضى وضمها فى الغابر وكلاهما متعديان بمعنى واحد واما حزن يحزن من باب علم فهو لازم فاعلم والزم والمعنى بالتحقيق أو فى بعض أوقاتك من التضييق نعلم ان الشان ليوقعك فى الحزن ما يقولون فى شاننا أو فى حق القرآن أو فى حقك كقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون (فانهم لا يكذبونك) بالتشديد للجمهور وبالتخفيف لنافع والكسائى والمعنى لا ينسبونك الى الكذب ولا يتهمونك به ولا ينكرون امانتك وديانتك أو لا يكذبونك فى الحقيقة (الآية) أى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون يعنى ينكرونها أو ينكرون عليك بسبب اتيان آياتنا فقط وفى هذا نوع تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم وتهديدلهم ولكن لم يظهر لايرادها وجه مناسبة ولا جهة ملائمة لما نحن فيه من مرتبة المعاتبة وقضية الملامة (قال على كرم الله وجهه) كما رواه الترمذى وصححه الحاكم (قال أبو جهل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم

انالانكذبك)أي في الصدق والامانة(ولكن نكذب بما جئت به)أي من القرآن الدال على التوحيد والديانة(فانزل
الله تعالى فانهم لا يكذبونك
الآية)وفي نسخة فنزلت
وانما هو شهادة من الله
تعالى له بالصدق والديانة
وبيان ان هذا مما اتفق
عليه الامة عامة (وروى
انه صلى الله تعالى عليه
وسلم لما كذبه) وفي نسخة
أكذبه(قومه حزن) بكسر
الزاي أي اغتم (فجاء
جبريل عليه الصلاة
والسلام فقال ما يحزنك)
بالوجهين السابقين (فقال
كذبني قومي فقال انهم
يعلمون انك صادق)
لكن جئت بشئ ليس
لغرضهم موافقا(فانزل
الله تعالى الآية) أي
المتقدمة قال الدلجي
وحديث جبريل هذا
أورده بصيغة روى ولم
أعرف من رواه(في هذه
الآية منزع) بفتح ميم
فسكون نون وفتح زاي
أي ماخذ ومشرع(لطيف
الماخذ من تسليته تعالى
عليه الصلاة والسلام)
أي باذهاب حزنه وجلب
أنسه(والطافه) بكسر
الهمزة أي اكرامه (في
القول)أي في قوله(بان
قررعنده)أي بما اطمانت
به نفسه (انه صادق
عندهم وأنهم غير مكذبين
له) أي في الحقيقة بل
مكذبين لنا أو غير مكذبين في الباطن لانهم معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا) أي عامة المشركين(يسمونه) سماه واسماه
بمعنى والمراد هنا يصفونه ويعدونه(قبل النبوة الامين) أي من الامانة في القول والفعل والعهد والوعد ضد الخيانة

انالانكذبك ولكن نكذب بما جئت) وفي نسخة مصححة من الشفاء ما جئت به ندون بالجحد لآيات الله تعالى عنادا وبغيا أي ننكره ونجعله كذبا مع انك صادق عندنا وفي لباب التفاسير قال أبو ميسرة أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل وأصحابه فقال والله يا محمد انا لانكذبك انك عندنا لصادق ولكنا نكذب ما جئت به فنزلت هذه الآية فهذا هو سبب نزولها كما قال المصنف رحمه الله تعالى (فانزل الله تعالى *فانهم لا يكذبونك* الآية) وعزاه ابن الجوزي الى ناجية بن كعب من المفسرين وقد فسره به على قراءة يكذبونك بالتشديد وهو ما في الكشاف واللباب من قوله وانك عندنا الصادق مروي في الحديث قال السيد عيسى وهذا بظاهره فاسد لان كذب القول يستلزم كذب قائله الا أن يكون نائلا غير ملتزم للصحة والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما ذكره على أنه حق من عند الله وقال الطيبي لانعتقدك كاذبا وانما ننسب الكذب لما جئت به عنادا أو حسدا فقوله لكن نكذب ما جئت به في موضع نجحدك اقامة للسبب مقام المسبب وفيه بعد لانهم لا يقرون بذلك وقيل المعنى لانقصد نسبتك للكذب وتعييرك به لانا جربناك فوجدناك على خلافه وانما غرضنا ابطال الكلام أو لانقول أنت من عادتك الكذب لكن ننكر النبوة فلا يلزم أن يكون كذابا أو انك غير مفتعل متعمد للكذب بل تخيلت أمرا باطلا فالتكذيب بالنسبة لا فتعاله فما كذبناك ليكون عيبا وهذا أحسن التاويلات وقيل أنت ناقل ونحن نكذب المنقول لا الناقل وفيه ما مر انتهى وفي اللباب المعنى لانخصك بالتكذيب ونقل ابن الجوزي عن قتادة لا يكذبونك بحجة بل بهتانا وعنادا ولا يكذبونك اعتقادا بل قولا وهذا ما ارتضاه الطيبي هذا زبدة كلامهم وسياتي في كلام المصنف رحمه الله تعالى ما يوافقه (وروي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام) قال السيوطي في تخريجه هذا لم أجده وكذا قاله غيره قيل وهذا من قصوره ولم يزد على هذا وهو غريب منه (فقال ما يحزنك قال كذبني قومي) لما حرف وجود لوجود أو وجوب لوجوب كما فصله النحاة والاكثر الافصح في جوابه عدم اقترانه بالفاء ورد اقترانه بها ومن يا باه يقدر لها جوابا محذوفا وقوله حزن هو الجواب وحزن واحزن لغتان شائعتان فصيحتان بهما جاء التنزيل فقوله يحزنك يجوز فيه فتح الياء وضمها وقوله كذبني بالتشديد وروى أكذبني وهي لغة أيضا واردة تكذيبهم حيث قالوا ان ما جاء به كاذب دون أن يقولوا انه كاذب أو حيث قالوا انه كاذب واليه أشار المصنف رحمه الله تعالى بما سياتي من أنهم معترفون بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم قولا وفعلا واعتقادا وروي أو اعتقادا اشارة الى القولين السابقين كما مر (فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الآية) فهو سبب النزول على أحد القولين وفيه دليل على أن المنفي في الآية العلم (ففي هذه الآية منزع لطيف الماخذ) منزع بفتح الميم والزاء المعجمة والعين المهملة محل النزع مصدر ميمي بمعنى المفعول فسره التلمساني بالماخذ ورد بان ما بعده يا باه فالمراد به شئ يرجع اليه قال في القاموس المنزعة ما يرجع اليه الرجل من أمره ورأيه واقتصر عليه صاحب المقتفي والمنزع بكسر الميم السهم يقال نزعت في القوس نزعا وأنزع بمنزع أي سهم وفي المثل عاد السهم الى النزعة أي رجع الحق الى أهله قاله الامام المرزوقي ولطيف الماخذ أي حسن دقيق أخذه واستنباطه منها (من تسليته تعالى له عليه الصلاة والسلام والطافه في القول) قال البرهان الطافه بكسر الهمزة في النسخ التي وقفت عليها مصدر من ألطفه بكذا اذا أبره به كما في الصحاح والتسلية تطييب القلب بما يذهب حزنه ويفرج كربه ومن لبيان المنزع بتقرير أنه صادق عندهم قولا واعتقادا كما أشار اليه بقوله (بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وكانوا يسمونه قبل النبوة الامين) الباء سببية أو آلية وقرر بمعنى بين وحقق هذا

بحيث قرر وثبت فى نفسه لما فى الآية من بيان ذلك مؤكدا بان وجعلهم ظالمين جاحدين لما قالوه وكونهم غير مكذبين له مر تحقيقه وستسمعه قريبا ومر أنه روى أو اعتقادا اشارة الى القولين فى الآية وروى أن الاخنس قال لابى جهل لعنه الله يوم بدر ليس هنا غيرى وغيرك أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فقال انه والله لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ثم انه قيل هنا ان عدم الكذب يستلزم الصدق عند الجمهور فالاعتراف باحدهما كانه اعتراف بالآخر فلا يرد ان عدم الكذب أعم وان ورد ان عدم نسبة الكذب اليه لا يستلزم نسبة الصدق لجواز أن لا يعترفوا باحدهما ولو سلم فالآية فسرت بالنفى اعتقادا وقولا فمن أين تقرر الامرين الا أن يقال أن المراد بعدم الكذب الحكم بعدم الكذب لانهم لم يسكتوا فى حقه وهو بمنزلة الحكم بالصدق فالمصنف رحمه الله تعالى جمع بين التفسيرين وهو عادته والاوجه أن عدم التكذيب وان لم يستلزمه لكنه قد يكون كذلك فحمل عليه بقرينة ما عرف منهم لا بطريق اللزوم وهم وان كذبوه لكن منهم من لم يكذبه فى بعض الاحيان كما مر والاظهر أن المراد نفى التكذيب باحد الوجوه والتأويلات السابقة فلا ينافى التكذيب ظاهرا كما أشار اليه البيضاوى وهذا غاية ما يمكن هنا انتهى ملخصا وقوله واعتقادا على نهج قوله * وزججن الحواجب والعيونا * وكلام النحاة فيه مشهور وتسميته صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة بالامين مشهور فى كتب الحديث ويسمى يتعدى بنفسه وبالباء (فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب) الدفع بالدال المهملة منع الشئ قبل وصوله وبعد الوصول يكون رفعا ولذا قالوا الدفع أسهل من الرفع وفى التعبير به اشارة الى عدم تلبسه صلى الله تعالى عليه وسلم بما افتروه والتقرير براءين مهملتين هو ما تضمنه قوله بان قرر الى آخره وفى بعض النسخ التقدير بالدال بدل الراء كما ذكره التلمسانى وقال ان الذى فى أصل القاضى بالراء ومعناه على تلك النسخة فرض الشئ وتصويره وبالراء بمعنى تبيينه وتمهيده وكل واحد منهما قريب من الآخر والارتماض براء مهملة ساكنة وآخره ضاد معجمة افتعال من الرمضاء وهى شدة الحرارة شبه بها ما اشتد عليه وأقلقه من ألم قلبه والسمة العلامة وأصلها وسمة فحذفت فاؤه كعدة والمراد وصفهم له بها والاضافة لامية أو بيانية أى سمة هى الكذب فى قولهم انه كاذب (ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) الخ عطف على قرر وثم للتراخى الرتبى والاشارة الى بعد الذم عنه أو هى للترتيب الذكرى ولا حاجة لتجريدها لمجرد العطف كما قيل والمراد بتسميتهم وصفهم بما ذكر وعبر به اشارة الى ان ذلك صار كالعلم لهم وبين التسمية والسمة تجنيس وتسميتهم جاحدين لانه لما أخبر عنهم بانهم يجحدون فكانه قال جاحدين وقدم الجحد مع تأخره فى الآية لانه المقصود بالذكر ولان ظلمهم هنا بجحدهم ولذا وضع الظاهر موضع المضمر ولم يقل ولكنهم تنبيها على أن جحدهم نشأ من ظلمهم الثابت فيهم لان ترتب الحكم على وصف يشعر بعليته ولذا عدل عن جاحدين الى يجحدون وجحدهم بآيات الله اما انكار حقيقتها أو انكار كونها من الله والباء قيل انها لتضمين الجحد معنى التكذيب الا انه قال فى القاموس جحده حقه وجحد بحقه اذا أنكره وهو يقتضى خلافه (فحاشاه من الوصم) حاشا فعل ماض أى نزهه الله عز وجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبرأه من الوصم بالصاد المهملة فى اللغة مطلق النقص والعيب والمراد به الكذب المذكور فى الآية (وطوقهم بالمعاندة) طوق فعل ماض من الطوق وهو ما أحاط بالعنق ثم صار مثلا للازوم قال فى كشف الكشاف فى شرح قوله طوقهم بها طوق الحمامة * انه لا يقال الا للامر المذموم الذى لا يفارق من اتصف به فخصصه بالذم كقول حسان رضى الله تعالى عنه * لولا سوابق لك طوقتك بها طوق الحمامة * أى هجوتك أقول فى اختصاصه بالذم نظر لما نقل فى مرآة الزمان عن حاتم الطائى انه قال لابنه لما سأله عن ابله التى نحرها للقرى وقال له ما فعلت الابل فقال طوقتك مجد الدهر طوق الحمامة وعليه

(فدفع) أى الله سبحانه وتعالى (بهذا التقرير) أى المذكور فى الآية بالتحرير وهو فى أصل المصنف بالرائين وجعل التلمسانى أصله بالدال بعد القاف بمعنى الفرض والتصوير وقال وبالراء بمعنى تبيينه وتمهيده وكل منهما قريب من الآخر فتدبر (ارتماض نفسه) أى اقلاقها واحراقها (بسمة الكذب) بكسر السين أى بوسمته وعلامته من الوسم وأصلها فى المكى الامارة والكذب بفتح فكسر هو الافصح ويجوز بكسر فسكون وهو أنسب اذا قوبل بالصدق للمشاكلة اللفظية كما قال به بعض أرباب العربية فى الابواب الادبية (ثم جعل) أى الله سبحانه وتعالى (الذم لهم بتسميتهم) أى بتسميته اياهم (جاحدين) أى منكرين عنادا (ظالمين) أى بوضع التكذيب موضع التصديق (فقال الله تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه) أى نزهه سبحانه وتعالى (من الوصم) أى العيب وهو بسكون الصاد وضبط فى حاشية بكسر الصاد وهو وهم لانه حينئذ نوصف لا مصدر ولا وجه له هنا (وطوقهم) أى ألزم أطواقهم فى أعناقهم (بالمعاندة) أى بسبب المناظرة على وجه العناد

(بتكذيب الآيات) متعلق بالمعاندة (حقيقة المعاندة) منصوب على المفعول الثانى لطوق وفى بعض النسخ حقيقة للظلم أى تحقيقا للظلم (اذ الجحد انما يكون ممن علم الشئ ثم أنكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) أى تعديا وتكبرا ونصبهما على العلة لجحدوا والجملة بينهما معترضة بالحالية لا يقال ان الجحد بمعنى الانكار فى الماضى مطلقا كما هو مقرر فى علم التصريف

قول المتنبى أقامت فى الرقاب له اياد * هى الاطواق والناس الحمام
والباء للتعدية وقيل انها للسببية (بتكذيب الآيات حقيقة الظلم) هذه الباء متعلقة بالمعاندة وحقيقة منصوب مضاف للظلم مفعول ثان لطوق بمعنى جعلهم كالطوق فى أعناقهم للزومها لهم ففيه استعارة مكنية وجعله حقيقة الظلم الذى هو وضع الشئ فى غير موضعه لانهم وصفوه صلى الله عليه وسلم بالكذب وهم كاذبون وعبر عنه بالاسم الدال على الثبوت وكون اسم الفاعل للحدوث كما ذكره النحاة غير مسلم عند أهل المعانى كما قيل أقول ما ذكره غير واضح لان اسم الفاعل انما يدل على الثبوت اذا ألحق بالاسماء كالمؤمن والكافر ولا خلاف فى هذا بين النحاة وأهل المعانى كما مر (اذ الجحد انما يكون ممن علم الشئ ثم أنكره) ثم للتفاوت الرتبى أو الحقيقى كما مر وهذا ما صرح به أهل اللغة ففى القاموس والصحاح وغيرهما جحد أى أنكر مع العلم فما قيل انه بعيد بعيد ووجه استبعاده أنه يكون ممن جهل كما قاله ولذا ذكر أئمتنا الحنفية فى الاصول انه لو قال للخصم أمقر أنت أم جاحد فان قال مقر أو جاحد فقد أقر و ينبغى أن يقيد هذا بمن كان من أهل اللسان (كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) أتى بهذه الآية استدلالا على ما ادعاه وقيل عليه انا لا نسلم دلالتها على مدعاه فانه لو قيل أنكروها واستيقنتها أنفسهم كان صحيحا فيكفى لمدعاه النقل من أئمة اللغة كما مر ولذا ذهب بعض الشراح الى انه تمثيل لا استدلال وفيه نظر واستيقن وتيقن بمعنى وقال الزمخشرى الاستيقان أبلغ من الايقان ولم يقل استيقنوها مع انه لبيان انهم أخفوا علمهم وأسروه ولان فائدة ذكر الانفس انهم جحدوا بالسنتهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم والعلو هنا بمعنى التكبر عن الانقياد للحق عنادا وفى شرح الصفوى أقول اليقين فى اصطلاحهم الاعتقاد الثابت الجازم المطابق للواقع والعلم أعم موردا فلو أريد بالجحود الانكار مع العلم كما ذكره المصنف رحمه الله أفاد قوله واستيقنتها معنى جديدا على هذا الاصطلاح فلا بعد فيما ذكره لكن اللغويين وأهل العربية فسروا اليقين بالعلم والاظهر حينئذ أن يكون المراد فى الآية مجرد الانكار ليكون قوله استيقنتها تاسيسا الا تاكيدا لما فهم ضمنا ولذا فسر كثير من المفسرين الجحود بالانكار واليقين بالعلم ويمكن أن يكون مراد المصنف رحمه الله تعالى ان الجحود يطلق على الانكار بشرط أن يكون مع العلم وهو خارج عن مفهومه شرط لصحة اطلاقه وهو فى الآية كذلك قطعا لقوله واستيقنتها فيتم الاستشهاد بالآية بلا نزاع واستيقنتها تصريح بما يمكن أن يفهم منه فتامله فانه دقيق انتهى قيل وهو مبنى على أن الشاهد والمثال سيان فى جواز وقوعهما بعد الكاف ويعضده مجىء الكاف للتعليل كقوله تعالى واذكروه كما هداكم وعلى أن اليقين بمعنى العلم شرط خارج عن مفهوم الجحود وانه انما يتم الاستشهاد على التقدير الاول لا الثانى مع انه لا يتم الاستشهاد عليهما جميعا والحق انه تمثيل أقول اذا علمت ان حقيقة الجحد انكار عن علم فادعاء انه شرط خارج تعسف وجريرة والآية الثانية انما أجابها المصنف للاستشهاد المعنوى وبيانه انه تعالى قال فى الآية الاولى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون والدليل النقلى والعقلى دال على أن المراد انكارهم عن علم والا لم يكونوا ظالمين بجحدهم لان الجهل قد يعذر صاحبه لكن لما كان فيها اخفاء أتى بالآية الثانية لما فيها من التصريح بانهم كانوا عالمين فالاستدلال بمعناها الا بلفظ الجحد فيها كما توهموه فوقعوا فيما وقعوا فيه نعم فى ذكر اليقين تاكيد ان لم يكن أخص من العلم وهذا ظاهر فانظر كيف خفى على من يدعى انه بيضة البلد (ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله * ولقد

فوجود العلم يؤخذ من جملة واستيقنتها الا انا نقول الجحد فى اللغة هو انكار مع العلم كما صرح به صاحب القاموس ففى الآية تجريد أو تاكيد ثم حاصل كلام المصنف رحمه الله تعالى أن الجمع بين الامرين وهو نفى تكذيبهم واثبات جحدهم انهم كانوا غير مكذبين له بقلوبهم فانهم يعلمون صدقه فى كل قضية ولكنهم جحدوا بناء على عندهم كما تدل عليه الآية الثانية وهذا تاويل حسن ومسلك مستحسن ويصححه ما روى أن الاخنس بن شريق لقى أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا غيرى وغيرك فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وقيل وجه ثان فى الجمع بينهما وهو أن يكون معنى الآية ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم انهم لما أصروا على تكذيبك مع ظهور المعجزات الخارقة على وفق دعواك لم يكذبوك وانما كذبونى أنا وهذا كما يقول القائل لرجل أهان عبدا له انك لم تهن عبدى وانما أهنتنى وهنا وجه ثالث وهو أن الظالمين ما خصوك بالتكذيب بل عم تكذيبهم لسائر المرسلين ويلايمه ما ذكره المصنف بقوله (ثم عزاه) بتشديد الزاى أى سلاه وصبره (وآنسه) بالضبطين أى سكنه وأزال وحشته (بما ذكره عمن قبله) أى من الانبياء (ووعده النصر) أى على الاعداء (بقوله ولقد

(فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف) وهو نافع والكسائي (فمعناه لا يجدونك كاذبا) فهو من باب أبخلته وجدته بخيلا (وقال الفراء) بتشديد الراء وهو الإمام الكوفي النحوي اللغوي مات سنة سبع ومائتين في طريق مكة ولم يكن يعمل الفرو ولا يبيعها وإنما قيل له ذلك لأنه يفري الكلام أي يصنعه ويأتي بالعجب منه (والكسائي) بكسر الكاف لأنه كان ملتفا بكساء عند قراءته على حمزة وقيل لأنه أحرم بكساء وهذا القول جزم به أبو عمرو الداني في التيسير ونظمه الشاطبي في كتابه وهو أحد القراء السبعة والإمام في النحو واللغة من أهل الكوفة روى عن أبي بكر بن عياش وحمزة الزيات وابن عيينة وغيرهم وعنه الفراء وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما توفي سنة تسع وثمانين ومائة بالري وقيل بطوس والحاصل أنهما قالا في معنى لا يكذبونك بالتخفيف (لا يقولون أنك كاذب) فيكون معناه بالنسبة كالإكفار والتكفير وهو أنسب للجمع في المعنى بين القراءتين (وقيل لا يحتجون) أي لا يستدلون (على كذبك ولا يثبتونه) أي شبهة فضلا عن حجة وهو راجع إلى قولهما في المعنى وإن اختلاف في

كذبت رسل من قبلك * الآية) التعزية من العزاء وهو الصبر ومعناها تسلية المصاب بما يخفف حزنه
قال
هي الشمس مسكنها في السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا
ويختص في العرف بما يقع عند الموت كقول أبي فراس
كن المعزى لا المعزى به * ان كان لابد من الواحد

وآنسه بفتح الهمزة من غير مد وتشديد النون أو بالمد وتخفيفها أي أذهب وحشته وقلقه مما لقيه منهم ورجع الأول لمشاكلته لعزاه ووعده النصرة في الآية لقوله تعالى فيها ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله أي مواعيده بنصر أنبيائه وأوليائه بقوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وقوله تعالى فيها إنا لننصر رسلنا والوعد فيها له ولهم ظاهر ولا حاجة لما قيل أن في هذه الآية دليلا على تحقيق مقام النبوة فإنه غني عن البيان وقوله بما ذكره عمن قبله روى عمن كان قبله أي فهون عليك واصبر حتى يأتيك النصرة قد كذب اخوانك وصبروا حتى نصروا وهذه الآية تدل على أن نفي التكذيب في الآية السابقة ليس على اطلاقه كما ذكره البيضاوي ويحتمل أن يكون المعنى هون عليك جحودهم لآيات الله وما جئت به واصبر فإن اخوانك قد كذبوا وأوذوا حتى نصروا فلا تدل الآية على ما ذكر وقد قيل في معنى الآية أنها كقول السيد لعبده ما أهانوك بل أهانوني قاصدا تعظيم الأمر وتقريره ان اهانتك اهانتي لا نفي الاهانة وهو كلام حسن جدا (فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا) هي قراءة نافع والكسائي من أكذبه كأبخله إذا وجده كاذبا وبخيلا وهذا أحد معنى صيغة الافعال كما ذكره النحاة في أبنية الفعل ومعناه أن صيغة الثلاثي موضوعة للاتصاف الفاعل بالحدث فإذا دخلت عليه الهمزة كان لمعان أخر منها وجد أن الفاعل للمفعول متصفا بالحدث الذي دل عليه الثلاثي وهو معنى حقيقي وضعت له هذه الصيغة ويلزم من كونهم لا يجدونه متصفا أنهم لا يعتقدون كذبه سواء قالوا انه كاذب أم لا ففيه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا (وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب) الفراء هو الإمام أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الاسلمي الدولي الكوفي النحوي اللغوي المفسر كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بفنون الأدب وتفسيره من أجل التفاسير وعليه اعتماد الزمخشري توفي سنة سبع ومائتين بطريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة وإنما لقب بالفراء لأنه كان فصيحا يفري الكلام ويفصله فليس نسبة للفراء لعملها أو بيعها * والكسائي هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن ابن فيروز الأسدي الكوفي أحد القراء السبعة امام النحو واللغة والقراآت عاش سبعين سنة ومات في سنة ثلاث وثمانين ومائة برنبويه قرية من قرى الري وقيل بطوس والذي لقبه بالكسائي حمزة شيخه لأنه كان يجيئه ملتفا بكساء وقيل لأنه أحرم في كساء ولما لم يجد هذا المعنى السابق في كتب النحو المشهورة السيد الصفوي قال هنا أن هذا بناء على أن أكذب ككذب للنسبة كما صرح به الإمام والقاضي أو أن معناه بين كذبه كما في القاموس ويؤيده ما نقله الواحدي عن الفراء أن معناه لا يجعلونك كذابا بل يقولون أن ما جئت به باطل وفي الصحاح نقلا عن الكسائي أن أكذبته بمعنى أخبرته أنه جاء بالكذب وهو لا يوافق المنقول وبالجملة أن في هذه النقول اضطرابا وتبعه ابن الحنبلي في شرحه وهو كله من قصر الباع وقلة الاطلاع فإن هذا المعنى صرح به أئمة العربية قال ابن عصفور في كتاب الممتع من معاني أفعل التسمية كقولهم أكفرته وأخطأته أي سميته كافرا ومخطئا انتهى وهو معنى النسبة في العرف لأنهم يقولون نسبه للزنا إذا قال انه زان فالاضطراب إنما هو من عدم الوقوف على الصواب (وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه) عطف تفسير لأن معنى يحتجون يقيمون حجة مثبتة لما ادعوه وفي بعض النسخ لا يجتمعون قيل كأنه تفسير باللازم فإن من معانيه لا يجعلونك كاذبا والجعل إنما يكون إذا أثبتوا كذبه فيلزم من نفي الجعل نفي الاحتجاج ومعناه على

المبنى (ومن قرأ بالتشديد) وهم الباقون (فمعناه لا ينسبونك الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك) وهو خلاصة المعتبين وزبدة القراءتين (ومما ذكر من خصائصه) أى الدالة على زيادة قدره (وبر الله تعالى به) أى اكرامه له من بين أصفيائه (ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام) أى المذكورين فى القرآن (باسمائهم) أى باعلامهم دون أوصافهم الدالة على اعظامهم (فقال يا آدم) أنبئهم باسمائهم (يا نوح) اهبط بسلام منا (يا ابراهيم) قد صدقت الرؤيا (يا موسى) انى أنا الله (يا داود) انا جعلناك خليفة (يا عيسى) انى متوفيك (يا زكريا) انا نبشرك (يا يحيى) خذ الكتاب بقوة وأمثال ذلك (ولم يخاطب) بفتح الطاء ويروى ولم يخاطبه كذا ذكره الحجازى لكن لا يلائمه قوله (هو) ولعله غير موجود فى تلك الرواية (الا يا أيها النبى يا أيها الرسول يا أيها المزمل يا أيها المدثر) يعنى فهذا كله دال على رفعة منزلته عنده فان السيد اذا دعا أحد عبيده باوصافه المرضية واخلاقه العلية ودعا غيره باسمه العلم الذى لا يشعر بوصف من الاوصاف الجلية دل على ان عزته عنده أكثر من غيره كما فى عرف المخاطبة وآداب المحاورة ومعنى المزمل وأصله المتزمل المتغطى بالثوب وكذا المدثر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لخديجة رضى الله تعالى عنها حين رجع من غار حراء بعدما جاوره الملك ما جاوره زملونى زملونى وفى رواية أخرى دثرونى دثرونى على ما ورد فى الصحيح وانما خوطب بالمزمل والمدثر فى هذا المقام للملاطفة والتانيس اذ من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة أن تسمى المخاطب باسم تشتقه من الحالة التى هو فيها كقوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة قم يا نومان ولعلى بن أبى طالب وقد نام فى التراب قم يا أبا تراب هذا بحسب دلالة الخطاب ومن ذلك أنه تعالى منع الخلق صريحا أيضا فى الكتاب أى لسد هذا الباب حيث قال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقد قال كثير من العلماء أى لا تقولوا يا محمد يا أحمد ونحوهما ولكن قولوا

النسخة الاخرى ان منهم من يعرف بطلان قوله فلا اعتداد به الا انه لا يناسب قوله ولا يثبتونه * أقول الصحيح الاول وتوجيهه ان أفعل يكون للدلالة على الشئ والايصال اليه وهو انما يكون بالبيان والحجة لا بما ذكره قال فى الممنع تقول أبصره أى دله على وجود المبصر وأغفلته أى وصلت غفلته اليه وأما على النسخة الاخرى فالمعنى ظاهر وبما قررناه علمت سقوط ما قيل من ان هذا التفسير لا يناسب المقام ولا يلائم الجحد (ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب) كقولهم فسقته اذا نسبته الى الفسق وعممته اذا نسبته لبنى تميم وهذه النسبة أعم من النسبة المصطلح عليها وهذا أعلى الوجوه السابقة (وقيل لا يعتقدون كذبك) وهذا توفيق بين ما ورد فيه التصريح بتكذيبهم له صلى الله عليه وسلم وما فى هذه الآية من قولهم لا يكذبونك بان المثبت قولهم والمنفى اعتقادهم لمعنى ما قالوه وأورد عليه أن الاعتقاد المنفى لا يخلو من أن يكون جازما فيكون عين التفسير الاول وحكايته تقتضى انه غيره أو غير جازم بان يظنوا صدقه ويتوهموا كذبه وهذا مما يشق عليه فليس فيه تطمين له كما فى الاول ورد بان المراد الاول بلا شبهة واحتماله للثانى بعيد وقصد المصنف بعدما قرره نقل أقوال المفسرين فى القراءتين لينزل ما قاله عليه بدليل تفريعه عليه بالفاء فى قوله فمن قرأ الى آخره والمعترض توهم ان ما هنا مخالف ومغاير لما قبله فقال ما قال والظاهر انه لا اختصاص لهذين القولين بقراءة دون قراءة ولو قيل بالاختصاص لم يكن فيه باس فان منهم من جعل القراءتين بمعنى كما قالوا اقللت وأقللت وكثرت وأكثرت ولك أن تقول المعنى على هذا ان نفى تكذيبهم مطلقا لجعل ما قالوه بمنزلة العدم لعلمهم بخلافه كما قيل فى قوله تعالى لا ريب فيه مع كثرة المرتابين فيه وهذا يدل على انهم معترفون بصدقه اعتقادا فقط الا ان قولهم بمنزلة العدم وما قرره المصنف وارتضاه مبنى على أنهم معترفون بصدقه حقيقة قولا واعتقادا فلا غبار عليه (ومما ذكر من خصائصه) صلى الله تعالى عليه وسلم (وبر الله تعالى به) الخصائص جمع خصيصة وهى ما خص به دون غيره تمييزا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتفضيلا له على غيره كما مر وأتى بمن اشارة الى كثرتها حتى أفردت بالتصنيف وبر الله به احسانه ولطفه كما مر (ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام باسمائهم فقال يا آدم) بدأ به لانه أبو البشر صلى الله تعالى عليه وسلم المقدم عليهم وهو علم ممنوع من الصرف بالاتفاق للعلمية والعجمة ووزنه فاعل كآزر وعاذر وجمعه أوادم وآدمون وقيل انه عربى مشتق من أديم الارض أو من الادمة لون بين السواد والحمرة وأصله على هذا أأدم بالهمزة فابدلت الثانية ألفا ووزنه أفعل ومنعه من الصرف للعلمية ووزن الفعل ومن الغريب ما قيل انه منقول من فعل الرباعى كما حكى عن الطبرى وفيه نظر (يا نوح يا ابراهيم يا موسى يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى) وروى تقديم يا عيسى على ما قبله وهذه الاعلام ووقوع الخطاب بها فى القرآن كقوله تعالى يا آدم أنبئهم باسمائهم غنى عن البيان (ولم يخاطب هو) بصيغة المجهول وضمير هو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى لم يخاطبه الله فى القرآن باسمه وفى نسخة لم يخاطبه بالبناء للفاعل والضمير المتصل وقيل هو الاولى والاوجه له (الا) بعبارة فى ندائه دالة على تعظيمه وملاطفته لمنزلته عند ربه كقوله (يا أيها النبى يا أيها الرسول يا أيها المزمل يا أيها المدثر) معنى النبى والرسول معلوم وقدم

النبي لانه أعم كقوله تعالى يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال * يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر * يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا * يا أيها المدثر قم فانذر قيل الخاصة انما هي عدم الخطاب بالاسم وجعله خاصة بحسب الظاهر المشهور ولئلا يشكل بما سيجيء من ان يسين بمعنى يا محمد ونحوه ما قيل في طه أيضا فيعتذر عنه بانه بناء على عدم ثبوت هذا وفي العدول عن الاسم الى الصفات الحسنة تعظيم في العرف يعرفه كل أحد وفي شرح التجاني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يذكر باسمه في النداء وذكر في الخبر كقوله تعالى محمد رسول الله * وما محمد الا رسول لانه ورد مورد التعيين والتعليم لان صاحب هذا الاسم هو الرسول ونحو قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لما لم يرد هذا المورد لم يذكر باسمه والمزمل أصله المتزمل أي الملتف بثوب ونحوه وفيه تفاسير أخر والمدثر أصله المتدثر أي لابس الدثار وهو البرد الذي فوق الثياب وفيهما تلميح الى قوله لخديجة رضي الله عنها حين رجع من حراء زملوني زملوني وفي رواية دثروني دثروني والقصة مشهورة في كتب الحديث أي غطوني وذكر المدثر والمزمل للملاطفة والتأنيس على عادة العرب بخطابهم بما يدل على حاله حين الخطاب كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه يا أبا تراب لما رآه نائما عليه فلو ناداه سبحانه باسمه وبأمر عار عن مثل هذه الملاطفة وفؤاده يرجف شق عليه فاذ أبدأه بما يؤنسه وفيه نكتة ذكرها الامام السهيلي وذلك لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنا النذير العريان وهو مثل للعرب فتمثل به صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يقول من بالغ في الانذار بقرب العدو لان المستغيث كان يتعرى ويرفع ثوبه ليرى من بعيد لئلا يسبق العدو صوته وقيل أصله أن رجلا سلبه العدو فجاء قومه منذرا على تلك الحالة فقوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر وقوله أنا النذير العريان أي مثلي مثله فيه اشارة الى أن المدثر يضاد النذير ففيه تلميح وتلميع وتطرق للملاطفة كما في الاستعارة التمليحية التي ذكرها أهل المعاني وان لم يكن منها وما ذكره المصنف رحمه الله في خطاب الله له باسمه في القرآن فلا يرد عليه كما توهم خطاب الله بقوله تعالى انك لا تهدي من أحببت وقوله له في المحشر ارفع رأسك وقل يسمع لك يا محمد ولم يقل يا أيها النبي ويا أيها الرسول فان قيل الحكمة فيه انه أخصر ففيه سرعة اجابته وتطويل الكلام غير مناسب في مقام الاذن في الشفاعة وقال السيوطي ان الله شرف أمته صلى الله تعالى عليه وسلم بخطابهم في القرآن بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا وخاطب الامم السالفة بيا أيها المساكين * واعلم أنه قال في الامتاع ان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يجوز لاحد أن يناديه باسمه فيقول يا أحمد يا محمد بل يقول يا نبي الله يا رسول الله لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقوله تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض وبهذا فسرها مجاهد والضحاك ومقاتل وسعيد بن جبير وأجيب عن قول الاعرابي يا محمد أتانا رسولك الحديث بانه قبل النهي أو هو صدر منه قبل اسلامه وهل مثله الكنية نحو يا أبا القاسم فيه نظر انتهى ويأتي الكلام على ذلك والظاهر أن ذلك مخصوص بخطاب المشافهة في حضوره حال حياته

(الفصل الرابع في قسمه تعالى) وفي نسخة عز وجل (بعظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة تسليما والقسم يكون بمعنى الاقسام وهو الاتيان بالقسم وهو المراد ويكون بمعنى المقسم به وقال النحاة أنه مصدر ليس بجار على فعله وقياسه الاقسام وهو في عرفهم جملة انشائية يؤكد بها جملة أخرى لا على جهة التبعية (قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) المقصود من هذا الفصل بيان القسم نفسه والمقسم عليه كما في الفصل الذي بعده فيغايرهما والفرق بينهما ظاهر فالباء في بعظيم قدره متعلقة بالقسم لا سببية حتى يتداخل المقصدان فيحتاج لارتكاب تكلفات في الفرق بينهما وعظيم قدره اما بمعنى قدره العظيم أو الاضافة بيانية والمقسم به حياته وذاته ونحوهما والمقصود من المقسم به تعظيمه

يا رسول الله يا نبي الله وان مناداته عليه الصلاة والسلام باسمائه الاعلام من نوع الحرام في الاحكام

(الفصل الرابع) (في قسمه تعالى بعظيم قدره) القسم بفتحتين الحلف (قال الله تعالى لعمرك) أي قسمي يا محمد لعمرك (انهم لفي سكرتهم) أي غمرتهم وغفلتهم (يعمهون) أي يتحيرون ويترددون والضمير لقوم لوط وقيل راجع الى قريش وهو بعيد جدا غير ملائم للسابق واللاحق على ما ذكروه والاظهر أن الجملة قسمية معترضة فيما بين القصة فلا يبعد أن يكون الضمير راجعا الى كفار قومه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الملائم لخطابه وحكاية غفلتهم عن جنابه ثم رأيت الطبري جزم بأن ضمير يعمهون لقريش والجملة اعتراض بين الاخبار بقبائح قوم لوط وبين الاخبار بهلاكهم تنبيها على ان من كان هذا دأبه فجدير ان لا ينفعه تأديب ولا يؤثر فيه تأنيب وتنفير للسامع عن هذه القبائح المورثة الفضائح

وتقرير المقسم عليه فى الذهن وتمكينه والعرب من عادتها أن تقسم بالشئ اذا أرادت تعظيمه حتى تجعل
الجمل قسما من غير حرف القسم وهذا هو القسم الذى عدوه من أنواع البديع كقوله

بقيت وفدى وانحرفت عن العلا * ولقيت أضيافى بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

قال المرزوقى هذا من الايمان الشريفة ولفظه لفظ الخبر وظاهره الدعاء ومحصوله القسم وكرره فى مواضع من شرح الحماسة وأشار اليه الزمخشرى وقل من تنبه له وهذه الآية فى قصة لوط عليه الصلاة والسلام وماذكره المصنف رحمه الله تعالى مبنى على أن هذا الخطاب لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على أحد الوجهين فيها وفى الكشاف أنه على ارادة القول أى قالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام لعمرك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرجح الاول لانه المناسب للسياق ورجح المصنف رحمه الله تعالى الثانى لانه تعالى لما قص عليه قصته بتمامها الى قوله هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين خاطبه ببيان ماهم عليه من الضلالة مقسما بحياته واختاره لموافقته لمقتضى الحال وضمير انهم لقوم لوط وسكرتهم غفلتهم وغلبة الهوى والشهوة عليهم حتى صاروا اسكارى لايميزون الخطا من الصواب ويعمهون يتحيرون لعمى بصائرهم والعمى فى البصر والعمه فى البصيرة كمامر وفيه استعارة تحقيقية مرشحة بالعمه وشبه تمكنهم فى الغفلة المحيطة بهم بتمكن المظروف فى الظرف لانهم لم يفدهم النصح للامة طباعهم وحسة أنفسهم ففيه استعارة أخرى تبعية حرفية وقيل ان ضمير انهم لقريش وقال التجانى أنه بعيد لانقطاع الآية عما بعدها وما قبلها ولذا قيل أن الجملة على هذا معترضة وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية أو لتشبيه الماضى بالحال فتدبر (اتفق أهل التفسير فى هذا) الكلام أو اللفظ الذى هو لعمرك (انه قسم من الله جل جلاله) هو اسناد مجازى كجد جده وسعد سعده كمامر وتحقيقه فى كتب المعانى (بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) المدة بالضم مقدار من الزمان قليلا كان أو كثيرا من مده اذا بسطه وفى بعض الشروح القسم للتعظيم اذ لم يقسم بحياة أحد غيره والكلام مسوق للاخبار بقبائح قوم لوط عليه الصلاة والسلام واهلاكهم تنبيها على أن من كان هذا دأبه لم ينفع انصحه وتنفيرا عن ارتكاب مثله من المفاسد ودعوى المصنف رحمه الله تعالى الاتفاق دعوى بينتها غير مقبولة لقول جماعة من المفسرين انه قسم بمدة حياة لوط عليه الصلاة والسلام اذ قالت له الملائكة ذلك بشهادة السياق انتهى وكذا القول بانه تعالى لم يقسم بمدة حياة أحد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على ما يأتى وقيل أيضا العمر مطلق الحياة أى سواء كانت المدة بتمامها أو بعضها وقيل المراد البقاء فلا اتفاق أيضا على أحدهما الا أن يريد بمدة الحياة معنى يشملهما وفيه نظر والجواب بان المراد اتفاق من عليه المدار ولو عند المصنف لايجدى نفعا كالقول بان الاتفاق انما هو على القسمية ولو قيل المراد باهل التفسير مفسروا السلف الذين اقتصروا على التفاسير المأثورة كابن عباس رضى الله تعالى عنهما لكان وجيها وعلى هذا فتأخيره وحكايته بقيل غير مناسب وعلى كل حال فالكلام لايخلو من الكدر (وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال) قال ابن مالك رحمه الله تعالى فى باب المبتدأ والخبر يحذف الخبر وجوبا اذا كان المبتدأ صريحا فى القسم ومثلوا له بقولهم لعمرك لافعلن كذا أى لعمرك قسمى أو ما أقسم به وقال الدمامينى فى شرح التسهيل جواب القسم ساد مسد الخبر والعمر والعمر بمعنى ولا يستعمل مع اللام الا المفتوح لان القسم موضع التخفيف لكثرة استعماله واحترز بالصريح عن نحو عهد الله فيجوز حذف خبره واثباته لانه غير صريح فى القسم واستشكله شيخنا ابن قاسم بان الفقهاء صرحوا بأن كلا منهما كناية لاتنعقد به اليمين الا بالنية وقالوا المراد بالعمر البقاء والحياة وأجاب بان المراد

(اتفق أهل التفسير فى هذا) أى فى قوله لعمرك (انه قسم من الله تعالى بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وقيل المراد به لوط كما ذكره البيضاوى فالمراد باهل التفسير أكثرهم وجمهورهم مع أن البغوى أيضا اقتصر على الاول ثم اذا كان المراد به لوطا فالقائل الملك لئلا ينافى ما رواه البيهقى وابن أبى شيبة وابن جرير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما حلف الله تعالى بحياة أحد الا بحياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمرك بل أخرجه ابن مردويه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا قال ما حلف الله بحياة أحد الا بحياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمرك (وأصله) أى أصل استعمال العمر (بضم العين من العمرك ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال) والاظهر ان يقال العمر بضمتين وهو الافصح الوارد فى القرآن وبالضم والفتح أيضا على ما فى القاموس الا انه لا يستعمل فى القسم الا بالفتح لخفة لفظه وكثرة دورانه كما فى البيضاوى وغيره

بصراحة الاول اشعاره بالحلف مطلقا فى استعمالهم وأرادوا بنفى كونه يمينا انه لا يعتدبه شرعا وقالوا فى باب القسم يقال عمرك الله بنصب عمر ويجوز فى الله النصب والرفع وعمر مصدره محذوف الزوائد لان فعله عمر بالتشديد ويقال عمرتك فى القسم أيضا ومعناه ذكرتك بالله أو عمرت قلبك بذكره قال الشاعر

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

وفيه كلام فى شروح الكشاف لا يسعه هذا المقام وقال السيوطى فى مختصر نهاية ابن الاثير المسمى بالدر النثير فى الحديث خرجوا عمارا أى معتمرين جمع عامر من عمر بمعنى اعتمر وان لم يسمع فلعل غيرنا سمعه قال الزمخشرى وعمرك الله اى اسأله ان يطيل عمرك ولعمر بالفتح العمر ولا يقال فى القسم الا بالفتح ولعمر الهك قسم ببقاء الله ودوامه انتهى وفى شرح الصفوى قال فى المواهب انه قسم عند الحنفية والمالكية وكناية عند الشافعية واللام لتأكيد القسم والمهم جوابه ووقع فى بعض النسخ بفتح العين وجعل الضم أصلا لم يذكره أهل اللغة لكن فى تفسير القاضى ان الفتح لغة فى الضم وهو يشعر بما ذكره المصنف انتهى ملخصا ومثله فى شرح التجانى وقال ان المصنف رحمه الله تعالى لم يحقق هذا الموضع وفى التقريب فى شرح الغريب العمر بضم وبضمتين الحياة وهو يشعر بعكسه * أقول هذا ما قاله الشراح برمته وهو لم يصف من الكدر وتحقيق هذا المقام على وجه ينفض عنه غبار الاوهام ان العمر بالفتح مصدر عمر المشدد وأصله التعمير فحذفت زوائده وله معنيان تعمير الله اياك أو قلبك وهو على هذا صفة من صفات الله فيصح القسم به حقيقة وهذا ما احتج له ساداتنا الحنفية والنحاة والعمر بضم العين مخصوص بالانسان وهو مدة وجوده فى الدنيا فلا يصح القسم به شرعا لكن الله له ان يقسم بما شاء كقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى) فالضم أصل فى هذا المعنى لاختصاصه به فى غير القسم فاذا أريد بالمفتوح هذا لا باس ان يقال انه من قبيل معناه أو معدول به عنه ويؤيده ما فى شرح أدب الكاتب للاقليلى انه سمع نادرا لعمرك بضم العين واذا لم يرد هذا المعنى فى قسم الناس صح ان يقال ان كناية لتوقفه على النية كالمشترك وأما العرب فيقسمون بما أرادوا فلا منافاة بين ما ذكره النحاة وما ذكره الفقهاء ولا حاجة لما قاله شيخنا مع ما فى قوله لا يعتدبه شرعا من الوهم وبهذا اتضح ما قاله القاضى (ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك) البقاء مجاز عن حياته فى الدنيا وتمام عمره والحياة أعم منه لصدقها على البعض والكل فالمغايرة بينهما ظاهرة والعيش له معان فى اللغة منها الحياة فان فسر به هنا كانت المغايرة بينه وبين ما بعده لفظية ولذا فسره التلمسانى به هنا لئلا يتكرر مع ما بعده وقيل انه بعيد ولو فسر بالمعيشة فى دنياه وجعل عبارة عن الزهد والتقشف لم يبعد وقيل المراد معيشته الواسعة الفائضة على غيره فهو عبارة عن سخائه وجوده وهذه التفاسير كلها مأثورة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من طرق مختلفة ونقل الاخفش معنى آخر وهو وحقك على أمتك وقيل وعرض لوط صلى الله تعالى عليه وسلم بناته انما هو اشارة الى نساء أمته لانه كالاب لهم أى ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فعليكم بالحلال ولو حمل على ظاهره من تزوجهم بناته لا مانع منه وقيل المراد دوام أبدا لاثبا دمعه كما قيل

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

وهو بعيد ومن الغريب ما نقل عن مجاهد ان المعنى لعمرك من قولهم لعمر الله أى بعبده والمعانى التى ذكرها حقيقة لتصريح أهل اللغة بها فلا وجه لدعوى التجوز فيها (وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف) تأنيث الاشارة لانها الكلمة المقسم بها أو باعتبار الخبر وانما كان كذلك لان العظيم اذا قال لاحد عبيده وحياتك كان ملاطفة وتكريما فكيف برب الارباب فى مثل هذا الكتاب وقيل وجه كونه نهاية التعظيم كونه ربه اقسم به وقيل انه فى خصوص القسم بالحياة لانه فى العرف يدل على كمال الالفة

والمحبة

(ومعناه) أى كما رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس (وبقائك) أى ومدة بقائك فى الدنيا (يا محمد) كقوله تعالى والعصر أى عصر نبوته فى قوله أو بقائك بناء بعد فنائك فينا (وقيل) أى كما رواه ابن أبى طلحة عن ابن عباس أيضا وعزى الى الاخفش (وعيشك) أى وطيب معيشتك فى الكونين لقوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة أى فى الدنيا بالزهد فيها والتقليل منها والصبر على مرها والشكر على حلوها (وقيل وحياتك) أى باسمنا المحيى والتخصيص للتشريف والكل بمعنى واحد وانما ذكرها الاختلاف ألفاظها (وهذه) أى المعانى كلها (نهاية التعظيم وغاية البر) أى التكريم (والتشريف

والمحبة كما يشهد به الذوق والطبع السليم فتامله (قال ابن عباس رضى الله عنهما ما خلق الله وماذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) الخلق الايجاد وذرأ وبرأ بالهمزة فيهما وان كان بمعناه فيكون ذكرهما للتوكيد وقد يفرق بينهما بالاعتبار بان يكون ذرأ من الذرية وبرأ بمعنى صور أى لم يوجد أحدا أشرف منه ذاتا ونسبا وصورة أكرم من محمد صلى الله عليه وسلم وقد عرفت فيما سبق ان مثل هذه العبارة يفيد انه ليس أحد أفضل منه ولا مساويا له وقد حققناه قبل هذا ودخل فيه الملائكة عليهم الصلاة والسلام مطلقا حتى خواصهم كجبريل عليه الصلاة والسلام بناء على المذهب الحق انه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل منهم ولا عبرة بمن اختار خلافه كالزمخشرى وغيره من المعتزلة وقد سئل بعض البصريين عمن يقول بتفضيل الملائكة على البشر على الاطلاق هل يفسق بذلك فاجاب ان عنى هذا القائل بالاطلاق دخول المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك فهذا أمر فوق الفسق لمخالفته للاجماع وان عنى من عداه صلى الله تعالى عليه وسلم فالخلاف فيه مشهور والامساك اسلم كما قال الشافعى رضى الله تعالى عنه لما سئل عن مثل ذلك كنا نتكلم فى فضول الاصول فصرنا نتكلم فى أصول الفضول فقيل له اجزم بالصواب من الجواب فقال هذا عار عظيم المصارع يخشى على قناعه من المقارع والمسئلة طويلة الذيل وما وقع من صاحب الكشاف فى سورة التكوير من تفضيل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام فهو خرق لاجماع من يعتد باجماعه وقد تصدى للرد عليه فيه ابن خليل السكونى وغير واحد فليحذر كلامه أعنى الكشاف كله من أمثال هذا مما يخالف السنن القويم انتهى وسيجئ تحقيقه الآن بعض الشراح تعقبه المصنف بانه لو قال روحا أى ذا روح كان أصرح فى تفضيله على الملائكة عليهم الصلاة والسلام أى لان النفس ربما يقال انها لا تطلق عليهم لتفسير بعض أهل اللغة لها بالجسد وان جاز تفسيرها بالروح فانه أحد معانيها وعلى هذا يتجوز أو يقدر فى قوله من محمد من نفس محمد كما قيل (وما سمعت الله تعالى) قيل المراد ما علمت من اطلاق السبب على مسببه اذ السماع قد يفيد العلم وقيل انه هنا من النواسخ الداخلة على المبتدأ والخبر على ان المفعول الاول مصدر الخبر المضاف الى المبتدأ واليه ذهب الرضى وغيره فى فعل السماع الداخل على الذوات كسمعت زيدا يقول كذا بشرط كون الخبر مما يسمع والتقدير ما سمعت أقسام الله تعالى لا من نبى ولا من كتاب يتلى وقصره على الثانى قصور والجملة مبنية للقدر وفيه انهم شرطوا فيه ان يكون السماع بغير واسطة كما صرح به فى حواشى المطول وفيه كلام فصلناه فى طراز المجالس (أقسم بحياة أحد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى بعض النسخ غيره وبعد ما ذكر هذا ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تلى الآية لعمرك الى آخره وكلمة غير مجرورة صفة أحدا وبدل منه الا انه على هذا كما قيل لا يفيد انه اقسم بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانما يفيد انه لم يقسم بغيره ولذا تلى الآية ليستفاد منها المعنيان معا بخلاف ما لو نصب على الاستثناء فانه يفيدهما صراحة ولا وجه له فانه يفيدهما على الوجهين بقرينة السياق كما مر فى قوله ما خلق نفسا أكرم من محمد وأما أحد فقال شراح الكشاف فى قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله انه يستوى فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث وهو فى حيز النفى يعم القليل والكثير مجتمعا ومنفردا بخلاف الواحد فانه يقال ما فى الدار واحد بل اثنان ولا يقال مثله فى أحد وذكره التفتازانى وقال معناه ما ذكره أهل اللغة من أن أحدا اسم لمن يصلح ان يخاطب فيستوى فيه الواحد المذكر وغيره فاذا أضيف اليه بين وأعيد اليه ضمير جمع ونحوه فالمراد به جمع من الجنس الذى يدل عليه الكلام فمعنى لا نفرق بين أحد لا نفرق بين جمع الرسل ومعنى فما منكم من أحد ما منكم من جماعة وكثير من الناس يسهو فيزعم

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) أى فيما رواه البيهقى فى دلائله وأبو نعيم وأبو يعلى (ما خلق الله) أى ما قدر (وماذرأ) أى خلق وكانه مختص بالذرية وفى الحديث انهم ذرء النار أى انهم خلقوا لها (وما برأ) أى خلق الخلق من البرأ وهو التراب أو مختص بذات الروح ولذا يقال يا بارئ النسمة أو معناه خلق خلقا بريئا من التفاوت أو أريد بالثلاثة معنى واحد وكرره للتاكيد كما فى الحديث نعوذ بالله الذى يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه من شر ما خلق وذرأ وبرأ والمراد ما أوجد من العدم (نفسا) أى شخصا ذا نفس (أكرم عليه) أى أنفس عنده وأفضل لديه (من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ثم كان كالدليل عليه (وما سمعت الله عز وجل) أى ما علمته (اقسم بحياة أحد غيره

ان معنى ذلك انه نكرة وقعت فى سياق النفى فعمت فكانت بهذا الاعتبار فى معنى الجمع كسائر النكرات وفى التلويح نقلا عن النحاة أنك اذا قلت خذ أحد هذين فالفه منقلبة عن واو و يستعمل فى الاثبات واذا قلت ماجاءنى أحد فالفه ليست منقلبة عن واو ولايجوز استعماله فى الاثبات وهذا مشكل لان اللفظين صورتهما واحدة ومعنى الوحدة موجود فيهما والواو فيهما أصلية فيلزم قطعا انقلاب الالف عنها فيهما واذا كانا مشتقين من الواحدة وأما جعل أحدهما مشتقا منها دون الآخر فترجيح من غير مرجح ولم أر من تعرض لهذا حتى رأيت العلامة القرافى فى كتابه العقد المنظوم فى الفاظ العموم أجاب عنه بان أحدا الذى لايستعمل الافى النفى معناه انسان باجماع أهل اللغة واحد الذى يستعمل له الاثبات معناه الفرد من العدد واذا كان مسمى أحد اللفظين غير مسمى الآخر غايره فى الاشتقاق فانه مناسبة بين اللفظين فى الحروف والمعنى ولايكفى فيه أحدهما فعلم من هذا ان أحدا الذى لايستعمل الافى النفى ماهو واحد المستعمل فى النفى والاثبات فان كان المقصود منه انسانا فهو الاول وألفه ليست منقلبة عن واو وان كان المقصود منه نصف الاثنين فهو الصالح للنفى والاثبات وألفه أصلية انتهى وفيه بحث وقد أشار الى هذا هنا بعض الشراح ولم يهذبه (وقال أبو الجوزاء) بفتح الجيم و واو ساكنة وزاى معجمة يابها المدوهم أبو الجوزاء أيضا غير هذا وأبو الحوراء بمهملتين راوى حديث القنوت وهذا اسمه أوس ابن عبدالله الرابعى البصرى يروى عن عائشة رضى الله عنها وصفوان بن عسال رضى الله تعالى عنه وغيرهما وهو ثقة كما قاله الحاكم وأخرج له الستة وتوفى سنة ثلاث وثمانين مقتولا فى الجماجم (ما أقسم الله تعالى بحياة أحد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أكرم البرية عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم قيل غير هنا منصوب على الاستثناء وقد سمعته آنفا مع ماله وعليه وقد مر أيضا ان عند ظرف مكان فلا يضاف اليه تعالى حقيقة و ورد فى القرآن لمعان منها الحلم والعلم كما فى آية الافك فى قوله تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وقد يراد بها القرب و رفعة المرتبة وهو يكون بالثواب على أنواعه و يصح ارادة كل منها هنا والبرية الخليقة من برأ النسمة فيجوز همزه وتخفيفه والثانى أفصح وأكثر وهو يدل على انه غير معتل من البرى بمعنى التراب كما ذهب اليه بعض أهل اللغة ثم انه قيل ان الاكرمية لاتقتضى حصر القسم فيه دون غيره ولا قصرها على حياته دون ذاته فالتعليل غير تام الا أن يقال عادة العرب لمن أحبوه وعظموه أن يقسموا بحياته دون ذاته فان القسم بالذات انما يقتضى العظمة والشرف ولا يلزم من التعظيم القسم ولا التخصيص به فان القسم مطلقا قد يتعدد القسم به وقد يقسم بفاضل مع وجود الافضل وكون الاكرمية تقتضى التخصيص ببعض الامور فلذا خص بما ذكر لانها تقتضى هذا بخصوصه لايخفى مافيه أقول هذا كله من التعسفات التى لاحاجة اليها فان فيما ذكر تكريما وتعظيما خصه الله به على ما اختاره المصنف رحمه الله تعالى فلا يحتاج الى اقامة برهان منطقى عليه وكله من ضيق العطن وانما تعرضت له لئلا يظن ان فى السويدا رجال وأكرم من الكرم وهى صفة جامعة لكل خير و يقال هذا تكرم على أى هو عزيز عظيم فى قلبى ونظرى وهو فى العرف يختص بالجود وليس بمراد هنا الا بمعنى انه أكثر جامعية لكل خير عنده (وقال الله تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات) لم يصرح ببقية الآيات لانها ليست مما نحن فيه بل باعتبار المقسم عليه من الفصل التالى ولم يذكرها هنالك اكتفاء بما ذكره هنا وتفننا فى التصريح ببعض المقاصد والتلويح لبعضها والتفنن فى التعبير فن من فنون البلاغة وسياتى فى أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يتعلق بيس (اختلفت المفسرون فى معنى يس على أقوال فحكى أبو محمد مكى) رحمه الله تعالى تقدم الكلام فى ترجمته والاقوال فيه كثيرة حكى منها بعض الشراح ستة وهى أن معناه ياسيد أو ياانسان فى لغة طى كما يأتى أو هو اسم

وقال أبو الجوزاء) بجيم وزاى مفتوحتين بينهما واو ساكنة فألف بعده همزة أوس بن عبدالله الربعى البصرى يروى عن عائشة وغيرها وعنه قتادة وعدة أخرج له الجماعة الستة وأما أبو الحوراء بالحاء المهملة والراء فراوى حديث القنوت (ما أقسم الله عز وجل بحياة أحد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أكرم البرية عنده) والبرية بالهمزة والتشديد بمعنى الخليقة ومنه قوله تعالى أولئك هم خير البرية وهى فعيلة بمعنى مفعولة وأنثت لانها خرجت عن الصفة واستعملت استعمال الاسماء المحضة وأما ماجزم به المنجانى من أنها غير مهموزة فغفلة عن القراءة لان نافعا وابن ذكوان قرآ فى الآية بالهمزة (وقال تعالى يس والقرآن الحكيم) عطف على يس أن جعل مقسما به والافواوه للقسم وأسند اليه الحكمة لانه صاحبها أو ناطق بها (الآية) أى انك لمن المرسلين على صراط مستقيم (اختلف المفسرون فى معنى يس على أقوال) أى صدرت من بعض المتاخرين أقوال فالجمهور من السلف وجمع من الخلف على أن الحروف المقطعة فى أوائل السور مما استأثر الله تعالى به علما ويقولون الله أعلم مراده بذلك (فحكى أبو محمد مكى) وقد مر ذكره

من

(انه روى) أى فى دلائل أبى نعيم وتفسير ابن ابى مردويه من طريق أبى يحيى التميمى قيل وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن أبى الطفيل (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لى عند ربى عشرة اسماء) وهو لا ينافى الزيادة لانها قاربت الخمسمائة (وذكر) أى أبو محمد مكى ويحتمل أن يكون مرفوعا لكن عبارته تابى عنه وهى (ان منها طه ويس أسمان له) ومع هذا ليس الحديث المذكور بصحيح وقد ضعفه القاضى أبو بكر بن العربى على ماذكره المنجانى ثم قال وأما هذا القول وهو أنه اسم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذهب اليه سعيد بن جبير وقد جاء فى الشعر ما يعضده وذلك قول السيد الحميرى *(يا نفس لا تمحضى بالنصح جاهدة على المودة الا آل ياسينا)* يريد الا آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويكون حرف النداء على هذا محذوفا من الآية وكان الاصل أن يكتب ياسين على أصل هجائها ولكن اتبعت فى كتبها على ماهى عليه المصاحف الاصلية والعثمانية لما فيها من الحكمة البديعية وذلك أنهم رسموها مطلقة دون هجاء لتبقى تحت حجاب الاخفاء ولا يقطع عليها بمعنى من المعانى المحتملة ومما يؤيد هذا المعنى قوله تعالى سلام على آل ياسين بمد الهمزة على قراءة نافع وابن عامر فقد قال بعض المفسرين معناه آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قيل أصل طه معناه طاء من الوطئ فابدل الهمزة هاء وأجرى الوصل مجرى الوقف وقيل معناه يا رجل بالحبشية أو العبرانية أو القبطية أو اليمانية (وحكى ابو عبد الرحمن السلمى عن جعفر الصادق أنه أراد) بقوله يس (يا سيد) أى بطريق الرمز

من أسماء الله تعالى لانه السيد الحقيقى أو يا محمد أو يا رجل أو هو اسم من أسماء القرآن كله أو سورة منه وما عدا الاخير فى كلام المصنف رحمه الله تعالى وفيه قراآت فتح الياء وكسر النون وفتحها وكسر الياء واظهار النون وهل هو معرب أو مبنى وجهان أيضا ومعنى الحكيم ذو الحكمة أو الحكيم صاحبه أو المحكم (انه روى) بصيغة المجهول وفى شرح الشيخ قاسم انه أخرجه ابن عدى فى الكامل من حديث على وجابر واسامة بن زيد وابن عباس وعائشة رضى الله تعالى عنهم وفى سنده مقال وقال السيوطى انه رواه أبو نعيم وابن مردويه باسناد فيه أبو يحيى الوضاع وسيف بن وهب وهو ضعيف ولكن سياتى عن قتادة مرفوعا وتعدد طرقه قد يجبر ضعفه وليس مما يتعلق بالاحكام (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لى عند ربى عشرة أسماء) تقدم ان عند الله بمعنى فى علمه فالمعنى انه هو الذى سماه به لاعتنائه به وتكريمه ولذا قال ربى دون الله والعدد لا مفهوم له فلا ينافى الزيادة واليه أشار بقوله (ذكر ان منها طه ويس) وورد تسميته بهما فى لسان العرب كقول الشريف الحميرى

يا نفس لا تمحضى بالنصح جاهدة * على المودة الا آل ياسينا

أى الا آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وزاد قوله ذكر امالان فى الحديث زيادة على ماذكر أو لانه لم يحفظ لفظه بعينه وطه قيل معناه يا رجل وقيل أصله طاها أى الارض وسيأتى الكلام عليه (اسمان له) أى هما اسمان فى صلى الله تعالى عليه وسلم بحذف حرف النداء أو القسم ويجوز على بعد أن يكون خبران (وحكى أبو عبد الرحمن السلمى عن جعفر الصادق انه أراد يا سيد) فيه اطلاق السيد على غير الله وقد قيل بامتناعه لحديث رواه البيهقى مسندا فى كتاب الصفات عن مطرف قال انطلقت فى وفد بنى عامر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلنا أنت سيدنا فقال السيد الله الى آخره وتحقيقه ان فيه للسلف أربعة أقوال * الاول وهو الصحيح انه يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا فاذا أطلق على الله فمعناه العظيم المحتاج اليه وفى غيره بمعنى الرئيس المتبع وله شواهد فى الكتاب والسنة وكلام العرب * الثانى وهو منقوله رحمه الله تعالى انه لا يطلق الا على غير الله اذ لم يثبت اطلاقه عليه فى الاحاديث المشهورة ولانه من السودد وهو الرياسة على قومه وفخره ولذا لما أطلق على الله فسروه بغير هذا كما مر * الثالث انه مختص بالله لان معناه المحتاج اليه المتصرف على الاطلاق وهذا لا يليق بغيره تعالى * الرابع التفصيل فى المعرف بال فيختص بالله وغيره يجوز اطلاقه عليه وعلى غيره * فان قلت ما تصنع بالحديث وهو قوله عليه السلام السيد هو الله المفيد للحصر بتعريف الطرفين * قلت اذا ثبت وصف لشئ وأريد سلبه عن غيره حقيقة أو ادعاء فلهم فيه طرق الاول التصريح باداة الحصر كقولك لا معبود الا الله الثانى أن يعرف الطرفان وهو فى معنى ما قبله الا أن فيه ايماء الى ذكاء المخاطب لاستغنائه به عن التصريح فقد يكون أبلغ من الاول الثالث وهو أدق طرقه أن يجعل من أثبته الزاعم له الصفة على من هى له حقيقة فيقال للدهر الذى يضيف الاء ولله الدهر الدهر هو الله أى لا تصرف لغير الله فى جميع الامور سواء الدهر وما سواه فاثبت التصرف كله لله ونفاه بطريق برهانى عما سواه على حد قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين وهو نوع من اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر يسمى التلوين فصله عبد القاهر فى دلائل الاعجاز وهو مذكور فى الكتاب

(مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ملاطفة ومطايبة ومخافتة وهذا مختصر مما نقله السلمى عنه بقوله

قال الصادق فى قوله يس يا سيد مخاطبا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولم يمدح بذلك نفسه ولكن أخبر عن مخاطبة الحق اياه بقوله يس وهذا شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم حيث قرأ على المنبر ونادوا يا مالك فلما أخبر الله تعالى عنه بالسيادة وأمره بتصريحه صرح بذلك فقال ان الله تعالى دعانى سيدا وأنا سيد ولد آدم ولا فخر أى ولا فخر لى بالسيادة لان افتخارى بالعبودية أجل من اخبارى عن نفسى بالسيادة انتهى والحاصل أن الياء منها للنداء والسين اشارة الى لفظ سيدا اكتفاء ببقاء الكلمة لدلالتها على باقيها وهذا مذهب العرب يستعملونه فى كلامهم وأشعارهم وقد حكى سيبويه ان الرجل منهم يقول للآخر الا تا أى الا تفعل فيقول الآخر بلى سا أى بلى سافعل. ويكتفون بذلك عن ذكر الكلمتين بكمالهما وقد ورد فى الحديث كفى بالسيف شا واستغنى بذلك عن أن يقول شاهدا

(وعن ابن عباس) أى على ما رواه ابن أبى حاتم (يس) أى معناه (يا انسان) ولما كان الانسان ليس
اسم العموم أفراد الانس قال (أراد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لانه الفرد الاكمل والمقصود من الخلق الاول

أى كتاب سيبويه رحمه الله تعالى كقولهم عتابه السيف وتحيته بينهم ضرب وجيع وما نحن فيه ان جرى على ظاهره فهو من هذا القبيل فلو دليل فيه وقد مر بيانه أيضا فاعرفه فانه من نفائس الذخائر المستودعة فى دفاتر الخواطر ولنا دعوة الى ذلك فى الكلام على الاسماء الشريفة عند قوله سيد ولد آدم (مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الطاء منصوب بدل مما قبله أو مصدر فعل مقدر أى خاطبه به مخاطبة مخصوصة به (وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (يس يا انسان أراد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه ابن أبى حاتم وعن مقاتل انها لغة حبشية يسمون الانسان يس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها لغة طى فقيل ان أصله يا انيسين مصغرا فاقتصر على بعضه لكثرة النداء به كما قاله الامام تبعا للزمخشري وتعقبه أبو حيان بأن المنقول عن العرب فى تصغير انسان انيسيان بياء قبل الالف واستدل به على ان أصل انسان انسيان لان التصغير يرد الاشياء الى أصولها ولم يسمع فى تصغيره انيسين ولو سلم تصغيره لذلك فلا بد من بنائه على الضم مع أن التصغير أصله التحقير فيمتنع فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولذا لما قال ابن قتيبة فى المهيمن انه تصغير مؤمن وأصله مؤيمن أبدلت همزته هاء قيل انه قريب من الكفر فليتق الله قائله وأيضا الحذف من أول المنادى غير معروف وسيأتى الكلام عليه فى فصل أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذا المنوال ما تقدم من أن أصله يا سيد فانه قيل انه اكتفاء ببعض الكلمة عن باقيها وهو مذهب للعرب مسموع فى كلامهم حكاه سيبويه وغيره فيقولون الاتا بمعنى الا تفعل فيقول بلى فا أى أفعل فيكتفون عن الكلمة ببعض حروفها وورد فى الحديث كفى بالسيف شا أى شاهدا وقال التجانى التحقيق انهم يكتفون ببعض حروف الكلمة معبرين باسم بعض حروفها كقولهم قلت لها قفى فقالت قاف أى وقفت فيحتمل يا سين أن يكون عبر عنه باسمين من أسماء حروفه لا بمسماه كما قاله الرازى وان كانت العرب قد تكتفى ببعض الكلمة كقوله

كانت مناها بأرض لا تبلغها * لصاحب الهم الا الناقة الاحد

أى مناياها وقوله * درس المنا بمتالع فابان * أى المنازل وله نظائر كثيرة أقول هذا محصل ما قالوه هنا وقال الادباء كما نقله النواجى فى كتاب الشفاء فى بديع الاكتفاء ان الاكتفاء كما قال علماء البديع أن يدل موجود الكلام على محذوفه وهذا الحد صادق على نحو واسئل القرية على أحد القولين فيه ثم قسمه الى الاكتفاء بكلمة كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أى والبرد والى الاكتفاء ببعض الكلمة قال وهذا النوع مما اخترعه بعض المتأخرين من أصحاب البديع وأكثر منه الشعراء المتأخرون والتزموا فيه التورية كقول الدمامينى رحمه الله تعالى

يقال مصاحبى والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر
تعالى نباكر الروض المغدى * وقم نسعى الى ورد ونسر

وقول ابن حجر رحمه الله تعالى

دع يا عذولى رق الملام فذ سرى * عنى الحبيب فنيت دام له البقاء
والطرف مذ فقد الرقاد بكى بما * يحكى الغمام فليس يهدى بالرقا

وأمثاله مما لا يحصى وفيه اشكال لان النحاة اتفقوا على أنه لا يجوز الترخيم فى غير المنادى بشروطه المذكورة فى بابه فيكون هذا وأمثاله مخلا بالفصاحة لمخالفته القياس فكيف يجوز أن يعد هذا من المحسنات البديعية التى انما تستحسن بعد الفصاحة وكيف يجوز أن يخرج على مثله القرآن الكريم وان كان فيه تورية لانها لا يجوز مثله اللهم الا أن يقولوا انه مقيس يغتفر فى الشعر وما وقع فى القرآن

(وقال) أي ابن عباس كما رواه ابن جرير (هو) أي يس (قسم) أي أقسم به سبحانه وتعالى بحذف حرف القسم فالواو في قوله والقرآن الحكيم عاطفة أو معادة (وهو) أي يس اسم على ما رواه ابن أبي طلحة عنه (أيضا من أسماء الله تعالى) أي تصريحا أو تلويحا وهو لا ينافي أن يكون من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الاسماء بمعنى الاوصاف لا بمعنى الاعلام وقد أطلق بعض صفات الله تعالى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كالرؤف والرحيم وأمثالهما مع الفرق بين أوصافه سبحانه وتعالى ووصفه صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره (وقال الزجاج) هو أبو اسحق ابراهيم النحوي نسبة الى الزجاج لصنعته مات سنة عشر وثلاثمائة ببغداد (قيل معناه يا محمد) أي بطريق الايماء كما سبق في ياسيد وغيره (وقيل يا رجل) أي بالحبشية كما روي عن الحسن وسعيد ابن جبير ومقاتل انها لغة حبشية يعني انهم يسمون الانسان سين (وقيل يا انسان) بلغة طي كما رواه الكشاف وعن ابن عباس على أن أصله يا انيسين بالتصغير فاقتصر على شطره لكثرة النداء به (وعن ابن الحنفية) كما رواه البيهقي في دلائله وهو محمد بن علي بن أبي طالب نسبة الى أمه وهي خولة بنت جعفر بن قيس ابن مسلم من سبايا بني حنيفة واشتهر بها وهو من كبار التابعين دخل على عمر ابن الخطاب وسمع عثمان بن عفان وغيره وأخرج له الجماعة مات سنة ثمانين وولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر (يس يا محمد) أي باحد التاويلات السابقة (وعن كعب) أي كعب الاحبار (يس قسم أقسم الله تعالى عزوجل به قبل أن يخلق السماء والارض بالفي عام) الظاهر أن المراد به الكثرة الخارجة عن التعديد لا التحديد وان المقصود به هو انه سبحانه وتعالى أقسم برسوله الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم في كلامه القديم

ليس منه بل هو من ذكر اسم حرف من كلمة ايماء الى بقيتها وليس من قبيل الترخيم وهو الذي أشار اليه المفسرون فانظره فانه مما حاك في صدري ولم أر من تعرض له وفي كلام التجاني الذي مر آنفا اشارة ما اليه وان لم يفصح به (وقيل هو قسم من أسماء الله تعالى) قال السيوطي رحمه الله تعالى أخرجه ابن جرير وحرف القسم مقدر معه والقسم بمعنى المقسم به (وقال الزجاج) أبو اسحق ابراهيم بن محمد شيخ العربية الامام في الادب صاحب التصانيف الجليلة وتفسيره مشهور وكان متينا في الدين توفي ببغداد سنة ست أو احدى عشرة وثلاثمائة وقد بلغ سنه الثمانين واليه ينسب الزجاجي صاحب الجمل (قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان) فسين أو يسين علم له والمراد بالرجل والانسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا وأما ارادة النوع وانه التفات كما قيل فبعيد لا ينبغي حمل التنزيل على مثله وتقدير يا وجعل العلم مجموع يس لاشتهار علميته لا يرد عليه انه شاذ كقولهم أصبح ليل كما قيل لانا نحمل جعله بمعنى انسان ورجل في أصل وضعه ثم نقل وجعل علما أو نقول هو بالغلبة التقديرية فلا يحتاج الى أن يقال أن بعض هذه المعاني تقدم وانما أعيدت هنا تتميما لكلام الزجاج (وقال ابن الحنفية) رواه البيهقي في دلائل النبوة وابن الحنفية هو أبو عبد الله محمد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه والحنفية أمه واشتهر بنسبته اليها تمييزا عن السبطين رضي الله تعالى عنهما وهو امام عظيم أخرج له الشيخان وغيرهما ولد لسنتين بقيا من خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وتوفي بالمدينة في سنة ثمانين على الاشهر وفيه أقوال أخر فصلها البرهان في المقتفى وترجمته مفصلة في التواريخ وهو من كبائر التابعين رضي الله تعالى عنهم (يس يا محمد) أي معناه هذا لانه وضع له ابتداء أو بواسطة كما مر وانما ذكره وان تقدم لبيان قائله وتعدد طرقه (وعن كعب الاحبار) تقدم الكلام عليه (يس قسم) أي مقسم به أو جعله قسما لتضمنه له أو مبالغة (أقسم الله به قبل أن يخلق السماء والارض بالفي عام) لم يبين المقسم به ففيه الاحتمالات السالفة وفي المواهب في نقل كلام ابن الحنفية أقسم الله باسمه وكتابه وفيه فائدة ستراها والعام والسنة متقاربان معنى وللسهيلي رحمه الله تعالى كلام في الفرق بينهما والمراد بمقدار الفي عام والافقبلهما لا تتحقق السنين والاعوام لان الزمان مقدار حركة الفلك أو المراد مجرد الكثرة أو عدم النهاية مجازا فلا يقتضي الحصر وينافي الزيادة قيل ولو سلم ان الزمان مقدار حركة الفلك لا يرد هذا لان الفلك الاعظم العرش وهو مخلوق قبل السماء والارض لقوله تعالى وكان عرشه على الماء كما قال زين العرب في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كتب الله تعالى مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السماء والارض بخمسين ألف سنة وفيه نظر ثم انه قيل انه مشكل أيضا لان كلام الله تعالى قديم فلا قبلية فيه ولا بعدية وخلقه حادث * وأجيب بان المراد ابرازه في أم الكتاب أو اللوح المحفوظ المكتوب فيه جميع الكائنات ولم يرتضه التجاني فقال الاولى أن يضعف مثل هذه الروايات ما أمكن فان صحت ترك علمها الى الله تعالى اذ مثله لا يقال بالرأي ولا يدرك بالاجتهاد وقيل القبلية المذكورة متعلقة بالاقسام وليس المراد معناه النفسي القديم بل احداث ما يدل عليه عند الاشعرية وتعلقه باسماعه

(يا محمد انك لمن المرسلين) فكأنه أراد ان التقدير اقسم بك يا محمد انك لمن المرسلين (ثم قال تعالى) أى اظهارا بعد ما ذكره اضمارا وتاكيدا بعد اقسامه تاييدا (والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين) على انه لا بدع انه سبحانه اقسم به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل خلق الكائنات بالفى عام عند ابداع روحه الشريف وابداء نوره اللطيف صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال فى كتابه القديم مطابقا لما اقسم برسوله العظيم صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا يندفع ماذكره المنجانى من ان هذا القول عندى فى غاية الاشكال لان القرآن كلام الله وكلامه صفة من صفاته القديمة فلا يصح ان يذكر فى تقدمه عن خلق الارض مقدارا معينا الان خلقها محدث فالاولى ان تضعف الروايات الواردة عن كعب بهذا ما أمكن فان صح ذلك عنده فليترك علمه الى الله سبحانه وتعالى اذ لا يقول كعب هذا الا بتوقيف وليس ذلك مما يدرك بالاجتهاد والرأى انتهى وفيه ان كعبا ممن ينقل عن الكتب السالفة والعلماء الماضية فلا يقال فى حقه انه لا يقول الا بتوقيف فان هذا الحكم مختص بالاقوال الموقوفة المروية عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم ممن ليس لهم رواية عن غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فوقوفهم حينئذ حكم مرفوعهم كما هو مقرر فى علم أصول الحديث حتى لم يعدوا عمرو بن العاص ممن لا يقول الا بالتوقيف فافرق بين القول الصحيح والضعيف وقد يجاب بان المراد به انه ابرزه فى أم الكتاب أى اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه ثم قال المصنف (فان قدر) أى فرض وفى نسخة قرر (انه) أى يس (من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه) أى فى القول (انه قسم) أى أيضا (كان فيه من التعظيم ما تقدم) أى من ان الله تعالى ما اقسم بحياة أحد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (ويؤكد فيه القسم) أى المستفاد من المقدر المرموز (عطف القسم الآخر) بالفتح وجوز الكسر وهو المذكور المصرح (عليه) أى على

وفى

وعروض اضافة مخصوصة بلا واسطة معتادة وهذا التعلق حادث قبل خلقهما ولا محذور فيه غير كون الزمان موجودا قبل خلقهما وقد عرفت اندفاعه وكون التعلق حادث ارتضاه بعض أئمتنا كالنفسى ومن لم يقل به يدخل من باب التاويل وهو واسع مع ان منهم من جوز تعلق الكلام الازلى بالمعدوم الذى سيوجد فلا ينافى الاقسام به أزليته ألا ترى الى قولك الزمان الماضى قبل المستقبل حيث يقصد مجرد بيان تقدمه لا يخطر ببالك أى للزمان زمان أو ظرفية لنفسه أقول مثل هذا ورد فى الحديث وهو كثير فالطعن فيه لا يليق ولا بد من تاويله وهو ظاهر لان المراد انه اطلع عليه ملائكته عليهم الصلاة والسلام قبلهما بهذا المقدار أو قديما وهو المناسب هنا لافادته اظهار عظم قدره فى الملأ الاعلى ومجرد تقدم العرش لا يقتضى الزمان بالمعنى المتعارف فتدبر (يا محمد انك لمن المرسلين) ليس قوله يا محمد تفسيرا ليسين لانه غير مناسب لما سيق له الكلام من ان الله اقسم به ولذا ذكر انك لمن المرسلين الذى هو جواب القسم توضيحا لمراده بل هو بيان للخاطب وليس مراده انه جواب مقدر للقسم بيسين حتى يلزم عليه اجتماع قسمين من غير عطف على جواب وهو مما أباه النحاة كما صرح به فى الكشاف وقال ان العرب تكرهه وبينة الذوق لا تسمع الا مع شاهد فالقسم واحد والواو عاطفة لا قسمية وقد خطر لى توجيه بان القسم جملة فاذا تعدد كان بين الجملتين مناسبة تامة لان كلا منهما قسم يقسم به على شئ واحد فيقتضى العطف واجتماع واوين وهو ثقيل أو حذف أحدهما وفيه لبس وترك المصنف رحمه الله تعالى بقية التفاسير ككونه اسم السورة لانه ليس مما هو فيه وجوز بعضهم ان يكون اشارة الى جواز تعدد القسم لزيادة التعظيم والتاكيد وهو مخالف لما قالوه (ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين) هذا من كلام المصنف رحمه الله تعالى أى قال يس والقرآن الى آخره وما قيل من انه تنبيه على ان هذا قسم مستقل والمذكور جوابه وجواب الاول مقدر وهو مراد كعب أيضا وان خالف كلام النحاة لا وجه له (فان قدر) بكسر الدال المهملة المشددة أى ان قيل بهذا وعبر به لان فيه وجوها اخر (انه) الضمير ليسين والفاء فصيحة أى اذا عرفت ما مر فان قدر الى آخره انه (من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح انه قسم) كما سمعته عن كعب ومكى وصح بمعنى ثبت أو أريد به ذلك فى نفس الامر لاحتماله عقلا وان فى قوله فان قدر ليست للشك بل هى شرطية وجوابها قوله (كان فيه) أى فى القسم وقيل فى يس وقيل فى التخصيص ورد بانه لا تخصيص فيه الا ان يريد التخصيص بالذكر (من التعظيم ما تقدم) من القسم بقوله لعمرك وأورد عليه ان القسم بالحياة فيه من التعظيم ما مر ولذا اقسم الله بذات غيره ولم يقسم بحياته فالمراد ما تقدم من التعظيم العظيم وكانه نسى قوله قبل هذا باسطر ان كل احد يحلف بالعظيم عنده وعلى هذا فهو منصوب بنزع الخافض لانه فى محل الجر لانه لم يرد فى غير لفظة الله الا شذوذا وفيه بحث (ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه) عطف مرفوع فاعل يؤكد والقسم منصوب على انه مفعول مقدم والقسم بمعنى الاقسام وضمير فيه ليسين أو للنظم فالمعنى مظروف فى اللفظ والآخر بالمد وفتح الخاء وكسرها كما قاله البرهان الحلبى

وفي شرح الصفوي المعنى انه ذكر بعده مقسما به بالواو والمتبادر منه العطف ويسين اذا كان مقسما به فهو معطوف على مثله الا لم تكن الواو عاطفة ولا القسم تلو مثله أو كان المقسم به عطفا على غيره والاول أحسن وانسب وفي العبارة مؤاخذات لان عطف قسم ثان على الاول مثله مبني على ان يسين قسم فكيف يؤيده مع انه مقسم به لا قسم فالوجه ان تقول يؤكد ذكر المقسم به الآخر وعطفه عليه لو كان قسما وذلك العطف أولى فكذا تسميته أقول هذا مما لا ينبغي ان يصدر من مثله لان يكون القسم بمعنى المقسم به ظاهر فاعتراضه ساقط وعطف القسم على المنادى الذي زعم انه حسن باطل وتعين قسمية الثاني لجره فان كانت الواو عاطفة وقد فرض قسمية الاول أيضا كان مؤكدا له فلا معنى لما اعترض به وتوضيحه ان المصنف رحمه الله تعالى لما نقل ان يس بمعنى محمد اتبعه بيانه على وجه اختيار العطف لمزيته فقدمه والمعترض توهم ان قوله ويؤكد الى آخره استدلال على القسمية بالعطف والتأكيد وهما انما يتحققان اذا كان قسما والاستدلال على الشيء بما يتوقف وجوده عليه فاسد فقال ما قال وكم له مثل هذه مما قرعت له العصا فيه ومما يدلك على ما قلته قوله (وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته) أي ان كان يسين متلبسا بمعنى النداء وهو منادى بتقدير يا أو بدون تقدير كامر وفيه أي في الكلام قسم آخر بالقرآن المنزل عليه فلا يكون مما نحن فيه بل مما يتعلق بالاصل الخامس لكنه مناسب لما هنا لما اشتمل عليه من تعظيمه وتحقيق ذلك بقوله تعالى انك لمن المرسلين والشهادة بهدايته في نفسه وغيره بقوله تعالى على صراط مستقيم فالمقسم عليه رسالته وتحققها الدال عليه ان واللام والجملة الاسمية لانه بمعنى رسالته المحققة والقسم المؤكد لها ثم استأنف لتوضيح معنى الرسالة والطريق المستقيم فقال مبينا له على هذا الوجه وهو كون يس قسما (أقسم الله تعالى باسمه) أي اقسم الله قسما متلبسا باسمه وهو يس العلم الدال على ذاته ولا بعد فيه كما قيل لان الظاهر ان يقول اقسم به أو بذاته كما يقال والله والجزم بالقسم باسمه وهو يسين العلم الدال على ذاته انما يتمشى اذا كان لفظ الاسم مقحما أو المراد ما يراد اسمه وهو بعيد انتهى وقوله (وكتابه) بالجر عطف على اسمه لا على الضمير المجرور من غير اعادة الجار لما فيه من مخالفة الافصح والاحتياج الى التأويل والقسم بكتابه متعين واما بذاته فعلى الارجح عنده كما سمعته آنفا والضمير ان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا لله لما فيه من مخالفة الظاهر وانتشار الضمائر وعلى النداء لا ينافي ما مر من انه لم يناده باسمه كما مر فتذكره (انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده) بكسر ان لتقدير القول والحكاية بالمعنى أي قائلا انه الى آخره ولذا لم يقل انك والارسال بمعناه اللغوي ولذا ذكر الوحي بعده لتخصيصه أو بمعناه الشرعي على التجريد ومجرد ملاحظة الثاني لا يكفي كما قيل (وعلى طريق مستقيم من ايمانه) بيان للطريق وان المراد بها التوحيد او هي تعليلية وزاد الواو اشارة الى انه خبر ثان مقصود مقسم عليه لا متعلق بالمرسلين أي ممن أرسل على هذه الطريقة فالقسم على أمرين كما قال قبله ان الارسال على أمرين رسالته والشهادة بهدايته لا أمر واحد وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم رسول مهدي على طريقة مستقيمة ولا حال كما قيل لانه قريب من هذا وان كان جعله قيدا لا ينافي القصد لان هذا أوضح وأتم في المدح (أي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق) أي بفتح الهمزة وسكون الياء المخففة مفسر للطريق المستقيم وهذا أعم من الايمان فهو تفسير ثان على الاول وتشديد الياء على ان المعنى طريق وأي طريق لانه لا اعوجاج فيه ولا عدول الى آخره تفسير لعدم الاعوجاج مخالف للرواية وللظاهر وان جاز وقد تذكرت هنا قولي

من أحسن العشرة فليلتزم ✽ سماحة النفس وترك اللجاج

ذلك القسم فتكون الواو الثانية عاطفة أو مؤكدة كما أشرنا اليه (وان كان) أي مجموع يس (بمعنى النداء) يعني وليس المراد به أنه من الاسماء وان كان يس بمعنى المنادى (فقد جاء قسم آخر فيه) أي قسم آخر ليس وجهه مما يظهر (بعده) أي بعد ندائه (لتحقيق رسالته) أي بقوله انك لمن المرسلين (والشهادة بهدايته صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حيث قال على صراط مستقيم (أقسم الله تعالى باسمه) أي بناء على القول الاول في يس (وكتابه) أي في قوله والقرآن الحكيم (انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه) أي الموجب لايقانه والمقتضي لا كمال أعمال أركانه (أي) يعني معنى صراط مستقيم انه من الثابتين (على طريق لا اعوجاج فيه) أي لا ميل الى طرفي الافراط والتفريط من تشبيه وتعطيل وجبر وقدر (ولا عدول عن الحق) أي عن الحكم الثابت بالوجه الصدق أو عن الوصول اليه سبحانه وتعالى والحصول على رضاه عز شانه

ويستر المعوج من خلقهم ※ أى طريق ليس فيه اعوجاج

(قال النقاش) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن أحمد الموصلى البغدادى المقرى المفسر روى عن أبى مسلم الكجى وطبقته وقرأ بالروايات حتى صار شيخ المقرئين فى عصره على ضعف فيه وقيل انه كان يكذب فى الحديث فلذا قالوا ان روايته منكرة وتفسيره ليس فيه شفاء للصدور والغالب عليه القصص الا ان أبا عمرو الدانى اثنى عليه وروى عنه حكاية تقتضى رده وفى حاشية التلمسانى انه مغربى توفى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وله ترجمة فى الميزان وطبقات القراء وقال أبو شامة فى شرح الشاطبية انه ضعيف عند أهل النقل وقال الجعبرى رحمه الله تعالى المضعف له غالط (لم يقسم الله لاحد من أنبيائه) عليهم الصلاة والسلام (بالرسالة فى كتابه الا له) أى بسبب الرسالة أو لم يقسم على رسالة احد غيره كما فى هذه الآية وهذا وان دل على ان غيره مرسل أيضا الا أن المقسم عليه بالقصد الذاتى رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم وعدل الى قوله تعالى انك لمن المرسلين عن قول رسول الله أو مرسل وهو أخصر لتثبيت رسالته وانه عريق فيها على نهج قوله تعالى كانت من القانتين لان فلانا من العلماء أبلغ من عالم كما قرره علماء البيان وفصلناه فى غير هذا المحل أى لم يذكر هذا القسم فى القرآن لغيره تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما له ولشدة انكار قومه لرسالته فلذا جاء مؤكدا بتاكيدات (وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه ياسيد ما فيه) التمجيد تفعيل من المجد وهو العز والشرف والتاويل حقيقته فى اللغة معرفة ما آل الشئ وما يرجع اليه من آل ثم شاع فى معنى التفسير مطلقا وقد يخص التفسير بما كان منقولا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة رضى الله تعالى عنهم والتاويل بغيره وقد يخص بحمل الكلام على المعنى الخفى دون الظاهر وقال القرافى رحمه الله تعالى المأول هو الكلام الذى فيه الاحتمال الخفى مع الظاهر كالحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد وضمير فيه الاول ليس وقوله ما فيه فيه ايجاز ومبالغة أى فيه أمر عظيم لا يمكن الوقوف عليه كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة لوصفه بالسيادة المطلقة المفيدة للعموم فى المقام الخطابى فيفيده تفوقه على من سواه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم واسطة كل خير وقد تقدم فى الكلام فى اطلاق السيد على الله ومعناه ووزنه فيعل بكسر العين من السودد فاصله سيود وقيل انه فيعل بفتح العين فغير على ما مر وحملهم على هذا انهم لم يجدوا فى الصحيح فيعلا بالكسر بل بالفتح كصيقل وضيغم ولذا ذهب بعضهم الى أن أصله فيعل ورد بانه لا مانع من الاختصاص المعتل بوزن يخصه ثم عقب هذا بحديث يناسب السيادة ويدل على عمومها فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد ولد آدم) أى جميع أولاد آدم وكل البشر لان الولد يكون واحدا وجماعة كما قاله التلمسانى وفى نسخة (ولا فخر) الفخر ادعاء العظمة والشرف والاعلان بذكره أى لا أقوله تبجحا ولا افتخارا بل تحديثا بنعم الله وشكرا له كما قاله ابن الاثير وقال ابن قرقول أى لا فخر فى الدنيا عندى أى لا أتعظم ولا أتكبر بذلك فيها وان كان له الفخر الاكبر فى الدنيا والآخرة وفى هذا الحديث روايات منها أنا سيد ولد آدم يوم القيامة كما رواه مسلم والترمذى قال التجانى فيه اشارة الى التجاء جميع الخلائق له صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك اليوم من غير منازع كما فى الدنيا وهو كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم وفيه دلالة على جواز

(قال النقاش) أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلى البغدادى المفسر المقرى توفى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وقد أثنى عليه أبو عمرو والدانى وقد طعنوا فى رواية حديثه (لم يقسم الله تعالى لاحد من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام بالرسالة فى كتابه) أى القرآن لعدم علم النقاش بسائر خطابه ولا يبعد ان ١٩٤ يراد به جنس كتابه (الا له) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفيه) أى وفى هذا التخصيص (من تعظيمه وتمجيده) أى تكريمه صلى الله تعالى عليه وسلم (على تاويل من قال) أى فى يس (انه ياسيد ما فيه) أى الذى فيه من غاية التفخيم الذى يعجز عن بيانه نطاق التكليم (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر) قال المنجانى وأكثر الروايات فى هذا الحديث أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وهكذا رواه مسلم والترمذى قلت وفى الجامع الصغير أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع رواه مسلم وأبو داود عن أبى هريرة ورواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن أبى سعيد ولفظه أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائى وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا أول شافع وأول مشفع ولا فخر انتهى ولا شك ان زيادة الثقة مقبولة والمعنى لا أقوله افتخار المقامى بل تحديثا بنعمة ربى أو المعنى لا فخر بهذا بل بما فوقه مما لا يعبر ثم السيد فى اللغة الشريف مدح الذى فاق قومه فى الخير وهو فعيل بكسر العين من ساد يسود وهو المعتمد الذى عليه البصريون ونظيره صيب وثيب والحاصل ان المصنف أتى بهذا الحديث عاضدا للقول بان المراد فى الآية ياسيد كما بيناه سابقا

(وقال جل جلاله) أى عظم شانه وعز سلطانه (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) ادخال النافية للتاكيد شايع فى كلام العرب وسائغ عند علماء الادب فالمعنى انه سبحانه وتعالى اقسم بالبلد الحرام وقيده بحلول رسوله عليه الصلاة والسلام به اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف أهله وهذا المعنى باعتبار مفهومه يفيد ما عبر عنه المصنف بقوله (قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكى) أى هذا القول عن بعضهم وبما قررناه وبيناه وحررناه اندفع ما قاله المنجانى من ان هذا الذى حكاه عن مكى لا يستقيم تنزيله على الآية لانه عكس مقتضاها ألا ترى ان الواو من قوله تعالى وانت حل واو الحال واذا كانت كذلك فيكون معنى الآية لا اقسم بهذا البلد اذا كنت فيه وهو ضد ما قال مكى وانما تتناول الآية على ان تكون لا زائدة فيها أى اقسم بهذا البلد وأنت حل به ساكن فيه والى هذا ذهب الزجاج انتهى ولعل منشأ هذا الاعتراض هو المقابلة بقوله (وقيل لا زائدة) وليس كذلك فان مراده مستقيم على تقدير عدم زيادة لا أيضا كما قال مجاهد انها رد لكلام تقدم والمعنى ليس الامر كما توهم من توهم واقسم بعدها اثبات للقسم ويؤيده قراءة الحسن البصرى لاقسم بدون الالف وعلى التنزل يمكن ان يكون مراده المغايرة فى معنى حل على القول بزيادة لا أيضا ولذا قال (أى اقسم به وانت به يا محمد حلال لك) أى من دخول الحرم بغير احرام والمعنى أنت به حلال حال كونه خالصا لك (أو حل لك ما فعلت فيه) أى من قتل بعض المشركين فى عام الفتح حيث قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان مكة حرمها الله تعالى يوم خلق السموات والارض لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما أحلت لى ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس (على التفسيرين) أى على القولين للمفسرين فى معنى الحل

مدح المرء نفسه اذا قصد التحدث بنعم الله تعالى وقد قيل انه واجب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لتبليغ أمته ما يجب فى حقه ولذا قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وهذا لا ينافى سيادته صلى الله تعالى عليه وسلم على الملائكة وما سوى الله تعالى وقوله ولا فخر احتراس عما يتوهم من الكبر على حد قوله

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الحيا وديمة تهمى

وهذا مذكور على طريق الاستطراد والتتميم ومر فى الخطبة الكلام فيه وان الاحتراس على ثلاثة اقسام وقال الله تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد يعنى لا نافية للقسم واقامة الظاهر مقام المضمر ولم يقل وأنت حل به استعظاما لحلوله فيه والبلد مكة حرسها الله تعالى كما أشار الى توضيحه بقوله قيل لا أقسم به اذا لم تكن فيه و روى ان لم يكن وهما بمعنى هنا أى بعد خروج و جلك منه حكاه مكى رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته اشارة الى ان عدم القسم به لخروجه منه ولو قال اذا خرجت كان أوضح واخصر وفيه ايماء الى ان القسم فى سورة التين بقوله تعالى وهذا البلد الامين لكونه فيه فلا تنافى بين الآيتين اذا كانت البلد فيهما بمعنى فاذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم فيها فهى حقيقة بالاقسام بها لان شرف المكان باهله كما قيل

وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

وهو منتظم مع ما بعده من قوله ووالد الى آخره أى لا اقسم بالبلد وأقسم بغيره أو أقوله بغير قسم بناء على انسحاب النفى عليه أو لا اقسم بهذا لجلالة القسم والمقسم عليه وان كان ما يذكر مما يقسم به لعظمته ففيه تعظيم لما نفى القسم عنه فلا وجه لتوهم عدم الانتظام وقدم هذا الوجه لرجحانه عنده كما ذهب اليه الامام رحمه الله تعالى وقيل لا زائدة أى اقسم به وزيادتها نظرا للمعنى المقصود وليست لغوا لافادتها تأكيد الكلام وتقويته وتحسينه وان كان حذفها لا يغير اصل المعنى فاندفع قول الامام انه مانع من الانتظام وموهم لجعل الاثبات نفيا ويلزمه عدم الاعتماد على القرآن مع ان لا تأتى زائدة مع القسم كثيرا وقد تزاد فى غيره أيضا وذهب بعض النحاة والمفسرين الى انه لا يطلق على مثله انه زائد بل يقال تادبا صلة وهو كلام حسن وقيل لا أنا فحذفوا أنا واشبعت اللام ويؤيده انه رسم فى الامام بلا ألف وانه قرئ شاذا لاقسم بلام الابتداء (وأنت به يا محمد حلال أو حل لك ما فعلت فيه) جملة حالية وهذا مبنى (على التفسيرين) فى هذه الآية بالاثبات والنفى أو فى معنى الحل أى على كليهما يكون الكلام أفيد وحل له معان فيكون ضد الحرمة و بمعنى الاقامة بالمكان والاسم منهما حل بالكسر وحلال بمعنى جائز ومقيم وفعل يكون اسما كجذع وصفة كنقض ومصدرا كعلم والى كل من المعنيين هنا ذهب بعض المفسرين فالمعنى اقسم بهذه البلدة وأنت مقيم بها اشرفك وعظمتك عندى أو انى حللت لك ما لم أحل لغيرك فى هذه البلدة من القتل وغيره وهذا اما النسخ حرمتها أو هو خصوصية له صلى الله عليه وسلم لقول الله عز وجل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام سواء حمل على ظاهره أو فسر بالحرم وهذه الآية محكمة عند ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد لما رواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلى ولا بعدى وانما أحلت لى ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة وقتاله

صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره بقتل من لجأ الى الحرم كابن خطل من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم كما روى عن السلف واورد عليه الجعبرى فى كتاب النسخ بان قوله احلت يدل على الحرمة فيكون نسخا ولو كان لاستمر فيكون رخصة لانها استباحة مع المانع وبه قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى وقال قتادة والضحاك هى منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبآيات أخر فى معناها وتمسك بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعى انتهى وفى الآية تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم أى ان أخرجوك منها فستعود لها وتفعل فيها ما تريد وتثبيت ووعد بالنصر والاول على تقدير ثبوت القسم والثانى على انتفائه أو كل منهما جار على التفسيرين وفيه تفاسير أخر فقيل المعنى وانت حلال أى غير محرم مقيم بها أو المعنى يستحلون ايذاءك واخراجك منها وهو تثبيت له منه وتعجيب مما جرى عليه أو اشارة الى علة عدم القسم فاندفع الاعتراض بان الحال يقتضى عدم القسم بعد الخروج فيتنافيان ويجوز اجراؤه على الوجهين وقيل المعنى لا اقسم وانت مستحل أو أنت حال فانه حينئذ ينبغى القسم لك الا انه لا يناسب كلام المصنف رحمه الله تعالى وهو أمر سهل وقال القسطلانى فان قلت هذه السورة مكية أى على ما يأتى وأنت حل بهذا البلد أخبار عن الحال والواقعة التى ذكرت فى آخر هجرة المدينة فكيف الجمع بين الامرين واجيب بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلا كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون واستشكل هذا بانه يلزمه اختلاف زمنى الحال وعاملها الان يقال الجملة معترضة لا حالية فتتضمن وعدا فيه مبالغة بواسطة تنزيل المستقبل المحقق منزلة الحال لا الماضى كما يدل عليه قوله أو حل لك ما فعلته فيه قيل وفيه اشارة الى عظم شانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد التنبيه على عظم مكانه دفعا لما يتوهم من ان المكان اشرف وان شرفه مكتسب فيه والمراد بالبلد عند هؤلاء المفسرين مكة وقيل غيرها كما سيأتى وقال الواسطى نسبة لواسطة مدينة مشهورة وهو الامام العارف بالله تعالى أبو بكر بن موسى وهو من صحب الجنيد وتوفى بعد الثلاثمائة والعشرين وهو من أجلة العلماء والصوفية (أى نحلف لك بهذا البلد الذى شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا) نحلف بنون مفتوحة وحاء مهملة تليها لام مكسورة وفاء كذا ضبطه فى المقتفى ولو قرئ بالياء التحتية صح أيضا وفاعل الحلف على كل حال هو الله تعالى وتسمى هذه النون نون العظمة لان أصلها للمتكلم مع الغير كنحن الان العظيم يتكلم بها ويطلقها عليه غيره تعظيما لعده بمنزلة جماعات كثيرة أولان له اتباعا فى خدمته اذا أراد فكنى عنه وعنهم ولذا قال الراغب فى مفرداته ان الله تعالى انما يوردها فى كلامه فيما يفعله بواسطة ملائكته عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وفى شرح التسهيل انه مقصور على السماع لايهامه التعدد فلا يجوز استعمالنا له وبه أفتى علماء الحنفية فالاولى حينئذ الغيبة هنا وعلى نون العظمة تذكرت ما تظرف به ابن نباتة المصرى فى قوله

أغمزه بناظر ولم أفه بكلمه * يجيبنى بحاجب لكن بنون العظمه

وقوله الذى شرفته بمكانك أى حصل له ذلك لاجلك ولاجل تعظيمك فتشريفه لانه بحلوله فيها صارت حرما ومهبطا للوحى ومنبعا للدين وقد قالوا ان هذا القسم ادخل فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم من القسم بذاته وبحياته كما أشار اليه عمر رضى الله تعالى عنه بقوله بابى أنت وأمى يا رسول الله قد بلغت من الفضيلة عنده ان أقسم بتراب قدميك فقال لا أقسم بهذا البلد ومكانك بمعنى كونك وحلولك فيه مصدر ميمى ولذا اعمله كقوله أظلوم ان مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلما

ولو كان اسم مكان لم يعمل كما صرحوا به ولو قال المصنف بمكانك وبركتك حيا وميتا كان أولى لان الانبياء عليهم السلام احياء فى قبورهم حياة حقيقية وان قيل انه تفنن

انه من الحلول أو من الحلال لا تفسيرى كونها زائدة ونافية كما ذكره الدلجى (والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة) وهو المشهور عند الجمهور (وقال الواسطى أى نحلف) كان الاولى احلف (لك) وقال الحجازى يروى بحلولك (بهذا البلد الذى شرفته بمكانك) أى بكونك واقامتك (فيه حيا وببركتك ميتا

يعني المدينة) فيه بحث لانه يحتمل انه أراد به مكة أيضا الا انه شرفها بمكانه فيها حيا او بصل اليها بركاته مماتا وان بعد عنها دفينا بل هذا هو الاظهر معنى والاوفق مبنى فلا يحتاج الى قوله (والاول) أى من قولى البلد هى مكة أم المدينة (أصح لان

لان بركته صلى الله تعالى عليه وسلم فى حياته كنار على علم يعنى المدينة والاول أصح (لان السورة مكية) يعنى ان هذا القائل أراد بالبلد المدينة لانها مكانه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حياته ومماته وهى على القول الاصح عند المفسرين مكية لان هذه السورة نزلت بمكة فالاشارة فى حال النزول تعين انها مكية لان هذا يشار به للقريب الحاضر وقت الخطاب والمدينة على هذا البيت كذلك ولذا قيل انه مجمع عليه وتنزيلها منزلة الحاضر القريب مخالف للظاهر رواية ودراية واشار بالاصح الى قول ضعيف نقله ابن عطية ان السورة مدنية فلا وجه للاعتراض به على المصنف رحمه الله تعالى كما فى شرح التجانى ولشدة ضعفه وضعف ما بنى عليه لم يعتد به مدعى الاجماع (ومابعده يصححه) مبتدأ وخبر أى مابعد القسم وهو قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد يدل على صحة ان المراد مكة وفساد قول الواسطى فقوله (قوله حل بهذا البلد) خبر مبتدأ مقدر مع الاقتصار على مناط الدليل واصله وهو قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد ويجوز ان يكون بدلا مما قبله بلا تقدير وفيه بحث كما أشار اليه بعض الشراح لان القائل لا يسلم ان السورة مكية فالبلد فى الموضعين عنده المدينة والاشارة فيهما لها وحل بمعنا حال مقيم فكيف يقام الدليل عليه بما لا يسلمه فالائق الاقتصار على رواية خلافه لصحتها واشتهارها وقيل ان قوله لان السورة الى آخره مجموعه علة للاصحية وهو قوله تعالى وأنت الخ وكونها مكية الا انه انما يتم على تفسير حل بما لا يتصور فى حق المدينة كالحلال غير المحرم ومن الجائز ان يفسره الواسطى بالحال النازل ويقول البلد فيهما المدينة كالحلال غير المحرم والسورة مدنية فلا يلزمه شئ مما مر ولا يخالفه قاعدة اعادة المعرفة معرفة كما اذا أريد بالاول المدينة وبالثانى مكة على انه وعدله صلى الله تعالى عليه وسلم بانه سيكون بها حالا غير محرم على مافيه من الاشارة فى كلام واحد لغائب وحاضر بتنزيل الغائب منزلة الحاضر لنكتة والمراد بالاول القول بانها مكية كما بيناه وقيل يجوز ان يريد به القول الحاكم بان لا نافية للقسم ومابعده القول الحاكم بانها زائدة ويصححه قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد اذ فى كونه حلا به اشعار بثبوته مع كونها زائدة انتهى ولا يخفى مافيه من التكلف ونحوه قول ابن عطاء فى تفسير قوله وهذا البلد الامين أصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو لانه يقصد نهج كلام العرب أفرادا وتركيبا ثم استعمل للناس بمعنى مثل وشبه وشاع حتى صار حقيقة فيه أى مثل ماتقدم من القسم بمكة لتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم أو نحو قول الواسطى فى ان لمحله صفة مدح بواسطة قول ابن عطاء وان كان قول الواسطى فى حق المدينة وقول ابن عطاء فى حق مكة وذلك بسببه وهذا النشر يفيد بما فيه من الامان بدعوة الخليل وتعليق الاقسام على صفة الامان تفيد عليته له والامين فعيل بمعنى فاعل فهو آمن لقوله تعالى ومن دخله كان آمنا وقيل بمعنى المامون على ما أودعه من البركات أولانه مامون عن الغائلة وتحقيقه فى الكشاف وشروحه (قال أمنها الله لمقامه فيها او كونه بها) فى المقتنى امنها بقصر الهمزة وتشديد الميم كما فى النسخ ولا اعرف فيه الامد الهمزة وفتح الميم يعنى ان المعروف فى اللغة مجيئه ثلاثيا ومن باب التفعيل واما الافعال فمن الايمان وقوله لمقامه بضم الميم بمعنى اقامته ويجوز فتحها بتكلف والوجه الاول وعطف كونه بها على ماقبله مرادف بمعنى وجوده فيها وفى نسخة بمقامه بالباء السببية فالامان بسببه وقد فهم من الآية ان الاقسام لاشعار الترتب بالعلية فيكون الاقسام لسببه أيضا (فان كونه) أى وجوده (أمان) أى موجب للامان (حيث كان) أى حيث وجد ذاته الشريفة والحيثية

السورة مكية) أى اتفاقا (ومابعده يصححه) أى يؤيده ويوضحه (قوله تعالى) بدل مما بعده (وأنت حل بهذا البلد) وفيه انه لا تظهر وجه تصحيحه ولا بيان توضيحه لان حلوله فى المدينة أظهر لشموله حيا وميتا ولا يدع ان الآية نزلت بمكة اشارة الى ماسيقع من القضية (ونحوه قول ابن عطاء فى تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين) أى الآمن أو المامون فيه يامن فيه من دخله (قال) أى ابن عطاء (آمنها الله تعالى) بهمزة ممدودة ويجوز بالقصر والتشديد ففى القاموس آمنه وآمنه فاندفع به اعتراض الحلبى أى جعل مكة ذات آمن (بمقامه) أى بسكناه (فيها او كونه بها كان كونه) أى وجوده فيها (أمان حيث كان) صلى الله تعالى عليه وسلم وأغرب التلمسانى حيث قال والامين فعيل كفعل أو مفعول وهذا على زيادة لا وعلى نفيها فالقسم به دونها انتهى ووجه غرابته لا يخفى لان البلد

الامين فى سورة التين وليست هى مصدرة بلا اقسم حتى يستقيم هذا القسم والله أعلم وفى نسخة زيادة ثم هذا القول من ابن عطاء لا يخلو عن نوع غطاء فان الله سبحانه وتعالى جعله بلدا آمنا قبل ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال تعالى أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم والمراد بالبلد الامين مكة باتفاق المفسرين وهذه جملة معترضة بين المتعاطفين بقوله

(ثم قال عز وجل ووالد وماولد من قال) أي كمجاهد (أراد آدم) أي بقوله تعالى ووالد (فهو عام) أي في جميع ولده ولا يبعد أن يراد به خلاصة أفراد الاولاد وسلالة العباد وسيد الانبياء وسند الاصفياء الذي قيل فيه لولا وجود الخاتم ما كان ذكر لآدم صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن قال هو ابراهيم وماولد) أي من أولاده الصلبية يعني اسمعيل واسحق واسباطه من أنبياء بني اسرائيل من نسل يعقوب وسبطه الاعظم وحافده الافخم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل اسمعيل الجميل باني البيت الجليل مع والده الخليل وربما يقال هو المقصود بالذات من ابراهيم وولده الكريم كما انه زبدة الكائنات وخلاصة الموجودات ولذا قال المصنف (فهي) أي الآية المذكورة (ان شاء الله تعالى اشارة الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتتضمن السورة) أي المسطورة (القسم به صلى الله تعالى عليه وسلم في موضعين) أي بحسب المتعاطفين من حيث كونه ولدا لابراهيم وكونه والدا بشهادة ما في الكشاف ونقله ابن الجوزي عن ابن عمران الجوني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم هو المراد بالوالد ونصره القرطبي بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما أنا لكم بمنزلة الوالد وقد ذكر البيضاوي القولين حيث قال ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم أو ابراهيم وماولد ذريته أو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله أعلم بما وضعت أي بأي شئ وضعت يعني موضوعا عجيب الشان غريب البرهان فاندفع ما قاله المنجاني من ان ما تقع على ذوي العقول عند النحويين على ان كثيرا منهم قالوا ان من يختص بذوي العقول وما عام ويؤيده قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها وان قال بعضهم أن المراد بها معنى الوصفية المنبئة عن العظمة كانه قيل والشئ القادر الذي بناها ودل

الى

قد ترد للتعميم أي في أي مكان كان لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهذا الامان كان بعد وجوده وقد يأمن وجوده كما آمنه من الفيل وأصحابه لان ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم كانت في ربيع الاول من عام الفيل وقصة الفيل في المحرم وقال بعض الشراح الاظهر ان هذا الامان كان بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى اجعل هذا البلد آمنا * ومن دخله كان آمنا وأجاب الله دعاءه فقال واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا وأجيب عنه بانه لا يبعد أن يكون كل ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ويمن وجوده فيه فلما علم الله انه سيصير مقام حبيبه عليه الصلاة والسلام عظمه وقبل دعاء خليله أو يكون استدامة ذلك واستمراره بسببه ولا يبعد أن يقال أن المصنف رحمه الله تعالى أشار الى هذا بقوله ثم قال عز وجل ووالد وماولد عطف على هذا البلد والمفسرون اختلفوا في تفسير الوالد فمنهم (من قال أراد آدم) عليه الصلاة والسلام (فهو عام) أي ماولد على هذا التفسير عام شامل لجميع أولاده لا يختص بفرد منهم فالقسم على هذا بنوع الانسان لانه أشرف مخلوقاته ونسخة توحيده في ذاته وصفاته وعلى هذا الجمهور لتبادره الى الاذهان من غير داع للعدول عنه وقيل المراد على هذا الصالحون منهم قيل ولا يبعد ان يراد الفرد الكامل منهم وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون القسم بالاول والآخر ولا أدري ما وجه تركه وعدم تعرض أحد من المفسرين له وكأنه لعدم دليل عليه فتدبر (ومن قال هو ابراهيم) عليه الصلاة والسلام (وماولد) ضمير هو للوالد أو لمجموع الوالد والولد والثاني أولى وقيل الاولى أن يقول على منوال ما سبق ومن قال أراد ابراهيم عليه السلام والضمير في قوله (فهي ان شاء الله تعالى) للقصة وأنث باعتبار الخبر وهو قوله (اشارة الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني هو المراد من قوله وماولد عند هذا القائل وهو أبو عمران الجوني كما نقله في زاد المسير وقيل هم العرب وقيل أولاد ابراهيم عليه الصلاة والسلام أو الصالحون منهم ولكونه غير متعين من النظم أطلق عليه الاشارة لخفائه والمشهور اطلاق الاشارة على ما يدل عليه اللفظ دلالة التزامية كاشارة النص وقوله ان شاء الله قيل انه للتبرك والاهتمام بما بعده أو هو تادب منه في الحكم بان مراد الله أو اشارة الى ان فيه احتمالا آخر وجوز بعضهم أن يكون تعليقا على ظاهره وقد ذهب الى هذا كثير من المفسرين لانه لما حمل الوالد على أكمل افراده ناسب حمل ما بعده على مثله وقيل المراد بالوالد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لحديث انما أنا لكم بمنزلة الوالد والولد أمته أو ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم وقال فيه ما دون من وما في الاصل لما لا يعقل قيل لان كثيرا من النحاة جوزوه أولتأويله بالمبهم أي الولد الكامل الذي لا يدرك كنه ذاته لتناهيه في الكمال * أقول المختار عند صاحب الكشاف وغيره من المحققين انه مطرد فيما قصد به المعنى الوضعي كالمولود هنا نظر اللصفة فانها ليست من جنس العقلاء كما فصل في حواشي الكشاف قال الزمخشري في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء التفرقة بين من وما انما هو اذا أريد الذات وأما اذا أريد الوصف فيجوز ذهابا الى الوصف وقد خفي هذا على بعض الافاضل وظاهر كلامهم انه معنى حقيقي فان قيل بانه يجوز أن يكون فيه تغليب قيل هو دقيق لم ينبهوا عليه وهو تغليب أحد جزئي المدلول وانما ذكروه في الجزئيات والتنكير فيه للابهام المستقل بالمدح والتعجب كما قيل (فتتضمن السورة القسم به صلى الله تعالى عليه وسلم في موضعين) أشار بالفاء

على وجوده وكمال قدرته وجوده بناؤها وأنت ترى أن هذا تكلف مستغنى عنه اذ يجوز أن ماترد بمعنى من على ما في القاموس كقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم فانكحوا ما طاب لكم ثم وقع التناقض بين قولي المنجاني حيث قال فيلزم على قول القاضي ان تكون ما في الآية واقعة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك خروج عما اقرر النحويون لها والذي يظهر في الآية والله تعالى أعلم أن الوالد والولد اسما جنس عامان لكل والد ومولود وهو قول ابن عباس فيكون قوله سبحانه وتعالى وما ولد على هذا التأويل عاما منبها على العاقل لم يلد اذ لو اقتصر في الآية على ذكر الوالد لخرج منها من لم يلد ولدا البتة انتهى ووجه التناقض لا يخفى اذ جنس المولود من قبيل ذوي العقول في المعنى فيؤل الى قول القاضي في المبنى غايته انه اراد الفرد الاكمل من الجنس الثاني بل لو أريد به الفرد الافضل من النوعين لا يبعد لصدق الوالدية والولدية عليه ثم التنبيه الذي ذكره لا يخفى على الفقيه النبيه حيث أن المراد بما ولد ما ولده الوالد من آدم او ابراهيم أو جنس الوالد (وقال الله تعالى الم ذلك الكتاب) قيل فيه صنعة التبديل ١٩٩ من علم المعمى في استخراج الاسما

الى نشاته مما قبله أي اذا كان كذلك ففي ضمن هذه قسم بمحمد صلى الله عليه وسلم مرتين احداهما في البلد التي هي محله فان القسم بمكانه قسم به صلى الله تعالى عليه وسلم أبلغ من القسم بذاته وحياته كما مر تحقيقه والثاني في قوله ومولود على هذا التفسير والقول بانه لما أقسم بوالده وهو في صلبه فكأنه أقسم به بعيد غاية البعد وأما القول بانه لتفسير الوالد بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما في الكشاف فغير صحيح لانه ليس في كلام المصنف رحمه الله تعالى ذكر له بوجه من الوجوه وهو عجيب من قائله اللهم الا أن يقال من أقسم باحد ممن مضى من آبائه قاصدا تعظيمه فكأنه أقسم به أي بصفة من صفاته وهي شرف حسبه فتأمل (وقال الله تعالى الم ذلك الكتاب) ذلك اشارة الى الم على أنه طائفة من الحروف أو اسم السورة أو القرآن تنزيلا له منزلة المحسوس المشاهد البعيد لرفعة قدره أو لتقضيه كما فصله المفسرون (وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (هذه الحروف أقسام أقسم الله تعالى بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك) الاقسام جمع قسم بمعنى المقسم به لقوله بها وقد روى عن ابن عباس وغيره من مفسري السلف في هذه وفيما ضاهاها أقوال غير ما ذكر قال الشريف كما روى عن الخلفاء الاربعة انها مما استأثر الله به قال البيضاوي ولعلهم أرادوا انها أسرار بين الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد وفيه انهم صرحوا بانه مما لا يعلمه الا الله فانه أخفى لحكمة فلم يتحاشوا عما فرمنه * أقول فيه انهم قالوا ان التعقيد المعنوي يخل بالفصاحة فكيف بما لا يمكن علمه وما ذكره لا يدفع ماقاله فالحق في جوابه ما قاله الفاضل الليثي بان هذا انما يشترط فيه ما قصد به تفهيم المخاطب كما فصله في حواشي المطول وهذه الحروف اشارة لما ذكر او الى جميع حروف المعجم كما يقولون تعلمت اب أي جميع الحروف المقطعة كما قال ابن قتيبة فهي أقسام متعددة جوابها مقدر أي لقد بينت لكم السبل وأوضحت لكم الدلالة بهذا الكتاب المنزل بقرينة قوله تعالى ذلك الكتاب وفيها أقوال كثيرة تكفلت بها التفاسير فلا حاجة لذكرها هنا والى هذا أشار بقوله (وقال سهل بن عبد الله التستري) تقدم ما فيه قال السيوطي رحمه الله تعالى رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل ان هذا غير واضح المعنى ولا بد له من مأخذ وفي تفسير الاصبهاني نحو عشرين قولا لم أر فيها هذا الا انه حكى عن الضحاك ان اللام من جبريل والميم من محمد صلى

والتقدير ألف لام الحمد ميم فيبقى محمد فهو نداء أو مبتدأ خبره ذلك الكتاب أي هو النسخة الجامعة في الرتبة اللامعة والمرتبة الساطعة وواسطة بين الخالق والخليقة (لا ريب فيه) وسياتي الكلام فيه (قال ابن عباس رضي الله عنهما) أي فيما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (هذه الحروف) أي المقطعة في أول هذه السورة وأمثالها من سائر السور المسطورة (أقسام) جمع قسم بمعنى مقسم به (أقسم الله تعالى بها) وفي نسخة بهذا أي بما ذكر على طريق الاشارة والرمز الى أسماء الله سبحانه وتعالى وأوصاف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بان يكون الالف رمزا الى ما أوله الهمز وكذا اللام وكذا الميم وكذا سائر الحروف وحرف القسم حينئذ محذوف (وعنه) أي ابن عباس (وعن غيره فيها غير ذلك) حتى قيل فيها سبعون قولا منها ما عليه العشرة وغيرهم ومنهم ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ان الله تعالى أعلم بمراده بذلك وقيل معنى الم أنا الله أعلم وعن ابن عباس ان الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وقيل هي اسماء الله بشهادة قول علي يا كهيعص يا حمعسق ولعله أراد يا منزلهما وقيل اسماء للقرآن أو للسور وقيل الالف من أقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها فجمع تلويحا بان العبد ينبغي ان يكون أول كلامه ووسطه وآخره ذكر الله تعالى (وقال سهل بن عبد الله التستري) وروى عن ابن عباس أيضا (الالف هو الله سبحانه وتعالى) أي اشارة الى لفظه الله بناء على الحرف الاول منه في المبنى أو الى وحدانيته بحسب المعنى لكن يؤيد الاول قوله (واللام جبريل) أي بناء على الحرف الاخير (والميم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) نظرا الى أوله واوسطه كذلك وما انسبه حيث كرر مسمى الميم في الاسم والمسمى

(وحكى هذا القول السمرقندي) أي مطلقا (ولم ينسبه الى سهل) وهذا أمر سهل اذ لا منافاة بين الاطلاق والتقييد مع احتمال التوارد في مقام التأييد فلا ينافيه ما عزاه السجاوندي الى ابن عباس أيضا (وجعل) أي السمرقندي (معناه) أي معنى هذا القول المستفاد من الاشارة الى الاسماء المستورة بحسب التراكيب المفيدة المأثورة (الله أنزل جبريل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القرآن لا ريب فيه) أي في المنزل أو المنزل

أو المنزل به أو المنزل عليه أو في كل واحد منها وهو نفي عند أرباب التحقيق ومعناه نهي بالنسبة الى أهل التقليد والتضييق والله ولي التوفيق أو المعنى لا ريب فيه وتوضيحه ان يقال من حيث انه لوضوح شانه وسطوع برهانه لا يرتاب فيه عاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا من حيث انه لا يرتاب فيه أحد لكثرة المرتابين بشهادة وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فانه لم ينفعهم بل عرفه بما يزيله منهم وهو ان يبذلوا قواهم في معارضة سورة منه وغاية جهدهم فاذا عجزوا وتيقنوا ان لا شبهة فيه ولا ريبة ثم بهذا لا يزول وجه اشكال تقديم جبريل على النبي الجليل (وعلى الوجه الاول) أي من قول ابن عباس وهو ان المراد بها القسم (يحتمل القسم) أي المقسم عليه (ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه) أي في القسم أو الكتاب على الاحتمال الثاني (من فضيلة القران اسمه باسمه) وفي نسخة من فضيلة قران اسمه باسمه وهو بكسر القاف بمعنى مقارنته (نحو ما تقدم) أي في التشهد والخطبة كما قال حسان رضي الله تعالى عنه وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن اشهد (الملائكة وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم) أي الله تعالى (بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي التي هو من حروفها اكتفى به عنها (حيث حمل الخطاب) أي من ربه (والمشاهدة) أي له ليلة الاسراء

الله تعالى عليه وسلم والالف من الله وهي اقسام اقسم الله تعالى بها وهو في غاية اللطف والدقة فان كان المراد هذا فهو واضح لانه اذا اقسم بحرف من اسم دل على شرفه وفي هذا تقديم جبريل عليه الصلاة والسلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فربما تعلق به مدعي التفضيل وان لم يلزمه مطلق التفضيل يعني انه لم يقل انها حروف من أسمائهم بل جعلها دالة عليهم ووجهه في غاية الخفاء فان نزل على ما ذكره الضحاك اتضح لكن العبارة غير ظاهرة فيه فرده بانه لا دليل تحته دعوى بلا دليل وان كان فيه قسم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مناسب لما هو بصدده واما تقديم جبريل عليه الصلاة والسلام هنا فلانه واسطة بين الله ورسوله فالاعتراض به في غاية السقوط كما أشار اليه بقوله (وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله أنزل جبريل) عليه الصلاة والسلام (على محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (وبهذا القول) وفي نسخة بهذا القرآن (لا ريب فيه) كما حكاه القاضي بمعناه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يعني انه لوضوح شانه واعجازه لا يرتاب عاقل فيه بعد النظر وان كثر المرتابون كما قال تعالى وان كنتم في ريب الى آخره (وعلى هذا الوجه الاول) الذي رواه عن ابن عباس وهو القسم بالحروف (يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه) أن بالفتح أي على انه قسم في قول سهل وعلى هذا فجواب القسم لا ريب فيه وقيل الجواب مقدر يدل عليه قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه لا جواب بتقدير اللام لانه يسوغ حذفها الا اذا استطال القسم كما في المغني وحذف الجواب ورد في القرآن في قوله تعالى ص والقرآن ذي الذكر بانه لمعجز وانك لمن المرسلين فاتى بدل ذلك بهذا لان التعظيم يكون باشارة القريب والبعيد كما تقرر في المعاني والنكات لا تتزاحم والتردد في انهما على حد سواء أم لا كما قيل لا طائل تحته وفي شرح السيد النحرير انه أشار بهذا الى ان الظاهر الاشارة بالقريب الحاضر في الذهن وانما عبر بذلك لتنزيله منزلة البعيد للتعظيم ولم يرد تقدير حق بل بيان ان لا ريب خبر بمعنى حق (ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم) أي في الم أو في هذا القول أو القسم أو الكتاب على قول سهل مطلقا أو على ما ذكره السمرقندي لدلالة الحروف المقطعة من الاسماء أو لدلالتها عليهما كانها اسماء وأشار بقوله نحو ما تقدم الى ما مر في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك ولا يخدش القرآن توسط اللام المفسرة بجبريل لما في وقوعها في ذكر واحد من القرآن لا سيما وجبريل عليه الصلاة والسلام سفير محض بينهما لا يعد فاصلا قيل وكون الالف من أول اسم الله والميم من وسط اسم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واللام من آخر اسم جبريل مناسب لما ذكر (وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد أقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فالقاف بمعنى القوة على طريق الاكتفاء كما في قوله * قلت لها قفي قالت قاف *
والظاهر ان مثله لا يقال بالرأي فلا وجه للاعتراض بانه لم لا يجوز ان تكون من قدرة الله تعالى ونحوه وقد تقدمت ترجمة ابن عطاء رحمه الله تعالى وقوله (حيث حمل الخطاب والمشاهدة) أي حيث تحمل وأطاق خطاب الله له ورؤيته ليلة الاسراء ومشاهدة الملكوت ومهابته مما تشهد له الجبال ولا تطيقه

(ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله) أى مع وجود المجاهدة ويناسبه قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك الآية (وقيل هو) أى ق (اسم للقرآن) أى بطريق الاشارة واما بطريق العبارة فهو اسم للسورة (وقيل هو اسم الله تعالى) أى بناء على رمز أولى الاسماء التى أولها القاف كالقادر والقاهر والقوى والقريب (وقيل هو اسم جبل محيط بالارض) أى فوقع القسم به لعظمته وهذا قول مجاهد ان ق اسم جبل محيط بالدنيا وانه من زمردة خضراء منها خضرة السماء والبحر لكنه

ضعيف جدا (وقيل غير هذا) أى غير ماذكر أى ايماء الى قيام الساعة وقال سهل رضى الله تعالى عنه اقسم بقدرته وقوته كما حكى عنه السلمى وقيل معناه قضى الامر من رسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أو اخبار بقهر الكفرة أو تنبيه على قيام الموتى من القبور فكلها منقولة عن المفسرين وجميعها داخل فى قول من قال هى حروف أخذت من أسماء وأفعال واستغنى بها عن ذكر ما بقى منها والله تعالى أعلم ولا يبعد ان يكون ايماء الى الامر بالوقوف على الاحكام والتوقف فيما اشكل من المرام كقول الشاعر قلت لها قفى فقالت لى قاف (وقال جعفر بن محمد) أى الصادق (فى تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه النجم الاكبر والكوكب الانور وقوله اذا هوى أى اذا صعد الى مقام دنا فتدلى أو اذا أحب المولى وترك السوى فكان قاب قوسين أو أدنى (وقال) أى الصادق (النجم قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى انشرح من الانوار) أى لما انبسط وانبث فيه من الاسرار وأغرب المنجانى حيث أنكر على العالم الربانى بقوله هذا تحامل على اللغة فى تفسير الهوى وتحكم فيها والمنقول عن جعفر انه انما فسر الهوى هنا بالنزول ليلة المعراج كما حكى عنه ذلك فى تفسير الغزنوى وهو أقرب الى الاشتقاق اللغوى (وقال انقطع عن غير الله) أى عن التعلق بما سواه

الملائكة على أحد تفسيرى قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم أو مشاهدة التجليات القلبية (ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله) أى لم يصعب ويشق عليه حتى يمنعه من تحمل مثله وقوله لعلو حاله تعليل لما قبله أى ان له صلى الله عليه وسلم حالا فى ثبات جنانه ورفعة شانه لما أودع فى قلبه من اليقين (وقيل هو اسم للقرآن) ضمير هو للقاف وهذا القول تفسير ماثور عن قتادة فما قيل من انه فى غاية الركاكة لانه يصير المعنى للقرآن والقرآن المجيد تهجم لا يليق بالادب والعجب منه حيث رواه بعد ذلك لانه على هذا يجوز ان يذكر تفسير الخفاء ماقبله ولذا قيل انه فى غاية الوجاهة من حيث المعنى اذحاصله ان هذا القرآن اقسم به وأظهره فى مقام الاخبار ليمكن وصفه ودخول حروف القسم عليه ومن حيث اللفظ لان الركاكة انما هى لو صرح باسم القرآن لا اذا عبر عنه بغيره وهذا هو السر فى العدول فتفطن وتادب على انه يحتمل ان يراد بالقرآن هذه السورة (وقيل هو اسم لله تعالى) على نهج ما مر من اطلاق حرف من الاسم على مسماه فهو على هذا بمعنى قيوم أو قدير ونحوه أوهو مما لم يطلع على معناه ويؤيد الاول ماحكاه القرطبى رحمه الله من انه افتتاح اسمه القدير القاهر القريب (وقيل جبل محيط بالارض) ينبع منه جميع المياه وهذا رواه ابن الجوزى رحمه الله عن مجاهد وقيل انه من زمردة خضراء وخضرة البحر من انعكاس شعاعه (وقيل غير هذا) فيه اقوال تزيد على عشرة منها انه اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال أبو بكر الوراق معناه قف عند أمرنا ونهينا ولا تتعداهما والخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال جعفر بن محمد الصادق) تقدمت ترجمته رضى الله تعالى عنه (فى تفسيره) وفى نسخة فى تفسير بدون ضمير قيل ان لجعفر تفسير لم يشتهر (والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وهوى بمعنى نزل أو صعد الى السماء فى المعراج من الهوى بتشديد الياء وفتح الهاء وهو الذهاب فى انحدار أو مع ضمها وهو الذهاب فى ارتفاع وهذا التفسير نقله البغوى رحمه الله تعالى فلا غرابة فيه رواية ودراية لان وجه الشبه ظاهر (وقال) أى جعفر فله فيه تفسيران أو عنه فيه روايتان على البدل أو الاجتماع ان جوز (النجم قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هوى انشرح من الانوار) الربانية المتنزلة على قلبه فى مشاهداته من العلوم والحكم وأنواع الكمال وتشبيه قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنجم لا يخفى ظهوره لاشراقه بنور ربه وهداه ومثله مشهور واما تفسير هوى بانشرح فلانه يقال هوى اذا فتح فما أو مديدا ولا يضرنا عدم اشتهاره لمعرفة العرب أهل اللغة له (وقال) أى جعفر الصادق فى رواية أخرى عنه فى تفسير هوى (انقطع عن غير الله) وهذا أظهر مما قبله لانه من هوى النجم اذا سقط من بين نوعه من النجوم وهو اذا انقطع الى ربه فارق الناس وقال الامام المرزوقى فى شرح اشعار هذيل قال الاصمعى يقال هوى العقاب اذا انقض لغير الصيد وأهوى اذا انقض له وقيل هما بمعنى وقال بعضهم يقال هوى يهوى هويا بفتح الهاء من أعلى الى أسفل وهويا بضمها بعكسه انتهى فقول بعض الشراح انا لم نر هذا المعنى فى مشاهير كتب اللغة ساقط والمثبت يقدم على النافى وقوله الا ان يقال انه من هوى الجوف اذا خلا كما فى التقريب فيكون هذا الخلوه عن غير الله

(وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لان منه تفجر الايمان) أي تبين منه الايقان وظهر منه العرفان بنزول القرآن وحينئذ يناسب ان يفسر ليال عشر بالعشرة المبشرة لان الكواكب السيارة المنيرة في ميدان الولاية تختفي في زمان النبوة وأوان الرسالة لان أحوال الاصفياء بالنسبة الى أحوال الانبياء لا تخلو عن ظلمة الكدورات النفسانية والجاذبات الشهوانية فناسب ان يعبر عنهم بالليالي العشر كما يلايم ان يومي الى مرتبة النبوة والرسالة بطلوع الصبح وظهور نور الفجر وبهذا اندفع ماقاله المنجاني من ان هذا التاويل بعيد لان الفجر في الآية مردف بالليالي لعشر وفي حمله على ماذكر تنافر في النظم وعدم تناسب في اللفظ انتهى واما اقوال المفسرين في معنى الفجر وليال عشر فشهورة لا تخفى والمشهور ان الفجر هو الصبح والليالي العشر عشر ذي الحجة ومن ثم فسر الفجر بفجر عرفة أو الفجر والعشر الاول من المحرم أو الاواخر عن شهر رمضان ونكرت لزيادة فضلها والله تعالى أعلم (الفصل الخامس في قسمه) أي في حلفه في كلامه (تعالى جده) أي عظمته لقوله تعالى وانه تعالى جد ربنا ولما في الحديث كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد بدال مهملة في أنفسنا أي عظم وجل وعن أنس والحسن رضي الله تعالى عنهما اغناه بشهادة حديث وما ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه وانما ينفعه ايمانه واحسانه (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (لتحقق مكانته) أي منزلته الرفيعة (عنده) بكسر العين افصح ويجوز فتحها وضمها في القاموس عند مثلثة الاول ظرف في الزمان والمكان غير متمكن

أو من هوى ذهب في جهة العلو لارتفاعه الى الله تعالى تعسف غير محتاج اليه وتوقفه في هذا دون ماقبله غريب من مثله وقد سبقه بعضهم لهذا وفي النجم هنا تفاسير أخر فقيل هو الثريا وقيل الزهرة وقيل الرجوم وقيل مطلق النجوم وقيل ما نزل من القرآن منجما وقيل الهوى نزوله من المعراج وسياتي الكلام فيه (وقال ابن عطاء) تقدم الكلام عليه (في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لان منه تفجر الايمان) تفجر بفتح التاء وتشديد الجيم المضمومة على انه مصدر مضاف للايمان أو بفتح الجيم المشددة على انه ماض فاعله الايمان من تفجر الصبح طلع كما قاله ابن رسلان وهذا اما على تشبيه الايمان بالنور والمشرق من أفق الوحي الماحي لظلمة الكفر أو هو استعارة لتشبيهه بالماء على نهج المكنية واثبات التفجر له على طريق التخييل كما قيل والاحسن عندي ان يشبه الصبح وأنواره بماء متفجر ثم يستعار ذلك لشهرته بما ظهر منه صلى الله تعالى عليه وسلم من الدين والتوحيد كما قال ابن تميم رحمه الله تعالى

انظر الى الصبح المنير وقد بدا * يغشى الظلام بمائه المتدفق

غرقت به زهر النجوم وانما * سلم الهلال لانه كالزورق

وفيه تفاسير أخر تركها المصنف رحمه الله تعالى لشهرتها واقتصر منها على ما يناسب غرضه الا ان الشراح قالوا ان هذا مع غرابته بعيد غير مقبول لانه مخل بالانتظام فان عطف ليال عشر عليه بالواو من غير جهة جامعة كقولك الشمس ومرارة الارنب والباذنجان محدثة ومثله مخل بالبلاغة أقول نقل الشراح هذا الانه وارد غير مندفع وليس كذلك وفيه سوء أدب وتهجم على كتاب الله تعالى عز وجل وهذا منقول عن السلف والخلف ومأثور منهم وهم أهل لسان ومن فسر الفجر بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم يفسر الليالي العشر بعشر رمضان وقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يجتهد في العبادة والخيرات فيه ويرى ليلة القدر فيصير المعنى على هذا اقسم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم في حالته التي جد في عبادتي والتقرب الى فيها وأي مناسبة أتم من هذه كما قات

وحبيب هو المنا وليال * كان فيها وصاله ورضاه

وزمانا بالانس كان ربيعا * لا اطيعن عاذلا في هواه

أترى هذا كالباذنجان وبزوره الهذيان أو كوجه الحبيب وغيبة الرقيب والذي عليه المحققون من المفسرين انه على حقيقته أو هو بتقدير مضاف أي صلاة الفجر والليالي العشر عشر ذي الحجة أو الفجر فجر عرفة أو النحر والعشر أول محرم وأواخر رمضان ومما يضاهي قول المصنف رحمه الله تعالى قول الرازي ان الضحى وجه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والليل اذا سجى شعره

(الفصل الخامس في قسمه تعالى جده) بفتح الجيم وتشديد الدال ويكون بمعنى الحظ والغنى ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد يقال جد بمعنى عظم واسناده تعالى له للمبالغة كما يقال جد جده فهو اسناد مجازي أو استعارة مكنية وفي بعض النسخ (له) متعلق بالقسم والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم (لتحقق مكانته عنده) اللام للتعليل والاولى صلة فلا يلزم تعدي عامل بحرفين متحدي اللفظ والمعنى وقوله (صلى الله عليه وسلم) متعلق بحسب المعنى بضمير عنده والتحقق بمعنى لتمن حقيقة حقه عنده والمكان معروف فاذا زيدت فيه الهاء أريد به المرتبة المعنوية كالمنزل والمنزلة وفي بعض النسخ لتحقق وفي بعضها التحقيق بصيغة المصدر والكل بمعنى واللام قيل انها مثلها في قوله تعالى

(قال الله جل اسمه) أى عظم وصفه ونعته فكيف مسماه وذاته (والضحى أى) اقسم بضوء الشمس اذ هو المراد بقوله وضحاها أو بوقته حين ارتفاعها وخص بالقسم لانه تعالى كلم فيه موسى عليه الصلاة والسلام وألقى السحرة فيه سجدا بشهادة وان يحشر الناس ضحى ولعل هذا هو المأخذ فى فضيلة صلاة الضحى أو بالنهار كله بدلالة ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا أو مقابلة قوله تعالى (والليل اذا سجى) أى ركد ظلامه أو سكن أهله وقدم الليل فى السورة قبلها لانه الاصل بدليل قوله تعالى نسلخ منه النهار ولما ورد من ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره الحديث وعكس هنا لشرف النهار بحسن ضوئه ونوره وكمال ظهوره والانسب بهذا المقام فى تحقيق المرام ان يقال ان فى الضحى ايماء الى وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ان فى الليل اشعارا الى شعره عليه الصلاة والسلام أو الى حاليه اشارة فيهما الى صبح الوصال وليل الفراق أو ايماء بهما الى حاليه من مقامى القبض والبسط أو الفناء والبقاء كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه ليغان على قلبى ٢٠٣ الحديث (السورة) وفى شرح الدلجى السورة منصوب بفعل كأنى قلت أو اقرأ ويجوز رفعها على ان تقديره السورة معروفة وجرها على نزع الخافض كما فى النسخة المشهورة والسورة طائفة من القرآن مترجمة اقلها ثلاث آيات منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة منه أو محتوية على ما فيها من العلوم كاحتواء سور المدينة على ما فيها هذا ان كانت واوها اصلية وان كانت مبدلة من همزة فكونها قطعة من القرآن فمن السؤر الذى هو بقية الشئ وهذا المعنى هو الاولى كما لا يخفى اذ المعنى الاول يدل على المغايرة بين السورة وما هى مشتملة عليه وليس كذلك فى السورة (اختلفت فى سبب نزول هذه السورة) أى سورة والضحى (فقيل كان ترك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة فى ذلك بكلام) أى بما لا يليق ذكره لاهل الاسلام ويؤيده ما رواه البخارى اشتكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فقالت له امرأة انى لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لما رأيت من عدم قيامك (فانزل) أى الله تعالى (والضحى) وروى مسلم نحوه وحديث الشعاي انه صلى الله تعالى عليه وسلم أصيب فى أصبعه فدميت فقال هل أنت الا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم الليل فقالت له أم جميل امرأة أبى لهب ما أرى شيطانك الا قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت وروى ابن السكن انها احدى عماته صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابن عساكر وكانت عماته صلى الله تعالى عليه وسلم ستا وجميعهن مشركات الا صفية بنت عبد المطلب أم الزبير ويؤيد الاول رواية الحاكم انها امرأة أبى لهب ولعلهما قالتاه ذلك ثم قيل هى أخت أبى جهل زوج أبى لهب وكان اسمها أم جميل وكان أبو بكر بن العربى لا يكنيها الا بأم قبيح وقد أجاد فيما أفاد وقيل هى أخت أبى سفيان ابن حرب وهى زوج أبى لهب أيضا وكانت عوراء وكان أحول والقول الاخير ذكره الحاكم فى مستدركه فى تفسير سورة والضحى وقال اسناده صحيح

وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون بمنزلة الفرض لاغرضا لان افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض وهذا وان اشتهر فالذى ارتضاه النسفى خلافه وان ذهب السيد الشريف لخلافه والتحقيق ان الخلاف لفظى وعنده مثلث العين والكسر افصح وبدأ افضل بسورة الضحى لمناسبتها الخاتمة الفصل الذى قبله وتضمنها الكريم خطابه وعميم نعمه عليه تشريفا له فقال (قال جل اسمه) كما جل وعلا فى نفسه وفيه تادب وتاس (والضحى والليل اذا سجى السورة) بالنصب ان لم يوقف عليها بتقدير اذكر أو اقرأ السورة الى آخرها والسورة طائفة من القرآن مترجمة اقلها ثلاث آيات فان كانت معتلة فهى منقولة من سور المدينة لاحاطتها بما فيها من مدائن العلم ومنازله وان كانت مهموزة فهى من السؤر وهو البقية كما بين فى محله (اختلف فى سبب نزول هذه السورة) سبب النزول أمر حادث فى زمن النبوة ينزل القرآن فى حقه ويجوز تعدده وكما ان للقرآن اسبابا كذلك الحديث وقد صنفوا فى كل منهما تصانيف جليلة وان كان المشهور هو الاول (فقيل كان ترك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة فى ذلك بكلام) روى ان هذه المرأة هى أم جميل بنت حرب واسمها العوراء امرأة أبى لهب وكان أبو بكر بن العربى رحمه الله تعالى يسميها أم قبيح وهذا ما رواه الحاكم فى مستدركه وقال اسناده صحيح الا انى وجدت فيه علة وهذه المرأة كان بعضهم لكراهته لا يحب ان يسميها ولذا قال المصنف رحمه الله تعالى امرأة أو لما فيها من الخلاف وهذه السورة مكية اتفاقا وروى عبد الله بن السكن انها احدى عمات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابن جرير انها امرأة من أهله أو من قومه ونقل عن امرأة أخرى وهو غير صحيح وفى شرح التجانى كلام طويل هنا وقال المصنف رحمه الله تعالى بكلام ولم يصرح به لقباحته لانه روى ان أم قبيح قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم يا محمد ان شيطانك تركك لما رأيت من عدم قيامك ولم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث كما ذكره البخارى قيل وهو اصح ما قيل فيه وعذره الذى تركه به ما روى ان حجرا أصاب أصبعه صلى الله عليه وسلم فدميت فقال صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

(وقيل) وعليه جمهور المفسرين على ماقيل (بل تكلم به المشركون) أى بمثل ذلك الكلام (عند فترة الوحى) أى عند انقطاعه وعدم اتصاله من الفتور بمعنى القصور وكانت المدة سنتين ونصفا وقيل بل كان ذلك بضعة عشر يوما (فنزلت السورة) أى والضحى وفى نسخة هذه السورة ويدل عليه حديث مسلم والترمذى أبطأ جبريل عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال المشركون قد ودع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله سبحانه وتعالى ماودعك ربك وماقلى ويمكن الجمع بين القولين بانه لما فتر الوحى اتفق اذ ذاك انه اشتكى فلم يقم فقالت المرأة ماقالت وقال المشركون من الرجال ماقالوا وقال البيضاوى روى ان الوحى تاخر أياما لتركه الاستثناء كمامر فى سورة الكهف أو لزجر سائل ملحا أو لان جروا ميتا كان تحت سريره أو غير ذلك فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه أى تركه وابغضه فنزلت ردا عليهم (قال الفقيه القاضى أبو الفضل رحمه الله) كذا فى بعض النسخ وهو متروك فى بعضها (تضمنت هذه السورة) أى سورة والضحى (من كرامات الله تعالى) أى من أنواع اكرامه سبحانه (له صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الدلجى من مزيدة أو للتعظيم أى تضمنت شيئا عظيما أكرمه الله به انتهى ولايخفى ان كونها مزيدة لايناسب المقام لان الزائد انما تكون للتنصيص على العموم فى النفى نحو ماجاءنى من رجل أو لتوكيد العموم نحو ماجاءنى من أحد وكونها للتعظيم غير معروف فالصواب انها للتبعيض فانه لاشك ان ماتضمنت هذه السورة من بعض كرامات الله له (وتنويهه به) من نوه بالشئ أى رفعه ونوهت باسمه أى رفعت ذكره والمقصود من برهانه رفعة شانه وسطوع برهانه (وتعظيمه اياه) أى بما خصه الله تعالى واستثناه مما سواه (ستة وجوه) بالنصب على انه مفعول تضمنت وفى نسخة بستة وجوه وكان الوجه ان يقول ستة أوجه الا انه أوقع جمع الكثرة فى موضع جمع القلة توسعا اذ قد يكثر استعمال أحدهما فى الآخر (الاول) أى الوجه الاول من الستة (القسم له) أى لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم (عما أخبره به) أى فى هذه السورة (من حاله) أى عما يدل على عظيم جماله وكريم كماله فمن بيان لما أقسم له على نفيه (بقوله والضحى والليل اذا سجى أى ورب الضحى) أى على حذف مضاف يكون هو المقسم به وذلك لانه لايقسم بمخلوق لان فيه تعظيم غير الله تعالى ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من حلف بغير الله فقد اشرك والاظهر ان النهى فى ذلك بالنسبة الى المخلوق وأما الخالق سبحانه وتعالى فيقسم بما شاء من خلقه تشريفا وتعظيما لشانه

وقيل انما قالت أم قبيح ذلك لابطاء الوحى عنه وروى أبو داود باسناد صحيح ان أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها قالت له ان ربك وفى رواية ان صاحبك قد قلاك فنزلت وانما قالته رضى الله عنها على سبيل الاستكشاف والشفقة أو هو بتقدير الاستفهام وجمع بينهما بتعدد سبب النزول وفيه اطلاق الصاحب على الله وقد ورد فى حديث اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل ولم يقل صاحبى وصاحبك أو ربى وربك كما هو مقتضى الظاهر لنكتة وهى الاشارة الى شدة مراقبته لله وقربه منه قربا لاينبغى لسواه (وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحى فنزلت السورة) أى تكلموا بكلام من نوع الكلام المذكور فى سبب النزول الاول لابشخصه وعينه والفترة مدة قليلة بين شيئين والسكون والمراد انقطاعه عنه ومنه قوله تعالى على فترة من الرسل وكان الوحى تاخر عنه صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوما وقيل سنتين ونصف والاول أصح فقالت قريش ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان اليهود سالوه صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين فوعدهم بالجواب ولم يقل ان شاء الله تعالى فانقطع عنه الوحى وقيل بل كان فى بيته جرو كلب قيل ولامانع من تعدد السبب كمامر وقول المصنف بل الخ كأنه اشارة الى ان القائل الثانى ادعى رد القول الاول وجزم بخلافه فالاضراب لذلك وقيل بل لافادة انهم تكلموا به أيضا فهو اتفاقى للترقى وهو بعيد ومر منه لان الاول أصح (قال الفقيه القاضى أبو الفضل) المصنف عياض رحمه الله (تضمنت هذه السورة) أى اشتملت سورة الضحى (من كرامة لله تعالى له وتنويهه به) كرامة الله تعالى اكرامه أى توقيره واللطف به وتنويهه به رفعة قدره وجعله مشهورا بذلك واشاعة فضله (وتعظيمه اياه) جعله عظيما مهيبا فى عيون الناس وقلوبهم فهو مغاير لماقبله ومن بيانية ان قلنا بجواز تقدم البيان على المبين كما ارتضاه بعضهم والافهو بيان لمقدر يفسره مابعده وليست زائدة للتعظيم كما قيل (ستة) مفعول تضمنت (وجوه) والوجوه جمع وجه وهو مستقبل كل شئ وما يواجهك منه ويطلق على الحال فيقال فلان أحسن القوم وجها اى حالا وقول الفقهاء الوجه كذا أى القوى ولهذا وجه أى ماخذ والمراد الاول وهو جمع كثرة استعمله المصنف رحمه الله فى القلة لان كلا منهما يقوم مقام الآخر وقد يقال انه اشارة الى انها أكثر من ذلك كما قيل (الاول القسم له عما أخبره به من حاله) بيان لما والمراد حاله التى له فى الدنيا والآخرة (فقال والضحى والليل اذا سجى) والضحى جمع ضحوة كقرية وقرى وهى أول النهار وسجى اذا دخل وأظلم وأصله من السجية وهى التغطية لستره بظلمته ولذا قال تعالى وجعلنا الليل لباسا وقلت

للانس لما اختلينا * وغاب داعى الهموم
فى حلة للدياجى * مزرورة بالنجوم

ومنهم من فسره باقبل أو ذهب وقيل معناه سكن والمراد سكون الاصوات أو أصحابه ولكل جهة (أى ورب الضحى) هذا بناء على الظاهر الذى ذهب اليه الفقهاء

(وهذا) أى القسم له على ذلك (من أعظم درجات المبرة) بفتحات وتشديد الراء من البر بمعنى الخير (الثانى) أى من الستة (بيان مكانته عنده) تقدم بيانه (وحظوته لديه) بكسر أوله ويضم على ما فى الصحاح والقاموس وبسكون الظاء ٢٠٥ المعجمة بمعنى المنزلة والفضيلة والمحبة وقيل الحاء مثلثة لان كل اسم على فعلة ولامه واو بعدها هاء التانيث فانه مثلث الفاء وأصله من حظيت المرأة عند زوجها اذا كانت ذات حظ ونصيب منه وفى المثل ان لاحظية فلا الية يقول ان اخطاتك الحظوة فلا تال ان تتودد الى الناس لعلك تدرك بعض ما تريد ذكره الجوهرى (لقوله) متعلق بقوله بيان مكانته (ما ودعك ربك) بتشديد الدال وتخفيف (وما قلى) حذف مفعول قلى لظهوره أو اكتفاء بسبق ذكره مع كونه مراعاة للفاصلة (أى ما تركك) تفسير لودعك (وما أبغضك) تفسير لما قلى على طريق اللف والنشر المرتب والمعنى ما قطعك قطع المودع اذ التوديع مبالغة فى الودع أى الترك اذ من ودعك فقد بالغ فى تركك وفى الحديث غير مودع ربى أى غير قاطع طاعته ولا مفارق لعبادته وقرأ عروة وابنه هشام ودعك مخففا مع استغناء أكثر العرب عنه بترك فلم ينطق به ماضيا لكن قد جاء فى الحديث شر الناس من ودعه الناس اتقاء فحشه وفى الشعر أيضا كقوله

(وكان ما قدموا لانفسهم * أعظم نفعا من الذى ودعوا) ومن التشديد قوله (ليت شعرى من خليلى ما الذى * رابه فى الحب حتى ودعه) ثم قلى يائى وقليل واوى وعلى الاول يقال فى مضارعه يقلى ويقلى بالياء والالف الا ان الالف شاذ كابى يابى

من ان القسم لا يجوز بغير الله وصفاته من المخلوقات فيقدر فيما ورد منها الفاء رب ونحوه والظاهر ان هذا مخصوص باليمين التى تنعقد ويكون لها كفارة وأما ما يذكر للاستعطاف والملاطفة ونحوه من التعظيم فلا يختص بما ذكر كما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بابى أنت وأمى وامثاله مما لا يحصى ولم ينكره السلف وقيل النهى مخصوص بالناس تعظيما لله وأما الله عز وجل فله ان يقسم بما أراد ونحوه الصلاة فانها لا تجوز لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم استقلالا على ما فيه وأما هو فله ان يصلى على من أراد كقوله اللهم صل على آل أبى أوفى والضحى صدر النهار كما مر وقيل هو هنا النهار كله وأما الليل فعلى ظاهره وما نقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من انه ما وقت الخلوة مع المحبوب أى وحق قربك مناوانه وجه وجيه فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم كما نقله الطيبى رحمه الله تعالى غير ظاهر بالنسبة للضحى فتامل (وهذا من أعظم درجات المبرة) أى القسم المذكور والمبرة مصدر ميمى بمعنى البر وهو الاحسان وفعل الخير وكل أمر مرضى وفيه كما قيل استعارة مكنية لجعله المبرة منزلا عاليا له درجات توصل اليه ويجوز ان يكون استعارة تصريحية فى الدرجات للمراتب وفى كلام المصنف رحمه الله تعالى نظر لم ينبهوا عليه لانه على تقدير رب يكون التعظيم الذى يفيده القسم لله فكيف يدل على ما قاله بعض الشراح من انه صلى الله تعالى عليه وسلم أوتى ما لم يؤت أحد من الرتب العالية والدعوة العامة والمعجزات الباهرة ونحوه مما لا يحصى (الثانى بيان مكانته عنده وحظوته لديه) مر مرارا ان المكانة المرتبة المعنوية والحظوة بحاء مهملة مثلثة وكذا كل فعلة لامها واو كما قيل فيه نظر وبعده ظاء معجمة مشالة ويقال فيه حظية بالكسر والياء أيضا من حظى عنده اذا كان له عنده فضل يقربه ويحببه اليه وذكر الشمنى وبعض الشراح معترضا على المصنف رحمه الله ان الوجه الاول انما يكون تعظيما اذا انضم للقسم عليه المذكور فى هذا الوجه فجعله وجها مستقلا فيه نظر وهو مثل ما قلناه أولا واجيب عنه بان المراد ان فى هذا القسم والمقسم عليه لفظين متغايرين أحدهما بيان المكانة والآخر القسم عليها وان توقف أحدهما على الآخر وهذه حزازة لا محصل لها (بقوله ما ودعك ربك وما قلى) الوداع له معنيان فى اللغة الترك وتشييع المسافر فان فسر بالثانى هنا على طريق الاستعارة يكون فيه ايماء الى ان الله لم يتركه أصلا فانه معه أينما كان واما الترك لو تصور من جانبه ظاهر مع دلالته بهذا المعنى على الرجوع والتوديع انما يكون لمن يحب ويرجى عوده واليه أشار الرازحانى بقوله اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البعاد

وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا

فقوله وما قلى مؤكد له وهذا أمر من ذكره مع غاية لطفه وكلهم فسروه بالمعنى الاول لما مر أو لصيغة التفعيل تفيد زيادة المعنى والمبالغة فيه فيقتضى الانقطاع التام قالوا ان المبالغة فى النفى لا فى المنفى فتركه لحكم عليه لا لضرره بهجره أو انه فى القيد والمقيد وقرأ عروة بن هشام ما ودعك بالتخفيف وورد فى الحديث شر الناس من ودعه الناس لاتقاء فحشه وورد فى الشعر كقوله

فكان ما قدموا لانفسهم * أعظم نفعا من الذى ودعوا

ولذا قال فى المصباح بهذا علم ان قولهم فى علم التصريف أماتوا ماضى يدع ويذر خطا وجعله استعارة من الوديعة تعسف وقوله (أى ما تركك وما أبغضك

(وقيل ما أهملك) أي ما تركك هملا (بعد ان اصطفاك) أي كلا قال قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما خلاك ولا قطعك منذ اصطفاك ورفعك (الثالث) أي من الستة (قوله) أي عز قائلا (وللآخرة) أي والدار الآخرة (خير لك من الاولى) أي من الدنيا أو الحال الآخرة خير لك من الاولى ايماء الى أنه دائما في الترقي الى الدرجات العلى (قال ابن اسحق) تقدم انه امام أهل المغازي (أي مآلك) بفتح ميم وهمز ممدود ورفع لام أي ما تأول اليه ومصيرك (في مرجعك) أي معادك باقيا خالصا من الشوائب مما أعدلك من المراتب (عند الله) في العقبى (أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا) ويروى كما في بعض النسخ مالك على ان ما موصول والعائد محذوف يعني الذي اعطاكه في الاخرى خير لك من الذي اعطاكه في الاولى (وقال سهل أي ما ادخرت) بتشديد الدال المهملة وقيل بالمعجمة من الذخيرة وهي الشئ النفيس يخبا

للنوائب وذاله معجمة ويقال ادخرته على افتعل يهمل ويعجم والمعنى واحد وقيل بالمعجمة ما يكون للآخرة وبالمهملة ما يكون للدنيا ونسب الى أئمة اللغة وهي غير مشهورة ودلالة قوله تعالى تدخرون في بيوتكم عليه غير صحيحة والمعنى الذي خبأته (لك من الشفاعة) أي العظمى أو الخاصة بهذه الامة (والمقام المحمود) أي المرتبة العلية الشاملة للشفاعة الكاملة لجميع الافراد البشرية (خير لك مما أعطيتك في الدنيا) أي من الرفعة وعلو المرتبة ونفاذ الحكومة ويؤيده ما ورد في الحديث القدسي والكلام الانسي أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز أن يراد بالمقام المحمود كما هو ظاهر الآية كل مقام يتضمن كرامة وان كان الاكثرون على انه مقام الشفاعة الكبرى الذي يحمده فيه الاولون والآخرون بشهادة حديث هو المقام الذي أشفع فيه لامتي أي خصوصا وسائر الامم عموما (الرابع) أي من الستة (قوله ولسوف) خبر مبتدأ محذوف دخله بعد حذفه لام الابتداء لتأكيد مضمون الجملة أي ولانت سوف (يعطيك ربك) أي ما يرضيك وتقر به عينك (فترضى) أي غاية الرضى والجمع بين حرفي التأكيد والتأخير للايماء بان العطاء كائن لا محالة وفي مصحف ابن مسعود ولسيعطيك ثم أكثر المفسرين على ان هذا العطاء في الاخرى وعن بعض العلماء انه اشارة الى فتح مكة في الدنيا (وهذه الآية) أي ولسوف وفي بعض النسخ وهذه آية (جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة) أي ما أعطاه في الدنيا وما وعده في العقبى

وقيل ما أهملك بعدان اصطفاك) تفسير للقلى واختار الاول لمناسبته لما قبله وان كان المشهور الثاني والاهمال عدم التصديق مع الترك فهو ترك مخصوص وقوله بعدان اصطفاك أي اختارك وقربك بيان للواقع ويحتمل أن يكون من معناه الوضعي كالهجران فانه انما يكون بعد المودة وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وحذف مفعول قلى اختصارا للعلم به وليجري على نهج الفواصل التي بعده أولئلا يخاطبه بما يدل على البغض وقيل الاحسن انه حذف ليعم نفسه وأصحابه وأمته فكانه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ما هجر تك لبغض وسترى منزلتك (الثالث قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق) صاحب المغازي وقد تقدمت ترجمته (أي مآلك في مرجعك) ما موصولة وروى مآلك بمد الهمزة أي ما يؤول اليه حالك ومرجعك اسم زمان أو مصدر في تقدير وقت رجوعك من الدنيا الى الله في الآخرة (عند الله) أي في دار كرامته وجنته وهو متعلق بمآلك أو باعظم ولام للآخرة لام ابتداء مؤكدة أو جواب قسم ففيه تعظيم آخر أي كما أعطاك في الدنيا يعطيك في الآخرة ما هو أعلى وأكثر فلا تبال بما قالوه فهو وعد فيه تسلية بعد ما نفى عنه ما يكره فهو تحلية بعد تخلية (أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا) من تقريبك واعزازك ونصرك وقرة عينك بما تريد (وقال سهل) التستري السابق ترجمته في تفسيره (أي ما ذخرت لك (٤)) بالذال والخاء المعجمتين أي ما أعددته لك من الذخيرة وهو ما يخبؤه الانسان من النفائس ومن الغريب ما قيل هنا ان الذخر بالمعجمة ما يكون في الآخرة وبالمهملة ما يكون في الدنيا قال التلمساني وهذا غلط أوقعه فيه قولهم تدخرون (من الشفاعة) بل الشفاعات التي ستاتي (والمقام المحمود) هو مقام الشفاعة العظمى الذي يحمده فيه الاولون والآخرون أو كل مقام يتضمن كرامة محمودة وعلى هذا يكون بمعنى ما قبله وقيل المراد ان أحوالك الآتية خير من السابقة في الدارين وقيل الدار الآخرة خير في المحبة والوصلة (الرابع قوله) أي ما يقوله مما يتضمن ذكره أو هو بالمعنى المصدري (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ولسيعطيك واللام للتاكيد وقال الزمخشري انها لام الابتداء وهي لا تدخل الا على المبتدأ تقديرها ولانت ورده ابن الحاجب بانه تكلف لما فيه من الحذف وخلع اللام عن معنى الحال لئلا يجتمع دليلان حال واستقبال وليست اللام للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مؤكدا بالنون (وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة) حيث أجله ووكله الى رضاه وهذا غاية الاحسان فاذا قلت كلما ترضاه وتريده فقد عممت عموما بليغا

ووجوه

(٤) خير لك مما أعطيتك في الدنيا نسخة

(وشـتات الانعـام) بكسر الهمزة من أنعم اذا زاد على الاحسان بفتحتين أى متفرقات أنواع الاكرام ممـا لا يعلم كنهه أحد من الانام (فى الدارين والزيادة) بالجر أى وجامعـة للزيادة على ما أعطاه فى الدنيا ووعـده فى العقبى من أنواع الـكرامة والدرجات العلى (قال ابن اسحق) تقدم ذكره وقال التلمسانى وصاحب السير والمقدم فيها والمشهور بالمغازى والتاريخ توفى ببغداد سنة احدى وخمسين ومائة وكان بينه وبين مالك كلام ومحاورة وذلك ان الائمـة اتفـقوا على ان مالـكا عربى صريح النسب من ذى أصبح حميرى يمـانى وذهب ابن اسحق الى أنه من الموالى وقوله شاذ رواة الائمة والله سـبحانه وتعالى أعلم والحاصـل انه قال فى سيرته (يرضـيه) أى الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصـلاة والسلام (بالفلج) وهو على ما فى الصحاح بفتح الفاء واللام وبالجيم والاسم بضم الفاء وسكون اللام أى الفوز باحبابه والظفر باعدائه ومنـه قوله صـلى الله تعالى عليـه وسـلم فى وصف القـرآن من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج قال ابن هشام معناه ظهـر وغلب وظفر والحاصل ان فى الاصـل نسختين مضبوطتين وفى المثـل من يات الحـكم وحـده يفلج أى يظهـر عـلى خصـمه (فى الدنيا) كيـوم بدر وقريظـة والنضـير وفتح مكة (والثـواب فى الآخرة) أى ممـا أخفى له من قرة أعين وهـذا القول من ابن اسحق ليس كقول سهل بل هو قول ثالث يشير الى أن الآية مقتضية رضاء فى الدنيا والعقبى معا قيـل وهو الصواب فى معنى الآية (وقيل يعطيه الحوض) أى المورود (والشفاعة) أى المقام المحمود وهو داخل فيه ما قبله بلا مرا وكل الصـيد فى جوف الفرا وفسر عطاء وغيره الحوض بالخير الـكثير تمسكا بمـا فى رواية البخارى ومسلم أى عن أنس بن مالك بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد اغفى اغفاء ثم رفع رأسه فقال نزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الـكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الـكوثر هو نهر وعدنيه ربى عليـه خير كثير هو حوض ترد أمتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء وفى رواية لهما الـكوثر نهر فى الجنة عليه حوضى أى يمد ماؤه منه وفى مسـلم ماؤه أشـد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنـة أحدهما من ذهب والآخر من ورق ويغت بغين معجمة مضمومة فمثناة فوقية مشـددة ومعناه يجرى جريا متتابعا له صوت (وروى عن بعض آل النبى صلى الله تعالى عليـه وسلم) هو على بن أبى طالب كرم الله وجهه على ما ذكره

ووجوه بمعنى ضروب أو استعارة من الوجـه المعروف وهذه فقرة مع قوله (وشـتات الانعام فى الدارين والزيادة) والشتات مصـدر بمعنى التفرق أريد به متفرقاته ويعنى به انه تجمع فيك كل نوع من أنواع النعم التى أنعم الله بها على غـيرك ممن اختاره واصطفاه والزيادة على ذلك بما خصـه به أو الزيادة على النعم المعروفة بلقائه ورضوانه كما قال الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أو الاول ما فى مقابلة عمله وهذا غيره أو الاول ما وعده وأعطاه وهـذا ما لم يخطر بباله ممـا سيعطيه وما قيل من انه عطف تفسـير للانعام لا وجه له (قال ابن اسحق يرضيه بالفلج فى الدنيا) الفلج بفتح الفاء وبالجيم وبضمها وسكون اللام الفوز والظفر بالاعـداء ويكون بمعـنى مطلق الفوز وبفتح الفاء وسكون اللام أيضا فالمراد انه يفوز فى الدنيا وينصره الله ويحميه (والثواب فى الآخرة) الثواب الجزاء بالخير على فعـل الخير فى الآخرة هذا هو المراد وان كان حقيقته الاصليـة مطلق الجزاء خـيرا وشرا دنيا وآخرة وهـذا كالوجـه السابق على بعض الاحتمالات السالفة فان جعلت الآية شاملة لكل ما أعطاه الله من كمال النفس وظهور الامر وما ادخر له ممـا لا يعرف كنهه سواء كان أيضا قريبا مما قبله وقيـل انه اشارة الى فتح مكة فى الدنيا (وقيـل يعطيه الحوض والشفاعة) الحوض ما يحفر مع بناء أو بدونه ليجعل فيه الماء للحاجة ووقع ذكر هذا الحوض فى حديث مسلم بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم فى المسجد أغفا اغفاءة ثم رفع رأسه وقال نزلت على آنفا سورة وتلى سورة الـكوثر ثم قال أتدرون ما الـكوثر هو نهر وعـدنيه ربى عليـه خير كثير هو حوض ترده أمتى يوم القيامة الى آخره وقوله هو حوض ان كان الضمير للنهر فالحوض هو الـكوثر وان كان للخير الـكثير فهو غيره كما ورد فى حديث آخر الـكوثر نهر فى الجنة عليه حوض يمده وهـذا التفسـير روى عن على وابن عباس والحسن رضى الله تعالى عنهم قيل ان أريد انهما مرادان ولو مع الغير فلا كلام وان أريد التخصيص فلا بد من قرينة وفى مسلم انه صـلى الله تعالى عليه وسـلم قال أمتى وبكى فقال الله تعالى لجـبريل قل له سنرضـيك فى أمتك ولا نسوئك فيشفع حـتى يقول رب رضيت أقول ان أراد الاعتراض فلا وجه له لان اللفظ متحمل له والنقل مساعده فـلا مانع من حمله عليه (وروى عن بعض آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هو على رضى الله تعالى عنه قال السيوطى أخرجه أبو نعيم فى الدلائل موقوفا وأخرجه الديلمى فى مسـند الفردوس من حديثه مرفوعا وقال البرهان الحلبى روى انه الحسن ابن محمـد بن الحنفية وقال الذهبى ان أول من تـكلم فى الارجاء زر بن عبـد الله بن زرارة الهمـدانى ورواه الثعلبى مسـندا وصاحب المعالم عن محمـد بن على ورواه ابن أبى حاتم وابن جرير عن ابن عباس رضى الله

الثعلبي في تفسيره (أنه قال ليس آية في القرآن أرجى منها) أي من آية ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم بين وجهه بقوله (ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار) ورواه عنه أيضا أبو نعيم في الحلية موقوفا والديلمي في مسند الفردوس مرفوعا فبطل بهذا قول الحلبي قد ظهر لي والله تعالى أعلم من هذا الرجل هو الحسن بن محمد ابن الحنفية وذلك انه أول المرجئة وله فيه تصنيف انتهى وروى انه لما نزلت قال اذن لا أرضى أن يكون واحد من أمتي في النار قال الدلجي وهذا ان صح فيشكل بما ورد مؤذنا بدخول بعض عصاتهم فيها ومن ثم قال ابن عبد السلام وغيره لا يجوز الدعاء لجميع المؤمنين بمغفرة جميع ذنوبهم اذ لا بد من دخول بعض منهم فيه ويعارضه رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات انتهى ولا يخفى ان المعارضة مدفوعة اذ ليس في الآية لفظ الجميع الشامل للافراد كلها والاشكال السابق أيضا مدفوع بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرضى رضى كاملا الا اذا وقع شفاعته بجميع أمته كاملا وهذا أمر في المستقبل فلا ينافي دخول بعض الامة النار في الماضي فتامل هذا وفي حديث الترمذي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال ما في القرآن آية أحب الي من قوله سبحانه وتعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل أرجى آية في القرآن لاهل التوحيد قوله تعالى وهل يجازى الا الكفور وقيل قوله تعالى انا قد أوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى وقيل قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقيل قل كل يعمل على شاكلته وقيل قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وقيل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الآية ووجهه انه سبحانه وتعالى أمرنا بالاحتياط لدنيانا الفانية التي نهانا عن الاغترار بها والركون اليها والاعتناء بها وأمرنا بالاعراض عنها والزهادة فيها فاذا لطف بنا فيها بما أرشدنا الله اليه مع حقارتها في طول آية من كلامه فكيف بالدار الباقية دار الخلد في النعيم والالتذاذ الذي لا يساوي بل لا يداني بالنظر الى وجهه الكريم وفيه قول آخر وهو ما في صحيح مسلم من حديث الافك فانزل الله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى الى قوله تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال حبان بن موسى قال عبد الله بن المبارك هذه أرجى آية في كتاب الله عز وجل انتهى وقد أخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان أرجى آية في القرآن لهذه الامة قوله تعالى ولكن ليطمئن قلبي هذا واخوف آية في القرآن قيل ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم أيها الثقلان وقيل قوله تعالى فاين تذهبون وقيل ان بطش ربك لشديد وقيل قوله تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات وعن أبي حنيفة واتقوا النار التي أعدت للكافرين وعن الشافعي انها قوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات انتهى واجتمعت الآيات سبعة في الخوف وعشرة في الرجاء ايماء الى أنه سبقت رحمته غضبه وغلب رجاء ثوابه خوف عقابه

عنهما وهذه طرق تعضده (انه قال ليس آية في القرآن أرجى منها) أي من قوله تعالى ولسوف يعطيك الى آخره وأرجى أفعل تفضيل من الرجاء بمعناه أ كثر رجاء والمعنى ان هذه الآية الكريمة أكثر رجاء من سائر آيات الوعد وهو مجاز أصله ليس سامع للقرآن وآيات الوعد أرجى من سامع هذه الآية فجعل الآية نفسها ترجو مبالغة وهو من بليغ الكلام (تنبيه) اختلف في أرجى آية في القرآن فقيل هذه الآية وقيل وهل يجازى الا الكفور وقيل انا قد أوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى وقيل وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقيل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الى آخره وقيل يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين لانه احتاط لدنيانا فكيف لا يحتاط لآخرتنا وقيل ولا يأتل أولوا الفضل الى آخره وقيل ولكن ليطمئن قلبي وأخوف آية ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم أيها الثقلان وقيل فاين تذهبون وقيل غير ذلك (ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار) وقد استشكل هذا الحديث بان دخول بعض العصاة النار أمر مقدر فلو لم يكن من رضاه لزم الخلف في الوعد ولذا قال القرافي رحمه الله لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين وان رد بانه ورد في الآثار وفي قوله تعالى رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات وبان عدم الخلود مغفرة أيضا واعلم انه أورد هنا ان مقام الرضاء بما يريده الله والتسليم مقام عظيم للسالكين فكيف لا يكون لسيد المرسلين ولذا قال صاحب المواهب ما يغتر به بعض الجهال من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرضى واحد من أمته في النار أو أن يدخلها أحد من أمته من غرور الشيطان فانه صلى الله تعالى عليه وسلم يرضى بما يرضى به ربه وهو أعرف بحقه من أن يقول لا أرضى الى آخره ورد أيضا بانه جراءة وسوء أدب والوجه توجيه الحديث لثبوت رواياته وان ضعفت ولا يبعد أن يكون عذاب العصاة لعصيانهم غير مرضي لله تعالى فلا يرضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا لان رضاه على وفق رضى ربه والرضى بالقضاء قد يكون مذموما فاذا لم يرض بعصيانهم ودخولهم النار لعدم رضى ربه به يدخلهم

(الخامس) أى من الستة (ماعده الله تعالى عليه) أى ذكرما (من نعـمه) أى نعمائه وهو أنسب الى قوله (وقرره من آلائه) وهما مترادفان على ماقيل والاظهر ان وقت اجتماعهما يراد بهـما نعمه الظاهرة والباطنة واختلف فى مفرد الآلاء فقيـل الى بالفتح والتنوين كرحى وقيل بالكسر والتنوين كمعى وقيل بفتحها وسكون اللام وبالواو كدلو وقيل بكسرها وسكون اللام وبالياء كنحى وقيل بالفتح وترك التنوين وقوله (قبله) بكسر القاف وفتح الموحدة أى عنده و جهته ونحوه (فى بقيـة السورة) من ألم يجدك يتيما الى فاما اليتيم تلويحا بانه تعالى كما أحسن اليه سابقا يحسن اليه لاحقا كما قيل * (لقد أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى) * فما وعد وقرره و رداله على خلاف ترتيب السورة ماأشار اليـه بقوله (من هدايته) مصدر مضاف الى فاعله أى من هداية الله اياه (الى ماهداه له) أى المستفادة بقوله تعالى ووجدك ضالا أى جاهلا بتفاصيل أحكام الشريعة فهدى أى فهداك اليها ودلك عليها (أوهـداية الناس به) أى فهـدى الناس بـك زيادة على هدايتك فى نفسك فجمع الله له بين الهداية القاصرة والمتعدية المعبر عنهـما بالـكمال والتكمـيل اللذين يصل بهما العبد الى مقام التعظيم ومرتبة التبجيل كما ورد عن عيسى عليه السلام من تعلم وعمل وعـلم يدعى فى الملكوت عظيما (على اختـلاف التفاسير) أى فى هدى من التقادير على ماأشرنا اليها فى ضمن التحارير فهدى اما بمعنى هداه الله أو بمعنى

هدى به الناس (ولا مال له) جملة حالية أو التقدير ومن كونه لا مال له (فاغناه الله بما آتاه) أى أعطاه من مال خديجة أو من الغنائم (أو بما جعله فى قلبه من القناعة والغنى) أى غنى القلب كما أشار اليـه صلى الله تعالى عليـه وسلم بقوله ليس الغنى عن كثرة العرض انمـا الغنى غنى النفس وبقوله القناعة كنز لا ينفـد وهو من قنع بكسر النون فى المـاضى قناعة اذا رضى بمـا أعطاه الله تعالى وبفتحه قنوعا اذا سال بمـا سـواه ومنه القانع والمعـتر أى السائل تصريحا والمعترض تلويحا وما أحسـن ماقال من قال من أهل الحال * (العبد حران قنع * والحر عبد ان طمع * فاقنع ولا تطمع * فما شئ أضر من الطمع) * وهذا المعنى مسـتفاد من قوله ووجدك عائلا أى فقيرا أو محتاجا الى الخلق فاغناك عنهم بغناه بل أحوج اليك كل من سواه كما أشار اليه بقوله آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة

الله الجنة ولو بالآخرة للوعد به والرضى بفعل الله انمـا يجب من حيث انه فعـل للمولى الـكريم الحكيم لا من حيث هو فى ذاته وهو المنفى فى الحديث الثانى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرضى بدخول أحد من أمتـه النار من حيث هو فى ذاته لا من حيث انه مراد الله فـلا اشـكال أو الرضا مجاز عن ترك الطلب أى لا أترك طلب العفو واحد من أمـتى فى النـار ولا يـلزم منه عدم الرضاء حقيقة وكم طلب صـلى الله تعالى عليه وسلم لامته أمورا وهو فى مقام الرضاء دائمـا واذا وعد بالارضاء فلابد من ادخالهم الجنة لا ترك الطلب فافهمه فانه دقيق فلا ينبغى أن يجترئ أحد على ابطال الروايات باوهام الشبهات وهـذا محصل ما فى شرح المـواقف من أن للفـكر نسـبة الى الله باعتبار فاعلتيـه له وايجـاده ونسبتـه الى العبـد باعتبار محليته واتصافه به وانـكاره باعتبار النسـبة الثانية والرضى باعتبار النسـبة الاولى وفى بعض الشروح يجوز أن يكون المراد نفى الرضى بالخلود على نهج المبالغة والاسـتدلال ويجوز أن يكون المراد ولا يرضى أن يعصى الله أحـد من أمته فعبر بالمسبب عن السبب الا أن سـياق الكلام يأباه وقيل مقام الرضاء انمـا هو فى حـق نفسه وهو بعيـد (الخامس ماعده الله عليـه من نعـمه وقرره من آلائه) النعم والآلاء بمعنى وعبر فى النعم بالعد وفى الآلاء بالتقرير أى التحقيق موافقة لقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله وفى قوله تعالى فباى آلاء ربكما تـكذبان فانظر حسـن مقاصده وفى واحدة الآلاء لغات منها الى بفتح الهمزة والـكسر مع القصر والى والى بسكون اللام مع فتح الهمزة و كسرها والواى فى بيان عدماعده (قبله) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة بزنة عنب أى عنـده وفى جهتـه و يقال ليس لى بكذا قبل أى طاقة وقوله (فى بقيـة السورة) متعلق بعـد وهو من قوله تعالى ألم يجدك يتيما الى قوله تعالى فاما اليتيم الى آخره تنبيها على انه كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسـن فيما بقى ثم أشار اليه بقوله (من هدايته الى ماهداه له أو هـداية الناس به على اختلاف التفاسـير) بيان لمـا هداه له عام شـامل للقولين فى تفسير قوله تعالى فهدى أى فهداك أو هـدى الناس بك فهدايته مصدر مضاف للفاعل أو للمفعول أى هداك للشريعة ومعالم النبوة والقرآن وتعليم مالم تعلم أو الطريق التى ضل فيها فى طريق الشام أو فى شعاب مكة فى صغره صلى الله تعالى عليه وسلم وكلها أقوال مذكورة فى كتب التفسير (ولا مال له فاغناه بمـا آتاه) قيـل انه معطوف على مجرور ومن بتقدير انه لا مال الى آخره ولو جعلت حالا جاز ووجد فى الآية بمعنى علم وآتاه بالمد بمعنى أعطاه ولو قصرت على معنى أتاه من عنـد الله بمـا أغناه الله به كمال خديجة وأبى بكر رضى الله تعالى عنهما ومال الغنائم بل بمـا فى خزائن الغيب الذى لو طلب ظهوره ملء الارض لجاز وقيل عياله فى الآية الذين اتبعوه من أمته اذ أغناهم الله به صلى الله تعالى عليه وسلم (أو بمـا جعله فى قلبه من القناعة والغناء) القناعة فى اللغة الرضاء بمـا قسم الله أو الاكتفاء بقدر الضرورة والرضى به كما قيل

ما كل مافوق البسيطة كافيا * واذا قنعت فكل شئ كافى

(ويتيما) ومن كونه يتيما أي لا أب له لموت أبيه قبل ولادته فآواه الى عمه أبي طالب (فحدب) بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين أي رق له ورحمه وعطف (عليه عمه) وأذهب عنه غمه وهمه حتى قال

*(والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا)
*(فاصدع بامرك ما عليك غضاضة
فابشر وقر بذاك منك عيونا)*

وفي نسخة عمه منصوب ولا يستقيم الا اذا كان الدال مشددا (وآواه اليه) وأحسن في تربيته عليه حيث ضمه الى نفسه في جملة عياله وجعله من عمدة عياله وآوى متعد ممدودا أو مقصورا لكن التعدية في المد أكثر كما ان اللزوم في القصر أشهر (وقيل آواه الله) أي ملحوظا بعين عنايته وكفايته محفوظا في ظل حمايته ورعايته وفي نسخة آواه الى الله أي أغناه بذاته عما سواه وروى آوى الى الله مقصورا ومعناه لجأ اليه وتوكل عليه وأسلم الامر له به وهذه المعاني الاخيرة أنسب الى ماحكى عن جعفر الصادق أنه سئل لم أفرد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أبويه فكان يتيما في صغره فقال لئلا يكون عليه حق للمخلوق انتهى ويمكن أن يقال لئلا يكون له تعلق بغير الحق فان الاستئناس ثم
بالناس من علامة الافلاس أو لئلا يتعلق قلبه الشريف بايمانهما لو وجدهما غير مسلمين في أيامهما وليس الخبر كالمعاينة في تحققهما

والقناعة كنز لا يفنى والغنى غنى النفس كما ورد في الحديث وقد رفع الله قدره صلى الله تعالى عليه وسلم عن الاحتياج لخلقه وقد خيره بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار العبودية وقيل المراد غنى الظاهر والباطن وهو تكلف لا حاجة اليه (ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه) أي وجده صلى الله تعالى عليه وسلم يتيما لموت أبيه قبل ولادته أو بعدها بمدة يسيرة واليتيم الصغير الذي لا أب له ولا يتم بعد البلوغ قيل واليتيم في غير الانسان من الام وفي الطير منهما وحدب بفتح الحاء المهملة ودال مهملة مكسورة يليها موحدة واشتهر بفتح الدال وكذا وقع في بعض النسخ الا أنهم قالوا انه غلط وهو من حدبة الظهر والمراد به العطف والشفقة وعمه فاعله وجوز بعضهم نصبه أي عطف الله عليه عمه وليس بغلط كما قيل والمراد به أبو طالب واسمه عبد مناف وحنوه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبته له أمر مشهور في السير وكان يعظمه ويعرف نبوته ولكن لم يوفقه الله للاسلام وفي الامتناع ان فيه حكمة خفية من الله لانه عظيم قريش لا يمكن أحدهم أن يتعدى على ما في جواره فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بدء أمره في كنف حمايته يذبهم عنه كما قال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا

فلو أسلم لم يكن له ذمة عندهم ولذا لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته بد من الهجرة ومن الغريب ما نقله بعضهم من ان الله أحياه له صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به كأبويه وأظنه من افتراء الشيعة وقوله وآواه بالمد معتد أي ضمه اليه لتربيته وحمايته وآوى بالقصر بمعنى نزل غير صحيح هنا والضمير للعم وأما جده عبد المطلب فمات في صغره وعدم احتياجه قبل البعثة لمن يحميه فما قيل من انه انما لم يتعرض لعطف جده عليه أولا لانه كلاب فكأنه لا يتم معه أو لان عطفه أمر عادي لم ينفعه حين ظهور الاعداء ونحوه والاوجه التعميم خطا منه (وقيل آواه اليه) أي قيل في تفسير هذه الآية أن معناها آواه الله أي ضمه الى نفسه ولم يحوجه لحماية أحد وابوائه وهذا يعني ما حكى عن جعفر الصادق انه سئل لم كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتيما في صغره فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق وقد روى هذا عن الحسن أيضا وقيل فيه ان عليه في صغره حقا لغيرهما قطعا كأبي طالب وحق أبويه أولى وأسهل من حق غيرهما فالوجه أن يقال في حكمته أن فيه تسلية ليتامى أمته وان فيه مع أبويه توطئة لشكر نعمائه من عطفهم عليه ولا وجود لابويه ولا يخفى أن حق الابوين عظيم وتربيتهما وشفقتهما ليست كغيرهما فلو كانا حيين معه لكان ينسب اليهما ابواؤه صلى الله تعالى عليه وسلم فلما فقدا علم عناية الله به وآواه روى بالمد والقصر ومعناه بالمد ضمه اليه كما مر وهو أولى وأظهر وبالقصر من آوى الى منزله يأوى من باب ضرب أو يا اقام قال في المصباح وربما عدي بنفسه فقيل آوى منزله وأنكر بعضهم تعديه وقال الازهري انه لغة فصيحة وقرئ بها في الشواذ وهو غير ظاهر هنا ولذا قيل انه بمعنى رحمه ورباه أو جعل له ماوى عنده وفاعل أوى ضمير مستتر يعود الى الله كضمير اليه وفي نسخة وقيل آواه الله تعالى وروى آوى الى الله أي لجأ اليه وكان الظاهر أن يقول آواه الله اليه قيل وانما عدل عنه لما ذكر ولم يقل وآواه اليه لئلا يتوهم عود الضمير لعمه فيكون بمعنى ما قبله * وههنا أمران * الاول أن المصنف رحمه الله غير ترتيب النص فذكر الهداية ثم الاغناء ثم الابواء وأبقى الاولين على ترتيبهما فيه وقدم الثالث على اخويه وقد اعترض عليه بعض الشراح ووجه ما في النظم انه قدم عدم تركه وقلاه اهتماما بالرد لما قالوه في سبب النزول لانه جواب لهم ثم أردفه بانه في الآخرة أيضا غير متروك ولا مقلى وفيه ارغام لانوفهم وجواب أقوى من الاول ثم قال انه سيعطيه فيما ياتي كلما يحب ويرضى في الدنيا والآخرة

ثم كر على ذلك التفصيل حاله المؤيدة لجوابه فقال انه آواه فى صغره ويتمه وعدم الغنى (٢) له فكيف يتركه بعد كبره وقدرته فقال ألم يجدك يتيما فآوى فهذا ناظر لقوله ماودعك ربك وماقلى وعقبه بانه أبعده عن الضلال وهداه وهدى به لسبيل الرشاد فمن كان هذه حال دنياه فحال آخرته كذلك وهذا ناظر لقوله تعالى (وللآخرة خير الى آخره) وثلث بانه أغناه عمن سواه مع فاقته وعيلته فهو ناظر لقوله تعالى ولسوف الى آخره ففيه شبه اللف والنشر على أتم نظام وكذا ما بعده كما سياتى وهذا هو مقتضى المقام حال النزول والمصنف لما ذكر نعم الله عليه وعدها قدم أعظمها وهو الهداية التى فيها سعادة الدارين ثم الغنى فى اليد والقلب الذى هو أعظم النعم الدنيوية بعد الهداية لسبيل الرشاد وهو لا يكون الا بهدايته ثم الايواء الذى هو بمعناه الظاهر دون هذين فغير الترتيب وأتى بترتيب متسق أقرب الى العقول الآن اشارة الى أن النكات لا تتزاحم وأن الحسن يحسن فى كل أناس وقيل انه قدم الثالث على اخويه لتقدمه بتفسيره الاول فى الواقع وتاخره فى كلام المصنف لتاخره عنهما فى النظم تاخر ثانيهما عن أولهما فيه مع ان المقام مقام بيان عظم شانه فاللائق تقديم الاعظم فالاعظم وقيل الاظهر أن الآية وردت فى مقام الاستدلال كما ذكروه فقدم الاظهر فالاظهر فان اليتم والغنى معلومان بالمشاهدة وقد اختار صلى الله تعالى عليه وسلم الفقر والقناعة وفى غناه خفاء بالنسبة لتمام الشرائع والمصنف رحمه الله تعالى قدم الاشد تعظيما وآثر هذا الاسلوب اشارة لاثر فيه والى أن الانسب فى مقام التعظيم تقديم الاعلى كما فى البسملة وهذه أمور متكلفة لا تنزل ساحة التنزيل فالوجه ما قدمناه ❊ الثانى ان فى قوله آواه الله على احدى النسخ نكتة وهو انه لو قال آواه اليه لزم تعدى الفعل بالواسطة الى ضميرهو عين ضمير الفاعل وهو ممنوع عند النحاة فى غير أفعال القلوب وعدم وفقد كما ذكروه فى نحو قوله تعالى فصرهن اليك فيحتاج لتقدير مضاف ظاهر فلذا عدل المصنف عنه ولنا فيه كلام فصلناه فى كتاب السوانح (وقيل يتيما لا مثل لك) وفى نسخة لا مثال لك (فآواك اليه) أى قيل فى معنى يتيما انه لا نظير له من قولهم درة يتيمة أى لا نظير لها وتسمى فريدة أيضا لانفرادها عن نظائرها أى عملك عديم النظير لانه كان واحدا فى قريش بل فى جميع الخلق قال التجانى وهو قول ضعيف حكاه صاحب المشرع الروى وجعله فى الكشاف من بدع التفاسير وفيه ما تقدم من تعديه لضمير الفاعل ومعنى آواك اليه كما اصطفاك أو ضمك الى عملك ونحوه ففى مرجع ضمير اليه وجهان وفى نسخة لا مال لك قيل ويؤيده ما فى المعالم من تفسيره بالم يجدك يتيما فقيرا حين مات أبواك واورد عليه انه سيصرح به فلا حاجة لذكره مع أن اليتم لا يدل على الفقر وأجيب بانه اعتبر الفقر فيه بدلالة الواقع وتنكير يتيما لان غنى اليتيم مرغب فى رعايته وكفالته فالمنة فى ضم اليتيم بدون المرغب أتم والنعمة أعظم وأعاد ذكره ليمن عليه بازالته فذكر الاول بالتبعية والثانى لذاته (وقيل المعنى ألم يجدك فهدى بك ضالا وأغنى بك عائلا وآوى بك يتيما) حكاه بقيل اشارة الى ضعفه والحامل عليه ان وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالضلال بحسب معناه المشهور غير ظاهر فلذا صرفه عن ظاهره ولذا حمله بعضهم على فقده فى صغره أو خطوه فى الطريق فى سفره كما مر وقال التجانى هذا القول لا يساعده اعراب ولا يصحبه صواب فالاولى تركه لما فيه من تقديم المنصوب على عامله والفاء العاطفة لا الزائدة كما فى قوله تعالى وربك فكبر مع وجود عامل مقدم ملاصق وهو مما لا تجوزه النحاة ولو جعل وجد متعديا لاثنين حذف أحدهما أى وجدك رحيما فآوى بك يتيما ومهديا فهدى بك ضالا لكان أقرب وأكثر النحاة أبوه أيضا وقيل فى توجيهه

(وقيل يتيما لا مثال لك) أى لا نظير يماثلك وهذا مراد من قال هو درة يتيمة عصماء أى محفوظة ممنوعة معصومة عن أن يكون لها نظير فى الصورة والسيرة وفى الكشاف أنه من بدع التفاسير ومعناه ألم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير (فآواك اليه) والوجود فى السورة بمعنى العلم فيتيما وضالا وعائلا مفاعيل ثوانى له أو بمعنى المصادفة فهى أحوال من المفعول الاول ولعل وجه تقديم الهداية فى كلام المصنف ايماء الى رعاية العناية واشارة الى أن الواو لا تفيد الترتيب فى العبارة وأما الترتيب الذكرى فى السورة فهو على وفق الوجود الوقوعى حيث يوجد اليتيم قبل البلوغ وبعده تتحقق الهداية الكاملة العلمية ثم رعاية القناعة العلمية (وقيل المعنى ألم يجدك) أى والناس فى ضلال (فهدى بك ضالا وأغنى بك عائلا) أى فقيرا حين وجدك وفيهم عيلة (وآوى بك يتيما) اذ وجدك وفيهم ايتام وهذا من بدع التفاسير أيضا وان كان يلائمه فى الجملة ما بعده من بقية السورة وهى قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر وتذكر حال يتمك وأما السائل لكونه فقيرا فلا تنهر فلا تزجر ولا تقهر وتذكر حال فقرك وأما بنعمة ربك فحدث باظهار الهداية والعلم بالبداية والنهاية وتذكر حال جهلك فيكون اللف والنشر مشوشا اعتمادا على فهم السامع ويمكن أن يكون مرتبا بان يكون المراد سؤال العلم كما هو وقول أبي الدرداء وغيره وأن التحدث بنعمة الرب هو الاحسان الى الفقير المنكسر القلب لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم التحدث بالنعم شكر ويمكن أن يحمل على المعنى الأعم ويستفاد منه المراد الاخص والله تعالى أعلم بمراده فى كتابه

(٢) وعدم المعين نسخة

(ذكره) بتشديد الكاف أي ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم به تذكير امتنان لا ناشئا عن نسيان (بهذه المنن) جمع المنة بمعنى النعمة
والعطية وانه بكسر الهمزة والواو للحال أي الشأن أو الله سبحانه أو هو صلى الله تعالى عليه وسلم (على المعلوم من التفسير)

ان قائله ذهب لما قاله السدي انه من قبيل خطاب السيد بالعبيد أي وجد قومك ضالين فهداهم
وقس عليه أخويه والمصنف رحمه الله تعالى نقله بالمعنى أو القائل فسره بما يؤول اليه ثم ان قوله ألم يجدك
هذا تفسير لوجدك بما آل معناه لتقاربهما وفي النظم غاير بينهما تفننا ووجدك بتقدير اما المساوية لالم
معنى فكان الثلاثة داخلة تحت قوله تعالى ألم يجدك فلذا ادخلها تحته ولا يخفى ما فيه من التكلف ولذا
قال بعض الشراح انه صرف للآيات عن ظاهر بلا دليل من غير ها مقتضى (ذكر بهذه المنن) ذكره
بتشديد الكاف تفعيل من الذكر أي جعله متذكرا والمنن جمع منة وهي الاحسان وقيل ذكره بمعنى
وعظه لان التذكير ورد بهذا المعنى كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد أي عظه به والذكر
على الاول خلاف النسيان والمراد ذكره بتفصيلها أو تفضيلها وان كان ذاكرا لها وكيف ينسى مثله
وقد قام حتى تورمت قدماه وقال أفلا أكون عبدا شكورا وما قيل انه لعدم شعوره بكونها مفصلة على
ما رواه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت ربي مسألة وددت أني
لم أكن سألتها قلت أي ربي قد كان أنبياء قبلي منهم من سخرت له الريح وذكر سليمان عليه السلام ومنهم
من كان يحيي الموتى وذكر عيسى عليه الصلاة والسلام فقال الله تعالى ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى
قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى قال ألم أجدك عائلا فأغنيتك قلت بلى الحديث مما لا ينبغي
ولا دلالة في الحديث لما ادعاه وما أحسن قول بعض الشراح المراد اعلامه بما أنعم به عليه وقيل انه
لاشتغاله بتذكر النعم العظيمة المتجددة أو النعم كلها على الاجمال يغفل عن تفصيلها وشكره كذلك
أو انه جعل بمنزلة الغافل وعامله معاملته لنكتة وان سلم أن هذا غير مناسب فالتذكير بمعنى الوعظ لئلا
يغفل فلا تغفل والباء زائدة ثم أخذ في تقرير دليل هذه السورة على أنه ما قلاه بعد ما اصطفاه فقال (وانه
على المعلوم من التفسير) وروي على المجهول فال في المعلوم للعهد والمراد به جعل اليتم وأخويه من أحواله
لا من أحوال غيره وعلى متعلقة بما بعده وقيل بالتذكير والارادة المفهوم من الكلام (لم يهمله في حال
صغره وعيلته ويتمه وقيل معرفته به) الضمائر الظاهرة كلها له صلى الله تعالى عليه وسلم غير ضمير
انه فانه لله أو للشان أوله ويهمله بمعنى يتركه ويخلي بينه وبين نفسه والعيلة مصدر عال يعيل فهو عائل
والجمع عالة كما في المصباح الاحتياج والفقر يقال عال اذا افتقر وأعال اذا كثر عياله وليست العيلة بمعنى
العيال كما توهمه الناس حتى يقال الاولى ان لا يوسطها بين الصغر واليتم والصغر بوزن عنب معروف
ومفهوم من اليتم وقبل معرفته تفسير لقوله ضالا ولم يصرح به تأدبا وان وقع في الآية موقعا حسنا
والضلال قد يراد به ما وجد من غير قصد ماخوذ من الضلال عن الطريق ولذا نسب للانبياء وغيرهم مع
ما بينهما من البون البعيد كما في هذه الآية ونظائرها كقوله تعالى فعلتها اذا وأنا من الضالين ولله أن
يقول في حق عباده ما شاء وليس لنا أن نقول مثله الا على سبيل الحكاية ألا ترى ان السلطان يدعوا أكبر
خواصه باسمه ويسمه بوسمه فيعده تعظيما وملاطفة ولو خاطبه به غيره كان ترك أدب يغضب به كذا في
عمدة الحفاظ وهو كلام حسن وقال الهروي المراد قبل أن يعرف الشرائع والاحكام كقوله تعالى
وعلمك ما لم تكن تعلم وليس في على استعارة لتشبيه المعلوم بمكان عال مرتفع كما قيل (ولا ودعه ولا قلاه)
أي ما تركه ولا أبغضه في هذه الحالة وهذا مفهوم مما في ضمنه اذ لو كان هذا لما هداه الى ما هدى واذا
كان هذا حاله قبل البعثة واتمام النعمة ومعرفته بربه (فكيف بعد اختصاصه واصطفائه) كيف
للاستفهام الانكاري على من قال انه ودعه كقوله تعالى كيف تكفرون بالله أي في أي حال يكون

أي بناء على ما علم من انواع التفسير على ما سبق من التحرير (لم يهمله) من الاهمال أي يتركه به تعالى (في حال صغره) أي جهله (وعيلته) أي فقره (ويتمه) أي فقد أبيه (وقيل معرفته) أي وفيما قبل معرفته الكاملة (به) تعالى (ولا ودعه) عطف على لم يهمله ولا تركه ولا دفعه (ولا قلاه) أي ولا ابغضه ولا قطعه (فكيف) أي حاله (بعد اختصاصه) بالكرامات السنية (واصطفائه) بالمقامات البهية والمعنى بعد ارساله واعلامه اصطفاه واجتباه على خليقته لكرامته عنده ومنزلته والا فقد كان اصطفاه في أزليته قبل ظهور بدايته بدليل قوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفي رواية وآدم منجدل في طينته أي وآدم مراد ايجاده منهما في وقته فلا بينية والانجدال حال نبوته ثم اعلم أن ملخص الاقوال في تفسير قوله سبحانه وتعالى ووجدك ضالا فهدى ستة أقاويل أولها انه وجدك ضالا عن الشريعة واحكامها فارشدك اليها بتمامها
وثانيها انه وجدك منسوبا الى الضلالة عند الاعداء فبين أمرك بالبراهين القاطعة للاحباء وثالثها انه وجدك بين قوم
ضلال فارشدك الى ما تميزت به عنهم الى مقام الوصال ورابعها انه وجدك ضالا بتزويج ابنتك في الجاهلية لبعض الكفرة فبين لك ان

هذا

المشرك لا يتزوج المسلمة قال ثعلب وهذا هو قول أهل السنة فى هذه الآية وخامسها انه وجدك ضالا بين مكة والمدينة تارك الطريق
وذلك عليه وبينه أو اشارة الى ضلالته وهو صغير فى شعاب مكة حيث وجده ورقة بن نوفل ورجل من قريش فرداه الى جده عبد المطلب
وسادسها انه وجدك ضالا أى عاشقا ومحبا فهداك الى محبوبك والقول الاول فى تفسير الآية هو المعول كما بينه قوله تعالى
ما كنت تدرى ما الكتاب
ولا الايمان وعلمك ما لم
تكن تعلم وكان فضل الله
عليك عظيما (السادس)
أى من الستة (امره) فعل
ماض على ما صرح به الحاى
والاظهر انه مصدر
مضاف الى مفعوله
(باظهار نعمته عليه)
مصدر مضاف الى الفاعل
عام فى جميع ما انعم به عليه
اذا اضافة الفرد قد تفيد
العموم (وشكر ما شرفه
به) أى ما أحسنه اليه
وعظمه لديه (بنشره) أى
بسط ما شرفه به واظهاره
تبجحا بالنعمة وقياما
بشكر المنعم لا افتخارا
بالعطية والحال المال (واشادة
ذكره) أى وتشهير
ذكر ما شرفه به ورفع قدره
وتعظيم شانه واعلاء امره
وبيانه وتعريف حاله
(بقوله وأما بنعمة ربك
فحدث فان من شكر النعمة
التحدث بها) لحديث
التحدث بالنعمة شكر
وفى نسخة التحديث وفى
أخرى الحديث ومن
التحدث بها اظهارها فى
الملبس والمركب ونحوهما
لحديث اذا أنعم الله على
عبد أحب ان يرى أثر نعمته عليه (وهذا) أى أمره باظهارها (خاص له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عام لامته) لانه امامهم فامره كامرهم
وقال مجاهد معنى قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث بث الشرائع والقرآن المشتمل على البدائع والاولى حمل الآية على عموم النعمة
ولعل هذا منشا ما كان بعض الصالحين يخبر بجميع ما يفعله من الطاعات للسالكين كانه ينحو الى انها نعمة أنعم الله سبحانه وتعالى
بها عليه فيجب عليه التحدث بها مع انه قد قصد ان الناس يقتدون به فى فعلها

هذا بعد اختصاصه بسمى زيادة قربه أو جعله مخصوصا بفضائله الجليلة واصطفائه أى اختياره من
بين خلقه قيل والمراد اظهار ذلك فى عالم الشهادة وتقرير الدليل على ما قاله الامام ان كمالك وعبادتك بعد
هذه الامور أتم حيث رقيناك قبل ذلك الكمال الى ذروة العلى فبالاولى ان لا نتركك ولا نبغضك بعد
الكمال والعبادة وقيل عليه انه لا يناسب تفسير الغنى بالغنائم ونحوها مما لم يتحقق بعد النزول فان
جعلت بمنزلة المحقق اذ لا بد من تحقق أمر قبل الكمال ليعلم ثبوت مثله بعده بالاولى والاثبات والمحل
المذكور لا يفيده فالاظهر فى الاستدلال بالمعنى حينئذ ان يقال سنخصك بالطاف جليلة أو انا قدرنا لك
ذلك فلا نتركك ولا نبغضك لانه مناف له فتدبر * أقول الثابت فى كتب التاريخ ان التفسير الكبير وصل
الى سورة الانبياء وكمله تلميذه الخوى فنسبة ما ذكر للامام لا ينبغى وما أورده عليه غير وارد لانه ليس
فى تفسيره المذكور تعرض للغنى فكيف يلزمه بما لم يقله ومن نظر تفسيره عرف ما قلناه (السادس أمره)
أمره بصيغة المصدر المضاف لفاعله كما ضبطه به بعض الشراح أو الفعل الماضى كما فى المقتفى والاول أظهر
ولا حاجة لتقدير ان المصدرية قبله كما فى قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق كما قيل لانه هنا لا قرينة تدل
عليه (باظهار نعمته عليه) هو عام شامل لجميع ما أنعم به عليه وقيل المراد بالنعمة هنا النبوة أو القرآن
والاظهر الاولى هو الاول والخطاب والامر وان كان خاصا به صلى الله عليه وسلم فهو عام لامته تعليما لهم
والتحديث بالنعمة شكر لها وقد قالوا انه يحسن من الانسان الثناء على نفسه وذكر محاسنه وفضائله فى
مواضع استثنوها من الاصل الغالب على الكمل من هضم أنفسهم وروى عن على كرم الله وجهه انه
قال اذا أصبت خيرا فحدث به اخوانك ومن مواطن التحدث بالنعم ما اذا جهل قدره ونوزع فى أمر
وللسيوطى رحمه الله تعالى تاليف فى هذا اسماه نزول الرحمة فى التحدث بالنعمة وقد روى مثله عن كثير
من الصحابة وأمره تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم بالتحدث بما أولاه يقتضى تعظيمه لان من أمر غيره
بشكر نعمة من نعمه انما يأمره فى العادة بما عظم عنده لاستهجان طلب الشكر على أمر حقير وهذا
يقتضى عظم الامور أيضا وقال بنعمة ربك دون بنعمتى اشارة الى انه رباه وفيه أيضا اشارة الى عظم قدره
عنده وعنايته به ففى هذا تعظيم ليس فى الامرين الآخرين ولذا لم يذكرهما المصنف رحمه الله تعالى فاندفع
ما قيل من أنه بقى هنا شئ لم يذكره وهو ارشاده لمكارم الاخلاق بقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر الى آخره
وخص اليتيم لانه لا ناصر له الا الله والسؤال ذل وكسروهما منت وبان بالفعل بعدهما بتقديره مهما يكن
من شئ فاما الى آخره فلا حاجة لما تكلف فى الجواب عنه (وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله
وأما بنعمة ربك فحدث) مجرور معطوف على اظهار وليس عطف تفسير كما قيل بل بيان لان أظهار
النعم اذا لم يكن رياء ولا لغرض آخر يكون شكر اللنعم ونشره اذاعته واظهاره للناس والاشادة بكسر
الهمزة وشين معجمة ودال مهملة هو رفع الصوت به وهو كناية عن الاعلام الثقلين وقوله بقوله
تنازعه امره وما بعده (فان من شكر النعمة التحدث بها) أتى بمن التبعيضية اشارة الى ان للشكر
طرقا آخر هذا منها كاظهار الملابس والمطاعم والمراكب وفى الحديث التحدث بالنعمة شكر وفيه
اذا أنعم الله على عبد بنعمة أحب ان يرى أثرها عليه وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى هنا منقول
عن مقاتل وليس فيه تخصيص بنعمة كما توهم (وهذا خاص له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عام لامته)

(وقال تعالى) حال لازمة من ضمير قال أى متعاليا عما الا يليق بجنابه الكريم (والنجم اذا هوى الى قوله لقد رآى من آيات ربه الكبرى
اختلف المفسرون فى قوله تعالى والنجم) أى فى المراد به اختلافا مصحوبا (باقاويل معروفة منها) أى من جملة الاقاويل قولهم (النجم على
ظاهره) فالمراد به اما جنس النجوم أو الثريا الغالبة عليها وهى سبعة كواكب على ماذكره السهيلى ولا يكاد يرى
السابع منها لخفائه وفى الحقيقة انها اثنا عشر كوكبا فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يراها كلها بقوة جعلها الله تعالى فى بصره كما ذكر ابن خيثمة من طريق ثابت عن العباس عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو الزهرة لانهم كانوا يعبدونها فنبهوا على انتقالها وزوالها كما ذكره الغزنوى فى تفسيره أو الذى يرجم به فهواه غروبه أو انتشاره وانكداره يوم القيامة أو انقضاضه أو طلوعه اذ يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وبالضم اذا علا وصعد (ومنها) أى من جملة الاقاويل أن النجم هو (القرآن) لانه نزل منجما فى دفعات متعددة وأوقات مختلفة فالهوى بمعنى النزول ويؤيده قوله فلا أقسم بمواقع النجوم الآيات على ما اختاره بعض المفسرين وقيل انه اسم جنس للصحابة ولعلماء هذه الامة كما ورد عن سيد الائمة أصحابى كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم ذكره فى عين المعانى قال الدلجى فالهوى على هذا كناية عن الموت يعنى أى
موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ولا يخفى بعده فان الاقتداء بهم والاهتداء أعم من زمن حياته وبعد وفاته فالهوى بمعنى الظهور
والعلو (وعن جعفر بن محمد) أى الصادق (انه) أى النجم المقسم به (محمد عليه السلام) قال الدلجى وكثيرا ما يذكر المصنف السلام
بدون الصلاة مع كون افراد أحدهما مكروها قلت المحققون كالجزرى وغيره على انه لا يكره وانما الجمع أفضل (وقال) أى جعفر

الاشارة الى الامر المذكور أى بحسب الظاهر والمورد خاص به صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المامور بحسب الظاهر وهو عام شامل لجميع الامة لان أمره أمر لهم ما لم تقم قرينة على انه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فهم مامورون بهذا الامر أو بامر آخر والقول بان المراد انهم مامورون بالشكر لانه واجب عليهم تكلف (وقال الله تعالى والنجم اذا هوى الى قوله من آيات ربه الكبرى) فقوله تعالى جملة معترضة وقيل انها حال لازمة من فاعل قال أى متعاليا عما لا يليق بجنابه ذكر هذه الآية لتضمنها القسم لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم استطرد فذكر ما معها من الآيات استقصاء لما فيه تعظيمه (اختلف المفسرون رحمهم الله تعالى فى قوله تعالى * والنجم اذا هوى * باقاويل معروفة) أقاويل جمع أقوال جمع قول فهو جمع جمع عبر به للدلالة على كثرتها والباء متعلقة بالمفسرين أو بمقدر من جنسه لانه يقال فسره بكذا فيتعدى بالباء وهو وان كان بعيدا أظهر مما قيل ان تقديره اختلافا مصحوبا باقاويل أو مفصحا عن أقاويل واذا فى هذا ونحوه قيل انها الحال ظرف للقسم أو كائنا المقدر وليست للاستقبال لان أقسام الله قديم وقد قال ابن هشام لا يصح تعلقه بأقسم الانشائى لان القديم لا زمان له لتقدمه على الزمان فهو متعلق بكائنا باق على استقباله بدليل صحة مجىء الحال المقدرة وأجاز بعضهم ان يكون متعلقا بالعظمة المفهومة من القسم فالمعنى اقسم بالنجم العظيم اذا هوى فان أريد بالنجم الجنس وهو غروبه فعظمته دلالته على حدوثه الدال على وجود الصانع وان أريد القرآن المنجم نزوله فعظمته بدلالته على الاحكام وان أريد به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونزوله بعد المعراج فعظمته بدلالته بتكريم من هو أعظم من كل عظيم كما قيل وفسر الهوى بالطلوع أيضا أقول هذا كلام غير مهذب فان كلام الله قديم لفظه أو معناه النفسى وكل ما فيه مما يدل على الزمان كالظروف والافعال ليس بمجاز بل حقيقة باعتبار متعلقه وظهوره لان علم شئ فى زمان لا يقتضى أن يكون ذلك العلم فى ذلك الزمان كما حققه علماء الكلام وهذا المقام لا يسع تفصيله وتحقيقه مع انه لشهرته غنى عن البيان (منها النجم) محمول (على ظاهره) فيراد به جنس النجم أو الثريا أو الزهرة لان من المشركين من كان يعبدها والثريا ليست نجما واحدا بل عدة نجوم اختلف فى عددها على أقوال قيل ستة وقيل سبعة وقيل تسعة وقيل احدى عشر نجما وقيل اثنى عشر والنجم صار علما لها بالغلبة وفى الحديث ما طلع نجم فظاهر وفى الارض من العاهة شئ والهوى الغروب أو الطلوع كما مر ولا حاجة الى جعل الثانى مفهوما من النجم لانه يقال نجم قرن الشاة اذا طلع والقسم به لانه مخلوق بديع دل على صانعه وقدرته وكذا فى الهوى بمعنييه (ومنها القرآن) لانه نزل نجوما متفرقة بحسب المصالح وقال بعض المفسرين انه نجوم القرآن من قولهم نجم الدين اذ جعله حصصا ومن الغريب ما قيل انه الصحابة رضى الله تعالى عنهم لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابى كالنجوم حكاه التجانى هنا وهو يوهم موتهم على هذا وهو بعيد (وعن جعفر بن محمد) الامام الصادق تقدمت ترجمته (انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ولم يقل ومنها لانه مع ما قبله كوجه واحد لشدة مناسبته له وهذا وان سبق لا يعد تكرارا لاختلاف الغرض فيها والقول بانه ليس منها لا وجه له فالمقسم به وله واحد وهو أمر مستحسن عند البلغاء كما ذكره الزمخشرى لقول البحترى * وثنايا لك انها أعريض *
فانظره فى شروح الكشاف ولنا فيه كلام فى السوانح وقد تقدم تفسير هويه على هذا (وقال)

(هو قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أقول بل هو صلى الله تعالى عليه وسلم بقلبه وقالبه نور يستنير منه الانوار ويستضاء منه الاسرار وقد ورد اللهم اجعلني نورا وقد سماه الله تعالى نورا على ما تقدم والله تعالى اعلم فالهوى بمعنى الظهور كما هو ظاهر في معنى النور وأما على ارادة قلبه فلعل المراد بهواه ميله الى ربه وغيبته عن غيره واستغراقه في حبه ويؤيده ما قدمناه من ارادة كله قوله (وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق) أي البادي ليلا وأصله السالك الطريق وخص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل في البادي فيه (وما ادراك ما الطارق) أي أي أشئ أعلمك انه ماهو يعني انه شئ عظيم لا يعرفه أحد ثم بينه انه (النجم الثاقب) أي المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه أي (أن النجم هنا أيضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عبر عنه أولا بوصف عام ثم بين بما يخصه تفخيما لشانه وتعظيما لبرهانه بجامع ان كلا يهتدى به وان كان بينهما بون بين حكاه السلمي) أي نقله في تفسير الحقائق (تضمنت) فقد جمعت (هذه الايات) أي من قوله والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى (من فضله وشرفه) أي الزائد على غيره (العد) بكسر العين وتشديد الدال المهملتين أي الشئ الكثير الذي لا تنقطع مادته وأصله في الماء يقال ماء عد اذا كانت له مادة غير منقطعة كماء العين والبئر (ما يقف) أي العد الذي يقف (دونه) أي ينقطع قبله والضمير للعد وقال الدلجي أي يقف دون كل منهما (العد) بالفتح الاحصاء والاستقصاء والعد أيضا العد هذا ولما نسبت الكفار المسمى بالهدى الى الضلال والردى وان ما ينطق به انما هو عن الرأي والهوى رد الله عليهم وكذبهم (وأقسم اسمه) أي عظم كسماه (على هداية المصطفى وتنزيهه) أي براءة ساحته وأغرب التلمساني حيث قال أي تعظيمه (عن الهوى) أي فيما أخبر به للورى (وصدقه فيما تلا) أي قرأ (وانه متلوه) أي وحي يوحى

أي جعفر مرة أخرى وفي نسخة وقال سهل وتقدمت ترجمتهما (هو قلب محمد عليه الصلاة والسلام) اطلاق النجم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهر كما أطلقه الشراح وأما اطلاقه على قلبه فلا شرقه بالانوار الالهية وهو منبعها ومنبع الهداية وان كان فيه خفاء وقيل انه النبات الساقط على الارض والنجم ما لا ساق له وما له ساق شجر وقيل تقديره ورب كما مر وذكر المصنف رحمه الله تعالى السلام دون الصلاة وقد قيل كما مر انه مكروه كعكسه مع ان الذي في النسخ الصحيحة صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه يحتمل انه تلفظ به ولم يكتبه أو مذهب المصنف رحمه الله تعالى عدم كراهته (وقد قيل في قوله تعالى السماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم) الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بشدة اضاءته والطارق أصل معناه من يأتي ليلا لانه يطرق الباب المغلق ليلا أو الارض برجله ثم غلب على النجم لظهوره ليلا ومنه الطريق لانها مطروقة بالارجل وقيل الطارق زحل وكل ما يرى ويظهر ليلا يسمى طارقا قال الزمخشري أراد الله ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما لما فيه من عظيم قدره ولطيف صنعه فابهمه ثم فسره (ان النجم هنا أيضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وذكره لان الله أقسم به على حفظ كل نفس فكيف عن هو أنفس الانفس فهو اشارة الى عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا الاعتبار يكون مما نحن فيه فان لم يلاحظ هذا يكون تاييدا لقول جعفر فلا وجه لما قيل من أن الاحسن ذكره في فصل القسم به السابق ولا للقول بانه اشارة الى عدم الاستيفاء أو أنه غفل عن ذكره هنا فتذكر وذكر وعلى هذا فالطارق اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم أتى وقد دجى الكفر وأظلم أو لان معناه سالك الطريق كما قاله الراغب (حكاه السلمي) بضم السين وفتح اللام وتقدمت ترجمته (تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد) التضمن الاشتمال وجعله في ضمنه أي اشتملت أو وفيت بها كما في الضامن بما ضمنه قال المؤلف والعد بكسر العين وتشديد الدال المهملتين الماء الدائم الجريان الذي لا تنقطع مادته والقديم والكثير ويصح ارادة كل منهما وعلى الاول فيه تشبيه له لكثرة الانتفاع به مع انه لا ينقطع عنه مدد الفياض وفيه تجنيس (ما يقف دونه العد) بالفتح والتشديد بمعنى العدد والاحصاء برجل يجري ليصل الى الاحاطة بمناقبه فبعد عنه حتى أعيى وانقطع دون مرامه ففيه استعارة تمثيلية وتقدير صاحب العد يذهب برونق الكلام ومائه ودون هنا بمعنى قبل كما في قول ابن دريد

ان امرء القيس جرى الى مدى * فاعتاقه حمامه دون المدا

وقد تقدم الكلام عليها في الخطبة (واقسم جل جلاله) هو كجد جده كما مر وفي نسخة جل اسمه (على هداية المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وتنزيهه عن الهوى) هذا ما دل عليه قوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اشارة الى نفي الضلال والغواية فهو كناية عن الهداية وان توهم في بادي النظر ان بينهما واسطة فان الصغير ونحوه ليس بضال ولا مهدي لكنه لما أكده بنفي الغواية دل على ان المراد اثبات الهداية على وجه بليغ وكذا نفي النطق بالهوى المراد به انه ليس له هوى ولا نطق به على منوال قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * ولذا ذهب المفسرون لما ذكر والهوى ميل القلب الى خلاف الصواب وحب الشهوات (وصدقه فيما تلا وانه وحي يوحى) فيما تلاه متعلق بصدقه

أوتنازع فيه هو وماقبله والذى تلاه هو القرآن والتلاوة فى عرف اللغة والشرع تختص به وان كانت قد تطلق على مطلق التكلم لانه من تلاه يتلوه اذا تبعه وهو وحى متبع وضميرانه راجع لما وهو القرآن والوحى يطلق على معان كالكتابة والاشارة والرسالة والالهام ونحوه مما فيه خفاء وأتى بيوحى بعد الوحى للتاكيد ودفع المجاز وافادة انه يتجدد شيأ فشيأ كما يشير اليه النجم أوالاول بالمعنى اللغوى فهو تأسيس وقيل الوحى كل ماينطق به وانه يجوز فى قوله تعالى ان هو الى آخره أن يكون استئنافا غير مقسم عليه وفى ضمير ينطق أن يكون للقرآن و يمكن تطبيق كلام المصنف رحمه الله تعالى عليه ولم يذكر الحصر المذكور فى النظم اشارة الى ان فحوى الكلام يفيده لان المقصود نفى وجوه البطلان واذا بين انه وحى أكد على وجه دل على هذا كما لايخفى فلا يرد عليه ماقيل انه أخل بالحصر والقسم به على الاثبات والنفى الذى أفاده قوله تعالى ان هو الا وحى يوحى وهو أنسب بتعظيم القرآن الذى جاء به النظم المقتضى لتعظيم من جاء به وتبجيله وهو المناسب لما قصده المصنف رحمه الله تعالى ثم أتى بكلام أوهم انه أبو عذرته ماله ماذكرناه وهو مسبوق به ثم قال كيف يتوجه القسم الى قوله تعالى ان هو الا وحى الى آخره مع انه لم يدخل به القسم ولم يعطف على مدخوله وجوابه والجواب انه بيان لقوله تعالى وماينطق عن الهوى سواء كان المراد انه ينطق بوحى متلو هو القرآن أوان كل ماينطق به مما يتعلق بالدين وحى من عند الله ولذا رجح القسطلانى عود ضميرهو الى النطق المفهوم من ينطق وليس عائدا للقرآن فان نطقه بالقرآن والسنة وكل منهما وحى من عند الله ولذا فسر قوله تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة بالقرآن والسنة لانها كانت تنزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ينزل القرآن (أوصله اليه عن الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الشديد القوى) أى أوصل الوحى بمعنييه كما بيناه فلا وجه لما قيل ان كان المراد به القرآن فلا خلاف فيه وان كان كل ماينطق به فهو على التغليب أوالمراد انه أوصله بواسطة غيره أو بلا واسطة والشديد القوى من اضافة الصفة المشبهة لفاعلها أى قواه شديدة والقوى جمع قوة وأصل معناه طاقة الحبل المفتول وجبريل عليه الصلاة والسلام موصوف من بين الملائكة بالقوة العلمية لتلقيه عن الله مالا يقدر غيره على تلقيه والقوة الحسية لقلبه قرى قوم لوط عليه الصلاة والسلام واهلاكه بعض القوم بصيحة منه ونزوله من فوق السموات الى الارض فى أقل من طرفة عين وقيل الشديد القوى هو الله العظيم القدرة (ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسرا) انباء للالصاق متعلقة باخبار وللتشبيه بقصته وثم للاشارة الى بعد هذه القصة عما قبلها لزيادة شرفها والاسراء اسراه من مكة للبيت المقدس والمعراج عروجه منه الى الملأ الاعلى فلا يناسب تفسير الاول بالثانى وان كان كل منهما يطلق على الآخر والفضيلة ما أكرمه الله به من تقريبه وتشريفه بما لا يعلمه غيره وابتداء القصة من قوله فاستوى الى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الى آخره فانها فى المعراج فى قول طائفة قيل والاصح أن قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى المراد به رؤية جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته الاصلية ويؤيده ان ماقبله ليس حكاية عما فى المعراج على رأى الاكثرين ولم يتعرض المصنف رحمه الله تعالى لتفصيله بل أتى بثم معقبا بقوله (وانتهائه الى سدرة المنتهى) السدرة واحدة السدر وهى شجرة النبق وهذه من جنسها ولذا وردفيها أن نبقها كقلال هجر وهى عن يمين العرش وورد انها فى السماء السادسة والسابعة ووفق بينهما بان أصلها فى السادسة وفروعها تنتهى للسابعة وأضيفت للمنتهى بمعنى الانتهاء أومحله لانه ينتهى اليها علم المقادير أوالارواح أوالملائكة وسيأتى تفصيل حالها فى مبحث الاسراء وفى الرؤية فى قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى

أوصله اليه عن الله جبريل) أى علمه شديد القوى على خلاف فى مرجع الضمير المنصوب هل هو القرآن أوالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) أى جبريل (الشديد القوى) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها أى شديد قواه لانه هو الواسطة فى ابتداء خوارق العادة كاقتلاع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصياحه صيحة واحدة لقوم ثمود فاصبحوا جاثمين وقيل المراد به الحق جل جلاله يعنى شديد القوة والقدرة والحكمة ونسب هذا القول الى الحسن (ثم أخبر) أى بعد قسمه وبراءة ساحته (عن فضيلته بقصة الاسراء) أى بقضية المعراج المبتدأ بعد الاسراء الى المسجد الاقصى كما أشار اليه بقوله (وانتهائه الى سدرة المنتهى) أى بقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى وهى عند أكثر المفسرين شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ينتهى اليها علم الخلائق

(وتصديق بصره فيما رأى) أي بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى يعني ما رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره من صورة جبريل أو من ذاته سبحانه أي ما كذب قلبه بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك أولا بالقلب ثم بالبصر أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قاله لكذب لانه عرفه بفؤاده كما رآه ببصره يقينا لا تخييلا اذ قد سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي والجمع بين روايات المحدثين وقول المفسرين واختلاف الصحابة انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ٢١٧ ببصره وأخرى ببصيرته هذا وقيل

عند سدرة المنتهى وفي المرئي اختلاف أيضا هل هو الله تعالى أو جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته الاصلية والمعراج هل كان الى السماء أو الجنة أو لما فوقها وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من انتهائه اليها لا ينافي انه لما فوقها (وتصديق بصره فيما رأى) أي تصديق الله له في رؤيته في قوله تعالى مازاغ البصر الى آخره كما سيأتي أي ما رآه واعتقده بسبب رؤيته حق مطابق للواقع والرؤية وان كانت فعلا الا أنه يقال صدقت فعله اذا أثبته اثباتا متيقنا لانه لم يجاوز بصره ما رآه ولم يمل عنه ولم يعدل عما أمر برؤيته ومدح الله تعالى له دليل على عدم خطائه لتركه الالتفات تادبا فلا وجه لما قيل ان ذلك لا يدل على تصديقه وهذا معنى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أي ببصره مما رأى أي ما كذب بصره فيما حكاه له فان الامور القدسية تدرك بالقلب ثم بالبصر أو ما قال فؤاده لما رآه لا أعرفك ولو قاله لكذب لانه عرفه بفؤاده كما رآه ببصره يقينا لا تخيلا كما قاله بعض الشراح وقوله وانه رأى من آيات ربه الكبرى اشارة الى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى ومن بيانية مبينة لمقدر أو تبعيضية أو زائدة أي رأى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الاسراء الكبرى من آيات ربه وعجائب ملكوته وقال البيضاوي أي والله لقد رأى الكبرى من آيات ربه وعجائبها الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقيل انها المعينة بما رأى والكبرى صفة الآيات والمفعول محذوف أو مفعول ومن آيات حال مقدمة وعلى البيان فهو راء لجميع الآيات وعلى التبعيض المرئي بعضها وزيادة من في الاثبات مرجوحة عند النحاة فالمعنى انه رأى ما رأى مما لا يمكن وصفه قيل والاضافة الى الرب تدل على انها غيره ولو رآه لكان الظاهر ذكره دون آياته قال صاحب الكشاف وفيه كما قيل نزعة اعتزالية وفيه نظر (وقد نبه على مثل هذا في أول سورة الاسراء) ضمير نبه لله تعالى والتنبيه يكون بمعنى ايقاظ النائم وارشاد الغافل ومطلق البيان وهو المراد لكنه ايماء الى كونه بالليل يشير الى قوله في أول سورة الاسراء لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وجعله مثله لانه في سورة النجم ذكر تحقق رؤيته بخلافه هنا مع شموله لما قبل العروج وبعده ولقول المفسرين ان المعنى لنريه من آياتنا برؤية السموات وما فيها من العجائب ومشاهدته البيت المقدس ومقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومواطن عباداتهم وتمثلهم له وبينهما مناسبة بدلالتهما على رؤية الآيات الكبرى الا أن فيها اشارة باضافة الاراءة له بضمير العظمة وجعل نفسه هو السميع وهو البصير الى زيادة قربه وعظمته كما لا يخفى على من له ذوق وافتتحها بسبحان الدالة على التنزيه نفيا للجهة المتوهمة واشارة لابراء ساحته عن استبعاد ما استبعدوه حتى قالوا ما قالوه (ولما كان ما كاشفه عليه الصلاة والسلام من ذلك الجبروت) لما بالتشديد وفتح اللام وما موصولة وكاشف فاعل من الكشف وهو رفع الغطاء والكشف عن الشئ يقتضي معاينته ومشاهدته ولذا وقع هنا عبارة عن المعاينة ولذا علق به قوله من الجبروت وعطف عليه قوله (وشاهده من عجائب الملكوت) عطف تفسير فلا وجه لما قيل المناسب أن يقول فشاهده لان المشاهدة أثر الكشف لصحة قولك كشف فشاهد لكنه راعى السجع اذ لا يصح أن يقال رفع غطاء ما هنالك من الجبروت لان المراد انه عاين الجبروت واطلع عليه لا رفع غطاء

الضمير في رأى عائد على الفؤاد نفسه أي ما كذب الفؤاد ما رآه بل صدقه وتحققه والرؤية ههنا حينئذ بمعنى العلم وكذب بالتخفيف ككذب بالتشديد كما قرئ بهما (وانه رأى من آيات ربه الكبرى) أي بقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى أي رأى ليلة الاسراء عند عروجه الى السماء بعض آياته الملكية والملكوتية أو كلها فمن مزيدة والكبرى صفة للآيات (وقد نبه) أي الله سبحانه وتعالى (على مثل هذا) أي رؤيته من آيات ربه (في سورة الاسراء) أي بقوله لنريه من آياتنا والاظهر ان قوله لنريه من آياتنا في المسجد الاقصى وقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى في السموات العلى (ولما كان ما كاشفه) أي الذي رآه (عليه السلام) أي برؤيته بمعنى اطلع عليه ورآه ابتداء لا بمعنى رفع غطاءه وان زعم لانه لو أراد هذا المعنى لقال وكشفه ولعدم مناسبته للمقام اذ لا يقال رفع غطاء ما هنالك (من ذلك الجبروت) بفتحتين فعلوت مبالغة من الجبر بمعنى القهر كالعظموت من العظمة والمراد انه رأى ما يدل عليه اذ هو معنى والمعنى لا يشاهد بالبصر الظاهر الا أن تحمل الرؤية على رؤية البصيرة فالمراد بها العلم والمعرفة (أو شاهده من عجائب الملكوت) مبالغة من الملك كالرهبوت من الرهبة والرحموت من الرحمة والمحققون على أن الملك ظاهر السلطنة والملكوت باطنها وقيل المراد بالملك

العالم السفلى والملكوت العلوى (لاتحيطه العبارات) أى لاتشمله أنواع التعبيرات ولاتحويه أصناف التفسيرات لقصور

والجبروت فعلوت بفتح الفاء والعين ولام مضمومة يليها واو ساكنة وتاء طويلة وتسكين الباء والهمز غلط كما قاله ابن مكى فى تثقيف اللسان وهو بمعنى العظمة والجلالة من الجبر وهو القهر من تجبر بمعنى تعظم كما فى القاموس وله معنى آخر غير مناسب هنا وقيل المراد بالمكاشفة الدلالة لانه معنى من المعانى لايشاهد ولو أبقى على ظاهره جاز وقيل لطف المكاشفة غير المشاهدة فالفعلان ليسا صلة لموصول واحد بل المراد الجنس الذى كاشف بعضه وشاهد بعضه أو انه يقدر موصول بناء على تجويز حذفه مع بقاء صلته وهو تكلف لاحاجة اليه ومر أن الملكوت عالم الغيب والملك عالم الشهادة قال تعالى أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وهو مصدر ملك مع المبالغة وهو مختص بالله قيل وكان الاظهر أن يقول وعجائب الملك والملكوت وفيه نظر (لاتحيط به العبارات) والعبارة اللفظ المعبر به عن المعنى من العبور وهو المرور قال الله تعالى الاعابرى سبيل أطلق عليه لتوهم ان الفهم يعبر به وفى المصباح العبارة البيان بكسر العين وحكى فى المحكم فتحها أيضا انتهى أى تقصر العبارة عن أدائه لكثرته بحيث لاتفى العبارة بتفصيله وهو على اطلاقه مبالغة قيل وهو ناظر الى ما شاهده وقوله (ولاتستقل بحمل سماع أدناه العقول) ناظر الى ما كاشفه على اللف والنشر المشوش وهو مبنى على تغايرهما كما مر وتستقل استفعال من أقله عن الارض اذا رفعه ثم صار بمعنى حمله ومنه القلة ويكون الاستفعال من القلة أى عده الشئ قليلا واستقل بالامر استبد وانفرد كما قيل

ربما نصر الصديق المقل * عن حقوق بهن لايستقل

وهذا هو المراد أى لايقدر على حمله الا بقوة قدسية ومساعدة ربانية وقيل المراد الاول أى لاتطيق العقول غير عقل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حمله وأدنى أفعل تفضيل بمعنى أقل أى لايقدر على أقله فضلا عن كله وأكثره وفى كلامه مبالغة واغراق حيث أضاف الحمل للسماع وهو كالتحمل لنقل الحديث يعنى ان التعبير عنه غير ممكن ولو أمكن لايتحمله ويعيد سامعه (رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم) جواب لما وفاعله ضمير مستتر لله عز وجل والرمز فى الاصل الاشارة الخفية بالعين أو الحاجب ونحوه والايماء الاشارة بالرأس يتعدى بالى قال الشاعر * رمزت الى مخافة من بعلها * والمصنف رحمه الله تعالى عداه بعن لتضمينه معنى التعبير والكناية فى عرف أهل المعانى ما أريد به لازم معناه الحقيقى مع جواز ارادته وعند أهل الاصول ما يقابل الصريح وهو المراد هنا يعنى انه أتى بالموصول الاسمى المبهم ومثله يستعمل للتعظيم لما فيه من الاشارة الى أنه لايدرك كنهه كقوله تعالى فغشيهم من اليم ماغشيهم وقوله

وكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولاتسأل عن الخبر

مع ترك المفعول أيضا وهذا مما اتفق عليه النحاة وأهل المعانى الا أن فيه اشكالا لانهم اشترطوا فى الصلة أن تكون معروفة معهودة حتى يتعرف بها الموصول فاذا كانت مبهمة لم يعرف معناها حتى يعرف غيرها بها وقول ناظر الجيش ان هذا فيما اذا لم يقصد ابهامه لايجدى نفعا وان تبعه من بعده كالدماميني فالتحقيق أن يقال الاتيان بها مبهمة من أعلى طبقات البلاغة لان الذهن يذهب كل مذهب فيقع فى النفس موقعا عظيما فيتصوره السامع بهذه الطريق ويرتسم فى ذهنه أشد ارتسام وليس المراد بالعهد الا هذا فاعرفه (فقال تعالى * فاوحى الى عبده ما أوحى) هذا وما سيأتى تفسير وتفصيل للرمز عما كشفه وشاهده مع الاشعار بما فى الابهام من التعظيم وقيل ان هذا مبنى على ان الكبرى صفة الآيات ومن تبعيضية وفاعل أوحى الاول والثانى رب العزة أى أوحى الله ما أوحاه الى نبيه عليه الصلاة والسلام أو هما ضمير جبريل عليه الصلاة والسلام لان الاول لله والثانى لجبريل أو العكس وان كانت ما فيهما مبهمة ظاهرا وكلام المصنف فى الباب الثالث يقتضى اختلاف الضمير فيهما * أقول يعنى انه على بعض

الافهام على ادراكه على وجه الحقيقة والجملة خبر كان (ولاتستقل) بتشديد اللام أى لاتستبد (بحمل سماع أدناه) أى أقله (العقول) لعجزها عن حمل أقله فضلا عن حمل أكثره (رمز) جواب لما أى أشار الله سبحانه وتعالى (عنه) أى عما كاشفه صلى الله تعالى عليه وسلم واطلع عليه (بالايماء) متعلق برمز ولعل الايماء اغمض من الرمز فى الانباء من جهة الاخفاء كالاشارة بالعين والحاجب ونحوهما (والكناية) عطف على الايماء والمراد بهما التلويح وترك التصريح بدليل قوله (الدال على التعظيم) والحاصل انه سبحانه وتعالى رمز وأومأ وكنى عما كاشفه بما المبهمة الدالة على الفخامة والعظمة (فقال فاوحى) أى جبريل أو الله تعالى (الى عبده) أى عبده الخاص الواصل الى مقام الاختصاص صلى الله تعالى عليه وسلم (ما أوحى) أى شيئا عظيما لايعلم كنهه سواه ففى ابهامه من التفخيم ماليس فى ايضاحه وقيل المعنى فاوحى الله الى عبده جبريل ما أوحاه جبريل الى محمد عليه الصلاة والسلام وقد قال بعضهم أوحى الى عبده أن لايدخل أحد من الامم الجنة قبل أمته ولعل المعنى ان هذا من جملة ما أوحى اليه

الوجوه

(هـذا النوع) أى الرمز بالكناية والايماء (من الكلام) أى من أنواعه (يسميه أهـل النقد) أى النظر السـديد (والبلاغة) أى الفصاحة والمراد العـارفون بجيد الكلام وبهرجه تشبيها لهم بصيارفة الذهب والفضة (بالوحى والاشارة) أى هنا لعدم الصراحـــة بالموحى به والمشار اليه فهما اسمان لمعنى واحد اذ هما أحد ماصـدقايه كالكناية والالهام والكلام الخفى قد يتفاوت وضوحا وخفاء (وهو) أى النوع المسمى بهما (عندهم أبلغ أبواب الايجاز) أى من حيث انه جوامع الكلم المشابهة لكونها مبهمة للالغاز حيث فيها مبان يسـيرة ومعان كثيرة يذهب فيها الفكر كل مذهب يمكن الانصراف اليها هذا وقيل كل كلام اما ناقص عن معناه أو مساوله أو زائد عليـه ايجازا أو مساواة أو اطنابا وأعلاها الاول من حيث ان المعانى هى المقاصد والعبارات طرق لها فكلما قلت العبارة كان ذلك كالقـرب فى الطـريق فكان أحق بالسلوك ويليه المساواة فى الاستحسان لاقتفائها له فى القرب وأكثر صياغة العبارات مصوغة عليها والاطناب كالبعـــد فى الطريق فـتراه متروكا غالبا الا فيما يحتاج ليه من باب الخطب والمواعظ ومقام التوكيـد ولكل مقام مقال بحسب اختلاف الاحوال كما قال قائلهم

يومون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ جيفة الرقباء

(وقال الله تعالى لقـد رأى من آيات ربه الـكبرى) أى الدالات على عظمته تعالى (انحسرت الافهام) جمع فهم وهو عبارة عن ازالة الوهم المسـتولى على القلب يقال فهم كذا اذا عقله والمعنى كلت العقول

الوجوه لا يكون من قبيل النوع المذكور عند أهل البلاغ الآتى ذكره كما صرح به القائل والصور على هـذا اثنى عشر وجها تجرى فى هـذه العبارة من ضرب وجوه من الثـلاثة فى أربعـة جاءت من اتحاد الضميرين واختلافهما فان ضربناها فى وجهـى الكبرى كانت أربعة وعشرين ولكن ماقاله لا وجه له فان البلاغة والمبالغة انمـا جاءت من الابهام وهو موجود فى سائر الوجوه لدلالتها على ان ما أوحى اليـه لا يحيط به نطاق العبارة ولا تسـعه الاسماع والاذهان البشرية ولا تطلع على شرفاته الانفس القدسـية (وهذا النوع من الكلام يسميه أهل النقد والبلاغة بالوحى والاشارة وهو عندهم أبلغ أبواب الايجاز) الايمـاء أو الاشارة والوحى كلها بمعنى واحـد هنا وهذا نوع من محاسن الكلام البليغ صرح به المبرد فى كامله وسماه الايمـاء وصرح به التبريزى فى شرح ديوان أبى تمام وفى الكشاف اشارة اليـه وقد وقعت هذه التسمية فى كلام العرب أيضا كقوله

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحى المريب مخافة الرقباء

وهو أن يقصد بالكلام معنى غير ما وضع له وغير لوازمه المعروفة فيؤخذ منه معنى لطيف يفهمه أهـل اللسان الاذكياء ولدقته سموه بهذا الاسم ومثلوا له بقوله * جاؤا بمذق هل رأيت الذيب قط * فانه أراد انه مزج بماء كثير حتى مال الى لون الذيب لماديته ثم كنى به عن لومهم وبخلهم ومنه قول المنازى فى صفة واد

تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وقد صرح به أهل المعانى قال أبو هلال فى كتاب الصناعتين فى فصل عقده بهـذا الاشارة أن يكون اللفظ القليل مشارا به الى معان كثيرة بايمـاء اليها ولمحـة تدل عليها وذلك كقول الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى وقول الناس لو رأيت عليا بين الصفين انتهـى ثم أورد له أمثلة وشواهد كقوله * أتعيرنى وأنا أنا * وقوله

هذا رجائى وهذى مصر معرضة * وأنت انت وقد ناديت من أنت

كما فصلناه فى طراز المجالس وهذا ليس له عبارة مخصوصة كالموصول وما نحن فيه فان الايجاز من لوازمه وهنا لما قال تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى قصد انه أوحى اليه باسرار عجيبة بواسطة غير البشر وبغير واسطة لا يمكن تفصيلها ولا تقدر العقول على ادراك حقائقها وأراد بهذا ان له مرتبة عظيمة عند الله وله من الزلفى والقرب منزلة لم يصل اليها سواه ولذا عبر بالعبد اشارة الى انه ليس باجنبى فى مقامه الى غير ذلك من المعانى التى لو فصلناها ضاق عنها نطاق البيان وبعض الشراح لما لم يقف على مراده قال تسميتـه بالاشارة واضح لكن الذى عليه أهـل البلاغة انه تفخيم نحو فغشيهم من اليم ما غشيهم وأما تسميته وحيا فلعله اصطلاح قديم وهو نكتة لايراد المبتدأ موصولا والابلغية فيه بالايجاز وفيه انه ليس بلازم هنا كما اذا قلت فى شئ واحـد علمت ما هو كراهة أن يطلع عليـه غيرك فـاذكره ممنوع وتعقبـه أى المصنف رحمـه الله تعالى من قال انه أتم أنواع الايجاز لاداء المراد بلفظ أقل من المتعارف فيـه وقد ترك المصـنف رحمه الله تفصيـله لعظمته فمنع منعه وزعم دفعه بما لا محصـل له ولبعض الشراح هنا كلام لا محصل له أضربنا عنه لعدم فائدته والعجب من عدم اطلاع هؤلاء وخبطهم خبط عشواء والنقد تمييز الجيد من الردى بنظر شديد ففيه استعارة لتشبيه الكلام بالذهب ونحوه والعارف به يسمى بالصيرفى وقوله وهذا النوع اشارة الى هـذا الكلام وأمثاله أو الى النوع الذى فى ضمن جزئى من جزئياته فلا يرد عليـه أن ماذكر ليس بنوع بل كلام لشخص والمراد باهـل البلاغة البلغاء أو العلماء بعلم البلاغة والبلاغة عندهم معروفة (وقال تعـالى * لقـد رأى من آيات ربه الـكبرى * انحسرت الافهام

عن تفصيل ما أوحى وتاهت الاحلام فى تعيين الآيات الكبرى) انحسر بمعنى أعى وكل وتاه من التيه
وهو الضلال فى الطريق والتحير والافهام جمع فهم وهو الادراك والاحلام جمع حلم بزنة قفل وهو
العقل ويكون بمعنى ما يراه النائم وليس مرادهنا خلافا لمن توهمه وشبه الطالب للوقوف على المعنى
بسالك فى الطريق الطويلة التى يتعب المسافر فيها وقد يخفى عليه فيضل فيها فبين قوله تاه وانحسر
مناسبة تامة والتفصيل التمييز وضد الاجمال والتعيين تحقيق عين الشئ وفى ذكر التفصيل مع
الانحسار والتعيين مع التيه لطف تام والاشارة بتلك الآيات لجميع ما رأى وقيل للمرئى منها وهو آيات
كبرى لا الى جميعها لما مر من ان احتمال رؤية البعض هو الراجح فيليق حمل كلام المصنف رحمه الله
تعالى عليه وان كان خلاف الظاهر مع أن التعظيم انما يستفاد من حذف المفعول به الذى هو بعضها
واعتبار ان التقدير * لقد رأى من آيات ربه الكبرى ما رأى وفيه نظر (قال القاضى أبو الفضل) وهو
المصنف عياض رحمه الله تعالى (اشتملت هذه الآيات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله
تعالى عليه وسلم) أى مجموعها من قوله والنجم الى قوله الكبرى وان لم يكن كل واحدة منها مشتملة عليه
والتزكية تطهيره عن النقائص البشرية وجملة ذاته وصفاته الظاهرة والباطنة ونفسه القدسية واذا
أخبر الله تعالى بذلك فقد جعله زكيا (وعصمتها من الآفات فى هذا المسرى) العصمة من عصمه
يعصمه من باب ضرب اذا حفظه وصانه واعتصمت بالله امتنعت به والاسم العصمة والمسرى مكان
السرى أو نفس السرى على انه مصدر ميمى والآفات جمع آفة وهى ما يعرض من المفاسد ولما أخبر
الله تعالى فى هذه الآيات بما حصلت به التزكية كان كانه أعلم بها نفسه ولذا فسره المصنف رحمه الله تعالى
بقوله (فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه) قال السيوطى رحمه الله تعالى وقع فى نسخة وزكى بالواو والصحيح
انه بالفاء التفسيرية المفسرة لقوله اشتملت والواو مخلة بالمعنى ولا وجه لما قاله فان العطف التفسيرى كما
يكون بالفاء يكون بالواو كما فى قوله تعالى انما أشكو بثى وحزنى وقد يكون أبلغ اذا قصد انه لمغايرته
بالتفصيل والاجمال كانه غيره والفؤاد القلب عبر به أو لموافقة الآية وعبر بعده بالقلب فرارا من صورة
التكرار وقيل الفؤاد وعاء القلب فذكر المحل وأراد الحال وقيل هو داخله ويكون بمعنى العقل ويجوز
ارادته هنا والاول أصح وأوضح واللسان معروف والجوارح جمع جارحة وهى العضو الذى يكتسب به
كما فى الصحاح ويعلم ما جرحتم أى كسبتم والظاهر اختصاصها بالاعضاء الظاهرة كاليدين وجعلها
شاملة للقلب لاكتسابه بعض الامور أو على التغليب فهو تعميم بعد تخصيص متكلف ولم يذكر هنا الا
اللسان والبصر ولذا قيل المراد بعض جوارحه أو هو بناء على ان أقل الجمع اثنان أو هو بالنظر لكل
من المعنين أو لجعل هذين العضوين بمنزلة الجميع أو عبارة عنه لان المرء باصغريه قلبه ولسانه وهما
كالسلطان والوزير وما عداهما تبع لهما والذى فى نسخ الشراح هنا (قلبه بقوله ما كذب الفؤاد
ما رأى) بدون اتيان واو وهو الظاهر لانه بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل وقد يجوز فى مثله أن يكون
بدل كل وبعض بتقدير ضمير أو بدونه وفيه كلام فصلناه فى غير هذا الكتاب وفى بعض النسخ وقلبه
بالواو على نهج ما مر فى العطف التفسيرى وروى فزكى قلبه بالفاء التفصيلية التفسيرية على اللف والنشر
أو هو استئناف جواب سؤال مقدر تقديره كيف زكاه فقال قلبه الى آخره والمقام مقام بسط وتطويل
وهو مقبول من مثله فالقول بان فيه طولا ولو قال فزكى قلبه بقوله الى آخره مع نصب القلب وما بعده
كان أولى وأخصر غير متجه والكذب معروف يوصف به الكلام والمتكلم وقيل المعنى ما كذب
الفؤاد ما رآه أى اعتقده وهو غير مقبول عند المصنف رحمه الله تعالى لانه يأباه ما زاغ البصر وما طغى

(عن تفصيل ما أوحى) أى اليه اذ لا يحيط به حد ولا يحصيه عد والمراد بتفصيل الشئ بيان أجزائه مفصلة وأغرب
التلمسانى حيث فسره بالتميز (وتاهت الاحلام) أى وذهبت العقول متحيرة (فى تعيين تلك الآيات الكبرى) فلم تهتد الى معرفة شئ منها لكثرتها وفى نسخة فى تعبير تلك الآيات أى تبيينها وتفسيرها والعقل محله القلب لقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها (قال القاضى أبو الفضل) كذا فى نسخة (واشتملت) أى دلت (هذه الآيات) أى السابقة (على اعلام الله) مصدر مضاف الى فاعله أى على أخباره سبحانه وتعالى (بتزكية جملته) أى بتطهير ذاته وتنمية صفاته عليه السلام (وعصمتها) أى بحفظ الله جملته (من الآفات) أى التى تجرى فى الذوات (وفى هذا المسرى) بفتح الميم والراء مصدر ميمى أو اسم مكان (فزكى فؤاده) أى مدح الله قلبه (ولسانه وجوارحه) أى اعضاءه التى يكتسب العمل بها وينسب الفعل اليها والمراد هنا بصره لما سيجئ فى بيان حصره (فقلبه) وهو تفصيل لما أجمله
والظاهر كما فى أصل الدلجى وغيره فزكى قلبه
(بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى) وتقدم ما تعلق به من المعنى

وقال

(ولسانه بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى) أي لا يصدر نطقه عن هواه بل بوحي من الاله جليا كالكتاب أو خفيا كالسنة وقد تعلق
بظاهر الآية من لم يجوز له الاجتهاد وهو بعيد عن طريق السداد وعن استنباط المعنى المراد وأما ما ذكره ابن عطية من ان ضمير
ينطق عائد الى القرآن وان لم يجز ذكره لدلالة الكلام عليه أي لا ينطق هذا القرآن بشهوتكم ومرادكم ونسب النطق اليه من حيث
يفهم منه الامور كلها كما قال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق فغير ملايم لمقام المرام (وبصره بقوله تعالى ما زاغ البصر) أي ما
مال عما رآه الى ما سواه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يحول بصره عما رآه الى جهة من الجهات (وما طغى) أي ما تجاوز وما
تعدى عن رؤية ما أمر برؤيته غيره في مقام الاعلى بل تثبت فيه ورآه رؤية صحيحة مستقيمة من غير وجل ودهشة وحيرة هذا وقد بقي
الكلام على بقية الآيات فيما بين ذلك وهو قوله سبحانه وتعالى ذو مرة فاستوى فظاهره أن الضمير في استوى
لجبريل عليه الصلاة والسلام والكناية بقوله تعالى وهو بالافق الاعلى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مانع من عكس الترتيب في هذا التركيب ولا يبعد أن يكون الضمير أن يرجعان الى أحدهما والجملة حالية وأما جعل الضميرين لله سبحانه وتعالى فهو غير ظاهر كما لا يخفى ثم قوله تعالى فتدلى أي دنا جبريل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى وزاد في القرب وقيل أي دنا محمد من ربه فتدلى وأما قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى أي مقدارهما بل أدنى فهو كناية عن كمال قرب فان كان بين الرسولين فلا اشكال وان كان بين الله ورسوله فهو كناية عن المكانة أو من الآية
المتشابهات وقد ذكرت بعض الفوائد المتعلقة باوائل سورة النجم في رسالتي المعمولة للمعراج (وقال الله تعالى فلا أقسم بالخنس)
أي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما عدا النيرين وهو زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد ومجموع السبعة السيارة
نظمت في قوله (زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت بعطارد أقمار) * (الجوار الكنس) أي السيارات التي تختفي تحت ضوء
الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه أي بيته (الى قوله تعالى وما هو بقول شيطان) وهو كل متمرد من الجن والانس والدواب
قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (رجيم) أي مرجوم ومطرود ومبعد وما بينهما قوله سبحانه وتعالى والليل اذا عسعس أي أقبل
أو أدبر والاول أنسب بقوله تعالى والصبح اذا تنفس أي أسفر قال المصنف (لا أقسم أي أقسم) يعني على القول بزيادة لا والا فالمعنى
فلا عبرة بما قالوا في حق القرآن وفي شان المنزل عليه بل أقسم أي على ما ذكر (انه) أي القرآن (لقول رسول) أي قاله عن ربه (كريم)
أي مكرم معظم (عند مرسله) وهو الله سبحانه وتعالى

وقال المفسرون ان القلب لم يوهمه العين ولم ينكر ما رآته ويلزم من تزكيته ا تزكيته فلا يقال ان التزكية
حينئذ للعين لا للقلب لان قوله الحق تزكية له وهذا مراد من قال ما قال فؤاده للذي رآه ببصره لم أعرفك
كما قاله القاضي ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه وهل المزكي الرب أو غيره وسيأتي تفصيله والمراد نفي
الخطاء عن اعتقاداته (ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى) وهذا وان لم يكن مخصوصا فيكفي شموله له
الا اذا خص بالقرآن كما ذهب اليه الاكثر الا أنه بنى كلامه على بعض الاقوال (وبصره بقوله ما زاغ
البصر وما طغى) أي ما مال بصره صلى الله تعالى عليه وسلم يمينا ولا شمالا ولا تجاوز حده في نظره لما هو
أمامه ففيه تزكية لبصره وهو تزكية له وبيان لثبات جنانه أو كمال أدبه وهو في رؤيته لربه جل وعلا في
معراجه كما سيأتي (وقال الله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان
رجيم) هي النجوم فالخنس الكواكب الرواجع وهي ما عدا النيرين من السيارات ولذا وصفها
بالجوار لسيرها والكنس التي تغيب في مغاربها من كنس اذا دخل كناسه والكناس نقر الظبي
كالغيل للاسد والوكر للطير والجحر للحشرات والبيت للانسان فهو على التشبيه والخنس تعقر الانف
والظباء توصف به والشيطان من الجن مردتهم وقد يخص بابليس من شاط اذا احترق أو من شطن اذا
بعد وهو أنسب بالرجيم لانه المرجوم بالشهب (لا أقسم أي أقسم انه لقول رسول كريم أي كريم عند
مرسله) وهو الله عز وجل فعلى عدم الزيادة انه واضح غير محتاج للتاكيد بقسم وغيره وهو قول لاكثر
المفسرين لانه الاصل وعلى الزيادة لمناسبة المقام ولقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم والثبوت الزيادة في
قوله فلا أقسم بمواقع النجوم مع اشتراك المقامين في بيان شان القرآن واختاره المصنف رحمه الله
تعالى لمناسبته لما عقدله الفصل وأشار لعدم القسم فيما سبق لما فيه من التعظيم أو اشارة لجواز
الامرين أو الفرق بين الموضعين مع ان في الآية ما يناسب النفي وابهام عدم جواز غيره لا يعتد به وضمير
انه للقرآن أو لما أخبر عنه من المغيبات والقول بمعنى المقول والرسول المرسل ولم يغير لفظ القرآن كما هو
دأبه وقيل التقدير لقول مرسل رسول والكريم بمعنى العظيم أو الجواد بسعادة الدارين قيل فاعل أقسم
جبريل واضافة القسم له لا لقائله صلى الله تعالى عليه وسلم كلاما مؤلفا ثم صرفه عنه بقوله تنزيل من
رب العالمين وكريم ومكين صفة جبريل عليه الصلاة والسلام على الاصح وقيل المراد به النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وتفسير المصنف رحمه الله تعالى بكريم عند رسله لا حاجة اليه مع قوله عند ذي العرش
مكين والغرض انه عنده غير الاصح ولذا نقله عن الرماني فيما يأتي * أقول يجوز جعل

(ذي قوة) أي صاحب قوة وقدرة (على تبليغ ما حمله) بتخفيف الميم على صيغة الفاعل وكذا يجوز بصيغة المفعول مشددا وكذا بصيغة الفاعل على ما ضبطه في بعض النسخ (من الوحي) أي مما أوحي اليه من الحق الى الخلق (مكين) أي ذي مكانة ومنزلة عالية عارية عن المنقصة في مرتبته (أي متمكن المنزلة) أي الجاه ولكون المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش مكين تلويحا بعظم مكانته ومنزلته وعلو مرتبته

كما أشار اليه المصنف بقوله (من ربه رفيع المحل) بفتح الحاء وجوز كسرها أي

ضميرا قسم لله عز وجل واعتراضه على المصنف رحمه الله تعالى لا وجه له سواء أراد أن المكانة عند الله يستلزم كرمه عنده أو ان العندية من قوله عند ذي العرش لانه مقام مدح فيقتضي التصريح بما يدل عليه مع ان ما ذكره غير مسلم والعندية عندية تشريف وتعظيم فتامل (ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي) حمله بالتشديد مع البناء للفاعل أي حمله الله أو المفعول والتحميل في الرسالة لثقلها مشهور وهو في الاصل استعارة لثقل الامانة وعند ظرف لمكين والقوة معروفة وقد تفسر بالمنزلة كما يقال فلان قوي عند السلطان فيتنازع هو ومكين في الظرف أو الظرف صفة أخرى والقوة صفة جبريل عليه الصلاة والسلام لما حمله الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما بلغه لامته والمراد بالوحي القرآن لقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا (مكين أي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده) يعني ان مكين بمعنى متمكن المنزلة أي معظم مبجل رفيع المقدار عنده ومعنى العندية معلوم مما مر في اعرابها وتفسيره بالتمكن لا يخالف ما تقدم من ان المكانة المنزلة عند الملك كما قيل (مطاع ثم أي في السماء) ثم بفتح المثلثة وتشديد الميم مبني على الفتح اسم اشارة الى المكان بمعنى هناك وترسم بالهاء للوقف بها عليه ونقل انه لغة فيه أيضا كما مر ودل على قوله في السماء قوله عند ذي العرش واشارة البعيد والمقام وهو قريب من قوله في الكشاف مطاع عند ذي العرش في ملائكته ويجوز تعلقه بالامانة وبهما (أمين على الوحي) وخصه بذلك لان المقام يقتضيه وهو مؤتمن عليه وعلى غيره ولذا فسر بمقبول القول فصدق فيما يقول ويجوز فيما ذكر ان يراد به جبريل والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاطلاق الامين على كل منهما وكون جبريل عليه الصلاة والسلام مطاعا في السماء أظهر وان قيل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مطاع فيها أيضا لامامته بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فيها وما جرى بينه وبين ملك الجبال وغيره الا انه خلاف الظاهر وجوز في ثم أن يكون اشارة للظرف السابق أي مطاع عند ذي العرش مقبول الشفاعة وهو بعيد (قال علي بن عيسى رحمه الله تعالى) في المقتفي الظاهر أنه أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني الامام في النحو واللغة والتفسير والكلام له تفسير عظيم لم نقف عليه وهو تلميذ ابن دريد وروى عنه جماعة توفي ليلة الاحد حادي عشر جمادى الاولى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وقيل سنة اثنين وثمانين ومولده ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين وأصله من سر من رأى والرماني نسبة الى بيع الرمان أو الى قصر الرمان وهو قصر معروف بواسط كما قال ابن خلكان وله ترجمة في الميزان (الرسول الكريم هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا قول الجمهور وبعد هنا منهم من قال انه بالموحدة بلفظ بعد ضد قبل أي بعد ذكره على هذا القول والتفسير ومنهم من قال انه بالمثناة الفوقية فعل مجهول من العدد والجملة خبر وعلى الاول الظرف متعلق بمقدر وله خبر وعلى متعلق بما تعلق به أو بالشئ المقدر وضميره له عليهما أي على القول بانه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أي على هذا القول الاوصاف المذكورة بعده أو المعدودة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى مطاعيته في السماء كما مر وما قيل من انه في الصفات المذكورة ما يعين انه

على الشأن (عنده) أي عنده سبحانه وتعالى عندية منزهة عن المكان والزمان وقوله تعالى عند ذي العرش متعلق بقوله تعالى ذي قوة أو بمكين (مطاع) أي ذي اطاعة مع كونه صاحب طاعة (ثم) بفتح المثلثة (أي في السماء) اذ قد بلغ فيها ليلة الاسراء ملائكة السماء فاطاعوه واجمع في ذلك الانبياء وقرئ بضم المثلثة فالمراد بها التراخي في الرتبة (امين) أي مأمون على تحمل ما أوحي اليه وتبليغ ما أنزل عليه ومقبول القول لديه والظرف يحتمل وصله بما بعده وما قبله (قال علي بن عيسى) أي الرماني النحوي المنسوب الى رمان الفاكهة وبيعه أو لقصر الرمان موضع معروف بواسط وهو من أصحاب ابن دريد مات سنة اربع وثمانين وثلاثمائة وهو صاحب كتاب النكت في اعجاز القرآن امام مشهور في سائر العلوم وعن ابن السراج انه مذهب الى الاعتزال والله تعالى اعلم بالحال (وغيره) أي من ارباب المقال (الرسول الكريم) كان الاولى أن يقول رسول كريم (هنا) أي في هذا المقام العظيم (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فجميع الاوصاف) أي المذكورة هنا (بعد) أي بعد ذكره وفي نسخة تعد بضم منقوطة بنقطتين وفتح عين وتشديد مهملة أي تذكر (على هذا) أي على هذا القول (له) أي لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم

جبريل

(وقال غيره) أى غير على بن عيسى وهم الاكثرون من العلماء (هو) أى الرسول الكريم (جبريل عليه السلام ومرجع الاوصاف اليه) أى بخلاف وما صاحبكم بمجنون فان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم باجماع المفسرين وذلك ان المشركين قالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون فنفى الله سبحانه وتعالى عنه ذلك بهذه الآية وبقوله سبحانه وتعالى ما أنت بنعمت ربك بمجنون وقد تمسك بعض المعتزلة وطائفة من أهل السنة فى تفضيل الملائكة بعده فضائل جبريل عليه الصلاة والسلام واقتصاره على نفى الجنون عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وضعف بان المقصود منه نفى قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا أم به جنة لاعد فضائلهما والموازنة بينهما (ولقد رآه) أى بالافق المبين (يعنى) أى يريد الحق سبحانه وتعالى بالرائى (محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قيل) أى نقل عن ابن مسعود وغيره (رأى) أى محمد (ربه) وقدم هذا القول لانه أوفى بالغرض الذى هو مدح الرسول (وقيل رأى) أى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل فى صورته) أى التى خلق عليها فقيل ان ذلك اشارة الى رؤيته اياه عند سدرة المنتهى وقيل انه اشارة الى رؤيته اياه فى غار حراء حين رآه على كرسى بين السماء والارض حسبما ثبت فى الصحيح (وما هو) أى ليس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (على الغيب) أى على ما يخبر به مما أوحى اليه وغيره من الامور الغيبية (بظنين) بالظاء المشالة وهو قراءة ابن كثير وابى عمرو والكسائى (أى بمتهم) يعنى من الظنة هى التهمة (ومن قرأه بالضاد

جبريل عليه الصلاة والسلام مبنى على الظاهر المتبادر وردوه بان ملك الجبال قال أمرنى ربى ان أطيعك ولا يتخلف ملك عن أمره بل الشجر والدواب كذلك لا يخفى ما فيه (وقال غيره هو جبريل عليه الصلاة والسلام فترجع الاوصاف اليه) ضمير غيره هنا راجع الى على بن عيسى ولم يلتفت لغيره المذكور لعدم تعينه ولا تابع له أوهو راجع لهما بتاويله بغير من ذكر ومثله كثير فالغير هنا غير الغير الذى وافقه على القول المذكور واما كونه هو على ان عنه روايتين فى التفسير فتعسف لا وجه له وان جوزه بعضهم وكون المراد بالرسول الكريم جبريل عليه الصلاة والسلام هو قول جمهور المفسرين ويؤيده ما رواه الواحدى من أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال له ما أحسن ما أثنى عليك ربك بقوله ذى قوة الى آخره وما مر من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم له هل أصابك من هذه الرحمة شئ فقال كنت أخشى العاقبة حتى نزلت هاتين الآيتين وعلى القول الاول يحمل ما وقع فى خطبة المقامات للحريرى فلا وجه لتشنيع ابن الخشاب عليه ولا لقول الشريشى انه عثرة وضعف القول الاول السهيلى بان الآية وردت لتكذيب الكفار أن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم تقول القرآن فاضافه الله لجبريل عليه الصلاة والسلام وان كان فى الحقيقة قوله تعالى لان جبريل هو الذى جاء به الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فصار كانه قواه فلا يسوغ على هذا أن يكون الرسول الكريم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان رسولا كريما قيل ماذكره ظاهر ان ثبت انها وردت لهذا الغرض وزدبان لارادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مساغا ولو سلم ماقاله لان مدعى الكفار انه مقال محمد من تلقاء نفسه وقوله انه لقول رسول كريم ناطق بانه قول من أرسله كما مر فينتفى كونه من تلقاء نفسه فتدبر (ولقد رآه يعنى محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل فى صورته) يعنى الرائى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على التفسيرين واختلف فى المرئى فالجمهور على انه جبريل على صورته الاصلية بستمائة جناح ومنه يعلم نكتة تخصيصه بالافق قيل ولم يره غير مرة بهذه الصورة وقيل رب العزة قال بعض الشراح هو قول ابن مسعود رضى الله عنه وقدمه المصنف رحمه الله تعالى لموافقته لغرضه وهو قول غريب قيل انه لم ينقل عن احد ممن يعتمد عليه ويأباه كل الاباء قوله تعالى بالافق المبين سواء كان نواحى السماء أو حيث تطلع الشمس اذلم يقل احد انه رأى ربه بالافق واجيب بانه اذا جاز عود ضمير رآه لربه فرؤيته بالافق كاستوى على العرش أو المراد بالافق الذى فوق السماء السابعة وحينئذ فقوله دنا فتدلى من قبيل دنو المكانة لا المكان أو المراد به المنزلة العالية كما أشار اليه الامام وقولهم لم يقل به احد يرده انه روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وما هو على الغيب بظنين أى بمتهم الغيب الغائب عن الحس الذى اخبر به أو ما هو وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام على اخبار الغيب فيشمل الذات والصفات والقرآن فيستدل به على غيره أو المراد ما غاب عن علمكم فيشمل اخبار عن المشاهد والغائب والظنين بالظاء المشالة ما ينسب الى التهمة للوهم والغلط أو المراد ليس مظنونا به ما نسب اليه مما اتهمته به الكفرة فالنفى فيه كالنفى فى قوله لا ريب فيه وقرئ فى السبعة بالضاد المعجمة أيضا كما أشار اليه بقوله (ومن قرأها) أى الآية أو الكلمة وروى قرأه أى هذا اللفظ (بالضاد) وهو نافع وعاصم وحمزة وابن عامر من الضن

فمعناه ما هو بخيل) أي (في تبليغ رسالته الى عموم أمته من الضنة وهي البخل بالدعاء به) متعلق ببخيل أي بدعائه الخلق الى الحق وفي رواية كما في نسخة بالدعاية بالتحتية كالبداية وقيل هي من الادعاء اذا قال في الحرب أنا فلان كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة حنين أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب (والتذكير بحكمه) أي وبتذكيرهم باحكام ربهم (وبعلمه) يحتمل ان يعود ضميره الى الحكم أي وليس ببخيل بعلم كونه واجبا أو مندوبا أو حراما أو مكروها أو مباحا لهم ويحتمل عوده اليه صلى الله تعالى عليه وسلم

أي ولا يبخل أن يعلمهم اياه كما علمه ولا يكتم شيئا (وهذه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وهذه الآية وهي وما هو على الغيب بظنين على القراءتين صفة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (باتفاق) أي من المفسرين اذ لم يقل أحد بعود ضمير هو الى جبريل عليه الصلاة والسلام (وقال تعالى ن) اسم للحرف أو الحوت وأريد به الجنس أو للحوت الذي عليه الارض أو للدواة فان بعض الحيتان يخرج منه شيء أشد سوادا من الحبر يكتب به وينصر الاول سكونه ورسمه بصورة مسماه ويؤيد الثاني قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وحينئذ فالانسب ان يراد به ذلك الحوت بعينه أو المراد جنسه الداخل فيه ويقوى الثالث قوله تعالى (والقلم) وهو ما كتب به اللوح المحفوظ أو ما يكتب به مطلقا (وما يسطرون) أي يكتبون والكتبة هم الحفظة كراما كاتبين أو الاعم والله أعلم (الآيات) أي الواردة في اول السورة في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم الهمزة من حسن السيرة والصورة (اقسم الله تعالى بما اقسم به) الكثيرة فوائده (من عظيم قسمه) أي تعظيما له وتكريما في تخصيص ذكره (على تنزيه المصطفى) أي تبرئته وتبعيده (مما غمصته) بمعجمة ومهملة بينهما ميم أي عابه واحتقره (الكفرة به وتكذيبهم له) أي وعلى تكذيبهم للمجتبى في قولهم انه كذاب وساحر ومجنون (وآنسه) من باب الافعال أو التفعيل أي جعله ذا انس بقربه ومستأنسا بحبه (وبسط أمله) أي نشر مأموله ومقصوده وأكثر له رجاءه فيما شاءه

والضنة وهي البخل (فمعناه ما هو بخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم باتفاق) الفاء زائدة في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وضمير معناه للفظ أو القول المذكور وقوله بالدعاء به الدعاء بالمد بمعنى الدعوة أو المدعو اليه والباء في به على هذه الرواية اشارة الى ان على في النظم بمعنى الباء أو هي بمعنى الى أو للسببية والمدعو اليه أحكام الشريعة كلها وروى الدعاء له أو الدعاية بكسر الدال ومثناة تحتية بعد الالف والتذكير التنبيه أو الوعظ وحكمه بضم الحاء وسكون الكاف أو بكسرها وفتح الكاف جمع حكمة وهو الكلام النافع والعلم ما علم منه من كل أمر فيه علم وحكمة أي ما هو ببخيل على الناس في تبليغ ما أوحي اليه وقد أمر بتبليغه وهذه اشارة للآية أو الصفة على هذه القراءة والاتفاق على هذه بخلاف قراءة الظاء لان هذه العلوم والحكم أمر نفيس فيه سعادة الدارين ومثله مما يضمن به البشر فنزهه عن مثله لكرم جبلته (وقال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون الآيات) أي اقرأ الآيات الى آخرها أو اذكر أو اعني (اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه) أبهم المصنف ذلك اشارة الى عظمته كما والى عظمة ما فيه بناء على ان نون قسم هنا وهي الحرف أو الدواة أو اسم للسورة فاقسم بالقرآن وما كتب به والقلم هو المعروف أو قلم اللوح وقيل نون الحوت الذي عليه الارض والقسم على ظاهره أو بمعنى المقسم به (على تنزيه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مما غمصه) وفي نسخة غمصته (الكفرة به وتكذيبهم له) غمصه بفتح الغين المعجمة والصاد المهملة وغمص بمعنى عابه وحقره قال ابن القطاع غمص الناس غمصا احتقرهم وعابهم والشيء كذلك وغمص النعم وأغمصها كفرها وقال التلمساني الغمص بالصاد المهملة العيب والتنقيص وأكثر ما يكون في الدين وقال ابن حبيب في غريب الموطأ الغمض بضاد معجمة أخت الصاد تصغير النعمة وتحقيرها وبالصاد المهملة اذا صغر الناس وازدرى بهم واستحسن هذا الفرق بعد ان قال انهما سواء انتهى فيجوز في كلام المصنف رحمه الله تعالى الاهمال والاعجام الا ان الاول أرجح وعليه اقتصر الشراح وقوله وتكذيبهم بالجر عطف على ما والمراد بالتكذيب الواقع في كلام المصنف كما في بعض الشروح هو قولهم هذا ساحر كذاب وأجمل بعضهم فقال المراد التنزيه عن الكذب المضر القادح أو ما كذب به أقول لا يخفى ان المصنف رحمه الله تعالى لم يذكر من الآيات ما يدل على التكذيب نفيا واثباتا وليس في كلامه غير ما أنت بنعمة ربك بمجنون وما قيل أولا لا مساس له بكلامه ونظر المصنف رحمه الله تعالى في مقاصده دقيق لمن عرف مغزاه فالمراد انه تعالى أنعم عليه بما علمه وأعطاه من نعم الدارين وأغناه عما سواه ونصره على أعدائه ومن أوتي مثل هذا لا يكذب فان فعل أو تكلم بما لا يليق فهو مجنون ولذا قال الفاضل الحلبي انه تعالى نزهه عن تكذيبهم وهو واقع لان معنى الآية ما أنت بمجنون بسبب انه تعالى أنعم عليك بكمال العقل والمعرفة فافادت تنزيهه عن الكذب وان تكذيبهم كلا تكذيب لعدم الاعتداد به مع قيام الدليل على خلافه (وآنسه وبسط أمله) آنس فعل ماض معطوف على أقسم بقصر

الهمزة وتشديد النون من التأنيس أو بالمد والتخفيف من الايناس يقال أنست به وآنسه اذا اذهبت وحشته وسكنته كما مر والامل الرجاء وبسطه توسيعه وتكثيره أو من الانبساط وهو المسرة كما ورد في الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال عائشة يبسطها ما يبسطني أي يسرها ما يسرني فهو استعارة تدل على انه عامله صلى الله تعالى عليه وسلم بالطافه حتى كثر رجاؤه أو سره (بقوله محسنا خطابه ما أنت بنعمة ربك بمجنون) محسنا حال من الضمير وروى مخففا ومشددا من الاحسان والتحسين والثاني أحسن عند من له ذوق ولذا اقتصر عليه البرهان رحمه الله تعالى وخطابه مفعول بقوله تعالى وما أنت الى آخره مقول القول وهو جواب القسم في النظم وتوسيع الامل لجعله متلبسا بنعم الكريم الذي رباه وقوله تعالى وان لك لاجرا الى آخره وفيه ايماء لدوامها وازديادها وقيل خطابه المقرون بتخليته وتحليته وسع أمله لان من أثني على أحد وسع أمله وهو تكالف أنت في غنى عنه بمعارفته والباء للسببية أو الملابسة أو المصاحبة وقال الشريف المعنى ان عدم الجنون لانعام الله عليه ولطفه أو حال كونه متلبسا بنعمة العقل والنبوة والاخلاق العلية مما يدل قطعا على كذبهم وهو حال من معمول معنى النفي أي انتفى عنك أو من فاعل بمجنون كما ذهب اليه الزمخشري والباء زائدة ليصح العمل وضعف بانه يلزم نفي الجنون المقيد لا مطلقا وأجيب بان القيد دائمي فيصح المعنى ولعل غرضه ان مقام رد المعاند يقتضي ما لا يوهم ولو في بادي الرأي والتقييد موهم وفيه أن تقييد النفي موهم أيضا لكن ايهامه أقل والقيد للاخبار ومثله كثير كما ذكره ابن الحاجب فالحكم بعدم الجنون في زمن تلبسه بالنعمة وعدم الجنون مطلق وقيل الباء للقسم وبه جزم في لباب التفاسير وضعف بان القسم لا يدخل على القسم انتهى * أقول هذا ليس بشئ لانه وقع مثله في الكتاب العزيز ولم يلتفت فيه لمثل هذا الايهام لان السياق ومقام المدح شاهدا صدق لا يحتاجان لتزكية ألا ترى ان أبا البقاء رحمه الله تعالى أعرب قوله تعالى وما هم بمؤمنين يخادعون الله حالا والعامل اسم الفاعل وهو بمؤمنين وذو الحال الضمير المستتر فيه ولما خطأه أبو حيان رحمه الله بمثل ما قاله المعترض رده المحققون بما قلناه فالاعتراض على الزمخشري غير مسموع أصلا ولا حاجة الى ما أجابوا به فانه كله من ضيق العطن ولولا خوف الملل لاطلناه ولكن الثمرة تدل على الشجرة (تنبيه) خطر ببالي هنا نكتة وهي ان الله تعالى أقسم بالقلم وما خط به لمناسبة المقسم عليه لان المجنون مرفوع عنه القلم فاتيانه به يدل على تكذيبهم فيما قالوه فله موقع هنا ليس لغيره (وهذه نهاية المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة) الاشارة للامور المذكورة من التنزيه عما قالوه في حقه تعالى بقوله ما أنت الخ والتكذيب الذي دل عليه والتأنيس بتقديم الدليل بقوله بنعمة ربك قطع العرق الشبهة من أول الامر ثم بيان تحقيق آماله بقوله تعالى وان لك لاجرا غير ممنون به عليك أو غير مقطوع وهذا غاية البر والاحسان في خطابه له صلى الله تعالى عليه وسلم وأقصى مراتب الادب اللائق بمقامه صلى الله تعالى عليه وسلم تعليما للعباد والمحاورة بالحاء والراء المهملتين كالمراجعة والمجاوبة وزنا ومعنى ففيه وجوه أكثر من خمسة فلم يكتف بمجرد الرد عليهم كمن رأى من يحبه في هجوم أعدائه بمقالهم فكذبهم وبين وجه كذبهم ثم ذكر ما يطرد وحشته ثم وعده بما هو أعظم مما ذكره (ثم أعلمه سبحانه وتعالى بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع) أي بعد ان برأه ونزهه أعلمه بما أعده له بعد من الثواب على ما قاساه وعطفه بثم اشارة الى بعد ما بين الامرين من تعبه السريع الانقطاع ونعيمه الدائم الواقع في مقابلة تكذيبهم له والاجر المضاعف على عمله وصبره على طعنهم ورميهم له بما لا يليق ففيه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم كانه قال له لا تحزن فقد تبين كذبهم بداهة فلا نقص يعود عليك مما قالوه فلك نعيم مؤبد في مقابلته والصبر على الشدائد والمقاساة

بقوله محسنا) من باب التفعيل أو الافعال حال من ضمير ما قبله أي مزينا (خطابه) في كتابه بقوله (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم في الآية ومقول القول في الاصل أي ما أنت بمجنون منعما عليك بالنبوة وغيرها والمعنى انهم مجانين حيث قالوا انك لمجنون والحال انك أعقل العقلاء وأفضل العلماء وأكمل العرفاء وسيد الانبياء وسند الاصفياء والاولياء (وهذه) أي الحالة العظيمة أو المنقبة الجسيمة المأخوذة من قوله آنسه وبسط أمله أو التأنيث باعتبار الخبر وهو قوله (نهاية المبرة في المخاطبة) أي غاية الاحسان والمطاوعة في المكالمة والمجاوبة (وأعلى درجات الآداب في المحاورة) أي المراجعة والمرادة (ثم) أي بعد ان نزهه وبرأه عما لا يليق به مما نسبوا اليه (أعلمه بما له عنده من نعيم دائم) أي أبد الآبدين (وثواب غير منقطع) أي غير ممتنع في زمان وحين

(لايأخذه عد) أى لا يضبطه عد ولا يحيط به حد (ولا يمن به عليه) من الامتنان أى ولا يجعله تحت الامتنان مع ان له المنة فى الاحسان افتعال من المن وهو الاحسان الذى تمن به على غيرك وفى نسخة ولا يمن به عليه يقال من وامتن عليه اذا عد عليه بمعروف اسداه اليه صنعه وقيل الامتنان عد الصنيع لاظهار الفضل (فقال وان لك لاجرا غير ممنون) أى غير منقطع أو غير ممنون به عليك فانه يعطيك بلا واسطة (ثم أثنى عليه بما منحه) أى أعطاه (من هباته) جمع هبة أى موهوباته وتفضلاته (وهداه اليه) أى دله عليه والحاصل أن المصنف رحمه الله تعالى جمع بين أقوال المفسرين فى معنى قوله غير ممنون أى غير منقطع وهو قول الاكثر أو غير محسوب ولا معدود وهو قول طائفة أو غير ممتن به وهو قول ضعيف ذكره الهروى فى غريبه (واكد ذلك) أى الذى يدل على ما منحه (تتميما للتمجيد) من المجد وهو الكرم والعظمة أى تكميلا للتعظيم والتكريم بنسبته اليه (بحرفى التاكيد) وهما ان واللام (فقال وانك لعلى خلق عظيم) قيل استعظمه لافراط احتماله أذى قومه مع مبالغتهم فى عداوتهم وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (قيل) فى تفسير خلقه العظيم (القرآن) أى ما فيه من مكارم الاخلاق ومن ثم قيل هو ما أمره الله بقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى تفسيره صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك وهذا القول هو المروى عن عائشة رضى الله عنها انها لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله تعالى

فى التبليغ ففيه تثبيت وتخصيص فالثواب هو الاجر وغير منقطع تفسير لقوله غير ممنون (لا يأخذه العد) أى لا يحصى ولا يعد ففيه استعارة كانه اذا عد أخذه أو لا يغلبه العد و يحيط به كما قيل فى قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم ومنه يعلم وجه تقديم السنة والمراد المبالغة فى كثرته (ولا يمن به عليه) يمن بصيغة المبنى للمجهول من المن وهو تعداد المنعم نعمه وصنيعه والتقدير لا يمن أحد من الخلق بها عليه لانها من الكريم الوهاب أو لا يمن بها الخالق و يؤيده انه روى يمن بصيغة المبنى للفاعل وقال الطيبى رحمه الله تعالى أن من شأن الكرام لا يمنوا ولذا قيل ان ذكر الاجر يفيد انه لا منة والثواب لا ينقص بالمنة فنفيها تاكيد للاجر وقيل عليه انه تكلف مردود فانه تعالى يمن على عباده كما صرح به فى مواضع عديدة والاجر محض تفضل منه تعالى اذ العمل لا يفى بشكره ونيل المراتب العلية فضل آخر واعطاء ما لا يجب عليه فضل ثالث فتجرى وجوه المنة منه وهى تشريف منه والتحقيق انها لما قبحت من غيره تعالى واعتادت النفوس النفرة منها لا يفعلها الله تعالى لايهامها ما لا يليق به وان حسنت منه ففيه تاسيس لتعظيم يستفاد منه تدقيق النظر * أقول ما ذكره من التحقيق ليس بشئ فان المنة فعلا وقولا مستحسنة منه تعالى وقد ورد التصريح بها فى نحو قوله تعالى قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان بل قد تستحسن من غيره أيضا ولذا قيل ان هذا شبيه بقول المعتزلة فافهم وفى قول المصنف رحمه الله تعالى اشارة الى تفسير آخر فى قوله غير ممنون (فقال وان لك لاجرا غير ممنون) أتى بالفاء لانه متفرع على ما قبله من الاعلام أو تفصيل له فى الجملة أى لك على ما احتملته من أذاهم ثواب غير منقطع أو غير ممنون به عليك من غيره لانه موهبة الهية وأتى بتاكيدات أربع للاهتمام والتقرير والانكار وزيادته فاكد المجموع بالمجموع أو هى موزعة على ما ذكر وان لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منكرا فانه قد يراعى حال السامع كما فى التعريض وقد علمت أن المن له معانى القطع والنقص وتعديد النعم وأشار المصنف رحمه الله تعالى الى ذلك كله بقوله غير منقطع وقوله لا يأخذه العد الى آخره الا أنه قيل عليه انه لا يتم ما ذكره من الاعلام بالكل الا على القول بجواز استعمال المشترك فى معانيه أو جوازه فى النفى أو ارادته على البدل فقول المصنف رحمه الله تعالى السابق ثم علمه الى آخره وعطفه بالواو غير حسن الا أن يكون بمعنى أو وكل قسم على تفسير وفى تحرير ابن الهمام المشترك يعم فى النفى وهو المختار والقول بانه أعلمه بماله عنده والبيان من المصنف رحمه الله تعالى لثبوت التفاسير تكلف وتحميل للعبارة ما لا تطيقه والظاهر انه بيان للوجوه المذكورة فى الآية على وجه يفيد ثبوتها كلها الاستلزام عدم العد لعدم الانقطاع والنقص بحسب عرف التخاطب (ثم أثنى عليه بما منحه من هباته) عطفه بثم لما مر أى مدحه بما وهبه وأعطاه من موهوباته السنية (وهداه اليه) من معرفته وتوحيده أو من القرآن وآدابه ودلالته له دلالة موصولة فان أفعال العبد وصفاته بايجاد الله فيه كما هو مذهب أهل الحق (وأكد ذلك تتميما للتمجيد) أى التعظيم من المجد وهو الكرم أى تتميم النسبة اليه (بحرفى التاكيد) زيادة لتعظيمه واهتماما به ففيه تعظيم على تعظيم وهما اللام وان مع القسم واسمية الجملة ولذا قيل الاولى ان يقول بوجوه التاكيد الا أنه اقتصر على التصريح منه فان الاسمية قد لا يقصد بها التاكيد ولذا قالوا ان نحو زيد قائم يلقى لخالى الذهن لكنه غير تام بالنسبة للقسم (فقال وانك لعلى خلق عظيم) أتى بعلى اشارة لاستعلائه عليه لكونه مجبولا عليه بغير تكلف (قيل القرآن) هذا مروى عن عائشة والحسن رضى الله عنهما

عنهما وغيرهما كما سيأتي والمراد انه اتصف بكل صفة جميلة تعلم منه ومنزه عن كل ما لا ينبغي مما نهى
عنه فليس هذا تفسيرا آخر كما قيل (وقيل الاسلام) ولذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسيره
على دين عظيم والخلق يجيء بمعنى العادة والطريقة (وقيل الطبع الكريم) أصل معنى الطبع الختم
وطبع السيف ونحوه عمله ثم صار بمعنى الجبلة التي خلق الانسان عليها ومثله الخلق والخلاق وهو ملكة
نفسية لا تقبل التغير بسهولة وقال ابن الجوزي حقيقته ما يأخذ الانسان به نفسه من الآداب وأما
ما طبع فيسمى ختما وقد اجتمع فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من المكارم ما لم يجتمع في غيره وقال
الامام المراد التخلق بمجموع أخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهي مرتبة عظيمة فانه صلى الله
تعالى عليه وسلم أمر بالاقتداء بهداهم ولم يرد أصول الشرائع لعدم مناسبة التقليد فيها فالمراد ما مر قيل في
دليله نظر لجواز أن يراد الاقتداء في تحصيل اليقين بالاصول والعمل بمقتضاها فلا يلزم التقليد *
(أقول لا يخفى ان تقليد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لمن قبله من الانبياء في الاصول الدينية غير صحيح
وهو الذي أراده الامام رحمه الله تعالى فان أراد مجرد سلوك طريقهم الموصلة لها الا نفسها فلا خلاف
بينهما فتدبر (وقيل ليس لك همة الا الله جل جلاله) الهمة كما في المصباح أول العزم من هم بالشئ
ويكون بمعنى العزم يقال له همة عالية والمراد هنا الثاني وهذا محكي عن الجنيد رحمه الله تعالى قال انما
سمى الله خلقه عظيما لانه لم يكن له همة في غير الله سبحانه فكان صلى الله تعالى عليه وسلم معاشرا
للخلق بجسمه ومزايلا لهم بقلبه فظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق يعني ان عزمه صلى الله تعالى عليه
وسلم في اعلاء كلمة الله وتبليغ ما وصل اليه وفكره في ذاته وتوحيده فقول بعضهم انه بعيد جدا الاوجه
له (قال الواسطي) في الاول وتقدمت ترجمته (أثنى الله عليه بحسن قبوله لما أسداه اليه من نعمه)
اسدى بمعنى أعطى أو أوصل وهما متقاربان ومن بيان لما الموصولة والباء صلة اثنى أو سببية والنعم
فسرها الفاضل الشريف بالاخلاق العظيمة التي انتظمها الخلق في الآية وتبعه تلميذه ابن الحنبلي
(وفضله بذلك) أي بما أسداه أو بحسن قبوله (على غيره) من جميع المخلوقات الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وغيرهم وقوله (لانه جبله على ذلك الخلق) أي خلقه مطبوعا على خلقه العظيم الكامل الذي
لا ينفك عنه وضمير قبوله السابق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجوز فيه أن يكون لله أي قبول الله
اخلاقه أو انه جعل حسن قبوله مثنيا عليه والاول أولى ولذا اقتصر عليه أكثر الشراح وقيل ان في
كلامه مناقشة لان المجبول على الشئ الذي طبع عليه بمعنى انه خلق كذلك لا يقال فيه انه قابل لذلك
الذي جبل عليه لان ما بالقبول لا يكون ذاتيا فكان الاحسن أن يقول اثنى عليه بحسن ما جبله عليه ولله
المنة المطلقة فانه المنعم بالشئ والمثني عليه وتتمة كلام الواسطي تشير لذلك ورده السيد بانه تقرر في العلوم
العقلية ان ما تصف به المرء اما على الفاعلية أو القابلية والمراد بالقبول تأثره وتحققه فيه فصرح بانه
قابل لا فاعل ردا الطبيعيين بل حسن قبوله أيضا من الله فهو قابل له أيضا فاثنى عليه لا لفعله اياه بل
لقبوله وقبوله أيضا ليس منه فظهر ان الاعتراض غير قابل للقبول بل للرد * أقول هذا الكلام كله
تكلف مبني على غير أساس وتقريره ان مراد الواسطي بيان محصل معنى الآيات كلها فالنعم في كلامه
ليس بمعنى الاخلاق بل كل ما أنعم الله به عليه لعموم الموصول وحسن القبول مأخوذ من اشارة النص
بقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون أي لست ممن تستخفه النعم والبطر لمعرفتك بالله ومقدار
نعمه وتفضيله على غيره من كونه له أجر لا يحصى وقوله لانه الخ تعليل لمجموع ما قبله يعني انه صلى
الله تعالى عليه وسلم لسلامة طبعه وكمال أخلاقه حسن قبوله للنعم واستحق الثناء وبهذا التقرير
سقط الاعتراض لان الاخلاق وان كانت بخلق الله فيما جعله قابلا لكنه غير مراد هنا فما ذكره المجيب

عليه وسلم قالت كان خلقه
القرآن يرضى برضاه
ويسخط بسخطه (وقيل
الاسلام) وهو المنقول
عن ابن عباس والمراد
بالاسلام ههنا هو التوحيد
الحقيقي والانقياد
الظاهري والباطني
لاوامر الله وأحكامه
وقضائه وقدره كما قال
تعالى لابراهيم عليه
الصلاة والسلام أسلم
قال اسلمت لرب العالمين
(وقيل الطبع الكريم)
ولذا كان يخالق الناس
بمكارم الاخلاق ويخالطهم
بلطفه وارفاقه وهو
المنقول عن الماوردي
(وقيل ليس لك همة)
أي مقصد دونه همة (الا
الله) أي الذي بيده كل
رحمة ونعمة فكان مع
الخالق بقالبه ومباينا لهم
بقلبه وهذا منسوب الى
الجنيد (قال الواسطي
أثنى عليه بحسن قبوله)
أي أثنى الله على نبيه
بقبوله الحسن (وحسن
اقباله) اي ذي المنن (لما
اسداه اليه من نعمه) أي
لما أوصله اليه وأولاه
من نعمه الظاهرة والباطنة
في دنياه واخراه (وفضله
بذلك) أي بما ذكر (على
غيره) أي من جميع خلقه
(لانه جبله) أي طبعه
وخلقه (على ذلك الخلق)
وفي نسخة على تلك الخلق فالخلق بمعنى الخصلة أو السجية

(فسبحان اللطيف) أي بعباده برزق من يشاء (الكريم) أي الذي وسع كرمه كل شئ (المحسن) أي الذي لا يستغني أحد عن احسانه وبره وامتنانه (الجواد) أي الكثير العطاء والجود بالنسبة الى كل موجود (الحميد) الذي يحمده كل أحد من مخلوقاته وهو حامد لانبيائه واصفيائه القائمين بوظائف طاعاته وعباداته وفي أصل الدلجي المجيد أي ذي المجد والكرم ففي الحديث
القدسي والكلام الانسي وذلك اني جواد ماجد رواه الترمذي والبيهقي (الذي يسر الخير) أي سهله وفي نسخة للخير أي هيأ أهلاله كما قال تعالى فسنيسره لليسرى (وهدى اليه) أي ودله عليه كما قال تعالى وهديناه الى صراط مستقيم (ثم أثنى على فاعله) أي فاعل الخير نحو قوله تعالى انه من عبادنا المخلصين (وجزاه عليه) أي أثابه بما منحه عليه في الدنيا ووعده بالمزيد في العقبى بنحو قوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم هذا (سبحانه) اسم للتسبيح بمعنى التنزيه وقد يجعل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف ثم نصبه بفعل ترك اظهاره ويصدر به الكلام للتنزيه عن السوء والملام فهذا أيضا معنى قوله (سبحانه) بدلا مما قبله (ما أغمر) بالغين المعجمة فميم وراء وفي نسخة ما أعم (نواله) بفتح النون والصيغة للتعجب أي
ما أكثر عطاءه (وأوسع افضاله) بكسر الهمزة أي بره واحسانه (ثم سلاه) من التسلية وهي التعزية والتهنئة والمعنى منهم
أزال عنه ما حزنه من الغم وكربه من الهم (بعدهذا) أي بعد هذا المدح والثناء ووعد البر والعطاء أو بعد الدلجي حيث قال أي بعد ما قالوه (عن قولهم) متعلق بسلاه أي عن مقول الكفار في حقه مما لا يليق بجنابه وهو في أصل الدلجي متصل بسلاه وقوله بعدهذا (بما وعده به من عقابهم) بضم العين أي من سوء عاقبتهم الذي هو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وفي نسخة من عقابهم اي عذابهم وحجابهم

صلح من غير تراض فتدبر (فسبحان الله اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد) الكلام على سبحان مفصل في محله وهو منصوب على المصدرية ومعناه تنزيه الله عما لا يليق بجلال ذاته ويكون كثيرا للتعجب فيقال عند رؤية كل أمر عجيب تنزيها عن أن يوجد شيئا من غير حكمة وان خفيت علينا فالمراد هنا التعجب من كرم الله واسدائه النعم الجليلة ثم الثناء على من قبلها أوجزاه الاجر وليس للعبد في ذلك تأثير وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى مثله في آخر الخطبة وفيما ذكره من الاسماء اشارة لهذا فاللطيف للطفه بعباده اذ وفقهم لحسن القبول والكريم بما اسداه وأنعم به والمحسن لهم بالثناء عليهم والجواد بما أعطاهم من الثواب والاجر والحميد المحمود في كل فعاله المذكورة أو الحامد لهم أو لنفسه فالجواد بتخفيف الواو كثير الجود والتشديد غير مسموع فيه وقال في عمدة الحفاظ لا مانع منه ان قصدت المبالغة وفيه نظر وقيل السخي بناء على جواز وصفه بالسخاء كما بيناه في شرح أسماء الله الحسنى وقال ابن عصفور في الممتنع امتنعوا من وصف الله تعالى بسخي لان أصله من الارض السخاوية وهي الرخوة بل وصفوه بجواد لانه أي بالتخفيف أوسع في معنى العطاء وأدخل في صفة العلاء انتهى وقد ورد اطلاق الجواد عليه تعالى في حديث قدسي رواه الترمذي والبيهقي اني جواد ماجد ووقع في بعض النسخ هنا بدل الحميد المجيد أي ذو المجد والكرم وهو أنسب هنا (الذي يسر للخير وهدى اليه ثم أثنى على فاعله) يشير الى قوله تعالى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وتيسيره تسهيله بتهيئة أسبابه ثم خلقه فيه وهداه لمنافعه حتى سعى في كسبه وفاعله المباشر له فان الفعل ينسب له وان كان الفاعل حقيقة هو الله والثناء كما يكون على الفعل يكون على الفاعل كما قال أنت كما أثنيت على نفسك وقوله فانت كما تثني وفوق الذي تثني فالاعتراض ساقط (وجازاه عليه) هو ناظر للاجر ثم كرر التعجب لتكرر الاحسان فقال (سبحانه ما أغمر نواله) أغمر فعل تعجب بالغين المعجمة من الغمر وهو الماء الكثير استعير لمطلق الكثرة والنوال العطاء (واوسع افضاله) السعة معروفة شاعت في الشمول والعموم والافضال الانعام قال في المصباح تفضل عليه وأفضل افضالا بمعنى وفضلته على غيره صيرته أفضل منه انتهى فما قيل الافضال مصدر أفضله جعله فاضلا وافضله غريب خبط لا وجه له (ثم سلاه) بتشديد اللام من التسلية وهي ازالة الغم (عن قولهم بعدهذا) أي عما قالوه في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وبعد متعلقة بسلاه وهذا اشارة لكل ما ذكر من الرد والثناء والظرف مؤكد لما تدل عليه ثم وكونه للاشعار بانه لم يكتف بالتسلية غير ظاهر (بما وعده له من عقابهم) أي تعذيبهم بما صدر منهم وفي نسخة بالباء الجارة وفي نسخة عقوباتهم بصيغة الجمع لتعدد المعاقب وأنواع العقاب وروى عقباهم أي عاقبة سوء حالهم وما يؤول اليه وفي نسخة عقباه أي عقبى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في نصره عليهم والانتقام منهم ولما كان عذابهم وهلاكهم فيه مسرة وشفاء لصدور المؤمنين كما قيل

* مصائب قوم عند قوم فوائد * كان وعدا له فلا وجه لما قيل انه استعمل الوعد في الشر مجازا أولانه في أصل وضعه عام وجعل الموعود والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله وعده متعين والقول بانه عدي بقوله له باعتبار انه ذكر له تغيير في وجوه الحسان قيل ما ذكر دليل على عدم رجاء اسلامهم اذ لو كان ذلك مرجوا لوعده به لانه أحب اليه والاحسن أن يقول على عقاب طائفة

(وتوعدهم) أي وبما أوعدهم وخوفهم (بقوله تعالى فستبصر ويبصرون الثلاث آيات) أي الى قوله تعالى وهو أعلم بالمهتدين وهو منصوب بأعني أو اقرأ ويجوز رفعه وخفضه كما تقدم والضمير في فستبصر للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي يبصرون للكفار وهذا الابصار اما في هذه الدار واما في دار القرار للابرار وفي دار البوار للفجار والمعنى فسترى أو فستعلم ويبصرون بأيكم المفتون أي أيكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على ان المفتون مصدر بمعنى الفتنة كما قالوا ليس له معقول أي عقل فالمعنى بأيكم الفتنة وهي كناية عن الفساد والجنون الذي رموه به أو بأي الفريقين الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم فالباء على هذا ظرفية وخلاصته في أي فريق منكم الرجل المفتون ثم ختم الله سبحانه وتعالى الآية بوعيدهم ووعد نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فاوعدهم بقوله تعالى ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ووعده بقوله تعالى وهو أعلم بالمهتدين فكأنه قال هو أعلم بالمجانين على الحقيقة واليقين وهو أعلم بالمهتدين بحيازتهم كمال العقل في الدين (ثم) أي بعد ان مدحه الله وسلاه متوعدا اياهم (عطف) أي التفت وكرر (بعد مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم على ذم عدوه) قيل هو الاخنس بن شريق وكان ثقفيا ملصقا في قريش والاظهر انه الوليد بن المغيرة ونقل الثعلبي في تفسيره انه أبو جهل ونسب هذا الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أيضا وقيل هو عتبة ابن ربيعة وكثير من المفسرين على ان جميع الصفات التي في هذه الآيات انما جاءت أجناسا ولم يرد بها رجل بعينه بل المراد ان كل من يكون متصفا بوصف منها فلا تطعه فيها (وذكر سوء خلقه) أي وعلى ذكر سوء خلق عدوه (وعد معايبه) أي وعلى تعداد قبائح مبغضه (متوليا) أي مباشرا بنفسه (ذلك بفضله) أي من غير وجوب شيء عليه (ومنتصرا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) أي منتقما لاجله من اعدائه (فذكر) أي الله سبحانه وتعالى في كلامه بعد ذلك (بضع عشرة) بسكون الشين وتكسر وروي بضعة عشر

منهم ولذا قيل ان الوعيد تعريض بأبي جهل والوليد واضرابهما ورد بان المصنف رحمه الله تعالى لم يقصد العموم ولو سلم فساد كره ممنوع لانه يقال لكل كافر ان لم تتب فستبصر ومقابله الوعيد بقوله (وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات) بأتي ما ذكره كله أي ذكر وعيدهم وتهديدهم والجار متعلق بتوعد او به وبما قبله على التنازع والثلاث منصوب بمقدر كما مر والآيات بدل منه منصوب بالكسرة لا مجرور بالاضافة لضعف نحو الثلاثة الاثواب والمقدر أعني أو اقرأ أو نحوه ولا فرق بينهما كما تقدم وقوله تعالى بأيكم المفتون أي أيكم الذي افتتن بالجنون اسم مفعول والباء زائدة أو مصدر لانه يجيء على زنة مفعول قليلا أي بأيكم الفتنة والباء بمعناها أو بمعنى في ويجوز هذا اذا كان اسم مفعول أيضا أي المفتون في أي الفريقين افريق المؤمنين أم فريق الكافرين أو من يستحق هذا الاسم والابصار بمعنى العلم بعده ما معموله أو مستأنف أي في أيهما يوجد والعقاب مفهوم من سياق التهديد وبقية الآيات ظاهر (ان ربك هو أعلم بمن ضل) أي بالمجانين على الحقيقة وهم من ضل (عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) بحيازتهم كمال العقل (ثم عطف بعد مدحه) صلى الله تعالى عليه وسلم (على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه) بعد منصوب على الظرفية مضاف لمدحه أو مقطوع عن الاضافة مبني على الضم فمدحه منصوب على المفعولية لعطف وهو الثابت رواية عن المزي قيل وفيه نظر لانه يقتضي تقدم الذم على المدح وليس كذلك في النظم فالاحسن ان يقرأ بالاضافة وقوله عطف أي التفت أو مال اليه وعلى رواية المزي المعنى انه ثنى مدحه فلا يقتضي تقدم الذم الا ان تعديته بعلى وجعل الذم مما ثنى به المدح تكلف فالوجه الاول وكون المراد بالمدح قوله فلا تطع على ان المعنى انه ذم على ترك اطاعتهم وهو مدح له صلى الله تعالى عليه وسلم وان تضمن ذمهم فالمراد عطف مدحه مع ذمهم بعيد جدا وذكر وعد مصدر مضاف أو ماض معطوف على قوله عطف وعدوه كل من عاداه لا معين كما مر والعدو يطلق على الواحد وغيره والمعايب جمع معيبة بمعنى العيب واعلم ان العطف يتعدى بعلى بمعنى الشفقة والحنو وبعن للصرف والصد يقال عطفته اذا ثنيته وأملته والعطف النحوي يتعدى بعلى أيضا وما في عبارة المصنف عطف لغوي لا نحوي وتجويزه هنا لكونه بالفاء غير صحيح لانها ليست عاطفة فارتكابه والتمحل له تعسف وسوء خلقه مقابل لعظم خلقه (متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) حالان من ضمير عطف أي لم يكل ذلك لاحد ولم يجعل بينه وبينه واسطة بل فعله بنفسه اهتماما بتعظيمه ونصرته كما ذكره بكلامه النفسي أو اللفظي في قوله سنسمه الى آخره (فذكر بضع عشرة) وروي بضعة عشر وفي المصباح بضع بالكسر في العدد وبعض العرب تفتحه واستعماله من الثلاثة الى تسعة يستوي فيه المذكر والمؤنث ويستعمل أيضا من ثلاثة عشر الى تسعة عشر لكن تثبت التاء في بضع مع المذكر وتحذف مع المؤنث كالنيف ولا يستعمل فيما زاد على العشرين وأجازه

(خصلة) بفتح الخاء أى خصلة قبيحة وخلة ذميمة والبضع بفتح الموحدة ويكسر ما بين الثلاث الى التسع وهذا هو المشهور وأراد المصنف احدى عشرة خصلة وهذا على قول من يقول بدؤه الواحد ومنتهاه العشرة لانه قطعة من العدد ويجرى فى التذكير والتانيث مجرى العدد المركب (من خصال الذم فيه) أى من بعض الخصال المذمومة فى عدوه (بقوله فلا تطع المكذبين) تهييج لتصميمه على معاصاتهم (الى قوله تعالى أساطير الاولين) وهو قوله ودوا لو تدهن فيدهنون أى لو تلين فتدع نهيهم عن الشرك فيميلون أيضا اليك فى بعض ما تدعوهم اليه وذلك ان قريشا قالوا فى بعض الاوقات لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو عظمت آلهتنا لعبدنا الهك وعظمناه فنهاه الله عن ذلك بقوله فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف أى كثير الحلف حقا وباطلا وكفى به زاجرا لمن اعتاد الحلف حيث يخاف عليه من الكذب كما ورد كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع مهين أى ذى مهانة وحقارة وحاصله انه ضعيف وحقير ووزنه فعيل لا مفعول والميم أصلية لا زائدة هماز عياب فى أعراض الناس مشاهده مغتاب فى حقهم غيبة مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية للفساد والنمم مصدر كالنميمة وهو نقل القبائح مناع للخير أى كثير المنع منه وقيل المراد بالخير هو المال فعلى هذا هو وصف بالشح وقيل بل هو على عمومه فى المال وجميع افعال الخير والخصال ومعتد متجاوز فى الظلم أثيم كثير الاثم عتل جاف غليظ من عتله أى دفعه بعنف وشدة بعد ذلك أى بعد ما عد من مثالبه ومعايبه زنيم أى دعى كالوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده قيل ان الله سبحانه وتعالى لا يعيب أحدا بالانساب ولكن ذكره ليعرف بذلك وما أحسن قول حسان

وأنت زنيم نيط فى آل هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ان كان ذا مال وبنين علة لما بعده وقرأ حمزة وشعبة بهمزتين فالتقدير الآن كان ذا مال كثير وبنين متعددة قيل كانوا عشرة وقيل اثنى عشر اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين أى قال ذلك حين تليت عليه والاساطير جمع اسطورة بضم الهمزة كاحدوثة وأحاديث وقيل الاساطير جمع اسطار والاسطار جمع سطر بفتح الطاء كذا فى حاشية المنجانى وفى القاموس السطر الصف من الشئ كالكتاب والشجر وغيره وجمعه اسطر وسطور واسطار وجمع الجمع أساطير والخط والكتابة ويحرك فى الكل انتهى وأراد الكافر به الاباطيل المنسوبة الى المتقدمين وقائله النضر ابن الحارث وسببه انه دخل بلاد فارس وتعلم اخبار رستم وغيره (ثم ختم) أى الله سبحانه (ذلك) أى ما ذكره من مثالب ذلك الشقى (بالوعيد الصادق) وفى نسخة بالوعيد الصدق (بتمام شقائه) أى تعبه أو كمال شقاوته (وخاتمة بواره) أى هلاكه ودماره بقوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) أى سنكويه على أنفه ابقاء له وخص الانف لان السمة عليه ابشع وظهورها أشنع وأشيع وقيل أى نجعل على وجهه يوم القيامة سمة سواد تكون منبهة عليه ومعرفة به قبل دخوله النار كما قال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم أو معناه أنه يعذب اذ ذاك بنار تجعل على أنفه فتكون فيه كالسمة وقيل هذا فى الدنيا وهى كناية عن ضربة يضرب بها وجهه وأنفه فتبقى فيه كالسمة قالوا وقد حل ذلك يوم بدر على أنف الوليد جراحة ظاهرة وعلامة باهرة وقيل ليس السمة هنا على حقيقتها وانما هى كناية عن شهرته بما يبقى له مذموما ولا يمكنه اخفاؤه كالموسوم بسمة على أنفه والخرطوم فى الاصل انما هو للسباع كالفيل واستعمل فى الآية للانسان استعارة واشارة الى انه شبيه بالحيوان صورة وسيرة كما قال تعالى أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون

بعضهم فتقول بضعة عشر رجلا وبضع عشرون امرأة وكذا قال أبو زيد وعلى هذا المعنى البضع والبضعة فى العدد قطعة مبهمة غير محدودة انتهى وفيه اختلاف لاهل اللغة وكلام المصنف رحمه الله تعالى ليس مخالفا لما قالوه كما توهم وما هنا ثلاث عشر أو اثنى عشر أو احدى عشر بناء على عد المداهنة والاستظهار بالمال والبنين منها (خصلة من خصال الذم فيه) أى فى عدوه والخصلة بفتح الخاء المعجمة الصفة مطلقا وغلبت فى صفات المدح اذا اطلقت (بقوله تعالى فلا تطع المكذبين) فيما دعوك له من تعظيم آلهتهم ونحوه وهو تهييج له صلى الله تعالى عليه وسلم على تصميمه فى مخالفتهم (الى قوله تعالى أساطير الاولين) أى أباطيلهم المنقولة عنهم وهو جمع اسطار جمع سطر وما وقع منه فى القرآن منقول عن النضر بن كلدة لانه دخل بلاد فارس وتعلم أخبار رستم وغيره فكان يقول أنا أحدثكم باحسن مما يحدث به صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل ومن قال سانزل مثل ما أنزل الله (ثم ختم ذلك) أى ما عد من المعائب أورده عقبه كالخاتمة له (بالوعد الصادق) لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم كما روى وفى نسخة بالوعيد وروى أيضا الوعيد بالنصب صفة ذلك وصدقه لعدم تخلفه وان كان الوعيد يجوز تخلفه لكن لكونه وعدا لا يخلفه من لا يخلف الميعاد أو الصادق هنا بمعنى الخالص الذى لا يشوبه غيره كما يقال صادق الحلاوة (بتمام شقائه وخاتمة بواره) متعلق بختم أى بشقائه التام والبوار الهلاك وعبر به فى نسخة الذى هو خاتمة أمره وآخر أحواله أو حاله تجر اليه فسمى به (بقوله سنسمه على الخرطوم) الوسم العلامة والكى

أي الكاملون في الغفلة عن الحضرة وقيل إنما عدل عن الأنف إلى الخرطوم لأن الأنف محل العز والأنفة ولا كذلك الخرطوم لأنه محل المذلة والإهانة ولذا قيل الأنف في الأنف وقيل الخرطوم الوجه كله وهذا في الإنسان وربما قيل له في الأنف كغيره ومجمل الكلام وزبدة المرام في هذا المقام أي سنجعل له سمة أي علامة على الخرطوم أي على أنفه إما حسا كضرب أنفه بالسيف يوم بدر وبقيت علامة في أنفه حتى يأنف من أنفه أو يكون سوادا في وجهه زائدا عن غيره من الكفار في القيامة لشدة عناده وعتوه وأما معنى كسوء ذكره بالذم والمقت والاشتهار بالشر بحيث لا يخفى ذلك بوجه فيكون ذلك كوسمة على

أنفه ويمكن تحقق الجميع في حقه (فكانت نصرة الله له) أي لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على عدوه (أتم من نصرته) عليه الصلاة والسلام بنفسه (لنفسه) أي فإن من كان لله كان الله له (ورده) أي كان رده (تعالى على عدوه أبلغ من رده) صلى الله تعالى عليه وسلم (وأثبت في ديوان مجده) أي في ديوان كرمه وشرفه وهو بكسر الدال وتفتح والجمع دواوين ودياوين وأصله ديوانه بالفارسية وذلك أن كسرى أمر كتابه أن يجتمعوا في دار واحدة يعملوا حساب السواد في ثلاثة أيام وأعجلهم فيه واطلع عليهم لينظر ما يصنعون فنظر إليهم فرآهم يحسبون بأسرع ما يمكن وينسخون كذلك فعجب من كثرة حركتهم فقال أين ديوانه أي هؤلاء مجانين وقيل شياطين ثم قيل في كل محفل ديوان وأول من دون في الإسلام عمر رضي الله تعالى عنه *(الفصل السادس)* (فيما ورد من قوله تعالى في جهته) أي في حقه (عليه الصلاة والسلام مورد الشفقة والإكرام) أي مورد الرحمة والكرامة وهو منصوب على المصدرية (قال الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه عليه الصلاة والسلام) أي لحديث تقدم لي عند ربي عشرة أسماء وذكر منها طه وهو في حساب العدد المرموز في أبجد أربعة عشر إيماء إلى أن بدر وجهه في غاية من النور ونهاية من الظهور (وقيل هو اسم لله تعالى) قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولعله إشارة إلى الطاهر والهادي والمعنيان صادقان في حق الله تعالى ورسوله حقيقة ومجازا وقد قيل المعنى طوبى لمن اهتدى بك (وقيل معناه يا رجل) أي في لغة عك ولعل أصله يا هذا فقلبوا الياء طاء واقتصروا على ها

والكي والخرطوم وخراطيم كعصفور وعصافير الأنف هنا وأصله يختص بالحيوان كالفيل ونحوه فاستعير للإنسان لإيذانه باستحقاقه والتهكم به وهو هنا كناية عن تشهيره بالقبائح في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما وقيل وسمه تسويد وجهه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وخص الأنف لأنه أظهر الأعضاء تذليلا للمتكبر عن الحق الذي عنده شمم في أنفه فعوقب بضده (فكانت نصرة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم أتم من نصرته لنفسه) أي نصرته التي تولاها بنفسه في قوله تعالى سنسمه على الخرطوم إلى آخره ونصرة نفسه على أعدائه هي لله أيضا لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا ينتقم لحق نفسه الصرف وما فعله العظيم عظيم (ورده تعالى على عدوه أبلغ من رده لنفسه) رده بتكذيبهم بنفسه أبلغ من رد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وإقامة الحجة وإن كان هذا أيضا ليس من تلقاء نفسه وقيل المراد لو كان له رد ونصرة وهو عليه الصلاة والسلام فعل ما فعل لله ومن كان لله كان الله له (وأثبت في ديوان مجده) أي أعظم وأقوى ثباتا وأبقى في صحف الدهر من أن يثبته هو بنفسه فإن ما أمضاه الله لا نقض له والديوان بكسر الدال المهملة وقد تفتح منهم من قال إنه فارسي معرب وأصله جمع ديو وهو العفريت شبه به أهله وقيل إنه عربي من التدوين وهو الكتابة وهو واوي خفف بقلب إحدى واويه ياء ويجمع على دواوين ودياوين وهو مجتمع الصحف والكتاب للسلاطين وأول من وضعه في الإسلام عمر رضي الله تعالى عنه ويطلق على نفس الدفتر والكتاب وعبارة المصنف رحمه الله تعالى تحتملها وهو استعارة فاستعار لمجده أي عظمته ديوانا يثبت فيه فإذا أثبته الله كان أتم وأكثر ثباتا وهكذا هو باق إلى يوم القيامة

(الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه الصلاة والسلام مورد الشفقة والإكرام)

يعني ما جاء في القرآن من الآيات الدالة على إكرام الله له والشفقة به والشفقة اسم مصدر من شفق بغيره عطف وحنى فهو شفيق وهذا ونحوه مما لا يوصف به الله فتجوز به عن التلطف بمن يحبه والجهة معناها الجانب والمراد بها هنا شأنه وحقه والمورد مصدر ميمي منصوب على المصدر أو اسم مكان منصوب على الظرفية وأصله المحل الذي يؤخذ منه الماء فاستعير له لعموم نفعه وقيل الشفقة حرص الناصح على حال المنصوح وقد يطلق على ما فيه دفع المضرة ونحوه والمراد بالإكرام إكرام مخصوص ولو عم شمل ما فيه غيره من الفصول (قال الله تبارك وتعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه) أي من أسماء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم للاهتمام به لمناسبته للمقام والبلغاء يقدمون منه لأن البلاغة يعتبر فيها رعاية مقتضى المقام فما تقتضيه عندهم أهم مما له تقدم ذاتي كما قرروه في تقديم الأمر بالقراءة في قوله تعالى اقرأ باسم ربك فتذكره (وقيل هو اسم لله تعالى) هذا منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما واستدل لما قبله بحديث لي عند ربي عشرة أسماء طه ويس (وقيل معناه يا رجل) أي معناه يا رجل وحرف النداء مقدر معه وهو مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى

(وقيل) أى فى معناه (يا انسان) قلبوا وأتوا بهاء السكت كذا ذكره الدلجى ووجهه غير ظاهر مع ان هاء السكت انما يكون ساكنا والاظهر ان أصله يا هذا المراد به الرجل أو الانسان (وقيل هى حروف مقتطعة) أى يراد بها حروف هجائية بنائية (لمعان) أى موضوعة لمعان ايمائية والله أعلم بمراده بالطريقة القطعية (قال الواسطى أراد يا طاهر) وفى معناه يا طيب (يا هادى) أى أراد بالطاء افتتاح اسم وبالهاء ابتداء اسم (وقيل هو أمر من الوطئ) أى بالهمز والهاء كناية عن الارض فامر بان يطا الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه وأصله طاء قلبت همزته هاء أو طا ها قلبت همزته ألفا وأورد عليه كتابتهما على صورة الحرف وكذا على القول بان أصله يا هذا وأجيب بانه اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما على صورة مسماهما فى رسمهما (أى اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة) أى فانه شاق عليك (وهو قوله تعالى (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أى لتتعب فى أمر العبادة بل المراد به انك تعبد على وجه الراحة فانك انما بعثت بالحنيفية السمحة ثم الشقاء شائع بمعنى التعب ومنه سيد القوم أشقاهم ولعل الحكمة فى عدوله عن تتعب للاشعار بانه أنزل عليه ليسعد بحكم الضد أو لمراعاة الفواصل فيما الآتية (نزلت) وفى نسخة ونزلت (الآية) أى أول سورة طه

عنهما أيضا كما ذكره البيهقى وقال عكرمة انه لغة معروفة فى عكل وعك وقيل انها لغة حبشية أو عبرانية أو سريانية أو نبطية ومعناه يا حبيبى وقيل لعل أصله يا هذا فقلبوا الياء طاء واقتصروا على ها وهو بعيد جدا (وقيل يا انسان) رواه البغوى عن الكلبى وقال انه لغة عك فان صحت الروايات فهو مشترك (وقيل هى حروف مقطعة لمعان) الجمع لما فوق الواحد لقوله (قال الواسطى أراد يا طاهر يا هادى) فالطاء من طاهر والهاء من هادى وقيل الطاء طول الغزاة والهاء هيئتهم وقيل طوبى والهاوية وقيل انه قسم بطوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهدايته وقيل معناه أيها البدر لان الطاء والهاء فى الجمل أربعة عشر (وقيل هو أمر من الوطئ) بالقدم فابدلت الهمزة ألفا (والهاء كناية عن الارض) أى الضمير راجع اليها العلم بها من قرينة الحال والضمير يسمى كناية عند النحاة كما ذكره أهل العربية وهذا قول ذكره القرطبى والبيضاوى وقيل ان ها اسم لحرف ماخوذ من هاء اسم الضمير فهى كناية اصطلاحية عنه لا أنه ضمير كما قيل فى طا ورد البيضاوى هذا القول بانه يأباه كتابتها بصورة الحرف ورد بانه رسم المصحف غير قياسى فيه كما رسم أيه المؤمنون بلا ألف فى الامام وقرئ طه بسكون الهاء وأصله طا فابدلت الهمزة هاء كاياك وهياك أو هو أمر والهاء للسكت والمفعول محذوف أى طا الارض ويحتمل انه أراد أن الهاء من ها وحدها ضمير كما قاله بعض النحاة (أى اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة) الاعتماد الاتكاء والاستناد على الارض بقدمه أو قدميه ويقال اعتمد على القدم وعلى الارض وظاهر هذا وما سيأتى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقوم على قدم واحدة اتعابا بالنفسه ليزيد أجره فى عبادته فان الاجر على قدر المشقة وان لم يثبت فى الشرع ان القيام على رجل واحدة من التطوعات حتى يفعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويخالفه ماروى ابن عباس وابن مردويه عن على رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع رجلا فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال له طا الارض بقدميك وظاهره ان وضع أحدى قدميه كان راحة له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تعبا وصرح به البغوى ونقله عن الكلبى فالوجه ان المعنى لا تتعب حتى تحتاج الى الاستراحة برفع قدم دون الاخرى لا ما ذكره المصنف والجمع بينهما انه لما تورمت قدماه وتروح برفع واحدة ووضع فى مشقة القيام برجل واحدة لنقل الاعتماد عليها فامره بالاستراحة وترك التعب وما يوجبه كما خفف عنه قيام الليل اقول هذا مما لا طائل تحته فانه لا شبهة فى ان القيام على رجل واحدة أشق من القيام على الرجلين كما قيل

اذا الحمل الثقيل توزعته ✽ اكف القوم هان على الرقاب

وان كان فى القيام على واحدة راحة للمرفوعة فيصح نسبة الراحة لكل من الامرين وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى متعين من السياق على هذا التفسير فانه اذا قال له ضع قدميك فانا لا نريد تعبك دل على الراحة ولا منافاة بينه وبين ما رواه والتوفيق الذى ذكره تكلف فتدبر ✽ (تنبيه) ✽ كون الاجر على قدر المشقة كما ورد فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أجرك على قدر نصبك كما فى مسلم قال ابن عبد السلام فى قواعده ليس هذا على أطلاقه انما هو اذا اتحد العملان فى الشرف والشرائط والسنن وكان احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة كالغسل فى الصيف والشتاء اما اذا لم يتساويا فلا فان الايمان أفضل من الاعمال مع خفته ثم اختار ان أفضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشئة عنها فتصدق البخيل أفضل من قيامه وانقاذ الحاكم مظلوما أفضل من قيامه الليل وصيام النافلة ونقله الزركشى فى قواعده وارتضاه ولنا عودة الى ذلك (وهو قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت

(فيما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل) أي حتى تورمت قدماه وذلك لانه قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن ليلة كما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها وروى أيضا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي حتى تورم قدماه قال فقيل له اتفعل هذا وقد جاءك ان الله تعالى قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال أفلا اكون عبدا شكورا (حدثنا) وفي نسخة أخبرنا (القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن) أي ابن علي ابن شبري بشين معجمة مكسورة وباء موحدة ساكنة وبعد الراء مثناة من أسفل أحد العلماء ٢٣٣ الصالحين من رجال الاندلس مات سنة ثلاث وخمسمائة باشبيلية (وغير واحد) أي وكذا حدثنا جمع كثير (عن القاضي أبي الوليد الباجي) بموحدة وجيم هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث المنجيبي القرطبي صاحب التصانيف نسب الى باجة مدينة بقرب اشبيلية وقيل هو من باجة القير وان التي ينسب اليها أبو محمد الباجي الحافظ مات بالمدينة سنة أربع وسبعين وأربعمائة قيل كان يحضر مجلسه أربعون ألف فقيه روى عنه الخطيب وابن عبد البر وهما أكبر منه والحميدي وأبو علي الصدفي وغيرهم (اجازة) أي من طريق الاجازة (ومن أصله) أي كتابه الذي قرأ فيه على مشايخه (نقلت) فكان في سنده اجازة ومناولة (قال حدثنا أبو ذر الحافظ) أي المشهور بحفظ الحديث يعني به الهروي واسمه عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الله

(٣٠ - شفا ل) ابن غفير بغين معجمة ابن خليفة بن ابراهيم المالكي توفي في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وأربعمائة في الحرم مجاورا فيه وهو منسوب الى الهرة بفتح الهاء والراء مع تخفيفه ودون همز موضع بين مكة والطائف واما الهراة فوضع بين مكة وعسفان كذا ذكره التلمساني واما هراة بالكسر بلا همزة فبلدة عظيمة بخراسان قال الحلبي وسمع منه جماعة وروى عنه بالاجازة جماعة منهم الخطيب وابن عبد البر وغيرهما (قال حدثنا أبو محمد الحموي) بفتح المهملة وضم الميم المشددة وكسر الواو وياء نسبة الى جده حمويه وهو عبد الله بن محمد بن حمويه السرخسي توفي سنة احدى وثمانين وثلاثمائة

فيما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله من السهر والتعب وقيام الليل) الضمير راجع للنهي عن اتعاب نفسه المستفاد من النفي في الآية أي هو المراد من الآية والشقا أصل معناه التعب قيل انه عبر به ليدل على سعادته والنفي على هذا التعب مخصوص كما يقتضيه سبب النزول وان كان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والمورد فلا يخص بما ذكر ولان تعبه بتاسفه على كفرهم (أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد) أي رواه المصنف عنه وعن كثير من العلماء غيره وهو ابن عبد الرحمن بن علي بن شبرين بشين معجمة مكسورة وباء موحدة ساكنة وبعد الراء مثناة من أسفل من أصحاب الباجي ثقة حافظ توفي يوم الخميس رابع رجب سنة ثلاث وخمسمائة باشبيلية (عن القاضي أبي الوليد الباجي) بالموحدة نسبة لباجة من بلاد المغرب وباجة بموحدة وجيم بلدة بقرب اشبيلية وقيل هي باجة القيروان وأبو الوليد هذا هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الذهبي أصله من مدينة بطليوس وانتقل جده لباجة التي نسب اليها هو والحافظ أبو محمد الباجي ولد في ذي القعدة ببطليوس سنة ثلاث وأربعمائة وأخذ عنه جماعة كابن عبد البر والخطيب والحميدي وغيرهم ورحل للحج وجاور بالحرم ثلاثة أعوام ولازم اباذر الهروي وخدمه ثم رحل لبغداد ودمشق وأخذ عن العلماء وتفقه على أبي الطيب الطبري وأخذ علم الكلام عن أبي جعفر السمناني وأقام بالموصل ثم رجع الى الاندلس بعد ثلاثة عشر عاما وقصته في كتابة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بيده مشهورة تقدمت الاشارة اليها وقال ابن سكرة انه مات بالمدينة في تاسع عشر رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة (اجازة ومن أصله نقلت) الاجازة في كلام العرب قديما كما نقله أهل اللغة الاذن في الانصراف من جاز المكان اذا تجاوزه ومن ثم تعدى بالهمزة للمفعول الثاني وقد يقتصر على احد مفعوليه لانه من باب كسى ومعنى أجازه أذن له في الجواز ثم استعمل لمطلق الاذن وخصه المحدثون بالاذن في نقل الحديث فصار حقيقة عرفية وهذه لفظة عربية قديمة فالجائزة بمعنى العطية وقد وقع هنا فيها كلام لابن الصلاح لنا فيه كلام بيناه في حواشيه والمراد باصله كتابه الذي ضبط فيه وجعله ملكاله لا السماع وقوله نقلت الخ هو من كلام أبي عبد الله يعني انه لم يسمعه منه وانما نقله من كتابه الذي أجازه به وقال ابن الحنبلي انه من كلام المصنف رحمه الله تعالى لا من كلام شيخه كما قيل فان تعلق عن باخبرنا ياباه ولو قيل كان بدلا عن قال لم يكن من كلام المصنف رحمه الله تعالى والاصل أصل شيخ شيخه لعود الضمير على الاقرب وانما قيده به لان العنعنة يتبادر منها السماع وعليه المحدثون فلو لم يقيد أوهم خلاف المراد وقد يقولون أخبرنا وحدثنا في الرواية بالاجازة والمختار خلافه الا أن يصرح بالاجازة ورواية السماع أقوى من الاجازة وسوى بينهما الطوفي في قواعده والخلاف في ذلك في الكتب المدونة كذلك (قال حدثنا أبو ذر الحافظ) الهروي العلامة عبد بدون أضافة ابن أحمد بن محمد بن عبد الله الانصاري المالكي بن السماك سمع بهراة وغيرها كثيرا من المشايخ وصنف التصانيف الجليلة وروى عنه الكبار وترجمته مشهورة توفي في شوال سنة أربع وأربعمائة قال (حدثنا أبو محمد الحموي)

(حدثنا ابراهيم بن خريم) بضم خاء معجمة وفتح زاى قال التلمسانى هو ابو اسحق ابراهيم بن عثمان بن خريم (الشاشى) بشينين معجمتين واما الشامى على ما فى بعض النسخ فتصحيف (حدثنا عبد بن حميد) بالتصغير أى ابن نصر القرشى الكشى بكاف وشين له تاليف فى كتاب الله العزيز ومعانيه توفى سنة تسع واربعين ومائتين قال الحلبى هو مصنف المسند وقد قرأت منتخبه بالقاهرة سمع يزيد بن هارون ومحمد بن بشر العبدى وعلى بن عاصم وابن ابى فديك وغيرهم روى عنه المسلم والترمذى وعلق عنه البخارى فى دلائل النبوة من صحيحه فسماه عبد الحميد (حدثنا هاشم بن القاسم) هو ابو النضر يعرف بقيصر التميمى روى عن ابن ابى ذئب وعكرمة وعنه احمد والحارث ابى اسامة اخرج له الجماعة توفى سنة سبع ومائتين (عن ابى جعفر) هو محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب هو والد جعفر بن محمد الصادق توفى عام عشرة ومائة وقال الحلبى ابو جعفر هذا اختلف فى اسمه فقيل عيسى بن ابى عيسى بن هامان مروزى كان يتجر الى الرى روى عن عطاء وابن المنكدر وعنه جماعة اخرج له الاربعة (عن الربيع بن انس) هو ولد

أنس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخدمه رضى الله تعالى عنه قال الحلبى الربيع تابعى وهو بفتح الراء بصرى نزل خراسان وروى عن انس وابى العالية وعنه الثورى وابن المبارك قال ابو حاتم صدوق توفى سنة تسع وثلاثين ومائة اخرج له الجماعة (قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعنى طا الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الآية) أى لا تذكرة لمن يخشى أى لكن انزلناه موعظة لمن يخاف مخالفة المولى ويتبعه بالطريق الاولى فهذا الحديث اسنده المصنف هنا من

هو عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسى الحموى بفتح الحاء المهملة وضم الميم المشددة ثم واو مكسورة ثم ياء مشددة للنسبة الى جده حموية قال البرهان ورأيت فى بعض النسخ التى وقفت عليها من الشفاء بعد الواو همزة مكسورة وفيها نظر والذى فى حواشى ابن رسدلان والشمنى الاول لا غير وقيل اسم جده بفتح الميم المخففة فالنسبة على هذا بالفتح والتخفيف وكسر الواو وفى ضبط النسخ اختلاف لهذا قلت لعل الهمزة المخففة رسمت اشارة الى ابدال الواو المضموم ما قبلها همزة لغة وهو نزيل هراة وبوسنج ووصل لما وراء النهر وهو اصولى محدث ثقة توفى سنة احدى وثمانين وثلاثمائة فى ذى الحجة ومولده سنة ثلاث وتسعين ومائتين قال (حدثنا ابراهيم بن خريم الشاشى) بخاء معجمة مضمومة وزاى معجمة مفتوحة مصغر وهو شاشى ترجمته مشهورة وهو ابو اسحق بن عثمان ومن قرأه براء مهملة اخطا وشاش بمعجمتين بلدة بما وراء النهر قال (حدثنا عبد) بلا اضافة (بن حميد) بحاء مهملة مصغر والذى جزم به ابن حبان والبخارى ان اسمه عبد الحميد الكشى بالاعجام والاهمال وهو ثقة حافظ مات سنة تسع واربعين ومائتين قال (حدثنا هاشم بن القاسم) أبو النضر المعروف بقيصر مات سنة عشرة ومائة (عن ابى جعفر) قال التلمسانى هو محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب وهو والد جعفر بن محمد الصادق ويقال له الباقر سمى باقرا لتبحره فى العلم من البقر وهو الشق والتوسعة تابعى عدل ثقة وامام مشهور توفى سنة اربع عشرة ومائة على الاصح ودفن مع أبيه وعمه بالبقيع وهو من تلاميذ الربيع ومشايخ هاشم وفى المقتنى انه اختلف فى اسمه فقيل عيسى بن ابى عيسى بن ماهان وقيل عيسى بن عبد الله بن ماهان مولى تميم مروزى روى له الاربعة وترجمته مشهورة (عن الربيع بن انس) ابو حاتم البكرى البصرى التابعى صدوق لكن له أوهام كما قاله ابن حجر وما فى حواشى التلمسانى من انه انس بن مالك رضى الله عنه سهو وحديثه هذا مرسل لانه لم يذكر صحابية توفى سنة مائة وتسع وثلاثين قيل والحديث المتقدم أولى سندا ومعنى ويمكن التوفيق بينهما بحمل الصلاة فيه على صلاة الليل والقيام على رجل ورفع الاخرى على ما كان يفعله بسبب تورم قدميه فان ثبت انه كان يفعله اختيارا منه تطوعا كما مر فلعله تسمح لان الفقهاء لم يبيحوه بغير ضرورة وفيه نظر (قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعنى طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الى آخره) هذا كما مر من غير فرق فما مر

تفسير عبد بن حميد عن الربيع بن انس مرسلا ورواه ابن مردويه عن على كرم الله تعالى وجهه موصولا بلفظ لا
لما نزل يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا فقام كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع أخرى فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام فقال طه أى طا الارض بقدميك ما انزلنا عليك القرآن لتشقى والحاصل أن هذا التاويل فى طه هو مختار الربيع بن انس ويعزى الى مقاتل أيضا وله تاويلان احدهما ان يريد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتمد اذا صلى على احدى رجليه ويرفع الاخرى تحريا منه صلى الله تعالى عليه وسلم للامور الشاقة ونفورا من الراحة فقيل له طا الارض برجليك معا ولا تعتمد على قدم واحدة فتتعب بذلك نفسك وهذا التاويل هو الذى تاوله المصنف وثانيهما ان يريد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت تدعوه مشقة الصلاة الى ان يتروح برفع احدى قدميه وحط الاخرى فقيل له طا الارض بمعنى لا تلزم نفسك من القيام ما تتعب معه فتضطر الى الترويح باحدى قدميك قال المنجانى وهذا التاويل احسن من التاويل الذى تاوله القاضى والا فالقيام على رجل واحدة لم يثبت فى الشرع انه

من جملة التطوعات فيفعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اختيارا دون ان يوجب ذلك موجب من تعب أو تورم قدم بل لم يبح ذلك الفقهاء الا للضرورة قلت لا مانع من انه كان في الشرع من التطوع ثم نسخ ثم قال ومما يستغرب في هذه الآية ما رواه الفراء في كتاب معاني القرآن له مسندا عن عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان رجلا قرأ بحضره طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فقال ابن مسعود اقرأطه بكسر الطاء والهاء فقال له الرجل يا أبا عبد الرحمن اليس امر امن الوطئ فقال له عبد الله اقرأطه بالكسر فهكذا أقرأنيهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قلت لعل روايته كانت بالامالة فيهما وهى لا تنافى ٢٣٥ كونهما من الوطئ والله اعلم (ولا خفاء افى هذا كله) الباء بمعنى في وعدل اليه حذرا عن التكرار أي فيما ذكر من الآية والحديث (من الاكرام) أي اكرام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وحسن المعاملة) أي له صلى الله تعالى عليه وسلم باعلام حسن القيام وهذا ان جعلناه بمعنى طه طا الارض كما تقدم فيه الكلام (وان جعلناطه من اسمائه عليه الصلاة والسلام كما قيل (أي وقد سبق (أو جعلت) أي هذه الكلمة (قسما) أي اقسم الله تعالى به (لحق الفصل بما قبله) أي اتصل هذا الفصل بالفصل الذى قبله لانبائه بما اقسم به تعالى تحقيقا لمكانته وافاد نهاية المبرة في مخاطبته واعلاء درجات الآداب في محاورته (ومثل هذا) أي ماذكر من كون طه من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم أو مقسما به أوهما وما قبلهما (من نمط الشفقة) أي من نوع المرحمة (والمبرة) لمناسبة بينهما قال الدلجى اذ النمط في الاصل الجماعة من الناس امرهم واحد وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط يلحقهم التالي ويرجع اليهم العالي انتهى ولا يخفى بعد هذا المعنى في مقام المرام بل النمط بفتح النون والميم جاء بمعنى الطريق والنوع من الشئ أيضا على ما في القاموس ويمكن حمل الحديث الذى ذكره عليه كما لا يخفى وقد قال الحلبي النمط الضرب من الضروب والنوع من الانواع يقال ليس هذا من ذلك النمط أي من ذلك النوع قاله الهروي في غريبه واخذ منه ابن الاثير وحذف منه بعض شئ (قوله تعالى) خبر لقوله مثل هذا (فلعلك) أي لفرط اعراضهم وتباعدهم عن ما فيه تحصيل جميع اعراضهم (باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي المجدد انزاله (اسفا) أي حزنا وتاسفا وتلهفا

لا وجه له وهذا كان قبل النهى فحكم الفقهاء بالكراهة كان بعد النهى فلا اشكال فيه * (تنبيه) * لم نزل نتوقف في كيفية صلاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الاسراء حتى رأينا ما نقله السيوطى في الخصائص الكبرى انها لا ركوع فيها وان المفسرين قالوا في قوله تعالى واركعي مع الراكعين ان مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الامة وصلاة بني اسرائيل لا ركوع فيها (٢) فلهذا امرهم الله تعالى بالركوع مع الراكعين في هذه الآية ويدل عليه ما اخرجه البزار والطبراني في الاوسط عن على كرم الله وجهه انه قال أول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال بهذا امرنا ووجه الاستدلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل ونحوه فيكون الصلوات السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الامم السالفة عنه وكذلك الجماعة كما في شرح المجمع انتهى * أقول هذا امر مقرر الا انه لخفائه لم يعرفه كثير من الصحابة المتأخر اسلامهم لان الساجد لا بد له من الركوع في هويه لكنه ان لم يفصله عنه بانتصاب لم يكن ركنا مستقلا وعبادة (ولا خفاء بما في هذا كله من اكرام وحسن المعاملة) الباء بمعنى في أي في المذكور مما في الآية وما يتعلق بها واكرامه صلى الله تعالى عليه وسلم بانزال القرآن عليه وشفقته عليه بنهيه عما يتعبه من عبادته فاياك بغيرها من امور تراه يرضى له تعبا فيها فعامله الله تعالى له وخطابه بهذا فيه من اللطف ما يدركه من له ذوق سليم (وان جعلنا طه من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل أو جعلت قسما لحق الفصل بما قبله) أي ان جعل لفظ طه علما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مقسما به أو جعل اسما لله ونحوه مقسما به أيضا التحقت هذه الآية المذكورة في هذا الفصل بالفصل الذى قبله لانبائه بما اقسم به تعالى تحقيقا لمكانته عنده وبما أفاده من نهاية المبرة في مخاطبته واعلى درجات الادب في محاورته وقد قيل عليه ان لحوقه بالفصل الذى قبله على القسمية واضح واما اذا كان من اسمائه فلا فانه تكلف وقيل انه متضمن للقسم بإباه جعله قسما العطفه باو انتهى وقد علمت سقوطه مما بيناه وان كان في عبارته مسامحة والقسم له لا ينافي كونه به أيضا وما قيل من ان فيه مسامحة تامة بالحذف أو المجاز والاستخدام وانه ان كان قسما باسمه فهو من الرابع بل الخامس أيضا وان كان قسما بغيره فهو من الخامس لانه قسم لتحقق المكانة لكن لو كان اسما غير قسم لم يلحق باحدهما فلا يناسب قوله أو جعلت ولم يرد الالحاق بالثالث لانه لا ينبنى على احد الامرين فلعل أو بمعنى الواو وبل انتهى وفيه ما لا يخفى (ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة) في المصباح النمط بفتحتين ثوب من صوف ذو لون من الالوان ولا يكاد يقال للابيض نمط والنمط أيضا الطريق والجماعة من الناس ثم اطلق النمط اصطلاحا على الصنف والنوع فقيل هذا من نمط هذا أي من نوعه انتهى فالمعنى انه نوع من الاحسان واللطف أو من جملتها فكانه من جماعتها وهذا مسموع فلا يتوهم انه استعمال غير مسموع وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط (قوله تعالى * فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا

(٢) أقول هذا ينافي قوله تعالى لمريم واركعي مع الراكعين اه لمحرره

(أى قاتل نفسك) ويجوز بالاضافة كما قرئ فى الآية (لذلك) أى لعدم ايمانهم بالقرآن (غضبا) أى عليهم (أو غيظا) أى فى نفسه (أو
جزعا) أى قلة صبر وتحمل والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم شبه لما تداخله من الوجد أسفا على توليهم وتباعدهم عن الايمان بمن
فارق أعزته فذهبت نفسه حسرات ٢٣٦ على آثارهم باخعها وجدا عليهم متلهفا على فراقهم (ومثله) أى مثل فلعلك باخع نفسك مما
ورد مورد الشفقة والاكرام
بشهادة لعل فانها للاشفاق
(قوله تعالى أيضا لعلك
باخع نفسك) وقرئ
بالاضافة هنا أى اشفق
على نفسك ان تقتلها غما
(ان لا يكونوا مؤمنين)
أى مخافة ان لا يؤمنوا
أو لئلا يؤمنوا (ثم قال)
أى الله سبحانه وتعالى
تسلية لشأنه (ان نشأ ننزل
عليهم من السماء آية)
أى دلالة ملجئة الى الايمان
أو بلية قاصرة على أهل
الكفران والطغيان
(فظلت) أى صارت
(أعناقهم) أى جماعاتهم
وأشرافهم وساداتهم (لها
خاضعين) أى لتلك
الآية منقادين ولاقتضائها
خاشعين أو لتلك البلية
ذليلين خاشئين وهو
عطف على الجزاء أعنى
ننزل اذ لو قيل أنزلنا مكانه
لصح وقيل أصل الكلام
فظلوا لها منقادين فاقحمت
الاعناق لبيان موضع
الخضوع لان الاعناق لما
وصفت بصفة لا تكون
حقيقة الا لمن يعقل
عوملت معاملة من يعقل
فجمعت جمعه (ومن هذا
الباب) أى باب الشفقة
والاكرام (قوله تعالى فاصدع بما تؤمر) أى فاجهر به وأظهره من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهرا أو افرق بين الحق الى
والباطل وأصله الابانة والتمييز وما موصولة وعائدها محذوف أى بما تؤمر به وجوز الدلجى كون ما مصدرية هنا وهو بعيد عن المعنى
كما لا يخفى (واعرض عن المشركين) أى اهانة لهم ولا تلتفت الى ما يقولون وأغرب التلمساني حيث فسر أعرض بقوله اترك والغ (الى
قوله) تعالى (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) أى فينا أو فى القرآن أو فيك

أى قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا) لعل كما تكون لرجاء المحبوب تكون للاشفاق من المكروه
والمراد هنا الثانى على لسان العباد أو بارادة لازمه لاستحالته عليه تعالى وباخع من بخع نفسه من باب
نفع قتلها من وجد أو غيظ وبخع لى بالحق بخوعا انقاد وبذله كما فى المصباح قال البيضاوى شبهه لما
تداخله من الوجد على توليهم عن الايمان بمن فارق أحبته فهو متحسر على آثارهم ومبخع نفسه وجدا
عليهم أو اذا ماتوا على الكفر تقول العرب بكى على أثر فلان اذا بكى على فراقه وهذا كما تقول لمن أهمه
ما يحزنه من غيره اطرح ما أنت فيه وكل أمرك لله ولا تهلك نفسك والمراد بالحديث القرآن وهو يطلق
عليه قال الله تعالى ومن أصدق من الله حديثا واما اختصاصه بحديث الرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم فعرف طارئ وقوله فلعلك أى لاجل عدم ايمانهم بهذا الحديث لان الشرط قد يفيد العلية نحو
ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود ويؤيده قراءة ان لم يؤمنوا بفتح الهمزة قال القاضى قرئ
بالفتح على تقدير لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية لحال ماضية يعنى على هذه القراءة لان
عدم الايمان على القراءة الاولى مستقبل لانه فى حيز الشرط فباخع مستقبل عامل وعلى الثانية ماض
فلذا جعل حكاية وقوله غضبا الى آخره فللاسف معان ثلاثة ماثورة ثابتة فى اللغة وقيل حزنا أو ندما
والغضب ضد الرضا والغيظ أشده أو سورته أو ما اضمر فى النفس وفيه كلام وفسر بالغضب أيضا
وليس بمراد لئلا يتكرر ولا يصح التفسير لعطفه باو والجزع ضد الصبر وفى عمدة الحفاظ الاسف الغضب
والحزن معا ويطلق على كل منهما بانفراده وحقيقته ثوران دم القلب لارادة الانتقام فتى كان على
من تحته انتشر فصار غضبا أو على من فوقه انقبض فصار حزنا وهى منصوبة مفعول له أو حال (ومثله
قوله أيضا) مصدر آض يئيض اذا رجع ومعناه عود الماقبله لمشاركته له فى معناه فلذا فسرت بالتشبيه
أى بما أورد مورد الشفقة والاكرام له بشهادة لعل اذ هى للاشفاق وهو مفعول مطلق أو حال ومثله
نظر المعناه وأيضا نظر اللفظه فلا تكرار ولو حذف كان أولى (لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين)
تفسيره أيضا يعلم مما مر والمقصود منهما منع الغم شفقة عليه قيل واغا ذكر هذه الآية لما فيها من توقع
انقيادهم ووقوع أمنيته صلى الله تعالى عليه وسلم فان كانت لا زائدة ففيها غاية الاشفاق عليه (ثم قال
ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) المراد بالآية هنا آية مخصوصة وهى
الملجئة قسرا الى الايمان أو ما فيه عذاب وعقاب والافكم من آية نزلت وما انقادوا لها والخضوع التذلل
والانقياد وقوله فظلت معطوف على الجواب لصحة وقوع الماضى موقعه وعبر بالماضى لتحققه بعد
نزول هذه الآية والاعناق الاعضاء المعروفة ويعبر بها عن الرؤساء كما يعبر بالرأس وعلى هذا فخاضعين
بجمع العقلاء ظاهر وعلى الاول فلما نسب لهم ما ينسب للعقلاء من الخضوع عبر بعبارتهم كما فى قوله
رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين أو فى الاعناق مقدرا والمضاف اكتسب
صفة العقلاء من المضاف اليه كما يكتسب منه التذكير والتانيث وفى الآية تسلية له صلى الله تعالى
عليه وسلم تزيل غمه وهو شفقة عظيمة ففيه مناسبة لما المصنف بصدده (ومن هذا الباب) الباب معروف
ويطلق على القبيل والنوع اطلاقا شائعا فيقال هذا من باب كذا أى من جنسه ونوعه وهو المراد أى من
قبيل ما نحن فيه من شفقة الله على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يتوهم ان الظاهر ان يقول من هذا
الفصل (قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون

(الى آخر السورة) وهو قوله سبحانه وتعالى انا كفيناك المستهزئين أى دفعنا عنك شرهم بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة نفر فمات كل واحد منهم بنوع من عذابه الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون أى عاقبة أمرهم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك أى فافزع اليه بالتسبيح والتحميد وقل تسبيحا مقرونا بالحمد جمعا بين الصفات السلبية والنعوت الثبوتية أو فنزهه عما يقولون من الباطل واحمده على انه هداك الى الحق وكن من الساجدين أى المصلين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين أى الموت باتفاق المفسرين وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم عند موت عثمان بن مظعون أما هو فقد رأى اليقين قال المنجاني ويحتمل أن يكون اشارة الى النصر الذى وعده الله سبحانه وتعالى على الكفار قلت هذا مع مخالفته للاجماع غير مناسب أن تكون النصرة غاية العبادة فان العبادة لا يجوز انفكاكها عن العباد ما دامت الارواح فى الاجساد (وقوله) أى ومنه أيضا قوله (تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية له عما كانه يرى من قومه ليقتدى بالرسل المتقدمين عن وقته حيث صبروا على ما كذبوا وأوذوا وقد قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل (الآية) يعنى فحاق بالذين سخروا منهم أى من المستهزئين وقيل من المرسلين ما كانوا به يستهزؤن أى فاحاط بهم الذى كانوا به يستهزؤن حيث هلكوا لاجله أو فنزل بهم جزاء استهزائهم قيل يجوز أن يكون ضميره به راجعا الى الشرع وما ترتب عليه من الثواب وأن يكون راجعا الى العذاب والله تعالى أعلم بالصواب وأما ما جوزه المنجانى من رجعه الى القرآن فلا يناسبه المقام كما لا يخفى على أرباب المعانى والبيان (قال مكى) سبق ذكره (سلاه) أى الله تعالى (بما ذكره) أى من قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك (وهون عليه ما يلقى) وفى رواية ما يلقاه (من المشركين) أى من فرط الايذاء (وأعلمه ان) وفى نسخة انه (من تمادى) أى أصر واستمر (على ذلك يحل به) بضم الحاء أى ينزل به ومنه قوله تعالى أو تحل قريبا من دارهم وأما يحل بكسر الحاء فمعناه يجب لكن لا يناسب المقام وان قرئ بهما قوله تعالى فيحل عليكم غضبى (ما حل) أى شئ عظيم نزل أو الذى حل (بمن قبله) أى من أعداء الانبياء (ومن هذا) أى الباب وفى نسخة

الى آخر السورة) وأصل معنى الصدع صدم الاناء ونحوه فينشق فاستعير للامر المؤثر تأثيرا ظاهرا وللكلام المؤثر فى النفس وقيل الصدع الفرق بين الشيئين فكانه قيل له افرق بين الحق والباطل وكان صدع على جهة البيان والتشبيه لظلمة الجهل والشرك بظلمة الليل ولنور القرآن بنور الفجر لان الفجر يسمى صديعا كما قال

ترى السرحان مفترشا يديه * كان بياض غرته صديع

وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف وأصله بما تؤمره على حد أمرتك الخير ولا يخفى ان هذا على الحذف والايصال فالظاهر أن يقدر بما تؤمر به ولا يشكل بان شرط حذف عائد الموصول المجرور أن يجر بمثل ما جر به الموصول لفظا ومتعلقا نحو ويشرب مما تشربون أى منه لان الصدع بمعنى الامر كما مر ولا تشترط المماثلة اللفظية ولا يخفى مناسبة الآية للفصل اذ المراد لا تحزن لمخالفتك فانها لحكمة سترى عاقبتها لك وعلى أعدائك وأى شفقة وتكريم أحسن من هذا ولم يقل فى الآية التى قبلها الى آخر السورة تصريحا بما فيه زيادة دلالة على التسلى والشفقة به وما يقولونه هو الشرك والاستهزاء والطعن فى القرآن وهى منسوخة بآية القتال * قيل كان ينبغى أن يذكر قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين قلت ذكرها ضمنا فى الى قوله وأيضا استغنى عنها بالآية التى عقب هذا وهى فى قوله (وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية) أى فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن والمستهزؤن خمسة من أشراف قريش كانوا يبالغون فى ايذائه صلى الله تعالى عليه وسلم فاهلكهم الله كما نقله المفسرون وهى واردة على نهج الشفقة والتسلية والوعد بانه سيكفيكهم باهلاكهم وورد بصيغة الماضى تحقيقا له ولهذا عقبه بقوله الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون أى عاقبته فى الدارين كما ذكره القاضى واقتصر فى اللباب على ان عاقبة أمرهم يوم القيامة وقوله فحاق الخ أى أحاط بهم حيث أهلكوا الا طلب الاستهزاء باطلاق السبب على المسبب لان المحيط العذاب لا المستهزأ به أو نزل بهم وباله فوضع موضعه وهذه الآية فى الانعام والانبياء ويحتمل انها آية الرعد وتمامها فامليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أى أمهلتهم برهة من الزمان فى دعة وأمن ثم أخذتهم فكيف كان عقابى اياهم (قال مكى) تقدمت ترجمته رحمه الله تعالى (سلاه الله تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقى من المشركين) من استهزائهم وعنادهم وانما يسلى من يحبه ويشفق عليه والتسلية بان اخوانه من أولى العزم ابتلوا بمثله فصبروا وكانت النصرة والعاقبة لهم عليهم الصلاة والسلام فى الدارين والتأسى بما يثلج الصدر كما قيل

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى

وفى التاخير حكم كثيرة وان كان تعجيل الانتقام ممن آذى المنسوبين لانهم لا يتيقنون عاقبة أمرهم فلذا قال (وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله) اعلم فعل ماض فاعله ضمير الله ومفعوله ضمير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتمادى ان تاخر وتطاول تفاعل من المدى وهو الغاية ومنه

(ومثل هذه التسلية قوله تعالى وإن يكذبوك) أي قومك فلا يهولنك تكذيبهم لك (فقد كذبت رسل من قبلك) فكان الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم تاس بمن قبلك من الانبياء فان هذه الانواع التي يعاملك بها قومك من التكذيب وغيره قد كانت موجودة في سائر الامم قبلك مع أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام فلست منفردا بهذا وحدك وفيه ايماء الى ان البلية اذا عمت طابت فان أجل ما يخفف عن الانسان حزنه مشاركة غيره له فيه كما قالت الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يكون مثل أخي ولكن * أعزي النفس مني بالتاسي

(ومن هذا) الباب أو القبيل (قوله تعالى كذلك) أي مثل تكذيب قومك لك وقولهم افتراء عليك معلم مجنون (ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا) أي ما جاءهم رسول الا قالوا في حقه هو (ساحر) أي خداع (أو مجنون) أي به جنون واو للتنويع باعتبار قوم أو وقت دون وقت ولا يبعد أن تكون للشك مشيرا الى تحيرهم في أمره مع الايماء الى المناقضة بين أقوالهم فان الساحر هو العالم وهو لا يكون الا في كمال العقل والجنون لا يكون الا خاليا عنه (عزاه الله تعالى) بتشديد الزاي أي حمله على الصبر وسلاه (بما أخبر به عن الامم السالفة) أي عن الجماعات السابقة (ومقالها) أي وأقاويل تلك الامم وفي نسخة ومقالتها (لانبيائهم قبله ومحنتهم) أي ابتلائهم وفي نسخة ومحنهم بفتح فسكون وهو مجرور ووهم الحجازي حيث قال بفتح النون أي وبامتحان أنبيائهم واختبارهم في ولائهم عند بلائهم وابتلائهم (بهم) أي بقومهم وأقوالهم (وسلاه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (بذلك) أي بما ذكر من ابتلاء الانبياء (عن محنته) أي بليته عليه الصلاة والسلام (بمثله) أي بنظير ما فعل الامم بالانبياء (من كفار مكة) في تاذيتهم له (وانه) أي وبانه (ليس أول من لقي ذلك) أي الايذاء من قومه

مدى البصر وفي المصباح تمادى في غيه اذا لج ودام على فعله من أمداه أبعده أو من ماديته اذا أمهلته وقوله على ذلك حال أي كائنا ومستمرا على استهزائه قيل فيه قرينة على ارادة آية الرعد ويحل به أي ينزل به العذاب الذي نزل بامثالهم فهو بضم الحاء وكسرها من الحلول بمعنى النزول لانه الذي يتعدى بالباء لا من حل بمعنى وجب لانه يتعدى بعلى قال في المصباح حل العذاب يحل ويحل حلولا هذه وحدها بالضم والكسر والثاني بالكسر فقط انتهى وفي القاموس حل المكان وبه يحل ويحل نزل وفي الصحاح بالكسر وجب وبالضم نزل وتبعه بعض الشراح وفيه نظر يعني انها عادة الله في مثله (ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) أي مثل التسلية السابقة ما في هذه الآية من تهوين ما لقيه بانه له فيه اسوة بمن تقدم من الرسل وانه سيكون له صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما كان لهم من نصره وعلو قدره والانتقام من أعدائه والتسلية لئلا يحزن ويشق عليه ويحزنه ذلك وهو غاية الشفقة به والتعبير بالآية الواقع من بعض النسخ وأطلق فيه الآية وأراد جميعها الى قوله ترجع الامور فهو من اطلاق الجزء على الكل كما تقول قرأت بانت سعاد أي القصيدة كلها فالمناسبة للفصل والمماثلة في غاية الظهور (ومن هذا) القبيل في التسلية والشفقة الدال على علو منزلته عند الله (قوله كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) المشار اليه بقوله كذلك الامر الذي وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من تكذيبه وقولهم انه ساحر أو مجنون كقولهم افترى على الله كذبا أم به جنة وتمام هذه الآية أتواصوا به بل هم قوم طاغون والاستفهام تعجبي تعجب من توارد أقوالهم وأفعالهم وآرائهم على تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام مع بيان أزمانهم والاضراب عن تواصيهم بما ذكر الى تجاوز حدهم في العناد الجامع لهم فيما ذكر وقوله ما أتى الى آخره كالتفسير لما قبله كما قاله البيضاوي وقيل الوجه أن يكون الامر عبارة عما جعله المشار اليه تكذيب الذين من قبلهم رسلهم وتسميتهم كل رسول أتاهم أي جاءهم وبعث اليهم كذابا أو ساحرا أو مجنونا لان المقصود تشبيه فعل هؤلاء المتاخرين مع رسلهم بفعل أولئك المتقدمين مع رسلهم واسنادهم لهم ما هم منزهون عنه لعصمة الله لهم فالمناسبة تامة (عزاه الله) أي حمله على الصبر كما صبروا لانه تفعيل من العزا وهو الصبر (بما أخبره به عن الامم السالفة) الباء للتعدية أو سببية والسالفة بمعنى المتقدمة والوصف بالمفرد المؤنث لتاويله بالجماعة وهو مقيس مطرد (ومقالها) بالجر معطوف على الامم ويجوز عطفه على مجرور الباء كما في قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام في قراءة الجر أي وبمقالها والاول أقرب ولا تكلف فيه كما قيل وفي نسخة مقالتها (لانبيائهم قبله) والقبلية تصريح بلازم ما في الآية لان كون أنبياء أولئك قبل هؤلاء يستلزم كونهم قبله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومحنتهم بهم) وفي نسخة محنته أي محنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بهؤلاء المكذبين له وعلى الاولى محنة الانبياء باممهم والمحنة الابتلاء والاختبار وهذه النسخة أولى وأنسب بقوله (وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس أول من لقي ذلك) فذلك اشارة الى ما وقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام مع أممهم مما يضاهي ما وقع له صلى

الله

الله عليه وسلم وقوله وبمثله الضمير فيه راجع للمشار اليه وأفرده لتأويله بما ذكر وروى بمثلهم وهو تسلية بالتأسي كما مر ومن كفار مكة متعلق بالمحنة وضميرانه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو معطوف على ذلك وبين وجه التسلية بقوله ليس الى آخره (ثم طيب نفسه وأبان عذره) ثم للبعد اللفظي أو الرتبي ونحوه كما مر وأبان عذره عطف على طيب نفسه عطف تفسير لان حزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لعدم اطاعة كفار مكة له خوفا من تقصيره في مرتبة الرسالة والتبليغ فاظهر الله له انه معذور في اعراضهم وعدم انقيادهم فطابت نفسه صلى الله عليه وسلم من نسبة شئ من التقصير اليه فلا لوم ولا عتب عليه في مثله وفيه غاية الشفقة واللطف به صلى الله تعالى عليه وسلم وتفريج كربه وهمه (بقوله تعالى فتول عنهم أي أعرض عنهم) وهذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل بقوله وذكر أي أعرض عن المجادلة وما يتعبك أو عن الهم والحزن المكدر لقلبك المضيق لصدرك أو أعرض تارة وذكر أخرى فلا نسخ وما ذكر من ان النسخ بقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين هو ما قاله ابن الجوزي رحمه الله قيل وهو غريب لعطف الناسخ على المنسوخ بالواو المشتركة الا أن تكون الواو للاستفتاح كما ذكره بعضهم وعلى تفسير المصنف رحمه الله تعالى معنى ذكر دم على التذكير والموعظة فتدبر وقوله (فما أنت بملوم) أصله ملووم فنقلت الضمة وحذفت الواو والمنفي لوم مخصوص من جهة مخصوصة كما أشار اليه بقوله (أي في أداء ما بلغت وابلاغ ما حملت) مبني للمجهول مشدد الميم وما حمله أمانة الرسالة وقد أداها صلى الله تعالى عليه وسلم وبذل الجهد فلا يتوجه اليه لوم وفيه من المدح والاشفاق ما لا يخفى أي أنت لا تلام من جهة الاداء على التقصير فانك لم تقصر وانما أنت مذكر ما عليك الا البلاغ وقد فعلت وبذلت مقدورك قيل والاولى ما قال البيضاوي من أن المراد نفي اللوم على بذل جهده في البلاغ اذ المقصود نفي اللوم مطلقا وكلام المصنف رحمه الله تعالى موهم لنفيه مقيدا * وقيل اللوم على عدم ايمانهم فقيل له لا تهتم بهم ولا تحزن ولا يبعد ان يراد لا تلتفت لقولهم لك لم تركت ملة الاباء لما أمرتنا به ونحو ذلك فانك لست بملوم عندنا وفي نفس الامر بل في اعتقادهم أيضا فلا تعتبر ما قالوه وذكروه وعلى هذا فلا نسخ كما مر * قلت التقييد لا ضرر فيه هنا وايهام است ملوما في هذا انه يلام في غيره لا يلتفت اليه لانه على حد قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * فيفيد عدم اللوم على غيره بالطريق الاولى وليس في قوله ابلاغ ما حملت تكرار مع ما قبله لان الثاني فيه كناية عن الاول كما توهم لان المعنى انك بلغتنا الكل وأديته كما ينبغي فالاولى لحسن الاداء والثانية للشمول والتعميم أو الثانية تعميم بعد تخصيص ففيه اطناب حسن كما قيل بل لان الاولى تفيد انه بلغ ووفى حق ما بلغه والثانية تفيد انه مامور بالتبليغ كمن أرسل برسالة وأمانة فاوصلها (ومثله) في التسلية الدالة على الشفقة والمحبة (قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) أي دم على الصبر في تنفيذ ما حكم الله تعالى به ولا تحزن ولا تخف من الاعداء فانك محفوظ محروس لا يصلون اليك ولا يدب بساحتك عقارب كيدهم أو اصبر لاجل حكم الله أي لتبليغ أحكامه وفي المعالم اصبر الى أن يقع ما حكمنا به أو الى أن نحكم أو ننزل حكما وفيه الايماء الى قتالهم واللام بمعنى على أو للتعليل أو بمعنى الى والحكم ما حكم الله به وقدره في الازل أي لا تنزعج بالتعب في سبيلنا ودم على الجد فانك محفوظ معصوم من الناس والاعين جمع قلة للعين والضمير المضاف اليه لله بصيغة التعظيم ولايهامه التعدد لا يجوز اطلاقه منا عليه بل نقتصر فيه على ما قاله الله في حق نفسه كما نقله الدماميني في شرح التسهيل والمراد بالعين الحفظ والحراسة على الاستعارة أو المجاز المرسل كما يقال هو بعيني أو على عيني وبمرأى ومسمع مني وجمع قيل لمناسبة المضاف اليه أو لكثرة أسباب الحفظ فان رؤيته تعالى تتعلق بكل شئ وليست مخصوصة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعني ان جمع القلة مستعار هنا للكثرة ولك ان تقول ان حفظ جميع مخلوقاته قليل بالنسبة لجلاله وعظمة ذاته والى هذا اشار بقوله

(ثم) أي بعد ان سلاه (طيب نفسه) أي أرضاه (وابان عذره) أي أظهره (بقوله فتولى عنهم) اشفاقا عليه بترك معالجتهم (أي أعرض عنهم) أي بعد ما بذلت جهدك في الدعوة وألزمت عليهم الحجة (فما انت بملوم) في مكالمتهم (أي) حينئذ (في أداء ما بلغت) أي من الاعلام (وابلاغ ما حملت) بضم حاء وتشديد ميم مكسورة أي كلفت من الاحكام والمعنى فما تلام في اعراضك عنهم بعد ما كررت عليهم مبالغا في تبليغ ما أمرت به لهم ومثله (قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) أي بمرأى منا

(أى اصبر على اذاهم) أى و قاتلك فى عناهم (فانك بحيث نراك ونحفظك) و جمع العين لجمع الضمير مبالغة فى كثرة أسباب الحفظ والعصمة (سلاه الله تعالى بهذا) أى بما ذكر (فى آى كثيرة من هذا المعنى) أى كما لا يخفى على حفاظ المبنى

(الفصل السابع) فيما اخبره الله تعالى به فى كتابه العزيز) أى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو الغالب على سائر الكتب بنسخه اياها أو النادر فى الوجود لبقائه على صفحات الدهر الى اليوم الموعود (من عظيم قدره) أى مرتبته (وشريف منزلته) أى يشهدان بفضيلته (على الانبياء وحظوة رتبته) بكسر الحاء وضمها وسكون الظاء المعجمة وقد تقدمت ومن بيان لما (فى قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين) هو كما اختاره المصنف على ظاهره من أخذ الميثاق عليهم بما ذكر أو ميثاقهم الذى وثقوه على أممهم (لما آتيتكم) وفى قراءة نافع آتيناكم واللام موطئة للقسم لان أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما شرطية والتقدير لمهما آتيتكم وهو ظاهر قول سيبويه ودخلت اللام عليها كما تدخل على ان اذا كان جوابها اقسام نحو قوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك أو موصولة صلتها ما بعدها والعائد محذوف أى الذى آتيتكموه (من كتاب وحكمة) من لبيان ما (الى قوله) تعالى (من الشاهدين وفى يعنى ثم جاءكم وهو عطف على صلتها وعائدها محذوف أى جاءكم به رسول مصدق وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية أى لاجل ايتانى اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم مجىء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أى الله تعالى للنبيين أأقررتم وأخذتم على ذلكم أصرى أى قبلتم عهدى قالوا أقررنا قال فاشهدوا أى بعضكم على بعض بالاقرار وأنا معكم من الشاهدين على اقراركم وتشاهدكم وهذا توكيد عظيم وتعظيم جسيم مع علمه تعالى بانهم لا يدركون زمانه ولا يلحقون مكانه

(أى اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك) بيان للمراد من هذه الآية وارادة الحفظ والمجازاة بعيد ولا تلتفت لما قيل انه غير بعيد فانه مكابرة وفى الشرح الجديد دلالة ما ذكر على الحفظ لانك اذا قلت فلان بعينى استحال حقيقة الظرفية على انه داخل العين فتعين ارادة لازمه وهو فى حفظك بغير طريق الرؤية لان ما استقر فى عينك كان محفوظا فوق الرؤية اذ من شرط الرؤية عدم مماسة العين للمرئى فان أريد معناه الحقيقى على ان الباء للظرفية المجازية فالحفظ مراد بطريق الكناية لصحة الجمع بين المعنيين فيها دون المجاز فالمراد مجرد الرؤية بغير جارحة لاستحالتها فى حقه تعالى وذهب البيضاوى فى قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا الى ان الباء للملابسة والتعبير بكسرة آلة الحس الذى به يحفظ الشئ ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة والحفظ والرعاية على طريق التمثيل فلا كناية فيه أصلا على هذا ومنه يفهم وجه الجمع كما مر (سلاه الله بهذا) أى بمثل هذا الكلام وما فى معناه بذكره (فى آى) بمد الهمزة وتخفيف الياء جمع آية أو اسم جنس جمعى لها ولا حاجة لجعل فى بمعنى مع كما قيل وان صح هنا (كثيرة) كقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا (من هذا المعنى) من بيانية والتقدير كائنة من مثل ما يدل على هذا المعنى وهو الحفظ والوعد بالتاييد والامر بالصبر للتسلية والشفقة والمعنى مفعل من عناه بمعنى قصد قال فى المصباح تقول العامة لاى معنى فعلت والعرب لا تعرف المعنى ولا تكاد تتكلم به نعم قال بعض العرب ما معنى هذا بكسر النون وتشديد الياء وقال أبو زيد هذا فى معناة هذا وفى معناه سواء أى فى مماثلته ومشابهته دلالة ومضمونا ومفهوما وقال الفارابى معنى الشئ ومعناته واحد ومعناه وفحواه ومقتضاه ومضمونه كله هو ما يدل عليه اللفظ وفى التهذيب عن ثعلب المعنى والتفسير والتاويل واحد وقد استعمل الناس قولهم هذا فى معنى كلامه وشبهه يريدون هذا مضمونه ودلالته وهو مطابق لقول أبى زيد والفارابى واجمع النحاة وأهل اللغة على عبارة تداولوها وهى قولهم هذا بمعنى هذا وهذا فى المعنى واحد وسواء أى مماثله ومشابهه انتهى ولنا فيه كلام فى حواشى الرضى *(الفصل السابع فيما أخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز)*

أى العظيم الشريف أو القوى أدلته ومعانيه أو الذى لا نظير له فى الكتب (من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحظوة رتبته) وفى بعض النسخ عليهم أى على جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمراد تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع الانبياء كما سترى تفصيله والمنزلة والرتبة متقاربان بمعنى علو القدر والحظوة بضم الحاء المهملة وكسرها وسكون الظاء المشالة أى اختصاص رتبته صلى الله تعالى عليه وسلم بالحظ الاوفر من حظى عند غيره يحظى من باب تعب حظة كعدة اذا أحبوه ورفعوا منزلته فهو حظى على فعيل وقوله على الانبياء متعلق بما قبله لتضمينه معنى العلو (قوله تعالى) وفى بعض النسخ قال الله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين) يعنى قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين

وفى بعض النسخ تلاوتها بتمامها قال ابن المنير فى تفسيره البحر الكبير يحتمل ان يراد أخذ الله الميثاق على النبيين أو على الامم الميثاق الذى شرع النبيون تعظيمه فاضيف اليهم وهو بتقدير مضاف أى ميثاق أمم النبيين ويحتمل ان يراد بالنبيين مدعوا النبوة تهكما بهم وقد كان اليهود يقولون نحن أحق بالنبوة من العرب وعدلوا عن الاول مع ظهوره لانهم لم يدركوه فهو على الفرض والتقدير وهو تكلف ولما آتيتكم يحتمل الشرطية والموصولية واللام موطئة للقسم لان أخذ الميثاق فى معنى الاستخلاف وعلى الشرطية جواب القسم ساد مسد الامرين وهو قوله لتؤمنن به وقرأ حمزة لما بالكسر أى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجىء رسول موافق لكم مصدق لما معكم فكل من هذين الامرين جدير بان يكون علة وسببا فى نصرتكم اياه لانكم أوتيتم الحكمة ومقتضاها نصرة الحق كائنا مع من كان ولانه جاء بما هو مظاهر لكم مصدق لما معكم فاذا كانت ما شرطية أو موصولة فمن بيانية وان كانت مصدرية فتبعيضية لانه ليس هناك مايبين وانما امتن عليهم ببعض الكتب لانه كاف فى الحجة ويجوز على قراءة الكسر والتعليل ان تكون ما موصولة أى أوجبت على الانبياء عليهم الصلاة والسلام نصرة النبى المدعو به فى المستقبل لاجل الكتاب الذى آتيته كل واحد منهم وجملة جاءكم معطوفة على الصلة أقيم فيها الظاهر مقام المضمر والتقدير لما آتيتكموه من الكتاب ثم جاءكم رسول مصدق له وقرأ ابن جبير لما بالتشديد وهو يقوى المصدرية وقيل أصل لما لمن ما أدغمت النون فاجتمع ثلاث ميمات فحذف احداهما والمعنى لمن أجل ما آتيتكم من كتاب وهو قريب من قراءة حمزة بالكسر انتهى ✻ واعلم ان هذه الآية أجل آية فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أفردها التقى السبكى برسالة سماها التعظيم والمنة فى معنى قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه قال فيها فى هذه الآية من التنويه به صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيم قدره العلى ما لا يخفى وفيها مع ذلك انه على تقدير مجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم فى زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من آدم عليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة وتكون الانبياء وأممهم كلهم من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم ويكون قوله و بعثت الى الناس كافة لا يختص بالناس من زمانه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضا ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وان من فسره بعلم الله تعالى بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله محيط بجميع الاشياء ووصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة فى ذلك الوقت ينبغى ان يفهم منه انه أمر ثابت له فى ذلك الوقت ولهذا رأى آدم عليه الصلاة والسلام مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا بد ان يكون ذلك معنى ثابتا فى ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير فى المستقبل لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصية بانه نبى وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعلم نبوتهم فى ذلك وقبله فلا بد من خصوصية للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاجلها أخبر هذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله فيحصل لهم الخير بذلك ✻ فان قلت أريد ان أفهم ذلك القدر الزائد فان النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجودا وانما يكون بعد بلوغ سنه أربعين سنة فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل ارساله وان صح ذلك فغيره كذلك ✻ قلت قد جاء ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد فالاشارة بقوله كنت نبيا الى آخره الى روحه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم أو الى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن أمده بنور الهى ثم ان تلك الحقائق يؤتى الله بها كل حقيقة منها ما يشاء فى الوقت الذى يشاء فحقيقة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام

آتاها الله ذلك الوصف بان يخلقها متهيئة لذلك وأفاض عليها من ذلك فصار صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته عليهم الصلاة والسلام وغيرهم كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تاخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الالهية وانما تاخر البعث والتبليغ وكل ماله من جهة الله ومن جهة تاهل ذاته الشريفة وحقيقته تعجل لا تاخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتاخر تكونه وتنقله الى أن ظهر صلى الله عليه وسلم وغيره صلى الله تعالى عليه وسلم من أهل الكرامة وقد تكون افاضة الله تلك الكرامة عليه بعد وجوده بمدة كما يشاء سبحانه وتعالى ولا شك ان كلما يقع فالله تعالى عالم به من الازل ونحن نعلم علمه بذلك بالادلة العقلية له والشرعية ويعلم الناس منها ما يصل اليهم عند ظهوره لعلمهم بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حين نزل عليه القرآن في أول ما جاءه جبريل صلوات الله تعالى عليهما وسلامه وهو فعل من أفعاله سبحانه من جملة معلوماته من آثار قدرته وارادته واختياره في محل خاص يتصف بها فهاتان مرتبتان الاولى معلومة بالبرهان والثانية ظاهرة للعيان وبين المرتبتين وسائط من أفعاله سبحانه وتعالى يحدث على حسب اختياره سبحانه وتعالى منها ما يظهر لهم بعد ذلك ومنها ما يحصل لهم كمال لذلك المحل وان لم يظهر لاحد من المخلوقين وذلك ينقسم الى كمال يقارن ذلك المحل من حين خلقه والى كمال يحصل له بعد ذلك ولا يصل علم ذلك الينا الا بالخبر الصادق والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خير الخلق فلا كمال لمخلوق أعظم من كماله ولا محل أشرف من محله فعرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك الكمال من قبل خلق آدم لنبينا محمد صلى الله تعالى عليهما وسلم من ربه سبحانه وتعالى وانه أعطاه النبوة من ذلك الوقت ثم أخذ له المواثيق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وأخذ المواثيق في معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم في قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه * (لطيفة) * هذا كايمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء وكانها أخذت من هنا فانظر هذا التعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى فاذا عرفت ذلك فالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو نبي الانبياء ولقد أظهر ذلك في الآخرة بكون جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسراء اذ صلى بهم ولو اتفق مجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم في زمن آدم وغيره وجب عليهم وعلى أممهم الايمان به ونصرته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم فنبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما أمره متوقف على اجتماعه معهم فتاخر ذلك لامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهلية الفاعل فهذا لا يتوقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا ياتي عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان على شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نبي كريم على حاله لا كما يظنه بعضهم من انه ياتي واحدا من هذه الامة نعم هو واحد منها لما قلناه من اتباعه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة وكل ما فيهما من أمر أو نهي فهو متعلق به كما تتعلق بسائر الامة وهو نبي على حاله صلى الله عليه وسلم لم ينقص منه شيا وكذا لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمنه أو زمن موسى وغيره كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى أممهم والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته أعم وأشمل وأعظم ومتفق على شرائعهم في الاصول لانها لا تختلف وتقدم شريعته

فيما

فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ أو لا نسخ
ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى تلك الاوقات بالنسبة الى أولئك الامم
ما جاءت به أنبياؤهم وفى هذا الوقت بالنسبة الى هذه الامة هذه الشريعة والاحكام تختلف باختلاف
الاشخاص والاوقات وبهذا بان لنا معنى حديثين خفيا علينا أحدهما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
بعثت الى الناس كافة كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيامة فبان أنهم جميع الناس أولهم وآخرهم
والثانى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كنت نبيا الى آخره كنا نظن أنه بالعلم فبان أنه زائد على ذلك
على ما شرحناه وانما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده صلى الله تعالى عليه وسلم وبلوغه
الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتأهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تأهلوا
قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل
المتصرف فبان ان التعليق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب
والجسد الشريف الذى يخاطبهم بلسانه وهذا كما لو وكل الاب رجلا فى تزويج ابنته اذا وجدت كفوا
فالتوكيل صحيح وذلك الرجل أهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود كفؤ
ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح فى صحة الوكالة وأهلية الوكيل انتهى * أقول بعدما أقدم لك حديثا
رواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أوحى الله الى موسى عليه الصلاة
والسلام انه من لقينى وهو جاحد باحمد ادخلته النار قال يا رب ومن أحمد قال ما خلقت خلقا أكرم على
منه كتبت اسمه مع اسمى فى العرش قبل ان أخلق السموات والارض ان الجنة محرمة على جميع
خلقى حتى يدخلها هو وأمته قال ومن أمته قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال
يشدون أوساطهم ويطهرون أطرافهم أسود بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة
بشهادة ان لا اله الا الله قال اجعلنى نبى تلك الامة قال نبيها منها قال أجعلنى من أمة ذلك النبى قال
استقدمت واستأخرت ولكن ساجمع بينك وبينه فى دار الجلال انتهى وورد بمعناه من طرق كثيرة كما
فى الخصائص الكبرى * واعلم ان معنى كون أحد من أمة نبى من الانبياء انه مكلف باتباعه واتباع
شريعته علما وعملا وهى أمة دعوة وأمة أجابة ويلزم من أجابه من أمته تعظيمه وتوقيره واعتقاد صدقه
فى كل ما جاء به واعزازه ومحبته ولا يلزم من تعظيمه ومحبته واعتقاد صدقه ان يكون مكلفا باتباع
شريعته والتعبد بها ألا ترى ان الله أعزه وعظمه وأحبه ولا يتصور فيه ذلك وكذلك الرسل والانبياء
عليهم الصلاة والسلام جميعهم معظمون له ومحبون لانهم أعرف به من غيرهم مع أنهم غير مكلفين
باحكام شرعه والا لم يكونوا أصحاب شرع وكتاب مستقل والنصوص العقلية والنقلية ناطقة بخلافه
ألا ترى الى قوله تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وما فى معناها من الآيات
اذا عرفت هذا فاعلم ان ما قاله السبكى رحمه الله تعالى واحتج به واستحسنه هو ومن بعده ممن وقف عليه
لا وجه له عند من له بصيرة نقادة واياك ان يخطر ببالك ان هذا يقتضى ان من تقدم من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام وعلماء الملل السالفة غير مبالغين فى تعظيمه وتصديقه ومحبته فان هذا معنى
والتعبد بشرعه معنى آخر ومن ظنهما أمرا واحدا لا يعتد به وقوله لتؤمنن به دون شرعه مناد عليه
وكيف يتأتى ما قاله مع قوله تعالى اتبع ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه وقد طلب موسى عليه الصلاة
والسلام ان يكون من أمته عليه الصلاة والسلام فاجابه الله بما سمعته آنفا فى الحديث
الصحيح فقوله انه على تقدير مجيئه فى زمانهم يكون مرسلا اليهم الى آخره لا معنى له وقوله فى حديث
كنت نبيا الى آخره انه فى عالم الارواح معنى صحيح ومن فسره بالعلم فقد يقال مراده علم أظهره الله لغيره

من الملائكة والارواح تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما وكونه اشارة الى حقيقته ان أراد به روحه رجع لما قبله وان أراد غيره فامر لا يعقل عند من خلع ربقة التقليد من جيد اعناقه وقوله في حق عيسى عليه الصلاة والسلام انه يأتي في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم جمع بين الضب والنون * وههنا بحث وهو ان بين ظرف مكان معناه مكان توسط بين شيئين أضيف لهما وقد يكون للزمان وهو في الاصل مصدر بمعنى افتراق ويتجوز به عن معان أخر كما يقال بين الخوف والرجاء أي متردد بينهما يكون تارة خائفا وتارة راجيا وبين الحلو والحامض أي مزه والكلمة بين اسم وفعل وحرف أي منقسمة لها وقوله في الحديث بين الروح والجسد ليس بمعناه الحقيقي لاقتضائه وجود روح آدم عليه الصلاة والسلام وجسده حين بعث نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يصح هذا ولا شيء من المعاني السابقة فالظاهر أنه ظرف زمان أي في زمان كان بين خلق روحه وجسده فيفيد ظهور نبوته بعد خلق روحه وقبل خلق جسده على انه نبأه في عالم الارواح وأطلع الارواح على ذلك وأمرها بمعرفة نبوته صلى الله عليه وسلم والاقرار بها وهذا المعنى يفيده قوله بين الماء والطين أي بعد خلق عناصره غير مركبة ولا منفوخ فيها الروح فهو بمعنى الحديث الذي صححوه فيكون رواية بالمعنى ان لم يثبت بهذا اللفظ وهذا مما لم يحم احد حول حماه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله واذ متعلقة باذكر وامقدرا وحده أي اذكروا يا أهل الكتاب فقوله يا أهل الكتاب ان أريد به جميعهم فظاهر وان أريد به الموحدون في زمن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فالتنزيل ما جاء آباءهم بمنزلة ما جاءهم أو يقدر اذ جاء آباءكم والميثاق العهد واليمين وقيل انه متعلق باقررتم وان أخر والمراد بالكتاب الجنس والحكمة الشريعة والاعتقادات الحقة والمراد بالنبيين مطلقهم أو مع أممهم أو أنبياء بني اسرائيل ومن تبعيضية أو بيانية واللام موطئة أو ابتدائية (ثم جاءكم رسول) التنوين والابهام للتعظيم لان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه عام وان العهد أخذ على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان يصدق بعضهم بعضا ويأمر باتباعه والايمان به وهو مروي عن ابن جبير كما مر (مصدق لما معكم) من وضع الظاهر موضع المضمر كما مر وقيل تقديره جاءكم به فالعائد محذوف وهو تكلف (لتؤمنن به) أي برسالته تقدم انه جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط ان كانت ما شرطية أو جوابها محذوف وعلى كل حال أي سواء كانت شرطية أو موصولة مبتدأ لابد في الجواب أو الخبر من التقدير وفيه تكلف وقال التجاني قد يستغنى بعود الضمير الى ما في اثناء الجملة عن العود الى المبتدأ أو الشرط لارتباط بعض الكلام ببعض قيل هو غريب جدا ولما كان المراد الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فلابد من التقدير أي ان ضميره به لما بتقدير المصدق أي رسالته مصدقة * أقول ماعده غريبا أشهر من قفا نبك وهو مذكور في متن التسهيل وقال في شرحه انه مذهب الاخفش والكسائي وصرح به السيد في شرح الكشاف في قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن وفي الروض الانف ان ما في هذه الآية مبتدأ بمعنى الذي والخبر لتؤمنن به ولتنصرنه وان كان الضميران عائدان على رسول ولكن لما كان رسول مصدق لما معكم ارتبط الكلام بعضه ببعض واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدأ وله نظائر في التنزيل انتهى (ولتنصرنه) على عدوه (قال) الله لهم (ءاقررتم) للاستثبات (وأخذتم على ذلكم) أي قبلتم على ذلك المذكور (اصري) عهدي وميثاقي (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) أي الملائكة على اقرارهم أو بعضكم على بعض (وانا معكم من الشاهدين) على ماسبق (قال أبو الحسن القابسي) تقدمت ترجمته في أول الفصل الثاني من هذا الباب وفي انساب السمعاني قابس بلدة بالمغرب

(قال أبو الحسن القابسي) سبق ذكره

اختص الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل) أي بزيادة فضيلة (لم يؤته غيره) أي من فضلاء أنبيائه (ابانه به) جملة استئناف أي أظهره الله تعالى بما آتاه من فضله وفي نسخة ضبط ابانة بالمصدر على أنه منصوب على العلة أي اظهارا بفضله وكماله واشعارا بعلو شانه وتمام جماله (وهو ماذكره في هذه الآية) أي مما يدل على تلك الابانة (قال المفسرون أخذ الله الميثاق بالوحي) أي الى أنبيائه (فلم يبعث نبيا الاذكر له محمدا ونعته) أي وذكر اه صفته كما في التوراة والانجيل وغيرهما على مامر (وأخذ عليه) أي على كل نبي (ميثاقه) أي الخاص به وهو (ان أدركه ليؤمنن به) بفتح النونين واليه أشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله حين رأى عمر أنه ينظر في صحيفة من التوراة لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي أي لاجل أخذ الميثاق بذلك والافكان الامر يقتضي عكس ماهنالك لان اللاحق يكون تابعا للسابق (وقيل أن يبينه) أي أخذه عليه أن يبينه (لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم) وفي نسخة لمن بعده أي وهكذا الى أن يبعث فيؤمنوا به كما بينه سبحانه وتعالى بقوله واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الآية

استخص الله تعالى) استخص وخص واختص بمعنى فالسين للتاكيد لا للطلب وقيل المعنى طلب تخصيصه وهو مجاز عن لازمه وهو الارادة وارادة الله تعالى لا تتخلف فمعنى أراد كذا فعله وهو تكلف لاحاجة اليه (بقوله) أي بسبب قوله هذا في الآية للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد سقط هذا من بعض النسخ (محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره) مؤكدا للتخصيص دفعا لتوهم المجاز أو ارادة التخصيص الذكري (ابانه به) أي أظهر ذلك الفضل اه أو فضله وميزه به عن غيره وهو مؤكد لما قبله أيضا سواء كان مستانفا أم لا وباؤه للتعدية أو سببية (وهو) أي الفضل المختص به (ماذكره في هذه الآية) قيل ان هذا على بعض التفاسير لما مر من أن بعض المفسرين قال انها عامة وان كل نبي أخذ عليه العهد بان يصدق بمن بعده وأن يؤمن بعضهم ببعض وقال البغوي والثعلبي اه عليه كثير من المفسرين ولذا استشكل بعضهم اختصاص هذا بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولو فسر الرسول هنا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أمر ثابت بغير هذه الآية مقرر عندهم وأجيب بان العهد الماخوذ على الانبياء عليهم الصلاة والسلام اجمالي من غير تعيين وهذا معين باسمه وصفته أو أن الفضل المخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ العهد بان يؤمنوا به ويتبعوه ان أدركوه حتى يكونوا من أمته والآية محمولة على هذا كما مر عن السبكي فلا اشكال (قال المفسرون) أي بعضهم وكون التعريف للعهد لاقرينة عليه (أخذ الله الميثاق بالوحي) الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحمل هذا على ماوقع في عالم الذر حين أخرجهم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام وأخذ العهد عليهم بالايمان به صلى الله عليه وسلم فيكون أخذ عليهم عهدا بالايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا فالوحي مجاز عن مطلق الاعلام أو هو اعلام نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك اذا وصل اليه بعيد جدا والحق أن هذا أمر آخر في هذه النشاة كما يدل عليه قوله (فلم يبعث نبيا الاذكر له محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ونعته) بصيغة المصدر المنصوب والماضي أي ذكر له صفته أي لم يبعثه في حال من الاحوال الاحال ذكره له والبعث زمانه ممتد فالذكر الواقع في أوله أو بعده مقارن له فالحال في زمن العامل (وأخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به) ضمير به للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله لم يبعث نبيا أي ميثاق ذلك النبي الماخوذ عليه أو لله تعالى والاول أوفق باضافة الميثاق للنبيين في الآية أو لمحمد أي الميثاق الماخوذ لاجل محمد فالاضافة لادنى ملابسة وهذا الميثاق اشارة الى أن شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع فيجب على كل من أدركه أتباعه فيعلم الرسل به أممهم ويامروهم بتبليغه لمن بعدهم وفي الحديث ولو كان موسى عليه الصلاة والسلام حيا ماوسعه الا اتباعي وسياتي مافي التوراة والانجيل وغيرهما من التصريح بهذا ومعنى أدركه انه عاش حتى يجيء زمنه فيلقاه في الدنيا قال الشريف هنا مانقل عن السبكي رحمه الله من أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا من أمته وعلى دينه في زمنهم والاختلاف بحسب الزمان والعباد مما لادليل له عليه ولا قائل به والاحتمال المخالف للظواهر لا اعتداد به انتهى وما نقله عن السبكي غير صحيح وان كان كلامه مردودا من وجه آخر كما بيناه في صدر هذا الفصل (وقيل معنى هذه الآية (ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم) أي أخذ الله العهد على كل نبي ان يؤمن به صلى الله تعالى عليه وسلم وينصره اذا أدرك زمنه وفي هذا من تشريفه واعلاء قدره مالا يخفى والايمان لابد فيه من مطابقة القول للاعتقاد فاذا تلفظ به علانية فقد بينه فما قيل من أن حمل الايمان على مجرد البيان بعيد جدا ولعل المراد مافي بعض التفاسير انه يصفه ويقول من أدركه منكم فليؤمن به غني عن الرد وقال التجاني ان المصنف رحمه الله تعالى نقض ماقدمه عن المفسرين من أخذ

الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوله (وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين
لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وتبعه بعض الشراح فقال هذا لا يصح على القول بانه تعالى أخذ
ميثاق النبيين بذلك اذ من قاله لا يجعل خطاب جاءكم الا لهم وانما يصح عند من قال أخذ ميثاق معاصريه
وأضيف للنبيين نظرا الى انهم هم الآخذون على أممهم وأنهم يأخذونه عني من بعدهم الى أن يبعث
أوسه وانبيين ته كما مر ورد بانه من تتمة القول الثاني لا الاول لتصريحهم بخلافه ومنافاته له والمراد
ان الخطاب في جاءكم لا تيتكم لمن ذكر فالمعنى انه أخذ الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان يبينوا
لكم أيها المعاصرون بواسطة أصحابهم وجوب الايمان ونصره وليس المراد الخطاب في جاءكم فقط لانه بعيد
جدا ولا حاجة لتكلف أن يقال ان المعنى انه قيل للانبياء اذا جاء بعضا بعد كم رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ولما كان ذلك البعض هم المعاصرون ذكر عند حكاية القصة لهم ثم جاءكم ولم يتامل هذا
من قال من يقول ان الميثاق ماخوذ على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يجعل الخطاب في قوله ثم جاءكم
الا لهم ومن يقول أنه لاهل الكتاب المعاصرين للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويتاول اضافته للنبيين
بانهم الذين أخذوه عن الله تعالى فالاضافة الى الآخذ الفاعل لا الى الماخوذ عليهم وكونه من تتمة
الثاني ممنوع لان محصله أنه تعالى أخذ الميثاق على كل نبي أن يبين محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
لقومه ليؤمنوا به وينصروه ويبلغوا ذلك لمن بعدهم ليكونوا كذلك فكيف يكون الخطاب ان
العاصرين أو لاهل الكتاب مطلقا كما نقل عن الربيع واستدل بقراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما
واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ثم أن الطيبي رحمه الله تعالى نقل عن بعضهم الوقف على النبيين
وأن الله تعالى أمرهم بعد ذلك فقال قولوا للامة عني مهما آتيتكم من كتاب وحكمة ورسول لتؤمنن به
فبطل حينئذ القول بان من يقول الميثاق ماخوذ على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يجعل الخطاب الا
لهم لان منهم من جعله للامم لا لهم فيحتمل أن المصنف رحمه الله ماش على هذا فالخطاب للمعاصرين وأخذ
الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما نقله عن المفسرين تفسير لقوله تعالى (واذ أخذ الله
ميثاق النبيين) فقط لجواز الوقف عليه فتامل (قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه)
وهذا رواه ابن جرير وابن كثير باسناد صحيح والبغوي بعبارات مختلفة محتملة للنقل بالمعنى أو تعدد
القول المروي عن علي رضي الله عنه (لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده) في حال من الاحوال (الا) في
حال ان (أخذ الميثاق عليه) وفي لفظ العهد عليه (في) حق (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث)
محمد (وهو) أي ذلك النبي (حي ليؤمنن به ولينصرنه) وأمر باخذ العهد على قومه ليؤمنن به ولينصرنه
من أدركه منهم كما قاله البغوي وأشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (ويأخذ العهد على قومه بذلك
أي للايمان به ونصرته وعدى أخذ بعلى والمعروف تعديته بمن كما في قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم) اشعارا بضررته لهم اذا فرطوا فيه أو نقضوه كما أن فيه منفعتهم اذا حفظوه والعهد الوصية
والتقدم في الشيء واليمين وكل منها محتمل هنا كما قاله التلمساني ومن في قوله من آدم لابتداء الغاية
وقوله فمن بعده أي واحدا بعد واحد ويأخذ قال الشمني بالنصب رواية عن المصنف رحمه الله تعالى
وهو كذلك في النسخ الصحيحة المصححة وجزم بانه معطوف على تؤمنن به بتقدير نون التوكيد الخفيفة
ورده السيد عيسى بانه يكون حينئذ من جزاء الشرط فيلزم كون الاخذ من الامة بعد بعثة نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم وليس المراد الا أن يأخذ الانبياء في زمنهم من أممهم أنه اذا بعث وهم أحياء ليؤمنن به
ويؤيده ما في اللباب وتفسير البغوي عن علي رضي الله تعالى عنه ما بعث الله تعالى نبيا الا أخذ عليه
العهد في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره بأخذ العهد على قومه بان يؤمنوا به وينصروه اذا أدركوا
زمانه وحينئذ فالعطف على جملة لئن بعث الى آخره على أنها في موضع مفرد من باب زرني فاكرمك

(وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد) اللام للتقوية وفي نسخة المعاصرين محمدا (صلى الله تعالى عليه وسلم) أي الذين كانوا في زمانه ولا يخفى أن هذا المعنى لا يصح على القول بانه تعالى أخذ ميثاق النبيين بذلك اذ من قاله لا يجعل الخطاب الا لهم وانما يصح عند من قال ميثاق معاصريهم واضافته في الآية الى النبيين نظرا الى أنهم هم الذين أخذوه على أممهم وأنهم يأخذونه على من بعدهم وهكذا الى أن يبعث فتقدير الآية واذ أخذ الله ميثاق الذي أخذ النبيون على أممهم (قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه) كما رواه ابن جرير في تفسيره عنه أنه قال موقوفا يكون في الحكم مرفوعا (لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده) أي نبيا بعده (الا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه) بفتح ما قبل النون الثقيلة فيهما لافراد الضمير بهما (ويأخذ) بالنصب بفتح الذال عطف على ما دخله اللام ونون التوكيد مرادة كما رادتها في قوله
لا تهين الفقير علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه
حيث أراد لا تهين فحذفت لما استقبلها ساكن أي وليأخذن (العهد بذلك على قومه) وفي نسخة برفع يأخذ

(ونحوه عن السدى) أى ونحو هذا القول المروى عن على منقول عن السدى (وقتادة) تقدم الكلام على قتادة وانه من اجلاء
التابعين وعظماء المفسرين وأما السدى فهو بضم السين وتشديد المهملتين كان يجلس فى سدة باب الجامع وهما اثنان كبير وصغير
فالكبير هو اسمعيل بن عبد الرحمن بن أبى كربة السدى الكوفى يروى عن ابن عباس وأنس وطائفة وعنه زائدة
واسرائيل وأبو بكر بن عياش وخلق وهو حسن الحديث أخرج له مسلم والاربعة وأما الصغير فهو محمد بن مروان الكوفى روى عن هشام ابن عروة والاعمش تركوه واتهمه بعضهم وهو صاحب الكلبى والظاهر ان المراد هنا الاول والله أعلم (فى آى) أى حال كون هذه الآية مندرجة فى ضمن آيات كثيرة (تضمنت فضله) أى فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم (من غير وجه واحد) أى بل من وجوه متعدده (قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) أى بتبليغ الرسالة وتحمل الدعوة الى الامة (ومنك ومن نوح الآية) أى وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وهو تخصيص بعد تعميم تلويحا ببيان فضلهم وزيادة شرفهم فانهم أولوا العزم من الرسل ومشاهير أرباب الشرائع وقدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
تعظيما وتكريما وايماء الى تقديم نبوته فى عالم الارواح المشار اليه بقوله كنت نبيا وادم بين الروح والجسد وأخذنا منهم ميثاقا غليظا
أى عظيما شانه ومؤكدا باليمين برهانه وكرر لبيان وصفه تعظيما لمقامه (وقال انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح الى قوله تعالى
وكيلا) وفى نسخة صحيحة شهيدا وهو الصواب وفيه تلويح الى فضله حيث قدمه على رسله اذ كان يمكن ان يقال كما أوحينا الى نوح
والنبيين من بعده أوحينا اليك على نحوه والحاصل انه قدم من جهة الفضل والشان لا من جهة التقدم فى الزمان والواو وان لم تقتض

أى الا أخذ العهد عليه فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالايمان به والنصر ان بعث وهو حى وبان ياخذ
فالوجه ان التقدير وأمر ان ياخذ كقوله أفغير الله تامرونى أعبد فيمن نصب أى بان أعبد على نهج علفتها
تبنا وماء ويعضده مامر من التفسير * أقول ماذكره الشمنى ذكره أيضا القسطلانى فى حاشيته وكذلك
كونه مؤكدا بالنون الخفيفة على نهج قوله

لا تهين الفقير علك ان * تركع يوما والدهر قد رفعه

وعلى هذا ففى الكلام مقدر أى وياخذ العهد على قومه ان لم يبعث وهو حى وهذا التقدير لابد منه على
كل حال فاعرفه (ونحوه عن السدى وقتادة) أى مثل ماذكر عن على مروى عن السدى وعن قتادة
والسدى بضم السين وتشديد الدال المهملتين هو اسمعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة المحدث المشهور
واختلف فيه فقيل ثقة وقيل كذاب لا يحتج به وقال الشمنى انه كوفى تابعى مفسر صدوق الا انه متهم
بالتشيع وثقه ابن حبان وضعفه أبو حاتم مات سنة سبع وعشرين ومائة ونسبته الى السد موضع
بالمدينة والمشهور انه منسوب الى سدة مسجد الكوفة وهى ما يبقى من الطاق المسدود لبيعه المقانع فيه
كما فى القاموس وفى المصباح السدة الباب وينسب اليها على لفظها فيقال سدى جماعة ومنهم الامام
المشهور اسمعيل السدى لانه كان يبيع المقانع ونحوها فى سدة مسجد الكوفة وقتادة تقدمت ترجمته
وهذه الرواية عنهما أثبتها ابن جرير (فى آى) أى هذا المذكور مروى فى جملة آى جمع آية كآيات
(تضمنت فضله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير وجه واحد) وهذه الجملة صفة آى وآى بالمد وتخفيف
الياء قال التلمسانى هذا متصل بقوله فى أول الفصل ما أخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز فى الآية
المذكورة مع فى آيات دلت على فضله من وجوه كثيرة وتبين المعنى قال الله تعالى واذ أخذ فى جملة آيات أو
عن السدى فيها وفى آى أخر ولو تعلقت باول الفصل وجب تقديمه على الآية لانه من جملة الترجمة وليس
ماقاله متعينا كما ظنه (قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الآية)
قيل أخذ عليهم الميثاق بتبليغ الرسالة وتصديق بعضهم بعضا وقيل بان يعلنوا بنبوة محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم ويعلن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بانه لا نبى بعده ففيها تفضيل له صلى الله تعالى عليه
وسلم من وجوه كما سياتى وقال التجانى ذكر الله فى هذه الآية النبيين جملة ثم خص بالذكر بعضا منهم
تشريفا لهم وقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم تشريفا على تشريف والتقديم لشرف ذاتى كقوله
تعالى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أو لتقدم زمانى لتقدم نوح على ابراهيم عليهما
الصلاة والسلام ويجوز أن يكون تقديم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم للامرين لحديث كنت أول
النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث وان لم تكن الواو للترتيب ولذا ورد فى الحديث ابدؤا بما بدأ الله به وقد
راعى هذا الفقهاء فى الوصايا كما فصله بعض الشراح هنا وان لم يكن محله وتمام الآية وموسى وعيسى
ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا أى عظيما شانه أو مؤكدا باليمين وكرر لبيان وصفه تعظيما له
وقدم نوح فى قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا لاقتضاء المقام له لان السياق لوصف دين
الاسلام بالاصالة فى الاستقامة فتدبر (وقال عز وجل انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح الى قوله وكيلا)

كذا في النسخ وفي بعضها الى قوله شهيدا يعني قوله لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وليست الاولى بخطا كما توهم لان بعد شهيدا آيات أربع آخرها وكيلا تشتمل على ذم الكفرة ووعيدهم ونعته صلى الله تعالى عليه وسلم بالرسالة ومجيئه من الله تعالى بالحق والامر بالايمان برسله الذين هو منهم وهو مما يدل على فضله صلى الله تعالى عليه وسلم فيناسب ذكره هنا فالقول بانه وهم ينبغي اصلاحه أو انه قراءة شاذة أو قراءة بالمعنى وهم وارتكاب أمور لا تليق واعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان هذه الآية غير تامة الغرض فيما عقد له الفصل من تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره الا ان يقال قوله لكن الله يشهد بما أنزل اليك الى آخره يدل على الغرض اذ لم يذكر مثل ذلك في حق غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل التشبيه لوحيه بالوحي الى الكل يدل في الجملة على التفضيل على كل واحد والجواب الاول ضعفه ظاهر وان كان الفصل في بيان المنزلة مطلقا وما ذكره استطرادي فلا اشكال يعني ما وقع في نسخ الترجمة من حظوة رتبته مطلقا من غير قوله عليهم والجواب الذي استضعفه هو الحق لان الاستدراك بلكن يقتضي اختصاصه بشهادة الله له لما أوحاه له وانه أنزله بعلمه مع ان كل ما نزل بعلمه ففيه اشارة الى ان له شأنا عظيما لا يعلمه الا الله وفي هذا من التفضيل والتشريف له صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره ما لا يخفى وسيأتي جواب هو الحق عندي وذكر نوح دون آدم عليهما الصلاة والسلام لانه أول مشرع عند بعضهم أو لانه أول نبي عوقب قومه أو أول الرسل أو لعموم دعوته وعلى الثاني فيه تهديد للمشركين (روى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) قال السيوطي في تخريجه لم أجده في شيء من كتب الاثر لكن صاحب اقتباس الانوار وابن الحاج في مدخله ذكراه في ضمن حديث طويل وكفى بذلك سندا لمثله فانه ليس مما يتعلق بالاحكام (انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أول هذا الكلام بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب عنده فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال الله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول بابي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى عليه الصلاة والسلام أعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فماذاك باعجب من أصابعك حين نبع الماء منها صلى الله تعالى وسلم عليك بابي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أعطاه الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فماذا باعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح في ليلتك بالابطح صلى الله تعالى وسلم عليك بابي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام أعطاه الله احياء الموتى فماذاك باعجب من الشاة حين كلمتك وهي مسمومة فقالت لا تأكلني فاني مسمومة بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح عليه السلام على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنينك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا عليه الصلاة والسلام في كثرة سنينه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل * بابي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفؤك لما جالستنا ولو لم تنكح الا كفؤك لما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفؤك لما واكلتنا ولبست الصوف وركبت

الترتيب لكن العرب تؤثر تقديم المتقدم في الذكر على المتأخر في اللفظ واليه أشار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال عند الصفا ابدأ بما بدأ الله به وحكى الحافظ في كتاب البيان والتبيين ان عبد بني الحسحاس لما أنشد عمر رضي الله تعالى عنه قوله

*(هريرة ودع ان تجهزت غاديا
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا)*

فقال له عمر لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك (روى عن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه) وهو بعض خبر هنا ذكره الرشاطي كله في اقتباس الانوار (انه قال) أي عمر (في كلام بكى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بنصب النبي على انه مفعول والمعنى رثاه بعد موته من بكيته مخففا ومشددا أي بكيت عليه وذلك حين أفاق من غشيته وتحقق عنده موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخطبة أبي بكر وموعظته قائلا بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم عليه فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم

الحمار ووضعت طعامك بالارض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وياتى شرح بعض تلك الالفاظ عند ذكر المصنف له و بكى فى كلام المصنف مخففة ولا يجوز تشديدها كما فى المواهب اللدنية لانه يقال بكاه وبكى عليه اذا بكى لميت ونحوه فى غيبته وأبكاه وبكاه اذا حمل غيره على ان يبكى بوجه ما ولو كان هذا مشددا كان المعنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكى وليس هذا مرادا قطعا هنا وان سلم وروده بمعنى المخففة لقول الجوهرى بكيت الشئ مخففا ومشددا أى بكيت عليه لان الاستعمال على خلافه الا ترى الى قوله ولا يغرركم منى ابتسام * فقولى مضحك والفعل مبكى فلا وجه لما قيل المراد انه بكى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الكلام وذكره بعد وفاته كما نقله الرشاطى أو المعنى انه بكى غيره عليه به ويحتمل انه بكى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فما فى المواهب خطا على خطا انتهى (فقال) أى عمر رضى الله تعالى عنه والفاء عاطفة لمفصل على مجمل كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ولا تقدير ولا تأكيد كما توهم (بابى أنت وأمى يا رسول الله) هذا مما تقوله العرب لمن تريد تكريمه واظهار محبته أى لو نزل بك أمر يقبل الفداء باحد من البشر بذلت فى فدائك أبوى فضلا عن المال وغيره وقد كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقولها لمن يتلطف به من أصحابه رضى الله تعالى عنهم وهذا الكلام مما قيل بعد وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فخطابه بانت لتنزيله منزلة الحاضر لكونه نصب عينه منتقشا حاله فى صحيفة ذهنه وخطاب الاموات بمثله كثير غنى عن شاهد وأنت مبتدأ والجار والمجرور خبر مقدم أى أنت مفدى بابى وأمى أو أصله أفديك بابى وأمى فلما حذف الفعل انفصل الضمير بصيغة المرفوع وتاخر والبقاء للمقابلة الدال عليها الفداء ومنع الثانى لا وجه له (لقد بلغ من فضيلتك عند الله) أى فى علمه وحكمه وتقربك منه ومن فى من فضيلتك جوز فيها ان تكون زائدة فى الاثبات على رأى فضيلتك فاعل والمعنى بعد فضيلتك على ان من التبعيضية فاعل ميلا مع المعنى كما جوز التفتازانى أن تكون مبتدأ فى قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية أى بلغ بعض فضيلتك هذه المراتب الحسنة فما بالك بكلها وأن بعثك الآتى مفعول على الوجهين لا فاعل ويجوز كونها بيانية مقدمة على رأى من جوزه كما تقدم (ان بعثك آخر الانبياء) أى جعل بعثتك الظاهرة فى آخرهم بحسب الزمان ليختم بك النبوة وينسخ بشريعتك سائر الشرائع ويبقى دينك الى يوم القيامة (وذكرك فى أولهم) بصيغة الماضى أى قدم ذكرك على ذكرهم فى التفضيل (فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الآية) ليدل على انك عنده أعظم من سائر الرسل وأشرف وبهذا الذى قال عمر رضى الله تعالى عنه علم ان هذه الآية دالة على ما عقد المصنف رحمه الله تعالى له الفصل وعلم مراده من ايرادها فالاشكال السابق ناشئ من عدم الوقوف على ما أراده وما مر من الاجوبة بمعزل عما قصده وهذا ما وعدناك به والاولية التقدم فى الشرف والرتبة أى ان من خص بالذكر فى الآية من أولى العزم مقدم الرتبة على غيره فهم أول أنت منهم أو أعلاهم فلذا قال فى أولهم ولم يقل أولهم كما قال آخر الانبياء لانه لا خاتم للرساله غيره مع التفنن البديع (بابى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده) فيما تقدم مزيد بيان لهذا (ان أهل النار) من أمة الدعوة تلك كلهم أو بعضهم كما سياتى (يودون أن يكونوا أطاعوك) وروى لو أنهم يكونون أطاعوك والود فى الاصل المودة وهى دوام المحبة ثم صارت بمعنى اليمين والذى تمنوه طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعه (وهم بين اطباقها يعذبون) جملة حالية والطباق جمع طبق وهى المنزلة والمرتبة واحدا بعد واحد وما تراكب بعضه على بعض ويعذبون بيان لما أورثهم دخولها وذكره لكشف حالهم ولو حذف تم المعنى بدونه (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) يا للتنبيه أو للنداء والمنادى نفسهم كقوله وهل تطيق وداعا أيها الرجل * أو لبعض المعذبين أو للزبانية وهو تجريد على الاول وضمير ليتنا للقائلين

(فقال) أى عمر (بابى أنت وأمى) متعلق بمقدر وحذفه أبدل من ضميره المتصل ضمير منفصل وحذفت الجملة لفظه والمعنى حتى قيل الباء للتعدية وقد يذكر الفعل كقوله الصديق فدنياك بآبائنا وأمهاتنا أى أفديك بابى وأمى (يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء) أى فى مقام الوجود (وذكرك فى أولهم) أى فى أول بعضهم عند ذكرهم اجمالا أى فى معرض الكرم والجود (فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية) أى على ما سبق (بابى أنت وأمى) أى أفديك بهما مرة بعد أخرى لانك بذلك أولى وأحرى (يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده) أى عند الله سبحانه (أن أهل النار يودون) أى يتمنون ويحبون (أن يكونوا أطاعوك وهم بين اطباقها) أى طبقات النار (يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) أى فلم يصيبنا هذا العذاب تمنوا حيث لا ينفعهم التمنى من جميع الابواب والرسولا بالالف مرسوم والجمهور على اثباتها وقفا ووصلا ومن جملة ما قال عمر رضى الله تعالى عنه بابى أنت

وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بابى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أخبرك بالعفو قبل ان يخبرك بالذنب فقال عفا الله عنك لم أذنت لهم بابى أنت وأمى

يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا ينفجر منه الانهار فاذلك ذلك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله تعالى عليك وسلم بأبي أنت وأمي يارسول الله لان كان سليمان ابن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فاذلك أعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله تعالى عليك وسلم بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه الله تعالى أحياء الموتى فما ذلك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك فقالت لاتأكلني فاني مسمومة صلى الله تعالى عليك وسلم بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت ان تقول الا خيرا وقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد اتبعك في قلة سنيك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا في كثرة سنيه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا القليل بأبي أنت وأمي يارسول الله لولم تجالس الا الا كفاء ما جالستنا ولو لم تنكح الا الى الا كفاء ما نكحت الينا ولولم تؤاكل الا الا كفاء ما واكلتنا لبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالارض تواضعا منك صلى الله تعالى عليك وسلم (قال قتاده) أي كما رواه ابن أبي حاتم في تفسيره وابن لال في مكارم الاخلاق وأبو نعيم في دلائله عنه مرسلا (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت أول الانبياء في الخلق) أي خلق روحه قبل أرواحهم أو في عالم الذر أو في التقدير بكتابته في اللوح أو ظهوره للملائكة (وآخرهم في البعث) أي لكونه خاتم النبيين

والمقول لهم المنادون وحذف المنادى مبادرة الى تمني مافات اظهارا للتحسر وانهم لشدة العذاب عاجزون عن النطق كما قيل في قراءة يامال ليقض علينا ربك بالترخيم واليه أشار العلاء الموصلي رحمه الله بقوله

ما كان أغني أهل نار جحيم * اذ نجوا يامال وسط جحيم
عجزوا عن استكمال كلمة مالك * فلاجل ذا نادوه بالترخيم

ثم انه قيل المراد باهل النار بعض أمته صلى الله تعالى عليه وسلم أو أهلها عامة على أنهم تمنوا ان يكونوا من مطيعي الله تعالى لرؤيتهم حسن حالهم فتمنوا انهم أدركوا زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم وأطاعوه وحينئذ يستفاد فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء ويناسب الفصل ويعلم وجه ذكر المصنف رحمه الله تعالى له والا فكل طائفة جهنمية من أمة رسول تود لو كانت اطاعت رسولها فلا يكون له صلى الله عليه وسلم حينئذ فضل على سائرهم من هذه الجهة وقال التجاني كلام عمر رضي الله تعالى عنه قاله بعد تحققه من أبي بكر رضي الله تعالى عنه موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورجوعه في ذلك الى قوله لما توفي وارتفع البكاء عليه ودهش الناس كما روي عن غير واحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم انهم طاشت عقولهم ومنهم من خبل ومنهم من خرس ومنهم من أقعد فكان ممن خبل عمر رضي الله تعالى عنه جعل يقول ان رجالا من المنافقين زعموا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توفي وانه والله مامات ولكنه ذهب الى ربه عز وجل كما ذهب موسى عليه الصلاة والسلام وغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع بعد ان قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رجع موسى عليه الصلاة والسلام فيقطعن أيدي رجال زعموا أنه مات واما عثمان رضي الله تعالى عنه فاخرس حتى جعل يذهب به ويجاء ولا يتكلم واقعد على كرم الله وجهه وبلغ الخبر أبي بكر رضي الله تعالى عنه وهو بالسنح فجاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد في صدره وهو مع ذلك جلد العقل والمقال حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكب عليه وكشف وجهه ومسحه وقبل جبينه وجعل يبكي ثم خرج الى الناس وهم في عظيم غمراتهم وشديد سكراتهم فقام فيهم بخطبته المشهورة فلما فرغ منها التفت الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال ياعمر أنت الذي بلغني عنك انك تقول على باب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كذا وكذا والذي نفس عمر بيده مات نبي الله أما علمت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم كذا وكذا قال الله تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون قال عمر فكأني والله لم أسمع بها في كتاب الله تعالى قبل ذلك لما نزل بنا ثم قال أشهد أن الكتاب كما أنزل وان الحديث كما حدث وان الله تعالى حي لايموت وعنده نحتسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أسقط رضي الله تعالى عنه الى الارض وجعل يبكي ويقول في بكائه بأبي أنت وأمي الى آخر ماذكره المصنف رحمه الله تعالى وبما ذكرناه لك علم مناسبة ماذكر من حال أهل النار لهذا الفصل فسقط مايتوهم من انه حينئذ غير مناسب فاعرفه (قال قتادة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت أول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث) هذا رواه البغوي والثعلبي مسندا عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم بلفظ كنت أول النبيين ورواه أبو نعيم وابن أبي حاتم بسند فيه راو اسمه مجهول وقال الغزالي أي كنت بحسب التقدير ولم يرد العلم الازلي فانه لاترتيب فيه بل علم الكل دفعة وانما أراد تقدير ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ أو في علم ملك لما في صحيح مسلم مرفوعا

ان

ان الله عزوجل كتب مقادير الخلق قبل السموات والارض بخمسين ألف سنة الحديث فتقدم هنا
المقصود بالذات ويؤيده ما روى فى بعض الطرق كتبت بالتاء الفوقية والباء الموحدة الساكنة من
الكتابة فالمعنى كنت أول الانبياء فى تقدير الخلق وآخرهم فى البعث لانه تعالى كتب مقادير الخلق
كلها كما مر قيل ولا يجدى فى حل الاشكال على الحديث الذى ذكره المصنف رحمه الله تعالى ما قيل من
انه تعالى لما صور طينة آدم عليه السلام أخرج منها ذرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ونباها وأخذ
الميثاق عليها ثم أعادها الظهره وهذا معنى حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين أى خفى قبل نفخ
الروح فيه كانه أخفى بين الماء والتراب الذى كانت منه طينته ونظيره الحديث المار وهو ما رواه
أبو هريرة رضى الله تعالى عنه وآدم بين الروح والجسد أى ثبتت لى النبوة وآدم صورة بلا روح كما فى شرح
المصابيح وحاصل معنى الحديث الاول انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان نبيا وآدم عليه الصلاة
والسلام تراب بلا ماء يعجن به ليصير بعد ذلك طينا على مجاز الاول * فان قلت ان أريد بالحديثين تعلق
علمه تعالى فما فائدة ذكر الماء والطين والروح والجسد * أجيب بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كلمهم
على قدر عقولهم وأراد ثبوتها عند الله زمانا طويلا وجواب ثان عن الحديث الثانى وهو انه أراد انه
تعالى لما خلق آدم وحكم بانه سيكون من صلبه نبى آخر الزمان وجبت لى النبوة من ذلك الزمان لان
ما حكم به وعلمه كائن لا محالة وهذا لا ينطبق على اشكال الحديث الاول فالوجه ان يقال المراد
بالحديثين انه تعالى لما حكم بانه سيكون نبى يسمى آدم من الماء والتراب ومن صلبه نبى يسمى محمدا فى
آخر الزمان وجبت لى النبوة وجوبا مستمرا قبل نفخ روح آدم فظهر بهذا معنى قوله انى لخاتم النبيين
وآدم منجدل فى طينته الى آخر ما فصله * أقول مجرد تقدمه فى الكتابة حين التقدير أمر ظاهر ليس فيه
تقدم وجودى فالانسب ما قيل ان الله تعالى خلق روحه قبل خلق الارواح ونباها وأخذ عليها الميثاق
وأعلم بذلك أهل الملأ الاعلى أو ذلك فى عالم الذر وهو المراد بالاحاديث السابقة وعن كعب الاحبار ان
جبريل عليه الصلاة والسلام قبض من موضع قبره الشريف طينة منيرة عجنت بماء الجنة فصارت ذرة
ذات شعاع فطافت الملائكة بها حول العرش وفى السموات والارض فعرفه الخلق وفضله ونبوته
قبل معرفة آدم وفى العوارف ان ذرة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم هى التى أجابت لما قالت
أتينا طائعين ومنها دحيت الارض فهى الاصل والمراد ان نوره صلى الله تعالى عليه وسلم أول مخلوق
كما ورد فى الاحاديث وهذا أمر آخر غير الروح وهو المنتقل فى الاصلاب وقوله (فلذلك وقع ذكره مقدما هنا
قبل نوح وغيره) من كلام قتادة تعليلا لكونه أول فى الخلق وهذا اشارة للآية وقيل بدل من مقدما
أو وصف مبين لكيفية التقدم وفى نسخة على نوح وقد رواه القرطبى أيضا (قال السمرقندى فى هذا
تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم) هذا اشارة الى الكلام المذكور قبله
أى فيه ما يدل على تفضيله ويظهره أو فيه ما يشاء من تفضيله لكونه خصه بتقديمه على من ذكره وان
كان فى الآية تفضيل لكل من ذكر أو تخصيصه بالذكر بعد التعميم والثانى لا يختص به ففيه تفضيل
له من وجهين واما تقديم نوح على ابراهيم وان كان المشهور ان ابراهيم أفضل بعد نبينا عليهم الصلاة
والسلام فلتقدمه بالزمان أو لانه أول رسول مشرع أو لما وقع له مما قاساه وصبر عليه (وهو آخرهم) زمانا
وبعثا وخلقا فلا يرد عيسى عليه الصلاة والسلام أى قدمه والحال انه آخرهم والتقدم فى الذكر فى الكلام
المعجز لا بد له من نكتة وهى اما التقدم زمانه أو لتقدم ذاته بحسب الشرف وقد انعدم الاول فتعين الثانى
اذ لا وجه له غيرهما وان كان التقدم عند الحكماء على وجوه خمسة منها هذان لان غيرهما لا مناسبة له
بما نحن فيه وقد مر ان التقدم يجوز ان يكون بحسب الوجود أيضا بنظر الروحه وحقيقته والحاصل انه

(فلذلك) أى فلاجل كونه أولهم خلقا (وقع ذكره مقدما) أى فى الآية السابقة (هنا قبل نوح وغيره) أى من أولى العزم فضلا عن غيرهم قال السهيلى واسم نوح عبد الغفار وسمى نوحا فيما ذكر لكثرة نوحه على نفسه أو على قومه (قال السمرقندى) وهو الامام أبو الليث من أئمتنا الجامع بين التفسير والحديث والفقه والتصوف (فى هذا) أى فى ذكر وقوعه مقدما (تفضيل نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم) أى أظهارا للاكرم والجود (وهو آخرهم) أى بعثا كما فى نسخة يعنى أى والحال انه آخرهم من جهة البعث والوجود

(المعنى أخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر) وهو صغار النمل والمعنى ان للانبياء ميثاقا خاصا بعد دخولهم في الميثاق العام المعنى به قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى بتبليغ الرسالة وأخص من هذا الميثاق ميثاق الانبياء اصالة وأممهم تبعا انه صلى الله تعالى عليه وسلم لو فرض انه وجد في أي زمان من الازمنة لتبعه جميع الانبياء وجميع أممهم من العلماء والاولياء والاصفياء فكانهم تابعون بالقوة وعلى فرض وقوعه بالفعل والحاصل انه تعالى قال للخلق في عالم الذر بعد قوله لهم الست بربكم قالوا بلى اعلموا انه لا اله غيري وانا ربكم فلا تشركوا بي شيئا فاني سانتقم ممن اشرك بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل عليكم كتبا فقالوا اشهدنا انك ربنا والهنا لارب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم فرأى فيهم الغني والحسن وغيرهما فقال يارب لو سويت بينهم فقال اني أحب ان أشكر فلما أقرهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلب آدم فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه وكان اعطاء الكافرين العهد اذ ذاك وهم كارهون على جهة التقية وقد وردت الاحاديث بهذا من طريق عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وغيرهما رضي الله تعالى عنهم وقد ورد انه عليه الصلاة والسلام أول من قال بلى فذلك قوله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وفي قراءة ذريتهم أي أخرج ذريته بعضهم من صلب بعض على مايتوالدون واكتفى بذكر ظهورهم عن ذكر ظهره اذ كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره وأشهدهم على أنفسهم أي أشهد بعضهم على بعض وأغرب الدلجي في انه بعدما ذكر الميثاق على الوجه المسطور المطابق لمذهب أهل السنة المؤيد بالاحاديث النبوية والآثار عن الصحابة مال الى مذهب ٢٥٢ المعتزلة وتبع الزمخشري وسائر أهل البدعة حيث قالوا قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى تخييل وتصوير للمعنى أي نصب لهم ادلة ربوبيته واودع عقولهم مايدعوهم الى الاقرار بها فصاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل انتهى والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل وفي كتاب القصص لوثيمة ابن الفرات برفعه الى أبي موسى الاشعري انه قال لما خلق الله سبحانه وتعالى في آدم عليه السلام قال له يا آدم فقال نعم يارب قال من خالقك فقال أنت يارب خالقتي قال فمن ربك قال أنت لا اله الا أنت قال فاخذ عليك الميثاق بهذا قال نعم فاخرج الله سبحانه وتعالى الحجر الاسود من الجنة وهو اذ ذاك أبيض ولولا ماسوده المشركون بمسهم اياه لما استشفى به ذو عاهة الاشفي به فقال الله سبحانه وتعالى امسح يدك على الحجر بالوفاء ففعل ذلك فامره بالسجود فسجد لله سبحانه وتعالى ثم أخرج من ظهره ذريته فبدأ بالانبياء منهم وبدأ من الانبياء بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ عليه العهد كما أخذه على آدم ثم أخذ العهد على الانبياء والرسل كذلك وان يؤمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان ينصروه ان أدركوا زمانه فالتزموا ذلك وشهد به بعضهم على بعض وشهد الله سبحانه وتعالى بذلك على جميعهم وأخذ بعد ذلك العهد على سائر بني آدم فسجدوا كلهم الا الكافرين والمنافقين لم يطيقوا ذلك لصياصي خلقت في أصلابهم ثم أمر الله سبحانه وتعالى آدم فرفع رأسه ونظر الى ذريته فرأى الانبياء والعلماء كالسرج والكواكب فقال يارب من هؤلاء قال هم الانبياء والعلماء من ذريتك فقال يارب ومن هؤلاء الذين أراهم ببعض الالوان قال هم أصحاب اليمين وقد اعددت لهم الجنة والكرامة وخلقتهم سعداء قال ومن هولاء الذين أراهم سودا قال هم أصحاب الشمال وقد اعددت لهم الهوان وجعلتهم أشقياء فقال يارب لو سويت بين خلقك أجمعين فقال يا آدم خلقت الجنة وجعلت لها أهلا وخلقت النار وجعلت لها أهلا ثم اختلف العلماء في محل أخذ هذا العهد ففي كتاب الثعلبي انه كان في السماء وان الله سبحانه وتعالى أخرج آدم من الجنة ولم يهبط الى الارض فاخذ عليه وعلى ذريته العهد هنالك وفي تاريخ الطبراني ان الله سبحانه وتعالى أهبط آدم من السماء الى نعمان وأخذ عليه وعلى ذريته هذا العهد هنالك ونعمان واد في طريق الطائف يخرج الى عرفات وهو مفتوح النون ويقال له نعمان الاراك لكثرته به

للفضل الا أن الجهات مختلفة كذا في الشروح الا أن قوله (المعنى أخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام كالذر) سواء كان من كلام السمرقندي أو من كلام المصنف يأبى ماقالوه لان المراد ان تقدمه في الذكر لتقدمه في أخذ الميثاق في عالم الذر كما نطق به السياق والا لم يكن لذكره هنا التئام مع ماقبله والذر واحده ذرة وهي كما قاله التلمساني النملة الصغيرة البيضاء أو الحمراء أو جزء من مائة وأربعة وعشرين جزأ من شعيرة وقيل جزء من ألف وسبعة وعشرين جزأ منها وقيل أصغر شئ لا يعلمه الا الله تعالى وعدى أخذ بعلى لتضمنه معنى التقدير لا التكليف كما قيل لانه لا يتعدى بعلى وقوله اذ اخرجهم أي وقت اخراجهم كلهم على هيئة ذرات واعترض عليه بعض الشراح بان هذا الميثاق ان كان مافي قوله تعالى الست بربكم الخ فهو شامل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم من غير بيان لتقدمه فيه وكذا ان كان الميثاق الماخوذ في التبليغ والايمان بالرسل السابق وقد ورد بان البغوي رحمه الله تعالى نقل تقدمه في ذلك ومثله لا يقال من قبل الرأي لنقله عن الله وقد تقدم ان الاخذ على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كان قبل ذلك اليوم فلعل ذاك كان

فى مرة أخرى والسمرقندى لم يرد أن تقديمه لتقدم الاخذ وهو كلام لا محصل له وأخذ هذه الذرات كلها سواء كان من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام بغير واسطة أو بواسطة أصولهم وآبائهم وتركيب العقل والادراك فيهم ليأخذ العهد والميثاق عليهم بالايمان به ويشهد على ذلك أمر نؤمن به ونصدقه وان كنا لا نقف على حقيقته كما هى فالبحث عنه كما فى الشروح لا نتيجة له فينبغى الكف عنه كما ذهب اليه السلف وهو ثابت فى القرآن والاحاديث الصحيحة وفى قوله كالذر اشارة الى أن الذرية فعلية من الذر وذالها مثلثة ويكون واحدا وجمعا وقيل انها من ذرأ الله الخلق فتركت همزته للتخفيف (وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية) الاشارة الى جماعة سبقوا فى الذكر أى أو معلومين للمخاطب أو لجميع الرسل عليهم الصلاة السلام وما ورد من عدم الفرق والتفضيل بالنسبة لاصل النبوة أو ما أول كما سيأتى وقال التفتازانى رحمه الله تعالى أجمع المسلمون على ان أفضل الرسل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قيل ثم آدم وقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى عليهم الصلاة والسلام انتهى والراجح عندهم انه ابراهيم عليه السلام لما ورد فى الحديث انه خير البرية وقال السيوطى اتفق أهل العلم ان الافضل بعد نبينا ابراهيم ثم موسى وعيسى ونوح لم يذكروا مراتب بقيتهم انتهى وفيه نظر * واعلم ان القاضى بدر الدين المالكى صاحبنا قال فى كتاب الابتهاج وقع للطوفى فى تفسيره المسمى بالاشارات الالهية فى قوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده انه احتج بهذه الآية على ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه أمر بالاقتداء بجميعهم والاقتداء بفعلهم الاتيان بمثل ما فعلوه ولا بد انه امتثل هذا الامر وحينئذ قد فعل صلى الله تعالى عليه وسلم وحده من الطاعة مثل ما فعل هؤلاء جميعهم والواحد اذا فعل مثل فعل جماعة كان أفضل منهم ويحكى أن هذه المسئلة وقعت فى زمن عز بن عبد السلام رحمه الله تعالى فافتى فيها بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أفضل من كل واحد منهم لا انه أفضل من جميعهم فقام الاجماعة من علماء عصره على تكفيره فعصمه الله عز وجل منهم انتهى * أقول نحن لا نشك فى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من كل واحد منهم ومن الجميع أيضا وما ذكره الطوفى رحمه الله تعالى ماخوذ من التفسير الكبير الا أن فى الدليل بحثا لانه لا يلزم من اتيانه بكل ما أتى به واحد منهم الامساواته للمجموع لا أفضليته عليهم وكأن الداعى للغر على ما قاله بل قد يتوقف فى المساواة أيضا فانك لو أنعمت على أربعة فاعطيت واحدا دينارا وآخر دينارين وآخر ثلاثة وآخر أربعة كان لصاحب الاربعة زيادة على كل واحد دون جميع ما لغيره ولو أعطيته ستة كان مساويا لهم ولو أعطيته عشرة زاد عليهم فينبغى أن يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد ساواهم فى العمل وزاد عليهم بانه أعلم منهم بالله وأكثر من جميعهم خصائص ومعجزات وهذا التفضيل فى القرب وعلو المنزلة وهو أكثرهم ثوابا وأمته صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر من جميع الامم وأجرهم له الى يوم القيامة ولو كانت للناس مساكن بعضها فوق بعض كان الذى فوق الاخير أعلى من الجميع وفى الآية ايماء لهذا حيث أبهم وعبر برفع الدرجات دون أن يسميه ويقول انه أعظم أو أفضل فاعرفه * ثم اعلم ان قوله فى تتمة الآية منهم من كلم الله فيه وجهان أحدهما انه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج ومنهم من قال ان المراد موسى عليه الصلاة والسلام والمناسب هنا الاول وان كان الاشهر الثانى (قال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) أى رفع الله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالمراد بالبعض محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فابهمه للتعظيم ولانه لا يلتبس كما قيل

وأقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وأنت كل الناس

(وقال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية) الاشارة الى من ذكرت قصصهم فى السورة أو الى كلهم المعهودين فى العلم واللام استغراقية ثم فصله سبحانه وتعالى بقوله منهم من كلم الله بلا واسطة وهو موسى عليه الصلاة والسلام قيل ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكلام موسى ليلة الحيرة فى الطور ومحمد ليلة المعراج فى مقام النور حين كان قاب قوسين أو أدنى وقرئ كلم الله بالنصب وكالم الله اذ قد كلم الله كما ان الله كلمه ومن ثمة قيل كليم الله بمعنى مكالمه (وقال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم أى رفعه على سائر الانبياء من وجوه متعددة ومراتب متباعدة ومنها انه خص بالدعوة العامة

وقيل المراد بالبعض أولوا العزم وقيل غير ذلك ولما أبهم أولا فى التفضيل أخذ فى التفصيل فقال منهم من كلم الله ومنهم من رفعه درجات ومنهم من أتاه المعجزات وغير الاسلوب فى القسم الثانى بذكر بعضهم دون منهم وذكر رفع الدرجات الكثيرة كما يفيده التنكير اشارة الى مباينة هذا القسم لغيره ونظيره قول الحماسى

ومن الرجال اسنة مذروبة * ومزندون شهودهم كالغائب

منهم ليوث ماترام وبعضهم * مما قمشت وضم حبل الحاطب

(لانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث الى الاحمر والاسود) أى جميع الناس أو العرب والعجم أو العرب وغيرهم أو الانس والجن وأشهر الاقوال الثانى والمراد بالاحمر الابيض مطلقا فان العرب تقول فى المرأة حمراء بمعنى بيضاء والبياض عندهم فى صفة الناس النقاء من العيوب فاذا أرادوا اللون قالوا الاحمر وهذا قول ثعلب من أئمة اللغة ورده فى النهاية باستعمال الابيض فى صفات الناس كثيرا كقول امرىء القيس * مهفهفة بيضاء غير مفاضة * وجاء فى الحلية الشريفة كأن ساق أبيض اللون مشربا بالحمرة وعن أنس رضى الله تعالى عنه أبيض كأنما صيغ من فضة ولا منافاة بينهما الان الاول فى نعت وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم وقول أنس فى وصف جسده الشريف وعن البكرى مثل ماقال ثعلب وعن جرير الاخطل أو صفتان للخز والحمر أى النساء الحسان ولا منافاة بين القولين أيضا الان العرب اذا مدحت الناس بالبياض مطلقا تعنى بياضا مشربا بالحمرة لان البياض الخالص كبياض الجير غير ممدوح فى الناس لقربه من البرص والممدوح منه ما خالطه حمرة من الدم أو صفرة خفيفة واليه الاشارة بقوله تعالى كأنهن بيض مكنون ولذا يشبه بالدر وهذا كله باعتبار الاغلب وما ورد فى المثل الحسن أحمر محمول على هذا أو على انه ترتكب له المشاق والشدائد التى تحمل على اراقة الدم هذا هو التحقيق والعرب تغلب على ألوانهم السمرة والادمة فلذا عبر عنهم بالاسود (وأحلت له الغنائم) جمع غنيمة من الغنم وهو الكسب والربح ويقابله الغرم وهو ما يؤخذ من مال الكفار قهرا ولم تكن الغنيمة تحل للامم السالفة كالهذه الامة لان منهم من لم يؤمر بالجهاد ومنهم أمر به ووضع الغنائم فتنزل نار من السماء فتحرق ما يقبل منها كالصدقات والذبائح فلم تحل لاحد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الامم لاتتصرف فى مال الغنائم مما لم تاكله لانفسها وهذا هو الذى عد من خصائص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته وبهذا يجاب عما ورد فى بعض الاحاديث الدال على انه كانت لهم غنائم (وظهرت على يديه المعجزات) أى أظهر الله له صلى الله تعالى عليه وسلم معجزات لم تكن لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فما من معجزة لنبى الا وله صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها أو أعظم مع زيادة معجزات باهرة لايقاربها شئ من المعجزات كانشقاق القمر ولو لم يكن الا القرآن الذى لايشبه معجزة اذ فيه ما لا يحصى لكفاه

فمبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

ولم يقل ظهر له المعجزات وأتى باليدين اشارة لعظمها وكثرتها لانه كأنه يظهرها بكلتا يديه ظهورا محسوسا مشاهدا مكشوفا لا خفاء فيه حتى نطق بها الحيوانات العجم والجمادات وبهذا ظهر نظمها فى سلك الخواص (وليس أحد من الانبياء أعطى فضيلة أو كرامة) قيل المراد بالفضيلة ما فى ذاته العلية والكرامة ما أكرمه الله به مما يشمل المعجزات وغيرها أو الاول ما فضل به على غيره والثانى أعم وهما وان اتحدا معنى متغايران مفهوما أو الاول ما اقترن بدعوى الرسالة والثانى ما لم يقترن بها أو الظاهر من العطف بأو ان يفسر بما يقتضى تغايرهما كما لايخفى (الا وقد أعطى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) أى ما هو من جنسها ونوعها أو مما هو مشابه لها بحسب الظاهر وان كان أعظم منها فى الحقيقة كانشقاق زورق القمر له المقابل لانفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام كما قلت

(لانه بعث) أى بالحجج المتكاثرة والايات المتعاقبة المتواترة والفضائل العملية والفواضل العلمية (الى الاحمر والاسود) أى العرب والعجم لغلبة الحمرة والبياض على ألوان العجم والادمة والسمرة على ألوان العرب وقيل الجن والانس (وأحلت له الغنائم) أى ولم تحل لاحد قبله (وظهرت على يديه المعجزات) أى الكثيرة (وليس أحد من الانبياء أعطى فضيلة) أى خصلة حميدة (أو كرامة) أى خارقة عادة (الا وقد أعطى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) أى مثل تلك الفضيلة أو الكرامة بل مع الزيادة لكن جنسا لانوعا كانشقاق القمر فى مقابلة انفلاق البحر لموسى عليه السلام وغير ذلك مما لايعد ولا يحصى قيل وفى ابهام درجات تفخيم لجلال شانه وتعظيم لعلى برهانه اذ هو العلم المعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين عند أرباب اليقين

(قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم) أى كيا آدم ويا نوح ويا ابراهيم ويا موسى ويا عيسى (وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه) أى كلامه القديم وخطابه العظيم (فقال يا أيها النبى ويا أيها الرسول) بل وقد قال الله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا (وحكى السمرقندى عن الكلبى) هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى توفى فى السنة التى مات فيها الشافعى رضى الله تعالى عنه وهى سنة أربع ومائتين كذا ذكره التلمسانى (فى قوله تعالى وان من شيعته) أى اتباعه (لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ان من شيعة محمد لابراهيم

شهد البدر انه حسنا * عن جميع البدور اذتم خلقا
ثم لما رأى الشهادة ترضى * ان تثبت فشق فى الحال شقا

وفى مثل هذه الجملة التى بعد الاخلاف فذهب الزمخشرى الى انها صفة والواو زائدة للالصاق أى لافضيلة ذات صفة من الصفات الاهذه الصفة وغيره الى انها حال أى ليس لها حال من الاحوال الاهذه الحال والتقدير مريدا اعطاؤه مثلها أومقدر التقارن الحال صاحبها وفيه ان المراد اعطاء المثل لاتقديره وارادته مع انه لايتاتى فى نحو لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلاق الصبح وقيل يجوز الاكتفاء بالمقارنة الادعائية بجعل مالم يتحقق كالمحقق أو المعنى ان الله أعطاه ذلك فى زمن اعطاء الانبياء وقد ذهب المفسرون فى قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ان تتبعها حال وبين النفختين أربعون سنة لاعتبار مدة الخراب الى آخر الدنيا زمنا واحدا ممتدا ويمكن اعتباره هنا بلا تكلف وقول الرضى المقارنة فى الحال أغلبية كما فى خرج الامير صائدا غدا بجعل المعزوم عليه كالواقع يأباه قول النحاة ان الحال هيئة للمعمول حين تعلق العامل به بلا استثناء يقتضى ان المقارنة لازمة الا انها قدتترك ظاهرا فيجب التاويل ولايخفى مافيه من الاضطراب وقوله مثلها يفيد تفضيله صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما سمعته آنفا فى قوله تعالى فبهداهم اقتده ولايحتاج الى ان يقال مع تفضيله صلى الله عليه وسلم بمثل انشقاق القمر وغيره أوجعل كرامات أمته كرامة له صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) تقدم الكلام عليه وأعاده هنا اشارة الى انه من الفصلين باعتبارين (ومن فضله) عليه الصلاة والسلام معطوف على مقدر كالعطف التلقينى أى من فضله ماذكر (ان الله خاطب الانبياء عليهم الصلاة والسلام (باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه) أى القرآن الكريم (فقال يا أيها النبى ويا أيها الرسول) وقدم انه باعتبار الاغلب تعليما للامة ولذا نهاهم ان ينادوه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه فقال الله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وهذا مخصوص بحياته صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم (وحكى السمرقندى) تقدم الكلام عليه (عن الكلبى) محمد المفسر أوهشام ابنه وقد تقدم أيضا (فى قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وان لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه فكأنه مذكور كما فى قوله تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس أى الميت والشيعة الاتباع والمعروف فى كلام العرب اطلاقه على المتاخر زمانا وقد يطلق على المتقدم كما فى قول الكميت

ومالى الاآل أحمد شيعة * ومالى الامذهب الحق مذهب

لان من كنت على منهاجه ودينه فهو على منهاجك ودينك أيضا واذا أضيفت الشيعة للمتقدم اقتضت تفضيله لان المتبوع بحسب الظاهر المتبادر أفضل من التابع فاذا أضيفت للمتاخر اقتضت تفضيله بالطريق الاولى لان العدول عن المعروف لابدله من نكتة وليست الا التفضيل الاترى ان أبا نواس لما قال

كيف لايدنيك من أمل * من رسول الله من نفره

شنعوا عليه كما سياتى بيانه لاقتضائه تفضيل ممدوحه ولافرق بين من نفره ومن شيعته فان قلت هذا يقتضى تفضيل نوح على ابراهيم عليهما السلام على القول بان الضمير راجع اليه مع ان ابراهيم أفضل منه كما تقدم قلت قد عرفت انه انما يفيد التفضيل اذا أضيف للمتاخر ونوح عليه الصلاة والسلام متقدم وهو آدم الثانى وأول الرسل والشرائع متفقة فى الاصول فجعل من كان على نهجه من ذريته شيعة له لايدل على ماذكر مع ان المفضول قد يفضل من جهة على الافضل ويحتمل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام جعل من شيعة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لما مر من تقدم خلقه ونبوته عليهم وعلى كل

أى على دينه ومنهاجه) أى طريقه الواضح (واختاره الفراء) يروى وأجازه الفراء (وحكاه عنه مكى) ونسبه بعضهم الى الكسائى
أيضا فكأن الله أخبر ابراهيم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به وشايعه فى دينه وعود الضمير على غير متقدم لفظا شائع سائغ
كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وانما جعل منها لتقدمه عليه خلقا ونبوة كما يدل عليه حيث انه سئل متى وجبت لك النبوة قال وآدم
بين الروح والجسد وفى رواية وآدم منجدل فى طينته وهذا أولى مما قيل فى جواب الاشكال الوارد من ان المتعارف هو ان المتأخر فى
الزمان هو الذى يكون من شيعة المتقدم لكن قد جاء عن العرب عكس ذلك * ومالى الا آل أحمد شيعة * والسبب فى هذا ان من كنت
على منهاجه ودينه فقد كان على منهاجك سواء تقدم أو تقدمت (وقيل المراد نوح) ويروى على نوح (عليه الصلاة والسلام) وهو قول
أكثر المفسرين كما هو الظاهر المتبادر من حيث تقدم مرجعه فابراهيم ممن شايع فى دينه لاتفاق شرعهما فى الفروع

غالبا وان كان بينهما ألفان وستمائة وأربعون سنة ونبيان هود وصالح عليهما الصلاة والسلام كذا ذكره الدلجى

(الفصل الثامن)

فى أعلام الله تعالى خلقه) أى مخلوقه (بصلاته عليه وولايته) بكسر الواو وقد يفتح وبهما قرئ قوله تعالى ما لكم من ولايتهم من شئ والكسر قراءة حمزة من السبعة فلحن الاصمعى قراءة الاعمش فى هذه الآية بكسر الواو خطأ ظاهر وقوله ان الولاية بالكسر انما هى فى الامارة والسلطان ونحوهما بصيغة الحصر مدفوع ولو سلم فالكسر مشترك فى المعنيين والله أعلم وقيل بالفتح بمعنى النصرة وبالكسر تولى الامر أى موالاته ونصرته له (ودفعه) مصدر مضاف الى فاعله أى ودفع الله (العذاب بسببه) أى من أجله ووجهته وفى نسخة من رفعه بالراء واختاره الحلبى وهو تصحيف فى مبناه وتحريف فى معناه اذ الرفع لا يستعمل الا بعد الوقوع ولذا قيل الدفع أهون من الرفع
(قال الله تعالى) أى حين قال الكفار مبالغة فى الانكار اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا
بعذاب أليم (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) بيان لما كان موجب الامهال لهم مع علم الله سبحانه وتعالى بأقوالهم وأفعالهم (أى ما كنت
بمكة) أى مدة كونك فيهم اذ جرت سنته تعالى ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين أظهرهم ومن ثمة كان العذاب اذا نزل
بقوم أمر نبيهم بالخروج بمن آمن وفيه تلويح بأنهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر (فلما خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة) أى
مهاجرا الى المدينة (وبقى فيها من بقى

حال فالآية دالة على تفضيله بالتفضيل على الافضل على الجميع وهو المقصود فلذا قدم هذا القول
(أى على دينه ومنهاجه) أى طريقه الواضح من نهج الامر اذا وضح والمشايعة المتابعة والموافقة فالمراد
الموافقة فيما ذكر (واختاره الفراء وحكاه عنه مكى) رحمهما الله تعالى وتقدم الكلام عليهما
وترجمتهما وأشار بهذا الى انه قول صحيح منقول عن المفسرين لان منهم من ضعفه وادعى انه بعيد وان
ما أخره ومرضه بقوله (وقيل المراد نوح عليه الصلاة والسلام) هو القول الصحيح وفى نسخة مكان
اختاره اجازه بالجيم والزاى المعجمة على انه مجرد احتمال لما بين نبينا والخليل عليهما الصلاة والسلام
من المناسبة التامة الظاهرة وهذا لا يفيد تفضيل نوح على ابراهيم عليهما الصلاة والسلام كما سمعته
آنفا والمراد بكونه من شيعته انه من نسله وعلى منهاجه فى الدين والتوحيد ومشابهته له لان نوحا عليه
الصلاة والسلام أبو الناس وابراهيم عليه الصلاة والسلام أبو الانبياء عليهم الصلاة والسلام والعرب
والى هذا ذهب أكثر المفسرين لظهوره لتقدم ذكر نوح عليه الصلاة والسلام ولذا قيل ان قيل هنا
أريد به مجرد النقل لا التمريض وانه عادته فى هذا الكتاب
(الفصل الثامن فى أعلام الله عز وجل خلقه بصلاته عليه وولايته له) أى نصره وتأييده لا بمعنى توليته
والواو يجوز فيها الفتح والكسر فمن اقتصر على الثانى فقد قصر قال فى المصباح وليت الامر اليه بكسرتين
ولاية بالكسر توليته والولاية بالكسر والفتح النصرة انتهى (ورفعه العذاب بسببه صلى الله تعالى
عليه وسلم) روى رفعه بالراء والدال وتقدم الفرق بينهما ان الرفع بعد النزول والدفع قبله ولذا قالوا
الدفع أسهل من الرفع قيل وهذا هو المناسب لقوله ودرئه العذاب كما سيأتى والرفع قد يجئ بمعنى الدفع كما
فى رفع القلم عن الصبى وكذا الدفع يجئ بمعنى الرفع والاول هو الاصل المتبادر ثم ان المصنف رحمه الله
تعالى اختار اللف على عكس النشر لانه الاصل الكثير فى كلامهم كما صرح به النحاة وان جعل أهل
المعانى كلا منهما من فنون البلاغة وتسمية هذا مشوشا يقتضى مرجوحيته عندهم (وقال الله تعالى وما
كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) قيل هذا يدل على عدم التعذيب وقوله وما لهم ألا يعذبهم الله على التعذيب
فقيل الثانية ناسخة بناء على جواز نسخ الخبر وخلف الوعد أو كل منهما مقيد بوقت واليه أشار بقوله (أى
ما كنت بمكة) أى نفى تعذيبهم مدة كونك مقيما بمكة معهم أو المثبت مطلق التعذيب والمنفى عذاب
الاستئصال كما قاله الزمخشرى (فلما خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة وبقى من بقى فيها

من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهو اما بمعنى وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر من

المؤمنين ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين أو بمعنى نفي الاستغفار أي ولو كانوا ممن يؤمن و يستغفر من الكفر لما عذبهم وعن الحسن ان الآية منسوخة بقوله تعالى ومالهم ان لا يعذبهم الله والظاهر ان لا تنافي بينهما اذ النفي منصب على عذاب الاستئصال والاثبات محمول على غيره من الاسر والقتل وأنواع الخزي والنكال قال المنجاني وهذا التاويل قال به جماعة من المفسرين منهم ابن عباس والضحاك ومقتضاه ان الضمير في قوله سبحانه وتعالى معذبهم عائد على كفار مكة والضمير في قوله تعالى وهم يستغفرون عائد على المؤمنين الباقين بمكة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي وما كان الله ليعذب الكافرين والمؤمنون يستغفرون بينهم فتكون الآية على هذا نحوا من قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية وقوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا الآية أيضا وعلى هذا التاويل فالمؤمنون مفهومون من سياق الكلام والافلم يتقدم لهم ذكر في الآية وأما التاويل الثاني الذي ذكره القاضي في هذه الآية بقوله (وهذا مثل قوله تعالى

من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) هذا التاويل منقول عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره من السلف كما في تفسير ابن الجوزي قالوا كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة فانزل الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فلما أخرج للمدينة وبقي المستضعفون من المسلمين بمكة يستغفرون أنزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فلما أخرجوا أنزل الله وما لهم الا يعذبهم الله الى آخره فاندفع التدافع بين الآية الاولى والثانية على قول من جعل مفادها انتفاء التعذيب لوجود الاستغفار وبين الثالثة اذ المراد انهم يعذبون بعد خروج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن بقي من المسلمين بعد ان كانوا لا يعذبون وهو فيهم أو هم يستغفرون ومنهم من قال بنسخها للاولى وفيه ما تقدم ومقتضاه عود ضمير معذبهم لكفار مكة وعود ضميرهم للمؤمنين الباقين بعده صلى الله تعالى عليه وسلم المفهوم من السياق وان لم يتقدم لهم ذكر أو عود كليهما الى الفريقين على انهم وصفوا بصفة بعضهم كبني فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم وأما عود كليهما الى المؤمنين فقول آخر أسند المصنف رحمه الله تعالى لبيانه الحديث الآتي وان قال التجاني انه غريب لانه يدور سنده على اسمعيل بن مهاجر وهو ضعيف عند المحدثين وقول التلمساني انه أبو البشر الاسدي قيل انه وهم وقيل مفاد الآية الثانية نفي الاستغفار عن كفار مكة وانها ليست كالاولى في انتفاء التعذيب لوجود الاستغفار كانتفائه بوجود النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم لان استحقاق العذاب يدل على عدمه اذ لو استغفروا ما استحقوه وفي حواشي الفاضل اليمني انه نوع من الكناية نظيره وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فان الاهلاك دليل على افسادهم اذ لو أصلحوا ما أهلكهم انتهى وفي تفسير ابن الجوزي معنى الآية على قول لو استغفروا لما عذبهم ولكنهم لم يستغفروا فاستحقوا العذاب كما تقول ما كنت لاهينك وأنت تكرمني أي ما كنت لاهينك لو أكرمتني فاما اذا لست تكرمني فانت مستحق لاهانتي وهو مختار أهل اللغة وتغيير الاسلوب تفننا للاشعار بان عدم عذاب المستغفر أمر مستمر وقيل معذبهم وارد على الاصل وعبر بالفعل أولا ليتهيأ دخول اللام على خبر كان لتاكيد النفي وافادة المبالغة في نفي التعذيب بسببه وبالاستغفار فظهر الفرق بين مقامه ومقامهم حتى لو قيل معذبهم فيهم لم يظهر وهذا على رأي الكوفيين من ان اللام في مثله زائدة لتاكيد النفي وعند البصريين انها جارة متعلقة بخبر كان المقدر في ما كان زيد ليفعل أي قاصدا لان يفعل وعلى هذا يفيد المبالغة أيضا لان نفي القصد أبلغ من نفي الفعل ولذا قالوا في قوله * ياعاذلاتي لاتردن ملامتي * انه أبلغ من لا تلمني فان قلت ان كان المراد المنفي فقد انتفى بهجرته صلى الله تعالى عليه وسلم فلا وجه لتقييده وان كان المثبت غيره فلا حاجة لتقييده بالخروج * قلت أجيب بان المنفي استئصال كل كافر والمقيد من هو فيهم أو نفي مطلقا ومقيدا والتقييد في المثبت لبيان الواقع ونزول الآية فيه وخصوص المورد لا ينافي عموم الحكم وهذه أجوبة متكلفة باردة والحق عندي انه لا منافاة بين الآيتين لان قوله تعالى ومالهم الا يعذبهم الله معناه أي شئ لهم استحقوا به عدم العذاب في أنفسهم فان حل بهم فباستحقاقهم والا فبحكمة منه وليس فيه انه نزل بهم عذاب حتى تكلف لدفعه وان قلنا المنفي الاستئصال فالقيد مبين لسببه وهو وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم بين أظهرهم واستغفار مؤمني أمته وهذا أمر غير منقطع اذ ليس المراد استغفار المستضعفين فقط والمثبت غير الاستئصال له أنواع كثيرة كالقحط والقتل والاسر والواقع بعد خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم نوع غير ما كان قبله فالتقييد في محله كما لا يخفى ومعنى قوله تعالى وهم يستغفرون أي وفيهم مؤمن أو وفي اصلابهم من سيؤمن ويستغفر وهذا كله بسبب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه من مدحه والتنويه بشأن الاستغفار ما لا يخفى (وهذا مثل قوله تعالى)

(لوتزيلوا الآية) أى وماذكر ممادل على امهالهم وتاخير العذاب فى أجالهم لاجل من فيهامن المؤمنين ونحن بن أفعالهم وأقوالهم مثل
قوله سبحانه وتعالى لوتزيلوا أى لوتفرقوا وتميز المؤمنون من الكافرين لعذبنا الذين كفروا منهم أى من أهل مكة عذابا أليما بالقتل
والاسر (وقوله) أى ومثل قوله تعالى (ولولا رجال مؤمنون الآية) أى ونساء مؤمنات بمكة لم تعلموهم أى باعيانهم لاختلاطهم باهل
كفرهم وطغيانهم ان تطاؤهم بدل اشتمال من رجال ونساء أومن ضميرهم فى تعلموهم أى ان تدوسوهم فتهلكوهم

ومنه الحديث آخر وطاة وطأها الله برج واد بالطائف فتصيبكم منهم معرة من عره اذا غشيه بمكروه أى فيغشاكم من جهتهم مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار لكم به والاثم بتقصيركم فى البحث عنهم (بغير علم) حال أى ان تطاؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا مؤمنين ومؤمنات بين أظهر الكفار جاهلين بهم فيصيبكم مكروه باهلاكهم لما كف أيديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله فى رحمته من يشاء علة لمادل عليه كف الايدى عنهم صونا لمن فيهامن المؤمنين أى كان ذلك لاجل ان يدخل الله فى رحمته من يشاء من مؤمنيهم أومشركيهم أومنهما بتوفيقه للاسلام أولزيادة الخير والانعام (فلما هاجر المؤمنون) اى من مكة (نزل

وماالهم ان لايعذبهم الله) أى ومايمنع من تعذيبهم بعدان فارقتهم والمؤمنون وكيف لايعذبون وهم يصدون عن على
المسجد الحرام وماكانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لايعلمون (وهذا) أى ماذكر من دلالة الآية على تاخير العذاب
عنهم وهو فيهم (من أبين مايظهر مكانته) أى من أظهر دليل يبين علو مرتبته ورفعة شانه وعظمته (صلى الله تعالى عليه وسلم) لكل
أحد عند ربه (ودرأته) وقع بخط بعض الاكابر هنا درأبه على انه فعل ماض وجار ومجرور أى دفع به والظاهر انه تصحيف والصواب انه
يكسر الدال المهملة وسكون الراء وهمزوتاء أى ومن أبين مايظهرها دفعه سبحانه (العذاب

(لوتزيلوا الآية) هذا اشاره الى ماذكر من رفع العذاب عن أهل مكة بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم
و بسبب أصحابه ومآلا صحابه انما هو ببركته أيضا ولاجل عين ألف عين تكرم وامهالهم ماذكر فى هذه
الآية أيضا وهو قوله تعالى فى سورة الفتح ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم
فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لوتزيلوا لعذبنا الذين كفر وامنهم عذابا أليما
ومعنى تزيلوا تميز واوتفرقوا أى تميز المؤمنون من الكفار بخروجهم من بينهم *وروى القرطبى عن
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان معناه لوتزيل المؤمنون على اصلاب الكفار واستشكل بان الوصف
بالوطئ والمعرة لايصح فى الذين فى الارحام * وأجيب بانه يجعل مرجع الضمير الموجودين على
الاستخدام أى لوانتفى الامران عذبوا أى لولا كراهة ان توقعوا برجال ونساء مؤمنين معلومين القتل
ووطىء الخيل فتلحقكم معرة أى عيب وعار من جهتهم أومن المشركين بقولهم انكم قتلتم أهل دينكم
لعذب أهل مكة عذابا أليما بالقتل وان تطؤهم بدل من المرفوع بتقدير كراهة ان وغلب الرجال على
النساء فى الضمير وجواب لولا محذوف لدلالة جواب لو عليه وسد مسده لاتحاد معناهما مآلا وبقية
الكلام على الآية مفصل فى كتب التفسير (وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية)
هذا مع ماقبله كلام واحد وهذا مقدم فى التلاوة وانما أخره المصنف رحمه الله تعالى وأفرزه ماتقدم عنه
مع انه من تتمته للتنبيه على ان الاستشهاد لماقاله بموضعين من هذه الآية وان قوله تعالى لوتزيلوا ليس
تاكيدا لماقبله ولعذبنا جواب الاول كماجوزه بعضهم فلا استشهاد فيه فاشار بعكس الترتيب الى رده
بابلغ وجه والحاصل ان المعنى ان بين الكفار جماعة مسلمين لم يعرفوهم لولا كراهة ان توقعوا بهم من
غير علم فيصيبكم ماتكرهون من الغرم والدية لعذبنا الكفار بتسليطكم عليهم وعن الضحاك لولا جماعة
فى الاصلاب والارحام نكره ان تطؤا آباءهم وأمهاتهم فتلحقكم المعرة بانهم لولم يقتلوا جاءت أمة مسلمة
منهم كمامر أولولا من علم الله تعالى انه سيؤمن منهم وبالجملة فالمراد ان وجود المؤمنين مانع وان اختلفت
جهة المنع (فلماهاجر المؤمنون) من مكة ولم يبق أحد منهم مختلطا بالكفار (نزلت) آية (ومالهم الا
يعذبهم الله الآية) فيوقع بهم القهر والقتل وهو اعتذار عن الرجوع من الحديبية (وهذا من أبين)
أى من أظهر شئ فى رفعة قدره صلى الله تعالى عليه وسلم عند ربه كما أشار اليه بقوله (مايظهر مكانته صلى
الله تعالى عليه وسلم) وقوله (ودرء العذاب) بدال مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة يليها همزة
مقصورة وضميره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى أكثر النسخ المصححة وفى بعضها درأته بتاء مصدر
بزنة الضربة وهى بمعنى ماقبلها أيضا وفى بعضها درأبه فعل ماض بعده جار ومجرور متعلق به وفى شرح
الشريف انه فى غالب النسخ معطوف ومعناه يظهر بتكلف أوحال وفى بعض النسخ بالعذاب
وهو من غلط الكتاب والصواب العذاب بلاباء وفى حواشى التلمسانى درأته وقال هكذا فى نسخة
الشارح اسم بكسر الدال المهملة وسكون الراء وتاء أى دفعه ومنه قوله تعالى ويدرأ عنها العذاب
أى يدفع قال ودرأته معطوف على قوله من أبين مايظهر مكانته ووقع بخط العزفى وهو الذى
عند ابن سيدى الحسن ودرأبه فعل ماض انتهى وعلى الاولى وهى الاصح هو منصوب معطوف

عن أهل مكة بسبب كونه) أي وجوده المتضمن لكرمه وجوده فيهم لانه بعث رحمة للعالمين (ثم كون أصحابه) بجر الكون عطفا على ماتقدم (بعده بين أظهرهم) أي بينهم وفي جوارهم فلفظ أظهرهم مقحم للمبالغة (فلما اخلت مكة منهم عذبهم) أي الله كما في نسخة (بتسليط المؤمنين عليهم) أي بتسليط رسوله اياهم وأبعد التلمساني . فسر التسليط بالقهر (وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم) بتشديد الكاف المفتوحة أي جعلها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حكما فيهم حدا وصفه اقتلا وقطعا واسرا (وأورثهم أرضهم) أي مزارعهم (وديارهم) أي بيوتهم وحصونهم ومعاقلهم (وأموالهم) أي نقدهم وأثاثهم ومواشيهم روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال لهم ان لكم منازلكم وروى انه قال لهم اما ترضون ان الناس يرجعون بالاموال الى بلادهم وأنتم ترجعون برسول الله الى أهليكم وقال عمر رضى الله تعالى عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا انما جعلت هذه لي طعمة وهذا صريح بان مكة فتحت عنوة وعليه الامام أبو حنيفة والاكثرون من أهل العلم وعن الامام الشافعي انها فتحت صلحا ومن ثمه كان يجيز اجارة دورها وبيعها بدليل حديث وهل ترك لنا عقيل من رباع لكن لايخفى بعد وجه الاستدلال به وأبعد من قال فتح أعلاها صلحا وأسفلها عنوة (وفى الآية) أي آية وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (أيضا تاويل آخر) وهو ان الضميرين راجعان الى الكفار فيحتمل أن يكون وهم يستغفرون في موضع الحال بتقدير ان لو كان أي وما كان الله معذبهم وهم بحال توبة واستغفار من كفرهم لو وقع منهم واختاره الطبرى وأن يكون اشارة الى من سبق في علم الله انه يؤمن منهم أو ذريتهم أي وما كان الله معذبهم ومنهم من يخرج فيستغفر الله ويؤمن به واختاره الزجاج وأن يكون اشارة الى قولهم في دعائهم غفرانك اللهم فجعله الله كما قال ابن عطية امانا لهم من عذاب الدنيا كما قرره الدلجي والاظهر ما حرره المنجاني من أن التاويل الآخر الذى

على مكانته (عن أهل مكة بسبب كونه) أي وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها (ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم) ثم أشار الى مكثهم مدة متطاولة والبعد باعتبار آخر المدة أو هي للتراخي الرتبي وأما جعلها للتعقيب بلا مهلة فغير ظاهر وبين أظهرهم بمعنى الاقامة معهم يقال هو نازل بين ظهرانيهم بفتح النون قال ابن فارس ولا تكسر وقال جماعة الالف والنون زائدتان للتاكيد وبين ظهرهم وأظهرهم كلها بمعنى بينهم وفائدة ادخاله في الكلام ان اقامته صلى الله تعالى عليه وسلم بينهم على سبيل الاستظهار بهم والاسناد اليهم وكان المعنى ان ظهرا منهم قدامه وظهرا وراءه فكأنه مكنون من جانبيه هذا أصله ثم كثر حتى استعمل في مطلق الاقامة هذا ما عليه أكثر أهل اللغة كما في المصباح والنهاية فتفسيره بالعزة أو بعدم الغيبة والظهور لان الظهر أظهر من البطن غير مناسب للغة وحال المستضعفين (فلما اخلت مكة منهم) أي من الصحابة رضى الله تعالى عنهم (عذبهم الله) أي كفار مكة (بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم) وليس فيه تفكيك الضمير لظهور المعنى وليس الظاهر أن يقول تغليبهم بدل غلبتهم كما توهم ومثله مما يلتفت اليه (وحكم فيهم سيوفهم) حكم بتشديد الكاف أي جعلها حاكمة على رقابهم وهى استعارة لطيفة أي جعلهم في قهرهم متمكنين من قتلهم والتصرف فيهم ولذا كان الانسب التعبير بالغلبة قبله (وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم) ان فسرت الارض بما لابناء فيه مما يعد للزراعة ونحوها والديار بالمساكن المبنية والاموال بما عدا ذلك من المتاع والانعام والنقود وسائر المنقولات فهى متغايرة والعطف ظاهر وليس فيها عطف عام على خاص كما قيل بان تحمل الاموال على مطلق مايملك والتعبير عن الحيازة والتملك بالارث مجاز مشهور صار حقيقة فيما ذكر والتعبير به هنا فيه لطف لما بينهم من القرابة وفي كلامه ما يرشد الى ان مكة فتحت عنوة كما ذهب اليه أبو حنيفة رحمه الله تعالى والجمهور كما جزم به البرهان الحلبي وتبعه بعض الشراح وما قيل انه لا ينافي كونها فتحت صلحا كما توهم لا وجه له وفيها اقول ثالث ان بعضها افتتح صلحا وبعضها عنوة ثم ان البرهان رحمه الله استطرد هنا ذكر خبر مكة وتفصيل فتوحاتها باعتبار الصلح والعنوة والصحيح ان فتح مكة عنوة عند امامنا الاعظم كما مر (وفى الآية أيضا تاويل آخر) تعريف الآية للعهد والمراد بها وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون والتأويل السابق محصله ان الله لا يعذب الكفار وأنت فيهم ولا يعذبهم أيضا وبقية الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فيهم يستغفرون الله فضمائر الغيبة للكفار الا ضميرهم وضمير يستغفرون ولذا ذهب بعض الشراح الى ان المراد بالتاويل الآخر جعل الضميرين الاخيرين للكفار والجملة حالية أي ما كان الله معذب الكفار لو تابوا واستغفروا من كفرهم واختاره الطبرى أو هو اشارة الى ما سبق في علم الله من ان منهم ومن ذريتهم من يسلم أي ما كان الله معذبهم ومنهم من سيخرج فيؤمن ويستغفر واختاره الزجاج أو هو اشارة الى قولهم في دعائهم غفرانك اللهم فجعله الله امانا لهم واختاره ابن عطية وقوله أيضا اشارة الى التاويل السابق أو الى غيرها من الآيات المؤولة ولا مسامحة فيه كما قيل وفيها تاويلات كما مر من ان المنفي الاستئصال في الدنيا والمثبت عذاب

ذكره القاضي في هذه الآية مبني على ان الضمير بن معا عائدان على المؤمنين لما اسنده القاضي من الحديث لينبه به وهو قوله (حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه) وهو الحافظ ابن سكرة كما سبق (حدثنا أبو الفضل ابن خيرون) الصرف وعدمه فعلون من الخير ضد الشر وقد تقدم ذكره (وأبو الحسين) بالتصغير على الصحيح (الصيرفي) وهو المبارك ابن عبد الجبار وتقدم ترجمته (قالا) أي أبو الفضل وأبو الحسين كلاهما (حدثنا أبو يعلى ابن زوج الحرة) بضم حاء مهملة وتشديد راء وقد سبق (حدثنا أبو علي السنجي) تقدم انه بكسر السين المهملة وسكون النون فجيم فياء نسبة (حدثنا محمد بن احمد بن محبوب المروزي) بفتح الميم والواو نسبة الى مرو وهو أبو العباس راوي جامع ٢٦٠ الترمذي كما سبق (حدثنا أبو عيسى الحافظ) أي الترمذي صاحب السنن (حدثنا سفيان ابن وكيع) أي ابن الجراح يروي عن أبيه ومطلب ابن زياد وعنه الترمذي وابن ماجه شيخ صدوق الا انه ابتلي بوراق سوء كان يدخل عليه فكلم في ذلك فلم يرجع مات سنة سبع وتسعين ومائة (حدثنا ابن نمير) بضم نون وفتح ميم وسكون ياء فراء يكنى أبا عبد الرحمن الهمداني الكوفي واسمه عبد الله يروي عن هشام بن عروة والاعمش وعنه ابنه واحمد وابن معين حجة اخرج له الجماعة مات سنة أربع وثلاثين ومائتين (عن اسمعيل بن ابراهيم ابن مهاجر) بكسر الجيم وهو أبو بشر الاسدي مولاهم البصري يروي عن أبيه وعدة وعنه أبو نعيم وطلق ابن غنام ضعيف اخرج له الترمذي وابن ماجه (عن عباد بن يوسف) بفتح عين مهملة وتشديد موحدة وهو أبو عثمان الكندي ثقة وقيل ابن سعيد وقيل هو عبادة بن يوسف والاول اصح بصري ثقة واسمه روى عن ابي بردة وروى عنه اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر كذا ذكره التلمساني واضطرب كلام الحلبي فيه (عن ابي بردة) بضم الموحدة والصحيح ان اسمه عامر وهو قاضي الكوفة (ابن ابي موسى) يروي عن أبيه وعن علي والزبير وعنه بنوه عبد الله ويوسف وسعيد وبلال وحفيده بريد بن عبد الله وكان من النبلاء توفي سنة أربع ومائة اخرج له الجماعة (عن أبيه) وهو أبو موسى الاشعري عبد الله بن قيس ابن سليم بضم ففتح أمير زبيد وعدن للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأمير البصرة والكوفة لعمر رضي الله تعالى عنهما روى عنه بنوه أبو بكر وابراهيم وموسى مناقبه جمة توفي سنة أربع وأربعين اخرج له الجماعة والحديث الذي اخرجه المؤلف هنا انفرد الترمذي باخراجه من بين الستة ذكره في التفسير وقال غريب واسمعيل يضعف في الحديث انتهى ويقويه انه رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا وأبو الشيخ نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفا أيضا

الآخرة أو الاوليان من مقالة الكفرة والثالثة ردلهما وقيل ان المصنف رحمه الله تعالى أشار الى ما يفهم من الحديث من ان حياته صلى الله تعالى عليه وسلم واستغفار المؤمنين مطلقا دافع للعذاب أو المؤمن لا يعذب مادام مستغفرا فضمير الغائبين للمؤمنين أي ما كان الله ليعذب المؤمنين بضرب من عذاب من قبلهم وأنت حي وهم يستغفرون أو الآية على تأويلها الاول ولكن اذا لم يعذب الكفار بهذين السببين فالمؤمنون بالطريق الاولى ففيها أمان للفريقين والامة في الحديث الآتي المراد بها أمة الدعوة وان كان في بعض التأويلات أمة الاجابة (حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله تعالى) ابن سكرة الحافظ وقد تقدمت ترجمته (بقراءتي عليه) أي لا بالسماع وغيره من وجوه الرواية قال (حدثنا أبو الفضل ابن خيرون) تقدم الكلام عليه أيضا (وأبو الحسين الصيرفي) قال البرهان كان في الاصل أبو الحسن فصحح في الطرة الحسين بالتصغير وهو الصواب وهو المبارك بن عبد الجبار كما تقدم وقد وقع له ذكر أيضا في أول فصل تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم في القيامة وكتبه أبو الحسن أيضا ولم ينبه عليه احد فكتب تجاهه ما مر (قالا حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة) هو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر وقد تقدم الكلام عليه والحرة بضم الحاء المهملة وتشديد الراء وبالهاء قال (حدثنا أبو علي السنجي) الحسن بن محمد وقد تقدم الكلام عليه وضبط السنجي بكسر السين المهملة والنون الساكنة والجيم وياء النسبة قال (حدثنا محمد بن محبوب المروزي) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه راوي جامع الترمذي عنه قال (حدثنا أبو عيسى الحافظ) هو الامام الترمذي صاحب السنن وتقدم الكلام عليه قال (حدثنا سفيان بن وكيع) أبو محمد بن الجراح الكوفي وله ترجمة في الميزان وهو ممن ضعفه الذهبي توفي سنة سبع وأربعين ومائتين وروى عنه في السنن قال (حدثنا ابن نمير) بالنون والميم وآخره راء مهملة بصيغة التصغير وهو محمد أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن نمير المحدث الهمداني الكوفي توفي سنة أربع وتسعين ومائة وقيل سنة أربع وثلاثين ومائتين وهو الاصح (عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر) وابن مهاجر سقط من بعض النسخ وهو بجلي من تبع التابعين وقول التلمساني انه أبو بشر الاسدي قيل انه وهم كما مر وفي التقريب انه ابن ابراهيم بن مقيم وهو ثقة وابن مهاجر ضعيف (عن عباد بن يوسف) بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة وهو كندي حمصي ثقة وقيل اسمه عبادة والذي صححه المزي وابن حجر الاول وهو ثقة مقبول الرواية (عن أبي بردة ابن ابي موسى) عامر بن عبد الله وبردة بضم الموحدة وهو ثقة توفي سنة أربع ومائة على قوله (عن أبيه) ابي موسى الاشعري الصحابي المشهور

(قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنزل الله على أمانين لامتى) يحتمل أمة الاجابة وهو ظاهر الآية ويحتمل أمة الدعوة وهو الملائم لعموم الرحمة الامنة (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) وهذه الامنة ظاهرة فى عمومهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهذه الامنة لائحة لخصوصهم ويؤيده قوله (فاذا مضيت) أى انتقلت من دار الاكدار الى دار القرار (تركت فيكم الاستغفار) أى فعليكم بالاكثار منه فى الليل والنهار ولا يبعد ان يكون الاستغفار من الابرار سببا وباعثا لدفع عذاب الاستئصال عن الكفار ويؤيده قوله (ونحو منه) أى من هذا الحديث فى المعنى (قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) لان ما بعث به سبب لاسعادهم وموجب لاصلاح معاشهم ومعادهم وكونه رحمة للكفار وأهل فسادهم أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال فى بلادهم (قال عليه الصلاة والسلام أنا امان لاصحابى) وفى لفظ انا امنة لاصحابى وهو حديث صحيح رواه مسلم عن سعيد بن بردة عن أبيه عن أبى موسى قال صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء فخرج علينا فقال مازلتم ههنا قلنا نعم فقال أجدتم أو أحسنتم قال فرفع رأسه الى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه الى السماء فقال النجوم امنة للسماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ماتوعد وانا امنة لاصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى وأمتى ما يوعدون قال المنجانى وفى لفظ هذا الحديث امنة وفى الحديث الذى ذكره القاضى امان ولعلهما روايتان فى الحديث أقول أو نقل القاضى بالمعنى مع قرب المبنى اذ الامنة بضم الهمزة والميم والامن والامان بمعنى واحد على ما ذكره المنجانى والظاهر انه بفتحهما على ما فى القاموس هذا ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم أراد بذهاب النجوم انتثارها لقوله تعالى واذا الكواكب انتثرت وباتيان السماء ماتوعد انفطارها وتبديلها كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وباتيان أصحابه ما يوعدون ما أنذرهم به من الفتن والارتداد وباتيان امته ما يوعدون ما أخبرهم به من ظهور البدع

واسمه عامر بن عبد الله بن قيس وقيل الحارث أحد الحكمين توفى بمكة أو بالكوفة سنة أربع وأربعين أو اثنين وخمسين ومائة ونسبته الى اشعر لقب لابى القبيلة المعروفة باليمن لقب به لانه ولد وعليه شعر وهذا الحديث أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهم موقوفا عليهما وهو حديث غريب ضعيف وفيه نظر (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنزل الله تعالى على) أى أوحى الى بقرآن يدل على (امانين لامتى) أى شيئين فيهما ما يدل على ما يدل على ان الله أمن أمتى من العذاب بهما وهما قوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) قد تقدم ان الآيتين فى المؤمنين أو الكفار أو فيهما وكذا هذا الحديث محتمل لذلك لان المراد أمة الدعوة والاجابة على ما عرف وقيل ان مقتضى الحديث شمول الآية للمؤمنين وظاهر النص وكلام المفسرين ان الآيتين فى الكفار الا ان يجمع بينهما بان حال المؤمنين يعلم بدلالة النص والطريق الاولى وانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم منهما عموم الحكم وحمل الحديث على الكفرة بعيد جدا وعلى ظاهر الحديث يجوز عود الضمير فى الآية على الامة لكونه فيهم مدة حياته صلى الله تعالى عليه وسلم سواء كانوا مؤمنين أو كافرين فيعم الحكم بنوع تكلف كلام مضطرب متكلف (فاذا مضيت) أى ارتحلت للآخرة (تركت فيكم) وفى رواية فيهم أى خلفت بعدى بضم تاء المتكلم (الاستغفار) أى اذا مت بقى فيكم الامان الآخر فاذا تركتموه حل بكم العذاب جزما أو احتمالا والاستغفار هو الدعاء بالمغفرة المعروف وقيل المراد به الصلاة وقيل الاسلام وعلى رواية فيكم فيه التفات من الغيبة للخطاب اشارة الى ان انتفاء التعذيب عنهم بالاستغفار دون انتفائه بكونه فيهم وبه يعلم وجه قوله ليعذبهم أولا دون معذبهم وهو مناسب لنزول صدر الآية بمكة وعجزها بعد خروجه صلى الله عليه وسلم وترك بقية المؤمنين بها كما قيل وفيه نظر (ونحو منه) منه متعلق بنحو لتضمنه معنى قريب أى فيه نوع مماثلة بحسب المعنى لما مر من رحمة الكفار بتاخير العذاب (قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) أى لجميع الخلق حتى الكفار والجماد والحيوان لاصلاحهم واسعافهم فى أمور معاشهم ومعادهم وأمنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال وغير ذلك مما نزل بالامم السالفة وكل ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا امان لاصحابى) كونه صلى الله تعالى عليه وسلم امانا لاصحابه من كل ما يخافون ارقطعى وهو أعم مما حكاه المصنف رحمه الله تعالى بقيل الآتى وينبغى ان يكون هذا مندرجا تحت قوله وولايته له كما قيل وهذا الحديث رواه مسلم عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه قال صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلى العشاء فخرج علينا فقال مازلتم ههنا قلنا يا رسول الله صلينا المغرب معك ثم قلنا نجلس حتى نصلى معك العشاء فقال أحسنتم ورفع رأسه الى السماء وكان كثيرا ما يرفعها فقال النجوم أمنة للسماء فاذا ذهبت أتى السماء ماتوعد وانا امنة لاصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون وأصحابى امنة لامتى فاذا ذهبت أصحابى أتى أمتى ما يوعدون فاذكره المصنف رحمه

الله تعالى رواية موافقة لرواية مسلم أوهى رواية مسلم بالمعنى لان امنة بفتحات مصدر بمعنى الامان وان
ورد جمعا لامين بمعنى الحافظ كخدمة كما فى النهاية والمراد الاول لقول ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كان
صلى الله تعالى عليه وسلم امانا لهم والاستغفار فهاجر وبقى الاستغفار كما رواه فى اللباب ومن هنا علم انه
يجوز ان يكون معنى مضت السابق هاجرت فلا التفات وان احتمل أيضا والمراد بذهاب النجوم
انتثارها بشهادة واذا الكواكب انتثرت وماتوعده السماء انفطارها وتبديلها المذكور فى قوله اذا
السماء انفطرت ويوم تبدل الارض وهو تمثيل وايماء الى ان أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم كالنجوم
فى الامة وماأوعده أصحابه رضى الله تعالى عنهم الفتن والردة بعده والموعود به الامة ماأنذرهم من
البدع والاختلاف والهرج وغلبة الروم وتخريب مكه والمدينة وغير ذلك مما كان أكثره وبقى مالا
شك فى كونه وفيه دلالة على ظهور الشر بعد ذهاب أهل الخير فانه صلى الله تعالى عليه وسلم مادام حيا
لم يقع شئ من ذلك ولا اختلاف وبعده وقع الاختلاف ثم لما انقرض عصر الصحابة رضى الله عنهم
قوى الظلم لذهاب الانوار كالسماء عند ذهاب النجوم قيل الامان المذكور ما كان فى حياته صلى الله
عليه وسلم لا فى حياته وموته كما توهم كما لايخفى فمن حمله عليه فقد أخطا وفيه نظر (قيل من البدع) جمع
بدعة وهى مالم يعلم من الشرع لا صريحا ولا استنباطا وليست كلها مردودة كما يوهمه قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار فان الفقهاء قالوا تجرى فيها الاحكام كلها فمنها ماهو حرام
كانواع السياسة التى لم تكن فى العصر الاول ومنها ماهو مكروه كتكبير العمامة وتوسيع اللباس
وتطويله ومنها ماهو مباح كاحداث بعض الاطعمة ومنها ماهو واجب كدقائق علم الكلام التى تلزم
بها الكفرة وأهل الاهواء وماهو مستحب كاحداث المدارس والرباطات وقد استوفى اقسامها ابن
الحاج فى المداخل وهو كتاب لم يصنف فى بابه مثله وان كان فيه أمور غير مسلمة (وقيل من الاختلاف
والفتن) المراد بالاختلاف مايشمل الخلاف وهو مخالفة العلماء والفقهاء والحكام من غير دليل
معمول به وان كان ذلك مطلقا لم يقع فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم لمعرفة حقيقة كل أمر بالوحى واما
الاختلاف الذى وقع عنده صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى الاحاديث الصحيحة من ان النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم قال فى مرضه ائتونى بدواة اكتب لكم كتابا لاتضلون به من بعدى فقال عمر رضى الله
تعالى عنه ان الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله فلغط الناس فقال اخرجوا عنى لا ينبغى التنازع لدى فقال
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الرزية كل الرزية ماحال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فهذا مما شنع به الرافضة على عمر رضى الله تعالى عنه وسياتى بيان ذلك آخر الكتاب وقال
صاحب الملل والنحل هو أول اختلاف وقع فى الاسلام وقال ابن تيمية فى كتاب الرد على الرافضة لايخفى
ان عمر رضى الله تعالى عنه ثبت من فضله وعلمه مالم يثبت لغيره وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان
يكن فى أمتى محدث فعمر وقصة هذا الكتاب قد جاءت مفصلة فى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى
عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها فى مرضه ادعى لى أباك وأخاك حتى أكتب كتابا فانى أخاف ان
يتمنى متمن ويقول قائل انا أولى بالخلافة ويابى الله والمؤمنون الا أبابكر وقد اشتبه على عمر رضى الله عنه
قوله هذا هل كان من شدة المرض أم لا والانبياء عليهم الصلاة والسلام غير معصومين عن اعراض المرض
ولذا عبر بالرجل وقال اهجر ولم يجزم بانه هجر وعلم ان الكتاب لايرفع الشك واما قول ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما الرزية الخ فلان الحائل عنه رزية فى حق من شك ومن توهم انه خلافة على كرم الله تعالى
وجهه فهو ضال والحاضرون جماعة يجيء منهم جحده ولو كتب فلذا تركه لتحقق مافيه عنده انتهى
وحديث اختلاف أمتى رحمة لم يثبت وهو ماول أيضا والصحابة رضى الله تعالى عنهم عند الاختلاف
مجتهدون فى ادراك الوقائع والاتفاق أولى على كل حال وقد يؤدى الخلاف الى مالاينبغى قيل والحق

واختلاف الآراء والهرج
وغلبة الروم وتخريب
الكعبة وغير ذلك مما
وقع أكثره وبقى مالابد من
وقوعه وبكونه امانا
لاصحابه (قيل من البدع)
فلم يكن منهم من ارتكب
بدعة بشهادة حديث
أصحابى كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم (وقيل
من الاختلاف والفتن)
قال الدلجى وفيه مافيه
لكن الزمنا الكف عما
جرى بينهم بصدوره منهم
اجتهادا بتاويلات صحيحة
للمصيب اجران على
اجتهاده واصابته
وللمخطئ أجر على اجتهاده
بشهادة حديث الشيخين
ان الحاكم اذا اجتهد
فاصاب فله اجران واذا
اجتهد فاخطا فله أجر
واحد انتهى وفيه مافيه
لان ماجرى بينهم ماجرى
منهم الا بعد غيبته صلى
الله تعالى عليه وسلم عنهم
وارتفاع الامان منهم
وليس معنى قوله امان
لاصحابى انهم فى امن من
الفتنة الى آخر اعمارهم
بل مقيد بمدة كونه فيهم
ولذا قال واذا ذهبت
أتى أصحابى مايوعدون

ان المجتهد اذا غفل وأخطأ فله أجر كما أنه اذا أصاب فله أجران ولا يضره خطاه بل ينفعه * أقول هذا وان اشتهر فقد قال ابن عبد السلام الحق خلافه والحديث الذى رواه عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا حكم الحاكم واجتهد وأصاب فله أجران وان حكم واجتهد ثم أخطأ فله أجر قال ابن عبد البر فى كتاب العلم اختلف العلماء فى تأويل هذا الحديث فقال قوم لا يؤجر من أخطأ لان الخطأ لا يؤجر أحد عليه وحسبه أن يرفع عنه الاثم وردوا هذا الحديث بحديث بريدة رضى الله تعالى عنه القضاة ثلاثة وبقوله صلى الله تعالى عليه وسلم تجاوز الله لامتى عن خطاها ونسيانها وقوله تعالى (ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) ونحوه وقال آخرون يؤجر أجرا واحدا الظاهر الحديث وقال الشافعى يؤجر لا على الخطأ لان الخطأ فى الدين لم يؤمر به أحد وانما يؤجر لارادته الحق الذى أخطأه وسعيه فيه انتهى وهو معنى لطيف جمع بين القولين والفتن جمع فتنة وأصل معناها الاختبار فاطلقت على المصائب ومايختبر به والمراد بها الحروب والارتداد وكل ماجرى بعده صلى الله تعالى عليه وسلم بين الصحابة فهو عام ومناسبته للترجمة ودخوله فى ولايته له ظاهر (قال بعضهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم ماعاش ومادامت سنته باقية) فذاته الشريفة نفس الامان أو وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم أمان من كل مكروه بالدفع والرفع فهو الامان لا غيره لتعريف الطرفين كما يشير اليه قوله تعالى (وأنت فيهم) وسنته طريقته التى شرعها ومنها الاستغفار ولذا فسر بعام وبقاؤها ببقاء نوعها والعمل بمثلها (فهو باق) الضمير للامان أو للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لان بقاء شرعه كبقائه فيكون الامان الاعظم كالباقى لتنزيل بقاء سنته منزلة بقائه كما يشير اليه قوله تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهذا مبنى على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أمان للمؤمنين والكافرين كما مر ولذا كان أعظم ومافى الجملتين ظرفية مصدرية والثانية معطوفة على الاولى وقيل هو ركيك وكأنه جعل الثانية شرطية وجملة الشرط معطوفة على ماقبله أى ان دامت السنة فالرسول وأمانه باق كما بينه بقوله (فاذا أميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن) وفى بعض النسخ فانتظر مفردا باعتبار المخاطب وان كان الحكم عاما ومعنى أميتت بصيغة المجهول تركت على الاستعارة أى لم يعمل بها ولم يحرص الناس على تعلمها بان غلب فيهم ذلك لا الترك بالكلية فانه من أشراط الساعة والبلاء بفتح الباء وبالمد المصائب كالطاعون والظلم والفتن محاربة الناس بعضهم بعضا كما مر نسأل الله تعالى العفو والعافية وليسا مترادفين كما قاله التلمسانى وفى كون الاستغفار قائما مقام الامان الاعظم دون غيره سر لم ينبه و عليه فتنبه (وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) انما ذكره هنا لدلالته على عظم شانه وتولى الله أموره وسيأتى الكلام مفصلا فى الصلاة فى الباب المعقود لها (أبان الله تعالى) أظهر أو فصله عن غيره (فضل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته) ثم للتراخى الرتبى أو الذكرى بجعل مقصيه كما فصل فى قوله تعالى (ذلك الكتاب) قيل وفيه اشارة الى اختيار أحد القولين فى الضمير فى قوله (يصلون) انه لله والملائكة كما تقدم (وأمر عباده) أمر مصدر مجرور بعطفه على صلاته أو فعل معطوف على ابان كما صححه البرهان لا على فضل بتقدير أن المصدرية لانه تكلف من غير داع والمراد بعباده المؤمنون المكلفون أو الاعم بناء على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وكون الامر للوجوب أو الندب سيأتى وعباد جمع عبد وله جموع كثيرة تزيد على عشرين جمع ابن مالك رحمه الله غالبها فى شعره المشهور

عباد عبيد جمع عبد واعبد * اعابد معبوداء معبدة عبد
كذلك عبدان وعبدان أثبتا * كذاك العبدا وامدد ان شئت ان تمد

(قال بعضهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم) أى لا غيره وان كان أصحابه أيضا أمانا (ماعاش ومادامت سنته) المستمرة المعتادة له (باقية) أى ثابتة موجودة وهى بالنصب خبر دام وما شرطية جزاؤها قوله (فهو باق) أى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم باق حكما لبقاء حكمه فى أمته (فاذا أميتت سنته) أى عدمت وفنيت وتركت ولم يعمل بهما أو عمل بخلافها (فانتظر البلاء والفتن) الخطاب عام لما فى نسخة فانتظروا البلاء وكان الاولى أن يقال فينتظر البلاء والفتن أى المحن الدنيوية والفتن الدينية وقيل المعنى فاذا أميتت سنته بموت أهلها فانتظروا البلاء والفتن بدليل حديث ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عامل أو لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا (وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) تقدم بعض الكلام عليها (أبان الله تعالى) أى أظهر وبين (فضل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلاته عليه) أى أولا تعظيما (ثم بصلاة ملائكته) أى ثانيا تكريما (وأمر عباده

بالصلاة والتسليم عليه) أي بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وفي نسخة وأمر عباده بالجر والاضافة عطفا على صلاته أي ويأمر عباده بهما عليه تأنيا بأن يقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الخ على ما ورد في حديث الصلاة أو بأن يقولوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته كما في حديث التشهد وذلك يدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة كما ذكر لحديث رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله وجوز الصلاة على غير ملك ونبي تبعا ويكره استقلالا لكونها في العرف شعارا لذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن ثمة كره أن يقول محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا وقيل

المراد بالتسليم هو الانقياد لاوامره (فالصلاة) أي مطلقا (من الملائكة ومنا) أي بني آدم (له دعاء) لحديث اذا دعي أحدكم الى طعام فليجب وان كان صائما فليصل أي فليدع ووقع في شرح الدلجي من الملائكة استغفار وهو الملائم لقوله ويستغفرون للذين آمنوا والظاهر أن الاستغفار على ظاهره وقوله تعالى ويستغفرون لمن في الارض عام أريد به خصوص المؤمنين اذ لا يجوز الاستغفار للكافرين الا بقصد طلب ايمانهم المستلزم استحقاق المغفرة في شأنهم وقال الدلجي أي بسعيهم فيما يستدعي المغفرة من شفاعة والهام وأعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر وحيث خص به صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد به السعي فيما يليق بجنابه (ومن الله تعالى رحمة) أي رحمة عظيمة أو رحمة خاصة جسيمة والمراد من الرحمة الاحسان وهي به وارادة الانعام لاستحالة معناها الذي هو رقة القلب في حق الرب سبحانه وتعالى (وقيل يصلون) أي معناه (يباركون) من البركة كثرة الخير أي يكثرونه ويزايدونه عليه ذكره الدلجي والظاهر أن معنى يباركون يدعون له بالبركة في ذاته وصفاته وأهل بيته وأتباعه من أمته وحيث كانت المغايرة ظاهرة بين الصلاة والبركة قال المصنف (وقد فرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين علم) أي أصحابه (الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة) في حديث قد أمرنا أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد والاظهر أن يراد بقوله يصلون يعظمون ويثنون عليه ليشمل جميع الالفاظ الواردة التي من جملتها الترحم ونحوه (وسنذكر حكم

وزاد عليه بعض أصحابنا وقال

جموع عبد عبود واعبد عبد * أعابد عبد عبدن عبدان
عبد عبدي ومعبودا ومدهما * عبدة عبدا عباد عبدان
عبيدا عبدة عباد معبدة * معابد وعبيدون العبدان

(بالصلاة والتسليم عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم وسيأتي تفصيل معناهما فله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك الفضل على غيره وقد قيل عليه ان المؤمنين شاركوه في مجرد صلاة الله وملائكته لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته وفي الحديث مثله كثير كحديث ان الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف وقد ذكر أن الآية الاولى لما نزلت قال أبو بكر يا رسول الله ما أعطاك الله من خير الا أشركنا فيه فما بالك لم تشر كنا في هذا الخير فنزلت هذه الآية فاذا كان نزول هذه بعد الاولى ظهر فضله صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره بها حيث نزلت أولا من غير مزاحم فيها مع التأكيد بان والاسمية وفي تمييزه بجمع ما ذكر وأيضا المضارع يدل على الاستمرار التجددي في حقه دونهم فيظهر الاختصاص وعن الامام الرازي ان صلاة الملائكة على المؤمنين بطريق التبعية لصلاته تعالى عليهم لتأخر ذكرها وصلاتهم عليه بطريق الاصالة ففي الآية الاولى تفضيل له على غيره كما اذا قيل يدخل فلان وفلان فانه يدل على تقديم الاول بخلاف فلان وفلان يدخلان وأورد عليه أن الواو لمطلق الجمع بلا ترتيب في أي الركنين كانت وأما قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى من قال لغير مدخول بها ان دخلت الدار فأنت طالق واحدة وواحدة تقع واحدة بخلاف أنت طالق واحدة وواحدة ان دخلت الدار حيث يقع ثنتان فليس مبنيا على أن الواو للترتيب بل لان المعلق بالشرط كالمنجز عند وقوعه وهو لو نجز الاول حقيقة لم يقع الثاني فكذا اذا صار كالمنجز حكما بخلاف ما اذا أخر الشرط لان صدر الكلام توقف على آخره لوجود المغني في آخره فكان في حكم البيان كما بين في محله وليس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم داخلا تحت المخاطبين بالآية الثانية ليقال انه لما ميز بالصلاة عليه من مجموعهم دل ذلك التمييز دلالة واضحة على ترجيحه فيها كاحب القوم وأحب زيدا بتقديم الاول أو تأخيره لان المخاطبين بها المؤمنون خاصة بقرينة السياق انتهى * أقول القول ما قالت حزام فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوص بالصلاة عليه استقلالا منا كما صرح به الفقهاء باسرهم أما من الله ورسوله فيجوز استقلالا وتبعا لانه تعالى لا يسال عما يفعل والصلاة حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فله أن يعطيه من شاء مع ان الصلاة عليه رحمة وتعظيم مخصوص به والصلاة على غيره مطلق الرحمة والمثال الذي ذكره الامام مأله لما قاله أبو حنيفة بعينه وليس هذا من الواو كما نظيره في قصة الخطيب ففعله تعالى وأمره لنا أمر مخصوص

الصلاة عليه) أى هل هو فرض أو سنة وهل هو فرض عين أو كفاية وما متعلق بالمسئلة من الفروع والادلة (وقد حكى أبو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء وهو غير منصرف للعلمية والعجمة وقيل منصرف هو امام جليل فقها وأصولا وكلاما ونحوا ووعظا مع جلالة وورع زائد ومهابة وهو أصبهانى ومات شهيدا بالسم فى سنة ست وأربعمائة ونقل الى نيسابور ودفن بها قال ابن عبد الغفار يستجاب الدعاء عنده (ان بعض العلماء تاول) أى فسر (قوله عليه السلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة على هذا) أى على هذا المعنى (أى فى صلاة الله على وملائكته وأمره الامة بذلك) أى بالصلاة عليه كما فى نسخة (الى يوم القيامة) واعلم ان قوله وقد حكى الى هنا لم يثبت فى الاصل الذى هو خط المؤلف القاضى وثبت فى الاصل المروى عن أبى العباس العزفى ثم اعلم ان القرة بمعنى السرور والفرحة وأصلها من القر بمعنى البرد يقال أقر الله عينه أى أبرد الله دمعته لان دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة ثم أكثر الاقوال وأظهرها انها الصلاة الشرعية لما فيها من المناجاة وكشف المعارف وشرح الصدر وسيأتى الكلام بعد ان شاء الله تعالى

به فلا حاجة لما ذكر من الحزيرة لان فى بصيرته نورمن الله وخص المؤمنين بالتسليم المؤكد لبيان لزوم رعاية التعظيم من الامة فى حقه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم المنقذ لهم من الضلال وافتقارهم له ولانعامه أكثر من غيرهم والمراد التسليم من النقائص التى عصمه الله تعالى منها ولم يسندها له غير البشر الذين هم من نوعهم وخصه بالتاكيد وتنوين التعظيم أى تسليما عظيما تعريضا بمن لم يسلم وقيل لان المراد تسليمه الا كتسليم غيره من الامة والصلاة ليست مما يشاركه فيها الامة فيفهم منها التعظيم فى نفسها من غير تاكيد أولان التسليم لم يثبت لله والملائكة فهو فى معرض المساهلة فى الجملة وهو كلام حسن (وقد حكى أبو بكر بن فورك) بفاء مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة وكاف عربية وهو لفظ اختلف فيه فقيل أنه عربى وفور بمعنى فار فالكاف اما زائدة فيه كما قالوا فى هندى هندكى أو للتصغير فان العرب اذا صغروا ألحقوا آخر الاسم كافا ورد بان فور بمعنى فار لم يسمع من العرب والثابت فى اللغة فور جمع فائر بمعنى الظبى والذى فى اللغة الفارسية انه بمعنى لون التراب قالوا فور خاك رنك وفى شرح النخبة انه ممنوع من الصرف لان الكاف اداة تصغير فى الفارسية قيل وليس هذا علة تمنع الصرف لان شرط العجمة كونه علما فى العجمية قبل استعماله وليس كذلك انما الشرط ان لا يستعمله العرب الا علما كقالون على ما فيه وقيل فور عربى فلا ينقلب بلحوق الكاف أعجميا * أقول اللفظ العربى اذا غيروه وعجموه بالحاق اداة من ادواتهم ولم يستعمل الا علما فالظاهر انه يصير أعجميا ممنوعا من الصرف كبابك فانه فى الاصل بابا بمعنى أب فصغر بالكاف على قاعدتهم المذكورة وقد استعمل ممنوعا فى شعر أبى تمام ولا عبرة بالتردد فيه ولا جعله كماهك كما فى بعض حواشى المطول وفى حواشى الفاضل الحفيد على المطول بابك والدعبد الصمد الشاعر المشهور ممنوع من الصرف وقيل مبنى على السكون انتهى والبناء وهم لا يعتد به وفى حواشى البرهان الحلبى هو مصروف بضبط القلم فى النسخ المصححة والظاهر انه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وهو محمد بن الحسن الاصبهانى الامام الجليل والبحر الذى لا يجارى فقها ونحوا وأصولا وكلاما مع جلالة وورع زائد وقد امتحن فى الدين وجرت له مناظرات أدت الى عزله ومات مسموما شهيدا فى الطريق لما عاد من غزنة سنة ست وأربعمائة ونقل الى نيسابور ودفن بها وقبره يزار ويستجاب عنده الدعاء وهو شافعى المذهب قال التلمسانى انتهى الى ان يكلمه الملك فى اليقظة وقوله وقد حكى الى قوله الآتى الى يوم القيامة لم يثبت فى الاصل الذى عليه خط المصنف وثبت فى الاصل المروى عن أبى العباس العزفى انتهى وفى حواشى الكمال بن أبى شريف على النخبة انه فارسى مصغر غير منصرف ومعناه فور تصغير فار لان الكاف عندهم للتصغير وجعل فى العجم علما لكن فى القاموس ان لفظ فورك علم له ولم يعده من العجمى كما هو عادته قيل وهو يدل على ان التفخيم بادخال الكاف بعد العلمية ولذا قيل انه تفخيم غير معتبر وفيه نظر (ان بعض العلماء رحمهم الله تعالى تاول قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة على هذا) والحديث حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة وفى اثبات لفظ ثلاث ومعنى الحديث كلام سيجىء والمقصود هنا ان بعض العلماء فسر الصلاة هنا بالدعاء والمعروف انه الصلاة الشرعية ذات الركوع والسجود لما فيها من المناجات والمعارف وكشف الاسرار (أى فى صلاة الله على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وملائكته وأمره الامة بذلك الى يوم القيامة) ذلك اشارة الى الصلاة المذكورة فى الآية وذكره لتاويله بالمذكور أو الدعاء ودوامه الى يوم القيامة بدوام أمته ولعدم نسخه والى متعلقه بالامر ويجوز تعلقه به وبما قبله على التنازع وانما غياه بما ذكر لعدم التكاليف فى الآخرة والمراد بالقيامة معناها المعروف أو خراب الدنيا وكون الى بمعنى مع تكلف وخص ذلك قيل لاندراج كل فضيلة فيه والآية تدل على تجدد الرحمة وكثرتها على ما يليق بمقامه عليه الصلاة والسلام (والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء)

وفى نسخة من الملائكة استغفار ومن ادعاء وهو الذى اشتهر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وما فى هذه النسخة سياتى وهما مشتركان فى انهما دعاء ومعنى الاستغفار وتخصيصه بالملائكة سياتى تحقيقه والمراد من قوله منا بنو آدم المكلفون كما قيل (ومن الله رحمة) انعام ولطف أو ثناء وتعظيم (وقيل) معنى (يصلون يباركون) أى يعطيه الله البركة والملائكة يطلبونها له والبركة النمو والخير الكثير أو الدائم من برك البعير أو من بركة الماء كما حققه فى الكشف وأشار بقوله (و) قد (فرق) بتخفيف الراء ويجوز تشديدها ان لم نقل ان المخفف يختص بالمعانى والمشدد بالاجسام كما قاله القرافى أى ميز وفصل (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين علم) بتشديد اللام أصحابه رضى الله تعالى عنهم (بين لفظ الصلاة والبركة) فى حديث قد أمرنا أن نصلى عليك فكيف نصلى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد أو حيث عطف أحدهما على الآخر فى حديث آخر فقال صليت وباركت والظاهر ان مراده الاول اشارة الى اعتراض على هذا القول ولا يخفى ان المغايرة بينهما بحسب المفهوم لا تنافى تفسيره به وعطفه عليه وان كان الاصل ذلك وسياتى تتمة هذا (وسنذكر حكم الصلاة عليه) من الوجوب والكيفية وغير ذلك وفى نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين) والمراد التابيد أى الى يوم القيامة لظهور أمر الدين فيه أو الجزاء عليه أو خضوع كل أحد له فالغاية غير مرادة وقيل هى للكثرة كقوله ملء السموات والارض (وذكر بعض المتكلمين) أى المفسرين بدليل قوله (فى تفسير حروف كهيعص) والجار والمجرور متعلق بذكر أو بالمتكلمين وليس المراد به المتسمين بعلم الكلام كما قيل لعدم مناسبته هنا (ان الكاف من كاف) أى حرف من اسمه تعالى الكافى ولم يقل من الكفاية كما قال فيما بعده مع انه المناسب لتفسيره بقوله (أى كفاية الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) وعبارته لا تخلو من اضطراب فانه اكتفاء بحرف من الكلمة على طريق الرمز والاشارة اليها وأما من كاف الذى هو اسم له أو من الكفاية التى هى صفته وما قيل من انه ميل الى انه اشارة الى اسم الله باعتبار الصفة ولم يقل الهاء من الهادى ونحوه وهو المراد بالاكتفاء الاول أو انه أراد الاشارة الا ما وقع فى القرآن والذى فيه فى الاول اسم الله وفى الثانى نسبة الصفة الى الله فذكر على نهج ما ورد * أقول هذا كلام من فر من المطر فوقف تحت الميزاب أما الاول فلان الاشارة الى الاسم باعتبار الصفة تكلف لا داعى له وهو غير صحيح فى الصاد التى هى اشارة الى الصاد من مصلى أو صلاته عليه الآتى اذ ليس من أسمائه المصلى وأما الثانى فغفلة عن قوله تعالى فسيكفيكهم الله ونحوه والذى يظهر انه أراد ان كل حرف مقتطع من صفة من صفات الافعال وانها باعتبار تعلقها به لا مطلقا وانه لما ذكره أولا باسم من أسمائه الحسنى تبركا به وبيانا لوجه تقديمه لانه أهمها وأعمها فسره بما ذكره لئلا يتوهم جريانه فيما بعده فانه المنقول فيما سياتى وان المراد اثبات معناه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا انه منادى ولانه مقتضى ما عقد له الفصل فتدبر فالكاف من كاف والمعنى أنه كاف له عما سواه كقوله تعالى يا أيها النبى حسبك الله واليه أشار بقوله أى كفاية الله كائنة منه لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وسكت عن الباقى لظهوره فالحروف منتزعة من صفات مشتقة لا من مبادى اسمها كما توهم ولا يشترط فى الحرف أن يكون من أول الاسم وهذا مروى فى بعض التفاسير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومثله لا يقال بالرأى فقول بعض الشراح ان هذا لا ينبغى فان الحروف لا تدل على غير مسماها ولم تكن الكاف من كريم أو كبير وهذا من بدع التفاسير كما فى الكشاف وفى هذه الحروف أقوال أخر أحدها انه من المتشابه الذى لا يعلمه الا الله وقيل انها أسماء للسور أو القرآن فيه نظر والعجب انه بعد ما أنكر

(وذكر بعض المتكلمين) أى من المفسرين (فى تفسير حروف كهيعص) أى انها ماخوذة من كفاية الله وهدايته وتاييده وعصمته وصلاته عليه فزعم (ان الكاف من كافى) اسم فاعل من كفى يكفى (أى كفاية الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام

(قال) أى الله سبحانه وتعالى (أليس الله بكاف عبده) واستفهامه لانكار النفى مبالغة فى اثبات كفايته له والمراد بعبده عبده الخاص
وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فالاضافة شخصية أو المراد به الفرد الاكمل والاضافة للجنس أو المراد جميع عباده أو خواصهم من
أنبيائه وأوليائه وينصره قراءة حمزة والكسائى عباده بلفظ الجمع وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل فيهم دخولا أوليا
وقيل فى الكاف اشارة
الى أنه الكافى فى الانعام
والانتقام لعموم الانام
وقيل الكاف اشارة الى
انه الكاتب على نفسه
الرحمة (والهاء) بالنصب
ويجوز رفعه (هدايته
له) أى هداية الله لنبيه
صلى الله تعالى عليه وسلم
وكان الانسب ان يقال
والهاء من هادى أى
هدايته له (قال ويهديك
صراطا مستقيما) أى
يدلك بلطفه الى طريق
دينه أو الى تبليغ الرسالة
واقامة مراسم الرياسة
(والياء تاييده له قال
وايدك بنصره) أى قواك
بنصرته على أعدائك
والاولى ان يقال الياء
اشارة الى قوله تعالى يد
الله فوق أيديهم أو ايماء
الى يسر المنحة بعد عسر
المحنة أو الى يده المبسوطة
بالرحمة على نبى هذه الامة
اصالة وعلى اتباعه تبعية
لئلا يرد عليه ماذكره
المنحانى من ان صاحب
هذا القول ان أراد ان هذه
حروف أخذت من أوائل
هذه المصادر على ماتقدم
من اقتصار العرب على
أول حرف من الكلمة فان لفظ التاييد ينقض عليه لان فاءه همزة لا ياء وانما الياء عينها وان أرادانها أحرف أخذت من
هذه المصادر سواء كان كل حرف منها فاء الكلمة أو عينها فهو قول خارج عن القياس الصناعى (والعين عصمته له قال
الله تعالى والله يعصمك من الناس) أو اشارة الى علمه بحاله فى سره وجهره قال عز وعلا والله عليم بذات الصدور

ماهنا نقل قولا بانها أسماء الله وقيل انها بيان لمدة هذه الامة أو بعضها وقد نقل علماء الحرف لها خواص
كما فى حيوة الحيوان منها ان من خاف سلطانا أو ظالما عقد أصابع يده اليمنى بكهيعص يبدؤ بابهامها
واليسرى بحمعسق يبدأ بخنصرها ثم يقرأ فى نفسه سورة الفيل ويكرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح فى
كل مرة أصبعا من أصابعه المعقودة يامن شره قال وهو عجيب مجرب انتهى (قال) الله فى كتابه الكريم
(أليس الله بكاف عبده) فسر عبده بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل العموم بدليل انه قرئ
عباده فيدخل النبى بالطريق الاولى والاستفهام انكارى للمبالغة فى اثبات الكفاية ويحتمل ان يراد
غيره والمعنى انه اذا كفى غيره من العباد كيف لا يكفيه صلى الله تعالى عليه وسلم (والهاء هدايته له) لم يقل
من هدايته لانه يعين ان الهاء من هاد لاثبات هدايته له وما قيل انه لم يقل من هدايته تفننا ولئلا
يتعين الاكتفاء ببعض الكلمة لا وجه له وكذا ما قيل انه بتقدير مبتدأ أو مضاف أى الكاف والهاء
رمز كفاية والكاف من كفايته لا من كاف فيتدافع كلاماه والجواب بانها اذا كانت رمز الكاف كانت
رمز الكفاية فى ضمنه (قال ويهديك صراطا مستقيما) من الدين الاكمل والصلاح أو يعينك على ذلك
وقيل يهدى بك (والياء تاييده له قال الله تعالى وايدك بنصره) التلاوة ليس فيها واو والضمير فى تاييده
لله وفى له للرسول صلى الله عليه وسلم وفى نسخة تاييده بدون له والضمير يحتمل عوده لله وللرسول صلى
الله تعالى عليه وسلم والتاييد التقوية والاعانة على أعدائه وبالادلة والمعجزات والملائكة ونصره على
أعدائه وفى اللباب لم يرو عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى الثانى ووجه بانه لم يات فى أسماء الله ما أوله
ياء وقد علمت ان حرف الرمز لا يلزم ان يكون أولا وقد نقل هو ان الياء من حكيم والقول بانها من يمين وهم
لانه ليس اسما لله وأما قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه فلا شاهد فيه والاضافة تاباه وعندى ان
هذا مما لا ينبغى ذكره (والعين عصمته له قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) أى يحفظك من
كيدهم ومكرهم ويمنعك من اذاهم وهو وعد ممن لا يخلف الميعاد وقد كان له صلى الله تعالى عليه وسلم
حرس فلما نزلت قال لهم انصرفوا فان الله يحرسنى والقول بان معنى الآية انه يحفظه عن الذنوب من بين
سائر الناس تكلف وان كان صلى الله تعالى عليه وسلم مصونا عنها كما سياتى وفى زاد المسير * فان قلت
كيف ضمان العصمة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد شج جبينه وكسرت رباعيته وبولغ فى أذاه * قلت
انما عصم صلى الله تعالى عليه وسلم عن القتل والاسر لا عن عوارض الاذى أو هذه الآية نزلت بعدما
جرى عليه لان المائدة من آخر ما نزل كما فى الشرح الجديد وياتى له مزيد بيان أقول هذا بناء على ان هذه الآية
مدنية والعصمة بعد الهجرة وهو المشهور وذكر خاتمة المحققين الامام الخيضرى فى خصائصه وهو كتاب
لم يصنف مثله ما حاصله ان وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب عليه صلى الله تعالى عليه
وسلم من أول أمره الى آخره واستدلوا عليه بان الله وعده بالعصمة فكيف يكون هذا بالمدينة وكون هذه
الآية مدنية فيه بحث لانه وان اشتهر يرده ما رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره عن جابر رضى الله تعالى عنه انه
صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا خرج بعث معه أبو طالب من يكلؤه حتى نزل والله يعصمك من
الناس فذهب ليبعث معه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا عم ان الله قد عصمنى لا حاجة الى من تبعث
وروى مثله الطبرانى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وفيه انه قال لابى طالب ان الله قد عصمنى من
الجن والانس وهذان الحديثان يدلان على ان الآية نزلت بمكة فى أول الامر وفى الصحيحين عن عائشة

(والصادصلاته عليه قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى) أى يثنون شانه ويعظمون برهانه أوايماء الى اسمه الصادق في وعده والصبور في وعيده ثم ٢٦٨ اعلم ان أوائل السور على القول المعتبر من المتشابه الذى لا يعلم حقيقته والمراد به الا الله سبحانه وتعالى وقيل اشارة للاعجاز بالقرآن وقيل اشارة لاسماء الله وقيل لاسماء رسوله وقيل بيان لمدة الامة المحمدية وجملة ذلك ثلاثون سنة ومائتان وأربعة آلاف وان أسقط المكرر فتسعمائة وثلاثة وهو الاقرب لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعث فى الالف السابعة وروى جعفر بن عبد الواحد القاضى حديثا رفعه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أحسنت أمتى فبقاؤها يوم من أيام الآخرة وان أساءت فنصف يوم وذلك خمسمائة وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت فى آخرها الفا وهو ضعيف وروى موقوفا عن ابن عباس رضى الله عنهما الدنيا سبعة أيام كل يوم منها ألف سنة وبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر يوم منها ويدل على قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين يعنى الوسطى والسبابة وقد ورد عن على ابن أبى طالب كرم الله وجهه انه كان يقول فى دعائه أغفر لى يا كهيعص فيحتمل ان يكون كهيعص عنده على رضى الله تعالى عنه اسما لله تعالى بجملتها ويحتمل ان يريد نداء الله سبحانه وتعالى بجميع أسمائه التى تضمنتها كهيعص من كاف وهاء ونحو ذلك (وقال

رضى الله تعالى عنها انها قالت أرق رسول الله ذات ليلة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة اذ سمعنا صوت السلاح فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا قال أنا سعد بن أبى وقاص جئت لاحرسك فنام صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سمع غطيطه وروى الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يحرس حتى نزلت هذه الآية فاخرج من القبة رأسه فقال لهم يا أيها الناس انصرفوا عنى فقد عصمنى الله قال الترمذى وهو حديث غريب رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وفى سنده من هو ضعيف الا انه له متابعات ولذا احتج به مسلم رحمه الله تعالى وهذا يدل على ان ذلك كان بالمدينة لان عائشة رضى الله تعالى عنها أخبرت عن مشاهدة وهى لم تكن معه صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة فيحتاج الى الجمع بين الروايات وما فى الصحيح أولى لكنا نلتزم تاخير نزول الآية بالمدينة وندعى ان وجوب الانكار عليه كان داخلا فى عموم التشريع ثم انهم لم يبينوا اما المراد بالخوف هل هو من القتل أو أعم وظاهر كلامهم انه الاول فكان يحرسه أصحابه فى الفزع والخوف حتى هاجر الى المدينة وأمر بالقتال فانزل الله عليه آية العصمة مع أنا ندعى انه كان يعلم ذلك من غير هذه الآية وانما نزلت تطييبا لخاطره * فان قلت اذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم ان الله عصمه من أعدائه وأمنه من كيدهم وشرهم فما باله اختفى بالغار اذ اخرج من مكة وما باله كان يحرس ويلبس الدروع وما باله كسرت رباعيته وشج وجهه ونحوه بعد نزول الآية * قلت كان ذلك تشريعا للامة ليقتدوا به صلى الله تعالى عليه وسلم فيما ليس من خصائصه مع ان فى ذلك حكما لطيفة فاختفاؤه فى الغار خوفا على الصديق رضى الله تعالى عنه لا على نفسه كما يدل عليه قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن فاعلم أبا بكر به تطييبا لخاطره وليظهر له من المعجزات ما يعلم به غيره وانه هو لا يحتاج لزيادة علم كخروجه والكفار يرصدونه ونثر التراب عليهم ولو خرج ظاهر الظن انه لحماية بعض قومه فاريد ان لا يكون لاحد عليه منة واحتراسه للخوف على من عنده من أهله واظهار اعتماده على أصحابه وأمانتهم ولبس اللامة ليرهب الاعداء ويظهر ان عنده عدة وسلاحا ظن بعض الكفار انهم فقراء يتحدثا بنعمة الله وأما كسر رباعيته صلى الله عليه وسلم وشجته فبيانا لما فطره الله عليه من العدل لعلم الله انه يصيب المؤمنين باحد مصاب عظيم فجعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مشاركا لهم فى ذلك ليحصل أجره له وتسليتهم بمصيبته وعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام لها معنيان أحدهما حفظه من الناس بما ذكر والثانى صونه عن ارتكاب الذنوب كما سياتى فان قلت هل يجوز طلب العصمة بالمعنى الثانى لاحد غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت قال شيخ والدى ابن حجر الهيتمى فى شرح العباب اختلف الفقهاء فيها فقيل يجوز لقول مالك والشافعى نسال الله تعالى العصمة وقال الشاذلى فى حزب البحر اسئلك العصمة فى الحركات والسكنات وفى حديث أخرجه النسائى ليقل من دخل المسجد اللهم اعصمنى من الشيطان وقيل يمتنع لاستحالته والحق ما قاله بعض المتاخرين انه ان قصد التوقى عن جميع المعاصى والرذائل فى جميع الاحوال امتنع لانه سؤال مقام النبوة وان قصد التحفظ من الشيطان والتحصن من افعال السوء فهذا لا باس به انتهى وفيه نظر فى حالة الاطلاق ثم رأيت شيخنا ابن قاسم بعد نقله لذلك واستوجاهه اه قال ويبقى الكلام فى حالة الاطلاق والمتجه عندى الجواز لعدم تعينه للمحذور واحتماله الوجه الجائز وفى كلام مشايخ الصوفية كما انه يقال فى النبى معصوم وفى غيره محفوظ وكانه تادب منهم (والصادصلاته عليه قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى) قيل المراد الاخبار عن هذه الامور أو القسم بهذه الامور أو القسم بهذه الصفات وهذا التفسير وأمثاله ليس على الحتم ولا احتمال محض فما قيل من انه غير واجب التسليم لا طائل تحته فتامل

(وقال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه أى وليه) تظاهرا عليه بالتشديد والتخفيف بمعنى يتعاونا ويتناصرا والخطاب لعائشة وحفصة أما المؤمنين رضى الله تعالى عنهما على الاصح أو عائشة وسودة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنهما أى تتفقا فى أمر يسوءه عن افشاء السر أو شدة غيرة النساء أو أمر النفقة فلن يعدم من يعينه والله يعينه الآية أى اقرأها التمم بقوله تعالى (وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) والولى والمولى المعين والناصر وتعريف الطرفين والضمير يفيد الحصر أى لا مولى له حقيقة سواه وما ذكر بعده وان كان لا يعتمد على غير الله بناء على الظاهر تطييبا لخاطره وتطمينا لقلبه واظهار الفضل والشرف وجبريل مبتدأ وظهير خبر عنه وما بينهما عطف عليه أو هو وصالح عطف على الله والملائكة مبتدأ خبره ظهير وأفرده بجعل من ذكر لاتفاقهم على ذلك كالواحد أو لانه اسم جمع كطفلا فى قوله تعالى يخرجكم طفلا أو لان فعيلا قد يقع للواحد وغيره كما فى قوله

* ان العواذل ليس لى بامير * ويترتب على ذلك الوقف على مولاه أو المؤمنين أو ظهير وقد اختار كل واحد منها جماعة من القراء والوجه الاول وذلك اشارة للتنصر والتظاهر أو لله وسبب نزول هذه الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم دخل على حفصة رضى الله تعالى عنها فى نوبتها فخرجت لحاجة لها فارسل صلى الله تعالى عليه وسلم لمارية جاريته فاتته فواقعها فلما رجعت حفصة رضى الله تعالى عنها علمت بذلك فغضبت وبكت وقالت أمالى حرمة عندك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ليرضيها انها حرام على بعد اليوم وحلف أن لا يقربها وأخبرها أن الخليفة بعده أبوها وأبو عائشة وقال لها لا تخبرى أحدا بهذه القصة فلما خرج صلى الله تعالى عليه وسلم من عندها أخبرت عائشة بالقصة وقالت أراحنا الله من مارية وكان بينهما مصادقة وتظاهر فانزل الله هذه الآية أى ان تتوبا الى الله * من ايذائه وحب ما يكرهه تحقق بذلك ميل قلوبكما عن الحق على حد قوله تعالى ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فى جنس التاويل دون شخصه لان مضمون الشرط فيه محقق بمضمون الجزاء فيما نحن فيه محقق له ضرورة أن التوبة عن الذنب محققة فان كان الميل الى الحق لم يحتج الى هذا التاويل (وصالح المؤمنين قيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام) هذا مروى عن قتادة * فان قلت الصلاح انما يوصف به آحاد الامة دون الانبياء عليهم الصلاة والسلام * قلت لما فطن بهذا بعض المفسرين قال الصفة قد تذكر لمدح الموصوف وقد يقصد مدح الصفة نفسها بمدح العظماء بها كما هنا فكأنه قيل الصلاح صفة عظيمة فى نفسها لانها مما يوصف بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا كما قال حسان رضى الله تعالى عنه

ما ان مدحت محمدا بمقالتى ... لكن مدحت مقالتى بمحمد

وخالفهم السبكى رحمه الله تعالى فى فتاويه فقال الصلاح من أبلغ الصفات واذا أردت معرفة ذلك فانظر الحديث فى مدح القلب بانه مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله الى آخره فصلاح القلب بالايمان والعرفان والاحوال وصلاح الجسد بالطاعة والخلق تتفاوت فى ذلك تفاوتا كبيرا فصلاح العبد بصلاح قلبه وبدنه على قدر مقامه وهى صفة ذاتية تفضل الله بها وما سواها من النبوة والرسالة وغيرهما ناشئ عنها فلذا كانت أعظم الصفات وقوله من قال لصالح من قام بحق الله تعالى وحق العباد كلام اجمالى لا زم له وانما السر فى المعنى الذى ابتنى عليه ذلك وهى صفة حقيقية أودعها الله تعالى فى العبد بها تنال سعادة الدارين وصلاح كل أحد بحسب صلاح حاله فاعظم الصلاح صلاح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى (وقيل الملائكة) رواه القرطبى عن أبى زيد قال السيد عيسى رحمه الله هذا بعيد والعطف للتفسير أو للتغاير بالمفهوم خلاف الظاهر ولك أن تقول المراد خواص الملائكة كاسرافيل وحملة العرش والمراد بالملائكة بعده بقيتهم أو جميعهم وذكر للتعميم بعد التخصيص وتعبيره عنهم بصالح المؤمنين قرينة على

(وقال الله تعالى وان تظاهرا) وقرأ الكوفيون بالتخفيف والخطاب لعائشة وحفصة رضى الله تعالى عنهما أى وان تتعاونا (عليه) أى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمكر والحيلة فى قضية مارية والغل لديه وبسائر ما يسوءه فانه لن يضره وان يعدم من ينصره (فان الله هو مولاه الآية أى وليه) يعنى ناصره ومتوليه فيما أولاه (وجبريل) هو رسول الحق اليه بعينه فيما هو عليه (وصالح المؤمنين قيل الانبياء) يعنى والمرسلون (وقيل الملائكة) أى المقربون فيكون تعميما بعد تخصيص لكن فيه انه يتكرر مع قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير أى متظاهرون عليه

(وقيل أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم أجمعين) أي وأمثالهما من أكابر الصحابة لما ذكر الماوردي انهم أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وقيل علي رضي الله تعالى عنه) أي ونحوه من أهل البيت وأقاربه (وقيل المؤمنون) أي جميعهم (على ظاهره) بناء على أن كل مؤمن بظاهره صالح والاظهر أن يقال المراد وصالح المؤمنين من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين والخلفاء الراشدين وسائر الصحابة من السابقين واللاحقين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وصالح بغير واو وهو مفرد أو جمع حذف منه الواو ولفظا فحذف رسما وأما تعليل التلمساني بقوله وسره دلالة السرعة في النصرة لانه مدة الواو تفيد مدا او بعدا ولا كذلك حذفها فهو في غاية البعد هذا وان صح حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال هم أبو بكر وعمر كان بينة صدق لكونهما المراد به في القول الصدق أو ذكرهما مثلا والمراد به أمثالهما والله تعالى أعلم بكتابه ورسوله ببيان خطابه وقد ورد عن علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه انه كان يقول في دعائه اغفر لي يا كهيعص كما سبق ثم اعلم أنه ورد في صحيح البخاري أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال مكثت أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن آية سنة فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت له يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أزواجه قال تلك حفصة وعائشة رضي الله تعالى عنهما قال فقلت والله اني كنت لاريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت أن عندي منه علما فاسألني فان كان لي علم أخبرتك به هذا وذهبت طائفة من العلماء الى أن ذلك كان في قضية مارية القبطية وذلك أن المقوقس أهداها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سرية فلما كان في بعض الايام وهو يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

مارية فواقعها فجاءت حفصة فوجدتهما فاقامت خارج البيت حتى أخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مارية وذهبت فدخلت حفصة غير متغيرة فقالت يا رسول الله أما كان في نسائك أهون عليك مني أفي بيتي وفراشي فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرضيا لها أيرضيك أن أحرمها فقالت نعم قال فاني قد حرمتها ثم قال لا تخبري بهذا أحدا وخرج عنها فقرعت الجدار الذي بينها وبين عائشة وأخبرتها بذلك لتسرها ولم تر في افشائه لها حرجا واستكتمتها ولاية ذلك فنزلت الآية وهي قوله تعالى وإذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا الى قوله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه واختلفوا هل حرمها بيمين أولا على قولين فقال قتادة والحسن والشعبي حرمها بيمين وقال غيرهم لم يحرمها بيمين ويروى ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وذهبت طائفة الى أن تظاهرهما عليه انما كان في قصة شربه صلى الله تعالى عليه وسلم العسل في بيت زينب بنت جحش وذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يمكث عندها فتسقيه عسلا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فتواطأت أو قالت فتواصيت أنا وحفصة على أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلتقل اني أجد منك ريح مغافير أو أكلت مغافير وهو شجر كريه الرائحة فدخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على احداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له واستكتمتها ذلك فاخبرت به عائشة فنزلت يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك يعني العسل لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولن أعود له الى قوله سبحانه ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه الآية والوجه الاول هو قول أكثر العلماء وروي مرسلا عن زيد بن أسلم من طرق صحاح رواه ابن وهب عن مالك رضي الله تعالى عنه قال حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أم ابراهيم رضي الله تعالى عنهما فقال هي حرام فانزل الله في ذلك سورة التحريم وأما الوجه الثاني فيه تواردت

ذلك ظاهر وكان الحامل له على ذلك توسطه بين جبريل والملائكة فانه أخفى مما استبعده اذ مقتضى الظاهر أن يقول جبريل والملائكة وصالح المؤمنين (وقيل أبو بكر وعمر) رواه القرطبي والثعلبي عن عكرمة وابن جبير مرفوعا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وزاد بعضهم عثمان رضي الله تعالى عنه ووجه التخصيص على الاول انهما أبوا زوجتيه اللتين أسر لهما أمرا فمن قال انه دعوى بلا بينة لم يصب يعني انهما وان تظاهرا فأبواهما أشفق الناس عليهما الا معهما وهذا تفسير منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه من ذكر وكذا رواه ابن مسعود رضي الله عنه وقيل هم الصحابة وقيل الخلفاء وصالح المؤمنين يحتمل أن يكون مفردا في معنى الجمع لعموم الاضافة أو اسم جمع كحاضر وسامر أو جمع مذكر سالم تقديره صالحو المؤمنين حذفت واوه لالتقاء الساكنين وكون حذفها للدلالة على سرعة النصرة لما في الواو من المد والبعد بعيد جدا والمراد صالح هم المؤمنون على ان الاضافة بيانية أو الصالح منهم الاصالح الذين تولاهم الله وأعانهم فتولوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونصروه (وقيل علي) كرم الله وجهه وفي نسخة (رضي الله تعالى عنهم أجمعين) وهذا التفسير رواه أيضا القرطبي والثعلبي عنه صلى الله عليه وسلم قيل ولا منافاة بين الاحاديث لانه لم يرد الحصر وان كان بعيدا (وقيل المؤمنون) كلهم بناء (على ظاهره) المتبادر من لفظه من غير مانع واختاره الامام الرازي رحمه الله والآية دالة على

الأحاديث الصحيحة وأخرجه البخاري عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله تعالى عنها بنحو ما سبق وقال فيه انه شرب عند زينب
عسلا كما تقدم وجاء في صحيح مسلم انه شربه عند حفصة وان اللتين تظاهرتا عليه هما عائشة وسودة رضي الله تعالى عنهن وأكثر
المحدثين على ما في البخاري والله سبحانه وتعالى أعلم *(الفصل التاسع)* (فيما تضمنته
سورة الفتح من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم) اعلم ان سورة الفتح نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منصرفه من
الحديبية سنة ست من الهجرة وهو متوجه الى المدينة فهي على هذا في حكم المدني وقد قيل بل نزلت بالمدينة ولعل بعضها انزل بها وقد
ثبت في فضلها حديث لقد أنزل الله على سورة هي أحب الي مما طلعت عليه الشمس أي شمس الوجود (قال الله تعالى انا فتحنا)
أي بعظمتنا (لك) أي لا لغيرك أو لاجلك (فتحا مبينا) أي ظاهرا (الى قوله يد الله فوق أيديهم) ومعناه قوله سبحانه وتعالى وهو
القاهر فوق عباده وكثير من السلف وبعض الخلف على ان الله سبحانه وتعالى يدا لا بمعنى الجارحة بل انها صفة له تعالى على وجه
يليق بذاته وكذا قالوا في الاستواء وسائر آيات المتشابه وأحاديث الصفات ثم ما بينهما سيأتي مبينا وفي أثناء الكلام معينا وقد اختلف
في هذا الفتح فقال كثير ان هذا هو ما اتفق له صلى الله تعالى عليه وسلم في طريق ٢٧١ الحديبية من التيسير واللطف وذلك
ان المشركين كانوا اذ ذاك أقوى من المسلمين فيسر الله سبحانه ان وقعت بينه وبينهم المصالحة ريثما يتقوى صلى الله تعالى عليه وسلم واتفق له بعد ذلك بيعة الرضوان وهي الفتح الاعظم واستقبل صلى الله تعالى عليه وسلم فتح خيبر فامتلأت أيدي أصحابه خيرا ولم يشترك فيه مع أهل الحديبية أحد ممن تخلف منهم ثم ماوقع في ذلك الوقت من الملحمة التي كانت بين الروم وفارس فظهرت فيها الروم وكان ذلك فتحا
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه لانهضام شوكة الكفر العظمى ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم كونه فتحا له من سورة
الروم فكانت هذه كلها من جهة الفتح الذي جاءت الآية منبهة عليه وقد ذكر ابن عقبة انه لما كان صلح الحديبية ونزلت الآية قال
رجال من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله ماهذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويرغبوا اليكم في
الامان وقد رأوا منكم ماكرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين ماجورين وهو أعظم الفتوح فقال المسلمون صدق الله ورسوله
هو أعظم الفتوح يارسول الله وأنت أعلم بالله وبامره منا وذهب بعض المفسرين الى ان الفتح في الآية انما هو اشارة الى فتح مكة
فعنى فتحنا على هذا قضينا وقدرنا والاظهر ان فتح الحديبية كان سببا لفتح مكة وذهب بعضهم الى ان الفتح في الآية انما هو الهداية
الى الاسلام أي على الوجه العام ومال الزجاج اليه واستحسنه لامكان الجمع بالحمل عليه قال المصنف

ولاية الله له بنصره وتسخير القلوب له الذي هو من مقاصد هذا الفصل
(الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم) تقدم الكلام
في تطبيق التراجم والكرامة ما أكرمه الله به من اعزازه وتعظيمه وقد يخص بما يكون خارقا للعادة
والفرق بينهما وبين المعجزة سيأتي والفتح أصله ازالة الغلق في المحسوسات ثم استعير لتيسير الامور
معنوية كانت أو حسية كفتح الله بالمال وفتح البلاد ومكة وشاع حتى صار حقيقة عرفية فيه والسورة
مدنية بالاتفاق وهذا لا ينافي كونها نزلت بالحديبية لان المراد بالمدني ما نزل بعد الهجرة على أحد
الاقوال وقيل لا خلاف بين تفاسير الفتح فمن فسره بفتح مكة اقتصر على المقصود والمراد فتح مكة
وما كان وسيلة له كقصة الحديبية ومن فسره بالحديث بالحديبية سماه فتحا لانه وسيلة لما بعده من
الفتوح فاندرج غيره فيه بطريق الاشارة وفي سبب نزولها قولان أحدهما انه صلى الله تعالى عليه
وسلم لما كان بالحديبية حيل بينه وبين دخول مكة وعسر ذلك على الصحابة رضي الله تعالى عنهم نزلت
وعدا له صلى الله تعالى عليه وسلم بفتحها ودخولها وعبر عنه بالماضي على عادة الله عز وجل في اخباره
لتحققها وفيه من الفخامة والدلالة على شان عامه مالا يخفى وهذا هو مشهور والثاني انه كما رواه عطاء
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وما أدري ما يفعل بي ولا بكم
قالت اليهود كيف نتبع مالا يدري ما يفعل الله به فاشتد ذلك عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت بيانا
لما يؤول اليه أمره في الدنيا والآخرة (قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق أيديهم)
تقدم ان الفتح ازالة الغلق والاشكال حسيا كان أو معنويا والمراد منه النصر على العدو وقيل المراد

مافتحه الله عليه من العلوم الالهية والهداية الدينية التى هى سبب لنيل أعلى المقامات المحمودة والثواب الجزيل ولذا اعقبه بقوله ليغفر الخ ولا يخفى انه مخالف لسبب النزول المشهور وما عليه الاكثر من انه صلح الحديبية وما تضمنه من احاطة المشركين بهم وسماعهم كلاما حتى اشتمالهم كان سببا لاسلام كثير منهم وسالوهم الصلح والامان وروى أحمد باسناد قوى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال أوفتح هذا يارسول الله قال نعم والذى نفسى بيده انه لفتح وروى بل هو أعظم الفتوح وقال الفراء الفتح قد يكون صلحا وقد كان الصلح مع المشركين متعذرا ففتحه الله وعن أنس رضى الله تعالى عنه انه فتح مكة وقيل خيبر * قيل وليت شعرى لم قدمه القاضى * قلت قدمه لانه المعنى الحقيقى للفتح مع ما فيه من البلاغة والفخامة التى أشار اليها وان حمل الفتح على المقدر أو معنى شامل للماضى والمستقبل بعموم المجاز شمل كل فتح وحصل التوفيق بين الاحاديث اذ لم يقصد الحصر (تضمنت هذه الآيات) أى وقع فى ضمنها أو دلت (من فضله) أى فضل الله وانعامه أو فضيلة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه) أى نعمة الله لدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ما يقصر الوصف) بضم الصاد المهملة والتخفيف وفيه استعارة تمثيلية شبه الوصف بحبل مد ونحوه ليتوصل به اليه فلم يف به لكثرته أو بعده فلذا قال (عن الانتهاء اليه) أى بلوغه أو الوصول لنهايته لتعذر تفصيله وقصور الاجمال عن اداء حقه (فابتدأ جل جلاله) السورة (باعلامه بما قضاه له) اعلام مصدر مضاف لفاعله أى الله تعالى أو مفعوله وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيل فيه اشارة الى ان الفتح السابق من الفتاحة بالضم وهى القضاء كما فى قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق أى احكم ومنه الفتاح للقاضى والقضاء الحكم الازلى أو الكتابة فى اللوح أو القدر والاظهار للعيان (من القضاء البين) أى المقضى الظاهر الذى لا يشتبه (بظهوره وغلبته على عدوه) الظاهر تعلقه بالبين وغلبته معطوف عليه ولا حاجة لجعله عطف تفسير ولا لجعل بظهوره بدل من بما قضاه أى أعلمه بظهوره كل الظهور وبينه أكمل تبيين وعلى عدوه تنازع فيه الظهور والغلبة والعدو جميع الكفار أو مشركوا مكة (وعلو كلمته) المراد بكلمته كلمة التوحيد والنبوة التى أتى بها صلى الله تعالى عليه وسلم وأمر بقبولها والانقياد لما يتعلق بها من التكاليف لنفاذها وعلوها بما أسقط ما عداها عن درجة الاعتبار أو المراد كل ما أتى به من أمر ونهى وغيره وعلى الاول أضافها له لانه الذى أصدرها وشهرها وان كانت كلمة الله فى الحقيقة وايثار الكلمة على الكلام لعلم غيرها بالطريق الاولى (وشريعته) علوها بالانقياد لها واجراء أحكامها وتذليل من أنكرها بالجزية وغيرها ونسخ ما عداها من الشرائع وليس فى كلام المصنف رحمه الله ما يقتضى كون المراد بالفتح فتح مكة كما قيل وان كان من فسره بالقضاء حمله على ذلك فلزمه مخالفة الحديث وكأنه مال الى التعميم الشامل لما وقع وما سيقع (وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون) أى اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه مغفور له الى آخره بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والمغفرة من الغفر وهو الستر وهو والعفو متقاربان كما مر والمؤاخذة من الاخذ قال فى المصباح أخذه بذنبه عاقبه عليه وآخذه بالمد مؤاخذة والامر منه آخذ بمد الهمزة وتبدل واوا فى لغة اليمن فيقال واخذه مواخذة كذلك وقرئ به فى السبعة والامر منه واخذ انتهى فعبارة المصنف رحمه الله تعالى بالواو والهمزة وليس المراد بمؤاخذته معاقبته لانه لم يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يقتضيها لانه معصوم بل عتابه على بعض ما صدر منه مما هو بالنسبة لعلى مقامه كالذنب ومن قال المراد ما تقدم من ذنبه قبل النبوة وما تأخر بعدها

(تضمنت هذه الآيات) أى الواردة فى صدر السورة (من فضله) أى من جملة فضائله (والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما) أى الذى أو شيأ (يقصر الوصف عن الانتهاء اليه) أى لقصور احاطة العلم به (فابتدأ جل جلاله باعلامه) أى باعلام الله نبيه (بما قضاه له من القضاء البين) أى بما حكم له وقدر من الفتح المبين حيث قال انا فتحنا لك فتحا مبينا أى انا قضينا لك على أهل مكة ان تدخلها من قابل عام الحديبية (بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته) أى طريقته وفى نسخة شيعته أى أمته بعد صدهم عنها وهذا قول آخر للمفسرين مغاير لما سبق من وجه أو هو وعد بفتح مكة كما تقدم وعبر بالماضى لتحققه أو بما اتفق له بعد نزولها كفتح خيبر وفدك أو بما ظهر له فى الحديبية من آية عظيمة وهى ان ماءها نضب فلم يبق بها قطرة فتمضمض ثم مج فيها فدرت ماء حتى رووا كلهم (وانه) عطف على اعلامه أى وبانه صلى الله تعالى عليه وسلم (مغفور له غير مؤاخذ) بالهمز ويبدل واوا وهو تأكيد لما قبله لتضمنه معناه (بما كان وما يكون) حيث قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر والمعنى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك ولا يكون على هذا اثبات لوقوع الذنب ثم غفرانه خلافا لما يتوهم من كلام المصنف

بعدها من الصغائر فهو مبنى على تجويزها على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن لم يجوزها قال انه للمبالغة كما يقال أعطى من يراه ومن لم يره وهو الذى ندين الله به ونعتقده (قال بعضهم أراد غفران ماوقع ومالم يقع) أى مما يصح ان يعاتب عليه كما فى قوله تعالى لعلك باخع نفسك وعبس وتولى ان جاءه الاعمى أوانه لو وقع منك ذنب أى ذنب كان غفر وهذه مرتبة عظيمة جدا وقال السيد سنح لى معنى بديع وهو ان العبد لا يأتى بما يليق بجلال كبرياء ربه ولذا قيل سبحانك ماعبدناك حق عبادتك وهذا قصور بالنسبة لكمال القرب ذنب يجازى مبالغة فى التخويف ثم شرفه بما لم يحم حول الفكر وهو ستر ذلك القصور بعد عبادته عبادة لائقة بجلالته وأى مرتبة فوق هذه المرتبة ولا يبعد عد مثله قصور التشريفه فانه تعالى لكمال حكمته جعل أعمالا خلقها بقدرته ذنوبا ممن هو مضطر فى صورة مختار وله ان يعاقب عليها وان لم يفعل ونحوه قول التجانى الظاهر ان هذه وردت مورد التشريف له صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الحكم كما يقال لمن يراد أظهار محبته لو كان لك ذنب قديم أو حديث غفرناه ولم يرد اثبات ذنب له ولا مغفرة * أقول قد سنح لى ماهو أحسن من هذا وهو ان المغفرة لما كان معناها الستر المقتضى لعدم الرؤية أريد منه لازمه وهو انه لاذنب لك يرى أى لاذنب لك أصلا اذ لو كان لرئى على نهج قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * ويؤيده ان المتأخر لا وجود له وقد سوى بين المتقدم والمتأخر ففيه أشارة الى انتفائهما كما فى قوله تعالى اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولما كان التقدم يوهم التحقق قدم الذنب وقرنه به مبادرة لنفيه بمغفرته والمراد بالمتقدم والمتأخر ماقبل النبوة ومابعدها أو ما قبل الفتح وبعده أو قبل نزول الآية (أى انك مغفور لك) كأنه أراد بتفسيره هذا ان التقدم والتأخر عبارة عن عموم المغفرة ودوامها (وقال مكى) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته (جعل الله المنة سببا للمغفرة) اختلف أهل المعقول والمنقول فى الفرق بين السبب والعلة فقيل انهما سواء وقيل بينهما فرق عند النحاة واللغويين ولذا قال ابن مالك الباء للسببية والتعليل وعليه أكثر عباراتهم فالسبب مايتوصل به والعلة مايدور على التأثر فى أمر آخر ومثلوا للسببية بقوله تعالى فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وللعلة بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا وفرقوا بينهما وبين الاستعانة واما أهل الشرع فعندهم السبب والعلة يشتركان فى ترتب الامر عليهما و يفترقان بان السبب مايحصل الشئ عنده لا به والعلة مايحصل به فلذا قال الشاعر

ألم تر ان الشئ للشئ علة * يكون به كالنار تقدح للزند

واختار السمعانى ان السبب الموصل للشئ مع جواز المقارنة بينهما ولا أثر له فيه ولا فى تحصيله كالحبل للماء والعلة مايتاثر الشئ عنه بغير واسطة و يعبر عنها بالباعث وقد تحل اللام محلها كما فى القواعد للسبكى ووقع الخلاف فى أفعاله تعالى هل تعلل بالاغراض حقيقة أم لا فالمشهور انها لا تعلل وانما لها ثمرات وحكم تجعل عللا كما اختاره الجرجانى ولم يذكروا ذلك فى السببية فعدول المصنف رحمه الله عن التعبير بالعلة المذكورة فى التفاسير هنا كانه بناء على الفرق بينهما فما وقع فى الشروح هنا من تفسيره بالتعليل غير مناسب والمراد بالمنة الامتنان أو النعمة التى هى الفتح أو قضاؤه ولما كان الفتح ناشئا عن جهده وسعيه مع مايترتب عليه من الامور العظيمة صار سببا للمغفرة قيل ولا تكلف فيه لان مايترتب على فعل العبد بلا واسطة يعد فعلا له عرفا وشرعا مثاب عليه بالمغفرة وعكسه كانه قال اجرينا على يدك الفتح ليكون سببا للمغفرة وقيل عليه لا نسلم انه عد فعلا له اذ لم يقل انك فتحت ونحوه الا أن يقال انه عد فعلا له وأبرزه فى صورة يستفاد منها انه فعله تعالى كما هو فى نفس الامر ومنهم من قال التقدير فاستغفر ليغفر الى آخره كما فى قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره والاسهل ان اللام

(قال بعضهم أراد غفران ماوقع ومالم يقع أى انك مغفور لك) أى مما يصح ان يعاتب عليه كما فى قوله تعالى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين عبس وتولى ان جاءه الاعمى والاظهر ان فى الآية ايماء الى ان العبد ولو وصل الى أعلى مرتبة المقدرة لم يحصل له استغناء عن المغفرة لقصور الاطوار البشرية فى القيام بحق العبودية على ما اقتضته الربوبية وقيل عد الاشتغال بالامور المباحة والتفكر بالهمة فى مهمات الامة سيئات من حيث انها غفلة عن مرتبة الحضرة فى الجملة ولذا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ثم قوله تعالى ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى فى اعلاء الدين وازاحة شرك الاغيار وتكميل النفوس الناقصة اجبارا واعتبارا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من أيدى الظلمة اختيارا (وقال مكى جعل الله المنة) أى العطية والامتنان بالفتح أو بالهداية الى الاسلام (سببا للمغفرة

وكل) أي من المنة والهداية والمغفرة حاصل (من عنده) أي لقوله سبحانه وتعالى قل كل من عند الله (لا اله غيره) أي حتى
يكون قضاء شيء من عنده
ويروى لا اله الا هو (منة)
أي عطية وامتنانا حال
أو مفعول مطلق (بعد
منة وفضلا بعد فضل ثم
قال) أي الله عز وجل
(ويتم نعمته عليك) أي
بجمعه لك النبوة والملك
وظهور دينك وفتح البلاد
عليك وغير ذلك ومنها
قوله (قيل بخضوع من
تكبر لك) متعلق بخضوع
والمعنى بتواضع من تكبر
عليك لاجلك بالانقياد لك
والخضوع والخشوع بين
يديك والتذلل اليك
وفي نسخة بخضوع من
تكبر عليك (وقيل
بفتح مكة والطائف)
أي واقبال أهلهما اليك
طوعا وكرها (وقيل يرفع
ذكرك في الدنيا وينصرك
ويغفر لك) بصيغ الافعال
تفسير على وفق المفسر
وهو قوله ويتم وهو الاظهر
وقال التلمساني بباء
الجر وكلها مصادر ويجوز
الفعل وكذا قال الحجازي
ويروى برفع ذكرك
وبنصرك وغفر لك
بالموحدة وتنوين الاخير
انتهى وفيه ان الغفر
بمعنى المغفرة قليل
الاستعمال ثم هذه أقوال
تناولها عموم الآية
ولا مرجح لها فالاولى حملها
على عمومها ثم مجمل هذه الاقوال ومحصل هذه الاحوال ما ذكره المصنف بقوله

للعاقبة ويحتمل كلام مكي على السبب والعلة المجازية لانها استعارة لما يشبه التعليل كما صرح به
الزمخشري وصاحب المغني فقال لما كانت المغفرة نتيجة فتحه تعالى له الفتح المبين وثمرته شبهت
بالداعي بناء على أن أفعاله لا تعلل بالاغراض وان أريد بالفتح القضاء فباعتبار ان المقضي فعله كانه قال
قضينا بترتبه على فعلك لتثاب وقيل المعنى لتجتمع هذه الامور لك واجتماعها فرع تحقق الفتح فصح
التعليل وهذا ما اختاره في الكشاف وفي شروحه هنا كلام طويل الذيل بيناه في حواشي البيضاوي
أقول ما أورده ظاهر الدفع ولا حاجة لما تكلفه فانه ناشئ من عدم الفرق بين الفاعل اللغوي والفاعل
الحقيقي فان الاول ينسب حقيقة لمن قام به أو باشره لا الى الله وان كان هو الفاعل في نفس الامر كما حققه
الابهري في حواشي العضد وسيأتي الكلام عليه في الآية الآتية فاسناد الفتح بمعناه المتبادر والحقيقة
ظاهرة وهو الذي بني عليه القائل كلامه واليه أشار بقوله (وكل منهما) أي من المنة والمغفرة حاصل
(من عنده لا اله غيره) فهو الذي سبب السبب وهداه له وأقدره عليه وفي نسخة لا اله الا هو وجعل الخالق
والتأثير من خواص الالوهية المستلزمة له فنفي الملزوم لينتفي لازمه المساوي فهل من خالق غير الله ولذا
جعل أحد الفعلين سببا للآخر لترتبه من غير تأثير للغير فلا دخل لتعليل الافعال فيه (منة) بالمغفرة
أو بالفتح (بعد منة) بخلق السبب فيه وتيسيره عليه (وفضلا بعد فضل) أي تفضلا وانعاما بعد تفضل
وانعام ان كانت المنة بمعنى الانعام فهو تفسير مؤكد لما قبله وقيل المنة بمعنى الامتنان من من بمعنى امتن
كما قاله الجوهري (ثم قال ويتم نعمته عليك) عطف على قوله قال أولا ولا حاجة لتفسيره بأقول ثم أقول
وعطفه بثم باعتبار آخر ما ذكر أي ذكر هذه الآيات الى قوله عزيزا حكيما فعبر بالجزء عن الكل كقولك
قرأت قل هو الله أحد ويراد السورة بتمامها كما قيل بقرينة قوله الآتي فاعلمه الى آخر المعطوف على
قال عطف مفصل على مجمل ولولا هذا لم يف ما ذكر بما فسره واقتصر على ما ذكر لما اعترض بما يتضمن
الخلاف في معناه الذي أشار اليه بقوله (قيل) في تفسيره (بخضوع من تكبر عليك لك) والجار الاول
متعلق بتكبر والثاني بخضوع وسقط عليك من بعض النسخ والخضوع التذلل والانقياد ضد
التكبر والتعظم (وقيل بفتح مكة والطائف) واد بقرب مكة كثير الفواكه والمياه كان به بلاد
ثقيف سمي به لانها طافت على الماء في الطوفان أو لان جبريل عليه الصلاة والسلام طاف بها على
البيت ونقلت من الشام الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام أو لغير ذلك مما في القاموس
وغيره وزاد بعضهم خيبر وقال الكرماني باعلاء دينك وقهر اعدائك وفتح البلاد على يدك وغير ذلك
والتعميم أنسب بتتميم النعمة والمقام الا أن يقال التخصيص اقتصار على الاهم وتفسير فتح مكة
بالحديبية لما وقع فيها مما كان سببا لفتحها خلاف الظاهر وقيل أيضا بالنبوة واعلاء دينه على سائر
الاديان (وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك) الثلاثة بصيغة المضارع المرفوع مصحح
في النسخ المقروءة على ولد المصنف رحمهما الله تعالى وما في المقتفى من ان يرفع بالباء الجارة المصدر
المضاف لذكرك فيه ركاكة ومخالفة للرواية وخص الدنيا الا ان المذكور في الآية في أحوالها وان كان
ذكره مرفوع أي مشهور في الدنيا والآخرة فلا حاجة لتقدير والعقبى كما قيل وقيل بانضمام الملك الى
النبوة ولا حاجة لهذا التخصيص كما مر الا أن يكون صدر من مشكاة النبوة مع ان ذكر الملك مناف
لما ورد في الحديث الآتي من ان الله خيره بين ان يكون عبدا نبيا أو ملكا نبيا فاختار الاول ولذا فيه كلام
سيأتي وما قيل من ان النصر وما بعده روي بالمصدرين مجرورين مخالف للرواية والدراية كما مر مع تحريف
يغفر لك بغفرك والغفر بمعنى المغفرة غير مستعمل كثيرا فان قلت هذا لا يناسب تفسير الاتمام لانهما
مذكوران معه والغفران مقدم على الكل فلم قدم النصر عليه ورفع الذكر ليس له ذكر في النظم والافعال

فاعلمه أى الله سبحانه (بتمام نعمته عليه) الاولى باتمام نعمته أى باكمال انعامه واحسانه اليه (بخضوع متكبرى عدوه له) الباء متعلق بنعمته أو بدل مما قبله أو بمعنى من البيانية له ولما بعده أى من تواضع أعدائه المتكبرين عليه سابقا غاية التواضع ولاحقا (وفتح أهم البلاد عليه) لان مكة كانت صقع المشركين وكانت العرب انما تنتظر بالاسلام مايكون من أهل مكة مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان أسلموا أسلموا فكانت مكة لهذا المعنى أهم البلاد لان اسلام أهلها يستلزم اسلام جميع المشركين أو أكثرهم ولهذا كثر المسلمون بعد فتح مكة ودخلوا فى دين الله أفواجا وفى نسخة اسنى البلاد أى أفضلها لكون القبلة فيها ومعدن النبوة بها وهى أم القرى ويتبعها ما حولها (وأحبها له) أى على الاطلاق وانما صارت المدينة أحب من سائر البلاد اليه بعد خروجه منها كما هو ظاهر حديث اللهم انك أخرجتنى من أحب البقاع اليك فاسكنه المدينة كما أخرجه الحاكم فى مستدركه الأأن فى سنده عبد الله المقبرى وهو ضعيف جدا فلا يصلح لاستدلال المالكية لافضلية المدينة ومما يدل على قول الجمهور فى أفضلية مكة ما رواه الزهرى عن أبى سلمة عن عبد الله بن عدى الحمراء وفى رواية عن أبى هريرة يرفعه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين خرج الى الهجرة هو وأبو بكر رضى الله تعالى عنه وقف ينظر الى البيت ثم قال والله انك لاحب أرض الله الى وانك لاحب أرض الله الى الله ولولا أن أهلك اخرجونى ما خرجت وما جاء فى حديث آخر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لمكة ما أطيبك من بلد وأحبك الى ولولا ان قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك فاندفع بهذا ما قيل من أن

على المختار هنا مرفوعة وفى الآية منصوبة فما وجه العدول * قلت هذا تفسير لما تضمنه النظم من أوله الى قوله حكيما كما مر وليس المراد حكاية ما فى القرآن حتى يلزمه نصبه ورفع الذكر والنصر معنى الفتح المبين لان الفتح العظيم فيه اشارة ذكره والنداء به وغاية النصرة له على أعدائه وأقربهم اليه وفيه من السعى ما يقتضى المغفرة ومن هنا علم وجه آخر فى كلامه وهو أن يكون ما ذكره أولا توطئة لتفسير يتم وما بعده مفرع عليه لا تفسير له فما قيل فى الجواب عما ذكر أن فى الآية تعميما وتخصيصا والمراد بالاتمام جميع النعم فعد فيه ما ذكر واستبعاده بانه يقتضى اعادته فى قوله الآتى فاعلمه ثم قال المراد بالغفران ثوابه فى الآخرة كما فى المعالم وهو تفسير لقوله يهديك ولذا قدم النصر لتقدم وجوده تعسف بغير فائدة وكذا ما قيل من أنه رفع المنصوب لانه ليس مضمونه بل مأخوذ منه وانه من باب تسمع بالمعيدى وأصله بان يرفع الى آخره فحذف الباء وان ورفعه اشارة الى أن فتح الله له للهداية والمغفرة والنصر واتمام النعمة بالاخيرين ورفع الذكر ولو كان عين مضمونه كان تعميما بعد التخصيص ومثله كثير فى الكلام البليغ وهذا مع تناقضه تكلف مالا حاجة اليه ولولا ظن الغفلة طويناه وقلنا تسمع بالمعيدى خير من أن تراه (فاعلمه) فى الفاء وجهان سمعتهما آنفا (بتمام نعمته عليه بخضوع متكبرى عدوه له) مر أن الخضوع التذلل والانقياد ومتكبرى جمع حذفت نونه للاضافة ومر أن العدو يكون بمعنى المفرد والجمع كما فى قوله تعالى (فان كان من قوم عدو لكم) فالمعنى المتكبرين من أعداء الله أو أعداؤه المتكبرون وهم صناديد قريش كأبى سفيان والمغيرة بن شعبة (وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له) يعنى مكة وأهم افعل تفضيل من الهم بمعنى العزيمة أو الحزن ويقال منهما اهم وأهم والمهم ما يلزمك الاعتناء به وتقديمه على غيره قال

فقلت له هاتيك نعمى أتمها * ولا تنس ان المهم المقدم

فالمعنى ان فتحها مطلوب له صلى الله عليه وسلم مقدم على جميع الفتوح عنده لانها كانت مأوى المشركين وسادة العرب وجميع العرب ينتظرون اسلامهم وفتحها فاذا تم ذلك أسلموا فلذا دخلوا بعدها أفواجا فى الاسلام ولانهم أخرجوه صلى الله عليه وسلم والمسلمين منها فكان عودهم لها أقوى فى اظهار شوكة الاسلام لدخولهم لها رغما على أنفهم وأيضا هى القبلة ومعبد الانبياء عليهم الصلاة والسلام فتطهيرها من الشرك والاصنام من أعظم المهمات ووقع مصحفا فى بعض النسخ اسنى بسين مهملة ونون مقصورا امامن السناء بمعنى الرفعة والشرف أو من السناء بمعنى الضوء والمراد أظهر وعلى هذا فهى بدل أهم ويحتمل على بعد أن يجمع معها أى أسنى أهم البلاد نحو زيد اعمل اعلم العلماء وعداه بعلى لما فيه من الصعوبة أو الوجوب وهى أحب البلاد اليه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى الحديث انك لاحب أرض الله الى لان الطباع السليمة مجبولة على حب الوطن فلا يلزم من هذا تفضيلها على المدينة حتى يرد على المصنف أنه مخالف لمذهبه كما سيأتى كما فى بعض الشروح لانه قد يكون فى المفضول ما ليس فى الفاضل وفى بعض النسخ اليه مكان له وظاهر كلام الشراح كلهم أن النسختين بمعنى وهو مخالف لما قاله النحاة ان فعل التعجب وأفعل التفضيل اذا أخذا مما يفهم حبا أو بغضا يتعديان الى الفاعل بالى والى المفعول باللام فتقول ما أحبنى اليه اذا كان هو المحب بكسر الحاء وما أحبنى له اذا كنت تحبه وهذه المسئلة من مسائل الكتاب وقد فصلناها فى السوانح فالظاهر هنا الى لان اللام محتاجة للتجوز بجعلها محبة له وهو خلاف الظاهر وما قيل من أن قوله فاعلمه الى آخره من قبيل

الاحب لايعارض الافضل خصوصا بحسب الجبلة الطبيعية (ورفع ذكره) أى مما أشار اليه كله من نصره اياه على عدوه فعمومها شامل له بخصوصه وهو بالجر عطف على ماقبله وأماقوله (وهدايته الصراط المستقيم) وكذا ما بعده فبالجر الا أنه عطف على تمام آى واعلمه بهدايته الى الصراط المستقيم أى بقوله ويهديك صراطا مستقيما وهو بالصاد والسين واشمام الزاى فى السبعة و بالزاى الخالصة فى الشاذة والهداية يتعدى بنفسه تارة كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وبالى أخرى كقوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وباللام أيضا ومنه قوله سبحانه وتعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم (المبلغ الجنة والسعادة) بكسر اللام المشددة ويجوز تخفيفها نعت للصراط أى الموصل الى أسباب الجنة وأبواب السعادة وأصناف السيادة (ونصره النصر العزيز) بقوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا أى نصرا غالبا قويا فيه عز ومنعة وقوة وشوكة ظاهرة وباطنة أو نصرا يعز به المنصور فوصف بوصفه للمبالغة وقال المنجانى عزيز فى هذه الآية بمعنى معز كأليم بمعنى مؤلم وحبيب بمعنى محب فنصر معز وهو المتضمن لغلبة العدو وقهره ونصر لا بهذه الصفة وهو المتضمن لدفع أذى العدو فقط (ومنته) أى واعلمه بامتنانه (على أمته المؤمنين بالسكينة) أى بانزال السكينة (والطمانينة) عطف تفسير وهو بضم أوله وبهمز ويسهل فيبدل مصدر اطمان سكن و يروى الطمانينة والسكينة وقيل السكينة هى الرحمة وقيل الوقار والرزانة وقيل الاخلاص والمعرفة (التى جعلها الله فى قلوبهم) بقوله تعالى هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم أى يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة أو ليزدادوا ايمانا بالشرائع المجددة اللاحقة مع ايمانهم بالاحكام المقررة السابقة لان حقيقة الايمان وهى التصديق غير قابلة للزيادة والنقصان عند أرباب التحقيق والله ولى التوفيق (وبشارتهم) بكسر الباء بمعنى ما يسر به أى واعلمه ببشارة أمته (بما لهم) أى عند ربهم كما فى رواية (بعد) بضم الدال أى بعد حالهم

الحل البديعى تكلف (ورفع ذكره) بالجر أى و برفع ذكره السابق واعترض عليه بانه لاقائل بارادة هذا المجموع من اتمام النعمة فلا اعلام بهذا المجموع عند أحد وان سلم صحته فلا يصح تفريعه على الخلاف الا أن تكون الواو بمعنى أو ويراد اعلام كل واحد على قول والاوجه انه اشارة الى جواز ارادة المجموع لثبوت الجميع وعموم اللفظ ووجه التفريع أنه لما صح الحمل على مافهم من الاول ولا مخصص فاللائق الحمل على جميعها انتهى وهو كلام حسن جدا (وهدايته) بالجر معطوف على التمام أو الخضوع اشارة الى أن ماذكر من التمام (الصراط المستقيم) وفى نسخة الى الصراط لانه يتعدى بنفسه وباللام والى (المبلغ) بتشديد اللام المكسورة (الى الجنة والسعادة) فى الدارين أو السعادة الكاملة فى الآخرة أى اعلمه بهدايته اياه لدين الاسلام المبلغ للجنة بتبليغ الطريق المستقيم المسلوك الى المطلوب أو بتبليغ الصراط المعهود وقال البيضاوى صراطا مستقيما فى تبليغ الرسالة واقامة مراسيم الرأسة ولا وجه للتخصيص بهما الا يقال حال المخاطب والمقام قرينة عليه لان التعميم أفيد وأبلغ وماذكر يندرج تحت العموم اندراجا أوليا فالاولى ما فى المدارك من قوله نثبتك على الدين المرضى فاندرجا فيه مع أمور أخر من وظائف العبودية والمعارف الالهية وانما فسر بالتثبيت لانه المترتب على الفتح دون أصل الهداية فانها حاصلة له قبله (ونصره النصر العزيز) بالجر مصدر والنصر مفعول مطلق له أو بدل منه والعزيز المعز لصاحبه أو جعله عزيزا فى نفسه لوصفه بوصف صاحبه أو المراد انه نفيس قليل النظير لاذل بعده أو الغالب من قولهم فى المثل من عز بز قيل ليس قوله وهدايته وقوله ونصره عطفا على ما به تمام النعمة لان من جعل النصر منه جعل المغفرة منه أيضا فلو وافقه المصنف رحمه الله تعالى لذكرها مع النصر ولو مع زيادة ذكر الهداية اذ لا وجه لتبديلها بها كما لا وجه لكون وهدايته عطفا على ما به وقع اعلامه وكون ونصره عطفا على ما به تمام النعمة لفساد نظم العبارة عند العارف باساليبها (ومنته) أى علمه بنعمته (على أمته المؤمنين بالسكينة والطمانينة) عطف تفسيرى لان السكينة لها معان منها الطمانينة والطمانينة مصدر أو اسم مصدر من اطمان اذا سكن قلبه بما يشرحه و يزيل رعبه (التى جعلها فى قلوبهم) يشير بذلك لقوله تعالى هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين يعنى ما كان فى صلح الحديبية من الامن بعد الخوف وعدم القتال فلم تنزعج قلوبهم بعد ما كادت تزيغ لما صدهم المشركون عن البيت حتى قال عمر رضى الله تعالى عنه على م نعطى الدنية فى ديننا فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره وان يضيعنى فاوقع الله عز وجل الرضاء فى قلوب المؤمنين فسلموا وأطاعوا وهذه نعمة أخرى مختصة بالمؤمنين بعد ذكر النعم المتعلقة به صلى الله تعالى عليه وسلم زادتهم ايمانا بخفية ذلك وان المصلحة فيه وهذه الزيادة فى اليقين من نور أودعه الله فى قلوبهم به يعرف الصواب وسياتى تفصيله فى الباب الثانى (وبشارتهم بما لهم بعد) ظرف مبنى على الضم أى تبشير المؤمنين بما لهم بعد ذلك أو بعد الحياة الدنيا من النعيم المخلد فى الجنة بقوله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات) الى آخره وفى نسخة عند ربهم واللام فى قوله ليدخل علة لما يستنبط من

السياق من أول السورة الى ههنا واليه أشار فى الكشاف بقوله وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين بما غاظهم وخالفه البيضاوى فى التعلق دون العلية فقال علة لما دل عليه قوله تعالى ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير أى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك واختاره لقرب ما يستنبط منه وعدم ظهور مدخلية بعض الامور المذكورة فيه أو هو علة لانزل وانما قالوا ما قالوا لئلا يتعلق حرفان بمعنى بمتعلق واحد فالظاهر ان القاضى انما عدل عنه لايهامه ما فر منه كما وقع فيه من قال انه متعلق بفتحنا الا أن يقال انه بدل من العلة الاولى وقيل لم يعطف لانه مستأنف لانه نزل جوابا لقولهم هذا لك فما لنا فانزل الله ذلك أو للاشعار باستقلاله وفيه نظر وللمفسرين هنا كلام لا يسعه هذا المقام (وفوزهم العظيم) الفوز النجاة والظفر بالخير يعنى بذلك قوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا عظيما وذلك اشارة لدخول الجنة وتكفير السيئات المذكورين قبله لانهما منتهى الطلب وقدم الفوز بدخول الجنة على التكفير فقال (والعفو عنهم والستر لذنوبهم) فى قوله تعالى ويكفر عنهم سيئاتهم مع انه بعد العفو لانه المقصود بالذات مع موافقة النظم وأشار بالستر الى معنى التكفير لانه حقيقته لغة ومنه الكفر لستره الايمان والحق ولذا سمى الليل كافرا لستر ظلمته وما أحسن قول ابن الفارض رحمه الله تعالى فى طول ليل الهجر

لى فيك أجر مجاهد * ان صح ان الليل كافر

وقيل تقديمه الفوز بنعيم الجنة لان الستر الكامل بتكميل الدرجات من غير نقص وهو لا يظهر الا فى الجنة فظهور التكفير بعد الدخول قيل ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى ثانى الامرين وان قرب لفظا لبعده درجة بالنسبة لعدمه أولهما بتأويل ما ذكر ويؤيد الاول تفسير الفوز بالنجاة والتفصى من الشئ والثانى تفسيره بالظفر بالخير من طول السلامة وهو الملائم لقوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وفيه نظر وقدم المصنف رحمه الله تعالى الفوز مع تأخره فى النص والواقع لان المراد ما حصل من الامرين وقيل ذلك اشارة لمجرد الدخول وأشار بالبعيد لبعد رتبته لان الدخول اذا كان وحده فوزا فكيف مع العفو وهو معنى أنيق لم يذكروه لما فيه لان الدخول بغير عفو لا يصح (وهلاك عدوه) أى أعلمه الله بهلاك أعدائه بقوله تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء أى يعذب أهل النفاق والشرك كما يعم المؤمنين ظنهم بالله أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا والمراد بالعذاب المذكور العذاب (فى الدنيا) بالقتل والخزى ونحوه (والآخرة) بجهنم والاول يعلم بالواقع وقوله تعالى عليهم دائرة السوء أى يحيط بهم ما ظنوه بالمؤمنين (ولعنهم) أصل معنى اللعن الطرد والبعد ثم خص كما أشار اليه بقوله (وبعدهم من رحمته) أى أعلمهم بلعنهم وبعدهم بقوله تعالى وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا أى انتقم الله تعالى منهم بابعادهم من رحمته وتهيئة جهنم التى هى أسوأ مقر لهم (وسوء منقلبهم) بفتح اللام اسم مكان وقال الحلبى مصدر بمعنى الانقلاب والاول أولى لقوله وساءت مصيرا ولم يتعرض المصنف رحمه الله تعالى لذكر غضبه المذكور فى الآية لان لعنهم واعداد جهنم لهم يدل عليه والاولى ذكره لان الاطناب فى الابعاد أبلغ مع ما فيه من الاشارة الى أن عذابهم ليس لتطهيرهم وانما هو ناشئ من الغضب عليهم (لما قال) متعلق باعلمه وفى نسخة ثم قال (تبارك وتعالى * انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * الآية) أحوال مقدرة للاعلام ببعض ما أوتيه صلى الله تعالى عليه وسلم والآية

عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما واللام علة لما دل عليه قوله تعالى ولله جنود السموات والارض من التدبير وحسن التقدير أى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين على الكافرين ليعرفوا نعمة ربهم ويشكروها فيدخلوا الجنة ويتنعموا بما فيها (وهلاك عدوه) أى أعداء النبى والمؤمنين (فى الدنيا والآخرة ولعنهم) أى طردهم (وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم) بفتح اللام أى قبح انقلابهم أى سوء مرجعهم ومصيرهم والمعنى انه أعلمه ذلك بقوله تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وظنهم هو ان لا ينصر الله رسوله والمؤمنين وعليهم دائرة ما ظنوه وتربصوه بالمؤمنين لا يتجاوزهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين فى دائرة السوء لا فى مطلق السوء على ما فى الجلالين وهما
لغتان (ثم قال) أى الله سبحانه وتعالى (انا أرسلناك شاهدا) أى مزكيا للاصفياء أو مشاهدا اللقاء فى مقام البقاء (ومبشرا) للمؤمنين الاحباء بما يحبونه (ونذيرا) للكافرين الاعداء بما يكرهونه وهى أحوال مقدرة وردت ببعض ما أوتيه مخبرة (الآية) كما سيأتى

(فعد) أى الله تعالى بذلك (محاسنه) أى فضائله الحسنة (وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه بتبليغ الرسالة لهم) أى بخلاف سائر الانبياء فانه لا تقبل شهادتهم على أممهم لانفسهم بل يحتاجون الى أن هذه الامة يشهدون على الامم بتبليغ أنبيائهم لهم كما تقدم بيانه (وقيل شاهدا) أى يشهد يوم القيامة (لهم بالتوحيد) أى بتوحيدهم لله (ومبشر الامته) أى ويبشرهم (بالثواب) أى فى دار النجاة (وقيل بالمغفرة) أى يبشر أحباءه بحسن المآب (ومنذرا عدوه) أى يخوف أعداءه (بالعذاب وقيل) أى فى معنى منذرا (محذرا) أى يحذر أمته (من الضلال) أى من أنواع الضلالة التى هى الكفر والفسق والبدعة (ليؤمن بالله) أى حق الايمان (ثم به) أى برسوله (من سبقت له من الله الحسنى) أى أى المنزلة الاسنى وهى الجنة العليا أو المثوبة الحسنى ويدل عليه قوله تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله (ويعزروه) أى يمنعوه ويحرسوه من أعدائه (أى يجلونه) وهو من الاجلال أى يعظمونه واثبات النون بناء على أصله قبل دخول لام الامر على مفسره (وقيل ينصرونه) أى على عدوه فى الجهاد أو فى الاجتهاد فى نصرة دينه (وقيل يبالغون فى تعظيمه ويوقروه أى يعظمونه) الاظهر ان يقال يهابونه ويكرمونه ويخدمونه ويعدونه من أهل الوقار
وقرأ بعضهم) أى من قراء الشواذ وقد نسب الى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما

بالنصب أى اقرأ الآية متمما لها بقوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا وهذا مبنى على أنها آية واحدة لا ثنتان لان ربط لتؤمنوا بانا أرسلناك يحسنه وان كان من ذهب الى غيره يقول انه لا ينافيه ألا ترى ان قوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين آية تامة مع ربط قوله وبالليل به (فعد محاسنه) الفاء للتفصيل والمحاسن تقدمت فعطف فيه المفصل على المجمل (وخصائصه) فضائله التى اختص بها اختصاصا حقيقيا أو نسبيا (من شهادته على امته لنفسه) شهادة مقبولة لدعواه ومن بيانية وقيل ابتدائية لاستحالة كون ما بعدها مبينا لمحاسنه وخصائصه مع كثرتها وجعل قوله تعالى ومبشرا ونذيرا بتقدير وكونه مبشرا وكونه منذرا على العطف على شهادته تكلف فتدبر (بتبليغ الرسالة لهم) لا حاجة لتأويله باليهم لتعديه باللام (وقيل شاهدا لهم بالتوحيد) فالمراد بالامة المؤمنون وفيه كلام تقدم وفى بعض التفاسير شاهدا للامة بالقبول وعليهم بالانكار وللرسل عليهم الصلاة والسلام بالتبليغ وعلى أممهم بالجحد فعمم وهو أفيد (ومبشر الامته بالثواب) قيل انه معطوف على شهادته بتأويل كونه شاهدا ومبشرا والثواب قطعا على العمل الصالح ولو بعد دخول النار (وقيل بالمغفرة) والنجاة من النار أو العفو فى الجملة فيشمل الكل (ومنذرا عدوه بالعذاب) أى منذرا أعداءه الكفار والانذار معناه التخويف والتبشير بحسب الظاهر لامته المسلمين والانذار للكافرين وقديعم كل منهما فيكون الانذار لكل من عصى وخالف الامر مؤمنا وكافرا والتبشير لكل من أطاع مؤمنا وكافرا فان للكافر تبشيرا معلقا كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وهذا يختلف باختلاف المقامات ولذا قيل فى قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا انه على ظاهره من غير توزيع وان احتمله (وقيل) فى تفسيره قوله ونذيرا (محذرا من الضلال) قيل انه شامل للمؤمن والكافر لكن قوله تعالى (ليؤمن بالله ثم به صلى الله تعالى عليه وسلم من سبقت له من الله الحسنى) يأباه الا أن يفسر بيثبت ويدوم أو يزداد ويرقى فى ايمانه ولا حاجة اليه والتراخى زمانى ويجوز ان يكون رتبيا أو أعم منهما والحسنى الصفة الحسنى قيل المراد بها السعادة فى الدارين وقد فسرت بالجنة وبالبشارة بها وهذا أنسب بما هو بصدده من تفسير مبشرا ونذيرا والمراد بسبقها كونها مقدرة فى علمه الازلى ومن عبارة عن القوم روعى لفظه فافرد ضميره ومعناه فقال لتؤمنوا بالله ورسوله أى برسالته وبما جاء به وقرأ بالخطاب والغيبة فيه وفيما بعده من قوله وتعزروه الى آخره والخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم وللامة لانه كما يجب على الامة الايمان بالله وبه صلى الله تعالى عليه وسلم يجب عليه ذلك أولهم ففيه التفات أو نزل خطابه صلى الله تعالى عليه وسلم منزلة خطابهم (ويعزروه) براء مهملة بعد المعجمة وهو بصيغة الخطاب والغيبة فى القراءة (أى يجلونه) كذا فى النسخ بالنون مع ان المفسر لا نون فيه وينبغى حذفها ان قلنا الجملة المفسرة تابعة لما فسرت به وفيه بحث والاجلال التعظيم وكذا التوقير فعلى هذا يكون تأكيدا وقد فسر التعزير فى اللغة بالنصر والتقوية فالاولى التفسير به ليكون تأسيسا فقوله (وقيل ينصرونه) ينبغى تقديمه لا تأخيره وتمريضه لا سيما وقد ذكر الثعلبى فى تفسيره ان هذا التفسير روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى تجلوه وتنصروه بلا نون (وقيل يبالغون فى تعظيمه) وجه تمريضه انه كان ينبغى تأخيره عن توقروه على هذا وما قيل من أن الامر بالتعظيم بعد الامر للمبالغة فيه أشعار بان الاصل مما يجب ان يعتنى به كل الاعتناء وأما المبالغة فقد تسامح فيها ويحتمل ان هذا القائل حمل التوقير على معنى غير التعظيم وعود ضمير توقروه لله بمعنى قوله مالكم لا ترجون لله وقارا أى لا تخافون عظمته بعيد (ويوقروه أى يعظموه) روى بنون وبغير نون (وقراءة بعضهم) هو الجحدرى

(وتعززوه بزائين) بالياء بعد الالف وبالهمز وكلاهما صحيح ذكره التلمساني والثاني غير صحيح لان الفرق المعروف بين الراء والزاي بالياء في الثاني وبتركه في الاول فتامل ولذا لم يقل بالزاي المعجمة لاستغنائه بالصورة عن القيد ولا راء مهملة لما تقدم والله تعالى أعلم (من العز) أي العزة والتفعيل للتكثير والمبالغة والمعنى يعززوه غاية العزة وأما جمهور القراء فقراءتهم بضم أوله وكسر الزاي مشددة وبعدها راء وقرأ الجحدري بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وهو شاذ (والاكثر) أي القول الاكثر من المفسرين (والاظهر) أي من العلماء المعتبرين (ان هذا) أي قوله تعالى تعزروه وتوقروه أنزل (في حق محمد صلى ٢٧٩ الله تعالى عليه وسلم) لانه أقرب ذكرا فيرجع ضميراهما اليه ومما يدل عليه قوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه (ثم قال وتسبحوه) أي تنزهوه أو يصلوا له (بكرة وأصيلا) أي نهارا وليلا (فهذا) أي ضمير يسبحوه (راجع الى الله تعالى) ويؤيده ان أرباب الوقوف القرآنية جعلوا الوقف المطلق فوق قوله سبحانه وتعالى ويوقروه ايماء الى قطع ماقبله عما بعده وقيل الضمائر الثلاثة لله وأريد بتعزيره تعالى تقوية دينه وتأييد نبيه ثم اعلم ان ابن كثير وأبا عمرو قرأ بالغيبة في الافعال الاربعة والباقون بالخطاب له ولامته أولهم تنزيلا لخطابه منزلة خطابهم فعلى الاول تقدير الآية انا أرسلناك ليؤمنوا بالله وبك يا محمد وعلى الثاني تقديره ليؤمنن بك من آمن (قال ابن عطاء جمع) بالبناء للمجهول لان فاعله معلوم والمعنى اجتمع (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه السورة) أي سورة الفتح (نعم مختلفة) أي متعددة متكثرة أو مختلفة من حيث ذواتها وان كانت من حيث صفاتها مؤتلفة (من الفتح المبين) من بيانية للنعم المتقدمة (وهو) أي الفتح المبين (من اعلام الاجابة) بفتح همزة اعلام على انه جمع علم بفتح اللام أي من علامات قبول اجابة الله (لدعوته) صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قد سأله النصر في مواطن كثيرة وفي الحديث من فتح له باب الدعاء فتح له باب الاجابة (والمغفرة) أي ومن المغفرة (وهي) أي المغفرة (من اعلام المحبة) لقوله تعالى ردا لاهل الكتاب في محكم الخطاب وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم والمعنى انكم لو كنتم أحباء لما عذبكم بذنوبكم كما يعذب أعداءه بل غفر لكم

(وتعززوه بزائين من العز) من العز خبر قراءة وقوله بزائين بهمزة وياء بعد الالف كما قال التلمساني لان في اسم المعجمة ثلاث لغات زاء بالمد والهمز وزاي بالياء وزي بزنة كي وهو بمعنى التعزير وقال من العز وهو القوة والغلبة والرفعة والشدة لان مصدر المزيد من مصدر المجرد عند بعضهم أو هو تسمح منه (والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني انهم اختلفوا في هذه الضمائر هل كلها لله أو للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا يلزم تفكيك الضمائر أو بعضها لله وبعضها للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لسبق ذكرهما فاختار الزمخشري وتبعه القاضي الاول لتعينه في يسبحوه وتشتيت الضمائر وتفكيكها غير متجه لما فيه من الركاكة ومخالفة الظاهر واختار المصنف رحمه الله تعالى عود ضمير يعزروه ويوقروه فقط للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم للقرينة المعنوية التي تدفع هجنة التفكيك لان التعزير والتوقير لا يستعملان في حقه تعالى ففيه بعد لا يناسب بلاغة القرآن وقد رجعت هذه الضمائر له في آية الاعراف فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ولهذا وقف كثير من القراء على قوله توقروه للفصل بين ضمير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وضمير الله وما قيل من ان التعزير بمعنى التعظيم يطلق على الله بمعنى النصر والاعانة بمعنى نصر دينه ورسوله وهو نصر له وأما التوقير فلا اشكال فيه كقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا انما الاشكال في التعزير لانه من الاضداد ويستعمل فيما لا يليق كالتأديب لا يدفع الاظهرية الموافقة لما عليه الاداء والتفكيك مع ظهور القرائن كثير في كلامهم والاكثر مبتدأ والاظهر معطوف عليه وان هذا الى آخره خبرهما اما بتقدير على بقطع النظر على التابع وتغليب المتبوع مع موافقته بحسب الظاهر وقيل الاظهر مبتدأ وما بعده خبره ويقدر مثله لقوله الاكثر ولكن على تقدير على نحو قول ابن الحاجب وما وقع ظرفا فالاكثر انه مقدر بجملة (ثم قال وتسبحوه بكرة وأصيلا فهذا راجع الى الله تبارك وتعالى) أشار بثم الدالة على التراخي الى ما عليه أهل الاداء من الوقوف على توقروه ردا على من خالف فعين رجوع هذا الضمير كما في نظيره السابق لله قال الزمخشري يسبحوه من التسبيح أو من السبحة وهي الصلاة وفيه على هذا حذف وايصال كما أشار اليه القاضي رحمه الله تعالى بقوله في تفسيره تنزهوه أو تصلوا له (قال ابن عطاء) الذي تقدمت ترجمته (جمع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة) أي متعددة كثيرة متغايرة لفظا ومعنى ولذا عقد لها المصنف رحمه الله تعالى فصلا مخصوصا (من الفتح المبين) الظاهر في نفسه المظهر لدينه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو من اعلام) بفتح الهمزة جمع علم بمعنى أمارة ودليل (الاجابة) أي اجابة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنصر الذي سبق منه في مواطن كثيرة كذا قالوا ولعله أراد أنه تعالى اجابه وبجزله كل ما يرجوه منه فان فتح مكة أعظم مطالبه وأجل نعمه ولذا يقول الملبي أعز عبده وأنجز وعده (والمغفرة وهي من اعلام المحبة) فيه اشارة الى ان المغفرة المراد بها اظهار شدة محبة الله له كما تقول

وأكثر عليكم عطاءه ونعماءه ومن المعلوم ان المحبة من الله تعالى اما ارادة انعام أو نفس احسان واكرام لنزاهة ذاته القدسي عن الميـل النفسي (وتمـام النعمة) أي ومن تمـام النعمة (وهي من اعلام الاختصاص) أي منه له بعـالم يؤته أحدا غـيره كما يسـتفاد من قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي (والهـداية) أي ومن الهداية (وهي من اعلام الولاية) أي التاييـد والنصرة (فالمغفرة) بالرفع مبتدأ (تبرئة) أي تنزيه منه له (من العيوب) أي عيوب الذنوب وفي نسـخة تنزيه من العيوب وأما قول الحلبي وهو بكسر الراء المشددة ثم همزة مضمومة من البراءة فخطأ ظاهر في العبارة اذ الصواب انه بفتح التاء وسكون الموحدة وبكسر الراء المخففة وفتح الهمزة مصدر برأه يبرئه تـبرئة على وزن تفـعلة والذي ذكره انما هو بضم الراء مصدر تبرأ منه وهو غير مناسب للمقام كما لا يخفى عـلى العلماء الاعـلام (وتمـام النعمة ابـلاغ الدرجـة الـكاملة) أي ايصاله تعالى له الى درجة لا درجة فوقها (والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة) أي الى الحضرة في مقعد صـدق وقـرب مكانة وكرامـة لا قرب مكان ومسافة (وقال جعفر بن محمـد) أي ابن عـلي بن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهـم (من تمـام نعمته عليـه ان جعـله حبيبـه) أي اصـطفاه وخصه بكرامة تشـبه كرامة الحبيب عند محبه فالمحبة اصفى وداً لانها من حبة القلب بخلاف الخلة فانهـا ود تخلل النفس وخالطها (وأقسم بحياته) أي في قوله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون أي وحياتك يا محمد وتقديره لعمرك قسمي والعمر بفتح العين لغة في العمر بالضم خص به القسم ايثارا لخفته لكثرة دوران القسم على السنتهم (ونسخ به شرائع غيره) لقوله عليه الصلاة والسـلام لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي (وعرج) بفتح الراء أي صعد (به الى المحل الاعلى) أي المنزل الاعلى وهو بفتح الحاء وكسرها والاول أولى والمراد به مقام قاب قوسين أو أدنى (وحفظه في المعراج) أي عن مطالعة السوى والمعراج الدرجة وقيل سلم تعرج فيه الارواح وجاء انه أحسن شئ لا تتمالك الروح اذا رأته ان تخرج وان يشخص بصر الميت من حسنه (حتى ما زاغ البصر وما طغى) أي ما مال الى الهوى ولا تجاوز عن المولى (وبعثه الى الاحمر والاسود) (وأحل

لمن تحبه كل ما يصدر منك مغفور لدى وكل ما يفعل المحبوب محبوب (وتمـام النعمة وهي من اعـلام الاختصاص) أي هو دليل على انه تعالى جعله من خواص أنبيائه عليهم الصلاة والسلام لانعامه عليه بمـا لم ينله غيره كما قال الله تعالى والله يختص برحمته من يشاء (والهداية وهي من اعـلام الولاية) أي ان الله تعالى تولى أموره اذ هداه الى الطريق الموصـل الى قربه والولاية بكسر الواو وفتحها كما مر النصر والتاييد فهدايته اماليه وهي علامة لتوليـه أموره من التبليغ وغيره وتثبيته عليـه المؤدي لنصرته كما قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهـم سبلنا ثم فرع عليه قوله (فالمغفرة تبرئة من العيوب) أي هي كناية عن شدة محبته له وهو لا يحب الا من كان كامل الخالق والخلق مبرأ عما لا يحبه وفيه اشارة لما سلف وتبرئة بزنة تكرمة مصدر مهمو زمن البراءة أو بضم التاء وفتح الموحدة وكسر الراء المشـددة وهمزة مضمومة مضـارع منها كما قاله الحلبي رحمه الله تعالى وفي بعض النسخ تنزيه بالزاء المعجمة مصدر من النزاهة بمعـنى انه تعالى أولاه الفتح المبـين لتنزهه عمـا لا يليق بمنصـبه العالي قيل فيكون في مقام التجلي ويبلغه بتمام النعمة عليـه درجـة كاملة كما ذكره المصـنف يترتب عليها التجلي بالمشاهدات القلبية الناشئة عن التجليات ولم يذكر الفتح لاندراجه فيما ذكر لا ظهوره فقدبر (وتمـام النعمة ابلاغ الدرجة الـكاملة) غـير المشاهدة فانجح مطلوبه ونزهه عن كل عيب وحلاه بكمالات مهيئة لمشاهـدته وتدعوه لهـا كما أشار اليه بقوله (والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة) لما مر من ان المشاهـدات القلبية الناشـئة عن التجليات الجليـة لا ما وقع له ليلة المعراج لتقدمها على فتح مكة وصلح الحديبية وكون المراد بالفتح القضاء المتقـدم تعسف لا يفيد (وقال جعفر بن محمد) الصادق الذي تقدمت ترجمتـه في تفسير هذه الآية (من تمـام نعمته عليه) أي من اتمـام نعمته التي أتم بها عليه (ان جعله حبيبـه) أي اصطفاه وخصه وأكرمه اكرام المحب لحبيبه حتى لقب بالحبيب كما ورد عنه صلى الله تعـالى عليه وسـلم أنا حبيب الله ولا فخر (وأقسم بحياته) في قوله تعالى لعمرك على أحد الاقوال المتقـدمة (ونسخ به) أي بشرعه (شرائع غيره) جميعها أو تنوعها فلم تبق شريعـة أحد بكمالهـا وان بقي بعض منها ولا باس ببقائه على ظاهره فانه لا يجوز العمل بشيء من شرع غيره الا من حيث انه صار شرعا له صلى الله تعالى عليه وسلم بتقريره له (وعرج به) بالبناء للمجهول والتخفيف أي أعرجـه ورفعـه بناء على انه لا يلزم مصاحبـة الفاعل ان لم يكن التقدير عرج جبريل عليه الصلاة والسلام به وقيل عرج به بمعنى صعد به لا أصـعده وفي الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهـى فان صح وروده بمعنى أصعده كذهب الله بنورهـم أي أذهبه فلا كلام فيه والا فهو كبنى الامير المدينة أي أمر جبريل بالعروج به عليـه الصلاة والسـلام (الى المحل الاعلى) الجنـة أو العرش أو ما فوقه أو ما فوق العالم كما حكاه التفتازاني (وحفظه في المعراج) أي في ليـلة المعراج أو في عروجـه أو في مصعده كما سـياتي (حتى ما زاغ البصر وما طغى) تقدم تفسـيره (وبعثه) أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم (الى الاحمر والاسود) جميع الخالق كما تقدم وسياتي تفصـيله

أي العرب والعجم أو الجن والانس لقوله عليه الصلاة والسلام بعثت الى الاحمر والاسود وفى رواية بعثت الى الناس كافة ولقوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس أى الارسالة عامة لهم محيطة بهم من الكف فانها اذا عمتهم كفتهم عن ان يخرج منها أحدمنهم (وأحل له ولامته الغنائم) لقوله عليه الصلاة والسلام أحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وفى رواية أحلت لنا الغنائم (وجعله شفيعا) أى يوم الجمع لجميع الخلائق (مشفعا) بتشديد الفاء المفتوحة أى مقبول الشفاعة فى مقام محمود يحمده فيه الاولون والآخرون كما روى عن ابن عباس رضى الله عنه مرفوعا (وسيد ولد آدم) أى وجعله سيد البشر ولما كان بعض أولاد آدم أفضل منه فيلزم منه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من آدم عليه السلام بطريق البرهان الذى يسمى بالاولى ومنه قوله تعالى فلا تقل لهما أف أى فكيف الضرب بالكف وهو مقتبس من قوله عليه الصلاة والسلام أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر أى ولا أقول فخرا لنفسى بل تحدثا بنعمة ربى وتقييد يوم القيامة لانه وقت ظهوره ونظيره والملك يومئذ لله والحديث رواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن أبى سعيد مع زيادة وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى ولا فخر وفى رواية لمسلم وأبى داود مع زيادة وأول شافع وأول مشفع ولا فخر وفى البخارى أنا سيد الاولين والآخرين ولا فخر (وقرن) أى جمع ووصل (ذكره بذكره) كما يستفاد من قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك ومن قوله سبحانه وتعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول (ورضاه برضاه) لقوله تعالى والله ورسوله أحق ان يرضوه (وجعله أحد ركنى التوحيد) أى المعتبر فى الدين (ثم قال ان الذين يبايعونك) أى يعقدون الميثاق معك على قتال أهل الشقاق (انما يبايعون الله) لانه المقصود بالبيعة بالاتفاق (يعنى) أى يريد الله بهذه المبايعة (بيعة الرضوان أى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك

(وأحل له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته الغنائم) التصرف فيها كما تقدم (وجعله شفيعا) أى أذن له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الشفاعة وخصه ولقبه بها (مشفعا) مقبول الشفاعة (وسيد ولد آدم) بل سيد الاولين والآخرين وجميع العالمين كما ورد فى الاحاديث الصحيحة (وقرن ذكره بذكره) فى التشهد والاذان وفى مواضع تزيد على عشرين فى القرآن وهو معنى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك كما مر (ورضاه برضاه) مصدران مقصوران أى جعل رضاء الله برضى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أو رضاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم برضاء الله يعنى طاعته طاعته للزوم الرضاء للطاعة لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله والاظهر انه اشارة الى قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه (وجعله أحد ركنى التوحيد) أصل معنى التوحيد فى عرف الشرع اعتقاد توحيد الله تعالى وانفراده فى ذاته وصفاته وألوهيته وانه لامعبود سواه ويطلق ويراد به ما يجب الايمان به وأصل معنى الركن الجانب وأركان الشئ أجزاؤه الخارجية أو أجزاء ماهيته الداخلة فيها بخلاف الشروط فانه الخارج الذى يتوقف عليه صحته ولما كان الايمان الكامل انما يتحقق بالتصديق والاقرار بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته جعل ركنا من التوحيد لا يتم ولا يقبل بدونه سواء كان بالمعنى الاول أو بالمعنى الثانى كالاقرار بذلك الا انه على المعنى الاول مبالغه وعلى الثانى حقيقة والظاهر تفسير الاتمام بما كان بعد الفتح لعطفه على مدخول اللام وعد الامام منه ما كان قبله لانه أراد بالفتح القضاء أو جعل العلة اجتماع ماذكر أو أراد بيان نعم يحصل باجتماعها التمام لا بيان الاتمام نفسه (ثم قال الله تعالى * ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله * يعنى بيعة الرضوان) هذا كالدليل على ماقبله وعطفه بثم نظر الاول ماقبله لتراخيه عنه فلا حاجة للتراخى الرتبى والمبايعة أخذ العهد والميثاق على أمر وكان من عادتهم وضع اليد على اليد اشارة الى التعاضد والتمسك فلذا قال (يد الله فوق أيديهم) وبيعة الرضوان كانت بالحديبية وسميت بها لقوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهى شجرة سمرة وعضاه وقعت تحتها البيعة وبقيت الى زمن عمر رضى الله تعالى عنه وكانوا ألفا وأربعمائة أو خمسمائة والمبايعة كانت على ان لا يفروا أو على الموت ولا مخالفة بينهما وقيل كانت على السمع والطاعة فى النشاط والكسل وعلى النفقة فى العسر واليسر والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى ان يقول فى الله لا تأخذنا لومة لائم وعلى ان ننصره اذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنة فمن نكث فانما ينكث على نفسه وهذا وهم من ناقله فان هذا انما قيل فى بيعة العقبة ولم يتخلف أحد منهم عن البيعة غير الجد بن قيس وعثمان رضى الله تعالى عنه لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان بعثه لقريش ليخبرهم انهم لم يقدموا للحرب وانما جاؤا زوارا للبيت فبايع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه وقال هذه يد عثمان وكان وقع الارجاف بقتله (أى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك) والمبايعة مفاعلة من البيع لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فالله تعالى باع منهم الجنة بانفسهم وأموالهم وهم باعوا أنفسهم وأموالهم بها فالبيع والشراء مقابضة والتسليم فى المعركة كما أشار اليه بقوله تعالى يقاتلون الى آخره لاسلم كما فى بعض شروح الكشاف قيل ولذا قال بان لهم الجنة دون بالجنة وفيه نظر والمراد المعاهدة والمعاقدة كما يرشد اليه قوله ومن أوفى بعهده من الله ولما ورد انه

كيف أثبت مبايعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ونفاها فى ضمن الحصر * أجيب عنه باجوبة منها ان المثبت بحسب الصورة والمنفى بحسب الحقيقة وليس المراد نفى الحقيقة من حيث هى بلا تاويل بل بجعلها كأنها معدومة ادعاء من المؤمنين الواصلين لمقام الاحسان بطى الوسائط لغلبة الشهود فالقصر ادعائى وقيل انه حقيقى على التشبيه فكأنه بلا واسطة وفيه تعظيم وقيل النفى غير مراد والحصر مجاز عن تاكيد الحكم لا اضافى ردا على من زعم انه مع الجن وأولى الوجوه الاول ولما جعل المبايعة مع الله حقيقة أكد ذلك بقوله (يد الله فوق أيديهم) على سبيل التخييل كما ستراه فلذا قال (يريد عند البيعة) أى المبايعة على عادتهم فى وضع اليد فوق اليد وهذا من المتشابه وجمهور السلف فيه على تفويض علمه الى الله وتنزيهه عما لا يليق به وذهب بعضهم الى تاويله بما يليق به بشرط موافقته لكلام العرب وذهب ابن الهمام رحمه الله تعالى الى انه ان دعت اليه حاجة جاز والا فلا وذهب ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى الى أنه ان كان التاويل قريبا جاز والا فلا واليه أشار المصنف بما ذكره هنا قال الاشعرى رحمه الله تعالى اليد ورد باطلاقها عليه تعالى الشرع فالمراد بها صفة قريبة من القدرة انها أخص كالارادة والمحبة فان فى اليد تشريفا لازما وفى الكشاف لما قال انما يبايعون الله أكده على طريق التخييل فقال يد الله الى آخره يريد يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التى فوق يد المبايعين وهو منزه عن الجوارح فالمراد تقرير ان عهد الميثاق مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كعهده مع الله من غير تفاوت وتبعه البيضاوى حيث قال الجملة حال أو استئناف مؤكد على سبيل التخييل وبيانه كما قيل انه لما شبه مبايعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بمبايعة الله تشبيها بليغا ومن ضرورة ذلك تشبيه الذات المقدس بالمبايع تشبيها مضمرا فى النفس تحققت هناك استعارة مكنية وهى التشبيه المضمر عند صاحب التلخيص وعند السكاكى لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادعاء وعند غيرهما عبارة عن اسم المشبه به المتروك المرموز اليه بذكر لازمه ولا يصح هنا ما قال السكاكى للزوم استعمال الجلالة فى غير ذاته تعالى وهو لا يجوز اجماعا فالتخييل الذى قالوه هنا عبارة عن اثبات اليد التى هى من لوازم المشبه به وهو المبايع للمشبه وهى قرينة الكناية على رأى القزوينى وعلى رأى غيره عبارة عن لفظ اليد المشبه للمشبه والفرق بين مذهب السكاكى ومذهب الجمهور ان التخييلية لا تتحقق لمعناها حسا ولا عقلا بل هى صورة وهمية لا يشوبها شئ من التحقيق كاظفار المنية فانه لما شبه المنية بالسبع فى الاغتيال صورها الوهم بصورته واخترع لها صورة اظفار وأطلق عليها لفظ الاظفار ولا يمكن هنا اعتبار مذهبه بان يخترع لله صورة وهمية مرادة من لفظ اليد وقد صرح الزمخشرى بان المراد يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التى تعلو ايدى المبايعين وأضيفت لله لنكتة ذكرها وكلامه يدل على بطلان مذهبه لانه يدل على تحقق التخييل فى مادة لا يتصور فيها اعتبار الصورة الوهمية الا أن يقال انه لم يعترف بوجود التخييل هنا وقوله اكده تاكيدا على طريق التخييل معناه ان التشبيه البليغ فى انما يبايعون الله أفاد ان عقد الميثاق مع الله والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم سواء بلا تفاوت والمكنية المقرونة تفيد هذا فالجملة المشتملة على الاستعارة تاكيد لجملة التشبيه البليغ على رأى أهل المعانى دون النحاة ولذا لم يعطف وانما ذكر التخييل دون الكناية لاستلزامه لها وذكره صريحا اكتفى باحد المتلازمين عن الآخر * فان قلت المشبه به فى التشبيه المضمر المقرون بالتخييل أما المبايع المطلق أو الخاص وهو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الاول لا يصح جعل يد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من لوازم المشبه به لعموم المشبه به وخصوص يد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الثانى يرد عليه ان يد الله لعمومها لا تختص بيد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لان العام لا دلالة له على الخاص فكيف يصح قوله يريد يد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت نختار

يد الله فوق أيديهم) استئناف مؤكد لما قبله (يريد) أى الله ان يده فوق أيديهم (عند البيعة) أى على طريق الخصوصية قال التلسمانى قوله يريد عند البيعة صوابه معناه عند البيعة والا فالارادة والعناية فى كلام المخلوقين ولا ينبغى أن يقول المفسر يعنى ولا يريد ولكن يقول من معناه أو يجوز أو يحتمل ونحو ذلك مما يجرى على الالسنة

الاول ونجعل التخييل عبارة عن اثبات اليد مطلقا وخصوص اضافتها من المقام أو الثاني واليد وان
عمت الايادي كلها مقرونة بما يخصها وهو قوله تعالى فوق أيديهم لان اليد التي فوق أيديهم انما
هي يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فالتخييل اثبات يد الرسول للمشبه وهذا كله بناء على حمل كلامه
على اصطلاح أهل المعاني وهو الظاهر فان حمل التخييل على اللغوي فان اضافة اليد للمنزه عن الجارحة
مجرد تخييل وتصوير لقصد المبالغة والتأكيد لم تحتج الى الاعتبارات المذكورة الا انه مع بعده مخالف
لعادته في الجري على المصطلح وروى انما يبايعون الله أي لوجه الله وقال التلمساني الصواب أن يقال
معناه عند البيعة والا فالارادة والعناية انما هي في كلام المخلوقين ولا ينبغي أن يقول المفسر يعني ولا يريد
بل يقول من معناه أو يجوز أو يحتمل ونحوه وهذا امثل الاوجه له (قيل) في تفسير اليد (قوة الله) هذا على
مذهب الخلف الذاهبين الى تاويل المتشابه أي المراد باليد هنا القوة فانه تعالى يوصف بها ومن أسمائه
القوي أي قوة الله وقدرته في نصر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فوق قواهم فهو مجاز مرسل لان آثارها
يظهر باليد قيل فعلى هذا تكون نعمة مستقبلة وعد الله بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مانع من
اعتباره في الحال (وقيل ثوابه) أي المراد باليد ثواب الله لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فوق ثوابهم في
مبايعتهم والوفاء بعهدهم وهو قريب من قوله (وقيل منته) أي نعمته عليهم ببيعتهم مما منحوه من العز
في الدنيا والثواب في الآخرة فوق منتهم عليك بمبايعتهم وبذل أنفسهم وأموالهم واطلاق اليد على النعمة
لكونها بمنزلة العلة الفاعلة لها شائع في كلام العرب وورد بهذا المعنى مفردة ومجموعة على أيدي وأيادي
وهو جمع الجمع وبعض أهل اللغة قال اليد بمعنى الجارحة تجمع على أيدي وبمعنى النعمة على أيادي
والصحيح الاول والدليل عليه قوله لجودك في قومي يد يعرفونها * وأيدي الندى في الصالحين فروض
(قوله) سأشكر عمرا ان تراخت منيتي * أيادي لم تمنن وان هي جلت
قيل والى هذا المعنى يرجع ما قبله وما قيل من انها من الله الثواب ومن المبايعين الطاعة غير ظاهر
(وقيل) اليد هنا معناها (عقده) قيل معنى العقد ربط الحبل ونحوه ثم استعير لمعان منها العهد والميثاق
يقال عاقدته على كذا وعقدته بمعنى عاهدته كما في المصباح وهو المراد هنا أي اليد عبارة عن عقد العهد
وهي المبايعة المذكورة فان كان بمعناه المصدري فهو ايجاده عهد البيعة واتمامه بمعنى ان الله تعالى
أوجد هذه البيعة وتممها فاستعار لايجاده عقدها اسم اليد لان الناس يفعلونها فهو من اطلاق المسبب
على السبب وفوق أيديهم ترشيح للاستعارة اللغوية فان لها ترشيحا كما صرحوا به وأيديهم على حقيقته
كما في شرح التجاني واعترض عليه بان أول كلامه ظاهر في ان اليد عبارة عن العقد وقوله استعارة
لايجاده عقده يقتضي استعارتها للايجاد وعليهما التجوز في المفرد وهو اليد فالمعنى ان عقد الله تعالى
وايجاده فوق أيديهم وهو مخالف لتفسيره بان الله تعالى عز وجل أوجد هذه البيعة وتمم عقدها وهذا
المعنى انما يستفاد من مجموع يد الله فوق أيديهم فانه لازم معناه التركيبي وانه لو كان له يد فوق أيديهم
وجارحة فوق جوارحهم لكان هو الذي أوجد هذه البيعة والتحقيق انه مجاز مركب كتقدم رجلا
وتؤخر أخرى وبهذا يظهر مناسبته لما قبله * أقول ان العقد مصدر فيطلق على المعنى المصدري
وعلى الحاصل به وعلى هذا فلا تنافي بين أول كلامه وآخره الا ان كون اليد الثانية بمعناها الحقيقي غير
متجه نعم ما ادعاه من انه مجاز مركب له وجه سواء كان استعارة أو مجازا مرسلا وأما قول الرازي يد الله

(قيل) أي المراد بيدي الله (قوة الله) وقدرته والمعنى قوته وقدرته في نصر رسوله فوق قواهم وقدرهم وقد أشار الهروي في غريبه الى
هذا القول فيكون في الآية على هذا ذكر نعمة مستقبلة وعد الله بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وهي النصر له وعلى القول الذي بعده
يكون فيما ذكر نعمة حاصلة قد شرف الله بها المبايعين واستعمال اليد أيضا في اللغة بمعنى القوة موجود ومنه قوله تعالى أولى
الايدي أي أولى القوى (وقيل ثوابه) أي المترتب على مبايعتهم بايديهم وانقيادهم في متابعتهم فاليد بمعنى النعمة (وقيل منته) أي عطيته ومنه يقال لفلان على يد وفي الحديث اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبي وقد قال الشاطبي رحمه الله اليك يدي منك الايادي تمدها والمعنى منته عليهم ونعمته لديهم ببيعتهم مما منحوه من العز في الدنيا والثواب في العقبى فوق منتهم عليك بمبايعتهم لك على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم قال المنجاني واليه ذهب أكثر المفسرين واستعمال اليد في اللغة بمعنى النعمة كثير ومنه قول الشاعر

لجودك في قومي يد يعرفونها * وأيد الندى في الصالحين فروض

والى هذا المعنى يرجع قول من قال هي من الله سبحانه الثواب أعني اليد في الآية المثوبة ومن المبايعين الطاعة فان الثواب من الله تعالى داخل تحت
منته والطاعة منهم داخلة تحت ما يمتنون به والا فليس اليد في اللغة اسما للثواب ولا للطاعة (وقيل) أي المراد بيد الله (عقده) وفي نسخة
عقوه وهو تصحيف وتحريف والمعنى انه تعالى أوجد البيعة وأتم عقدها فاستعار لايجاد عقدها اسم اليد من حيث كان الادميون انما
يفعلونه بايديهم وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب وجاء قوله سبحانه وتعالى فوق أيديهم مرشحا لهذه الاستعارة والايدي

من المبايعين على هذا هي الجوارح على حقيقتها ولذا قال المصنف (وهذه) أي هذه الاقوال المختلفة المعاني في لفظ اليد هل هي على سبيل الاشتراك والحقيقة أو على سبيل النقل والمجاز والمختار انها (استعارة) أي اطلاقات مجازية لمناسبات سببية (وتجنيس في الكلام) أي وتفنن في العبارات الايمائية ولم يرد به التجنيس الصناعي وهو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى على ماذكره التلمساني وغيره بل اللغوي بمعنى المناسبة لان العقد مثلا اذا أطلق عليه اسم اليد فانما اراد التي بمعنى الجارحة فبينها و بين الايدي في الآية مناسبة والمناسبة كما ذكره التلمساني ذكر الشيء مع ما يناسبه على جهة الاستعارة والتشبيه (وتاكيد لعقد بيعتهم اياه) أي من حيث أن بيعتهم معه صلى الله تعالى عليه وسلم كبيعتهم مع الله لا تفاوت بينهما فيده التي تعلو أيديهم هي يد الله تخييلا (وعظم شان المبايع) بصيغة المفعول والمراد به محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) وقوله عظم بكسر العين وفتح الظاء مجرور عطفا على ماقبله أي وتاكيد لعظمة شانه وفخامة سلطانه من حيث جعل بيعتهم له بيعة لله سبحانه كجعل طاعته طاعته (وقد يكون من هذا) أي من قبيل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (قوله تعالى فلم تقتلوهم) أي كفار بدر بنصركم وتسليطكم اياه ولكن

فوق أيديهم أي حفظه فوق جارحتهم بحفظهم على البيعة كما انه قد توضع اليد على يد المتبايعين ليتم عقدهم فقد قيل انه ناظر الى الاستعارة التمثيلية الا أنه لا يقتضي ان المبايعين للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مبايعون الله كما مر وانما يقتضي انهم مبايعوا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ليس الا والله حافظ لامبايع ومنهم من ذهب الى أن في يد الله مكنية وتخييلية بان شبه الله برسوله ثم ذكر المشبه مثبتا له يدا على التخييل كما نقله بعض الشراح وهو مما لا ينبغي نقله لبشاعته ان سلمت صحته كما قيل فتدبر (وهذه استعارة وتجنيس) أي مستعار أو التقدير ذات استعارة وقد عرفت مما مر انه يجوز في الاستعارة أن تكون مكنية وتخييلية أو تصريحية أو استعارة لغوية وهي المجاز المرسل أو أعم منه ومن الاستعارة المصطلحة وحدها الرماني بانها تعليق العبارة على غير ماوضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل أو هي تمثيلية كقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم فانها تمثيل لاثابة الله تعالى اياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الله وقوله استعارة راجع لماقبله أو للوجه الاخير فهو من مقول القول أو كلام مستانف من كلام المصنف رحمه الله تعالى متعلق بالاخير وجزم به بعض الشراح قال لانه فيما قبله ليس استعارة بل مجاز مرسل أو حقيقة وفيه مالا يخفى والتجنيس وقع في بعض النسخ مكانه تحسين بحاء وسين مهملتين والمشهور هو الاول وهذا التجنيس جار على أحد الوجوه وهو أن أيديهم مستعمل في معناه الحقيقي ولاشك ان يد الله ليست تستعمل بهذا المعنى فيتم الجناس من غير شبهة لانه توافق الكلمتين لفظا سواء كان المعنيان حقيقيان أو مجازيان أو أحدهما حقيقة والآخر مجاز كما فيما نحن فيه وهو تام ان قلنا ان التخالف بالافراد والجمع لا ينافيه والا فهذا نوع لم يتعرض له أرباب البديع وعلى هذا يرد على مافي الاتقان من انه لم يقع الجناس التام في القرآن الا في موضعين ولم يذكر هذا فيه على انا لو قلنا انهما بمعنى مجازي ففيه تجنيس بناء على ان الصفات المشتركة بين الله وعباده كالمنعم هل هي بمعنى أو بينهما تخالف بحسب الحقيقة احتمالات كما فصله ابن القيم في كتاب الفوائد والعجب من الشراح حيث اعترضوا على المصنف رحمه الله فيه حتى قال بعضهم انه لم يرد التجنيس البديعي بل اللغوي وهو مطلق المناسب لان العقد اذا اطلق عليه اسم اليد فانما اراد الجارحة فبينهما و بين الايدي مناسبة وهذا مع فساده لا وجه له ثم ذكر بعضهم كلاما فيه خبط وخلط ثم قال مازعمه ابن دريد من أن الاصمعي كان يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا و يقول انه مولد فغير قادح في صحة أن يقال ان في هذا تجنيسا بين هذا وهذا الاختلاف الصورة وان اتحدت المادة بناء على انهما من الجنس الذي هو الضرب الذي هو أعم من النوع كما نبه عليه الجوهري وهذا لم يفهم كلام الاصمعي فان مراده ان الجنس جامد لم يسمع اشتقاق منه كاستحجر وأما استعمال المصنف رحمه الله تعالى له فانه خطأ مشهور وهو خير من الصواب المهجور فان المصنفين لا يبالون بمثله كما في كشف الكشاف ولفظ الجناس أيضا مولد واختلف فيه هل هو بكسر الجيم أو فتحها ولم يذكره أهل اللغة (وتاكيد لعقد بيعتهم اياه) أي الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث جعل بيعتهم له كبيعتهم مع الله لا تفاوت بينهما فيده التي تعلو أيديهم هي يد الله على مامر (وعظم شان المبايع صلى الله تعالى عليه وسلم) عظم بزنة عنب مصدر بمعنى العظمة مجرور معطوف على عقد والمبايع اسم فاعل أو مفعول والاول أنسب بالمقام ولذا اقتصر عليه التلمساني رحمه الله تعالى والمراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودلالته على تعظيمه بجعل يده يد الله وطاعته طاعته وفيه تعظيم لمن بايعه أيضا وهو تعظيم له داخل فيما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وقول بعضهم ان فيه تشبيه ذات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذات الله يلزمه اطلاق الجلالة على غير الله وهو لا يجوز الا أن يقال ان مثله يجوز في الاستعارة المكنية على بعض الاقوال كما مر وفيه تاكيد لماقبله من جعل بيعته بيعته (وقد يكون من هذا) القبيل الذي جعل فيه فعل العبد عين فعل الله كما في هذه الآية ان الذين يبايعونك انما الى آخره وقد للتحقيق أو هي مجاز عن كونه محتملا وفيه بعد (قوله تعالى فلم تقتلوهم

ولكن الله قتلهم ومارميت اذرميت ولكن الله رمى) أى لم تقتلوا قريشا اذ سلطكم الله عليهم ونصركم ولكن الله قتلهم اذ هو الخالق لهذا الفعل فيكم وان كنتم مباشرين له وهذه الآية نزلت فى غزوة بدر أو حنين كالتى بعدها وقوله ومارميت الى آخره اشارة الى ماوقع ثمة اذ رمى النبى صلى الله عليه وسلم المشركين بكف من حصباء وتراب كما يعلم مما يأتى وقال شاهت الوجوه فلم يبق أحد منهم الا ملئت عينه منه فاشتغل وانهزم فشد عليهم المسلمون حتى قتلوهم ونزلت الآية المتشابهة بين الآيات انه أثبت لنفسه فعلا كان لغيره بحسب الظاهر وجعل الثلاثة منحصرة فيه وليس فيه وفيما بعده اتباع للمعتزلة فى خلق الافعال كما توهم وكلا الآيتين من قبيل انما يبايعون الله لما فيهما من النفى والاثبات كما يفيده قوله يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فمن قال ليس فيهما نفى واثبات لا صريحا ولا دلالة لم يصب (وان كان الاول من باب المجاز) أى وان كان المذكور أولا من قوله يد الله من نوع المجاز (وهذا) أى القتل والرمى المسند الى الله (من باب الحقيقة) وليس هذا اشارة الى القتل فقط وروى فى باب الحقيقة أى داخل فيه والمجاز بانواعه والحقيقة امر مشهور ولا حاجة لبيانه هنا كما فى بعض الشروح والمراد بالمجاز المجاز اللغوى لا العقلى الواقع فى النسب وصرف بعضهم المجاز الى المبايعة والحقيقة الى اليد والفوقية فورد عليه انه يجوز ان يكون تشبيها بليغا فاحتاج الى الجواب بانه على رأى من يقول انه مجاز وليس فيه اداة مقدرة أو انه راجع الى اليد على بعض الوجوه وقال بعضهم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يبق المبايعة فى الآية على اطلاقها اذ قيدها باليد المستحيلة فى حق الله تعالى فى قوله يد الله الخ فالمعنى ان الذين يبايعونك المبايعة التى يوضع فيها الايدى على الايدى انما يبايعون الله تلك المبايعة فتعين ان قوله انما يبايعون الله مجاز لغوى مركب أى لا يكون ايجادها بعتهم منك بل من الله وفيه بحث يعلم مما قدمناه (لان القاتل والرامى فى الحقيقة) وفى أكثر النسخ بالحقيقة ومعناهما واحد والمراد بالحقيقة نفس الامر والواقع ويلزمه ان يكون حقيقة اصطلاحية (هو الله) لا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا المخاطبون ثم ذكر علة كون الرامى حقيقة هو الله لا غيره لانه المتعلق بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وادرج فيه القتل فقال (وهو خالق فعله) أى الله خالق فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر العباد ويحتمل عود الضمير الى العبد لفهمه من السياق (ورميه) تخصيص بعد التعميم أو تفسير (وقدرته عليه ومشيئته) المشيئة بمعنى الارادة وبينهما فرق مفصل فى كتب الكلام وفى نسخة وضمير عليه للفعل وفى نسخة مصححة مسببة بالسين المهملة وتشديد الموحدة المكسورة اسم فاعل مرفوع معطوف على خالق ويجوز جره عطفا على فعله فيكون بمعنى السبب ثم أشار الى تعليل ثان ودليل على كون الفعل فى الآيتين حقيقة وأعاد اللام اشارة الى استقلاله ومغايرته لما قبله فقال (ولانه ليس فى قدرة البشر) فهذا اللفظ مشترك يقال على الانسان ويستوى فيه الواحد وغيره فلا يجمع ويقال بشر وابشار جمع بشرة وهى أعلى الجلد (توصيل تلك الرمية حيث وصلت) أى مكان وصولها من وجوههم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعلى كرم الله تعالى وجهه ببدر ناولنى كفا من الحصباء فناوله فرمى به وجوه القوم فما بقى الا من وقع فى عينيه منها وقيل أخذ قبضة من تراب ورمى بها وقال شاهت الوجوه فما بقى مشرك

(ولكن الله قتلهم) أى بهما اذ هو الخالق للقتل وأسبابه وهم المباشرون له بقوة الله عند اكتسابه (ومارميت) أى رميا يوصل التراب الى أعينهم ولم تقدر عليه (اذرميت) أى يوم بدر وحنين وجوههم صورة واكتسابا وأخذا وارسالا (ولكن الله رمى) أى حقيقة وتبليغا واصابة فبلغ رميه تعالى منهم حدا لم يبلغ رميك من ايصاله التراب الى أعينهم جميعا فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وتمكنتم منهم قتلا وأسرا (وان كان الاول) يعنى ان الذين يبايعونك وان وصلية (من باب المجاز) أى ادخل فى ذلك الباب والاظهر ان يقال من باب المجاز كما فى أصل الدلجى وكذا قوله (وهذا) أى فلم تقتلوهم الآية (من باب الحقيقة لان القاتل والرامى بالحقيقة) وروى فى الحقيقة (هو الله وهو خالق فعله) أى فعل المباشر من قتله ونحوه (ورميه وقدرته عليه) أى ايجادا وابداعا وهو القاتل مباشرة واكتسابا ومن ثم أسند الفعل اليه حقيقة أيضا كما انه نفاه عنه أيضا لكن بين الحقيقتين بون بين وبيان ظاهر لمذهب أهل السنة والجماعة من ان العبد له نسبة الكسب فى الحقيقة على الجملة والحاصل انه سبحانه وتعالى وصف نفسه فى هذه الآية بالقتل والرمى من حيث كونه هو الذى حصل أثرهما ومنفعتهما وان كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه هم الذين قتلوا ورموا فهو على هذا من باب اطلاق السبب الذى هو القتل والرمى على المسبب الذى هو الاثر والمنفعة كما سبق فى الآية المتقدمة واما من يقول ان الله تعالى هو الفاعل لكل شئ على الحقيقة ونسبة الفعل الى غيره مجاز فلا تشبيه فيه لهذه الآية السابقة ولا تفريق بينهما فافهم (ومسببه) أى وهو سبحانه وتعالى مسبب سبب فعل عبده وفى نسخة مشيئته أى ارادته كذا ذكر فى حاشية وليس لها وجه ظاهر بل هو تصحيف كما لا يخفى (ولانه) أى الشان (ليس فى قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت) أى الى وجوههم فاعمت أبصارهم

الاشتغل بعينيه يعالج التراب الذى فيهما فنزل ومارميت ذكره ابن الجوزى وذكر ان سبب نزول قوله تعالى فلم تقتلوهم الخ ان الصحابة رضى الله عنهم لما رجعوا من بدر جعلوا يقولون قتلنا وأسرنا فنزلت فجعل لهما سببى نزول وهو لا ينافى ماذكره المصنف رحمه الله من ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام قاتلوا الان ماقالوه بناء على ماراوه بحسب الظاهر والى ماذكر أشار بقوله (حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه) أى لم يبق من المشركين أحد لم تملأ رميته صلى الله تعالى عليه وسلم عينيه من التراب ودقيق حصباته حقيقة أو نظر اللا كثر ولذا قيل عرفا فانه روى هنا وهذا فعل الله لافعله صلى الله تعالى عليه وسلم والفرق بين التعليلين ان الاول بناء على ان الله تعالى خالق لفعل العبد ولقدرته عليه وموجد لسببه وهو غير مختص بما نحن فيه ولذا قدمه والثانى مبنى على ان هذا الفعل ليس مقدورا للبشر فعلى الاول هو حقيقة باعتبار الواقع دون عرف اللغة وعلى الثانى حقيقة لغوية وعرفية والمذاهب فى الافعال ثلاثة فقيل ان العبد موجد لفعله بكسبه والله خالق لقدرته وتمكينه منه وقيل الفاعل هو الله لاغير وقيل ان الله والعبد موجدان للفعل ولا مانع من اجتماع مؤثرين على أثر واحد وللجلال تحرير مستقل فى هذه المسئلة وعلى كل حال فالعبد مباشر فيصح النفى عنه والاثبات له ولله اذ الفعل ينسب الى الموجد والمباشر كليهما على الحقيقة اللغوية واعترض بانه لو صح هذا صح ماصليت والله صلى وكذا فى المعاصى وأجيب بانه ان أراد صحة نسبة جميع الافعال الى الله فهو ممنوع اذ قد يمنع عنها مانع مع صحة المعنى كايهام أو بشاعة كما قيل فى العارف وخالق الخنازير واطلاق الشارع لايقاس عليه وان أراد صحة النفى عن العبد واثباته حقيقة لله فبطلانه مسلم وخص هذا المقام بذكره لانه مظنة الخيلاء اذ قالوا قتلنا وأسرنا فنزلت تعليما وتاديبا فلا يرد اذ ذلك الامن الله وقد صرح المحقق فى شرح المقاصد بان الفعل لايسند حقيقة الا لمن قام به لا لمن أوجده وشنع على من قال بخلافه وبه صرح شراح الكشاف فى قوله تعالى شققنا الارض شقا فاسناد القتل والرمى الى الله مجاز على مافيه أو أراد ان القتل والرمى ثابتان له خلقا دون البنية معه واليد فليست بالمعنى المصطلح ثم كونه تعالى خالق القدرة والسبب لادخل له فى المدعى وانما ذكر للمناسبة انتهى ملخصا * أقول الفرق بين الفاعل اللغوى والفاعل الحقيقى الذى وعدناك به أمر مهم ولم يحققه أحد كالابهرى فى شرح العضد حيث قال الفاعل يجب ان يكون سببا قابليا لفعله ليصح الاسناد اليه لغة فاذا خلق الله شيئا فى محل يقوم به يسند ذلك الشئ الى محله وان لم يكن له مدخل فى التاثير لا اليه تعالى وكذا نحو الطاعة والمعصية والعيب مما يقوم بالعبد يسند اليه دون الله وان كان أوجده ولذا شدد النكير على المعتزلة فى اسناد الكلام الى الله لكونه أوجده ولم يقم به لعدم صحته لغة بالاستقراء واذا أسند الفعل لغير السبب القابلى لم يجعل مجازا عن فعل آخر مناسب له ويكفى فى هذا ان يعد سببا قابليا فى عرف اللغة ولا يجب ان يكون محلا له فى الحقيقة كما فى سرتنى رؤيتك فلا تجد أحدا من العرب يخطر بباله عند اسناد الضرب لعمرو والمسرة الى الرؤية ان فاعلهما غير المذكور وهكذا يجب ان يفهم هذا المقام لتندفع به الاوهام الى آخر ماحققه بما لامزيد عليه ولم يذكر فيه اختلافا مع طول باعه وسعة اطلاعه واذا عرفت هذا ففيما ذكره هذا القائل أمور منها ان قوله ان الفعل ينسب للموجد والمباشر حقيقة لغوية غير صحيح لانه لاينسب الا لمن قام به وعد محلا له عند أهل اللسان مع ان أول كلامه غير مناسب لآخره ومنها ان الحقيقة تطلق على مايقابل المجاز الاصطلاحى وعلى الواقع ونفس الامر والمصنفون اذا أرادوا الاول قالوا هذا مراد به كذا لاحقيقته واذا أرادوا الثانى قالوا هو فى الحقيقة بمعنى كذا فترديده فى كلام المصنف لاوجه له ومنها ان قوله ان العارف لايطلق على الله لايهامه يعنى انه يختص بالجزئيات أو بما يسبقه جهل والاول يوهم اختصاص علمه تعالى والثانى يوهم مالايليق به جل وعلا تبع فيه غيره وقد رده الحافظ العراقى

(حتى لم يبق منهم من لم تملأ) أى تلك الرمية (عينيه) أى ترابا

رحمه الله تعالى فى نكته على المنهاج بان امام الحرمين رحمه الله تعالى فسر العلم بالمعرفة وتبعه البيضاوى فى تفسيره قوله تعالى (وآخرين منهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) فقال أى الله يعرفهم ان كان العلم بمعنى المعرفة متعديا واحدا واعترض عليه الفاضل المحشى وقال الجوهرى علمت الشئ عرفته وقد وقع اطلاق المعرفة على الله فى كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأقوال الصحابة وأهل اللغة فلا حاجة للالتجاء للمشاكلة ونحوها والعجب من صاحب المواقف حيث قال علم الله لا يسمى معرفة اجماعا لا اصطلاحا ولا لغة ولنا عودة الى بيان ذلك ومنها ان قوله ان كون الله خالقا للقدرة الخ لا دخل له فى مدعاه عجيب منه فانه اذا خلق فعل العبد وقدرته عليه وسببه كان ذلك أبلغ من نسبته له على أتم الوجوه فاى مدخلية أعظم من هذه (وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة) منهم لمباشرتهم له وحقيقة يجوز رفعه خبر القتل ونصبه على الحالية وكذلك خبر مقدم وهذا مبنى على أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام قاتلوا فى بدر وان قوله ولكن الله قتلهم بتقدير ولكن ملائكة الله قتلوهم ومنهم من منع قتالهم معهم كما ذكره المفسرون وقال بعض الشراح ما أحق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة بالنسبة اليهم هو الله الخالق لافعالهم وقدرتهم وهم المباشرون فلا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة لم يسند لله وأيضا لا يظهر كون لم يقتلوهم مثل ان الذين يبايعونك الا أن يقال ان اللفظ يطلق على معناه وعلى كماله المقصود منه فاطلق أولا على ما وضع له من نفى القتل والرمى مع صدوره صورة فى قوله تعالى فلم تقتلوهم وما رميت ثم ثانيا على المقصود من قذف الرعب فى قلوبهم ومنفعة الرمى وتاثيره ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى فهو من اطلاق السبب على المسبب وردبان الملائكة عليهم الصلاة والسلام باشروا القتال فاسناده حقيقة اليهم لا الى الصحابة رضى الله تعالى عنهم فيصح النفى عنهم فما ذكر من قصور الفهم ثم قال ان هذا الدليل انما يدل على أن النفى عن العبد حقيقة لا الاسناد الى الله اذ لا يلزم من كون الايصال من الله والقتل من الملائكة عليهم الصلاة والسلام أن يكون القتل والرمى من الله فلعله ساق الدليل الاول لحقيقة الاسناد الى الله تعالى والثانى لحقيقة النفى فالمجموع دليل على الاثبات والنفى أو الثانى دليل لبعض المدعى ومثله شائع وهذا ليس بشئ والحق وروده اعتراضه وقصور فهم من رده وأما الثانى فغير وارد وقد علم جوابه مما قررناه أولا (وقد قيل فى هذه الآية الاخرى) وهى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم (انها على المجاز العرنى) وفى نسخة العرفى بالفاء ولما كان الفاعل الحقيقى هو الله تعالى كما مر تحقيقه كان اطلاق الفعل على غير فعله واسناده لغيره ليس حقيقيا فيكون مجازا بالنسبة للحقيقة الا أن عادة العرب ولغتهم وعرف تخاطبهم على عدغيره فاعلا حقيقية والقرآن ورد بلسانهم وجرى على نهج كلامهم وهذا معنى قوله العربى والعرفى فهما بمعنى ولذا جعل بعضهم المجاز العربى شاملا للمجاز فى اللفظ والاسناد وان كان المراد هنا الاول والمراد بالعرف عرف اللغة وقيل المراد بالعربى اللغوى وهو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له فى اصطلاح التخاطب وهو احتراز عن المجاز العقلى فى الاسناد والنسبة وللتلمسانى هنا كلام يتعجب منه وهو المراد بالعرفى ما عدل به عما وضع فى عرف غير اللغة والشرع ولا وجه لارادة فى هذا المقام الا أن يراد به ما يعم عرف اللغة فهو فى مقابلة العقلى وقد عرفت أنه كلام ساقط برمته وكذا ما قيل ان المجاز لا يختص بلغة العرب الا أنه لما كان مبحوثا عنه فى علم البيان المدون للفظ

وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة) أى فى الصورة الكسبية والاضافة النسبية مثل اسناد القتل الى أفراد البشرية وانما احتاج الى ذكرهم لئلا يتوهم أن القدرة الملكية ليست كقوى البشرية فى الاحتياج الى القوة الالهية والقدرة السبحانية فان المخلوقات بامرها متساوية فى مرتبة العبودية فاندفع بتحريرنا ما توهم الدلجى خلاف تقريرنا حيث قال وما أحق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة أيضا بالنسبة اليهم هو الله وهو خالق فعلهم وقدرهم ايجادا وابداعا وهم القاتلون مباشرة واكتسابا فلا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة بدون اسناده الى الله حقيقة اهـ وظهر لى وجه آخر انه أراد بقوله حقيقة أنه وقع من الملائكة نوع من المباشرة فى قتل الكفرة لانه انما كان نزول المعركة لمجرد وصول البركة وحصول النصرة (وقد قيل فى هذه الآية الاخرى) أى الاخيرة وهى قوله تعالى فلم تقتلوهم الآية (انها على المجاز العربى) بالباء أى اللغوى أعنى استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة بين المعنى المجازى والحقيقى وهى هنا السببية وفى نسخة العرفى بالفاء قال العلامة محمد بن خليل الانطاكى الحنفى فى حاشيته المسماة بزبدة المقتفى اعلم أن المجاز أن تجوز مستعملة عن معنى وضع ذلك اللفظ له وضع اللغة فهو المجاز اللغوى كالاسد للشجاع وأن تجوز عما وضعه الشارع له وهو الله ورسوله فهو المجاز الشرعى كالصلاة للدعاء وأن تجوز عما وضعه طائفة معينة فهو المجاز العرفى الخاص كالفعل للحدث وان لم تكن معينة فهو المجاز العرفى العام كالدابة للشاة

(ومقابلة اللفظ) أي وعلى مقابلة اللفظ (ومناسبته) أي لما بينهما من العلاقة المؤذنة باستعمال ما وضع للسبب من اللفظ في مسببه
(أي ما قتلتموهم) أي أيها الامة حين قتلتموهم بآلات القتل (وما رميتهم أنت) أيها النبي (اذ رميت وجوههم بالحصباء) بالمد
أي بالحصى أو بالاحجار الصغار يخالطها التراب (والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع) أي وأوقع في صدورهم الرعب والفزع
(أي ان منفعة الرمي) أي وكذا فائدة القتل (كان من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامي بالمعنى) أي الذي هو ابتلاهم بالرعب
وادخال التراب في أعينهم حتى انهزموا (وأنت) أي القاتل والرامي (بالاسم) أي من حيث مباشرتهما بالوسم وصورة

المبنى وحذف قوله القاتل والرامي في الجملة الاخيرة للعلم به من الجملة المتقدمة اذ هو من دلائل الاوائل على الاواخر والله أعلم بالظواهر والضمائر والحاصل فيه ما حكي عن المهدوي وأوضحه هبة الله بن سلامة ان الرمي أخذ وارسال وتبليغ وايصال فالذي أثبت الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم هو الاخذ والارسال والذي نفى عنه وأثبته لنفسه هو التبليغ والايصال والله تعالى أعلم بالحال ثم أعلم بطريق الانعطاف الى القضية الامنية أن السكينة الواقعة في الآية المكنية هي كناية عن تسكين نفوس المؤمنين بتحصيل اليقين وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان أخبرهم حين توجه للحديبية بانهم يدخلون مكة آمنين ويطوفون بالبيت لرؤيا كان رآها فذكر الله سبحانه
وتعالى في هذه الآية أنه خلق في نفوسهم ثقة بهذا وجعلها مستقرة في نفوسهم كان
ومستمرة الى أن يقع ما وعدهم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويشاهدوه معاينة فيزدادوا بذلك ايمانا مع ايمانهم وقد قضى الله
أن يكون ما وعدهم به رسوله لان رؤيا الانبياء وحي ولكن في غير ذلك التوجه ولهذا لما انكشف أمر الحديبية عن الصلح قال بعض
أصحابه يا رسول الله ألم تقل لنا انا ندخل مكة آمنين ونطوف بالبيت فقال لهم بلى فقلت لكم في عامي هذا فكان تحقيق هذا في عام
الفتح والى ذلك أشار الله سبحانه وتعالى بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وجاء قوله

العربي سمي عربيا وهو اصطلاح لم نجده لغيره (ومقابلة اللفظ ومناسبته) بجرهما عطفا على المجاز
وعطف مناسبته على مقابلة عطف تفسيري ان اتحدا والظاهر تغايرهما فانه الاصل والمراد بالمقابلة
صنعة الطباق وهي الجمع بين متضادين في الجملة سواء كانا مثبتين نحو (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود)
أو أحدهما مثبت والآخر منفي نحو ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
كما في التلخيص وليس المراد المقابلة التي ذكرها السكاكي والمراد بالمناسبة ذكر اليد في الجانبين والقتل
والرمي فيهما فهي بالمعنى اللغوي كالمقابلة وليس المراد بها المشاكلة على حد قوله

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

كما قيل وقال التلمساني رحمه الله تعالى المراد بالمقابلة ايراد الالفاظ متوالية متماثلة في الترتيب والمادة
كما ذكره ابن رشيق وهو أكثر ما يقع في ألفاظ الكتاب كقول البحتري

تطيب بمسراها البلاد اذا سرت * فينعم رياها ويصفو نسيمها

والمناسبة ذكر الشئ مع ما يناسبه على جهة الاستعارة أو التشبيه كقول المتنبي

سقيتها عبرات ظنها مطرا * وسائلا من جفون ظنها سحبا انتهى

والاول لا مناسبة له بوجه من الوجوه والثاني يمكن ارادته (أي ما قتلتموهم وما رميت أنت اذ رميت
وجوههم بالحصباء والتراب) الحصباء بالمد الاحجار الصغار وقيل المختلطة بالتراب لان الغالب ان
الحصباء مع التراب وفي نسخة ما قتلتموهم اذ قتلتموهم اي لم توجدوا ذلك وتلحقوه ولم يكن منكم
ما أثبت الله من رمي قلوبهم بالخوف والجزع لقوله (ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع) أي رمى ما رماه من
الجزع وهو عدم الصبر لشدة الخوف ولم يتعرض لمعنى القتل المجازي لفهمه مما ذكر ولو جعل الرمي
شاملا لاتصال الحصباء لعيونهم الشاغل لهم كان أولى فان الله هو الموجد لما ذكر والممكن منه وقيل كان
مقتضى الظاهر أن يقول وما شغلت قلوبهم بالجزع ولكن الله شغلها به فعبر عن شغلها بالرمي لمشاكلة
قوله رميت قاصدا بالرمي رمي الجزع في قلوبهم على تقدير المفعول كما قصد النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم رمي الحصباء (أي ان منفعة الرمي كان من فعل الله تعالى) والمنفعة والنفع بمعنى وهو ما يقابل
الضر وفي لحن العامة للزبيري اذا ذكر الضر مع النفع فهو بفتح الضاد كقوله تعالى (لا أملك لنفسي
نفعا ولا ضرا) واذا ذكر وحده فبالضم كقوله مسني الضر والنفع بالنصر والغلبة والقوة أو شغل قلوبهم
بالجزع وسكت عن القتل لعلمه منه والمراد بالفعل فائدة الموضوع له (فهو القاتل والرامي بالمعنى)
والحقيقة لانه الموجد له ولسببه ومنفعته المقصودة منه فكانه هو الذي فعله وتفريع القاتلية يدل على
أنه مقدر قبله أو في حكمه أو منفعة الرمي التي هي الجزع والرعب سبب القتل فاذا كانت من الله فهو
القاتل لانه الموجد لسببه والرامي لانه الموجد لفائدته فلا تقدير والمعنى المقصود والفائدة من أجل
سببها فهو الموجد لها (وأنت بالاسم) أي بتسميتك راميا واطلاق لفظه عليك لغة لمباشرتك وان

سبحانه وتعالى فى هذه الآية ولله جنود السموات والارض باثر ذكر السكينة زيادة فى تسكين نفوسهم واشعارا بان الله سبحانه وتعالى قادر على مايشاء ثم عقب ذلك بوصفه نفسه بالعلم والحكمة أى فلا تستعجلوا ماوعدكم به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان الله يعلم فى تاخير ذلك حكمة وهو معنى قوله تعالى فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وقوله سبحانه وتعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات أريد بهم الذين أنزل السكينة فى قلوبهم فصدقوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى حديث الترمذى بسند صحيح من رواية قتادة عن أنس رضى الله تعالى عنه قال نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقرأها عليهم فقالوا هنيئا مريئا يانبى الله قد بين الله لك مايفعل بك فما يفعل بنا فنزل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم والواو لمطلق الجمع والافتكفير السيئة قبل ادخالهم الجنة هذا وقد ذكر المفسرون فى قوله تعالى الظانين بالله ظن السوء معنيين أحدهما أنه كناية عن قولهم لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا والآخر انه كناية عما يعتقدونه من صفات الله سبحانه وتعالى على غير ماهى عليه فهو ظن سوء باعتبار انه كذب وموصل لصاحبه الى جهنم ودائرة السوء المصيبة السوء وسميت دائرة من حيث انها تحيط بصاحبها كما تحيط الدائرة بمركزها على السواء من كل الجهات والى هذا مال النقاش فى تفسيره وذهب بعضهم الى انها سميت دائرة لدورانها بدوران الزمان لما كان يذهب ويجئ على ترتيب واحد صار كانه مستدير ومنه حديث وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فكان الخطوب والحوادث فى طيه تدور بدورانه ثم سميت بيعة الحديبية بيعة الرضوان لقوله سبحانه وتعالى فيها لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهى سمرة من شجرة العضاة وذهبت بعد سنين من الهجرة ومر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته بذلك الموضع فاختلف أصحابه فى موضعها وكثر تشاجرهم فى ذلك فقال عمر هذا هو التكليف سيروا واتركوها وكان الذين بايعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ألفا وأربعمائة فى احدى الروايتين عن جابر وألفا وخمسمائة فى الرواية الاخرى عنه فبايعوا رسول ٢٨٩ الله صلى الله تعالى عليه وسلم على

كان الفاعل هو الله تعالى وفى عبارة المصنف رحمه الله تعالى اشارة الى انه تعالى لو قال فلم تقتلوهم اذ قتلتموهم جاز أن يكون الخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين كما انه فى قوله اذ رميت له خاصة ولا ضير فيه وان لم يباشر القتل بنفسه لجواز أن يسمى قاتلا لانه السبب والآمر بالقتال أو لينسب القتل للجميع تغليبا للاكثر على الاقل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقاتل بنفسه فى وقعة بدر كما قاله التجانى وغيره * (الفصل العاشر فى) ذكر (ما أظهره الله تعالى فى كتابه العزيز) أى لعديم النظير أو الغالب لغيره من الكتب بالنسخ أو الممتنع من مضاهاته باعجازه أو من التغيير

أن لا يفروا وقال جابر ولم يبايعوه على الموت وقال سلمة بن الاكوع فى حديثه بايعناه على الموت وكلا الحديثين صحيح لان بعضهم بايع على ان لا يفر ولم يذكر الموت

وبعضهم بايع على الموت ولم يتخلف عن هذه البيعة أحد ممن حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الجد بن قيس فانه اختبأ تحت ناقته وكان عثمان رضى الله عنه غائبا بمكة وبايع عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وقال هذه يد عثمان رضى الله عنه وكانت هذه البيعة بسبب غيبة عثمان عندما ذكر ان أهل مكة قتلوه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم عندما توجه الى مكة أراد أن يبعث رجلا الى قريش يخبرهم أنه لا يريد حربا وانما جاء معتمرا فبعث اليهم خراش بن أمية الخزاعى فلما وصل اليهم أرادوا قتله فمنعته الاحابيش قال ابن قتيبة فى المعارف وهم جماعة اجتمعوا فتخالفوا ان يكونوا كلا على من سواهم والتحبش فى كلام العرب التجمع وخلوا سبيل خراش حتى أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بذلك فاراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يبعث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اليهم فقال عمر يارسول الله انى أخاف قريشا على نفسى وليس بمكة من عدى بن كعب من يمنعنى وقد علمت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها منى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان فبعثه الى أبى سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات للحرب وانما جاء زائرا البيت ومعظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص قبل أن يدخل مكة فترجل له وحمله على دابته وأجاره بالرأى فانطلق عثمان حتى أتى أباسفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أرسله به فقالوا له حين فرغ ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واحتبسته قريش عندها تبره وتكرمه فاتفق ان خرج صارخ فى عسكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد قتل عثمان فاغتم المؤمنون وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانبرح ان كان هذا حتى نلقى القوم وأمر مناديه فدعا الى البيعة وبلغ بعد ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الذى كان من أمر عثمان باطل وجاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سالما فحمد الله على ذلك والمبايعة فى الآية مفاعلة من البيع لان الله سبحانه وتعالى باع منهم الجنة بانفسهم وأموالهم وباعوه أنفسهم وأموالهم بالجنة وبقية قضية الحديبية فى المواهب اللدنية

(الفصل العاشر) (فى) أى فى ذكر (ما أظهره الله فى كتابه العزيز) أى المنيع الذى لا يعترى ساحة عزه ابطال وتحريف

أو الكثير النفع العديم النظير اللطيف (من كرامته عليه ومكانته عنده) الاولى لديه (وما) أي وفي بيان ما (خصه به من ذلك) أي الاكرام (سوى ما انتظم) أي غير ما دخل (فيما ذكرناه قبل) هو مبني على الضم مقطوع عن الاضافة أي قبل ذلك في الفصول السابقة من الفضائل المتقدمة (من ذلك) أي الذي أكرم به ولم ينتظم فيما ذكره قبل (ما نصه الله تعالى) أي صرح به وفي نسخة قصه (من قصة الاسراء في سورة سبحان) وفي نسخة في قصة الاسراء من سورة سبحان وهي غير صحيحة (والنجم) أي وفي سورته وقد سبق الكلام عليه (وما انطوت) أي ومن ذلك ما اشتملت (عليه القصة) أي القضية (من عظيم منزلته وقربه) أي قرب مكانته المفهوم من قوله تعالى دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى (ومشاهدته) أي مطالعته (ما شاهده من العجائب) أي ما رآه من الغرائب المستفاد من قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى كرؤية الانبياء وتمثيلهم له ووقوفه على مقاماتهم وعجائب الملكوت وغرائب الجبروت ومشاهدة الملائكة المقربين وحملة العرش والكروبين ورؤية العرش المحيط بالسموات والارضين ورؤية رب العالمين مع كونه ذهابه وايابه في برهة من الليل مسيرة ما لا يعلمه

أحد من المهندسين وقد ورد ان ما بين الارض وسماء الدنيا مسافة خمسمائة عام وكذا ما بين كل سماء وسماء وكذا غلظ كل سماء وجميع السموات والارضين بجنب الكرسي كحلقة في فلاة وهو بجنب العرش كحلقة في فلاة وقد تعجب قريش من ذلك وأحالوه ولا استحالة فيه عند أرباب العقول اذ ثبت عند الحكماء في علم الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ومع ذلك فطرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في أقل من ساعة وقد حكم علماء الكلام من علماء الانام بان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على جميع الممكنات فلا ينكر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم أو في البراق كيف وقد ورد انه يضع حافره عند منتهى طرفه والتعجب من لوازم المعجزات (ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس) أي يحفظك من تعرض أعدائك روى الترمذي كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله ولا ينافيه ما في البخاري وغيره من شج وجهه وكسر رباعيته يوم أحد لخصوص العصمة بالقتل تنبيها على انه يجب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يتحمل ما دون النفس لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام أشد الناس من جهة البلاء أوانهما بعد وقعته قال التلمساني والمراد بالناس في الآية الكفار بدليل قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين قلت الظاهر هو العموم ولا دلالة في الآية على قصد الخصوص عند أرباب المفهوم وان كان الخصوص من الخارج هو المعلوم

والتحريف لحفظ الله له (من كرامته عليه) قال كرم عليه لتضمنه معنى العزة أو هي بمعنى عنده وعدل عنها لئلا تتكرر مع قوله (ومكانته عنده) أي علو رتبته وشرفه عند الأكابر (وما خصه به من ذلك) المذكور من الكرامة والمكانة وهو تخصيص بعد تعميم أي فيه كرامات وتشريفات مشتركة ومخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم (سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل) أي غير ما دخل فيما قبله من الفصول وقبل مبني على الضم وانتظم يكون لازما ومتعديا كما صرح به أهل اللغة وفيه استعارة ظاهرة وقيل متعلق به أو بذكرنا على التنازع فيه ولما لم تستوعب كراماته قيل أردفه بفصل كله به ولم يدرجه في بعض ما سبق كالملاطفة لترجيح هذه الطريق (من ذلك ما قصه الله تعالى) من قصصت الخبر اذا ذكرته على وجهه كما في المصباح فهو أخص من الذكر مع مجانسته لقوله (من قصة الاسراء في سورة سبحان و سورة (النجم) وهو متعد بنفسه فلا حاجة لجعله بمعنى نص عليه على الحذف والايصال والاسراء سيره صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة الى الاقصى وما فوقه معراج وعروج ويطلق على ما يشملهما أيضا كما مر وهذا وان تقدم مفصلا الا أنه ذكره هنالك استطرادا وهنا اصالة لعقد الفصل لامثاله (وما انطوت) أي اشتملت (عليه القصة من عظيم منزلته وقربه) من الله المفهوم من قوله وغير ذلك (ومشاهدته ما شاهده من العجائب) وهذا بناء على أن المراد بالدنو الآتي دنو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الله أو دنو الله منه دنو منزلة ومكانة لا منزل ومكان بخلاف القول بان المراد دنو جبريل عليه الصلاة والسلام منه والعجائب ما رأى من آيات ربه الكبرى ورؤية الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم وايابه في برهة من الليل الى غير ذلك (ومن ذلك) عطف على من ذلك المتقدم أي ومما أظهره وقيل الاشارة الى عظيم منزلته وقربه (عصمته من الناس) أي حفظه صلى الله تعالى عليه وسلم عن أن يصل اليه كيدهم ومكرهم الذي أشير اليه بقوله (والله يعصمك من الناس) أي يحميك عن القتل وما لا يليق من الاهانة وقد تقدم الجمع بين هذا وبين كسر ثنيته صلى الله تعالى عليه وسلم باحد بتخصيص العصمة بالقتل أو تأخر نزول هذه الآية والمراد بالناس الكفار كما في قوله أمرت أن

أقاتل

(وقوله) بالجر أى ومن ذلك عصمته منهم قبل نزول تلك الآية بقوله تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) ذكره سبحانه وتعالى بعد الفتح مكر قريش به بمكة قبل الهجرة ليشكر نعمة ربه بخلاصه من مكرهم به واحتيالهم عليه فالقصة مكية والآية مدنية أى واذكر اذ يمكرون بك فى دار الندوة متشاورين فى أمرك بحضور عدو الله ابليس حيث دخل فيهم وقال أنا شيخ من نجد سمعت اجتماعكم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا ليثبتوك يوثاق أو حبس اشارة الى قول أبى البخترى ٢٩١ أرى أن تحبسوه وتشدوا منافذه الى كوة تلقون اليه منها طعامه وشرابه حتى يموت فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من قومه من يخلصه منكم أو يقتلوك اشارة الى قول أبى جهل لعنة الله عليه أرى ان تأخذوا من كل بطن غلاما مع كل واحد سيف ويضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوه عقلناه فقال ابليس صدق الفتى أو يخرجوك اشارة الى قول هشام بن عمرو أرى أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال ابليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فتفرقوا على رأى أبى جهل فاخبره جبريل بذلك وقال له لا تنم الليلة فى مكان نومك فامر عليا أن ينام فيه وخرج عليهم وقد اجتمعوا عشاء لقتله وأخذ كفا من تراب فنثره على رؤسهم يقرأ يس والقرآن الحكيم الى قوله تعالى لا يبصرون وهذا معنى قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فمكر الله من باب المشاكلة أو محمول على المعاملة (وقوله) بالجر أى ومنه عصمته بقوله تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله) أى ان لم تنصروه ولم تخرجوا معه الى غزوة تبوك فسينصره من نصره عند قلة أوليائه وكثرة أعدائه اذ أخرجه الذين كفروا وليس معه الا أبو بكر فحذف الجواب وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه وأسند اليهم الاخراج لتسبب اذن الله له فى الخروج عن همهم به فكأنهم أخرجوه وقوله ثانى اثنين حال من ضمير أخرجه أى أحد اثنين روى ان جبريل لما أمره بالخروج قال من يخرج معى قال أبو بكر (وما دفع الله) أى ومنه ما دفعه الله (به) أى بنصره (عنه فى هذه القصة) أى قصة مكرهم به لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ولما قيل من حفر بئرا لأخيه وقع فيه والمعنى ما حفظ الله له (من اذاهم) أى ليلة عزموا على قتله

أقاتل الناس الحديث (وقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) أى ومن العصمة قوله الى آخره وهو مجرور معطوف على قوله وكذا ما بعده وتمام الآية ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وهذا كان لما بايع صلى الله تعالى عليه وسلم الانصار بالعقبة وأمر أصحابه رضى الله عنهم بالذهاب للمدينة أشفقت قريش من ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم فاجتمعوا بدار الندوة للمشاورة فى أمره فاتى ابليس اليهم بصورة رجل نجدى وقال سمعت ما اجتمعتم له فاحببت أن أكون معكم ولم تعدموا من رأى نصحا فقال بعضهم احبسوه وتقاوتر بصوا به ريب المنون فقال الشيخ ما هذا برأى يوشك أن يثبت أصحابه فيأخذونه من بين أيديكم فقال آخر اخرجوه من بين أظهركم فقال ما هذا برأى يجمع جموعا ويأتى لكم فقال أبو جهل لعنه الله تعالى نأخذ من كل قبيلة غلاما معه سيف فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا تطيق قريش تقدر على حربهم كلهم فيقبلون العقل ونستريح منه فقال ابليس لعنه الله تعالى هذا هو الرأى وتفرقوا فأتاه جبريل عليه السلام وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت بمضجعه فى هذه الليلة فامر عليا كرم الله وجهه بان يرتدى ببرده وينام مكانه ففعل فاتوا وأحاطوا بمكانه فلما أصبحوا أتوه فرأوا عليا وقد خرج صلى الله تعالى عليه وسلم ليلا الى الغار على ما فصل فى السير وعلى أول من باع نفسه لله تعالى كما قال

وقيت بنفسى خير من وطئ الثرى ❊ ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

فى شعر نسب له ويثبتونك معناه يوثقونك ويحبسونك ويمكر الله مشاكلة بمعنى يجازى مكرهم بما يليق به كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم قال التجانى وخير الماكرين أقدرهم وأعزهم جانبا لانه أثبت للكفار مكرا فصح التفضيل عليهم فيه وقيل عليه انه يقتضى ان أصل المكر ثابت له كما ثبت لهم الا أنه خير منهم مع ان الثابت له انما هو المجازاة المعبر عنها بالمكر مشاكلة واذا ثبت لهم المكر الحقيقى وهو ايصال المكروه حقيقة وله المجازاة عليه فيكون الماكرين بمعنى المجازين وهو ممنوع عند النحاة كتثنية العينين المشتركتين فالحق ان المراد خير المجازين على المكر كما قيل فى أحسن الخالقين انه بمعنى المقدرين وفيه بحث (وقوله تعالى ❊ الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ❊ الى آخره) بالجر كما روى وروى بالرفع عطفا على العصمة وفى هذه الآية تتميم لما قبلها والمعنى ان لم تنصروه فسينصره من نصره قبل ذلك وهو بين أعدائه وقد هموا بما هموا به فأذن له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الهجرة أو أمده بالملائكة وظرفية الاخراج للنصر لانه سبب له أو لانه سلمه من أعدائه وأعمى أبصارهم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وحماه فى الغار وقصة سراقة معه فلا اشكال فيه والآية نزلت فى غزوة تبوك ونسب الاخراج الى الكفار وان كان منه باذن الله تعالى لانهم سببه كما فصلناه عليك (وما دفع الله به) أى بحفظه من غير معين له أو ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (فى هذه القصة) المشار اليها بقوله تعالى واذ يمكر بك الى آخره فى الهجرة والغار والطريق وقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا وثانى اثنين اذهما فى الغار (من اذاهم) أى أذيتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم بما

(بعد تحزبهم) أى تجمعهم ووقع فى نسخة بعد تحريهم براء مكسورة مشددة فتحتية أى بعد قصدهم (لهلكه) بضم أوله وسكون ثانيه أى هلاكه (وخلوصهم) أى وبعد انفرادهم واعتزالهم خالصين من مخالطة غيرهم (نجيا) مصدر أو وصف أريد به معنى الجمع وقد جاء مفردا فى قوله تعالى وقربناه نجيا وجمعا فى قوله تعالى خلصوا نجيا كما هو المراد هنا أى متناجين ومتشاورين (فى أمره) أى على أى صفة يؤذونه ليظفروا بحاجتهم فطوقوا بخيبتهم (والاخذ) بالجر فى أكثر النسخ واقتصر عليه الدلجى حيث قال والظاهر كما فى نسخة مصححة رفعه عطفا على ما دفع لا على اذاهم لفساد المعنى كما لا يخفى الا أن الاقرب والاظهر الانسب انه مجرور عطفا على تحزبهم وخلوصهم والمعنى بعد الاخذ (على أبصارهم عند خروجه عليهم) أى مع أبى بكر الى الغار ليلة قصدوا قتله وكذا الكلام من حيث المبنى والمعنى على قوله (وذهولهم) أى غفلتهم (عن طلبه فى الغار) أى مع ترددهم حوله فلم يهتدوا اليه وذلك

بآيات أظهرها الله فى الحال من نسج العنكبوت على الغار حتى قال أمية ابن خلف حين قالوا ندخل الغار ما أرى الا أنه قبل ان ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبعث حمامتين على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه أحد لما كانت الحمام هنالك والمراد بالغار نقب بأعلى جبل ثور عن يمين مكة مسيرة ساعة واللام فيه للعهد (وما ظهر) أى لهم (فى ذلك من الآيات) اذ خرج عليهم وهم ببابه فلم يروه بناء على حجاب الله ونقابه تحت قبابه ونثره التراب على رؤسهم فلم يعلموا به حتى قيل لهم الى غير ذلك من الآيات والمعجزات (ونزول السكينة عليه) أى ومن نزول الطمانينة والامن الذى تسكن عنده النفوس على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤيده قوله تعالى وأيده بجنود لم تروها أو على أبى بكر رضى الله تعالى عنه لانه الذى كان منزعجا لقوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه ويؤيده ان بعض القراء جعل عليه وقفا لازما وجعل ما بعده كلاما مستأنفا أو عطفا على صدر القصة مما يكون محلا قابلا لئلا يلزم تفكيك الضمير مع تجويز بعضهم ذلك كما فى قوله تعالى أن اقذفيه فى التابوت الآية وأما قول الدلجى ان هذا هو الحق فليس فى محله لورود الخلاف عن أكابر المفسرين على ان التحقيق فى مقام الجمع على جهة التدقيق أن يقال المعنى فأنزل الله سكينته على كل منهما بناء على ارادة زيادة الاطمئنان والسكون فيهما كما يدل عليه ما فى مصحف حفصة فأنزل الله سكينته عليهما ولا ينافيه ما ورد فى تسلية الصديق من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما

أبى

سيأتى ومن مبينة لما المعطوفة على الناس واختار بعضهم عطفها على عصمته على ان ما مصدرية أو موصولة ومن بيان لمقدر والتقدير ودفع الله بسبب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه أو الكرامة التى دفع الله تعالى بسببها عنه أمرا عظيما ولا يخفى ما فيه من التكلف من غير داع (بعد تحزبهم) بحاء مهملة وزاء معجمة وموحدة وفى نسخة تحريهم براء مهملة ومثناة تحتية أى قصدهم والاولى بمعنى تجمعهم فى مشاورتهم مع أحزابهم وقرار رأيهم (لهلكه) بضم فسكون أى هلاكه وهو مصدر أو اسم مصدر (وخلوصهم نجيا فى أمره) أى بعد اخلاصهم فى أذيته منفردين فى دار الندوة للمشاورة فى أمره والخلوة أعون على الجسم والرأى ونجيا بمعنى متناجين ومناجين فهو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول للمبالغة فى التجوز ويقع على الواحد والجمع (والاخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم) حقيقة الاخذ التناول باليد ونحوها ومنه أخذه الله بمعنى أهلكه ومعنى أخذ الله على أبصارهم منعها من رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم مع ترقبهم له لما خرج من داره ما راءهم والاخذ مجرور معطوف على تحزبهم وروى مرفوعا بالعطف على ما وقيل تقديره من الاخذ على أبصارهم عند خروجه لما أرادوا قتله وهو خطأ لاقتضائه دفع الاخذ وهو ثابت (وذهولهم عن طلبه فى الغار) الذهول ذهاب العقل والنسيان والغفلة والمراد هنا الاخير وفى الغار متعلق بالطلب أى ذهلوا عن أن يكون طلبهم له فى الغار لا حال من ضميره لانهم طلبوه وهو فيه لما اقتصوا أثره حتى بلغوه فصدهم عنه نسج العنكبوت وبيض الحمام ببابه والغار نقب فى الجبل كالمغارة فاذا اتسع فهو كهف وتعريفه للعهد لغار ثور والقريب من مكة بمقدار ساعة (وما ظهر فى ذلك) الغار أو الامر وهذا معطوف على عصمة أى ومن ذلك ما ظهر (لهم) أى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبى بكر رضى الله تعالى عنه فيما ذكره من قصة الهجرة والغار وجميع ضميرهما تعظيما وجمع ضمير المثنى كثير ولهم فى أكثر النسخ والقدح فيه انه توهم ان الضمير للكفار ولم يظهر لهم نزول السكينة عليه تعسف (من الآيات) الدالة على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم كوقوع كف من تراب على جميع رؤس جماعة رصدوه فقتلوا كلهم ببدر ونبات شجرة تسمى الراء كاسم الحرف ببابه ونسج العنكبوت وتعشيش الحمام وبيضه وشفاء الصديق رضى الله تعالى عنه من لدغ الحية بريقه الشريف وشرب الصديق من ماء الجنة لما عطش به كما نقله الفيروزآبادى والطبرى وفتح جبريل عليه الصلاة والسلام لطرف الغار الآخر عند خروجهما (ونزول السكينة عليه) أى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو على

الجعائل وأخذ فى طلب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين هاجر وساخت قوائم فرسه عنه ذلك وهو الذى ألبس له عمر رضى الله عنه سوارى كسرى وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وقد كان أخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فهى معجزة دائمة باقية الى يوم القيامة (حسب) بفتح الحاء والسين وقد يسكن الثانى واقتصر عليه الحلبى وغيره أى على قدر (ماذكره أهل الحديث والسير) بكسر ففتح جمع سيرة وأرباب السير من الشمائل والمغازى (فى قصة الغار وحديث الهجرة) أى مفصلا ومجملا لانه تبعهما حين توجها من الغار مهاجرين الى المدينة ليقتلهما فرده الله خائبا ثم أسلم بالجعرانة منصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف قال الحلبى وفى الصحابة من اسمه سراقة ثمانية عشر غيره (ومنه) أى ومن ذلك (قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر) ومعناه سيأتى أى الكثير

أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لما فى مصحف حفصة رضى الله تعالى عنها فانزل الله سكينته عليهما وقيل الحق الثانى لانه هو الذى كان منزعجا بدليل قوله قبله اذ يقول لصاحبه لاتحزن وقال التجانى فى عود الضمير على النبى صلى الله عليه تعالى وسلم أو أبى بكر رضى الله تعالى عنه قولان وفى أحكام القرآن لابن العربى الاقوى انه لابى بكر رضى الله تعالى عنه لانه خاف على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله على قلبه سكينة أى طمانينة وأمنا وفى الشواذ عليهما ولذا قيل الضمير فى عليه لهما واكتفى باعادته على أحدهما كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه كما ذكره ابن الجوزى عن ابن الانبارى بعد ترجيح عوده لابى بكر رضى الله تعالى عنه وان كان ضمير وأيده بجنود للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بلا خلاف لانه لايحتاج للسكينة الا المنزعج ونظيره مامر فى قوله تعالى وتوقروه وتسبحوه والقراءة الشاذة مؤولة بنسبة ماللواحد الى الاثنين كيخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الا أن قوله تعالى ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين يصح عودها هنا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا والسكينة فسرت بطمانينة الامن والرحمة والوقار فتفسر فى كل محل بما يليق به مع ان طمانينته صلى الله تعالى عليه وسلم ليست كغيره لانها عن جزم بعدم وصولهم له وعدم قدرتهم لو وصلوا اليه على أذيته أو للرضى بما قدره الله تعالى وعدم المبالاة بما يناله لاجله كما قيل

وبما شئت فى هواك اختبرنى * فاختيارى ما كان فيه رضاكا

(وقصة سراقة) بضم السين المهملة وراء مهملة وقاف (بن مالك) وسيأتى تفصيلها وهو ابن مالك بن جعشم بن مالك بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة المدلجى الصحابى الحجزى رضى الله تعالى عنه وجعشم بضم الجيم والشين المعجمة بينهما عين مهملة ساكنة وما نقله البرهان عن الجوهرى من انه بفتحهما ليس موجودا فى نسخة كما قيل وكانت هذه القصة قبل اسلامه وأسلم فى غزوة الطائف بعد فتح مكة ومات فى سنة أربع وعشرين وكان شاعرا وبنو مدلج كلهم قافة والقيافة من علوم العرب وقلما يخطئون فيها وقد عمل بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض الانساب (حسبما ذكره أهل الحديث والسير فى قصة الغار وحديث الهجرة) حسب بفتح السين وسكونها منصوب أى موافقا لما ذكر وفى الحديث يجزى المرء على حسب عمله أى على مقداره وله معان أخر والحديث أقواله صلى الله تعالى عليه وسلم وأفعاله وأحواله وتقريراته ويطلق على قول الصحابى ونحوه أيضا كما فصل فى محله وأهله علماؤه المعتنون به والسير جمع سيرة بمعنى الطريقة والخصلة ثم خص بغزوات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسفاره المفردة بالتدوين والهجرة الانتقال من دار لاخرى وهى هنا للعهد أى هجرته صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة المنورة (ومنه) معطوف على قوله من ذلك (قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر الى آخره) أكده مع ضمير العظمة ايماء الى عظمة المعطى والمعطى وتشويقا ونفيا للشبهة فيه وعبر بالماضى لمضيه ان كان الكوثر مطلق الخير الكثير كما قال

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن الفضائل كوثرا

وكذا ان كان اسم الحوض أو نهر فى الجنة أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج كما ورد فى الحديث لتقدم العطاء وفى الروض الانف عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت الكوثر نهر فى الجنة لايدخل أحد أصبعيه فى أذنيه الا سمع خرير ذلك النهر ونحوه مما ثبت فى الاحاديث الصحيحة * فان قلت ما تسمع من الدوى اذا سدت الاذان بالاصابع انما هو لارتفاع الهوا المانع للاذن عن سماع حركة الابخرة التى فى داخل الدماغ وهو امر طبيعى كما قال المتنبى فى صفة حرب

وتسمع فى الدنيا دويا كأنما * تداولت الاذان انملك العشر

من أنواع التفضيل الا أن فوعل أبلغ من فعيل وفيه تسلية له عن موت ابنه ابراهيم

(فصل لربك) فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذ مقتضى الظاهر فصل لنا أي فدم على الصلاة كما أمرنا أو على صلاة العيد خالصا لوجهه وشكر الانعمه فانها جامعة لانواع شكره لاشتمالها على أصناف ذكره ويؤيد الوجه الثاني قوله تعالى (وانحر) أي ضح بالبدن التي هي خيار أموال العرب وتصدق على المحتاجين من الفقراء والمساكين وقيل المراد بالنحر وضع المصلي يده في الصلاة عند نحره ويروى هذا عن علي كرم الله وجهه (ان شانئك) أي مبغضك (هو الابتر) أي مقطوع الخير والبركة في الدنيا والآخرة أو الذي

انقطع عن بلوغ أمله فيك (أعلمه الله) أي منة عليه في هذه السورة (بما أعطاه) أي ببعض ما أولاه والافعطاؤه لا يمكن احصاؤه (والكوثر حوضه) أي لما في مسلم أتدرون ما الكوثر قيل الله تعالى ورسوله أعلم قال نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوضي ترده أمتي يوم القيامة وضميرهو راجع الى النهر اشعارا بان له نهرا من الجنة منصبا في حوضه يوم القيامة فلا ينافيه قوله (وقيل نهر) بفتح الهاء ويسكن (في الجنة) كما يدل عليه حديث الترمذي رأيت في الجنة نهرا حافتاه قباب اللؤلؤ قلت ما هذا يا جبريل قال الكوثر الذي أعطاك الله وحديثه أيضا أعطاني الله الكوثر نهرا في الجنة يسيل في حوضي (وقيل الخير الكثير) وهذا هو الاظهر لانه هو الحق كما عبر به الدلجي لانه فوعل من الكثرة بمعنى

المفرط المبالغ فيها ويؤيده خبر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في البخاري الكوثر هو الخير الكثير الذي أعطاه الله تعالى قيل لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة قال هو من الخير الكثير الذي أعطاه (وقيل الشفاعة) أي العظمى الشاملة للخلائق كلها المستفاد منها الكثرة (وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة) أي لاشتمالها على خيرات كثيرة واللام للعهد أي النبوة العظيمة أو النبوة المختوم بها المتميز بها عن غيره بنوع المزية (وقيل المعرفة) أي الكاملة وهذه أقوال حسنة معانيها الا انه لا دلالة على ما فيها (ثم أجاب) أي الله سبحانه وتعالى (عنه) أي بدلا منه صلى الله تعالى عليه وسلم (عدوه) أي العاص بن وائل أو أبا جهل ونحوه

فما معنى هذا الحديث * قلت الجنة موجودة الآن كما هو مذهب أهل السنة وهو الذي نعتقده وما تدركه الحواس الظاهرة يدركه الحس المشترك بعد غيبته لانه كالحوض الذي ينصب فيه أنهار جمة فلا مانع من ان النفس كانت سمعته في عالم الذر بحاسة ظاهرة فلما غاب عنها ولم تشتغل بالسمع الآن لسده أدركته أو أدركت دويا آخر كما قاله الحكماء فتذكرته وجعل تذكره سماعا على طريق الاستعارة وليس هذا مما يقال بالرأي وفي كلام العماد بن كثير ومعناه من أحب أن يسمع خرير الكوثر أي نظيره أو ما يشبهه لانه يسمعه بعينه بل شبهت دويه بدوي ما يسمع اذا وضع الانسان أصبعيه في أذنيه وقد قلت وأنا بالروم أتشوق لمصر

لحديث نيلك مصر أمسي مصغيا * حتى يخوضوا في حديث غيره

يا كوثرا ان سد عنه مسمعي * ألقاه فيه قد جرى بخريره

(فصل لربك وانحر) أمر بالصلاة مطلقا أو التهجد وكان الظاهر فاشكر فعدل عنه لان مثل هذه النعمة العظيمة ينبغي أن يكون شكرها كذلك وأعظم ذلك العبادة وأعظمها الصلاة وعدل عن التكلم اذلم يقل لنا الى الظاهر بقوله مخلصا لربك التفاتا تطرية للسمع وتقوية لداعية الشكر لتقدم انعامه عليه بالتربيبة قبل الشكر فكيف بعده وقوله وانحر أمر بتقريب البدن لان النحر يختص بها وفي غيرها يقال ذبح وهذا عبارة عن جميع أنواع العبادة المالية والبدنية ولما رأى بعضهم عدم المناسبة غفلة عما ذكر جعل الصلاة صلاة العيد وقال معنى انحر ضع يدك على صدرك في الصلاة لانها تكون تحت النحر وقول بعضهم ان الصلاة وقعت قرينة للنحر كثيرا نحو ان صلاتي ونسكي لا يجدي (ان شانئك هو الابتر) أي المقطوع العقب والقليل ولم يقل جعلناه أبتر لئلا يسند الشر لنفسه (أعلمه الله بما أعطاه) حقيقة أو قدره له أو بما هو موجب للعطاء فسمي به وتأويله ببعطي يفوت هذه النكات ثم شرع في تفسير الكوثر وسرد أقوال المفسرين فيه ولا يقصد بقوله قيل في الستة الاقوال الآتية تضعيف ذلك وانما أراد الحكاية فقال (والكوثر حوضه) صلى الله تعالى عليه وسلم في القيامة وسيأتي بيانه (وقيل نهر في الجنة) غير الحوض وهو الصحيح (وقيل الخير الكثير) فهو صيغة مبالغة من الكثرة في اللغة وخص بالخير بمقتضى المقام وأحسن في تعقيبه بقوله (وقيل الشفاعة) التي هي من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم في مقام لا يسع غيره النطق به وهذا أعظم الخير والنفع وأكثره (وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة) أي العلوم اللدنية التي أفاضها الله تعالى عليه فيفيضها بغير واسطة كأنها كوثر وهكذا النبوة والمعجزات فما قيل انه لا وجه للتخصيص فيها وان الظاهر ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من انه جميع ما أنعم الله به عليه لا وجه له ثم انهم اختلفوا في الحوض ونهر الكوثر هل هما شيء واحد أو أمران متغايران أو الحوض ماخوذ من الكوثر وانه يمده بمجاري تأتيه منه على أقوال استدل الكل منها باحاديث تركناها لطولها (ثم أجاب الله عنه عدوه) تقدم ان العدو يطلق على الواحد والجمع والمراد سفهاء قريش والعاص بن وائل السهمي كما قاله المفسرون لانه صلى الله

تعالى عليه وسلم لما مات ابنه القاسم قالوا ان محمدا صار ابتر أى لاعقب له فنزلت السورة جوابا لهم مصدرة
بما أعطاه عوضا عن مصيبته بابنه القاسم وقيل عبد الله وقيل قائل ذلك أبو جهل لعنه الله وقيل كعب
ابن الاشرف والسورة نزلت بتمامها جوابا لهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان آخرها نزل
جوابا لقول أبى جهل بتر محمد وكلام المصنف رحمه الله تعالى ماش على هذا وأورد على القول الاول بانها
جواب للعاص وان الابتر من لاولد له وانه قد كان العاص ذا عقب وولد وابناه هشام وعمرو وماتا مسلمين
وهشام قديم الصحبة أسلم بمكة وهاجر للحبشة وقدم المدينة بعدما حبسه أبوه وقومه وعمرو وقدم هو وخالد
ابن الوليد وعثمان بن طلحة مسلمين فنظر لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال رمتكم مكة
بافلاذ كبدها بالمعجمة جمع فلذ وهو القطعة وأجاب التجانى بان العاص وان كان له عقب فقد
انقطعت عصبته منهم بالاسلام ولا توارث بينهم وصاروا اتباع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أب لهم
وأزواجه أمهاتهم كسائر المؤمنين فلا قرابة بينهم وبينه وقد روى انه انقطع نسله كما سيأتى وقد قرئ
أزواجه أمهاتهم وهو أب لهم ولا تنافى بينها وبين قوله تعالى ماكان محمد أبا أحد من رجالكم لان المنفى
الابوة الحقيقية وأجاب غيره بان من قال انه أبتر لم يقصد ظاهره وانما قصد انه سيموت ولا يذكر وقد ورد
هذا مصرحا به فى بعض الروايات فالرد باعتبار المقصود وان شانئه هو الذى لاذكر له فان المراد ذكر الاب
بخير بعد موته ولاشك ان عقبه لايذكرونه بخير بعد اسلامهم وأما ماقيل من ان صدر السورة لادخل
له فى الرد فانها كانت نزلت جملة فكيف يقال انها نزلت للرد فمدفوع بانه لامانع فى الجواب من ان يزاد فيه
والاحسن ان يقال انه مؤيد للجواب وموطئ له اذ المعنى انا أعطيناك عطايا عظيمة فى الدنيا والآخرة
يجب عليك شكرها وجعلنا لك عبادة وشرعة باقية ومن هذا شانه لايكون أبتر انما الابتر من ليس
كذلك فان المقصود من الولد الذكر وأى ذكر أبقى من ذكرك وأقوى ولك ان تقول ليس سبب النزول
قولهم هذا بل سببه موت ذكور أولادهم وقولهم شماتة نسبته انه أبتر ومعنى السورة مطابق له بتمامها
فان من مات من الاولاد فرط لابائهم يثابون عليه فى الآخرة فالمراد انا أعددنا لك الكوثر لما احتسبته
منهم واللائق بك انما هو الاشتغال بالعبادة فان أمتك ومن هداه الله تعالى بك عقب لك الى يوم القيامة
ومن كان هكذا فليس بابتر انما الابتر عداه وأى مناسبة أتم من هذه (وردعليه قوله) انه منقطع العقب
والذكر بوجه يتضمن شتمه وتنقيصه (فقال تعالى) وفى نسخة قال على الاستئناف أو البدل (ان
شانئك هو الابتر) لا أنت لبقائك وبقاء ذكرك فهو علة لمقدر أى لاتلتفت لمقاله فانه أبتر وهو استئناف
نشأ مما قبله أى أمرتك باشتغالك بالعبادة المالية والبدنية لانه الاعائق لك عنها من عدوك الابتر وقيل
هو مع الامر قبله معطوف على جملة الامر الاول وغير فيها الاسلوب تفننا وفيه تكلف وتعريف الطرفين
وضمير الفصل المفيد كل منهما الحصر ولم يكتف باحدهما لزيادة الاهتمام بنفى ماذكر عنه واثباته
لعدوه على أتم الوجوه ويحتج بعض الشراح هنا بامور لاطائل تحتها غير التطويل (أى عدوك
ومبغضك) أصل معنى الشناء البغض ويلزمه العداوة فى الاكثر وهو الواقع هنا فلذا ذكرهما الا انهما
مترادفان كما قيل بدليل قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء (والابتر
الحقير الذليل) أصل معنى البتر القطع وفى حديث الضحايا نهى عن المبتورة أى المقطوعة الذنب
ثم أستعير لمن لاعقب له وشاع فيه حتى صار حقيقة ومجرد عدم الولد لازم فيه وانما يذم باعتبار لازمه
وهو انقطاع العمل لحقارته وذلته كما ورد فى الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الى آخره مع ان
عقبه صلى الله تعالى عليه وسلم من فاطمة لم ينقطع ففيه رد وزيادة اذ الحقير لايذكره أحد وقيل
الابتر مشترك بين من لاعقب له والحقير وليس ببعيد (أو) معناه (المفرد) بفتح الراء (الوحيد)
بمعناه تأكيد له وفى القاموس الابتر الذى لاعقب له أو مقطوع الذنب وهذا المعنى مأخوذ منه ولذا

(وردعليه) حين مات ابنه القاسم (قوله) أى ان محمدا قد أصبح ابتر أى قليل العدد مقطوعا من الولد اذا مات مات ذكره لانه لاعقب له (فقال ان شانئك هو الابتر أى عدوك ومبغضك) بالنصب تفسير لشانئك (والابتر الحقير الذليل) أى على ماقيل وهو الذى لاذكر حسن له ولا ثناء جميل (أو المفرد) بفتح الراء أى المنفرد (الوحيد) أى الذى لاولد له ولاعقب

(أوالذى لاخير فيه) وأما هو صلى الله تعالى عليه وسلم فذكره حسن وثناؤه جميل ونسبه مستمر وآثار أنواره باقية الى يوم القيامة
ومالا يدخل تحت العبارة فى الآخرة ٢٩٦ (وقال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم قيل) وهو المحكى عن
ابن عمر وابن مسعود
والمنقول عن ابن عباس
(السبع المثانى السور
الطوال) بكسر الطاء جمع
الطويلة كما صرح به الشراح
فاندفع به قول المنجانى
هكذا وقع فى الكتاب
وصوابه الطول مضموم
الطاء دون ألف فيه لان
السورة مؤنثة فهى طولى
والجمع طول لاغير وقوله
(الاول) بضم همزة وفتح
واو مخففة جمع الاولى وهى
البقرة وآل عمران والنساء
والمائدة والانعام والاعراف
والانفال مع براءة لانهما
فى حكم سورة واحدة ومن
ثم لم يفصل بينهما بالبسمله
وقيل السابعة سورة
يونس أو يوسف بدل
الانفال (والقرآن العظيم)
بالنصب على الحكاية
ويجوز رفعهما بناء على
انه مبتدأ خبره (أم القرآن)
أى أصله أو بمنزلة أمه
لاشتمالها على كليات معانيه
ومهمات مبانيه اذ أولها
تمجيد وأوسطها تعدد
وآخرها وعد وتوعد فكأنها
هو فى التحقيق دون التعدد
الكل على وفيه اطلاق
الجزء لاسيما وهو الاكمل
فى المعنى ولذا وجبت
قراءتها فى الصلاة (وقيل) وهو المحكى عن عمر وعلى والحسن البصرى (السبع المثانى
أم القرآن) لحديث البخارى أم القرآن هى السبع المثانى (والقرآن العظيم سائره) أى باقيه أو جميعه بناء على انه مأخوذ من
السؤر بالهمزة بمعنى البقية أو من السور الذى هو الجمع والاحاطة والشمول من سور الحصن فالعطف من باب عطف الخاص على العام

يحتملهما

فسر الابتر بالمنفرد الذى لاناصر له ولا يبلغ ما سواه وروى هذا عن الحسن ونسل أعدائه انقطع باسلامهم
كما مر ومنه ما انقطع بقاؤه حقيقة أو العاصى كما قالوه (أو الذى لا خير فيه) فلا يذكره أحد وفيه مقابلة بينه
وبين قوله الكوثر اذا فسر بالخير الكثير ومن كرامته التى ذكرها الله تعالى ما أشار اليه بقوله (وقال الله
تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم) والمثانى جمع مثنى معدول عن اثنين ومن بيانية
أو تبعيضية أى من جملة الآيات المثانى قال فى مرقاة الصعود هى السورة التى تقصر عن المئين وتزيد على
المفصل كأن المئين جعلت مبادى فالتى تليها جعلت مثانى والقرآن وصف أو اسم وخص السبع
بالذكر لفضلها وأما كون الفاتحة لم تكتب فى مصحف ابن مسعود كما نقله الامام فلا وجه له (قيل السبع
المثانى السور الطوال) بكسر الطاء جمع طويلة وأما بضمها فمفرد كرجل طوال بتخفيف الواو
وتشديدها للمبالغة (الاول) بضم الهمزة وفتح الواو المخففة جمع أولى مؤنث أول وليس الطوال جمع
طويل حتى يرد عليه ان جمعه انما هو طول أى السور الطوال واختلف فيها على هذا القول فقيل هى
البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والسابعة الانفال وبراءة معا بناء على انهما
سورة واحدة وقيل يونس وقيل يوسف وضعف أبو العالية هذا القول بان هذه الآية نزلت ولم يكن
اذ ذاك نزل شئ من هذه السور والمثانى اما صفة القرآن كقوله تعالى كتابا متشابها مثانى ومن
تبعيضية أو بيانية ومعنى وصف القرآن بها ان قصصه ومواعظه وأوامره تثنى وتكرر فلا تمل كغيرها
من الحديث المعاد أو هى المثانى نفسها فمن تجريدية وأجيب بان أعطيناك بمعنى نعطيك فى المستقبل
عبر به لتحققه وقيل المثانى من الثناء للثناء عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أقاربه والعامل به
كقوله قرآن كريم ومجيد وهذه الآية مكية والسورة مدنية (والقرآن العظيم) على هذا التفسير (أم
القرآن) أى الفاتحة وجعلها اما لاشتمالها على معانيه وغير ذلك من المعانى التى ذكرها المفسرون
واطلاق القرآن عليها بخصوصها وهو بمعنى المقرو واما بجعل التعريف للعهد أو لمخصص آخر أو لانه
جعل علما عليها وان لم يذكره فى أسمائها وتفسير السبع بما ذكر مروى عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما واطلاقه عليها مروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مع تفسير السبع المثانى بها أيضا فانه
روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ عليه أبى رضى الله تعالى عنه أم القرآن فقال والذى نفسى بيده
ما أنزل الله فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان مثلها هى السبع المثانى والقرآن العظيم فما قيل
ان ما ذكره فى القرآن ضعيف مهجور عقلا ونقلا لا يخفى ما فيه (وقيل السبع المثانى أم القرآن) وعليه
أكثر الصحابة والتابعين وهو قول الجمهور من المفسرين وورد به الحديث الصحيح فى البخارى وغيره
كما سمعته آنفا والمراد على هذا انها سبع آيات بعد البسملة آية منها أو بعد صراط الذين أنعمت عليهم
آية وما بعدها آية أخرى على الخلاف المشهور ويأتى انها انما سميت مثانى لتثنيتها فى الصلاة وغيره
من الوجوه المشهورة (والقرآن العظيم) على هذا التفسير والقول بانه غير مخصوص بها كما مر (سائره)
أى جميعه أو باقيه بعد الفاتحة وفى كتب اللغة ان السائر الباقى مهموز من السؤر وهو البقية أو معتل
من السور المحيط فهو بمعنى الجميع وقد ورد كل منهما فى كلام العرب وقد أشبعنا الكلام عليه فى شرح
درة الغواص ويأتى له مزيد بيان فى أول الباب الآتى وقول صاحب القاموس هو الباقى ووهم
الجوهرى فى تفسيره بالجميع ليس بشئ والواهم ابن أخت خالته وكلام المصنف رحمه الله تعالى

(وقيل السبع المثاني مافي القرآن) أي هو جميع القرآن وتسبيعه لمافي القرآن (من أمر) أي ايجابا كاقيموا الصلاة أوندبا كافعلوا الخير (ونهي) أي تحريما كلاتقربوا الزنا أوكراهة كلاتيمموا الخبيث منه تنفقون اذروى انهم كانوا يتصدقون برد التمر فنزلت والمعنى لاتقصدوا الردىء منه حال كونكم تتصدقون (وبشرى) أي ومن بشارة للمؤمنين (وانذار) أي تخويف للمخالفين (وضرب مثل) كقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت (واعداد نعم) بكسر الهمزة على مافي نسخة مصححة أي تعداد نعم كثيرة وتذكار منح غزيرة وهو بالمعنى المصدري أنسب للعطف على ماقبله من المصادر وقال الدلجي تبعا لبعضهم بفتح همزته جمع عدد بمعنى ونعم معدودة وأغرب التلمساني بقوله ولا يصح الكسر هنا لمخالفة المعنى انتهى (وآتيناك نبا القرآن) العظيم أي أعطيناك علم مااشتمل عليه مما ذكر من قصص ومواعظ بلاغة واعجاز وثناء على الله بما هو أهله وغير ذلك كذا قرره الدلجي والاظهر أن يخص النبا بالقصص ليكون السابع للسبع المثاني ومع هذا لايظهر وجه العدول عن نمط السابق من ذكر المصادر الى الجملة الفعلية في المرتبة التفصيلية (وقيل سميت أم القرآن) أي الفاتحة (مثاني لانها تثنى) بصيغة المجهول مثقلا ومخففا وهو أظهر لان المثاني هو جمع المثنى كالمرامى جمع المرمى ونظيره المعنى والمعاني وقد أبعد التلمساني في قوله مثنى المعدول من اثنين أي تكرر (في كل ركعة) أي صلاة تسمية للشيء باسم جزئه أوفي كل قومة باعتبار الركعة بعدها ففي الفائق انها تثنى في قومات الصلاة أي في كل قومة أوفي مجموع القومات وقيل سميت مثاني لان آياتها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ثم سميت سبعا لانها سبع آيات بالاتفاق غيران منهم من عد التسمية آية دون أنعمت عليهم ومنهم من عكس

يحتملهما وماقيل من انه هنا بمعنى الجميع فانا لانعلم أحدا قال ان السبع المثاني أم القرآن والقرآن العظيم باقيه ليحمل كلامه عليه وان قيل السبع المثاني السبع الطوال والقرآن العظيم جميعه أمر غريب منه فانهم متفقون على ان القرآن يطلق على الجميع وعلى معنى كلى شامل له ولبعضه والعطف قرينة قوية على الثاني وخصت بالامتنان بها لشرفها وزيادة فضلها وثوابها واشتمالها على المعاني القرآنية اجمالا فالحاصل انهم اختلفوا في السبع فقيل السور وقيل الفاتحة وعلى التقديرين جوز في القرآن كونه الفاتحة أو السائر وفي الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم وفي رواية الذي أوتيته فذهب الاكثرون الى مقتضاه في هذه الآية فوصف الفاتحة بوصفين قيل والعدول عنه يلزمه التكلف في الحديث والمصنف رحمه الله تعالى عدل عن الاقوال المعتبرة الى تقديم قول ضعيف مهجور يوهم ان القائل بان السبع هي السور أو الفاتحة جزم في القرآن بما نقله وليس كذلك وتأويله بان مراده نقل ماقيل في كل مفرد مفردا بعيد مع ان اللائق حينئذ نقل ما قيل في السبع ثم ماقيل في القرآن فتدبر (وقيل السبع المثاني) في هذه الآية (مافي القرآن من أمر ونهى وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم) أي المراد بها سبعة معان يشتمل عليها القرآن والمراد بالامر الطلب ايجابا أوندبا لاصيغته وان كان يطلق عليها والنهى طلب الكف عما يحرم أو يكره على سبيل الاستعلاء والبشرى بضم الباء وكسرها بمعنى البشارة اسم مصدر والانذار ضده وهو التخويف منجزا أومعلقا وضرب المثل تشبيه شيء بشيء وهو المراد بالمضرب والمورد واعداد النعم بكسر الهمزة أي تهيئتها وجوز فتحها على انه جمع عدد وبه جزم البرهان الحلبي وقال ابن رسلان انه الواقع في النسخ المعتمدة وكذا قال الدلجي والعدد بمعنى المعدود أو التعديد والنعم جمع نعمة بمعنى الانعام أو المنعم به والذي عده المصنف رحمه الله ستة فقيل ان السابع سقط سهوا أومن الكاتب وأما قوله (وآتيناك نبا القرون (٢) فقيل انه اشارة الى السابع ويؤيده قوله في تاج القراء والسابع انباء قرون والانباء جمع نبا وهو الخبر والقصص التي قصها الله تعالى في القرآن لما فيها من الفوائد كالعبر وتسلية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحكم شتى وغير الاسلوب اشارة الى مغايرته لما قبله تفننا كما قيل به في حديث حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة فان الثالث ماتضمنه قوله وجعلت الخ وعدل عن الظاهر في قوله وجعلت قرة عيني اشارة الى انه ليس من لذائذ الدنيا المعروفة وان عد منها لقوله فيها على مااختاره ابن فورك وغيره كما بين في محله الآتي وليس هذا تفسيرا للقرآن العظيم ليشمل مامر وغيره وارتضاه السيد عيسى ورده بعضهم فقال ليس هذا اشارة الى السابع بارادة نبا القرون لان مقتضى النظم حينئذ أن يترك قوله آتيناك ليوافق المعطوف الاخير ماقبله في الافراد بل هو اشارة الى أن القرآن العظيم منصوب بالعطف على سبعا من المثاني والمعنى آتيناك القرآن العظيم وزاد نبا بمعنى شان لتعظيمه والنبا يكون بمعنى القرآن كما فسر به في قوله تعالى عم يتساءلون عن النبا العظيم (وقيل سميت أم القرآن مثاني لانها تثنى في كل ركعة) قيل الاولى ترك الواو لايهامها انه قول آخر في تفسير

(٢) وفي غالب نسخ الشرح والمتن المطبوع وقع هنا بدل القرون القرآن العظيم ولعل مافي هنا هو الصواب اه مصححه

الآية مع انه بيان لوجه تسمية الفاتحة مثاني وكونها سبع آيات تقدم منا بيانه وفي نسخة تثنى كل ركعة باسقاط في ونصبه على الظرفية المجازية والركعة على ظاهرها والمراد في كل ركعة بعد أخرى أو الكل المجموعي أو المراد بالركعة الصلاة اطلاقا للجزء على الكل لخروج صلاة الجنازة والمأموم عند أبي حنيفة لكونهما على خلاف الاصل المتبادر لكماله والركعة الواحدة لا تسمى صلاة وقد فسر قوله تعالى واركعوا مع الراكعين بصلوا مع المصلين لما مر والتثنية من جعل الشئ ثانيا كربعتهم وثلثتهم اذا كنت رابعهم أو ثالثهم أو بمعنى التكرير أو من التثني بمعنى العطف قيل أو لتكرر مضمونها في القرآن أو هي من الثناء بها أو عليها وتثنى بضم أوله وفتح ثانيه والتشديد أو بسكون ثانيه والتخفيف وعليه اقتصر التلمساني (وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذخرها) فالمثاني من الاستثناء المعروف وأصله الثني بمعنى العطف واستثناها بمعنى ميزها وأخرجها من بقية كلامه وذخرها بالذال وخاء معجمتين وفي نسخة ادخرها بالمهملة المشددة والمعنى واحد فالاصل من الذخر وهو ما يدخر من النفائس والمراد انه اختارها أو حفظها ولم يبذلها لغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام ولذا قال (له) أي لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لتنزيلها عليه (دون الانبياء) وروي دون سائر الانبياء فلم يدخرها ويعطها لغيره لتميزه من بينهم وفي الحديث نادى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبيا رضي الله تعالى عنه وهو يصلي فلما أفرغ لحقه فوضع يده على يده وهو يريد الخروج من باب المسجد وقال اني لارجو أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل الله في التوراة والانجيل مثلها فجعلت ابطئ في المشي رجاء ذلك ثم قلت يا رسول الله السورة التي وعدتني فقال كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين الى آخره فقال هي هذه وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت وبه استدل على خروج البسملة منها وفيه كلام ليس هذا محله يعني انها اشتملت على ما لم يكن في غيرها ولها من الفضل واجابة الدعاء بها ما لم يشاركها فيه غيرها كما ذكره مشايخ الصوفية والخرق حتى قال ابن برجان في تفسيره لو قيل لك ان أحدا أحيى بها الموتى فاياك من انكاره ومن اطلع على تفسيره فهم ما قلنا فالاعتراض بان هذا لا يختص بالفاتحة لوجوده في سائر السور ساقط (وسمي القرآن مثاني) أي في هذه الآية ونحوها دفع لما يتوهم انه سمي به لما مر أو هو جواب سؤال مقدر (لان القصص) بكسر القاف جمع قصة وهو الظاهر من القصص وهو الاتباع لاتباع من يحكي الخبر للآثار وروي بفتحتين كقوله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) فقوله (يثنى فيه) بالياء التحتية والضمير للقرآن وعلى الاول بالمثناة الفوقية والرواية هنا كما قيل بتشديد النون لا غير والقصص مطلق الحكاية ويخص في العرف بحكاية أخبار الامم السالفة ومجرد هذه المناسبة كافية في تسميته مثاني فلا يرد عليه انه كرر فيه غير القصص كالفرائض والحدود والامثال وقد ذكروا هذا وجها لتسمية الطوال مثاني فلعله اقتصر في كل منهما على وجه ليعلم اجراء كل في كل يقينا والقول بان وجه التخصيص بها انها مع اعجازها لا يزداد تاليها الا رغبة ومحبة فيها وغيرها من القصص لو كرر مجه الطبع وهذا كلما كررته يحلو كما قال الشاطبي

وخير جليس لا يمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا

لا يخفى ما فيه ولك أن تقول الاحكام لازمة لامة عظيمة فبتكرارها يتعلموها وتثبت في حفظهم بخلاف القصص ونحوها من الامثال ألا ترى ان الاستاذ يقرر المسئلة مرارا على الطالب لهذا (وقيل السبع المثاني) معناها في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني انا (أكرمناك بسبع كرامات) هذا مروي عن الامام جعفر الصادق فآتيناك بمعنى أعطيناك تكريما لك لانها كالهدية التي ترسل للتكريم وكان

(وقيل بل الله استثناها) أي خصها من بين الآيات (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذخرها) بالخاء المعجمة أو ادخرها بالمهملة كما في نسخة أي جعلها ذخيرة (له دون الانبياء) لما في مسلم والنسائي ورواه الحاكم أيضا وصححه من حديث ابن عباس بينا جبريل قاعدا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمع نقيضا أي صوتا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة الحديث والمعنى انه خص باعطاء معانيهما المأخوذة من مبانيهما فاندفع قول الدلجي تبعا للتلمساني وهذا لا يختص بالفاتحة بل جميع السور كذلك (وسمي القرآن مثاني لان القصص) بكسر القاف جمع القصة قيل وهي المراد هنا وبفتحها مصدر معناه الخبر والحكاية (تثنى) بالتأنيث أو التذكير أي تكرر (فيه) والمثاني جمع مثناة أو مثنى من التثنية بمعنى التكرير أو من الثني بمعنى اللين والعطف لما فيه أيضا من تكرير الاوامر والنواهي والوعد والوعيد والاخبار والامثال وغير ذلك أو من الثناء لما فيه من كثرة ذكره تعالى بصفاته العظمى وأسمائه الحسنى (وقيل) أي عن الامام جعفر الصادق (السبع المثاني) أي معناه في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني هو انا (أكرمناك بسبع كرامات

الظاهر

الهدى) هو وما بعده مجرور بدل بعض من كل أو مرفوع خبر مبتدأ محذوف أي هي الهدى أو منصوب بتقدير أعني والمراد بالهدى الهداية الكاملة المتعدية المتكملة ولا يلائم المقام تفسير التلمساني له بضد الضلالة (والنبوة) أي المتضمنة للرسالة وقال التلمساني أي الرفعة ولا يخفى انه أحد معانيها اللغوية (والرحمة) أي لجميع الامة (والشفاعة) أي العظمى يوم القيامة (والولاية) وهي النصرة والانتقام من العدو بالغلبة (والتعظيم) أي ظهور العظمة (والسكينة) أي السكون والوقار والطمانينة قيل فمن أوتي السبع المثاني باعتبار أخذ جميع المعاني أمن من الدخول في سبعة أبواب جهنم (وقال تعالى وأنزلنا اليك الذكر) أي القرآن وسمي ذكرا لانه يذكر به الرحمن وموعظة وتنبيه للكسلان وشرف لاهل العرفان (الآية) يعني لتبين للناس أي الجن والانس ففيه تغليب وقيل يشملهما ما نزل اليهم أي ما أمروا به ونهوا عنه وما أخبروا به وتشابه عليهم حكمه لاجماله والتبيين أعم من أن يكون بنص على المراد به أو بالرشاد الى ما يدل عليه كاساس قياس وبرهان عقل وايناس

(وقال تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس) أي حال كونك تكفهم وتمنعهم بشرعك عن ظلمهم وكفرهم فالتاء للمبالغة كما في علامة (بشيرا) أي مبشرا للابرار (ونذيرا) أي مخوفا للفجار (وقال تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) حال من ضمير اليكم فانه مفعول في المعنى (الآية) وتمامها الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي

الظاهر أن يقول سبع أكرمه بها أو آتيناك بمعنى أكرمناك فالسبع مبتدأ وما بعده خبره بتقدير مضافين أي معنى آتيناك السبع المثاني أكرمناك الى آخره أو السبع مبتدأ وقوله الهدى الى آخره خبره وقوله أكرمناك جملة معترضة وقيل انه بدل بعض من السبع أو خبر مبتدأ مقدر وعن الامام جعفر انه قال السر في هذا انه ذكر في هذه السورة لجهنم سبعة أبواب فذكر سبع كرامات اشارة الى أن من أكرم بها أمن من تلك (الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة) يجوز فيه الحركات الثلاث وهو ظاهر والهدى ما هداه الله اليه من المعارف والدين والمراد بالنبوة نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم الكاملة المختصة به الختمة الناسخة لما عداها والرحمة العامة وما أرسلناك الا رحمة للعالمين أو ما طويت عليه جبلته والشفاعة العامة والخاصة كما سيأتي والولاية بفتح الواو وكسرها كما مر ولاية الله له بنصره أو توليه لجميع أمورهم بحيث صار أولى بهم من أنفسهم أو الولاية التي هي صفة له كالنبوة والتعظيم جعل الله اياه أعظم من سائر خلقه والسكينة والوقار والهيبة بحيث يخافه كل من يراه وهو لا يخاف الا الله قيل تخصيص هذه الامور وتغايرها مع امكان اندراج بعضها في بعض يحتاج لسند ودليل فتدبر (وقال الله تعالى وأنزلنا اليك الذكر الآية) لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وهذا متعلق بالآية المذكورة ومناسبة لما بعدها لدلالتها على عموم الرسالة اذ لا عهد ولا تقييد أي لتخبر الناس بالوحي ولا تكتم شيئا منه أو لتبين لهم ما فيه من التكاليف والشرائع قيل أورد في هذه الآية الانزال والتنزيل بمعنى وقد فرق بينهما بان التنزيل ما كان تدريجيا والانزال ما كان دفعة واحدة وهذا بحسب الاصل وقد يرد كل منهما بمعنى الآخر وتفصيا في شروح الكشاف ووضع فيه الظاهر موضع المضمر أي ليبينه اشارة لتغايرهما لان المنزل لفظه والمبين معانيه وأحكامه والمعاني منزلة تبعا الالفاظه ولا حاجة لتقدير مضاف فيه (وقال الله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) الكافة ماخوذة من الكف وهو المنع أو الجمع والاحاطة كما قاله الهروي ومعناه جميعا وتاؤه للمبالغة كعلامة وهي في الاصل للتانيث نظر اللغاية والنهاية أو الجماعة وهو منصوب على الحالية من المجرور المتاخر أو من الضمير المنصوب أو هو صفة مصدر قام مقامه أي ارسالة كافة وفي المغني انها تختص بمن يعقل ووهم الزمخشري في جعلها صفة لارساله وذكر بعض النحاة انها تلزم التنكير والحالية وتبعه الحريري فجعل تعريفها والاضافة اليها لحن وليس كما قالوا فانه سمع بخلافه كما فصلناه في شرح الدرة وانما قدم لتدخل على المقصود حصره ولو قيل وما أرسلناك الا للناس كافة أوهم نفي الارسال لغير الناس وهو غير صحيح وقيل المعنى ما أرسلناك الا جامعا للناس بالدعوة وكافا لهم عن المعاصي والمراد جميع بني آدم أو ما يشمل الجن وانما خصوا على الاول لانهم المقصودون بالذات وليس المراد أهل زمنه كما توهم (وقال الله تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الآية) تقدم ما يعلم منه انه لا يعترض على ذلك بان آدم ونوحا كانا مبعوثين الى أهل الارض لانه لم يبق بعد الطوفان الا من كان مؤمنا معه وهو مرسل اليهم لان العموم لم يكن في أصل بعثته وانما اتفق لحادث وقع وأما نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فعموم رسالته من أصل البعثة وأما كون ثمة رسول غيره في أثناء مدته فيحتاج الى النقل أو المراد بقاء شريعته بحيث لا يطرأ عليها ناسخ الى غير ذلك مما فصله ابن حجر في شرح البخاري واختلف في خطاب يا أيها الناس ونحوه هل هو للموجودين ويثبت لمن بعدهم بدليل آخر كاجماع وقياس ونص آخر أو للجميع ويدخل فيه

يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (قال القاضى) أى المصنف (رحمه الله فهذه) أى الآية (من خصائصه) جمع خصيصة أى خصلة لم يشاركه فيها أحد لورودها شاهدة باختصاصه برسالة عامة ومشعرة بان كل رسول بعث الى قومه خاصة (وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) أى بلغة قبيلته الذى هو منهم وبعث فيهم (ليبين لهم) ما أمروا به وما نهوا عنه فيفهموا عنه بيسر وسهولة أمر (نخصهم بقومهم) أى لغة ورسالة ودعوة ونذارة وبشارة (وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق) أى المخلوقين (كافة) أى جميعا من الكف بمعنى الاحاطة والجمع أو من الكف بمعنى المنع أى لكفهم بدعوته عن أن يخرج منها أحد منهم لاحاطتها بهم (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود) أى العرب والعجم كما تقدم وفى صحيح مسلم بعثت الى الخلق وفى حديث بعثت الى الناس كافة فان لم يستجيبوا لى فالى العرب فان لم يستجيبوا لى فالى قريش فان لم يستجيبوا لى فالى بنى هاشم فان لم يستجيبوا لى فالى وحدى ذكره السيوطى فى جامعه الصغير عن ابن سعد عن خالد بن معدان مرسلا وفيه كما فى الآية السابقة ايماء الى حكمة انه بعث بلسان العرب وان العجم أمروا بتتبع لغتهم مع كمال الادب ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم أحبوا العرب لثلاث لانى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى رواه الطبرانى والبيهقى والحاكم وغيرهم عن ابن عباس وفيه اشعار بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أرسل الى العرب والعجم وهم مختلفوا الالسنة من الفارسية والتركية والهندية وغيرها مما يتعذر فى العادة أن يكون واحد يعرف جميع اللغات المختلفة فى أصناف المخلوقات اختار الله له سبحانه أفضل أنواعه وأمر الغير بتعلمه وأتباعه مع انه أيسر اللغات وأسهلها وأضبطها وأجمعها وأشملها وأيضا كان من أنفة العرب وغلاظتهم انه لو نزل القرآن بلسان العجم أو لم يتكلم الرسول الا بلغة غير العرب معهم لما آمنوا وتعللوا بما حكى الله تعالى عنهم فى قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى وقال فى موضع آخر ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه

النبى

الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان مخاطبا بقل لانه يلزمه ما يلزم أمته بطريق الاولى ما لم يعرض له مخصص ولا حاجة لتخصيص الناس بالمكلفين كما قيل لدخول الصبى فى بعض الاحكام (قال الفقيه القاضى) عياض المصنف رحمه الله تعالى (فهذه) أى الصفة أو البعثة العامة (من خصائصه) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع خصيصة وهى ما لم يشاركه فيه غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام كما عليه أهل الملة للحديث الآتى ومر الكلام على بعضه أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى نصرت بالرعب وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأحلت لى الغنائم وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة وروى عامة وقد تقدم ما يرد عليه وجوابه وقوله فيه وكان النبى الخ المراد به الاستغراق لانه ورد وكان كل نبى وهو صريح فيه فلا وجه لقول الامام الخاصة مجموع ما ذكر فلا يلزم اختصاص عموم البعثة به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد وقع مثله للداودى فى شرح السنن قال ابن حجر رحمه الله تعالى وهو غفلة عظيمة منه فانه نظر الى أول الحديث وغفل عن آخره فانه نص على خصوصيته بقوله وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وما قيل من انه احتمال بعيد اذ لا يظهر لتخصيص الخمس تارة والاربع والاثنين أخرى جليل فائدة وغير متجه لانه اذا سلم عموم رسالة آدم ونوح يكون له فائدة وأى فائدة وقد وقع بما مر وقيل المراد بالناس من فى زمنه الى يوم القيامة وهذا لم يكن لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا أمر غير بقاء الشريعة لا عينه كما توهم أو يقال هو مبعوث لجميع الناس من قبله ومن بعده بحيث لو أدركه من قبله لزمه اتباعه أو هو مبعوث الى الاصناف والاقوام وأصحاب الملل المختلفة وآدم ونوح عليهما الصلاة والسلام ليسا كذلك * أقول هذا كلام لا طائل تحته أما رده الاول بان ما ذكره هو غير بقاء الشريعة فليس بصحيح لان مراده البقاء مع العموم ولم يصرح به لظهوره وأما جوابه الاخير فظاهر الفساد (وقال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) أى الا بلغة من بعث اليهم (ليبين لهم) ما بعث به اليهم وأما نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فبعث الى قومه وغيره من جميع الامم كما عرفته (نخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الى الخلق كافة) الانس والجن والملك كما سيأتى تحقيقه وقيل كلامه يقتضى ان غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث بلسان من بعث اليه ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعث الى الخلق فيخص الرسول بغيره وهو مخالف للظاهر ولما عليه المفسرون ويقابله على غير النهج المعروف مع انه شامل لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا فان لسانه عربى وكتابه عربى ليأخذه عنه قومه بغير واسطة وينقل نقلا مستفيضا ولا دلالة فيه على تخصيص بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام بقومهم والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان أرسل الى الناس كافة يكون لسانه وكتابه واحدا لا ينافيه لفهم معانيه لغير قومه بالترجمة ولو أتى بغير لغته فات اعجازه المقصود منه وأجيب عنه بانه معطوف على قال الاخير ناظرا اليه مبينا لضعفه فانه فسر بما ذكر كما نقل عن تفسير تاج القراء وفيه بحث (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه البخارى وأحمد والبيهقى (بعثت الى الاحمر والاسود) أى العرب وغيرهم أو الانس والجن كما مر (وقال الله تعالى

عليهم ما كانوا به مؤمنين وفى الآيتين الشريفتين تشريف لطائفة العجم ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لو كان الدين أو العلم فى الثريا لناله رجال من فارس (وقال تعالى النبى أولى بالمؤمنين) أى أحق بهم فى جميع أمورهم أو مقيد بأمر دينهم (من أنفسهم) أى من أرواحهم فضلا عن آبائهم وأبنائهم (وأزواجه أمهاتهم) جمع أم أصلها أمهة وهى لغة قيل مختصة بالآدميات والامات بالحيوانات وقيل الهاء زائدة (قال أهل التفسير أولى بالمؤمنين من أنفسهم أى فيما أنفذه) بالنون والفاء والذال المعجمة أى أظهره وأمضاه (فيهم من أمره فهو ماض عليهم) أى نافذ وماض (كما يمضى حكم السيد على عبده) اذ لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم فقوله كما يمضى كالنظير لانه دون مرتبته فى التأثير (وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأى النفس) وهذا قول صحيح وعلى طبق ما تقدم صريح فتعبيره بقيل ليس لكونه كلاما غير مرضى بل لجلالة قائله أو جهالة حاله وقد روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ندب الى غزوة تبوك فقال اناس نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت ويدل على هذا المعنى آيات أخر نحو قوله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين وكما قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين رواه الشيخان وغيرهما عن أنس رضى الله تعالى عنه وقد ورد فى بعض الاحاديث أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يصلى على ميت وعليه دين وكان يقول صلوا على أخيكم فلما نزلت هذه الآية قال أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى وعليه دين فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فهو لورثته وأخرج النسائى فى السنن نحوه الا أنه قال فلما فتح الله الفتوح ولم يقل فلما نزلت الآية (وأزواجه أمهاتهم أى هن) على ما فى النسخ المصححة وقال التلمسانى أى هم فى الحرمة وضميرهم عائد على الازواج وعليه الروايات هنا وعبر بضمير جماعة المذكرين اعتبارا للفظ الازواج

النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) يدخل فيه النساء على ما بين فى الاصول لانهم تبع لهم فى الاحكام فيدخلون بالتغليب وان ذهب بعضهم الى أنهن لا يدخلن فى مثله الا بدليل وقرينة لظهور انهن يعاملن بالطريق الاولى الا أن قوله (وأزواجه أمهاتهم) مرجع الضمير فيه لذكور المؤمنين فقط لان المراد تحريم نكاحهن وهو خاص بالذكور ولذا لم يسم أمهات المؤمنين وقيل انه عام أيضا وهن أمهات للمؤمنين والمؤمنات واقتصر على الاول واكتفى به لانه الاهم الاشرف فيجوز اطلاقه عليهن أيضا وقوله من أنفسهم المراد به ذواتهم وأزواجهم يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مقدم عند كل أحد على نفسه وليس المراد أنه أولى من بعضهم ببعض فى نفوذ حكمه وطاعته كما قيل فى قوله تعالى (فسلموا على أنفسكم) أى ليسلم بعضكم على بعض وان جاز فان الاول أبلغ فيما ذكر وهذا معنى ما قيل هو أولى بالمؤمنين فيما اقضى فيهم كما أنك أولى بعبدك فيما قضيت وهو قريب من قول المصنف رحمه الله (قال أهل التفسير أولى بالمؤمنين من أنفسهم أى فيما أنفذه فيهم فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده) فيفعل ما يأمره به ويختاره على ما يريده ويختاره لنفسه فكان أحق بكل أحد من نفسه ومضى الحكم بمعنى نفاذه وجريانه وهذا معنى اشتهر حتى صار حقيقة من مضى السيف أو السهم وأصل معنى المضى الذهاب وأولى بمعنى أحق وقيل انه من الولاية والتسلط وانما ذكره مبنيا على قول العرب السيد أولى بعبده من نفسه أى نافذ فيه حكمه فحمل الآية عليه مجازا أو كناية وروى ان سبب نزول هذه الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أمر الناس بالخروج لغزوة تبوك قال قوم نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت أى طاعة الرسول أوجب عليكم من طاعة آبائكم وأمهاتكم وأنفسكم وليس فيه تأييد للتفسير الثانى كما توهم (وقيل اتباع رأيه أولى من اتباع رأى النفس) هذا مروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بالمعنى فالاولى هنا بمعنى أولوية اتباعه وقيل أولوية محبته وقيل معناه أرأف وأعطف والاحسن ما فى الكشاف من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أولى بهم فى جميع أمور الدين والدنيا من غيره فانه سبب حياتهم الابدية وفى البخارى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبى أولى بالمؤمنين الآية فايما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته فان ترك دينا أو ضياعا فليأتنى فانا مولاه قال القرطبى هذا تفسير الولاية ولا عطر بعد عروس والظاهر كما قيل انه تفريع على الاولوية العامة لا تفسير فلا ينافى ما سبق وفيه اشارة الى أن مقتضى الاولوية أن يراعى فى جانب الرسول أيضا ومعاملته معهم فينفعهم أكثر من نفعهم لهم حيث رد على الورثة المنافع وتحمل المضار والتبعات فافهم (و) قوله (وأزواجه أمهاتهم أى هن) وفى نسخة هم وهو سهو وكونه للفظ الازواج لا وجه له أى كالامهات فى التعظيم وحرمة النكاح لا الارث والنفقة والنظر والخلوة لآية الحجاب ولا يقال لبناتهن اخوات على ما يأتى وفى كونهن أمهات

(وفي الحرمة) أي الاحترام والتعظيم (كالامهات) أي الحقيقة تنزيلا لهن منزلتهن في العظمة بل اللائق أن يكون لهن مزية تعظيما لحضرة النبوة ثم انهن فيما عدا ذلك كالاجنبيات ولذا احتجبن ولم يتعد التحريم الى بناتهن وهذا انما هو فيمن دخل بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النساء وأما من تزوجها وفارقها قبل الدخول فليس لها هذا الحكم وقد كان عمر رضي الله تعالى عنه أمر برجم امرأة فارقها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الدخول فنكحت بعده فقالت له لم وما ضرب الله على حجابا ولا دعيت أم المؤمنين فكف عمر عنها (حرم)

بفتح الحاء وضم الراء ورفع قوله (نكاحهن) ويجوز ضم الحاء وكسر الراء المشددة أيضا وفي نسخة حرام بزيادة الالف وفي أخرى حرم بصيغة الفاعل من التحريم أي حرم الله أو رسوله نكاحهن (عليهم بعده) أي بعد تزوجه لهن قيل ولو طلق قبل الدخول بعضهن كما يستفاد من اطلاق قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وانما حرمهن عليهم (تكرمة له) أي لتكريمه وتعظيمه المستفاد من الآية (وخصوصية) أي بها يتميز عن غيره من افراد أمته وهي بضم الخاء وقول الحجازي بفتحها سهو (ولانهن له أزواج في الآخرة) قال البغوي وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام أزواجهم لهم في الآخرة وفي نسخة في الجنة والظاهر ان هذا مقيد بمن مات منهن في عصمته أو هو توفي عنهن وهن في عدته لتخرج من اختارت الدنيا حين نزلت آية قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا الآية فانها كانت في آخر عمرها وأمه تلتقط البعر في سكك المدينة وأيضا لما اراد صلى الله تعالى عليه وسلم ان يطلق سودة قالت لا تطلقني يا رسول الله ويومي لعائشة رضي الله تعالى عنها لاني اريد ان اكون من نسائك في الجنة او قولا هذا معناه (وقد قرئ) اي في الشواذ قيل وهي قراءة مجاهد ونسبت الى أبي بن كعب أيضا (وهو أب لهم) اذ كل نبي اب لامته كما قال الله تعالى ملة أبيكم ابراهيم من حيث ان به حياتهم الابدية وتعلم الآداب الدينية ومن ثم صاروا اخوة في الدين كما قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة من حيث انتسابهم الى أصل واحد هو الايمان الناشئ

المؤمنات قولان تقدمت الاشارة اليهما قريبا والى ما ذكر أشار بقوله (وفي الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده) أي بعد نكاحه أو بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما سيأتي واختلف فيمن طلقها قبل الدخول أو أكثر على ما سيأتي على قولين فجوزه كثير من الشافعية وبه قضى عمر رضي الله تعالى عنه (تكرمة له وخصوصية) بضم الخاء وفتحها أي هو مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون غيره من الامة فما يقع لبعض جهلة الصوفية من منع تزوج المريد زوجة شيخه جهل منهم وترك أدب والمراد بالحرمة حرمة النكاح أي تحريمه لقوله تعالى (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) وفي خصائص الامام الخيضري اختلف في تعليل ذلك فقيل لانهن أمهات المؤمنين قال الله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) أي مثل أمهاتهم في وجوب احترامهن وطاعتهن وقيل لما في احلالهن لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم من النقص بمنصبه الشريف وقيل لانهن أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم في الجنة كما ذكره غير واحد من المفسرين والفقهاء لان المرأة في الآخرة لآخر أزواجها في الدنيا كما قاله القشيري وورد به التصريح في الحديث وقيل لاجل انه صلى الله تعالى عليه وسلم حي ولذا حكى الماوردي انه لا تجب عليهن عدة الوفاة واختلف فيمن فارقها في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم كالمستعيذة على أقوال ثلاثة أحدها وهو مروي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انها تحرم فالتقدير من بعد نكاحه لوجوب محبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وزوج المرأة الثاني يكره الاول فيؤدي لكفره قال النووي رحمه الله تعالى وهو الارجح والاشبه بظاهر القرآن الثاني انها لا تحرم فالبعدية مخصوصة بما بعد الموت والثالث أنه يحرم المدخول بها دون غيرها وكذا اختلف في الامة الموطوءة له صلى الله تعالى عليه وسلم بغير نكاح على ثلاثة أوجه فقيل لا تحل لغيره كمارية رضي الله عنها وقيل تحل فانها لم تسم أم المؤمنين لنقصها بالرق وأمومتهن لا تتعدى فلا يقال لبناتهن أخوات ولا لاخواتهن أخوال فلا يقال معاوية رضي الله تعالى عنه خال المؤمنين وفيه خلاف أيضا وأما كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبا المؤمنين فقال الواحدي لا يسمى به لقوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) والقراءة به منسوخة لفظا ومعنى وقيل يجوز والمنفي الابوة الحقيقية انتهى ويأتي هذا الاخير في قوله وقد روى فما قيل الحرمة للاحترام فيشمل التعظيم وعدم الايذاء وحرمة النكاح فان فيه ذلا واكتفى بحرمة النكاح لانه مقصود ومخصوص بهن وقال ابن كثير لا يقال لهن أمهات النساء لعدم العلة فيهن وهي حرمة النكاح ورجح ابن حجر جوازه وقول القرطبي الظاهر التعميم اذ لا يختص بالرجال مرفوع بما ذكر فان أريد التشبيه في التعظيم فلا منع والا فلا أنه يوهم أنه مراد في الآية كلام غير محرر لما سمعته آنفا وقوله (ولانهن له) صلى الله عليه وسلم (أزواج في الآخرة) أحد الاقوال في الآية كما عرفته والامهات جمع أم قيل أصلها أمهة ولذا تجمع على أمهات وأجيب بزيادة الهاء وان الاصل أمات للفرق ويأتي لذلك مزيد بيان والوجه ما في البارع أن فيها أربع لغات أم بضم الهمزة وكسرها

عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يقرأ به) بصيغة المجهول أى ولا يجوز ان يقرأ به أحد (الآن) أى فى هذا الزمان (لمخالفته المصحف) بتثليث الميم والضم أتم وهو ماجمع فيه القرآن اقول عائشة رضى الله تعالى عنها ما بين دفتى ٣٠٣ المصحف كلام الله والمراد من المخالفة
عدم وجود تلك الجملة من جميع المصاحف العثمانية اذا حدار كان القراءة هى المطابقة الرسمية وثانيها الموافقة العربية وثالثها النقل المتواتر الاجماعية والعمدة هى الاخيرة والاخريان تابعتان لها لازمتان لوجودها واختلف فى محل الجملة الشاذة فقيل قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قبل قوله وأزواجه أمهاتهم وقراءة أبى بعده وروى عن عكرمة انه قال وهو أبوهم وهو أشبه بالتفسير وعلى جميع التقادير هو من باب التشبيه البليغ نحو زيد أسد أى كالاسد لا على الحقيقة أى الا فيمن له الولادة واما ماذكره الدلجى ان المراد بالمصحف هو الامام الذى نسخه عثمان وعليه الناس فقد يوهم انه مصحف خاص وليس كذلك بل المراد المصاحف التى كتبت بامره واختلف فى عددها فارسل واحدا الى مكة وآخر الى الشام وآخر الى الكوفة وآخر الى البصرة وأبقى عنده واحدا
فى المدينة والآن لم يتحقق وجود واحد منها فى محالها (وقال الله تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية) أى وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما أى فيما أنعم عليك وبما علمك من خفيات الامور وأمور الدين ومعارف اليقين وفى بعض النسخ

وأمه وأمهة فالامهات والامات لغتان ليست احداهما أصلا للاخرى ولا حاجة الى دعوى حذف ولا زيادة كما فى المصباح (وقد روى وهو اب لهم) أى قرئ به فى الشواذ وهى على وجهين فقرأ ابن عباس رضى الله تعالى عنهما النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أب لهم بدون وأزواجه امهاتهم وقرأ أبى رضى الله تعالى عنه النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم وهو أب لهم فجمع بينهما فقول بعض الشراح قرأها أبى وابن عباس رضى الله تعالى عنهم من غير تمييز بين القراءتين خلط موهم وقد علمت الكلام فيه وأبوته صلى الله تعالى عليه وسلم برأفته ورحمته لهم أو لكون أزواجه أمهاتهم أو لكونه سبب حياتهم الحقيقية الابدية كما مر وفى سنن أبى داود انما انا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم (و) حكم الشاذ انه (لا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف) وروى ان عمر رضى الله تعالى عنه مر بغلام يقرؤها فقال للغلام حكها من المصحف والمراد بالمصحف مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه المتواتر بالاجماع ومخالفته له أيضا بعدم تواتره ونسخ تلاوته ولفظه ومعناه على قول كما مر قيل وانما نسخ لئلا يوهم حرمة زوجة الولد فتامل وقول التجانى انهم أجمعوا على ان قراءة أبى رضى الله تعالى عنه المذكورة مما نسخ من القرآن مع ان مضمونه خبر مجمع على انه لا يصح نسخه ليس بشئ لان فى نسخ الخبر خلاف مقرر فى الاصول ولو سلم فيلزمه أحكام يصح نسخها كتلاوته وتسميته به وجواز الصلاة به (وقد قال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية) وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما * والكتاب القرآن والحكمة الشريعة والمواعظ والسنة كما مر وهذا كقوله تعالى فى سورة اقرأ علم الانسان مالم يعلم ولما كان التعليم انما يحصل به مالم يعلم ورد السؤال على الآيتين والفرق بينهما فقيل المراد بما لم تعلم مالا يقدر على علمه من الخفايا أو مالم يتصوره ولم يكن مطلوبا لك فيفيد ذكر المفعول وقيل لو قيل مالم تعلم أى ماكان مجهولا لك أفاد فائدة تامة حسنة لدلالته على اشراق نور العلم ورفع ظلمة الجهل أو المراد مالم تعلمه بقوة نفسك واجتهادك واما ذكر الكون فى آية النساء دون آية اقرأ لاسيما اذا أريد بالانسان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فقط فلان الثانية وردت فى مقام خال عن اعتبار القوة والاجتهاد فلا يناسبه ذكر الكون والاولى وردت فيه * أقول هذا السؤال غير وارد أصلا رأسا ولذا لم يعتن به جهابذة المفسرين كالزمخشرى الا أنا نقول فى تحقيقه ان نفى الكون أبلغ من نفى الشئ نفسه فان الثانى يصدق بما بقى على عدمه الاصلى لم يشم رائحة الوجود والثانى يشمله وما عدم بعد وجوده والاول أبلغ ولما كان المنفى علمه أولا علمه بالدين والحكم والوحى ونحوه مما لم يتيسر لمن شاء فى أمة أمية ولا يمكن بغير عناية الهية أشار فى الاول الى ان انتفاءه عنه أمر محقق مقرر قوى فاكده بذكر الكون ولذا امتن به عليه وجعله فضلا عظيما ولما كان الثانى قابل الوجود متيسر الكسب لان الانسان قابل للقراءة والعلم وصنعة الكتابة لم يؤكده لان انتفاءه أمر اتفاقى واما الفائدة فى المفعول فظاهرة اذ ليس المراد بها أمرا ما بل أمرا عظيما معلوما بخصوصه مما قبله وانما أبهم ليدل على عظمته كما فى قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى فلا حاجة لقوله فى عروس الافراح انما ذكر لانه أوضح فى الامتنان والا فلا فائدة فيه وفى بعض حواشى المطول نقلا عن السعد رحمه الله تعالى انه قال فى درسه ان الاولى بصاحب التلخيص ان يقول مالم تكن تعلم كما فى قوله وعلمك مالم تكن تعلم والا فلا فائدة فى ذكره لان التعليم انما يكون لما لم يعلم لان مالم تكن تعلم فيه اشعار بانه لولا تعليمه لم يحصل العلم به لانه علم خفى لا يمكن الاحاطة به الا بعلام الغيوب وهو بعيد اذ ربما يتوهم انه يحصل العلم به من غير تعليمه له تعالى ورد بانه مثل الآية فذكره لافادة العموم كما فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض

الى آخره وبما قررناه لك تبين انه كلام قشرى ولنا عودة الى بيان ذلك عند اعادة المصنف الآية (قيل فضله العظيم) فى هذه الآية (بالنبوة) مطلقا فانها أعظم النعم التى تفضل بها أو بنبوته الخاصة به الكاملة (وقيل بما سبق له فى الازل) الازل مولده هو القدم والوجود الذى لا أول له قال فى المجمل الازل القدم ويقال هو أزلى والكلمة ليست بمشهورة فى كلام العرب وأحسب انهم قالوا فى القديم لم يزل ثم نسب اليه فلم يستقم الا باختصار وقالوا أزلى ثم ابدلوا الياء ألفا وقيل الازل اسم لما يضيق القلب عن بدايته من الازل وهو الضيق فهمزته أصلية والمراد بما سبق ماسبق للنبى صلى الله عليه وسلم فى علمه وتقديره من كل ما أعطاه الى الابد فيعم جميع ما أنعم الله به عليه اذ لا مخصص وقيل المراد ما أعطاه له وسبقه باعتبار تقديره ففيه مضاف مقدر وهو تقدير وعلى الاول الامتنان بالتقدير صريحا وبالقدر ضمنا لعدم تخلفه عنه ولفظه كان فى مثله تدل على الازلية فى حق الله تعالى كما صرحوا به (وأشار الواسطى) رحمه الله تعالى تقدم ذكره وترجمته والاشارة فى اللغة الايماء الى الشئ بغير نطق ويكون فى كلام المصنفين مقابلة للتصريح والمراد هنا مطلق الذكر وعبر به مشاكلة لما بعده (الى انها اشارة الى احتمال الرؤية) وضميرانها للآية وقيل الكلمة الفضل والاحتمال فسر بالطاقة والقدرة على رؤية الله تعالى ومشاهدته ليلة المعراج على قول من قطع انه رآه ببصره ولما كانت هذه من أجل الفضائل وأخصها به حمل الفضل عليها وان كان فيها الاختلاف الا انها لما كانت عند المصنف رحمه الله تعالى راجحة لم يلتفت للخلاف فلا يرد عليه انه تفسير للمقطوع به بالمحتمل فالاعتراض على الواسطى رحمه الله تعالى بانه لادلالة فى النظم على ماذكره غير متجه وحمل الرؤية على القلبية التامة يأباه ظاهر قوله (التى لم يحتملها موسى) ابن عمران عليه الصلاة والسلام حيث قال لن ترانى الى قوله تعالى وخر موسى صعقا وموسى ممنوع من الصرف للعجمة والعلمية وأصله كما قيل موشى فغير وهو بالعبرانية مركب من مو وهو الماء وشا وهو الشجر فسمى به لان أمه ألقته فى ماء النيل فى صندوق من خشب الشجر والقول بانه من ماس يميس اذا تبختر ومنع صرفه لالف التانيث بعيد جدا واما موسى بمعنى آلة الحلق فعربى فى وزنه اختلاف عندهم وفى معربات الجواليقى ان موسى لم يسم به أحد من العرب قبل الاسلام وبعده سمى به تبركا باسماء الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال التجانى أكثر المفسرين على ان الفضل العظيم عصمة الله للنبى صلى الله عليه وسلم عن ان يضله أحد من الكفرة لقوله تعالى قبله ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وهذا آخر الباب الاول فالحمد لله على تيسير شرحه والنظر فى حقائقه ودقائقه الرائقة * وشفاء عليل الصدر من موارد فضائل سيد الخلق الفائقة * وأنا أرجو ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ويمن صفاته ان يشرح صدرنا وييسر أمرنا ويفيض علينا من بركاته صلى الله عليه وسلم آمين

(الباب الثانى فى تكميل الله سبحانه وتعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم المحاسن)

جمع حسن على خلاف القياس أو جمع مفرده مقدر لم يسمع كما تقدم والحسن المحسوس تناسب الاعضاء وكونها على صورتها الاصلية مع صفاء البشرة واعتدال القامة وفى ذكر التكميل اشارة الى ان النوع البشرى مخلوق على الكمال فى أحسن تقويم وصورة هذا الحبيب صلى الله تعالى عليه وسلم وسيرته فى غاية الكمال وكون النوع أحسن لاينافى التفاضل والتفاوت بين أفراده حتى ذهب بعض الحكماء الى ان كل فرد منه ماهية مستقلة (خلقا) بفتح الخاء وسكون اللام وقدمه لتقدمه على مابعده فى الوجود وهو منصوب على التمييز أى من جهة المخلوقية وليس بمعنى المخلوق كما توهم وخلقه صلى الله تعالى عليه وسلم على أحسن مايكون كما قال فيه أبو العباس الاشبيلى الواعظ رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته

من أنت محبوبه من ذا يغيره * ومن صفوت له من ذا يكدره
هيهات عنك ملاح الناس تشغلنى * والكل اعراض حسن أنت جوهره

وأنزلنا عليك الكتاب والحكمة وهو لا يصح لمخالفته تنزيل الآية (قيل فضله العظيم بالنبوة) وفى نسخة النبوة اذ لا فضل أعظم منها اذا قرنت بالرسالة العامة (وقيل بما سبق له فى الازل) أى من تعلق العناية القديمة العظمى حيث جعل رئيس من سبقت له الحسنى كما يدل عليه خلق نوره أولا وجعله نبيا فى عالم الارواح قبل ظهور الاشباح (وأشار الواسطى الى انها) أى هذه الآية (اشارة الى احتمال الرؤية) أى تحملها واطاقتها (التى لم يحتملها موسى عليه السلام)

(الباب الثانى)

أى من القسم الاول وفصوله سبعة وعشرون بعد صدر الباب على ماسبق فى أول الكتاب (فى تكميل الله له المحاسن) جمع حسن على غير قياس والمراد بها الاوصاف المستحسنة (خلقا

(وخلقا) بفتح الخاء في الاول وبضمها وضم اللام وسكونها في الثاني وهما منصوبان على التمييز أي محاسن خلقه وخلقه من صورته الظاهرة الطاهرة وسيرته الباطنة الباهرة (وقرانه) أي وفي مقارنة ذاته عليه الصلاة والسلام (جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا) بفتحتين أي من جهة كون بعضها تبعا لبعض من الصفات المتوالية والمكارم المتعاقبة (اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم) خطاب عام في موضع التفخيم أو خاص لمن ساله هذا التاليف المتضمن للتعليم ويؤيده قوله (الباحث) أي المفتش والمتفحص (عن تفاصيل جل قدره) أي مجملات مقداره (العظيم) والجملة الندائية معترضة بين الخطاب وما خوطب به من الجملة الفعلية (ان خصال الجلال والكمال) وفي نسخة الجمال بدل الجلال والجمال تمام الصورة والجلال ظهور العظمة والاولى على ما عرف في علم الاخلاق أن يقال ان خصال الجمال والجلال المقتضية للكمال (في البشر)

(وخلقا) بضم الخاء واللام وتسكن تخفيفا وهو في الاصل الطبيعة والجبلة ويطلق على الصفات المعنوية الراسخة في النفس وهو للنفس والصورة الباطنة وأوصافها بمنزلة الخلق للصورة الظاهرة وترتب الثواب والعقاب على هذه وقال الراغب هما في الاصل بمعنى وخص المفتوح بالهيئة والصورة المدركة بالبصر والمضموم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة وهو كيفية راسخة في النفس تقتضي سهولة صدور الافعال عنها من غير احتياج لفكر وروية ويطلق على ما يترتب على تلك الكيفية ويخص في العرف بما يتعلق بمعاشرة الناس كما سياتي وقال الآمدي رحمه الله في كتاب الموازنة جمال الوجه وحسنه مما يتمدح به لانه يتيمن به ويدل على الخصال الممدوحة ويزيد في الهيئة والذمامة يذم بها لعكس ذلك وقد غلط فيه من توهم انه لا يدخل في مدح العظماء انتهى قلت وقد أشار الى هذا في الحديث الشريف بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه ولله در الصرصري رحمه الله تعالى في قوله

ألا يارسول الاله الذي * هدانا به الله من كل تيه
سمعنا حديثا من المسندات * يسر فؤاد النبيل النبيه
وذلك قلت اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه
ولم أر أحسن من وجهك الكريم * فجد لي بما ارتجيه

فان قلت قول الراغب رحمه الله تعالى ان هذين المصدرين وضعا للهيئة ينافيه قول النحاة ان الهيئة والمصادر يعبر عنها بفعلة بكسر الفاء كالجلسة * قلت لا منافاة بينهما فان الهيئة التي ذكرها النحاة هي الهيئة العارضة في الافعال كالخلقية (وقرانه) بكسر القاف كما علم مما مر مجرور معطوف على تكميل أي جمعه (جميع الفضائل الدينية) الممكنة اللائقة به والدينية المتعلقة بدين الاسلام (والدنيوية) المنسوبة للدنيا المعروفة وفيه وفي أمثاله مما رابعه ألف تانيث كحبلى اذا نسب اليه ثلاث لغات ديني ودنيوي ودنياوي كما فصل في كتب العربية (فيه نسقا) حال من قرانه أي قرن الفضائل فيه متناسبة منتظمة وفسرها التلمساني بتبعا ولا وجه له وقد تقدم الكلام فيه (اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم) اعلم دأب المصنفين كما تقدم انهم ياتون به في ابتداء الكلام لتنبيه السامع وتنشيطه لاهتمامه بما يلقونه والمخاطب به من ساله تاليف هذا الكتاب أو كل سامع فهو عام لكل من يصلح لخطابه وكونه خطابا لنفسه على التجريد بعيد مع مخالفته لدأبهم والكريم الشريف العظيم أو الجواد (الباحث) أي الطالب المتفحص عما خفي لان أصله كما قاله التلمساني الفاحر للتراب لشئ تحته (عن تفاصيل جل قدره العظيم) جمع تفصيل المصدر تفعيل من الفصل وهو تمييز الشئ وافرازه عن غيره ثم استعمل في تبيين كل أمر باستيفاء افراده وتوضيحها ويطلق على المبين نفسه وجل جمع جلة وهو الامر المجموع في عبارة مختصرة فهو بمعنى الاجمال فما قيل ان المشهور في مقابل التفصيل والمفصل الاجمال والمجمل فاللائق اجمالات أو مجملات قدره الا أن يريد بالجل المجمل وهو ما اشتمل على متعدد بلا تمييز لا وجه له وقدر بالسكون والفتح مقدار الشئ ومما ثلته وحرمته ووقاره كما في المصباح ومنهم من فسره هنا ببلوغه من الكمال والمرتبة والمراد تفصيل ما جمع من أنواع صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم كعلمه وحلمه (ان خصال الجمال والكمال في البشر) في أكثر النسخ الجلال بلامين وان وما معها مفعول اعلم والخصال جمع خصلة وهي الصفة المعتادة محسوسة كانت أم لا والجلال العظمة والجمال ما يستحسن والكمال التمام فيما يفضل به الشئ على غيره وخص البشر لان مجموع ما ذكر مختص به ولان المقصود بيان حاله وقد تقدم عن الاصمعي ان الجلال لا يجوز أن يوصف به غير الله ولم يسمع في غيره وخالفه فيه أكثر أهل اللغة لوروده في كلامهم كقول هدبة

فلا ذا جلال هبنه كجلاله * ولا ذا ضياع هن يتركن للفقد

(نوعان ضرورى) أى أحدهما ضرورى (دنيوى) أى مما لا بدله منه فيها (اقتضته الجبلة) بكسر الجيم والموحدة وتشديد
اللام أى دعته الخلقة
التى خلق عليها وطبيعته
التى جبل للميل اليها ومنه
قوله تعالى والجبلة
الاولين وقرأها الحسن
بالضم وقال التلمسانى
وبسكون الباء وفتح
اللام مخففة فتثليث الجيم
بالهاء وبدونها والجبل
يضم ويشدد ومنه قوله
تعالى ولقد أضل منكم
جبلا كثيرا (وضرورة
الحياة الدنيا) أى واقتضته
الحاجة الضرورة الكائنة
فى الحياة الدنيويه مما
ليس اختياريا (ومكتسب)
بصيغة المجهول أى
وثانيهما مكتسب (دينى
وهو ما يحمد فاعله) أى
مما يتوقف اكتسابه على
الشرع من الكمالات
العلمية التى أعظمها
معرفة الله وصفاته العلية
(ويقرب) بكسر الراء
المشددة فى نسخة بصيغة
المجهول أى ما يقرب به
(الى الله زلفى) أى قربة
اسم مصدر لازلف وفيه
ان التقسيم غير جامع لانه
غير شامل للوهبى الحاصل
بالجذبة دون الخلقة
الاصلية ولا بالتعلقات
العارضة (ثم هى) أى
الخصال (على فنين)
بفتح فاء وتشديد نون
(أيضا) أى صنفين (منها)
أى من الخصال (ما يتخلص) أى يتمحض (لاحد الوصفين) أى من الضرورى والكسبى من غير امتزاج يكون
وتداخل بحيث لا يصدق عليه اسم الآخر ضروريا أو كسبيا (ومنها ما يتمازج ويتداخل) عطف تفسير أى يتخالطان بأن يكون ضروريا

(نوعان) منحصرة فيهما وان توهم كثير من الشراح انها أربعة لانها اما ضرورية أو كسبية وكل منهما اما دنيوى أو أخروى حتى اعتذر عنه بعضهم بانها قضية مهملة فى قوة الجزئية فالمراد بعضها الغالب فيها وهذا ناشئ من عدم تدبر كلامه فانها وان كانت أربعة الا أنها فى الواقع لا يخلو من نوعين عنده لان الدينى منسوب للدين وهو وضع الهى سائق لهم باختيارهم الى ما هو محمود فلا يكون ضروريا والدنيوى لا يعد منه من صفات الكمال الا ما كان جبليا أو ملحقا به وما عداه غير معتد به فبقى منه قسمان وسياتى معنى الالحاق وتحقيقه والمراد بالنوع القسم لا النوع المنطقى أحدهما (ضرورى) منسوب للضرورة وهى هنا أعم من شدة الحاجة ومن عدم الاختيار وليس المراد به ما يقابل النظرى كما توهم فان الضرورة لها معان منها هذا (دنيوى) لا يتعلق به ثواب وكمال أخروى من حيث هو (اقتضته الجبلة) قال التلمسانى اقتضته بمعنى دعت اليه والمقتضى والداعى والسبب بمعنى واحد قيل ظاهره ان الطباع أسباب للخصال ودون اثباته خرط القتاد وفيه ميل لمذاق الحكماء والمراد ان الله تعالى خلقه فيه من غير اختيار وعبر بالاقتضاء على طريق الافتنان وهذه دقة فى غير محلها لان الجبلة ما جبله الله عليه وخلقه فاله لما ذكره من غير دندنة قال البرهان الحلبى الجبلة الخلقة قال الله تعالى (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين) والمطبوع على الشئ لا يتحول عنه كالجبل والمراد جبلته صلى الله تعالى عليه وسلم أو جبلة ما يتعلق به كارضه وقومه وفى الجبلة لغات ذكرها الصاغانى فى كتاب العادة بضمتين مشدد اللام وجبيلة بزنة فعيلة وجبلة بتثليث الجيم وسكون الباء وجبلة بكسرهما مع التشديد (وضرورة الحياة الدنيا) قيل انه عطف تفسير والمراد بما اقتضته الجبلة ما لا يمكن الحياة بدونه والاظهر انه قسم آخر للضرورى الدنيوى لم يقتضيه ولا يرد عليه انه ينبغى عطفه باو لان العطف فى التقسيم بالواو كثير لاجتماع الاقسام فى مقسمها (ومكتسب دينى) أخروى حصل له فى حياته بعد ان لم يكن حاصلا قيل انه شامل لما هو بجهده وما هو وهبى فيشمل النبوة وليس على ظاهره لينضبط ويلتئم ولا يخفى ما فيه (وهو) قيل انه عائد على مطلق الدينى (ما يحمد) شرعا وعقلا (فاعله) وهو من اتصف به (ويقرب الى الله زلفى) مصدر بمعنى قربه مؤكد ليقرب كقعدت جلوسا لانه أمر دينى بعد عبادة يثاب عليها ما لم يعرض له ما يفسده أو بغير نية فاعله كالرياء وبقى قسمان آخران الدنيوى المكتسب والدينى الضرورى وقد تقدم الكلام عليهما (ثم هى) أى خصال الجمال والجلال والكمال جميعها الا بعضها والجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة بثم للبعد الرتبى لان الاول تقسيم حقيقى وهذا اعتبارى (على فنين أيضا) أى على ضربين ووجهين آخرين كما أنها على قسمين بحسب القسمة الاولى وجعله بعضهم تقسيما للمكتسب الدينى ويأباه قوله المحض الآتى (منها) أى من تلك الخصال (ما يتخلص) أى يصير خالصا غير مختلط بغيره (لاحد الوصفين) أى الضرورة والكسب المفهومين من التقسيم السابق لا الضرورة الدنيويه والكسب الدينى وهو تقسيم لمطلق الكمال سواء كان فى واحد من الانواع السابقة أو أكثر (ومنها ما يتمازج ويتداخل) التمازج والتداخل والخلط معان متقاربة وقد يراد بكل منها الآخر الا ان أصل المزج خلط بعض المائعات ببعضها بحيث لا يمكن تمييز بعضه من بعض كالماء والخل ومنه مزاج الانسان والتداخل أعم منه لانه دخول أجزاء شئ فى آخر مائعا كان أم لا يمكن تمييزه أم لا والاختلاط أعم منهما لانه وجود أمور مع أمور تداخلت أم لا كاختلاط قوم بقوم ومراده بالتمازج وجود الوصفين فى شئ ولما كان أمرا معنويا لا امتياز فيه حسا عبر به ثم عطف عليه لدخول بعض الانواع فى بعض والتفاعل فيه على حقيقته فالمعطوفان متغايران وقيل المعنى أن يختلط الكسب بالضرورة ويدخل كل منهما فى الآخر والتفاعل لاصل الفعل أو هو على ظاهره وبينهما عموم وجهى والممتزج ما كان أصله جبليا وكماله كسبيا أو نوع

يكون تارة كسبيا وتارة جبليا وقال التلمساني التمازج والتداخل بمعنى واحد والكلام يفسر بعضه بعضا وذلك توسع في العبارة كما قرره الشارح وقال ابن سيدي الحسن يتمازج أي يختلط ومزج خلط لكن المزج جعل الاثنين واحدا لاجل التشابه في الصورة ولا كذلك الخلط فهو مثله أو خلافه وكل مزج خلط وليس كل خلط مزجا والتداخل دخول بعض الشيء في الشيء وهو تفاعل ومعنى الامتزاج أن يكون الشيء الخارج في شدة تمكنه كالاصل لا يمتاز عنه ومعنى التداخل أن يمتاز الفرع عن الاصل لكن يقرب شبهه منه فيكون كالاصل فهذا هو التداخل هنا انتهى وكل هذا خلط أنت غني عنه بما مر (فأما الضروري المحض) أي الخالص الذي لم يخالطه غيره ولا دخل لكسبه فيه واختياره فليس دينيا كما أشار اليه بقوله (فما ليس للمرء) بفتح الميم وسكون الراء والهمزة بمعنى الانسان (فيه اختيار ولا اكتساب) الاختيار هنا مقابل الاضطرار وقيل اصطلاح لاهل المعقول واصل معناه لغة فعل ما هو خير كما قال الله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) فيحصل له سواء أراده أم لا من غير كسب واسباب عادية ثم مثل له بعد ما فسره توضيحا له فقال (مثل ما كان في جبلته) أي فطرته التي فطره الله عليها (من كمال خلقته) وايجاد أجزاء بدنه تامة معتدلة المقادير وقيل كان الاحسن أن يقول ما في جبلته من الكمال اذ الجبلة هي الخلقة كما تقدم وهو أمر سهل (وجمال صورته) أي حسن صورته الظاهرة في جسده بتناسب أعضائه وصفاء لونه واعتدال قده وقيل المراد حسن وجهه (وقوة عقله) وهو نور أو قوة أودعه الله في الانسان يميز به بين الاشياء وله تفاسير أخر كالعلم والعلوم الضرورية وهل محله القلب أو الدماغ قولان وسيأتي بيان ذلك واصل معناه المنع ومنه العقال لمنعه عما لا يليق كما قال

قد عقلنا والعقل أي وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق

(وصحة فهمه) أي ادراكه المعلومات بسرعة واضافة القوة للعقل بيانية وفي اضافة القوة للعقل والصحة للفهم غاية المناسبة (وفصاحة لسانه) الفصاحة لغة واصطلاحا مشهورة يوصف بها المفرد والكلام فيقال كلام فصيح والمتكلم كما يقال خطيب فصيح واللسان يطلق على الجارحة المعروفة وعلى اللغة ويصح ارادة كل منهما هنا والمراد فصاحة نفسه لان المراد باللسان الذات ولا بالفصاحة عدم اللكنة وما قيل من ان الفصاحة جبلية تتكامل بمباشرة الاسباب فهي من الممتزج الا أن يريد القدر السليقي منها كما في الاخلاق الآتية واطلاقه يقتضي انها ضرورية محضة فاما انه لم يعتد بالمكتسب منها أو التقسيم لما ذكر مطلقا أو الاسباب انما ترفع الموانع عن القوة ولا تزيدها وان كان هذا بعيدا جدا كلام ناشئ من عدم معرفة الدخيل من المناشي (وقوة حواسه) المراد الحواس الخمس الظاهرة من السمع وأخواته لا الباطنة فان أهل الشرع لم يثبتوها ولم ينفوها وقوتها بزيادة احساسها وسلامتها عن الآفات واعتدالها (وأعضائه) جمع عضو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة وهي أجزاء البدن التي يزاول بها الاعمال ونحوها كاليد والرجل وبقوتها تتم أعماله وما به كماله كما قيل ليس في الانسان جارحة أحب الى الله تعالى من اللسان لنطقه بتوحيده (واعتدال حركاته) الاعتدال قيل انه وقوعها بين الافراط والتفريط في السرعة وقيل سلامتها عن الآفات والمراد كونها على نهج قويم حيث جعل في كل عضو اعصابا وعضلا لا يتحرك جميعها افرادا فرادا كالرأس والظهر والكف والاصابع والزند وهكذا الجيد ينحني ويمسك ويطلق ويقعد ويلتفت الى غير ذلك مما ليس في غيره فقدرته على ذلك ومنشاه ليس باختياره في الحقيقة والحركة ضد السكون لا الحركات الفكرية ولا الاعم منها ولا الحركة في النحو والكم ونحوه مما ذكر في الحركة لبعده عن مقاصد المصنف رحمه الله تعالى فاذا أريد باعتدالها سلامتها أو المعنى

وكسبيا كما سيأتي بيانهما ويظهر شأنهما (فأما الضروري المحض) أي الخالص الذي لا يكون مكتسبا (فما ليس للمرء) بفتح فسكون فهمز والحسن لا يهمز ويخفف وابن أبي اسحق بضم الميم والهمز والعقيلي بكسر الميم والهمز ومؤنثه المرأة كذا ذكره التلمساني والاظهر انه الشخص بالمعنى الاعم والله أعلم (فيه اختيار) أي في حصوله (ولا اكتساب) أي في حصوله أي بل فيه اضطرار واضطراب في تحصيله (مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته) فيه من البديع صنعة جناس لاحق بين كمال وجلال (وقوة عقله) أي تعقله قال التلمساني مذهب أهل اللغة ان العقل هو العلم وقيل بعض العلوم الضرورية وقيل قوة يميز بها بين حقائق المعلومات ومحله عند أهل السنة القلب بدليل قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقالت المعتزلة محله الدماغ ووافقهم أبو حنيفة والفضل بن زياد (وصحة فهمه) أي ادراكه (وفصاحة لسانه) أي طلاقته وتراوة بيانه مع رعاية مطابقته ووضوح دلالته (وقوة حواسه) أي من سمعه وبصره وشمه وذوقه ولمسه (وأعضائه) جمع عضو بضم العين وكسرها أي جوارحه وقد قيل ليس في الانسان جارحة أحب الى الله عز وجل من اللسان ولذلك أنطقه الله بتوحيده فاذا خش ولم يحل اللسان فبأي يذكر ويناجي ويدعو ويتلوا (واعتدال حركاته) أي وسكناته بسلامتهما من آفتهما فهو من باب الاكتفاء

الآخر باعتبار منشئه ومبدئه لم يشكل بانها أمور كسبية اختيارية فلا يصح ذكرها هنا الا أن يقال انها لم تذكر قصدا بل تبعا للقوة الاعضاء وهو بعيد وما قيل من انه لو أريد مطلق الانتقال من حال الى حال لم يبعد والحركة وان كانت كسبية يجوز أن لا تكون صفاتها بالاختيار لجواز أن يغفل عنها وفي الجبلة أن يؤتى بها على ما ينبغي فهذا الاعتدال غير صادر بالاختيار عند المحققين وكذا الملكة المقتضية لها قريب مما قلناه (وشرف نسبه) أي شرفه الحاصل له بسبب نسبه فانه صفة لم تحصل باختياره الا أن تسميته جبلة تسمح أو على التغليب ومثله غير بعيد والشرف والمجد بالآباء والحسب به وبآبائه معا كما قاله ابن السكيت ولا شك ان نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف الانساب لما في سلسلته من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وصميم قريش ومثله يدعو لعلو الهمم وتوقي سفساف الامور لا سيما اذا انضم لشرف الذات الذي لا يساويه غيره كما قال ابن الرومي

كم من أب قد علا بابن ذوي شرف * كما علت برسول الله عدنان

(وعزة قومه) القوم الجماعة اذا أضيف لاحد كانوا معه مجتمعين في أب (وكرم أرضه) التي هي موطنه ومولده وهي من أحب البلاد الى الله والحرم الآمن من فيه ومقصد الحجيج وقبلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومهبط الانوار والملائكة عليهم الصلاة والسلام وأعدل الارض وان لم تكن لغيرها ذات غياض ورياض وليس المراد بالارض الام لانها فراش وموضع حرث كما جوزه التجاني فان السياق يأباه وهذا مما لم يكن باختياره وشرف البقاع يؤثر في الطباع فغير بعيد جعله من الجبلة ثم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يعتبر في الضروري غير عدم الاختيار والاكتساب ولم يلتفت لعدم الانفكاك فلا وجه لما قيل ان المراد ما لم يكن بكسبه واطلاقه موهم والمراد ما في الجبلة الخلقي سواء كان في طبيعته أو خارجا عنه فصح جعل الثلاثة الاخيرة منها وان أريد بالضرورة ما لا ينفك دائما فالفصاحة وقوة الاعضاء ليس كذلك وان أريد في بعض الاوقات فكل مكتسب كذلك الا أن يقال المراد انه لا ينفك في وقته اللائق به أوانه ناشئ عن كيفية مستمرة (ويلحق به) لحوق الشئ بالشئ تبعيته له والحق الولد بابيه أخبر بانه ابنه لنسبة بينهما كما في المصباح فالمراد انه أبعد منه لشبهه به وسيأتي بيانه وهو بضم الياء مبني للمجهول وفي الشروح انه يجوز فيه البناء للفاعل وفتح الياء أي ملحق بالضروري المحض أمور منها (ما تدعوه ضرورة حياته اليه) اليه متعلق بتدعو أو بضرورة أو بهما على التنازع وروى تدعو بغير ضمير والضرورة شدة الاحتياج باعتبار العادة البشرية وفي عبارته لطف لايمائه الى أنه ليس مضطرا اليه كغيره وانما الضرورة هي التي دعته وطلبته كما قال البوصيري رحمه الله ونفعنا به

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وانما كان ملحقا لانه اختياري لا يدخل في الضرورة المحضة كما مر (من غذائه) بغين مكسورة وذال معجمتين ومد وهو ما يتغذى به من الطعام والشراب وجوز فيه الفتح والدال المهملة وهو طعام أول النهار والاول أصح والاضطرار له لقيام البنية به (ونومه) وهو حالة معروفة تقتضي عدم الحس والحركة بسبب تصاعد الابخرة وارتخاء الاعصاب وهو من الامور الضرورية لراحة البدن واستراحة الحواس وقال المعري

وفضيلة النوم الخروج باهله * عن عالم هو بالاذى مجبول

(وملبسه) بفتح الميم بمعنى اللباس (ومسكنه) بفتح الكاف وكسرها وهو المنزل وهو ضروري بحسب العادة وروى ومكتسبه بتاخير التاء عن الكاف الساكنة وبالباء الموحدة وكسر السين وفتحها أي

(وشرف نسبه) اذ في الغالب ان من تحلى به ربا بنفسه من سفساف الامور الى أعاليها ومن ذمائم الصفات الى معاليها (وعزة قومه) أي وغلبة قبيلته اذ المؤمن كثير باخيه كما قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا (وكرم أرضه) أي طيب مكانه الذي نشأ فيه بان يكون بلد المسلمين ومنزل الصالحين وأبعد التلمساني في تخصيص أرضه بارض مكة اذ ليس الكلام في خصوصه عليه الصلاة والسلام (ويلحق به) أي يتصل بالضروري المحض وفي نسخة بصيغة المجهول واقتصر عليه الحلبي أي ويوصل به (ما تدعوه) أي كل شئ من الامور العادية تدعو المرء (ضرورة حياته) أي شدة احتياجه فيها (اليه من غذائه) بكسر الغين وبالذال المعجمتين على ما في الاصول المصححة وعلى ما ذكره أهل الحواشي المعتبرة ما يتغذى به من الطعام والشراب وما به نماء الجسم وقوامه وأما الغداء بفتح أوله وبدال مهملة فهو طعام الغدوة من الطلوع الى الزوال ضد العشاء بالفتح وهو غير ملائم لمقام المرام فتجويز الدلجي الوجهين وتقديم الثاني على الاول وتفسيره بقوله هو الطعام بينه ليس في محله وكذا تقييد المحشي للاول بالقصر والثاني بالمد (ونومه) أي في ليله ونهاره (وملبسه) بفتح الموحدة (ومسكنه) بفتح

اكتسابه

اكتسابه للرزق وهو مما يضطر اليه عادة الا أنه يغنى عنه قوله وماله الآتى وقد يفسر بما به يغاير
(ومنكحه) أى ما ينكح من النساء بعقد أو تسرى وهو ضرورى عادة ومثله قوله (وماله) أى ما يملكه
وهو معروف يذكر ويؤنث وهو عند العرب يختص بالابل وفى العرف العام بالنقدين (وجاهه) المنزلة
والقدر عند الناس وأصله وجه فقلب وفى عده من الضروريات الملحقة بعد وان احتاج اليه بعض الناس
عادة فلعل المراد ما يحمى به ماله واتباعه (وقد تلحق) بضم التاء الفوقية وفتحها وقد للاشارة الى أنها
فى الاكثر غير ملحقة بها (هذه الخصال الاخيرة بالاخروية) الدينية المثاب عليها فى الآخرة نسبة للاخرى
بمعنى الآخرة وهو المعروف فى النسبة فتكون بحسب القصد والنية أخروية لان لها حكمها وان كانت
بحسب الاصل دنيوية فلا تخرج عن النوعين كما توهم وانقلابها بالنية من العادة للعبادة المثاب عليها
صرح به فى الاحياء ومنهم من قال الثواب انما هو على النية والفعل على حاله وقيل الخلاف فى ذلك ما لم
يصر واجبا وعلى هذا يمكن عدها أخروية والحاقها بها اما لمشابهتها لها حتى كأنها ضرورية أو لاستلزام
الضرورى لها وعلى هذا يمكن أن يقال ان الغذاء والنوم ملحق بكمال الخلقة والصورة والملبس والمسكن
والمنكح ملحق بالعقل والفهم والجاه والمال بشرفه وعزقومه ويمكن غير ذلك فتامل (اذا قصد بها
التقوى) بفتح المثناة الفوقية والقاف وتشديد الواو المكسورة تفعل من القوة وما بعده كالتفسير له
وجوز فيه فتح التاء وسكون القاف والواو المخففة من الاتقاء والاول أقوى وأظهر وعلى الثانى المراد
التحرز عن المناهى وامتثال الاوامر بان يريد بما يفعله ذلك مع قضاء وطره الدنيوى به وقصده معه فان
الباعث على الشئ قد ينفرد وقد يتعدد مع غلبة أحدهما او بدونها وقيل ليس المراد النية بل انبعاث
النفس وميلها الى فعل يعتقد أنه يترتب عليه الفرض الباعث الطالب اجابة للباعث على تحصيل
الفرض وارادة الشئ قد لا يتيسر للتوقف على الميل النفسانى الذى ليس باختياره الى آخر ما طواه بغير
طائل (ومعونة البدن) المعونة مصدر بمعنى الاعانة وهى المساعدة وهو من الشواذ كما ذكر فى التصريف
والبدن هو الجسد ما سوى الاطراف أو ما سوى الرأس كما قاله الازهرى ويطلق على جملة الجسد كثيرا
وما قيل من ان حذفه أولى اذ قد يقصد معونة الروح أيضا لا وجه له لان المراد انه يقصد تقوية بدنه
بالغذاء ونحوه ليقوم بوظائف العبادة كما أشار اليه بقوله (على سلوك طريقها) أى الآخرة أى ليدخل
فى طريق الآخرة أو طريق الخصال الاخروية مع ان هذا لا يكون بمجرد البدن فهو يدل على ما ذكره
والمراد أن يكون متلبسا بما ينفعه فى الآخرة أو فى طريق يوصله لنعيم الآخرة بقصد ما يحمده الشرع
من العبادة والعفاف عن المحرم ومتابعة السنة ونحوه لا لمجرد قضاء الشهوة وحق النفس وأما قوله فى
الحديث ان لنفسك عليك حقا فلا ينافى هذا الا انه بامتثاله لامر الشارع مثاب بل لانه أمر لازم له جائز
شرعا وتركه اذا أخر غير جائز فهو مباح فوقه مرتبة أخرى يصير بها أحسن ولكل مقام مقال واللحوق
بالاخروى يجرى فى كل مباح حتى اللعب كما اذا مل من عبادة فاشتغل بمباح ينشطه بل قال الغزالى لهوه
هذا أفضل من صلاته وعبادته ووجه بان تنفله بكسل من غير توجه مكروه يثاب على تركه (وكانت
على حدود الضرورة) الحدود جمع حد وهو نهاية الشئ وغايته المحيطة به ومعنى كونها على حدودها أن
ياخذ منها بمقدار حاجته من غير زيادة واسراف ونقص وتفريط بالشح ونحوه فانها اذا كانت كذلك لم
تكن محمودة ملحقة بالاخروية وهذا كقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وما كان
كذلك لا يفيد فيه نية صالحة كمن نوى بطعامه التقوى للعبادة وزاد على الشبع أو زاد فى الالوان ومن
جمع المال لينفقه وانهمك فى جمعه ولكل ضرورة حد ومرتبة لا ينبغى تعديها والامور الدنيوية ليست
مقصودة لذاتها وفى بعض الشروح هنا كلام لا محصل له (وقوانين الشريعة) القوانين جمع قانون

الكاف وكسرها (ومنكحه) بفتح الكاف مصادرا وأسماء لما يلبس ويسكن وينكح (وماله) أى جميع ما ينتفع
به من الامور الحسية (وجاهه) أى قدره ومنزلته واعتباره من الاحوال المعنوية قيل هو والوجه بمعنى قلب منه لانه ان توجه بوجهه قبل منه (وقد تلحق) ضبط معروفا ومجهولا (هذه الخصال الآخرة) أى الاخيرة المتعلقة بالامور العادية الواقعة فى الاحوال الدنيوية (بالاخروية) أى بالخصال الاخروية (اذا قصد بها التقوى) مصدر تقوى من باب التفعل أى طلب القوة على الطاعة وفى نسخة التقوى بالتخفيف أى اذا كانت مقترنة بتقوى الله (ومعونة البدن) أى اذا قصد بها مساعدته ومعاونته (على سلوك طريقها) أى سبيل الآخرة وأبعد الدلجى تبعا للتلمسانى فى قوله أى طريق الخصال الاخروية (وكانت) أى تلك الخصال الملحقة (على حدود الضرورة) أى على طبق داعية الحاجة وقدر الكفاية من غير الزيادة (وقوانين الشريعة) وفى نسخة قواعد الشريعة أى وكانت أيضا على فوق
الاصول الشرعية مما أبيح وجوزاه من ارتكابه وهذا معنى قولهم فى حديث انما الاعمال بالنيات ان العادات تصير بالنيات عبادات

(وأما المكتسبة الاخروية) أي الخصال المكتسبة المستفادة المتعلقة بالامور الاخروية (فسائر الاخلاق العلية) أي جميعها وهي صفات وأحوال وأفعال وأقوال يحسن بها حالة الاحسان بينه و بين خالقه وأبناء جنسه (والآداب الشرعية من الدين) أي الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فيما يجب عمله وتركه (والعلم) أي معرفة النفس مالها وما عليها مما به تمام معاشها ونظام معادها (والحلم) أي الصبر على الايذاء وعدم العجلة في العقوبة على الاعداء (والصبر) أي على أنواع المصائب وأصناف البلاء وأجناس

القضاء (والشكر) أي بالثناء على المنعم بما أولاه من النعماء وان يصرف جميع النعم الى ما خلقت لاجله في مقام رضى المولى (والعدل) ضد الميل عن الحق بالجور وهو ملكة يقتدر بها على اجتناب ما لا يحل فعله في باب الحكومة وقد ورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وقال الله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا (والزهد) أي عفوة النفس وقلة ميلها الى الدنيا والمشتهيات وترك ما عدا الضرورات من المباحات أو ترك ما سوى الله مريدا به وجه الله وهو زهد المقربين (والتواضع) أي لين الجانب والتذلل للصاحب (والعفو) أي الصفح والمجاوزة وعدم المؤاخذة (والعفة) وهي قمع النفس عن المعصية أو مختصة بالزنا ونحوها وأغرب التلمساني بقوله وهو العفو عما يشين و يعيب وتركه اختيارا (والجود) وهو الكرم المحمود بان يكون بين طرفي افراط يسمى سرفا وتفريط يسمى بخلا وقد قيل لا سرف في خير ولا خير في سرف فهو بذل ما ينبغي فيما ينبغي كما ينبغي (والشجاعة) وهي صفة جيدة متوسطة بين التهور والجبن القوة (والحياء) بالمد وهو انقباض عن القبيح حذرا من الذم متوسط بين وقاحة وجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها و بين الخجالة والانحصار عن الفعل مطلقا وهو محمود اذا كف عن المعصية وذمائم الخسة ومذموم اذا كف عن تحصيل الفريضة واكتساب الفضيلة والاول من الرحمن والثاني من الشيطان

وهو الاصل والقاعدة المنطبقة على جزئياتها والاضافة لامية أو بيانية لادنى ملابسة كما قيل والمعنى أن يكون ما يفعله من هذه الامور على وفق الشريعة المطهرة فانه ان لم يكن كذلك لا ينفعه نية التقرب به الى الله تعالى عز وجل كمن يأكل حراما و يلبس مغصوبا ليتعبد به أو يتصدق بمال حرام قال

ومطعمة الايتام من كد فرجها * فليتك لم تزني ولم تتصدقي

وقال الغزالي رحمه الله لا تظنن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كبناء الرباط بالحرام فانه جهالة عظيمة وله فيه كلام مفصل وعن العز بن عبد السلام ان المعصية قد تصير قربة بالنية كمن شهد زورا لدفع ظلم الا أن منها ما لا تتغير حرمته كالزنا وذهب ابن القيم الى أن من أنفق مالا حراما في قربة يثاب عليه وان عوقب على كسبه من غير حل كالصلاة في أرض مغصوبة وفي هذا المقام كلام طويل ليس هذا محله (وأما) الخصال (المكتسبة الاخروية) الدينية (فسائر الاخلاق) جمع خلق وهو الوصف الذي طبعه الله تعالى عليه أو اكتسبه وسائر هنا بمعنى الجميع أو الباقي وقد اختلف فيه أهل اللغة فذهب الاكثر الى أنه لم يرد في كلامهم الا بمعنى الباقي ثم اختلفوا فقيل هو الباقي مطلقا قل أو كثر لانه من السؤر بالهمزة وهو البقية وقيل انه الباقي الاقل والاول هو الصحيح وذهب الجوهري وغيره الى أنه يكون بمعنى الجميع وخطاهم فيه كثير كابن قتيبة والحريري في الدرة لانه مخالف للسماع والاشتقاق لانه من السؤر فلا يصح كونه بمعنى الجميع وقد انتصر قوم للجوهري رحمه الله تعالى وان ما قالوه غير صحيح أما الاول فلانه سمع من الفصحاء كقوله

الزم العالمون حبك طرا * فهو فرض في سائر الاديان

وأما الثاني فلان القائل به يقول انه مشتق من السير أي يسير فيه هذا الاسم و يطلق عليه وقد أشبعنا الكلام فيه في شرح الدرة فانظره (العلية) أي الشريفة المحمودة عند العقلاء وأهل الشرع المكتسبة لا الجبلية اذا أريد بها وجه الله تعالى (والآداب الشرعية) التي هي أعم من الاخلاق أو مقابلة لها فيشمل أنواع العبادة ثم بين ما أجمله بقوله (من الدين) أي الدين والعبادة والانقياد لاوامر الله والايمان (والعلم) بما له وعليه مما به نظام معاشه ومعاده (والحلم) وهو ملكة يقتدر بها على الصبر على الاذى (والصبر) وهو حبس نفسه اذا أصابته مصيبة أو ناله ضر أو قل رزقه بان يتصور ما خلق له ورجوعه الى الله تعالى وان كل شئ بقضائه وقدره لحكم فيتسلى بذلك و يرضى (والشكر) بان يحمد الله على نعمه ويحمد من أولاه معروفا و يصرف ما أنعم الله به عليه فيما خلق لاجله (والعدل) بان يجتنب ما لا يحل فعله ويتوقى ما يضر غيره (والزهد) بترك الدنيا والرغبة عما في أيدي الناس وترك المحرمات والشبهات وترك ما سوى الله تعالى مريدا وجه الله وهو زهد المقربين (والتواضع) أي الخضوع والتذلل ولين الجانب (والعفو) وهو الصفح والتجاوز وعدم المؤاخذة (والعفة) وهي قمع النفس عن تعاطي ما لا ينبغي (والجود) وهو بذل ما ينبغي فيما ينبغي من غير اسراف ولا بخل (والشجاعة) وهي الاقدام على ما لا ينبغي كما ينبغي ولها طرفان الجبن والتهور (والحياء) وهو الانقباض عن القبيح حذر الذم من غير وقاحة وعدم مبالاة وتفريط فيه وهو الخجل وهو انكسار يعتري

(والمروءة) بضم الميم والراء وتشديد الواو وقد يهمز وهو الانسانية وكمال المرء بالاخلاق الزكية والتبعد عن الامور الدنيئة (والصمت) أى السكوت عن غير الخير لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت (والتؤدة) بضم ففتح همز وقد تبدل واوا وهى بمعنى التأنى وعدم العجلة لما قيل (قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل) وفى نسخة التودد من المودة أى التحبب الى الصلحاء والفقراء والضعفاء فانهم فى الآخرة ملوك وشفعاء (والوقار) بفتح الواو أى الرزانة والطمانينة وعدم الطيش والخفة (والرحمة) أى التعطف والرأفة (وحسن الادب) فانه أحسن من الذهب وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أدبنى ربى فاحسن تاديبى وجعل حسن الادب من جملة الآداب الشرعية لانه حالة خاصة من عموم الاحوال المرضية لحديث ان من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (والمعاشرة) أى المخالطة بالمخالفة على وجه الموافقة لقوله عليه الصلاة والسلام خالق الناس بخلق حسن وقوله خياركم أحسنكم اخلاقا ومن كلام الشيخ أبى مدين المغربى الخلق معاملة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه (وأخواتها) أى أشباهها من الاخلاق الحميدة المفصلة فى نحو كتاب الاحياء والعوارف والرسالة (وهى) أى هذه الملكات النفسانية المكتسبة (التى جماعها) بكسر الجيم أى جمعها واجتماعها كذا قيل وفى الحديث الخمر جماع الاثم لانها تجمع عددا منه والاظهر ان يقال مجمعها ومجتمعها (حسن الخلق) أى المحمود عند جميع الخلق وقد قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وانك لعلى خلق عظيم وكان خلقه القرآن ياتمر باوامره وينزجر بزواجره ويرضى برضاه ويسخط بسخطه ومجمله قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال جبريل عند نزوله هو ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك (وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو فى الغريزة) أى مخلوق ومودع فى السجية والطبيعة وهى بفتح غين معجمة وكسر راء مهملة ثم زاى (وأصل الجبلة) أى الفطرة (لبعض الناس)

القوة الحيوانية فيردها عن أفعالها (والمروءة) وهى فعولة بالضم مهموز وقد تبدل همزته واوا وتدغم وتسهل بمعنى الانسانية لانها ماخوذة من المرء وهى تعاطى المرء ما يستحسن وتجنب ما يسترذل كالحرف الدنيئة والملابس الخسيسة والجلوس فى الاسواق (والصمت) وهو الصموت بمعنى السكوت والمراد ترك الكلام فيما لا ينبغى وترك الفضول فانه كما ورد فى الاثر الصمت حكم وقليل فاعله وقد يحمد فى محله ولذلك قال عمر رضى الله تعالى عنه انه قفل الفم كما قيل

وكم فاتح أبواب شر لنفسه * اذا لم يكن قفل على فيه مقفل

وهو كثير فى النساء ولذا يذم أحيانا اذا كان عيا وقيل الصمت منام اللسان والتكلم يقظته والمرء مخبوء تحت طى لسانه لا تحت طيلسانه وقيل من لم ينطق فسد عقله ومات خاطره وهذا فى الخير (والتؤدة) بضم التاء الفوقية وفتح الهمزة والدال المهملة تليها الهاء وهى التأنى وترك العجلة والمبادرة بالكلام وغيره كما قيل * قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل وروى التودد أى اظهار الود والمحبة للناس من غير تملق ومداهنة (والوقار) وهو السكون والطمانينة من غير طيش ولا خفة (والرحمة) الشفقة والتعطف (وحسن الادب) مع الناس باكرامهم وتنزيلهم منازلهم (والمعاشرة) معطوف على الادب أى حسن المعاشرة والاختلاط مع الناس وترك التحجب وهجر الاخوان بغير داع (وأخواتها) بالجر من كل ما يشبه هذه الخصال مما سياتى فى الفصل الذى يليه (وجماعها) بكسر الجيم أى يجمع هذه وأخواتها ويشملها كلها وفى الحديث حدثنى بكلمة تكون جماعا أى جامعة للكلمات كما فى النهاية (حسن الخلق) فانه عبارة يدخل فيها كل ما ذكر وغيره وهو معاملة كل أحد بما يرضيه ولا يوحشه كما قاله أبو مدين رحمه الله تعالى وحسن الخلق بمعنى الخلق الحسن كما فى قولهم العلم حصول الصورة الحاصلة وفيه مبالغة بجعله كأنه عينه للزومه وفيه تفصيل فى حواشى المطول فى تعريف الفصاحة فما قيل ان الصواب الخلق الحسن لانه هو الشامل وهو المراد الا ان يريد بالجمع المشترك بين الكل لان الخلق هو الصفة المعنوية والصورة الباطنة ليس بصواب ولا حاجة لما تكلفه (وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو فى الغريزة) هى والطبيعة والجبلة بمعنى كما مر (وأصل الجبلة لبعض الناس) خلقه الله وأنشاه عليها كما ترى من بعض كرم الناس وحسن خلقه من غير تعلم من أحد * واعلم ان مراده بالكمال الذى عقد له هذا الباب كمال الانسان فى خلقته الذى ذكره الله تعالى بقوله لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وما يلحق به من أمور معاشه وماله دخل فيه كارضه وأصله وماله دخل فى بقائه من أمور معاشه وهو الذى أشار اليه الحكماء بقولهم لما كان الانسان خلق لاشرف الصور التى هى النفس الناطقة خصه الله تعالى باشرف الامزجة وأعدلها وجعلها بحكمته تقدست أسماؤه مزينة فيها أعضاء رئيسه ومرؤسه ومراده بصفاته الاخروية صفات ممدوحة فيها عقلا لا تختص بعصر ولا بنوع منه ولا بشريعة بل بما يدركه ويحمده كل عقل سليم كالسخاء والشجاعة وغيره وهذه لا يدخل فيها صرف

العبادة كالصلاة والحج ونحوه مما خصه العرف باسم العبادة وان كانت هذه الصفات فيمن عرف نفسه وربه وقصد بها القربة تسمى عبادة أيضا لان الشارع أمر بها وحث عليها فمن فعلها امتثالا لامره كان متعبدا بها ومن لم يعرف مقاصده خلط وتكلف توجيهات لا حاجة اليها فقوله وأصل الخلقة عطف تفسير للغريزة وهذه فيها ماهو وقسم من الضروريات أيضا والاخلاق تطلق على الملكات والكيفيات النفسانية وعلى آثارها مسامحة وكذلك تسمى جبلة مسامحة ويشترط فى كون هذه دينية ارادة وجه الله تعالى بها كما عرفته فما قيل على المصنف رحمه الله تعالى ان مقتضى كلامه ان الجبلى والوهبى كالنبوة لعدم القصد والعمل لا يكون دينيا وان التحقيق ان التقرب الى الله بتعظيمه وحسن الحال والمآل يكون لكمال فى الجبلة ووهب فى الحياة بلا اختيار فان المعرفة والتصديق الوهبى والجبلى كما فى بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام والانتساب الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمحبته كمالات تقرب وتنفع وان لم تكن أعمالا يثاب عليها وكم فى الآخرة من أمر يقرب وليس بعمل وهذا لا ينكره من له انصاف والاخلاق التى مدحها الشارع أمور كسبية وان كان كمالها بكونها جبلية كما سيذكره المصنف رحمه الله تعالى والظاهر انها توجب التقرب والتكريم فى حد ذاتها وباب الجدال لا يسده طول المقال الى آخر ما أطال فيه قد عرفت انه خارج عن نهج السداد (وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها) هذا معلوم من جعله مكتسبا وانما ذكره توطئة لما بعده وقوله فيكتسبها بالنصب كما قاله البرهان الحلبى وقال بعض الشراح الصواب الرفع على الاستئناف وتقدير المبتدأ وهكذا كل ما أريد به نفى ما قبله واثباته كقولك لمن تكره اتيانه لا تأتينى فاكرمك اذا قصدت اكرامه لاجل عدم اتيانه كما ذكره ابن هشام فى الشذور وفى الاقليد وكتب العربية ما يخالفه وليس هذا محل تفصيله * واعلم انهم اختلفوا فى الاخلاق هل هى كلها غريزية من غير كسب أو كلها كسبية أو بعضها كسبية وبعضها غير كسبية واليه ذهب المحققون قال التجانى واليه ذهب المصنف رحمه الله تعالى كما سيصرح به فى الفصل الحادى عشر من هذا الباب والشعراء فى تخيلاتها ان ما ليس بغريزى لا بد من زواله كما قاله المتنبى

وأسرع مفعول فعلت تغيرا * تكلف شئ فى طباعك ضده

وقال ذو الاصبع العدوانى

كل امرء راجع يوما لشيمته * وان تكلف اخلاقا الى حين

(ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها فى أصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى) لا بد من كذا أى لا محيد عنه ولا مفارقة من بددت الشئ اذا فرقته ولا يستعمل الا فى النفى ولا يرد عليه قوله

فمن ظن ان لا بد عنه * فان عنه ألف بد

لقصد التمليح وهو مولد وما وقع فى بعض حواشى المطول من تفسيره بالسعة وتوجيهه لا وجه له وأصل الجبلة اضافة بيانية والشعبة بضم الشين وسكون العين المهملة الحصة من الشئ وأصل معناه الفرقة والقطعة وأحال المصنف على ما سيأتى فى فصل الخصال المكتسبة (وتكون هذه الاخلاق دنيوية) أى آثارها المترتبة عليها أو اكتسابها والتطبع بها يعنى تنقلب من حسنها المحمود والمثاب عليه الى انها تكون دنيوية صرفة لا يثاب عليها كما ان الدنيوى ينقلب دينيا بالنية الصالحة ولذا قيل طلبنا العلم لغير الله فابى أن يكون الا لله قيل وهذا تصريح بنوع رابع غير النوعين المذكورين أولا وهو الدنيوى المكتسب فالانواع أربعة دينى أو دنيوى وكل منهما ضرورى أو مكتسب وقد عرفت ما فيه (اذا لم يرد بها) بالبناء للمجهول أو اذا لم يرد فاعلها بالبناء للفاعل وقد تقدم معنى الارادة والقصد (وجه الله) أى ذاته بان لم يقصد عبادته والتقرب اليه واتباع أمره (والدار الآخرة) التى فى مقابلة الدنيا أى نعيمها

أى ممن طبع عليه فى أول خلقته وابتداء نشأته ومنه قول القائل

كل امرئ راجع يوما لشيمته
وان تخلق اخلاقا الى حين

(وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها) بالرفع أى فهو يحصلها للاقتداء بغيره فيها فتصير له كالغريزة وقال الحلبى هو بالنصب جواب النفى انتهى وفيه بحث لا يخفى (ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها فى أصل الجبلة شعبة) أى شائبة وقطعة خلق عليها اليرجع فيما يكتسبه اليها ويميل طبعه الاول فيها (كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون) أى تصير (هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد) بصيغة المفعول أى لم يقصد (بها وجه الله تعالى والدار الآخرة) أى بخلاف ما اذا أريد بها ذلك فانها صارت حينئذ قربات عند الله فيثاب عليها

وما فيها من الثواب والجزاء وما كان لله ولوجهه فهو للآخرة وبالعكس وقيل الاول اشارة لعبادة الخواص التى لا ينظر فيها الجنة ونار وانما هو لاجلال الله وامتثال أمره وقد يجعل هذا على قسمين ما قصد به الكمال بالنظر والقرب والرضى ونحوه وما قصد به التعظيم وامتثال الامر وفعل ما يستحقه وهذه عبادة خواص الخواص قال الغزالى رحمه الله تعالى وهذا قل أن يفهمه أحد فضلا عن ان يأتى به واعترض على عبادة الخواص بان البراءة من الحظوظ من خواص الالوهية حتى نقل عن الباقلانى رحمه الله تكفير من ادعى به البراءة من الحظ بفعله وأجاب الغزالى بانه حق ولكن مرادهم ان فعلهم لحظ غير حظ العوام وهو التلذذ بمعرفته تعالى ومناجاته والنظر له وقيل عليه هذا لا يصح فى القسم الثانى اذ ليس نظرهم لتلذذ أنفسهم ولم يبق لهم مطلب ولا مريد ولا مراد فالحق فى الجواب ان عدم الحظ بمعنى عدم التأثر عن شئ فانه غنى وهذا نقص لا يليق به لانه يلزمه الامكان والاحتياج وهم معترفون بانهم محظوظون متأثرون ولكن يدعون عدم ملاحظة الحظ وقصده بالفعل ولا دليل على اختصاصه فيجوز فى فعلهم الغير الاختيارى وأما الاختيارى ففيه نظر لما تقرر من ان الفعل الاختيارى من الممكن لا بد ان يسبق بالتصديق بفائدة وغرض باعث على الفعل يعود الى الفاعل ولذا نفوه عن الله فكيف تكون العبادة لمحض استحقاق الذات والظاهر ان ذلك غير مسلم عند الحكماء والثانى اشارة الى عبادة العوام مما كان لنيل النعيم والخلاص من الجحيم وهذه على مراتب منها ما يفعل لعبادة الله واطاعة أمره راجيا النجاة بحيث لو لم يكن لفعل وهذه أعلاها ومنها ما فعل لذلك والباعث لعبادته أمر أخروى بحيث لو لم يكن لم يفعل وهذه دونها ومنها ما يفعل مع الغفلة عن أمر الله وطاعته وانما القصد مجرد النجاة والنعيم الا ان هذه حكم الرازى رحمه الله تعالى ببطلانها وفاقا فقال فى تفسيره أجمع المتكلمون على ان من عبد الله ودعاه لاجل خوف النار وطمع الجنة لا تصح عبادته ودعاؤه وذلك لان التكاليف بمقتضى الالوهية والعبودية عند أهل السنة ومع كونها مصالح عند غيرهم فوجه الوجوب والحرمة الامر والنهى فمتى أتى بها لاتباع الامر والنهى صحت ومتى أتى بها خوفا وطمعا لم تصح اتفاقا لانه لم يأت بها على وجه وجوبها انتهى ومنه يظهر ان المراد وجوب أن يكون الغرض الامتثال ونحوه ولم ينف انضمام شئ آخر باحد الوجهين ما لم يصرر ياء فلا ينافى هذا قول النووى رحمه الله تعالى لو قال أحد لآخر صل لنفسك ولك على كذا فصلى فهذه النية صح ومن لم يفهم مراده توهم المنافاة هذا ومن العبادات الظاهرة ما لا يحتاج الى نية بل يكفى عدم الصارف كالصدقة والعتق وغيرهما فلا يبعد أن يكون فى الاخلاق العلية ما هو كذلك واذا لم تجب فى الصدقة ونحوها فبالاولى ان لا تجب فى العلوم الشرعية والعدالة واذا كان الكلام فى الآثار فقد يكون عين ما ذكروه وحينئذ انما تكون دنيوية اذا أريد بها غير الله وأما اذا أريد بها الآخرة وغيرها ففيه تفصيل وخلاف ولنا هنا تحقيقات خارجة من مقاصد الكتاب انتهى ملخصا * أقول ذكر هذا الامام فى تفسير الفاتحة واستدل بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد أقره على ذلك جماعة وقد قال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيثمى فى شرح الارشاد وهذا عجيب فقد صرح الفقهاء بان من قصد بالصلاة الدنيا تصح صلاته فبالاولى هذا فالوجه خلافه وقد حث الشارع على العبادة بذكر الثواب والعقاب ففيه دليل على ان مثله لا يضر وقد صرح فى الاحياء بان قصده لا ينافى الكمال والعامل للجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله الذين هم أكثر أهل الجنة وفيه رد لما قاله الفخر ونحوه قول السبكى رحمه الله تعالى العالمون على أصناف صنف عبدوه لذاته وان لم يخلق جنة ولا نارا ومع ذلك يسألونه الجنة ويستعيذونه من النار اتباعا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال حولها ندندن ومن اعتقد خلاف ذلك فهو جاهل وصنف عبدوه خوفا من ناره وطمعا فى جنته وهو دون الاول

(ولكنها) أي الغريزة وان لم يرد بها ذلك (كلها) بالنصب أي جميعها (محاسن وفضائل) أي باعتبار افرادها (باتفاق أصحاب العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها) بكسر الجيم لا بفتحها كما قال التلمساني وسبقه الانطاكي لانه بمعنى المقتضي وهو لا يناسب المقام كما لا يخفى أي سببها وباعثها (وتفضيلها) أي وفي تفضيلها على غيرها أو بعضها على بعض أهو ذاتي اقتضته ذواتها وطبائعها أو بخلق الله تعالى له في ذواتها قولان ثانيهما هو الحق لاستناد جميع الكائنات اليه ابتداء اذ هو الخالق وحده وهي ملكات محمودة مكملة للانسان وان تفاوتت النفوس بحسب الفطرة في الكمال باعتبار زيادة اعتدال الابدان فكلما كان البدن أعدل كانت النفوس الفائضة أكمل والى الخيرات أميل وللكمالات أقبل وعكسه عكسه كما قيل الظاهر عنوان الباطن ثم لا نزاع في انها من واجبات العقل لحكمه بها من حيث انها صفات كمال ثم ورد الشرع مؤيدا له ومقررا لحكمه بها وانما النزاع في ان العاقل قبل وروده أو بعده ولم يبلغه هل يجب عليه بعض الافعال أو يحرم بعضها بمعنى استحقاق الثواب والعقاب في الآخرة أم لا فعندنا لا اذ لا حكم له ولا اثابة ولا تعذيب قبل وروده وعند المعتزلة نعم بناء على مسئلة الحسن والقبح كذا حققه العلامة الدلجي وقال المنجاني ذهب بعضهم الى ان جميع الاخلاق سيئها وحسنها جبلة وغريزة في العبد ليس فيها اكتساب والى هذا مال الطبراني وحكاه عن ابن مسعود والحسن وذهب بعضهم الى ان جميع هذه الاخلاق انما هي من كسب العبد باختياره وليس في جبلته شيء منها مخلوقا وهذا مذهب طائفة كثيرة من السلف وذهب الباقون الى ماذكره القاضي وعليه المحققون وقال الانطاكي لاشك ان الانسان لا اختيار له في تغيير خلقتها الاصلية وهيئتها الجبلية فالطويل لا يمكن ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته ولا على عكس هيئته وأما الاخلاق المكتسبة من الجود والشجاعة والتواضع والعفة فقد تكون في بعضهم غريزة وجبلة بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق ويولد كامل الاخلاق والآداب كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها بالمجاهدة والرياضة بان يحمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا ان يجعل لنفسه خلق الجود فيتكلف تعاطى فعل الجود ويواظب عليه فانه يصير ذلك عادة له وطبعا فيصير جوادا وكذا من أراد ان يجعل لنفسه خلق التواضع فيواظب على أفعال المتواضع مدة مديدة يصير التواضع له خلقا وكذا جميع الاخلاق المحمودة يمكن تحصيلها بهذا الطريق فاذا الاخلاق الحسنة

وكلاهما يعتقد وجوب الطاعة واستحقاقه تعالى لها انتهى وحمله بعضهم على من جعل عبادته في مقابلة ذلك وانه واجب على الله تعالى كالمعتزلة فهو غير جازم بالنية حينئذ فيبطل عمله عند أهل السنة وحمله على انه لولا ذلك ما عبد تكلف اذ الكلام في اسلامه حينئذ وفي الاحياء عن مكحول من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق أي المؤمن لا بد له من الخوف والرجاء لقوله خافوني ولا تيأسوا من روح الله الى آخره فمن عبده بالخوف ولم يوجد منه رجاء أو وجد ما لا وزن له معه فهو حروري لحكمه على العاصي بالانسلاخ من الرحمة والخوف من الذنب كالخوارج على علي كرم الله وجهه وهم فساق أو كفرة فتجريد الخوف يوجب الالتحاق بهم ومن عبد بالرجاء دون الخوف فهو كالمرجئة الذين يقولون لا يضر مع الايمان ذنب ومن تجرد رجاؤه فقد قال لا تصح صلاته ولا شيء من عبادته لان نية الفرضية شرط فيها واذا انتفى الخوف بتقدير الشرك انتفى اعتقاد الوجوب لان الفرض ما يذم تاركه أو يعاقب أو يخاف من العقاب على الخلاف في حده ومن اعتقد العقاب والذم يخاف منه العقاب فعلم ان انتفاء الخوف لا تصح معه عبادة واجبة لانه ارجاء لا يقال ينافيه قوله نعم العبد صهيب الى آخره لانا لم نقل ان انتفاء الخوف لا يوجب الارجاء مطلقا بل تجريد الرجاء هو الموجب له وثمة حالة أخرى أكمل منه وهي الحياء المانع من المعصية ومعنى الثالث ان تمحض المحبة مع انتفاء الخوف والرجاء يستلزم العمل لا لاجله الا لاستحقاقه تعالى واعتقاده كفر ان لم يظهر الاسلام فهو كالزنديق ومعنى قولهم ما عبدناك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك انه لذاتك المستحقة لذلك كما مر انتهى وانما أطلنا في هذه المسئلة لانها من المهمات والوقوف عليها لازم الا ان ماذكروه غير متجه بوجه من الوجوه لان كلامهم في العبادة المعروفة في عرف الشرع وما نحن فيه ليس من هذا القبيل كما حققناه لك فلتكن على ذكر مع ان في كلامه مسقطات يعرفها من له ذهن وقاد وفكر لزيوف المعارف نقاد فلنجذب عنان التحرير ليستريح جواد القلم من التسطير والى ماذكر من ان ما نحن فيه ليس من قبيل العبادة المعروفة في عرف الشرع أشار بقوله (ولكنها كلها محاسن وفضائل) أي هي كلها أمور حسنة تفضل بها صاحبها في حد ذاته بقطع النظر عن الشرع فان صحبها مقاصد حسنة وخلوص نية أثيب عليها والا فلا (باتفاق أصحاب العقول السليمة) وان كانت قد تذم لامر عارض كالرياء والصمت عما يجب انكاره كما يعرض لبعض الكمال ما يجعله ناقصا (وان اختلفوا في موجب) بكسر الجيم لا بفتحها كما توهم أي سبب (حسنها وتفضيلها) على غيرها هل هو لذاتها المـ

قد تكون بالطبع أعني الفطرة وقد تكون بالتطبع أعني باعتبار الافعال الجميلة وزعم بعض من غلبت عليه البطالة واشتغل بالمجاهدة في تهذيب الاخلاق ان الرياضة لا تؤثر في تغيير الاخلاق انها طباع لا تتغير كالخلقة لكنا نقول لو كانت الاخلاق لا تتغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال صلى الله تعالى عليه وسلم حسنوا أخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التاديب والفرس من الجماح الى السلامة وكل ذلك تغيير الاخلاق بتوفيق الملك الخلاق

(فصل) أي هذا فصل في تعداد خصال جيدة اختص بها ذاته السعيدة مجملة وتذكر فيما بعده من الفصول العديدة مقتبسة من الكتاب والسنة (قال القاضي رحمه الله تعالى) كذا في نسخة (اذا كانت خصال الكمال والجلال ماذكرناه) أي في الفصل السابق (ووجدنا) وفي نسخة ورأينا أي علمنا (الواحد منا يشرف) بضم الراء أي يصير شريفا رفيعا وفي نسخة بصيغة المجهول من التشريف أي يكرم ويعظم وفي أخرى يتشرف أي يفتخر (بواحدة منها) أي ولو في أقل مراتبها (أو اثنتين) أي منها (ان اتفقت) أي هذه الخصلة وفي نسخة ان اتفقتا (له في كل عصر) متعلق باتفقت والعصر مثلثة وأبعد الدلجي في تجويز تعلقه بتشرف وتقديمه وفي نسخة زيادة (واوان) عطف خاص على عام فان العصر الدهر وهو الزمان والاوان زمان مخصوص كزمان الربيع والداعي الى عطفه الخطابة في ان كل وقت لا يخلو من أحد يشرف بذلك ثم ما يشرف به لا يخلو من أن يكون (اما من نسب) أي رفعة نسب (أو جمال) أي حسن صورة (أو قوة) أي بدنية متحملة لمزاولة أفعال شاقة والقدرة أخص منها لاشتراط الارادة فيها اذ هي التمكن من اظهار القوة مع الارادة (أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة) أي جود وعطاء ومسامحة ومساهلة (حتى يعظم قدره) غاية لوصفه بما ذكر أي يرفع شانه بين الرجال (ويضرب) بصيغة المجهول أي يبين ويعين (باسمه الامثال) فيقال أجود من حاتم وأعدل من أنوشروان أو هو حسان زمانه أو مجتهد أوانه أو أشجع أقرانه أو أسخى اخوانه

يترتب عليها أو لتحسين الشارع وتفضيله بناء على ان الحسن والقبح أمر يعرف من الشرع لا من غيره مطلقا كما ذهب اليه الاشعري أو في بعض الامور كما ذهب اليه الماتريدي أو من العقل مطلقا كما قاله المعتزلة والخلاف في الحسن والقبح الذي يترتب عليه الثواب والعقاب لا مطلقا كما توهم

(فصل) قد عرفت ان فصول هذا الباب سبعة وعشرون وانه عد ما تقدم فصلا ولم يعد الفصول لذلك أو للاختصار ولم يترجم بعض الفصول لعدم انضباطها وهذا الفصل معقود لخصال محمودة مخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم مقتبسة من الكتاب والسنة منها ما يذكر في الفصول التي بعده (اذا كانت خصال الكمال والجلال) المتقدم ذكرها كما أشار اليه بقوله (ماذكرناه) في أول هذا الباب (ووجدنا الواحد منا) معاشر البشر وهذا معطوف على ما قبله أو حال بتقدير قد والمعنى ان الواحد (يشرف) كما وجدناه ويشرف بفتح الياء وضم الراء أي يحصل له الشرف على غيره (بواحدة منها أو اثنتين) أي بسببه اذا كانت فيه على ما يليق به (ان اتفقت له) قيد للشرف أو للوجدان والحصول ومعنى الاتفاق حصولها على وجه يشرف به بغير كسب والضمير للخصلة المفهومة من السياق والمراد نوعها وجنسها فيشمل المتعدد وتعبيره بالواحد اشارة الى ان أهل الكمال (في كل عصر) قليل كما قيل

انى لافتح عيني حين أفتحها * على كثير ولكن لا أرى أحدا

والعصر الدهر وكل مدة ممتدة غير محدودة يحتوي على أمم وينقرض بانقراضهم والجار والمجرور متعلق بوجدنا أو يشرف ويجوز تعلقه باتفقت والمراد بالواحد الجنس أي واحد في عصر وآخر في آخر عصر بعد عصر لا في أيام قلائل وأشار بقوله واحدة أو اثنتين الى ان اجتماعها كلها أو أكثرها نادر وفي بعض النسخ (وأوان) وهو زمن مخصوص كزمن الربيع وليس من عطف الخاص على العام كما قيل (أما من نسب أو جمال أو قوة) في الاعضاء أو القوى وقيل هي بمعنى البطش والشدة (أو علم) أي علم من العلوم الشرعية أو العقلية (أو حلم أو شجاعة أو سماحة) وجود وكرم (حتى يعظم قدره) غاية لقوله يشرف ولوصفه بما ذكر أي يرتفع حتى يصير معظما مبجلا عند الناس في حياته قيل وهو مع ما بعده غاية اذ العظمة أعلى من العلو والشرف أو مقيدة بقوله (وتضرب باسمه الامثال) في حياته ومماته كما يقال هو حاتم في الجود والامثال جمع مثل وهو المشبه به وضربه بيانه وتشبيه غيره به وضرب الامثال باسمه ذكره بجعله مشبها به وليس اسم مقحما للتعظيم والمبالغة هنا كما قيل والمثل يضرب للايضاح بابرازه في معرض المحسوس ليدل على غاية وضوحه وكماله في وجه الشبه

والضرب أصله ايقاع شئ على آخر ويختلف باختلاف متعلقه فالضرب في الارض السير لايقاع الارجل وضرب الدراهم صوغها لايقاع المطارق ومنه أخذ ضرب المثل لتاثيره في النفوس كما أشار اليه بقوله (ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثرة) بضم الهمزة وكسرها وسكون المثلثة وبفتحها وهي المأثرة والمكرمة من تلك الخصال التي وصف بها وانفرد واستاثر عن غيره (وعظمة وهو منذ عصور خوال) أي والحال ان ذلك الموصوف بها من ابتداء أزمنة ماضية الى ظهور عظمة قدره وضرب الامثال به ومنذ مبني على الضم كما قرره النحاة مختص بالزمان بخلاف من على ما فيه (رمم) بكسر الراء وقد يضم جمع رمة أو رميم وهي العظام وأجزاء البدن البالية فقوله (بوال) جمع بالية تاكيد كنفخة واحدة أو تجريد أو بيان لرمم لانه قد يغفل عن معناها وهو قريب من التاكيد فلا وجه لرده وليس في حمل الرمم على ما هو باعتبار أجزاء بدنه تكلف ولم يكتف بالمفرد لان المراد ان الواحد يعظم قدره بعد موته بالاتصاف بواحدة أو اثنتين منها مع صيرورته عظاما تفرقت جموعها فما الظن بمن عظم قدره بما فوق ذلك وقد حرم الله جسده على الارض وأحياه في قبره كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد رأيت في بعض الكتب ان السلف اختلفوا في كفر من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما انتقلت روحه للملأ الاعلى تغير بدنه وروى ان وكيع بن الجراح حدث عن اسمعيل بن أبي خالد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما توفي لم يدفن حتى ربا بطنه وانثنى خصره واخضرت أظفاره لانه صلى الله تعالى عليه وسلم توفي يوم الاثنين وتركه لليلة الاربعاء لاشتغالهم بامر الخلافة واصلاح أمر الامة وحكمته ان جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا لم يمت فاراد الله أن يريهم آية الموت فيه ولما حدث وكيع بهذا بمكة رفع الى الحاكم العثماني فاراد صلبه على خشبة نصبها له خارج الحرم فشفع فيه سفيان بن عيينة وأطلقه ثم ندم على ذلك ثم ذهب وكيع للمدينة فكتب الحاكم لاهلها اذا قدم اليكم فارجموه حتى يقتل فابرد له بعض الناس بريدا أخبره بذلك فرجع للكوفة خفية من القتل وكان المفتي بقتله عبد المجيد بن رواد وقال سفيان لا يجب عليه القتل وأنكر هذا الناس وقالوا رأينا بعض الشهداء نقل من قبره بعد أربعين سنة فوجد رطبا لم يتغير منه شئ فكيف بسيد الشهداء والانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام وهذه زلة قبيحة لا ينبغي التحدث بها (فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال) أي الواحد منا اذا حصلت له خصلة أو خصلتان منها حصل له شرف قدر ووقع في القلوب ورفيع قدر لا يزول بموته وصيرورته عظاما بالية فكيف بمن جمع جميعها وهو باق في قبره وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا جواب اذا والظن الاعتقاد الراجح الغير الجازم ويكون بمعنى العلم وعظيم قدره بمعنى قدره العظيم والاستفهام انكاري بمعنى النفي أو للحمل على الاقرار بغاية عظمته أو للتعجب وليس بعجيب كما توهم والمراد بالخصال السابقة حال كونها متجاوزة (الى ما لا ياخذه عد) أي لا يعد لكثرته ولعدم اطلاعنا على كثير منه ومعنى لا ياخذه لا يحيط به أو يغلبه كقوله تعالى (لا تاخذه سنة ولا نوم) كما مر فهو استعارة ولا حاجة الى ما قيل انه ادعاء أو مبالغة والى ما قلناه أشار بقوله (ولا يعبر) بكسر الموحدة المشددة (عنه قول) فاعل يعبر أي مقول وروى به مقال أي لا يعرب به ويظهره مقال (ولا ينال) أي يحصل ويوصل اليه (بكسب) وتحصيل باسباب عادية (ولا حيلة) أي حذق وتصرف بجودة نظر وهو أعم من الكسب (الا بتخصيص الكبير المتعال) استثناء مما قبله منقطع أي لكن لا ينال الا

(ويتقرر) أي يثبت (له بالوصف بذلك) أي بسبب اتصافه أي بما ذكر من الصفات (في القلوب) أي في قلوب الخلق من أهل الحق (أثره) بضم همزته وكسرها وفتحها وسكون المثلثة وبفتحهما أي مكرمة يتفرد بها (وعظمة) عطف تفسير في المعنى (وهو) أي ذلك الواحد منا (منذ) بضم ميم وتكسر بمعنى مذ (عصور خوال) أي والحال انه من ابتداء دهور خالية وأزمنة ماضية (رمم) بكسر راء وفتح ميم أي رميم جمع رمة عظامه (بوال) أي بالية متفتتة أعضاؤه وأجزاؤه فالمغايرة حاصلة بينهما خلاف ما فهمه الدلجي وجعلها عطف بيان كابي حفص عمر ثم اذا كان الامر كما ذكر (فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال) أي الحميدة العديدة على وجه الكمال وهو استفهام يورث تعجبا من هذه الحالة لاسيما وهي منضمة (الى ما لا ياخذه عد) أي احصاء من خصال لا توجد الا في الانبياء والاصفياء وأرباب الكمال (ولا يعبر عنه مقال) أي لا يحصره قول (ولا ينال) بضم الياء أي لا يحصل (بكسب ولا حيلة) أي باكتساب ولا باحتيال (الا بتخصيص الكبير المتعال) أي بطريق التفضيل والهبة والجذبة والعناية من العظيم الشان في ذاته المستعلي على كل شئ بقدرته أو الكبير عن نعت المخلوقين والمتعال عن مشابهة الامثال .

بامر

(من فضيلة النبوة) بيان لما وهي بالهمز بناء على انه من النبإ بمعنى الخبر لانباء الله تعالى اياه وأخباره عنه سبحانه وتعالى أو بتشديد الواو بناء على ابداله أو على انه ماخوذ من النبوة بمعنى الرفعة فان النبي عليه الصلاة والسلام رفيع الشان عظيم البرهان (والرسالة) وهي كونه واسطة بين الله تعالى وبين عباده والرسالة أخص من النبوة فان الرسول هو المامور بتبليغ الاحكام والنبي هو الذي أوحى اليه سواء أمر بالتبليغ أم لا (والخلة) بضم الخاء أى الخصلة التى توجب الاختصاص من صفاء المودة حيث تتخلل النفس وتخالطها (والمحبة) وهى مودة تشق شغاف القلب وتصل الى سويداء الفؤاد (والاصطفاء) أى بالخصائص الروحانية والجسمانية لقوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس (والاسراء) أى الى السماء (والرؤية) أى رؤية الله تعالى بالبصر أو البصيرة أو رؤيته من آيات ربه الكبرى لحديث البخارى رأى رفرفا أخضر فى الجنة قد سد الافق وحديث مسلم رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح ومع وجود هذه الاحتمالات فى عبارة الرؤية لا يرد ما قاله الحلبى من ان المؤلف لم يترجح عنده انه عليه الصلاة والسلام رأى ولا ما رأى كما سيأتى ذلك وهنا قد جزم بها فهذا تناقض على أنه قد يقال تردد هنالك وجزم هنا والله أعلم (والقرب والدنو) أى قرب مكانة ودنو رفعة (والوحى) أى فى ذلك المكان الاعلى (والشفاعة) أى العظمى (والوسيلة) وهى منزلة فى الجنة وهى أعلى العليا (والفضيلة) أى زيادة المرتبة على العامة والخاصة من حسن المنقبة

بامر ونهى يخص الله به من يشاء وقيل يحتمل أن يكون متصلا أى الاجمال مصاحبة للتخصيص فيقدره على كسب بعض ويهبه بعضا وفيه نظر والكبير العظيم شانه وقال الرازى الكبير ما كبر فى ذاته والعظيم ما يستعظمه غيره فلذا كثر وصفه تعالى بالكبير دون العظيم فتامله والمتعال بحذف الياء للوقف تخفيفا المستعلى على كل ماسواه والعالى شانه عن جميع شوائب النقص وقوله (من فضيلة النبوة والرسالة) بيان لما فى قوله مالا ياخذه عد أى لم يذكر قبله وقيل للكل من الخصال المذكورة ومما لا يحوز به العد بما هو مذكور فى الكتاب ليقف عليها الباحث عنها مجتمعة فيكون أقرب الى الضبط وادعى الى التعظيم والتخصيص أعم من السدى والحقيقى وان كان الظاهر انه لم يرد الخصائص لعد المشتركات ولا داعى للتكلف للتخصيص و القول بانه لا يناسب عد المواهب من الغرائب انتهى وفى قواعد القرافى النبوة أفضل من الرسالة عند العز بن عبد السلام من جهة أنها عبارة عن خطاب الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بما يتعلق به وبذاته والرسالة متعلقة بالامة وقيل الرسالة أفضل لعظم ثمرتها وعموم نفعها والكل وجهة وسياتى تفصيله * قلت وبهذا ظهر السر فى ان الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وردت مقرونة بلفظ النبى لتعلقها لذاته الشريفة ولذا قال الله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبى) لالانه اذا صلى عليه باعتبار النبوة علمت بالاولى تلك وليس ذكر الرسالة مستدركا هنا كما توهم (والخلة) بضم الخاء من المخاللة (والمحبة والاصطفاء) افتعال من الصفوة بالفتح والكسر وهى الاختيار والاجتباء بالجيم تناول جبايته وجمعها فيه وسياتى الكلام على المحبة والخلة وهذا اشارة الى ما ورد فى الحديث الآتى ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم (والاسراء) الى المسجد الاقصى وسياتى تفصيله (والرؤية) لربه وآياته الكبرى أو جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورته الاصلية فلا يرد عليه ما قاله البرهان الحلبى من انه هنا جزم برؤية ربه وقال فيما سياتى ان ذلك لم يثبت عنده لاحتمال أن يراد بالرؤية غير ما ذكر أو يذكره هنا تبعا لغيره وقيل الذى رآه رفرفا أخضر سد الافق فى الجنة (والقرب والدنو) لقوله تعالى (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) على القول بان الضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وليس هذا قربا مكانيا ان كان المراد به من القرب من الله تعالى لاستحالة المكان والجهة على الله وقد ذكر فى الآية على سبيل المدح فالاول فى قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) والثانى فى قوله تعالى (ثم دنى) فهما متغايران هنا أو هو عطف تفسير (والوحى) مصدر وحى بمعنى أوحى والاكثر فى الاستعمال الفعل المزيد ومصدر الثلاثى وهو اعلام نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بما يريده من شرع وغيره بكلام أو ارسال ملك أو الهام ونحوه واصل معناه الكلام الخفى (والشفاعة والوسيلة) المراد مطلق الشفاعة فى أمته صلى الله تعالى عليه وسلم أو الشفاعة العظمى وله صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات ستاتى والوسيلة أصلها ما يتوسل به ويتقرب ويتوصل به المراجعة ربه وقيل هى الشفاعة يوم القيامة وقيل هى منزلة فى الجنة وحمله هنا عليها أرجح (والفضيلة) هى اما فضيلة خاصة به صلى الله تعالى عليه وسلم أو شاملة لجميع ما منحه الله من الفضائل والكمالات اذ كل صفة حادثة قابلة للزيادة ولذا قال تعالى (وقل رب زدنى علما) وقال (ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء) ولهذا قال بعض الشراح هنا انه يجوز فى الدعاء للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يقال اجعل ذلك زيادة فى شرفه لقبول الصفات الحادثة للزيادة والنقص بخلاف صفات الله

ولذا أثنى الله على نفسه ومنع غيره من الثناء على نفسه بقوله تعالى ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى واستثنى منه محال منها الامين الواثق بامانته كقول يوسف عليه الصلاة والسلام انى حفيظ عليم ومنها الشجاعة كقول على كرم الله وجهه أنا مفرق الكتائب أنا ليث بنى غالب ومنها العالم والنسب اذا لم يعرف انتهى ملخصا (والدرجة الرفيعة) واحدة الدرجات وهى الطبقات والمراتب وهى المنزلة المختصة به والرفيعة المرفوعة العالية (والمقام المحمود) هو مقام يقوم فيه صلى الله تعالى عليه وسلم للشفاعة العظمى فيحمده فيه الاولون والآخرون ولا شك انه مغاير للشفاعة وان احتوى عليها فهو مغاير لها لتقدمها وهذا أولى من القول بانه الشفاعة لاخراج طائفة من النار ومن القول بالعموم والخصوص أو تغاير المفهومين وهو حيث يعطى صلى الله تعالى عليه وسلم لواء الحمد ويكون أقرب من جبريل وقال البرهان انه الشفاعة العظمى فى اراحة الناس من الموقف وعن كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل فيكسونى ربى حلة خضراء فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود رواه أبو حاتم وهذا لا ينافى ما تقدم كما قاله الطبرى لقوله فأقول الى آخره فيجوز التغاير وعدمه وقوله فذلك الى آخره فذلكة لما قبله والاشارة المجموعه كقوله تعالى عوان بين ذلك ولا حاجة لتقدير مضاف أى فقام ما ذكر أو الاشارة للمقام وان لم يسبق ذكره وفيه زيادة لقبول مقامه والباسه تلك الحلة الفاخرة ثم ان البرهان ذكر عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان عبد الله بن سلام رضى الله عنه سال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفة لواء الحمد فقال طوله ألف وستمائة سنة من ياقوتة حمراء وقضيبه من فضة بيضاء وزجه من زمردة خضراء له ثلاثة ذوائب ذؤابة بالمشرق وذؤابة بالمغرب وذؤابة وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة أسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم والثانى الحمد لله رب العالمين والثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر مسيرة ألف عام قال صدقت يا محمد وفى الرياض النضرة فى فضائل العشرة للطبرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن لواء الحمد فقال له ثلاث شقق كل شقة ما بين السماء والارض على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة الكتاب وعلى الثانية مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة مكتوب أبو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين على الرضى انتهى رضى الله تعالى عنهم وتصديق ابن سلام رضى الله تعالى عنه لاظهار لخلوص اعتقاده أو لموافقته لما فى الكتب الالهية عنده لانه حبر بنى اسرائيل كما مر ثم ان كونه جسما آتيا على هذه الصفة المروية خالف فيه صاحب النهاية فقال قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لواء الحمد بيدى أراد به انفراده صلى الله تعالى عليه وسلم بالحمد يوم القيامة وشهرته به على رؤس الخلائق والعرب تضع اللواء موضع الشهرة انتهى ووجه تسميته لواء الحمد كتابة الحمد عليه أو انه يتبعه فيه جميع الناس حامدين له أو انه حمد الله حين رفعه بمحامده اللائقة به (والبراق) تقدم الكلام عليه (والمعراج) بكسر الميم وقد تفتح المصعد مفعال من العروج وهو اسم آلة والمراد عروجه صلى الله تعالى عليه وسلم على المعراج الى السماء وفى رواية انه رأى معراجا كسلم فسمى به بهذا الاعتبار واشتهر بذلك وان لم تشتهر تلك الرواية وفى الصحاح المعراج العلم ومنه ليلة المعراج ولا بعد فيه كما قيل وقال التلمسانى رحمه الله تعالى انه سلم من نور تصعد فيه الملائكة أو المراد الدرجات الصورية كالسموات أو المعنوية التى عرج عليها وقد يطلق على العروج وبه فسر فى بعض المواضع وفى القاموس عرج يعرج عروجا ومعرجا ارتقى فاذا كان خلقة فعرج كفرح أو مثلث فى غير الخلقة وهو أعرج بين العرج انتهى ومن لطائف الفاضل قوله فى رسالة فى أعرج

قامت العصا بيده مقام رجله * وقلت أعواد الاغصان من أجله

(والدرجة الرفيعة) أى فى الجنة العالية أو يوم القيامة أو ليلة الاسراء (والمقام المحمود) لحديث أبى حاتم يبعث الله الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل فيكسونى ربى حلة خضراء فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود انتهى وبه يحصل الفرق بينه وبين الشفاعة الكبرى (والبراق) أى ركوبه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (والمعراج) من الصخرة الى السماء فالى الجنة والعرش وما فوقه من المقام الاعلى وهو بكسر أوله سلم من نور من السماء الى الارض فيه تصعد الملائكة وهو الذى يمد اليه الميت بصره على ما ذكره التلمسانى وقد سبق ما يتعلق بالبراق فى أول الكتاب مما يغنى هنا عن الاطناب

(والبعث الى الاحمر والأسود) لحديث بعثت الى الاحمر والاسود أى العجم والعرب أو الانس والجن أو الخلق كافة لحديث مسلم بعثت الى الخلق كافة (والصلاة بالانبياء) أى ببيت المقدس عند الصخرة تارة وأخرى بالسماء (والشهادة بين الانبياء والامم) أى يوم القيامة كما مر عند قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس الآية (وسيادة ولد آدم) لحديث أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر بل سيادة جميع العالم لحديث أنا سيد الاولين والآخرين ولا فخر (ولواء الحمد) أى المشار اليه ٣١٩ بقوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة وقوله بيدى لواء الحمد يوم القيامة وفى الرياض النضرة انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال له ثلاث شقق ما بين السماء والارض على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم وفاتحة الكتاب وعلى الثانية لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة أبو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين على المرتضى (والبشارة والنذارة) بكسر أولهما لقوله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (والمكانة عند ذى العرش والطاعة ثم والامانة) أى كونه مطاعا أمينا لقوله تعالى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين على قول بعض المفسرين (والهداية) أى القاصرة لقوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما والمتعدية لقوله سبحانه وتعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم (ورحمة للعالمين) لقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (واعطاء الرضى) لقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى (والسؤال) بضم السين وسكون الهمزة ويبدل بمعنى المسؤل ومنه قوله تعالى أوتيت سؤلك ياموسى ولا شك انه أفضل الخلق فهو به أحق (والكوثر) وقدمر (وسماع القول) لحديث الشفاعة وقل تسمع واشفع تشفع (واتمام النعمة) لقوله تعالى ويتم نعمته عليك (والعفو عما تقدم وتاخر) وفى نسخة وما تاخر لقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر (وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر) لقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك

فعرج به من الارض الى السما * وغرس العود بكفه ولكن ما أورق ونما

ولعمرى حمل العصا هو العذاب الاليم * وما أفلح من لازمها بعد موسى الكليم

(تنبيه) قال الحافظ الدمياطى الاسراء عبارة عن سيره صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة للمسجد الاقصى والمعراج سلم من نور أو من جواهر تصعد فيه الارواح الى السماء ويطلق كل منهما على ما يشمل الآخر كما مر (والبعث الى الاسود والاحمر) أى عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم لما ذكر كما تقدم والاسود العرب أو الجن والاحمر غيرهم لان الغالب على ألوان العرب السمرة وعلى العجم البياض (والصلاة بالانبياء) عليهم الصلاة والسلام أى امامته لهم حين اجتمع بهم بالمسجد الاقصى حين أسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يراع المصنف رحمه الله تعالى الترتيب بين ما ذكر ولو راعاه كان أحسن (والشهادة بين الانبياء والامم) يوم القيامة كما فى قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كما مر (وسيادة ولد آدم) أى سيادته لجميع الخلق وآدم وولده كما ثبت فى الحديث الصحيح لانه أكرم الخلق على الله كما مر (ولواء الحمد) تقدم الكلام عليه وسياتى أيضا واللواء أكبر من الراية ولا يشترط فيها التربيع قاله التلمسانى ويجمعهما العلامة (والبشارة والنذارة) بكسر أولهما أى كونه بشيرا ونذيرا كما فى القرآن الكريم (والمكانة عند ذى العرش والطاعة ثم) بفتح المثلثة أى هناك (والامانة) على الوحى وأسرار الالوهية المذكورة فى قوله تعالى انه لقول رسول كريم الآية على قول من جعلها له كما مر مع انها ثابتة له فى نفس الامر بادلة أخر (والهداية) له المذكورة فى أول سورة الفتح أو كونه هاديا للخلق (ورحمة للعالمين) بالنصب بكون مقدر وروى بالجر لقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين كما تقدم (واعطاء الرضى والسؤل) بضم السين وسكون الهمزة وتبدل واوا وهو المامول وكل مسؤل والرضى كل ما يرضيه لقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى والسؤل قريب من الرضى قيل والذى ورد فى الآية الرضى والسؤل ورد فى حق موسى فى قوله تعالى لقد أوتيت سؤلك ياموسى أى ما ساله بقوله رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى قال التجانى ولا شك انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى الرضى لان من أعطى ما به الرضى فقد أعطى وأما السؤل فكم أعطى سؤلا ونال مامولا ومسؤلا وان لم يعبر فيه بهذا اللفظ فى حق موسى عليه الصلاة والسلام فلعل المصنف رحمه الله أراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى سؤل موسى السابق لقوله تعالى له ان مع العسر يسرا وشرحنا لك صدرك الى غير ذلك مما هو بمعناه وهذه تكلفات لا حاجة اليها ولذا لم يلتفت له الشراح (والكوثر) تقدم الكلام عليه (وسماع القول) أى سماع الله لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقبوله الوارد فى حديث الشفاعة الطويل بقوله قل يسمع لك وسل تعط واحتمال أن يراد بالقول القرآن وسماعه العمل بموجبه أو استماع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقول الله كما قيل بعيد (واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر) المذكور فى قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر كما تقدم (وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر) المذكور فى قوله تعالى

(وعزة النصر) لقوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا (ونزول السكينة) وهى الطمانينة (والتاييد) أى التقوية (بالملائكة) لقوله فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها أى بملائكته يوم بدر وحنين والاحزاب وعن كعب قال مامن فجر يطلع الا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج فى سبعين ألفا من الملائكة رواه البيهقى فى شعبه وفى صحيح الدارمى نحوه (وايتاء الكتاب والحكمة) لقوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة (والسبع المثانى والقرآن العظيم) لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم (وتزكية الامة) أى أمته يوم القيامة لقوله تعالى ويزكيهم أى اذا شهدوا للانبياء حين أنكرت أممهم التبليغ والانباء (والدعاء الى الله) لقوله تعالى وداعيا الى الله باذنه (وصلاة الله والملائكة) أى وملائكته عليه لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى (والحكم بين الناس بما أراه الله) أى بما أعلمه الله وبين حكمه والهمه لقوله تعالى انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله (ووضع الاصر) بكسر الهمزة قيل وتضم أى حط العهد الثقيل والتكاليف الوبيل وقيل المراد به العقوبة من نحو المسخ (والاغلال) أى العبادات الشاقة (عنهم) أى عن أمته لقوله ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم وهى جمع غل وهو مايوضع فى العنق شبه ما كان لازما لهم من شاق الاعمال بالاغلال (والقسم باسمه) أى الحلف بعمره لقوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون (وأجابة دعوته) أى فى مواطن كثيرة كبدر اذقال اللهم انجز لى ماوعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم (وتكليم الجمادات) لحديث البخارى انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قيل هو الحجر الاسود وقيل الحجر المركوز فى جدار زقاق الحجر

ألم نشرح لك صدرك الخ (وعزة النصر) كما مر فى قوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا (ونزول السكينة والتاييد بالملائكة) أشارة الى قوله تعالى فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها يعنى الملائكة عليهم الصلاة والسلام ببدر كما مر وقال ابن العربى فى احكام القرآن اتفقوا على ان الاقوى فى هذه الآية ان الضمير فيها عائد على أبى بكر رضى الله تعالى عنه لا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد تقدم ما فيه والمراد بالسكينة الرحمة وفى أنوار التنزيل فى تفسير قوله تعالى سكينة من ربكم أى ما تسكنون اليه وهو التورية وقيل صورة من زبرجد أو ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها ولها جناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا ثبت ثبتوا وحصل النصر وهو غير ملائم لهذا المقام ثم السكينة قد علم انها بفتح السين وتخفيف الكاف المكسورة فعيلة من السكون وبه جزم ابن قرقول وغيره وما حكاه الصاغانى من كسر السين وتشديد الكاف قول مرغوب عنه والاظهر انها الامن والثبات أو الرحمة أو الوقار وقيل المراد الملائكة عليهم السلام والتاييد التقوية وعن كعب الاحبار مامن فجر يطلع الا وينزل سبعون ألفا من الملائكة يضربون باجنحتهم ويصلون على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فيصنعون مثلهم حتى اذا انشقت الارض خرج سبعون ألفا من الملائكة رواه البيهقى فى شعبه (وايتاء الكتاب والحكمة) الكتاب القرآن والحكمة النبوة والعلم النافع على مامر (والسبع المثانى والقرآن العظيم) تقدم الكلام فيهما (وتزكية الامة) لقوله تعالى يتلوا عليهم آياته ويزكيهم وفيه فضيلة له صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهرة (والدعاء الى الله) قال الله تعالى قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة وقوله وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا كما تقدم واما قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله فعامة أو المراد به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان هذه الآية نزلت فى الاذان واستشكل بانها مكية والاذان انما شرع بالمدينة وكذا ما قيل المراد بذلك بلال بخصوصه رضى الله تعالى عنه والجواب بان المراد ان الاذان داخل فيها اباه ظاهره (وصلاة الله والملائكة) عليه صلى الله عليه وسلم كما فى الآية والاحاديث الآتية (والحكم بين الناس بما أراه الله) لقوله تعالى انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله أى عرفه بالوحى والاجتهاد الذى أراه طريقه (ووضع الاصر) أى ثقل التكاليف التى كانت فى الامم السابقة (والاغلال عنهم) أى المواثيق اللازمة لهم لزوم الغل فى العنق وفيه استعارة مضرحة قال أبو على فى قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم أى بتخفيف ما يشدد فى التورية على بنى اسرائيل وأخذ عليهم العهد به كقتل القاتل بدون دية أو عفو أو قطع الاعضاء الخاطئة وقطع محل النجاسات من الثياب وضمير عنهم لامته أوله ولهم (والقسم باسمه) كما مر والاسم ما أطلق عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيشمل نحو والنجم أى ايراد اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى القسم فلا يرد ان القسم انما هو بمعناه (واجابة دعوته) أى دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم فى مواضع لا تحصى (وتكليم الجمادات) كالطعام والحصا والاحجار كما ورد فى الحديث انى لاعرف حجرا
بمكة

بمكة كان يسلم على قيل هو الحجر الاسود وقيل غيره والمراد تكلمها عنده ولاجله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يرد قول بعضهم انه لا يدخل فيه تسبيح الطعام في يده كما ظنه التجاني نعم هو داخل في تسبيح الحصا الشبيه به وسيأتي ذلك والجمادات جمع جماد من الجمود ضد الذوبان والمراد به ما ليس بحيوان قال * وقبلنا سبح الجودي والجمد * وقيل انه اصطلاح العلماء والاسماء المذكورة التي لم يسمع لها جمع تكسير من العرب يجوز جمعها بالالف والتاء كحيوانات واما جمع جمع تكسير فلا الا في الشاذ القليل كما قاله التجاني وظاهره انه مقيس وكلام الحريري في الدرة يصرح بخلافه (والعجم) أي وتكليم العجم بضم العين وسكون الجيم وليس بفتح العين والجيم رواية ودراية والمراد به الحيوان الذي ليس من شانه النطق وأراد به ما ورد من نطق الظبي والضب والجمل والحمار المفصل في معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جمع أعجم كما في المغني وحاشية الشمني وقال ابن رسلان جمع عجماء ومنه الحديث اذا ركبتم هذه الدواب العجم وجرح العجماء جبار وكلاهما جائز وفي النهاية ومختصرها للسيوطي ورد بعدد كل فصيح وأعجمي أي آدمي أو بهيمة فقول التجاني الاعجم يطلق على من في لسانه عجمة وان كان عربيا وليس بمراد هنا وعلى من لا يصح منه كلام من الحيوانات غير الناطقة ان أراد الاعتراض فغير مسلم وتفسير بعضهم له بخلاف العرب غير صحيح وجمع بعض الناس كتابا مستقلا في هذا اسماه النطق المفهوم طالعته فلم أره محررا وفي عرى الايمان للبارزي اختلاف أهل النظر في هذا فمن قائل انه كلام وأصوات يخلقها الله في الجماد وتسمعها من غير تعبير وهو مذهب الاشعري والباقلاني وذهب آخرون الى ايجاد الحياة فيها أولا ثم الكلام بعده وللنصوري في قصيدة نبوية

يا ألسن الفصحاء قد خرست * ان الجماد بفضله نطقا

وسيأتي الكلام فيه مفصلا (وأحياء الموتى) أي احيائه صلى الله عليه وسلم الموتى بحسب الظاهر والمراد احياء الله الموتى له جمع ميت كما ورد في احياء أبويه له صلى الله تعالى عليه وسلم وغير ذلك مما سيأتي (واسماع الصم) أي اسماع الله بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم الحجارة الصم ونحوها من الجماد كالشجر جمع أصم وهو الحجر الصلب كما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمر الحجارة ان يجتمعن عليه لما لم يجد ما يستتر به عند البراز كما ذكره التجاني وهذا لا يخالف قوله تعالى أفانت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فانه مستعار للكفار لكونهم غير منتفعين بحواسهم وليس المراد به الصمم المعروف (فائدة) قال الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى لم يكن في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أصم وهذا من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم لانه مبلغ لهم أوامر ربه والصمم يمنع منه بسهولة بخلاف العمى (ونبع الماء من بين أصابعه) أي حدوثه من بينها كما سيأتي بيانه والاصابع جمع أصبع وفيه عشر لغات نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى في فوائده بتثليث الهمزة مع تثليث الباء وأصبوع كيربوع فهي عشر ومما قلته في هذا من مقطعات النيل

لا تقل لي أصابع النيل تحكي * ما جرى من أصابع المختار
وهو عذب جرى بغير قياس * زائدا رائقا بغير انكسار

(وتكثير القليل) من الطعام وغيره أي تكثير الله له بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم أو تكثيره هو له بحسب الظاهر والعادة وهو ضد الاقلال كما في قصة جابر وطلحة رضي الله تعالى عنهما المروية في كتب الحديث لما أمر صلى الله تعالى عليه وسلم بجمع الزاد القليل ودعا وبرك فيه فكثر حتى ملئ منه كل وعاء معهم (وانشقاق القمر) لاجله بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما روى أنس رضي الله تعالى عنه ان قريشا سالته ذلك فانشق القمر فلقتين وروي مرتين وروي انه ذهبت فلقة وبقيت فلقة وله طرق صحيحة وليس المراد بما في الآية انه سينشق يوم القيامة كما في الكشاف وغيره لانه اخراج للقرآن عن

(والعجم) بضم فسكون جمع أعجم وهو من الحيوان ما لا يقدر على الكلام ومنه الحديث اذا ركبتم هذه الدواب العجم وحديث العجماء جبار أي وتكليم البهائم كنطق الضب والظبي والجمل وحماره عليه الصلاة والسلام الذي قال له اسمي يزيد ابن شهاب حين قال له يعفور (واحياء الموتى) أي المعنوية والحسية لما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قفل من غزاة فات بعير بعض أصحابه دعا الله فاحياه حتى ركبه الى المدينة ثم مات وكما روى في قصة البنت التي طرحها أبوها في الوادي فانت (واسماع الصم) كأمره صلى الله تعالى عليه وسلم الحجارة ان يجتمعن لقضاء حاجته فتعاقدن حتى صرن ركاما على ما في الصحيح (ونبع الماء من بين أصابعه) لما في البخاري عن جابر فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه (وتكثير القليل) لحديثي أنس في قصة أبي طلحة وزاد في البخاري فانه أمر بما بقي منه فجيء بقليل منه فدعا وبرك فيه فكثر حتى ملأ وأكل وعاء معهم (وانشقاق القمر) قال أنس ساله قريش آية فانشق مرتين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انفلاق فلقتين ذهبت فلقة وبقيت فلقة وعن ابن مسعود رأيت حراء عليه فلقتي القمر

(ورد الشمس) أى فى الخندق وصبيحة الاسراء واماماذكره التلمسانى من انها وقفت ليلة الاسراء أوزيد فى كمية الليل فلا

ظاهره وترك لتفسيره بماهو أعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وسيأتى بسط الكلام فيه كالذى قبله (ورد الشمس) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حفر الخندق وصبيحة الاسراء ولصلاة على كرم الله وجهه وسيأتى تفصيله وفى حواشى التلمسانى انها وقفت ليلة الاسراء لتصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم وردت لعلى كرم الله وجهه بعد الغروب حتى صلى العصر وستقف فى أيام الدجال لطول أيامه فيوم كسنة وشهر وجمعة قيل كان علم النجوم صحيحا حتى وقفت الشمس ليوشع عليه الصلاة والسلام فبطل بعضه وبطل باقيه بقصة على كرم الله وجهه والى هذا أشار القائل رحمه الله تعالى

وردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لها من جانب الخدر طالع

فوالله ما أدرى أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

(وقلب الاعيان) جمع عين وهى ذات الشئ ونفسه وهى مشتركة بين معان مشهورة كثيرة كعصا عكاشة رضى الله تعالى عنه يوم بدر حيث تناولها صلى الله تعالى عليه وسلم بيده فصارت سيفا صارما ونحوه مما سيأتى وقلب الاعيان بقدرة الله تعالى ممكن واقع ومن ينكره وان لم يعتد بانكاره يقول لم تقلب عينه وانما عدمت وأوجد الله مكانها مثلها (والنصر بالرعب) بضم فسكون وهو الخوف وسيأتى تفصيله (والاطلاع على الغيب) بتشديد الطاء أى اطلاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض المغيبات باقدار الله له صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك ليكون معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ويقع مثله لبعض الاولياء كرامة لهم خلافا للمعتزلة حيث نفوه واستدلوا بقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول والجواب عنه مفصل فى التفاسير وكتب الاصول وقال التلمسانى الاطلاع بسكون الطاء ولا يشدد لفساد المعنى لان الله هو الذى أطلعه لا أنه اطلع بنفسه وقد يقال الاطلاع فيما يمكن من مقدور الانسان بخلق قدرة من الله تعالى ولا كذلك الغيب لانه ليس من مقدوره وانما يطلعه الله تعالى عليه وليس بشئ (وظل الغمام) أى تظليله له صلى الله عليه وسلم لئلا يؤذيه حر الشمس وقد كان ذلك فى أول أمره فان لم يثبت بعده فلاستغنائه عنه (وتسبيح الحصا) فى كفه الشريف وان كان مامن شئ الا وهو يسبح بحمده لان هذا تسبيح خاص سمعه الناس والحصا صغار الحجارة ومن أحسن ماقاله فيه

رسول له وارى زناد عزيمه * فليس به صم الحجارة يقدح

رمى بالحصا ومابغاة فكفهم * بكف به بحر السماحة يطفح

فكل لسان ناطق بتعجب * لذلك الحصا فى راحتيه يسبح

(وابراء الآلام) جمع ألم وهو الوجع لغة والمراد ما يعم الامراض والاوجاع والاحاديث فيه كثيرة مشهورة (والعصمة من الناس) من بطشهم به بالقتل ونحوه وتقدم مافيه (الى مالا يحويه محتفل) هذا كقوله قبله الى مالا تأخذه عد متعلق بمحذوف معلوم من السياق أى منتهية أو مضمومة الى ماذكر ويحويه بمعنى يشمله ويجمعه فيحتوى عليه ومحتفل اسم فاعل من مزيد حفل القوم فى المجلس اذا اجتمعوا ومنه المحفل ولا يحتفل به أى لا يهتم به والمعنى اذ من اهتم بجمع هذه الصفات وأمثالها لا يمكنه الاحاطة بها ويبينه قوله (ولا يحيط بعلمه) أى بالوقوف عليه على أتم وجه (الا مانحه ذلك) أى الا الله الذى أعطاه ذلك وأصل المنحة كما فى المصباح شاة ونحوها يعطيها رجلا لينتفع بلبنها ثم تردّ ثم كثر ذلك حتى صار لمطلق العطاء يقال منحه منحا من باب نفع وضرب أعطيته والاسم المنحة والمنيحة ولا يلزم من الاتصاف بشئ ان يعلمه الناس لان منه أمورا باطنية غير ظاهرة لغيره بل منها مالا يعلمه الموصوف بالكنه والكمال فلا خلل فى الحصر (ومفضله) على غيره بما أودعه من الفضائل (به) أى بكل ذلك ومجموعه (لا اله غيره) اشارة الى الفاعل للتفضيل والعلم على أبلغ وجه والا للحصر أى ليس علمه واعطاؤه الا الله الخالق لا المخلوق العاجز لانه المعطى الحقيقى المحيط علمه بكل شئ وقد تستعمل هذه الكلمة للتعجب كسبحان

يصح بل هو من بسط (الزمان من غير تغير فى ظاهر العيان وقلب الاعيان) أى الذوات الثابتة لحديث عكاشة كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم بدر عصا فصارت بيده سيفا صارما والنصر بالرعب) بسكون العين وبضم أى بالخوف لقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب ولحديث نصرت بالرعب (والاطلاع على الغيب) أى اطلاعه على بعض المغيبات لحديث خروج الدجال والدابة وغيرهما فالاطلاع بتشديد الطاء وهو مطاوع الاطلاع بالتخفيف لان الله عزوجل هو الذى أطلعه ويمكن ان يكون هنا بالتخفيف والتقدير أطلاع الله اياه واماقول التلمسانى ولا يشدد لفساد المعنى فغفلة عن تحقيق المبنى (وظل الغمام وتسبيح الحصى) أى فى كفيه الكرام (وابراء الآلام) لاحاديث بها رواها الاعلام والآلام جمع الالم والله أعلم (والعصمة من الناس) لقوله تعالى والله يعصمك من الناس (الى) أى منتهية هذه الفضائل البهية الى (مالا يحويه محتفل) بكسر الفاء أى لا يشمله جامع مهتم بجمعه لكثرة افراده (ولا يحيط بعلمه الا مانحه) أى معطيه صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك ومفضله) أى ولا يحيط بعلمه الا مفضله على غيره (به لا اله غيره)

الله الله

الى) أى منضمة هذه الى (ما أعده له فى الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس) بضم وبضمتين أى المنزهة عن النقصان والزوال فى الجنة العالية (ومراتب السعادة والحسنى) أى والمثوبة الحسنى مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (والزيادة التى تقف دونها العقول ويحار) بفتح الياء أى يتحير فى معرفتها ويحيل احاطتها (دون ادانيها) أى عند أوائلها فضلا عن أقاصيها وفى نسخة عند ادراكها (الوهم) أى أوهام الخواص والعوام ولعلها رؤية الملك العلام لقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقد جاء تفسيرها فى الحديث الصحيح بالرؤية رزقنا الله تعالى تلك السعادة وختم لنا بالشهادة قال التلمسانى وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حاز خصال الانبياء كلها واجتمعت فيه اذ هو عنصرها ومنبعها فاعطى خلق آدم ومعرفة عيسى وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل ورضى اسحق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وجمال يوسف وشدة موسى وصبر أيوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى وأغمس صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع أخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليقتبسوها منه وقد أفصح بذلك البوصيرى حيث قال

فكل آى أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم

الله كما صرح به النووى رحمه الله تعالى فى الاذكار (الى ما أعده له فى الدار الآخرة) أى هياه له فيها من المنح والمنازل العالية مما لا عين رأت ولا أذن سمعت قيل انه حال من معمول التجاوز المقدر فالتجاوز الى مالا يحويه فى الدنيا حال التجاوز عنه الى ما أعد أو بدل أو حال بعد حال أفرز للتصريح لكثرة الانواع فى الدارين (من منازل الكرامة ودرجات القدس) أى من مراتبه المقدسة أو الموجبة للقدس أو الكائنة منه وما فوقها مما لا يتناهى فلا يقال الظاهر تقديم الدرجات على المنازل والقدس بضمتين وتسكن داله ولا حاجة لتقدير الحلول فى منازل الكرامة وأصل معنى القدس الطهر فسمى به المكان لانه يطهر فيه العائذ من الذنوب واسم الجبل يقال له غير منصرف وأنشدوا الكثير

كالمصرخى غدا فاصبح واقعا * فى قدس بين مجاثم الاوعال

قاله التبريزى فى شرح ديوان أبى تمام (ومراتب السعادة) التى يترقى لها فى رفيع الدرجات (والحسنى والزيادة) معطوف على مراتب أو السعادة أى والمثوبة الحسنى من اللقاء لله والرضوان ولا حاجة لتخصيص هذا ولا تخصيص ما قبله من غير داع (التى) صفة للزيادة أو للمجموع (تقف دونها) أى عندها والظاهر انه قبل الوصول اليها (العقول) فلا تصل لادراكها وتقدر عليه (ويحار) يتحير وهو مفتوح الياء التحتية (دون ادانيها) وروى دون ادراكها والادانى جمع ادنى بمعنى انزل وأسفل أو أقرب من الدنو أى لا يدرك العقل سافلها فضلا عن عاليها ولا يصل لما يقرب منها فضلا عما يبعد عنها (الوهم) وهو قوة يدرك بها الجزئيات المحققة وغيرها وجناب القدس أعلى من ان تحوم حوله الاوهام والتخيلات وان كانت قد تفرض المحالات وفيه من الترقى ما لا يخفى والقول بان من هذه الخصال ما هو محض موهبة فلا يناسب المقام من جملة الاوهام (تتمة) لا بد من التنبيه عليها فانها من المهمات * اعلم ان افعاله صلى الله تعالى عليه وسلم صنف فيها العلامة أبو شامة كتابا سماه تحقيق الوصول الى أفعال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم أر فى بابه مثله وقد طالعته ولخصته هنا وتقريره ان أفعاله تشارك أقواله فى حكم الاسناد ويختص باحكام ولا خلاف فى الاستدلال بافعاله صلى الله عليه وسلم فقيل يستدل بمجردها على الوجوب أو الندب أو الاباحة أقوال وقيل يستدل بها باعتبار الوجه فان علم اتبع والافضربان اما بيان لمجمل دال على وجوب وغيره أولا والثانى لا يدل على وجوب وغيره والاول تابع لما بينه والمختار الاول وهو على اقسام الاول ما فعله امتثالا لامر كالحج والصلاة وهو مساو لامته فيه والثانى ما وقع منه جبلة مما لا يخلو البشر عنه كالاكل والشرب والحركة والسكون والسفر والاقامة والقيلولة فى منزل وتحت شجر وهو سواء فيه وأمته ومنه تتبعه الدباء وأكله القثاء بالرطب ومحبته الحلوا والبارد وسائر ما ورد فى طعامه ولباسه مما لا يظهر فيه قصد قربة ومنه كراهة أكل الضب لا الثوم والبصل والثالث ما ثبت انه من خواصه كزيادة الزوجات والوصال وقيام الليل وجوبا والرابع ما فعله بيان المجمل فى القرآن كالصلاة وقطع يد السارق من الكوع والخامس ما صدر ابتداء وليس بيانا ولا خصوصية له ولا جبلة وهو اما يعلم وجوبه أو ندبه أولا وهذا اما ان يظهر فيه قصد القربة أولا فالاقسام سبعة وفى حكمها مذاهب فاساواه فيه أمته ظاهر والجبلى والضرورى لا يسوغ اتباعه فيه وكذا كل ما فعله على الاباحة من أكله ولباسه ولا يستحب كلبسه العمامة السوداء وفعله وتركه سواء الا ان يكون استنكافا عن مثله وحكى القاضى ابن الطيب قولا بان التاسى به مندوب وقال الغزالى فى المنخول انه غلط ومن الغريب القول بانه يجب علينا فعل كل ما فعله ولا وجه له والى الاستحباب ذهب ابن عمر رضى الله تعالى عنه فكان يتحرى آثاره صلى الله تعالى عليه وسلم والفقهاء يستحبون بعضه كاتباع منازل حجه ومقدار وضوئه وغسله واما خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فنها

ماوجب عليه دون أمته فيجوز التشبيه به كالوتر عند الشافعي رضي الله تعالى عنه والمشاورة لان المختص به صلى الله تعالى عليه وسلم الوجوب وكذا المحرم كالاكل من الزكاة بخلاف ما أبيح له صلى الله تعالى عليه وسلم دوننا وما فعله بيانا لمجمل وتقييد المطلق فهو كما بينه وقيده والفعل المبتدأ على وجوه ما علم وصفه من وجوب وغيره فمتعبد به كما علم وما لم يعلم فان قصد به القربة فاصله الوجوب ما لم يدل دليل على خلافه وقيل يحمل على الندب وقال الغزالي يحمل على الوجوب في العبادات وعلى الندب في العادات وقيل على الاباحة وقيل على الحرمة وقيل بالوقف وقيل ما ظهر فيه القربة بين الوجوب والندب وغيره مباح فالاقوال سبعة وما لم تظهر فيه القربة قال الآمدي فيه الاقوال أيضا غير ان القول بالوجوب والندب أبعد مما قبله والوقف والاباحة أقرب قال وبعض من جوز على الانبياء عليهم الصلاة والسلام المعاصي قال انها على الحظر والمختار انه محمول على القدر المشترك بين الوجوب والندب والاباحة وهو رفع الحرج عن الفعل والفعل دليل عليه وقال المازري أفعال المكلفين دائرة بين الوجوب والحظر وغيرهما فان قلنا بعصمتهم من الصغائر سقط عنهم قسم الحظر وان قلنا بجوازه ووقوعها لم يجز تكررها فتقع فلتة فاذا صدر منهم ولم يقارنه ما يدل على انه معصية يحمل على الجواز لكن لا يقتدى بهم وهو كما قال ومن قال بالحظر أراد حظر اتباع غيرهم لهم بناء على ان التحريم هو الاصل لا الاباحة اذا علمت هذا فافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم الجبلية مباحة وما وقع امتثالا أو خصوصية له فهو ظاهر وكذا المرسل الذي ظهر فيه قصد القربة وعلمت صفته وما لم يعلم متردد بين الوجوب والندب والظاهر الندب ويعتقد المشترك بينهما من غير تعيين وما لم يظهر فيه قصد القربة ان كان من أفعال الجبلة فمباح وان تردد بين العبادة والعادة فالمتحقق فيه القدر المشترك بين الاباحة والندب وهو رفع الحرج كنزوله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحصب وما كان بيانا فهو واجب عليه وقيل بيان الواجب واجب والمندوب مندوب والمباح مباح هذا بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وأما بالنسبة للامة فما ظهر فيه قصد القربة وكان معلوم الصفة فنحن مندوبون الى ايقاع مثله وكذا ما كان محتملا للقربة وغيرها فيستحب التاسي به فيهما الا ان الثاني محطوط الرتبة عما قبله وقال المازري التاسي به أبرك انتهى وهو كلام نفيس ينبغي حفظه وسيأتي في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام تتمة له والمقصود هنا انما هو بيان انقسام أفعاله ثم انه ذكر بعد هذا أدلة المذاهب ولا حاجة لنا به هنا

(فصل) ثالث لما مر حتى يتم العدد (ان قلت أكرمك الله) وفي نسخة * وان قلت بالواو دعا له بان يكون معظما معززا ببركة حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم جامعا للفضائل والكريم من كرمت نفسه عن التدنس بالرذائل من الكرم ضد اللؤم والخطاب للمحب السابق أول الباب أو لكل من يصلح للخطاب والجملة معترضة (لا خفاء) بالفتح اسم لا وخبرها (انه) الآتي أي في انه (على القطع) أي على سبيل القطع (بالجملة) المصنفون يقولون في كلامهم هذا في الجملة كذا وبالجملة والجملة بمعنى الاجمال ضد التفصيل ويريدون به على كل حال لانه اذا قطع بشيء مع الاجمال فمع التفصيل أولى فالمراد لا خفاء قطعا فالجار والمجرور متعلق بالخفاء ويجوز تعلقه بالقطع والمراد به المجموع فالمعنى لا خفاء اذا قطعت بجميع ما تقدم وقيل المعنى لا خفاء في المجمل أي لا ستر على القطع بالمجمل أو جعل الاجمال الذي هو صفة أعظمية القدر متعلقا بالقطع أو عدم الخفاء مجازا أو مسامحة والمراد ان هذا المجمل قطعي لا حاجة الى بيانه بخلاف التفصيل لا ان التفصيل كذلك كما توهم (انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعلى الناس قدرا) أي في انه والضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا للمجمل كما توهم والقدر المرتبة وآثر الناس على الخلق قيل لانه ليس بواضح على القطع (وأعظمهم محلا) تعظيم محله أبلغ من تعظيمه كما لا يخفى قيل

(فصل)
أي في جمل من أوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان قلت أكرمك الله) جملة دعائية معترضة بين القول ومقوله (لا خفاء على القطع بالجملة) أي بطريق الاجمال في التفضيل لا بطريق التفصيل اذ قد يتوهم عدم القطع بان يوجد في غيره نعت بالخصوص يكون أعلى وبهذا تبين ان لا يصح قول الدلجي فضلا عن القطع بالتفصيل (انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعلى الناس قدرا) أي مرتبة (وأعظمهم محلا) أي منزلة وكان الاحسن كما قال الدلجي ان يقال أعظمهم قدرا وأعلاهم محلا اذ العظمة بالقدر أليق والعلو بالمحل أوفق.

ولو

(وأ كملهم محاسن وفضلا) والمنصوبات كلها تمييزات (وقد ذهبت) خطابا للمصنف من جملة المقول حالية معترضة بين الشرط والجزاء أي وقد سلكت (في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا) أي طريقا حسنا من كمال جماله (شوقني) أي هيجني وأقلقني (الى ان أقف عليها) أي أطلع على خصال الكمال (من أوصافه) أي شمائله وفضائله (تفصيلا) أي تبيينا وتفريعا فصلا فصلا (فاعلم) خطاب خاص أو عام لمن يصلح له (نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك) جملة دعائية معترضة بين العامل ومعموله وهو (انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة) أي غير مستفادة (وفي جبلة الخلقة) عطف على غير أي في أصل الخلقة وجبلة الطبيعة والاضافة بيانية (وجدته) أي صادفته (صلى الله تعالى عليه وسلم حائزا) بالحاء أي حاويا وجامعا (لجميعها محيطا بشتات محاسنها) أي متفرقاتها (دون خلاف) أي بلا خلاف (بين نقلة الاخبار) أي الأحاديث والآثار (لذلك) أي لما ذكر من حيازته جميع خصال الابرار (بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع) أي بسبب التواتر المعنوي ثم خصال كماله أنواع كما فصله المصنف بقوله (أما الصورة) أي الصورة النبوية (وجمالها) أي وجمال تلك الصورة الخلقية (وتناسب أعضائه في حسنها) أي مما لم يتصور أن تكون كسبية بل هي خلقية وهبية (فقد جاءت الآثار

ولو قال أعلاهم محلا وأعظمهم قدرا كان أحسن وقدرا ومحلا تمييز من النسبة مجهول عما يلزمه والتقدير علا قدره فتأمل (وأ كملهم محاسن وفضلا) في ذاته وعلى غيره (وقد ذهبت) أي سلكت أو قصدت أو اعتقدت قال في المصباح ذهب مضى وذهب مذهب فلان قصده وذهب في الدين مذهبا رأى حسنا وتاء ذهبت مفتوحة للخطاب كما ضبطه البرهان (في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا) حسنا والمذهب المسلك وجمعه مذاهب قال أبو فراس

ومن مذهبي حب الديار لاهلها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

والمراد بتفاصيلها ما تقدم من كونها ضرورية وكسبية (شوقني) وفي نسخة شوقتني بتاء الخطاب والتأنيث للمذهب بمعنى الطريقة وهو تكلف لا داعي له والشوق الحنين ونزاع النفس يقال شوقني الى كذا أي هيجني وقال في هياكل النور في الانسان قوة شوقية محركة طبيعية وللجلال الدواني في شرحه كلام طويل في الفرق بينه وبين العزم لا يليق ايراده هنا لابتنائه على تخيلات فلسفية (الى ان أقف) أي أطلع (عليها) أي الخصال لان من وقف على شئ عرفه ويقال وقف الامر على كذا أي علقه عليه (من أوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم تفصيلا) وهو حال من ضمير عليها لانه قد وقف عليها مطلقا فلا بيان لها الا من حيث انها من أوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم وتفصيلا بمعنى مفصلة حال أو مفعول مطلق لمقدر (فاعلم) خطاب خاص أو عام كامر (نور الله قلبي وقلبك) بنوره مزيل ظلمة الغباوة حتى تعلم ما قصدته وقدم نفسه لما مر ولانه هنا معلم مقدم رتبة (وضاعف) أي زاد وضعف الشئ مثله أو أكثر وفيه كلام لاهل اللغة والمفسرين طويل الذيل (في هذا النبي الكريم حبي وحبك) الجار والمجرور متعلق بالمصدر مقدم عليه وان منعه بعض النحاة لتجويز الاكثر له اذا كان ظرفا كقوله تعالى فلما بلغ معه السعي أو في كما في الحديث الحب في الله والبغض في الله فهي تعليلية كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان امرأة دخلت النار في هرة وهي أبلغ من اللام وان كانت بمعناها لدلالته على شدة حبه له حتى كأنه في ذاته والاشارة بهذا مؤيدة له لدلالته على قربه وتعظيمه وقوله الكريم أي الجامع لخصال الخير الحميدة ودعاؤه بزيادة الحب مناسب جدا لان من أحب شيأ أكثر من ذكره ففيه حث له على التفحص عن اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم وفهمها وتفهيمها (انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة) أي طبيعتها وأصلها والاضافة لامية أو بيانية وهذه شاملة للطبيعة وغيرها وقوله انك الى آخره مفعول اعلم (وجدته صلى الله تعالى عليه وسلم) أي علمت علما يقينيا انه كان (حائزا) أي جامعا (لجميعها) متصفا بها على أكمل وجه يليق به (محيطا بشتات) بفتح الشين مصدر بمعنى التفرق أريد به هنا المتفرق (محاسنها) أي وجوه حسنها المختلفة المتفاوتة أي جميع ما تفرق في غيره منها وأحاط به كما ينبغي (دون خلاف) أي متجاوزا عن اختلاف الناس الى اتفاقهم (بين نقلة الاخبار) نقلة بفتحات جمع ناقل ككاتب وكتبة أي لم يقع اختلاف بين رواة الاخبار في جمعه صلى الله تعالى عليه وسلم للمحاسن والكمالات (لذلك) متعلق بنقلة وهو اشارة للمذكور من حيازته صلى الله تعالى عليه وسلم للمحاسن ثم انتقل لما هو أبلغ فقال (بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع) الجزم اليقيني لتواتره وكثرة رواته المثمرة للجزم ومبلغ بمعنى الى مبلغ مفعول لبلغ لا مفعول مطلق ثم شرع في تفصيل الصفات المذكورة فقال (اما الصورة) أي هيئة جسده الظاهرة وقد تطلق الصورة ويراد بها الصفة ومنه قولهم صورة المسألة كذا ومنه ما ورد في الحديث ان الله خلق آدم على صورته على أحد الوجوه فيه (وجمالها) حسنها (وتناسب أعضائه في حسنها) أي كل عضو مناسب لمقابله وملاصقه في صفاته المستحسنة ووصفه كالطول والقصر والصغر والكبر كما مر (فقد جاءت الآثار) جمع أثر وهو الخبر

الصحيحة والمشهورة) أى المستفاضة (الكثيرة) نعت لهما (بذلك من حديث على وأنس بن مالك وأبى هريرة) واسمه عبد الرحمن على الصحيح من ثلاثين قولا ومنع هريرة من الصرف مع انه ليس فيه من العلل الا التأنيث لان العلم الاضافى قد ينزل منزلة كلمة ويجرى عليه أحكام الاعلام (والبراء ابن عازب) وهما صحابيان انصاريان (وعائشة أم المؤمنين وابن أبى هالة) أى من خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنها فهو ربيبه صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه هند شهد بدرا وقتل مع على كرم الله وجهه يوم الجمل

والحديث يطلق كل منهما على الآخر وقد يفرق بينهما (الصحيحة والمشهورة) ليس المراد بهما ما اصطلح عليه المحدثون وان جاز وحينئذ الصحيح دون المشهور فلا وهم فيه كما توهم واذا أريد به المعنى اللغوى فبينهما عموم وخصوص وجهى أى تلك الاخبار والآثار منها ما هو صحيح وما هو مشهور وليس فيه لف ونشر (الكثيرة بذلك) متعلق بجاءت لانه يتعدى بالباء تقول حيث جئت به وأجاته أى الجاته الى المجىء وذلك اشارة لما ذكر من الاخبار والآثار (من حديث على) كرم الله وجهه بيان لما قبله من الاخبار والآثار وقد تقدم معنى الحديث وترجمة على رضى الله تعالى عنه معروفة (وأنس بن مالك) الانصارى الخزرجى الصحابى رضى الله تعالى عنه خدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابن عشر او ثمان ولازمه عشر سنين وروى عنه ألفى حديث ومائتين وستة ودعا له صلى الله تعالى عليه وسلم بالبركة فى ماله وولده وعمره والمغفرة فكان رضى الله تعالى عنه من أكثر الناس مالا ودفن اصلابه بضعا وعشرين ومائة من الاولاد وكان له بستان يحمل فى السنة مرتين وعاش حتى سئم من الحياة وتوفى سنة ثلاث وتسعين وله مائة سنة ودفن بقرب البصرة بقصر أنس وحديثه فى الصحيحين كما قاله النووى (وأبى هريرة) رضى الله تعالى عنه وقد تقدم ان اسمه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من ثلاثين قولا وقيل كان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو وأو عبد شمس وفى الاسلام عبد الله أو عبد الرحمن وكنيته التى كناه بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبو هريرة وهو ممنوع من الصرف على الاصح كما فصلناه قبل ذلك (والبراء) بفتح الموحدة والراء المهملة المخففة والمد على الصحيح علم منقول من البراء كالقضاء بمعنى التراب (ابن عازب) بعين مهملة وزاء معجمة وموحدة الصحابى الانصارى أسلم فى صباه قبل الهجرة وشهد أحدا وشاهد على رضى الله تعالى عنه وأسلم أبوه وتوفى بالكوفة فى أيام ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما (وعائشة أم المؤمنين) بهمزة بعد الالف وعامة المحدثين يبدلونها ياء ويقال عيشة فى لغة ضعيفة وهى الصديقة بنت الصديق وحبيبة حبيب الله صلى الله تعالى عليه وسلم المأمور بحبها رضى الله تعالى عنها الطيبة الطاهرة النازل فى حقها الطيبات للطيبين تزوجها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى بنت تسع ولم يتزوج بكرا غيرها وقيل بنت ست وابتنى بها فى السنة الثانية من الهجرة على الصحيح ودفنت بالبقيع سنة سبع أو ثمان وخمسين روت ألفان ومائتى حديث وعشرة أحاديث وسيجىء بعض حديثها وهذا الحديث فى وصف حلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يروى فى الشمائل وعنها نظرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يخصف نعله وقد عرق جبينه وجعل عرقه يتولد نورا فبهتت فقال مالك تبهتين فقالت نظرت لعرقك يتولد نورا فلو رآك أبو كثير الهذلى لعلم انك أحق بقوله

ومبرأ من كل غبر حيضة ❊ وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى اسرة وجهه ❊ برقت كبرق العارض المتهلل

فقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقبل بين عينى وقال جزاك الله عنى خيرا ما سررت بشئ كسرورى بهذا قال التجانى معناه ان أمه صلى الله تعالى عليه وسلم لم تحمل به فى آخر الحيض بعد انقضائه واستئصال طهرها وهو محمود ومصلح للولد به يكون صحيح الجبلة محكم البنية كما قال الشاعر

حملته غراء فى أول الطهر ❊ وقد لاح للصباح بشير

وقال المعرى

وانى لمثر بابن آخر ليلة ❊ وان عزمالى فالقنوع ثراء

قال ابن السيد فى شرحه أراد ان أمه حملت به فى آخر ليلة من طهرها حين استقبلت الحيض وهو مذموم مفسد للولد وغبر بضم الغين المعجمة وفتح الباء الموحدة المشددة و بالراء المهملة بقاياه كما قاله الجوهرى (وابن أبى هالة) بالهاء وتخفيف اللام علم منقول من هالة البدر وهى الدائرة المحيطة به وهو ابن مالك أخو بنى أسيد بن عمرو بن تميم حليف بنى عبد الدار واسمه هند ولابى هالة ثلاثة أولاد هند وهالة و به كنى والطاهر وأشهرهم هند ولاشتهاره لم يسمه المصنف رحمه الله تعالى ويقال له هند الوصاف

لاشتهار وصف حلية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه لانه كان ابن خديجة أم المؤمنين من زوجها
الاول وكان ربيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخا لفاطمة وخال الحسنين رضى الله تعالى عنهم
فكان لصغره يتشبع من النظر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويديم النظر لوجهه الكريم لكونه عنده
داخل بيته فلذا اشتهر وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه دون غيره من كبار الصحابة رضى الله
تعالى عنهم فانهم لكبرهم كانوا يهابون اطالة النظر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فاحاط به نظره احاطة
الهالة بالبدر والاكمام بالثمر هنيئا له مع ان ما قاله قطرة من بحر

وعلى تفنن واصفيه بوصفه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

شهد بدرا وقيل احدا وقتل مع على رضى الله تعالى عنه يوم الجمل قال التجانى ولهند ابن أبى هالة ولد يسمى
هندا أيضا توفى بطاعون البصرة الذى مات فيه نحو من سبعين ألفا فاشتغل الناس بجنائزهم عن جنازته
فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهنداه بن هنداه وربيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم
تبق جنازة الا تركت وحملت جنازته على أطراف الاصابع اعظاما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ذكره الدولابى وقيل الذى مات فى الطاعون هند بن أبى هالة والصحيح الاول (وأبى جحيفة) بضم الجيم
وفتح الحاء المهملة والفاء مصغر واسمه وهب بن عبد الله ويقال وهب بن وهب السوائى بضم السين
المهملة وتخفيف الواو والمد نسبة لسواء بن عامر بن صعصعة صحابى مشهور توفى النبى صلى الله
عليه وسلم وهو مراهق وتوفى هو سنة اثنتين وسبعين وروى له أحمد وغيره (وجابر بن سمرة) بفتح السين
المهملة وضم الميم والراء المهملة ابن جنادة بن جندب يكنى أبا عبد الله وهو ابن أخت سعد بن أبى وقاص
توفى بالكوفة سنة أربع وسبعين وقيل وستين وفى التهذيب انه وهم ولكن التجانى وغيره اقتصر عليه
(وأم معبد) بفتح الميم وسكون العين والباء والدال المهملتين واسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ وفى
الاكمال عاتكة بنت حليف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن حنيبيس بن حرام بمهملتين ابن حبشية التى
نزل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته وهى خزاعية كعبية صحابية خرج لها أبو يعلى الموصلى
وكان منزلها بقديد ولم ينقل لها تاريخ قال البرهان الحلبى وحزام فى نسبها بالحاء المهملة وبالزاى كذا
ضبطه الامير وزاد السهيلى بن كعب بن عمرو وهو أبو خزاعة انتهى وهى أخت حبيش بن خالد انتهى
(وابن عباس) رضى الله تعالى عنهما وترجمته معروفة (ومعرض بن معيقيب) معرض بضم الميم وفتح
العين المهملة وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة معناه القوى العرض ثم نقل علما وهو صحابى
روى له ابن قانع من طريق القديمى ولم يذكره ابن ماكولا ولا الذهبى وفى تجريد الصحابة ان اسم أبيه
معيقيل باللام بدل الباء قال البرهان الحلبى وكذا هو فى نسختى ولا أدرى أصحيح هو أم لا وفى تنقيح ابن
الجوزى معيقيب بالباء وأبوه شهد بدرا وتوفى فى زمن على رضى الله تعالى عنه وهو يمامى (وأبى الطفيل)
اسمه عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمر بن جابر الكنانى صحابى له رؤية ورواية وولد فى أوائل الهجرة
وروى عن أبى بكر وعمر ومعاذ بن جبل وغيرهم وروى عنه الزهرى وقتادة وغيرهما وكان من محبى على
رضى الله تعالى عنه مات سنة عشر ومائة وقيل سنة مائة وهو آخر من مات من الصحابة وكان شاعرا
مفلقا والطفيل بطاء مهملة مضمومة مصغر (والعداء بن خالد) بعين مهملة مفتوحة ودال كذلك
مشددة ومد معناه الشديد الجرى وهو ابن خالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة أسلم يوم
الفتح وقيل يوم حنين وحسن اسلامه وهو الذى اشترى من رسول صلى الله عليه وسلم غلاما أو أمة كما رواه
الترمذى وذكره الفقهاء وتأخر الى بعد المائة وروى له الطبرانى كان حسن السبلة والعرب تسمى اللحية
سبلة (وخريم بن فاتك) بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة وميم مصغر وفاتك بفاء ومثناة فوقية قيل
انه نسبة لجده وقيل انه لقب أبيه أخرم بن شداد بن عمرو وفى التهذيب انه خريم بن فاتك بن أخرم وهو

(وأبى جحيفة) بضم جيم وفتح حاء (وجابر بن سمرة) بفتح فضم (وأم معبد) بفتح الميم والموحدة عاتكة بنت خالد وهى التى نزل عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين هاجر الى المدينة وكان منزلها بقديد مصغرا (وابن عباس) رضى الله تعالى عنهما أى عبد الله (ومعرض بن معيقيب) بتشديد الراء المكسورة والتصغير فى معيقيب وقال التلمسانى معرض بكسر الميم وفتح الراء وهو مخالف للاصول المصححة وللحواشى المصرحة (وأبى الطفيل) مصغرا واسمه عامر بن واثلة مات بمكة وهو آخر من مات من الصحابة فى الدنيا شيعى تفضيلى (والعداء بن خالد) بفتح عين وتشديد دال مهملتين ممدودا (وخريم بن فاتك) بكسر التاء وتصغير خريم بالخاء المعجمة والراء

غريب شهد بدرا وقيل لم يصح ومات بالرقة في زمن معاوية رضي الله عنه وروى عنه ابن عساكر (وحكيم ابن حزام وغيرهم) حكيم بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف وحزام بكسر الحاء المهملة وبالزاء المعجمة يليها ألف وميم ابن أخ خديجة بنت خويلد أم المؤمنين المعمر عاش مائة وعشرين سنة نصفها في الاسلام وولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة داخل الكعبة ولم يولد فيها احد غيره وكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه رضي الله تعالى عنه ولما حج في الاسلام اهدى مائة بدنة وألف شاة ووقف بمائة وصيف في أعناقهم أطواق فضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام ومات سنة ستين بالمدينة وقيل غير ذلك وأكثر من ذكر من روى حديث الحلية بيانا لشهرته وتأييد الكلام قبله وأشار بقوله وغيرهم الى من رواه غير هؤلاء ككعب بن مالك والفاروق والصديق وبنت معوذ كما في كتاب الدلائل والوفاء وغيرهما (من انه صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل انه بيان آخر لما بينه الاول بدل منه أو مستانف أو بيان لقوله ذلك والاظهر انه بيان لحديث وليس المراد ان جميع من ذكر ان كل واحد منهم روى هذا الحديث بتمامه بل مجموعهم فانه ملفق من رواياتهم (كان ازهر اللون) صفة مشبهة للفاعل وفي الازهر هنا تفاسير منقولة عن أهل اللغة فقيل نير وقيل حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا زينتها وقيل أبيض وقد اختلف الرواة هنا في لونه صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل أبيض كما في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها وأبيض مشرب بحمرة عن علي كرم الله وجهه وفي رواية أنس رضي الله تعالى عنه أزهر اللون كما هنا وعنه أيضا انه كان اسمر وفي الصحيح عن أنس لم يكن بالابيض الامهق أي الخالص البياض كلون الجير فانه غير محمود وما وقع في رواية فيه عنه أمهق ليس بابيض مقلوبة أو وهم من الراوي كما قاله المصنف أو المهق بمعنى الخضرة كما قاله ابن حجر الهيتمي رحمه الله وليس بالآدم بالمد أي الاسمر ورد الطبري في الاحكام رواية اسمر ورواه غيره كالترمذي في الشمائل وعامة المحدثين فسر والازهر بالابيض المنير المشرق وكذا ذكر في صحاح الجوهري وقد وفقوا بين الروايات بالبياض البياض المعتدل المعتاد ويؤيده ليس بالامهق كما مر ولا ينافيه انه مشرب بحمرة وان كان اسمر في بعض الاوقات لمقابلته الشمس فتعتريه سمرة أحيانا وهو المراد بكونه آدم وليس المراد انه شديد السمرة لانه سمي به لشبهه باديم الارض كما ان الابيض الامهق الشديد البياض الذي لا يخالطه حمرة كالبرص والاحاديث دالة على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن شديد البياض ولا شديد السمرة وعن الخطابي في الجمع بين حديثي السمرة والبياض ان السمرة فيما برز للشمس من بدنه الشريف والبياض فيما تواريه الثياب ويؤيده رواية ابن أبي هالة رضي الله تعالى عنه أنور المتجرد وأيضا في الحديث انه مشرب بحمرة والحمرة اذا اشبعت حكت السمرة وقيل ان ما في الشمائل عن أنس رضي الله تعالى عنه أبيض كانما صيغ من فضة لا يعارض وصف علي كرم الله وجهه له بالحمرة لانه عنى وجهه الشريف وأنس جسده كما مر وستجيء * (تتمة) * أقول ما ذكر من انه عارض من تاثير الشمس يأباه السياق لان الظاهر من لونه صلى الله تعالى عليه وسلم انه أمر خلقي لا عارض لان مثله لا يقال انه لونه والراوي له أنس رضي الله تعالى عنه وكان قريبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم ملازما له لا يخفى عليه أمره قال ابن حجر الهيتمي الاولى حمل السمرة على الحمرة التي تخالط البياض وهو المراد والعرب تطلق على من كان كذلك اسمر ويؤيده رواية البيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه كان أبيض بياضه الى السمرة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أحمر الى البياض فثبت من مجموع الروايات وصفه ببياض فيه حمرة ورواية انه شديد البياض محمولة على الامر النسبي فانكار رواية اسمر لا وجه له انتهى فالحق انه كان أبيض مشربا بحمرة وهو أحسن الالوان لدلالته على قوة المزاج واعتداله وهذا معنى أزهر ويقال له اسمر نظرا لميله للحمرة ومن أطلق عليه آدم عنى هذا

(وحكيم بن حزام) بكسر الحاء وبالزاي ولد في الكعبة قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة ولا يعرف أحد ولد في الكعبة غيره على الاشهر وفي مستدرك الحاكم ان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولد أيضا في داخل الكعبة عاش مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الاسلام روى انه لما حج في الاسلام أهدى مائة بدنة مجللة بالحبر وأهدى ألف شاة ووقف بمائة وصيف بعرفة في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله (وغيرهم) أي ومن حديث غيرهم (رضي الله تعالى عنهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أزهر اللون) أي نيره أو حسنه ومنه زهرة الحياة الدنيا أو أبيضه لحديث أبيض مشرب حمرة وهو أفضل الوان البياض ومعنى قوله ليس بالابيض الامهق ولا بالادم بل هو ازهر وهو بين البياض والحمرة وقيل معنى أزهر ما قابل السمرة وأبيض ما سواه ودليله قول عائشة رضي الله تعالى عنها كنت ادخل الخيط في الابرة حال الظلمة لبياض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه قول أبي طالب في مدحه عليه الصلاة والسلام

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وأما قوله كأنما صيغ من فضة فلم يرد به شدة بياضه بل حسن منظره ورونقه وأما جعل لونه عبارة عن لون وجهه فبعيد أيضا وقوله أنور المتجرد أي ما تحت الثياب لا يساعده وقالوا برنس الجمال وما سواه ملاحة * فان قلت كيف قال بعض الصحابة ان سمرته صلى الله عليه وسلم من تأثير الشمس وقد كان الغمام يظله * قلت أجيب بأن ذلك انما كان في أول أمره ارهاصا للنبوة كما مر وأما بعده فلم يحفظ ذلك كما قاله ابن حجر في شرح الشمائل كيف وقد أظله أبو بكر رضي الله عنه بثوبه لما وصل المدينة وأظل عليه بثوب وهو يرمي الجمار في حجة الوداع * (تنبيه) * قال ابن حجر أيضا قال أئمتنا الشافعية من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان أسود أو غير قرشي أو توفي أمرد كفر لأن نعته صلى الله تعالى عليه وسلم بغير صفته نفي له وتكذيب ومنه يعلم ان كل صفة ثبتت بالتواتر نفيها كفر وسيأتي الكلام على ذلك آخر الكتاب * فان قلت لونه صلى الله عليه وسلم أشرف الألوان وكذلك أهل الجنة فلم جاء في صفتهم ان لونهم بياض يشوبه صفرة كما فسر به قوله تعالى كأنهن بيض مكنون قلت البياض المشرب بالحمرة يدل على غلبة الدم المورث لقوة المزاج واعتداله الناشئ عن الغذاء في الدنيا وأما غذاء الآخرة فله شأن آخر والصفرة فيها بريق ولمعان يناسب النساء دون الرجال ولذا مدحن به في أشعار العرب مع انه ناشئ عن ترك الحركة وكثرة النوم والترفه ولذا قالوا لا ولى لهن ان لا يلبسن البياض لما فيه من التشبه بالرجال (أدعج) وعن الترمذي أدعج العينين والدعج بفتحتين شدة سواد العين مع سعتها وقيل سواد السواد وبياض البياض ويشكل ذلك بأنه (أنجل أشكل) من النجلة وهي سعة شق العين ومنه طعنة نجلاء ومن فسر الدعج بشدة سواد العين مع سعتها فيه عنده تجريدا وتوكيدا وأشكل بشين معجمة من الشكلة وهي الحمرة في بياض العينين وكان أصله مطلق الحمرة لقوله فما زالت القتلى تمج دماءها * بدجلة حتى ماء دجلة أشكل أي أحمر وقال ابن دريد يسمى به للحمرة والبياض المختلطين فيه وفي المقتفي ان في صحيح مسلم عن سماك ابن حرب ان معنى أشكل طويل شق العين وهو وهم بالاتفاق وقال التجاني الشكلة حمرة يسيرة في بياض العين فان كانت في السواد فهي شهلة والرجل أشكل وأشهل وكلاهما مستحسن وبمعنى أشكل أسجر بسين وجيم وراء مهملتين وفي حديث جابر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم أشكل العينين خرجه مسلم وقال الأصمعي الأسجر الأشهل وأكثر اللغويين على خلافه وعن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أسجر العينين ولم يرد الشهلة في وصفه صلى الله عليه وسلم (أهدب الأشفار) الهدب بضم الهاء والدال ويجوز تسكينها الشعر النابت على الجفن والأهدب الطويل الأهداب أو الكثيرة وهذه الصفة في حديث رواه الترمذي والبيهقي ووقع في رواية فيه طويل الأهداب وفي البيهقي وصفه بالكثرة وكل منهما شاهد للتفسيرين السابقين والأشفار جمع شفر بضم الشين وقد تفتح طرف الجفن والجفن غطاء العين الأعلى والأسفل وانما خلقت هذه الأجفان وأهدابها لتقي ناظر العين الأذى وهي تمسحه في انطباقها وانفتاحها وتذب عنه بأهدابها كما قال * فلما افترقنا ماذب عن ناظر شفر * ولذلك كان الذباب يمسح دائما بيديه عينيه لأنه خلق بغير أجفان واليه أشار عنترة في تشبيهه البديع بقوله * وقع المكب على الزناد الأجزم * وفي الجفن وطول أهدابه زينة ونفع وحسن واضافة أهدب الأشفار من اضافة الشيء لمكانه فانه يجوز اضافته للمكان والزمان نحو عالم بغداد ومالك يوم الدين وهي لامية أو على معنى في والأهدب يوصف به الرجل فيقال رجل أهدب والجفن والشفر وليس فيه اطلاق الأشفار على الأهداب مجازا من باب اطلاق الحال على المحل كما تسمى الخمر كأسا وان جاز وليس المراد بالشفر الجفن مجازا باطلاق الجزء على الكل ولا تجريد فيه ولا تقدير مضاف أي شعر الأشفار كما توهم (أبلج) من البلج بفتحتين وهو نقاء ما بين الحاجبين من الشعر ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن وانه أقرن وهو مخالف للرواية المشهورة في حديث الحلية ولهذا رد بعضهم هذه الرواية ووفق بينهما بأنه كان بينهما شعر خفيف جدا ربما يظهر اذا وقع عليه الغبار في سفر ونحوه وحديث أم

(أدعج) أي شديد سواد الحدقة (أنجل) بالنون والجيم ذا نجل بفتحتين وهو سعة شق العين مع حسنها (أشكل) أي في بياض عينيه يسير حمرة ووهم سماك بن حرب ففسره في مسلم بأنه طويل شق العين (أهدب الأشفار) أي كثير شعر حروف أجفان عينيه وهو الهدب جمع شفر بضم وفتح وهو شفير حرف العين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعا ان الله تعالى لا يعذب حسان الوجوه سود الحدق يعني من المسلمين قال التلمساني والظاهر انه لا يعذبهم وهم في تلك الصورة بل يسود وجوههم ويزرق أعينهم كما يدل عليه قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا (أبلج) بالموحدة والجيم أي أبلج الوجه وهو مشرقه ولم يرد أبلج الحاجبين أي نقي ما بينهما الحديث أم معبد في دلائل البيهقي وغيره انها وصفته بأنه أبلج الوجه أقرن أي متصل الحاجبين

معبد سفرى وفى كتاب خلق الانسان لثابت رجل أقرن وامرأة قرناء فاذا نسب الى الحاجبين قالوا مقرون الحاجبين ولا يقال أقرن الحاجبين وقد تمدحوا بالبلج قديما وحديثا كما قال بعض المحدثين

اذا راش سهم الناظرين بهدبه * وان كان سلما غير يوم هياج
غدا موترا من حاجبيه حنية * لها البلج الوضاح قبضة عاج

ومنه أخذ ابن سينا الملك قوله رماني ومن أجفانه السهم صائبا * ومن حاجبيه القوس والقبضة البلج والحنية بمعنى المحنية القوس والقبضة وسطها الذى يقبضه الرامى والعرب تسمى السيد بالابلج ووصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به مشهور وقال أبو طالب فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

وأبلج يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

على احدى الروايات وأنشد بعضهم وأبيض والثمال الملجا اسم مفرد كالغياث لفظا ومعنى (أزج) بفتح الهمزة والزاء المعجمة وتشديد الجيم وهذا وكل ما وازنه فى حديث الحلية صفات مشبهة لانها تجرى كذلك فى الصفات والحلى ويوصف به الرجل والحاجب فى المدح والزجج كما فى تحفة العروس للتجانى دقة مخط الحاجبين وامتدادهما الى مؤخر العين غير عريض ولا كثيف وضده الزبب وقال الشمنى أزج مقوس الحاجب مع طول وامتداد وقال حسان رضى الله تعالى عنه * أزج كشق النون من يد كاتب وقال رؤبة * ومقلة وحاجبا مزججا * والزجج خلقة والتزجيج ما كان يصنع كما قال وزججنا الحواجب والعيونا * أى صنعنا ذلك وهو ما تسميه العامة تحفيفا بالحاء المهملة وهذا أيضا مما رواه الترمذى رحمه الله تعالى (أقنى) كما وقع فى حديث هند الذى رواه الترمذى رحمه الله تعالى وفى حديث على كرم الله وجهه أقنى العرنين والعرنين الانف والقنا طوله ودقة أرنبته مع حدب فى وسطه وفسره الجوهرى بالحدب والمصنف رحمه الله تعالى بالسائل المرتفع الوسط وقد يبدل السيلان بالدقة وقيل انه نتو فى الوسط وضيق المنخرين وقال التجانى القنا احديداب قصبته مع نزول الارنبة وهى رأس الانف مما يلى الفم والشمم استواء أعلى قصبة الانف مع ارتفاع يسير فى الارنبة وهو من صفات الجمال والمدح وعلامة السودد فى الرجال قال حسان رضى الله تعالى عنه

بيض الوجوه كرائم احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

وقال الفرزدق

بكفه خيزران ريحه عبق * من كف أروع فى عرنينه شمم

وورد فى الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان أشم وبهذا وصفه أصحابه رضى الله تعالى عنهم كما ورد فى الاحاديث ويعارضه ما اشتهر من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أقنى وجمع بينهما بان القنو كان خفيفا فان زيادته غير ممدوحة كما مر فى البلج ويدل عليه قول ابن ابى هالة الآتى أقنى العرنين يحسبه من لم يتامل اشم وقول بعض الشراح هنا فمن رآه متاملا عرفه أشم ومن لم يتامله ظنه أقنى انعكس عليه الامر فتامل (أفلج) الفلج بفتحتين تباعد ما بين الثنايا أو ما بين الاسنان وهو من قولهم فلجت الشئ اذا شققته فلجين أى نصفين وفلج فلو حاظفر وقال ابن دريد وتبعه صاحب القاموس رحمه الله تعالى انه لا يقال رجل أفلج الا اذا ذكر معه الاسنان أى اذا قيد بها سواء كان بلفظ الاسنان أو الثنايا أو غيرهما لئلا يلتبس برجل أفلج أى بعيد ما بين القدمين أو اليدين فانه ورد استعماله مطلقا فى كلامهم دون الاول فانه ورد مقيدا باضافة وغيرها ومن هنا قد اعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان قوله أفلج مخالف للغة اذ لم يستعمل فيها الا مقيدا كما عرفته وقد استعمله الحريرى كذلك ثم ما قاله أهل اللغة مخصوص بهذه الصفة فان غيرها كثير من غير تقييد كقول العجاج * أزمان أبدت واضحا مفلجا * وفيه بحث لان هذا الاستعمال مروى فى الحديث هكذا وابن أبى هالة راويه من خلص فصحاء العرب ولا عبرة بقول بعض النحاة ان الحديث لا يستدل به فى اثبات العربية * واعلم ان العرب اذا وضعت كلمة لمعنى فقد تستعملها مطلقة وقد تلتزم تقييدها باضافة مطلقة أو معينة

(أزج) بالزاى والجيم المشددة أى دقيق شعر الحاجبين طويلهما الى مؤخر العين مع تقوس (أقنى) أى مرتفع قصبة الانف مع احديداب يسير فيها هذا والمشهور انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اشم الانف أى مرتفع قصبته مع استواء أعلاه قال فى الصحاح فان كان فيها احديداب فهو القنى وقد يجمع بينهما بان ارتفاعها كان يسيرا جدا من رآه متاملا عرفه اشم ومن لم يتامله ظنه أقنى (أفلج) بالفاء والجيم أى متباعد ما بين ثناياه وقلته ممدوحة

(مدو رالوجه) أى لكن الى الطول أميل لما ورد فى شمائله ان وجهه لم يكن مدورا وقد يشبه تدوير الوجه بالدينار الاستواء دائرته
(واسع الجبين) وهو ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال فهما جبينان فيما بين الحاجبين (كث اللحية) بتشديد المثلثة
أى كثير شعرها بحيث (تملأ صدره) أى ما يقابلها مع قصر فيها وانبساط اذ كان يأخذ منها ما زاد على القبضة وربما كان يأخذ من أطرافها أيضا والحاصل انه لم يكن كوسج ولا خفيف اللحية ولا مقصوصها غير نازلة الى صدره وقال التلمسانى روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سعادة المرء خفة عارضته ويروى لحيته ومعناه انها لا تكون طويلة فوق الطول وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعتبروا عقل الرجل فى ثلاث فى طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وعن الحسن بن المثنى انه قال اذا رأيت رجلا ذا لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتين كان فى عقله شئ وقيل ما طالت لحية انسان قط الا ونقص من عقله مقدار ما طال من لحيته ومنه قول الشاعر

اذا كبرت للفتى لحية * فطالت وصارت الى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا * بمقدار ما طال من لحيته

(سواء البطن والصدر) بالاضافة اليهما ونصب سواء أى كان مستويهما تلويحا باعتدالهما خلقا واشعارا بان خروجهما أو أحدهما عن الاعتدال بروزا أو تطامنا ليس بمحمود وروى برفع سواء منونا مع رفع البطن والصدر

كوحدة أو نحوها وقد تلزمه فى حالة مخصوصة كأب وأخ اذا أعرب بالحروف وقد تلتزم هيئة مخصوصة نحو كافة وقاطبة وتعريف الآن وقد تلتزم تقييده بشئ كما فيما نحن فيه ثم ان ههنا شيئا وهو انه اذا ورد استعمال لفظ عن العرب على هيئة مخصوصة كما مر ما المانع من استعماله فى ذلك المعنى من غير تغيير لبنيته فى موضع آخر كما فيما نحن فيه واذا جاز التجوز فيها او نقلها عن معناها قياسا فهذا ابا الطريق الاولى خصوصا وقد عضده السماع والفلج ممدوح لانه يطيب رائحة الفم والاسنان لعدم بقاء الماكول بينهما مع المعاونة على خروج الحروف من المخارج سهلة فصيحة ومن الملح فيه قول ابن نباتة

أفدى الذى جبينه وشعره * طرة صبح تحت اذيال الدجا
مالى به مع قرب دارى ملتقى * فهل رأيت ثغره المفلجا

(مدور الوجه) عبر فى الشمائل بقوله لا بالمكلثم وكان فى وجهه تدوير وفسر بانه لم يكن شديد تدوير الوجه بل فيه تدوير مع استطالة قليلة وهو أحلى وأحسن وهو المراد هنا والمكلثم بالمثلثة فسر بالمدور والسمين والنحيف فهو ضده وفى النهاية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أسيل الوجه وروى البغوى مسنون الوجه أى فيه طول والروايات يفسر بعضها بعضا وما ورد من انه مدور الوجه كالبدر محمول على الضياء والحسن فلا منافاة بينهما (واسع الجبين) السعة ضد الضيق والجبين والجبهة هل هما بمعنى أو بينهما فرق وأكثر أهل اللغة على الفرق بينهما بان الجبهة موضع السجود المحاذى للناصية من الحاجب الى قصاص الشعر وجانباها جبينا وقيل انها تطلق بمعنى الجبهة والمجموع وأنكره بعضهم وخطأ المتنبى فى استعماله بهذا المعنى الا ان ابن عاصم قال فى شرح قول زهير

يقينى بالجبين ومنكبيه * وانصره بمطرد الكعوب

انه أراد بالجبين الجبهة وسعة الجبين مما يدل على قوة العقل والفهم والحواس اذا لم يكن مفرطا وسعة الجبهة حسنها وشخوصها أو طولها كما قيل والظاهر من العبارة انه أريد بالجبين الجبهة اذ لم يقل الجبينين بالتثنية (كث اللحية) هذه الصفة فى الترمذى والبيهقى عن هند وعلى وأم معبد رضى الله تعالى عنهم والكث فى اللحية ان تكون كثيفة غير خفيفة لا يرى منها ما تحتها الكثرة أصولها محيدة ملتفة وليست بطويلة ولا قصيرة الشعر فى العرض واليه اشار بقوله (تملأ صدره) الشريف يعنى انها طولا وعرضا بمقدار صدره فجعلها كأنها حالة فيه لان المظروف لا يزيد على ظرفه ومثله قولهم قد ملأت نحره ونحر الصدر أعلاه أو موضع القلادة منه فراد المصنف رحمه الله تعالى أعلى الصدر والا لطالت وقد ثبت قصرها وقيل المراد انها تملأ ما يقابل الصدر بها فاستوت طولا وعرضا والحاصل من ذلك ان لحيته صلى الله تعالى عليه وسلم معتدلة طولا وعرضا غير خفيفة * واعلم ان اللحى واللحاء ما ينبت عليه الاسنان واللحية ماخوذة منه * فان قلت ورد فى الحديث من سعادة المرء خفة لحيته وهو ينافى كونها كثة قلت المراد من ذلك عدم طولها جدا لما ورد فى ذمه وقد قيل اعتبروا عقل الرجل فى ثلاث فى طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وقال الشاعر

ونقصان عقل الفتى عندنا * بمقدار ما طال من لحيته

مع انه ورد خفة لحييه بالتثنية وفسر بخفته فى حركته للذكر (سواء البطن والصدر) هو بتنوين سواء ورفعه وبنصبه واضافته أى مستويهما والبطن مبتدأ وسواء خبر مقدم ولا حاجة لتقدير منه ولا لجعل أل بدلا من الضمير كما قاله التلمسانى وهو اشارة الى اعتدال خلقهما وعدم خروجهما أو أحدهما عن

الاعتدال فان البطن اذا كان بارزا أو مضمرا لم يكن من الصفات الحسنة وكذلك اذا برز أو تطامن وسواء الشيء قد يكون بمعنى وسطه وليس بمراد هنا كما قاله التلمسانى (واسع الصدر) عبر فى المواهب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بقوله رحب الصدر وفى الترمذى والبيهقى عريض الصدر وقال البيهقى كان بطنه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مستفيض فهو مساو لصدره وصدره عريض مساو لبطنه والعريض والواسع بمعنى وقال الصفوى يجوز أن يكون مجازا عن الحلم واحتمال الامور كما قال فى صدره غير ضيق الصدر وقال تعالى (فلا يكن فى صدرك حرج منه) وعدل المصنف رحمه الله تعالى الى السعة ليكون أظهر فى احتمال المعانى * أقول هذا غير صحيح هنا لان الكلام فى الحلية الحسية وليس هذا منها فلو قال كما قال الدلجى أن معناه واسع الصدر حسا ومعنى ليكون كناية كان أولى فتامل (عظيم المنكبين) مثنى منكب بفتح الميم وكسر الكاف وبالموحدة وهو مجمع عظم العضد والكتف أى ضخمهما وروى البيهقى مسندا جليل مشاش المنكبين ومشاشهما بالضم رؤسهما وروى الواقدى رحمه الله تعالى ضخم العضدين والمنكبين وفى الشمائل جليل المشاش أى رؤس العظام كالمرفقين والركبتين والمنكبين وهو معنى قوله (ضخم العظام عبل العضدين) الضخم الغليظ كما فى الصحاح أو العظيم الجرم الكثير اللحم وفى حواشى عبد المجيد اليمنى ضخم العظام غليظها تقول أضخمت اذا انتصبت قائما والمضطخم المنتصب والعظام جمع عظم وعظيم كما فى ضرام السقط لصدر الافاضل وبعض الجهلة توهم ان قولهم الموالى العظام غلط لانه لا يكون الا جمع عظم وروى الترمذى وغيره ضخم الكراديس قال أبو نعيم هى العظام أى عظيم الالواح وقيل رؤس العظام وقال البغوى الاعضاء والمراد تمام يحسن عظمها كالجوارح والاطراف وقد ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عظيم الاطراف والجوارح والعظام أساس الانسان بعظمها يقوى ويحسن وتتم الحواس وعبل بفتح العين المهملة وسكون الموحدة يليها لام بمعنى ضخم قوى والعضدين تثنية عضد بفتح العين وضم الضاد المعجمة وتسكن تخفيفا وفيه لغات وهو ما بين المرفق والكتف ويسمى ساعدا (والذراعين) أى وعبل الذراعين والذراع هو ما بين مفصل الكف والمرفق أو من المرفق الى أطراف الاصابع (والاسافل) جمع أسفل قال التلمسانى يريد به رجليه وباقى جسمه وقال غيره المراد بها الفخذان والساقان وذلك كله مما يؤذن بكمال قوته لما فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى قوة ثلاثين رجلا وفى مسند أحمد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان شبح الذراعين بعيد ما بين المنكبين يقبل جميعا والشبح بفتح الشين المعجمة وسكون الباء الموحدة وبالحاء المهملة بمعنى العريض (رحب الكفين والقدمين) أى واسعهما وقال التجانى أى كبيرهما وهو محمول على ظاهره من كبر الجوارح لدلالته على كمال الخلق بخلاف صغرهما وتاوله بعضهم فى الكفين على انه كناية عن جوده وسماحته قال والحق انه ان روى مجموع رحب الكفين والقدمين فلا مجال لهذا التاويل للجمع بين الحقيقة والمجاز وان ورد رحب الكفين فقط فان كان فى مقام بيان خلقه بالفتح فلا مناسبة له أو فى مقام بيان خلقه بالضم فله مناسبة وقد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان شثن الكفين والقدمين والشثن بمعنى الغليظ لا الواسع وهو لا ينافى ما مر وفسر الاصمعى رحمه الله تعالى الشثن بالغليظ الخشن فقيل له انه ورد فى صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينافيه وقد ورد فى البخارى وغيره عن أنس رضى الله تعالى عنه ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين وأنعم من كف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فآلى على نفسه أن لا يفسر شيئا فى الحديث وقيل لين جلده صلى الله تعالى عليه وسلم ونعومة ملمسه خلقة وخشونته باعتبار عمله فى جهاده ومهنته وتفسير أبى عبيد الشثن بالغليظ القصير مردود بما صح من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سائل الاطراف

(واسع الصدر) أى حسا ومعنى اذ وسع كل أحد شفقة وحلما (عظيم المنكبين) بكسر الكاف تثنية المنكب وهو مجمع عظم العضد والكتف (ضخم العظام) أى غليظها مطلقا وخصوصا كان (عبل العضدين) مثنى عضد بفتح وضم هو الصحيح وهو الساعد من المرفق الى الكتف والعبل بفتح عين وسكون موحدة أى ضخمها وكذا قوله (والذراعين) وهو ما بين مفصل الكف والمرفق (والاسافل) أى الفخذين والساقين وهذا كله مما يؤذن بكمال قوته لحديث البخارى انه أعطى قوة ثلاثين رجلا (رحب الكفين) بفتح الراء وسكون الحاء أى واسعهما صورة ومعنى اذ وسع كل واحد عطاء وقال الدلجى فى نوع الترشيح من بديعيته

عم الورى بيد سحاء يرشحها
عطاؤه ليس يخشى الفقر من عدم

(والقدمين) أى واسعهما طولا وعرضا

الآتى * واعلم ان البارزى رحمه الله تعالى قال فى توثيق عرى الايمان انه روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان خمصان الاخمصين أى متجافى أخمص القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان مسيح القدمين أى أملسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ما يخالفه لانه قال فيه اذا وطئ بقدميه وطئ بكلهما ليس له أخمص وهذا موافق رواية مسيح القدمين قال وسمى عيسى عليه الصلاة والسلام بالمسيح لانه لم يكن له أخمص فى أحد الوجوه فيه وقيل معنى مسيح القدمين لا لحم عليهما وهو يخالف رواية شثن القدمين انتهى وفيه نظر ففى شرح الشمائل مسيح القدمين املسهما لينهما فليس فيهما تكسر ولا تشقق ويفسره قوله ينبو عنهما الماء أى يسيل سريعا لملاستهما فكان غليظ أصابعهما وروى أحمد وغيره ان سبابتى قدميه صلى الله عليه وسلم أطول من غيرهما وفى البيهقى كانت خنصر رجله صلى الله تعالى عليه وسلم متظاهرة وما اشتهر من اطلاق كانت سبابته صلى الله تعالى عليه وسلم أطول من وسطاه غلط فانه خاص باصابع رجليه انتهى وما قيل ان سعة القدمين لم ترد الا انه بمعنى العظم المذكور فى البخارى فيه نظر (سائل الاطراف) وفى شمائل الترمذى سائل الاطراف أو شائل الاطراف بالشك من الراوى من انه بالسين المهملة من السيلان بمعنى ممتدها امتدادا معتدلا بغير افراط ولا تفريط أو بالمعجمة من شال الميزان اذا ارتفع احدى كفتيه والمراد منه ما قبله والمراد بالاطراف الاصابع وروى سائن بالنون المبدلة من اللام كما قال التلمسانى وطول الاصابع مما يتمدح به العرب وسائل بهمزة مبدلة من الياء كما تقرر فى الصرف وقوله فى المقتفى انه بالياء ان أراد انه روى كذلك على خلاف القياس فصحيح والا فلا وفسر بالطول من غير تعقد ويروى كان أصابعه قضبان فضة أى أغصانها قيل والاوجه فى تفسيره التعميم لما روى من انه سبط القصب وفسر بكل عظم ذى مخ والسبوطة الامتداد قاله أبو نعيم (أنور المتجرد) أنور بمعنى نير صفة مشبهة لانه من باب الالوان وعليه اقتصر التلمسانى والبغوى والمتجرد بضم الميم وفتح الجيم والراء المشددة والدال المهملتين بمعنى الجسد الذى من شانه أن يجرد عنه الثياب والعرب تقول فلان حسن المجرد والمتجرد والجردة والعرية والمعرى والكل بمعنى وقيل أنور أفعل تفضيل مضاف لغير المفضل عليه كما ذكره النحاة أى متجرده أنور من متجرد غيره والمتجرد بالضم مصدر ميمى يقال امرأة بضة المتجرد والمجرد أى عند التجرد والتعرى والمحدثون فسروه بما جرد عنه الثياب أى نزع وليس على القلب أى ما جردت الثياب عنه أو هو اسم موضع التجرد أو اسم مفعول على الحذف والايصال كالمشترك لانه ثبت عن العرب فلا يقال انه غير قياسى واسم المفعول لا يبنى من مثله بغير صلة كمرور به والقول بانه جعل تجرد بمعنى جرد المتعدى كما جعل رحم المتعدى بمعنى رحم اللازم وبنى منه الصفة المشبهة وجعله من الحقائق والدقائق من زخرف القول الذى لا طائل تحته وتفسيره بسائر البدن باعتبار أغلبه وأكثره كلام حسن وجعله وهما خرافات واهية (دقيق المسربة) دقيق بالدال المهملة والقاف والمراد انه ليس بعريض ولا متكاثف الشعر وروى بالراء المهملة وهما بمعنى والمسربة بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء كذلك وفتحها وبالموحدة شعره مستطيل من الصدر للسرة فهو خط من الشعر بينهما قيل والذى يظهر انه شعر دقيق من الصدر الى البطن يطول ويقصر ابتداء ولذا وصف مسربته بالطول من أوائل الصدر الى السرة والوصف بالدقة للمبالغة والمسربة من السرب وهو دخول الطريق والانسراب فيها (ربعة القد) القد بمعنى القامة ورجل ربعة وامرأة ربعة بفتح الراء وسكون الباء وفى المصباح حذف الهاء فى المذكر وفتح الباء لغة فيهما ورجل مربوع مثله أى معتدل وفى القاموس الرابع الرجل بين القصير والطويل وتانيثه باعتبار النفس والذات وليس فى اضافته للقد تكلف

(سائل الاطراف) أى تام الايدى والارجل والاصابع طويلها وهو بالسين المهملة وروى بالمعجمة (أنور المتجرد) بفتح الراء المشددة أى كان ما تجرد من بدنه أنور من غيره (دقيق المسربة) بفتح ميم وسكون سين مهملة وضم راء وقال التلمسانى وبفتحها وهى خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة ودقيق بالدال قال التلمسانى ويجوز فيه الراء قلت بينهما فرق دقيق (ربعة القد) بفتح الراء وسكون الموحدة أى مربوع القامة كما رواه البيهقى وابن أبى خيثمة فى تاريخه

كما توهم وفيه ضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالتأويل المذكور وروى الترمذي وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أطول من المربوع وفى البيهقي عن أنس رضى الله عنه فوق الربعة فالمراد بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم ربعة انه بين الطول الفاحش والقصر ومن نفى الطول أراد الفاحش ولذا قال (ليس بالطويل البائن) كذا فى الصحيحين عن أنس رضى الله تعالى عنه أى لم يكن مفرط الطول فهو من بان بمعنى ظهر لظهور طوله أو بعد لبعده عن قدر الرجال الطوال أو لبعده عن الاعتدال أو من المفارقة والانقطاع لانفصال بعضه عن بعض أو عن غالب الناس أو عن الاعتدال (ولا القصير المتردد) أى المتناهى فى القصر من التردد بمعنى الرجوع أو الدخول كان بعضه يدخل فى بعض و يرجع اليه وهذه صفة خلقته صلى الله تعالى عليه وسلم لذم الطول المفرط والقصر المفرط وللتلمسانى هنا كلام فى تفسيره لا محصل له (ومع ذلك) أى مع كونه ربعة معتدلا (فلم يكن يماشيه أحد) من الناس بان يمشى معه ويجنبه بحيث يعرف مقدار القدود وقيل الاولى عدم الفاء الا أن يقال هذه بيان للحالة السابقة يعنى لانها خلقة وهذه عارضة فتدبر (ينسب الى الطول الا طاله) المراد بنسبته له اتصافه به و كونه معروفا به مشهور كما يعرف المرء بالنسبة فيقال القرشى ونحوه فهو استعارة وقوله الا طاله أى غلبه فى الطول وزاد عليه فهو من باب المغالبة المعروف فلذا تعدى مع لزومه أو أصله طال عليه على الحذف والايصال وروى البيهقى وغيره زيادة ربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه عاد ربعة وفى المواهب عن ابن سبع واذا جلس صلى الله تعالى عليه وسلم كان كتفه أعلى من الجالسين وهل هذا محض اراءة لذلك أو حقيقى يرجع عنه فيه تردد ولم يخلق أطول من غيره لخروجه عن الاعتدال الاكمل المحمود ولكن جعل الله له هذا فى رأى العين معجزة خصه الله تعالى بها لئلا يرى تفوق أحد عليه بحسب الصورة وليظهر من بين أصحابه تعظيما له بما لم يسمع لغيره فاذا فارق تلك الحالة زال المحذور وعلم التعظيم فظهر كماله الخلقى (رجل الشعر) يقال شعر رجل بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها وهو ما فيه تثن قليل وما لا تثنى فيه فهو سبط والاول أحسن وأمدح وروى شعره بين شعرين لا رجل ولا سبط وفى مثله مبالغة فى قلة التثنى وفيه كلام بسطناه فى السوانح وفى الصحيحين لا بالجعد القطط ولا بالسبط والقطط بفتح الطاء وكسرها الشديد الجعودة والسبط بكسر الباء ضده وهو المسترسل بغير تكسر فشعره صلى الله عليه وسلم بين هاتين الصفتين لا تجعيد فيه كثير (اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق) هذا رواه البيهقى مسندا ومعنى افتر كشف عن أسنانه متبسما أو ضاحكا ويفتر يضحك ضحكا حسنا بمعناه وفى النهاية تبسم حتى تبدو أسنانه من غير قهقهة وهو افتعال من فرت الدابة اذا كشفت شفتيها ليعرف مقدار سنها ومنه أخذ السن بمعنى العمر وفى حواشى عبد المجيد اليمنى ومنه فرة الحر أوله يعنى بكسر الفاء وتشديد الراء وتبعه بعض الشراح ومن قال انه وهم لم يفهم مراده والسنا مقصور وروايته مده لا أصل لها فان الممدود بمعنى الشرف كما قال ابن عباد المغربى

أيها الصاحب الذى فارقت عينى وتفشى منه السنا والسناء

أى اذا كشف صلى الله تعالى عليه وسلم عن أسنانه فى حال ضحكه ظهر من فمه و بياض أسنانه لمعان كلمعان البرق وانما خص التشبيه بحال التبسم والسرور وشبه ذلك بالبرق دون ما هو أضوء منه كالشمس والبدر اشارة الى أنه لا يدوم ضحكه وانفتاح فمه لان كثرة الضحك غير محمودة ولم يكن ذلك من دأبه صلى الله تعالى عليه وسلم ولان تبسمه لمخاطبه يعقبه نفع وخير من عطائه وكلامه ورضاه كما يعقب البرق المطر والرحمة العامة وما قيل أن الاظهر انه اذا استمر يتلألأ فيظهر تارة و يختفى أخرى فالمناسب البرق و يؤيده رواية مثل سنا البرق اذا تلألأ مخيلة برق خلب وهذا تشبيه لنور ثغره وقوله

(ليس) أى هو أو قده (بالطويل البائن) أى المفرط فى الطول من بان بمعنى بعد أو ظهر (ولا بالقصير المتردد) بكسر الدال وهو الذى كانه تردد بعض خلقه على بعض من قصره والجملة بيان لما قبلها (ومع ذلك) أى مع كونه ربعة (فلم يكن يماشيه أحد ينسب الى الطول الا طاله) أى غلبه النبى (عليه الصلاة والسلام) فى الطول مزية خص بها تلويحا بانه لم يكن أحد عند ربه أفضل منه لا صورة ولا معنى (رجل الشعر) بكسر و يفتح وقد يسكن و بفتح العين و يسكن أى بين الجعودة والسبوطة (اذا افتر) بتشديد الراء أى اذا أبدى أسنانه حال كونه (ضاحكا) أى متبسما (افتر) أى انكشف (عن مثل سنا البرق) بقصر سنا وقد يمد وقيل بالقصر النور وبالمد الشرف والعلو أى يشبه ضوءه

(وعن مثل حب الغمام) في بياضه ونقائه وصفائه حب الغمام هو البرد بفتح الراء وتسكينها قال المصنف رحمه الله ويروى تسكينها والاول أصح وقيل حب الغمام حبابه على الماء شبه به ما على أسنانه من قليل الريق وبلته وهو الظلم بالفتح الذى تسميه الشعراء شنبا كما قال ابن الوكيل

يا بارقا قد حكاه فى تبسمه * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

والاول أصح لرواية البيهقى عن هند رضى الله عنه عن مثل البرد المنحدر عن متون الغمام قال السيد رحمه الله تعالى شبه ما يظهر من أسنانه فى التبسم بذلك فى البياض والصفاء واللمعان والاعتدال وفى النهاية وفى البرد وهو بعيد ومن قال حب الغمام قطرته شبه بها ما يطفو على الثنايا من الريق فقد وهم لان الثنايا ليس عليها عادة الابلال فلو اجتمع لم يحسن قيل وما أحسن عدوله عن تشبيهه بالحباب لحب السحاب لتنزهه عن تشبيهه بامر محرم وقيل عليه ما أحقه صلى الله تعالى عليه وسلم بقول البحترى

كأنما تبسم عن لؤلؤ * منضد او برد او اقاح

(وقول الحريرى) نفسى الفداء لثغر راق مبسمه * وزانه شنب ناهيك من شنب

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

وليس الحبب حباب الماء ونفاخاته ولا حباب الخمر بل نضرة الاسنان كما قاله الجوهرى فلا ميل فى التشبيه لما قاله وهو وهم منه فان الحباب والخباب بالمعنى المذكور مما لا شبهة فيه وما قاله الجوهرى لا يصح هنا لما فيه من تشبيه الشئ بنفسه كما قيل

أقام يعمل أياما قريحته * وشبه الماء بعد الجهد بالماء

(اذا تكلم رئ كالنور يخرج من ثناياه) وقع عند نا يرى مضارع رأى المجهول والذى صححه التلمسانى وغيره رواية برى براء مكسورة وباء ساكنة تليها همزة بوزن قيل وفى رواية رئى بضم الراء وهمزة مكسورة بليها ياء مجهول رآى والكل صحيح رواية ودراية وهذا رواه الترمذى فى شمائله والدارمى والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والثنايا جمع ثنية وهى أربع أسنان اثنان فوقانية واثنان فى مقابلهما والمراد وصف ثناياه صلى الله عليه وسلم بشدة البياض والبريق والصفاء وأول الحديث كان صلى الله تعالى عليه وسلم أفلج اذا تكلم الى آخره وروى ابن كثير رحمه الله رئ النور من ثنيته وهى الاظهر ولذا قيل الكاف زائدة ويحتمل انها اسم بمعنى مثل وهى أو الجار والمجرور نائب الفاعل وهو صفة لمقدر أو تلألؤ أو شئ وضمير يخرج للنور وقيل انه للكلام المفهوم مما قبله أى يخرج منه كلام شبيه بالنور فى ظهوره (أحسن الناس عنقا) رواه البيهقى مسندا وفيه أحسن عباد الله عنقا وفى رواية من أحسن الناس والمراد أحسن جميع الناس أو الناس الموجودين ولا تكلف فيه كما توهم وحسنه باعتداله وبياضه وصفائه ونه ويستحسن فى العنق التام وهو اشرافه وانتصابه والتنطع وهو طوله قال التجانى وقد جاء هذا فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وطول العنق مما يستحسن ما لم يفرط فاذا أفرط فهو مذموم وقد هجر واصل بطول عنقه ولقب به * واعلم ان السهيلى قال فى الروض الانف ان العنق والجيد بمعنى الأن الجيد يستعمل فى المدح والعنق بخلافه فتقول صفعت عنقه لا جيده ولما ورد عليه قوله تعالى فى جيدها حبل من مسد قال انه تهكم وتمليح بجعل الحبل كالعقد لها وفيه نظر لان الاستعمال بخلافه

(وعن مثل حب الغمام) أى السحاب وهو البرد بفتحتين يعنى مثله فى البياض والصفاء وامتزاج الماء فهو بهذا الاعتبار العالى أولى من تشبيه الاسنان باللآلى ثم التشبيه الثانى أبلغ من الاول فتامل وقد أبعد الدلجى فى تفسير حب الغمام بقطراته ثم قال شبه بياض ثغره فى صفائه ونقائه بضوء البرق وما يطفو على ثناياه من ريقه بقطرات الغمام تشبيها بليغا انتهى موهما ان التركيب من التشبيه البليغ وليس كذلك كما لا يخفى على أرباب المعانى والبيان وقيل أول ما يضحك تلألأ كالبرق وان بدت أسنانه فهو كالبرد (اذا تكلم رئ) بكسر راء وسكون ياء فهمزة مفتوحة وروى رئى بتقديم الهمز مجهولا من الرؤية وهو ظاهر ولعل الاول من قبيل القلب دخل فيه الاعلال قال التلمسانى وهو الافصح والمعنى ظهر (كالنور) أى شئ مثل النور (يخرج من ثناياه) أى يبدو منها أو من سناها بكثرة بياضها وشدة صفائها أو ايماء الى درر كلماته وغرر بنائها والحديث رواه الترمذى فى شمائله والدارمى والبيهقى (أحسن الناس) بالنصب عطفا على ما سبق ويجوز أن يكون بالرفع على ان التقدير هو أحسن الناس (عنقا) أى جيد الاعتداله فى كماله (ليس بمطهم) بتشديد الهاء المفتوحة أى لم يكن مدور الوجه على ما فى الصحاح وغيره وقيل هو السمين الفاحش وقيل المنتفخ الوجه وقيل النحيف الجسم (ولا بمكلثم) بفتح المثلثة أى لا يجتمع لحم الوجه بل مسنون الوجه والحاصل انه لم يكن وجهه مفرطا فى الاستدارة وأما حديث على وفى وجهه تدوير رفعناه ان فيه نوع تدوير أى قليلا منه وأبعد اليمنى فى قوله يريد عنقه أى ليس بمدور ولا بمجتمع بل انه مستطيل

(متماسك البدن) أى ليس برهل ولا مسترخ لحمه بل يمسك بعضه بعضا ويقويه ويشده (ضرب اللحم) أى خفيفة ولطيفة لا بائسة وكثيفة وقيل هو اللحم بين اللحمين لا بالناحل ولا بالمطهم (قال البراء) بن عازب أى كما رواه الشيخان وغيرهما (ما رأيت من ذى لمة) بكسر لام وتشديد ميم وهى من شعر الرأس ما يجاوز شحمة الاذن ويلم بالمنكبين (فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ظاهره انها ثوب واحد بشهادة وصفها بحمراء مع اتفاق أهل اللغة انها لا تطلق الا على ثوبين بشهادة حديث وعليه حلة اتزر باحديهما وارتدى بالاخرى ولك أن تجيب بان وصفها باعتبار لفظها لا باعتبار معناها او كنى به دليلا لمن جوز لبس الاحمر بلا كراهة كالشافعى ومالك رحمهما الله تعالى كذا ذكره الدلجى وفى القاموس الحلة بالضم ازار ورداء بردا أو غيره ولا تكون حلة الا من ثوبين أو ثوب له بطانة وكذا قال الخليل وغيره لان كل واحد يحل على الآخر أو على الجسم وقيل الثوب الجديد الذى يحل من طيه فاندفع دعوى اتفاق أهل اللغة على الاطلاق بل قال المنجانى ان هذا الحديث يرد عليهم انتهى وليس فى الحديث الذى استشهد به دلالة الا على أحد الاستعمال الحلة وأما كون هذا الحديث دليلا كافيا لتجويز لبس الاحمر فهو كاف مع قطع النظر عما ورد فيه أنواع من الخبر والاثر مما يدل على كراهة لبسه فى الحضر والسفر مع ان الحديث ليس فيه تصريح انه صلى الله تعالى عليه وسلم لبس الاحمر بل يدل على انه ما رأى أحدا من كان صاحب لمة ولابس حلة حمراء مع ان الحسن فى تلك الحالة على غاية من الصفاء فنفى أن يكون أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أى لبس كان أو على تقدير لابسه ثم على تسليم لبسه يحمل على بيان الجواز وان النهى وارد على سبيل الكراهة لا التحريم أو انه قضية واقعة يحتمل وقوعها قبل النهى مع انه قد يقال للثوب الذى فيه خطوط حمر كثيرة انه أحمر فتدبر فان الجمع بين

كثير كما هنا او كقوله * وفى عنق الحسناء يستحسن العقد * (ليس بمطهم ولا مكلثم) المطهم كما فى القاموس كمعظم السمين الفاحش والنحيف الجسم الدقيقة وهو من الاضداد والمنتفخ الوجه والمجتمعة مدوره وقليل لحم الوجه ومكلثم اسم مفعول من الكلثمة وهذه الصفة مروية عن على كرم الله وجهه فى سنن الترمذى والبيهقى باسناد غير متصل وسيأتى وعن عائشة رضى الله تعالى عنها وله معان منها ما تقدم ومنها كما فى الترمذى بادن كثير اللحم والمجاوز لونه السمرة الى السواد ويصح ارادة كل منها غير التدوير اذا فسر به المكلثم لئلا يتكرر واعادة لا مع العاطف تأبى كونه تأكيدا وأما معناه المذكور فى القاموس وهو البارع فى الجمال فلا يصح هنا نفيه وقد ثبت انه وسائر أعضائه فى غاية الكمال والجمال ومكلثم اسم مفعول مروى عن على وعائشة رضى الله تعالى عنهما مسندا وفسر بمدور الوجه مطلقا ومع كثرة اللحم والباقى الوجنة وقيل هو قصير الذقن وفى النهاية انه القصير الحنك الدانى الجبهة المستدير مع خفة اللحم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أسيل الوجه لا مستديره ولا ينافى هذا ما مر عن على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه من وصفه بانه مدور الوجه لان المنفى الاستدارة المفرطة المذمومة والمثبت خلافه كما صرحوا به الا أن فى شرح السنة ان الكلثمة لا تكون الا مع كثرة اللحم وكذا فى الصحاح والمراد غير المفرطة أيضا فهو من الاضداد والصفتان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا للعنق كما توهم وهو غلط فاحش هنا (متماسك البدن) وهذا مروى فى حديث هند رضى الله تعالى عنه كان بادنا متماسكا أى معتدل الخلق كان أعضاؤه يمسك بعضها بعضا لقوتها وعدم استرخائها وقال الغزالى لحمه متماسك على خلقه الاول لم يضره السن الذى من شانه أن يسترخى اللحم فيه بخلاف الشباب (ضرب اللحم) ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة بزنة المصدر أى قليل لحم البدن خفيفه لا الى حد الهزال وهو يتمدح به كما قال طرفة

أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه * خشاشا كرأس الحية المتوقد

وهذا معنى قولهم لحمه بين اللحمين لا ناحل ولا مطهم وذكر اللحم مع قول أهل اللغة الضرب الرجل الخفيف لبيان معناه لانه مشترك أو للتجريد وهذه الصفة فى حديث أم معبد رضى الله تعالى عنها وفى حديث رواه البيهقى وهى لا تنافى ما ورد فى حديث آخر من انه كان بادنا أى جسيما أو كثير اللحم لان القلة والكثرة والخفة ومقابلها أمور نسبية فحيث أثبتت أريد بها رتبة معتدلة وحيث نفيت أريد الافراط أو ان هذا كان فى أول عمره وكونه بادنا فى آخره لما فى الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كبر سنه كثر لحمه ولا خفاء انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن نحيفا قط ولا سمينا وقال التلمسانى معنى كونه بادنا كثير لحم البدن ولكنه لكونه متماسكا يقوى بعضه بعضا ويشده ويمسكه فهو خفيف بهذه النسبة (قال البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه) تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه الترمذى وصححه ورواه بتقديم أحسن الآتى (ما رأيت من ذى لمة فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم) من زائدة أو مبينة لمقدر أى أحدا واللمة بكسر اللام وتشديد الميم ما طال من شعر الرأس فى

احد جانبيه قال التلمسانى قيل هى الوفرة وقيل فرقها وقيل اذا ألم الشعر بالمنكب فهو لمة وقيل اذا
جاوز شحمة الاذن وقيل دون الجمة وقيل فوقها والجمة ما بلغ المنكبين انتهى وقد اختلف فى الفرق بين
هذه الثلاثة اللمة بالكسر والجمة بالضم والوفرة بالفتح فقيل اللمة ما جاوز من شعره شحمة الاذن وسميت
بها لالمامها بالمنكبين وان زادت فهى الجمة وهى ما سقط على المنكب كما فى شرح السنة والمراد بالمامها
بقربها كما فى المصابيح لوغ أولها وسقوطها ووقوعها متصلة بها منبسطا بعضها عليه قليلا وقيل تجاوزه
لما ورد فى الحديث من شعره يضرب منكبيه وفيه نظر وفى القاموس الوفرة ما سال على الاذن أو جاوز
الشحمة ثم الجمة ثم اللمة ووافق ما فى الجوهرى تارة وتارة قال اللمة ما جاوز الشحمة فاذا بلغ المنكب
فهو جمة فتوهم فيه السهو أو التناقض وهو محمول على ما فى شرح السنة وقيل يتعين حمل كلامهم على ان
فى الجمة لغتين أى معنيين ما سقط على المنكب وما لم يبلغه الى آخره فاقتصر بعضهم على احدهما والآخر على
الآخر وذكرهما الجوهرى وفى الشمائل جمته تضرب شحمة اذنيه فهى ثالثة من غير تناقض ومنهم من
أول الحديث بانه جمة قيل ور بما وصل لما ذكر بعده وهو بعيد [illegible] رسد يدا انتهى * أقول الجمة بمعنى
الكثرة الشعر ومنه الجم الغفير والوفرة من الوفور وهو الكثرة واللمة من الالمام وهو القرب أو النزول
ولا يخفى ان الكثرة والقرب ونحوهما أمور نسبية تتفاوت بحسب ما ينسب اليه فلا تعارض بين
معانيها بحسب الاصل والاشتقاق فلكل منها معنى يجوز استعماله فى المعانى المذكورة بحسب القرائن
فللمة ما ألم بالاذن أو بشحمتها أو بالمنكب بان تقرب منه أو تنزل عليه والكثرة اما فى نفسها أو بالنسبة
للمة فاذا لوحظ كل من هذه صحت المعانى فتدبر والحلة بضم الحاء المهملة وتشديد اللام كما فى القاموس
ازار ورداء برد او غيره ولا تكون حلة الا من ثوبين أو ثوب له بطانة انتهى فلا تكون ثوبا واحدا ولا ثوبا
ليس له بطانة كما قاله الخليل والثوب لا يختص بالمخيط بل يعمه وغيره وفى النهاية انها من برود اليمن
ولا تكون الا ثوبين من جنس واحد وتاؤها للوحدة الصورية كما يقال جنس واحد أو للاسمية وقال
التجانى فى الحديث دليل على ان الحلة قد تكون ثوبا واحدا يعنى لتاء الوحدة ووصفها بحمراء
واللغويون مطبقون على انها لا تطلق الا على ثوبين والحديث صحيح متفق على تخريجه ووهم
المصنف رحمه الله تعالى فى مشارقه فقال انما سميت بذلك لحلولها على الجسم أو على ثوب تحتها وهو
باطل لاقتضائه ان كل ملبوس يسمى حلة من أى نوع كان * أقول ما نقله من اشتراط كونها ثوبين
واتفاق أهل اللغة عليه قد نقلناه لك عن صاحب القاموس وعن الخليل ما يخالفه فاى اتفاق يصح
بعد هذا واما اعتراضه على المصنف رحمه الله تعالى فى وجه التسمية فليس بشئ لان وجه التسمية
مناسبة لحظها الواضع لا يلزم اطرادها ولا انعكاسها فهو وغفلة منه ثم اعلم ان الامام الشافعى رضى الله
تعالى عنه ومن وافقه استدل بهذا الحديث على جواز لبس الاحمر ولو كان قانيا كالمعصفر والمزعفر
ومن ذهب الى كراهتهما كراهة تحريم أجاب بان المراد انه كان فيه خطوط حمر وليس أحمر خالصا وبان
هذا منسوخ قال محمد رحمه الله تعالى فى شرح السير الكبير لبس الاحمر مكروه وفى حديث ابن عمر رضى
الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اياكم والحمرة فانها زى الشياطين وما روى من
حديث البراء بن عازب رضى الله عنه ما رأيت ذا لمة فى حلة حمراء الى آخره كان فى الابتداء ثم كره استعماله

الاحاديث المتعارضة هو المعتبر وقد قال أبو عبيد الحال برود اليمن ثم الدليل المبيح والمحرم اذا اجتمعا يقدم دليل المحظور ومع انه
يكفى فى دليل امتناعه التشبه بالنساء ولا شك ان تركه احوط فى حق الرجال العقلاء ومع وجود هذه الانواع من الاحتمال كيف يكفى
للاستدلال والله تعالى أعلم بالحال وأغرب الانطاكى الحنفى حيث قال فى حاشيته ٣٢٧ وفى هذا دليل على جواز لبس الاحمر
للرجال وادعى النووى
الاجماع على جواز لبسه
فى المهذب انتهى ولا يخفى
ان دعوى الاجماع
باطلة مع وجود مخالفة
الامام الاعظم فى المسئلة
وغيره من الائمة ولعله
أراد به الاتفاق فى مذهبه
والله تعالى أعلم بمقاله
ومشربه هذا وقد قال
المنجانى وقد اختلف
السلف الماضون فى
ذلك فكره بعضهم لبسها
هى والمصبوغة بالصفرة
وأجازهما قوم آخرون
وفرق بعضهم فى هذا
بين المشبع فى الصبغ
وغير المشبع فاجاز ما لم
يكن مشبعا وكره ما أشبع
صبغه ورأى آخرون ان
ما اتخذ من هذه الثياب
للمهنة جاز مطلقا وما اتخذ
للباس كره ودليل الاولين
ما ورد فى الحديث ان
رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم نهى ان
يتعصفر الرجل
أو يتزعفر وروى فى
الصحيح عن ابن عمر
قال رأى رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم
على ثوبين معصفرين
فقال ألقهما فانها ثياب الكفار وقال ابراهيم الخزاعى حدثتنى عجوز قالت كنت أرى عمر بن الخطاب رضى الله عنه
اذا رأى على الرجل الثوب المعصفر ضربه وقال دعوه هذه الثياب للنساء واما ما ذكره المنجانى من نسبة عدم الكراهة لابى حنيفة فغير
صحيح والله تعالى أعلم

للرجال بعد ذلك انتهى أو هو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وضرب عمر رضى الله تعالى عنه من لبس حلة معصفرة وقال دعوا هذه الثياب للنساء أو الكراهة تنزيهية وفعله للجواز وسئل الشيخ قاسم ابن قطلو بغا عن لبس الاحمر الذى فيه النزاع وهو الاحمر الصرف هل هو مكروه أم لا فاجاب بانه مكروه كراهة تحريم للاحاديث الواردة فى النهى عنه ثم أورد كلام محمد فى السير وانه كرهه بعد ذلك لما فى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن لبس المعصفر وانما لبسه الشعبى رحمه الله تعالى فرارا من القضاء لما كلفوه مرارا فلبس المعصفر ولعب بالشطرنج وخرج مع الصبيان لينظر الفيل فتركوه واذا ورد ما يقتضى الاباحة وما يقتضى التحريم فالثانى ناسخ نسخا اجتهاديا كما يشير اليه كلام السير وما ذكر عن الشعبى جواب عما يقال لو كان النسخ مشهورا ما لبسه الشعبى وقال بعض المتأخرين حديث البراء ليس من محل النزاع لان الحلة برود اليمن المخططة انتهى وفيما قاله الشيخ نظر لان النهى عن المعصفر العملى الذى شاع فى عهد النبوة لبس النساء له لا يستلزم النهى عن الاحمر المنسوج كذلك وفرار الشعبى عن القضاء لا يبيح له الحرام وقوله حلة حمراء فى حديث البراء يابى كونها مخططة فالحق ان الكراهة تنزيهية ولذا قال النووى فى شرح المهذب لبس الاحمر جائز بالاجماع أى مع الكراهة التنزيهية وان قال بعض أصحابنا من المالكية بجوازه أى من غير كراهة وقول بعض الحنفية بالكراهة لا ينافى الجواز ومراد النووى الاجماع المذهبى وما ذكره الشيخ قاسم من النسخ بالاجتهاد محل بحث فليحرر (وقال أبو هريرة) تقدم الكلام فيه وانه غير منصرف (ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا أبلغ من الحديث الذى قبله لانه فضله فى لباس مخصوص وخصه لانه يظهر فيه النور والحسن أكثر من غيره وقال فى هذا ما رأيت شيأ أى من الناس أو غيرهم مطلقا (كأن الشمس تجرى فى وجهه) كأن بالتشديد فى الرواية هنا وان جاز تخفيفها وهى اداة تشبيه وترد للظن والتشكيك وهو مبنى على التشبيه والشمس منصوب اسمها وجملة تجرى خبرها وجريان الشمس حركتها الفلكية كما قال عز وجل والشمس تجرى لمستقر لها فقيل شبه لمعان وجهه تارة بالشمس وتارة بجريان الشمس الان المنتقل لمعانه فالمناسب ان يقال كأن نور الشمس أو يراد بالشمس نورها فالاوجه انه شبهه بنورها وجريانه لكنه لما كان بتبعيتها حكم بانها تجرى وهو دقيق بليغ أو شبه محل اللمعان بقرصها وتغيره تارة وتارة بجريان القرص وفيه بعد وقال الطيبى رحمه الله تعالى يجوز تعلق الخبر بمستقر فهو من تناسب التشبيه وجعل الوجه مقر الشمس فكأنه جعل تجرى حالا وكان للظن والادعاء أو فعلا ناقصا وهو بعيد انتهى وقيل المعنى ان الشمس الجارية فى فلكها شبهه بما يجرى فى وجهه من عرق ونحوه ففى وجهه ما هو شبيه بالشمس ولذلك الشبيه ما هو شبيه بذلك الجريان من التلألؤ والانبساط ففيها مشبه ومشبه به وصفة هى للمشبه ظاهرا وللمشبه به حقيقة على أسلوب كأنى قائل أى أنا كالرجل القائل فقول اسناد الجريان وفيه وشبهان مطويان على سنن الاستعارة وهما ما فى وجهه من التشبيه بالشمس والتشبيه بذلك الجريان كما فى قوله تعالى وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه على ما فصل فى شرح المفتاح أقول هذا كله تكلف وتعسف لا طائل تحته وبيانه ان مراده المبالغة فى وصف وجهه الشريف بالنور كما أشار اليه بقوله (واذا ضحك يتلألأ فى الجدر) فشبه وجهه الشريف بالشمس فى الاشراق والنور ثم عكس التشبيه ليكون أبلغ فقال كأن الشمس وجهه ثم زاد فى المبالغة على طريقة التجريد فانتزع منه شمسا جعلها فى وجهه كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد وأقحم تجرى على انه حال وأصله كأن وجهه الشمس ثم كأن الشمس وجهه ثم كأن الشمس فى وجهه وانما قيدها بكونها جارية اما لان المراد ظاهرة سائرة على

(وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والمساواة منفية أيضا بالمشاهدة العرفية (كأن الشمس تجرى فى وجهه) ان يتوهج كتوهج الشمس لحسنه وصفائه وبهاء ضيائه وقال التلمسانى وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هبط على جبريل فقال يا محمد ان الله تعالى يقول كسوت حسن يوسف من نور الكرسى وكسوت نور وجهك من نور عرشى (واذا ضحك يتلألأ) بهمزتين أى تلمع ثناياه كاللآلى (فى الجدر) بضمتين جمع الجدار وهو حائط الدار رواه أحمد والترمذى وابن حبان

(وقال جابر بن سمرة) رضى الله عنه كما رواه الشيخان وغيرهما (وقال) أى والحال انه قال (له رجل كان) وفى رواية أكان (وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل السيف فقال) أى جابر (لا) أى لقصور ضيائه واحتمال فناء صفائه ولتوهم طول بنائه (بل مثل الشمس والقمر) أى بل كان نظيرهما لاشتمالهما على كمال النور وعلى نوع من الاستدارة فى مقام الظهور ولذا قال تصريحا بما قدمه تلويحا

وجه الارض أولان تلألؤ النور فى وجهه كتحركها وهو أقوى فى التشبيه وهذا هو الذى عناه وأما تناسى التشبيه فراده به تشبيه وجهه بالشمس لان منطوقه تشبيه الاستقرار أو الجريان لما عرفته لكنه تسامح فى العبارة وأما ما سنح له الشراح فلا وجه له ومن الغريب هنا قول التلمسانى ان معنى تجرى فى وجهه يتوهج كتوهج الشمس وأشار الى ظهور الامران كراهة أو اصابة كرب فى وجهه كظهور ذلك فى الشمس من سحاب أو غيره ومنه قوله فى الحديث فرأيت نور وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم ظللا وهى جمع ظلة انتهى والتلألؤ اللمعان والاضاءة وجدر بضمتين جمع جدار وهو الحائط والناس تستعمله بمعنى الاساس وأما الجدر بفتح فسكون فهو الحاجز الذى يحبس الماء كما سيأتى فى حديث الزبير رضى الله تعالى عنه (اسق يا زبير حتى يبلغ الجدر) وليس مفردا بمعنى الجدار كما توهم وهذا رواه أحمد والترمذى وابن حبان والجمع على ظاهره من غير حاجة الى جعل التعدد باعتبار الاوقات أى نور وجهه الشريف يشرق اشراقا يصل الى الجدران المقابلة له كما يكون ذلك من الشمس والقمر وقيل انه من نور يخرج من بين ثناياه وفمه اذا افتر وتبسم وروى ابن كثير عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه يكاد يتلألأ فى الجدر فتفاوته بحسب الاوقات أو بحسب خفة ضحكه وشدته أو ما هنا محمول على المبالغة على تقدير يكاد (وقال جابر بن سمرة) الذى مر ذكره وهذا مما رواه الشيخان عنه (وقال له رجل) جملة حالية بتقدير قد أو معطوفة على ما قبلها وفى الشمائل سأل رجل البراء بن عازب (كان وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل السيف) بتقدير الاستفهام كما ورد مصرحا به فى الشمائل ويجوز عدم التقدير هنا والظاهر الاول وتشبيهه به فى البريق واللمعان لا مطلقا ولا فى الطول كما توهم وروى البيهقى أكان وجهه حديدا كالسيف ولا يظهر وصفه بالحدة وان أريد بحدته نفاذ أمره وامضاؤه فى الدين وقصد الخير كما فى النهاية فلا وجه لتخصيصه بالوجه وكذا التعميم ولذا رده جابر (فقال لا) قيل قال تأكيدا لقال الاولى وعطفه لجواز عطف المؤكد على المؤكد بالفاء وثم كما قال الله تعالى كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وانكار أهل المعانى غريب أو هو لتفصيل ما قبله أو انه لم يقصد الجواب ووقع فى مسلم بدون عاطف ورده بلا اما لايهامه الطول ومخالفته فى اللون أو لان لمعانه أقوى والمشبه ينقص عن المشبه به كما قال

ظلمناك فى تشبيه صدغك بالمسك * فمن عادة التشبيه نقصان ما يحكى

(بل مثل الشمس والقمر) شبهه بشيئين والمشبه به قد يتعدد فيعطف بأو كقول البحترى المتقدم

كأنما تبسم عن لؤلؤ * منضد أو برد أو اقاح

وبالواو كقول أخرى المتقدم أيضا

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

فلا وجه لقول السيد اللائق ان يقول الشمس أو القمر أو الواو بمعنى بل والشمس يمتنع استيفاء الحظ من رؤيتها فاللائق القمر وما فى الوفاء من انه لم يقم مع الشمس قط الا غلب ضوؤه ضوءها لا ينافى التشبيه بها لانها أعرف وأشهر وقال التلمسانى انه أضرب عن تشبيهه بالسيف لعدم مناسبته وانما يشبه به نفس الانسان فى نفاذ أمره وشدته كما قال

وكالسيف ان لاينته لان متنه * وحداه ان خاشنته خشنان

قال ويقال لابل ولابن ونابل انتهى وهو غريب وفى شرح الشمائل لابن حجر الشمس يشبه بها غالبا فى الاشراق والضياء والرفعة والقمر يشبه به فى الملاحة والحسن فبين جمع وجهه للمعنيين مع نوع استدارة وطول وفى حديث كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وفى رواية فلقة قمر وفى رواية للطبرى التفت الينا كأن وجهه شقة القمر وانما أرادوا تشبيه بعض وجهه لان السرور كان يبدو فى جبهته فشبه بعضه ببعضه وبهذا اندفع

ماقيل ان وجهه الاحتراز عما في القمر من السواد فشبهه ببعضه الخالي منه انتهى (وكان) وجهه الشريف (مستديرا) فيه استدارة كما مر وهذا مؤكد للتشبيه لا لعدم المشابهة التامة أي هو أحسن منه وأضوأ الاستدارته دونه وهذا الاوجه له لان استدارته وكريته كسائر الاجرام العلوية مبرهن عليه في الهيئة وقيل التشبيه بالنيرين انما يتبادر منه الضوء والملاحة فبين الاستدارة ليكون التشبيه فيها أيضا (وقالت أم معبد) وهي كما تقدم عاتكة بنت خالد الصحابية رضي الله تعالى عنها التي كانت نازلة بخباء في طريق المدينة وقد نزل عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هجرته لما خرج من غار ثور وقصتها معه مشهورة مروية من طرق عديدة تعضدها وتصححها وكان زوجها غائبا فلما أتاها أخبرته به فاستوصفها اياه فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه نحله ولم تزر به صقله وسيم قسيم في عينيه دعج وفي اشفاره عطف وفي صوته صحل وفي عنقه سطع وفي لحيته كثاثة أقرن ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سماه وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب الى آخر ما قالته في نعته من كلام بليغ مشروح في السير منه (في بعض ما وصفته به) أي في بعض كلام وصفته به من رواية البيهقي في دلائله عن أخيها حبيش بن خالد عنها وأقحم لفظ بعض اشارة الى انه كلام طويل مشتمل على وصفه وغيره من قصة الشاة وغيرها وما نقله المصنف رحمه الله تعالى بعض الصفة لا كلها واضافة بعض لامية من اضافة البعض للجزء لا بيانية كما توهم * أقول تفصيله كما في شرح الكتاب لابن غالب تلميذ الشلوبين ان النحاة اختلفوا في اضافة بعض القوم فقال ابن خروف لا يمتنع بعض من القوم وجزء من الشيء فهو على معنى من ولا يكون ذلك في كل فقد يكون للشيء حكم لا يكون لمقابله ويجوز في بعض المال بعض للمال ويراد به أما الباقي منه فيتصف هذا بانه بعض له كان مضافا له والاضافة تتحقق بادنى ملابسة وقد يراد به بعض للكل المتحقق وقال السهيلي البعض في مقابلة الكل واضافة كل على معنى اللام فيجب ذلك في بعض مقابلها وأيضا فالاضافة على معنى من انما تكون فيما يكون جنسا للاول يصدق عليه كخاتم حديد وليس بعض الدرهم درهما ولا بعض زيد زيدا وهذا فيه تفصيل وهو انك اذا أضفت البعض لجنسه كبعض الحديد وبعض الطعام واذا أضفته لذي صورة له اسم كزيد كان له حكمه انتهى (أجمل الناس من بعيد) الظاهر انه صفة رجلا في قوله رأيت رجلا كما سمعته آنفا ويجوز رفعه على القطع والمدح والجار والمجرور حال من ضمير أجمل أي مشاهدا من بعيد والجمال البهاء والحسن والذي في الرواية السابقة أجمل الناس وابهاه فالمصنف اما ان يكون أسقطه منه لكونهما بمعنى أو ظفر برواية فيها هكذا وكون الاطناب في المدح محمودا سهل والناس اسم جمع أو جمع نادر وأصله أناس كما فصله شراح الكشاف وجعل الجمال من بعيد لانه يحقق الناظر النظر فيه لمهابته بحيث لا يطيل النظر له من قرب منه الا من يكون صغير السن كابن أبي هاله أو من محارمه أو من الاعراب الجفاة واذا فعل ذلك أدرك فوق الجمال مرتبة أخرى كما قال

يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا

والى ذلك أشار بقوله (وأحلاه وأحسنه من قريب) وفي نسخة وأحسنهم والعرب تفرد الضمير في مثل هذا حملا على لفظه أو على الجنس كانه قال وابهى هذا الجنس وكذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده الحديث أي خير هذا الجنس لان الناس والنساء من أسماء الاجناس وفي النهاية انما وحد الضمير ههنا ذهابا الى المعنى وان التقدير أحسن من وجد ومن هناك كذا قرره بعض الشراح أقول تحقيق هذه المسئلة ان العرب تقول أحسن الفتيان وأجمله بافراد الضمير بمعنى أحسن فتى وفي التسهيل انه ليسد واحد مسدهم ومثله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه لان الانعام تسد مسد النعم قاله ابن مالك في شرح التسهيل وقال أبو حيان رحمه الله تعالى مذهب الفارسي ان افراد الضمير لانهم يقولون

(وكان) أي وجهه (مستديرا) أي لا مستطيلا فلا ينافي ميلانه الى الطول (وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به) اى من رواية البيهقي في دلائله عن أخيها حبيش ابن خالد عنها (أجمل الناس) أي أتمهم جمالا وحسنا صوريا (من بعيد وأحلاه) أي أحلى الناس وأفرد لانه اسم جنس فروعي لفظه دون معناه وكذا قوله (وأحسنه من قريب) أي تبين حلاوة ملاحته وطراوة فصاحته

تارة هو أحسن فتى فيفردون وتارة أحسن الفتيان فيجمعون فتوهموا ذلك في حالة الجمع فافردوه والذي يدل عليه كلام سيبويه رحمه الله تعالى انه أفرد كما أفرد ضربني وضربت قومك على معنى من ذكر وهو الصحيح ويدل عليه الحديث السابق فلو كان على ما يقوله الفارسي قال أحناها وقد يعود الضمير على الاثنين والاناث مع أفعل مفردا كقوله

ومية أحسن الثقلين جيدا * وسالفة وأحسنه قذالا

وقوله

شربوا منها وأغواهلها * ركبت عنزبحدج جملا

وضمير الاناث السابق ويكون ذلك دون أفعل قليلا وفيه كلام حققناه في غير هذا المحل قال التلمساني وهو مقيس عند ابن مالك وسماع عند سيبويه وافراده لارادة عام لا لانه اسم جنس كما توهم وأحلى من قولهم حلى بعينه وقلبه اذا أعجبه واستحسنه فعطف أحسنه عليه عطف تفسير والحاصل ان الصورة الاجمالية المشاهدة أجمل من غيرها وكذلك التفصيلية المشاهدة من قريب وكثيرا ما يتفاوت البعد والقرب اذا دقق النظر (وفي حديث ابن أبي هالة) الآتي وتقدمت ترجمته (يتلألأ) يضيء ويشرق (وجهه تلألؤ القمر) منصوب على المصدرية أي مثل تلألؤ (ليلة البدر) أي عند تمامه وتمامه هو أنور ما يكون وأحسنه وقالوا يسمى ليلة طلوعه والثانية والثالثة هلالا ثم يسمى قمرا الى ثلاثة عشر ثم يستوي ليلة ثلاث عشر فتسمى تلك الليلة ليلة السواء ثم يليها الليلة البدر لانه اذا بدرت الشمس للغروب بادرها بالطلوع وقابلها وقيل من البدرة وهي ألف دينار لتمام عدده ثم يسمى ليلة النصف قمرا ويسمى زبرقانا (وقال علي) ابن أبي طالب كرم الله وجهه كما رواه الترمذي والبيهقي عن محمد ابن الحنفية في حديث مرسل ضعيف (في آخر وصفه له صلى الله عليه وسلم) أي في حديث طويل في صفته وحليته آخر ما قاله المصنف رحمه الله تعالى وليس المراد انه آخر مجلس وغيره مما تمحله بعضهم (من رآه بديهة) أي فجاءة وبغتة قبل مخالطته ومعرفته حاله وخلقه ويقال لكل ما يفعل عجلة من غير تأمل بديهة كما قال المعري ان الطعان بداية الفرسان * وفي كتاب البدائع البداية البديهة مشتقة من بداه كما يقال مدح ومده وأصله في الكلام وغلب في الشعر من غير روية وتفكر والارتجال أسرع من البديهة (هابه) أي خافه وقدره تعد من يقوم بين يديه وفي النهاية هابه عظمه ووقره فالمعنى ان من رآه ابتداء وقره ولو كان من أعدائه فاذا تدبر كماله وحلمه أحبه ومن أحبه عظمه فالتوقير لازم له على كل حال والمحبة بعد المخالطة كما قال (ومن خالطه) أي مازجه وصاحبه ويلزمه معرفته فلذا قال (معرفة) وهو حال أي ذا معرفة أو مفعول مطلق أي مخالطة معرفة أو لاجل المعرفة لا لاجل النفاق والعداوة والانتقاد لما يراه من لين جانبه وحلمه وكرمه وشفقته على جميع عباد الله (أحبه) لظهور محاسنه التي توجب محبته ولان الله تعالى سخر القلوب لمحبته واذا أحب الله تعالى بعض عباده ألقى عليه محبة الناس ولا يحتاج الى أن يقال انه ربما كان يتصرف منه معجزة كما روى انه عليه الصلاة والسلام وضع يده على صدر رجل فارغها حتى صار أحب الناس عليه بعدما كان أبغضهم عنده وفي رواية من خالطه فعرفه وهي قريبة من رواية المصنف رحمه الله تعالى بلا تعنت (يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله) كلام مستأنف فصله لاستقلاله وناعته واصفه أي كل من يريد وصفه من شأنه نعت ما يراه والنعت يغلب في الوصف الحسن وقال الطيبي رحمه الله تعالى أي ناعته يقول ذلك عند العجز عن وصفه ولا تكلف فيه كما توهم والرؤية بصرية أو علمية والمثل المساوي والمشابه ونفي المماثلة المطلقة مبالغة والمراد مثله في حسنه وكماله ونفي المثل يقتضي نفي من يفوقه بالطريق أولى ولان كل فائق مثل وزيادة فيلزم من نفيه نفيه كما يراد بنفي الافضلية اثبات الافضلية كما مر وقول بعضهم كل من شأنه النعت هذا يقتضي انه لا مثل له حقيقة والا لم يكن من شأن من رآه نعته

خص به لانه زمان كماله وسمي بالبدر لمبادرته الشمس للغروب ليلة تمامه ومبادرتها اياه للطلوع في صباحه (وقال علي رضي الله تعالى عنه) على ما في جامع الترمذي وشمائله (في آخر وصفه) أي نعت علي رضي الله عنه له صلى الله تعالى عليه وسلم (من رآه بديهة) أي مفاجاة من غير روية كناية عن أول الوهلة (هابه) أي خافه مخافة العظمة ووقع في قلبه منه المهابة (ومن خالطه معرفة) أي من حيث عرف ما كان عليه من حسن العشرة ودوام البشاشة فنصبها على التمييز وأبعد التلمساني في جعلها مفعولا له أو حالا (أحبه يقول ناعته) أي واصفه (لم أر) أحدا من الناس (قبله ولا بعده مثله صلى الله تعالى عليه وسلم) لكرم شمائله وشرف فضائله والمراد من قوله قبله أي قبل وجوده ولا بعده استيفاء زمانه والا فعلي كرم الله وجهه أصغر سنا منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا اذا كانت الرؤية بصرية وأما اذا كانت علمية فلا اشكال والله أعلم بالحال

(والاحاديث فى بسط صفته) أى تفصيل نعوته (مشهورة) أى عند المحدثين (كثيرة) أى عند المؤرخين (فلا نطيل) أى الكتاب (بسردها) أى بذكرها متصلة مفصلة ٣٤٢ فى الابواب (وقد اختصرنا) أى أوردنا على وجه الاختصار (فى وصفه نكت) وفى نسخة على نكت (ماجاء فيها) بضم النون وفتح الكاف جمع نكتة أى لطائف ودقائق ماورد فى تلك الاحاديث (وجملة) أى وأوردنا جملة مجملة (مما فيه الكفاية) ومن بيانية أو تبعيضية (فى القصد الى المطلوب) أى من وصف المحبوب (وختمنا هذه الفصول) أى الكافلة باعتبار كل فصل بابراز ماورد فى وصفه وفضله (بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك ان شاء الله تعالى)

(فصل)

(وأما نظافة جسمه) أى لطافة بدنه (وطيب ريحه) أى الخارج منه (وعرقه) أى وطيب عرقه وهو بفتحتين رطوبة تلحق الانسان بسبب حرارة أو غيرها (ونزاهته) أى تباعده وبراءته (عن الاقذار) بالذال المعجمة أى الاوساخ والادناس الحسية والمعنوية بل كما قيل عن الانجاس الحقيقية (وعورات الجسد) أى ونزاهته عن عيوب توجد فى أجساد الناس مما يشين الانسان والعورة بسكون الواو ويحرك مأخوذة من العار الذى يلحق الذم بسببه كنقص فيه وخلل فى عضو منه (فكان قد خصه الله فى ذلك) أى ماذكر (بخصائص لم توجد فى غيره) الجملة صفة كاشفة لما قبلها

بذلك كما لا يخفى (والاحاديث) الواردة (فى بسط صفته) فالجار والمجرور صفة بلا تكلف بتقدير الكائنة أو كائنة على أنه حال من المبتدأ أو من فاعل الخبر وفى الظرفية كلام مر والبسط التطويل (مشهورة كثيرة) شهرة لغوية أو عرفية أو اصطلاحية وفى كلام بعضهم وليس المراد بالشهرة مصطلح أهل الاثر فانه غير صحيح بل الشهرة العرفية انتهى وما اشتهر تغنى شهرته عن ذكره فلذا قال (فلا نطول) الكتاب والكلام (بسردها) سرد الشئ تعداده متواليا متتابعا مفصلا من سرد الدرع نسج حلقه (وقد اختصرنا) أى أوردنا مختصرا غير مطول (فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم نكت ماجاء فيها) أى فى تلك الاحاديث والنكت اللطائف والدقائق الخفية من النكت فى الارض كما مر أو المعانى اللطيفة التى تتأثر منها النفس لحسنها (وجملة) بضم فسكون أى مقدارا مجموعا (مما فيه الكفاية) من بيانية أى جملة هى الكفاية أى الكافية أو تبعيضية أى جملة هى بعض الكافى وقيل المراد من جملة أمور يكفى كل منها الا انها جزء الكافى لانه مع مافيه ينافيه التقييد بالمشيئة الآتى فتدبر (فى القصد الى المطلوب) من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم متعلق بالكفاية والقصد الوصول الى ماطلبه فى هذا المقام من بيان كماله وجماله وحسن جملته وتفصيله من قصد السهم أصاب مرماه أو المراد به الاتيان يقال قصدله واليه اذا أتى أو المراد الاعتدال والتوسط بين الاختصار والتطويل فيما يفضى الى الغرض المطلوب وقوله (ان شاء الله تعالى) وقع فى بعض النسخ هنا وليس فى أصلنا وهو للتبرك والتيمن أو تعليق للقصد والكفاية (وقد ختمنا) جملة معطوفة على ماقبلها ويجوز أن يكون حالا ولا وجه لجعل الماضى بمعنى المضارع استعارة لتحقق وقوعه بابرازه فى صورة الحاصل تفاؤلا أو اظهار الرغبة فيه أو جعل مضيه باعتبار عزمه أو كونه فى المسودة لما فيه من المقارنة العرفية فتدبر (هذه الفصول) المراد بالفصول فصول هذا الباب (بحديث جامع لذلك) أى لصفات حليته المنتشرة فى الاحاديث المشتملة على أكثر أنواعها وأصنافها وان فاته شئ من أفرادها فلا تكلف فى الجامعية كما توهم وهذا الحديث وان لم يكن آخرها بحسب الظاهر لا يضر لان مابعده كالتتمة والخاتمة للمقصود منه وهذه زهرة لا تحتمل الفرك (تقف عليه هنالك) وروى هناك وهما للمكان وقد يكونان فى آخر الباب أو فى زمان الوصول اليه والاول للبعيد والثانى للمتوسط والبعد والتوسط بالاضافة لامر آخر دائر على الاعتبار فلا منافاة بينهما (ان شاء الله تعالى) قيد للوقوف لتوقفه على المشيئة وقول المصنف قبل هذا وقول على ونحوه تعليق وهو حذف أول السند وقد يسمى مثله معضلا فان اعتقد أن لقائله صحبة فلا كلام فيه والا فينبغى ايراده بصيغة التمريض والكلام على هذا مفصل فى كتب ابن الصلاح وغيرها

(فصل) هو رابع الفصول السابق ذكرها (وأما نظافة جسمه) عطف على قوله أما الصورة الى آخره فى الفصل الذى قبله أى تفاوته من نظف بالضم ضد قذر (وطيب ريحه) المراد بالريح هنا الرائحة التى تدرك بالشم وروى رائحته وهما بمعنى (وعرقه) بفتحتين وهو مايترشح من البدن وقد يستعار لغيره كماء الورد المستقطر منه (ونزاهته عن الاقذار) أى بعده وخلوه منها وتنزهه عنها والضمائر للجسم أو لصاحبه المعلوم التزاما والاقذار جمع قذر والقذر والقذارة ضد النظافة وهو مؤكد لما قبله وكالتفسير له (وعورات الجسد) أى البدن وعورات بسكون الواو وقد تحرك وبه قرئ جمع عورة وهو كل مايوجب خللا فيه أو يستر ويستحيى منه مما يشين وينقص ولذا قيل انها مشتقة من العار الذى يذم بسببه يقال عورات الجسد والكلام (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم) الفاء تفصيلية (قد خصه الله تعالى) وفضله وميزه عمن سواه (فى ذلك) المذكور (بخصائص) أى فضائل لا توجد فى غيره كما أشار اليه بقوله (لم توجد فى غيره) من الامم أصلا أو لم توجد فى الاكثر وهذه صفة مخصصة أو مبينة مؤكدة

(ثم

(ثم تممها سبحانه) تنزيه الله تعالى المنزه له واقع فى نحوه والضمير للخصائص (بنظافة الشرع) متعلق بتممها أى تمم ما فطر عليه من ذلك وما خصه به مما شرعه له من النظافة الدينية كالوضوء واضافة النظافة الدينية كالوضوء واضافة النظافة للشرع لابتهاله وكونها بسببه فهى لامية قيل المراد أنه جعل بعضا منها فى جبلته بحصوله فيها أو باقتضاء طبعه وعقله مما لم يعطا غيره ثم أمره بما لم تكن كذلك كالطهارات ووفقه لاتباعه على أكمل الوجوه فاتصف بالنظافة الكاملة سواء كان الشرع شرعه أو شرع من قبله ان قلنا باتباعه له مع أنه صار شرعا له وأما ما نسخ فقد زال فما قيل من ان هذا انما يستقيم ان لم يكن متعبدا بشرع من قبله أو المراد بالنظافة عدم الاصر والاغلال تكلف من غير داع وبالجملة فشرعه صلى الله عليه وسلم شامل لكل ما ينبغى على الوجه الاكمل (وخصال الفطرة العشر) من عطف الخاص على العام والفطرة أصل معناها فى اللغة الطبيعة والجبلة التى خلق عليها مركوزة فيه من فطر بمعنى خلق ومنه فاطر السموات والارض وأصل معنى الفطر الشق كما قاله الراغب وفسرها المحدثون هنا بالسنة واعترض عليهم ابن الصلاح بانه لا يناسب المعنى اللغوى ووجه ذلك بعضهم بان مرادهم ان فى الكلام مضافا مقدرا أى سنة الفطرة بمعنى الصفة الناشئة عن الفطرة السليمة ورد بانه وقع تفسيرها بها فى صحيح البخارى والقول ما قالت حزام فلا عبرة بمن أنكره من اللغويين كصاحب المغرب أقول السنة الطريقة المألوفة المعتادة والانسان لاسيما الانبياء عليهم الصلاة والسلام انما يألفون ما تقتضيه فطرتهم السليمة المبنية على النظافة والنزاهة وما يعتاد مما تقتضيه الطبيعة ملحق بها فلا بعد فى تسميته باسمها كما قالوا العادة طبيعة ثانية فالقول بانه لا مناسبة بينهما غير صحيح والجواب المذكور اقناعى لا يجدى نفعا وللسيد هنا كلام لا محصل له رأينا تركه خيرا من ذكره ورده وأول من سن هذه السنن ابراهيم الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم وكونها عشرا رواه مسلم فى حديث مرفوع عشر من الفطرة قص الشارب واعفا اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب نسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة وروى أبو داود المضمضة والختان بدل من اعفاء اللحية وقال المصنف رحمه الله تعالى المنسى الختان وروى أيضا فى الحديث الصحيح خمس من الفطرة فالحصر غير مقصود وان السنن كانت تزيد شيأ فشيأ وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) انه أمره بعشر خصال ثم عدهن كما مر وأشار بقوله من الفطرة الى انها غير منحصرة فيما ذكر وهذه كلها ظاهرة والسنة المراد بها الطريقة كما مر فيشمل السنة والواجب والختان سنة عند الاكثر فى حق الرجال وهو قطع جلدة الكمرة وفى حق النساء مكرمة ويسمى خفاضا بكسر الخاء المعجمة والفاء والضاد المعجمة وهو قطع جلدة فى أعلى الفرج على ثقب البول وقطع أدنى شئ منه كاف واستحسن مالك رحمه الله تعالى ختان الصبى من سبع الى عشر وكرهه فى اليوم السابع لانه عادة اليهود ولم يعين له أبو حنيفة رحمه الله زمانا وقص الشارب سنة وقيل حلقه أحسن وتقصير اللحية حسن كما مر وهيئته تحصل بقص ما زاد على القبضة ويؤخذ من طولها أيضا على ما يأتى وأما حلقها

(ثم تممها) أى كمل تلك الخصائص الحسية (بنظافة الشرع) أى بلطائف الآداب الشرعية والخصائص المعنوية التى من جملتها قوله (وخصال الفطرة) وهى أصل الخلقة فان الله تعالى خلق عباده قابلين للحق حتى لو خلوا وما خلقوا عليه لاهتدوا به كما ورد حديث كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه الحديث وقال تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وقال أبو بكر بن العربى هى عبارة عن أصل الخلقة فان الانسان يخلق سليما من عشرة أقذار ثم تطرأ عليه ثم أمر بالتنظيف منها أو المراد بالفطرة هى الاسلام والمذكورة فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر من الفطرة ولذلك أتى بالالف واللام للعهود علما كقوله تعالى اذ هما فى الغار وان لم يتقدم لها ذكر فقد علم ضرورة فالمعنى خصال دينية (العشر) أى خصوصا لما فى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب ابن شيبة راويه ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة وقال وكيع انتقاص الماء يعنى الاستنجاء وروى أبو داود نحوه الا أنه قال بدل انتقاص انتضاح وفى رواية انتفاض بفاء وضاد معجمة وكلها كناية عن الاستنجاء هذا وحلق اللحية منهى عنه وأما اذا طالت زيادة على القبضة فله أخذها هذا وقال المؤلف فى شرح مسلم ولعل العاشرة الختان لانه مذكور فى قوله عليه الصلاة والسلام الفطرة خمس أو خمس أو خمس من الفطرة قلت فاذن تعد المضمضة والاستنشاق خصلة واحدة لاتحاد حكمها والله تعالى أعلم

فنهى عنه لانه عادة المشركين واما السواك فسنة مطلقا وقيل انه سنة في الوضوء وقيل هو سنة للرجال
دون النساء لضعف أسنانهن فاقيم العلك لهن مقامه ولذا كره للرجال الا في الخلوة لعذر واما المضمضة
والاستنشاق من سنن الوضوء وانتقاص الماء هو الاستنجاء ويكون واجبا وسنة كما بينه الفقهاء وهو
بالفاء والمهملة أو المعجمة والمذكور في اللغة انه بالقاف والمهملة وامابالفاء فنضحه على الذكر وقد ورد
الاستنقاض بقاف ومعجمة بمعنى الاستنجاء قال في المغرب والقاف والصاد غير المعجمة تصحيف وفيه
ان رواية القاف هي المشهورة وقال الصاغاني انتفاص الماء بالفاء والمهملة رشه على الذكر وقيل
الانتقاص بالقاف تصحيف وأشعر بان ما في المغرب تصحيف وقص الاظفار وتقليمها سنة ورد النهي
عنه في يوم الاربعاء وانه يورث البرص وحكى عن بعض العلماء انه فعله فنهى عنه فقال لم يثبت هذا
فلحقه البرص من ساعته فرأى النبي عليه السلام في منامه فشكى اليه ما أصابه فقال له ألم تسمع نهيي عنه
فقال لم يصح عندي فقال يكفيك انك سمعت ثم مسح بدنه بيده الشريفة فذهب ما به فتاب عن مخالفة
ما سمع وغسل البراجم ازالة الوسخ بالماء والبراجم عقد الاصابع من ظهر الكف والرواجب عقدها
من بطنها وهما بالجيم والموحدة وقال التجاني البراجم مفاصل الاصابع فعمم ونتف شعر الابط معلوم
ولا باس بحلقه وحلق العانة وهي ما حول الذكر والفرج واذا قص أظفاره وحلق شعر ابطه وعانته أو
حجم أو افتصد فينبغي دفن ظفره وشعره لحديث ادفنوا الاظفار والشعر والدم فانه سنة فان القاه فلا
باس به ولا يترك السبال وان طال وفي الاحياء اختلاف السلف فيما طال من اللحية فقيل يقص ما تحت
القبضة وكرهه الحسن وقتادة لحديث اعفوا اللحى أي اتركوها على حالها وأصل خلقتها ورجحه
النووي وما ورد من انه عليه السلام كان ياخذ من طول لحيته وعرضها ضعيف لا يحتج به وان احتج به
بعضهم فهو مكروه واما المرأة اذا نبتت لها لحية وشارب وعنفقة فيستحب حلقها وقيل لا ينبغي تغيير
خلقتها * أقول انه صح في لفظ الانتقاص في الحديث ثلاث روايات الاولى انتفاض بفاء وضاد معجمة
والثانية انتفاص بفاء وصاد مهملة والثالثة انتقاض بقاف وضاد معجمة ومعناه الاستنجاء أو رش
الفرج بالماء دفعا للوسواس وروى انتضاح فلا وجه لما في المغرب وتفصيله في شرح الحديث واما تقليم
الاظفار وكيفيته وتفصيله فقد أفرده السيوطي رحمه الله تعالى بالتاليف فلا حاجة للتطويل بذكره
كما في بعض الشروح ويكره ترك العانة والاظفار أكثر من أربعين يوما (وقال) ان كان معطوفا على تمم
فالمعنى قال الله لرسوله وان كان مستانفا أو حالا بتقدير قد فالمعنى قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ويؤيده انه وقع في نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم بنى الدين على النظافة) النظافة مصدر نظف وهي
ضد الدنس وفي قوله بنى الدين استعارة مكنية وتخييلية بتشبيه الدين ببيت قائم على أعمدة أو أساس
حفظه لاهله وقيل انه تشبيه مضمر أو منوي الاداة والمراد النظافة الحسية من الحدث والخبث
والدنس والمعنوية كالعقائد الفاسدة والاخلاق الرديئة والتهاون بالعبادة والمراد انه مما بنى عليه فلا
يعارض بنى الاسلام على خمس وقد أورد هذا الحديث في القوت وفي الاحياء في كتاب العلم وقال الحافظ
العراقي في تخريج أحاديث الاحياء لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة رضي الله
تعالى عنها تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبراني في الاوسط بسند ضعيف عن ابن مسعود رضي الله
تعالى عنهما النظافة تدعو الى الايمان انتهى وفي الترمذي ان الله نظيف يحب النظافة وهو بعض
حديث ذكره في كتاب الاستئذان عن سعد بن أبي وقاص أحد العشرة رضي الله تعالى عنهم وقال انه
حديث غريب في سنده خالد بن أياس أو أياس وهو ضعيف وقال السيوطي في تخريجه هنا بعدما ساق
كلام العراقي * قلت رواه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا ان الله نظيف يحب النظافة فنظفوا

أفنيتكم

(وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والاولى قال بدون واو (بنى الدين على النظافة) أي الطهارة الباطنة والظاهرة وهذا الحديث وان قال العراقي في تخريج أحاديث الاحياء لم أجده هكذا بل في الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبراني في الاوسط بسند ضعيف من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه النظافة تدعو الى الاسلام انتهى فقد روى الرافعي في تاريخه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه بعض حديث مرفوعا تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله تعالى بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف وينصره حديث الترمذي ان الله نظيف يحب النظافة فنظفوا أفنيتكم

أفنيتكم وروى الرافعي في تاريخ قذوين بسنده عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف انتهى وبما ذكرناه من أن الحديث روي من طرق متعددة تجبر ضعفه علم انه خرج من الضعف الى مرتبة الحسن ومعناه صحيح موافق للشرع فلا يرد على المصنف ماقيل ان الحديث الضعيف لا يؤتى فيه بصيغة الجزم كقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه لانه يقتضي صحته والجزم به فينخرط في سلك من كذب علي وهو تساهل قبيح فينبغي ان يقول قيل أو روي ونحوه من صيغ التمريض وأما اضمار صيغة التمريض أو قصد معناها هنا اعتمادا على القرينة فلا يتأتى مع الجزم وبقية الكلام عليه مستوفاة في أصول الحديث فلا يلتفت لما ذكره بعض الشراح هنا من الخرافات المزخرفة ثم ان اطلاق النظيف على الله في الحديث السابق ولم يذكره أحد في أسمائه تعالى كما قيل وقع للمشاكلة والمتقدمون يسمونها ازدواجا أيضا فلا وجه للاعتراض عليه لتوهم انه الازدواج المذكور في بديع المفتاح فانه من قصور النظر وقيل انه لا حاجة للمشاكلة فيه لانه بمعنى القدوس وكفى اثبوته هذا الحديث (حدثنا سفيان بن العاصي) سفيان بتثليث السين والعاصي بعين وصاد مهملتين وهو سفيان ابن أحمد بن العاصي بن سفيان بن عيسى أبو بحر الاسدي ولد سنة تسع وثلاثين أو أربعين وأربعمائة وتوفي بقرطبة لثلاث بقين من جمادى الآخرة وقد جاوز الثمانين سنة أو دونها سنة عشرين وخمسمائة وفيها توفي ابن رشد (وغير واحد) تنبيه على انه رواه عن غيره أيضا (قالوا حدثنا أحمد بن عمر) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري صاحب كتاب الاعلام باعلام النبوة ولد ليلة السبت لاربع خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وتوفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بالمرية (قال حدثنا أبو العباس الرازي) نسبة الى الري بزيادة زاي معجمة في النسبة على خلاف القياس كما قالوا مروزي في النسبة لمرو وهو أحمد بن الحسين بن بندار الخراساني (قال حدثنا أبو أحمد الجلودي) بضم الجيم وفتحها نسبة لجلود قرية ببغداد أو الشام أو محلة بنيسابور أو أفريقية أو لبيع الجلود وهو محمد بن عيسى بن عمرويه الشيخ الصالح كان على مذهب سفيان الثوري قاله التلمساني ولا وهم فيه كما توهم وفي اسمه ونسبه اختلاف لا حاجة لنا به وقال النووي الجلودي بضم الجيم وليس هو منسوبا الى جلود بفتح الجيم قرية وهو قول ابن السكيت وابن قتيبة ثم قال الجلودي بالفتح وان العوام يقولونه بالضم انما قالاه في المنسوب الى القرية لا في هذا الجلودي راوي صحيح مسلم وهذا الذي نبهت عليه لا خلاف فيه (قال حدثنا ابن سفيان) هو أبو اسحق ابراهيم بن أحمد ابن سفيان بن محمد المروزي الفقيه الزاهد توفي سنة ثمان وثلثمائة وكان زاهدا مجاب الدعوة روى عن مسلم صحيحه قراءة عليه الا ثلاث مواضع رواها اجازة أو وجادة (قال حدثنا مسلم) بن الحجاج القشيري النيسابوري وطنا صاحب الكتاب المشهور الذي تلقته الامة بالقبول وشهرته تغني عن تفصيل حاله توفي سنة احدى وستين ومائتين (قال حدثنا قتيبة) علم منقول من مصغر القتبة وهي الامعاء وهو قتيبة ابن سعيد بن جميل بن طريف بن عبد الله الثقفي يكنى أبا رجاء سمع من الليث ومالك وابن عيينة وغيرهم وتوفي سنة أربعين ومائتين وولد بلخ يوم الجمعة لست مضين من رجب سنة ثمان وأربعين ومائة (قال حدثنا جعفر بن سليمان) البصري الضبعي بالضم لنزوله في بني ضبعة الزاهد الامي وهو كما في التقريب صدوق وان كان يتشيع والاصح قبول رواية من يتشيع ان لم يكن متعصبا ولا داعيا (عن ثابت) البصري أبو محمد بن أسلم قال الذهبي وهو ثقة كان من أعبد أهل زمانه وكان يلبس الثياب الثمينة

(حدثنا سفيان بن العاص) بتثليث سين سفيان سمع الباجي وابن عبد البر وغيرهما وأخذ عنه المصنف وأكثر (وغير واحد) أي كثيرون من مشايخنا (قالوا حدثنا أحمد بن عمر) صاحب كتاب الاعلام باعلام عليه الصلاة والسلام (حدثنا أبو العباس الرازي) وهو ابن بندار الخرساني (حدثنا أبو أحمد الجلودي) بضم الجيم بلا خلاف ذكره الدلجي وغيره وقال التلمساني بضم الجيم وفتحها منسوب لجلود قرية ببغداد وقيل بالشام سكة نيسابور الدارسة وقيل بافريقية وقيل كان يبيع الجلود وكان شيخا صالحا نيسابوريا ينتحل مذهب سفيان الثوري (حدثنا ابن سفيان) أي المروزي أو النيسابوري (حدثنا مسلم) أي النيسابوري صاحب الصحيح روى عن أحمد بن حنبل وغيره وعنه الترمذي وابن خزيمة وأبو عوانة وغيرهم (حدثنا قتيبة) هو ابن سعيد الثقفي البلخي يكنى أبا رجاء سمع الليث ومالكا وابن عيينة وغيرهم (حدثنا جعفر بن سليمان) الضبعي سمع ثابتا البناني ومالك ابن دينار وروى عنه ابن المبارك قيل مع كثرة علمه كان أميا (عن ثابت) هو ثابت كاسمه وهو ابن أسلم البناني بضم الموحدة روى عن أنس وابن عمر وابن الزبير وخلق وعنه الحمادان وأمم وكان رأسا في العلم والعمل يلبس الثياب الفاخرة ويقال لم يكن في وقته أعبد منه أخرج له الجماعة وهو ثقة بلا مدافعة

(عن أنس) بن مالك الصحابى السابق ذكره وترجمته رضى الله تعالى عنه (قال ماشممت عنبرا) شممت بكسر الميم وفتحها من باب علم ونصر والعنبر طيب معروف طاهر بلا كلام وقال الماوردى أكثر العلماء على طهارته وفيه أشعار بان فيه خلافا والاصح انه شمع عسل ببلاد الهند يجمد وينزل للبحر ونحله يرعاه من الزهور الطيبة فيكتسب طيبه منها وليس نباتا ولاروث دابة بحرية وأجوده الابيض وما قرب الى البياض والاسود منه غير مرغوب فيه وفى النسائى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تطيب به (قط) بفتح القاف وتشديد الطاء المضمومة المبنية وفيه لغات ذكرها النحاة وأصل معناه ما انقطع من الزمان أى مضى ولذا اختص بالماضى المنفى فى الاشهر وذكر ابن مالك رحمه الله تعالى انه اكثرى وانه سمع فى المثبت فى عدة أحاديث وأما استعماله فى المستقبل فقال فى الدرة انه لحن وفيه كلام لنا فى شرح الدرة وقيل معناه الدهر والابد وفيه نظر (ولامسكا) هو طيب معروف وهو فى الاصل دم يتجمد عند سرة بعض الظباء فى زمن معين بناحية من أقصى بلاد الترك تسمى تبت بمثناتين فوقانيتين أولاهما مضموم بينهما موحدة مشددة بزنة سكر والصحيح انه طاهر وان كان دما لاستحالته كخل الخمر قيل انه خصهما لانهما أشرف الطيب وأشهره وقدم الاعز لاشرف منهما وعمم بقوله (ولاشيا) وان علم حال غيرهما منهما بالطريق الاولى فشمل الشئ غيرهما من كل ذى ريح طيبة مفردا كالورد والنرجس أو مركبا كالغالية وقد يكون المركب أطيب رائحة والمراد ماشممت رائحة عنبر الى آخره مع ان العرب تجعل ذا الريح نفسه مشموما من غير تجوز فيه عرفا ولذا كانت رائحته صلى الله تعالى عليه وسلم مس طيبا أولا حتى انه كان اذا مر فى بعض ازقة المدينة علم مروره صلى الله تعالى عليه وسلم به برائحته وهذا الحديث رواه مسلم فى صحيحه فى موضعين أحدهما كما ذكره المصنف رحمه الله فى قال الذى فى مسلم عن ثابت رضى الله تعالى عنه ماشممت عنبرا ولا مسكا ولاشيا أطيب من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولامسست قط ديباجا ولاحريرا ولاشيا ألين مسا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيادة قط فى كلام المصنف رحمه الله تعالى بعد العنبر ليست فى محلها أوهو رواية بالمعنى اقتصر على أحد الموضعين والعنبر بالنون والموحدة وكونه بياء موحدة ومثناة تحتية وهو اخلاط طيب مخصوصة تصحيف ثم انه قيل انه ترق على حد مامر فى قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم والمعروف ان يبتدأ بالادنى ثم الاعلى فى الاثبات ويعكس فى النفى ليكون الكلام مفيدا فيقول أعطيته درهما ودينارا وما أعطيته دينارا ولادرهما ولو قدم نفى الدرهم علم نفى الدينار بالطريق الاولى الا انه قد يراعى الترتيب الوجودى * أقول هذا هو المشهور وهى قاعدة كلية الا ان التحقيق فيها انه ان ذكر فى الكلام أدنى وأعلى وقصد اثباتهما فى نفسهما من غير اثبات شئ آخر لهما فالامر كما ذكر فان أضيف الى ذلك شئ وقيد آخر فالترقى والتدنى بحسبه لا بالنظر لذلك كما فى الآية فان المنفى فيها الاخذ وهو بمعنى الغلبة وغلبة السنة دون غلبة النوم فاذا قيل لا تغلبه السنة يتوهم ان النوم الاقوى قد يغلبه فنفى غلبته وهذا ترتيب مفيد بقطع النظر عن الترتيب الوجودى فان لم ينظر لهما بل أريد بنفيهما التعميم فلك البداءة بايهما شئت فتقول لاصغيرا ولا كبيرا ولا كبيرا ولاصغيرا كما فصله فى المثل السائر وبيناه فى حواشى القاضى وهذا هو المقصود هنا فان المراد انه لاطيب كطيبه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان طيب العنبر دون طيب المسك كما قالوا ليس الطيب الا المسك وعزته وكونه أغلى منه لادخل له فيما نحن فيه ثم ان وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بلين اللمس لاينافى ماورد كما سبق من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان شثن الكفين والقدمين فان المراد غلظ جلدهما وعظمهما لانه أقوى له ولا ينافى ذلك ملامسته فان فسر بغلظ فى خشونته فاما ان يخص بهما ولين الملمس فى غير ذلك من جسده الشريف أو هذا بالنسبة لاصل الخلقة وذلك لمزاولة الاعمال والاسفار

(عن أنس) خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جاوز عمره المائة وكذا أولاده وفى الصحابة من اسمه أنس اثنان وعشرون وفيهم أنس ابن مالك اثنان هذا وهو المشهور وأنس ابن مالك أبو أمية القشيرى وقيل الكعبى وانتقل أنس الى البصرة فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ليفقه الناس بها وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة (قال ماشممت) بكسر ثانية ويفتح (عنبرا) هو شئ لفظه البحر أى رمى به ويقال انه روث دابة من دواب البحر ولا يصح وأصول الطيب خمسة أصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تحمل من أرض الهند الا الزعفران والعنبر وأجود العنبر هو المدور الابيض كبيض النعام أودون ذلك (قط) أى فيما مضى من عمرى وهو بفتح قاف وتشديد طاء مهملة مضمومة وتنون وهى للابد الماضى وقد تكسر الطاء ويضمان وتخفف الطاء مع ضمها واسكانها (ولامسكا) وأطيب المسك ماخرج من الظباء بعد بلوغ النهاية فى النضج وغزلان المسك نوع خاص من الظباء (ولاشيا) أى آخر من أنواع الطيب

كامر والاول أصح (أطيب من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ولا مثله ولا قريب منه كما مر من ان نفى الافضلية يقصد بها نفى المساواة بطريق الكناية وليس المراد أيضا نفى شمه له بل نفى وجوده فلا يراد ان نفى الشم لا يدل على نفى الاطيبية وهو المقصود على انه قد يراد بنفى العلم ونفى الوجدان نفى المعلوم والموجود والمراد رائحته صلى الله تعالى عليه وسلم الذاتية لا المكتسبة لانها لا مدح فيها بل لا يصح أرادة المكتسبة لا وحدها الا ان المكتسب منه مثله ولا مع رائحته الذاتية لان المركب ليس مثل ريحه صلى الله تعالى عليه وسلم فتامل * (تنبيه) * قد عرفت ما اعترض به على المصنف رحمه الله تعالى من انه غير الحديث وجوابه وعلى هذا قيل انه اختصر الحديث وقد اختلف فى جوازه والصحيح جوازه ان لم يكن المذكور يتوقف فهم معناه على ما قبله بحيث يختل المعنى كالشرط والاستثناء وما فيه ضمير راجع لمعنى ولم يكن قرينة معينة واما النقل بالمعنى فممنوع لمن لم يكن عالما بالعربية ودقائقها فان علم بذلك جاز على الصحيح وفى جامع الاصول له تفصيل ولعل هذا كله فى غير الامثال وما جرى مجراها نحو أخوك البكرى ومن اعدى الاول وله تفصيل فى ابن الصلاح وشروحه (وعن جابر بن سمرة) بضم الميم وقد تقدمت ترجمته رضى الله تعالى عنه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده) هذا الحديث أخرجه مسلم أيضا واقتصر المصنف رحمه الله تعالى على بعضه لمناسبته للفصل بناء على جواز الاختصار فى الحديث كما مر واما مسح الخد بيده فانما ذكره توطئة لما بعده وكان من عادته صلى الله تعالى عليه وسلم مسح وجوه الاطفال تانيسا لهم وتطييبا القلوب والديهم وشفقة عليهم فان احضارهم عنده تيمنا وتبركا به صلى الله عليه وسلم مشهور وأول الحديث صليت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدى أحدهم واحدا واحدا واما انا فمسح خدى فوجدت ليده بردا أو ريحا كانما أخرجها من جونة عطار كذا فى مسلم أو ريحا باو بدل الواو والاتى وكثيرا ما يوجد بدونها قيل ولعله رواية فيه والتقدير أو قال جابر (قال) أى جابر (فوجدت) أى أحسست (ليده) أى كفه وما قاربها (بردا) وفى صحيح البخارى فاذا هى ابرد من الثلج وهذا يدل على ان البرد على حقيقته وانه ليس بعارض لمس ماء ونحوه وقيل انه عند العرب ممدوح لاسيما فى الزمن الحار ولا بعد فى عده من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم مع كمال حرارته الغريزية وقيل انه عبارة عن لين كفه ورطوبته والاقرب انه بمعنى الراحة واللذة والطيب وقد فسر قوله تعالى لا يذوقون فيها بردا براحة لاشتهاره بهذا المعنى كما قال

تبسمت بالرضى مواعده * فقلت يا بردها على كبدى

وفى النهاية كل محبوب عندهم بارد وبرد الظل طيب العيش والغنيمة الباردة الهنيئة واللام للاختصاص والجار والمجرور حال من النكرة التى كانت صفة لها قبل تقدمها لا يقال اذا كان البرد بمعنى الراحة يكون من باب وجدت للمريض راحة فيكون المعنى ذو الراحة يده كما ان المريض كذلك لانا نقول اللام تعليلية أى وجدت راحة لاجل وضع يده فان كان على ظاهره فهى اختصاصية (وريحا كانما أخرجها) أى اليد لانها مؤنثة سماعية (من جونة عطار) الجونة بضم الجيم وسكون الهمزة ويقال بواو ساكنة يليها نون وهاء تانيث وهى شبه صندوق صغير مغشى بادم وزند مستديرة يضع فيها العطار عطره واختلفوا هل الواو أصلية تبدل همزة لضم ما قبلها كما قالوا فى موسى مؤسى تنزيلا لضم ما قبله منزلة ضمه أو الهمزة أصل أبدلت واوا على القياس كما قرئ يؤمنون ويومنون وكان اداة تشبيه وما كافة وهل هى مركبة أو بسيطة خلاف مشهور أى كان ريحها ريح ما أخرج من جونة العطار مضمخا بالعطر والجملة صفة ريح أو مستانفة وعطار للنسبة كجمال لا للمبالغة وهو بائع العطر وهو كل

(أطيب) أى أفيح (من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وتتمته ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا ولا شيئا ألين لمسا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث كما ترى فى مسلم وكذا فى الشمائل (وعن جابر بن سمرة) أى فيما رواه مسلم أيضا عنه قال صليت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدى أحدهم واحدا واحدا واما انا فمسح خدى فوجدت ليده بردا أو ريحا كانما أخرجها من جونة عطار كذا فى مسلم أو ريحا بالف وكثيرا ما يوجد بدونها فلعله رواية فيه وله هذا رواه بلفظ (انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده) أى جانب وجهه مما يلى الوجنة من الاسفل (قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما أخرجها من جونة عطار) وهو بضم الجيم وسكون الواو وقد تهمز أوهمزتها أصلية وقد تبدل لانها تحذف كما قاله الدلجى وهى سفط مغشى بجلد يجعل فيه العطار طيبه والعطار فعال نسبة لا مبالغة

ماطابت رائحته وفي البخاري عن أبي جحيفة رضي الله تعالى عنه خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالهاجرة في الأبطح فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة يمر المار من ورائها وقام فجعل الناس يأخذون يده الشريفة فيمسحون بها وجوههم فأخذت بيده الشريفة فوضعتها على وجهي فاذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك وهذا ظاهر في ان البرد حقيقي وان برده لمسه الماء ان كانت الواقعتين واحدة أو هو مؤول كما مر ووضع اليد المذكورة من حسن أخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم وتواضعه للصغير والكبير وورد في حديث رواه ابن العماد عن أنس رضي الله تعالى عنه ان ظهور نفحات الطيب منه صلى الله تعالى عليه وسلم ظهر بعد الاسراء وهو ظاهر لانه طيب العنصر لكنه لما اتصل بالملأ الاعلى والجنان وهبت عليه نفحات القدس ازداد طيبا وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم طيب لا يشبه طيب الدنيا فله طيب ذاتي وطيب مكتسب من العالم الاقدس لا يفارقه وهو أطيب الطيب ولا ينافيه حديث حبب الى من دنياكم الطيب كما مر ويأتي لان الطيبات للطيبين والزائد قابل للزيادة (وعن غيره) أي روي عن غير جابر بن سمرة وفي نسخة وقال غيره وفي بعضها قال بدون عاطف وهذا الحديث رواه البيهقي وأبو نعيم بسند فيه ضعف وفي لفظه اختلاف فلذا أبهمه (مسها بطيب أولم يمسها) المس واللمس متقاربان الا أن المس يقال لما معه ادراك بحاسة السمع واللمس ادراك بظاهر البشرة ويتجوز به عن الطلب ومنه الالتماس وضمير مسها للكف واليد وفيه قلب اذ الظاهر مس بها طيبا أولم يمس وأول الحديث فكان كفه كف عطار ولما كان قوله كانما أخرجها من جونة عطار بمعناه اكتفى به عن سياق أول الحديث فلا خلاف فيه وليس متعلقا بما بعده ولا اختصار فيه كما توهم وانما هو رواية بالمعنى وهذا اشارة الى أن طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ذاتي والقول بان الكلام في الخلق فلا حاجة لهذا لغو من الكلام (يصافح) أو يمس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بصفحة يده (المصافح) مفعوله وهو بفتح الفاء اسم مفعول وهو من يريد مصافحته فانها سنة عند الملاقاة وفي رواية يصافحه المصافح بكسر الفاء والرفع على انه فاعل والمصافحة مفاعلة بمعنى جعل كل من المتصافحين يده على يد الآخر وفي النهاية انها الصاق صفح الكف بالكف عند الملاقاة وفي معناه قول التلمساني وضع باطن الكف على باطن الكف مع ملازمة على قدر ما يقع منه من سلام أو كلام ان عرض واختطاف اليد وتقبيلها أو ضربها مكروه وقد يشد كل واحد يد صاحبه وقيل لا ينبغي فعله وهي بعد الصلاة بدعة عندنا والاصح انها مباحة لما فيها من الاشارة الى انه كأنه قدم من غيبة لانه كان عند ربه يناجيه فافهم (فيظل يومه) يظل بفتح الظاء المشالة مضارع ظللت بكسرها وظللت بفتحها ويقال ظلت بحذف احدى اللامين قال الراغب يعبر به عما يفعل بالنهار ويجري مجرى صرت قال تعالى ظلت عليه عاكفا فهو فعل ناقص لثبوت الخبر في جميع النهار كما قاله الرضي لانه لوقت فيه ظل الشمس من الصباح للمساء أو من الطلوع للغروب فاذا كانت بمعنى صار عمت النهار وغيره وكذا اذا كانت تامة بمعنى الدوام وقوله في القاموس يظل نهاره يفعل كذا وليله يسمع في الشعر لا وجه له ويومه منصوب على الظرفية ولا توكيد فيه ولا تجريد لاسيما مع دلالته على الاستغراق (يجد ريحها) أي يجد المصافح من طيب يده واضافة ريحها اللعهد أي ريحها الطيبة طيبا خلقيا خصه الله به مكرمة ومعجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم (ويضع يده على رأس الصبي فيعرف) مبني لما لم يسم فاعله (من بين الصبيان بريحها) هذا بعض من حديث طويل رواه أبو نعيم والبيهقي مسندا

(وعن غيره) أي غير جابر ابن سمرة (مسها بطيب أولم يمسها يصافح) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (المصافح) أي له (فيظل) بفتح ظاء معجمة وتشديد لام يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وفي الكلام تجريدا وتاكيدا وقد يجيء بمعنى دام وصار والمعنى فيصير ذلك المصافح له (يومه) أي طول نهاره (يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي) أي مثلا (فيعرف) بصيغة المجهول أي فيميز (من بين الصبيان) بكسر الصاد ويضم جمع الصبي (بريحها) أي بسبب ريح يده صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس ذلك الصبي

عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عبل الذراعين والعضدين طويل الزندين سبط العصب شثن الكفين رحب الراحة سائل الاطراف كأن أصابعه قضبان الفضة وكانت كفه الين من الحرير وكأن كفه كف عطار مسها بطيب أو لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضعها على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح على رأسه والمخرج رحمه الله تعالى ظن هذا حديثا مستقلا فبيض له وليس المراد بالصبى معينا والمراد بريحها رائحتها التى حصلت بمسه والباء للسببية والمراد انه يعرف بان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مسه فيتميز من بينهم وفى نسخة لريحها باللام التعليلية والمعنى واحد وفى رواية من ريحها وذلك اما فى يومه كما مر فيؤكد أو انه يستمر مدة طويلة والمضارع فى موضع الماضى لنكتته المشهورة ثم انه ذكر بعضا من حديث رواه مسلم واقتصر منه على ما يناسب المقام اختصارا فقال (ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى دار أنس) بن مالك الصحابى رضى الله تعالى عنه السابق ذكره (على نطع) بسط له وكان النطع لامه رضى الله تعالى عنها قيل والاضافة لادنى ملابسة لان الدار كانت لامه كما فى صحيح مسلم ولا اخلال فيه لانه كان ساكنا معها ولانه لو قال دار أم أنس احتمل أن يكون كنية لغيرها فلا تعلم الجائية بالقارورة مع ما فى هذا من الدلالة على ان رواية أنس رضى الله تعالى عنه الحديث بغير واسطة (فعرق صلى الله تعالى عليه وسلم فجاءت أمه) وهى أم سليم بضم السين المهملة والتصغير واسمها سهلة أو غيرها قال النووى رحمه الله تعالى وهى أم أنس بلا خلاف وقول الغزالى وغيره انها جدته غلط بالاتفاق توفيت فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وهى أخت أم حرام بنت ملحان الصحابية المدفونة بجزيرة قبرس سيدة الشهداء من النساء وهى التى وردت حديث غزاة البحر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مشهور وهذا الحديث فى صحيح مسلم عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عندنا فعرق فجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فاستيقظ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما هذا الذى تصنعين يا أم سليم قالت هذا عرق نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب وله روايات من وجوه أخر فيها انه كان كثيرا ما يقيل فى بيتها وينام على فراشها وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه صلى الله تعالى عليه وسلم من وجهه الشريف ومن نطعها وتعصره فى قارورة لها وفى رواية انها قالت نرجو بركته لصبياننا وكانت تجعله فى سك لها وهو بضم السين المهملة وتشديد الكاف طيب معروف مركب مع غيره وكانت تبسط للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نطعا من أدم فيقيل عليه عندها وروى فى الوفاء انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدخل بيتها فينام على فراشها وليست فيه فأتت فقيل لها هذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نائم على فراشك فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أدم ففتحت عتيدتها وجعلت تنشف ذلك العرق وتعصره وأخذت من عرقه وشعره وجمعته فى قارورة فلما حضرت أنسا رضى الله تعالى عنه الوفاة أوصى ان يجعل فى حنوطه من ذلك وقد استشكل ذكر الشعر فيه والواقع فى سائر الاحاديث العرق فقط وأجيب بانه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حلق رأسه بمنى أخذ أبو طلحة رضى الله تعالى عنه شعره وأتى به أم سليم فجعلته فى سكها فالمعنى انها كانت تضيف بعد ذلك ما أخذته من العرق للقارورة التى فيها الشعر ثم ان نوم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عندها وعند أختها أم حرام استشكل بانه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن خلوة الرجل بغير ذى محرم وهو يقتدى بفعله فلا يدفعه كونه معصوما وأجاب ابن عبد البر وغيره بانهما كانتا خالتاه من الرضاع فهما محرماه فاذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم ينام عندهما

(ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى كما رواه مسلم (فى دار أنس على نطع) أى على فراش أمه أم سليم بضم السين ملحان بنت بكسر الميم وقيل بفتحها وأما ما وقع فى بعض كتب الشافعية ان أم سليم جدة أنس رضى الله تعالى عنه فخطأ (فعرق) بكسر الراء (فجاءت أمه) أى أم أنس

٣ قوله فقال أى من القيلولة

(بقارورة) أى باناء من زجاج (تجمع فيها عرقه) أى تبركا وتطييبا (فسالها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك) أى عن جمعها اياه المستفاد من الفعل (فقالت نجعله فى طيبنا وهو) أى طيبه أو طيبنا باختلاط طيبه (من أطيب الطيب) بل أطيب الطيب وفى رواية نرجو بركته لصبياننا زاد البخارى ٣٥٠ فاوصى أنس أن يجعل منه فى حنوطه قال الدلجى وانما نام على فراشها لانها واختها أم حرام كما فى

و يخلو بهما او يقلبان رأسه الشريف وقيل هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم لملكه أربه وليس هذا قبل نزول آية الحجاب كما توهم و كونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يخل بهم الان عنده خادماو نحوه غير مسلم (بقارورة تجمع فيها عرقه) صلى الله تعالى عليه وسلم تقدم الحديث وان أم سليم رضى الله تعالى عنها لم تكن فى بيتها لما جاء صلى الله تعالى عليه وسلم كما يدل عليه قوله فجاءت ووقع فيه بدل القارورة ففتحت عتيدتها ولا منافاة بينهما ولا حاجة للجمع بتعدد القصة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتاد القيلولة عندها لان العتيدة الصندوق الذى فيه القارورة وهى اناء من زجاج يوضع فيه الطيب ونحوه وقد يطلق على غير الزجاج وجملة تجمع صفة قارورة أو مستانفة لا حال لتكلفه ومن فسر العتيدة بالحقة جنح لتعدد الواقعة ولا بعد فيه (فسالها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك) كما فى صحيح مسلم انه قال لها ماهذا الذى تصنعين وفى رواية ماهذا وفى أخرى ماتصنعين والسؤال ليعلم غرضها وقصدها بفعلها اما حقيقة أو ليظهره لغيرها (فقالت) هذا عرقك (نجعله فى طيبنا) وفى رواية لطيبنا أى نخالطه كما روى اذوف أى أخلط وتقدم رواية نرجو بركته لصبياننا والواقعة متعددة أجيب فى كل منها بجواب فان كانت واحدة فهو من تصرف الراوى وروايته بالمعنى والمآل واحد وقد قال لها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أصبت (وهو) أى عرقه صلى الله تعالى عليه وسلم (من أطيب الطيب) قيل يحتمل أن يكون ذلك من مقولها و يحتمل غير ذلك والواقع الاول ووقع فى مسلم أطيب بدون من وهى أولى فان كان الضمير للمخلوط من عرقه وغيره فظاهر لان خالص عرقه أطيب منه ولا شك فى طيبه وأطيبيته كما مر ماشممت عنبرا ولا مسكا أطيب فليس خلطه بالطيب لتطييبه أو للتبرك فقط كما توهم * فان قلت اذا كان أطيب الطيب فلم خلطا بالطيب * قلت لان ما اجتمع من عرقه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس كثيرا يكفى اطيبهم فخلط بكثير منه ليكون كثيرا (وذكر البخارى) رحمه الله تعالى امام أهل السنة السابق ذكره (فى تاريخه الكبير) وهو تاريخ ذكر فيه رواة الحديث وأحوالهم وليس كغيره من التواريخ كما يتوهم بل كتاب من كتب الحديث معنى ورواه أيضا الدارمى والبيهقى بالمعنى (عن جابر) بن عبد الله الصحابى رضى الله تعالى عنهما الجليل الانصارى شهد المشاهد الا بدرا واستغفر له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خمسا وعشرين مرة لما قضى دين أبيه وهو آخر صحابى مات بالمدينة سنة سبعين وشئ وروى ألفا وخمسمائة حديث (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمر فى طريق) فى رواية البزار وأبى يعلى بسند جيد عن أنس رضى الله عنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مر فى طريق من طرق المدينة وجد فيه رائحة المسك فيقال مر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من هذه الطريق (فيتبعه) بالرفع (أحد) أى يأتى بعد ذهابه منه لا يمشى تابعا له والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا للطريق كما قيل ان معناه يتبع الطريق ويدل عليه قوله الاعرف انه سلكه وذكر ضمير الطريق وهى مؤنثة لشرفها بمروره كما قيل

عليك بارباب الصدور فمن غدا * مضافا لارباب الصدور تصدرا

والمراد علوق تلك الرائحة بالمكان الذى يمر صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وهو توهم لا يساعده اللفظ ولا المعنى ويتبع كيعلم أو بالتشديد وجوز فيه النصب والمراد انه يمشى بعده بزمان قليل فالفاء للتعقيب

الكمال المصنف خالتاه من الرضاعة وأنكر فان صح ففى الحديث جواز الخلوة بمن بينها وبينه محرمية أو النوم عندها لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وهو غريب اذ ليس فى الحديث ما يدل على وقوع الخلوة مع ان جوازها مع المحرم لا يعرف له خلاف وقد ورد لا يخلون رجل بامرأة ثيب الا أن يكون ناكحا أو ذا محرم ثم قوله لعصمته ينافى ما استدل به على جوازه لكونها علة لاختصاصه فكان حقه أن يقول والا أى وان لم يصح فالنوم عندها لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وفى صحيح مسلم انه كان يدخل بيت أم سليم وينام على فراشها اذا لم تكن فيه فجاء ذات يوم فنام عليه فاتت فقيل لها هذا النبى نائم على فراشك فجاءت وقد عرق الحديث (وذكر البخارى فى تاريخه الكبير عن جابر) أى ابن عبد الله صحابيان أنصارى آخر من مات بالمدينة من الصحابة وعنه استغفر لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسا وعشرين استغفارة كل ذلك أعده بيدى يقول أديت عن أبيك دينه فاقول نعم فيقول يغفر الله لك (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمر فى طريق) أى من طرق المدينة وغيرها (فيتبعه) بتخفيف التاء وفتح الباء وبتشديد التاء وكسر الباء وبرفع وينصب أى فتجئ عقبه (أحد

والقول بان الفاء لعدم المهلة عرفا وحكما بقرينة الحال لا وجه له وقوله أحد فاعل يتبع على حال من الاحوال (الا) على حال انه (عرف انه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سلكه) أى دخله ومر فيه والضمير للطريق فانه يذكر ويؤنث فلا حاجة لتأويله كما توهم (من طيبه) أى عرف من طيب الطريق مروره صلى الله تعالى عليه وسلم به أو من أجل طيب الطريق برائحته الطيبة المخصوصة به الباقية فيه وهذا لا يكون الا منه صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر اسحق بن راهويه) هو أبو يعقوب المروزى الامام الزاهد الثقة المجتهد أمير المؤمنين فى الحديث كما قاله ابن حنبل رحمه الله تعالى وهو الذى أحيى السنة بالمشرق ما سمع شيأ الا حفظه وما حفظ شيأ فنسيه قال كأنى أنظر الى مائة ألف حديث فى كتبى وثلاثين ألف حديث أسردها وراهويه لقب أبيه ابراهيم بن مخلد التميمى الحنظلى لقب به لانه ولد بطريق مكة وراه بالفارسية معناه الطريق وهو بالهاء والواو المفتوحتين والمثناة التحتية الساكنة والهاء المكسورة فى المشهور ويقال بضم الهاء وسكون الواو وتحتانية مفتوحة كنفطويه وهو أحب عند المحدثين آخره هاء والتاء خطأ فما فى بعض النسخ من التاء المفتوحة على أنه ممنوع من الصرف خطأ (ان تلك) الرائحة التى كانت تشم منه وتبقى فى الطريق (كانت رائحته) الذاتية المدركة منه صلى الله تعالى عليه وسلم (بلا طيب يمسه) ويتطيب منه من خارج (صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد تقدم ما يدل عليه من الاحاديث فما قيل انه لم يظهر من رواه والظاهر ثبوته عندهم من قلة التتبع ولا ينافيه كونه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يستعمل الطيب ويحبه لانه لتكثيره والمبالغة فيه كما مر (وروى المزنى) بالضم ثم فتح نسبة لمزينة قبيلة مشهورة وهو أبو ابراهيم بن اسمعيل بن يحيى بن اسمعيل المزنى المصرى الزاهد كان مجاب الدعوة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه لو ناظر الشيطان لغلبه وله تصانيف مشهورة ولد سنة خمس وسبعين ومائة وتوفى لست بقين من رمضان سنة أربع وستين ومائتين ودفن بالقرافة بالقرب من قبر الشافعى (والحربى) هو فى بعض النسخ وهو ابراهيم بن اسحق الحربى الحنبلى نسبة الى الحربية محلة من بغداد وهى تنسب لحرب بن عبد الله صاحب المنصور ومات سنة سبع ومائة (عن جابر) بن عبد الله السابق فقد قيل انه المراد اذا أطلق وهذا مما وقع فى بعض النسخ وكأنه من الحاقه بالاصل (قال أردفنى النبى صلى الله عليه وسلم) أى أركبنى (خلفه) أى وراء ظهره وهو راكب قال أردفه وردفه ويقال ردفه أعم فعلى ذلك قوله خلفه لدفع توهم المعنى الاعم أو تأكيد قال البرهان الحلبى جمع الحفاظ أرداف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغوا نيفا وثلاثين ولم يذكر فيهم جابر وقال الشمنى جمع بعضهم من أردفه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على فرس أو غيره فبلغوا نيفا وأربعين وما ذكره من التآليف لم نقف عليه والذى عدوه ممن أردفه صلى الله تعالى عليه وسلم اسامة بن زيد اردفه فى مرجعه من عرفة على اكاف والصديق رضى الله تعالى عنه فى الهجرة وعثمان رضى الله تعالى عنه فى قدومه من بدر وعلى كرم الله وجهه فى حجة الوداع وعبد الله بن جعفر وقثم وعبد الله بن عباس وأخواه عبد الله والفضل فى نزوله من مزدلفة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما ومعاوية ومعاذ بن جبل على حمار عفير وأبو ذر وزيد بن حارثة وثابت بن الضحاك والشريد بن سويد وسلمة بن الاكوع وزيد بن سهل وسهيل بن بيضاء وعلى بن العاصى وعبد الله بن الزبير وغلام من بنى عبد المطلب واسامة بن عمير وصفية بنت حيى وابو الدرداء وأمية الغفارى وابو قاسم وأبو هريرة وقيس بن سعد وخوات بن جبير وجبريل عليه الصلاة والسلام على البراق فى الاسراء والعباس وصفية الجهنية وعقبة بن عامر وآخرون لعل

الاعرف) أى ذلك الاحد (أنه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سلكه) أى دخل ذلك الطريق ومر به (من طيبه) متعلق بعرف أى من أجل طيبه وبسببه وروى البزار وأبو يعلى بسند جيد عن أنس رضى الله تعالى عنه كان اذا مر فى الطريق من طرق المدينة وجد فيه رائحة المسك فيقال مر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا الطريق (وذكر اسحق بن راهويه) بضم هاء ثم فتح ياء على الصحيح وهو مروزى عالم خراسان روى عنه الجماعة الا ابن ماجه (ان تلك) اى الرائحة (كانت رائحته) بالنصب وفى نسخة ان تلك رائحته أى فى أصل خلقته (بلا طيب يمسه) أى من غير استعمال طيب فى ثوبه أو بدنه وروى ابن أبى بكر فى سيرته أن أم سلمة وضعت يدها على صدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته فمكثت جمعا لا تأكل ولا تتوضأ الا وجدت ريح المسك بين يديها (وروى المزنى) بضم ميم وفتح زاى فنون وياء نسبة مصرى كان ورعا زاهدا مجاب الدعوة متقللا من الدنيا قال الشافعى رحمه الله فى حقه لو ناظر الشيطان لغلبه له تصانيف كالمبسوط والمختصر وغيرهما وصنف كتابا مفردا على مذهبه لا على مذهب الشافعى وهو مدفون بالقرافة بالقرب من قبر الشافعى وفى نسخة صحيحة (والحربى) وهو بحاء مهملة وباء موحدة وهو ابراهيم بن اسحق حنبلى المذهب أصله من مرو ونسب الى الحربية وهى محلة معروفة ببغداد وهى تنسب الى حرب بن عبد الله صاحب المنصور (عن جابر قال أردفنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أركبنى (خلفه) الردف بكسر الراء من يركب خلف راكب يقال أردفنى فاردفنى

النبوة تقتضى لذكرهم على التفصيل (فالتقمت خاتم النبوة بفمى) الالتقام أخذ الشئ وجعله فى فيه سواء ابتلعه أم لا والابتلاع والاسترداد بمعنى ولذا سمى الطريق مرطاولقما كانه يبتلع السابلة وخاتم بفتح التاء وكسرها وسيأتى تفصيله وقوله بفمى تأكيد لدفع توهم المجاز لانه يقال ألقم كفه ركبته وفى العبارة مايقتضى أن خاتم النبوة كان ذا ارتفاع تفعاحتى يمكن من التقامه وهو بين كتفيه وفيه روايات فقيل كان كاثر المحجم وقيل كبيضة الحمامة أو التفاحة أو الجمع بضم الجيم وسكون الميم وهو ضم الاصابع للكف يقال ضربه بجمع كفه وقيل كركبة العنز وقيل كزر الحجلة وعلى هذه الروايات يمكن التقامه وروى عن أبى سعيد الخدرى انه بضعة ناشزة هكذا ووضع طرف سبابته على مفصل ابهامه أودونه بقليل واما على رواية انه شامة خضراء محتفرة فى اللحم ان صحت فالتقامه مجاز عن اخفائه بوضع فمه عليه وزر الحجلة بيضة طائر معروف وقيل ان الحجلة خيمة السرير التى تسميها العامة الناموسية وزرها ماية خل فى عروتها وصححه فى الروض الانف وقال تفسير الترمذى له بيضة الطائر وهم وقال التجانى انما هو على هذا رز بتقديم المهملة على المعجمة ومعناه البيض ومنه رز الجراد لبيضه وكان الخطابى الذى فسره به وجده فى رواية وتفسير الحجلة ببياض بين عينى الفرس لاوجه له فان كان مجازا عن التحجيل فبعيد جدا قال ووضع هذا الخاتم لهذا الفاتح الخاتم هل هو من ابتداء خلقه أو بعدما ولد أو بعدما نبئ وروى ابن أبى الدنيا عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه مرفوعا انه قال قلت يا رسول الله كيف علمت انك نبى واستيقنت قال يا أباذر أتانى ملكان وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما بالارض والآخر بين السماء والارض فاخرج قلبى وأزال منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما وخاط بطنى وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الآن ووليا عنى فكأنى أعاين الامر معاينة وفيه بيان لوقت الوضع وكيفيته الا أنه قيل ان قوله ببطحاء مكة وهم من الراوى لان ذلك كان فى بنى سعد وهو مع حليمة كما سيأتى وقول المصنف انه أثر الشق بين كتفين موافق لهذا الحديث سواء قرئ أثر بفتحتين أو بكسر فسكون أما على الثانى فظاهر وأما على الاول فلانه لما وقع بعده وبسببه جعل اثراله فقول النووى رحمه الله تعالى انه باطل لان الشق انما كان فى صدره وبطنه وكذا قال القرطبى وأثره انما كان خطاواضحا من صدره الى مراق بطنه كما فى الصحيحين ولم يثبت قط أنه بلغ بالشق حتى نفذ من وراء ظهره ولو ثبت كان مستطيلا بين كتفيه فى محاذاة صدره قال فهذا غفلة منه انتهى غير متجه وكذا قال ابن حجر فى شرح البخارى وذكر أنه مروى من طرق أخر فالوهم انما هو فى فهم كلامه قال وهذا أصح ماقيل انه ولد به وظاهر كلامهم انه مختص به صلى الله عليه وسلم وفى كتاب القيافة انه موجود فى كل نبى وانه من علامات النبوة وكان أهل الكتاب يعرفونه صلى الله عليه وسلم به وقال البرهان الحلبى لا استحضر فيه شيا والذى يظهر انه من خصائصه صلى الله عليه وسلم لانه اشارة الى انه خاتم النبيين ومارواه ابن حبان من أنه كبيضة النعامة نسب فيه الى الوهم والصواب الحمامة وقيل انه شامة سوداء أو خضراء مكتوب عليها محمد رسول الله أو سر فانت المنصور أو الله وحده لاشريك له ونحوه ولم يثبت فيه مايعتدبه وفى رواية كسلعة أوغدة أو بندقة عند غضروف كتفه اليسرى ورفع عنده وته صلى الله تعالى عليه وسلم وانما وضع هناك لان الشيطان اذا وسوس وضع خرطومه ثمة وقدر آه بعضهم فى صورة ضفدع له خرطوم كخرطوم البعوضة أدخله فى منكبه الايسر الى قلبه ووسوس له فاذا ذكر الله خنس وقوله (وكان ينم على مسكا) اسم كان المستتر ضمير الخاتم وينم من قولهم نمت الريح اذا جلبت الرائحة قال البرهان رحمه الله تعالى وهو مستعار من النميمة ومنه سمى الريحان نماما الطيب رائحته وهى استعارة لطيفة شائعة وقد استعير نمام للريحان ثم للعذار كما قال بعض المولدين

لافتضاحى فى عوارضه * سبب والناس نيام

(فالتقمت خاتم النبوة) بفتح التاء وكسرها يقال لقمه والتقمه أى أدخله فى فمه كاللقمة والمراد بخاتم النبوة الذى كان كالتفاحة أو بيضة الحمامة أو كزر الحجلة بين كتفيه وقد أوضحته فى شرح الشمائل (بفمى) فى نسخة بفى بكسر الفاء وتشديد الياء وذكره من باب التأكيد كقولهم رأيت بعينى وسمعت باذنى (فكان) أى الخاتم (ينم) بكسر النون وتضم بتشديد الميم أى يجلب الريح ويفوح (على مسكا) أى ريح مسك أو كمسك ومنه النميمة والطيب نمام أى يفوح وان لم يرد صاحبه ذلك والزجاج كذلك لان المرآة ترى للانسان مافيه من حسن أو قبح ولا تستر شيأ وفى المثل أنم من الزجاج وفى رواية يثج بضم مثلثة وقد تكسر أى يسيل تشبيها بثج دماء الهدى أى سيلانها بسرعة ومعناه ههنا يفوح وتسطع رائحته بكثرة هذا وقد جمع بعضهم من أردفه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغ نيفا وثلاثين ولم يذكر منهم جابرا

كيف

(وقد حكى بعض المعتنين) اسم فاعل من الاعتناء أى المهتمين (باخباره وشمائله) أى سيره وآثاره (صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان اذا أراد أن يتغوط) أى يريد اخراج الغائط وهو ما يبرز من ثقل الطعام من المحل المعتاد ويطلق على المطمئن من الارض كما فى قوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط (انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت) بالفاء وفى نسخة بالباء الموحدة بدل الفاء أى ظهرت (لذلك رائحة طيبة صلى الله تعالى عليه وسلم) ذكره البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ٣٥٣ وقال انه موضوع كما سياتى (وأسند محمد بن سعد) روى عن ابن عيينة وعنه ابن أبى الدنيا (كاتب الواقدى) وهو صاحب الطبقات وله تاليف جيد مفيد فى تعريف رجال الحديث قال ابن جماعة هو ثقة لكنه يروى عن الضعفاء منهم شيخه محمد بن عمر الواقدى والواقدى ولى القضاء ببغداد للمامون وروى عن مالك حديثا كثيرا وروى عنه الشافعى وغيره واستقر الاجماع على ضعفه كما فى الميزان (فى هذا) أى فى ان الارض تبتلع ما يخرج منه وتفوح له رائحة طيبة (خبرا عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك تاتى الخلاء) هو بالمد (فلا نرى منك شيئا) ويروى فلا يرى منك شئ (من الاذى) بالقصر وهو ما يكره ويغتم به (فقال يا عائشة أوما) أى أجهلت وما (علمت ان الارض تبتلع) وفى نسخة تبلع بفتح اللام (ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شئ) وروى الدارقطنى فى افراده عنها قالت قلت يا رسول الله أراك تدخل الخلاء ثم يجئ الرجل يدخل بعدك فما يرى لما خرج منك أثرا فقال اما علمت ان الله أمر الارض ان تبتلع ما خرج من الانبياء (وهذا الحديث) أى الذى أسنده ابن سعد (وان لم يكن مشهورا) أى معروفا بين المحدثين وليس المراد به المشهور المصطلح عندهم نعم قال ابن دحية بعدان أورده هذا اسناد ثابت قيل وهو أقوى ما فى الباب ومع هذا (فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة هذين الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم) عبر عن الخارجين بهما استهجانا للتصريح باسمهما

كيف يخفى ما أكابده * والذى أهواه نمام

وينم روى بضم النون وكسرها وعن المزى رحمه الله الكسر فى اللازم والضم فى المتعدى وفى القاموس نم المسك سطع والمتعدى بمعنى ينقل أو يحكى واللازم بمعنى يظهر ومسكا تمييز محول عن الفاعل ومن قال محول عن المفعول فقد وهم وروى يثج بضم المثلثة لا بالفتح كما قيل وتشديد الجيم وهو متعد ولازم والضمير فيه للخاتم أو للفم أو تندفع رائحته مرة بعد مرة من ثج الماء وهو خروجه متدفقا بسرعة قال التجانى وفى بعض النسخ بكسر المثلثة والجيم أى يسيل والذى فى الصحاح انه بالضم لا غير فانه متعد من الثج بمعنى التسييل أى كانه يسيل منه المسك فمسكا منصوب تمييزا أو مفعول به (وقد حكى بعض المعتنين باخباره) أى المهتمين بنقل أخباره وأحواله صلى الله تعالى عليه وسلم (وشمائله) أخلاقه وصفاته اعتناء تتبع وعلم واعلام وهو البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان اذا أراد أن يتغوط) أى ياتى الغائط وهو المكان المنخفض من الارض على عادتهم فى البراز لانه استر قال الله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط ثم كنى به عما يقع فيه ومنه الغائط للبستان ويقال غيط للفرق بينه وبين غيره (انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك) المذكور من البول والغائط (رائحة طيبة) وهذا الحديث رواه البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقال انه موضوع وسنبينه لك (وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدى) الامام الكبير الحافظ الثقة وهو أبو عبد الله محمد مولى بنى هاشم صاحب الطبقات مات سنة ثلاث ومائتين والواقدى هو محمد بن عمر بن واقد قاضى العراق مات فى ذى الحجة سنة احدى عشرة ومائتين (فى هذا) أى فى ان الارض تبتلع ما يخرج منه صلى الله تعالى عليه وسلم ويفوح له رائحة طيبة (خبرا عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك تاتى الخلاء) بالمد أى المكان الخالى البعيد عن البيوت لانهم كانوا قبل وضع المراحيض فيها ياتونه لقضاء الحاجة ثم عبر به بعد ذلك عن محل التغوط مطلقا ثم صار عرفا اسما للبناء المعد لذلك (فلا نرى منك شيئا من الاذى) بالذال المعجمة والقصر أصله ما يضر ثم أريد به هنا ما من شانه أن يكره فالمراد به هنا الغائط (فقال لها يا عائشة أوما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يرى منه شئ) تبتلع تفتعل من البلع فى النسخة التى عندنا وضبطه التلمسانى تبلع من بلع يبلع كعلم يعلم وأصل البلع ادخال الطعام والشراب فى الحنجرة والمرى فاستعير لمطلق الاخفاء كما فى قوله تعالى يا أرض ابلعى ماءك وقوله فلا يرى منه شئ تفسير للمراد من البلع وتاكيد أو بيان لحكمته فليس بمستدرك كما توهم واخفاؤه مع طيبه وعدم استقذاره قيل لانه لعدم الانكار بمحله الخارج منه أو لتبرك الارض به والظاهر انه لانه ينبغى ستره لانه من المروة أو لانه يخشى من أخذ الناس له (وهذا الحديث) وفى نسخة الخبر (وان لم يكن مشهورا) قال ابن دحية سنده ثابت وهو أقوى ما فى هذا الباب فاذا نفى المصنف عنه الشهرة دون الصحة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لا يلزم من نفى الشهرة نفى الصحة (فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم

وهو قول بعض أصحاب الشافعي) المراد بالحدثين الخارجين كناية للعذر من ذكر ما يستهجن وظاهر ان القول بالطهارة مبني على هذين الحديثين فكانه من وصفهما بالطيب وأما ابتلاع الارض فلا يدل عليه بل على خلافه وتحقيقه ما في الخصائص للحصيري وهو كتاب لم يصنف في بابه مثله كما قال الرافعي في كتاب الطهارة لما تكلم على نجاسة الفضلات وهل هي كذلك من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجهان فقيل لا لان أبا طيبة الحجام شرب دمه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكر عليه وأم أيمن شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكر عليها وقال اذن لا تلج النار بطنك وروى شرب على كرم الله وجهه وابن الزبير رضى الله تعالى عنهما دمه وقال معظم الاصحاب حكمهما امنة صلى الله تعالى عليه وسلم كحكم غيره وحمل الاخبار على التداوي وروى انه قال للحجام لا تعد فان الدم كله حرام أي على ما يأتي وقال النووي رحمه الله تعالى حديث شرب البول صحيح حسن وذلك كاف في الاحتجاج اذ لم ينكر عليها ولا أمرها بغسل فيها ولا نهاها عن العود لمثله وقال القاضي حسين الاصح القول بطهارة الجميع واختاره كثير من المتأخرين وجواب التداوي يرده ان يجعل الله تعالى شفاء أمتي فيما حرم عليها والسر فيه غسل الملكين لجوفه وتطهيره ولا خلاف في طهارة شعره والاحاديث في هذا الباب كشرب ابن الزبير دمه وشرب أم أيمن بوله الذي كان في قدح يوضع تحت سريره ليبول فيه بالليل كثيرة * فان قلت ما الحاجة لوضع هذا القدح والارض تبتلعه فلا يرى له أثر * قلت لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يكره الخروج ليلا من بيته وبيته مصلى نافلته ومحل نزول الوحي والملائكة فلا يليق أن يمس باطنه وظاهره شيء من الفضلات ولو كانت طاهرة تعظيما العبادة ربه وتادبا الا ترى الى قول القائل

من عظم الناس عظموه * وفاز بالعز والرئاسة
ومزدريهم لو كان مسكا * لقيل في أصله نجاسة

وأما التداوي بالحرام كالخمر فقيل يجوز اذا أخبره ثقة بنفعه ولم يجد دواء غيره وقيل انه لا يجوز لحديث لن يجعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها وقيل انه لا يأباه لانه يكون حلالا له غير محرم عليه وقيل ان الله تعالى اذا حرم شيئا أبطل نفعه وكون على كرم الله وجهه شرب دمه لم يثبت كما أشار اليه الدميري في منظومته في الفقه بقوله

غريبة فضلة سيد البشر * طاهرة على خلاف انتشر
وابن الزبير بدم الهادي البشير * نال الذي رام كما أشير
وهو الذي خص ببول الناس * وهو بويله من الابلاس
في مسند البزار ثم البيهقي * والطبراني رواه فثق
والدارقطني وقول ابن الصلاح * ليس له أصل يفي في الاصطلاح
وأم أيمن استزادت شرفا * اذ شربت بول النبي المصطفى
وسقيت اذ هاجرت للسنة * ماء رويا من شراب الجنة
فبعده ما مس جوفها ظما * ولم تذق الى الممات ألماء
صححه الحاكم والمروي في * شرب على دمه لم يعرف
وابن الصلاح قال في شرب أبي * طيبة انه ضعيف السبب
قال ابن سبع ويقينا كانت * تبلعها الارض ومنها ازدانت
ولم تبل من تحته بهيمه * ولم تر الدهر به سقيمه

وهذه فائدة تفرد بها وهي ان الدواب لم تبل وهو صلى الله تعالى عليه وسلم راكب عليها ولم تسقم

(وهو قول بعض أصحاب الشافعي رحمه الله) وعليه كثير من الخراسانيين لكن المعتمد في المذهب خلافه كما ذكره الدلجي وقال أبو بكر بن العربي بول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه طاهر ان وهو أحد قولي الشافعي وقال النووي في الروضة ان بوله ودمه وسائر فضلاته طاهرة على أحد الوجهين وفيه ان الحديث السابق لا يدل على المدعى كما لا يخفى بل على ضده كما يدل عليه الابتلاع اللهم الا أن يقال الريح الطيبة تدل على الطهارة وفيه بحث نعم قال البغوي بذلك مستدلا بشهادة الاستشفاء ببوله ودمه على ما نقله الدلجي وقرره وفيه نظر أيضا من جهة عدم لزومه اذ وقع الاستشفاء ببول الابل والجمهور ومنهم القائل به على نجاسته

(حكاه) أي القول بطهارتهما (الامام أبو نصر ابن الصباغ) بالباء الموحدة المشددة (في شامله) هو بغدادي شافعي المذهب له تآليف منها الشامل ومنها الكامل (وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك) أي في كونهما طاهرين أو نجسين (أبو بكر) وفي رواية أبو الحسن (ابن سابق) بكسر الموحدة (المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج مالم يقع لهم) أي للمالكية (منها) أي من الفروع التي هي (على مذهبهم) أي ولم يخرجوها وانما خرجت (من تفاريع الشافعية) والظاهر المتبادر ان قوله وتخريج مجرور عطفا على فروع كما أشار اليه التلمساني وصرح به الانطاكي وأبعد الدلجي وجعله منصوبا عطفا على القولين ثم قال والتخريج في اصطلاحهم ان ينص الشافعي على حكمين مختلفين في صورتين متشابهتين ولم يظهر لهم ما يصلح فارقا بينهما فينقلوا نصه في كل صورة منهما الى الاخرى كمسئلتي الاجتهاد في الاواني والقبلة اذ قد منع في الاولى العمل بتغيير الاجتهاد وجوزه في الثانية فنقلوا منعه في تلك الى هذه وتجويزه في هذه الى تلك فصار في كل قولان منصوص عليهما ومخرج المنصوص في كل هو المخرج في الاخرى (وشاهد هذا) أي دليل هذا القول على طهارة ما ذكر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب) وفيه انه منقوض بما صح عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها كانت تغسل المني من ثوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبانه كان يستنجي بنحو حجر ومدر وأيضا انه لو كان الخارجان منه طاهرين لما كانا حدثين ناقضين كالعرق والدمع والبزاق والمخاط ونحوها والاجماع على انه صلى الله تعالى عليه وسلم في نواقض الوضوء كالامة الا ما صح استثناؤه كالنوم بدليل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ينام عيناه ولا ينام قلبه كما سيأتي (ومنه) أي ومن الشاهد بانه لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب (حديث علي رضي الله تعالى عنه) أي فيما رواه ابن ماجه وأبو داود في مراسيله انه قال (غسلت النبي عليه الصلاة والسلام) بتشديد السين وتخفيفها وهو أظهر (فذهبت) أي شرعت وقصدت (انظر ما يكون من الميت) أي من خروج دم وغيره من النجاسات عند خروج روحه أو حين غسله (فلم أجد شيئا) أي مما يخرج منه

دابة ركبها في حياته ثم وقع في فقه الشافعية أيضا ان حكم جميع فضلات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كذلك طاهرة لحديث عائشة رضي الله عنها بذلك وفي بعض نسخ الشفاء هنا (حكاه الامام أبو نصر بن الصباغ في شامله) وهو الامام البحر أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر الصباغ الذي انتهت اليه رئاسة الشافعية في عصره وكان ورعا تقيا زاهدا وله كتاب الشامل في الفقه لم يؤلف فيه مثله وهو أول من درس بالمدرسة النظامية التي بناها نظام الملك للشيخ أبي اسحق رحمه الله تعالى فامتنع وأبى أن يخرج من مسجده فلما ألحوا عليه اذن لابي نصر هذا في التدريس بها وتوفي أبو نصر رابع جمادى الاولى سنة سبع وسبعين وأربعمائة بعدما كف بصره (وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك) أي في فضلات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحكمها في الطهارة وضدها وقيل قوله العلماء شامل للحنفية وغيرهم (أبو بكر بن سابق المالكي) أي العالم المقلد لمذهب الامام مالك وسابق بباء موحدة وقاف قال البرهان وفي بعض النسخ مصححا أبو بكر وهو أبو الحسن محمد بن سابق الصقلي المالكي المذهب لا النسب (في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج مالم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية) يعني انه ألف كتابه المسمى بالبديع في فروع فقهية لم يذكرها علماء المالكية فخرجها على حكم ما ذكره الشافعية فيها التصريح بحكمها وليس هذا تقليدا لهم وانما هو نظر في دليلهم واثبات لذلك الحكم بالدليل فهو اجتهاد مذهبي ويقع مثله لغيرهم من الفقهاء أيضا والتخريج في اصطلاح الفقهاء أن ينص صاحب المذهب على حكمين مختلفين في صورتين متشابهتين لم يظهر فارق بينهما فينقلون نصه في كل صورة الى الاخرى كمسئلتي الاجتهاد في الاواني والقبلة اذ منع في الاولى العمل بتغيير الاجتهاد وجوز في الثانية فنقلوا منعه في تلك لهذه وتجويزه في هذه لتلك فصار في كل قولان منصوص ومخرج المنصوص في كل هو المخرج في الاخرى والتخريج عند المحدثين أن يجد حديثا في كتاب فينقله مسندا مبينا حاله في الصحة وضدها أو غير مسند (وشاهد هذا) أي دليل القول بالطهارة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب) أي فان النجاسة للاستقذار وكراهة التلوث ولم يكن منه صلى الله تعالى عليه وسلم شئ مكروه عند الطباع السليمة وهذا دليل عقلي مؤيد لنظر أهل الشرع فلا يرد عليه انه لا يدل على مدعاه لان من المستقذر ما هو غير نجس ومن النجس ما هو غير مستقذر (ومنه) أي من الشاهد على انه لم يكن منه صلى الله تعالى عليه وسلم شئ يكره ولا غير طيب (حديث علي رضي الله تعالى عنه) الذي رواه ابن ماجة وأبو داود في مراسيله (غسلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بتشديد السين لانه المستعمل في الميت ويخفف في غيره كالثياب (فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أجد شيئا) ذهب هنا من أفعال المقاربة أي جعلت أنظر ومثله

كثير في كلامهم فالقول بانه بمعنى أردت أستعير الذهاب بمعنى المرور للارادة بجامع التلازم بينهما تكلف مفسد للمعنى لان قوله فلم أجد لا وجه لتفريعه وتكون تامة بمعنى يوجد وما يوجد من الميت تغير رائحة وخروج فضلات وهذا من أعلام النبوة وطهارة عنصر طينته وقد مكث صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته يومين فلم يتغير منه شيء أما وهذا مما يستأنس به لانه طيبه يدل على طيب ما يحصل منه * وكل اناء بالذي فيه يرشح * وليس برهانا قاطعا كما يرشد اليه تعبيره بالشاهد فلا يرد عليه ان عدم وجوده كيف يدل على ما نحن فيه من طهارة الفضلات ويأتي قريبا ان الذي غسل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علي والعباس وابنه أي الفضل يعينانه وقثم واسامة وشقران يصبون الماء وغسلوه وأعينهم معصوبة تأدبا ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يرى أحد عورتي الا طمست عيناه كما سيأتي وروت عائشة رضي الله تعالى عنها انهم ترددوا في تجريده للغسل فسمعوا قائلا لا يرواشخصه يقول لا تجردوا نبيكم من ثيابه فغسلوه وعليه قميصه بسبع قرب من بئر غرس ثلاث مرات الاولى بماء قراح والثانية بماء وسدر والثالثة بماء وكافور وانما قال علي رضي الله عنه فذهبت انظر بناء على العادة اتاخير دفنه لانه مات يوم الاثنين ودفن يوم الاربعاء لاشتغالهم بامر الخلافة ولدفع وهم بعضهم انه لم يمت (فقلت طبت) بفتح تاء الخطاب (حيا وميتا) والمخاطب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على عادتهم في مخاطبة الاموات عند التوجع والثناء (٢) كما ورد في المراثي أولانه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس كغيره فيسمع كما يسمع في قبره من يصلي عليه كما سيأتي (قال وسطعت منه ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط) أي ظهرت وارتفعت وأصل السطوع في النور فاستعمل في مطلق الظهور وروى ابن بكير في سيرته ان أم سلمة رضي الله تعالى عنها وضعت يدها على صدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمكثت جمعا لا تأكل ولا تتوضأ الا وجدت ريح المسك بين يديها (ومثله) أي مثل قول علي رضي الله عنه هذا (قال أبو بكر الصديق) رضي الله تعالى عنه (حين قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته) اشارة الى ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما نعي له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بمسكنه بالسنح بضم السين المهملة وضم النون وقد تسكن ثم حاء مهملة بعوالي المدينة على مقدار ميل من المسجد النبوي جاء فدخل المسجد ولم يكلم أحدا حتى دخل بيت عائشة رضي الله تعالى عنها والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مسجى ببرد حبرة فكشف عن وجهه الشريف وأكب عليه يقبله وهو يبكي ويقول بابي أنت وأمي يا نبي الله لا يجمع الله عليك موتتين اما الموتة التي كتبت عليك فقد ذقتها فسل عمر رضي الله عنه سيفه وجعل يتوعد من يقول انه صلى الله تعالى عليه وسلم مات ويقول انما أرسل اليه كما أرسل الى موسى عليه الصلاة والسلام فلبث أربعين ليلة ثم رجع واني والله لارجو أن يرجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رجع موسى ويقطع أيدي رجال وأرجلهم وفي رواية ان الصديق لما كشف عن وجهه بكى وقال بابي أنت وأمي طبت حيا وميتا والصحابة منهم من خبل ومنهم من أخرس ومنهم من أقعد فلما خرج أبو بكر رضي الله تعالى عنه قال لعمر أيها الحالف على رسلك فجلس فصعد أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال ألا من كان يعبد محمدا فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات ومن كان يعبد الله فان الله سبحانه وتعالى حي لا يموت وقد قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فنشج الناس يبكون وروى انه لما قبل وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الانبياء فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو أن موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك عز وجل ولنكن من بالك وجعل يقول وهو يبكي واخليلاه واصفياه وانبياه وتقدمت الاشارة لشيء من ذلك في الفصل السابع (ومنه) أي من الشواهد على

(فقلت طبت حيا وميتا) ونصبهما على الحال أو على نزع الخافض أي في الحياة والممات أو على التمييز ذكره التلمساني ولا يخفى بعدما عدا الاول فتأمل فانه موضع زلل ومحل خطل ثم أنت ترى ان هذا الحديث لا يصلح أن يكون شاهدا كما لا يخفى وقد روى عن علي كرم الله تعالى وجهه انه حين غسل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بطنه فلم يجد شيئا فقال طبت حيا وميتا وفي رواية فاح ريح المسك في البيت لما في بطنه قيل وانتشر في المدينة (قال) أي علي (وسطعت) أي ارتفعت وانتشرت وفاحت (منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله) أي ومثل قول علي طبت حيا وميتا (قال أبو بكر) رضي الله تعالى عنه (حين قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته) رواه البزار عن ابن عمر بسند صحيح وهو بعض خبر في البخاري (ومنه) أي ومن الشاهد

٢ والتمام نسخه

ماذكر

ماذكر مارواه البيهقي والطبراني في معجمه الاوسط عن أبي سعيد الخدري والاول دليل عقلي وهذا نقلي
(شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد ومصه اياه) مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الابجر بوحدة وجيم
وهو أبو أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما وقد تقدم الكلام على ترجمتهما ونسبهما وهو من كبار
الصحابة قتل شهيدا يوم أحد رضي الله تعالى عنه واحد بضمتين اسم جبل وقعت فيه الواقعة العظيمة
بعد قدومه صلى الله تعالى عليه وسلم من نجران وقد غزاه كفار قريش في شوال سنة ثلاث وقدموا
بنسائهم وحلفائهم وقصدوا المدينة فنزلوا قرب أحد على شفير الوادي بقناة مقابل المدينة فرآى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في منامه أن في سيفه ثلمة وأن بقرا له تذبح وانه أدخل يده في درع له حصينة
فتأولها بان رجالا من أصحابه يقتلون وان رجلا من أهل بيته يصاب وان الدرع الحصينة هي المدينة
ورؤيا الانبياء وحي فاشار على أصحابه ان لايخرجوا من المدينة ويتحصنوا بها فان قربوا منها قوتلوا
ووافقه على رأيه عبد الله بن أبي بن سلول وأبى كثير من الانصار الا الخروج ليكرم الله من شاء بالشهادة
فلما رآى صلى الله تعالى عليه وسلم عزيمتهم دخل بيته يوم الجمعة ولبس لامته وخرج فقال قوم ممن ألح في
الخروج ان شئت فارجع فقال ماينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل فخرج في ألف من
أصحابه واستعمل ابن أم مكتوم رضي الله تعالى عنه على الصلاة بمن بقي بالمدينة فلما سار صلى الله تعالى
عليه وسلم الى القوم انصرف عنه ابن أبي بثلث الناس مغاضبا لمخالفة رأيه فنهض صلى الله تعالى عليه
وسلم لما عزم عليه وذكر له قوم من الانصار الاستعانة بحلفائهم من اليهود فأبى وسلك على حرة بني حارثة
وشق أموالهم حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي وجعل ظهره الى أحد ونهى الناس ان يقاتلوا
حتى يأمرهم وسرحت قريش الظهر والكراع في زروع المسلمين بقناة وتعبى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم للقتال في سبعمائة والمشركون ثلاثة آلاف فيهم مائتا فارس وقيل كان في المسلمين
خمسون فارسا ورماة المسلمين خمسين رجلا أمر عليهم عبد الله بن جبير رضي الله تعالى عنه وهو معلم بثياب
بيض فرتبهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلف الجيش وأمرهم ان ينضحوا المشركين بالنبل
لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم وظاهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين درعين ودفع اللواء
لمصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه أخي بني عبد الدار وأجاز سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج
بالخروج وكان سن كل واحد منهما خمسة عشر سنة وكان رافع راميا وجماعة ورد من لم يبلغ وقيل
الاجازة استحقاق السهمين والرد عدم ذلك وجعلت قريش على ميمنتهم في الجبل خالد بن الوليد وعلى
الميسرة عكرمة بن أبي جهل وأعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيفه الى أبي دجانة وكان
شجاعا يختال في الحرب وكان أبو عامر المعروف بالراهب وسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الفاسق
سيدا في الاوس تنسك وترهب في الجاهلية فلما جاء الاسلام غلب عليه الشقاء ففر عن المدينة لبغضه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج الى مكة في جماعة من الاوس وشهد يوم أحد مع الكفار ووعدهم
بانحراف قومه اليه فكان أول من خرج في عبدان أهل مكة والاحابيش فلما نادى قومه وعرفهم بنفسه
قالوا لا أنعم الله بك عينا يا فاسق فقال لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قال لما التقى الجمعان قاتل المسلمون
قتالا شديدا وأبلى يومئذ علي وحمزة وأبو دجانة وأبو طلحة رضي الله تعالى عنهم بلاء حسنا وكذا جماعة
وأصيب منهم مقبلين غير مدبرين وقاتلوا قتالا شديدا ببصائر ثابتة فانهزمت قريش واستمرت
الهزيمة عليهم فلما رأى ذلك الرماة قالوا قد هزم الله تعالى أعداء الله فما لنا ههنا قاعدون فذكرهم
ابن جبير أميرهم رضي الله تعالى عنه أمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ان لا يزولوا من
مواضعهم فلم يلتفتوا لقوله وقالوا قد انهزموا وقاموا فتولى المسلمون وقد كر المشركون عليهم

(شرب مالك بن سنان) بكسر السين المهملة وأما الشرب فبضم المعجمة ويجوز فتحها وكسرها (دمه) أي دم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم أحد ومصه اياه) قيل شربه ابتلاعه ومصه أخذه من الجرح بفيه أو شربه ابتلاعه دفعة ومصه ابتلاعه قليلا قليلا وروى اذ ذاك مرفوعا من مس دمه دمي لم تصبه النار

ففروا وثبت من أكرمه الله بالشهادة وانما خالفوا الظن لم الامر مقيدا ببقاء العدو فاذا انهزموا سقط الخطاب فغلطوا في التأويل فوصلوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منهزمين وقاتل دونه مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه حتى قتل وجرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى بحجر وهشمت البيضة برأسه وكان الذى تولى ذلك عمرو بن قمئة الليثى وعتبة بن أبي وقاص وقد قيل ان عبد الله بن شهاب هو الذى شجه وأكب الحجارة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين سقط فى حفرة كان أبو عامر الراهب حفرها مكيدة للمسلمين فخر عليه الصلاة والسلام على جنبه فاخذ على كرم الله وجهه بيده واحتضنه طلحة حتى قام ومص مالك بن سنان من جرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الدم علاجا ومداواة له حتى لا يختم الجرح قبل التصفية من الدم ولذا لم يقل له صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال لابن الزبير حين شرب دمه كما يأتى وتشبثت حلقتان من درع المغفر فى وجهه الشريف فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وعض عليهما بثنيتيه فسقطتا وكان أهتم يزينه هتمه وقد اختلف فى هذا هل كان قبل الوعد من العصمة أو بعدها والعصمة انما هى عصمة النفس من القتل لا الجرح ونحوه وبقى له ثوابها والتأسى به فيها وقد تقدم ما فى ذلك وأعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الراية حين قتل مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه عليا كرم الله وجهه فاخذ على كرم الله تعالى وجهه وصار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت راية الانصار وقتل صاحب لواء المشركين فسقط لواؤهم فرفعته عمرة بنت علقمة الحارثية فاجتمعوا اليه وحملوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكر دونه نفر من الانصار سبعة أو عشرة فقتلوا كلهم وأصيبت عين قتادة رضي الله تعالى عنه فسالت على وجنته فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى محلها فكانت أجل عينيه وأصحهما ولذا قال بعض ولده لعمر بن عبد العزيز لما قدم عليه وقال له من أنت فقال

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لاول أمرها * فياحسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر * تلك المكارم لا قعبان من لبن * وأحسن جائزته وانتهى أنس بن النضر الى جماعة من الصحابة وقد ألقوا بايديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه وأول من ميز رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الجرله كعب بن مالك الشاعر فنادى باعلى صوته يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأشار اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أنصت الناس فلما عرفوه صلى الله عليه وسلم مالوا اليه ونهضوا معه نحو الشعب فيهم أبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم فاما أسند فى الشعب أدركه أبى بن خلف فتناول صلى الله تعالى عليه وسلم حربة الحارث بن الصمة وطعنه بها فى عنقه فمات عدو الله مرجعه بسرف وقصة أحد مفصلة فى السير بابسط من هذا وما يتعلق بابى بن خلف سيأتى الكلام عليه مطولا فى كلام المصنف رحمه الله تعالى فى قوله فصل وأما الشجاعة الى آخره وأشار بقوله شربه ومصه الى انه كان بقيض أولا فلما جعل أخذه بفيه وابتلاعه اياه شربا بالماقل وجعل يجذب ماقل منه بالمشقة لما فيه جعله مصا فان المص بالميم والصاد المهملة أخذ المائع القليل بجذب النفس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مس دمه دمى لم تخالطه ذنب وهكذا من مازج بدنه شيأ منه وكان فيه اشارة الى انه يستشهد وقد كان كذلك وقد علمت ان هذا رواه البيهقى والطبرانى فى الاوسط وكذا أصحاب السير وضمير اياه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ووجه دلالته على ما قاله المصنف ان الدم غير طاهر من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فلو كان دمه الشريف غير طاهر لنهاه عن ازدراده الا انه لا يدل على طهارة بقية الفضلات منه قياسا لفرق الماوردى رحمه الله تعالى بين الدم

والشعر وغيرهما بانهما من اجزائه بدنه بخلافهما وقوله (وتسويغه صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك) أى شرب دمه ومصه (له) أى لمالك بن سنان رضى الله عنه وتسويغه بالسين المهملة والغين المعجمة بمعنى تجويزه له من غير انكار ومدحه له وهو مستعار من ساغ الشراب فى الحلق اذا سهل انحداره فيه ومنه لبنا خالصا سائغا للشاربين والتعبير به هنا فى غاية الحسن والتورية لما فيه الشرب (وقوله) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لمالك (ان تصيبه النار) كناية عن فوزه بنعيم الجنان وفى رواية من سره ان ينظر الى من خالط دمه دمى فلينظر الى مالك ابن سنان (ومنه شرب عبد الله بن الزبير) بضم الزاى والتصغير (رضى الله عنهما دم حجامته) قال البرهان الحلبى هذا الحديث رواه البزار والحاكم والبيهقى والبغوى والطبرانى والدارقطنى من طرق يقوى بعضها بعضا والعجب من قول ابن الصلاح ان هذا الحديث لم أجد له أصلا وهو مذكور فى هذه الاصول وقد كان عليه الصلاة والسلام قال لما ولدته أمه ونظر اليه هو فكفت أمه عن ارضاعه فقال ارضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالمغيبات فانه بيان لقصته مع الحجاج فان ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما استخلف سنة أربع أو خمس وستين بعد وفاة معاوية رضى الله تعالى عنه فحاصره بعد ذلك الحجاج عند البيت العتيق سنة ثلاث وسبعين حتى قتل شهيدا وقصته مشهورة وهو أحد العبادلة الامام الزاهد العابد الشجاع ابن الشجاع وهو أول مولود ولد للمهاجرين وحنكه النبى صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها بفمه فخالط ريقه ريقه وله رضى الله تعالى عنه من شرف النسب ما لا يوصل اليه لان أمه اسماء رضى الله تعالى عنها ذات النطاقين بنت أبى بكر الصديق وأبوه الزبير رضى الله عنهما احد العشرة سيف الله وجدته صفية رضى الله عنها بنت عبد المطلب وعمته خديجة أم المؤمنين وخالته عائشة رضى الله عنها وجده لامه أبو بكر رضى الله تعالى عنه وكان صواما قواما لا ينام ليله وكان أطلس لا لحية له وقوله (فقال له صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل للناس منك) بيان لما تسبب عن شرب ذلك الدم وويل للتحسر والتألم من الامر قال الله تعالى فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وهو اشارة الى قتله وتعذيبه وتحقيره لقتل الحجاج له ومن عاونه ظلما له وويل للناس منه لما أصاب الناس من خروجه لطلب الخلافة لا من المدينة لمكة ومحاصرة مكة بسببه وقتل من قتل ثمة وما أصاب أمه وأهله من المصائب وما لحق قاتليه من الاثم العظيم وتخريب البيت وهدمه بسببه وانما جعله ناشئا عن شرب دمه فانه بضعة من النبوية نورانية قوت قلبه حتى زادت شجاعته وعلت همته عن ان ينقاد لغيره ممن لا يستحق الامارة فضلا عن الخلافة وما قيل انه اشارة الى ما يلحقه من قدح الجهلة فيه بواسطة شربه الدم وما يلحقهم من الاثم بذلك القدح مما لا ينبغى ذكره وسقوطه مغن عن رده وسيأتى تحقيقه ودمه صلى الله تعالى عليه وسلم مما تغذى قطراته بالارواح ولله در القائل

يجرى العلاقى عرقه جرى الندا * فى عوده فهو اللباب صفاء
لو يقدر الاحرار حين أرقته * جعلوا له حب القلوب وعاء
أو يبعوا قطراته معدودة * اعطوا به مهج النفوس شراء
واستخصوا فى سعرها ان يبذلوا * عن كل واحدة جرت حوباء

وقد شرب دمه صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا أربعة رجال أبو طيبة واسمه دينار أو نافع وسالم بن أبى الحجام وهو الذى قال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تعد فان الدم كله حرام على ما فيه وسفينة كما رواه البيهقى وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ذكره الرافعى فى الشرح الكبير وقال ابن الملقن انه غريب لم نجده

(وتسويغه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تجويزه (ذلك له وقوله له لن تصيبه النار) رواه الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى عن أبيه مالك ابن سنان قتل يوم أحد وهو جبل معروف يخفف ويثقل وقيل يخفف ذكره التلمسانى والتشديد فيه غريب ورواه البيهقى عن عمر بن السائب ثم فى الحديث قد يقال ان الضرورات تبيح المحظورات (ومثله) وفى أصل الدلجى ومنه أى ومن الشاهد كما رواه الحاكم والبزار والبيهقى والبغوى والطبرانى والدارقطنى وغيرهم فالعجب من ابن الصلاح أنه قال هذا حديث لم أجد له أصلا بالكلية وهو فى هذه الاصول (شرب عبد الله ابن الزبير دم حجامته فقال له عليه الصلاة والسلام ويل لك من الناس وويل لهم منك

ولم ينكره عليه) وفيه ان هذا حكم مسكوت عنه بعد وقوعه ولم يدخل تحت تقريره اذ لم يطلع على شربه حال فعله مع ان في قوله و يل لك
من الناس وو يل لهم منك نوع نكير عليه اذ الويل الفضيحة المترتبة على الفتنة وروى الزبير بن بكار انه حين ولدته أمه رآه رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هو هو فسمعته أمه فامسكت عن ارضاعه فقال ارضعيه ولو بماء عينيك كبش كبش بين ذئاب في ثياب
ليمنعن البيت وليقتلن دونه وهذا مما أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات اذ قد بويع له بالخلافة سنة خمس وستين
بعد وفاة معاوية أطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وحج بالناس ثماني سنين ثم وقعت الفتنة وعمرو بن سعد على المدينة
نائبا لعبد الملك بن مروان فكان يبعث البعوث اليه منها الى مكة حتى أرسل له عبد الملك الحجاج فابتدأ حصاره غرة ذي الحجة سنة
اثنتين وسبعين وحج تلك السنة الحجاج ووقف بعرفة عليه درع ومغفر ولم يطف الناس بالبيت في تلك الحجة فحاصره ستة أشهر
وسبعة عشر يوما ثم قتل في نصف جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وعمره اثنتان وسبعون سنة وأيام على ما ذكره الذهبي و روى الشعبي
قال هاج الدم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحجمه أبو طيبة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أشكموه فاعطوه دينارا وقال
لابن الزبير واره يعني الدم قال فتوارى ابن الزبير فشرب الدم فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله فقال اما انه لا تصيبه
النار أولا تمسه النار قال الشعبي فقيل لابن الزبير كيف وجدت طعم الدم فقال اما الطعم فطعم العسل واما الرائحة فرائحة المسك أقول فهذا من باب قلب الاعيان الذي عد من معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبهذا يندفع نزاع الفقهاء ويؤيده ما ذكره التلمساني عن عائشة رضي الله تعالى عنها وذكرت انها لا تجد في الخلاء شيئا فقال انا معاشر الانبياء تنبت اجسادنا على أرواح الجنة فما خرج منها من شئ
ابتلعته الارض ولكن رواه البيهقي في الدلائل عنها ثم قال هذا من موضوعات الحسين بن علوان لا ينبغي ذكره لمثله
ففي الاحاديث الصحيحة المشهورة من معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان انتهى وروى ان رجلا قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم أبعد في المذهب فلما خرج نظرت فلم أر شيئا ورأيت في ذلك الموضع الثلاثة الاحجار اللاتي استنجى بهن فاخذتهن فاذا بهن يفوح
منهن روائح المسك فكنت اذا جئت يوم الجمعة المسجد أخذتهن في كمي فتغلب رائحتهن روائح من تطيب وتعطر (وقد روى نحو من
هذا عنه) أي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في امرأة شربت بوله) أي من غير علم بانه بول كما سيأتي (فقال لها لن تشتكي) باسكان
الياء على ان النون حذفت للناصب (وجع بطنك أبدا) وفي رواية لن تلج النار بطنك والحديث رواه الحاكم وأقره الذهبي
والدارقطني (ولم يأمر واحدا منهم) أي أحدا ممن شربه وفيه تغليب الرجال على النساء (بغسل فم) لا دلالة في الاحاديث على الامر
ولا على عدمه مع ان غسل الفم من البول كان عندهم من قبيل المعلوم بالضرورة وعلى تسليم عدم الامر لا يثبت طهارته لاحتمال
الذهول أو للاعتماد على الطهور الا أن يثبت انه رأى احدا منهم يصلي من غير غسل فم مثلا وسكت عليه وأقره كما هو مقرر
عند أرباب الاصول

لغيره وقدم ذلك (ولم ينكر عليه) هذا هو محط الدليل فان عدم انكاره صلى الله تعالى عليه وسلم عليه
دليل على جوازه وطهارته قال السخاوي سئل شيخنا العلامة ابن حجر عن حديث ابن الزبير ومالك بن
سنان وقوله للاول ويل لك الخ وقوله لمالك لا تمسك النار ما الحكمة في تنوع القول مع اتحاد السبب
فاجاب بان ابن الزبير رضي الله عنهما شرب دم الحجامة وهو قدر كثير يحصل به الاغتذاء وقوة جذب
المحجمة تجلبه من سائر العروق أو كثير منها فعلم صلى الله تعالى عليه وسلم انه يسري في جميع جسده
فتكتسب جميع اعضائه منه قوى من قوى النبي صلى الله عليه وسلم فتورده غاية قوة البدن والقلب
وتكسبه نهاية الشهامة والشجاعة فلا ينقاد لمن هو دونه بعد ضعف العدل وقلة ناصره وتمكن الظلمة
وكثرة أعوانهم فيحصل له ما أشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من تلك الحروب الهائلة التي تنتهك
بها حرمته أي الناشئة من حرمته صلى الله عليه وسلم وحرمة البيت العتيق فقيل و يل له لقتله وانتهاك
حرمته وو يل لهم لظلمهم وتعديهم عليه وتسفيههم واما مالك رضي الله تعالى عنه فازدرد ما مصه من
الجرح الذي في وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أقل من دم الحجامة وكانه صلى الله تعالى عليه وسلم
علم انه يستشهد في ذلك اليوم فلم يبق له من أحوال الدنيا ما يخبر به فاعلمه بالاهم له بعناية لقاه من انواع
مسرات الجنان انتهى ولا عطر بعد عروس (وقد روى نحو من هذا) المذكور في شرب دمه صلى الله تعالى
عليه وسلم (عنه) صلى الله عليه وسلم (في امرأة شربت بوله) سيأتي بيان هذه المرأة (فقال لها لن تشتكي
وجع بطنك) أي لا يصيب بطنك وجع بعد اليوم لبركة ما دخل في جوفها فعبر بنفي الشكاية عن نفي
لازمه وهو الوجع بطريق الكناية التي هي أبلغ من التصريح (أبدا) وفي رواية بعدها (ولم يأمر واحدا
منهم) أي ممن شرب دمه ومن مصه ومن شرب بوله (بغسل فم) ولو كان نجسا لامر به ونهاه عن عوده

(ولا نهاه) أى الاحد (عن عوده) أى عن عود شرب بوله وفيه أنه لا يحتاج الى النهى عن العود الا اذا وقع ذلك الفعل عن العمد من غير ضرورة ولا حالة جذبة وسيأتى اعتذارها بانها شربته بغير علمها وفى نسخة صحيحة بلفظ عودة بالتاء للوحدة هذا وروى ابن عبد البر ان سالم بن أبى الحجاج حجمه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ازدرد أى ابتلع دمه فقال اما علمت ان الدم كله حرام وفى رواية لا تعد فان الدم كله حرام (وحديث هذه المرأة التى شربت بوله صحيح) أى واصحته (ألزم الدارقطنى) بفتح الراء وتسكن نسبة الى دارقطن محلة ببغداد وهو صاحب السنن وروى عنه الحاكم وأبو ذر الهروى وأبو نعيم وغيرهم (مسلما والبخارى) أى كلا منهما (اخراجه) أى تخريج الحديث وذكره باسناده (فى الصحيح) أى فى كل من صحيح البخارى ومسلم اذ رجاله كرجالهما فى الضبط والعدالة وغيرهما لكن انما يتوجه هذا الالزام عليهما لو التزما تخريج جميع الصحيح ولم يلتزماه والحاصل ان هذا الحديث فى مرتبة الحديث الذى اتفق عليه الشيخان من كمال الصحة وان لم يخرجاه فى جامعيهما لكن انتقد عليه فانه جاء من جهة أبى مالك النخعى وانه ضعيف وفى علل الدارقطنى أيضا انه مضطرب من جهة أبى مالك والله تعالى أعلم (واسم هذه المرأة

بركة) بالفتحات (واختلف فى نسبها) فقيل هى بنت يسار مولاة أبى سفيان بن حرب بن أمية كانت هى وزوجها قيس بن عبيد الله هاجرا مع أم حبيبة بنت مولاها أبى سفيان وزوجها عبيد الله بن جحش فلما تنصر زوج أم حبيبة وبقيت على الاسلام خطبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزوجها له النجاشى وأصدقها عنه أربعمائة دينار أو أربعمائة أوقية ذهب ثم بعثها اليه مع شرحبيل بن حسنة وقدمت بركة هذه معها وكانت تخدمها وتخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى اسم لثلاثة منهن

مثله لان تناوله لم يكن باذنه فلذا قال (ولا نهاه عن عوده) ضمير نهاه وكذا ضمير عوده المضاف اليه ان كان بالضمير لواحد وليس الضمير للشرب كما توهم وقال البرهان انه لعودة بتاء التأنيث كدولة فكأنه رواية ولو كان نجسا حرم تناوله ووجب تطهير محله ولم يقر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على مثله وكونه للتداوى والعلاج خلاف الظاهر على ما فيه (وحديث هذه المرأة التى شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم صحيح ألزم الدارقطنى مسلما والبخارى اخراجه فى الصحيح) يعنى انه مستجمع لشرطهما فهو فى أعلى درجات الصحة فكان ينبغى ذكره فليس الالزام على ظاهره والدارقطنى منسوب الى دار القطن محلة ببغداد وهو الامام الحافظ الذى لم ير مثله فى عصره وهو على بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود بن النعمان ابن دينار بن عبد الله أبو الحسن الذى انتهى اليه علم الاثر ومعرفة العلل وأسماء الرجال وأحوالهم مع الصدق والعدالة والمعرفة بمذاهب الفقهاء فلذا قيل انه أمير المؤمنين فى الحديث ولد سنة ست وثلاثمائة وتوفى سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وما ذكره المصنف من ان الدارقطنى قال حديث المرأة التى شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم صحيح يخالفه انه قال فى علله انه مضطرب جاء عن أبى مالك النخعى وهو ضعيف وروى عنه الحاكم (واسم هذه المرأة بركة واختلف فى نسبها) قال البلقينى رحمه الله تعالى فى الخصائص ان أم أيمن وأم يوسف شربتا بوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكره عليهما وفى تجريد الذهبى ان بركة الحبشية قدمت مع أم حبيبة وهى التى شربت بوله وهى غير بركة بنت يسار المهاجرة الى الحبشة مع زوجها قيس بن عبد الله الاسدى وغير بركة أم أيمن وهى بركة بنت ثعلبة بن عمرو والدة أيمن بن عبيد وأم اسامة بن زيد فاسم هذه المرأة بركة ولكن فى الصحابيات من اسمها بركة عدة نساء فاختلف فى التى شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم أيتهن هى والى ذلك أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله اختلف فى نسبها فقيل هى أم أيمن بركة بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حفص ابن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحاضنته الحبشية معتقة أبيه أسلمت هى وابنها أيمن بن عبيد الحبشى ثم تزوجها زيد بن حارثة وأخرج لها أحاديث فى كتب السنة وأدركت خلافة عثمان كما فى التهذيب وذكره الواقدى ورد بما فى مسلم من انها توفيت بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخمسة أو ستة أشهر ولم يكن بام أيمن غيرها وقيل ان التى شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم بركة بنت يسار مولاة أبى سفيان بن حرب المهاجرة السابقة وكانت ظئر الام حبيبة رضى الله عنهما فلما تنصر عبد الله بن جحش ثبتت أم حبيبة على الاسلام وخلف عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بتزويج النجاشى اياه صلى الله تعالى عليه وسلم لها واصداقه اياها أربعمائة دينار وبعثها له صلى الله عليه وسلم مع شرحبيل بن حسنة فقدمت ومعها بركة تخدمها وهى القائلة انه كان له صلى الله تعالى عليه وسلم قدح تحت سريره يبول فيه فشربته ليلا وهذا مخالف لما قاله البرهان الحلبى من ان القادمة معها غير بركة بنت يسار ولما قاله الذهبى من انها بركة الحبشية الا أن يريد بالحبشية المهاجرة للحبشة وهو خلاف الظاهر وروى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها لا ييجع بطنك أبدا بفتح الياء الاولى وكسرها وهما لغتان فى يوجع سوى ياجع وعلى الكسر وروى قوله

* ولاتشكي قرح الفؤاد فييجعا * وروى كما اذن لاتلج النار بطنك (وقيل هى) أى بركة المذكورة (أم أيمن وكانت تخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) تاييد لكونها التى شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلا لانها اذا كانت خادمة له صلى الله تعالى عليه وسلم تمكنت من الوصول لذلك فى مثل ذلك الوقت وتمكنت من الوقوف على حاله فلذلك (قالت وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان) والقدح ليس المراد به مايشرب به الشراب كما هو عند العامة بل هو الاناء الذى يشرب منه وأصغره الغمر بضم الغين المعجمة وهو الذى لايروى ثم القعب وهو مايروى ثم القدح وهو مايروى الاثنين والثلاثة ثم العس وهو مايشرب منه الجماعة ثم الرفد ثم التين ثم الجفنة وعيدان جوز فيه التلمسانى كسر العين على انه جمع عود والذى عليه الشراح انه بفتح العين المهملة تليها ياء مثناة تحتية ثم دال مهملة وألف ونون وزنه فيعال أو فعلان والعيدان والعيدانة النخلة الطويلة قال الشاعر

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم

ويقال للنخل اذا طال وتناولته اليد عضيد فاذا فات اليد فهى الجبارة فاذا ارتفعت فهى الرقلة والعيدانة وكان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عدة أقداح قدح يسمى الريان وآخر يسمى المغيث وآخر مضبب بسلسلة من فضة وقدح من زجاج وهذا القدح كان (يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل) والسرير معروف ومن ظرفية بمعنى فى لازائدة وقد عده من معانيها الكوفيون وابن مالك وأنشدوا

عسى سائل ذو حاجة ان منعته * من اليوم سؤلا ناله بعد فى غد

وقال الله تعالى اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة أى فيه (فبال فيه ليلة ثم افتقده) الافتقاد افتعال من الفقد وهو العدم وليس الافتقاد هنا بمعنى العدم وان ورد بمعناه كما فى الصحاح بل الطلب والتفتيش يقال تفقده وتعهده بمعنى الا ان الفرق بينهما كما قال الراغب ان التفقد حقيقته تعرف فقدان الشئ والتعهد تعرف العهد المتقدم (فلم يجد فيه شيئا) من بوله (وسال) صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه بركة فقالت قمت وأنا عطشانة) المذكور فى كتب اللغة أنه يقال عطشان وعطشى وجماعة عطاش الا فى ألفاظ قليلة جاءت على فعلان فعلانة ولغة بنى أسد فى كل فعلان فعلانة فيصرفون فعلان لان شرط منع صرفه وجود فعلى أو فقد فعلانة فما ورد فى هذا الحديث اما سماعى على خلاف القياس أو هو على لغة بنى أسد فتوقف البرهان فيه لاوجه له وقد كانت قريش تتكلم بغير لغتها الكثرة وفود القبائل عليهم وحكى صاحب القاموس امرأة عطشانة من غير تقييد بلغة وقيل الظاهر ان من قال عطشى لايقول عطشانة وفيه نظر وقد علم ان هذا يدل على طهارة بوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم ينهها عنه ولم يامرها بغسل فمها ولا باعادة الصلاة ان كانت صلت ولاينافيه قولها (فشربته وأنا لاأعلم) لانه لبيان طيبه وأنها لم تجد له ريحا وطعما كغيره أى لاأعلم انه بوله لما ذكر فلا ينافى قولها انه كان له قدح يضعه تحت سريره الى آخره فتامل (وروى حديثها) أى بركة

أم أيمن (وقيل هى أم أيمن) أى الحبشية مولاته وحاضنته ومرضعته ورثها من أبيه ثم أعتقها لما تزوج خديجة فتزوجها عبيد بن زيد من بنى الحارث فولدت له أيمن وبه كنيت ثم تزوجها بعد النبوة زيد بن حارثة فولدت له اسامة حبه صلى الله تعالى عليه وسلم والى هذا القول ذهب ابن عبد البر وغيره وقال الواقدى كانت أم أيمن عسيرة اللسان فكان اذا دخلت قالت سلام لاعليكم يعنى سلام الله عليكم فرخص لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن تقول سلام عليكم أو السلام عليكم كذا ذكره التلمسانى تبعا للحلبى وفيه ان هذا جائز لغيرها أيضا فلا وجه للترخيص لها ولعل الرخصة أن تقول سلام بدون عليكم ويؤيده قولهم ان ذلك كان تكرمة لها وروى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال هى أمى بعد أمى (وكانت تخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الدال وتكسر على فى القاموس فاندفع قول التلمسانى ولا يصح الكسر كما تقوله العامة (قالت) أى المرأة (وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان) بفتح عين مهملة وزنه فعلان أو فيعال جمع عيدانة وهى النخلة الطويلة وقيل بكسرها جمع عود (يوضع) أى القدح (تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده) أى طلبه ليصبه (فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه) أى عن بوله الذى كان فى القدح (فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لاأعلم) أى انه بول قال الدلجى تبعا لغيره من المحشى الصواب عطشى لانه مؤنث عطشان الا أن تكون لغة قلت الصواب ان عطشانة جاء فى لغة كما فى القاموس وقيل هى لغة بنى أسد ثم القدح اناء يشرب منه ويقال للصغير الغمر بضم الغين وهو أول الاقداح وهو الذى لايبلغ الرى ثم العقب وهو قدر رى الرجل ثم القدح وهو يروى الاثنين والثلاثة ثم غيرها على ما فى كتب اللغة والسرير مرفع يصنع من خشب ويوضع فى ناحية من البيت أو السطح يتخذ للرقاد وقاية من الارض وما فيهما (روى حديثها) أى بكماله

أم

(ابن جريج) بالجيمين مصغرا مجمع على كونه ثقة ولد سنة ثمانين ومات سنة خمسين ومائة روى عن مجاهد وعطاء وطاوس وابن أبي مليكة وعنه ابن عيينة والثوري وغيرهما وهو مجمع على ثقته وهو أول من صنف الكتب في الاسلام وقد روى عن حكيمة بنت أميمة بنت أبي صيفي عن أمها قالت كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره ليبول من الليل فيه فبال فيه ليلة ووضع تحت سريره ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدمه ما فعل بالبول الذي كان في هذا القدح فقالت يارسول الله اني شربته وروى عبد الرزاق عنه قال أخبرت ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا هو ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة أين البول الذي كان في القدح قالت شربته قال صحة يا أم يوسف وكانت تكنى أم يوسف فما مرضت قط حتى ماتت (وغيره) أي ورواه أيضا غير ابن جريج كأبي داود وابن حبان والحاكم عن أميمة عن أمها وروى الحاكم والدارقطني عن أم أيمن قالت قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل ٣٦٣ وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر فلما أصبح قال يا أم أيمن قومي فاهرقي ما في تلك الفخارة قلت قد والله شربته فضحك ثم قال اما والله لا يجعن بطنك بعدها أبدا وهذا يدل على انهما واقعتان وقعتا كما قال ابن دحية لبركة أم يوسف وبركة أم أيمن وينصره ما في خصائص تدريب البلقيني انهما شربتاه هذا وقد شرب أيضا دمه عليه الصلاة والسلام أبو طيبة عاش مائة وأربعين سنة وسفينة مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رواه البيهقي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

أم أيمن المذكور (ابن جريج وغيره) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بجيمين أولاهما مضمومة وهو امام ثقة ولد سنة ثمانين وتوفي سنة خمسين ومائة ويكنى أبا الوليد وهو مولى لآل صفية بنت حيي قيل وهو أول من صنف في الاسلام وكان يقول مادون العلم أحد تدويني وقيل أول من صنف سعد بن عروبة وقيل الربيع بن فصيح وقد اختلف في قوله السابق امرأة شربت بوله وقصة أم أيمن في قدح العيدان هل هما قصتان أو قصة واحدة فروى الحاكم والدارقطني عن ام أيمن انها قالت قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر فلما أصبح قال يا أم أيمن قومي فاهريقي ما في تلك الفخارة فقلت شربت ما فيها فضحك ثم قال والله لا ييجعن بطنك أبدا ونحوه وأخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال أخبرت انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة رضي الله تعالى عنها جاءت معها من الحبشة أين البول الذي كان في القدح فقالت شربته فقال لها صحة يا أم يوسف وكانت تكنى أم يوسف فما مرضت حتى كان مرض موتها وأخرج أبو داود وابن حبان عن أميمة بنت رقيقة انها قالت كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان الى آخره قال ابن دحية رحمه الله تعالى هما قصتان لام أيمن وبركة أم يوسف غير بركة أم أيمن * أقول وفي قوله صلى الله تعالى عليه وسلم صحة ما يدل على ان الدعاء به بعد الشرب سنة لا بدعة عامية وحكمته ان الاكل والشرب يخشى منه السقم ونحوه فاذا دعى به كما قال شعر

فان الداء أكثر ماتراه * يكون من الطعام أو الشراب

وفي بعض النسخ وهو ساقط من الام وأكثرها (وروى) في بعض الروايات (عن أمه آمنة انها قالت ولدته) صلى الله تعالى عليه وسلم (نظيفا ما به قذر) أي شئ مما يكون على المولود أي نقيا من الوسخ والدرن وفي بعض النسخ تأخير عن قوله (وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة) وفي بعض الروايات ولد مختونا مسرورا وفيه تورية لانه من السرور أو من قطع السرة ومثلها في الحسن انه ولد

ذكره الرافعي في الشرح الكبير قال ابن الملقن ولم أجده في كتب الحديث (وروى في بعض الروايات عن أمه آمنة) بالمد على وزن فاعلة وهي بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ولم تلد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتزوج غيرها عبد الله على الاصح فيهما وفي اسم آمنة أمان أمته وفي حليمة حلم وفي بركة بركة فتلك آمنة من سائر النقم وذكر السهيلي ان الله عز وجل أحيى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبويه فآمنا به ثم أماتهما وكذلك نقله السيوطي في خصائص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه حديث موضوع كما صرح به ابن دحية وقد بينت هذه المسئلة في رسالة مستقلة (انها قالت ولدته نظيفا) أي نقيا (ما به قذر) بفتحتين أي وسخ ودرن كذا رواه ابن سعد في طبقاته وروى انه ولدته أمه بغير دم ولا وجع قال المسعودي ولد عليه السلام في شهر ربيع الاول من سنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان في دار ابن يوسف وهذه الدار بنتها بعد ذلك الخيزران أم الهادي والرشيد مسجدا (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولد مختونا) أي لا قلفة له (مقطوع السرة) بضم السين رواه أبو نعيم والطبراني في الاوسط وفي دلائل البيهقي بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه عن أبيه انه ولد معذورا مسرورا أي مقطوع السرة مختونا

معذورا مسرورا ومعنى معذورا مختونا يقال عذرته وأعذرته اذا قطعت عذرته وهى القلفة وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مختونا مقطوع السرة ورد فى حديث روى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما وعلى هذا فهو تكريم له صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يرى أحد عورته وقد وقع هذا لكثير من الناس والعرب تسميه ختان القمر وأصله ان الطفل اذا ولد فى ليلة مقمرة واتصل بحشفته ضوء القمر وهى اذ ذاك لم تنضج جلدته أثر فيها حتى تقلصت وانمحقت فان القمر يؤثر ضوءه فى اللحم ويغيره الا أنه لا يكون قاطعا لها بالكلية ولذا لم يتم دحوانه قال الشاعر

انى حلفت يمينا غير كاذبة * لانت أقلف الا ما جنى القمر

وقيل انه يشير الى أن النمو فى خلقة الانسان يحصل فى زيادة القمر ويحصل النقصان عند نقصانه كما فى الخز والحر برفهذا النقصان منسوب لنقصان القمر وقيل ان عبد المطلب لما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مختونا قال ليكونن لابنى هذا شان ولا يخفى ان سند هذا الحديث ضعيف جدا والذى صححه المحدثون كما فى التمهيد لابن عبد البر ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وجعل له مادبة وسماه محمدا وكانت العرب تختن لانه سنة توارثوها من اسمعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام وليس ذلك لمجاورة اليهود وقد ورد هذا فى قصة هرقل وواقعته التى قيل له فيها ان ملك الختان قد ظهر وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ختن يوم شق قلبه الشريف وهو عند مرضعته حليمة وقد ذكره ابن القيم فى كتابه الهدى وهو أرجح الاقوال وطعن فى القول الاول من الاقوال الثلاثة وقال انه روى فى حديث لم يصح وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ومن الغريب قول الحاكم فى المستدرك ان الاخبار تواترت بان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مسرورا مختونا تعقبه الذهبى وقال لا نعلم صحة ما ذكره فكيف يكون متواترا والقول بانه أراد بتواتره شهرته بين الناس لا ما اصطلح عليه المحدثون بعيد وقد وقع فى هذه المسئلة نزاع بين ابن طلحة والكمال ابن العديم فالف ابن العديم فى تأييد انه صلى الله تعالى عليه وسلم ختن بعد ولادته تاليفا أوضح فيه الدلائل والنقول الا أنهم لم يرضوا قول ابن الجوزى انه موضوع وردوه ومع قوله انه موضوع نقل عن كعب الاحبار ان ثلاثة عشر نبيا ولدوا مختونين أى على صورتهم وهم آدم وشيث وادريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى ومحمد وزيد عليهم حنظلة بن صفوان قيل ولا تعارض بين كلاميه ولا يخفى ما فيه وزيد عليهم الى سبعة عشر وقد نظمهم بعضهم فى قوله

وفى الرسل مختون لعمرك خلقة * ثمان وتسع طيبون أكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف * وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح * سليمان يحيى هود ياسين خاتم

(تتمة) قد علم ان أمه صلى الله تعالى عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف زوجها عبد المطلب ابنه عبد الله فولدت له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى وقت وفاتها سبعة أقوال فقيل هو بعد ست سنين أو سبع أو ثمان أو خمس أو أربع أو تسع أو اثنى عشر وتسعة شهور من ولادته أو غير ذلك وماتت بالابواء راجعة من عند بنى النجار أخواله وفى زيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبرها واحيائها له كلام سيأتى ثم انه ورد فى الحديث ان رجلا ساله صلى الله تعالى عليه وسلم ما حقيقة أمرك منذ نشأت فقال أنا دعوة أبى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبشرى أخى عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم وانى كنت بكر أمى وانها حملتنى كانقل ما تحمل النساء وجعلت تشتكى لصواحبها ثقل ما تجد الحديث وهذا الحديث يعارضه ما رواه الواقدى من ان أمه آمنة قالت لما حملت به ما شعرت انى حملت به ولا وجدت له ثقلا كما تجد النساء وانما أنكرت رفع حيضتى وجمع بينهما الحافظ أبو نعيم بان الثقل كان فى ابتداء علوقها به والخفة عند

يقال عذره واعذره ختنه وروى الخطيب عن أنس رضى الله تعالى عنه مرفوعا وصححه أيضا فى المختار من كرامتى على ربى انى ولدت مختونا ولم ير أحد سوءتى وقال الحاكم تواترت الاخبار بولادته مختونا وتعقبه الذهبى بقوله ما أعلم صحته فكيف يكون متواترا قلت يجوز أن يكون الشئ متواترا عند بعض دون بعض وقيل ختن لما شق قلبه عند مرضعته حليمة أى ختنته الملائكة عندها كما ذكره التلمسانى وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته وصنع له مادبة وسماه محمدا

استمراره

(وعن عائشة رضى الله تعالى عنها مارأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) أى اما حياء منه أومنها أومنهما والحديث رواه ابن ماجه والترمذى فى شمائله وروى عنها انها قالت مارأيت منه ولا رأى منى أى العورة (وعن على رضى الله تعالى عنه أوصانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا) أى بان لا (يغسله غيرى) بتخفيف السين وتشديدها (فانه لايرى أحد عورتى الاطمست عيناه) بصيغة المجهول وأبعد التلمسانى فى قوله بفتح الميم مع انه قال والطمس المحو والمطموس العين هو الذى لاشق بين جفنيه انتهى والمعنى عميت قال الدلجى قوله فانه علة لترك غسله لغير على كرم الله وجهه وتحذير من اقدام غيره عليه وخصه بذلك لعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بان له قدرة على غض بصره انتهى وفيه نظر لان غض البصر من كل أحد ممكن اذا أوصاه به وفى السيرة عن يونس بن بكر أنه نودى وهو يغسله ان ارفع طرفك الى السماء وفيه اشكال اذلايمكن غسله بكماله مع غض البصر ورفعه وأيضا لايخلو من انه يغسل مجردا أومصحوبا بما يغطى عورته من سرته الى ركبته أوفى قيصه ولاأظن ان الاحتمال الاول يصح اذلايجوز لغيره ان يفعل هذا به فكيف بمثله صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوله فانه أى الشان لايرى أحد عورتى الاطمست عيناه فهو بيان وتنبيه لعلى وغيره ممن كان بعينه فى غسله من أهل البيت ان لايقصدوا رؤية عورته ليحترسوا ويحترزوا عن كشفها ووقوع نظرهم عليها هذا وعن ابن اسحق لما اختلفوا هل يغسلونه فى ثوبه أولا نودوا ان أغسلوه فى ثوبه انتهى والمراد بثوبه قيصه كما بينته فى شرح الشمائل للترمذى

استمراره فيكون فى الحالين خارجا عن المعتاد المعروف وهذا الجمع لايتأتى مع قولها كما روى انى لما أنكرت رفع حيضتى أتانى آت وأنا بين النائم واليقظان فقال هل شعرت بانك حملت بسيد هذه الامة ونبيها فكونها أنبئت بالحمل يقتضى ان الثقل لم يكن فى ابتدائه والذى ينبغى فى التوفيق أن الثقل يكون معنويا وهو الوجع والالم الذى يحصل للحوامل وهو المنفى وحسيا وهو رزانته وزيادة مقداره من غير ألم وتعب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم وزن بجميع أمته فرجحهم وهذا هو المثبت وبقية أحوال حمله ومولده مفصلة فى كتاب المولد لابن حجر وغيره (وعن عائشة رضى الله عنها) انها قالت (مارأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) وروى انها قالت مارأيت منه ولارآى منى يعنى العورة وحذف المفعول لاستهجان ذكره وسيأتى الكلام على ذلك عند اعادة المصنف له فى الكلام على الحياء والاغضاء وقد اختلف فى نظر أحد الزوجين عورة الآخر فقيل يكره وهو الاصح وقيل يحرم لانه يورث العمى وورد تعليل النهى عنه بذلك ونقل عن علماء الشافعية الاختلاف فى هذا العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى الولد وقيل عمى القلب (وعن على رضى الله تعالى عنه أوصانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغسله غيرى فانه لايرى أحد عورتى الاطمست عيناه) قال المخرج هذا الحديث رواه البزار والبيهقى أى لايمر يده على جسده للغسل غيره لانه من أقرب أقربائه وأقدمهم صحبة وأما قول الحافظ مغلطاى انه غسله صلى الله تعالى عليه وسلم على والعباس وابنه يعيناه وقثم وأسامة وشقران يصبون الماء عليه وأعينهم معصوبة من وراء الستر فلا ينافيه انهما أعاناه بتقليب جثته الشريفة والثلاثة أعانوه بصب الماء وهو يغسله بنفسه وقوله من وراء الستر يعنى قيصه من غير تجريد منه كسائر الموتى لما روى عن عائشة رضى الله عنها انهم اختلفوا هل يجردونه أم لا فسمعوا مناديا من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرونه يقول غسلوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه ثيابه فلم يجردوه وقوله وأعينهم معصوبة أى مربوطة بعصابة حتى لاينظرون جسده الشريف وهو يغسل خيفة ان يبدو من بدنه الشريف مالم يؤذن فى النظر اليه وضمير أعينهم للعباس وابنه وقثم وأسامة وشقران لا للكل فعلى رضى الله تعالى عنه لم يعصب عينه لانه المباشر فهو مأذون له فى ذلك وخص بالاذن لانه كان أقدرهم على الغض وغيره وربما حانت منه لفتة فيطمس عيناه ولذا ورد انه نودى وهو يغسله ان ارفع طرفك نحو السماء خوفا من ان يديم النظر اليه وطمست بفتح الطاء والميم من الطمس وهو ازالة الاثر بالمحو وطمس العين ازالة ضوئها وصورتها وهو لازم قال الله تعالى ربنا اطمس على أموالهم ويتعدى كقوله تعالى من قبل ان نطمس وجوها وكفن صلى الله تعالى عليه وسلم فى ثلاثة أثواب بيض سحولية والسحولية بضم السين وفتحها نوع من ثياب اليمن قطن وبيان النسبة مفصلة فى الفائق وفى هذا دليل على ان الله تعالى صانه صلى الله تعالى عليه وسلم عن ان يرى أحد محل العورة منه قبل النبوة وبعدها فمن نظر اليها عن قصد عمى ولم يرد ما ينافيه اذ لم ينقل ان أحدا رآها فى صغره كامه ومرضعته وأما ما روى من ان قريشا لما بنت الكعبة وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ينقل الحجارة معهم فكان يضع ازاره على عاتقه ويضع الحجر عليه فاذا دنا من الناس لبسه فلكمه لاكم لكمة شديدة فاستغاث شاخصا بصره للسماء فقيل له ما شانك فقال نهيت ان أمشى عريانا فكان ذلك أول شئ رآه من

أمر النبوة فليس فيه ان أحدا نظر لعورته صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) عكرمة منقول من العكرمة بمعنى الحمامة وهو عكرمة بن عبد الله البربري مولى ابن عباس أحد فقهاء المدينة وتابعيها ومن الأئمة المقتدى بهم في التفسير والحديث توفي سنة سبع ومائة وقيل غير ذلك وهذا رواه الشيخان وغيرهما وهو حديث صحيح (أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط) الغطيط صوت النائم اذا ارتفع نفسه لانطباق مجراه وضيقه و يقال خطيط بالخاء المعجمة أيضا وهي بدل من الغين كما يقال اغن واخن قال التلمساني وثبتت به الرواية أيضا (فقام فصلى ولم يتوضا) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا ينتقض وضوءه بالنوم مضطجعا بخلاف غيره وهو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وحكى الشافعية قولا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كغيره في الانتقاض بذلك والكلام على الانتقاض بالنوم في المذاهب الاربعة مفصل في كتب الفقه وانما كان ناقضا لانه مظنة خروج شيء من ريح ونحوه من النواقض ومذهب الشيعة وبعض السلف انه لا ينقض وفي أحد قولي الشافعي انه ينقض مطلقا وليس هذا محل تفصيله والاحاديث الدالة على ان نومه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينقض وانه تنام عينه ولا ينام قلبه كثيرة صحيحة منها ما ذكره هنا وهذا مخصوص به بالنسبة للامة لما صح من حديث انا معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا قال ابن عباس رضي الله عنهما الان رؤياهم وحي فيفارقون سائر البشر في نوم القلب و يساوونهم في نوم العين فلو سلط النوم على قلوبهم لم يكن رؤياهم مفارقة لرؤيا غيرهم وهذا افضل من الله خصهم به وأما ما روي من وضوئه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نومه فلم يقل انه لحدث وانما كان أحيانا لتجديد الوضوء فانه كان يستحبه أو هو بالنسبة لامته للتشريع لهم فان قلت يشكل على هذا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نام في الوادي حتى طلعت الشمس ولو كان قلبه غير نائم ما أخرج الصلاة عن وقتها * قلت أجيب عن هذا باجوبة أحدها انه لا مخالفة بينهما فان القلب يقظان فيحس بما يدركه القلب مما يتعلق بالبدن بخلاف ما يدرك بالعين كطلوع الشمس والفجر ثانيها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له نومان نوم مستغرق تنام فيه عينه وقلبه ونوم غير مستغرق تنام فيه عينه فقط قال النووي في شرح مسلم والمعتمد الاول فلعل قلبه صلى الله عليه وسلم كان مستغرقا بالوحي والمشاهدة فلا يلزم وصف قلبه بالنوم كما كان عند نزول الوحي عليه في اليقظة فلاشتغال باطنه بالقدس تعطل عن حقوق الظواهر كما قال الشاعر

فوالله ما أدري اذا ما ذكرتها * اثنتين صليت العشا أم ثمانيا

وهذا هو الذي اختاره ابن عبد البر وابن المنير لان ظاهر الحديث عمومه لسائر أحواله وما خالفه وجهه ما ذكر وحكمته التشريع وهذا جواب ثالث ورابعها أنه يستغرق قلبه و ينام ولكن لا يبلغ مرتبة عدم الشعور بالحدث (تنبيه) على القول بان المس ينقض الوضوء ذهب بعضهم الى أنه لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم وأما هو فلا ثم اعلم انه اذا كان رؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم وحيا فهل أوحي اليه في نومه بشيء من القرآن قال الرافعي في أماليه لم يقع ذلك وانما نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كله يقظة وما ورد من قراءته سورة الكوثر في النوم محمول على انها خطرت على قلبه بعد نزولها يقظة وقوله ولم يتوضا بسكون الهمزة لدخول الجازم عليه و يجوز أبدالها لغالبة على القياس وحينئذ فيجوز فيه جزمه بحذف الحركة المقدرة وابقاء الالف المعارضة و يجوز جزمه بحذف ألفه لمعاملته معاملة يخشى فلك أن تقول لم يتوضا ولم يتوضأ ولم يتوض كما ذكره النحاة (قال عكرمة) في بيان وجه ما ذكر (لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان محفوظا) قيل هذا جواب عن الاشكال السابق حاصله ان النوم ليس ناقضا بنفسه وانما نقض لانه مظنة الحدث والله تعالى حفظه صلى الله تعالى عليه وسلم

(وفي حديث عكرمة) وهو مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأحد فقهاء مكة وتابعيهم ومفسريهم لكنه أباضي خارجي (عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه الشيخان عنه (أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له) بصيغة المفعول (غطيط) أي صوت يخرج مع نفس النائم (فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان محفوظا) أي من ان يخامر قلبه نوم وان خامر عينيه لحديث انا معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وأما نومه عن صلاة الصبح في الوادي وعن صلاة التهجد أحيانا فالاظهر انه تجديد للوضوء ويجوز أن يكون عن نقض قبله أو بعده وقيل عن مخامرة قلبه مع ندرة ليبين لامته لكنه مردود لما سبق من عموم الاوقات المفهوم من الحديث الذي تقدم والله أعلم

عن وقوع ذلك منه ولو وقع نبه عليه وهو مع ضعفه مخالف لظاهر الحديث فالظاهر ان المراد ان الله حفظه عن أن ينام قلبه وقد علمت مما مر ان هذه خاصة اضافية بالنسبة للامة أو الامم لان سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كذلك وقيل ان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى كانه لم يطلع على حديث انا معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا أولم يصح عنده فحكم بان الصلاة بعد النوم من غير وضوء من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم وتبعه مغلطاي واليه ذهب بعض الشافعية ولذا قال ابن الوردى رحمه الله تعالى فى البهجة الوردية

و بعض ما اكرمه الله به * منامه بالعين دون قلبه

أقول لا وجه لما قالوه فان الحكم بغفلة مثل سفيان أو قوله فيما صح من الاحاديث انه غير صحيح غير صحيح مع انه لم يصرح به فالتقول عليه بمثله غير لائق وحمل المؤمن وقوله على الصلاح أولى فنقول انما أراد هؤلاء انه لو سلم ان الانبياء السالفة صح انهم كانوا يتوضؤن لصلاتهم كوضوئنا فلم يسمع من احدان وضوءهم ينتقض بنواقض شرعنا فحكون الصلاة بعد النوم من خواص نبينا على الاطلاق وعدم نوم قلوبهم امر آخر وهذا أمر اوضح من الصبح ومما ألممنا فيما نحن فيه

وعينيك ماقلب النبي غفا ولا * عيون له فى بردة الليل راقدة
ولكنما الاجفان منه تهجدت * وباتت بمحراب الحواجب ساجدة

(فصل) فى قوة عقله صلى الله تعالى عليه وسلم وشدة أدراك حواسه وذكائه وفيه مايدل على كمال قوة بنيته (وأما وفور عقله) الوفور بضم الواو والفاء مصدر كالعقود بمعنى التمام لا الكثرة وقيل يحتمل انه جمع وفر بمعنى كثير والعقل قوة وغريزة أودعها الله فى الانسان ليتميز عن الحيوان بادراك الامور النظرية وقيل انه نور يقذف فى القلب يستعد به لادراك العلوم والامور العقلية وفى حقيقته ومحله خلاف وكلام لاحاجة لتفصيله واشتقاقه من العقل بمعنى المنع ومنه العقال لمنعه الانسان عما لا يليق ولذا تظرف القائل

قد عقلنا والعقل أى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق

وهذه القوة تتفاوت بالشدة والضعف وتزيد بامور مكتسبة من التجربة ومخالطة العقلاء فلذا قيل العقل عقلان عقل غريزى وعقل مكتسب وقد علمت ان المراد بوفور عقله صلى الله عليه وسلم تمامه وكماله لا كثرته حتى يقال ان المصنف رحمه الله تعالى وصف العقل بالكثرة باعتبار آثاره الصادرة عنه قال فى الصحاح الموفور الشئ التام ووفرت الشئ وفرا ووفر الشئ بنفسه وفورا بمعنى انه تام ولازم والوفور لم يذكر انه جمع (وذكاء لبه) الذكاء بفتح الذال المعجمة والموحدة الفؤاد بسرعة أدراكه وفطنته لانه فى الاصل الاشتعال والتوقد ولذا يقال الذكى متوقد الذهن وقال الشاعر

لولم يحل ماء الندا * فيه لاحرقه ذكاؤه

واللب بضم اللام وتشديد الموحدة التحتية بمعنى العقل ولب كل شئ قلبه وخالصه فلو فسر اللب هنا بالقلب جاز أيضا يقال لب يلب اذا صار لبيبا وعلى الاول غاير بين اللب والعقل تفننا ولا تكرار فى كلامه كما توهم (وقوة حواسه) الخمس الظاهرة وهى اللمس والذوق والشم والسمع والبصر وهذه مما لا كلام فى ثبوتها للانسان والحيوان الاأن الحصر فيها لانا لم نعثر على غيرها لافينا ولا فى غيرنا وان أمكن كما صرحوا به واما الحواس الباطنة كالحس المشترك والخيال والقوة الفكرية والوهم والحافظة ومحالها من الدماغ فلم يثبتها أهل الشرع على انهم فى اثباتها وتعيين محالها فى حيص بيص كما يعرفه من وقف على كلامهم والحاسة بمعنى المدركة من حس بمعنى أحس والثانى هو الاعرف الافصح وبه جاء القرآن قال الله تعالى فلما أحسوا باسنا وفلما أحس عيسى منهم الكفر وهو استعارة لجعله لشدة ظهوره كالمحسوس

(فصل) (وأما وفور عقله) أى زيادته على عقل غيره (وذكاء لبه) بفتح الذال المعجمة ممدودا أى حدة فهمه وسرعة دركه واللب أخص من العقل فانه مختص بالعقل السليم والفهم القويم من لب الشئ خالصه وسره ومنه قوله تعالى ان فى ذلك لعبرة لاولى الالباب (وقوة حواسه) بتشديد السين جمع حاسة من حس بمعنى أحس وهى أسباب علمه من سمع وبصر وذوق وشم ولمس يعم جميع البدن

(وفصاحة لسانه) أي حسن تعبيره وبيانه (واعتدال حركاته) أي وسكناته من قيام وقعود ومشي ورقود ونحو ذلك (وحسن شمائله)
أي من خلقه وخلقه (فلامرية) بكسر ٣٦٨ الميم وتضم كما قرئ بهما في قوله تعالى فلا تك في مرية الا ان الضم شاذ أي فلا

وقوة الحواس مما يتمدح به (وفصاحة لسانه) هذا وماقبله مرفوع بالعطف على وفور وسيأتي الكلام على الفصاحة قريبا (واعتدال حركاته) أي حركاته الظاهرة في بدنه واعضائه جارية على نهج الاستقامة والادب فانها عنوان لما في قلبه من الخشوع والخضوع ومراقبة ربه الذي هو دائما في حضرته ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى رجلا يعبث بلحيته في صلاته لوخشع قلب هذا خشعت جوارحه (وحسن شمائله) جمع شمال بالكسر وهو الطبع والاخلاق والصفات المحمودة (فلامرية) بكسر الميم وقد تضم وسكون الراء المهملة يليها مثناة تحتية أي لاشك ولاشبهة أولاجدال ولامحاجة وقال الراغب المرية التردد في الامر وهي أخص من الشك قال الله تعالى فلا تك في مرية من لقائه والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية وقال الله تعالى فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا واصله من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها للحلب (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أعقل الناس وأذكاهم) أي أقواهم وأشدهم عقلا وأكثرهم فطنة وذكاء ووضح ذلك وبينه بما هو معلوم لاهل العلم والبصيرة فقال (ومن تامل) في الصحاح تاملت نظرت فيه مستثبتا فكأنه ماخوذ من الأمل وهو الرجاء لان من دقق النظر في شئ أعمل الفكر فيه رجاء حصوله وانكشاف كنهه (تدبيره أمور بواطن الخلق وظواهرهم) أي الوقوف على ظواهر أحوالهم وخفياتها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها وأصل معنى التدبير التفكر في عواقب الامور وادبارها وتدبير مفعول تامل وأمور مفعول تدبير لانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث داعيا الى الله وهاديا للعباد وهذا انما يكون باصلاح باطنهم وظاهرهم وهو يتوقف على معرفة ذلك (وسياسة العامة والخاصة) منصوب معطوف على تدبيره والسياسة مصدر ساس الناس يسوسهم اذا دبر امورهم وتصرف فيها كما قالت حرقة بنت النعمان

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

وقول علامة الروم انه معرب سه يسق غلط لا أصل له وقد أخذه من كلام من لايعتد به والعامة عوام الناس وجهلتهم من أرباب الصنائع والرعية ماخوذ من العموم لان أكثر الناس كذلك والخاصة خلافهم وللمسعودي والجاحظ كلام في وصف العامة منه اتباع لكل جاهل لايفرقون بين حق وباطل فتراهم مهرعين لقائد دب أوضارب دف منشوقين الى اللهو واللعب مختلفين لمتعبد متخرق واقفين عند قاص كذاب مجتمعين حول مضروب واقفين عند مصلوب ينعق لهم فيتبعون ويصاح بهم فلا يرتدعون اذا اجتمعوا اضروا واذا تفرقوا نفعوا وسياسة الخاصة بالدلالة على الخير والنصيحة وسياسة العامة بالزجر والقهر * والضرب والنهر * وسئل العتبي عن قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وقوله تعالى وأنزلنا الحديد فيه باس شديد أي مناسبة بين ذلك وبين الحديد وماهو الا كالجمع بين الضب والنون فاجاب بان مالك الملك أرسل رسله لاجراء أوامره ونواهيه بين عباده وهما قسمان عقلاء ذووا بصيرة وارشادهم بالكتب الالهية وماحوته من الادلة القطعية وجهلة عوامهم وتسخيرهم بالقهر والارهاب بالسيف والسنان فصار المعنى أرسلناهم بضابطي العامة والخاصة وأي مناسبة أتم من هذه وان ترى عدم المناسبة بينهما بحسب النظرة الحمقاء (مع عجيب شمائله وبديع سيره) جمع سيرة مضاف للضمير وقد تقدم انها هيئة السير ثم خصت بحاله في غزواته ونحوها والعجيب الامر الذي من شانه ان يتعجب منه لكونه لانظير له وكذا البديع بمعنى المبدع وغاير بينهما تفننا في العبارة

شك (انه كان أعقل الناس وأذكاهم) بالذال المعجمة أي أحدهم طبعا وأطيبهم نفعا (ومن تامل) أي تفكر (تدبيره) أي نظره باعتبار عاقبته (أمور بواطن الخلق وظواهرهم) أي بتصرفه فيهما الى حسن مآلهما (وسياسة العامة والخاصة) من سست الرعية سياسة امرتها ونهيتها والظاهر انها بكسر السين وأبدلت الواو ياء لحركة ماقبلها كالقيام والصيام فانهما من مادة السوس على مافي القاموس وقال الحلبي بفتح السين والظاهر انه سبق قلم أو زلة قدم ثم المراد بالخاصة العالم والمتعلم وبالعامة من عداهم كما ورد الناس اثنان عالم ومتعلم والباقي همج رعاع اتباع لايعبأ الله بهم وعن علي كرم الله وجهه وقد سئل عن العامة فقال همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق وأجمع الناس في تسميتهم على انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا والنهي والغوغاء ماخوذ من غاء الجراد لانه يركب بعضه بعضا فسميت ولم
العامة باسمه لاجل الشبه الحاصل بينهما في الارتكاب أي يتبع بعضهم بعضا من غير فائدة ولامنفعة وانما هم يقبلون لالشئ ويدبرون لالشئ (مع عجيب شمائله) أي اخلاقه العجيبة (وبديع سيره) بكسر ففتح جمع سيرة أي سيرة الغريبة

ولم يعطفهما وأتى بمع للدلالة على ان انضمام هذا الماقبله سبب كونه عجيبا بديعا كما تقول فلان يجود مع فقره لان الجود في هذه الحالة أغرب يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم مع سياسته العامة للخاصة والعامة مهذب الاخلاق موطئ الاكناف حسن السيرة وقلما تتفق السياسة العظمى الامع التجبر والتعظم والتحجب كما نراه من الملوك فهذا دليل قوة عقله وفطنته صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال (فضلا عما افاضه من العلم) أي وزاد على ماذكر بكثرة العلم الذي علمه الناس وجعله شائعا بينهم من أفاض الحديث اذاعه وقوله من العلم أي علوم الاولين والآخرين (وقرره من الشرع) أي ماقرره للناس من الامور الشرعية لمعرفته بشرائع من قبله وبيانه لامور شريعته والكلام على فضلا وتعديه بعن مفصل في شروح المفتاح والكشاف وياتي بعض منه والافاضة أصلها من فيض الماء ثم شاعت فيما مر (دون تعلم سبق) متعلق بافاض ومابعده أي فعل ذلك من غير تعلم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسكن غير بلده ولم يقارن غير أهل جلدته ولم يكن ثمة من يمكن تعلمه منه (ولا ممارسة تقدمت) منه والممارسة معالجة ومزاولة بالاعتياد على فعله أي لم يتعلم من غيره ولم يحاوله حتى يعلمه من نفسه باجتهاد في استخراجه بعقله (ولا مطالعة للكتب منه) أي لم ينظر في شئ من الكتب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أميا بين قوم أميين وهذا دليل على شدة ذكائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفطنته واستقامة طبيعته وفطرته فلذا قال (لم يمتر) أي لم يشك ولم يرتب (في رجحان عقله) أي في زيادة عقله (وثقوب فهمه) أي نفوذه وظهوره وهو بالمثلثة من تثقيب النار وهو تذكيتها يقال ثقبت النار ثقوبا اذا اتقدت (لاول بديهته) أي لم يمتر ولم يشك في أول نظرة نظرها فان قلت هو صلى الله تعالى عليه وسلم تعلم ماذكر من الوحي المنزل عليه وهو سفير محض قلت تلقي الوحي من الملك وضبطه وفهمه واجراؤه في مجاريه من غير تكلف منه يدل على ماذكر وكم من عالم قرأ ودرس العلوم اذا أراد تقرير ماعلمه لم يجد له قدرة ولا رونقا و بعض الفقهاء اذا ولي القضاء لايحسن الحكم بين الناس ولك ان تقول المراد بماذكر أمر آخر غير ماقلته من الامور العرفية التي أكثرها برايه وحسن تدبيره فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ماذونا له في الاجتهاد (وهذا مما لايحتاج الى تقريره) وبيانه بماذكرناه (لتحققه) بالمشاهدة في عصره والتواتر بعد ذلك بحيث لايشك فيه مسلم وعاقل وبما قررناه عرفت ان قول بعض الشراح هنا ان قوله ومن تامل الى آخره غير واقع موقعه لان العلم بمثل هذا ملحق بالبديهيات وقد استشعر ذلك فقال وثقوب فهمه لاول بديهته فهذا تطويل بل غير مفتقر اليه من عدم التدبر (وقال وهب بن منبه) بضم الميم وفتح النون وكسر الباء المشددة بزنة اسم الفاعل وهو وهب بن منبه بن سيج بسين مهملة مفتوحة وقيل مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم جيم الانباري اليماني أخو همام بن منبه وكنية وهب أبو عبد الله ويقال له الذماري نسبة الى ذمار بكسر الذال المعجمة وهي قرية بقرب صنعاء تابعي مشهور بالمعرفة بالكتب القديمة سمع من جابر بن عبد الله رضي الله عنه وقيل انه لم يلحقه وروى عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة والنعمان بن بشير وغيرهم رضي الله عنهم واتفقوا على توثيقه وعبادته وتوفي سنة أربع عشرة وقيل ستة عشرة ومائة وهو ابن ثمانين سنة وأخرج له أصحاب الكتب الستة وله ترجمة طويلة في الميزان (قرأت في احد وسبعين كتابا) من الكتب القديمة النازلة على الانبياء

(فضلا) مصدر لفعل محذوف يقع متوسطا بين نفي واثبات لفظا ومعنى فالمعنى لم ينل أحد عقله يفضل فضلا (عما أفاضه) أي زيادة عما أبداه وبينه واذاعه وأفشاه (من العلم) أي اعتقاديا وعمليا (وقرره) أي أثبته وحرره (من الشرع) بيان لما أفاضه وقرره وذلك كله (دون تعلم سبق) أي له من غيره (ولا ممارسة) أي ملازمة (تقدمت) أي منه لشئ من ذلك (ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر) من الامتراء وهو جواب الشرط أي لم يشك (في رجحان عقله وثقوب فهمه) بضم المثلثة أي في سرعة دركه (لاول بديهة) أي في أول وهلة بدون تفكر ومهلة فكانه ينقب العلم بقوة فهمه كما يثقب النجم الظلام بقوة ضوئه (وهذا) أي ماذكر (مما لايحتاج الى تقريره) أي ذكره وتحريره (لتحقيقه) وفي نسخة لتحققه أي لظهور تحققه وثبوت أمره عقلا ونقلا (وقال وهب بن منبه) بتشديد الموحدة المكسورة وهو تابعي جليل من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية روى عن ابن عباس وغيره من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وروى عنه ابن دينار وعوف الاعرابي وآخرون واتفقوا على توثيقه ويقال انه ما وضع جنبيه على الارض ثلاثين سنة وكان يقول لان أرى في بيتي شيطانا أحب الي من ان أرى وسادة لانها تدعو الى النوم وله أخوة منهم همام بن منبه وعمر بن منبه وهم من ابناء الفرس الذين بعثهم كسرى الى اليمن (قرأت في أحد وسبعين كتابا) أي من كتب الله المنزلة وفي معارف ابن قتيبة قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتابا

أخرى فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله تعالى عليه وسلم الا كحبة) أى لم يعطهم جميعا منه شيئا نسبته الى عقله الا كنسبة حبة (رمل من بين رمال الدنيا) أى بالنسبة الى رمالها وهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس والظاهر انه كان أفضلهم رأيا فى الامور الدينية وكذا فى الاعمال الدنيوية باعتبار الاكثرية أو حالة جزمه بالقضية فلا ينافيه حديث البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى أهل المدينة يابرون النخل بكسر الباء وضمها فسألهم عنه فقالوا كنا نفعله فقال لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا فتركوه ففسد ذلك العام فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر مثلكم فاذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوه واذا أمرتكم بشئ من رأيى أى مع تردد فيه وعدم جزم بحسنه فانما أنا بشر اخطئ وأصيب أى فى غير ما أوحى اليه وحيا جليا أو خفيا كما أشار اليه قوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى الآية

عليهم الصلاة والسلام وغيرها (فوجدت فى جميعها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا) يعنى ان عقله ازيد من عقول الناس والمراد أشد من عقولهم جميعا وآرائهم وقد تقدم انه كان يعرف الكتب القديمة ويقرؤها قال التجانى فى كتاب المعارف لابن قتيبة عن وهب انه قال قرأت من كتب الله سبحانه وتعالى اثنين وسبعين كتابا فيمكن ان يكون وجدان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا فى أحد وسبعين كتابا منها فقط ولم يجد ذلك فى الكتاب الثانى والسبعين ويمكن أن تكون الروايات عنه مختلفة بزيادة ونقص والذى قاله وهب من انه صلى الله تعالى عليه وسلم منوه بذكره فى الكتب المتقدمة يعضده قوله تعالى النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل (وفى رواية أخرى) عن وهب أيضا (فوجدت فى جميعها) أى فى جميع الكتب التى قرأها (ان الله تعالى لم يعط جميع الناس) حتى الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام (من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله تعالى عليه وسلم) أصل معنى الجنب الجارحة ثم استعير للناحية التى تليها كاستعارة سائر الجوارح لذلك كاليمين والشمال وقوله فى جنب الله أى فى أمره وحده الذى حده لنا كما قاله الامام الراغب فالمراد بقوله تعالى فى جنب الله فى حده ومقداره الذى اعطاه الله تعالى له (الا كحبة رمل من رمال الدنيا) يعنى ان عقله صلى الله تعالى عليه وسلم كجميع رمال الدنيا وعقل جميع الناس كحبة منها وهذا على طريق التمثيل لان عقولهم لا تقاس بعقله صلى الله تعالى عليه وسلم كما ضرب الخضر لموسى عليهما الصلاة والسلام مثلا بماء فى منقار عصفور من ماء البحر بالنسبة لسائره فشبه به علم الله تعالى وعلم ما عداه وقد اورد على كونه أفضل الناس رأيا انه ورد ما يخالفه فى كثير من الوقائع الثابتة فى الحديث ورجوعه عن رأيه الى رأى غيره كما فى قصة بدر ورجوعه لرأى الحباب بن المنذر حيث نزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بادنى ماء من مياه بدر فقال له الحباب أهذا منزل أنزلكه الله فلا نتقدم ولا نتأخر عنه أو هو رأى ومكيدة حرب فقال بل هو الرأى والمكيدة فقال ليس هذا بمنزل بل الرأى ان نسير حتى نأتى أدنى ماء من مياه بدر فننزله ثم نغور ما وراءه ونبنى عليه حوضا ونملؤه ثم نقاتل ونشرب ولا يشربون فقال اشرت بالرأى ورجع صلى الله تعالى عليه وسلم لما قاله وكذا فى قصة أسارى بدر والفداء وكذا فى قصة تابير النخل ونحوه مما سياتى مما لا حاجة للتطويل بذكره هنا وأجاب التجانى بان رجحان رأيه على ما سواه مخصوص بما أمضاه من سنن الشرع واجتهاداته فى أمور الدين فلا ينافى رجوعه فى آراء الدنيا لغيره كما صرح به فى قصة التابير اذ قال انما انا بشر مثلكم فاذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشئ من رأيى فانما انا بشر اخطئ وأصيب وهذا نص فيما ذكر ورد بان مختار أهل الاصول انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متعبدا فيما لا وحى فيه بانتظار الوحى ثم بالاجتهاد بعد وقت الانتظار وقيل له الاجتهاد مطلقا فى الامور الشرعية والدنيوية وهذا مذهب مالك وأحمد والشافعى وهو المنقول عن أبى يوسف وغيره واختلف فى جواز خطائه فى اجتهاده فذهب الرازى وغيره الى انه لا يجوز وفى التوضيح يجوز لكن لا يقرر عليه وعدم الاقرار بالاجماع لوجوب اتباعه المقتضى لعصمته وجواز الخطاء لا مانع منه بمقتضى البشرية وقوة عقله صلى الله تعالى عليه وسلم وكمال حدسه وسداد رأيه لا ينافيه لانه من لوازم الطبيعة البشرية واذا جاز سهوه فى صلاته ومناجاته ففى غيرها بالاولى فقول التجانى ان جميع أموره الدينية صواب خلاف المختار عند علماء الاصول وحينئذ فمعنى كونه أفضل الناس رأيا واجتهادا مع جواز الخطا احيانا ان رأيه لو خلى ونفسه من غير معارض فيما تقتضيه الطباع البشرية كان أفضل من رأى غيره واجتهاده اذا خلى ونفسه أيضا مع رجحان رأيه

بعدم

بعدم التقرير عليه اذا خالف الاولى وآراؤه صلى الله تعالى عليه وسلم كلها صواب بعد التقرير عليها
وقبله لا الا على قول من يقول كل مجتهد مصيب والحاصل ان كون رأيه أفضل الآراء لا ينافي رجوعه
لغيره ومشاورته له فان العبرة بما وقع عليه القرار لا ببادئ الرأي فافهم (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى
تقدم الكلام على ترجمته فيما رواه عنه ابن المنذر والبيهقي مرسلا بلفظ (كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه) قال البرهان في الاصل الذي وقفت عليه
من بفتح الميم موصولة وخلفه صلته منصوب على الظرفية وكذا من بين يديه وفي غيره بن الجارة فيهما
وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه لكن بلفظ قال صلى الله تعالى
عليه وسلم هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا خشوعكم واني لاراكم من وراء ظهري
ورواه مالك وأحمد وغيرهما وفي لفظه اختلاف كما يأتي والمعنى متفق واختلفوا في هذه الرؤية هل هي
مختصة بحال الصلاة أم لا وهل هي رؤية حقيقية أم علمية قلبية فقال ابن الصباغ في الشامل ان المراد بها
الحس والتحفظ وقيل المراد العلم بان يوحى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم كيفية فعلهم أو يلهم ذلك
وفيه نظر لانه حينئذ لا معنى لتقييده بقوله من وراء ظهري وقيل المراد من عن يمينه وشماله وهو تكلف
والصواب انه محمول على ظاهره وان الابصار حقيقي خاص به على طريق خرق العادة له صلى الله تعالى
عليه وسلم ولذا أخرجه البخاري في علامات النبوة ثم انه على ما ذكر يجوز ان يكون برؤية عينية خرقا
للعادة فكان يرى بهما من خلفه كما يرى ما يقابله فعلم لانه لا يشترط في الرؤية المقابلة ولا العضو المخصوص
عند أهل السنة كما قرروه في رؤية الله تعالى وهذه أمور عادية تجوز الرؤية مع عدمها عقلا واذا قلنا الرؤية
علمية فمعنى ارى من خلفي أراكم وأنتم من خلفي وقال الزاهدي الحنفي صاحب القنية في رسالته
الناصرية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له عينان بين كتفيه كسم الخياط يبصر بهما لا يحجبهما
ثوب ولا غيره والظاهر ان مثله لا يقال بالرأي وقيل كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته صلى الله تعالى
عليه وسلم كما تنطبع في المرآة فيشاهد افعالهم ولا ينافي هذا ما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل شابا
حدثا من وفد عبد القيس خلفه لئلا يراه ولا قوله اني لا أعلم ما وراء جداري هذا ان صح ولا قوله في
الحديث الآخر أيكم الذي ركع دون الصف فقال أبو بكر رضي الله عنه أنا يا رسول الله فلو كان يرى كما
ذكر ما احتاج للسؤال لان الاول تشريع والثاني المراد به نفي علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمغيبات
مع ان عدم رؤية ما وراء الجدار لا ينافي الرؤية من غير حائل وهذا ان لم نقل انه مخصوص بالصلاة كما في
الامتاع وأجاب ابن عبد البر عن حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه بان هذه القضية كانت قبل ان
فضله الله تعالى بهذه الفضيلة فان شؤونه صلى الله تعالى عليه وسلم تتزايد دائما وقيل معنى قوله اني أراكم
ان قصدت ذلك ولم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم قصد ذلك كما ان الانسان قد لا يستعمل نظره أحيانا
أو انه رآه ولم يعلم عينه أو أراد تقريره ليذكر له ما ذكره وارتضاه بعضهم وارتضى غيره انه كان خلفه صفوف
كثيرة فلا يرد عليه عدم رؤيته لانه لم يكن خلفه في الصف الاول فلا حاجة لما تكلفوه من الاجوبة وهو
كلام حسن (وبه فسر) بالبناء للفاعل أي فسر العلماء أو بعض المفسرين (قوله تعالى * وتقلبك
في الساجدين) أي نرى تقلب بصرك في المصلين خلفك لتراهم وتعلم ما يفعلون وهو امتنان بهذه
النعم وهذا مؤنس لاختصاصه بالصلاة كما ورد التصريح به في بعض الاحاديث (وفي الموطا) بصيغة
المفعول المشدد الطاء المهملة المهموز وسمي به لما فيه من أحاديث الاحكام الممهدة للشريعة
وسياق هذا الحديث للاستدلال به على قوة حواسه صلى الله تعالى عليه وسلم فيناسبه التفسير بانه
يراهم بعينيه حقيقة كما مر (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه)

(وقال مجاهد) أي كما رواه عنه ابن المنذر والبيهقي مرسلا بلفظ (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام في الصلاة) وفي نسخة الى الصلاة والاظهر هو الاول فتامل (يرى من خلفه كما يرى من بين يديه) من فيهما جارة ويجوز ان تكون موصولة وكذا ما ورد مثلها مما سيأتي (وبه) أي وبما ذكر من انه يرى من خلفه (فسر) أي مجاهد (قوله تعالى وتقلبك في الساجدين) بالنصب عطفا على الضمير المفعول في قوله سبحانه وتعالى وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم والمعنى ويرى تردد بصرك في من وراءك من المصلين لتصفح أحوالهم من الكاملين والغافلين (وفي الموطا) للامام مالك عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (عنه عليه الصلاة والسلام) وصدره أترون قبلتي ههنا فوالله لا يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم (اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه) أي نحو حديث الموطا بحسب المعنى

(عن أنس) رضي الله تعالى عنه (في الصحيحين) وهو ما روياه عن أنس مرفوعا أقيموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من بعدي وربما
قال من بعد ظهري اذا ركعتم وسجدتم (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها مثله) أي مثل ما في الصحيحين لفظا ومعنى (قالت) أي عائشة
رضي الله تعالى عنها (زيادة) على ما سبق أي هذه المعجزة لغايتها والخصلة الكريمة زيادة فضيلة (زاده الله اياها في حجته) أي لصحة
نبوته (وفي بعض الروايات) أي لعبد الرزاق والحاكم (اني لانظر من ورائي كما أنظر الى من بين يدي) فالموصولة متعينة فيهما وفي نسخة
الى ما وفي رواية كما أنظر من بين يدي فالاحتمال الان في من جائزان (وفي اخرى) أي وفي رواية أخرى لمسلم (اني لابصر من قفاي كما أبصر
من بين يدي وحكى بقي بن مخلد) ٣٧٢ بفتح الموحدة وكسر القاف وتشديد التحتية ومخلد بفتح الميم واللام بينهما خاء معجمة وهو

عن أنس رضي الله تعالى عنه في الصحيحين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها مثله قالت) ورؤيته صلى
الله تعالى عليه وسلم ما أكرمه الله تعالى به دون غيره (زيادة زاده الله تعالى اياها في حجته) وفي نسخة في
حجته والاولى أصح (وفي بعض الروايات) لعبد الرزاق والحاكم (اني لانظر من ورائي كما أنظر من بين
يدي وفي أخرى) أي في رواية أخرى لمسلم (اني لابصر من قفاي كما أبصر من بين يدي) والمراد بحجته
الدلائل الدالة على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقه وقيل في حجته على الكفار لان هذه معجزة
من معجزاته خارقة للعادة وقوله زيادة بالرفع أي هذه زيادة ويجوز نصبه وقول عائشة رضي الله تعالى
عنها هذا الاثبات رؤيته من خلفه وأكثر المفسرون في هذه الآية الاقوال فمنها ما ذكره المصنف رحمه الله
عن عائشة رضي الله تعالى عنها ومنها ما مر من ان المراد انتقاله من صلب نبي لنبي وسيأتي تتمته
وقيل ترددك في تصفح أحوال المتهجدين لانه لما نسخ فرض الليل دار صلى الله عليه وسلم على بيوت
أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير من الذكر والتلاوة وقيل معناه نرى
تقلبك في جماعة المصلين اذا أممتهم وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى عن الموطأ بعض حديث رواه مالك
عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترون قبلتي ههنا فوالله
ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم واني لاراكم من وراء ظهري وأول الحديث قال أنس صلى بنا النبي صلى
الله عليه وسلم ذات يوم فلما أقبل علينا بوجهه قال أيها الناس اني أمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالقيام
ولا بالانصراف فاني أراكم أمامي ومن خلفي الى آخر الحديث والكلام عليه مستوفى في شروحه (وحكى بقي
ابن مخلد) بقي بفتح الموحدة وتشديد القاف (٢) المكسورة تليها مثناة تحتية ومخلد بفتح الميم واللام
وخاء بينهما معجمة ساكنة ودال مهملة هو الامام أبو عبد الرحمن القرطبي الجياني الحافظ الزاهد العابد
الثقة صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي قال ابن حزم انه لم يصنف في التفسير مثله مولده في
رمضان سنة احدى ومائتين وسمع من ناس كثير منهم يحيى بن يحيى الليثي القرطبي وأبا مصعب
الزهري ويحيى بن بكير وابراهيم بن المنذر الحربي وابن أبي شيبة وطاف الشرق والغرب وشيوخه مائتان
ونيف وثمانون وروى عنه كثير كابنه أحمد وكان مجتهدا لا يقلد أحدا وعد من اضراب أهل السنن وكان
مجاب الدعوة يقال انه كان يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة ويسرد الصوم وحضر سبعين غزاة
وتوفي سنة ست وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى (عن عائشة رضي الله عنها) انها قالت (كان النبي صلى
الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء) وفيه رواية كما يرى في النور ولا شك انه صلى الله عليه وسلم

أبو عبد الرحمن القرطبي الحافظ صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي قال فيه ابن حزم ما صنف تفسير مثله أصلا سمع ابن أبي شيبة وغيره وكان مجتهدا ثبتا لا يقلد أحدا قال ابن حزم كان بقي ذا خاصة من أحمد بن حنبل وجاريا في مضمار البخاري ومسلم والنسائي انتهى وكان مجاب الدعوة وقيل انه كان يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة ويسرد الصوم وحضر سبعين غزوة (عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء) وفي رواية كما يرى في النور قال البيهقي اسناده ضعيف كما رواه أيضا من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان يرى

بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وقال ليس بقوي وقال ابن الجوزي لا يصح ولا ينافيه ما في روضة الهجرة للسهيلي من كان
انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما تزوج أم سلمة دخل عليها في ظلمة فاصابت رجله زينب فبكت ثم في ليلة أخرى دخل في ظلمة أيضا
فقال انظروا ربائبكم لا أمشي عليها لاحتمال حمل ما سبق على حالة من أحواله المسماة بالمعجزة والكرامة وهي لا تستدعي استيفاء
الاوقات والمداومة فتحمل احداهما على الندرة أو تخص تلك الحالة بوقت الصلاة هذا وقد ذكر النووي في شرح مسلم قال العلماء معناه
ان الله خلق له صلى الله تعالى عليه وسلم ادراكا في قفاه يبصر به من ورائه وقد انخرقت العادة له صلى الله تعالى عليه وسلم با كثر من هذا
وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع بل ورد الشرع بظاهره فوجب القول به وذكر المصنف كما سيأتي انه قال أحمد بن حنبل وجمهور العلماء
هذه الرؤية رؤية العين حقيقة وذكر مختار بن محمود مصنف القنية الزاهدي من أصحابنا الحنفية وشارح القدوري في رسالته الناصرية انه

(٢) قوله وتشديد القاف الخ والصواب كما في القاموس بكسر القاف وتشديد التحتية على وزن تقي اهـ مصححه

كان كامل الخلقة قوى الحواس فوقوع مثل هذا منه غير بعيد وقد رواه الثقات كابن مخلد هذا فلا وجه لانكاره وقد أخرجه البيهقى عن عائشة رضى الله عنها أيضا ونقل ابن دحية فى كتابه الآيات البينات عن ابن بشكوال انه ضعفه لان فى سنده ضعيفا وأخرجه عن ابن عباس بلفظ كان صلى الله تعالى عليه وسلم يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء ثم قال وليس بالقوى وذكر ابن الجوزى فى العلل حديث عائشة هذا وقال لم يصح وقال العقيلى فى سنده من لا يعتمد عليه كما فصله وذكر هذا الحديث الذهبى فى ميزانه فى ترجمة عبد الله بن محمد بن المغيرة الكوفى مع جملة أحاديث قال انها موضوعة وقال السهيلى رحمه الله تعالى فى الروض أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما ابتنى بام سلمة رضى الله تعالى عنها دخل عليها بيتها فى ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كان من الليلة الاخرى دخل فى ظلمة أيضا فقال أنظروا زينبكم ان لا أطاعليها وفى هذا الحديث توهين لحديث انه كان يرى بالليل كما يرى بالنهار انتهى ولا يخفى انه لا معارضة بين الحديثين تقتضى ماذكره لان زينب رضى الله تعالى عنها كانت بنتا صغيرة نائمة مغطاة بازار ونحوه فى جانب من البيت ومثلها قد لا يرى بالنهار أيضا وهذا على ما فيه أقرب مما قيل ان عدم رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لها كان لتغير حصل فى بصره الشريف لان الاعراض البشرية كانت تعتريه صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى قصة السحر فكان اذ ذاك كذلك فان مثله لا يقال من غير سند ورواية مجازف (والاحاديث كثيرة صحيحة فى رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة والشياطين) هذا مما لا شبهة فيه وانما ذكره المصنف رحمه الله تعالى دليلا على قوة بصره صلى الله تعالى عليه وسلم وانه يرى مالا يراه غيره أما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة فورد فى أحاديث كثيرة منها ما فى البخارى من انه قال لعائشة رضى الله تعالى عنها هذا جبريل يقرأ عليك السلام فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته انك ترى مالا نرى والاحاديث فى رؤيته الملائكة غير جبريل حيث لا يراها غيره كثيرة كما فى حديث العقبة ورؤيته ملك الجبال المشهور وفى هذا دليل على قوة بصره صلى الله تعالى عليه وسلم حيث يرى مالا يراه غيره وليس هذا مخصوصا بتشكل الملائكة فانها جواهر مجردة قابلة للتشكل عندنا وعند الحكماء لقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا وليس ذلك لها بنقص فيها أو زيادة بل للطافتها تنتشر تارة وتنضام أخرى كما تراه فى لهب النار عند تلاعب الريح بها وكذلك الجن فانها مخلوقة من النار الا ان الملائكة من نورها الصافى والجن من النار المختلطة بالدخان ولذا ذهب بعض الحكماء الى انهما جنس واحد وان الاستثناء متصل وفى بعض الشروح * فان قلت فما معنى تشكل الملائكة والجن فى صور مختلفة ولا قدرة لمخلوق على تغير خلقته * قلت قال القاضى أبو يعلى لا قدرة للجن على تغير خلقتهم ولا على نقل صورتهم الى صورة أخرى لان ذلك انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء وان انتقضت البنية بطلت الحياة واستحال وقوع النقل من الجملة فكيف ينقل بعينها وانما ذلك باعتبار جواز ان يعلمهم الله كلمات وضروبا من الافعال اذا فعله أحدهم أو تكلم به نقله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل وحمل عليه تصور جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة دحية رضى الله تعالى عنه وتصوره لمريم بشرا سويا ويجوز أن يكون الله تعالى قد جعل لهم قوة التشكل عند ارادتهم ذلك لانهم أرواح انتهى وفيه كلام آخر ليس هذا محله وأما رؤية الجن فقد ثبت فى أحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال كنا معه صلى الله تعالى عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه فى الاودية والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فسألناه فقال أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم لم يذكر

عليه الصلاة والسلام كان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط وكان يبصر بهما ولا يحجبهما الثياب (والاحاديث كثيرة صحيحة فى رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة والشياطين) أما الاول فكرواية البخارى وغيره انه رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح على كرسى بين السماء والارض قد سد الافق وقد رأى كثيرا منهم ليلة الاسراء وربما قيل انه أمر فيهم ونهى وأما الثانى فكحديث البخارى ان عفريتا تفلت على البارحة فى صلاة المغرب وبيده شعلة من نار ليحرق بها وجهى فامكننى الله منه فدفعته ثم أردت ان أربطه بسارية من سوارى المسجد فذكرت دعوة أخى سليمان وفى رواية لولا دعوة أخى سليمان لاصبح يلعب به ولدان المدينة

(ورفع النجاشي) بفتح النون وتكسر وبتشديد الياء وتخفف وقيل هو أول لقب من ملك الحبشة واسمه كما في البخاري أصحمة وقيل صحمة أو صمحة كتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وأسلمت لله رب العالمين ورفع بصيغة المجهول والنجاشي وما عطف عليه مرفوع على نيابة الفاعل كما صرح به الحلبي وأبعد الدلجي وجعله مخفوضا حيث قال وجاءت أيضا يعني الاحاديث في رفع النجاشي (له حتى صلى عليه) أي يوم مات في رجب سنة تسع من الهجرة وقد أخرج أبو داود من طريق يزيد بن مروان عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه لما مات النجاشي كان يتحدث انه لا يزال يرى على قبره نور وأما حديث صلاته عليه فرواه الشيخان وغيرهما وبه استدل الشافعي على جواز الصلاة على الغائب وأما حديث رفعه له فظاهره ان المرفوع هو أعلى نعشه حتى قيل انه أحضر بين يديه فلم تقع الصلاة الا على حاضر وقيل رفع له الحجاب وطويت له الارض حتى رآه قال الدلجي وجميع ماذكر وان كان ممكنا وقوعه فدعوى بلا بينة اذ لم يشهد به كتاب ولا سنة ومن ثمة أنكره ابن جرير لعدم وجوده في خبر ورواية عالم في أثر وانما الوارد في رواية أبي على والبيهقي ان معاوية بن معاوية المزني رفع له وهو صلى الله تعالى عليه وسلم بتبوك حتى صلى عليه انتهى ولا يخفى ان ثبوت هذه القضية في الجملة مع ذلك الاحتمال ينفي التعلق بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم في مقام الاستدلال كيف وقد جاء في المروي ما يومئ اليه وهو ما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث عمران ابن حصين أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أخاكم النجاشي توفي فقوموا وصلوا عليه فقام عليه الصلاة والسلام وصفوا خلفه فكبر أربعا وهم لا يظنون ان جنازته بين يديه فهذا اللفظ يشير الى ان الواقع خلاف ظنهم لانه هو فائدته المعتد بها في

فاما أن يكون سمعه منه عليه الصلاة والسلام أو كشف له وقد صرح القسطلاني في شرح البخاري ناقلا عن أسباب النزول للواحدي عن ابن عباس قال كشف للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن سرير النجاشي حتى رآه وصلى عليه وقال التلمساني ذكر ابن قتيبة في آداب الكتاب والكلاعي في النقاية أنه توفي ورفع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صلى عليه حين منصرفه من غزوة تبوك هذا مع انه قد يقال ان ذلك خص به النجاشي فلا يلحق به غيره ودليل الخصوصية انه لم يصل على غائب الا عليه وعلى بعض آخر صرح فيه بانه رفع له كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة وابن سعد في الطبقات عن أنس ان معاوية بن معاوية المزني ويقال الليثي نزل جبريل عليه الصلاة والسلام بتبوك فقال يا رسول الله ان معاوية بن معاوية المزني مات بالمدينة أتحب ان أطوى لك الارض فتصلي عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فرفع له سريره فصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك ثم رجع فقال عليه الصلاة والسلام لجبريل بم أدرك هذا قال بحبه سورة قل هو الله أحد وقراءته اياها جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وعلى كل حال

اسم الله عليه فهو طعام لكم وكل بعر علف لدوابكم ووردت أحاديث آخر في رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم وايمانهم به مفصلة في كتاب لقط المرجان في أحكام الجان قال بعض فضلاء عصرنا ظاهر كلام المصنف رحمه الله ان رؤية الملائكة والشياطين من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم فلا يراهم غير الانبياء وفي حاشية الحلبي في سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام في قول الراهب رأيت ملكين يظللانه من الشمس فيه ما يدل على جواز رؤية الملائكة كالجن وقد صرح وابه وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم محمول على الغالب أي وفيه بحث يأتي آخر الكتاب ولو كانت رؤيتهم محالة ما قال صلى الله تعالى عليه وسلم هممت ان أربطه بسارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم وقال المصنف رحمه الله تعالى قيل رؤية الجن على صورتهم الاصلية ممتنعة الا للانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن خرقت له العادة وانما يراهم بنو آدم في غير صورهم الاصلية ورده النووي بانه دعوى مجردة لا مستند لها (ورفع النجاشي له صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صلى عليه) يعني ان الله تعالى رفع بيت النجاشي وجنازته وهو ببلاد الحبش فرآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المدينة وصلى على جنازته وهذا دليل على قوة بصره الشريف بحيث يراه مع بعد ما بينهما من المسافة البعيدة والبحر ورفع مبني للمجهول وتقريره رفعه الله وصلى فاعله ضمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قيل ويجوز أن يكون رفع مصدرا مضافا لمفعوله مبتدأ خبره مقدر أي ثابت أو معجزة ويجوز أن يجر عطفا على قوله في رؤيته الملائكة والاخبار كثيرة في ذلك وفي رفع النجاشي بمعنى انه نقل بطرق كثيرة ولا مانع من ذلك والاول أولى وأظهر والنجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة بفتح الهمزة وسكون الصاد وفتح الحاء المهملتين والميم والهاء ابن أبجر بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها جيم مفتوحة وراء مهملة وقال مغلطاي ابن بحرى وقيل اسمه صحمة بمهملتين مفتوحة فساكنة وقيل صمحة بتقديم الميم وقيل بالخاء المعجمة كما نقله البرهان الحلبي عن بعض مشايخه وقيل سليم بضم السين وقيل حازم وقيل مكحول بن صصة بمهملتين أولاهما مكسورة والادغام والنجاشي بفتح النون المشددة والجيم وتخفيفها وصوب المحب الطبري التخفيف كما قيل

فى ابن جنى لانه معرب كنى والنجاشى غلب على المذكور كالنجم للثريا وهو فى الاصل كل من ملك الحبشة كقيصر لكل من ملك الروم وكسرى لمن ملك الفرس وخاقان لملك الترك وفرعون للقبط والعزيز لملك مصر وتبع لحمير ودهمى وفغفور لملك الهند وغانة للزنج وبطاميوس لليونان وفطيون بكسر الفاء وسكون الطاء المهملة ومثناة تحتية مضمومة يليها واو ونون أو مالخ بفتح اللام والخاء المعجمة أو شالخ لليهود وللصابئة نمرود وتبع ملك اليمن وجالوت من ملك البربر وأخشيد من ملك فرغانة ونعمان من ملك العرب من قبل العجم وجرجير من ملك أفريقية وشهربان من ملك خلاط وفور من ملك السند والاصفر من ملك علوى ورثبيل من ملك الخزر وكابل من ملك النوبة كذا فى المقتفى وغيره وفى سيرة مغلطاى ان من ملك اليمن يسمى تبعا فان ترشح للملك سمى قيلا بفتح القاف وسكون المثناة التحتية وهو كالوزير وأصله قيلا بالتشديد كما حققه أهل اللغة وفرعون من ملك مصر والشام فان أضيف اليها الاسكندرية فهو العزيز أو المقوقس ومعنى أصحمة عطية أو عطية الله وأصحمة هذا هو النجاشى كما علم وهو ملك جليل القدر آمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان بينه وبينه مهاداة ومكاتبة الا أنه لم يلقه ولم يجتمع به ولذا لم يعد فى الصحابة لان شرطها الملاقاة الا على قول ضعيف ذكره فى التقريب انه يكفى فيها المعاصرة مع المشاهدة والايمان لاسيما من كان له عذر فى التخلف كهذا وله أخبار حسنة منها انه لما بلغه وقعة بدر بعث لمن قبله من المسلمين فلما دخلوا عليه وجدوه لبس مسحا وقعد على التراب فقالوا له ماهذا أيها الملك فقال انا نجد فى الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا أنعم على عبده بنعمة وجب عليه ان يحدث له تواضعا وان الله تعالى أحدث لنا ولكم نعمة عظيمة وهى ما بلغنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم التقى هو وأعداؤه بواد يقال له بدر كنت فيه أرعى غنما السيدى فهزم الله أعداءه ونصر دينه وروت عائشة رضى الله تعالى عنها انه بعد موته كان يرى على قبره نور وقوله كنت أرعى الخ يدل على انه دخل بلاد العرب وأما ماذكره التجانى من أنه من بيت الملك وان الحبشة قتلت أباه وملكوا عمه وكان له ميل اليه فخافوا ان يملكه بعده فيقتلهم بابيه فقالوا له لابد من قتله أو اخراجه من أرضنا فباعوه ثم ان الله جعله ملكا عليهم بعد ذلك فلا دلالة على ماذكر كما توهم لان بقية القصة مذكورة فى الروض الآنف وفيها ما يدل على خلاف ماذكره ثم ان ماذكره المصنف رحمه الله تعالى من رفع النجاشى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى رأى جنازته قال السيوطى فى كتابه مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا انه لم يجده فى كتب الحديث وانما الوارد فيها انه رفع اليه معاوية المزنى حتى صلى عليه والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بتبوك كما أخرجه أبو يعلى والبيهقى عن أنس رضى الله تعالى عنه انتهى ويأتى بطوله * أقول الذى أنكره المخرج انما هو رفع جنازته اليه فانه روى فى خصائصه الكبرى من طرق مثبتة انه صلى الله تعالى عليه وسلم نعى لاصحابه النجاشى لما مات وخرج وصلى عليه مع أصحابه وكبر أربع تكبيرات والصلاة عليه ثابتة فى الصحيحين وانما ذكره المصنف رحمه الله تعالى قصة الرفع مدرجة فى الحديث بناء على الاختلاف فى الصلاة على الغائب وصحتها مطلقا كما يأتى وكانت وفاته فى السنة التاسعة من الهجرة فى رجب وعن أبى اسحق ان نيزرا أو أبا نيزر بنون ومثناة تحتية وزاى معجمة وراء مهملة النجاشى كان مولى لعلى ابن أبى طالب بعد موت أبيه وطلبته الحبشة ليتوجوه فابى وقال لا أريد الملك بعد ان من الله على بالاسلام وكان طويل القامة صبيح الوجه ورؤية النور على قبر النجاشى غير مستغرب فانه يرى على بعض قبور الشهداء ويصدقه قوله تعالى والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم واذ قد علم ان قصة النجاشى فى الصحيحين وهى من أعلام النبوة لاخباره صلى الله تعالى عليه وسلم بموته فى اليوم الذى مات فيه مع بعد

المسافة وللمصلى عليه قال بعض المنافقين صلى على علج من علوج الحبشة فنزل قوله تعالى وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم الآية واستدل به من قال بالصلاة على الغائب وبه قال أحمد والشافعي و بعض السلف لان الصلاة على الميت دعاء له فكيف لا يدعى له وهو غائب أو في قبره كما يدعى له وهو حاضر وذهب الحنفية والمالكية الى انه لا يشرع ذلك وعن بعضهم يجوز لمن كان في جهة القبلة بخلاف مستدبرها وأجاب من قال بعدم الصلاة على الغائب عن هذه القصة بامور منها انه كان بارض لا يصلى بها فشرعت لذلك ولذا قال الخطابي لا يصلى على الغائب الا اذا مات بارض لا يعرف بها الصلاة على الميت كبلاد أهل الشرك وكذا قال أبو داود فاذا مات بها وجب على المسلمين ان يقوموا بحقه في الصلاة فلو علم انه صلى عليه لا يصلى عليه من كان غائبا فان لم يصل عليه لعذر أو عائق سن الصلاة عليه ولا يترك لبعد المسافة ومنها ان هذا مخصوص بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما روى انه سويت له الارض حتى أبصر النجاشي وقد رد هذا بانه اذا فعل شيئا من افعال الدين كان علينا اتباعه فيه والتخصيص لا بد له من دليل ونقل ثابت لا بمجرد الاحتمال ولو فتح هذا الباب لم يبق شيء يوثق به ولو كان كذلك توفرت الدواعي بنقله و يؤيد كلام المناهل المارقول ابن حجر ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أهل لذلك الرفع والاحضار فانه قادر على ما هو أعظم من ذلك لكنا لا نخترع حديثا ونقوله من عند أنفسنا ومثل هذه الامور الضعاف تلاف بلا تلاف وقال الكرماني رحمه الله تعالى رفع الحجاب ممنوع ولئن سلمناه فهو غائب في حق الصحابة الذين صلوا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد وقع في حديث مجمع بن حارثة ما يؤيده فان فيه فصففنا خلفه صفين وما نرى شيئا كما في سنن ابن ماجه والطبراني وأجاب الحنفية بانه يصير كالميت الذي يصلى عليه الامام وهو يراه والمأموم لا يراه فانه جائز اتفاقا فاذا ورد عليه انه ليس النزاع في الرؤية وعدمها فانه لا يشترط في صحة الصلاة رؤية الميت ولا سريره وانما النزاع في كون الميت في بلد والمصلى في أخرى وعلى تقدير انه رآه لم يقع النزاع فان قلتم ان سريره رفع ووضع عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن غائبا والحاصل ان هنا ثلاثة أمور احدها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علم بموته وهو بالحبشة وصلى عليه بالمدينة هو والصحابة وعلى هذا هو دليل للشافعية الثاني ان يكون رفع له سريره أو روحه وهو في مكانه وأزيل الحجاب فهذا أيضا صلاة على الغائب مع أنا نطالب مدعيه بنقل صحيح الثالث أن تحمل جثته لحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه وهو صلاة على حاضر ولم ينقل أحد انه ورد ولا ثبت فقول الحنفية انه دليل فاسد لا وجه له وكان الاولى للمصنف الاستدلال على قوة بصره صلى الله تعالى عليه وسلم بحديث معاوية المزني الذي رواه ابن عبد البر في الاستيعاب عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد مات معاوية بن معاوية المزني أفتحب ان تصلى عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فلم يبق شجرة ولا أكمة الا تضعضعت و رفع له سريره حتى نظر اليه فصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لجبريل بم نال هذه المنزلة من الله تعالى عزوجل قال بحبه قل هو الله أحد وقراءته اياها جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وهذا حديث صحيح كما في شرح البخاري لابن حجر * أقول بعد صحة هذا و بيان كيفية الصلاة فيه على الغائب والاحاديث يفسر بعضها بعضا علم ان قصة النجاشي ورفع السرير وازالة الحجاب أمر خارق للعادة لا يتيسر لغير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فتبين صحة جواب الحنفية وقوته وسقط الاعتراض عن المصنف رحمه الله تعالى أيضا وقد اختلف في النجاشي كما في بعض الشروح أهو علم شخص أم علم جنس لكل من ملك الحبشة كفرعون هل اسم لكل متفرعن أو هو علم شخص

(وبيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال وجوز ضم ميمه وفتح داله المشددة وهو بالرفع أي ورفع له أيضا بيت المقدس كما في الصحيحين
(حين وصفه لقريش) الظاهر حتى وصفه لقريش حين كذبوه في أخباره انه أسرى به اليه ثم الى ماشاء الله تعالى ثم رجع الى مكة
في ليلة وارتد كثير ممن أسلم وأخبروا أبا بكر بذلك فقال لهم والله لقد صدق انه ليخبرني ان الخبر ياتيه من السماء في ساعة

وقد يجمع بانه علم شخص نقل للعلمية ولا وجه لانكار النقل فيه كما قيل (تنبيه) في حديث النجاشي
أمران أحدهما انه وقع فيه نعي موت النجاشي وقد ورد في الحديث انه نهى عن النعي ولذا اختلف
الفقهاء فيه فقيل مكروه وقيل انه مستحسن ولا خلاف بينهما فان معنى النعي الاخبار بالموت فاذا
فعل من غير صراخ واطراء بما لا ينبغي فهو سنة ولو بالنداء في الاسواق لما فيه من الدعاء للخير بتكثير
الجماعة والا تعاطفان كان بخلافه على عادة الجاهلية فمكروه الثاني ان الشافعية بعدما ذكروا دليل
الخصم في التاويل قالوا الادليل فيه فقيل انه فاسد لان الدليل ملزوم لا يلزم من نفيه نفي اللازم ودعوى
الفساد غير ظاهرة فان مرادهم ان الصلاة على الغائب ثابتة بالاحاديث الصحيحة فتاويلها من غير
مستند لا يكون دليلا اذ لا بد لكل مدع من النقل فالجواب الصحيح مانقلناه اذ المنع المجرد لا يسمع
في مقابلة النص وقوله (و) رفع (بيت المقدس حين وصفه لقريش) بالرفع معطوف على النجاشي
و يجوز جره كما مر ومقدس كمرجع اسم مكان أو مصدر ميمي من القدس وهو الطهر أي المكان الذي
يطهر الله فيه العباد من الذنوب أو يطهر من الاصنام وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اسم
مفعول من التقديس وهو التطهير وجاء بكسر الدال اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الآثام ويقال
البيت المقدس بالتوصيف والاشهر فيه الاضافة وقدس بضمتين وضم فسكون الطهر واسم جبل
معروف قال التبريزي يقال انه غير مصروف ولا يمتنع واستشهد للاول بقول كثير
كالمصرخي غدا فاصبح واقعا * في قدس بين مجاثم الاوعال
انتهى فانظر دخول الالف واللام عليه ورفع بيت المقدس اشارة الى ماوقع في حديث الاسراء الذي
رواه الشيخان وغيرهما عن جابر رضي الله تعالى عنه بسند صحيح متصل وهو انه صلى الله تعالى عليه
وسلم لما أسرى به وأصبح بمكة أتاه عدو الله أبو جهل فقال له هل كان من شئ قال نعم اني أسرى بي الليلة
الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فان دعوت قومك أتحدثهم بهذا قال نعم فقال
يامعشر قريش يامعشر بني كعب بن لؤي فانفضت اليه المجالس حتى جاؤا فقال حدث قومك بما
حدثتني فحدثهم فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه متعجبا فقالوا هل تستطيع ان تنعت لنا
بيت المقدس وكم فيه من باب فكربت كربا لم أكرب مثله قط فجلى الله لي بيت المقدس وكشف
الحجب بيني وبينه حتى رأيته فنعته لهم وأنا أنظر اليه وجاؤا أبا بكر وقصوا عليه القصة وقالوا هل
تصدقه فقال نعم اني أصدقه باخبار السماء فسمى لذلك صديقا ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش
بلقيس في طرفة عين وهذا مؤيد لما ذكره المصنف من قوة بصره حتى رآه مرفوعا ولم يغب عنه شئ منه فما
قيل من ان الاليق درج هذا فيما له عليه الصلاة والسلام من الكرامات والمعجزات لانه أمر زائد على
تكميل الذات لا وجه له (والكعبة حين بنى مسجده) أي رفعت له صلى الله عليه وسلم الكعبة وهو
بالمدينة حين بنى مسجده بها على الوجهين السابقين في الاعراب قال السيوطي رحمه الله تعالى في مناهل
الصفا رفع الكعبة له حين بنى مسجده رواه الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن ابن شهاب ونافع بن جبير
ابن مطعم مرسلا ثم ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى مشكل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أتى المدينة

واحدة من ليل أو نهار فاصدقه وهو أبعد مما تعجبون منه ثم قال يانبي الله صفه لي فاني جئته فرفع له حتى نظر اليه فطفق يصفه له ويصدقه وفي مسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسالني عن مسراي فسالتني عن أشياء من بيت المقدس فكربت كربة ماكربت مثلها قط فرفعه الله لي فما سالوني عن شئ منه الا أنباتهم به (والكعبة) أي ورفع الكعبة له أيضا حتى رآها (حين) وفي نسخة حتى (بنى مسجده) أي بالمدينة ليجعل محرابه اليها على مارواه الزبير بن بكار في تاريخ المدينة عن ابن شهاب ونافع ابن جبير بن مطعم مرسلا قال الدلجي وهو غريب والمعروف ان جبريل هو الذي أعلمه بها وأراه سمتها لا انها رفعت له حتى رآها شهادة مافي جامع العتبية من سماع مالك قال سمعت ان جبريل هو الذي أقام له
قبلة مسجده انتهى ولا يخفى انه يمكن الجمع بينهما بان أخبره جبريل ثم رفع له البيت الجليل أو بان
يحمل كل قضية على مسجد من مسجد المدينة وقبا فان قيل لا خلاف في انه أول قدومه المدينة كان يصلي الى بيت المقدس الى ان
حولت القبلة بعد بنائه مسجده فكيف يجعل محرابه الى الكعبة فالجواب انه يمكن تقديم بناء المسجد وتاخير بناء المحراب الى الكعبة
بعد التحويل مع انه قد يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بعض الصلاة أول البناء الى الكعبة ثم حول الى بيت المقدس ثم حول
الى الكعبة ويؤيده خبر بعض نساء الانصار كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنى مسجده يؤمه جبريل الى الكعبة ويقيم له

نزل بقباء أياما ثم أسس مسجدها وهو أول مسجد أسس على التقوى ثم خرج منها راكبا ناقته ثم أتى دور
بنى النجار فبركت ناقته فى موضع مسجده فبناه على ما فصل فى السير والاحاديث الصحيحة وكانت
القبلة بيت المقدس اذ ذاك خمسة عشر شهرا أو نحوها فكيف يصح أن يقال ان الكعبة رفعت له
صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنائه كما وقع فى حديث الشفاء بنت عبد الرحمن الانصارية انها قالت
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنى مسجده يؤمه جبريل الى الكعبة و يقيم له القبلة وهذا
كله فى غاية الاشكال مع وروده فى الحديث وكذا فى الحديث المرسل الذى نقله السيوطى فى تخريجه
ولذا قال التجانى رحمه الله تعالى فى شرحه انه غريب والمعروف ان جبريل عليه الصلاة والسلام أعلمه
بحقيقة القبلة وأراه سمتها الا انه رفع له الكعبة حتى رآها و بهذا جاءت الآثار من غير تقييد وفى العتبية
من سماعات مالك انه قال سمعت ان جبريل عليه الصلاة والسلام هو الذى أقام لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قبلة مسجده مسجد المدينة قال ابن رشد فى البيان والتحصيل يعنى أراه السمت اليها و بين له
جهتها والصواب ان ذلك كان حين تحولت القبلة لا حين بناء مسجده وكون جبريل عليه الصلاة
والسلام أراه سمتها لا يقتضى رفعها ومثله لا يقدم عليه من غير رواية والحاصل ان ما فى حديث الشفاء
من ان جبريل عليه الصلاة والسلام حين بنى مسجده كان يؤمه الى الكعبة فى غاية الاشكال لان القبلة
لم تكن اذ ذاك الكعبة بل بيت المقدس اللهم الا أن يقال ان توجهه اليها لم ينسخ وكان مخيرا بين التوجه
لها وللصخرة وقد وقع فى كتاب الناسخ والمنسوخ نحوه وأما ما قاله ابن الحنبلى فى شرحه من ان معنى
قول الشفاء يؤمه أى يصير له اماما أى متبعا فى التوجه الى الكعبة لاجل اقامة القبلة و بيان جهتها كما
يكون الرجل امامك اذا استهل الهلال لم يركه وأنت متبع له فى التوجه لم يلك سمته فمع تكلفه
لا يجدى شيئا ولما استشعر هذا حاول توجيهه بما ذكره تاج القراء فى سبب نزول قوله تعالى (سيقول
السفهاء من الناس) الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب التوجه للكعبة قبل تحويل القبلة
فلما قوى رجاؤه ويمكن ان يكون سأل جبريل عليه الصلاة والسلام أن يبين له جهتها عسى أن تكون
قبلة ففعل أو سأل الله ذلك والامام المتبع فى الاقوال والافعال مطلقا كما فى عمدة الحفاظ و به فسر قوله
تعالى (انى جاعلك للناس اماما) و بمجرد هذا الاحتمال لا يندفع الاشكال وفى الشرح الجديد هنا كلام
طويل بغير طائل رأينا تركه أكثر فائدة من ذكره ثم انى رأيت فى تذكرة الحافظ العلامة العلائى بخطه
ان الراجح عند العلماء ان الكعبة كانت قبلة الانبياء عليهم السلام أما انها كانت قبلة ابراهيم صلى الله
عليه وسلم فمما لا شك فيه وفى الاحاديث انه عليه الصلاة والسلام كان يحب أن يتوجه الى قبلة أبيه
ابراهيم الكعبة وفى الآثار ما يقتضى ان توجه اليهود الى بيت المقدس كان عن اجتهاد منهم أو عناد
وفى كتاب الناسخ والمنسوخ لابى داود مسندا الى الحسن فى قوله تعالى (ان أول بيت وضع للناس)
الآية قال أعلم قبلته فلم يبعث نبيا الا وقبلته البيت و وقع فى قصة ذكرها مع سليمان بن عبد الملك ان
خالدا قال قرأت التوراة فلم أجد قبلة بيت المقدس فيه ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة فلما
غضب الله تعالى على بنى اسرائيل رفعه فكانت صلاتهم الى الصخرة عن مشاورة منهم وقال أبو داود
خاصم يهودى أبا العالية فى القبلة فقال ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يصلى عند الصخرة مستقبل
البيت الحرام فقال له بينى و بينك مسجد النبى صالح عليه السلام فقال انى صليت فيه وقبلته الكعبة
فهذه الآثار تدل على ان الكعبة كانت قبلة الانبياء كلهم انتهى باختصار * أقول وكذا قبلة عيسى
عليه الصلاة والسلام وانما غيرها المشرق بولس كما صححوه واذا عرفت هذا علمت ان النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم كانت قبلته قبل الهجرة الكعبة ولكن كان يجعلها بينه و بين البيت المقدس لانه

صلى

القبلة وهذا أيضا يؤيد الجمع الاول فتامل (وقد حكى عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم قال التلمساني جاء ذلك في حديث ثابت من طريق العباس عمه عليه الصلاة والسلام ذكره ابن خيثمة (انه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما) والثريا تصغير ثروى وهى المرأة الكثيرة المال من الثروة وهى الكثرة والنجم المعروف لكثرة كواكبه مع ضيق المحل وقال السهيلي الثريا اثنا عشر كوكبا وكان يراها كلها كما جاء ذلك في حديث ثابت من طريق العباس وقال القرطبي لا تزيد على تسعة فيما يذكرونه انتهى ولعله بالنسبة الى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبالجملة فلذلك لحدة بصره وقوة نظره ويقال لها النجم وهى أنجم لانها لا تفترق فهى كالواحد (وهذه) أى الاخبار المذكورة والآثار المسطورة (كلها محمولة على رؤية العين وهو) أى هذا القول أو هذا الحمل وأبعد الدلجي في قوله ذكره نظرا الى مابعده وهو (قول أحمد بن حنبل وغيره) أى من المحققين وهم الجمهور كما سبق والامام أحمد من مرو وسكن ببغداد من صغره ومات بها رحمه الله تعالى وروى عنه الشيخان قال الانطاكي تبعا للحلبي وروى عنه البغوي والظاهر انه وهم (وذهب بعضهم) أى كالنووى في شرح مسلم (الى ردها الى العلم) أى فهى رؤية علم وكشف قال المنجاني ومعنى ذلك ان الله سبحانه وتعالى خلق له علما بجميع ما يفعل وراءه صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك خروج عن ظاهر الحديث وانما تميل اليه المعتزلة لانهم يشترطون في الادراك بنية مخصوصة تخلق له وأغرب الدلجي في قوله أى خلق الله تعالى له في قفاه قوة ادراكية يدرك بها من ورائه على طريق خرق العادة انتهى ولا يخفى ان مآله الى أن الرؤية بصرية وأغرب من ذلك أنه لما ذكر هذا قال وأغرب مختار بن محمود الحنفي حيث قال وكان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط لا يحجب بصرهما الثياب والله أعلم بالصواب (والظواهر تخالفه) أى ظواهر هذه الاخبار تخالف ماذهب اليه البعض من العلماء الاخيار وأبعد بعضهم على ماذكره المصنف في مشارق الانوار حيث قال انما هي بالتفاته يسيرة الى من وراءه معللا بانه لو كان يرى من خلفه لما قال أيكم الذى ركع دون الصف فقال أبو بكرة أنا يا رسول الله فقال زادك الله حرصا ولا تعد والجواب ان في نفس الحديث مايدل على مدعانا اذ صرح بانه رأى رجلا ركع قبل دخوله في الصف وعدم علمه بخصوص فاعله اما لبعده عنه واما لكثرة الصفوف أو لاستغراق ونحوه مما يمنع التوجه الى صوبه وتعمقه في قصده فرآه مجملا لا مفصلا مع ان خوارق العادات لا يلزم تحققها في جميع الاوقات وقال ابن عبد البر هذا قبل أن يمنحه الله بهذه الفضيلة فقد كانت

صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوافق أهل الكتاب فيما لم يوح اليه فيه فلما هاجر الى المدينة استمر على ذلك وهو يعلم أن القبلة الحقيقية الاصلية انما هي الكعبة وهى قبلة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد أمره الله بالاقتداء به ولم ينص على القبلة فعنده صلى الله تعالى عليه وسلم علم بانه سيصرفه الله اليها ولكنه منتظر لامر الله مراعيا للادب فلا مانع من أن يسأل صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام أن يريه سمتها حتى اذا وقع ذلك لم يتردد ويتحير فيه وهذا هو الحق الحقيق بالقبول فاعرفه ثم ذكر المصنف رحمه الله تعالى مايدل على قوة حواسه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وقد حكى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما) قال السيوطي رحمه الله تعالى في مناهل الصفا هذا لم يوجد في شئ من كتب الحديث والثريا مصغر ثروة وهى الكثرة وهى منزل من منازل القمر فيه نجوم مجتمعة جعلت علامة فقول بعض الشراح انها كوكب وهم منه قال في مباهج الفكر وهى ستة أنجم صغار طمس ويظنها من لامعرفة له سبعة وهى مجتمعة بينها نجوم صغار كالرشاش وحكى أن الثريا اثنى عشر نجما لم يحقق الناس منها غير ستة أو سبعة ولم يرجميعها غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقوة جعلها الله تعالى في بصره والنجم علم لها بالغلبة كالكواكب للزهرة وذكر السهيلي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرى فيها اثنى عشر نجما وقال القرطبي في كتاب أسماء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنها لا تزيد على تسعة فيما يذكرون ونظمه في أرجوزته فقال

وهو الذى يرى النجوم الخافية * مبينات في السماء العالية
أحد عشر نجما في الثريا * الناظر سواه ماتهيا

وفي كتاب التفهيم لابي ريحان البيروني بكسر الموحدة والنون انها ستة كواكب كعنقود عنب ويظن العوام والشعراء انها سبعة وهو ظن غير مصيب قيل وهو غير مصيب لنقصه عما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علمت أنه لم يثبت مانسب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم هنا وقال الامام الخضيرى في خصائصه ماذكره القرطبي والسهيلي لم أقف له على سند واصل يرجع اليه وقال التلمساني أنه جاء في حديث ثابت من طريق العباس رضي الله تعالى عنه ذكره ابن أبي خيثمة (وهذه) الامور المذكورة (كلها) من رؤية النجاشي والكعبة والثريا وغيره مما ذكر (محمولة على رؤية العين) أى مفسرة بما ذكر وهو المراد منها والحمل يستعار لذلك في كلامهم استعارة مشهورة من حمل الاحمال بحمل اللفظ كحمل على ظهر المعنى وقريب منه الاحتمال (وهو قول أحمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم) أى الى تاويل الرؤية بالعلم وصرفها عن ظاهرها فتعبيره بالرد توطئة لقوله (والظواهر تخالفه) أى ظاهر

خصائصه تتزايد فى كل وقت وحين والله الموفق والمعين (ولا احالة) مصدر احاله والمحال هو الشئ الممتنع فالمعنى لا امتناع شرعا وعقلا وعادة (فى ذلك) أى فى كونه رؤية عين بطريق المعجزة (وهى من خواص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخصالهم) أى المختصة بهم (كما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد) أى التميمى البستى (العدل من كتابه حدثنا أبو الحسن المقرى) أى العالم بعلم القراءة وهو نزيل مكة (الفرغانى) نسبة الى فرغانة بالفتح بلد بالمغرب على ما فى القاموس وآخر بالمشرق والظاهر انه المراد هنا قوله (حدثتنا أم القاسم بنت أبى بكر عن أبيها) وهو

أبو بكر محمد بن اسحق الكلاباذى مؤلف كتاب الاخبار عن فوائد الاخيار وقيل الاخبار بفوائد الاخبار وكان بعد الاربعين والثلثمائة (حدثنا الشريف أبو الحسن على بن محمد الحسنى) قال التلمسانى هو الشريف أبو الحسن على بن محمد بن على بن موسى الرضى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم قلت ولا يصح هذا لان النسخ كلها متفقة على نسبة الحسنى بفتحتين والله سبحانه وتعالى أعلم (حدثنا محمد بن محمد سعيد حدثنا محمد بن احمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق) هو البصري يروى عن يزيد ابن هارون ومحمد بن عبد الله الانصارى (حدثنا همام) بفتح هاء فتشديد ميم وهو ابن يحيى بن دينار العودى قال الحلبي وغيره وصوابه هانئ بن يحيى وقال التلمسانى هو همام بن الحارث النخعى الكوفى سمع حذيفة وعمارا وروى

لموسى

عنه ابراهيم النخعى انتهى والظاهر انه وهم منه كما لا يخفى من مرتبة الاسناد والله أعلم بالصواب والسداد فى المراد (حدثنا الحسن) أى ابن أبى جعفر الجفرى كما سيأتى قريبا وهو بضم الجيم وسكون الفاء نسبة الى مكان بالبصرة وهو أحد الضعفاء (عن قتادة) تابعى جليل (عن يحيى بن وثاب) بتشديد المثلثة ثقة مقاله خاشع مقرئ يروى عن ابن عباس وابن عمر وعلقمة وعنه الاعمش وغيره (عن أبى هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى) أي ظهر بلا كيف

العبارة تخالفه ولا مقتضى لصرفها عن الظاهر (ولا احالة فى ذلك) أى ليس فى حملها على الرؤية البصرية أمر محال يقتضى العدول لاجله (وهى من خواص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخصالهم) أى قوة البصر والحواس من صفات الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا وجه لاستبعاده او تاويل ما يدل عليها ثم أيد ذلك بالنقل فقال (كما أخبرنا) قيل الظاهر من الكاف فى قوله كما أنها التعليلية مثلها فى قوله (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) والمعنى انما قلنا هذا من خواص الانبياء عليهم الصلاة والسلام لاجل ما أخبرنا (أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل من كتابه) قال التلمسانى هو التميمى مات بسبتة سنة احدى وخمسمائة وهو من شيوخ المصنف وقوله من كتابه اشارة الى أنه قرأه وهو يسمعه من كتابه لا من حفظه وقد اختلف فيمن لا يحفظ ويحدث من كتابه فالصحيح انه تجوز روايته ويحتج لها واليه ذهب ابن الصلاح وقيل لا يحتج الا بما يرويه من حفظه واختلف أيضا فيما اذا لم يتذكر ما فى كتابه وتفصيله فى ابن الصلاح وحواشيه قال (حدثنا أبو الحسن المقرى الفرغانى) بالفاء والغين المعجمة بينهما راء مهملة نسبة الى فرغانة بلدة مشهورة بالمشرق ويحتمل نسبته لفرغان بلدة بفارس وباليمن وهو على بن عبد الله المقرى نزيل مكة قال (حدثتنا أم القاسم بنت أبى بكر عن أبيها) هى بنت أبى بكر محمد بن يعقوب البخارى الزاهد الصوفى المعروف بالخفاف صاحب كتاب الاخبار بفوائد الاخبار قال (حدثنا الشريف أبو الحسن على بن محمد الحسنى) هو الشريف أبو الحسن على بن محمد بن على بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم توفى فى خلافة المعتز بالله لاربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن أربعين سنة وقيل غير ذلك قال (حدثنا محمد ابن محمد بن سعيد) قال (حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان) قال (حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق) قال (حدثنا همام) هو همام بن الحارث النخعى الكوفى سمع حذيفة وعمارا وروى عنه ابراهيم النخعى وتوفى أيام الحجاج بن يوسف ولفظ همام وقع فى كثير من النسخ والصواب هانئ كما أصلح وهو هانئ بن يحيى السلمى وشيخه الذى أشار اليه بقوله (حدثنا الحسن) هو الحسن بن أبى جعفر الجفرى بضم الجيم والفاء نسبة للجفرى هو مكان بالبصرة أحد الضعفاء وقد رواه أبو القاسم الطبرانى عن أحمد بن الحسين بن بهرام الايذجى حدثنا محمد بن مرزوق البصرى حدثنا هانئ فذكره وقال فى آخره لم يروه عن قتادة الا الحسن ابن ابى جعفر تفرد به هانئ بن يحيى وقوله (عن قتادة) هو ابن دعامة التابعى الجليل وتقدمت ترجمته (عن يحيى بن وثاب) بفتح الواو وتشديد المثلثة وألف وموحدة وهو يحيى بن وثاب الاسدى مولاهم روى عن ابن عباس وعمر وعلقمة رضى الله عنهم وروى عنه الاعمش وعيس وهو ثقة محدث مقرى توفى سنة ثلاث وخمسين ومائة وأخرج له أصحاب السنن الان روايته عن أبى هريرة رضى الله عنه ليست فى الكتب الستة (عن أبى هريرة) رضى الله عنه تقدم الكلام فى اسمه وترجمته (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله

لموسى عليه الصلاة والسلام) أي في ضمن تجليه للجبل كما يشير اليه قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلا يحتاج الى ما تكلف له الدلجي تبعا للتجاني بقوله ولا يعزب عنك ان المتجلى له كما ذكر في الآية انما هو الجبل فالتقدير لما تجلى الله للجبل لاجل سؤال موسى ان يراه وتعسفه ظاهر مع انه يفيد انه لم يقع تجل لموسى فلم يحصل ترتب بين الوجوابها وهو قوله

لموسى عليه الصلاة والسلام كان يبصر النملة على الصفا) الصفوان عليه وسلم والصفا الحجر الصلد الاملس (في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ) جمع فرسخ وهو ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع طولها أربعة وعشرون أصبعا وعرض كل أصبع ست حبات شعير ملصقة ظهر البطن وقيل ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف خطوة كل خطوة ثلاثة أقدام يوضع قدم امام قدم ويلصق به وشين عشر ساكنة ومفتوحة ولفظ الفرسخ معرب وقيل عربي معناه السكون لانه يقطعه يسكن وقيل معناه الراحة والفرحة وقيل معناه ساعة من ساعات النهار والتجلي كما قاله الراغب في مفرداته الكشف والظهور وقد يكون بفعله بالذات نحو والنهار اذا تجلى وقد يكون بالامر والفعل نحو فلما تجلى ربه للجبل انتهى واذا كان التجلي بغير الذات يشمل الخطاب والكلام فيحمل تجلى الله لموسى عليه الصلاة والسلام على خطابه وتكليمه وتجليه للجبل أمر آخر فلا يرد على المصنف انه مخالف للقرآن فان التجلي فيه للجبل لا لموسى عليه الصلاة والسلام مع انه غير مسلم فان القرطبي رحمه الله تعالى نقل في تفسيره قولا بان موسى صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه ولذا خر صعقا واما تجليه للجبل واندكاكه فاما بمعنى أمره وفعله به ما أراد أو نقول بان الله خلق فيه ادراكا علم به تجلي الله فتفتت وانهد من هيبته ولعل المصنف رحمه الله ارتضى هذا وعليهما فاللام صلة التجلي لانه يتعدى بها وقال التجاني في الجواب ان اللام تعليلية بتقدير مضاف أي فلما تجلى لاجل سؤال موسى رؤيته وان هذا لابد منه في الحديث للتوفيق بينه وبين الآية وقال بعضهم المراد تجلى أمره أو نوره والمقدر لهذا من المعتزلة لانكارهم الرؤية ومن أهل السنة لاستبعاد ان يكون للجبل ادراك أو روح تدرك وليس مثله بمستبعد من القدرة * أقول قد ارتضى هذا بعضهم وهو غير ثابت هنا لوجهين الاول ان ما ذكره خلاف الظاهر لا يجوز الحمل عليه من غير قرينة الثاني انه لا يناسب سياق الحديث ولا كلام المصنف لان تجلي الله للجبل حتى صار دكا وخوف موسى عليه الصلاة والسلام حتى يخر صعقا لا يقتضي التأثير في حواسه حتى يرى النملة المذكورة بل يقتضي خلافه ولا يصح تفسير كلام المصنف به لمنافاته لغرضه فالحق ما قلناه وتحقيقه ان الله تعالى لما قربه حتى سمع كلامه النفسي بناء على ما قاله الاشعري من انه يجوز سماعه أو كلاما بغير واسطة يدل عليه ان لم نقل بقدم الالفاظ كما ذهب اليه كثير من السلف حصل له قوة روحانية واتصل به نور الهي أثر في الروح الحيوانية وزاد في نورها الذي بانتشاره في البدن يحصل الادراك على ما حققه الحكماء في الحواس فادرك بذلك ادراكا خارقا للعادة فاذا كانت زرقاء اليمامة التي ضرب بها المثل فقيل أبصر من زرقاء اليمامة ترى من أميال وهي امرأة من الجاهلية فما بالك بهؤلاء وفي تخصيص النملة والظلمة والصخرة الملساء مبالغة لا تخفى وقيل معنى الحديث ان الله تعالى لما خص موسى عليه الصلاة والسلام بمناجاته ظهرت له أنوار ربانية ساطعة أضاءت بها الارض اضاءة عجيبة حتى صار يرى الصغير من بعيد كما يرى الكبير من قريب والمهم المقدم فان فهمت فهو نور على نور وهذا الحديث رواه الطبراني في مسنده الصغير وصححه ولما كانت هذه القوة حصلت للكليم بالتجلي فحصولها للنبي صلى الله عليه وسلم بعد الاسراء مع ما رآه أظهر فلذا قال (ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكرناه) من رؤيته للملائكة والجن ورؤيته بالليل كما يرى بالنهار (من هذا الباب) أي من نوع هذه الرؤية فان الباب والبابة ورد بهذا المعنى (بعد الاسراء) قيده به لانه وقع بالمدينة والاسراء كان بمكة

(كان يبصر) أي يرى كما في أصل التلمساني (النملة على الصفا) بالقصر أي الصخرة الملساء ولا يبعد ان يكون بالمد لمشاكلة قوله (في الليلة الظلماء) أي شديدة الظلمة (مسيرة عشرة فراسخ) أي مقدارها تحديدا أو تقريبا أو تكثيرا والفرسخ فارسي معرب وهو ثلاثة أميال والميل منتهى البصر أو أربعة آلاف خطوة والخطوة ثلاثة أقدام معتدلة يوضع قدم امام قدم يلصق به قال التلمساني يصح في شين عشرة الفتح والكسر والسكون وهو وهم منه لان الوجوه الثلاثة انما تجوز اذا ركبت العشرة مع غيرها من الاعداد المؤنثة المتقدمة عليها كاحدى عشرة وأمثالها واما عند الانفراد بها فلا يجوز الا الفتح فيها ثم اعلم ان هذا الحديث رواه الطبراني في الصغير بنحو هذا الاسناد وقال لم يروه عن قتادة الا الحسن تفرد به هانئ قال الحلبي اما هانئ بن يحيى السلمي

فذكره ابن حبان في الثقات وقال يخطئ واما الحسن بن أبي جعفر الجفري فضعيف (ولا يبعد على هذا) أي على طبق هذا الحديث ووفقه من المعجزة المترتبة على التجلي الموجب لتجلية الغين وتحلية العين (ان يختص) بصيغة الفاعل أو المفعول أي يصير مخصوصا (نبينا بما ذكرناه من هذا الباب) يعني زيادة قوة باصرة ذلك الجناب وادخل الدلجي في العبارة ما ليس في الكتاب (بعد الاسراء) أي بعد

أسرائه الى سدرة المنتهى (والحظوة) بضم الحاء وتكسر أى و بعد الحظى والحظاء (بما رأى من آيات ربه الكبرى) أى من عجائب الملكوت وغرائب الجبروت ورؤية الرب بنظر العين أو ببصر القلب على ما تقدم والله أعلم وهذا بالنظر الى القوة البصرية الحسية والمعنوية (وقد جاءت الاخبار) أى الدالة على قوته البدنية كخبر أبى داود والترمذى (بانه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (صرع) أى رمى وضرب على الارض فى حالة المصارعة (ركانة) بضم الراء وهو ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف (أشد أهل وقته) أى أقواهم فى غلبة المصارعة وهو بالنصب بدل ويجوز رفعه (وكان) أى النبى عليه الصلاة والسلام (دعاه الى الاسلام) جملة حالية قال الترمذى اسناده ليس بالقائم وقال البيهقى مرسل جيد وروى باسناد موصولا الا انه ضعيف وفى سيرة ابن اسحق خلا ركانة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض شعاب مكة قبل ان يسلم فقال يا ركانة الا تتقى الله وتقبل ما ادعوك اليه فقال لو أعلم ما تقول حقا لاتبعتك فقال أرأيت ان صرعتك تعلم ان ما أقول حق قال نعم فلما بطش به صلى الله تعالى عليه وسلم أضجعه لا يملك من أمره شيئا ثم قال عد يا محمد فعاد فصرعه أيضا فقال محمد ان ذا العجب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم وأعجب من ذلك ان شئت ان اريكه ان اتقيت الله واتبعت أمرى قال ما هو قال أدع ولك هذه الشجرة فدعاها فاقبلت حتى وقفت بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها ارجعى مكانك فرجعت فلما رجع ركانة الى قومه فقال يا بنى عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الارض فوالله ما رأيت أسحر منه ثم أخبرهم بما رأى قال الحجازى وأسلم قبل الفتح وقيل توفى بالمدينة سنة أربعين فى زمن معاوية وقيل انه من أجداد الشافعى قال المنجانى ولابنه يزيد أيضا اسلام وصحبة (وصارع) يعنى أيضا (أبا ركانة فى الجاهلية) صفة للملة أو الامة أو الفترة وعلى

ولانه يكون بعد تجلى الله لرؤيته على ما عليه الاكثر فيزيد قوته الروحانية والجسمانية كما سمعته آنفا (والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى) الحظوة زيادة القرب مع المحبة وزيادة وهى بضم الحاء وكسرها واما آيات ربه الكبرى فسيأتى الكلام عليها فى الاسراء (وقد جاءت الاخبار بانه صلى الله تعالى عليه وسلم صرع ركانة أشد أهل وقته) أشد أعظم قوة بدنية من جميع من كان بالقوة الجسمانية وهذا اثبات لتفوقه صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره فى قوته البدنية بعد ما أثبت قوة ادراكه صلى الله تعالى وعليه وسلم وركانة بضم الراء المهملة وكاف مفتوحة يليها ألف ونون وهاء قال الحافظ برهان الدين الحلبى فى المقتفى هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم القرشى المطلبى الحجازى المكى ثم المدنى أسلم يوم الفتح وهو الذى صارعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فصرعه قال الحافظ عبد الغنى المقدسى وهذا مثل ما روى فى مصارعته صلى الله تعالى عليه وسلم لغيره ورواه أبو داود والترمذى مرسلا قال الترمذى وليس اسناده بالقائم وأخرجه أبو داود عن قتيبة عن محمد بن ربيعة عن أبى الحسن العسقلانى عن أبى جعفر محمد بن ركانة عن أبيه انه صارعه فذكره وأخرجه الترمذى بهذا السند وزاد المزى ما لفظه كذا رواه أبو الحسن ابن العبد وغير واحد عن أبى داود مثل رواية الترمذى ورواه البيهقى فى المراسيل عن سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه قال البيهقى وهو مرسل جيد وروى باسناد آخر متصل الا انه ضعيف وأشار الى ما تقدم وقد رأيت ما نقله فى مراسيل أبى داود فى اطراف المزى كما قاله لكن فيه انه عليه الصلاة والسلام كان بالبطحاء فاتاه يزيد بن ركانة أو ركانة بن يزيد فذكره بالشك والله تعالى أعلم وتوفى ركانة بالمدينة سنة اثنين وأربعين وقيل فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وقال النووى فى تهذيبه وقع فى المهذب فى باب المسابقة انه عليه الصلاة والسلام صارع يزيد بن ركانة وهو خطأ والصواب ركانة بن يزيد انتهى وقال السهيلى فى روضه ان أبا أسد بن الجمحى واسمه كلدة بن أسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وكان بلغ من شدته فيما زعم وانه يقف على جلد البقرة فيجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتنى آمنت بك فصرعه عليه الصلاة والسلام مرارا ولم يؤمن انتهى والحاصل ان الذى صارعه صلى الله تعالى عليه وسلم ركانة فى أصح الروايات (وكان دعاه الى الاسلام) فلم يسلم أولا ثم أسلم بعد ذلك كما تقدم قيل كان ينبغى ذكر هذا قبل ذكر ما اشتمل عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قوى الباطن ليترقى منه اليه اذ هذا من قوى الظاهر وهو أدنى من قوى الباطن ولا مرية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من أشجع الناس وأقواهم (وصارع صلى الله تعالى عليه وسلم أبا ركانة فى الجاهلية) أى قبل ظهور الاسلام بمكة قال البرهان الذى صح انه ركانة واما أبو ركانة فلم يصح والصواب ركانة وكذا ما نقل من ان أبا جهل صارعه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصح أيضا وذكر بعضهم عن السهيلى ان أبا أسد الجمحى صارعه وكان من أشد الناس وقدم وغير هذين لم يصح والجاهلية منسوبة الى الامة الجاهلية أو الفترة والجاهلية تطلق على ما قبل مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم

(وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك) بالنصب على نزع الخافض ويجوز رفعه أى كل ماذكر من المرات (يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الدلجى هذا وخبرانه صارع أباجهل فصرعه فلم يصحا بل لا أصل لهما وفيه انه فى مراسيل أبى داود ويزيد بن ركانة أو ركانة بن يزيد على الشك لكن الظاهر أن الصحيح ركانة كما قاله الحلبى وغيره لا كما قاله النووى أنه الصواب والله أعلم نعم مصارعة أبى جهل لا تصح اتفاقا هذا وقد ذكر السهيلى ان أبا الاسد ابن الجمحى واسمه كلدة بفتح اللام وكان بلغ من شدته فيما زعموا انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتخرق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتنى آمنت بك فصرعه صلى الله تعالى تعالى عليه وسلم مرارا ولم يؤمن به (وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه الترمذى فى شمائله والبيهقى فى دلائله (ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مشيه) وفى نسخة مشيته بكسر الميم وزيادة التاء أى فى هيئة مشيه وهى غير ملائمة لاسرع كما قاله المنجانى فتامل فى تحقيق المبانى والمعانى (كأنما الارض) بالرفع لزيادة ما الكافة المانعة ماقبلها عما بعدها من العمل (تطوى له) بصيغة المجهول أى تنزوى وتجمع وتقرب وتدنو وقيل تطوى كطى الملاءة وأما المشى فى الهوى وعلى الماء كما وقع لبعض الاصفياء فانه يصدر باذن رب السماء ثم بين وجهه بقوله (انا) أى معشر الصحابة (لنجهد أنفسنا) بفتح النون والهاء وفى نسخة بضم النون وكسر الهاء من جهد دابته وأجهدها اذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها فالمعنى لنتعب أنفسنا بالجهد فوق طاقتها (وهو غير مكترث) بكسر الراء أى الحال أنه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مبال بمشينا ولا متأثر بمشى هونا ورفقا لقوله تعالى الذين يمشون على الارض هونا

وعلى ماقبل الفتح قيل والمراد ههنا الثانى (وكان) أى أبو ركانة (شديدا وعاوده ثلاث مرات) أى صارعه مرة بعد مرة (كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كل منصوب بنزع الخافض أى يصرعه فى كل ذلك قاله البرهان وغيره وأما حديث ركانة الذى تقدم فهو مارواه البيهقى انه قال كنت أنا والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غنيمة لابى طالب نرعاها فقال لى ذات يوم هل لك ان تصارعنى فقلت له أنت قال أنا فقلت على ماذا قال على شاة من الغنم فصارعته فصرعنى وأخذ منى شاة ثم قال هل لك فى المعاودة الثانية قلت نعم فصارعته فصرعنى وأخذ منى شاة فجعلت التفت هل رآنى انسان من الرعاة فيجترىء على وأنا فى قومى أشدهم فقال هل لك فى الثالثة ولك شاة قلت نعم فصارعته فصرعنى وأخذ منى شاة فقعدت كئيبا حزينا فقال مالك فقلت ارجع لصاحب الغنم وقد أعطيت ثلاثا من غنمه وكنت أظن انى أشد الناس فقال هل لك فى الرابعة فقلت لا بعد ثلاث فقال أما الغنم فانى أردها عليك فردها فلما ظهر أمره أتيته وأسلمت وفى رواية أنه راهنه على عشرة وانه قال له ماهذا الا السحر * فان قلت ما حكم المصارعة شرعا * قلت ذهب البغوى رحمه الله تعالى الى تحريمها الا انه لا منفعة لها فى الحرب والاصح انها تجوز من غير عوض لانه ربما تدعو اليها المحاربة وبهذا أفتى شيخنا الرملى وأما أخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العوض من ركانة فانما كان بنية رده وليرغب فى المصارعة وليكون ذلك سبب الاسلام مع ان المروى ان ركانة هو الذى طلبها ثم ذكر مايدل على قوته صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا فقال (وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مشيته) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة والياء المثناة التحتية المفتوحة يليها تاء تانيث مضافا لضمير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى هيئة المشى وروى مشيه بفتح الميم دون تاء تانيث قاله التلمسانى وقال التجانى كثيرا مايقع فى الشفاء وغيره مكسور الميم والصواب فتحها لان المشية بالكسر هيئة الانسان وبالفتح مصدر فاذا فتحت كان المعنى أسرع من مشى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واذا كسرت فالتقدير أسرع من هيئة مشيته ولا معنى له ورد بان المشى والمشية بمعنى ولم يرد الهيئة والمقصود واحد لان المشية تكون مصدرا أو هو كما تقول جمال زيد أكمل وأنت تريد زيدا أكمل فى جماله فالمعنى أسرع من مشيه فى هيئته المخصوصة ولم يرد تفضيل الهيئة كما فى قولك فلان أحسن الناس جلسة أى هيئة أحسن من هيئة غيره فى الجلوس * أقول هذا تكلف نشا من توهم ان المشية مفضل عليها وليس كذلك فان المفضل مطلق حركته ومشيه وفى بمعنى مع أى لا يرى أسرع من حركته مع هيئته المخصوصة فى مشيه فليس المقصود تفضيل الهيئة يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مع تؤدته واعتدال حركاته تراه يسرع كأنه الماء الجارى من غير اضطراب ولولا هذا لناقض ماذكر من اعتدال حركاته فى أول الفصل فلذا قال (كأنما الارض تطوى له) فانه يدل على ان مشيه ليس بالجرى والهرولة وورد ان الارض كانت تطوى له صلى الله تعالى عليه وسلم ولا منافاة بينهما أما لحمل هذا على غالب أحواله وذاك على أسفاره ونحوها وقيل انهما بمعنى فان أحدهما استعارة أو تشبيه بليغ وهذا تشبيه صريح كما تقول هو الاسد وكأنما هو الاسد (انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث) نجهد مضارع امامن الجهد بفتح الجيم وهو المشقة والتعب

ولقوله تعالى واقصد في مشيك ومع ذلك يسبق من شاءه كرامة خص بها اذ اعطى قوة زائدة على قوى سائر البشر لحديث كنا نتحدث

أنه أعطي قوة ثلاثين رجلا أي في المشي والبطش والجماع ونحوها وكان يطوف على نسائه في غسل واحد وكن

تسعا (وفي صفته) أي نعته من جهة حسن شمائله (ان ضحكه كان تبسما) لما في البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم ويشير اليه قوله تعالى فتبسم ضاحكا وفيه ايماء الى ان الاقتصاد في الضحك هو الذي ينبغي وان كان الضحك جائزا لما ورد في بعض الروايات انه ضحك حتى بدت نواجذه وعن عبد الرزاق أنه سئل ابن عمر أكان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يضحكون أي أحيانا قال نعم وان ايمانهم لاعظم من الجبال نعم يكره الاكثار منه كما قال لقمان لابنه اياك وكثرة الضحك فانها تميت القلب وكما يشير اليه قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ولان كثرة الضحك تنبئ عن الغفلة والبكاء ينبئ عن الرحمة وروى عن الحسن

انه كان لا يضحك وهذا لما غلب عليه من الخوف والقبض بخلاف من غلب الرجاء والبسط بجميعه

فانه يضحك ولا يبكي والاعدل هو الاعتدال من هذه الخصال على وفق شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم من تفصيل الاحوال (اذا التفت) كذا في بعض النسخ والظاهر كما في أصل الدلجي واذا التفت أي الى أحد الجانبين (التفت معا) وفي رواية جميعا أي بجميع

أو بضمها وهو الطاقة والمقدرة أي انا نتعب أنفسنا في مساواة مشيه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم مستريح لا يرى له مشقة أو انا نبذل وسعنا وطاقتنا وهو غير مبال بمشيه ومكترث بالكاف والتاء المثناة الفوقية وراء مهملة ومثلثة اسم فاعل من الاكتراث وهو المبالاة والاعتناء بالامر قالوا ولا يستعمل اكترث الا في النفي وورد في الاثبات نادرا في حديث ذكره صاحب النهاية وقد ورد في صفة مشيه صلى الله تعالى عليه وسلم كما يأتي في الحديث عن علي كرم الله تعالى وجهه وغيره اذا مشى مشى تكفيا كانما ينحط من صبب واذا وطئ وطئ بقدمه كلها ذريع المشي أي خطاه متباعدة وكان أصحابه رضي الله تعالى عنهم يمشون بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري للملائكة وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بعض من حديث أوله ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع الى آخره رواه صاحب الشمائل والمصنف رحمه الله تعالى اختصره وغير بعض ألفاظه وفي نسخة المصححة مشيته موافق لاحدى النسختين هنا وقد علمت ما ورد عليه وجوابه فلا حاجة لما قيل ان المشية أعم من المشي لدلالة الاول على الحدث والثاني على الحدث مع الهيئة وكلما دل على الحدث مع الهيئة دل على الحدث ولا عكس والحدث المطلق اذا أضيف الى من صدر عنه استفيد منه خصوص الهيئة لان الهيئة التي تدل عليها فعلة المكسورة الفاء حالته التي عليها الفاعل عند تلبسه بالفعل وهي لازم لكل مصدر فكل مشي مشية من غير عكس لانه تكلف (وفي صفته صلى الله تعالى عليه وسلم ان ضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم كان تبسما) الضحك انبساط الوجه وظهور الاسنان فلذا سمي مقدمها الضواحك والتبسم ابتداؤه والاخذ فيه وقيل هو الضحك من غير قهقهة وفي الحديث كان ضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم تبسما كذا في عمدة الحفاظ وعلى كل حال فالتبسم بعض من الضحك أو نوع منه وعليه قول النحاة في قوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها ان ضاحكا حال مؤكدة وقول الزمخشري أي شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني انه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك لا يقتضي التفرقة ولان المراد بالضحك أمر مخصوص فلا اعتراض على النحاة ولا على الزمخشري كما توهم وقد ورد في بعض الاحاديث ان ضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن الا تبسما وورد في بعضها انه ضحك حتى بدت نواجذه وفي بعضها وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بمطلق الضحك وجمع بينهما بان التبسم كان غالب أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وان غيره وقع منه أحيانا على الندرة فلا منافاة بينهما وقيل المراد بقوله ضحك حتى بدت نواجذه المبالغة لا حقيقته ولا حاجة اليه فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يضحكون اذا رأوا عجبا أو أمرا يسرهم ولنا فيهم أسوة حسنة وانما المكروه الاكثار كما ورد في الحديث كثرة الضحك تميت القلب لكن غلبة ذلك من أهل اللهو والبطالة وروى في قوله تعالى فتبسم ضاحكا انه كان فرحا بفضل الله تعالى عليه ولم يكن بطرا أو أشرا لاسيما ما فيه من تأنيس الناس وتعليمهم لحسن العشرة وأما ما روى عن الحسن رضي الله تعالى عنه من انه ما رؤي ضاحكا ولا متبسما الا في أهله ولا وحده ولا في جماعة فذلك غير منكر لشدة خوفه من الله تعالى ومراقبته له وهو مقام آخر لا يخالف فعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه فلا وجه للاعتراض به عليه (اذا التفت التفت معا) فلا يسارق النظر ولا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة كما يفعله من به طيش وخفة بل يقبل جميعا ويدبر جميعا ومعنى معا

نظره لا بمؤخر عينيه كما هو دأب سارق النظر ويسمى نظر العداوة ومنه قوله تعالى يعلم خائنة الاعين فاندفع قول الدلجى أى بجميع بدنه وينبغى أن يخص هذا بالتفاته وراءه وأما التفاته يمنة ويسرة فالظاهر انه بعنقه (واذا مشى) أى فى مسيره (مشى تقلعا) بضم اللام المشددة أى رفع رجليه رفعا بقوة لا اختيالا الا لشدة عزمه ولا تقريب الخطى من مشية النساء والاغنياء الاغبياء (كأنما ينحط من صبب) بفتح المهملة والموحدة الاولى أى كأنما ينحدر من مرتفع قال الدلجى تبعا ٣٨٥ للشمنى وفى القاموس الصبب محركة تصبب نهرا وطريق يكون فى حدوره وما أنصب من الرمل وما انحدر من الارض وكل هذه المعانى تشير الى أن الصبب بمعنى المنخفض لا بمعنى المرتفع وقد صرح الحجازى وغيره بانه ما انحدر من الارض وأغرب الحلبى حيث قال من موضع مرتفع منحدر فالاولى أن يقال من بمعنى فى كما فى قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة ويؤيده انه جاء فى رواية كأنما يهوى فى صبوب بفتح الصاد وضمها فالمعنى كأنما ينزل من علو الى أسفل فانه حينئذ يكون المشى بقوة لكن لا بابطاء ولا بسرعة والمقصود من الحديث هذه الفقرة الدالة على كمال قوته البدنية فى مسيرته الحسية وأما مسيرته المعنوية فقد علم فى القضية الاسرائية *(فصل وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول)*

(٤٩ شفا ل) أى فى معرض البيان وخص الفصاحة باللسان لنطقه بالمفرد والمركب المطابقين لمقتضى الحال وهما يوصفان بها كالمتكلم والبلاغة بالقول اذ لا يكون الا كلاما ذا اسناد يبلغ به المتكلم ارادته ويوصف بها الكلام كالمتكلم دون الكلمة لانها لا يبلغ بها الغرض فراعى المصنف اصطلاح علماء المعانى والبيان فى تقرير هذا الشان (فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك) أى مما ذكر من الفصاحة والبلاغة (بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل) بصيغة المجهول أى الظاهر بالوجه الاكمل (سلاسة طبع) بفتح السين ونصبت بنزع الخافض أى بسهولة جبلة وانقياد طبيعة وفى نسخة مع سلامة طبع

بجميعه (واذا مشى مشى تقلعا) رواه الترمذى فى الشمائل اذا مشى تقلع وفى رواية اذا زال زال قلعا يمشى تكفيا ويمشى هونا وفى النهاية الاثيرية ان المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم يرفع رجليه من الارض رفعا قويا من غير مقاربة للخطا فانه مشى النساء والمختالين وقلعا روى بفتح القاف وضمها مصدر بمعنى الفاعل أى قالعا رجليه وفى غريب الانبارى والتهذيب بفتح القاف وكسر اللام وهو قريب من قوله (كأنما ينحط) أى ينحدر (من صبب) أى يتثبت من غير عجلة ومبادرة شديدة وروى فى صبب بفتح الصاد المهملة وفتح أولى الموحدتين وهو الموضع المرتفع أو ما انحدر منه كسفح الجبل فمن على ظاهرها وقيل انها بمعنى الى وينحط بمعنى يتدلى وكذا ينحدر وفى رواية كأنما يهوى من صبوب بفتح الصاد وضمها مصدرا أو جمع صبب وهو وصف بغاية السرعة كالنازل من علو

(فصل) وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول) معنى الفصاحة فى اللغة كما فى كتاب الصناعتين لابى هلال الاظهار تقول العرب أفصح الصبح اذا أضاء واللبن اذا انجلت عنه الرغوة وظهر وتمامها بتمام آلة البيان وهى اللسان قال ولتضمن الفصاحة معنى الآلة يوصف بها اللسان فيقال لسان فصيح ولا يوصف به الله سبحانه وتعالى عز وجل فلا يقال فيه فصيح وان وصف بها كلامه والبلاغة من بلغت الغاية اذا انتهيت اليها وبلغتها فسميت بلاغة لبلوغها النهاية أو لابلاغها المعنى لفهم السامع ومعنى الفصاحة عند أهل المعانى معلوم فى كتبه وتقدم انه يوصف بها اللسان والمفرد والكلام والمتكلم وفى وصف المفرد بها كلام ليس هذا محله والمراد بالقول هنا جنس اللفظ الموضوع مطلقا أو تعريفه للاستغراق أى جميع أقواله بليغة وأضاف الفصاحة للسان والبلاغة للقول تفننا أو للدلالة على كمال كلامه وآلة نطقه فان من العرب من كان كلامه فصيحا بليغا مع نقص آلته كزياد الاعجم فانه كان لا يقيم الحروف فيقول للحمار همار ولذا لقب بالاعجم ويحتمل أن يريد باللسان اللغة (فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك) المذكور وهو الفصاحة والبلاغة (بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل) المحل والموضع بمعنى وان تغاير مفهومهما لان الاول مكان الحلول والثانى مكان الوضع ففى عبارته تفنن فرارا من التكرار أى كان صلى الله تعالى عليه وسلم أفصح البشر وأبلغهم فكنى عن ذلك بجعله فى أفضل محل البلاغة وفى موضع لها لا يجهله أحد كما فى قوله

ان الفصاحة والسماحة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

فهو كالاثبات بدليل ومرتبته فى ذلك دون مرتبة الاعجاز وهو أقرب اليها من كل بليغ وقوله بالمحل خبر كان ومن بيانية على القول بجواز تقدمها وقيل تبعيضية والجار والمجرور حال من المحل والموضع أى كان بالمحلين كائنين بعض ذلك أى بعض مطلق الفصاحة والبلاغة والمرتبة التى له من ذلك ويؤثر عنه من الكلمات البليغة ما لا تصل اليه القوى البشرية (سلاسة طبع) وفى نسخة مع سلاسة طبع والسلاسة السهولة أى كانت سليقته صلى الله تعالى عليه وسلم فى البلاغة تنقاد له بسهولة من غير

(وبراعة نزع) بفتح الميم والزاى أى مأخذ ومطلع والبراعة بفتح الموحدة مصدر برع الرجل فاق أقرانه ووصفها بصفة صاحبها مبالغة أى منزعا بارعا وحاصله جودة لسان ولطافة بيان وأما قول التلمسانى انه بكسر الميم وهو السهم الذى نزع به واستعاره القاضى للسان مجازا اذهو آلة الكلام ففى غاية من البعد مع مخالفته للاصول المعتمدة (وايجاز مقطع) أى ومقطعا موجزا من أوجز أتى بكلام قل مبانيه وكثر معانيه والمقطع بفتح الميم والطاء منتهى المرام كما ان المنزع مبدأ الكلام فالمعنى ان كلامه حسن الابتداء ومستحسن الانتهاء وهو المطلع والمقطع باسلوب الشعراء من الفصحاء والبلغاء وأما ماذكره التلمسانى من أنه بكسر الميم وهو فى الاصل شفرة حادة يقطع بها الشئ استعارة للقول مجازا اذهى آلة فهو مع مخالفته للنسخ المصححة فى غاية من التكلف ونهاية من التعسف (ونصاعة لفظ) بفتح النون أى ولفظا ناصعا أى خالصا من شوائب تنافر الحروف وغرابة الالفاظ وارتكاب الشذوذ (وجزالة قول) أى وقولا جزلا لاركاكة فيه ولا ضعف تأليف وتركيب ينافيه بل نسجت حبره الحبرية على منوال تراكيب العربية (وصحة معان) أى ومعانى صحيحة يستفاد منها مقاصد صريحة قال التلمسانى ومعان جمع معنى بالياء وبدونها أولا خفاء لما فيه من ايهام انهما لغتان وليس كذلك بل اختلافهما بحسب تفاوت اعرابهما (وقلة تكلف) أى قلة طلب كلفة فى التأدية بعد تأمل وتفكر وتروية وكان الاولى أن يقال وعدم تكلف لقوله سبحانه وتعالى حكاية عنه وما أنا من المتكلفين ولعله أراد بالقلة العدم والله أعلم ومنه قول أبى أوفى كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم   يطلق يقل اللغو أى لا يلغو رأسا ومنه أيضا قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون أى لا يؤمنون أصلا (أوتى جوامع الكلم) جملة مستأنفة مبينة ومؤكدة لما قبلها أى أعطى الكلمات الجامعة للمعانى الكثيرة فى المبانى اليسيرة وقد جمعت أربعين حديثا يشتمل كل حديث على كلمتين هو أقل ما يتركب منه الكلام الاسنادى كقوله الايمان يمان والعدة دين والسماح رباح وأمثالها مما أدرجته فى شرح الشمائل للترمذى والكلم بفتح الكاف وكسر اللام اسم جمع للكلمة ومنه قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب وقيل جمع لها وهو ضعيف (وخص ببدائع الحكم) بكسر ففتح جمع حكمة أى الحكمة البديعة المتضمنة للمعانى المنيعة (وعلم السنة العرب) أى وخص بمعرفة لغات طوائف العرب من قومه وغيرهم لانه بعث الى جميعهم فعلمه الله الالسنة ليخاطب كل قوم بما يفهمون لقوله

تكلف وسلاسة وقع بالنصب على نزع الخافض أوهو مفعول له ولو رفع بتقدير له سلاسة طبع جاز ومن الغريب ان الشارح العرضى بعدما أعربه مفعولا قال انه فى جواب سؤال تقديره هل كانت فصاحته سليقة أو بتتبع تراكيب البلغاء وقوانينهم (وبراعة منزع) البراعة بفتح الباء والراء المهملة من برع الرجل بضم الراء وفتحها اذا فاق غيره وكثيرا ما يستعمل بمعنى الفصاحة ولذا فسرها بها ههنا بعض الشراح وليس ببعيد والمنزع من نزع الى أهله اذا اشتاق وأراد الرحيل اليهم ونزع القوس جذبها والدلو استقى بها فالمنزع ان كان بفتح الميم فاسم مكان أو مصدر ميمى وفسروه هنا بالمأخذ وما يرجع اليه الرجل من رأيه وأمره والظاهر أن المراد أصله ومقره يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مع بلاغته الجبلية من قوم وجادة هم أفصح الناس وان كان بكسرها كما عليه التلمسانى فهو اسم آلة كالمفصل وفسر باللسان وأصله السهم يقال نزعت فى القوس نزعا وأنزعت بمنزع أى سهم وفى المثل عاد السهم الى النزعة أى رجع الحق لاهله (وايجاز مقطع) الايجاز التعبير عن معان كثيرة بلفظ قليل ويقابله الاطناب والمساواة كما بينه أهل المعانى وهو بفتح الميم اسم مكان أو مصدر أى موجز فى محل القطع والفصل للامور فانه محل الايجاز لا كمقام الخطابة فانه يحمد فيه التطويل فلذا اقتصر عليه لا لانه يعلم من البلاغة كما قيل وجوز فيه كسر الميم على ان المراد به القول وتفسيره بتمام الكلام لظهوره عنده تكلف (ونصاعة لفظ) النصاعة الخلوص والوضوح أى ان لفظه صلى الله تعالى عليه وسلم خالص من كل بشاعة ولكنه واضح لكل أحد لمخاطبته كل أحد على قدر عقله وبلغته (وجزالة قول) بفتح الجيم والزاء المعجمة وهو القوة والاتقان وضدها الركاكة (وصحة معان) أى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مع فصاحة ألفاظه ووضوحها معانيه صحيحة لا فساد فيها لاحتوائها على الاحكام والحكم الفصل (وقلة تكلف) لانه يتكلم عن روية وسلاسة طبع من غير تشدق ورعاية سجع ومشقة والمراد انه لا يتكلف فالقلة هنا بمعنى النفى كما أثبته النحاة وأهل اللغة فاندفع قول بعضهم ولو قال وعدم تكلف لكان أحسن وأليق (أوتى جوامع الكلم) أى آتاه الله قوة ناطقة بحيث ينطق بالكلمات الجامعة للمعانى التى هى بمنزلة الامثال فان من تأمل كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فيه من المعانى مع الوجازة التى تستخرج الطبع الغواص منها جواهر يحار فيها العقول وقيل المراد بها القرآن والحديث وفيه نظر (وخص ببدائع الحكم) أى خص صلى الله تعالى عليه وسلم بنطقه بكل حكمة بديعة لم يسبق اليها والحكمة العلم النافع لمن وعاه من الزيغ والضلال وقال ابن عرفة الحكمة عند العرب ما تمنع من الجهل ولذا سمى الحاكم حاكما لمنعه التعدى (وعلم السنة العرب) أى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم لغاتهم لان اللسان

تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه وفى نسخة وعلم بصيغة الماضى المعلوم وفى أخرى بصيغة المجهول من التعليم عطفا على أوتى وقيل كان يعلم جميع الالسنة الا انه لم يكن ماهورا باظهارها أو أراك ان يكون التكلم بالعربية هو السنة لانه أفضل أنواع اللغة لان كلام الله عربى ولسان أهل الجنة فى الجنة عربى وأصل النبى عربى قيسل ومن أسلم فهو عربى ولانه أيسر اللغات وأضبط للكليات كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى فانما يسرناه بلسانك (يخاطب) وفى نسخة فكان يخاطب (كل أمة) أى طائفة (منها) أى من طوائف العرب (بلسانها ويحاورها) بالحاء المهملة أى ويجاوبها (بلغاتها) وفى نسخة بلغتها (ويباريها) بالراء والياء أى يعارضها ويروى بدله وبيانها (فى منزع بلاغتها) أى ماخذها ومرجع لغتها (حتى) هى مستانفة ههنا على ماذ كره الدلجى والاظهر انها للغاية أى الى حد (كان كثير من أصحابه) أى من أتباعه وأحبابه (يسالونه فى غير موطن) أى فى مواطن كثيرة (عن شرح كلامه) أى بيان مرامه (وتفسير قوله) عطف تفسير والاول مختص بالجمل والمركبات والثانى بالمفردات أو الاعم والله أعلم وقد صرح التلمسانى بان الصحابة كانوا يسالون عن كثير من مفردات اللغة نحو حتى تزهى وتزهو وحتى تشقح وسؤالهم عن لفظ الطاعون ونحو ذلك انتهى ثم هذا الذى ذكرناه امر ظاهر وشان باهر (من تامل حديثه وسيره) أى أحاديثه فى كتب المحدثين والائمة المجتهدين وأقواله فى كتب أرباب السير والمؤرخين وفى نسخة وسبره بالموحدة على انه فعل ماض أى نظر فى صناعة أساليبه وصياغة تراكيبه (علم ذلك) أى تفصيله (وتحققه) أى وثبت عنده وزال الريب عنه (وليس كلامه) أى لم يكن تكلمه (مع قريش) أى من أهل مكة (والانصار) أى من أهل المدينة (وأهل الحجاز ونجد) أى وحواليهما (ككلامه) مع (ذى المشعار) بكسر ميم وسكون معجمة فمهملة أو معجمة بعدها ألف وراء وهو أبو ثور مالك بن نمط (الهمدانى) بميم ساكنة فمهملة نسبة الى همذان قبيلة من اليمن قدم عليه عليه الصلاة والسلام مرجعه من تبوك مع كثير من قومه مسلمين فقال هذا وفد همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد واما همذان بفتح الميم مع الذال المعجمة أو المهملة فبلد بعراق العجم قيل هاجر ذو المشعار فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه الى الشام ومعه أربعة آلاف عبد فاعتقهم كلهم وانتسبوا الى همدان

يطلق على اللغة وعلم مخفف ماض مبنى للفاعل أو مشدد مبنى للمجهول أى علمه الله أو مصدر مجرور معطوف على بدائع الحكم (يخاطب كل أمة منها) أى كل قبيلة وجماعة منهم (بلسانها) أى لغتها لاختلاف لغاتهم (ويحاورها بلغتها) أى يصاحبها ويراجعها بلغتها (ويباريها فى منزع بلاغتها) المباراة بالراء المهملة غير مهموز والمباراة والمجاراة المعارضة وفعله مثل فعله (حتى كان كثيرا من الصحابة) رضى الله تعالى عنهم مع انهم فصحاء علماء وهذا غاية لجميع ما قبله أى لقوة فصاحته قد لا يفهمون كلامه لما فيه من المعانى البديعة التى لم يسمعوا بها أو لما يليها من تكلمه بجميع الالسنة لان السامع قد لا يعرف لغة غيره (يسالونه فى غير موطن) أى فى مواطن كثيرة (عن شرح كلامه وتفسير قوله) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أرسله الله لجميع الناس علمه جميع اللغات قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه وهو صلى الله عليه وسلم مرسل للجميع (من تامل حديثه وسيره) جمع سيرة وروى وسبره بسين مفتوحة مهملة وباء موحدة كما ذكره البرهان أى تتبعه وفتش عليه وأصله من سبر الجرح اذا اختبر غوره (علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار وأهل الحجاز ونجد) قريش قوم من ولد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر سموا بذلك لتقرشهم أى تجمعهم بعد ما كانوا متفرقين فى غير الحرم فجمعهم مضر او قصى أو لانهم كانوا يتقرشون البياعات والامتعة أى يجمعونها أو سموا بالقريش وهو دابة بحرية يخافها دواب الارض والانصار جمع ناصر أو نصير سموا بذلك فى الاسلام لنصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم هم الاوس والخزرج قبيلتان سموا باسم جدهم كتميم والحجاز مكة والمدينة والطائف وما يليها سمى به لانه حجز بين تهامة ونجد او بين نجد والسراة أو احتجزت بحرار (٢) خمس معروفة ونجد بفتح فسكون ما ارتفع من الارض ويقابله تهامة وهى من أعمال اليمامة كما بين فى معجم البلدان وغيره (ككلامه مع ذى المشعار الهمدانى) بسكون الميم ودال مهملة بينها ألف ونون وياء نسبة لهمدان وهى قبيلة عظيمة باليمن واما همذان بهاء وميم مفتوحتين وذال معجمة فبلدة بخراسان بناها همذان بن الفلوح بن سام بن نوح والمعروف بين العجم اهمال داله فكان هذا تعريب له وذو المشعار بميم مكسورة ثم شين معجمة ساكنة وقال التلمسانى انه بشين معجمة ومهملة وغين معجمة ومهملة واقتصر فى القاموس على الثانى وراء مهملة وفى الروض الانف انه أبو ثور مالك بن نمط وهو من بنى خارف أو من يام وكلاهما من همدان وهو صحابى وفد على

(٢) جمع حرة على وزن ذرة وهى أرض ذات حجارة سود لها محجة

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرجعه من تبوك وخارف بخاء معجمة وراء مهملة وفاء وبام بمثناة تحتية ويقال أيام بهمزة وهو الذى ذكره المصنف وهو همدانى خارفى ارحبى ووهم ابن اسحاق فى قوله فى سيرته مالك بن نمط وأبو ثور ولك ان تقول انه من عطف الكنية على الاسم ولا بعد فيه والذى صححه الصاغانى فى كتاب الذيل والصلة ان المشعار بعين مهملة وانه انما قيل له ذى المشعار لان المشعار موضع باليمن ينسب اليه وسيأتى ماقاله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم (وطهفة النهدى) بكسر الطاء المهملة وسكون الهاء وبالفاء تليها هاء تانيث وهو ابن زهير ويقال ابن أبى زهير وسماه الذهبى فى تجريده طهية بالمثناة التحتية بدل الفاء وقال ابن الجوزى انه طخفة بالخاء المعجمة وقيل طغفة بالغين المعجمة وقيل طقفة بقاف وفاء وقيل قيس بن طفحة وقيل اسمه يعيش واسم أبيه أبو ذر وقال التلمسانى انه فى بعض الشروح بظاء مشالة مفتوحة ويقال بكسرها والنهدى بالنون والهاء والدال المهملة منسوب لنهد وهو اسم قبيلة باليمن وهو خطيبها ووافدها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سنة تسع لما قدمت عليه وفود العرب ولما قدم قام وقال أتيناك يارسول الله من غورى تهامة باكوار الميس ترمى بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الجهام من أرض غائلة المنطا غليظة الوطا قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدى ومات الودى برئنا يارسول الله من العثن والوثن ومايحدث الزمن لنا دعوة السلام وشريعة الاسلام ماطمى البحر وقام تعار ولنا نعم اغفال ماتبض ببلال ووقير قليل الرسل كثير الرسل اصابتنا سنة حمراء موزلة ليس لها عال ولا نهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر بيانع الثمر وأفجر له الثمد وبارك له فى المال والولد وهذا ما أشار اليه المصنف رحمه الله كما يأتى ونقلت من خط العلائى بسنده الى عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال قدم وفد بنى نهد بن زيد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام طهية بن أبى زهير النهدى بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال أتيناك يارسول الله من غورى تهامة على اكوار الميس ترمى بنا العيس ونستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستحيل الجهام من أرض غائلة المنطا غليظة الوطا قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج من البكارة ومات العسلوج وهلك الهدى ومات الودى برئنا يارسول الله من الوثن والعثن ومايحدث الزمن لنا دعوة المسلمين وشريعة الاسلام ماطمى البحر وقام تعار ولنا نعم همل اغفال لاتبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل اصابتنا سنة حمراء موزلة ليس لها علل ولا نهل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها ومزقها واحبس راعيها على الدثر ويانع الثمر وبارك لهم فى الولد من أقام الصلاة كان مؤمنا ومن أدى الزكاة لم يكن غافلا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مسلما لكم يابنى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك مالم يكن عهد ولا موعد ولا تثاقل عن الصلاة ولا تلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة من أقر بالاسلام فله مافى الكتاب ومن أقر بالجزية فعليه الزكاة رواه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الوفاء بالعهد فى الذمة وكتب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع طهية بن أبى زهير كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى نهد بن زيد السلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله عليكم بالوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والضبيس لايؤكل كلكم ولا يقطع سرحكم ولا يحبس دركم ولا يعضد طلحكم مالم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق انتهى وتفسيره الميس الرحال والعيس الابل والصبير السحاب المتفرق والرهام القداح والجهام السحاب بلا مطر أمطر بعد آخر غائلة المنطا بعيدة المسافة يبس المدهن غدير الماء والجعثن عروق الشجر البكارة البكر ادركه الهزال بعد السمن العسلوج عروق الشجر تتشعب ورقه والودى الغسيل والعثن الخلاف

(وطهفة) بكسر المهملة وسكون هاء ففاء (النهدى) بفتح فسكون قبيلة باليمن قدم عليه بعد فتح مكة كما قال ابن سعد وغيره

وما تبض ببلال أي ليس لها ابن والوقير قليل الرسل يعني الصرمة من الغنم ليس لها أولاد كثير الرسل
بقول سديد العرف في طلب المرعى وقوله في مخضها وفرقها ومذقها كلها من اللبن والدثر الخصب ويانع
الثمر نضيجه والثمد قليل الماء يخرج من الارض والضبيس الصعب والرماق النفاق والرباق الرعاء
وذو العنان الفرس يركب ويزال بالعنان لانه لا يركب فيلجم والرباق حبل يربط قلت غوري تهامة ما
انخفض منها وغور كل شئ عمقه وقيل تهامة ما بين ذي عرق على مرحلتين من وراء مكة وقيل انها الى
اليمن أقرب والمدس شجر صلب تتخذ منه الرحال وترمى تقصد والعيس ابل بيض الى صفرة والصبير
سحاب أبيض متكاثف كان بعضه صبر على بعض أي حبس يستحلبه يستقطره والخبير النبات والعشب
شبه بخبير الابل وهو وبرها واستخلابه احتشاشه بالمخلب وهو المنجل والبرير ثمر الاراك اذا اسود
ويستعضده يحتشه من عضده اذا قطعه والرهام جمع رهم بالكسر وهو مطر وفسر بالقداح وهو غلط
والاستجالة الاستمطار من الجولان والجهام سحاب صب ماؤه ونستحيله روى بحاء مهملة أي ينظر
اليه الجامعة في منظره وغائلة المنطا كذا معناه والذي رواه ابن الاثير النطاء بكسر النون من غير ميم
وغائلة مهلكة والمنطا البعيدة والمدهن نقرة في الجبل فيها ماء المطر والبكارة جمع بكر الابل والاملوج
قيل ورق شجر يشبه الطرفاء وقيل نبت وقيل نوى المقل وقال الزمخشري انه استعارة لما ذهب من
سمن الابل الراعية والعسلوج غصن طرى قريب عهد بالطلوع والهدى ما يقدم للنحر أراد به مطلق
الابل والعنن الاعتراض من عن له كذا وطمى البحر ارتفع موجه وتعار بكسر التاء وعين مهملة مخففة
اسم جبل وهمل ابل لا راعي له والاغفال ما لا سمة له وقيل هما ما لا لبن له والوقير قطيع الغنم والمحض
بمهملة الخالص وبمعجمة اللبن الممخوض ليخرج زبده والمذق لبن مزج بالماء والفرق بكسر فسكون
اناء يحلب فيه وقيل بفتحتين مكيال والاول أقرب هنا وودائع الشرك العهود والمواثيق بينهم في
الجاهلية وقيل ما استودعوه من أموال الكفار الذين لم يسلموا فاحلها لهم كذا بخط العلائي (وقطن بن
حارثة العليمي) قطن بفتح القاف والطاء المهملة ونون والعليمي بعين مهملة مصغر وحارثة بحاء وراء
مهملتين ومثلثة وهو منسوب لبني عليم بن جناب بن كلب فهو كلبي وقيل عليم بن جناب بطن من بني
عذرة من قبائل كلب وهو صحابي قدم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وافدا لقومه فكتب له كتابا
بعدما كلمه بكلام فصيح غريب وصورة الكتاب هذا ما كتب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لعمائر كلب واحلافها ومن ظاره الاسلام من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمي باقامة الصلاة لوقتها
وايتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عقدها بمحضر من المسلمين سعد بن عبادة وعبد الله بن أنيس
ودحية بن خليفة الكلبي عليهم في الهمولة الراعية البساط الظؤار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار
والهمولة المائرة لهم لاغية وفي الشوى الورى مسنة حامل أو حائل وفيما سقى الجدول من العين المعين
العشر من ثمرها ومما أخرجت أرضها وفي الغدى شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم ولا يفرق شهد الله
على ذلك ورسوله وكتبه ثابت بن قيس بن شماس والاشعث بن قيس بن معدى كرب بن معاوية بن
جبلة بن معدى كرب أبو محمد وهو من ولد آكل المرار الكندي الشريف الصحابي توفي بالكوفة بعد موت
علي كرم الله وجهه بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن رضي الله عنه وكان شريفا مطاعا في قومه وفد على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سنة عشر في ستين راكبا فاسلموا ورجعوا الى اليمن قال في الاستيعاب ثم
ارتد بعد وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم رجع الى الاسلام بعدما أتى به أبو بكر رضي الله تعالى عنه
أسيرا فجعل يعدد عليه أفعاله فلم ينكرها وهو في الحديث حتى أتم مقالته فقال له الاشعث استبقني
وزوجني أختك فرأى أبو بكر رضي الله عنه انه الرأي ففعل وزوجه أخته أم فروة وروى انه لما خرج من

(وقطن بن حارثة) بقاف ومهملة مفتوحين وحارثة بالمثلثة (العليمي) بالتصغير نسبة الى بني عليم قدم عليه فسأله الدعاء له ولقومه في غيث السماء في حديث فصيح كثير الغريب على ما رواه ابن شهاب عن عروة (والاشعث بن قيس) قدم عليه مع كثير من قومه وعليهم الحبرات قد كففوها بالحرير فقال لهم ألم تسلموا قالوا بلى قال فما هذا الحرير في أعناقكم فرموا به ثم ارتد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ثم رجع الى الاسلام وجيء به الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه أسيرا فعدد عليه فعلاته (فلم ينكرها) ثم قال يا أبا بكر استبقني لحربك وزوجني أختك فزوجه ثم خرج ودخل سوق الابل فلم يلق ذات أربع تؤكل الا عقرها ثم قال يا قوم انحروا وكلوا هذه وليمتي ولو كنت في بلدي لاولمت كما يولم مثلي اغدوا على فخذوا اثمان ما عقرت لكم ثم خرج مع سعد الى العراق وشهد معه مشاهد كثيرة في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وسكن الكوفة الى ان توفي بها بعد علي بأربعين يوما وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم أجمعين

عنده استل سيفه فلم يلق ذات أربع من الانعام الاعقرها فقيل لابي بكر انه ارتد ثانية فقال انظروا في شانه فرأوا الناس اجتمعوا عليه وهو يقول يا قوم هذه وليمتي ولو كنت بارضي لاولمت كما يولم مثلي فاعدوا علي وخذوا اثمان ما عقرت لكم وفي ذلك يقول ابن قيس الخزرجي

لقد أولم الكندي يوم ملاكه * وليمة حمال لثقل الجرائم
فقل للفتى الكندي اما لقيته * ذهبت باسنى مجد اولاد آدم

ولقب بالاشعث لانه كان رأسه أشعث دائما وقد أخرج للاشعث أصحاب الكتب الستة وأحمد في مسنده وصرحوا بانه صحابي بناء على ان الردة لا تبطل الصحبة وان ابطلت ثوابها اذا رجع للاسلام قبل موته وهو الاصح وبه صرح الشافعي في الام ونقل عن أبي حنيفة وقيل انها تحبطها مطلقا ولم يذكر المصنف رحمه الله كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معه ولا كلامه حين وفد عليه وهو كما في تاريخ ابن عساكر ونقله الذهبي ومن خطه نقلت عن هشام بن الكلبي ان الاشعث وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من كندة فقال له عليه الصلاة السلام هل لك من ولد فقال غلام ولد مخرجي اليك ولوددت ان يشبع القوم مكانه وروى لوددت ان لكم به قصعة من خبز ولحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولن ذا فان فيهم أجرا اذا قبضوا وانهم لمجبنة ومخزنة وانهم لثمرة القلوب وقرة العين انتهى وهذا من بليغ الكلام ومن الحديث أخذ ابن الهبارية قوله في الصادح والباغم

لا خير في الاولاد * والاهل والسفاد
وليس فيهم فائدة * الاظنون فاسدة
مجبنة ومبخلة * مجدلة ومقتلة
لولاهم ماذلا * ذوادب وقلا

(ووائل بن حجر الكندي) نسبة لكندة بكسر الكاف وسكون النون ودال مهملة وهاء وحجر بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وراء مهملة ووائل بواو وألف يليها همزة لا ياء مثناة من أسفل كما في حواشي التلمساني وغيره ويقال له أبو هنيدة ويقال أبو هنيد بغير هاء ابن ربيعة بن نعم الحضرمي كما قاله ابن عبد البر وفي شرح التجاني انه ابن حجر بن ربيعة بن وائل بن نعم الحضرمي وما في الشفاء من انه وائل بن حجر الكندي غلط بغير شبهة والصواب ما تقدم ولعل الكندي كان وصفا للاشعث بن قيس مقدما على قوله وائل بن حجر فاخره الناسخ سهوا وجعله وصفا لوائل وفيه خلاف ذكره ابن الجزري في كتاب الجمال فقال وائل بن حجر بن سعد بن مسروق أبو هنيدة الحضرمي أو أبو هنيد الكندي الصحابي ووافقه ابن عساكر فقال وائل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل بن صمعج فيمكن ان يكون كنديا عند المصنف رحمه الله تعالى فليس وصفه به غلطا فيكون كنديا حضرميا وهو وقيل من أقيال حضرموت وأبوه ملك من ملوكهم فدعوى انه غلط غلط قال في العباب كندة أبو حي من اليمن وهو لقب له واسمه ثور بن عفير بن عدي ولقب به لانه كند نعمة أبيه ولحق باخواله فقال له أبوه كندت نعمتي ولما وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسلما بشر به أصحابه قبل قدومه بثلاثة أيام وقال لهم يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت راغبا في الله ورسوله طائعا وهو بقية من ابناء الملوك فلما دخل عليه رحب به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وادناه منه وبسط له رداءه واجلسه عليه وقال اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده وفي التهذيب للازهري عن وائل بن حجر انه قال كتب لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا جلب ولا جنب ولا شغار ولا وراط ومن أجبى فقد اربى وفسر من أجبى بمن غبن وهو حسن وعن أبي عبيدة لا جباء الحرث قبل ان يبدو صلاحه انتهى وله قصة

(ووائل بن حجر) بضم حاء وسكون جيم فراء واما وائل فبهمز كقائل وقول الحلبي بالمثناة تحت قبل اللام في غير محله لانه بناء على ما قبل اعلاله (الكندي) بكسر الكاف قال الدلجي تبعا للتجاني كذا ههنا ولعله تأخير من تقديم اذ هي نسبة الاشعث ونسبة وائل هي الحضرمي قلت لا يبعد ان يكون كنديا حضرميا ثم رأيت الحلبي صرح بان وائل بن حجر كان من ملوك حمير الكندي الصحابي شهد مع علي في صفين وكانت معه راية حضرموت بشر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به قبل قدومه عليه ثم قدم فاسلم فرحب به وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وبسط له رداءه وأجلسه عليه ودعا له بالبركة ولولده ولولد ولده وولاه على اقيال حضرموت وارسل معه معاوية بن أبي سفيان فخرج معه معاوية راجلا ووائل على ناقته راكب فشكا اليه معاوية حر الرمضاء فقال انتعل ظل الناقة فقال معاوية له وما يغني ذلك عني لو جعلتني ردفا فقال له وائل اسكت فلست من أرداف الملوك ثم عاش وائل بن حجر حتى ولي معاوية فدخل عليه فعرفه معاوية واذكره بذلك ورحب به واجازه لوفوده عليه فابى من قبول جائزته وقال يأخذه من هو أولى به مني فانا عنه في غنى

(وغيرهم) أي ومع غير المذكورين أيضا (من أقيال حضرموت) بفتح همزة وسكون قاف فتحتية جمع قيل بفتح

مع معاوية رضي الله تعالى عنه لما أرسله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معه وتوفي في زمن معاوية سنة تسع وأربعين في ذي الحجة وسبب اسلامه كما قاله ابن ظفر في كتاب البشر انه كان له صنم من عقيق يعبده ويسجد له فبينما هو نائم عنده وفي الظهيرة سمع صوتا منكرا هاله فأتاه وسجد له فسمع هاتفا يقول

واعجبا من وائل بن حجر * يخال يدري وهو ليس يدري

ماذا ترجي من نحيت صخر * ليس بذي عرف ولا ذي نكر

ولا بذي نفع ولا ذي ضر * لو كان ذا حجر أطاع أمري

فرفع رأسه وقال بماذا تأمرني فقال

ارحل الى يثرب ذات النخل * وسر اليها سير مستقبل

قبل تقضى العمر المولى * فدن بدين الصائم المصلي

محمد المبعوث خير الرسل

ثم خر الصنم فقام اليه وجعله رفاتا ثم سار حتى أتى المدينة ودخل المسجد فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أدناه وبسط له رداءه وأجلسه معه ثم صعد المنبر وقال أيها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة راغبا في الاسلام فقال يا رسول الله بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم فتركته واخترت دين الله فقال صدقت اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده ثم انه طلب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكاتيب ثلاثة باقراره على أرضه وملكه فأعطاه ذلك وقد بسط ذلك ابن حديدة في كتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومكاتيبه (وغيرهم) أي غير من ذكر من العرب (من أقيال حضرموت وملوك اليمن) الاقيال جمع قيل بفتح القاف واسكان المثناة التحتية واللام وهو الملك من ملوك حمير واليمن وقيل الملك مطلقا وقيل من دون الملك الاعظم كالوزير وفي النهاية الاثيرية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب لوائل بن حجر الى الاقوال العباهلة وفي رواية الاقيال فقيل انه من القيالة وهي الامارة وقيل من القول لنفوذ قوله وأمره فاصله على هذا قيل بتشديد الياء أعل اعلال ميت ولولاه لم يكن لقلب الواو ياء وجه وأقوال على الاصل واقيال على لفظ قيل كما قيل ريح وأرياح والقياس أرواح لكنه لم يرجع لاصله فرقا بينه وبين جمع روح والعباهلة هم الذين قرملكهم وبقي متروكا على ما كان عليه من عبهلت الابل اذا تركتها ترعى متى شاءت واحده عبهل فالتاء للتأكيد الجمعية كقشعم وقشاعمة أو جمع عبهول وأصله عباهيل فحذفت الياء وعوض منها التاء كما في فرازنة وفرازين وفي تثقيف اللسان العباهلة بالباء الموحدة هم الذين لا يد عليهم لاحد وبالمثناة التحتية الشيال وكلاهما مدح كما قاله التلمساني وحضرموت بفتح الحاء المهملة واسكان الضاد المعجمة وفتح الميم وقال صاحب المطالع انه بضم الميم وجعله بعضهم وجها جائزا فيه وهو علم ركب تركيبا مزجيا غير مختوم بويه وفي مثله ثلاثة أوجه فتح رائه واعرابه اعراب ما لا ينصرف للعلمية والتركيب واجراء الاول على حسب العوامل واضافته للثاني وبناؤهما كخمسة عشر وقال النووي في تهذيبه حضرموت اسم بلدة باليمن واسم قبيلة واليمن الاقليم المعروف وينسب اليه يمني ويمان بالتخفيف وبالتشديد وهو شاذ وسمي به لانه عن يمين الكعبة ويجمع يمني على يمنيين ويمانيون بالتشديد (وانظر في كتابه (٢)) أي أعرفه وقف عليه بأي طريق كان من استعمال المقيد في المطلق أي كتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذي كتبه (الى همدان) بسكون الميم والدال المهملة كما كتبه لما وفد عليه ذو المشعار الهمداني وهذا رجوع الى بيان

وسكون وأصله قيل بالتشديد أي المنفذ قوله ويدل عليه انه يجمع على أقوال بالواو أيضا وقال السهيلي القيالة الامارة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في تسبيحه الذي رواه الترمذي سبحان من لبس العز وقال به أي ملك به وقهر على ما فسره الهروي وهم بلغة حمير صغار الملوك دون الملك الاعظم من ملوك اليمن وحضرموت بسكون الضاد وفتح الباقي وبضم الميم بلد وقبيلة ويقال هذا حضرموت غير مصروف للتركيب والعلمية أو يضاف فيقال حضرموت بضم غير مصروف للتركيب والعلمية ويضاف فيقال حضرموت بضم الراء على اعراب الاول بحسب عامله واعراب الثاني باعراب ما لا ينصرف وان شئت تنون الثاني (وملوك اليمن) تعميم بعد تخصيص (وأنظر كتابه) أي مكتوبه الذي بعث به ذا المشعار بعد قدومه عليه عليه الصلاة والسلام على ما ذكره أبي عبيدة وغيره (الى همدان) أوله بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من محمد رسول الله لاهل مخلاف خارف ويام وأهل خباب الضب وحقاف الرمل من همدان مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على ان لهم الى آخره

٢ قوله في كتابه آه هكذا وقع في نسخ الشهاب كلها وفي نسخ المتن وشرح على القاري بدونها فليراجع

(ان لكم) بكسر الهمزة وفتحها وفى أصل الدلجى ان لهم وهو الملائم لما سياتى من قوله ولهم (فراعها بكسر الفاء) أى ما ارتفع من الارض (ووهاطها) بكسر الواو جمع وهط بالطاء المهملة هى المواضع المطمئنة منها (وعزازها) بفتح مهملة فزائين ما خشن وصلب منها ومالا يكون الا فى أطرافها ومنه قول ابن مسعود للزهرى بعد خدمته وملازمته مدة مديدة زاعما انه بلغ الغاية ووصل النهاية انك فى العزاز أى فى الاطراف من العلم تتوسط بعد وفى الحديث نهى عن البول فى العزاز أى حذرا عن الرشاش (تا كلون) بالخطاب أو الغيبة (علافها) بكسر العين جمع علف وهو ما يعتلف منها أوما تا كله الماشية (وترعون عفاءها) بفتح مهملة وتخفيف فاء ممدودا وروى بكسر العين وهو ما ليس لاحد فيه ملك ولا أثر من عفا لشئ أى خلص وصفا وفى الحديث أقطعهم من أرض المدينة ما كان عفاء وهو أحد ما فسر به قوله تعالى خذ العفو

كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم مع غير أهل الحجاز وتقدم ان همدان قبيلة من بطونها خارف و يام بالتحتية و يقال أيام ولذا ينسب اليه أهل الحديث أيامى وقال ابن دريد ان همدان اسم لاب القبيلة وقيل اسمه أوسلة وانه أخبر بما غمه فقال هم دان فلقب به وليس هذا مما يلتفت انتهى كلامه فى الجمهرة ولم يذكر فيه مادة ه م ذ بالاعجام لانه غير عربى عنده وتقدم الكلام عليه وقصة الكتاب ان ذا المشعار قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما لاقاه بتبوك يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلوص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تأخذهم فى الله لومة لائم من مخلاف خارف و يام وشاك أهل الودو النود أجابوا دعوة الرسول وفارقوا آلهة الانصاب عهدهم لا ينقض ما أقام لعلع وما جرى العصور بصلع فكتب لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يا كلون علافها و يرعون عافيها لهم بذلك عهد الله ورسوله وشاهدهم المهاجرون والانصار وروى هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمخلاف خارف و يام عهدهم لا ينقض عن سنة ما خل وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يا كلون علافها و يرعون عافيها النامن دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح فقال فى ذلك مالك

ذكرت رسول الله فى فحمة الدجا * ونحن باعلى رحرحان وصادد
وهن بنا خوض طلائح تعتلى * بركبانها فى لاحب متمدد
على كل فتلاء الذراعين جسره * تمر بنا مر الهجف الخفيدد
حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد
بان رسول الله فينا مصدق * رسول الى من عند ذى العرش مهتدى
فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على أعدائه من محمد
وأعطى اذا ما طالب العرف جاءه * وأمضى بحد المشرفى المهند

والى بعض من هذا أشار بقوله (ان لكم فراعها) بالفاء المكسورة وراء وعين مهملتين بينهما ألف وهى ما ارتفع من الارض من مرتفعات البقاع أو أعالى الجبال جمع فرعة بفتح فسكون يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أقطعهم ذلك (ووهاطها) بكسر الواو و بالهاء والطاء المهملة جمع وهطة كفرعة وهى الوهدة وما سفل وانخفض والضمير للارض المخصوصة والوهاط والوهاد بمعنى ويحتمل ان أحدهما مبدل من الآخر (وعزازها) بفتح العين المهملة وزائين معجمتين مخففتين وهو ما اشتد وصلب من الارض مما لا ملك لاحد عليه فيوطأ ويحرث فيصير رخوا ومنه العز لصلابة جانبه (تا كلون علافها) بكسر العين المهملة واللام والفاء قال فى النهاية جمع علف وهو ما تا كله الماشية مثل جمل وجمال وفى قوله مثل جمل لطف الا أنه اذا كان علف الماشية فقوله تا كلون بالخطاب لهؤلاء القوم غير مناسب هنا الا بتجوز بان يقدر تا كل دوابكم أو يجعل تا كلون بمعنى تملكون ولعل للعلاف معنى غير هذا فى لغة أهل اليمن والشراح لم ينبهوا على هذا (وترعون عفاءها) بفتح العين والفاء والمد وفسر بما ليس لاحد فيه ملك ولا أثر من عفا الشئ اذا اندرس أو من عفا يعفو اذا خلص ومنه الحديث أقطعهم ما كان عفا وقوله خذ العفو وأمر بالعرف وقال التجانى روى عفا بكسر العين جمع عفو كجبل وجبال وهو بمعنى الاول وفى قوله

ترعون

(لنامن دفئهم) بكسر مهملة وسكون فاء فهمز ومنه قوله تعالى لكم فيها دفء أي ما تستدفئون به من أصوافها وأوبارها وأما في الحديث فهو كناية عن الانعام وفي المجمل الدفء نتاج الابل وألبانها والانتفاع بها وقيل هي الغنم ذات الدفء وهو الصوف والاظهر ان يراد به الانعام وسميت دفئا لانها يتخذ من أوبارها وأصوافها وأشعارها ما يستدفأ به من الاكسية وغيرها قال الدلجي فصله عما قبله ملتفتا من الغيبة الى التكلم اشبه انقطاع بينهما اذ ذاك مما خصهم به من أراضيهم وما يخرج منها وهذا مما خص به نفسه أومن معه من مواشيهم أي من ابلهم وغنمهم ضأنا ومعزا وما ينتفع به منها سميت دفئا لانه يتخذ منها ما يستدفأ به انتهى ولا يخفى انه ليس ههنا التفات من الغيبة الى التكلم بل من خطاب في قوله لكم بناء على الاصول

المصححة الى غيبة في قوله لنامن دفئهم (وصرامهم) بكسر أوله ويفتح جمع صرمة أي من نخيلهم أو من ثمراتهم لانها تصرم وتقطع (ماسلموا) بتشديد اللام المفتوحة أي استسلموا لنا وأطاعونا (بالميثاق) أي العهد والحلف المؤكدة قيل ولعله أراد الاسلام أي لا تقبل صدقة الامن مسلم وقيل أراد بالميثاق انه لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق ولا يقر بزكاته ولا يخفي بعض ماله (والامانة) أي من دون الخيانة من المالك أو العامل وقيل المراد بالامانة الطاعة وقيل هي الامان ويؤيده ما سيأتي من قوله عليه الصلاة والسلام لنهد من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة (ولهم من الصدقة) أي من الاموال التي تجب عليهم فيها الصدقة والزكاة (الثلب) بكسر المثلثة وسكون اللام فوحدة أي الهرم من ذكور الابل الذي سقطت اسنانه قيل وتناثر هلب ذنبه (والناب) أي ولهم الهرمة من اناثها التي طال نابها وهي من امارات هرمها (والفصيل) وهو ما فصل عن أمه وفطم عنها من أولاد الابل وقد يطلق على أولاد البقر والمراد صغارها (والفارض) أي المسن من الابل وقيل من البقر أيضا بدليل قوله تعالى لا فارض ولا بكر ويروى العارض بالعين المهملة وهي المريضة أو المعيوبة (الداجن) وفي أصل الدلجي بالعطف وهو ظاهر وهو بكسر الجيم ما يألف البيوت ولا يرسل الى المرعى وأغرب الانطاكي في جعله وصفا للفارض أو العارض على اختلاف الروايتين في الداجن اعتبارا للعادة لان المنقطع عن السوم يعلف في الاهل غالبا

ترعون أيضا مامر وجوابه ان الرعي مخصوص بأكل البهائم ولذا قال بعض الجهلة لبعض الادباء أنت عندي كالاب بتشديد الباء قال له فلذا أتاكلني قال الدماميني في كتابه نزول الغيث لو قال فلذا ترعاني كان ألطف لما فيه من التورية لاحتمال أن يكون من الرعي أو الرعاية كما في الاب من احتمال معنى الوالد على لغة فيه ومعنى التبن لانه عنى انه لجهله كالانعام (لنا من دفئهم وصرامهم) الدفء بكسر الدال المهملة وسكون الفاء فالهمزة وفسروه هنا بالابل والغنم سميت بذلك لانها يتخذ من أصوافها وأوبارها اثاث يتدفأ به ويجعل منها البيوت من الشعر ليتدفأ بها وقال الله تعالى لكم فيها دفء ومنافع أي ما يتدفأ به من الصوف والوبر وهو في الحديث بمعنى الانعام التي يؤخذ منها ذلك والصرام بكسر الصاد المهملة جمع صرمة بكسر فسكون وهي القطعة من النخل ويجوز أن يكون الثمر نفسه لانه يصرم من النخل أي يجذ ويقطع فسمي بالمصدر ويجوز فتح الصاد لانه يقال صرمت النخل صراما وما قيل من انه لا يجوز أن يكون جمع صرمة كما توهم لانها القطعة من الابل من الثلاثين والقطعة من السحاب وهو لا يصح ساقط لوجهين (ماسلموا بالميثاق والامانة) ما موصولة خبرها مقدم المراد العهد الذي أخذ عليهم أو الاسلام والمراد بما سلموا بتشديد اللام ما يعطوه من الزكاة المفروضة والامانة أي كونهم مأمونون على أموالهم لان رب المال في الزكاة يصدق بقوله وقال التلمساني أراد بها الطاعة أو الغناء أو العبادة وهو بعيد أي لا يؤخذ منهم شيء قهرا بل عن طيب نفس وغنى من غير تجاوز عما حده الله ولم يبين من يسلمون فيجوز انهم يسلمون بانفسهم أو للسعادة فلا يتكلف له ويقال ان المراد الاول لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علم منهم الرغبة في رضى الله ورسوله وانهم يؤدون ما يجب عليهم بلا سعادة وانما يجب بعث السعادة اذا لم يتيسر وصول الصدقة بدونهم (ولهم من الصدقة الثلب) المراد بالصدقة الزكاة والثلب بمثلثة مكسورة ولام ساكنة وموحدة معناه الجمل المسن الهرم الذي سقطت اسنانه والانثى ثلبة فهو مخصوص بالذكور كما قاله الهروي (والناب) مثل الثلب معنى الا انه مخصوص بالنوق الاناث فلا يقال للجمل ناب وان أسن وانما سميت نابا لانها اذا هرمت طال نابها (والفصيل) ولد الناقة الصغير الذي فصل عن رضاع أمه والفصيلة انثاه والجمع فصال وفصلان وقيل هو من أولاد البقر والمعروف في اللغة الاول (والفارض الداجن) الفارض البقرة الهرمة المسنة قال الله تعالى لا فارض ولا بكر وقال الراغب الفارض المسن من البقر قيل سمي لكونه فارضا للارض أي قاطعا أو فارضا لما يحمل من الاعمال الشاقة من الفرض وهو القطع * وقيل بل لان فريضة البقر تبيع ومسنة فالتبيع يجوز في حال دون حال والمسنة يجوز بذلها في كل حال فسميت المسنة فارضا فعلى هذا يكون اسما اسلاميا انتهى

والداجن الشاة التى تكون فى البيت لاترسل للمرعى وكذا الراجن بالراء كما فى الصحاح وعلى هذا فالداجن
غير الفارض فينبغى عطفها كغيرها وهو فى غالب النسخ بغير عطف اللهم الا ان يقال ماذكر معناه
الحقيقى وهى هنا صفة مجردة عن كونها شاة جعلت وصفا للفارض * قلت ضميرلهم السابق لاصحاب
المال ومن تؤخذ منهم الصدقة والمعنى ان ماذكر يترك لهم ولا يؤخذ منهم لمقابلته لقوله لنا والذى يؤخذ
فى الصدقة من أوسط مالهم لا أعلاه ولا أدناه كالصغير جدا والمسن الهرم فالفارض لما كان بمعنى المسن
الذى يؤخذ فى الصدقة والمراد خلافه هنا وصفه بقوله الداجن بمعنى الذى يربض حول المنازل من شدة
الهرم فلا يسرح للمرعى ولا يصلح للعمل والحمل هذا هو المراد من غير حاجة لتكلف ودعوى تجريد وقيل
الفارض المسن من الابل وفى بعض النسخ والداجن بالعطف ومعناها شاة صغيرة تربى فى البيت كما وقع
فى حديث الافك (والكبش الحورى) الكبش الذكر الكبير من الغنم الذى يقودها غالبا ولذا أطلق على
الرئيس فى المدح بخلاف التيس والحورى اختلفوا فيه فقيل انه بحاء مهملة وواو مفتوحتين وراء
مهملة يليها ياء نسبة وفى النهاية الاثير يه انه منسوب الى الحورة وهى جلود تتخذ من الضان وقيل هو
مادبغ من الجلود بغير القرظ وهو أحد ماجاء على أصله ولم يعل اعلال ناب انتهى وقال ابن رسلان
الحورى بفتح الحاء وسكون الواو ونسبة للحور وهى الجلود المذكورة والذى فى الصحاح ان الحورة وجمعها
الحور بفتح الواو فيهما واقتصر أرباب الحواشى كالشمنى والحلبى والقسطلانى على مافى النهاية ونقل
عن الكاشغرى فى كتابه مجمع الغرائب ومنبع العجائب ان الحورى المكوى نسبة الى الحوراء وهى
كية مدورة يقال حوره اذا كواه وانه على هذا بسكون الواو ولان الحور بالقصر والمد للكية ساكنة الواو
وقال التجانى الحورى بفتح الواو ضرب من الكباش حمر الجلود وروى الحوارى بزيادة الالف ومعناه
الابيض لا الاحمر ولذا قيل الحواريون لانصار عيسى عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا قصارين يبيضون
الثياب ولذا فسر بعض أرباب الحواشى الحورى بغير ألف بالابيض الجيد لماذكر أولان موضع الكية
يبيض * أقول الحاصل ان فى لفظ الحديث وكلام المصنف ثلاثة أوجه أشهرها الحورى بفتح الواو
والثانى الحورى بسكونها الثالث الحوارى بالف بعد الواو وكلها بمعنى والمراد الكبير من الغنم وهو
لا يؤخذ فى الصدقة لكونه أنفسها ولانه مما يحتاج اليه للضراب فلا يؤخذ منه الا اذا أعطاه كما لا يؤخذ
ماذكر من الهرم وكل ناقص كما فصل فى كتاب الزكاة وعلى الاول لم يعل مع تحرك الواو وانفتاح ماقبلها
اما على خلاف القياس كما هو ظاهر كلام النهاية السابق أو تبعا لفعله وهو حور كفرح أو لئلا يلتبس
الواوى باليائى الذى من مادة الحيرة وقول التجانى انه من الكباش ان لم يقله أحد من أهل اللغة ففيه
نظر لانه كان ينبغى له ان يقول الكباش التى تتخذ منها الجلود الحمر ولبعضهم هنا كلام طويل بلا طائل
(وعليهم فيها الصالغ والقارح) الصالغ بصاد مهملة ولام وغين معجمة ويقال سالغ فان كل صاد تبدل
سينا مع الغين كما فصل فى محله وهو من البقر والغنم ما كمل وانتهى سنه فى السنة السادسة وقيل هو
من ذوات الاظلاف كلما أكمل ست سنين ودخل فى السابعة لان ولد البقرة فى أول سنة عجل ثم تبيع
ثم جذع ثم ثنى ثم رباع ثم سديس ثم صالغ وسالغ سنة وسنتين وما وقع هنا فى بعض النسخ ضالع بضاد
معجمة وعين مهملة تحريف ونقله عن النهاية وهم والقارح بقاف وراء وحاء مهملتين بعد الالف وهو
الفرس الذى دخل فى الخامسة وفى القاموس القارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الابل وقال
التجانى القارح من ذوات الحافر ما أكمل خمس سنين وهو فى السنة الاولى حولى بسكون الواو ثم جذع
ثم ثنى ثم رباع ثم قارح وفى هذا المكتوب زيادة على ماقاله المصنف رحمه الله تعالى وروايات أخر منها
ماقدمناه ومعنى قوله وعليهم الى آخره انه اذا وجد عندهم هذا النوع يؤخذ منه ماليس هرما ولا معيبا

(والكبش الحورى) بفتحتين وهو كبش يتخذ من جلده نطع فان جلده أحمر وروى الحوارى أى الابيض والمعنى لا يؤخذ منهم فى هذه الاشياء التى خصوا بها وقيل المعنى لا تؤخذ هذه الاشياء منهم اما لنفاستها كالحورى واما لخساستها كغيره وانما يؤخذ الوسط العدل (وعليهم فيها) أى فى الصدقة (الصالغ) بكسر لام فعجمة مادخل فى السنة السادسة من البقر والغنم والسين لغة فيه وفى النهاية لابن الاثير وعليهم الضالع بالضاد المعجمة والعين المهملة فليس بتصحيف كما زعمه التجانى (والقارح) بالحاء المهملة بعد الراء المكسورة مادخل من الخيل فى خامس سنة

(وقوله) أي وأنظر قوله (لنهد) بفتح فسكون أي لاجل قبيلة من اليمن وهو يحتمل أن يكون مشافهة أو مكاتبة فتقال وأنظر قوله في كتابه لنهد لا كما قال الدلجي وأنظر كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة والديلمي في مسند الفردوس (اللهم بارك لهم في محضها) أي لبنها الذي لم يخالطه ماء ذكره التلمساني والظاهر ان المراد به مالم يخرج منه زبده حلوا كان أو حامضا وهو بميم مفتوحة فحاء مهملة ساكنة وضاد معجمة ومنه الحديث وذلك محض الايمان (ومخضها) بالخاء المعجمة أي ما مخض من لبنها وأخذ زبده مصدر بمعنى المفعول والمخض تحريك سقاء اللبن لاستخراج زبده وفيه صنعة التجنيس والتصحيف (ومذقها) أي ما خلط من لبنها بالماء من المذق بالذال المعجمة والقاف بمعنى المزج والخلط وقيل اللبن الرقيق وهو التحقيق وبالله التوفيق (وأبعث راعيها) أي مالكها ومربيها وقد يكون مالكها وهي بمنزلة رعيته كما ورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته (في الدثر) بفتح مهملة فسكون مثلثة أي المال الكثير وقيل المراد به هنا الخصب والنبات (وأفجر) بضم الجيم ومنه قوله تعالى حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا قرئ بالتشديد والتخفيف في السبعة (له الثمد) بفتح مثلثة وميم فدال مهملة وقد تسكن ميمه أي الماء القليل الذي لا مادة له والمعنى أجره لهم حتى يصير كثيرا

كما مر وهذا مبني على ان الخيل تجب فيها الزكاة اذا كانت سائمة وذكورا واناثا الا صرف ذكورا وان شاء أعطى عن كل فرس دينارا أو قومها وأعطى زكاتها اذا حال الحول وتم النصاب والشافعي يحمله على ما كان معدا للتجارة وأدلتها مبسوطة في كتب الفقه (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لنهد) نهد قبيلة من اليمن تقدم الكلام عليها وهذا اشارة لما قاله عليه الصلاة والسلام لطهفة النهدي السابق ذكره فاللام صلة القول بتنزيل قوله لبعضهم منزلة قوله لكلهم أو لتنزيل كتابه منزلة خطابه أو هي للتعليل وقيل انه هنا متعين لان هذا ليس مقولا لهم والمخاطب بهذا الكلام الآتي هو الله تعالى عز وجل لما سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يستسقي لهم فدعا لهم وقال (اللهم) أي يا الله (بارك لهم) أي اجعل البركة وزيادة الرزق ونباته مقسوما وواصلا لهم قال الامام الراغب رحمه الله تعالى أصل البرك صدر البعير وان استعمل في غيره وبرك البعير التي بركه واعتبر فيه معنى اللزوم ومنه بروكا الحرب لمكان يلزمه الابطال والبركة لحبس الماء والبركة ثبوت الخير الالهي في الشئ قال الله تعالى لفتحنا عليهم بركات من السماء لثبوت خيرها ثبوت الماء في البركة والمبارك ما فيه ذلك الخير ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة والى هذه الزيادة أشير بما روي لا ينقص مال من صدقة لا الى النقصان المحسوس كما قال بعض الخاسرين حيث قيل له ذلك بيني وبينك الميزان وقوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا *(تنبيه)* على ما يفيض علينا بواسطة هذه البروج والنيرات المذكورة في هذه الآية وكل موضع ذكر فيه تبارك فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك وهو تحقيق لا مزيد عليه ومنه أخذ صاحب الكشف ما قاله في أول سورة الملك وقد تقدم ان طهفة وفد من قومه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهم في قحط شديد أصابهم فشكى اليه ما بهم في كلام ذكرناه أولا فدعا لهم وقال اللهم بارك لهم (في محضها ومخضها) متعلق ببارك والمحض بفتح الميم وسكون الحاء المهملة والضاد المعجمة والمخض مثله الا ان خاءه معجمة ومعنى الاول الخالص كما مر ومادته كلها تدل على الخلوص والصفاء ومنه محض الايمان في الحديث ومحضت له الودود عزتي محض ونحوه والمخض أصله تحريك السقاء الذي فيه اللبن حتى يتميز من زبده فيؤخذ منه ويسمى اللبن الذي أخذ زبده مخيضا وهو صفة لا مصدر يسمى به كما توهم (ومذقها) بفتح الميم وسكون الذال المعجمة والقاف وأصل معناه الخلط والمزج ثم استعمل في اللبن المخلوط بالماء قال * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط * والضمير راجع لارضهم أو لانعامهم المذكورة في كلام طهفة السابق الذي شكا فيه محل بلادهم وهلاك دوابهم فدعا لهم صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم بارك لهم في ألبانهم باقسامها ما كان خالصا لم يتميز زبده وما ميز منه زبده وما مزج بالماء ومجموعه كناية عن خصب أرضهم وسعتها فان الالبان انما تكثر بنبات المرعى وهو انما يكون بالمطر فكأنه قال اللهم اسق بلادهم واجعلها مخصبة ملبنة كما يدل عليه قوله وابعث راعيها في الدثر ابعث بمعنى ارسل يقال بعث الله رسوله للناس أي ارسله والراعي الذي يرعى الابل وغيرها والدثر بفتح الدال المهملة وسكون المثلثة والراء المهملة وهو الابل الكثيرة ويقع على الواحد فما فوقه ويجوز فتح ثائه وقيل الدثر الخصب وكثرة النبات لانه من الدثار وهو الغطاء لانها تغطي وجه الارض (وأفجر له الثمد) أفجر بضم الجيم من فجر يفجر كقعد يقعد من تفجير الماء وهو جعله جاريا معينا والثمد بفتح المثلثة وفتح الميم وقد يجوز تسكينها وآخره دال مهملة وهو الماء القليل وأفجر له مجاز عن معاني التكثير

(و بارك لهم فى المال) أى الحلال والا فبعض المال وبال فى المال ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح (والولد) أى الصالح والا فبعض الولد كمد وكبد وفى بعض النسخ و بارك له بصيغة الافراد والمتبادر منه انه راجع الى الراعى والاظهر انه خطاب عام لهم على الانفراد الذى هو أتم من الاجتماع فالمعنى بارك لكل منهم فى ماله وولده (من أقام الصلاة) أى واظب عليها وقام بشرائطها وأركانها (كان مسلما) أى منقادا وأسلم نفسه من التعرض اليها بقتلها وأسرها وقد قيل فى الصلاة جميع العبادات من قيام وقراءة وركوع وسجود ودعاء وثناء وصبر وهو حبس النفس والحواس والخواطر وزكاة وهو بذل المال فى الماء واللباس وصيام وهو الامساك عن الاكل والشرب واعتكاف وهو لزوم المكان الواحد لادائها وحج وهو التوجه للكعبة وجهاد وهو مجاهدة النفس ومحاربة الشيطان وشهادة وهى ذكر الله ورسوله (ومن آتى الزكاة) أى أعطاها مستحقيها (كان محسنا) أى فى اسلامه أو ببذله الى اخوانه (ومن شهد) أى بقلبه وأقر بلسانه (ان) أى انه (لا اله الا الله) أى وان محمدا رسول الله (كان مخلصا) أى فى ايمانه واقتصر على أحد ركنيه لانهم كانوا عبدة أصنام فقصد به نفى الهية ماسوى الله مع اشتهاره عندهم بانه رسول الله وايناسه منهم الايمان به بدليل قدوم كبرائهم عليه مؤمنين فهو من باب الاكتفاء أو لان هذه الكلمة علم لمجموع الشهادتين باطلاق البعض وارادة الكل ولذا ورد من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة واذا عرفت ذلك فقوله مسلما يراد به المعنى اللغوى (ووضائع

فلا يحتاج الى قول الدلجى كان مسلما ومؤمنا أيضا اذ مالهما واحد شرعا وان اختلفا مفهوما فان الاسلام هو الانقياد الظاهرى والايمان هو الاذعان الباطنى ولا يستغنى أحدهما عن الآخر لكن تخصيصه باقامة الصلاة يوهم انها وأمثالها جزء الايمان على ماذهب اليه المعتزله فالاولى ان يقال المعنى كان مسلما كاملا وان الواو فى الجمل الشرطية لمجرد الجمعية (لكم يا بنى نهد ودائع الشرك) جمع وديع من قولهم أعطيته وديعا أى عهدا وميثاقا أى أقررتكم على العهود والمواثيق التى كنتم تتعاهدونها مصالحة ومهادنة قبل الاسلام والاظهر انها جمع وديعة والمراد بها ما استودعوه من أموال الكفار الذين لم يسلموا فاحله لهم لانه مال كافر قدر عليه بلا عهد وشرط ويؤيده رواية مالم يكن عهد ولا وعد

للزومه له غالبا فالمراد كثر ماقل من مائه وضميرله للراعى واذا كثر له كثر لغيره (و بارك لهم فى المال والولد) معطوف على ماقبله أو على بارك الاول والمال كل مايتمول أو يملك وهو فى كلام العرب فى الاكثر يختص بالابل ويجوز ارادة كل منهما هنا (من أقام الصلاة كان مسلما) أى مسلما كاملا كقوله المسلم من سلم الناس من يده ولسانه أو المراد انه يحكم باسلامه بحسب الظاهر أو المراد الحث على اقامة الصلاة والمراد باقامة الصلاة المداومة والمحافظة عليها كما حقق فى الكشاف وشروحه وقيل انه على ظاهره لان من تركها مستحلا لتركها كافر ولان تاركها كافر فى أحد قولى أحمد أو هو فى حكم الكافر لانه يقتل كما سيأتى بيانه (ومن آتى الزكاة) بمد آتى أى أعطاها وأداها (كان محسنا) أى منعما متفضلا على الفقراء وآتيا بامر حسن مطلوب فى الدين (ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا) أى من أتى بكلمة التوحيد وأعلن بها فهو مخلص فى ايمانه لان الظاهر مطابقة قوله لما فى قلبه وهذا من باب حمل أحوال المؤمن على الصلاح والمراد بالاخلاص عدم النفاق وقيل المراد من قال كلمة الشهادة وهى لا اله الا الله محمد رسول الله فهو كما يقال قرأت حم والكتاب المبين أى السورة بتمامها وعليه يحمل نظائره الواردة فى الاحاديث (لكم يا بنى نهد ودائع الشرك) لكم خبر مقدم للاهتمام لا للحصر القلبى بناء على ماسيأتى من تفسيره وجملة النداء معترضة لبيان المخاطب وودائع الشرك المراد بها كما فى النهاية العهود والمواثيق التى كانت بينهم و بين من جاورهم من الكفار فى المهادنة يقال توادع الفريقان اذا أعطى كل واحد منهم الآخر عهدا ان لا يغزوه ويسمى ذلك العهد وديعا بغيرها فيقال أعطيته وديعا أى عهدا والظاهر ان المراد عهودهم التى وقعت بينهم بعد الحروب بعدم المؤاخذة بما قتلوا اذا تحاربوا وقتل بعضهم بعضا وما أراقوا من الدماء هدر كما فى الحديث الآخر كل دم فى الجاهلية تحت قدمى هذه أى متروك هدرا وقيل معناه انهم كانوا التزموا مهادنة بعض الكفار فغير الاسلام ذلك الحكم فلو وجب عليهم الوفاء بما التزموه لامرهم بغزوهم لمن خالف دينهم فاطلقوا من قيود ما التزموه فى الشرك من ذلك ولا يخفى بعده وتكلفه ثم قال فى النهاية ويجوز ان يراد ان ما استودعوه من أموال الكفار حلال لهم لانها مال أخذ من الكفار من غير ايجاف خيل وقتال فهو فىء وهكذا حكم ودائع الكفار فهو جمع وديعة بالهاء على هذا ولا ينافيه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر خلف عليا كرم الله وجهه ليرد ما كان عنده صلى الله تعالى عليه وسلم من الودائع والامانات لانه كان قبل حل الغنائم له أو لانه صلى الله تعالى عليه وسلم فر من نسبته للخيانة وذهاب شهامته وأمانته فيطعنوا فى الاسلام ويبعدوا من الايمان

(ووضائع الملك) بكسر الميم جمع وضيعة وهي الوظيفة التي تلزم المسلمين في أملاكهم من صدقة وزكاة والمعنى ولكم

(ووضائع الملك) الوضائع جمع وضيعة بمعنى موضوعة والملك بكسر الميم أي ما كان يوضع على الاملاك من الزكاة والصدقة ثابت لكم كسائر المسلمين يلزمكم ما يلزمهم من الوظائف من غير زيادة ولا نقص أو الملك بضم الميم والمعنى أن ما كان ملوك الجاهلية يوظفونه على الرعاية ويستأثرون به من غنائم الحروب لا نأخذ منكم فهو لكم على ظاهرها بتقدير التفسيرين الاخيرين للودائع والوضائع وبمعنى على كما في قوله تعالى وان أسأتم فلها على التفسيرين الاولين لهما وقيل عليه ان العهد اذا لزم الوفاء به يكون على المعاهد لانه فرض مطلوب منه وعهود مهادنتهم قبل الاسلام لا يجب الوفاء بها بعد الاسلام والقائل ظن وجوب الوفاء بها فحمل اللام على ما حمله وليس كذلك كما مر لان عهد الكافر لا يعتد به وأما الوضائع بمعنى تكاليف الزكاة فهي وان ثقلت على بعضهم فهم باعتبار الاجر عليها أو قد علمت أن هذا مبني على تفسيره وليس بمتعين كما مر مع ما فيه (لا تلاطط في الزكاة) تلاطط بضم التاء المثناة وسكون اللام وكسر الطاء المهملة الاولى وجزم الطاء المهملة الثانية بلا الناهية وفي الزكاة متعلقة به أي لا تمنعها قال ابن الاعرابي لط الغريم اذا منع حقه وأصله من لطت الناقة فرجها بذنبها اذا ضمته عليه وقد أرادها الفحل وفي شعر الاعشى الحرماري في امرأته وقد نشزت

أخلفت الوعد ولطت بالذنب * وهن شر غالب لمن غلب

ولط الغريم اذا اختفى (ولا تلحد في الحياة) هو مضبوط بضم التاء المثناة أوله ولام ساكنة تليها حاء مهملة مكسورة ودال مهملة مجزومة من الحد الحاد اذا جاز وعدل عن الحق وأصله مائل العدول ويقال ألحد ولحد قليلا والذي في الشفاء هو الذي رواه القتيبي بالفعل والخطاب الواحد والذي رواه غيره ما لم يكن عهد ولا موعد ولا تثاقل في الصلاة ولا تلاطط في الزكاة ولا تلاحد في الحياة بالاسم المصدر وتشديد عين الاخيرين وهو الوجه لانه خطاب للجماعة واقع على ما قبله كذا في النهاية الاثيرية يعني ان هذه الرواية بلفظ المصدر من التفاعل والتفعل هو الوجه الواضح لانه كلام خوطب به جماعة في قوله يا بني نهد وهذا جار على غير أسلوبه لتوجه الخطاب لواحد من بينهم وان كان ما قبله مشتملا على ضمير الجماعة المخاطبين دونه وقد جاء التلاطط بمعنى الالطاط المتقدم يقال تلاطط والطط والطى بابدال الاخيرة بالتخفيف وقال ابن رسلان لا تلاطط أو تلحد بالنون من باب نهي الانسان نفسه لينتهي غيره قيل ولا ضير في رواية القتيبي اذ الخطاب فيها لمن تلقى الكلام له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من بين جمع ما خوطبوا ابتداء أو نظيره في أفصح الكلام ثم عفونا عنكم من بعد ذلك حيث خوطب من يتلقى الكلام بلفظ ذلك ولم يقل ذلكم وتخصيص واحد من الحاضرين بخطاب النهي للتعريض بالباقين والصون لهم عن توجه صيغة النهي اليهم رجاء الانقياد للامتثال بالطف وجه ويحتمل أن الخطاب لهم برمتهم أولا ثم توجه لواحد في المجالس خارج عنهم فنهاه تعريضا بهم أو نهاهم نهي غيبة لتنزيلهم منزلة الغائبين عند توجيهه الى غيرهم ولم يقل لا يلطوا ويلحدوا بلفظ جماعة المذكور الغائبين بل لا تلاطط وتلحد أي هي والضمير لبني نهد وبنون وان كان جمع مذكر سالم ومثله لا يعود له ضمير المؤنث ولا تلحقه التاء فلا يقال الزيدون قامت ولا قامت الزيدون ولا العمرون تقعد بخلاف قامت الرجال والرجال تقوم بتاء التأنيث الا أنه لما غير مفرده عند جمعه أشبه جمع التكسير فاعطى حكمه في الحاق التاء بفعله نحو قامت البنون ومنه قوله تعالى الا الذي آمنت به بنو اسرائيل فصار ذلك داعيا الى جواز البنون قامت وتقوم ونحوه بتاء التأنيث وذهب بعض النحاة الى أنه جمع تكسير بدليل جواز الحاق التاء قال في ضوء الذبالة هذا مذهب غريب ورأى غير مصيب * قلت المخطئ مخطئ وهذه المسئلة مذكورة في شروح كتاب سيبويه والذي

الوظائف التي تلزمكم لا نتجاوزها منكم ولا نزيدها عليكم فصح قوله لكم دون عليكم أو بضم الميم أي ولكم ما وظفه ملوككم في الجاهلية عليكم وما استأثروا به دونكم من مغنم وغيره والمعنى لا نأخذها منكم ثم قول الحلبي بعد الالف مثناة تحت ليس على ظاهر بل باعتبار أصله والا فهو مقلوب بالهمزة كنظائره من الودائع والصحائف (لا تلاطط) كلام مستأنف وهو بضم مثناة فوق فسكون لام فمهملتين نهي لم يرد به واحدا معينا كما رواه البيهقي بل لكل من يأتي منه توجيه الخطاب وتوجه الكتاب (في الزكاة) أي لا تمنعها من لط الغريم وألط اذا منع الحق أو نهي أراد به جنس المخاطب كما رواه غيره بصيغة الجمع وكذا قوله (ولا تلحد) وما بعده وهو من الالحاد أي لا تعدل عن الحق ولا تمل الى الفساد وظلم العباد في البلاد (في الحياة) أي في مدة حياتك في الدنيا وقيل الفعلان بصيغة النفي مجهولان وروى الزمخشري بالنون فيهما وأغرب التلمساني في قوله أي لا تمسك الزكاة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ألظوا بياذا الجلال والاكرام أي الزموا هذا القول وتمسكوا به انتهى وهو وهم فان الظوا في الحديث بالظاء المعجمة

(ولا نتثاقل) أي نتكاسل (عن الصلاة) وفي نسخة بصيغة الجمع وفي أخرى بصيغة المجهول والمعنى أدها بالقيام بشرائطها وأركانها (وكتب لهم) قال الحجازي ويروى لكم ويروى عليكم (في الوظيفة الفريضة) بالنصب أي الهرمة

المسنة وهي الفارض أيضا والمعنى هي لكم لا تؤخذ منكم في الزكاة كذا قاله الدلجي وغيره وتبعهم الانطاكي الا أنه قال الفريضة بالرفع على الحكاية ولا يخفى ان هذا الحكم قد استفيد مما سبق مع انه كان الملائم بسياق الكلام من سباقه ولحاقه أن يقال وكتب لكم في الوظيفة الفريضة بالرفع على ان الجملة المصدرة بقوله لكم هي المكتوب لهم وفي حاشية الحجازي ان الوظيفة هي ما يقدر كل يوم من رزق أو عمل ولا يخفى عدم مناسبته لفحوى الكلام ومقام المرام وقال التلمساني الفريضة بالرفع على الحكاية انتهى وفي رواية عليكم في الوظيفة الفريضة أي عليكم في كل نصاب ما فرض فيه وفي نسخة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة بالجر فالمكتوب لهم قوله (ولكم الفارض) بالفاء في أكثر النسخ المعتمدة وقد سبق انه المسنة من الابل أو البقر وروى بالعين المهملة وهو الاظهر لئلا يتكرر فتدبر أي ولكم المريضة التي عرض لها آفة من قولهم بنو فلان أكالون للعوارض تعييرا لهم أي لا يأكلون الا ما عرض له مرض حذر موته والمعنى لا تؤخذ منكم في الزكاة فهي لكم

قال انه قول غريب ارتضاه ابن خروف ولولا خوف الملل لفصلناه اه وقيل عليه ان قياس الضمير على حرف الخطاب المتصل باسم الاشارة لا وجه له للفرق بينهما وما في الحديث يوجه بانه خاطب القوم أولا بقوله يا بني نهد وعلم ان فيهم واحدا متبعا الهوى نفسه فخصه من بينهم بالخطاب بما يليق به أو جعله تعريضا لباقيهم لئلا يثقل عليهم المواجهة بالنصيحة ونقل عن ابن الباذش ان الخطاب المفرد بعد الجمع له تأويلان اما تخصيص واحد من بينهم أو تأويله بمفرد لفظا مجموع معنى كالفريق وجوز فيه أن يكون التفاتا وأتى بما لا يسمن ولا يغني من جوع على عادته في التطويل الممل من غير فائدة * وأنا أقول هذا كله مبني على قاعدة تذكرها النحاة كما في شرح الكافية للرضي وهي انه لا يكون في كلام واحد خطابا لمخاطبين متغايرين من غير عطف ولا جمع وتثنية وهذه القاعدة ذكرت في باب الاشارة وقد تتبعت كلامهم فرأيتها مقيدة بأربعة قيود * الاول أن يكون ذلك في جملة واحدة فلو قلت أأنت يا زيد تضرب أأنت يا عمرو تشتم لم يمتنع * الثاني أن لا يتغايرا فلو كان أحدهما غير الآخر جاز نحو اذكر اذ قال ربك كما قدره المفسرون في مثله وغفل عنه بعضهم فاعترض بما لا محصل له * الثالث أن لا يكون أحدهما بعض الآخر نحو رأيتك كما ذكره النحاة في أفعال القلوب وصرح به المرزوقي رحمه الله تعالى في قوله * أجدوا فوموا لكم يا جرول * فقال جرول اسم رجل جعل أول الكلام خطابا لجماعتهم ثم خص بالنداء واحدا منهم جعله المأمور بما أراد كقول الهذلي * أحيي أبا كن يا ليلى الاماديح * فقال أبا كن ثم قال يا ليلى انتهى * الرابع أن يبقى الخطاب على حقيقته كما ذكره الرضي في باب التعجب وقد بسطنا الكلام على هذه المسألة في كتاب طراز المجالس ولا تعترض والجيب خبط هنا خبط عشواء فان هذا التركيب صحيح من وجهين لكونه بعضا في جملة أخرى فاحفظه فانه من نفائس الذخائر ثم انه ذكر في اعراب قوله في الرواية السابقة ولا موعد كلاما يقتضي منه العجب وأجاب عنه تلميذه باعجب وأعجب الا أن المصنف رحمه الله كفانا مؤنته لانه لم يذكره فلذا أضربنا عنه فان أردت فانظره وقوله في الحياة أي لا نلحد مادمت حيا (ولا نتثاقل عن الصلاة) بجزم اللام والكلام فيه كالذي قبله أي لا نتوانى ونكسل عن الصلاة ونتركها والتثاقل يجعل كناية كأن عليه ثقلا يمنعه عن الحركة اليها (وكتب لهم في الوظيفة) أي أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يكتب لهم كتاب يبين فيه ما يلزمهم بعد الاسلام والوفاء باركانه وضمير لهم لبني نهد وهو متعلق بكتب والوظيفة بالظاء المشالة والفاء بزنة سفينة وهي العين في كل يوم أو في زمان معين من الطعام وغيره من الرزق ويطلق على العهد والشرط وجمعه وظائف ووظف بضمتين كسفن كما قاله أهل اللغة والمراد الاخير أي كتب في العهد وما شرط عليهم في الزكاة لهم فيما يؤخذ منهم من الوظائف المرتبة عليهم (الفريضة) أي ما فرض عليهم ففريضة بمعنى مفروضة فان كانت الفريضة بمعنى الهرمة المسنة كالفارض لفرضها سنها أي قطعها له أو لانقطاعها عن العمل والانتفاع بها فهي غير مرادة هنا لانه روي عليكم في الوظيفة أي في كل نصاب ما فرض فيه وهذه الرواية مفسرة لما أراد به ولان قوله (ولكم الفارض) يأباه لما بينهما من التدافع غاية ما فيه اطلاق الوظيفة على النصاب لانه وظيفة لأصحاب الارزاق مقدر لهم كوظيفة الارض المعينة التي وضعها عمر رضي الله عنه كما ذكر في باب الوظائف فلا تجوز فيه كما توهم والفارض بالفاء كما ضبطه البرهان الحلبي وقد تقدم تفسيرها ويؤيده ما في الحديث الآخر ولكم الفارض والفريض يعني لا يؤخذ منكم ولا يكون على الانصباء لانه لا تصح به الزكاة وضبطه التجاني بالعين

(والفريش) بفاء مفتوحة ثم شين معجمة أي الحديثة العهد بالنتاج كالنفساء من النساء ففي الصحاح هي كل ذات حافر بعد نتاجها لسبعة أيام وقيل مالا يطيق من الابل حمل الاثقال ويؤيده قوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا وقد جاء فرش وفريش بمعنى واحد وقيل ما انبسط على الارض من نبات لاساق له (وذو العنان) بكسر العين المهملة سير اللجام أي والفرس (الركوب) بفتح الراء ورفع الباء وهو الصواب أي الذلول الذي يلجم ويركب بلا كلفة ومشقة لتكرر ركوبه لان فعول من أوزان المبالغة (والفلو) بفتح فاء وضم لام وتشديد واو كعدو وبضم أوله مع التشديد كسمو وقد تكسر فاؤه مع سكون لامه وتخفيف واوه كجرو وهو ولد الفرس المسمى بالمهر بالضم اذا كان صغيرا بلغ السنة أو فطم عن الرضاعة لانه يفلى عن أمه أي يعزل عنها قال التلمساني ويروى الفلو بدون الواو العاطفة انتهى وهو لا يصح (الضبيس) بفتح معجمة فكسر موحدة فتحتية فمهملة أي الصعب العسر الاخلاق الذي لم يرض وقيد الصغر للغالبة لا للاحتراز اذ غالب أحوال الخيل الصعوبة واما تخصيص الفلو فللدلالة على ان الخيل فيها الزكاة كما هو مذهب أئمتنا الحنفية والمعنى لا يؤخذ منكم شئ في المذكورات واما ما روى من ان الله قد عفا لكم عن صدقة الخيل والرقيق فمحمول على الخيل التي تركب كما ان الرقيق يراد به ما يخدم فالخيل السائمة والرقيق للتجارة فيهما الزكاة (لا يمنع سرحكم) بصيغة المفعول نفي بمعنى النهي وفصل عما قبله لعدم مناسبة بينهما ويقال سرحت الماشية مخففا وسرحت هي متعد ولازم واذا رجعت يقال راحت تروح وارحتها انا ومنه قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون أي حين تردونها من مرعاها الى منازلكم وحين تخرجونها اليه ولعل تقديم الاراحة لما فيها من زيادة افادة الراحة والمعنى لا تمنع ماشيتكم السارحة من مرعى مباح تريده (ولا يعضد) بصيغة المفعول أي لا يقطع (طلحكم) وهو شجر عظام من شجر العضاة له شوك كالسدر وهو شجر حسن اللون لخضرته أي نضرته أنوار طيبة الرائحة ولكون العرب يستحسنونه لخضرته وحسن لونه وعطره نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قطع ما الفوه جبرا لخواطرهم ووعدا لهم ببقاء ما يحبون وهو المراد بقوله تعالى وطلح منضود وهو في الآية الموز وقيل الطلع وقرئ بالعين

المهملة بدل الفاء وقال العارض المريضة التي اصابها كسر وهي لا تقبل في الصدقة فهي باقية لاصحابها وفي مزيل الخفاء انه وقع في بعض النسخ بالعين المهملة وهي الناقة التي يصيبها كسر او مرض فتنحر وفي العز بين في بعض نسخه الفارض بالفاء وقيل بالعين التي أصابها كسر ولم يتعرض لمرضها يقال عرضت الناقة اذا أصابها آفة أو كسر وبنو فلان اكالون للعوارض الا اذا لم ينحر والا ما أصابه مرض أو كسر خوفا ان يموت فلا ينتفعون به والعرب تعير باكله * قلت كأنه سقط من عبارة التجاني لفظ أو أو عد الكسر مرضا وفي الشرح خلط هنا لم نسود به وجه الطرس (والفريش) بفتح الفاء وكسر الراء المهملة والمثناة التحتية الساكنة والشين المعجمة الحديث العهد بالنتاج كالنفساء من النساء وحكي انه ما لا يطيق حمل الاثقال من الابل لصغره كما حكي انه يقال فرش وفريش بمعنى وان كان المشهور فيه الفرش كما في الآية ومن الانعام حمولة وفرشا وقيل الفرش ما انبسط على وجه الارض من النبات وهو بعيد هنا يعني ان هذه كلها لا تؤخذ في الزكاة اما على الاول فلانها لبون نفيسة واما على الثاني فلخستها (وذو العنان الركوب) العنان بكسر العين ونونين بينهما ألف والركوب بفتح الراء هو المركوب الذلول قال الله تعالى فمنها ركوبهم ووصفه بذي العنان في محله يعني لا يؤخذ الزكاة من الفرس المعد لركوب صاحبه فلا يؤخذ في الزكاة وان قلنا بزكاة الخيل وكذا الصغير لانه ليس من أوسطها والركوب بالرفع صفة ذو وروي بالجر صفة العنان (والفلو) بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو والمهر الصغير من الخيل لا يؤخذ في الزكاة وسمي فلوا لانه يفلى من امه أي يقطع بالفطام عنها قال الجوهري يقال فلوته اذا فطمته وعن أبي زيد اذا فتحت الفاء شددت الواو واذا كسرتها خففت فقلت فلو كجرو وفي القاموس انه يقال كجر ووعد وسمو وقال انه الجحش والمهر وقيل صغار اولاد ذوات الحافر مطلقا وروي الفلو بدون واو عطف والاول أصح (الضبيس) بفتح الضاد المعجمة ووهم من قال المهملة والموحدة المكسورة والمثناة التحتية والسين المهملة أي المهر العسر الركوب الصعب وهو من الرجال كذلك وكانه كنى به عن صغره ولو عطف كان المراد به الحرون الا انه وقع بلا عاطفة (لا يمنع) بالبناء للمفعول (سرحكم) باهمال السين المفتوحة وسكون الراء المهملة والحاء المهملة وهي الماشية التي تسرح بالغداة للمرعى والمراد ان مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها يقال سرحت الماشية تسرح اذا خرجت للمرعى وفعله يتعدى ولا يتعدى فاذا رجعت قيل أراحت قال تعالى حين تريحون وحين تسرحون وهذا كما قال في كتاب اكيدر لا تعدل سارحتكم وفاردتكم من مرعى الا انه عبر بالسارحة لمشاكلة الفاردة كما عبر هنا بالسرح لمشاكلة قوله (ولا يعضد طلحكم) يعضد بمعجمة بين مهملتين بمعنى يقطع يقال عضده عضدا اذا قطعه والطلح بفتح الطاء المهملة وسكون اللام والحاء المهملة شجر عظام يقال له العضاة وأم غيلان وكل شجر عظيم له شوك يقال له عضة والطلح في قوله تعالى وطلح منضود قيل هو الطلع وقيل شجرة الموز والمراد لا يقطع لكم

(ولا يحبس دركم) بمهملة مفتوحة فراء مشددة أى لا تمنع ماشيتكم التى هى ذات الدر أى اللبن عن الخروج الى المرعى لتجتمع بموضع يعدها فيه المصدق لما فيه من الاضرار بها لعدم رعيها وفى رواية لا يحشر دركم أى لا تحشر الى المصدق ليعدها بل انما يعدها عند أصحابها

أوغرب اليمنى فى تفسيره الدر هنا بمعنى المطر ولعل وجهه انه جعل قوله ولا يحبس خبرا مغيا بقوله مالم تضمروا واما على

ماذهب اليه الجمهور فتعلق ما دام مقدر ثم المعنى لكم ما قررو عليكم ما حرر (مالم تضمروا الرماق) من الاضمار ضد الاظهار والرماق بالكسر بمعنى النفاق يقال رامقته رماقا نظرت اليه نظر العداوة أو المعنى مالم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيشه رماق أى ضيق قاله ابن الاثير وروى الاماق بفتح الهمزة وكسرها وأصله الامئاق نخفف همزه قال فى المجمل يقال اماق الرجل اذا دخل فى الماقة وهى الانفة وفى الحديث مالم تضمروا الامئاق أى مالم تضمروا الانفة انتهى والانفة التعاظم وقيل هو الغدر وقيل الرمق القطيع من الغنم فارسى معرب فالمعنى لا تخفوا القطيع من الغنم والله أعلم (وتاكلوا الرباق) بالكسر جمع ربقة بكسر فسكون وهى فى الاصل عروة تجعل فى حبل يربط بها ما خيف ضياعه من البهم فشبه ما يلزم الاعناق من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقض العهد فان البهيمة اذا أكلت الربقة خلصت من الرباط والمعنى مالم تنقضوا عهود الاسلام التى ألزمها أعناقكم ومالم تخلعوها ومنه حديث حذيفة من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه قال التلمسانى والربقة بكسر وبفتح وفى بعض النسخ الرفاق بالفاء بدل من الباء جمع رفقة أى بحيث لا تقطعون الطرق وتظهرون الحرب اذ كل ذلك يقتضى نقض العهد ونكث البيعة وقد يقع التصحيف فى مثل هذا والله أعلم

شجر طلحا كان أو غيره وخصه لانه لا ثمر له فاذا منع قطعه علم عدم قطع غيره بالطريق الاولى (ولا يحبس دركم) بفتح الدال وتشديد الراء المهملتين وأصل معناه اللبن والمراد به هنا الانعام ذوات الدر لا تحبس عن المرعى فى مكان يجتمع فيه ليعدها من يأخذ الصدقة لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع درها عنه وروى لا يحشر دركم أى لا يجتمع فى مكان عند المصدق وهما بمعنى لما مر من الضرر وما قيل من ان ما رواه المصنف لا يختص بالحبس عن المرعى لشموله لحبسها عند صاحبها على وجه يمنعها من المرعى وحبسها عند المصدق ليعدها عليه مع مخالفته لكلامهم وللسياق لا طائل تحته وكذا ما قيل ان معناه لا يؤخذ الدر نفسه الا ان يكون منحة وكل هذا مناف للغرض وقد ورد فى صلح أهل نجران لا تحشروا ولا تعشروا ومقصوده صلى الله تعالى عليه وسلم الرفق بمن يؤخذ منهم الزكاة فيؤتى لمنازلهم من غير سوق لمواشيهم وحبس لها (مالم تضمروا الرماق) تضمروا بمعنى تخفوا وتكتموا والرماق بكسر الراء المهملة وميم وألف وقاف وهو النفاق يقال رامقته رماقا وهو النظر الشزر من العدو والمعنى مالم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق أى ضيق يمسك الرمق وهو بقية الروح وآخر النفس كما قاله ابن الاثير (وتاكلوا الرباق) بكسر الراء المهملة والموحدة والقاف قال الشمنى جمع ربقة وهى حبل فيه عرى يشد به البهائم وفى الحديث خلع ربقة الاسلام من عنقه قال ابن الاثير شبه ما يلزم من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقضه فان البهيمة اذا أكلت الربق خلصت من الشدة وما مصدرية ظرفية وهو اما قيد لما قبله أو لجميع ما تقدم والمعنى ان هذا أمر مقرر عليكم منا مالم تنقضوا العهد وترجعوا عن الاسلام فاذا كان كذلك فعليكم ما على غيركم من الكفرة وهذا معنى لا غبار عليه والترتيب فى محزه لان المعنى مالم تضمروا النفاق ثم تظهروا نقض العهد وقريب منه تفسيره بالغدر والنكث والعداوة فانها اذا أضمرت كانت نفاقا وأما تفسير اضمار الرباق باخفاء قطيع من الغنم يعنى عن المصدق فانه خيانة يقتضى تضييق المصدق عليهم بحشر انعام درهم وحبسها فهو على هذا متعلق بقوله لا يحبس دركم وهذا معنى صحيح موافق للغة لان الرمق القطيع من الغنم فارسى معرب كما قاله الجوهرى الا ان المشهور المأثور فى تفسير الحديث ما تقدم فاعتراض البرهان عليه بانه لم ينظره فى غير الصحاح وأخشى ان لا يكون أحد قاله قبله بما لا يليق ذكره وكذا القول بان النفاق اضمار الغدر مع اظهار خلافه فتفسيره غير مستقيم ليس بشئ وكذا تفسير الرباق بالموحدة بالغنم مجاز العلاقة المجاورة فكله بعيد بمراحل عن المرام وفى الكلام استعارة تمثيلية أو تصريحية والمراد بالعهد التزام أو أمر الله ورسوله ونواهيه وفى الشرح الجديد قال البرهان عن المعلق ان الرباق مجاز عن الغنم ولا أدرى من هذا المعلق وعلى هذا التقدير معناه مالم تاكلوا الغنم ولا معنى لهذه الظرفية حينئذ اذ يؤول الى أدوا زكاتكم مالم تاكلوا الغنم ومثله سمج لا يليق بحديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم المسوق لبيان فصاحته عليه الصلاة والسلام وفى الحواشى التلمسانية تضمروا الا°ماق بهمزة مكسورة وميم ساكنة وهمزة ممدودة يليها قاف بزنة الاكرام ومعناه الغدر والبغض يقال اماق يميق رباعيا وقد يخفف همزته هكذا ثبت عند العزفى وفى بعض نسخ الشفاء الرماق بكسر الراء والميم بعدها وهو بخط القاضى رحمه الله تعالى انتهى والشراح وأرباب الحواشى متفقون على الرواية

(من أقر) استئناف آخر أى من ثبت واستقر واعترف مذعنا منقادا بالملة (فله الوفاء بالعهد) أى بما عوهد عليه (والذمة) أى و بالامان أو الضمان الحاصل لديه (ومن أبى) أى امتنع عن مقتضيات الملة أو تقاعد وتقاصر عن أداء الزكاة والصدقة (فعليه الربوة) بكسر الراء ويجوز ضمه وفتحه أى الزيادة فى الفريضة الواجبة عليه عقوبة له وفى رواية من أقر بالجزية فعليه الربوة أى من امتنع من الاسلام هربا من الزكاة كان عليه من الجزية أكثر مما يجب عليه من الزكاة واعلم انه روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول فى كل أربعين بنت لبون من أعطاها مؤتجرا فله أجرها ومن أبى فانا آخذها وشطر ماله عزمة ربنا رواه أبو داود وقال أحمد هو عندى صالح فقيل يأخذ الامام معها شطر ماله وهو اختيار أبى بكر من الحنابلة وقول قديم للشافعى وعند الجمهور يأخذها من غير زيادة بدليل ان العرب منعت الزكاة ولم ينقل انه أخذ منهم زيادة عليها وقال الحرمى غلط بهز فى هذه الرواية وانما قال وشطر ماله يعنى

يجعل شطرين فيستخير عليه المصدق فيأخذ الصدقة من خيار الشطرين عقوبة لمنعه الزكاة وأما ما لا يلزم فلا

الثانية (من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة) ال فى العهد للعهد فالمراد ما عرف من عهود الاسلام أو ما عاهدهم الله ورسوله فيما كتب لهم والذمة قال البرهان الحلبى بمعنى العهد والامان والضمان والحرمة والحق والمراد الاولان وسميت الذمة ذمة لان تركها يوجب الذم ثم سمى محل الالتزام بها فى قول الفقهاء ثبت فى ذمته كذا وعن الفقهاء من قال انها معنى يصير به الآدمى على الخصوص أهلا لوجوب الحقوق له وعليه كما قاله تاج الشريعة فى شرح الهداية وقال القرافى رحمه الله فى قواعده لم يعرف أكثر الفقهاء معناها المستعملة فيه وحقيقتها حتى ظنوا انها أهلية المعاملة أو صحة التصرف وليس كذلك لان كلا منهما يوجد بدون الآخر وهى عبارة عن معنى مقدر فى المكلف قابلة للالتزام واللزوم مسبب عن أشياء خاصة فى الشرع وهى البلوغ والرشد وعدم الحجر وهى من خطاب الوضع انتهى وسمى أهل الذمة بذلك لدخولهم فى عهد المسلمين وأمانتهم والمراد ان من اعترف وصدق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فله الوفاء بالعهد والذمة (ومن أبى) اى امتنع من قبول العهد أو نقضه بعد قبوله ودخوله فيه من منع الزكاة (فعليه الربوة) والربوة بتثليث الراء المهملة وسكون الباء الموحدة والواو والهاء كما فى القاموس فالاقتصار على بعضها تقصير وهى الزيادة ومنه الربا الاخذ زيادة على ما أعطاه وفسرت الربوة بان يؤخذ منه زيادة على فريضة الزكاة عقوبة له وروى من أقر بالجزية فعليه الربوة أى امتنع عن الاسلام لاجل الزكاة كان عليه من الجزية أكثر مما يجب عليه بالزكاة قاله ابن الاثير وقال التجانى عنى صلى الله تعالى عليه وسلم ان من أبى من أداء الزكاة أخذ منه الفرض وزيد عليه مثله كما فى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه الصحيح ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ندب الناس الى الصدقة فقيل له منعها خالد بن الوليد وفلان وفلان فقال أما خالد فالناس يظلمونه لانه احتبس ادراعه وأعدها فى سبيل الله وأما فلان فلم ينقم منا الا ان كان فقيرا فاغناه الله ورسوله وأما فلان فانها عليه ومثلها معها وروى فانها عليه صدقة ومثلها معها وفى رواية البخارى ان عليه صدقة واجبة تؤخذ منه وليس معناه انه يعطاها ويعطى مثلها معها الان المذكور من أهل البيت لا تحل له الصدقة وذهب أبو عبيد فى معنى هذا الحديث الى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انما ألزمه اياها ومثلها معها لانه كان قد أخر عنه صدقة العام الماضى ومثله جائز للامام اذا علم حاجته وفقره لكن ظاهر الحديث يخالفه لانه فى معرض العقوبة والجزاء فلو كان كذلك لم يكن فيه ردع له انتهى وفى رواية البخارى احتمال انها كانت قبل تحريم الصدقة على أهل البيت كما فى بعض شروح مسلم * واعلم انه أى التجانى لم ينقل الحديث على وجهه فانه هكذا فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمر رضى الله تعالى عنه على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينقم ابن جميل الا ان كان فقيرا فاغناه الله تعالى وأما خالد فانكم تظلمونه وقد احتبس ادراعه فى سبيل الله وأما العباس فهو على ومثلها أما تعرف ان عم الرجل صنو أبيه وفى رواية البخارى فهى عليه صدقة ومثلها معها وفى رواية لم يقل صدقة ففيه ثلاث روايات ومعنى الاولى انه صلى الله عليه وسلم التزم باخراج ذلك عنه وبين سببه بقوله عم الرجل الخ تشريفا له ويحتمل انه صلى الله تعالى عليه وسلم تحملها عنه لتعلق الزكاة بالذمة وجمع ابن الجوزى بين رواية على وعليه بانهما بمعنى وزيد فى الثانية هاء السكت فى على وقيل معنى على انها عندى لانى أخذت منه صدقة عامين وقد ورد مصرحا به فى رواية أخرى بناء على جواز تعجيل الزكاة وفى الحديث وجوه أخر فى شروح الصحيحين لا حاجة لنا بها هنا ومن هذا علمت ما فى قوله لكن ظاهر الحديث يخالفه لانه ورد فى معرض العقوبة الى آخره فانه لا زجر فيه الا لابن جميل لا للمقول فى حقه فهى عليه ومثلها كما سمعته آنفا

(ومن كتابه لوائل بن حجر) أي على مارواه الطبراني في الصغير والخطابي في الغريب والمعنى من مكتوبه لاجل وائل بن حجر هو بضم الحاء كما سبق (الى الاقيال) أي الملوك الصغار الحمير وقيل الذين يخلفون الملوك اذا غابوا جمع قيل مخففا وقيل مشددا وقد تقدم (العباهلة) بفتح عين مهملة فموحدة أي ملوك اليمن الذين أقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه والتاء فيه لتأكيد الجمع كما في الملائكة (والارواع) جمع رائع كالانصار والاشهاد جمع ناصر وشاهد أو جمع أروع أي الحسان الوجوه والهيئات أو الذين يروعون الناس أي يفزعونهم بجمالهم وحسن حالهم وقيل السادة واحدهم أروع (المشابيب) جمع مشبوب أي الرؤس السادة الحسان المناظر الزهر الالوان كأنما وجوههم تتلألؤ نورا وتلمع سرورا وقيل الرجال الذين ألوانهم بيض وشعورهم سود وقيل الاذكياء وأما قول المنجاني والمشيب دخول الرجل في حد الشيب من الرجال فوهم منه في الخيال لاختلاف المادة في ميزان الافعال فالصواب ما قاله غيره من انه من شب من الشباب أو شب النار أوقدها (وفيه) أي وفي كتابه لوائل (في التيعة) بكسر فوقية وسكون تحتية فمهملة أي في الاربعين من الغنم (شاة لامقورة الالياط) بفتح الواو والراء المشددة من الاقوار بمعنى الاسترخاء في الجلد والالياط بفتح الهمزة جمع ليط (وانطوا
بالكسر وهو في الاصل القشر اللازق بعوده أي اللازق به شبه به الجلد لالتزاقه باللحم من الهزال والمعنى لا مسترخية الجلد لهزالها وقيل لامقطوعة الجلد (ولاضناك) بكسر المعجمة ثم كاف منونة وقال التلمساني بفتح الضاد وكسرها والنون الخفيفة وجوز المنجاني ضمها يستوي فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع أي ولا مكثرة اللحم ممتلئة الشحم لكرمها يريد ان هذه الشاة لا سمينة ولا هزيلة بل

(ومن كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لوائل بن حجر) تقدم الكلام عليه (الى الاقيال العباهلة) أي الى الملوك القار ملكهم وقد تقدم تفسيره وبيان لغته وضبطه (والارواع) بهمزة وراء مهملة وواو وبعدها ألف وعين مهملة وهم السادة الزهر الالوان الحسان الوجوه وقيل انه جمع رائع وهم الذين يروعون الناس أي يخوفونهم بمنظرهم لجمالهم وهيآتهم قاله ابن الاثير قيل والاول أولى وجمع فاعل على افعال نادر جدا * أقول ما قاله ابن الاثير هو الذي ارتضاه المبرد في الكامل لما فيه من البلاغة فان الحسن الزائد اذا رآه من له ادراك أدهشه وحيره فيشبه الخائف الفزع ومن وقف على كلام المبرد عرف حسنه وقيل انما كان هذا غير موجه لان الهيئة التي كانت لهم هيئة تجبر وظلم أزالها الاسلام والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما أراد مدحهم بالحلم والرأفة وليس بشئ (المشابيب) بفتح الميم والشين المعجمة بعدها ألف ثم موحدتين بينهما مثناة تحتية جمع مشبوب وهو الحسن الازهر اللون قال ذو الرمة

أنا الاروع المشبوب أضحى كأنه * على الرحل مما مسه السير أحمق

ه المراد السيد الظاهر الازهر اللون المنير كأنه أوقد في وجهه سراج منير وهو يجمع مع الارواع في كلامهم كما في البيت فان النار مما تروع ناظره وروى الاشياء بزنة الاخلاء جمع شبيب كخليل وقيل هم الرجال الذين وجوههم بيض وشعورهم سود فهذا كما يقال للحسناء ذات الذوائب المسود شعرها يشب لونها أي يظهره ويحسنه وقيل المراد الاذكياء (وفيه) أي في كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لوائل (في التيعة شاة) التيعة بكسر التاء الفوقية وسكون المثناة التحتية والعين المهملة الاربعون من الغنم وقيل الخمس من الابل وقيل هي أدنى ما تجب فيه الصدقة من الغنم والابل وهو المقدار المذكور وقيل هي ما ياخذه الساعي من الزكاة وهو غير مناسب هنا وهو من التيع وهو القئ وقد وقع التشبيه به في حديث (الراجع في هبته كالراجع في قيئه) ويقال تاع قيئه وأتاع ويقال تاع بمعنى ذهب قيل وجه المناسبة سرعة المبادرة اليها كسرعة القئ أو الذهاب الساعي اليها والاحسن أن يقال انها فضلة ووسخ يستريح بدفعها لان الصدقة أوساخ الناس كما ورد في الحديث ولذا منع أهل البيت منها لشرفهم (لامقورة الالياط) مقورة بميم مضمومة وقاف ساكنة وواو مفتوحة مخففة وراء مهملة مشددة من الاقورار كاحمرة من الاحمرار وهي المسترخية الجلد من الهزال فلا تؤخذ في الصدقة لرداءتها وقيل هي المنشحة من الهزال أيضا وقيل هي السمينة فهي من الاضداد كما ذكره الصاغاني في كتاب الاضداد وهذه لا تؤخذ لانها أعلى والمامور باخذ الوسط وفي بعض النسخ مقورطة مفوعلة قال التلمساني قال ابن سيدي الحسن ولا أعلم الآن معناه ولعله مصحف مقريطة يقال أقريط الجلد انضم بعضه لبعض مقريطة وهو بمعناه والالياط بلام وياء مثناة تحتية وطاء مهملة جمع ليط بكسر اللام وهو قشر العود فاستعير للجلد من لاطه يلوطه اذا ألصقه وقيل المقورة المقطوعة والمعنى بها الناقصة فالتفاسير متقاربة (ولا ضناك) بفتح الضاد المعجمة وكسرها قال التجاني ويجوز ضمها وخطئ فيه لانه بمعنى الزكام ولا مناسبة له هنا وفي ضبطه نظر لما في العباب للصاغاني الضناك بالفتح قاله الفارابي وقال غيره هو بالكسر وهو الصواب وهي الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها

متوسطة الحال (وانطوا) بهمزة قطع وضم مهملة لغة يمانية أي واعطوا في الزكاة (الثبجة) بفتح مثلثة وكسر موحدة فجيم مفتوحة بعدها تاء أي الشاة الوسطى التي ليست بأدنى ولا أعلى من ثبج كل شئ وسطه والتاء لانتقالها من الاسمية الى الوصفية قال التلمساني ويروى الشجة بالشين والجيم من شج سار بشدة (وفي السيوب) بضمتين جمع سيب وهو الركاز (الخمس) بضمتين ويسكن الميم لان السيب لغة العطاء والركاز عطاء من الله تعالى وقال الزمخشري هي المعدن أو المال المدفون في الجاهلية لانه من فضل الله وعطائه لمن أصابه (ومن زنى مم) بسكون الميم الثانية (بكر) بتنوين في الراء خلافا لبعضهم لانها نكرة عامة في سياق الشرط ثم أبدلت نون من ميما لكثرة استعمالهم ذلك لفظا في مثل من ما سيما اذا كان بعدها باء كما هنا ونحو منبر وعنبر ولو كان معرفة بلغتهم لقيل ومن زنى من امبكر كما قال ليس من امبر امصيام في امسفر ومن الجارة تبعيضية أو بيانية مفسرة للاسم المبهم الشرطي وترجمة عنه أي ومن زنى من الابكار (فاصقعوه) بهمزة وصل وقاف مفتوحة أي اضربوه كما قاله ابن الاثير وأصل الصقع الضرب ببطن الكف وقيل أي فاضربوه على صوقعته أي في وسط رأسه قال التلمساني وعند الشارح فاصفعوه بالفاء عوض القاف أي فاضربوه (مائة) أي مائة ضربة

(وانطوا الثبجة) انطاء بمعنى اعطاء لغة لاهل اليمن أو لبني سعد وروى في الدعاء لا مانع لما انطيت وقرئ شاذا انا أنطيناك والثبجة بالمثلثة والموحدة والجيم المفتوحات والهاء بمعنى الوسط والهاء للنقل من الاسمية للوصفية وقال التجاني ان الباء الموحدة مكسورة ومنه ثبج البحر لوسطه وفي الحديث خيار أمتي أولها وآخرها وبين ذلك ثبج والمقصود أنه لا يؤخذ في الزكاة الاعلى لاضراره برب المال الا أن يكون برضى منه ولا الادنى ولا المعيب الا أن يكون الكل كذلك لان الجود بالوجود وتفصيله في كتب الفقه قال البرهان وفي بعض النسخ بكسر الباء وتشديد الجيم وفيه نظر وقال التلمساني رحمه الله تعالى وروى الشبجة بالشين والجيم من شبج سار بشدة وأراد اعطاء القوى للضعيف فتامله (وفي السيوب الخمس) السيوب بضم السين المهملة والمثناة التحتية وواو وباء موحدة جمع سيب وهو الركاز بمهملة وكاف وزاى معجمة بزنة كتاب بمعنى مركوز وهو المال المدفون الجاهلي من ركز الرمح اذا غرزه في الارض وأقره أو من الركز وهو الاخفاء قال الله تعالى أو تسمع لهم ركزا أي صوتا خفيا وسمي سيبا لانه عطية من الله تعالى وقيل هو الذهب والفضة المعدني من تسيب بمعنى تكون من غير صاحب له فكأنه مسيب والخمس بضمتين وضم فسكون ويقال له خميس ومنه اسم الجيش لكونه خمسة أقسام ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة وقلب وقوله في الحديث المعدن جبار وفي الركاز الخمس يدل على أن الركاز غير المعدن واتفقوا على وجوب الخمس في الركاز الا الحسن البصري رحمه الله فقال ان وجد في دار الحرب ففيه الخمس وفي غيره الزكاة ولا فرق فيه بين النقدين وغيرهما والقليل والكثير ولا يشترط الحول كالزكاة وعند الشافعي ان كان وجده في ملكه فهو له ان ادعاه والا فهو لقطة (ومن زنا مم بكر فاصقعوه مائة) قوله مم بكر وما يأتي من قوله مم ثيب أصله كما في النهاية من بكر ومن ثيب فقلبت النون ميما لانها اذا سكنت قبل الباء تقلب ميما سواء كان من كلمة نحو عنبر أو من كلمتين نحو من بكر وتقدم ان لام التعريف تبدل ميما في لغة حمير نحو ليس من امبر امصيام في امسفر فاما أن يكون ما نحن فيه من الثاني فاصله من البكر فحذفت نون من على حد قولهم في بني الحارث بلحارث فيكون بكر حينئذ غير منون واستعمل البكر موضع الابكار والاشبه أن يكون نكرة منونة وأبدلت نون من ميما انتهى وقيل عليه ان كون بكر بمعنى ابكار لاجل من التبعيضية فتقديره من زنى ببكر من الابكار ويجوز أن يكون لبيان الجنس فبكر على أصلها وهو على هذا يحتمل أن يكون بمعنى الابكار لما في من من العموم ثم أنه اذا قلب النون ميما على نهج الانقلاب التجويدي لا يتأتى في قوله مم ثيب فلذا قال في مزيل الخفاء أنه من باب الازدواج والمشاكلة كما في قولهم ما قدم وحدث بضمهما مع أن حدث بالفتح فان قلنا أنه انما قيل مم بكر بقلب النون ميما لانها تعاقبها كثيرا كما في قولهم بنان وبنام ودان ودام كما قاله التجاني لم يحتج لما ذكر وقوله فاصقعوه بهمزة وصل ثم صاد مهملة ساكنة ثم قاف مفتوحة ثم عين مضمومة مهملة أي فاضربوه ويقال اسقعوه بالسين أيضا من الصقع وهو الضرب وأصله الضرب على الرأس وقيل هو الضرب ببطن الكف وضبطه بعض الشراح فاصفعوه بالفاء بدل القاف كما نقله التلمساني يقال صفعت فلانا أصفعه صفعا اذا ضربت قفاه بجمع كفي ورجل مصفعاني يفعل به ذلك والعامة تقول لمن سرقت عمامته أنه صفع وهي استعارة عامية ركيكة كما قال ابن نباته رحمه الله

أسفت لشاشي الذي قد مضى * وفاز به سارق حاشه

ووالله ما بي مما جرى * سوى قولهم صفعوا شاشه

وتطفل عليه الصفدي رحمه الله تعالى على عادته فقال

قد سرق الشاش بليل وما * قدره الله فما يندفع

(واستوفضوه) بالقاف والضاد المعجمة أي اطردوه أو انفوه وغربوه (عاما) أي سنة (ومن زنى مم ثيب) يجري فيه ما جرى في مم بكر الا أن هناك القلب الحقيقي لاجل الياء وهنا الاخفاء المتولد من قبل الثاء وقيل القلب فيه للمناسبة والمشاكلة كقولهم ما قدم وحدث بضم دال حدث لمناسبة قدم وقيل هي لغة يمانية كما يبدلون الميم من لام التعريف أي ومن زنى من ذوي احصان (فضرجوه) بمعجمة مفتوحة وتشديد راء مكسورة فجيم أي فارجموه حتى تدموه وتضرجوه أي تلطخوه بدمائه (بالاضاميم) أي برمي الحجارات جمع اضمامه بالضاد المعجمة وهي ما جمع وضم الحجارة لان بعضها يضم الى بعض كالجماعات من الناس والكتب قال التلمساني يريد أنه لا يرجم بحجر ههنا وحجر في موضع آخر ٤٠٤ لان ذلك تعذيب له ولا في محل فيه حجارة صغيرة أو قليل الحجارة ولا يرجم بحجر في وقت ثم بحجر في وقت آخر وهذا كله يشمله الاضاميم (ولا توصيم) أي لا توانى ولا محابات في (الدين) أي في اقامة الحدود لقوله تعالى ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله وقيل التوصيم التكسير والمعنى ولا تقصدوا تكسيره بالحجارة وقيل المعنى لا عيب ولا هوان ولا كسر ولا عار في الدين (ولا غمة) بضم غين معجمة وتشديد ميم أي لا ستر ولا غطاء وفي رواية ولا عمه بمهملة فميم مخففة مفتوحتين فهاء أي لا حيرة ولا تردد وفي رواية ولا غمد بكسر معجمة وسكون ميم فدال مهملة أي لا ستر ولا اخفاء أو لا تستروا الباس (في فرائض الله) بل هي واضحة والمعنى لا تستر فرائض الله ولا تخفى بل تظهر ويجهر بها وقال التلمساني لاغمة بضم الغين المعجمة وبفتحها أي لا ضيق ولا كربة وقيل لا ابهام ولا الباس ولا ستره أي لا تخفى فرائض الله لانها من أعلام الاسلام وتاركها يستحق الملام فحقها ان يعلن بها اماطة للتهمة عن تركها بخلاف التطوع فانه لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فحقه أن يخفى (وكل مسكر) خمرا كان أو غيره كثيرا أو قليلا على خلاف في الاخير فيما عدا الخمر (حرام) أي شربه وأغرب التلمساني في ذكره قاعدة منطقية بقوله هذه نتيجة وكيفية تركيب المقدمتين هو أن تقول كل مسكر خمر وكل خمر حرام فينتج كل مسكر حرام انتهى ولم يعرف ان الكبرى ممنوعة هنا (ووائل بن حجر) مبتدأ (يترفل) ويترأس بفاء مشددة أي يتأمر ويترأس (على

أقيال

الحمد لله الذي لم يكن * شانئي على رأسي لماصفع

والمراد هنا احد الجلد والمراد بالبكر غير المحصنات كما بين في الحدود (واستوفضوه عاما) بهمز وصل وسين مهملة ساكنة ومثناة فوقية وواو وفاء وضاد معجمة ثم واو ساكنة وهاء الضمير بمعني انفوه وعرفوه من فوضت الابل اذا تفرقت والعام والسنة بمعنى هنا وان كان الامام السهيلي فرق بينهما في الروض الانف باعتبار أصل الوضع فان السنة من دور الشمس الى عودها لمحلها الا منسنى بمعنى دار ومنه الثانية والعام ما اشتمل على الفصول الاربعة بتمامها (ومن زنا مم ثيب) أي محصنة وتقدم ما فيه (فضرجوه بالاضاميم) ضرجوه بضاد معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة مشددة وجيم مضمومة من التضريج وهو التدمية أي ارجموه حتى يسيل دمه ويقتل قال ان بني ضرجوني بالدم والاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة وميمين أولاهما مكسورة بينهما ياء مثناة ساكنة الحجارة وأحدها اضمامه بكسر الهمزة أو أضموم بضمها كالقوم سميت بها لانه يضم بعضها البعض ويطلق على كل مجتمع من الناس وغيرهم والمراد الرجم الذي هو حد المحصن كما فصل في كتب الفقه واختلافهم في كون التغريب من الحد أم لا مشهور في الفروع شهرته تغني عن ذكره (ولا توصيم في الدين) توصيم تفعيل من الوصم بالصاد المهملة وهو العيب والعار أي لا كسر ولا عيب ولا عار ولا كسل في اقامة حدود الله فلا تحابوا فيها وهذا في معنى قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله ولذا حرم الفقهاء الشفاعة في الحدود دون التعزير (ولا غمة في فرائض الله) الغمة بضم الغين المعجمة وتشديد الميم أي لا تخفى وتستر فرائضه تعالى بل تظهر ويجهر بها اقامة واظهار الشعائر الدين وهذا يقتضي ان اظهار الفرائض أكمل فينبغي اظهار اداء الزكاة دون اخفائها فقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم محمول على صدقة التطوع فان الافضل اخفاؤها وقيل أنه شامل للزكاة وقد يستحب اخفاؤها اذا خاف الرياء ونحوه وقيل أنه يختلف باختلاف الاحوال والزمان ولو قيل أن المراد هنا ان الحرام بين والحلال بين لم يحتج للتقييد ويؤيده أنه روى هذا لاعمه بفتح العين المهملة والميم المخففة والهاء أي لا حيرة ولا تردد فيها وروى لاغمد بكسر الغين المعجمة وسكون الميم والدال المهملة ومعناها لا ستر ولا اخفاء كتغمدنا الله برحمته أي سترنا بها (وكل مسكر حرام) هذا حديث صحيح رواه مسلم وهو أنه قال كل مسكر خمر وكل مسكر أي كل ما من شأنه الاسكار فهو حرام أي ولو قطرة منه والخلاف في المثلث بشروطه معلوم ويدخل فيه الحشيش على الاصح وللزركشي رحمه الله تعالى فيه تاليف مستقل وانما ذكر هذا لانهم سألوه وقالوا يا رسول الله ان شرابا يصنع بارضنا يقال له المزر والتبع وأهل تلك الديار لهم ولع به فلذا بينه لهم والكلام على الحديث مفصل في شرح مسلم (ووائل بن حجر) تقدم بيانه (يترفل على

الاقيال) يترفل بالراء المهملة والفاء واللام والترفل أصله تطويل الرداء والثوب ومثله يكون فخرا وعظمة فاستعير او جعل كناية وهذا أظهر لجعله رئيسا عليهم محكما فيهم وفى أخذ صدقاتهم لان الترفل للتعظيم والرئيس والحاكم أعظم فجعل هذا عبارة عن ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جعله واليا على أمورهم وقبض صدقاتهم قال التجانى أى يتامر و يترأس وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتاب آخراه وقد وجهه الى المهاجر بن أبى أمية من محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المهاجر بن أبو أمية ان وائلا يستسعر و يترفل على الاقيال حيث كانوا من حضرموت أى هو مستعمل على الصدقات وأمير على الاقيال قال الشاعر (اذا نحن رفلنا امرأ ساد قومه * وان لم يكن من قبل ذلك يذكر)
وقد تقدم معنى الاقيال وأصله ومن الترفل هذا الترفيل المذكور فى العروض وقوله ابن أبو أمية كذا صحت روايته بحكاية أول أحواله وأشرفها كما يقال على بن أبو طالب قال التجانى وقريش لا تغير الاب فى الكنية فتجعله بالواو فى أحواله الثلاثة وحكاه أبو زيد عن الاصمعى فى نوادره فليس بلحن كما يتوهم كما يقولون باز يد فهذه لغة خامسة لكنها لكونها مخصوصة بالكنية لم يذكروها (أين هذا من كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لانس رضى الله تعالى عنه فى الصدقة المشهور) أين استفهام عن المكان والمراد ان بينهما بونا وفرقا فان ذاك جاء بلغة أهل اليمن وهذا بلغة قريش وتهامة المألوفة بينهم ففيه اشارة الى فصاحته صلى الله تعالى عليه وسلم ومعرفته باللغات وخطاب كل أحد بلسانه ولغته وهذا اشارة الى الكتاب الذى دفعه أبو بكر رضى الله تعالى عنه لانس رضى الله عنه حين أرسله فى خلافته الى البحرين وأمره أن يعمل به وهو من كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و بعضهم وقفه على أبى بكر رضى الله تعالى عنه و بعضهم رفعه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انه كان عند أبى بكر رضى الله تعالى عنه يعمل به وهو الذى سلمه لانس رضى الله تعالى عنه ولما دفعه اليه كان عليه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الكتاب ذكره البخارى فى صحيحه والنسائى وأبو داود والترمذى وغيرهم على اختلاف بينهم فى كثير من ألفاظه والبخارى ذكره مفرقا فى كتابه ولم يخرجه مسلم واختلف فى سبب تركه له مع صحته وشهرته فقيل للاختلاف فى كونه من كلام النبى صلى الله عليه وسلم أو من كلام أبى بكر رضى الله تعالى عنه وقيل لاختلاف المحدثين فى الكتاب والعمل به وان كان الاصح انه يعمل به ولا فرق بينه وبين غيره من الاحاديث وله طرق مختلفة وأوله بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الله التى فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سألها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها فلا يعطه فيما دون خمس وعشرين من الابل الغنم فى كل خمس ذود شاة فاذا بلغت خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض و بقية الكتاب مذكور فيه أحكام الزكاة وهو مذكور فى المطولات ولكن ذكرنا هذا المقدار منه تبركا لان الثمرة تدل على الشجرة وفى مزيل الخفاء * قيل لم يكتب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى أنس وانما أبو بكر رضى الله تعالى عنه هو الذى كتب اليه وأجيب بان الدارقطنى ذكر باسناد صحيح رواية هذا الحديث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر أبو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتب كتاب الصدقة ولم يخرجه فى حياته فعمل به أبو بكر رضى الله تعالى عنه بعده ثم عمر رضى الله تعالى عنه وعلى هذا ففى كلام المصنف رحمه الله تعالى مقدر دل عليه خصوص الواقعة

الاقيال) خبر معناه الامر اقوله بعده فى آخر كتابه أمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاسمعوه وهو معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتاب الآخر وكان وجه الى المهاجر بن أبى أمية مع وائل هذا فكان فيه من محمد رسول الله الى المهاجر ابن أبى أمية ان وائلا يستسعى ويترفل على الاقيال حيث كانوا من حضرموت أى يستعمل على الصدقات و يصير أميرا على الاقيال ويفتخر عليهم بكتابه عليه الصلاة والسلام كما قال الشاعر (اذا نحن أمرنا امرأ ساد قومه
وان لم يكن من قبل ذلك يذكر)
ولما كان أبو أمية مشتهرا تركه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حاله كما يقال على ابن أبى طالب كرم الله وجهه وحكى أبو زيد فى نوادره عن الاصمعى عن يحيى بن عمران قريشا كانت لا تغير الاب فى الكنية تجعله مرفوعا فى كل وجه من الرفع والجر والنصب والحاصل انه شبه امارته بالثوب لانها تلابسه بها كأنه لابسه واستعير لها ترفيله وهو اطالته وأسباله فكأنه يرفل فيها أى يجر ذيلها عليهم زهوا وقول التلمسانى هنا الى وائل الى كاللام و روى بها فليس فى محله ولعله فيما تقدم والله تعالى أعلم ثم جملة (أين هذا) أى كلامه هذا مع ماذكر من الاقيال وكتابه لهم (من كتابه لانس رضى الله عنه فى الصدقة المشهور) نعت الكتابه كما رواه أبو داود والترمدى والدارقطنى وختمه ولم يدفعه له فدفعه أبو بكر بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم له حين وجهه الى البحرين مصدقا فان ذا بمحل من جزالة ألفاظ مالوفة وسلاسة تراكيب مانوسة وذاك بمحل من غلاقة ألفاظ غريبة وقلاقة أساليب عجيبة حتى انها فى النطق عسرة بالنسبة الى غير أهل تلك اللغة وسبب هذا التغاير ما بينه المصنف بقوله

أي في كتابه الذي كتبت نسخته لانس رضي الله تعالى عنه لما في صحيح البخاري ان أنسا حدث ان أبا
بكر رضي الله تعالى عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه الى البحرين ثم ان المصنف رحمه الله بين وجه
التباين فقال (لما كان كلام هؤلاء) الاشارة الى جميع من تقدم من الانصار وقريش وأهل نجد وأهل
الحجاز والهمدانيين والنهديين أو الى الاخيرين لقربهم (على هذا الحد) أي على هذه الصفة قال الراغب
حد الشئ الوصف المحيط بمعناه المميز له عما عداه (وبلاغتهم على هذا النمط) أي على هذه الطريقة
(وأكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم) يعني ان استعمال هذه الالفاظ مع من هي لغتهم
لاتخل بالفصاحة بل هو من أعلى طبقاتها وان كان فيها ماهو غريب وحشي بالنسبة لغيرهم فان
الجاحظ نص في التبيان على ان كلام أهل البادية الوحشي بالنسبة لهم فصيح وان كان كلام أهل المعاني
قد يوهم خلافه وانه يخل بالفصاحة مطلقا وهذا مما غفلوا عنه وله في هذا فصل بديع منه أراغ معنى
كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما ان تصونهما
عما يفسدهما ويهجنهما ولا تعود من أجله ان يكون أسوأ حالا منك قبل ان تلتمس اظهارهما فكن
في ثلاث منازل أولها ان يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ويكون معناه ظاهرا مكشوفا وقريبا
معروفا أما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت وأما عند العامة بان يكون للعامة أردت والمعنى ليس
يشرف بان يكون من معاني الخاصة ولا يتضع بان يكون من معاني العامة وانما مدار الشرف على
الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال الى آخر ما فصله (ليبين للناس
مانزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون) اشارة الى أنه لما كان مبعوثا لجميع الناس كان يتكلم بكل
لغة مع أهلها لانه أبلغ في الابلاغ وأنفع (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث عطية السعدي)
منسوب لقبيلة بني سعد بن بكر وفي العرب سعود غيرهم سعد تميم وسعد قيس وسعد هذيل وسعد بكر
هؤلاء وغيرهم وعطية هذا هو ابن عروة السعدي ويقال عطية بن عامر ويكنى أبا محمد روى عنه أهل
اليمن والشام وهو جد عروة بن محمد بن عطية روى ابن عبد البر بسنده الى عروة بن محمد بن عطية قال
حدثني أبي ان أباه حدثه انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من بني سعد قال وانا أصغرهم
فخلفوني في رحالهم ثم أتوه صلى الله تعالى عليه وسلم فقضى حوائجهم ثم قال هل بقي منكم أحد قالوا
يارسول الله غلام منا خلفناه في رحالنا فأمرهم أن يبعثوا اليه فأتوا الي وقالوا أجب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأتيته فلما رآني قال ما أغناك الله تعالى فلا تسأل الناس شيئا (فان اليد العليا هي المنطية واليد
السفلى هي المنطاة) تمامه ومال الله مسؤل ومنطى وروى بدله ويعطي وهذا حديث صحيح رواه الحاكم
وصححه من طريق عروة وتمامه كما رواه الواقدي في قصة وفود السعديين عن ابن النعمان منهم عن
أبيه قال قدمت على رسول الله وافدا في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله البلاد الى أن قال ثم انصرفنا
الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبنا فأتى بنا اليه فتقدم
صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا له يارسول الله انه أصغرنا وخادمنا فقال أصغر القوم خادمهم بارك الله
عزوجل عليه فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أمره
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علينا فكان يؤمنا ولما أردنا الانصراف أمر بلالا رضي الله
تعالى عنه فأجازنا بأواقي فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله تعالى الاسلام وهذا
يشعر بانه كان أمير القوم وأذكاهم فلذا نصحه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكره
المصنف رحمه الله تعالى (قال) أي عطية السعدي (فكلمنا رسول الله صلى الله تعالى

عليه

(لما كان كلام هؤلاء على
هذا الحد) أي هذا
المقدار غريبا غير مالوف
(وبلاغتهم على هذا
النمط) أي هذا النوع
وحشيا غير مانوس
(وأكثر استعمالهم هذه
الالفاظ) أي التي هي غير
مالوفة لغيرهم وان
كانت مانوسة لهم
وجواب لما قوله (استعملها
معهم ليبين للناس
مانزل اليهم) أي مما
تشابه عليهم من أمر
ونهي ونحوهما بنص أو
ارشاد أي دال على ذلك
كالقياس واستحسان
العقل (وليحدث الناس
بما يعملون) أي بما
يفهمون ويعقلون لا
بما لايدركون فينكرون
كما سبق من كلامه وكتابه
(وكقوله في حديث عطية
السعدي) أي المنسوب
الى قبيلة بني سعد وهو ابن
عروة ويقال ابن عمرو بن
عروة على ما رواه الحاكم
والبيهقي وصححه عنه
قدمنا على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال لي ما أغناك الله فلا
تسأل الناس شيئا (فان
اليد العليا هي المنطية)
أي المعطية واليد السفلى
هي المنطاة) أي المعطاة
وان مال الله مسؤل ومنطى
(قال) أي عطية (فكلمنا
رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم بلغتنا) أي في الانطاء بمعنى الاعطاء كما قرئ بالنون في قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر وهذا الحديث في المعنى نحو
حديث مالك والشيخين وأبي داود والنسائي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال على المنبر وهو يذكر الصدقة
والتعفف عن المسئلة اليد العليا خير من اليد السفلى والعليا هي منفقة والسفلى هي سائلة قال أبو داود وقد اختلف عن أيوب عن نافع
في هذا الحديث فقال عبد الوارث اليد العليا هي المتعففة وكذا قال واقد عن حماد بن زيد عن أيوب وقال أكثرهم عن حماد هي المنفقة
قال الخطابي رواية المتعففة أشبه وأصح في المعنى لان ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر هذا الكلام وهو يذكر
الصدقة والتعفف عنها فعطف الكلام على سببه الذي خرج عليه وعلى ما يطابقه في معناه أولى وقد توهم بعضهم ان معنى العليا هو
كون يد المعطي مستعلية فوق يد الآخذ من علو الشئ أي فوقه وليس ذلك عندي بالوجه وانما هو من علو الجد
والكرم يريد التعفف عن المسئلة والترفع عنها انتهى كلامه وفي غريب الحديث لابن قتيبة زعم قوم ان العليا هي الآخذة والسفلى هي المعطية فقال وما أرى هؤلاء الا انهم استطابوا السؤال فاحتجوا ان ينصروا مذهبهم ونسبه في المشارق للمتصوفة وأقول لعل وجه قولهم هذا انه ينبغي للمعطي ان يتواضع لله في حال عطائه ويجعل يده تحت يد الفقير الآخذ وان يعلم ان الله تعالى هو الآخذ حقيقة وان كان هو المعطي أيضا لما ورد من أنه يأخذ الصدقة ويربيها وينميها كما يربي أحدكم فلوه ولقوله تعالى مخاطبا لنبيه عليه الصلاة
والسلام خذ من أموالهم صدقة ولان الآخذ هو سبب المراتب العالية للمعطي فلو لم يأخذ أحد ذلك لم يحصل له الثواب والله أعلم
بالصواب ثم هنا دقيقة أخرى بالتحقيق أحرى وهي انه اذا كانت اليد العليا خيرا من اليد السفلى واليد العليا هي المعطية فيشكل بما
اجتمعت عليه السادة الصوفية وجمهور القادة الفقهية من ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر فالجواب على ما ذكره بعض
المحققين ان هذا الحديث بعينه يدل على المدعى فان المعطي لم يحصل له المرتبة العليا الا باخراج شئ من الدنيا والآخذ لم ينسفل عن
مرتبته القصوى الا باخذ شئ منها والحاصل ان الاول قول ظاهري حسي للفقهاء والثاني قول باطني معنوي للاولياء والجامع
بينهما هو المحقق والله الموفق وقيل ان تفسير اليد العليا بالمعطية والسفلى بالسائلة مدرج في الحديث وقيل معنى
المتعففة المنقبضة عن الاخذ وروي عن الحسن البصري انه قال معنى الحديث يد المعطي خير من اليد المانعة

عليه وسلم بلغتنا) ورواه السيوطي رحمه الله في تخريجه فكلامي ولا تخالفه رواية المصنف رحمه
الله تعالى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم ألقى اليه الكلام وتوجه اليه لما تفرس فيه الخير لمخايل نجابته
والقوم يسمعون فيصح ان يقال كلمهم وكله وقيل أراد بقوله كلمنا نفسه بنون العظمة اظهارا لانعام الله
تعالى عليه بخطاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له وبعثه اليه وتامره عليهم والمقام باباه وقوله بلغتنا أي
بلغة بني سعد لانهم كانوا يقولون انطى ينطي انطاء بمعنى أعطى ولا ينافيه ما قيل انها لغة يمانية لانه يجوز
كونها لغة لهم وقال التلمساني قيل لغة حمير انط بمعنى أسكت وكتب رجل بين يدي رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كتابا فدخل آخر فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم انط أي أسكت ستر السره واليد
العليا اليد المعطية والسفلى يد السائل الآخذة وهي المعطاة وقد جاء تفسيره بذلك في حديث آخر وهو انه
صلى الله تعالى عليه وسلم قال على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة اليد العليا خير من
اليد السفلى واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة وهو حديث صحيح رواه الشيخان أو المنفقة بنون
وفاء وقاف ويروى المتعففة بعين وفاءين أي التي لا تسأل أحدا وقيل المنفقة بتشديد الفاء وقيل يد الله
تعالى فوق يد المعطي ويد المعطي فوق يد المعطى بالفتح فهي أسفل الايدي والايدي ثلاثة وقيل اليد
السفلى الآخذة بسؤال ودونه وما قيل ان هذا لا ينبغي لان الصدقة تقع أولا في يد الله تعالى ليس بشئ
لان هذا ليس على حقيقته لان المراد انه يقبلها ويدخرها له وقيل اليد العليا المعطية والسائلة المانعة
وقيل اليد العليا يد الفقير لتحصيلها الثواب لصاحب المال ودفع البلاء عنه واختاره بعض مشايخ
الصوفية فيده أفضل عند الله قال ابن قتيبة وما أرى هذا الا كلام قوم استحبوا السؤال وحسنوه وكل
هذا مضمحل بعد التصريح بتفسيره في الاحاديث الصحيحة وان قيل فيه انه مدرج والخلاف مبني
على ان المراد بالعلو المحسوس بناء على الغالب أو المعنوي من علو الشرف كما قال الشاعر

اذا كان باب الذل في جانب الغنى * سموت الى العلياء في جانب الفقر

والتعبير عن المعطي بالمنفق وذي اليد العليا بناء على الغالب المتبادر فلا يقال يد السائل قد تكون فوق
اذا أخذ من كفه وان المنفق قد لا يكون متصدقا وان الآخذ قد لا يكون سائلا بان يعطى ابتداء والسائل
قد لا يكون متصدقا عليه كسائل القرض وغيره وهو ظاهر لا ينبغي التطويل بمثله وتحصل في الحديث

ثلاثة أوجه * أحدها ان معناه يد المعطى ويد السائل بطريق الكناية * الثانى ان معناه المنفق والآخذ * الثالث عكس الاول والاول أصح رواية ودراية وبقى وجه آخر وهو ان يراد بالعلو ومقابله العلو المعنوى لعلو رتبة المنعم وانحطاط رتبة الآخذ (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث العامرى حين سأله فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) العامرى نسبة لعامر اسم قبيلة وتسمى بنى عامر سموا باسم جدهم كتميم وكانوا وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيهم عامر بن الطفيل وأربد وتواعدا ان يقتلاه صلى الله عليه وسلم غيلة فهلكا فى الطريق لما رجعا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وقد حماه الله وعصمه أما أربد فاصابته صاعقة أهلكته وأما عامر فاصابه طاعون مات فيه فى بيت امرأة سلولية وسلول قبيلة مذمومة مسترذلة عند العرب فكان يقول أغدة كغدة البعير وموت فى بيت امرأة سلولية فخرت مثلا لاجتماع أمرين حقيرين وأربد أخو لبيد الشاعر وقد هداه الله تعالى للاسلام بعد موت أخيه أربد وحسن اسلامه ولم يقل شعرا بعد اسلامه غير قوله

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

وهذا العامرى اسمه عطية توفى فى حدود الثمانين وفى العقد لابن عبد ربه ان اسمه لقيط بن عامر بن المنتفق وساق له حديثا على وجه آخر (سل عنك بفتح) العين وسكون النون عن الجارة وكاف خطاب وهذا الحديث رواه أبو نعيم فى الدلائل عن شداد بن أوس ولم أر من صحح لغة بنى عامر هذو بين وجهها ورأيت فى شرح ديوان الاعشى فى قوله

فاذهبى ما اليك ادركنى الحلم عدانى هجا كم اشغالى

ان العرب تقول اذهب اليك وسر عنك بزيادة اليك وعنك انتهى والمصنف رحمه الله تعالى ثقة واسع الاطلاع أولم يقف على أن هذه لغة لبنى عامر لم يذكرها ووجه البلاغة فيها انها جعلت كناية عن سل عن كل شئ فان كل أحد أدرى بنفسه فاذا أمره بسؤاله عنها فكانه قال له أنا أعلم بك منك واذا كان كذلك فهو عليم بجميع أحواله وهذا يدل على المراد بطريق برهانى بليغ (أى سل عم شئت وهى لغة بنى عامر) عم وقع فى بعض النسخ عما بالالف وفى بعضها عم بدون ألف والاولى أولى لانها موصولة كما لا يخفى وان أردت تحقيق هذا المقام فاعلم ان ابن قتيبة قال فى أدب الكاتب اذا جرت ما الاستفهامية بحرف جر سقطت ألفها فرقا بينها وبين الموصولة الاسم شئت فان العرب تقول أدع بم شئت فى الموصولة والاستفهامية فان جرت باسم مضاف لم تحذف وفى شرح النيلى أما اذا كان الجار لها اسما متمكنا لم يفعلوا ذلك وقول العرب مجىء م ومثل م شاذ انما حذفت مع الحرف تخفيفا فرقا بين الاستفهام والخبر وخص الاستفهام لانه اسم تام فصارت مع الحرف كاسم واحد فحذف الالف لطول الاسم وجاء نادرا سل عم شئت فان جره اسم متمكن لم يفعلوا ذلك وجاء مع بعد وعلى لعدم تمكنهما فالحقا بحروف الجر وقول العرب مجىء م جئت ومثل م أنت شاذ انتهى وهو تفصيل نفيس قل من حرره هذا التحرير ومنه عرفت ان قوله عم شئت صادف محزه وانه لا يرد عليه شئ مما قالوه وفى شرح التسهيل لابى حيان ان الاخفش قال فى الاوسط ان أنا وقد ذكر ان كثيرا يقولون سل عم شئت كأنهم حذفوا ألفها لكثرة استعمالهم اياها انتهى وحينئذ لا حاجة الى ما قيل ان المصنف رحمه الله تعالى وقف على انها لغة لبنى عامر فقد تجانس المفسر والمفسر وما قيل من انه لا وجه لهذه النسخة من قصور النظر وقصر باع الاطلاع (وأما كلامه المعتاد) أى كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى اعتاده فى مجالسه مع قومه وأهل أرضه وغيرهم (وفصاحته المعلومة) لكل أحد من كلامه (وجوامع كلمه) كما ورد فى الحديث الصحيح أوتيت جوامع الكلم والجوامع جمع جامعة أى كلمة جامعة لوجوه الفصاحة والكلم اسم جنس جمعى لكلمة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح والمراد ان الله تعالى من عليه صلى الله تعالى عليه وسلم باقداره على التكلم بكلمات

(وقوله) أى وكقوله على ما ذكره أبو نعيم فى دلائله (فى حديث العامرى) أى مخاطباله بلغته (حين سأله) أى العامرى (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سل عنك أى عم شئت) أى عما شئت كما فى نسخة ويجوز سل عن امرك وشانك (وهى) وفى نسخة وهو (لغة بنى عامر وأما كلامه المعتاد) أى المانوس لجميع العباد (وفصاحته المعلومة) أى لسائر البلاد (وجوامع كلمه) أى لمعان كثيرة بالفاظ يسيرة

(وحكمه) جمع حكمة (المأثورة) أى المروية عنه الدالة على اتقان علمه وأحكام عمله (فقد ألف الناس فيها الدواوين) جمع ديوان بكسر داله وقد يفتح وهو فارسى معرب وأصله دو وان أعل اعلال دينار وجمعه دنانير وقد سبق الكلام فيه والاظهر مما قالوا فى وجه التسمية ان الديوان بالفارسية اسم للشياطين فسمى الكتاب من الحساب باسمهم لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلى والخفى وجمعهم الشاذ وتفرق وقد يسمى مكانهم باسمهم وأول من وضعه فى الاسلام عمر رضى الله تعالى عنه لحفظ مايتعلق بالناس والمراد هنا الكتب المؤلفة من الجوامع والمسانيد وأمثال ذلك (وقد جمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب) أى فى بيان غرائبها وجمعت بصيغة المجهول وكان الاولى ان يقال وجمعوا فى مبانيها ومعانيها الكتب (ومنها) أى ومن جوامع كلمه وحكمه (مالا يوازى) بهمز أبدل واوا من آزيته بمعنى حاذيته وهو بازائه أى بحذائه ولا تقل وازيته على مافى الصحاح وهو بصيغة المجهول أى لا يماثل ولا يقابل (فصاحة) تمييز للنسبة أى من جهة الفصاحة (ولا يبارى) أى ولا يعارض ولا يساوى (بلاغة كقوله) على ما رواه أبو داود والنسائى (المسلمون تتكافأ) بالهمز فى آخره وفى نسخة بحذف احدى التائين أى تتماثل وتتساوى (دماؤهم) أى فى العصمة والحرمة خلاف مافى الجاهلية فكل مسلم شريفا أو وضيعا كبيرا أو صغيرا حرا أو عبدا فى ذلك سواء أو فى القصاص والدية فيقاد الشريف بالوضيع والكبير بالصغير والعالم بالجاهل والذكر بالانثى وكذا حكم الدية الا انه يخص منه العبد اذ لا يكافئ حرا فى بعض الصور على خلاف فى المسئلة (ويسعى بذمتهم) أى بعهدهم وأمانهم (أدناهم) أى عقاهم منزلة كعبد وامرأة فانه اذا أعطى أحدهما أمانا لاحد أو لجيش فليس لاحد منا اخفاره أى نقض أمانه لحديث البخارى ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولحديث الترمذى ان

بليغة جزلة حاوية لمعان نافعة من المواعظ ونحوها وقيل المراد بها القرآن والاصح الانسب بالمقام الاول وقول الهروى معنى جوامع كلمه القرآن جمع الله تعالى له فيه معان كثيرة فى ألفاظ يسيرة وكلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كان كذلك عرفت مافيه وقال ابن شهاب بلغنى ان جوامع الكلم ماجمعه الله تعالى له من الكتب التى كانت قبله فى الامر الواحد والامرين ونحوه والحاصل انهم عدوا من فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم وكمالاته انه كان يتكلم فى محاوراته بقليل الالفاظ المحتوية على المعانى التى لا حصر لها ومنه ماورد فى الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يستحب الجوامع من الدعاء وهو مايجمع الاغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة أو مايجمع أنواع السؤال وآداب المسئلة كما قلت فى قصيدة فى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم

وجوامع الكلم التى فتحت له * سجدت لها البلغاء والاقلام

(وحكمه المأثورة) هو من الاثر وهو مايدل على الشئ من آثاره وعلاماته ومنه أثرت العلم اذا رويته أثره أثرا واثارة وأثرة اذا تتبعت أمره كما قاله الراغب فالمأثورة المنقولة المروية والحكم جمع حكمة وهى الكلمات النافعة فتشمل المواعظ فهى أعم من جوامع الكلم (فقد ألف الناس فيها الدواوين) الفاء جواب اما والضمير للحكم أو للمذكورات كلها والمراد بها هنا الكتب المستقلة جمع ديوان بكسر الدال وفتحها فى لغة وقال أبو عمرو انه خطأ ولو صح كان جمعه دياوين ولم يسمع كما قاله الجواليقى وفى الاحكام السلطانية والديوان موضوع لحفظ الاموال والاعمال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال ووجه التسمية بذلك ان كسرى أطلع على كتبة ديوانه وهم يحسبون مع أنفسهم فقال ديوانه أى مجانين ثم خفف بحذف الهاء وقيل ان الديوان بالفارسية اسم للشياطين جمع ديو بكسر الدال والالف والنون علامة للجمع فى الفارسية كزاهد وزاهدان فسموا به لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلى والخفى ثم سمى به مكانهم وأول من وضع الديوان عمر رضى الله تعالى عنه وهو معرب كما قاله الجواليقى وأطلق على الدفتر ثم قيل لكل كتاب وقد يختص بالشعر لشاعر معين مجازا وشاع حتى صار حقيقة فيه فمعانيه خمسة الكتبة ومحلهم والدفتر وكل كتاب ومجموع الشعر (وجمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب) المراد كتب الحديث المسندة وغيرها وشروحها وجمعت مبنى للمفعول فلا وجه لما قيل ان الالفاظ قوالب المعانى فمتى تجردت عنها كانت مهملة (ومنها مالا يوازى فصاحة) يوازى مبنى للمجهول أى يماثل ويقابل ويساوى من الموازاة وواوه مبدلة من الهمزة يقال آزى الشئ يوآزيه اذا حازاه وفى شرح الكرمانى للبخارى آزيته ولا وازيته يعنى لا يقال ذلك فى ماضيه وأما المضارع فيجوز ابدال الهاء فيه واوا الانضمام ماقبلها فتدبر (ولا يبارى بلاغة) أى لا يعارض فيؤتى بمثله وهو مجهول بضم المثناة التحتية والموحدة وراء مهملة بين ألفين وانما لم يمكن معارضته لقربه من مرتبة الاعجاز ففى تعبيره بالموازاة فى الفصاحة وبالمباراة فى البلاغة حسن لا يخفى وجهه فلا يرد عليه أن الذى لا يعارض هو الكلام المعجز والاعجاز يختص بالقرآن كما توهم وفصاحة وبلاغة منصوبان على التمييز (كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمون تتكافئ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم

المرأة لتاخذ على القوم أى تجير على المسلمين ولحديث أبى داود ان كانت المرأة لتجير على المؤمنين ومنه حديث ذمة المسلمين واحدة (وهم) أى المسلمون (يد) من قوة ٤١٠ (على من سواهم) أوجماعة يتعاونون على أعدائهم من أهل الملل لايخذل بعضهم بعضا أوهم مع كثرتهم قد جمعتهم اخوة الاسلام وجعلتهم فى وجوب الاتفاق بينهم تعاونا وتعاضدا على من أذاهم وعاداهم كيد واحدة فيجب أن ينصر كل أخاه على من أذاه فهو تشبيه بليغ (وقوله) أى وكقوله فيما رواه ابن لال فى مكارم الاخلاق (الناس) أى فى تساوى اجراء الاحكام عليهم (كأسنان المشط) بضم الميم وتكسر وقد تفتح وتضم أو تكسر وتفتح شينه وهو مثل فى التساوى وهو قريب من قوله تتكافأ دماؤهم وقيل فى تساوى الاخلاق والطباع وتقاربها ويؤيده ماجاء فى رواية أخرى الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على عجمى ولافضل لعجمى على عربى وانما الفضل بالتقوى (والمرء) أى وكقوله فيما رواه الشيخان المرء (مع من أحب) أى فى كل موطن خير او فى المحشر أو فى الجنة فيه ايماء الى ان الله يتفضل على من أحب قوما بان يلحقه بهم فى منازلهم وان لم يكن له مثل أعمالهم وقيل شرطه اتباع عمل محبوبه والافلا فائدة لهذه المحبة والاظهر انه شرط للكمال وانه يكتفى فى اثبات المحبة مجرد التوحيد وثبوت النبوة لما فى صحيح مسلم ان رجلا جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله كيف ترى رجلا أحب قوما ولما يلحق بهم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من أحب

وهم يد على من سواهم) التكافؤ التماثل من الكفؤ بالهمزة وهو المثل أى هم متساوون فى القصاص والدية فشريفهم ومشروفهم وصغيرهم وكبيرهم وفقيرهم وغنيهم وأميرهم وسوقتهم سواء وهذا كقوله تعالى النفس بالنفس خلافا لما كان عليه الجاهلية من قتل الجمع الكثير بالواحد كما فى قصة كليب وغيرها فجاء الشرع بابطاله فلا يقتل الجمع بالواحد الا ان تواطؤا عليه وكان فعل كل واحد منهم يقتل لو انفرد و بهذا الحديث استدل على ان المسلم لايقتل بالكافر لا بناء على العمل بمفهوم المخالفة بل لما ورد من التصريح به فى الاحاديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لايقتل مسلم بكافر ولاذو عهد فى عهده والقائل بانه يقتل المسلم بالكافر الذمى قال المراد بالكافر هنا الحربى وفى وجه التخصيص كلام للفقهاء والاصوليين وقد أفرده هذا الحديث بجزء مستقل وهذا الحديث أخرجه أبو داود والنسائى عن على كرم الله وجهه وصححوه والى عدم قصاص المسلم بالكافر ذهب أبو حنيفة خلافا للشافعى وتساوى دمائهم كناية عن التساوى فى القصاص والدية كما مر وقوله ويسعى بذمتهم أدناهم المراد بالذمة العهد والامان فانه اذا أمن أحد من المسلمين واحدا من الكفار كان ذلك جاريا على جميع المسلمين لايجوز نقضه لاحد منهم وأدناهم أقلهم مقدارا فيشمل كل وضيع بالنص وكل شريف بالفحوى فيدخل فيه الصبى والمرأة واختلف فى أمان العبد فقيل يقبل وقيل ان كان مقاتلا جاز والافلا والصبى قيل ان أمانه يقبل وقيل ان كان مراهقا قبل والافلا والمجنون لايصح أمانه بلاخلاف ومنهم من استثنى الاجراء والاسراء فى دار الحرب ومعنى يسعى يباشر ويفعل وقوله وهم يد على من سواهم فى النهاية معناه انهم مجتمعون على أعدائهم يعاون بعضهم بعضا فلا يخذله فجعل أيديهم كأنها يد واحدة فى الاتفاق ولذا لم يقل أيدى واليد يستعمل فى القهر والقوة والقدرة أى هم مستولون قاهرون لغيرهم من أهل الملل فهم فى الاتفاق باليد الواحدة فهو تشبيه بليغ أو استعارة وفى هذا الحديث ويرد عليهم أقصاهم وتفسيره مذكور فى كتب الحديث (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس كأسنان المشط) مناسبته لما قبله ظاهرة والمشط بضم الميم وكسرها وفتحها وشينه مثلثة أيضا ويقال ممشط كمنبر وهو آلة معروفة يسرح بها الشعر وهذا مثل فى تساوى الاخلاق فهو قريب من قوله تتكافؤ دماؤهم وهو مثل كذا فى الشروح وهذا الحديث أخرجه ابن لال عن سهل بن سعد فى مكارم الاخلاق واعترض على هذا التفسير وجعله نظير ما قبله بان تفاوت الناس فى الاخلاق مقرر فالظاهر أن المراد تساويهم فى الاحكام الشرعية والمراد بالناس المسلمون لان غيرهم لايساويهم فى ذلك أو الجميع باعتبار أغلب الاحكام أو المراد تساويهم فى الانساب فانهم كلهم أولاد آدم كما قال الله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى الى آخره فالمراد نفى ما كان عليه الجاهلية من التفاخر بالنسب فلا شرف الا بالعلم والتقوى كما ورد فى الحديث يا أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد لافضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى وفى معناه ما نسب لعلى كرم الله وجهه

الناس فى عالم التمثيل اكفاء * أبوهم آدم والام حواء
جسم كجسم وأعضاء مشاكلة * وأعظم خلقت فيها وأعضاء
وقدر كل امرئ ماكان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم أعداء

والشعر بتمامه مشهور وليس المراد ان النسب لايعتبر مطلقا (والمرء مع من أحب) رواه الشيخان عن أنس رضى الله عنه وغيرهما وهو حديث صحيح مروى من طرق منها ما أسند الى ابن مسعود رضى الله

تعالى

تعالى عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل
أحب قوما ولم يلحق بهم فقال المرء مع من أحب فمن أحب الابرار فهو مع الابرار ومن أحب الفجار فهو
مع الفجار وفي الحديث لا يحب الرجل قوما الا حشر معهم وفيه يحشر المرء مع خليله فلينظر المرء مع من
يخالل وروي من يخالل بالتشديد ومصداقه قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) وأمثاله كثيرة لا تحصى
والمرء بمعنى الرجل والمراد به هنا مطلق الانسان الشامل للمرء والمرأة بطريق التغليب ويحتمل
التخصيص لان المرأة تحشر مع زوجها ولو أحبت غيره الله تعالى والمراد المعية في الحشر ومنازل الآخرة
فيرتقي من منزلته لمنزلتهم بسبب خلوص المحبة قال الغزالي رحمه الله تعالى وهذه المناسبة روحانية
باطنية خفية وأسباب لا يطلع عليها كما ورد في الحديث لو أن مؤمنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن
واحد لجاء حتى يجلس اليه فالمعية لدنو وقرب ديني لا في مجرد لا كرام وضده فضلا من الله تعالى لا يعلمه
الا الله ولذا قال في آخر الآية السابقة (ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) وان لم يعمل عمل من أحبه
ولو كانت المعية في مطلق الاكرام ناله كل مؤمن صالح وان لم يحب * فان قلت من أخلص محبة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يكون معه وقد خصه الله تعالى بدرجة رفيعة لا يصل اليها أحد وهذا
هو الداعي فمن جعل المعية في مجرد الاكرام يقطع النظر عن خصوص المرتبة * قلت هذا ارتضاه
بعضهم وقد عرفت ما فيه وقد ارتضى غيره خلافه وقال يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (أنا وكافل
اليتيم كهاتين) ولا يلزم مساواته من كل الوجوه وقد أطال في الشرح الجديد هنا بما لا محصل له على
عادته ويجوز أن يراد بكونه معه كونه في الجنة ولابن حجر رحمه الله

وقائل هل عمل صالح * أعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبي خدمة المصطفى * وحبه فالمرء مع من أحب

وقلت أنا

وحق المصطفى لي فيه حب * اذا مرض الرجا يكون طبا
ولا أرضى سوى الفردوس مأوى * اذا كان الفتى مع من أحبا

(ولاخير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له) هو حديث رواه ابن عدي في الكامل بسند ضعيف كما قاله
السيوطي في تخريجه وأوله كما قال التلمساني المرء على دين خليله ولاخير في صحبة من لا يرى لك من الخير
مثل ما ترى له وروي من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه قال وروي يرى بالياء والتاء للبناء للفاعل والمفعول
والصحبة بضم الصاد وسكون الحاء المهملتين والموحدة مصدر كالرفقة أي يكون عنده من الرغبة
والمودة والنفع مثل ما عندك له كما قال ابن الاحنف

اذا كان لا يدنيك الا شفاعة * فلا خير في ود يكون بشافع

(والناس معادن) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وتمامه الناس معادن كمعادن
الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا والارواح جنود مجندة ما تعارف
منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والمعادن جمع معدن بكسر الدال وفتحها خطا منبت الذهب
والفضة ونحوه من عدن بمعنى أقام لاقامة أهله فيه أو لانباته فيه ويطلق على مكان كل شئ فيه أصله وعلى
كل أصل وعلى بيوت العرب يعني صلى الله عليه وسلم بذلك ان بني آدم يختلفون باختلاف أصلهم فمن
كان أصله شريفا أعقب مثله ويسري طيب عرقه لفرعه ومن كان دون ذلك كان عقبه مثله ومن كان
خبيثا كان فرعه خبيثا ألا ترى ان الشجرة الكريمة تنبت فرعا طيبا وثمرة جنية وضدها كذلك

المتواضعين له وروى يرى له بالياء والتاء للفاعل والمفعول على ما ذكره التلمساني والظاهر بناء الفاعل على الخطاب بل هو الصواب هذا وروى لاخير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى لنفسه فيؤول معناه الى حديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (والناس معادن) أي وكقوله على ما رواه الشيخان الناس معادن أي لمكارم الاخلاق كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا بضم القاف أي مارسوا الفقه وضموا الحسب الى النسب وجمعوا بين الشرع والطبع في الطلب وحكي بكسر القاف وهو متعين اذا كان الفقه بمعنى الفهم وحاصله ان الناس مختلفون بحسب الطباع كالمعادن وانهم من الارض كما أن المعادن منها وفيها الطيب والخبيث فان منها ما يستعد للذهب الابريز ومنها ما يستعد للفضة ومنها ما يستعد لغير ذلك ومنها ما يحصل منه بكد وتعب كثير شئ يسير
ومنها ما هو بعكس ذلك ومنها ما لا يحصل منه شئ أصلا وكذلك بنوا آدم منهم من لا يعي ولا يفقه ومنهم من يحصل له علم قليل بسعي
طويل ومنهم من أمره عكس ذلك ومنهم من يفاض عليه من حيث لا يحتسب كما هو معلوم في كثير من الاولياء والصالحين والعلماء

العاملين وروى معادن فى الخير والشر كالذهب والفضة (وما هلك امرؤ عرف قدره) رواه السمعانى فى تاريخه بسند فيه مجهول ويقرب منه ماروى عن على رضى الله عنه ماضاع امرؤ عرف قدره لان الضائع بمنزلة الهالك (والمستشار مؤتمن) أى على ما استشير فيه استظهارا برأيه والحديث رواه الاربعة والحاكم والترمذى أيضا فى الشمائل فى قضية أبى الهيثم وفى بعض الروايات زيد فيه (وهو بالخيار مالم يتكلم) وفى رواية أحمد وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم فليجتهد رأيه قال الدلجى وهما شاهدا صدق بان الاشارة به بمجرد الاستشارة غير واجبة انتهى والاظهر ان المراد به انه ان لم يكن له رأى يسكت والا فيتكلم ويظهر رأيه لان الدين النصيحة وفى الاخفاء نوع من الخيانة المنافية للامانة وعن عائشة رضى الله تعالى عنها المستشير معان والمستشار مؤتمن وعن على كرم الله وجهه اذا استشير أحدكم فليشر بما هو صانع لنفسه (ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم) أى بقوله الخير (وسكت) أى عن الاخير فيه (فسلم) أى عن الشر بسكوته رواه أبو الشيخ فى الثواب والديلمى ومنهم من فضل السكوت لانه أسلم للنفس وآمن من سوء العاقبة ومنهم من فضل الكلام لوجود الغنيمة والاولى أن يقال الكل مقام مقال على ان الاظهر هو الاول لقوله عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت

فعروق الحنظل لا تنبت الا حنظلا ولو سقيت شهدا ومنبت الذهب لا يتكون فيه الحديد والنحاس لكن خيارهم حسبا لا يصير خيارا فى الاسلام الا بالتقوى والعفة والعلم فاذا كان كذلك طاب أصلا وفرعا والا فلا ينفعه حسبه كأبى جهل لعنه الله واضرابه وههنا نكتة وهى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كمعادن الذهب والفضة ولم يذكر معادن غيرهما من الامور الخسيسة كالحديد والملح اشارة الى أن خلقة الانسان وجبلته خلقت على الكرم والشرف كما قال الله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم وكقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وقوله فقهوا بضم القاف من الفقه وبكسرها بمعنى الفهم ويجوز فى الاول الكسر أيضا والفقه حذق الرجل بما يعلمه وعلمه وفهمه ثم خص بعلم الشرع بعد مطلقا ولذا قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى هو معرفة النفس مالها وما عليها وسمى كتابه فى العقائد الفقه الاكبر ونقل لعلم الفروع وتعريفه والكلام عليه مفصل فى كتب أصول الفقه وقوله الارواح جنود مجندة يعنى انها خلقت قبل الاجساد أقساما مجتمعة فمن وافقت روحه الروح التى هى من قسمه ألفتها كما قال أبو نواس

ان النفوس لأرواح مجندة * لله فى الارض بالاهواء تأتلف

فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منها فهو مختلف

(و) من جوامع الكلم قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ما هلك امرؤ عرف قدره) قال السيوطى قال السمعانى رحمه الله تعالى انه حديث روى مسندا عن على كرم الله وجهه وفى سنده من لا يعرف حاله وقال التجانى لا أعرف له سندا صحيحا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو من كلام أكثم بن صيفى فى وصيته فان ثبت عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلعله تمثيل به وأكثم هذا بالمثلثة من بلغاء العرب وعده بعضهم فى الصحابة والاكثر على خلافه وفى كتاب جوامع الكلم وبدائع الحكم هو من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره مسندا يعنى ان من عرف مقدار نفسه ونزلها منزلتها نجا فى الدنيا والآخرة من الهلاك ومن تعدى طوره فتكبر ورفع نفسه فوق حده هلك وهو ظاهر (والمستشار مؤتمن وهو بالخيار مالم يتكلم) المستشار اسم مفعول من المشاورة وسينه للطلب أى طلب رأى من يشاوره وسيأتى ان المشورة بفتح الميم وسكون الشين وان الافصح فتحها وضم الشين وكلاهما جائز بمعنى الشورى من شار العسل اذا اجتناه لانه باراءة الصواب كأنه أطعمه شهدا أو من شار الدابة اذا عرضها ومنه المشوار لمكان تعرض فيه الدواب والعامة تطلقه على جريها من اطلاق اسم الحال على المحل فاختر لنفسك ما يحلو فسميت بها لعرض أمره على من استشاره وانما كان المستشار مؤتمنا لانه أودعه سره وما خفى من أمره وجعله أمانة عنده فعليه أن يحفظه ولا يظهره وان ينصحه فيما استشاره فيه وقد أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشاورة وناهيك بعلو مقامه ومعرفته بعواقب الامور حتى قيل انها كانت واجبة عليه فى الحروب تشريعا للامة وتطييبا لقلوب أصحابه كما قيل

شاور صديقك فى الخفى المشكل * واقبل نصيحة ناصح متفضل

فالله قد أوصى بذاك نبيه * فى قوله شاورهم وتوكل

وقوله وهو بالخيار الخ معناه انه مخير ان شاء أشار عليه بما شاوره فيه وان شاء سكت ولم يتكلم فاذا تكلم لزمه بيان رأيه ونصحه وذكر الصواب عنده وهذا الحديث أخرجه أحمد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ولفظه المستشار مؤتمن وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم فليجتهد رأيه أى فليجتهد فى رأيه ويفكر فى الصواب فيه وأخرج صدره فقط الاربعة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه والحاكم من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما (و) من جوامع الكلم النبوية قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم) هذا الحديث أخرجه

أبو

أبو الشيخ عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه والديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه لكنه رواه رحم الله امرأ بدل عبدا والعسكري أيضا رواه عبدا مرفوعا عن أنس أيضا وله شواهد وروايات تقويه وتصححه فرواه البيهقي في الشعب والخرائطي في الأخلاق أما كونه إذا قال خيرا كالذكر والعلم والعظة فإنه يغنم الأجر والذكر الجميل وربما يحصل الغنم في الدنيا وقوله أو سكت أي عن خلاف الخير فيسلم من وباله وما يندم عليه كما لا يخفى (و) قوله (اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين) من حديث رواه الشيخان في كتابه الذي كتبه صلى الله تعالى عليه وسلم لهرقل ملك الروم وروى اسلم تسلم واسلم يؤتك الله الى آخره وهو ظاهر وعلى الأول فالثاني بدل مما قبله أو جواب بعد جواب أو مجزوم بجازم مقدر وفيه من البديع التجنيس والانسجام والإيجاز ومعناه تسلم من عذاب الدارين ومن ذل الجزية ويؤتك الله أجرين أجرا باتباعك عيسى عليه الصلاة والسلام وإيمانك به وأجرا أعظم منه بالإسلام واتباع خير النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام ومرتين منصوب على الظرفية وهذا كما ورد في حديث آخر ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر منهم رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به الى آخره بخلاف المشركين وكتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لهرقل كان في سنة ست حين مادّ قريشا وقيل في سنة خمس وصورته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله أجرك مرتين الى آخره وهو مذكور في الصحيحين مشروح في شروحهما والدعاية بكسر الدال مصدر بمعنى الدعوة وكتب الى المقوقس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المقوقس وقال فيهما عظيم الروم وعظيم القبط ولم يقل ملك الروم ولا ملك القبط لأنه لا يستحق ذلك العنوان إلا من كان مسلما ومع ذلك فلم يخل بتعظيمهما لتليين القلوب بهما في أول الدعوة الى الحق وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء المهملة وسكون القاف كما قال جرير

وأرض هرقل قد قهرت وداهرا * ويسعى لكم من آل كسرى النواصب

وقيل إنه بسكون الراء وكسر القاف ولعلها لغة فيه لتلاعبهم بالأعجمي وهو علم ممنوع من الصرف ولقبه قيصر ويلقب به كل من ملك الروم كما مر ولم يقل ويؤتك بالعطف لتكرار أسلم لفظا أو تقديرا في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم على الإسلام ومناسبة لكون أجره مرتين وليكون له أجرين أيضا أو الأمر الأول للدخول في الإسلام والثاني للدوام عليه ووصل له الكتاب مع دحية رضي الله عنه وهو بحمص في المحرم سنة سبع فلما اقرأه كتب الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إني مسلم ولكني مغلوب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كذب عدو الله إنه على نصرانيته وقيل إنه آمن قال ابن عبد البر كيف هذا وقد قاتل الصحابة رضي الله تعالى عنهم بتبوك وواعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يأتيه في العام المقبل فنزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأجله الى تبوك فلم يجئ ثم أخذت البلاد منه فمكث بالقسطنطينية الى أن هلك على نصرانيته سنة عشرين ولذا لم يلقبه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالملك مع أنه اعترف بأنه مغلوب والمتغلب المغلوب معزول عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى ففي هذا إخبار بالغيب * فإن قلت قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين نزلت في أهل الكتابين التوراة والإنجيل وهو في النصارى صحيح وأما في اليهود فلا إذ لا يؤجرون على دينهم بعد نسخه بشريعة عيسى صلى الله عليه وسلم * قلت قد ثبت أنها نزلت في عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه وأضرابه ممن أسلم من اليهود واستمر قبل ذلك على دين اليهود ولم يتبع عيسى عليه الصلاة والسلام فقيل إنهم لإيمانهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ودينه يؤجرون عليه وإن كان دينهم منسوخا وأما القول بأنهم لم تبلغهم دعوة عيسى عليه

(اسلم) بحذف العاطف وفي نسخة صحيحة وقوله اسلم وهو أمر بالإسلام جوابه (تسلم) بفتح اللام من السلامة وهذا القدر من الحديث متفق عليه بين الشيخين في كتابه عليه الصلاة والسلام لهرقل ولمسلم زيادة (واسلم يؤتك الله أجرك مرتين) وللبخاري في الجهاد أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين أي إن تسلم يعطك الله أجرك مرتين مرة لإيمانه بعيسى عليه الصلاة والسلام ومرة لإيمانه بمحمد عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث مع إيجازه جامع لمراتب الإسلام وما يترتب عليه من أنواع السلامة في الدنيا والآخرة مع المناسبة اللفظية في العبارة الزاخرة

الصلاة والسلام فبعيد ولانهم ماولين بانه مبعوث لبنى اسرائيل خاصة وهم من العرب لاسيما وهم ينكرون النسخ وأما القول بانها نزلت فى كعب الاحبار فغير صحيح لانه ليس له صحبة ولم يسلم فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الان يؤول بانها نزلت فى أمثاله ممن آمن من أهل الكتاب وهو بعيد وقال الكرمانى رحمه الله تعالى ان هذا مخصوص بمن آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم فى عصره لان من بعده ينسخ دينه وبلغته دعوة الاسلام وصحح غيره انه عام لكل من أسلم من أهل الكتاب لما مر وبه أفتى الامام البلقينى فلا اشكال (وان أحبكم الى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يالفون ويؤلفون) هذا أيضا من جوامع كلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وبدائع حكمه وهذا الحديث رواه الترمذى عن ابن مسعود وجابر رضى الله تعالى عنهما ورواه الطبرانى وزاد فيه وان أبغضكم الى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وزاد غيره المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الملتمسون للبراء العيب واقتصر المصنف رحمه الله تعالى على بعضه وفيه روايات مختلفة بالزيادة والنقص وأحب أفعل تفضيل من المبنى للمجهول وفعله ثلاثى لانه يقال حبه بمعنى أحبه فهو محبوب وان كان قليلا وصوغه من المجهول مقصور على السماع فى الاصح ومجالس جمع مجلس وهو محل الجلوس منصوب على انه تمييز والتمييز يجوز افراده وجمعه كما بينه النحاة ونسبة القرب له كناية عن رضاه عنهم وشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم فى الموقف وأحاسن جمع أحسن أفعل تفضيل وجمع لمطابقة ماهوله وهو المضاف اليه واستدل النحويون بهذا الحديث على ان أفعل التفضيل اذا أضيف لمعرفة يجوز ان يطابق موصوفه وان لايطابقه لافراده أحب وأقرب وجمع أحاسن بخلاف ما اذا أضيف لنكرة فانه يلزمه الافراد والتذكير ولا حاجة الى القول بانه انسلخ عن معنى التفضيل وصار بمعنى حسن وان ورد كثيرا فى كلامهم كما قاله ابن مالك رحمه الله تعالى بناء على ان الاحبية وكثرة الثواب بحسن الخلق فى الجملة والاخلاق جمع خلق وقد تقدم بيانه والموطئون بضم الميم وفتح الواو والطاء المهملة المشددة وبعدها همزة مضمومة جمع موطا اسم مفعول وقال البرهان الحلبى انه فى الاصل الذى وقف عليه بفتح الطاء من غير تشديد وهو من فيه لين ورفق وسهولة من التوطئة وهى التمهيد والتذليل يقال دابة وطئة أى لاتحرك راكبها وفراش وطئ لايؤذى جنب النائم عليه وهو فى الاصل على طريق التمثيل والاستعارة كانه يمكن غيره من وطئه باقدامه فاريديه ما مر والاكناف جمع كنف بزنة جمل وهو الناحية والجانب أى من يلين جانبه لغيره والمراد من يلتجأ اليه ويعتمد عليه والاول أنسب بما بعده من قوله الذين يالفون ويؤلفون أى الذين يالفهم الناس ويالفونهم من الالفة بالضم وهى الاجتماع مع حسن المعاملة والعشرة والثرثار الكثير الكلام فيما لايعنى مستعار من عين ثرثارة اذا كانت كثيرة الماء وكذا المتفيهق وهو متفيعل من الفيهقة من فهق الغدير يفهق بفتح الهاء فيهما اذا كثر ماؤه والمتشدقون الذين يتكلفون فى كلامهم بفتح أشداقهم كما قيل

تشادق حتى مال بالقول شدق * وكل خطيب لاأبالك أشدق

وورد فى هذا الحديث أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فالمتفيهقون قال المتكبرون وهو غريب مخالف لما تقدم لان المعجب بنفسه وكلامه تدعوه حاله الى التكبر وفى التقريب الفهق الاتساع وكل شئ توسع فقد تفهق وأنشد المبرد

تفهق بالعراق أبو المثنى * وعلم قومه أكل الخبيص

وفهق الغدير يفهق فهقا وفهق الرجل بالكلام امتلأ انتهى ثم عقبه بما يناسبه من جوامع الكلم فقال

وجه الجمع اعتبار الانواع (يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا) جمع أحسن والمراد بالاخلاق الشمائل والاحوال واستدل بهذا الحديث على ان أفعل التفضيل اذا أضيف الى معرفة جاز ان يطابق موصوفه وان لايطابقه لانه عليه الصلاة والسلام أفرد أحب وأقرب وجمع أحاسن ففيه جمع بين اللغتين وتفنن فى العبارتين (الموطئون) بصيغة المفعول من التوطئة أى المذللون (أكنافا) جمع كنف بكسر وبفتح وهو الجانب أى الذين جوانبهم وطيئة يتمكن منها من يصاحبهم ولا يتاذى منهم ماخوذ من فراش وطيئ لايؤذى جنب النائم والمراد منهم المتواضعون اللينون الهينون كما ورد فى أوصاف المؤمنين (الذين يالفون) بفتح اللام (ويؤلفون) بصيغة المجهول أى يالفون الناس والناس يالفونهم وذلك لحسن أخلاقهم وسهولة طباعهم وضياء قلوبهم وصفاء صدورهم وروى فى الحديث وان أبغضكم الى وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون وروى أبغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون للاحبة الملتمسون للبراء العيب (وقوله)

(وقوله) أي وكقوله فيما رواه البيهقي في شعبه أصيب رجل يوم احد فقالت أمه لتهنئك الشهادة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومايدريك (لعله كان يتكلم بما لايعنيه) بفتح أوله وسكون المهملة وكسر النون أي بما لايهمه من أمر دنياه وعقباه

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لعله كان يتكلم بما لايعنيه ويبخل بما لايغنيه) هذا حديث صحيح روي من طرق بعضها موافق لكلام المصنف رحمه الله تعالى وفي بعضها مالاينقص وفي بعضها مالايضره وضميره راجع للرجل المذكور في أول الحديث الذي رواه البيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه في الشعب ان رجلا من الصحابة استشهد باحد فقالت له أمه يابني ليهنئك الشهادة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لها ومايدريك لعله الخ وأخرج الترمذي من حديث حفص بن غياث عن الاعمش عن أنس رضي الله تعالى عنه قال توفي رجل من الصحابة فقالوا له ابشر بالجنة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أولا تدرون فلعله قد تكلم بما لايعنيه أو بخل بما لاينقصه وأخرجه البيهقي من هذا الوجه أيضا وقال هذا هو المحفوظ قاله خاتمة الحفاظ الجلال السيوطي رحمه الله تعالى ومعناه انه لاينهى ويبشر بالجنة الا من لم يصدر عنه مثل هذا فلعله يعاقب عليه ويعنيه بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة والنون بمعنى يهمه وينفعه من عناه يعنيه ومنه الحديث من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه وفيه نهي عن التكلم بما لايلزم ولو مباحا لما فيه من تضييع الاوقات ومن ترك الاهم كذكر الله تعالى عز وجل وتلاوة القرآن واذا نهي عن هذا فما بالك بالتكلم بكل قبيح كالغيبة والنميمة وقوله ويبخل بما لايغنيه بضم المثناة التحتية وسكون الغين المعجمة وبين يعنيه ويغنيه تجنيس والبخل ترك البذل ومنع العطاء اللازم كالزكاة والنفقة على من تلزمه نفقته أو المستحسن مروءة كالتصدق على الفقراء وتفريج ضيق الاخوان واطعام الطعام وتخصيصه بالاول غير ظاهر وكان الظاهر ان يقال بما لايحتاج اليه كما في الرواية الاخرى لايضره ولاينقصه فعدل عنه لانه أبلغ فهو كناية عما ذكر لانه يعلم منه بالطريق الاولى أو المراد ما لاغناء له عنه والبخل صفة ذميمة لاتعقب الا الخسارة كما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بشر مال البخيل بحادث أو وارث وقال الشاعر كما

يغني البخيل بجمع المال مدته * وللحوادث والوراث مايدع

كدودة القز ماتبنيه يهلكها * وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

(وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ذو الوجهين لايكون عند الله وجيها) هذا حديث رواه أبو داود عن عمار بلفظ ذو الوجهين وذو اللسانين في النار فيقال له ذو الوجهين وذو اللسانين ويقال له ذو الاوجه كما قال

وكم من فتى يعجب الناظرين * له ألسن وله أوجه

واذا كان ذو الوجهين كذا فذو الاوجه معلوم بطريق الاولى وبين الوجه والوجيه جناس اشتقاق كقوله تعالى فأقم وجهك للدين القيم وفيه لطافة لما فيه من جعل كونه له حالين متخالفين وكلامين غير متوافقين عند رجلين على وجه الافساد اذا كانا متحابين أو على وجه الاضرار اذا كانا متعاديين بمنزلة من له وجهان يأتي هذا بوجه وهذا بآخر كما قالوا اخرج بوجه وأتى بوجه غيره والوجيه الذي له قدر ومنزلة والمراد بكونه لامنزلة له عند الله تعالى انه لايرضاه ولايحبه لقباحة فعله اما لو فعل ذلك لاصلاح ذات البين وازالة ضغائن القلوب ونحو ذلك فهو أمر حسن ليس داخلا فيما مر وقال التجاني ذو الوجهين هو الذي يأتي كل قوم بما يرضيهم خيرا كان أو شرا فيظهر لاهل المنكر انه راض عنهم فيستقبلهم ببشر منه وترحيب ويظهر لاهل الحق انه عنهم راض فيريد ارضاء كل فريق منهم ويظهر انه معهم وان كان ليس كذلك باطنا وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه خرجه مسلم وعن أنس رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى

(ويبخل) لعل الواو بمعنى أو (بما لايغنيه) بضم أوله وسكون المعجمة أي من أقوال وأفعال وطلب رئاسة وحب محمدة وأمثال ذلك مما يجلب له شرا ولا يذهب عنه ضرا وقد قال الحسن من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لايعنيه وفي رواية للبيهقي كما رواه الترمذي ان رجلا توفي وقالوا ابشر بالجنة فقال فلعله قد تكلم بما لايعنيه أو بخل بما لاينقصه قال الترمذي وهذا هو المحفوظ أقول لكن لايخفى حسن صنعة التجنيس بين يعنيه ويغنيه في الحديث الاول (وقوله) أي وكقوله فيما رواه الشيخان (ذو الوجهين) أي الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه بمعنى انه يأتي كلا بما يحب من خير أو شر وهذه هي المداهنة المحرمة وقيل هو الذي يظهر لكل طائفة وجها يرضيها به ويوهمها انه عدو للاخرى ويبدي لها مساويها (لايكون عند الله وجيها) أي ذا قدر ومنزلة لما يتفرع عليه من الفساد بين العباد بخلاف المصلح بين الناس في البلاد وأصل الوجيه هو المستقبل بالخير والتعظيم وذلك كناية عن المحبة لان من أحب أحدا يديم النظر الى وجهه ويستقبله بالتكريم وفي رواية الطبراني عن أبي سعيد ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة له وجهان من نار

(ونهيه) أي وكنهيه فيما رواه الشيخان (عن قيل وقال) بفتح لاميهما أو خفضهما منونا أي عن فضول ما يتحدث به في المجالس من قولهم قيل كذا وقال كذا ويجوز بناؤهما على أنهما ماضيان في كل منهما ضمير راجع الى مقدر وهو الاشهر الاكثر بناء على الحكاية ويجوز اعرابهما اجراء لهما مجرى الاسماء ولا ضمير فيهما وعن أبي عبيد انهما مصدران تقول قلت قولا وقيلا وقالا وقد قرئ قال الحق بدل قول الحق والمراد النهي عن نقل أقوال الناس مما لا فائدة فيه وقيل المراد النهي عن كثرة الكلام ابتداء وجوابا مما يوقع في الخطأ وما لا يجدي نفعا فيرجع الى حديث ٤١٦ كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع ونسب للشافعي شعر لقاء الناس ليس يفيد شيئا * سوى الهذيان من قيل وقال

فاقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم أو اصلاح حال

(وكثرة السؤال) أي عما بايدي الناس بان يسال الناس أموالهم أو عن اخبارهم مما لا فائدة فيه من التجسس وقيل النهي عن الاغلوطات وفي كثرة السؤال دليل جواز القلة وشرطه الحاجة ولله در القائل

بلوت مرارة الاشياء طعما * فلا شيء أمر من السؤال

وقيل السؤال عن المتشابهات وقيل كثرة سؤال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم ينزل ولم تدع الحاجة اليه ومنه قوله تعالى لا تسالوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ومنه حديث وسكت عن أشياء غير نسيان فلا تبحثوا عنها والكثرة بالفتح وتكسر (واضاعة المال) أي بصرفه في غير مرضاة الله عز وجل ويدخل فيه الاسراف في النفقة والبناء والملبوس والمفروش وامثال ذلك وقيل اهماله وترك القيام عليه وقيل دفعه الى السفهاء وقيل عدم صرفه في موضعه اللائق به كما قيل وماضاع مال أورث المجد أهله * ولكن أموال البخيل تضيع (ومنع) بالجر منونا وفي نسخة بفتح العين (وهات) بالكسر وفي نسخة بالفتح ويروى على بناء الماضي أي منع ما يجب عليه اعطاؤه وطلب ما ليس له (وعقوق الامهات) أي والآباء فهو من باب الاكتفاء أو لان أكثر العقوق يقع بهن لضعفهن ورحمهن ولانهن ما كان عند العرب كثير حرمة لهن أو للايماء بان عصيانهن أقبح لانهن أكثر محبة وأشد شفقة لقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين الآية ولما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قيل له من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله قال أمك ثم أمك ثم أباك

عليه وسلم انه قال من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له لسانين من نار يوم القيامة (ونهيه عن قيل وقال) هذا حديث صحيح رواه الشيخان عن مغيرة بن شعبة وفيه ثلاثة أوجه فقيل القيل والقال مصدران بمعنى القول وقيل فعلان أحدهما مبني للمجهول والثاني غير مجهول وجوز فيه ان يحكى مبنيا على الفتح وان يعرب اعراب الاسماء ويثنون ومنه تعلم ان نقل الجمل يجري في غير الاعلام كما صرح به المرزوقي وذكر له نظائر هذا ما يتعلق بلفظه واما معناه فالنهي عن كثرة الكلام لما يؤول اليه من الخطا وكونه مما لا يعني لا وجه له فقيل انه اشارة الى حكاية كلام الناس فالاول حكاية عن غير معين والثاني عن معين وقيل الاول عبارة عن السؤال والثاني عن الجواب فالمعنى انه نهى عن كثرة البحث والجدال في الدين وغيره مما لا يلزم وقيل انه نهى وزجر عن كثرة الكلام مبتدئا ومجيبا (وكثرة السؤال) أي سؤال الناس ما بايديهم استعطاء وهو للقادر على الكسب من غير ضرورة حرام وهو الذي ارتضاه علماؤنا وقيل مكروه أو السؤال عن اخبار الناس وأحوالهم قيل وهذا يغني عنه قوله عن قيل وقال أو السؤال عن المشتبهات والبحث عنها والتكلف في تخريجها وتوجيهها وقد ورد النهي عن ذلك أو المراد نهيهم عن سؤال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن أمور لا يؤذن في السؤال عنها كما قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ويرد عليه انه لو أريد هذا قال وعن السؤال من غير ذكر الكثرة وأجيب بان كثرته بضمه لما أذن في السؤال عنه وهذا يتضمن النهي عن أحدهما لان النهي عن مجموع أمرين أحدهما هو المنهي عنه في نفس الامر نظرا الى هيئتهما المجموعة يتضمن النهي عن خصوص ذلك المنهي عنه ولا يخفى ما فيه من التكلف لادعاء أمر لا يدل عليه اللفظ (واضاعة المال) باي طريق كان سواء كان ماله أو مال غيره كالانفاق في الحرام واهمال ماله وعدم تنميته حتى يهلك ودفع مال السفيه له والاسراف فيما لا فائدة فيه كل ذلك منهي عنه وعدم اضاعته حسبه وعدم صرفه فيما يليق كما قيل

وماضاع مال أورث المجد أهله * ولكن أموال البخيل تضيع

ومن هان عليه المال توجهت اليه الآمال ومن بسط راحته آنس ساحته وكما قلت

ويكرم نفس المرء ان هان ماله * وكل كريم النفس فهو كريم

وقيل تصدق المحتاج والمديون حرام وكذا تصدقه بجميع ماله وقال السبكي رحمه الله في فتاواه الضابط في اضاعة المال ان لا يكون لغرض ديني أو دنيوي فاذا انتفيا كان اضاعة ومحل حرمة ما مر اذا لم يصبر ويتوكل على الله حق التوكل لقوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ومنع وهات) منع منون مجرور وجوز فيه ان يكون فعلا ماضيا وهو بعيد والمراد منع بذل ما يجب أو يستحسن أو مطلق الامساك وهات بكسر المثناة الفوقية أي طلب ما عند غيره وسؤاله وهو فعل أمر اصله آت فقلبت همزته هاء وهو مذهب الخليل رحمه الله تعالى وعليه أكثر النحاة (وعقوق الامهات) العقوق مخالفة الوالدين وايذاؤهم

(و وأد البنات) بهمزة ساكنة وتبدل أى دفنهن حيات أنفة وغيرة ومنهم من وأد تخفيفا لمؤنتهن وخشية الاملاق بهن ولذا خصهن بالذكر والافالوأد حرام وكثر ذلك الفعل بهن ومنه حديث العزل الوأد الخفى ومع هذا جاء فى الحديث ان دفن البنات من المكرمات ونعم الصهر القبر وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا للمرأة ستران قيل وماهما قال الزوج والقبر قيل فأيهما أستر قال القبر (وقوله) أى وكقوله فيما رواه أحمد والترمذى والحاكم والبيهقى عن أبى ذر (اتق الله حيث كنت) وفى الوصول من كتب الحديث حيثما كنت وكذا فى أصل الدلجى ولذا قال ومازائدة بشهادة رواية حذفها والمعنى اتق الله باكتساب أوامره واجتناب زواجره فى كل مكان وزمان فانه معك أينما كنت وحيثما كنت والخطاب لراويه من صحابته أوعام لكل فرد من افراد أمته (وأتبع) بفتح الهمزة وكسر الموحدة أى أعقب والحق (السيئة) أى الصادرة منك (الحسنة) أى من صلاة أوصدقة ونحوهما وروى بحسنة (تمحها) بفتح أوله وضم الحاء مجزوما بجواب الامر وهو مقتبس من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقيل المعنى بالحسنة فى الحديث التوبة ثم المراد بمحوها ازالتها حقيقة بعد كتابتها أو محوها كناية عن

عدم المؤاخذة بها والظاهر ان جنس الحسنة يمحو جنس السيئة فلا ينافى ماورد من ان الحسنة تمحو عشر سيئات وخص من عمومها السيئة المتعلقة بالعبد كالغيبة فلا يمحوها الا الاستحلال ولو بعد التوبة نعم قبل وصولها اليه ترتفع بالحسنة لحديث اذا اغتاب أحدكم من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة له وقيل تمحها بحسنة يضاد اثرها اثر السيئة التى ارتكبها فسماع الملاهى يكفر بسماع القرآن ومجالس الذكر وشرب الخمر يكفر بتصدق شراب حلال ونحو ذلك فان المعالجة بالاضداد

ضد البر من العق وهو القطع والامهات جمع أمهة وهى الام وأصل الام أمهة لجمعه على أمهات وتصغيره على أميهة وقد جاء أصله من المضاعف لقولهم امات وأميمة وقال بعضهم أكثر مايقال امات فى البهائم ونحوها مما لايعقل وأمهات فى الانسان وخص الامهات مع ان عقوق الوالدين من الكبائر لانهن أكثر حقا وشفقة على الولد ولذا لما سئل سائل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أحق الناس بحسن صحابتى قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك ثلاثا قال ثم من قال أبوك وهو حديث صحيح وأيضا لم يكن للنساء تلك الحرمة خصهن ليحثهم على برهن وينبه على مايجب لهن قيل ومنه وخذانه اذا أعطى والديه شيئا يزيد عطية الام على الاب وأكثر العقوق يكون لهن وقال حكمة الثلاث فى الحديث مشقة الحمل والوضع والرضاع وذهب الجمهور الى انها تفضل على الاب فى البر ونقل عن مالك وبعض الشافعية التسوية بينهما والاول أصح (ووأد البنات) الوأد بفتح الواو وسكون الهمزة والدال المهملة وأصله الصوت الشديد وهو دفن البنات فى حياتهن اما أنفة وغيرة من النكاح أوخوفا من الفقر والمدفونة حية حالة الدفن تصيح غالبا ومافى الشرح الجديد من انها سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها أى يثقلها ومنه ولا يؤده حفظهما غلط فاحش لاختلاف مادتيهما فان مادة الاول وأد والثانى أود واختلاف معنييهما كما بينه أهل اللغة وادعاء القلب لاحاجة اليه وكان هذا فى الجاهلية وأول من فعله قيس بن عاصم التميمى فتبعه العرب على ذلك وكان بعضهم يقتل أولاده مطلقا وكان مصعب بن ناجية جد الفرزدق منع الوأد فى الجاهلية كما قال

وجدى الذى منع الوآدات * وأحيى الوئيد فلم يوئد

وخص البنات لانه الغالب وكانوا على فريقين فمنهم من يحفر حفيرة تلد المرأة عندها فان وضعت ذكرا أبقته وان وضعت انثى ألقتها فى الحفيرة وردم عليها التراب فان لم يفعل ذلك وصارت سداسية ذهب بها أبوها البئر ورماها فيها بعد ماطيبتها أمها وزينتها وفى الجاهلية من نهى عن ذلك كزيد بن عمرو بن نفيل فلما جاء الشرع أبطل ذلك وقد جعلوا العزل وأدا خفيا وهى الموؤدة الصغرى ووجهه ظاهر وهو حرام أومكروه وفيه تفصيل ذكره الفقهاء ثم نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن الثلاثة الاول من هذه الامور الستة نهى كراهة وعن البقية نهى تحريم لكن ليس بصيغة النهى بل بمقتضى الحديث الآخر الصحيح وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله حرم عليكم عقوق الامهات الى آخره وبقى كلام زائد على مقتضى المقام (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اتق الله حيث كنت) وفى نسخة الدلجى حيث ماكنت وهذا الحديث رواه أحمد والترمذى والحاكم عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه ولافرق بين الروايتين معنى لان ما زائدة والتقوى حفظ النفس عن ارتكاب المعاصى ولها مراتب فصلها القاضى فى أول سورة البقرة وحيث ظرف مكان يضاف للجمل والمراد بها هنا التعميم أى فى أى مكان وأى حال وقيل انها هنا ظرف زمان بناء على مجيئها للزمان لان التقوى فى جميع الازمنة أعم منها فى جميع الامكنة وقيل ان الرواية حيث ماكنت وقال غيره انه روى بحذفها أيضا والامر لراويه أولكل من يقف عليه ليعم كل مأمور باعتباره أفرد الضمير كما فى قوله تعالى ولوترى اذ وقفوا على النار ولنا فيه كلام ليس هذا محله (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) هذا وماقبله ومابعده حديث واحد رواه الترمذى وقال انه حديث

(وخالق الناس) أي خالطهم وعاشرهم (بخلق حسن) أي بطلاقة وجه وكف أذى وبما يحب ان يعاملوك به فان الموافقة مؤنسة والمخالفة موحشة (وخير الامور ٤١٨ أوساطها) هذا حديث مستقل رواه ابن السمعاني في تاريخه أي المتوسطة بين الافراط والتفريط في الاخلاق كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن وفي الاحوال كالاعتدال بين الخوف والرجاء والقبض والبسط وفي الاعتقاد بين التشبيه والتعطيل وبين القدر والجبر وفي المثل الجاهل اما مفرط واما مفرط وفي التنزيل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا والحاصل ان الانسان مأمور أن يجتنب كل وصف مذموم بالبعد عنه وأبعد الجهات والمقادير من كل طرفين وسطهما فاذا كان في الوسط فقد بعد عن الاطراف المذمومة ولعل هذا معنى قولهم كن وسطا وامش جانبا (وقوله) أي وكقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (أحبب) من أحببه فان حببته احبه بالكسر شاذ وقوله (حبيبك) بمعنى محبوبك والمعنى أحبب الذي تحبه مما سوى الله ورسوله (هونا ما) ما زائدة للمبالغة في القلة أي حبا يسيرا ولا تسرف في حبه ولا تبالغ في تعلق القلب به كثيرا فانه

حسن صحيح والمراد باتباعها اياها فعلها بعدها وجعلها تابعة لها أي واقعة بعدها بحيث تقرب منها وفي معنى الحديث قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ومحوها واذهابها بمعنى تكفيرها وعدم مؤاخذة الله بها فكأنها لم تكن والمراد بالسيئة الصغيرة لقوله في الحديث الصلاة الى الصلاة كفارة لما عدا الكبائر وقالت المرجئة انه شامل للكبائر والصغائر وقال بعض المعتزلة المراد ان الحسنة تكون سببا لترك الذنب ولا تكفر شيئا أصلا ويحتمل ان المراد بالمحو حقيقته والمعنى انها تمحى من كتاب أعماله وتمحها مجزوم في جواب الامر ولا بعد ان هذا مقيد بغير حقوق العباد اما هي كالغيبة فانه لا يمحوها الا الاستحلال اذا بلغت من قيلت فيه بعد بيان جهة الظلامة ان أمكن والا فقالوا ينبغي ان يكثر من الاستغفار والدعاء له ويكثر من فعل الحسنات لحديث اذا اغتاب أحدكم أخاه من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة ولهذا زيادة بيان وتفصيل في كتاب المكفرات للسيد السمهودي رحمه الله تعالى وقوله (وخالق الناس بخلق حسن) قد علمت انه من تتمة ما قبله وخالق أمر من خالقه يخالقه بمعنى عاشرهم وخالطهم وعاملهم بما تحب ان يعاملوك به فليس المقصود المفاعلة بل هو لاصل الفعل أو هو على أصله بجعل المطلوب منهم بمنزلة الواقع والخلق بضمتين وضم فسكون السجية والطبيعة التي طبعوا عليها وفيه اشارة الى انه يمكن اكتسابه والا لم يكن للامر به فائدة كما ورد يا معاذ حسن خلقك مع الناس أي عاملهم بطلاقة وجبر الخواطر وكف الاذى فان ذلك مؤدي لاجتماع القلوب وانتظام الاحوال وهو جماع البر وملاك الامر كما قلت

ان رمت ان تحظى بعز وهنا * فاجتنب الناس وكن عنهم غني
وان تخالطهم فكن ذا عفة * وخالق الناس بخلق حسن

(وخير الامور أوسطها) لما كانت الملكات المحمودة لها طرفا افراط وتفريط مذمومان والمحمود ما بينهما وهو الوسط كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن جعل الوسط منها مطلوبا على ما بين في علم الاخلاق وبه ورد التصريح في الحديث الذي رواه العسكري عن الاوزاعي بسنده وهو ما من أمر أمر الله تعالى به الا عارض الشيطان فيه بخصلتين أيهما فعل أصاب الغلو والتقصير وروى أبو يعلى بسنده عن وهب بن منبه ان لكل شئ طرفين ووسطا فاذا أمسك باحد الطرفين مال الآخر واذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالاوساط من الاشياء ويشهد له قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي بين غلو النصارى وتفريط اليهود وقال الشاعر

عليك باوساط الامور فانها * نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وقال الحريري
حب التناهي غلط * خير الامور الوسط

وقال
خير الامور عندنا الاوساط * ويكره التفريط والافراط

وليس الوسط بمعنى الخير والحسن مطلقا بل في أمور مخصوصة اقتضى توسطها خيريتها ألا ترى الى قولهم أخو الدون الوسط وقولهم المقل من مغن وسط لا مطرب ولا مضحك كما في الروض الانف وهذا الحديث أخرجه السمعاني في ذيل تاريخ بغداد عن علي كرم الله وجهه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وابن جرير في تفسيره عن مطرف بن عبد الله ويزيد بن مرة الجعفي وكذا أخرجه البيهقي بلا سند وذكره الديلمي بلا سند عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولفظه دوموا على أداء الفرائض فخير الاعمال أوسطها ويناسبه قوله (أحبب حبيبك هونا ما)

عسى أن يكون) أي يصير وينقلب (بغيضك) أي مبغوضك (يوماما) أي حينا من الاحيان وتتمته وأبغض بغيضك هوناما عسى أن يكون حبيبك يوماما اذ ربما انقلب ذلك الحب بتغير الاحول بغضا فتندم عليه اذا أبغضته أوانقلب البغض حبا فتستحي منه اذا أحببته ويقرب من هذا الكلام قول عمر رضى الله تعالى عنه لايكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وفى معنى هذا الحديث أنشد أبو عمرو بن عبد البر فى بهجة المجالس

وأحبب اذا أحببت حبا مقاربا
فانك لاتدرى متى أنت نازع
وأبغض اذا أبغضت بغضا مقاربا
فانك لاتدرى متى أنت راجع

والمقارب المقتصد (وقوله) أى وقوله فيما رواه الشيخان (الظلم) أى على النفس أو على الغير (ظلمات) بضم الظاء واللام وقال التلمسانى وبفتح وبضم الثانى أى أنواع الظلم القاصر أو المتعدى ظلمات حسية على أصحابه فلا يهتدون بسببه الى الخلاص (يوم القيامة) أى فى يوم يسعى نور المؤمنين الكاملين بين أيديهم وبايمانهم بسبب ايمانهم واحسانهم ويحتمل أن يراد بها الشدائد كما فى قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر

عسى أن يكون بغيضك يوماما) وأبغض بغيضك هوناما عسى أن يكون حبيبك يوماما والهون بفتح الهاء وسكون الواو والنون مصدر كالقول من هان عليه الشئ اذا خف وسهل ومنه الهون فى المشى وهو الرفق واللين فارشد صلى الله تعالى عليه وسلم المتحابين الى الاقتصاد فى المحبة وعدم المبالغة فيها وكذا المتباغضين الذين بينهما عداوة لاينبغى لهما المبالغة فى العداوة واظهارها فليكن ذلك على قدر متوسط فان خير الامور الوسط فقد ينتقل الحب الى البغض والبغض الى الحب فيقبح تفاوت حالك وتغير أقوالك وأفعالك فالهون هنا بمعنى التوسط وعدم الافراد وقد فسره به أهل اللغة قال فى النهاية أى لاتسرف فى الحب والبغض فعسى أن يصير الحبيب بغيضا والبغيض حبيبا فيندم ويستحى فدخل هذا الحديث تحت ماقبله وقال ارسطاطاليس للاسكندر لاتملأن قلبك بمحبة شئ ولاتستولين عليك بغضه واجعلهما قصدا فان القلب كاسمه يتقلب وقال بعض العرب

واحبب اذا أحببت حبا مقاربا * فانك لاتدرى متى أنت نازع
وابغض متى أبغضت غير مباين * فانك لاتدرى متى أنت راجع

وبين علته ابن الرومى بقوله

احذر صديقك مرة * واحذر عدوك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق * فكان أعرف بالمضرة

فان قلت كيف يدل هذا على التوسط وقد قالوا ان ماتدل على التقليل سواء قلنا أنها زائدة أو اسم على مافصله المفسر فى قوله تعالى مثلا ما بعوضة وهى هنا مشددة لقلب النون ميما وادغامها فيها * قلت لان الوسط قليل بالنسبة للاعلى وقيل أنها تفيد تقليل التوسط والحب اذا كان على وجه التوسط فى القليل كان قليلا ولكن غير خارج عن مراتب التوسط بل عن مرتبة التوسط الوسطى ومن الجائز أن يكون له مراتب متفاوتة قربا من الطرفين وبعدا منهما او عدم قرب وبعد منهما وعند عدم القرب والبعد منهما يكون التوسط الكثير ونعنى به التوسط التام كما نعنى بالتوسط القليل التوسط الناقص والحق أنه لاتقليل فيها وانما المراد أى هون كان ومافى ذلك للتأكيد كما فى الآية والتقليل لوسلم يفيده تنكيره هونا انتهى وفيه نظر وهذا الحديث كما قال السيوطى أخرجه البخارى فى الادب والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال التجانى الاكثر على أنه من كلام على كرم الله وجهه ورواه الحسن بن أبى جعفر مسندا عن على رضى الله تعالى عنه يرفعه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد ضعيف وقال الترمذى الاصح أنه موقوف على على وذكر الترمذى أيضا انه ورد عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال وأراه رفعه وهو غريب لايعرفه بهذا الاسناد الا من هذا الوجه وممن رفعه القضاعى فى الشهاب ورواه الماوردى مرفوعا فى أدب الدين والدنيا وكذا الغزالى فى الاحياء ورواه فى مسند الفردوس (والظلم ظلمات يوم القيامة) الظلم وضع الشئ فى غير موضعه وقد يكون بمعنى النقص قال تعالى ولم تظلم منه شيئا أى لم تنقص منه شيا وأرض مظلومة أى لم تمطر فكأنها انقصت عن غيرها والمراد به تعدى الحدود سواء كان فى حق أو فى غيره وتعريفه يراد به العموم وأفرد الظلم وجمع الظلمات امالانه جمع معنى لاستغراقه فيكون كمقابلة الجمع بالجمع أو اشارة الى أن الظلم الواحد تعقبه ظلمات متعددة لفظاعته وقال ابن الجوزى ان من ظلم نفسه أو غيره نشأ ذلك عن قسوة قلب ثم يعقب ذلك تعديه ومبارزته بمخالفته فلذا تعدد جزاؤه وتلك الظلم اما حقيقة حسية كما ان المؤمن المطيع له نور يوم القيامة قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم الآية ومنهم من حمل الظلمة على الاهوال والشدائد كما فسر به قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر أى شدائدهما ولاحاجة الى صرفه عن حقيقته مع امكانها وهذا الحديث صحيح أخرجه البخارى وترجم له

(وقوله) أي وكقوله فيما رواه الترمذي وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (في بعض دعائه) أي في بعض دعواته لما فرغ من
صلاته ليلة الجمعة (اللهم اني أسألك رحمة من عندك) اي من فضلك وكرمك لا بمقابلة عمل من عندي الحديث كذا في اصل
الترمذي وليس في بعض النسخ لفظ من عندك (تهدي بها قلبي) اي تدله وتقربه لديك (وتجمع بها امري) اي حالي عليك (وتلم) بضم اللام وتشديد الميم (بها شعثي) بفتحتين أي تجمع بها تفرق خاطري وتضم بها تشتت امري بمقام جمعي وحضوري (وتصلح بها غائبي) اي قلبي أو باطني بالاخلاق الرضية والاحوال العلية (وترفع بها شاهدي) اي قالبي او ظاهري بالاعمال البهية والهيئات الحسنية أو يراد بهما اتباعه الغائبون والحاضرون (وتزكي بها عملي) اي تزيد ثوابه وتنميه او تطهره وتنزهه عن شوائب الرياء والسمعة وسائر ما ينافيه (وتلهمني بها رشدي) اي صلاح حالي في حالي ومآلي (وترد) اي تجمع (بها الفتي) بضم الهمزة اسم من الائتلاف واما الالفة بالكسر فالمرأة تألفها وتألفك وألفه كعلمه الفا بالكسر والفتح على ما في القاموس فقول الدلجي بضم الهمزة وكسرها مصدر بمعنى المفعول ليس في محله
والمراد بها الالفة في العبادة أو حسن الصحبة مع أرباب السعادة ومنه حديث المؤمن يألف ويؤلف ولا خير
فيمن لا يألف ولا يؤلف على ما رواه الدارقطني عن جابر مرفوعا ومنه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

وأسنده الى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أو رواه كما رواه المصنف الظلم ظلمات يوم القيامة ورواه مسلم
اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من قبلكم حملهم على أن سفكوا
دماءهم واستحلوا محارمهم وبذلك علم أن ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من حذف ان رواية فيه فلا
يقال أنه أخل بلفظه أو وقع على رواية فيه غير مشهورة وحمل على الظلم الظلمات وجعلها عينه لانه سببها
مبالغة (وقوله) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في دعائه) أي في بعض دعواته المأثورة وقد جمع
العلماء أدعيته في كتب مستقلة من وقف عليها رأى فيها من هذا النمط أمورا عجيبة وهذا الحديث
رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال انه غريب قال سمعت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته (اللهم اني أسألك رحمة من عندك) وفي رواية عن
المصنف رحمه بدون قوله من عندك والاولى هي المذكورة في الترمذي وعند اذا أضيفت الى الله لها
معان منها العلم كقوله تعالى وكان عند ربه مرضيا وتكون بمعنى الحكم نحو وكان عند الله عظيما أو بمعنى
التفضل والانعام من غير مقابلة عمل نحو وقالت هو من عند الله وبهذا فسره البرهان هنا أي أطلب منك
احسانا بمجرد فضلك لا في مقابلة عمل وقيل بل معناها قرب المنزلة أي أسألك رحمة تقربني اليك والهداية
وغيرها بمحض فضل الله اذ لا يجب عليه شيء فقوله من عندك ليس معناه لا في مقابلة طاعة لاشعاره بان
ما كان في مقابلتها ليس بمحض الفضل فذلك نسبة تشريف وتعظيم وتنويه وتكريم انتهى وليس
بوارد لان ما في مقابلة العمل ليس بطريق الوجوب بل بمقتضى وعده وحكمه السابق وهو تفضل
مخصوص منه أيضا وقيل معنى العندية عموم نفعها وجدواها بدون وسائط وهو تكلف لا يساعده
اللفظ والرحمة بمعنى الانعام أو ارادته كما حقق في محله (تهدي بها قلبي) أي تدله أو توصله الى ما يقربني من
حضرة قدسك لاشاهد نفحات أنسك (وتجمع بها أمري) أي تنتظم بها أموري وشأني حتى لا يكون لها
تشتت (وتلم بها شعثي) أي تلم برحمة من عندك وتجمع ما تشعث وتفرق من أمري وهو كالتفسير لما قبله
قال الجوهري الشعث انتشار الامر يقال لم الله تعالى شعثك أي جمع أمرك انتهى وأصله انتشار الغبار
في الهواء (وتصلح بها غائبي) بالغين المعجمة والباء الموحدة فسروه بباطني أي ما خفي من أموري عني وعن
غيري وقيل المراد قلبي وصلاحه بصلاح صفاته من الاخلاص والصدق والتوكل والتوحيد (وترفع بها
شاهدي) أي ظاهري من الشهود وهو الحضور والمعاينة وهو مقابل لقوله غائبي وبينهما صنعة الطباق
وقيل أراد بهما الدنيا والآخرة ورفعها أي جعلها عالية رفيعة بالاعمال الصالحة والصفات الحسنة وقيل
المراد بظاهره جسده ورفعته سلامته من الآفات وعصمته من البليات وقد دل صلاح قلبه عليه لان
بصلاحه صلاح غيره لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله
(وتزكي بها عملي) أي برحمة وتفضل منك تجعل عملي كله مباركا مقبولا سالما مما ينقصه كالرياء
أو هو من تزكية الشهود أي تجعله ممدوحا وهما متقاربان (وتلهمني بها رشدي) الالهام ايقاع
الخير في القلب والرشد والرشاد السداد والاستقامة والرشيد في اسماء الله تعالى هو الذي يرشد
عباده لمصالحهم ويدبره (وترد بها الفتي) بضم الهمزة وكسرها وسكون اللام وفتح الفاء يليها تاء
تانيث وياء متكلم مصدر بمعنى المفعول أي ما كنت آلفه كالأليف ما تحبه وتريد اجتماعه
وردها عودها الى ما كانت عليه والمراد عشيرته وأقرباؤه وأهل جلدته فدعا الله ان يألفهم ويهديهم
للاسلام كما قال رد الله عليه ضالته أي جمع بينه وبينها وقيل المراد حالته التي كان عليها في عالم
الذر

الذر والارواح من حب الله وتعظيمه وخلوصه من الكدورات الجسمانية وهو بعيد (وتعصمني بها من كل سوء) أصل معنى العصمة المنع والحماية أي يصونني ويحفظني مما يسوءني والباء في المواضع كلها سببية وزاد التجاني هنا اللهم أعطني ايمانا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة (اللهم اني أسألك الفوز في القضاء) وروى في العطاء والفوز النجاة والظفر في القضاء والقدر بالفتح والسكون بمعنى في اللغة ومنهم من يفرق بينهما فيجعل القدر تقدير الله الامور قبل ان تقع والقضاء انفاذ ذلك القدر وخروجه من العدم حين الوجود وهو الصحيح لانه قد جاء في الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر بكهف مائل للسقوط فاسرع المشي حتى جاوزه فقيل له أتفر من قضاء الله فقال أفر من قضائه الى قدره ففرق بين القضاء والقدر وبين ان الانسان يجب عليه أن يتوقى مايضره قاله البطليوسي فالمعنى انه سأل الله النجاة من كل سوء قضاه على غيره أو عليه معلقا على أمر وقوله (ونزل الشهداء) النزل بضم النون والزاي وتسكن وهو مصدر جعل اسما لما يعد للضيف اذا نزل من القرى والكرامة أراد ما لارواحهم في البرزخ ولهم في الجنان من الاكرام والرزق والثواب وقد فاز صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لما منحه الله من الشهادة مع ما لاعين رأت ولا أذن سمعت (وعيش السعداء) اما ان يريد بالعيش الحياة بان يكون سعيدا في الدنيا معززا مكرما موفقا لما يرضاه فائزا بكل شئ يتمناه أو في الآخرة بان يحييه حياة مخلدة منعما فيها بما يليق بجنابه صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها الآية والاحسن ان يريد مجموعهما والعيش أصل معناه الحياة والسعداء جمع سعيد ضد الشقي وبعده في الدعاء ومرافقة الانبياء (والنصر على الاعداء) أي الانتصار عليهم وغلبتهم والاعداء جمع عدو وضده الصديق وتمامه اللهم أنزلت بك حاجتي ياقاضي الامور وياشافي الصدور كما تجير من البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم وما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي أو أمنيتي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فاني أرغب اليك فيه واسئلك يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد أسألك الفوز يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود فانك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحان من تفرد بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان ذي الجلال والاكرام سبحان الذي أحصى كل شئ بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم اعط لي نورا واجعل لي نورا انتهى وقوله اعط لي باللام لمشاكلة اجعل لي فلا وجه لما قيل اعطني لانه لا يتعدى باللام ان صحت الرواية وفي رواية اللهم أعظم لي نورا واعطني نورا واجعل لي نورا وما وقع في هذا الدعاء من السجع لا ينافي ما قيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يكرهه لان محله ما اذا كان عن تصنع وتكلف ملتزما فاما ما جاء من غير تكلف فلا باس وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان يكره السجع اذا كان عن تعمد لانه من التكلف وهو برآء منه فجيئه منه كتكلمه بالنظم منزه عنه أما صدوره منه أحيانا وان التزم كما هنا فغير

(وتعصمني) أي تحفظني وتمنعني (بها من كل سوء) أي تصرفني عنه وتصرفه عني وهو بضم السين وقد يفتح الضرر الحسي والمعنوي (اللهم اني أسألك الفوز) أي النجاة (في القضاء) أي فيما قضيته وقدرته على من البلاء وفي نسخة عند القضاء أي حين حلول القضاء وضيق القضاء بتوفيق الرضى وروى المنجاني في العطاء ثم قال ويروى في القضاء كما ذكره المصنف في الشفاء (ونزل الشهداء) بضمتين وتسكين الزاي وأصله ما يعد للضيف أول نزوله والمراد هنا جزيل الثواب وجميل المآب وقيل النزل بمعنى المنزل ويؤيده رواية ومنازل الشهداء (وعيش السعداء) أي الحياة الطيبة المقرونة بالطاعة والقناعة من غير التعب والعناء وفي رواية زيادة ومرافقة الانبياء (والنصر على الاعداء) أي من النفس والشياطين وسائر الكافرين والحديث طويل كما ذكره بعض الشراح وفي هذا الحديث دليل واضح على ان السجع في الدعاء انما يكون مكروها على ما ذكره ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره اذا كان عن تكلف وتعسف يمنعه عن حسن الثناء ويشغله عن حضور القلب عن الدعاء ثم هذه الروايات من الكلمات الجامعات منضمة

مكروه كما ورد في القرآن ولذا قيل انه يصح اطلاق السجع عليه ثم أشار الى ان ماذكره قطرة من بحر فان شئت الوقوف على غيره فاضف ماذكر (الى ماروته الكافة عن الكافة) فما رواه كثير من الناس لا يحصون فكافة وان كان بمعنى جميعا لانه اسم فاعل أو مصدر كالعافية والفاتحة في قول من كف اذ جمع أطرافه أو من كف بمعنى منع لانه كان يمنع من الزيادة عليه أريد به الكثرة كما وردت كل كذلك كثيرا اذلم يروه جميع الناس ولا جميع المحدثين لكنه لما شاع وذاع فكأنه كذلك ثم ان سيبويه قال ان كافة يلزم التنكير والنصب على الحالية كعامة وقاطبة وطرا ونحوه وزاد غيره انها لا تثنى ولا تجمع ولا تطلق على غير العقلاء ولم يرد ذلك في كلام الله تعالى ولا كلام العرب ووهم من استعملها على خلاف ذلك كابن نباتة في خطبه وصاحب الكشاف في كشافه وفي قوله في خطبة المفصل محيط بكافة الابواب لاخراجه لها عن النصب والتنكير واستعمالها فيما لا يعقل وأما قول الجوهري الكافة الجميع من الناس فلا وهم فيه لان النكرة اذا أريد لفظها يجوز ان تعرف فلا وهم فيه كما توهم صاحب الدرة وتبعه بعض الشراح هنا فانه ليس مما نحن فيه * أقول هذا وان اتفقوا عليه لا وجه له رواية ودراية أما الاول فلان العرب اذا استعملت لفظا في معنى وضعته له على وجه مخصوص من الاعراب لم يلزم غيرهم اتباعهم فيه ولو قلنا بذلك لأدى الى التضييق على الناس في استعمال الالفاظ العربية وعد هذا ونحوه لحنا كما قاله الحريري لا وجه له وأما الثاني فلانه روى عن عمر رضي الله تعالى عنه استعماله في كتابه لبني كاكلة المروى عنه رواية ثابتة وعن علي كرم الله تعالى وجهه في ذلك أيضا حيث كتبه بعينه بين جمع من الصحابة وناهيك بهم فصاحة فان أردت تفصيله فانظره في شرحنا الدرة الغواص وقوله (من مقاماته ومحاضراته) بيان لما في ماروته والمقامات بفتح الميم جمع مقامة مفتوحتها وهي اسم لمكان القيام وتوسعوا فيه فاستعملوها لمطلق المكان كقوله

وكالمسك ترب مقاماتهم * وترب قبورهم أطيب

ثم كثر فيه فاستعملوه لمن قام فيه كما موهم مجالسا في قوله * واستب بعدك يا كليب المجلس * وزادوا في التوسع حتى سموا به الكلام الصادر فيه مقامه كمقامات البديع والحريري ومثله من التجوز كثير ومنه تعلم ان المجاز على المجاز لا يقتصر على مرتبة واحدة كما يوهمه كلامهم فالمراد به الكلام الصادر منه في مجالسه وخطاب أمته صلى الله تعالى عليه وسلم في حال حكمه وحروبه ولا يختص بالخطاب لكونه يخطب قائما لذكره لغيره وان كان المقام مقام خطابة يغتفر فيه الاسهاب ولما أريد به هنا الكلام وقع بيانا لما روته الكافة عن الكافة والمحاضرات جمع محاضرة لا محضرة كما توهم بضم الميم وحاء مهملة وضاد معجمة وراء مهملة أصل معناها كما قاله الجوهري من حاضرته اذا جاثيته أي جالسته عند السلطان وهو كالمبالغة والمكاثرة وحاضرته حضارا عدوت معه انتهى يعني انها مفاعلة من الحضور عنده أو من الحضر بالضم فمعناها مجاراة الجليس جليسه في الكلام بان تتكلم بما عندك فيما يخطر على بالك ويتكلم هو في ذلك معك فالمراد مصاحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أصحابه أحيانا ومصاحبتهم له كالتحدث بامور سائغة ونحوها مباسطة ولا ملاطفة ومنه كتب المحاضرات الادبية كمحاضرات الراغب (وخطبه) جمع خطبة بضم فسكون من خطب الخاطب خطابة بالفتح وخطبة بالضم اذا تكلم بكلام في أمر مهم سواء كان قائما على منبر والكلام مسجع أم لا وهي معروفة (وأدعيته) جمع دعاء كوعاء وأوعية وهي سؤال الله وتوجهه اليه فيما يهمه (ومخاطباته) أي توجيه الخطاب لغيره حسبما اتفق (وعهوده) أي كلامه اذا أخذ العهد والميثاق على غيره من المسلمين كما في كتبه للملوك وغيرهم وقيل المراد

(الى ماروته الكافة عن الكافة) أي جميع الرواة عن الثقاة وحكى عن سيبويه انه لا يجوز استعمال كافة معرفا بل نكرة منصوبة على الحالية كقاطبة (من مقاماته) بيان لما والمعنى من مقالاته في اختلاف مقاماته وحالاته ومجالس وعظه ودلالاته (ومحاضراته) أي في محاوراته (وخطبه) أي في جمعه وجماعاته (وأدعيته) أي وقت مناجاته (ومخاطباته) أي في مجاوباته (وعهوده) أي في مبايعاته

وصاياه (ممالاخلاف انه نزل من ذلك مرتبة لايقاس بها غيره) انه بتقدير فى انه لاطراد حذف الجار قيل ان وان كما ذكره النحاة والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أولما وذلك اشارة الى البلاغة والفصاحة لسبقهما أوللعلم بهما من سياق كلامه ونزل منزلة ومرتبة أى حل محلا عاليا ووصل الى حد لايصل اليه غيره والمنزلة تستعمل فى الشرف والتاء للنقل وفى بعض النسخ مرقبة بالقاف أى محلا عاليا من شانه ان يرقبه فيه و يطلع على أحوال غيره وقوله لايقاس الى آخره أى لايساويه غيره وضمير بها للمرتبة وضمير غيره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أوللكلام والقياس يتعدى بالباء وعلى يقال قاسه بغيره وعليه كما فى القاموس والاساس وفى حواشى العضد للابهرى القياس تقدير شئ بآخر وعدى بعلى لتضمنه معنى البناء وهو مخالف لما فى القاموس مع ان تعدى البناء بعلى فيه كلام فى حواشى تهذيب المنطق واما تعديته بالى فى قول المتنبى بمن أضرب الامثال أم من أقيسه * اليك وأهل الدهر دونك والدهر فلتضمنه معنى الضم والجمع كما قاله الواحدى (وحاز فيها سبقا) حاز بالحاء المهملة والزاء المعجمة بمعنى حوى واشتمل وضمير فيها للمرتبة والسبق بفتح السين وسكون الباء الموحدة مصدر سبق واما السبق بفتحهما فما يجعل من المال للمراهنة فى المسابقة أى ماتوعد باعطائه لمن سبق غيره وهو أولى ههنا فكأنه قال لتحقق سبقه أخذ وفاز بما يعد للسابقين واما السبق فى قول صدر الشريعة حفظته سبقا وسبقا فالورد المعين لحفظ الاطفال وهو مولد ماخوذ من هذا (لايقدر) بضم المثناة التحتية وفتح الدال المهملة المخففة مبنى للمجهول (قدره) بسكون الدال أى مقداره أى سبق كثير لايلحقه فيه أحد ولايعرف حقيقته كما فى قوله تعالى وماقدروا الله حق قدره (وقد جمعت من كلماته صلى الله تعالى عليه وسلم التى لم يسبق اليها) ضبطه الدلجى وتبعه الشارح الجديد بالبناء للمفعول وسكون تاء التانيث والجار والمجرور نائب الفاعل ومن للتبعيض أى جمع الرواة بعض كلماته لم يسبق اليها ولم يتكلم بها غيره صلى الله تعالى عليه وسلم أومن زائدة وكلماته نائب الفاعل الا ان فيه زيادة من فى الاثبات ومدخولها معرفة أونائب الفاعل ضمير الكلمات المعلومة من السياق وهذا كله تكلف حملهم عليه انه روى كذا والفعل المجهول لايؤنث اذا كان نائب فاعله جار ومجرور مؤنث فلايقال أخذت من هند وعدوا مثله خطأ لكن ابن جنى رحمه الله تعالى قال فى اعراب الحماسة انه سمع نادرا وبه قرئ فى الشواذ فى قوله تعالى ان نعف عن طائفة فمن خطأ صاحب التلخيص فى قوله صوحبت معها لم يصب وسيأتى وجه آخر اظهر من هذا وهو ان نائب الفاعل ما الموصولة فى قوله مايدرك الناظر ولو قرئ بالبناء للفاعل وحذف المفعول جاز (ولاقدر أحد ان يفرغ فى قالبه عليها) قدر بالتخفيف من القدرة ويفرغ بضم المثناة التحتية وسكون الفاء وكسر الراء المهملة والغين المعجمة وهو صب المائعات فى ظرف وقالب بفتح اللام اسم آلة كالعالم على خلاف القياس وقد تكسر لامه وقيل انه معرب كالب وقيل انه غير صحيح والقالب مايصب فيه مايذاب من الجواهر كالفضة ليصاغ ففيه استعارة مكنية تخييلية لجعله الكلام بمنزلة الجواهر واسلوبه بمنزلة هيئة صياغته واثبات القالب له تخييل وعليها بتقدير على هيآتها وان تحاكى وفيه من البلاغة والمبالغة مالايخفى وقيل المراد بالقوالب الالفاظ لانها قوالب المعانى قال الجاحظ استعمل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المتوسط وهجر الغريب ورغب عن الهجر فلم يات الابكلام حق وسدد بالتأييد

(ممالاخلاف) أى بين علماء الانام (انه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (نزل) فعل ماض وقد وهم اليمنى فى ضبطه بضم النون والزاى منونا وذكر معانيه التى هى غير ملائمة للمقام فالمعنى انه تنزل وحل ووصل (من ذلك) أى مما ذكر من علو المقام (مرقبة) بقاف فموحدة أى موضعا مشرفا كما فى الصحاح وفى نسخة بقاف فالف وكلتاهما بمعنى مرتبة كما فى نسخة وقال اليمنى هى الصواب والحاصل ان النسخ كلها بمعنى درجة عالية (لايقاس) أى عليه (بها غيره) فاين الثريا من يد المتناول فى الثرى ولا يقاس الملوك بالحدادين فى السلوك (وحاز) بالحاء والزاى أى ضم وجمع (فيها سبقا) بفتح فسكون مصدر سبق وهو التقدم فى السير ويستعار لاحراز الفضل والخير وبفتحهما مايجعل من المال رهنا فى المسابقة وأغرب الحلبى من بين الشراح فى قوله انه يتعين ههنا فتح الباء (لايقدر قدره) بصيغة المجهول أى لايعرف عظمة شانه ورفعة برهانه (وقد جمعت) بصيغة المتكلم فى أكثر النسخ وضبطه الدلجى بتاء تانيث ساكنة مبنيا للمفعول (من كلماته) من تبعيضية أوزائدة وأنث الضمير نظرا الى الكلمات كذا ذكره الدلجى والظاهر كون من تبعيضية لقلة وجودها زائدة فى الكلام الموجب مع ان كلماته لاتستقصى فى مقام الرواية والمفعول أونائب الفاعل قوله (التى لم يسبق اليها) بصيغة المجهول أى ماسبقه واحد الى تلك الكلمات البالغة لاصابتها نهاية البلاغة وغاية الفصاحة (ولاقدر أحد ان يفرغ) من الافراغ أى (فى قالبه) بفتح اللام وتكسر فى القاموس القالب كالمثال يفرغ فيه الجواهر وفتح لامه أكثر والمعنى لم يقدر أحد ان يسكب جواهر المعانى فى قوالب زواهر المبانى (عليها) أى على نهج تلك الكلمات التى ليس لها مثانى

(كقوله) أي يوم حنين على مارواه مسلم والبيهقي الآن (حمي الوطيس) بفتح الحاء وكسر الميم أي اشتد الحرب والوطيس في الاصل التنور شبه به الحرب لاشتعال نارها وشدة ايقادها فاستعار لها اسمه في ايرادها استعارة تحقيقية لتحقق معناها حسا وقرنها بقوله حمي ترشيحا للمجاز وقيل هو الوطئ الذي يطس الناس أي يدقهم وقال الاصمعي هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر احد على وطئها عبر به عليه الصلاة والسلام عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق فهو كلام في غاية الايجاز ومما يشبه الالغاز وكاد ان يكون من باب الاعجاز (ومات حتف أنفه) أي وكقوله فيما رواه البيهقي في شعب الايمان ولفظه من مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله يعني اذا خرج مجاهدا في سبيل الله والمعنى مات بلا مباشرة قتل ولا ضرب ولا غرق ولا حرق وخص الانف لانه أراد ان روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه أولانهم كانوا يتخيلون ان المريض تخرج روحه من أنفه والجريح من جراحته (ولا يلدغ المؤمن من جحر) بضم جيم فسكون حاء (مرتين) أي كما رواه البخاري وغيره وروى لا يلسع وهو اما خبر فمعناه ان المؤمن الفطن هو اليقظ الحازم الحافظ الذي لا يؤتى من جهة الغفلة فيخدع وهو لا يشعر مرة بعد مرة واما نهي فمعناه لا يخدعن المؤمن من باب واحد من وجه واحد مرة بعد أخرى فيقع في مكروه بل فليكن حذرا يقظا في أمر دنياه وأخراه وسبب الحديث ان أبا عزة الجمحي أسر ببدر فمن عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لا يهجوه ولا يحرض عليه فغدر ثم أسر باحد فقال يارسول الله غلبت أقالني فقال لا أدعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ثم أمر بضرب عنقه وكان

جمع الرقة والجزالة تدخل الاذن بغير اذن ليحفظ وينقل عنه (كقوله حمي الوطيس) هذا حديث مروي عن العباس رضي الله عنه ورواه مسلم والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما وانه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين وقيل انه أول ماقاله باوطاس ففي التعبير به مناسبة لفظية متضمنة لبلاغته وابداعه أي اشتد الحرب والوطيس بفتح الواو وكسر الطاء المهملة يليها مثناة تحتية وسين مهملة وهو التنور أو شئ يشبهه وقد فسره بضراب الحرب أراد المعنى المجازي وقيل هو الوطئ الشديد الذي يطس الارض أي يدقها وقيل هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر أحد ان يطأها قيل ولم يسمع هذا الكلام من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو من بليغ الكلام وفيه استعارة مصرحة مرشحة بقوله حمي أي اتقد وقد حماه اذا سخنه وهي عامية وهو طرف من حديث طويل في مسلم ورماهم بحصى فانهزموا فان كان الوطيس بمعنى الحجارة ففيه مناسبة (ومات حتف انفه) أي من غير ضرب ولا قتل ولا حرق ولا غرق ونحوه على فراشه كأنه سقط على أنفه فمات والحتف الهلاك وقيل كانت العرب تتوهم ان روح المريض تخرج من أنفه وروح المجروح من جراحته فكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم على قدر عقولهم وهذا بعض حديث صحيح رواه عبد الله بن عتيك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الذي يخرج مجاهدا في سبيل الله ان لسعته دابة أو أصابه شئ فهو شهيد ومن مات حتف انفه فقد وقع أجره على الله ومن قتل فقد استوجب المآب قال عبد الله بن عتيك فوالله ماسمعت قوله حتف أنفه من أحد من العرب قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذا ابن المصنف رحمه الله تعالى كلامه وعدها من كلامه الذي ابتدعه وهو المشهور وذهب بعض أهل اللغة الى ان هذه الكلمة تكلمت بها العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه في المصباح واستدلوا بقول السموأل

ومامات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل

وأجيب بان هذه القصيدة اختلف في قائلها فقيل هو السموأل وهو شاعر جاهلي وقيل عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثي وهو اسلامي وقيل ان الرواية ليست هكذا وانما هي ومامات منا سيد في فراشه فعلى هذا لا يرد على من عدها من مبدعاته صلى الله تعالى عليه وسلم لان الشاعر الجاهلي لم يقلها والاسلامي أخذها من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كقول عتيد بن عمر التابعي مامات من السمك حتف أنفه فلا تأكله أي ماطفا على الماء من غير سبب ظاهر لموته أوانه لم يسبقه أحد من أهل زمانه ولم يسمعه من غيره فتأمله (ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) هذا حديث صحيح رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه وفي لفظه اختلاف لا يضر ففي بعضها من جحر واحد وفي بعضها من تقديم المؤمن وهو من الامثال النبوية وفي كتاب ابن مسكويه المسمى بجاودان خرد الذي جمع فيه حكم اليونان ان من أمثالهم لا يرمى العاقل بحجر مرتين فانظر الفرق بين كلام النبوة وغيرها فان العاقل اذا أدخل يده في جحر فلدغ هل يدخلها مرة أخرى وقد قيل من لسعته الحية من الحبل يخاف يعني ان المؤمن الفطن لا ينخدع مرة بعد مرة ولا يؤتى من جهة الغفلة فيقع في مكروه وهو لا يعلم فينبغي ان يكون متيقظا في أمر دنياه وآخرته ويلدغ بالياء المضمومة المثناة التحتية واللام الساكنة وبالدال المهملة والغين المعجمة واما بالذال المعجمة والعين المهملة فهو احراق النار والجحر بضم الجيم وحاء ساكنة مهملة حفرة في الارض يكون فيها الحيات والحشرات وهذا قاله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابي عزة الشاعر

(والسعيد من وعظ) بصيغة المجهول أي اتعظ (بغيره) كما رواه الدلجي وروى تمامه والشقي من عظ به غيره (في أخواتها) أي اشباه هذه الكلمات والمعنى انها جمعت معها كالاعمال بالنيات والمجالس بالامانات والحرب خدعة وأمثالها من الكلمات الجامعات منها كل الصيد في جوف الفرا أي الحمار الوحشي قاله لابي السبيعي لما أسلم أي اجتمع كمال خصال الناس فيه واياكم وخضراء الدمن ولا يجنى على المرء الا يده والبلاء موكل بالمنطق وترك الشر صدقة وسيد القوم خادمهم والخيل في نواصيها الخير وان من الشعر لحكمة ونية المؤمن خير من عمله والدال على الخير كفاعله ونعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ والندم توبة ونحو ذلك

وكان يحرض الناس بشعره على قتال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاسر مرة فقال اني محتاج ذو بنات فمن عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأطلقه بغير فداء وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا فقال يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم

من مبلغ عني الرسول محمدا * فانك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو الى الله والهدى * عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة * لها درجات سهلة وصعود
فانك من حاربته لمحارب * شقي ومن سالمته لسعيد

ثم نقض عهده وأتى مع الكفار لحربه صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ أيضا باحد فسأله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يمن عليه على مثل شرطه الاول وقال غلبت فاقلني فلم يفعل وقال لا أدعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين وأمر بضرب عنقه فقتل صبرا ومرتين أريد به التكرار كقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين لكنه اقتصر على الاول لانه أنسب بالحزم فكان محاربا شقيا كما قال في شعره والفال موكل بالمنطق ولما فيه من الميل للحلم جرد من نفسه مؤمنا يقظا منتقما لا ينخدع لغادر متمرد وانتقم صلى الله تعالى عليه وسلم منه ولم يعف عنه فان غضبه لله يأبى الحلم كما قيل

ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

وان كان صلى الله تعالى عليه وسلم يغضي عن أمور كثيرة ويتغافل عنها في مقام آخر كما قال أبو فراس

ليس الغبي بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابي

قال التجاني وما وقع في شعر أبي عزة من مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتصريح برسالته ليس له مخرج الا أن يكون قصد به خداعه (والسعيد من وعظ بغيره) المراد بالسعيد المبارك المرضي عند الله تعالى والناس والوعظ ذكر ما يلين القلوب من ثواب وعقاب أي من نصحته الحوادث النازلة بغيره فذكرته عواقب الامور من خير وشر فاتعظ بها فقبلها فهو سعيد ومن يوعظ به غيره فهو شقي وأبلغ من هذا وان كان معنى آخر ما ورد في الحديث اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه كما رواه الماوردي في اعلام النبوة وفي معناه قول الشاعر

لا تنتهي الانفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

وفي معناه قلت

الزهد في الدنيا وترك الهوى * عن كل أمر ضائر حافظ
ومن يرد خيرا به ربه * كان له من نفسه واعظ

وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بعض حديث طويل رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وفيه الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من اتعظ بغيره والسعيد سعيد في بطن أمه وأخرجه العسكري مرفوعا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فليس من كلام ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كما توهم وانما تمثل به كما قاله الحافظ بن حجر وشيخه العراقي وقوله (في أخواتها) جمع أخت أي في الكلمات المشابهة لها بحسب البلاغة يقال هذا أخو هذا لمشابهته ومواخاته لغلبة التشابه بين الاخوات فهو استعارة أو مجاز مرسل وفي بمعنى مع كقوله تعالى أدخلوا في أمم أو هي على أصلها كان أخواتها الكثرتها محيطة بها احاطة الظرف بالمظروف ففيه استعارة وهي في الحقيقة أكثر من أن تحصى كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما الاعمال بالنيات والمجالس بالامانات والحرب خدعة واياكم وخضراء الدمن المرأة الحسناء في

المنبت السوء وغيره مما لا يحصى وقد أفردناه بالتاليف وذكر الشارح الجديد منها جانبا فيه وفى شرحه وهو بمعزل عن شرح الكتاب فلذا ضربنا عنه صفحا (ما يدرك الناظر العجب فى مضمنها) قيل ما نائب فاعل جمعت المبنى للمجهول كما تقدم ضبطه وأنث رعاية لمعناه لانه بمعنى الكلمات المجموعة وجملة يدرك بمعنى يلحق والعجب فاعله أو الناظر فاعل والعجب مفعول ويدرك من الادراك بمعنى التصور ومضمنها بضم الميم وفتح الضاد المعجمة والنون اسم مفعول أى ما تضمنته من المعانى البديعة والتراكيب الصحيحة أى يتعجب فى ذلك كل من يراها وفى نسخة مضمونها (ويذهب به الفكر فى أدانى حكمها) أى يذهب بالناظر فكره فى أقلها وأقل ما تضمنته من الحكم فالضمير فى به للناظر وأدانى جمع أدنى بمعنى أقل عددا أو كما فما بالك بالاكثر ومعمول يذهب محذوف لقصد العموم أى فى كل مذهب فمعنى الذهاب به انه يتحير فيها فهو على حد قوله تعالى ألم تر انهم فى كل واد يهيمون ففيه استعارة تمثيلية أو كناية (وقد قال له أصحابه) صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى عنهم (ما رأينا الذى هو أفصح منك) هذا الحديث رواه البيهقى فى شعب الايمان مسندا وذكره القالى فى أماليه وشرحه وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوما جالسا مع أصحابه فنشأت سحابة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كيف ترون قواعدها الى آخره وستراه قريبا ومثله ما رواه أبو نعيم فى الدلائل قال لما خطب عنده صلى الله تعالى عليه وسلم بعض خطباء الوفود فاجابه بكلام عذب فصيح فقال له على كرم الله وجهه يا رسول الله نحن وأنت بنو أب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان ما نفهم أكثره فقال ان الله عز وجل أدبنى فاحسن تاديبى ونشأت فى بنى سعد بن بكر والحاصل أن الصحابة رضى الله عنهم أكثروا من مخالطة فصحاء العرب وخلصها وكانوا لا يفقهون أحيانا كلامهم حتى يفسره صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وقد ورد أيضا كما يأتى ان لغة اسمعيل عليه السلام كانت اندرست فعلمها له جبريل عليه الصلاة والسلام كما علم آدم الاسماء (فقال وما يمنعنى وانما أنزل القرآن بلسانى لسان عربى مبين) أى ما يمنعنى من أن أكون أفصح الناس أو من أن لا تروا أفصح منى والكتاب الذى أنزل على بافصح اللغات وفى أعلى طبقات البلاغة هذا من تتمة الحديث السابق فى وصف السحابة وهو حديث صحيح رواه التجانى مسندا عن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب عن موسى بن محمد بن ابراهيم التميمى عن أبيه عن جده قال بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم جالسا مع أصحابه اذ نشأت سحابة فقالوا يا رسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا ما أحسنها وأشد تمكنها قال وكيف ترون رحاها قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال وكيف ترون بواسقها قالوا ما أحسنها وأشد استقامتها قال وكيف ترون برقها أوميضا أم خفيا أم يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال وكيف ترون جونها قالوا ما أحسنه وأشد سواده فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الحيا فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذى هو أفصح منك فقال وما يمنعنى من ذلك وانما أنزل القرآن بلسان عربى مبين وقواعد السحابة أسافلها واحدتها قاعدة وأما القواعد من النساء فواحدتها قاعد وهى التى قعدت عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا رحى الحرب وسطها ومعظمها حيث استدار القوم وقال الجوهرى مستدارها وبواسقها ما علا منها وارتفع وكل شىء علا فقد بسق وقال ابن الاثير ما استطال من فروعها والوميض اللمع الخفى يقال أومض ايماضا وأومض بعينه غمز والخفى بزنة الضرب وبالاعجام البرق الضعيف كما قاله القالى قال التجانى التقدير أترونه وميضا أو ذا خفى لقول الجوهرى خفا البرق يخفو خفوا ويخفى خفيا اذا لمع لمعا ضعيفا معترضا فى نواحى الغيم فان لمع قليلا ثم سكن فهو الوميض فان شق الغمام فاستطال فهو العقيقة وجونها أسودها وهو من الاضداد لانه يكون بمعنى الابيض والحيا بالقصر الغيث وجمعه احياء والعناية بوصف السحاب مشهورة بين فصحاء العرب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (مرة أخرى بيد انى من قريش

(مما يدرك الناظر العجب) أى مما يتصوره وفى نسخة بنصب الناظر ورفع العجب فالمعنى مما يلحقه العجب اذا نظر (فى مضمنها) بفتح الميم المشددة وفى نسخة من ضمنها أى مضمونها أو ما يتضمنها من المعانى البديعة فى المبانى المنيعة (ويذهب به) أى ومما يذهب بالناظر (الفكر فى أدانى حكمها) بكسر ففتح جمع حكمة والمعنى فيتعجب بتأمله فى فهمها باعتبار أدانيها فما ظنك بأقاصيها (وقد قال له أصحابه) أى كما رواه البيهقى فى شعب الايمان (ما رأينا الذى هو أفصح منك) الجملة من المبتدأ والخبر صلة الموصول وهو عائد الموصول لا ضمير أفصح كما توهم الدلجى فان ضميره راجع الى المبتدأ كما لا يخفى على المبتدى (فقال وما يمنعنى) أى من أن أكون أفصح (وانما أنزل القرآن) أى الذى هو فى غاية البلاغة ونهاية الفصاحة مع ايجاز المبانى وحسن البيان والمعانى (بلسان عربى مبين) أى واضح أو موضح ولسان بدل أو بيان (وقال مرة أخرى) أى كما رواه أصحاب الغرائب ولم يعرف له سند (أنا أفصح العرب بيد) أى غير (انى) أو على انى (من قريش) فيكون من باب المدح بما يشبه الذم كقول القائل

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ومنه قول النابغة   ونشات

ونشات فى بنى سعد) قال السيوطى هذا الحديث أورده أصحاب الغريب ولا يعرف له اسناد والطبرانى
من حديث أبى سعيد ولفظه أنا أعرب العرب ولدت فى قريش ونشات فى بنى سعد فانى يأتينى اللحن وقال
قطلوبغا فى تخريجه أخرجه أبو عبيد بلاغا وأخرج الطبرانى فى الكبير عن أبى سعيد الخدرى قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا أعرب العرب ولدتنى قريش
ونشات فى بنى سعد فانى يأتينى اللحن وفى سنده مقال وأما ما اشتهر من أنا أفصح من نطق بالضاد بيد انى
من قريش فقالوا انه لم يثبت وان ذكر فى كتب النحو والاصول وبيد فيها لغتان آخريان ميد بالميم وبايد
كما ورد فى الحديث قال فى النهاية ولم أقف عليه ولعله بايد أى بقوة فحرف وفسر بغير الاستثنائية وبمن
أجل التعليلية وبعلى ان كما قال هو كثير المال على انه بخيل وتلزم الاضافة لان المشددة وصلتها وهى
فى الحديث بمعنى غير والاستثناء ههنا منقطع على حد قوله

ولا عيب فيه غير ان نزيله * يعاب بنسيان الاحبة والوطن

واستدل أبو عبيدة على مجيئها بمعنى من أجل بقوله

عمدا فعلت ذاك بيد انى * أخاف ان هلكت ان ترنى

وقولهم ما رأينا الذى هو أفصح منك عنوانه ولا يساويك كما مر تحقيقه وجوابه بقوله بيد الخ ان فسر بغير
فظاهر لافادته أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أفصح من جميع العرب وأما تفسيرها بمن أجل فقد استشكل
بان مفهومه أنه من قريش وهم أفصح ال[illegible] ولا يلزم منه أن يكون أفصح العرب بل من أفصحهم
وهذا الاشكال أورده بعض ا[illegible] حتى انه من بنات أفكاره وهو أنه قد سبقه اليه الكورانى فى شرح جمع
الجوامع وتقدم ما فى ذلك مبسوطا فى أول الكتاب ووجهه ان العلة موجودة فى غيره وهو نقض للحكم
بوجود علته فى غي[illegible] أورد عليه ان كثيرا من الاصوليين كالبيضاوى والهندى ذهبوا الى ان تخلف
الحكم ان كان لمانع أو فقد شرط لا يقدح فى علية العلة مطلقا سواء كانت منصوصة أم لا والتقدير هنا مع
كونى نبيا فالتعليل هنا صحيح مطرد على ما فصل فى العضد وغيره ويسمونه خصوص العلة وهذه
خزيرة لان الحديث بيد انى من قريش واسترضعت فى بنى سعد وفى رواية وأنزل القرآن بلسان عربى
مبين والمجموع هو العلة ولا توجد فى غيره أى انى من قبيلتين هما أفصح العرب وقد نشات بالحاضرة
والبادية فجمع لى من الرقة والجزالة ما لم يجتمع لغيرى أو المعنى انى أنزل على القرآن على أسلوب لا يوجد
فى غيره جامع لزبدة جميع اللغات فاثر فى سلامة قطبعى وانتقش فى صحف ذهنى ما لا يتصور لغيرى وأما
النبوة فلا دخل لها هنا أو نقول كونه أفصح من قريش معلوم لان السائلين له صلى الله تعالى عليه
وسلم منهم وهو بين أظهرهم لا يخفى عليهم حاله وأما كونه نشا فى بنى سعد واسترضعوه فلان حليمة
السعدية رضى الله تعالى عنها أرضعته بعد ثويبة جارية أبى لهب وحليمة بنت أبى ذؤيب وزوجها
الحارث أبوه من الرضاعة وبنو سعد من أكرم العرب وأفصحهم وحليمة من أوسطهم ولذا اختارها
الله تعالى لرضاعه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الرضاع يؤثر فى الطباع ووقع عندها شق صدره
الشريف وسيأتى بيانه وانه وقع مرارا ثم ان التجانى قال اختلف المتكلمون فى كلام النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم هل منه ما هو معجز كالقرآن بناء على هذه الاحاديث أم لا فذهب بعضهم الى اعجازه وان
اعجازه دون اعجاز القرآن وذهب الباقون الى انه فى معناه فى الفصاحة ولكن لا يبلغ الى رتبة الاعجاز
وهذا هو الصحيح واحتج الاولون بما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه اشتبه عليه كون المعوذتين
من القرآن وعد بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين القنوت من القرآن وهم فصحاء عالمون
بمراتب الاعجاز والصحيح ان هذا باطل لم يثبت عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وغيره أو متأول بانه

فتى كملت أخلاقه غير انه
جواد فما يبقى من المال باقيا
وفى مشارق الانوار
للمصنف ان بيد بمعنى لاجل
وفى المغنى هنا بمعنى من
أجل انى من قريش
(ونشات) أى تربيت
وفى رواية أرضعت (فى
بنى سعد) أى وهما
طائفتان فصيحتان من
العرب العرباء وفيهم
البلغاء من الشعراء
والخطباء وللطبرانى أنا
أعرب العرب ولدت فى
قريش ونشات فى بنى سعد
فانى يأتينى اللحن وأما
حديث أنا أفصح من
نطق بالضاد بيد انى من
قريش فنقله الحلبى عن
ابن هشام لكن لا أصل له
كما صرح به جماعة من
الحفاظ وان كان معناه
صحيحا والله أعلم وأغرب
التلمسانى فى قوله وتكسر
همزة انى على الابتداء
وقال روى الحديث محمد
ابن ابراهيم الثقفى عن
أبيه عن جده

لم ينكر كونهما من القرآن ولم يشك فيه وانما أنكر كتابتهما فى المصحف لانه لم يبلغه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بكتابتهما وهو محجوج بقراءته وقراءة الصحابة رضى الله تعالى عنهم بهما فى الصلاة وسيأتى لذلك مزيد بيان فى آخر الكتاب * فان قلت سامر من تكلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحشى الغريب مخالف لفصاحته صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت لا لما مر من ان الوحشى من أهله وممن يتكلم معهم فصيح فلا حاجة الى القول بانه غير غريب لثبوته فى كتب اللغة من غير احتياج لتنقير وتفحص والى ماذكرناه أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فجمع له صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك قوة عارضة البادية) جمع مبنى للمجهول وأصله جمع الله له فحذف للعلم به وذلك اشارة لكونه من قريش ونشأ فى بنى سعد وانما نشأ صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم على عادة قريش فى دفعهم أولادهم لمرضعات البادية ليتفرغ النساء لشأنهن ولان هواءها أصح وليكون مع أولاد الاعراب فيتدرب لترك الترفه ولذا كان عادة ملوك بنى أمية والعارضة التجلد والقدرة على الكلام ويقال بعير عرضة للسفر اوى قوى عليه واضافة القوى لها بيانية والبادية والبداوة والباداة خلاف الحاضرة وتبدى أتى البادية وتبادى تشبه باهلها وهى خلاف الحاضرة أى الامصار والمراد بالبادية أهلها أوهو بتقدير مضاف (وجزالتها) بفتح الجيم والزاء المعجمة خلاف الركاكة أى جزالة كلامها يقال كلام جزل أى قوى شديد ومنه الحطب الجزل للغليظ وليس من الركيك وهو الضعيف من الالفاظ المحلول التركيب فتكثير السواد به هنا غير مناسب (ونصاعة ألفاظ الحاضرة) النصاعة كالفصاحة مصدر بمعنى الخلوص والمراد خلوصها من التعقيد والغرابة الوحشية وصاده وعينه مهملتان من نصع الشئ اذا ميز جيده من رديئه والحاضرة خلاف البادية سكان القرى والامصار (ورونق كلامها) الرونق البهاء والحسن فان كلام أهل البادية قوى متين لعدم تصنعهم وكلام أهل الحاضرة رقيق لطيف فجمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بين هاتين الصفتين مضموما لذلك (الى التأييد الالهى الذى مدده الوحى) ومدده بمعنى مده لا بمعنى زيادته والتأييد التقوية من الايد وهو القوة وأمده بايحائه وانزاله عليه كلامه المعجز ولذا صح ان أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولغة أهل الجنة فلا صحة لما رواه بعضهم ان لسان أهل الجنة الفارسية الدرية وهذا فى معنى ماروى من ان عمر رضى الله عنه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءنى بها جبريل عليه الصلاة والسلام فحفظتها (الذى لا يحيط بعلمه بشرى) أى انسان منسوب للبشر وهم الناس والضمير للتأييد الالهى (وقالت أم معبد) هى كما مر عاتكة بنت خالد بن زمعة احدى نساء بنى كعب بن عمرو بن خزاعة وزوجها عبد الملك بن وهب وقيل لا يعرف اسمه توفى فى حياة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويقال انه صحابى له رواية وكانت تنزل بين مكة وجبالها فنزل عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر رضى الله تعالى عنه لما هاجرا فقرتهما فلما جاء زوجها أخبرته بذلك ووصفته له فى حديث ذكره أهل السير أفرده الحافظ العلائى بالشرح (فى وصفها له) مصدر مضاف لفاعله وضميره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل أن يكون له خبر مقدم والاول أولى (حلو المنطق) الحلو فى المطعومات مستلذ فاستعير لما يعجب السامع ويستلذ بسماعه ذوقه أو كالجين الماء (فصل) مصدر بزنة ضرب بفاء وصاد مهملة ولام أى فاصل بين الحق والباطل أو بين ظاهر قاطع للشك لا لبس

(ونصاعة ألفاظ الحاضرة) أى وخلوص ألفاظ أهل الحضور فى القرى من شوائب خلط المخالطة بغيرهم (ورونق كلامها) أى وحسن تعبير أهل الحاضرة المفهومة للعامة والخاصة حال كون ذلك كله منضما (الى التأييد الالهى الذى مدده) بالرفع أى زيادته المتوالية وأمداده (الوحى الذى لا يحيط بعلمه بشرى) أى منسوب الى البشر وهم بنوا آدم ولو قال الآدمى بدله كان أنسب معنى وأقرب مبنى لسجع الالهى والحاصل أن كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم متناه فى الفصاحة والبلاغة ولكن لا يبلغ مرتبة المعجزة خلافا لبعض المتكلمين حيث قال ان اعجازه دون اعجاز القرآن ولعله أراد باعتبار المعنى دون المبنى (وقالت أم معبد) بفتح ميم وموحدة وهى عاتكة بنت خالد الخزاعية (فى وصفها له) أى للنبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) حين نزل بها فى طريق المدينة سنة الهجرة كما ذكره أصحاب السير وأصحاب الشمائل تضمنا للمعجزات وخوارق العادات حينئذ فمن جملة ماوصفت فيه انه (حلو المنطق) أى مستلذه ومستحلاه لاشتماله على حلاوة كلامه وعذوبة مرامه وسلاسة سلامه وحسن بدئه وختامه ونظام تمامه (فصل) أى مفصول مبين ومفهوم معين أو فاصل بين الحق والباطل أو حق لا باطل ومنه قوله تعالى فى التنزيل انه لقول فصل أى

فيه أو يفسره قوله (لانزر ولاهذر) كما قاله العلائى رحمه الله تعالى أو ذو فضل بين أجزائه لقول عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسرد سردكم هذا ولكن كان اذا تكلم بكلام بينه فيحفظه من يجلس اليه كما فى المصابيح ونزر بفتح النون وسكون الزاى قليل لا يفهم والهذر بالهاء والذال المعجمة المفتوحتين يليه راء مهملة كذا ضبطه العلائى وهو راو ثقة وتبعه بعض أرباب الحواشى وضبطه ابن الحنبلى بسكون الذال المصدر هذر يهذر فى كلامه والاسم الهذر بالتحريك وهو كثرة الكلام بحيث يمل وهذا غير مناف لما ورد فى الحديث أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الحديث اختصارا الان المنفى الايجاز المخل لا المقبول منه (كان منطقه) أى ما ينطق به (خرزات نظمن) أى متناسبة لها رونق كالعقد المنظوم من الجواهر والخرز ما ينظم من الجواهر وليس كما تفهمه العامة من تخصيصه بنوع كما فى الصحاح من الخرز وهو المثقب (وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله تعالى عليه وسلم) العرب تتمدح بعلو الصوت وتذم بضده ولذا امتدحوا بسعة الفم وذموا بصغره كما قاله الجاحظ فى كتاب البيان وقد ورد فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث ابن أبى هالة أنه كان يفتتح الكلام ويختمه باشداقه كما قال العجير السلولى

جهير وممتد العنان مناقل * بصير بعورات الكلام خبير
لوان الصخور الصم يسمعن صوته * لرحن وفى اعراضهن فطور

والجهير والجوهرى العالى الصوت فليس فيه خنا ولا تكسر ككلام النساء * أقول هذا لا ينافى ما مر من ذم التقعر والتشدق فى الكلام فان ذلك اذا أفرط وكان تصنعا ثم ان المدح بسعة الفم لدلالته على الفصاحة وقوة القدرة على الكلام بخلاف غيره والمراد ما لم يفرط بحيث يشوه الخلقة لاسيما مع غلظ الشفتين ولا عبرة بمدح شعراء العجم ومن تبعهم من المتأخرين لضيق الفم فانه مقصد فاسد كما قال ابن سناء الملك

له فم ضيق فلم يستطع * ان يخرج اللفظ بتقويم
والفظ سكران من ريقه * فهو لهذا غير مفهوم

وقال أيضا

بمهجتى أفديه من * فصيح لفظ من معجمه
لا يستطيع اللفظ ان * يخرج من ضيق فمه

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ بالليل أو خطب أسمع صوته وأما حسن نغمته فلما ورد فى الحديث عن على كرم الله وجهه لم يبعث الله تعالى نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان داود صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ الزبور لم تبق دابة الا انصتت له الا ان قراءة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لم تكن على طريقة الالحان والموسيقى فانه غير ممدوح وحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن الكلام فيه مشهور * (غريبة) * ذكرها التلمسانى هنا قال قال ابن سيدى الحسن كان شيخنا أبو زكريا يحدث عن شيخه منصور بن على التجانى عن أبيه وغيره من شيوخه يقول انما كانت المصامدة فيهم بركة لانه وفد منهم رجل وقيل رجلان وقيل بل هم سبعة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا لا يعرفون العربية فقال رجل منهم بلغتهم من أبون أسيران وأسير بلغتهم النبى أو الرسول أى أيكم رسول الله فلم يفهم الحاضرون قوله فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أشكد اوز ومعنى أشكد تعال وأقبل وهلم وهو بهمزة وشين معجمة ساكنة وكاف مفتوحة ودال مهملة ساكنة مشددة واور معناه هنا أو الينا وجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجيبه بلغته ولا يفهم القوم فاسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرهم بقدومه ولغته قال أبو زكريا كان شيخه منصور يحدث لهذا الحديث فى هذا الفصل فسبحان من علمه ذلك انه المنعم الكريم قال وقبورهم موجودة الى الآن انتهى

* (فصل) * (وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه) الشرف رفعة القدر والكرم يجمع أنواع الخير

فيميل الى ملل وأما الهذر بفتح الذال فمعناه الهذيان وأغرب الانطاكى حيث اقتصر فى ضبطه على الفتح (كان منطقه) أى منطوقه (خرزات) أى جواهر متعالية ولآلى متغالية (نظمن) بصيغة المجهول أى سلكن فى سلك كلماته وضمن عباراته متتابعة متناسقة متناسبة متوافقة والحاصل انه تشبيه بليغ لارادة زيادة المبالغة على ما صرح به الدلجى الا انه مبنى على ان كان من الافعال الناقصة وفى بعض النسخ المصححة بتشديد النون على انها من الحروف المشبهة فحينئذ لا يكون تشبيها بليغا كما لا يخفى على البلغاء (وكان جهير الصوت) أى عاليه وهو مما يمدح فى أحوال الرجال ولذا مدح أيضا بسعة الفم والله تعالى أعلم (حسن النغمة) بفتح النون وسكون الغين المعجمة أى حسن الصوت حيث تقبله الاسماع وتألفه الطباع كما روى أن الله لم يبعث نبيا الا حسن الصورة وحسن الصوت (صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أولا وآخرا والله تعالى أعلم (فصل وأما شرف نسبه) أى المنسوب الى قومه (وكرم بلده ومنشئه) أى الذى ولد وتربى فيه وقيل المراد من منشئه محل مرضعته حليمة من بنى سعد

(فمالا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه) أي مما ينسب اليه (فانه) أي باعتبار نسبة (نخبة بني هاشم) أي خيارهم (وسلالة قريش) أي خلاصتهم وصفوتهم سالت من خالصيهم والظاهر انه مرفوع وجعله التلمساني مجرورا على انه بدل من بني هاشم (وصميمها) بالرفع أي قوامهم

ومدارهم ومحضهم وخالصهم من غير خلاطة غيرهم وأصل الصميم العظم الذي به قوام العضو وظاهر كلام الدلجي ان صميمها مجرور عطفا على قريش (وأشرف العرب) لانه من بني هاشم وبنو هاشم من قريش وهم أشرف العرب في النسب وفي شرح الدلجي أفضل العرب من غير عاطفة بالجر صفة لقريش (وأعزهم) أي وهو أقواهم وأشجعهم وأسخاهم (نفرا) أي جماعة وقرابة (من قبل أبيه وأمه) أي من قبل قبيلة أبويه (ومن أهل مكة) أي وهو من أهل مكة (أكرم بلاد الله وعلى الله وعلى عباده) وفي هذا حجة على بعض المالكية في تفضيلهم المدينة السكينة على مكة المكينة وفي بعض النسخ من أكرم ولعله تصرف من بعضهم والله تعالى أعلم نعم تستثنى ماحوى بدنه الكريم فانه أفضل حتى من الكعبة بل من العرش العظيم وعن المحب الطبري ان بيت خديجة يلي المسجد الحرام في الفضيلة ولم يذكر المصنف في هذا الفصل شيئا مما جاء في فضل مكة لظهوره وكمال وضوح نوره (حدثنا قاضي القضاة) اللام للعهد اذ لا يجوز هذا الاطلاق على سبيل الاستغراق الا على الملك الخلاق نحو ملك الملوك وسلطان السلاطين وأمثال ذلك (حسين بن محمد الصدفي) بفتحتين ففاء فياء نسبة (رحمه الله تعالى) وقد سبق ترجمته (حدثنا القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف)

ترجمة

وان خصه العرف بمعنى الجود والمنشا محل نشأ فيه وتربى (فمالا يحتاج الى اقامة دليل عليه لظهوره ولا بيان مشكل ولا خفي منه) المراد انه لا خفاء فيه ولا اشكال حتى يحتاج الى البيان على حد قوله ولا ترى الضب بها ينجحر (فانه صلى الله تعالى عليه وسلم نخبة بني هاشم) النخبة بضم النون وسكون المعجمة وفتحها وبالموحدة كهمزة المختار من بينهم المنتقى (وسلالة قريش وصميمها) السلالة بالضم بمعنى النسل المستخرج منهم والصميم الخالص (وأشرف العرب وأعزهم نفرا) أي قوما والنفر رهط الانسان وعشيرته وهو واسم جمع لا واحد له يقع على الرجال خاصة من الثلاثة الى العشرة وذكر الكرماني انه يقع على الواحد كما ذكرناه في شرح الدرة (من قبل أبيه وأمه) كما هو مبين في السير (ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله) لتشريفها وجعلها قبلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومقصد الحجيج (وعلى عباده) اذ لم تزل الناس تعظمها في الجاهلية والاسلام وقال التجاني وتبعه بعض الشراح هنا بعد ما ذكر حديث انك لأحب أرض الله الى ولأحب أرض الله الى الله الذي قاله صلى الله تعالى عليه وسلم عند ما خرج منها مهاجرا واجمعوا على ان مكة والمدينة أفضل البقاع وانما اختلفوا أيهما أفضل فنسب للمالكية تفضيل المدينة والشافعي وأبو حنيفة والاكثر على تفضيل مكة لما لها من المزية بان الله حرمها وحرم صيدها وقيل بتغليظ الذنب ودية القتل فيها وانه لا يقام الحد فيها وغير ذلك من الحرمة التي ليست لحرم المدينة والصلاة بها ثوابها زيادة على غيرها وهذا في غير البقعة التي وضع فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسيأتي ان المصنف رحمه الله تعالى فضل على مكة المدينة فجعلها أشرف وأكرم فكلامه هنا مناف لمذهبه ولكلامه الآتي ولهذا اعترضوا عليه وفيه خلاف عند المالكية أيضا كما سيأتي فلا حاجة لما قيل من ان كلام التجاني يكفي دليلا على فضل مكة في مذهب مالك رحمه الله تعالى وقال الطبري بيت خديجة يلي المسجد الحرام في الفضيلة وأجيب بانه غير مناقض لما سيأتي لانه لم يقل مكة أكرم وأشرف البلاد بل من أكرم البلاد ومن فيه تبعيضية لا بيانية وكون الشئ بعض الاشرف لا يقتضي انه أشرف فان البلاد الثلاثة التي تشد الرحال لها شريفة وهذا منها أقول ولو قال أشرف فهالم يشكل أيضا لان الكلام في منشئه ومولده وهي في زمن ولادته وقبل هجرته كانت أشرف البقاع على الاطلاق اذ المدينة انما صارت حرما مكرما بعد هجرته تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم وكان المعترض لاحظ ان المراد تفضيل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع خلقه بشرف منشئه فيناسب كونه أشرف من جميع ما عداه فتدبر ووقع في نسخ بعض الشراح أكرم بدون من فلعل كلامهم مبني على هذه النسخة (حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي) نسبة الى الصدف وهو اسم قرية من قرى القيروان ووقع للفقهاء اختلاف في جواز اطلاق قاضي القضاة فقال بعضهم لا يجوز كملك الملوك وشاهنشاه أي سلطان السلاطين فانه هو الله تعالى والحق جوازه كما أفتى به كثير من أرباب المذاهب الاربع فان القرينة ظاهرة في ان المراد قضاة عصره ومملكته فانه يطلق على من يكون قاضيا في تحت الملك ويؤذن له في تولية قضاة الاطراف ولهذا عدلوا عنه وقالوا قاضي العسكر ولكن قوى بعضهم منعه لورود النص بمنعه في الحديث والصدفي هو ابن سكرة وهو امام ثقة ترجمته مشهورة قال (حدثنا القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف) هو الامام العلامة الحافظ أبو الوليد الباجي وقد تقدمت

وهو الباجى (حدثنا أبو ذر عبد بن أحمد) أى الهروى وهو عبد من غير اضافة فلا يكتب همزة ابن البتة ولو وقع أول الصفحة (حدثنا أبو محمد السرخسى) هو الحموى وقد سبق ضبطه (وأبو اسحق) أى المستملى وكان من الثقاة (وأبو الهيثم) وهو محمد بن المكى ابن الزراع الكشميهنى بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية وفتح الهاء بعدها النون وياء النسبة نسبة الى قرية قديمة من قرى مرو (حدثنا) أى قالوا حدثنا كما فى نسخة (محمد بن يوسف) وهو الفربرى (قال حدثنا محمد بن اسمعيل) أى الامام البخارى (حدثنا قتيبة بن سعيد) تقدم ذكره (حدثنا يعقوب ابن عبد الرحمن) أى ابن محمد بن عبد الله القارى بالتشديد نسبة الى القارة (عن عمرو) بالواو وهو مولى المطلب أخرج له الأئمة الستة واختلف فى كونه ثقة (عن سعيد المقبرى) بفتح الميم وضم الموحدة ويجوز فتحها وقال التلمسانى بتثليث الموحدة وقيل له ذلك لانه كان يسكن قرب المقابر وهو سعيد بن سعيد المقبرى وأما فى بعض النسخ عن أبى سعيد فخطأ على ما ذكره الحلبى وفيه بحث لان الحجازى صرح بان كنيته أبو سعيد وأبوه كيسان وكنيته أبو سعيد أيضا (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا) أى خلقت وجعلت من خير طبقاتهم كائنين طبقة بعد طبقة

ترجمته أيضا قال (حدثنا أبو ذر عبد بن أحمد) هو الامام الحافظ أبو ذر الهروى وقد تقدمت ترجمته وعبد اسمه من غير اضافة قال (حدثنا أبو محمد السرخسى) نسبة الى سرخس بفتح السين والراء بلد عظيم بخراسان وهذا هو المعروف وأما قول التلمسانى نقلا عن ابن مرزوق انه بكسر السين وفتح الراء وانه يقال بزنة درهم وجعفر فلا نعرفه (وأبو اسحق) المستملى واسمه ابراهيم بن أحمد بن داود المستملى الامام الثقة (وأبو الهيثم) هو محمد بن المكى بن زراع الكشميهنى بضم الكاف وسكون السين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء وكسر النون وياء النسبة نسبة لقرية من قرى مرو قديمة خربت وخرج منها جماعة قاله ابن الاثير قال التلمسانى ويقال الكشماهنى ويأتى الكلام عليه أيضا بابسط من هذا (قالوا حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربرى (٢) وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا محمد بن اسماعيل) هو حافظ الاسلام البخارى وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا قتيبة بن سعيد) تقدمت ترجمته (قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) بن محمد بن عبد الله القارى منسوب للقارة قبيلة المدنى نزيل الاسكندرية وهو يروى عن زيد بن أسلم وسهل بن أبى صالح وغيرهما وروى عنه قتيبة ويحيى بن بكير توفى سنة احدى وثمانين ومائة وأخرج له أصحاب السنن ووثقه ابن معين (عن عمرو) بن عمرو ويقال ابن أبى عمرو مولى المطلب روى عن أنس وعكرمة وطائفة وروى عنه مالك والدراوردى ووثقه وقال النسائى انه ليس بالقوى وقال أحمد ليس به باس وقال أبو زرعة انه ثقة وأخرج له الأئمة الستة وتوفى فى أول خلافة المنصور وله ترجمة فى الميزان (عن أبى سعيد المقبرى) بتثليث الباء سمى به لسكونه بقرب المقابر كذا وقع فى بعض النسخ قال البرهان الحلبى وضرب المصنف رحمه الله تعالى على لفظ أبى وهو الصواب فانه سعيد بن أبى سعيد المقبرى واسم أبى سعيد كيسان وكنية سعيد أبو سعيد وفيه نظر وهو يروى عن أبيه وأبى هريرة وعائشة وغيرهما وروى عنه الليث ومالك وخلف ووثقه النسائى وأبو زرعة وغيرهما وقال أحمد ليس به باس توفى سنة ثلاث وثلاثين وقيل خمس وعشرين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (عن أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه تقدمت ترجمته والكلام فى اسمه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بنى آدم) هذا حديث صحيح انفرد البخارى باخراجه وعنه روى المصنف رحمه الله تعالى وفى القرن عشرة أقوال فانه مقدار من الزمان ويطلق على أهله فقيل عشرة وعشرون وثلاثون وأربعون وخمسون وستون وسبعون وثمانون وتسعون ومائة ومائة وعشرون ومطلق الزمان كما قاله البرهان الحلبى قال وابتداء قرنه عليه الصلاة والسلام من بعثته أو من حين فشا الاسلام وقيل القرن كل عصر فيه نبى أو كبار من العلماء فليس زمان الفترة بقرن نقله التلمسانى وقال التجانى القرن فى اللغة كل طبقة من الناس مقترنين فى وقت واحد وربما سمى الوقت قرنا لانه يقرن ناسا بناس واحتج القائلون بانه مائة سنة بان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح رأس غلام وقال عش قرنا فعاش مائة سنة كما ذكره الهروى والمختار ما قيل ان القرن كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد انتهى وفيه نظر والظاهر ان المراد بالقرن فى الحديث طائفة وجيل من الناس فى عصر واحد وزمان متقارب اشتركوا فى أمر من الامور المقصودة وقوله من خير الى آخره من فيه لابتداء الغاية أو بيانية لا للتبعيض لان المراد ان قرنه الذى بعث فيه خير القرون لانه بعث فى بعض القرن

(٢) قوله الفربرى نسبة الى فربر بوزن هزبر وقد تفتح فائه قرية من قرى بخارى فما قاله البعض من انه على وزن جعفر فهو غلط وقد ضبطه الشارح فيما تقدم فليراجع

(حتى كنت من القرن الذى كنت منه) أى حتى وجدت من بين الجمع الذى ظهرت منهم والقرن من الاقتران يطلق على أهل كل زمان يقترنون فى أعمارهم وأحوالهم وفى مقداره أقوال عشرة عشرون ثلاثون أربعون خمسون ستون سبعون ثمانون مائة سنة مائة وعشرون مطلق من الزمان فتلك عشرة كاملة والاظهر انه من الزمان ماغلب فيه وجود الاقران ولذا قيل

بدليل ماروى فى الحديث الصحيح خير القرون قرنى والمراد به عصره صلى الله تعالى عليه وسلم وعصر صحابته رضى الله تعالى عنهم لانهم انقرضوا بعد مائة من انتقاله صلى الله تعالى عليه وسلم وكسور اختلاف فيها قيل وهذا الحديث يدل على ان أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل هذه الامة وسائر الامم غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان ذلك ثابت لكل واحد منهم لالمجموعهم واليه ذهب الجمهور لان فضل الصحبة ونورها لايعدله شئ ولايساويهم فى الفضل وان تفاوتوا فيه بقدم الصحبة ونحوه خلافا لابن عبد البر رحمه الله تعالى حيث جوزان يكون بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الامن قاتل معه صلى الله تعالى عليه وسلم وأنفق ماله فى سبيله فانه لايعدله غيره بالاتفاق واستدل بحديث أمتى مثل المطر لايدرى أوله خير أم آخره وهو حديث صحيح وأجاب النووى رحمه الله تعالى بان المراد بآخره من أدرك عيسى عليه الصلاة والسلام ورأى مافى زمانه من الخير والبركة وانتظام كلمة الاسلام واضمحلال الكفر وهو متق وأوله من لم يدركه فى صدر الاسلام غير الصحابة وسيأتى الكلام عليه مفصلا (قرنا فقرنا) هذا كقولهم قرأت النحو بابا بابا وهو حال بتأويل مرتبا ولم يذكره النحاة مغطوفا وكانه الحامل لبعض الشراح على جعله معمولا لحال مقدرة والفاء للتركيب فى الوجود أو الفضل نحو خذ الاكمل فالاكمل ومنه والصافات صفا فالزاجرات زجرا وهذا قريب من قول ابن الرومى

كم من أب قد علا بابن ذوى شرف * كما علا برسول الله عدنان

(حتى كنت من القرن الذى كنت فيه) قيل حتى غاية لبعثه وأراد به تقلبه فى اصلاب آبائه من ابراهيم عليه السلام ثم من نابت بالنون ابن اسمعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر ثم من عبد الله بن عبد المطلب ثم أيد هذا الحديث رواه البيهقى مسندا فى دلائله والترمذى وحسنه وهو ما أشار اليه بقوله (وعن العباس رضى الله تعالى عنه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق) أى المخلوقات كلها من انس وملك وجن (فجعلنى من خيرهم) أى أوجدنى وصيرنى من خير جنس منهم وهم الانس وهم خير نوع وهم العرب ومن خير قرن وهو قرنه صلى الله تعالى عليه وسلم وقرن أصحابه فلذا أبدل منه قوله (من خير قرنهم) بدل بعض من كل (ثم تخير القبائل) أى اختار من قرنه خيارهم أى أشرفهم (فجعلنى من خير قبيلة) من العرب وهم قريش والقبيلة واحدة القبائل الجماعة من أب واحد والقبيل بغير هاء بنو آباء مختلفة أو هو أعم وقد يكونان بمعنى والقبيلة تحتوى على جماعات من آباء منتسبة للأب الاول تسمى بيوتا وبطونا لانهم من بطن واحدة ويجمعهم بيت واحد وأصل البيت المسكن الذى يبيتون فيه فاطلق على أهله وصار حقيقة فيهم فلذا قال (ثم تخير البيوت) بضم الباء ويجوز كسرها (فجعلنى من خير بيوتهم) يعنى بنى هاشم وقيل المراد بالبيت هنا الشرف أى تخير الله جهات الشرف وأسبابه المقتضية له واختار لى أعلاه والاشرف والاول هو الموافق للغة نعم البيت يخص بمن له شرف (فانا خيرهم) أى جميع من ذكر (نفسا) أى روحا وذاتا (وخيرهم بيتا) أى حسبا وشرفا وأصلا وفيما ذكر اشارة الى الطبقات الست من الناس فان العرب كما تقدم تقسم الناس لشعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة كل طبقة تجمع مابعدها وما قيل من انه لايلزم من كونه خيرهم بيتا ان يكون هو خير المشاركة أهل البيت له فى شرفه والجواب ان المراد انه خيرهم بالقياس الى غير بيته لاالى

اذا ذهب القرن الذى أنت منهم وا وخلفت فى قرن فانت غريب والمراد بالبعث تقلبه فى اصلاب آبائه أبافأبا كانتقاله من نابت بالنون بن اسمعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر ثم من عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم ولله در القائل كم من أب قد علا بابن ذوى شرف كما علا برسول الله عدنان (وعن العباس) كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة والترمذى وحسنه (قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق) أى انسانا وملائكة وجنا ويحتمل تخصيصه بالثقلين (فجعلنى من خيرهم) أى فتخيرهم وجعلنى من خيرهم وهم الانس (من خير قرنهم) بصيغة الافراد وهو بدل مما قبله (ثم تخير القبائل) أى اختارهم (فجعلنى من خير قبيلة) أى من العرب وهم قريش (ثم تخير البيوت) أى البطون (فجعلنى من خير

كل

بيوتهم فانا) أى بفضل الله على ونظر لطفه فى سابق علمه الى (خيرهم نفسا) أى ذاتا اذ خلقنى خاتم النبوة وتمم بى دائرة الرسالة وجعلنى مدار الوجود ومظهر الكرم والجود (وخيرهم بيتا) أى مكانا فى النسب والحسب من جهة الام والاب

كل واحد من أهل بيته ليس بشئ لانه لو كان كذلك لم يصح تقريعه على كونه خيرهم نفسا فهذا كقولهم فلان من العلماء وهو أمدح من قولهم عالم كما قرره أهل المعانى لسوق فضله وخيرته مساق المعلوم المسلم وبيان عراقته واصالته فى ذلك كقوله تعالى وكانت من القانتين كما مر (وعن واثلة بن الاسقع) رضى الله تعالى عنه وفى التذكرة فى رجال الكتب العشرة لابى المحاسن العلوى واثلة بمثلثة ولام ابن الاسقع ابن كعب بن عامر أبو الاسقع ويقال أبو قرصافة الليثى أسلم قبل تبوك وشهدها وكان من أهل الصفة وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعن أبى مرثد الغنوى وأبى هريرة وأم سلمة رضى الله تعالى عنهم وروى عنه بناته ومكحول وجماعة قالوا مات سنة ثلاث وثمانين وعمره مائة وخمس سنين وقال البرهان خمس وتسعون سنة وخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين وذكر نسبه مخالفا لما ذكرناه فقال ابن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن عبرة بن سعد بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وقيل ابن عبد الله وقيل غير ذلك والاسقع بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح القاف فعين مهملة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى) أى اختار وارتضى (من ولد ابراهيم اسمعيل عليهما الصلاة والسلام) فهو أفضل أولاده وكان له غير اسمعيل واسحق ستة أولاد من قنطورا (واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة) قال السهيلى ولاسمعيل بنون ذكر أسماهم ابن اسحق وهم اثنى عشر منهم نابت بالنون كما تقدم وهو جد كنانة وبينهما ثلاثة عشر أبا وسمى بكنانة السهام التى تسمى جعبة ولقب به وحكى أبو حاتم عن الاصمعى ان رجلا وقف عليه مع أخيه أسد يسلخان جزورا لهما فقال الرجل ماجلاء الكاشطين فقال له خابئة المصارع وهصار الاقران فقال يا كنانة ويا أسد أطعمانى من جزوركما فاطعماه فكنى له الرجل عن كنانة بخابئة المصارع يعنى السهام لانها تصرع ما أصابته وروى المصادع بالدال بدل الراء جمع مصدع والهصر من صفات الاسد وجلاء بكسر الجيم والمد أى ما اسمهما الذى يكشف اللبس عنهما والكشط بمعنى السلخ والولد صفة مشبهة جرى مجرى الاسماء يشمل الواحد وغيره (واصطفى من بنى كنانة قريشا) ولد كنانة لصلبه النضر واه أربعة أولاد ومن ذريته قريش وأول قريش فى الاصح فهر بن مالك بن النضر وقيل النضر أول قريش واختلف هل قريش اسم أو لقبه واسمه فهر وبه جزم العراقى فى ألفية السيرة ويطلق قريش على بنيه فيصرف ولا يصرف باعتبار القبيلة كما يقال تميم وربيعة وكذا النضر فن لم يكن من ولد النضر ليس بقرشى قال الشعبى رحمه الله تعالى النضر ابن كنانة هو قريش وانما سمى قريشا لانه كان يتقرش عن ارباب الحاجات ليقضى حوائجهم والتقريش التفتيش وقيل التقرش التجمع فسموا به لتجمعهم فيكون اسما للقبيلة ولذا جاز منع صرفه كما علم وقيل هو اسم سمكة عظيمة سمى به القبيلة لانه كان يأكل السمك ويقهرها فسمى به القبيلة أو أبوها لشدتهم وتصغيره للتعظيم قال الشاعر

وقريش هى التى تسكن البحر * وبها سميت قريش قريشا

(واصطفى من قريش بنى هاشم) واسمه عمرو وهو علم منقول من معان منه العمر بالضم واحد عمور الاسنان وهو اللحم المطيف بها وهاشم اسم فاعل من هشم بمعنى كسر سمى به لانه هشم الثريد لقومه فى سنة مجدبة قال

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

أو كان يهشمه للحاج وهذا الشعر لمطرود بن كعب الخزاعى والقافية مرفوعة وتوارد مع عبد الله بن الزبعرى فى قوله

يا أيها الرجل المحول رحله * الانزلت بآل عبد مناف

الخالطين غنيهم بفقيرهم * والقائلين هلم للاضياف

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * قوم بمكة مسنتين عجاف

(وعن واثلة) بمثلثة مكسورة (ابن الاسقع) وهو من أرباب الصفة وضبط بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح قاف فعين مهملة وقال التلمسانى بالسين والصاد ويجوز الزاى كما رواه مسلم والترمذى واللفظ له (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم) قيل هو معرب أب رحيم والولد بفتحتين أو بضم فسكون أى اختار من أولاده وكانوا ثلاثة عشر (اسمعيل) اذ كان نبيا رسولا الى جرهم وعماليق الحجاز وأغرب التلمسانى حيث قال اسمعيل باللام والنون (واصطفى من ولد اسمعيل) وكانوا اثنى عشر ولدا على ماذكره ابن اسحق (بنى كنانة) وهو بكسر الكاف ابن نابت وبين كنانة ونابت فيما ذكر ابن اسحق ثلاثة عشر أبا (واصطفى من بنى كنانة) وكانوا أربعة منهم النضر (قريشا) وهم أولاد النضر روى ان فى الرجل من قريش قوة أربعين من غيرهم (واصطفى من قريش بنى هاشم) اسمه عمرو وسمى بذلك لانه أول من هشم الثريد لقومه وأضيافه من الحجاج وغيرهم فى سنة القحط

(واصطفانى من بنى هاشم) أى ابن عبد المطلب بن هاشم (قال الترمذى وهذا حديث صحيح) أى اسناده قال المنجانى وقد خرجه مسلم فى صحيحه (وفى حديث عن ابن عمر رواه الطبرانى) أى محمد بن جرير أحد الاعلام وصاحب التصانيف من أهل طبرستان وسمع خلائق وأخذ القراءة عن جماعة توفى سنة عشر وثلاثمائة وكذا الطبرانى فى معجميه الكبير والاوسط (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه) أى تخيرهم وقيل أوجدهم لان المختار عند المتكلمين هو الفاعل لا على سبيل الاكراه (فاختار منهم بنى آدم ثم اختار بنى آدم) أى تنقاهم (فاختار منهم العرب ثم اختار العرب) أى انتقدهم (فاختار منهم قريشا) وهم أولاد النضر بن كنانة وسموا قريشا لان قصيا قرشهم أى جمعهم فى الحرم بعد ما كانوا متفرقين (ثم اختار بنى هاشم فاختارنى) أى منهم (فلم أزل خيارا من خيار الا) للتنبيه على تحقيق ما بعده من الامر النبيه (من أحب العرب فبحبى) أى فبسبب حبه اياى (أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى) أى فبسبب بغضه اياى (أبغضهم) والمعنى انما أحبهم لانه أحبنى وانما أبغضهم لانه أبغضنى فثبت بذلك قول بعض المالكية من سبهم وجب قتله لكن قد يقال المعنى فبسبب حبى وبغضى اياهم أحبهم وأبغضهم لا بسبب آخر فمن أحبهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعينى من أهل الايمان يجب محبتهم ومن أبغضهم من أهل العدوان يجب عداوتهم وأما الطعن فى جنس العرب فهذا محل بحث وسيأتى

وخلط الرواة فى الشعرين فزعموا انه أقوى وليس كذلك (واصطفانى من بنى هاشم) هذا الحديث رواه مسلم والترمذى وما قاله المصنف رحمه الله تعالى هو بلفظه فى الترمذى ولفظ مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وفيه دليل على تفاضل العرب فيما بينهم الا انهم اختلفوا فى التفاضل بين قريش على ما فصله الفقهاء فى باب النكاح فى أحكام الكفاءة وقد تبرع بعضهم هنا ولا داعى له (قال الترمذى وهذا حديث صحيح) ونقل المزى عنه انه قال انه حديث صحيح غريب (وفى حديث عن ابن عمر رضى الله عنهما) رواه الطبرانى فى الاوسط بسند حسن و (رواه الطبرى) هو الامام الفرد الحافظ بن جرير أبو جعفر أحد الاعلام صاحب التصانيف المشهورة من أهل طبرستان كان كثير الطواف والعبادة وسمع من محمد ابن الشوارب والسكونى واسحق بن اسرائيل وغيرهم وأخذ القراآت عن جماعة وروى عنه كثير توفى سنة عشرة وثلاثمائة ودفن بداره وولد سنة أربع وعشرين ومائتين وترجمته مشهورة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه) أى أراد أن يخلق خلقه ويوجدهم فلما أوجدهم تخيرهم (فاختار منهم بنى آدم) وقيل اختار خلقه بمعنى اختار منهم ففيه حذف وايصال وقوله فاختار الى آخره بيان له وكذا قوله (ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب) وهم الجيل المعروفون كما تقدم وقيل معناه ميز بنى آدم من بينهم عن غيرهم ثم اصطفى من بنى آدم على غيرهم أو معناه فاصطفى من بينهم بنى آدم ثم دام على اصطفائه اياهم وكثيرا ما تضمن الافعال معنى الدوام نحو يا أيها الذين آمنوا آمنوا والا فلا معنى لاصطفائهم واختيارهم مرة بعد أخرى وليس العرب كلهم من ولد اسمعيل كما قاله بعضهم فانه قول غير صحيح لشهرته لا حاجة لذكره (ثم اختار العرب) أى بطنا من خيارهم ليزيده لطفا (فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بنى هاشم ثم اختار بنى هاشم فاختارنى منهم فلم أزل خيارا من خيار) أى لم أزل من أصل مبدئى وأصولى الى ان أنشأنى الله خيار المخلوقا من خيار وشريفا من شريف (الا) حرف استفتاح وتنبيه على ما علم مما قاله وتحقيق لما بعده (من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم) الظاهر ان الباء للسببية أى من أحبهم بسبب محبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ولمحبته فان من أحب أحدا يحب لاجله قومه وأصوله وكذا البغض وهو عدم المحبة ولا يكمل ايمان المرء حتى يكون الله ورسوله أحب اليه من نفسه ونقل عن بعض المالكية ان من سبهم وجب قتله قيل وهذا ينبغى أن يقيد بالحيثية فانه ملاحظ فى كثير من القضايا أى من حيث كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منهم أو من حيث انهم عرب لا من أبغضهم أو ذمهم لامر آخر كقوله تعالى الأعراب أشد كفرا ونفاقا ويدل عليه حديث أحب العرب لثلاث لانى عربى والقرآن عربى ولسان أهل الجنة فى الجنة عربى والمراد الحث على محبتهم وقد صنف العراقى رحمه الله تعالى كتابا فى هذا سماه نيل القرب فى محبة العرب وفى هذا رد على الشعوبية وهم قوم يفضلون العجم على العرب ولهم أدلة على مقالتهم بينوها وما عليها أو أوردوا الاحاديث الموضوعة نصرة لهم منها ان الله تعالى اذا تكلم بالرضاء تكلم بالفارسية واذا تكلم بالغضب تكلم بالعربية وفى الشرح الجديد الاحاديث الواردة فى فضل اللغة الفارسية كلها موضوعة وفضلهم فى الكرم والشجاعة والحلم والعلم أكثر من أن يحصى وقيل ان أبا عبيدة كان شعوبيا وصنف كتابا فى مثالب العرب وقد قيل انه كذب عليه * فان قلت ان تقديم المتعلق أعنى بحبى وببغضى يقتضى الحصر ومحبتهم لشرف نسبهم وحسبهم وما فيهم من الامور المحمودة لا يتوقف على محبته صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت ان كانت الباء للآلية الادعائية كما فى نحو نظرت

تحقيقه (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) على مارواه ابن أبي عمر والعدنى فى مسنده (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

بعينى وسمعت باذنى فلا اشكال لان المعنى من أحبهم أو أبغضهم فينبغى أن يحبهم بمثل حبى و يبغضهم بمثل بغضى وهو الحب فى الله والبغض فى الله وان كانت للسببية فالمراد انه بسبب حبى يحبهم لا للعصبية وأمور الجاهلية فتدبر قلت وهذا الحديث رواه أيضا البيهقى عن محمد بن ذكوان عن عمرو بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما قال انا لقعود بفناء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مرت امرأة فقال بعض القوم هذه ابنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أبو سفيان مثل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى بنى هاشم مثل الريحانة فى وسط النتن فانطلقت المرأة فأخبرت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء يعرف فى وجهه الغضب فقال مابال أقوام يبلغنى عنهم مايبلغنى ان الله عز وجل خلق الخلق واختار من الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختارنى من بنى هاشم فانا خيار من خيار الى خيار فمن أحب العرب الى آخره وقوله (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما قال السيوطى هذا الحديث رواه ابن أبى عمر العدنى فى مسنده (ان قريشا) بفتح همزة ان المشددة وأصدر مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (كانت نورا بين يدى الله تعالى) هو مستعار عما بين الجهتين المسامتتين لثدى الانسان لانهم من الله بمنزلة توجب اجلالهم ومحبتهم تفخيما لشأنهم وحثا على محبتهم وقيل انه كناية عن غاية القرب من محل رضاه كما يقال فلان بين يدى الملك وان كانت الحقيقة هنا متعذرة فهو مجاز متفرع على الكناية كما فى قوله لا ينظر الله الى فلان كما فى شرح المفتاح (قبل أن يخلق آدم عليه الصلاة والسلام بالفى عام) هو على حقيقته أو المراد طول المدة أى قبل أن يظهره فى عالم الشهادة ثم بين حكمة اظهاره بقوله (يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة) اقتداء (بتسبيحه) أى بتقديسه وتنزيهه لله والمراد بكون قريش نورا أرواحها أو ان الله تعالى مثلها بهذا المثال وأبرز صورها فى الملأ الاعلى تسبحه ليعلم أنها بشرية ملكية ولذا قال الله تعالى لهم لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون يعنى أنهم سبحوا قبل ما سبحتم فى الازل فهم لم يعلموا بذلك لانهم ظنوا ان تلك الانوار ملكية صرفة وكان نور محمد صلى الله عليه وسلم مدرجا اذ ذاك فى أصواء من قريش وغيرهم بحملة أصلابه المسبحة وان لم يشعروا به وان من شئ الا يسبح بحمده (فلما خلق الله) جسم (آدم عليه الصلاة والسلام ألقى ذلك النور فى صلبه) والصلب والصالب عمود الظهر و يقال بضم الصاد وفتحها أى أودعه فيه كما سيأتى تحقيقه ثم فصله بقوله (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاهبطنى الله الى الارض فى صلب آدم) أى أنزل نورى الذى فى صلبه الى الارض (وجعلنى فى صلب نوح) أى نقل نورى من صلب آدم عليه الصلاة والسلام الى صلب نوح صلى الله تعالى عليه وسلم وقال (وقذف بى فى صلب ابراهيم) عليه الصلاة والسلام ولم يقل جعلنى لما بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام من البعد لان القذف الرمى من بعيد وأصله الرمى بالحجارة يقال هم ما بين حاذف وقاذف والحذف رمى العصا (ثم لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الكريمة) يعنى أصلاب أجداده عليه الصلاة والسلام (والارحام الطاهرة) من خبث الزنا وغيره ووصف الاصلاب بالكريمة والارحام بالطاهرة فى غاية الحسن لانها مقر الطمث والدم والنطف والارحام جمع رحم وهو وعاء الولد ويطلق على القرابة (حتى أخرجنى من بين أبوى) أى بين أبى وأمى على التغليب المشهور واخراجه من بينهما تولده منهما وخلقه من نطفتهما (لم يلتقيا على سفاح قط) جملة حالية والسفاح الزنا من سفح الماء ونحوه من المائعات اذا أراقه أى لم يجتمعا على زنا ولم تلق نطفة أحد من أبويه وآبائه فى غير الارحام الطاهرة من الزنا ونكاح الجاهلية كما مر وقدمر انها التعميم الازمنة الماضية يقال ما رأيته قط بفتح القاف وضمها وتشديد الطاء وبفتح القاف وتخفيف الطاء المضمومة واذا كانت بمعنى

كانت روحه) وفى أكثر النسخ ان قريشا أى من حيث هو فيهم كانت (نورا بين يدى الله تعالى) أى مقربا عنده سبحانه وتعالى (قبل أن يخلق آدم بالفى عام يسبح ذلك النور) أى قبل عالم الظهور (وتسبح الملائكة بتسبيحه) أى بسببه أو بما يقوله من تسبيحه على طبقه ووفقه (فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور فى صلبه) بضم فسكون وفى القاموس بالضم وبالتحريك هو عظم من لدن الكاهل الى العجب وقال التلمسانى هو عمود الظهر ويقال بضم الصاد وفتحها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فاهبطنى الله عز وجل الى الارض فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح) أى بعدما كان فى صلب شيث وادريس (وقذف بى) أى بعد ذلك (فى صلب ابراهيم) أى من صلب سام بن نوح (ثم لم يزل الله تعالى ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى أخرجنى) أى أظهرنى (من) وفى نسخة بين (أبوى لم يلتقيا) أى أبواى من آدم وحواء الى عبد الله وآمنة (على سفاح) بكسر السين أى على غير نكاح (قط) أى أصلا وقطعا

(ويشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس) وهو قوله من قبلها طبت فى الظلال الخ (المشهور فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كما سيأتى فى كلام القاضى ※(فصل)※ (وأما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه) أى مما بيناه فيما تقدم أول الباب من فضائله فيه (فعلى ثلاثة ضروب) وفى بعض النسخ اضرب أى على ثلاثة أنواع أو أصناف (وضرب الفضل) أى هو الفضل ويجوز فيه الاضافة (فى قلته) وهو الذى أورده هنا (وضرب الفضل فى كثرته) أورده فى فصل ثان (وضرب تختلف الاحوال فيه) ذكره فى ثالث (فاما) أى ضرب (التمدح والكمال بقلته اتفاقا) أى بين العلماء والحكماء من العرب والعجم وغيرهم من العقلاء (وعلى كل حال) أى وفى قلته على كل حال باصل الخلقة أو بحكم المجاهدة (وعادة وشريعة) أى عقلا ونقلا أو عادة وعبادة (كالغذاء) بكسر المعجمة الاولى ما يتغذى به من الطعام والشراب وهو أعم من الغداء بفتح المعجمة والدال المهملة وهو ما يؤكل أول النهار كما ان العشاء بالفتح ما يؤكل بعد الزوال الى العشاء بالكسر فتجويز الدلجى ضبطه بالمعجمة والمهملة من المهمل الذى ليس فى محل المستعمل وكذا قول اليمنى وأما الغداء بفتح الغين المعجمة والدال المهملة فهو الطعام بعينه وهو خلاف العشاء انتهى مع ما فيه من التناقض بين قوله هو الطعام بعينه وبين قوله وهو خلاف العشاء (والنوم) أى وكالنوم (ولم تزل العلماء والعرب) أى من العقلاء (والحكماء) أى منهم ومن غيرهم من القدماء (تتمادح) أى تتفاخر (بقلتهما وتذم) أى وتتعايب (بكثرتهما) أو التقدير تذم التقييد بكثرتهما وفى نسخة وتذم كثرتهما (لان كثرة الاكل والشرب) بتثليث الشين والضم ثم الفتح أشهر وأما الكسر ففى معنى النصيب أكثر (دليل على النهم) بفتحتين أى الافراط فى مثلث

حسب فبفتح وسكون (ويشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس) رضى الله تعالى عنه عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه اشتمل على معناه (فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو الشعر المشهور الذى أوله

من قبلها طبت فى الظلال وفى ※ مستودع حيث يخصف الورق

الابيات وستأتى بتمامها مع الكلام عليها وقد قيل انها لحسان رضى الله تعالى عنه والصحيح الاول وان ذهب ابن عساكر فى تاريخه الى الثانى فى حديث أخرجه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الا انه ضعيف جدا قيل وهذا موضع بحث لانه ان أراد بكونه شاهدا لصحته متنا وسندا فهو غير لازم وان أراد به صحة معناه فهو غير مفتقر له لان كثيرا من الاحاديث دلت عليه وانتقاله عليه الصلاة والسلام من صلب آدم عقلى أيضا وفيه نظر

※(فصل)※ (وأما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه) فيما تقدم أول الباب وتدعو بمعنى تقتضيه ويلزم حتى كأنه تطلبه منه فهو استعارة فى الاصل وضرورة الحياة ما لا بد منه فيها مما يضطر الحى اليه (فعلى ثلاثة ضروب) جمع ضرب وهو القسم والنوع من الشئ وفى بعض النسخ فعلى ثلاثة ضرب وفى بعضها اضرب بجمع القلة وهو أنسب بالثلاثة والاولى لان الجمعين يقام كل منهما مقام الآخر كثيرا كقوله تعالى ثلاثة قروء وفيه تفصيل ليس هذا محله (ضرب الفضل فى قلته وضرب الفضل فى كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه) وأفرد لكل منها فصلا كما سيأتى (فاما التمدح) أى حسنه بحيث يستحق المدح به وليس المراد به التكلف كتحلم (والكمال بقلته اتفاقا) شرعا وعادة كما بينه بقوله (وعلى كل حال عادة وشريعة) والمراد بالعادة ما اعتاده الناس مما يؤدى اليه العقل اذا خلى نفسه وطبعه والشريعة ما أمر به الشارع ونهى عنه مما تضمنه الوضع الالهى السائق لذوى العقول باختيارهم الى الامر المحمود (كالغذاء والنوم) الغذاء بكسر الغين وفتح الذال المعجمتين وبالمد كل مأكول ومشروب به قوام البدن مطلقا وأما بفتح المعجمة ودال مهملة فما يؤكل فى أول النهار كما مر والنوم معروف (ولم تزل العرب والحكماء) أراد بالحكماء حكماء اليونان والهند والفرس ونحوهم ولذا قابلهم بالعرب وهم يمدحون قلة النوم والسهر بما لا مزيد عليه قال فى هياكل النور النفوس الناطقة من جواهر الملكوت وانما يشغلها عن عالمها القوى البدنية ومشاغلها وضعف سلطان القوى البدنية بتقليل الطعام وتكثير السهر فيتخلص أحيانا الى عالم القدس ويتلقى منه المغيبات (تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما) تتمادح كتتفاخر لفظا والمقصود الكثرة لا التفاعل وخص العرب لانهم أكثر الناس مدحا للذين بخلاف غيرهم كالروم والعجم فانهم يفتخرون بكثرة الاطعمة ونفاستها ولهم حرص عليها وذكر الحكماء منهم ومن غيرهم ومر ذلك لاعتنائهم بالرياضة وقلة التنعم فى كل مأكل ومشرب مع سداد عقولهم وصفاء اذهانهم واعتنائهم بمهمات أمورهم وعباداتهم وهو ظاهر وورد فى الحديث أبغضكم الى الله تعالى كل نوم وقال عيسى عليه الصلاة والسلام للحواريين أجيعوا بطونكم لعلكم ترون ربكم بقلوبكم وقالوا البطنة تذهب الفطنة والاحاديث فى هذا أكثر من ان تحصى وقال الله تعالى والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام (لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم) بفتح النون والهاء وهو الافراط فى شهوة الطعام ومنه الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال والشرب

مثلث الشين (والحرص والشره) أي الحرص على الاكل والشرب والشره بفتح الشين المعجمة والراء المهملة والهاء زيادة الحرص ففيه ترقي (وغلبة الشهوة) المراد غلبة شهوته للطعام على تحمله وصبره وعقله فيما فيه صلاحه فليس في كلامه تكرار وهذه كلها صفات مذمومة كما ورد في الحديث الحرص والشره داء عضال والحريص أسير شهوته وعبد بطنته والحرص توأم الحسد وهو هادم الجسد والحرص قد يكون محمودا اذا كان في محمود وقال الله تعالى حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وانما يمدح قلة الغذاء والنوم اذا لم يفرط حتى تؤدي لضرر بلا ضرورة كما قال

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم

ثم ان ترك من ابتلى بذلك اذا عسر عليه ينبغي قطعه بالتدريج كما في منظومة ابن سينا

وكل عادة تضر أهلها * فاقطع بتدريج الزمان أصلها

وقوله (مسبب لمضار الدنيا والآخرة) خبر بعد خبر لان وهو بكسر الباء المشددة اسم فاعل ولم يقل سبب مع انه أخف وأظهر لانه أمر مباح لا ضرر فيه دنيوي ولا أخروي بل ربما يترتب عليه نفعهما كرامة البدن والقيام بعده للعبادة كمن لو لم ينم أول الليل لم يدرك صلاة الصبح فحيث انه ترتب عليه نفع تارة وضر أخرى علم انه ليس سببا بل قد ينشأ عنه سبب ضررهما فهو مسبب لا سبب فان النوم قد يكون منه ترك الصلاة وهو سبب لضرر الآخرة والاكل يكون منه الامتلاء وهو سبب للسدة والسل والشرب بعد النوم يورث الامراض وقيل انه بمعنى السبب هنا المفضي الى المسبب بالفتح والفضل للتقدم فمعنى مسبب موجد للاسباب وهذه الشهوة والحرص عليها يؤدي الى جلب المال وكذا حب المال وكذا حب الدعة والراحة قد يترتب عليه مفاسد كما قال الشاعر

وانك ان أعطيت بطنك همه * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

ويقع في بعض النسخ وغلبة الشهوة مسبب برفعها على انه مبتدأ وخبر وليس بشيء لان غلبة الشهوة ليس سببا للمضار وانما سببه الاكل والشرب كما قاله الانطاكي ثم أشار المصنف رحمه الله تعالى الى ذلك على طريق اللف والنشر فقال (جالب لادواء) جمع داء (الجسد) أي أمراضه واسقاطه كما هو مشاهد وقال

فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

فهذا راجع لكثرة الاكل والشرب اذ بهما تمتلئ المعدة والعروق بالدم وتزيد الاخلاط فيتولد منها الامراض واجتمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي عند الرشيد فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء معه فقال الهندي هو الاهليلج الاسود وقال الرومي حب الرشاد الابيض وقال العراقي الماء الحار فقال السوادي وكان أعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرققها وهذا داء والماء الحار يرخيها وهذا داء فقالوا فما هو قال ان لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وترفع يدك وأنت تشتهيه وفي الطب النبوي في معناه أحاديث كثيرة نحو صوموا تصحوا (وخثارة النفس) بفتح الخاء المعجمة والمثلثة والراء المهملة عند ابن رسلان وبضم الخاء عند برهان الحلبي والاول هو الظاهر لموافقته القياس كالكفالة والضلالة قال ابن الاثير هو ثقل النفس وعدم نشاطها والظاهر أنه راجع لكثرة النوم فانه يورث لا سيما بالنهار ضعفا للبدن ووقع في بعض النسخ خسارة بالسين وهو تصحيف وتحريف من الكاتب وهو مجرور معطوف على الادواء وكذا قوله (وامتلاء الدماغ) بأبخرة رطبة تتصاعد عند النوم ترخي أعصاب الدماغ وتضعفه وتذهب صفاء الذهن وتورث البلادة وقلة الحفظ ويصح رجوع هذا وما قبله للجميع لكن

شهوة الطعام (والحرص) أي على جمع المال لنيل المنال أو على طول الحياة لحصول اللذات (والشره) بفتحتين أي غلبة الحرص وقيل هو ان يأكل نصيبه ويطمع في نصيب غيره فهما مجروران عطفا على النهم بفتحتين للتفسير والتأكيد ثم قوله (وغلبة الشهوة) مبتدأ خبره قوله (مسبب) بكسر الباء والمسبب في الحقيقة هو الله تعالى فكان الاولى ان يقول سبب أي أمر موجب وباعث مجتلب (لمضار الدنيا والآخرة) وفي بعض النسخ ضبط الحرص والشره وغلبة الشهوة كلها بالرفع فيكون مسبب خبرا ثانيا لان ويؤيده قوله (جالب) بلا عاطف وليس كما قال الدلجي عطف على دليل أو مسبب ثم المعنى جاذب ومكسب (لادواء الجسد) جمع الداء بمعنى المرض (وخثارة النفس) بضم الخاء المعجمة أي ثقلها بلا طيب ونشاط (وامتلاء الدماغ) وهو أعلى الرأس من القحف أي من رطوبات الابخرة متصاعدة تورث استرخاء أعضائه الذي به النوم الذي يفوت خيرا كثيرا

(وقلته) عطف على كثرة الاكل وهو اسم ان أو على محلها أى قليل من الاكل (دليل على القناعة) أى الرضى باليسير والتسليم للقسمة (وملك النفس) بكسر الميم أى وعلى قدرتها وحكمها على قمعها ومنعها من الميل الى الشهوات وأتباعها (وقمع الشهوة) بالرفع مبتدأ خبره (مسبب للصحة) وجوز الدلجى جره عطفا على ماقبله فيكون مسبب خبرا ثانيا لقلته وهو بعيد لفظا ومعنى وجوز الحجازى رفع ملك النفس أيضا فتأمل والمراد من الصحة صحة الظاهر وهو الجسد من الآلام والاسقام لان التخمة أصل كل علة (وصفاء الخاطر) أى وسبب لخلوص الباطن من الكدورات المتولدة بانهماك النفس فى المستلذات (وحدة الذهن) أى لذكائه وهى شدة قوة للنفس معدة لاكتساب الآراء ٤٣٨ المستقيمة (كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة) بضم الفاء والسين المهملة أى الرذالة وفتور النفس (والضعف) بالضم والفتح أى ضعف البنية) وعدم الذكاء والفطنة) أى وعلى عدمها وقوله (مسبب) خبر ثان لان أو عدم الذكاء مبتدأ خبره مسبب (للكسل) أى الملالة فى الطاعة (وعادة العجز) أى وتعود العجز عن القيام بالعبادة روى ان من خصائصه عليه الصلاة والسلام انه كان لا يتثاءب ولا يتمطى لانهما من عمل الشيطان (وتضييع العمر) بضمهما ويسكن الثانى (فى غير نفع) أى بلا منفعة حقيقة لان النفس اذا توجهت الى معرفة شئ ومزاولة عمل ولم تجد لها آلة تساعدها من صدق تخيل وصحة فكر وتأمل وجودة حفظ وتعقل لفقد اعتدال المزاج بسبب كثرة الاكل والنوم فترت همتها عن العلم والعمل واعدادها الكسل مع حصول عجز البدن عن وصول الامل واضاعة العمر فى غير نفع مدة الاجل (وينقل (وقساوة القلب) أى وفى شدته وغلاظته (وغفلته) أى اهماله وتركه عن تحصيل منفعته (وموته) أى وموت قلبه لان حياته بذكر ربه وفكر حبه (والشاهد على هذا) أى والدليل الظاهر على ماذكرناه من ان كثرة الاكل والنوم تورث ماقدمناه (مايعلم ضرورة) أى بديهة باوائل الفطرة من غير حاجة الى الفكرة كالعلم بجوع النفس وعطشها وقبضها وبسطها وكالعلم بان الواحد نصف الاثنين والاثنين أكثر من واحد ونصب ضرورة على التمييز (ويو[illegible]مشاهدة) أى معاينة منا ومن غيرنا وهى منصوبة على المفعولية

يأباه مابعده من قوله (وقلته دليل على القناعة) بالنصب عطفا على كثرة الاكل ويجوز رفعه على الابتداء لان من اعتاد قلة الاكل يقنع باليسير فاستراح واستغنى عن الناس فعز وتخلى للعبادة وكان من رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (وملك النفس ٢) معطوف على القناعة أى ملك نفسه الامارة فلا تعصيه لانه اذا شبع عصته نفسه وتحركت شهوته كما قال ذو النون رحمه الله تعالى ماشبعت الا همت بمعصية والجوع يقمع الشهوات (وقمع الشهوة) معطوف على القناعة والقمع القهر أى قهر شهوته وغلبها وأضعفها حتى لاتخالفه ومابعده خبر مبتدأ مقدر والظاهر أنه مبتدأ خبره (مسبب) بكسر الباء كما تقدم (للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن) الخاطر يطلق على مايخطر على القلب من الافكار ويطلق على القلب نفسه وصفاؤه من الكدورة بحسب فهمه والذهن قوة الفهم وحدته سرعته وهذا يكون عند الجوع أقوى وأصفى وبه يصل للمعارف الربانية ويلتذ بالمناجاة والاذكار والعبادة وقال الجنيد يجعل أحدكم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة وهذا كله راجع للاكل ومابعده لما بعده والحدة بكسر الحاء القوة كبعثة (كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة) بضم الفاء والسين المهملة واللام وهى الرذالة وعدم الهمة فى أمور الدنيا والآخرة

فيانائم الليل هنيته ✽ فقبل الممات سكنت القبورا

لانه يميت القلب ويورث الكسل ولا يصح أعجامه وان كان بمعنى الجبن لعدم مجىء مصدره على فعولة (والضعف) أى ضعف القوى والادراك (وعدم الذكاء والفطنة مسبب) هما متقاربان أو الفطنة الفهم والذكاء سرعته فقدم نفى الاخص على نفى الاعم ليفيد المبالغة على قاعدتهم فى الترقى فيه وعدم الذكاء مرفوع مبتدأ وخبره مسبب كما فى الاصول والاظهر جره عطفا على ماقبله فمسبب خبر بعد خبر كما مر (للكسل وعادة العجز وتضييع العمر فى غير نفع) اما كون كثرة النوم سببا للتوانى عن فعل المهم فلتغفل الحواس فيه وارتخائها [illegible] فاذا ألف ذلك عجز وضاع عمره بلا فائدة كما قال

أليس من الخسران أن لياليا ✽ تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

فمثله لايعد عمرا الا انه ماعمر الانسان أحد داريه

اذا كان رأس المال عمرك فاحترس ✽ عليه من الانفاق فى غير واجب

(وقساوة القلب وغفلته وموته) لعدم قبوله الموعظة بسبب غفلته به عما يهمه وموته بعدم ادراكه لانه صفة تبطل الحس والارادة كالموت واليه الاشارة بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية فالنوم أخو الموت (والشاهد على هذا) أى الدليل عليه وانهما يورثان ماذكر (مايعلم ضرورة) أى يعلمه كل أحد عاما بديهيا ضروريا (ويوجد مشاهدة) منه ومن أمثاله

(٢) وقد وقع فى بعض النسخ قوله بكسر الميم كذلك فى ابن اقبرس والشرح لم يتعرض لذلك فاقتضى صيغته انه مثلثة وهو كذلك

(وينقل) أى يروى الينا ممن سبق علينا (متواترا) أى نقلا متتابعا مرة بعد مرة وفى الاصطلاح خبر أقوام عن أمر محسوس يستحيل عادة تواطئهم على الكذب (من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين) أى السابقة كقول الحارث بن كلدة أفضل الدواء الازم يريد قلة الاكل والحمية وقول بعض الحكماء خصلتان يقسو بهما القلب كثرة الاكل و كثرة الكلام وقول داود لابنه سليمان عليهما السلام اياك و كثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج الناس الى أعمالهم (واشعار العرب وأخبارها) ومن الاول قول الاعشى

تكفيه حذة لحم ان ألم بها * من الشواء وتروى شربة الغمر

ومن الثانى قول قس بن ساعدة وقد قال له قيصر ما أفضل الاكل قال ترك الاكثار منه قال فما أفضل الحكمة قال معرفة الانسان قدره قال فما أفضل العقل ٤٣٩ قال وقوف الانسان عند علمه (وصحيح الحديث) كما سيأتى (وآثار من سلف وخلف) أى من الصحابة والتابعين كما سيجئ (مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه) أى لكونه مما لا يخفى (وانما تركنا ذكره هنا اختصارا) أى فى اللفظ (واقتصارا) أى فى المعنى (على اشتهار العلم به) أى بناء واعتمادا على شهرته لكمال كثرته (وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخذ من هذين الفنين) أى النوعين من الغذاء والنوم (بالاقل) أى بالحد الاقل الذى لا يجوز التجاوز عنه ويجب الانتفاع به حفظا للبنية وقوة على الطاعة (هذا) أى هذا الحد الذى أخذ به منهما واكتفى فيه عن طلب غيرهما (ما لا يدفع) بصيغة المجهول أى لا ينكر ولا يمنع (من سيرته) لكمال شهرته و كثرة نقلته (وهو الذى أمر به) أى غيره (وحض عليه) أى من وافق سيره (لاسيما) مركبة من لا وسى وماوسى اسم بمنزلة مثل وزنا ومعنى أى لا مثل ما وتكون ما زائدة أو موصولة قال ثعلب من استعمله بلا واو مخفف الياء اخطأ وليس كما قال بل تحذف واوه ويخفف كقوله

و بالعقود و بالايمان لاسيما * عقد وفاء به من أعظم القرب

كذا قرره الحجازى وفيه بحث لا يخفى (بارتباط أحدهما بالآخر) أى خصوصا مع ملاحظة ارتباطهما وانعقادهما فى تلازمهما من حيث ان النفس اذا شبعت تشوقت الى الراحة بالنوم وفترت عن العبادة فتنام كثيرا فتحسر فى حياته كثيرا وتندم عند مماته كثير القلة زاده ليوم معاده بدليل ما سيأتى من الاخبار والآثار منها ما قال المصنف رحمه الله تعالى

(وينقل متواترا) أى نقلا متواترا بحسب المعنى (من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين) المتقدمين على ملة الاسلام من حكماء الهند والعجم واليونان والعرب وغيرهم كقول الحارث بن كلدة حكيم العرب أفضل الدواء الازام أى قلة الاكل وقال داود اياك و كثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج الناس لاعمالهم (واشعار العرب وأخبارها) كقوله

قارب فديتك ان أكلت * وان شربت وان عشيتا
وأنا الكفيل لك الحياة * وان تعافا ما حييتا

وقال قيصر لقس بن ساعدة ما أفضل الاكل قال ترك الاكثار (وصحيح الحديث) النبوى مثل أبغضكم الى الله كل نؤم أكول شروب وغيره (وآثار من سلف وخلف) الاثر ما اثرته أى نقلته عن غيرك فيشمل الحديث ويطلق ويراد به ما يقابل الحديث والمراد بمن سلف من تقدم عصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبمن خلف ما عداهم كالصحابة رضى الله تعالى عنهم والتابعين (مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه) أى طلب شاهد ودليل عليه وبين وجه ترك الاستشهاد بقوله (٢ اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به) المغنى عن التطويل بذكره والاختصار عند أهل العربية الحذف لدليل والاقتصار حذف بلا دليل وعند المحدثين أن يكون للحديث طرق فيكتفى باحديها والمراد هنا عدم التطويل اكتفاء بشهرة العلم بما ذكر (فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخذ من هذين الفنين) أى النوعين وهما الاكل والنوم (بالاقل) عداه بالباء وان كان متعديا بنفسه لتضمنه معنى التمسك أو الاتصاف أى لازم صلى الله تعالى عليه وسلم أقل قليل منهما لما فيه من الكمال والملكة المرضية وأتى باسم الاشارة للقريب تحقيرا لهما نحو وما هذه الحياة الدنيا وتبعيدا لهما عن ساحة الاعتبار لعدم المبالاة بهما وما قيل من أنه كان ينبغى للمصنف رحمه الله تعالى ان يقتصر على كلامه صلى الله عليه وسلم فانه لا يحتاج لغيره من شعر وحكمة ليس بشئ فان مراده ان صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم مما اتفق العقلاء وجميع الامم على حسنها و كونها مرضية محمودة وان كلامه صلى الله عليه وسلم زبدة حكم الامم وان لم يرهم ولم يقرأ كتبهم و كفاك قصص القرآن نظير الصنيعه (هذا) أى ما ذكر من قلة أكله صلى الله عليه وسلم ونومه (ما لا يدفع) أى لا ينكر ولا ينازع فيه (من سيرته) أى من طريقته وصفته وهو بيان لما حال من ضمير يدفع أى لشهرته وتواتره لا ينازع فيه أحد (وهو الذى أمر به) أمته دون ضده وضمير به لهذا أو للاقل (وحض عليه) بحاء مهملة وضاد معجمة أى حث الناس ورغبهم فى التخلق به لما علم من شرفه و كماله (لاسيما بارتباط أحدهما بالآخر) لاسيما بمعنى لا مثلما والكلام عليه مفصل فى العربية ويذكر بعده ما هو

(٢) وفى نسخ المتن وشرح على القارى وقع هنا * وانما تركنا ذكره هنا * والنسخ الموجودة عندنا الشهاب كلها ليس هو فيها فليحرر

(حدثنا أبو علي) أي ابن سكرة (الصدفي) بفتحتين (الحافظ) أي للكتاب والسنة (بقراءتي عليه) أي هذا الحديث دون املائه لي وهذا بيان لاحد نوعي الاخذ ودليل على كمال الحفظ وقد سبقت ترجمته (حدثنا أبو الفضل) وهو أحمد بن خيرون وقد سبق ذكره (الاصفهاني) بفتح الهمزة وتكسر والفاء مفتوحة ويروى بالباء بدل الفاء واما النطق بموحدة بين الباء والفاء فلفظ فارسي قيل وأهل المشرق يقولون بالفاء وأهل المغرب بالباء وهي مدينة عظيمة من بلاد العجم من نواحي العراق ومن شرف أصبهان انها لاتخلو أبدا من ثلاثين رجلا يستجاب دعاؤهم لدعوة الخليل عليه السلام لما حمل منهم نمرود ثلاثين للحرب فلما رأوا الخليل آمنوا به فدعا لهم بذلك كذا ذكره التلمساني (حدثنا أبو نعيم الحافظ) قال الحلبي هذا هو الحافظ الكبير محدث العصر أبو نعيم أحمد بن عبد الله ابن أحمد بن اسحق بن موسى بن مهران الاصبهاني الصوفي الاحول سبط الزاهد محمد ابن يوسف البناء ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وله مصنفات كثيرة (حدثنا سليمان بن أحمد) هذا هو الامام الواسطي الحافظ الكبير الثبت مسند الدنيا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ابن مطير اللخمي بالمعجمة الشامي ولد سنة ستين ومائتين واعتنى به أبوه ورحل به في حداثته وسمع بمدائن الشام والحرمين واليمن ومصر وبغداد والكوفة والبصرة وأصفهان والجزيرة وغير ذلك وحدث عن أكثر من ألف شيخ وصنف المعجم الكبير والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل وعشر بن تعب عليه وكان يقول هو روحي والمعجم الصغير يذكر فيه عن كل شيخ حديثا وله مصنفات كثيرة مفيدة وعاش مائة سنة (حدثنا أبو بكر بن سهل) أي الدمياطي روى عن عبد الله بن يوسف وكاتب الليث وطائفة وعنه الطحاوي والطبراني وجماعة توفي سنة تسع وثمانين (حدثنا عبد الله بن صالح) أي الجهمي كاتب الليث على أمواله روى عن معاوية بن صالح وموسى بن علي وطائفة وعنه البخاري وابن

أولى بالحكم نحو أكرم الناس لاسيما العلماء الان في كونها هنا كذلك خفاء لم يعترضوا له غير ان بعضهم قال المعنى لاسيما الامر بالاخذ بالاقل والحض عليه مع ارتباط أحدهما بالآخر لانه اذا شبع شبعا كثيرا نام كثيرا ففاته خير كثير يعقبه ندم كثير وهو لايجدي نفعا والبيان الشافي ان كل واحد منهما مذموم مع انفراده ينبغي الحث على تركه فكيف اذا اجتمعا وهما كذلك غالبا للزوم أحدهما للآخر فان النوم يلزم الاكل والباء بمعنى مع فاقيل ان لاسيما هنا ليست على وفق استعمالها ليس بشئ وهو توطئة للحديث الآتي المتضمن لتلازمهما ومن لم يفهم هذا قال ان المصنف رحمه الله تعالى استعمل لاسيما على خلاف ماجاء في قوله * ولاسيما يوم بدارة جلجل * وقد قال ثعلب من استعملها على خلافه فهو مخطئ وحذف الواو والمستثنى بها وتقديره ولاسيما حض بارتباط أحدهما بالآخر الخ (حدثنا أبو علي الصدفي) هو الحافظ ابن سكرة تقدم بيانه (بقراءتي عليه) بين طريق روايته عنه بانه قرأ وشيخه يسمع الان قراءة الشيخ والسماع منه أعلى رتبة في الرواية لكن صار المعروف اليوم القراءة على الشيخ ولذا قيل انها أرفع وقيل انهما سواء (قال حدثنا أبو الفضل الاصفهاني) بفتح الهمزة وكسرها وبالباء والفاء وهي بلدة عظيمة قال صاحب المطالع قيدناها بالفتح عن جميع شيوخنا قال وقيدها بالكسر أبو عبيد البكري قال وأهل المشرق يقولون أصفهان بالفاء وأهل المغرب بالباء وهو أحمد بن خيرون وقد تقدم ومعنى أصبهان مقر الفرسان لان أصب بمعنى فرس قيل وهي لاتخلو غالبا من ثلاثين رجلا يستجاب دعاؤهم وكان نمرود حمل منهم ثلاثين رجلا لحرب الخليل فلما رأوه آمنوا به فدعا لهم بذلك أي بان تجاب دعوتهم كما أجابوا دعوته (قال حدثنا أبو نعيم) بالتصغير وهو حافظ عصره ومحدثه أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق بن موسى بن مهران الاصبهاني الصوفي سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء ولد سنة ست وثلاثين وثلثمائة وتوفي في الحرم سنة ثلاثين وأربعمائة وعمره أربع وتسعون سنة وسمع من كثير وسمع منه الحفاظ وله ترجمة في الميزان وتصانيفه مشهورة (قال حدثنا سليمان بن أحمد) بن أيوب بن مطر الشيباني مسند الدنيا الامام الجليل ولد بعكا في صفر سنة ستين ومائتين واعتنى به أبوه فرحل به في حداثته وسمع في سنة ثلاث وسبعين وبعدها بمدائن الشام والحرمين ومصر وبغداد والكوفة والبصرة وأصبهان والجزيرة وغيرها وحدث عن أكثر من ألف شيخ وصنف المعجم الكبير ولم يذكر مسند أبي هريرة فانه أفرده بمصنف والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل تعب فيه وكان يقول هو روحي والمعجم الصغير ومصنفات أخر جليلة وتوفي لليلتين من ذي العقدة من سنة ستين وثلثمائة وله مائة سنة وعشرة أشهر يقينا وترجمته في الميزان وتصانيفه مشهورة (قال حدثنا أبو بكر بن سهل) أبو محمد مولى بني هاشم بن عبد الله بن يوسف الدمياطي روى عنه الطحاوي والطبراني وغيرهما توفي سنة تسع وثمانين ومائتين عن نيف وتسعين سنة وهو متقارب الحال وقيل ضعيف كما في الميزان (قال حدثنا عبد الله بن صالح) هو أبو صالح الجهني مولاهم كاتب الليث روى عن معاوية بن أبي صالح الآتي وموسى بن علي وغيرهما وروى له البخاري وأصحاب السنن وهو زاهد حسن الحديث توفي في سنة مائتين وثلاث

معين وخلق قال الفاضل الشعرانى مارأيته الايحدث أويسبح (حدثنى معاوية بن صالح) هو الحضرمى الحمصى قاضى الاندلس روى عن مكحول وغيره وعنه ابن وهب وابن مهدى وجمع (ان يحيى بن جابر) أى الطائى الشامى قاضى حمص (حدثه عن المقدام) بكسر الميم (ابن معدى كرب) بعدم الانصراف وقد يصرف قال الحلبى فيه لغات رفع الباء ممنوعا والاضافة مصروفا وممنوعا انتهى ولا يخفى ان الرفع لاوجه له هنا (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه) ويروى من بطن لما فيه من الضرر الكثير به وسائر الاوعية انما استعملت فيما هى له وهو انما خلق ليتقوم به الصلب من الطعام فامتلاؤه يفضى الى فساد الدين والدنيا فيكون شرا منها فى مقام المرام (حسب ابن آدم) بسكون السين أى كافيه (أكلات) بضمتين وقد تفتح الكاف وتسكن أيضا على ماصرح به بعضهم جمع أكلة بالضم والسكون لما يجعل فى الفم من اللقمة وهو المراد ههنا وفى جمعها القلة وهو لما دون العشرة ارشاد الى قلة عددها وفى رواية لقيمات اشارة الى قلة قدرها قال التلمسانى وكان ذلك عادة عمر رضى الله تعالى عنه يقتصر على سبع أوتسع واما بفتحتين فهو جمع الاكلة بمعنى المرة من الاكل وتجويزه ههنا للدلجى ليس فى محله ويروى حسب المسلم وحسب المؤمن ورواية الترمذى بحسب ابن آدم أكلات (يقمن صلبه) بضم أوله أى يقوين ظهره بالضم وبالتحريك عظم من لدن الكاهل الى العجب كما فى القاموس فقول الدلجى تسمية للكل باسم جزئه اذ كل شئ من الظهر فيه فقار فهو صلب فيه بحث نعم خص الصلب لانه عمود البدن وفيه النخاع

الساقى للبدن وهو أصله ولذا من قطع نخاعه مات وهو كناية عن انه لا يتجاوز ما يحفظه من ضعفه ويتقوى على طاعة ربه والاسناد فى الجملة مجازى لان الاقامة صفة الهية (فان كان لامحالة) بفتح الميم ويضم أى لابد ولا حيلة ولا فراق من التجاوز عن الاقامة البتة (فثلث) بضمتين وتسكن اللام مبتدأ والتقدير ثلث منه (لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) بفتح الفاء أى لتنفسه وبه يحصل نوع صفاء ورقة وكسر شهوة ورفع غفلة وسهولة مواظبة على الطاعة والعبادة والتخلص من القساوة والبلادة ومحافظة صحة البدن واعتدال المزاج غير المحتاج للمعالجة وقيل التقدير فان كان لابد ان يملأ بطنه ولم يقنع بما فيه قوة فليملأ ثلث بطنه بالطعام وثلثه بالشراب ويترك ثلثه خاليا لخروج النفس ثم الاصول المعتمدة والنسخ المصححة بضمير الغائب وتوهم الدلجى وذكره بلفظ طعامك وشرابك ونفسك وعلل بانه التفات من الغيبة الى الخطاب والله تعالى أعلم بالصواب وسمع عمر رضى الله تعالى عنه قول عشرة

وعشرين وعمره ست وثمانون سنة وله ترجمة مطولة فى الميزان (قال حدثنا معاوية بن أبى صالح) الحضرمى قاضى الاندلس وهو امام صدوق توفى سنة ثمان وخمسين ومائة وله ترجمة فى الميزان (ان يحيى ابن جابر حدثه عن المقدام بن معدى كرب) هو يحيى بن خالد الطائى قاضى حمص مات سنة مائة وستة وعشرين وأخرج له أصحاب السنن والمقدام بن معدى كرب بن عمرو الكندى صحابى نزل حمص وترجمته مشهورة توفى سنة سبع وثمانين وأخرج له أصحاب السنن وأحمد قال السهيلى معنى معدى كرب وجه الفلاح وفيه لغات اسكان يامعدى ولو فى النصب مع فتح باء كرب بلا تنوين لبنائه واعرابها بالاضافة مع الصرف وعدمه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه) وهذا الحديث رواه الترمذى والنسائى وابن حبان وأخرجه المصنف رحمه الله تعالى عن الطبرانى ولم يروه عن الترمذى لان سنده لمعجم الطبرانى أعلى من غيره لان بينه وبين المقدام ثمانية فى رواية الطبرانى وبينه وبينه فى رواية الترمذى من احدى طريقيه أحد عشر ومن الاخرى عشرة والحديث صحيح وفى الروايات اختلاف يسير ففى الترمذى بدل ابن آدم آدمى وبلفظ بطن بلا اضافة وبحسب الآتى بالباء الجارة والوعاء ظرف الطعام والمراد انه لاوعاء أشر منه ولا يساويه فى الشر فجعل بطنه كاوعية البيت تحقيرا له ثم جعله شر الاوعية زيادة فى تحقيره لان امتلاءه يورثه البلادة ويحرك شهوته فيرتكب المعاصى ويحصل له من الامراض مايضره كثيرا ويؤدى الى هلاكه ولا شر أعظم من هذا فحسبه منه مايقيم صلبه ويعينه على عبادة ربه ونظام أمور دنياه فلذا قال (حسب ابن آدم) وفى رواية المسلم بدون ابن آدم (أكلات يقمن صلبه) حسب بسكون السين اسم بمعنى كفى كما يقال أعطيت الرجل ماحسبه أى أعطيته عطاء يكفيه وهو مبتدأ خبره أكلات بضم الهمزة والكاف معا والرواية به ويجوز فتح الكاف وتسكينها جمع أكلة بضم الهمزة وسكون الكاف اسم لما يؤكل ويقمن بمعنى يقوين من أقام بمعنى دام وثبت وصلبه بضم الصاد وفتحها عظام سلسلة ظهره لانه عموده وفيه النخاع الذى يمد العصب بالمسك فاذا أفرط جوعه ضعف وانحنى صلبه وفى القاموس مايخالف ماقاله الشراح لانه جوز فى أكلة الفتح والضم واقتصر فى جمعه على فتح ثانيه كصرد وقال البرهان أكلات بضم الهمزة جمع أكلة بفتحها وهى اللقمة (فان كان لامحالة) بفتح الميم والحاء المهملة واللام بمعنى لابد ولا حيلة كما فى قوله * وكل نعيم لامحالة زائل * أى ان لم يكن صبر على الاقتصار على لقيمات (فثلث) من بطنه (لطعامه وثلث) منه (لشرابه وثلث) منه (لنفسه)

ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى أنال به كريم المأكل فقال ذاك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتاول كريم المأكل بالجنة واقد صدق في تأويله رضى الله تعالى عنه وروى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماوصف لى اعرابى قط فاحببت ان أراه الاعنترة ثم أحسن ماقيل في الحديث ان لامحالة عائد الى ضرورة الاكل وان الثلث في حيز الاستحسان والاباحة وقيل المستحسن نصفه وهو السدس وأقل منه شيئا وهو السبع لقوله فان كان لابد ولامحالة هذا وقيل لسهل بن عبد الله الرجل يأكل في اليوم أكلة واحدة قال أكل الصديقين قيل فأكلتين قال أكل المؤمنين قيل فثلاثا قال قل لاهلك يبنوا لك معلفا وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا أراد ان يشترى غلاما وضع بين يديه تمرا فان أكل كثيرا قال ردوه فان كثرة الاكل من الشؤم (ولان كثرة النوم من كثرة ٤٤٢ الاكل والشرب) أى انما تنشأ من أجل كثرتهما غالبا والافقد تكون من الضعف وغيره من العلل (قال سفيان الثورى) نسبة الى أبى قبيلة وهو أحد الائمة الاعلام من علماء الانام روى عن ابن المنكدر وغيره وعنه الاوزاعى ومالك وشعبة وأمثالهم وأخرج له الائمة الستة قال ابن المبارك ما كتبت عن أفضل منه ولاعبرة بمن تكلم فيه وفي أمثاله اذ قل من لم يتكلم في حقه (بقلة الطعام يملك سهر الليل) بصيغة المجهول (وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا) أى فتندموا كثير النقص العمر الذى هو أنفس الجواهر كذا في الاصول المعتمدة وقال المنجانى زاد الغزالى فتخسروا كثيرا (وقد روى) أى عن جمع كابى يعلى وغيره (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان أحب الطعام اليه ما كان على ضفف) بفتح المعجمة والفاء الاولى (أى كثرة الايدى) يعنى على الطعام وفيه حث على ان الاولى ان لا يأكل أحد وحده لما فيه من الدلالة على كرم النفس والسخاوة والمواساة والسماحة وحصول الكفاية مع توقع البركة لما في حديث مسلم طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الاربعة وطعام الاربعة يكفى الثمانية حملا للآكل على الاكتفاء بنصف الشبع قال ابن راهويه عن جرير تأويله شبع الواحد قوت الاثنين وهلم جرا وقد فسر الضفف بعضهم بكثرة العيال وبعضهم بالضيق والشدة واستشهد في المجمل بان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يشبع من خبز ولحم الاعلى ضفف أى على كثرة الايدى على الطعام وقال مالك بن دينار سألت رجلا من أهل البادية عن الضفف فقال هو التناول مع الناس وقيل هو أن تكون لا كلة أكثر من مقدار الطعام والجفف بالجيم وقيل بالحاء ان يكونوا بمقداره ويروى على شظف بالشين والظاء المعجمتين بمعنى الضيق والشدة

بفتحتين وهو الهواء الخارج من الجوف وروى الدلجى طعامك وشرابك ونفسك بكاف الخطاب على الالتفات من الغيبة للخطاب اعتناء بشان من أرشده فيما أرشده اليه وانه لا ينبغى تجاوزه وفي الاول حث على الاقلية وفيما بعده تجويز لما فوقه من غير افراط والشراب هنا بمعنى الماء (ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب) هذا من كلام المصنف رحمه الله تعالى لا من الحديث الا ان الشراح لم يبينوا وجه ارتباطه بما قبله ولا على ما عطف والظاهر انه عطف على قوله السابق بارتباط أحدهما بالآخر لان السبب والعلة في معنى واحد فالمراد بارتباطهما ان أحدهما يستدعى الآخر فان الاكل يقتضى الشرب ثم بين انهما وكثرتهما يقتضيان كثرة النوم لما يصعد منهما من الابخرة الكثيفة الى الدماغ المرخية له المقتضية لكثرة النوم المستدعى للكسل وذهاب الفطنة وفوات العبادة وفي ذلك ما لا يخفى من الضرر (قال سفيان الثورى) بكسر السين وضمها وفتحها وهو سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله والثورى نسبة لثور بن مناة وقيل من ثور همدان وهما قبيلتان الكوفى عالم عصره الزاهد المحدث توفى سنة احدى وستين ومائة وعمره أربع وستون وهو ثقة ولا عبرة بمن تكلم فيه وهو من أقران مالك رحمه الله تعالى (يملك سهر الليل بقلة الاكل) يملك بضم الياء وفتح اللام مبنى للمفعول وسهر مرفوع نائب الفاعل أى يقوى ويقدر عليه من غير مشقة فشبه قدرته بملكه له فهو استعارة لان النفس تقهر بقلة الطعام بعد ان كانت قاهرة (وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا) زاد الغزالى في الاحياء فتخسروا كثيرا وزاد غيره فتندموا عند الموت لقلة الزاد لانه أكل زاده فضيعه في غير وقته (وقد روى عنه) أى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (انه كان أحب الطعام اليه ما كان على ضفف أى كثرة الايدى) لما فيه من السخاء بالطعام وقلة الاكل وكثرة البركة وهذا الحديث قال السيوطى رحمه الله تعالى انه رواه أبو يعلى عن أنس وجابر رضى الله تعالى عنهما باسناد جيد ولفظه كما قال الشيخ قاسم في تخريجه انه لم يجمع له غداء وعشاء وخبز ولحم الا على ضفف وسنده جيد وأخرج أبو عبيد في الغريب أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يشبع من خبز ولحم الا على ضفف وأخرج الترمذى في الشمائل عن مالك بن دينار قال ماشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الخبز قط ولا من لحم الا على ضفف قال مالك سألت رجلا من أهل البادية ما الضفف قال هو التناول مع الناس وأخرج الطبرانى رحمه الله

تعالى

تعالى عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال أحب الطعام الى الله تعالى ما كثرت
عليه الايدى انتهى والضفف بفتح الضاد المعجمة والفائين أولاهما مفتوحة فسرها المصنف رحمه الله
تعالى بما ذكره أهل اللغة وهو تفسير مأثور كما سمعته آنفا وهو من قولهم بئر ضفوف اذا كثر الناس
عليها وقال يحيى بن أحمد الضفف أن يكون الاكلة أكثر من الطعام والجفف بالجيم ان يكون بمقداره
وقيل الضفف الضيق والشدة أى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم محبا للترفه فى مأكله ولا متنطعا فيه
وفى رواية لم يشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من طعام الا على ضفف وروى على شظف أى ضيق
وشدة كما علم فالضفف والشظف رويا بمعنى الضيق والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب
الاكل مع الجماعة وان قل طعامه وضاقت معيشته والاحاديث فى معناه كثيرة كطعام الواحد يكفى
الاثنين وطعام الاثنين يكفى الاربعة وطعام الاربعة يكفى الثمانية ونحوه وحديث صحيح وقيل الضفف
كثرة العيال وقيل قلة الطعام وكثرة الآكلين ويقال ضف بالادغام وقال ابن السكيت الضف الاكل
باليد ففيه لغتان وله معان (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لم يمتلئ جوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
شبعا قط) وروى عنها أيضا ما شبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى
مضى لسبيله وهذا يقتضى بمفهومه انه شبع فى بعض الايام دون الثلاثة وهو معارض للاول وكلاهما
صحيح ويجمع بينهما بان دلالة المفهوم لا تعارض المنطوق عند من قال بها كأبى حنيفة رحمه الله تعالى
فلا تعارض بينهما فالطريق الاولى أو يقال الامتلاء شبعا صفة زائدة على الشبع فالشبع الاعم كان يقع
منه صلى الله تعالى عليه وسلم أحيانا وأما الامتلاء من الشبع فلم يقع أصلا والشبع مباح عليه محرم على
غيره الا للتقوى على صوم الغداء ولمؤانسة الضيف حتى لا يستحى من الاكل كما قاله الحنفية وعند
الشافعية هو محرم من مال الغير ان لم يعلم رضاه ومن مال نفسه مكروه مع ان ما ذكر من تعارض الحديثين
غير مسلم لان ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى هنا ذكره فى الاحياء أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها
وتمامه وربما بكيت رحمة له صلى الله تعالى عليه وسلم لما أرى به من الجوع وأمسح بطنه الشريف بيدى
وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك منها ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة
اخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم
عز وجل فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم وأجدنى أخشى ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى دونهم فاصبر
أياما يسيرة أحب الى من ان ينقص حظى غدا فى الآخرة وما من شئ أحب الى من أن ألحق اخوانى
قالت فوالله ما استكمل بعد جمعة حتى قبضه الله وقد ذكر المصنف رحمه الله صدره فقط وقال العراقى فى
تخريج أحاديث الاحياء لم أجد هذا الحديث فلا يعارضه وشبعا تمييز أو مفعول له أو مفعول مطلق
وشينه مفتوحة وتكسر وتفتح الباء وتسكن وصوب ابن مكى كسر الشين وسكون الباء كما قاله التلمسانى
ثم انه ورد فى الاحاديث الصحيحة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشبع ويجوع وفى البخارى ما شبع
آل محمد قط وهذا محمول على غالب أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم فان الغالب ينزل منزلة الكل كثيرا
وهذا لم يكن عن احتياج حقيقى لما رواه الترمذى عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه انه قال قال صلى الله
تعالى عليه وسلم عرض على ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب أشبع يوما وأجوع يوما فاذا
جعت تضرعت اليك واذا شبعت شكرتك كما قال الابوصيرى

وراودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فاراها أيما شمم

فجوعه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قصدا ولكن يظهر انه عن احتياج تطييبا لقلوب الفقراء وتنزيها
من الرياء وتبرئا من رياضة أهل الكتاب والحكماء كما قال صلى الله عليه وسلم لا رهبانية فى الدين وهذا

(وعن عائشة رضى الله
تعالى عنها لم يمتلئ جوف
النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم شبعا) بكسر ففتح
ويسكن (قط) تقدم
ضبطه قال الدلجى لم
أعرف من رواه ولا
يعارضه ما أفهم شبهه فى
الجملة كحديث مسلم عنها
ما شبع رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم ثلاثة
أيام تباعا من خبز بر حتى
مضى لسبيله وفى رواية
من خبز شعير يومين
متواليين فان دلالة
المفهوم ضعيفة فليست
بحجة كما قاله أبو حنيفة
ولان الامتلاء صفة
زائدة على الشبع

(وانه) بالفتح فيكون من جملة رواية عائشة رضي الله تعالى عنها أو بالكسر على الاستئناف والضمير للشان أوله صلى الله

تعالى عليه وسلم (كان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه) لعدم التفاته الى غير مولاه (ان أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه) ويجوز اسقوه (شرب) وهذا كان دأبه في آدابه وغالب حاله في سائر أفعاله كما هو طريق الانبياء والاولياء في مقام الفناء والبقاء والمصنف لما استشعر اعتراضا وأراد على ظاهر الحديث من حيث العموم دفعه بقوله (ولا يعترض) بصيغة المجهول أي ولا يجوز لاحد ان يعترض (على هذا) أي قولها لا يسألهم طعاما (بحديث بريرة) بفتح فكسر أي بحديث وقع في حق بريرة وهي مولاة لعائشة رضي الله تعالى عنها واختلف انها قبطية أو حبشية (وقوله) أي فيما رواه الشيخان عنه (ألم أر البرمة) بضم الباء وهي القدر من الحجارة أو أعم (فيها لحم) بفتح فسكون ويفتح (اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له) أي ولو بعد ان ملكته (فاراد بيان سنته) وهي انه اذا ملك المتصدق عليه الصدقة حل له أكلها هدية ويؤيد ظنه جهلهم حله له بعد ملكها اياه قوله

مما ينبغي التنبه له ويجب اعتقاده والتأسي به فيه فافهم (وانه) معطوف على ما قبله من قوله انه كان أحب الى آخره وقوله (كان في أهله) أي أهل بيته وعائلته وهو حال من فاعل يسأل أو خبر وجملة (لا يسألهم طعاما) حال منه وعدم سؤاله صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك لعدم اهتمامه به والتفاته لما هو أهم منه (ولا يتشهاه) مضارع تشهى تفعل من الشهوة وهي الميل الى ما يستلذ وقيل هي ادراك الملائم من حيث هو ملائم وقيل الشهوة لا تحد والفرق بينها وبين الارادة ان الانسان قد يريد ما لا يشتهيه ويشتهي ما لا يريده كالمريض المحتمي عما يشتهيه والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل تتعلق بالذات المغايرة لها فاذا ذكرت متعلقة بنفسها كانت مجازا عن الارادة كما قيل لمريض ما تشتهي فقال أشتهي ان أشتهي وفرق بينها وبين المحبة أيضا فانك تقول أحب الله ورسوله ولا تقول أشتهيهما فالمحبة أعم والشهوة في الاصل تكون وجدانية غير اختيارية بخلاف المحبة ولذا فرق النحاة بين قوله أحب الى وأشهى الى فجعلوا الى في الاول للتبيين وفي الثاني بمعنى عند وفيه كلام لنا في نكت المغني من باب الهمزة فان أردته فراجعه ثم بين ما ذكر بقوله (ان أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب) يعني انه صلى الله عليه وسلم كان يأكل ما قدمه له أهله ونحوهم من الطعام ويقبله من غير ان يعيبه وكذا كل ما قدم له من الماء يشرب وهذا كان غالب حاله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ينافي ما وقع له نادرا على خلاف مقتضى طبعه كما في مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم يا عائشة هل عندكم شيء فقلت يا رسول الله ما عندنا شيء قال فاني صائم الحديث وسقوه بمعنى أعطوه ما شرب وزاد الدلجي قط بعد قولهم السابق لا يسألهم (ولا يعترض) ببناء المجهول (على هذا بحديث بريرة رضي الله تعالى عنها) أي على هذا المذكور من عدم سؤاله لما ذكر وبريرة بفتح الموحدة وراءين مهملتين أولاهما مكسورة بينهما مثناة تحتية من البر بمعنى مبرورة أو بارة وهي بنت صفوان وهي قبطية أو حبشية عند الذهبي مولاة عائشة رضي الله عنها اشترتها من عتبة بن أبي لهب وقيل من بني كاهل وقيل كانت لناس من الانصار وحديثها أخرجه مالك في الموطأ عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها ورواه الشيخان وهو قالت عائشة كان في بريرة ثلاث سنن وكانت احدى السنن انها اعتقت فخيرت في زوجها وقال فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الولاء لمن أعتق ودخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أهل بيته والبرمة تفور باللحم فقرب اليه خبز وادام من أدام البيت فقال ألم أر البرمة فيها لحم فقالوا بلى يا رسول الله ولكن هو لحم تصدق به على بريرة وأنت لا تأكل الصدقة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية فأخبرهم صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا اللحم باهدائها اياه انتقل من حكم الصدقة الى حكم الهبة وانما الذي حرم عليه ما تصدق به على نفسه وجعل محلا لقبوله ولو كان ما تصدق به مرة يثبت له حكم الصدقة ما جاز للفقير اذا تصدق عليه بشيء ان يبيعه من غني فقد سألهم صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام وأجاب عنه المصنف رحمه الله تعالى بقوله الآتي فاراد بيان سنته وبان سؤاله لمقتض والمنفي السؤال بغير مقتض (وقوله ألم أر البرمة) بضم الموحدة وسكون الراء وبالميم وهي عند العرب قدر ينحت من الحجارة وقيل أعم من ذلك فيشتمل النحاس والحديد وغيرهما (فيها لحم) الضمير للبرمة لانها مؤنث كالقدر الان تأنيث الثانية سماعي واللحم بسكون الحاء المهملة وتفتح وقد قيل انه لغة مطردة في كل ما ثانيه حرف حلق كالبحر والنهر والبغل والبخل والكحل وأنكره البصريون (اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقادهم) أي اعتقاد عائشة المخاطبة وغيرها من الناس فذكره تغليبا (انه) أي اللحم بسبب انه صدقة في الاصل (لا يحل له) صلى الله عليه وسلم كالصدقة عليه بالذات (فاراد بيان سنته) أي طريقته المشروعة له وهي جواز أكل الهدية وان كانت صدقة على

(اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون) أي لا يختصون (عليه به فصدق عليهم ظنه) بتشديد الدال وتخفيفها كما قرئ به في الآية والمعنى فصدق في ظنه جهلهم ذلك فيكون من باب الحذف والايصال وجوز تعديته بنفسه كما في صدق وعده على ما ورد في قوله سبحانه وتعالى ولقد صدقكم الله وعده أو حقق ظنه أو وجده صادقا في جهلهم ذلك (وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية) أي ففيه مبادلة معنوية واختلاف من حيثية فان هذا اللحم باهدائها اياه له انتقل من حكم الصدقة الى حكم الهبة كما لو اشتراه منها غني أو ورثه عنها (وفي حكمة لقمان) روى انه كان عبدا حبشيا نجارا وقيل نوبيا فرزق العتق وكان خياطا وقيل

هو ابن أخت داود عليه السلام وقيل ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود وأخذ منه العلم والاكثرون على انه كان وليا وذهب الآخرون الى انه كان نبيا ويروى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين أحب الله تعالى فأحبه فمن عليه بالحكمة وخيره في ان يجعله خليفة يحكم بالحق فقال يا رب ان خيرتني قبلت العافية وان عزمت على فسمعا وطاعة فانك ستعصمني (يا بني) وهو تصغير الشفقة ويجوز فتح يائه وكسرها كما قرئ بهما في الآية (اذا امتلأت المعدة) أي طعاما وشرابا وهي بفتح فكسر ويجوز كسرهما واسكان عينها مع فتح الميم وكسرها على ما نقله

الحلبي وفي القاموس المعدة ككلمة وبالكسر موضع الطعام قبل انحداره الى الامعاء وهو لنا بمنزلة الكرش لغيرنا (نامت الفكرة) أي غفلت أو ماتت ويؤيده ما ورد لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب وقد قالت الصوفية في قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة هذا مثل ضربه الله للاولياء ليفهموا الدنيا وأهلها وذلك ان البعوضة تحيى اذا جاعت وتموت اذا شبعت وكذلك أهل الدنيا اذا امتلأوا من الدنيا وركنوا اليها أخذتهم وأماتت قلوبهم وأهلكتهم

مهديها (اذ رآهم لم يقدموه) أي اللحم (اليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به) أي لا يخصون أنفسهم ويقدمونها على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في شيء من الطعام وغيره (فصدق) بتخفيف داله ويجوز تشديدها (عليهم ظنه) بالنصب أي صدق في ظنه جهلهم بذلك فهو متعد بنفسه أو على الحذف والايصال كما في صدق وعده أو بالرفع على انه فاعل أي يحقق ظنه أو وجد صادقا في جهلهم ذلك (وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية) وهذا جواب استحسنوه فان الرجل اذا رأى طعاما أهدي له فسأل عنه وطلب ان يوثق به لا يذم وانما الا يسأله عما عهده من طعامه ويبحث عنه وأتى بلعل التي للترجي لانه لم يجزم به وتقدم جواب آخر وهذا الحديث يدل على ان الصدقة حرام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لشرف قدره وعلو منصبه وغناه حقيقة وسواء فيه صدقة التطوع والفرض كالزكاة وفي حل التطوع قول للشافعي وكذا أهل بيته وقيل ما يحرم عليه الصدقة العامة كماء السبيل والآبار المسبلة وهل ذلك حرام على سائر الانبياء عليهم الصلوات والسلام أم خاص به صلى الله تعالى عليه وسلم فيه خلاف والاصح اختصاصه به صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الاحاديث ما يدل عليه ونقل عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى جواز الصدقة على أهل البيت مطلقا وقيل اذا حرموا سهمهم من بيت المال كما نقله الطحاوي وهو وجه عن الشافعي ومالك وهم بنو هاشم وكذا بنو المطلب بخلاف غيرهم من قريش وأزواجه رضي الله تعالى عنهن (وفي حكمة لقمان) بن عنقاء بن سيرون واسم أبيه تاران وقيل غير ذلك وقيل انه ابن أخت داود عليه الصلاة والسلام وعنه أخذ الحكمة وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والاصح انه حكيم وقد جمعت حكمه في كتاب مستقل مسند والمراد بالحكمة الموعظة الحسنة لفظا ومعنى ولقمان هذا هو المذكور في القرآن وكانت الحكم تجري على لسانه لما أتاه الله من العلم والنفس القدسية وهو ولي عند الاكثرين ونبي عند بعضهم وكان عبدا حبشيا نجارا بالراء وقيل نجادا بالدال أو خياطا أو راعيا وقيل نوبي وقيل انه تلمذ لالف نبي وهو غريب من أهل ايلة وقيل أنعم وقيل أشكم وقيل ماتان وقيل انه ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل انه كان في زمن داود وقيل انه بعد ابراهيم والاصح الاول وقيل بعد عيسى عليه الصلاة والسلام والقول بانه عاش ألف سنة غلط من لقمان بن عاد (يا بني) بالتصغير والاضافة واسمه مشكم بكسر الميم وسكون المعجمة وميم على الاصح وقيل غيره كما مر (اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة) المعدة بفتح الميم وكسر العين وبكسر الميم مع سكون العين مقر الطعام وهي للانسان كالكرش للبهائم والحوصلة للطير والفكرة والفكر قوة مدركة في الدماغ عند من أثبت الحواس الباطنة في بطون الدماغ كما فصل في كتب الحكمة ومن لم يثبتها يقول هي قوة للنفس تدرك بها الامور الدقيقة فعلى الاول نومها استعارة تبعية لبطلان عملها أو شبهت الفكرة بشخص وأثبت له النوم على طريقة المكنية والتخييلية وكذا على الثاني أو المراد نام صاحبها والنوم مبطل للحس والادراك والمراد على كل غلبة الغفلة والذهول على كل من يشغله بطنه عن مهماته ومثله ما ورد

العقلية ولذا قيل الحكمة اتقان العلم والعمل (وقعدت) وفى رواية وكلت (الاعضاء عن العبادة) أى فترت وثقلت منها وكسلت عنها بسبب مايعتريها من النوم المانع عنها (وقال سحنون) بفتح السين وضمها قبل نون وهو مصروف وقيل ممنوع وهو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخى الملقب بسحنون الفقيه المالكى قرأ على القاسم بن وهب وأشهب ثم انتهت اليه الرياسة فى العلم بالمغرب وأدرك مالكا ولم يقرأ عليه وصنف كتاب المدونة فى مذهب مالك وحصل له مالم يحصل لاحد من أصحاب مالك توفى سنة أربعين ومائتين وقال التلمسانى وعند القرافى ذو النون وهو أبو الفيض المصرى العابد مات سنة خمس وأربعين ومائتين فيمكن أن يكون أحدهما راويا عن الآخر لانهما فى عصر واحد (لا يصلح العلم) أى على الوجه الانفع (لمن يأكل حتى يشبع) قال التلمسانى وتمامه ولا لمن يهتم بغسل ثيابه (وفى صحيح الحديث قوله صلى

فى الحديث لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء فيدبر عما يهمه من العلم النافع والعبادة والجهل يستعار له الموت كما قيل

لا يعجبن الجهول بزته ❊ فذاك ميت وثوبه كفن

(وخرست الحكمة) هو كالذى قبله فى الاستعارة ونحوها أى خرس اللسان التى تجرى عليه والحكمة النطق بما فيه كمال النفس واقتباس العلوم النظرية والملكات التامة والافعال الفاضلة أى تركت ذكرها واكتسابها (وقعدت الاعضاء عن العبادة) أى كسل صاحبها فلم يستعملها فى عبادة الله بان يعطل بدونه من القيام لها واللسان من ذكرها والقلب عن فكرها وهكذا فشبه تركه بالقعود أو استعمله فى لازمه ونحوه مما مر فقسه على ماقبله (وقال سحنون) الفقيه المالكى وهذا لقبه واسمه عبد السلام ابن سعيد التنوخى قاضى أفريقية وكنيته أبو سعيد وهو بضم السين وصوب القاضى فتحها وقال ان الضم زعمه بعض الفقهاء وعليه ابن الحاجب فى الشافعية حيث قال سحنون ان صح الفتح ففعلون كحمدون وهو مختص بالعلم النادر فعلول وهو صعفوق وخرنوب ضعيف وقال غيره انه صحيح على انه فعلون بالنون وهو أولى لكثرته فى الاعلام كعبدون وزرقون وزيدون خصوصا بالمغرب وهو اسم طائر كثير الحركة فى الاصل وقيل هو البلبل وأدرك مالكا ولم يقرأ عليه وقرأ على ابن القاسم وأشهب وهو واضع كتاب المدونة وانتهت اليه رياسة العلم بالمغرب وحصل له مالم ينله غيره وولد فى أول رمضان سنة ستين ومائتين ومات لتسع خلون من رجب سنة أربعين ومائتين وقيل الظاهر ان سحنون فعلول من السحنة وهى الهيئة الحسنة وهو ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة أو هو مصروف ان كان فعلولا وقال التلمسانى وقع فى نسخة القرافى هنا ذو النون بدل سحنون وهو العابد الزاهد المشهور واسمه ثوبان وقيل أبو الفيض بن ابراهيم المصرى (٢) فيمكن ان يكون أحدهما روى عن الآخر لانهما فى عصر واحد (لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع) المضارع يفيد الاستمرار التجددى أى من يكون دأبه كثرة الشبع بكثرة نومه ويصير بليدا بطالا فلا يحصل العلم ولا يليق به طلبه فان البطنة تذهب الفطنة كما تقدم ولانه يشتغل باصلاح ماكله وكسب مال يحصله فيفوته العلم وكل خير (وفى صحيح الحديث) الذى رواه البخارى وغيره ويجوز أن يريد المصنف بصحيح الحديث كتاب البخارى لان الصحيح غلب عليه (قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا) هذا الحديث فى الصحيحين مروى بروايات مختلفة منها ماذكره المصنف رحمه الله تعالى ومنها أنى لا آكل متكئا ومنها لا آكل وأنا متكئ قال الكرمانى هذا أبلغ فى الاثبات والاول أبلغ فى النفى فقيل عليه المراد انه أكثر مبالغة لابلاغة ووجهه ان متكئ اسم فاعل فيه ضمير مستتر فاسند الاتكاء اليه مع اسناده معه الى أنا فهو أبلغ فى اثبات الاتكاء لتكرار اسناده وان لم يكن متكئ مع فاعله جملة بخلاف لا آكل متكئا فانه لم يتكرر فيه الاسناد فهو فى النفى أبلغ وعندى ان الثانى أبلغ لنفى القيد والمقيد انتهى ❊ أقول هذا كلام لامحصل له مع عدم استقامته والظاهر ان مراد الكرمانى بالنفى والاثبات نفى الاكل فى حال الاتكاء واثبات الاكل فى حال عدم الاتكاء الذى يقتضيه مفهومه بناء على الفرق بين الحال المفردة والجملة فان النفى فى الاولى ينصرف الى القيد والمقيد فيقتضى نفيهما والثانية لا تقتضى ذلك نحو وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم فانه يقتضى انهم يعذبون بعده كما مر ويقتضى هذا انه يأكل اذا زال الاتكاء وفيه بحث ليس هذا محله وسبب هذا الحديث ماأخرجه ابن ماجه بسند حسن وهو ان اعرابيا أهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاة فجثى على ركبتيه يأكل فقال له الاعرابى ماهذه الجلسة فقال ان الله جعلنى عبدا كريما ولم يجعلنى جبارا عنيدا (والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد فى الجلوس له) أى لاجل الاكل والتقعدد تفعلل من القعود

الله تعالى عليه وسلم) أى كما رواه البخارى (أما أنا فلا آكل متكئا والاتكاء) أى المراد منه ههنا (هو التمكن) على الوطاء ومعناه (للاكل والتقعدد فى الجلوس له) أى كمال الاعتماد فى القعود والتقعدد المراد منه هو القعود (٢) المتوفى فى سنة خمس وأربعين ومائتين

ومعناه التثبت والتمكن من القعود الا انه قيل انه لم يوجد من هذه المادة تفعال والمصنف رحمه الله تعالى ثقة ما يقوله بمنزلة ما يرويه وللجلوس أنواع بينها الثعالبي في فقه اللغة (كالتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ماتحته) من أرض وفراش ونحوه والتربع يكون بمعنى النزول في الربيع وجعل الشيء رباعيا ونوع من الجلوس ماخوذ من الاخير لبسط أربعة من أعضائه الساقين والوركين مع انضمامهما على هيئة معلومة وقوله من تمكن الخ بيان للتربع وشبهه والتمكن تفعل من المكان أي تثبته في المكان والاعتماد بمعنى الاتكاء كما في الصحاح وهذا اشارة الى ما ارتضاه في تفسير الاتكاء فان أهل اللغة اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى أنه الميل الى أحد جانبيه مع اعتماده على شئ كالمخدة والوسادة وهو المشهور وذهب الخطابي وتبعه المصنف رحمه الله تعالى الى أنه الاعتماد على ماتحته من غير ميل كما بينه هنا وسيأتي تحقيقه ثم أشار الى وجه كون الاتكاء بهذا المعنى في حال الاكل لم كان غير محمود فقال (والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل) أي يطلب الاكل ويرغب فيه ويقتضي تناوله (ويستكثر منه) أي يكثر منه كثرة مفرطة متجاوزة حد الاعتدال حتى كأنه يطلبه من نفسه لاقباله عليه وقوة شهوته لغلبة حيوانيته (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لاعراضه عن مثله وتناوله منه مقدار الضرور يا بسرعة (انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا) المستوفز الذي لا يكون مطمئنا بل مستعجلا للقيام ومنه نحن على أوفاز أي على سفر كما قلت في الفصول القصار

من كان في الدنيا على أوفاز ❊ استراح لتهنيه بعيشه أوفاز

والاقعاء بقاف وعين مهملة وألف ممدودة له تفاسير والمعروف منها اثنان أحدهما أن يلصق أليتيه بالارض وينصب ساقيه وفخذيه ويلصقهما بصدره وربما يكون مع وضع يديه على الارض مع اقعنساس يشبه جلوس البدوي المصطلي والثاني أن ينصب قدميه واضعا على عقبيه أليتيه ضاما ساقيه وفخذيه واضعا ركبتيه على الارض وهذا استحبه الشافعي في الصلاة اذا رفع رأسه من السجود الاول وبه ورد الحديث وقال الشافعية ان عليه العبادلة وكرهه الحنفية وأما الاول فمكروه بلا خلاف في الصلاة وأما اقعاؤه صلى الله عليه وسلم للاكل ففسر بالصاق مقعده بالارض ناصبا ساقيه وهو الاحتفاز والاستيفاز وقال التجاني ان قول المصنف رحمه الله تعالى ان جلوس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاكله مستوفزا مقعيا ظاهره انه كان عادة له في كل أحواله والذي ورد في الحديث انه أكل مرة هكذا كما قال أنس رضي الله عنه رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم أكل مرة مقعيا الا وجه له لان ما قال المصنف رحمه الله تعالى هو المصرح به في عامة الكتب ورواية أنس رضي الله تعالى عنه مرة لا تصلح سندا للنفي في غير تلك المرة وانما امتنع صلى الله تعالى عليه وسلم من الاتكاء في أكله لانه من الكبر والترفه الذي ينزه طبعه عن الميل له ولانه يضر اذا مال ويستدعي لكثرة الاكل اذا تربع وهل كان الاكل متكئا مكروها في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر الامة أو حراما عليه وان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ذهب الى الثاني بعض الشافعية والاصح الاول واختياره صلى الله تعالى عليه وسلم غيره دائما لا يدل على حرمته (ويقول انما أنا عبد) لله لا ملك لاختياره العبودية التي هي أشرف الصفات وهذا من حديث رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله والاطراء المبالغة في المدح والى هذا أشار الابوصيري رحمه الله تعالى بقوله

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ❊ واحكم بما شئت فضلا فيه واحتكم

(كالتربع وشبهه) أي على أي هيئة (من تمكن الجلسات) بكسر الجيم جمع جلسة للهيئة (التي يعتمد فيها الجالس على ماتحته) أي من الاوطئة (والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل) أي الكثير (ويستكثر منه) أي بشهوة نفس وشره طبع والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان (جلوسه للاكل جلوس المستوفز) أي كجلوس المستوفز وهو اسم فاعل من استوفز في قعدته انتصب فيها غير مطمئن أو وضع ركبتيه ورفع أليتيه أو استقل على رجليه ولم يستو قائما وقد تهيأ للوثوب كذا في القاموس فقوله (مقعيا) حال مؤكدة في بعض الوجوه اذ الاقعاء أن يجلس على ركبتيه وهو الاحتفاز والاستيفاز وقيل أي ملصقا مقعده بالارض ناصبا ساقيه وفخذيه ويضع على الارض يديه (ويقول) أي كما رواه البزار عن أبي عمر بسند ضعيف وأبو بكر الشافعي في فوائده من حديث البراء انه عليه الصلاة والسلام كان يقول (انما أنا عبد) أي تواضعا منه وارشادا اليه

وهذا من تأكيد المدح بنفيه (آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) في حال الاكل وغيره تواضعا لله فلا يمد رجليه عند جلسائه تكريما وتعظيما لعباد الله وارشاد الغيره ولا يعبؤ بترفع ذوي الوجاهة والتكبر من الملوك وغيرهم وبه اقتدى خلفاؤه رضي الله تعالى عنهم لان الله رقيب عليهم وهو معهم فادبهم انما هو معه وسيأتي الكلام أيضا على هذا الحديث عند ذكر المصنف له في قوله فصل وأما تواضعه وقد ضيف بعض المشايخ بعض الامراء وهيأله محلا ينام فيه فلما دخل وجد فيه مصحفا فلم يزل قائما على قدميه الى الصباح فلما أتاه رب المنزل رآه قائما فقال له لم لا تجلس فقال له كيف أجلس أو أنام في محل فيه كلام الله فقال له من عظم الله عظمه فلم يمض زمن حتى صار سلطانا والله الملك يؤتيه من يشاء (وليس معنى الحديث في الاتكاء) المذكور سابقا (الميل على شق عند المحققين) من أهل اللغة والحديث بل هو مامر وهو أحد قولين لهم واعلم ان الصاغاني قال في المجمع رجل تكأة مثل تؤدة كثير الاتكاء وأصله وكأة والتكأة أيضا ما يتكأ عليه وهو المتكأ قال الله تعالى واعتدت لهن متكأ قال الاخفش هو في معنى مجلس وطعنه حتى اتكأه أي ألقاه على هيئة المتكي وأوكأت فلانا نصبت له متكأ وفي نوادر أبي عبيد أوكأت عليه أي توكأت انتهى وكذا قاله غيره فهو واوي من الوكاء وأصل معناه الشد والمعتمد على شئ يتقوى ويشتد به فالمعتمد حالة الجلوس على الارض أو غيرها متكئ والمائل على أحد شقيه المستند الى الارض أو الوسادة متكئ أيضا فكلا التفسيرين صحيح والمراد به في الحديث صالح للكل منهما ومن فسره بالميل جنح الى انه عادة المتكبرين المترفهين أو المشهور في الاستعمال فحيث طابق الوضع كان أظهر فرد المصنف رحمه الله تعالى لم يصادف محزه وأكثرهم على خلافه الا الخطابي والحق أحق بالاتباع فالحاصل ان حقيقته انما هي الاعتماد الحسي فالمتربع معتمد والمائل معتمد على أحد شقيه فلا خطأ في كلا التفسيرين لمن له معرفة باللغة فالتحقيق خلاف ما ادعاه المصنف رحمه الله تعالى من التحقيق وانما جعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه حالة العبد لانه لاشتغاله بالخدمة والمهنة لا يستقر ويطمئن فيكون مستوفزا مستعجلا والمعنى اني لست مخلوقا للدنيا وترفهها فنظري انما هو لعبادة الله وتبليغ أوامره فلا ألتفت اليها وانما أتناول منها بسرعة مقدارا يسيرا لدفع الجوع كالعبد الموكل بخدمة سيده وثمة نكت أخرى تدرك بالذوق أي انه مهتم بذلك لا بالاكل والشرب كالبهائم (وكذلك) أي كقلة أكله وشربه وعدم ترفهه فيهما (نومه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قليلا) بيان لوجه الشبه (شهدت بذلك) أي قلة نومه صلى الله تعالى عليه وسلم ودلت عليه (الآثار الصحيحة) أي الاحاديث الصحيحة المسندة في كتب الحديث التي أغنت شهرتها عن ذكرها كمامر وهذا كان أكثر حالاته صلى الله تعالى عليه وسلم وربما خالف هذا أحيانا اذقد وردما يؤذن بان نومه زاد على يقظته أو ساواها كحديث النسائي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل مصليا الا رأيناه ولا نشاء ان نراه نائما الا رأيناه (ومع ذلك) أي مع قلة نومه غالبا (فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي) فنومه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس كنومنا بل هو يقظة فكأنه لا نوم له أصلا بحسب الحقيقة فقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم مستيقظ دائما يدرك ما لا يدركه غيره في يقظته ولذا كانت رؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم قسما من الوحي لاتصاله بعالم الملكوت في نومه وكذلك سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم فهذه خصوصية اضافية بالنسبة لامته وهذا أيضا باعتبار غالب حاله فانه صلى الله تعالى عليه وسلم نام هو وأصحابه مرة حتى فاتتهم صلاة الصبح وأدركهم حر الشمس وقد أجيب عنه أيضا بان القلب وان كان يقظان لا يدرك ما تدركه العين النائمة وانما يدرك ما يتعلق به من الحدث والالم ولذا

(آكل كما يأكل العبد) لا كما يأكل الملوك والمترفين وزاد ابن سعد وأبو يعلى بسند حسن عن عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعا (وأجلس كما يجلس العبد) وزاد الديلمي وابن أبي شيبة وابن عدي وأشرب كما يشرب العبد (وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين) بل هو المعنى الاعم الشامل له ولغيره بخلاف ما فهم العامة من ان الاتكاء منحصر في الميل الى أحد شقيه أو الاستناد الى ماوراءه وبهذا يجمع بين ما قاله المصنف ههنا وما ذكره في الاكمال من ان الخطابي خالف في هذا التأويل أكثر الناس وانهم انما حملوا الاتكاء على انه الميل على أحد الجانبين ولذا أنكر عليه ابن الجوزي وقال المراد به المائل على جنبه والله سبحانه وتعالى أعلم

(وكذلك) أي ومثل كون أكله قليلا (نومه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قليلا) أي ليصرف أوقاته النفيسة في طاعته وعباداته الانيسة (شهدت بذلك الآثار الصحيحة) أي والاخبار الصريحة التي أغنت شهرتها عن ايراد كثرتها (ومع ذلك) أي مع كون نومه قليلا (فقد قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان عيني تنامان ولا ينام قلبي) كما رواه الشيخان فنومه كله يقظة ليعي الوحي اذا أوحي اليه في المنام اذ رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحي بدليل قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام اني أرى في المنام اني أذبحك (وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا) أي استعانة بذلك (على قلة النوم لانه على الجانب الايسر أهنأ) بفتح نون فهمز أي ألذ وأشهى ويروى أهدأ أي أسكن وأوفق (لهدوء القلب) بالهمز ويسهل أي سكونه واطمئنانه (ومايتعلق به) أي ولهدوء مايتعلق به (من الاعضاء الباطنة حينئذ) أي حين اذ ينام على الايسر (لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي) جزاء شرط محذوف أي اذا كان النوم عليه أهنأ بسبب ماذكرنا فتستدعي (ذلك الاستثقال فيه) أي الاستغراق في النوم ويروى الاستقلال ولعله

ذهب بعض الفقهاء الى ان نومه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينقض وضوءه وبانه شغل الله تعالى قلبه الشريف بمشاهدة ملكوته مع نوم عينه فلم تدرك خروج الوقت للتشريع لامته وقد مر الكلام على ذلك كله (وكان نومه) صلى الله تعالى عليه وسلم (على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم) أي استعانة فان الاستظهار استفعال من الظهر بمعنى التقوية والاستعانة لان قوة البدن واستمساكه بظهره فكان صلى الله تعالى عليه وسلم من عادته انه اذا نام على شقه الايمن وحكمته مايأتي ان القلب مائل الى جانب اليسار فاذا نام المرء على يساره يستقر القلب فيزيد نومه لراحة قلبه فاذا نام على يمينه تعلق القلب ولم يسترح فيخف نومه ويشر سرعة يقظته من نومه وانما كان مقتضى الحكمة كون القلب في جانب اليسار ليعادل الكبد الذي في جهة اليمين غالبا ولموافقته لما كان يحبه صلى الله تعالى عليه وسلم من التيامن في أموره لما فيه من اليمن لفظا ومعنى وماقيل من انه حال امتهان لاتكائه على الجانب الذي ينام عليه لاوجه له فان في النوم راحة تعين على العبادة فالاتكاء عليه كالاتكاء على أعضاء السجود وكذا ماقيل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوة روحه ويقظة قلبه غالبة لنومه غير محتاج للاستظهار عليه وانما هو للتيمن والتشريع فان القوي اذا تقوى كان شديد القوة والنوم أمر طبيعي في جميع الخلق غالب وقد عرفت ان يقظة قلبه كانت هي الحالة الغالبة فالتقوي احتراز عما يعرض نادرا (لانه) أي النوم (على الجانب الايسر أهنأ) أفعل تفضيل مهموز الآخر من الهنيء أي أسهل وألذ والهنيء ماأتاك من غير مشقة فالنوم على الايسر أيسر وفعله هنوء بالضم ويكسر هنا ه قيل وانما جعل الطائف البيت عن يساره لتوجه قلبه اليه بدعوة واجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم فجعل جانب القلب وأعلاه محاذيا له وقيل لان اليسار محل الوسوسة وكاتب السيئات واليمين محل الرحمة وكاتب الحسنات كما ان البيت محل الرحمة فجعل اليسار بين رحمتين لتقلب ضده وقال ابن عبد السلام الحكمة فيه ان القادم يستقبل البيت من ثنية كداء من ناحية باب بني شيبة فيبقى ركن البيت على يسارك وهو يمين البيت لانك اذا قابلت شخصا فيمينه يسارك ويسارك يمينه والذي يلاقيك من البيت وجهه وهو الباب لان باب كل بيت وجهه والادب أن يؤتى الكبير من قبل وجهه ولهذا ابتدئ بثنية كداء والاصل في القربة التيمن فلو ابتدأ بالحجر وجعل البيت على يساره فكان قد ابتدأ بالوجه واليمين معا فيجمع بين فاضلين ولو ابتدأ بالحجر وجعل على يمينه ترك الادب ويمين البيت الحائط الذي من مركز الحجر الى الطرف الآخر وغيره سايقابله وهو معنى حسن كما قاله ابن مرزوق وقوله (لهدو القلب) تعليل لكونه أهنأ أي لراحته واستراحته لسكونه والهدو بزنة العلو السكون وهو مهموز الآخر وتبدل همزته واوا وتدغم وتسهل أيضا وهو قريب من الهنوء ولامهما همزة في الاصل (ومايتعلق به) أي والهدو معلاقه الذي تعلق به وينياط وكلاهما (من الاعضاء الباطنة) أي الموجودة في داخل الانسان (حينئذ) أي حين نومه على جانبه الايسر (لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك) أي يقتضي ذلك الهدو ويستلزم بحسب الطبع (الاستثقال فيه) أي ثقل بدنه في نومه وغلبة النوم حتى يستغرق فيه وهو جواب اذا أو مسبب عما قبله (والطول) أي طول نومه وطول زمان بطالته (واذا نام النائم على) جانبه (الايمن تعلق القلب وقلق) أي لم يستقر ويطمئن (فاسرع الافاقة) أي التيقظ من نومه (ولم يغمره) بفتح الياء وسكون الغين المعجمة وضم الميم وجزم الراء المهملة (الاستغراق) في النوم وهو انقطاع احساسه انقطاعا تاما طويلا

بمعنى الاستبداد (والطول) أي وطول مدته (واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق) بفتح قاف وكسر لام أي لم يستقر ولم يطمئن (فاسرع) أي ذلك (الافاقة) أي من النوم وسهلت اليقظة (ولم يغمره) بضم الميم أي لم يستوعبه أولم يعله أولم يغلبه (الاستغراق) أي في عالم النوم لوضع القلب مائلا طرفه الاسفل الى الايسر لتتوفر الحرارة عليه فيعتدل الجسم اذ الحرارة كلها مائلة الى الايمن لوضع الكبد فيه ثم هذا التعليل في بيان حكمة نومه على الجانب الايمن دون الايسر لاينافي ماثبت في الحديث

الصحيح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب التيامن في أمره كله ولما في التيامن من اليمن لفظا ومعنى وأثناء الله سبحانه وتعالى على أهل اليمن واعطاء كتبهم بأيمانهم ونحو ذلك *(فصل والضرب الثاني) أي مما تدعو ضرورة الحياة اليه فهو) ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره) أي الافتخار بزيادته مما حاز منه المصطفى الحظ الاوفى وفاز بالنصيب الاصفى (كالنكاح والجاه) أي المحمودين (أما النكاح فمتفق فيه) أي مجمع عليه (شرعا) أي من جهة شرائع الانبياء كافة (وعادة) أي للعقلاء والحكماء عامة (فانه) أي النكاح مع ذلك (دليل الكمال) أي في خلقة الرجال خصوصا مع قلة الاكل (وصحة المذكورية) بالرفع والجر كالتفسير لما قبله (ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة) أي بحيث ان انكاره مكابرة (والتمادح به سيرة عادية) بتشديد الياء أي طريقة قديمة لا حادثة (وأما في الشرع) أي وأما التفاخر بكثرته والتمادح به في الشريعة (فسنة مأثورة) أي مروية منقولة كثيرة (وقد قال ابن عباس) كما رواه البخاري (أفضل هذه الامة) أكمل افرادها (أكثرها نساء) حيث أبيح له تسع منهن (مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد تزوج عليه الصلاة والسلام احدى عشرة توفي قبله اثنتان خديجة وزينب وما عداهما الباقيات بعده

ولم

وغمره له بتغطيته وشدة استيلائه عليه من غمره الماء اذا علاه فهو استعارة كما استعيرت الغمرة للشدة فبينه وبين الاستغراق مناسبة لطيفة لانه من الغرق وذلك لان القلب مائل طرفه الاسفل الى اللسان لتتوفر الحرارة منه عليه فيعتدل الجسم فان الحرارة كلها في الايمن لكون الكبد فيه

(فصل) والضرب الثاني) مما تدعو ضرورة الحياة اليه وهو الفصل التاسع وعقبه بما قبله لانه ضده اذ فيما قبله يتمدح بقلته وبضدها تتميز الاشياء وهو (ما يتفق التمدح بكثرته) ينفق أي من قولهم اتفق كذا وقع اتفاقا أي وقع من غير قصد لصاحبه أو من الاتفاق وهو اجتماع الكلمة فالاصل ما يتفق الناس على التمدح بكثرته أي كثرة المدح وقوته والمراد الاول لان صاحبه لم يقصده ولم يقصد مدح الناس له بسببه وان كان قد يقصد ذلك (والفخر بوفوره) أي الافتخار بكثرته دون قلته ووجوده فانه موجود في كثير مما لا يعتد به وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ منه بالحظ الاوفى الاوفر (كالنكاح) أي الجماع فانه يطلق عليه وعلى العقد كما مر والمراد الاول (والجاه) وهو علو القدر عند الناس والمهابة ونفوذ الكلمة والاشتهار بذلك وهو من الوجاهة والمواجهة وأصله وجه فقلب واعل كما مر (أما النكاح فمتفق فيه) أي في مدحه وشأنه اتفق العلماء وأصحاب البصيرة والتمييز (شرعا) كما سيأتي بيانه (وعادة) فيما اعتاده الناس وتعارفوه كما لا يخفى ونصب شرعا وما بعده على التمييز أو المصدرية ثم بين ذلك على اللف والنشر المشوش فقال (فانه) أي النكاح (دليل الكمال) في الخلقة والجسم بقوته واعتداله (وصحة الذكورية) الظاهر انها مصدر كالصعوبة والانوثة والمشهور انها جمع ذكر خلاف الانثى ويصح ارادته أيضا الا ان الاول أولى وصحة الذكورية بمعنى قوتها وسلامتها من الضعف والآفة (ولم يزل التفاخر بكثرته عادة) للناس (معروفة) بينهم لا تنكر (والتمادح به سيرة) أي طريقة (ماضية) أي قديمة أو نافذة مقررة من مضى الامر اذا قضى وقرر (وأما في الشرع فسنة مأثورة) أي هو في الشرع أمر مسنون منقول في آثار السلف والاحاديث الصحيحة أي المراد أنه طريقة مشهورة قال الراغب سنة النبي طريقته التي كان يتحراها (وقد قال ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما وهو حديث صحيح رواه البخاري (أفضل هذه الامة) أي أفضل أمة الاجابة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عبر باسم الاشارة (أكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني أن المراد بالافضل في كلامه هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أبيح له جمع ما فوق الاربعة وهو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم دون أمته فدلت الاكثرية على تعينه بهذه الافضلية ولذا عبر عنه بالاشارة فانها تطلق على مقابل الصريح وهو وان كان أفضل من أمته أجل وأعلى من أن يقال انه أفضل منهم مع انه لا فائدة فيه ببادي الرأي الا أنه رضي الله تعالى عنه قصد الحض على النكاح والاكثار منه ولذا كان مفيدا وهذا الكلام قاله لسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه لما سأله ألك زوجة فقال لا فقال له تزوج فان خير هذه الامة من كان أكثرها نساء كما في صحيح البخاري ولا بد من جعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم داخلا في الامة على ما يأتي لان أفعل التفضيل في الاصل انما يضاف لما هو بعضه وان جاز يوسف أحسن اخوته على ما ارتضاه بعض النحاة على تفصيل فيه شهرته تغني عن ذكره وهذه الكثرة باعتبار ما أبيح له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد التزوج بمن شاء أن يجمع في وقت واحد عنده عدة لا تجوز لا بمجرد الدخول والعقد فانه ثابت لغيره أيضا وكان اللاتي تزوج صلى الله تعالى عليه وسلم بهن باجماع أهل السير احدى عشر امرأة ستة من قريش وأربع من سائر العرب وواحدة من بني اسرائيل من نسل هارون عليه الصلاة والسلام وهي صفية بنت حيي وسيأتي لذلك مزيد بيان وأما التي اختلف فيهن من فارقها أو عقد عليها

ولم يدخل بها أو خطبها ولم يقع عليها العقد فاختلف فيهن وفي سبب فراقهن والذي ذكره بعضهم انهن سوى من تقدم سبع فالجميع ثمان عشرة امرأة غير السراري ويمكن أن يكون المراد بالامة ما يشمله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته ولا بعد فيه كما قيل والتمدح بالنكاح لما فيه من الفوائد كالولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وترك ما يشغل عن القيام باوامر الله تعالى مع امتثال أمر الله كقوله تعالى خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وفي ذلك تسبب للالفة والمودة وايصال القرابة ولان فيه تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الا النساء ولما فيه من اظهار معجزته لقوة قدرته على الجماع مع قلة أكله وتنعمه والمعتاد خلافه ومع ذلك لم يشغله ذلك عن تقيده بامر الجهاد والتبليغ الى غير ذلك مما لا يحصى وقد عد من النسك والعبادة بل قيل انه أفضل منها أحيانا وهو من أخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتركه للقادر عليه مكروه الا أن يخرجه الكسب مالا يقدر عليه وارتكاب محظور كما في آخر الزمان واذا ورد خيركم الخفيف الحاذ الذي لا زوجة له ولا ولد وانما قيد بهذه الامة ليخرج سليمان وداود عليهما الصلاة والسلام فانهما كانا أكثر منه صلى الله تعالى عليه وسلم نساء وفيه تأمل (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني أباهي بكم الامم يوم القيامة) ووقع في بعض النسخ تناكحوا فاني مباه بكم الخ بدون تناسلوا والتناكح تفاعل من النكاح بمعنى التزوج كما ورد بهذا اللفظ والمفاعلة على ظاهرها بان يراد لينكح أحدكم بنت غيره وينكح الغير بنته وهو عبارة عن مصاهرة المسلمين بعضهم من بعض والتناسل كثرة النسل وهم الاولاد والذراري أو المراد بالتفاعل لازم معناه وهو كثرة النكاح وهذا أنسب بالمقام وبما بعده وأصله تتناسلوا بتاءين في أول المضارع وحذفت على القياس في كل تاءين في أوله أو هو أمر بدل مما قبله أو بتقدير العاطف والاول أولى لان التناسل ليس باختيارهم وانما هو فعل الله فيحتاج الى تأويله باطلبوا التناسل واحرصوا عليه بان تنكحوا غير العقيمة والآيسة من الولد بان يعلم ذلك منها ان كانت ثيبا أو يكون الظاهر ذلك منها الشبابها ففيه نهي عن نكاح العجائز من غير داع واشارة الى أنه ينبغي أن يكون المقصود من النكاح مع قمع الشهوة وجود ذرية تعبد الله وتحصل بها كثرة الامة والمباهاة المفاخرة وهي على ظاهرها بان تقع منه المفاخرة حقيقة أو تجعل مسرته بهم ورؤية غيرهم لهم كالمفاخرة ويؤيده ما روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال آتي يوم القيامة بمثل السيل فيحطم الناس فتقول الملائكة عليهم الصلاة والسلام لما جاء مع محمد أكثر مما جاء مع الامم والانبياء وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر الناس أمة لعموم بعثته وبقائها وكثرة اتباعه وجنده المؤيدين لدين الله ففيه فخر عظيم وهذا الحديث أخرجه ابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف الا انه حسن لكثرة متابعته لفظا ومعنى فانه رواه الطبراني في الاوسط من حديث سهل بن حنيف رضي الله تعالى عنه تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم وعن معقل بن يسار رضي الله عنه تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة (ونهى) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن التبتل) كما رواه الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه والحديث صحيح قال فيه رد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن لنا لاختصينا فهذا هو المنهي الذي كان استأذنه في التبتل فرده ونهاه عنه وروي ان جماعة من الصحابة فيهم علي كرم الله وجهه لما رأوا عبادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قالوا نلزم الصوم والعبادة ونترك نساءنا ونطلقهن وننقطع للعبادة فنهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك والاختصاء الشق على الانثيين وانتزاعهما وهو والتبتل من البتل وهو القطع والمراد الانقطاع عن النكاح بالكلية ويقال رجل بتول وامرأة بتول اذا انقطعت عن الرجال واذا قيل لمريم البتول وأما فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها فسميت بتولا لانقطاعها عن الدنيا وزهدها أو لانقطاعها

(وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما ذكره ابن مردويه في تفسيره عن ابن عمر مرفوعا (تناكحوا) زيد في نسخة تناسلوا (فاني مباه بكم) اسم فاعل من المباهاة أي مفاخر بكثرتكم (الامم أي السالفة (يوم القيامة) كما في نسخة ولفظ الطبراني في الاوسط تزوجوا الولود فانه مكاثر بكم الامم وفي رواية أبي داود والنسائي وابن ماجه فاني مكاثر بكم الامم (ونهى) كما رواه الشيخان (عن التبتل) قال اليمني في حاشيته التبتل الانقطاع عن الدنيا ومنه قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا انتهى وعدم صحته في المقام لا يخفى فالصواب ان المراد بالتبتل هنا هو انقطاع الرجل عن النساء وعكسه فانه من شريعة النصارى وطريقة الرهابين وهذا لا ينافي قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اذ معناه انقطع تعلق القلب بالخلق الى التوجه بالحق انقطاعا خاصا يعبر عنه بكائن بائن وقريب غريب وعرشي فرشي على اختلاف عبارات الصوفية نظرا الى الاعمال الصادرة من الاحوال الباطنة والظاهرة

لعبادة الله تعالى أولانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا وأما قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا فليس منافيا للحديث لانه بمعنى آخر أى انقطع فى الليل لعبادة الله تعالى والتهجد وأخلص له واقرأ القرآن وورد النهى عن موافقتهم للنصارى وما كانوا عليه من الرهبانية واما قوله لوأذن لنا لاختصينا فلا يدل على جواز الاختصاء ان كان على حقيقته فانه قد يستعمل بمعنى آخر كما سمى الصوم وجاء وهو جائز فى البهائم فى صغرها الغرض كتسمين المأكول وهو فى الآدميين حرام لانه مثلة و يكره استخدام الخصى ويمنع من دخوله على النساء ثم ان النهى عن ترك النكاح للقادر عليه يفيد كراهته لانه مستحب وعند المالكية واجب فالنهى على ظاهره قال التجانى المتأخرون من المالكية يجعلونه فى حق بعض الناس واجبا وفى حق بعضهم مندوبا اليه وفى حق بعضهم مباحا التفاتا للاصلحة وهذا نوع من القياس يسمى القياس المرسل وهو الذى ليس له أصل يستند اليه وانما هو لاقتضاء المصلحة وقد أنكره كثير من العلماء والظاهر من مذهب أصحاب مالك القول به انتهى (مع مافيه) أى فى النكاح أو فى التبتل وقيل الاول متعين بقرينة ماسيأتى (من قمع الشهوة) أى قهرها او الغلبة وأصله ضرب الرأس ومنه مقامع من حديد والمراد بالشهوة شهوة النكاح والنساء (وغض البصر) أى خفض البصر وتغميضه عن النظر عما يحرم وجعل غض البصر كأنه فيه مبالغة لانه حامل عليه وقيل انه مجاز لان من لم يتشوق لامر يغض عنه عينه فكانه لا يبصره ويجوز جعله حقيقة أو كناية (اللذين نبه عليهما) صفة لقمع الشهوة وغض البصر (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الحديث الذى رواه ابن ماجه عن عائشة رضى الله تعالى عنها الا ان فى سنده مقالا وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج وأخرجه الطبرانى بلفظ المصنف رحمه الله تعالى بدون فاء الى آخره (من كان ذا طول) بفتح الطاء المهملة وسكون الواو واللام وهو سعة الرزق والمال بحيث يكون له قدرة على نفقة زوجته وأهله بحيث لا ينظر الى مال امرأته وغيرها لانه ورد فى الحديث أيضا لا تنكح المرأة لمالها فلعل مالها ان يطغيها ولا لجمالها فلعل جمالها ان يرديها وعليكم بذات الدين فانهن فى النساء مثل الغراب الاعصم قال ابن رشد وهذا نهى ارشاد لا تحريم وورد فى الحديث استوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع وان أعلاه أعوج فان أردت تقيمه كسرته وقد نظمه القائل حيث قال

هى الضلع العوجاء لست تقيمها ❊ الا ان تقويم الضلوع انكسارها
أتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى ❊ أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

ومنه أخذ المنصور قوله

اذا نقمت عرس وأنت تحبها ❊ فدع بحرها رهوا ولا تثر الموجا
ولا تطمعن الدهر فى ان تقيمها ❊ فقد خلقت فى الاصل من ضلع عوجا

(فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج) أى فان التزوج أكثر حملا على غض البصر وكفه عن النظر لما يحرك الشهوة وأكثر تحصينا أى حفظا للفرج عن الزنا والمفضل عليه التبتل وتحصين الفرج بقمع الشهوة ففيه تنبيه على الامرين المذكورين ثم لما كان فى التبتل زهد ظاهر ربما يتوهم انه أفضل من التزوج دفعه بقوله (حتى لم يره) أى التزوج والنكاح (العلماء) بالدين والشرع (مما يقدح فى الزهد) القدح والطعن فى الشئ ذكر عيوبه أى ليس مما ينقص الزهد حتى يعيبه الناس فاسند القدح اليه مبالغة وقوله فى الزهد أى ترك الدنيا ولذاتها الا ان ماذكر من جملة التلذذ لان القصد به التعفف والنسل وهذا مروى عن عمر رضى الله عنه فانه قال ليس فى النساء سرف ولا فى تركهن عبادة

(مع مافيه) أى فى النكاح من فوائد كثيرة كما بينه بقوله (من قمع الشهوة) أى دفعها للرجل والمرأة (وغض البصر) أى خفضه وغمضه لهما (اللذين نبه عليهما صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله) أى فيما رواه الطبرانى (من كان ذا طول) بفتح الطاء أى قدرة وسعة على المهر والنفقة ولفظة الشيخين من استطاع منكم الباءة (فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج) أى أمنع وأحفظ له وهو مقتبس من قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن وباقى الحديث ومن لا فالصوم له وجاء على مارواه النسائى (حتى لم يره العلماء) أى من الاولياء مع كونه من قضاء الشهوة (مما يقدح فى الزهد) أى فى هذه الدنيا وشهواتها ومستلذاتها وكان شيخنا المرحوم على المتقى يقول كل شهوة تظلم القلب الا النكاح فانه ينوره ويصفيه

(وقال سهل بن عبد الله) أى التسترى وهو من أجل الزهاد وأكمل العباد (قد حبن) بصيغة المجهول من التحبيب أى جعلت النساء محبوبة (الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن) بصيغة المجهول أى فكيف يجوز ويتصور الزهد فى حقهن والميل عنهن (ونحوه لابن عيينة) وهو من علماء السنة روى عنه أحمد وخلق قال أبو نعيم أدرك أبو سفيان ستة وثلاثين من أعلام التابعين وقد قال سفيان الثورى أيضا ليس فى النساء سرف والله انى لمشتاق الى العرس (وقد كان زهاد الصحابة) كعلى وابنه الحسن وابن عمر (كثيرى الزوجات والسرارى بتشديد الياء) وتخفف جمع سرية وكل ما كان مفرده مشددا جاز فى جمعه التشديد والتخفيف كذا قال بعضهم قال الجوهرى هى الامة التى بوأت لها بيتا وهى فعيلة منسوبة الى السر وهو الجماع أو الاخفاء لان الانسان كثيرا ما يسرها ويسترها عن حرمه وانما ضمت سينه لان الابنية قد تغير فى النسبة خاصة كما قالوا فى النسبة الى الدهرى دهرى والى الارض السهلة سهلى وكان الاخفش يقول انها مشتقة من السرور لانه يسر بها ويقال تسررت جارية وتسريت أيضا كما قالوا تظننت وتظنيت انتهى (كثيرى النكاح) أى الجماع ويبعد ان يراد به العقد لانه علم فى ضمن ما تقدم وأعاد لفظ الكثيرين اهتماما بالقضية قال عمر رضى الله تعالى عنه انى أتزوج المرأة ومالى فيها من أرب واطؤها ومالى فيها من شهوة فقيل له فى ذلك فقال حتى يخرج منى من يكاثر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وحكى فى ذلك عن على) بن أبى طالب روى انه نكح بعد وفاة فاطمة رضى الله تعالى عنها بسبع ليال فكان لعلى أربع نسوة وتسع عشرة وليدة غير من متن أو طلقن (والحسن) أى وعن الحسن الظاهر انه ابن على كرم الله تعالى وجهه ويحتمل الحسن البصرى بناء على قاعدة المحدثين من انه المراد عند الاطلاق لكنه يبعد هنا التقديم على قوله (وابن عمر) وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم وانه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وروى انه جامع ثلاثا من جواريه فى شهر رمضان قبل العشاء الاخيرة (وغيرهم) أى وعن غيرهم (غير شئ) أى شئ كثير فكان الحسن بن على أشد الناس حبا للنساء قيل انه أرخى ستره على مائتى حرة لانه كان مطلاقا وكان ربما عقد على أربع فى عقد واحد ولما خطب بنت المسيب الفزارى وخطبها أخوه الحسين وابن عمهما عبد الله بن جعفر شاور عليا فقال له اما الحسن فطلاق والحسين شديد الخلق ولكن عليك بابن جعفر فزوجها له

وزهد كما فى تحفة العروس للتجانى (قال سهل بن عبد الله) التسترى وقد تقدمت ترجمته (قد حبن) بالبناء للمجهول والتشديد (الى سيد المرسلين) أى خلق الله تعالى فيه محبتهن وسيأتى بيانه والضمير للنساء (فكيف يزهد فيهن) أى اذا كان الله تعالى جعل حبهن مركوزا فى جبلة من هو أزهد الخلق صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف يدعى أحد ان تركهن زهد وفى سراج المريدين فى قوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما ان هذه الآية تدل على فضل التزوج على العزوبة لبقاء الذرية ودعاؤها الذى هو عمل لا ينقطع بموته قلت ويدل على انه أفضل فى حق من يقتدى به الناس (ونحوه) أى مثل المروى عن التسترى مروى (عن ابن عيينة) علم منقول من تصغير العين وهو سفيان بن عيينة بن عمران الكوفى أحد الائمة الاعلام الامام الحافظ روى عن كثير كالزهرى وابن دينار وأحمد والزعفرانى وروى عنه خلق كثير وخرج له أصحاب الكتب الستة وكان يسكن مكة وتوفى فى رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ومولده سنة سبع ومائة وكان أعور وترجمته مشهورة وهو من تبع التابعين أدرك منهم ستة وثمانين نفسا (وقد كان زهاد الصحابة رضى الله تعالى عنهم كثيرى الزوجات والسرارى كثيرى النكاح) كثيرى بيائين أصله كثيرين بصيغة الجمع فحذفت نونه للاضافة يعنى كانوا يكثرون من النساء حرائر واماء أو انهم كانوا يطلقون كثيرا فتكثر زوجاتهم بهذا الاعتبار كما قاله التجانى وكان عند على كرم الله وجهه أربع نسوة وتسع عشر وليدة الا انه لم يتزوج غير فاطمة رضى الله عنها حتى ماتت وولده منها الحسن والحسين ومحسنا وتوفى صغيرا فى حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى سماه محسنا كما ذكره الدارقطنى والحسن رضى الله تعالى عنه كان من أشد الناس حبا للنساء وكان مطلاقا كما قيل انه أرخى ستره على مائتى حرة والسرارى بتشديد الياء وتخفيفها جمع سرية بالتشديد والسرية هى الامة المنكوحة ولو مرة فلا تسمى سرية قبل الوطء حتى ان من جعل بيد زوجته عتق كل سرية له لم يكن لها عتق التى لم يطأها زوجها وهى منسوبة الى السر الذى هو الجماع أو الاخفاء لانه كثيرا ما يخفيها عن زوجته فضم سينها من تغييرات النسب كما قيل فى النسبة للدهر دهرى بالضم وقيل انها مشتقة من السرور لانه يسر بها فابدل احدى رائيها ياء كما قالوا تظننت وتظننت وضم سينها لازم ولذا قيل عليك بضم الصدر السرية والتسرى سنة وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بالسرارى فانهن مباركات الارحام وقد تسرى الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضى الله تعالى عنهم (وحكى) بالبناء للمجهول (فى ذلك) المذكور من التزوج والتسرى وكثرته (عن على) كرم الله وجهه (والحسن) ابنه كما لانه المنقول عنه ذلك ولذا قدمه لا الحسن البصرى فانه لم ينقل عنه مثله (وابن عمر وغيرهم) من الصحابة (غير شئ) هذا هو نائب فاعل أى حكى عنهم أشياء كثيرة فى ذلك لا شيئا واحدا

وأبهمه لكثرته كما في قوله (وقد ذكره غير واحد) من السلف الصالحين (ان يلقى الله) أي يموت لان لقاء الله يكنى به عن الموت كما جاء في الحديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه وقال الراغب لقاء الله عبارة عن القيامة وعن المصير اليه قال الله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم واللقاء الملاقات وأصل معناه مقابلة الشئ ومصادفته معا وقد يعبر به عن كل واحد منهما (عزبا) بفتح العين المهملة والزاى المعجمة والباء الموحدة هو الذى لا امرأة له من عزب بمعنى تباعد يقال رجل عزب وامرأة عزبة وعزب عنه علمه اذا غاب عنه ولم يعلمه وهذا مروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فقد حكى عنه انه كان يقول لو لم يبق من عمرى الا عشرة أيام لاحببت ان أتزوج لئلا ألقى الله عزبا وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه في الطاعون وكان هو مطعون أيضا فقال زوجونى فانى أكره ان ألقى الله عزبا أي بعيدا عن النساء وقال في الدرة العزب يقال للذكر والانثى وقد يقال للمرأة عزبة ولا يقال للرجل أعزب بالهمزة أو هى لغة قليلة وفي التقريب قال أبو حاتم لا يقال أعزب قال الازهرى وأجازه غيره وورد في الحديث في مسلم ما في الجنة أعزب قال النووى هو في جميع نسخ بلادنا بالالف وهو لغة مشهورة وما وقع في بعض النسخ من تقييد عزب بسكون الزاء بالقلم كما قاله البرهان لا وجه له فانه خلاف المنقول في كتب اللغة (فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيي ابن زكريا) جعلهما لشهرتهما وشهرة اتصافهما بما ذكر بمنزلة المحسوس المشاهد حتى أشار اليهما ويحيي وزكريا بلغاته أعجميان وقيل انه عربى مشتق من الحياء لا كالمفازة بل لان الله تعالى أحيا قلبه بانوار النبوة الذاتية والمقتبسة من زكريا لانه أول من آمن به وأوتى النبوة والفضائل المكتسبة منه فقال انا نبشرك بغلام اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميا قال قتادة والكلبى لم يسم أحد قبل يحيي بذلك فاحيي الله به دين عيسى عليه الصلاة والسلام فاشتق له من اسمه الحى اسما كما اشتق اسم سيدنا ونبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من اسمه المحمود كما قيل وكان هو وعيسى ابنى خالة وكانت أمه تقول لمريم انى أجد الذى في بطنى يسجد للذى في بطنك كما سيأتى ويحيي أكبر من عيسى وفي مقدار عمره اختلاف فقيل كان عمره مائة وعشرين سنة وقيل ثمانية وتسعين وقيل اثنين وسبعين وأما زكريا فمن ذرية سليمان عليه الصلاة والسلام وكان آخر من بعث من بنى اسرائيل قبل عيسى عليه الصلاة والسلام ولما أراد بنو اسرائيل قتله فر منهم فانفلقت له شجرة فدخلها فاخذ الشيطان بهدب ثوبه فلما رأوه نشروا الشجرة حتى قطعوه في جوفها وأما يحيي عليه الصلاة والسلام فقتل بسبب امرأة أراد ملكهم نزوجها فقال له يحيي انها لا تحل لك لانها بنت امرأتك فتوصلت لقتله قبل ان يرفع عيسى عليه الصلاة والسلام فكان دمه يفور حتى قتل منهم بخت نصر سبعين ألفا وهذا قصاص الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما ان قصاص الملوك خمسة وثلاثون ألفا كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقد قيل بل صح في الحديث ان الموت بعد استقرار أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة يؤتى به بصورة كبش أملح فيذبحه يحيي وقيل الذى يذبحه جبريل عليه السلام والثانى مروى في بعض التفاسير وأما الاول فلا مستند له وان ذكره بعض الصوفية (قد أثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا) في قوله تعالى وسيدا وحصورا والسيد الرئيس الشريف وفيه تفاسير سيأتى وأما الحصور فمن الحصر وهو المنع ولذا اشتهر تفسيره بمن انحصر عن النساء بحيث لا يأتيهن وأخرج ابن جرير عن ابن عمرو عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يلقى الله تعالى الا ذا ذنب الا يحيي بن زكريا فان الله تعالى عز وجل يقول وسيدا وحصورا قال وانما كان ذكره مثل هدبة الثوب وأشار بانملته وبه فسر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وأورد شاهدا له من كلام العرب وعلى هذا بنى المصنف رحمه الله تعالى

(وقد ذكره غير واحد) أي من العلماء (ان يلقى الله عزبا) بفتح الزاى قيل ويسكن من لا أهل له كذا قيل وهو من العزب بمعنى البعد ومنه قوله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة فالعزب هو البعيد عن النساء وكأنه أراد ان يلقاه على الجميع ما يرضاه ولذا قيل في تفسير قوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون أى متزوجون لان من كمال الاسلام القيام بسنته عليه الصلاة والسلام وهذه الكراهة رويت عن ابن مسعود وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو أيضا مطعونا فقال زوجونى فانى أكره ان ألقى الله عزبا (فان قيل) وفي نسخة صحيحة فان قلت (كيف يكون النكاح) أى أصله (وكثرته من الفضائل) أى التى أجمع عليها في كل شريعة (وهذا يحيي بن زكريا) عليهما الصلاة والسلام (قد أثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا) أى ممنوعا عن النساء بالعجز عنهن أو لعدم الالتفات اليهن

(فكيف يثنى الله عليه بالعجز) أو عدم الميل (عما يعد فضيلة) أى شرعا وعادة (وهذا عيسى) أى ابن مريم كما فى نسخة (عليه الصلاة والسلام قد تبتل من النساء) أى انقطع عنهن ولم يمل اليهن وأبعد الدلجى فى قوله منقطعا الى ربه ومنه تبتل اليه تبتيلا أى انفرد له بالطاعة ووجه بعده لا يخفى على أرباب الصفاء مع ما تقدم فى كلامنا اليه من الايماء (ولو كان) أى النكاح (فضيلة) كما قررته (لنكح) أى لتزوج كل منهما (فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه الصلاة والسلام بانه كان حصورا ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا) فعول من الهيبة أى جبانا عن النكاح وخائفا من النساء وفى الحديث الايمان هيوب أى صاحبه ٤٠٠ يهاب الذنب فيتقيه (أو لا ذكر له) وفى رواية بعده أى لا همة له فيه (بل قد أنكر هذا) أى ما ذكر من القولين (حذاق المفسرين) أى مهرتهم (ونقاد العلماء) أى محققوهم (وقالوا هذه نقيصة وعيب) أى لا يوجب الثناء (ولا تليق بالانبياء) أى لا تضاف اليهم (وانما معناه) أى معنى كونه حصورا (انه كان معصوما من الذنوب أى لا يأتيها كأنه حصر عنها) بصيغة المجهول أى حبس ومنع وحفظ وعصم منها وهذا بناء على انه فعول بمعنى مفعول (وقيل مانعا نفسه من الشهوات) أى المستلذات من المباحات لا من المستحبات فهو بمعنى فاعل (وقيل ليست له شهوة فى النساء) أى شهوة كثيرة أو مطلقا لكنه يباشر هذه الخصلة لما فيها من الفضيلة لما سبق عن عمر رضى الله تعالى عنه وأحسن الاجوبة أوسطها واما الدلجى بانه الذى لا يقرب النساء مع القدرة فلا وجه له فى هذه الحالة التى تفوته الفضيلة هذا وقد ذكر التلمسانى ان عيسى عليه والصلاة والسلام يتزوج فى آخر الزمان بعد نزوله وقتله الدجال امرأة من جهينة ويولد له ولد ذكر ويتوفى عيسى عليه الصلاة والسلام ويدفن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينه وبين أبى بكر واما يحيى فانه لم يمت حتى ملك بضع امرأة لكنه لم يبن عليها ففعله هذا انما كان لنيل الفضيلة واقامة السنة وقيل لغض البصر ودفع الفتنة

السؤال كذا فى الشرح الجديد أقول هذا الحديث لم يثبت وسئل النووى رحمه الله تعالى فى فتاويه عن حديث ما منا الا من عصى أو هم بمعصية الا يحيى بن زكريا فاجاب بانه حديث ضعيف لا يحتج به رواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن زهير عن عفان عن حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما أحد من ولد آدم الا قد أخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا واسناده ضعيف لان ابن جدعان ضعيف ويوسف بن مهران مختلف فى جرحه (فكيف يثنى الله عليه) فى القرآن (بالعجز عما يعده فضيلة) وهو النكاح وكثرته (وهذا عيسى بن مريم) عليه الصلاة والسلام (تبتل عن النساء) أى انقطع عنهن بالكلية ولم يتزوج (ولو كان كما قررته) ان النكاح بل كثرته فضيلة ممدوحة (لنكح) أى لتزوج ليحوز هذه الفضيلة فاجاب بقوله (فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى) عليه الصلاة والسلام (بانه كان حصورا ليس) معناه (كما قال بعضهم) كما مر (انه كان هيوبا) أصل معنى الهيوب الجبان من الهيبة وهى المخافة والتقية ويأتى بمعنى من يخافه الناس وليس بمراد هنا بل المراد انه كان جبانا عن النكاح (أو لا ذكر له) الذكر بفتحتين معروف لم يرد ظاهره وانما أراد انه صغير جدا أو لا حركة له أصلا لما ورد فى بعض الاحاديث الضعيفة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ نواة أو قذاة وقال كان ذكره مثل هذه وفى أخرى مثل هدبة الثوب وقال ابن المنذر كان عنينا وقد يطلق الحصور على المجبوب الذكر والانثيين كما فى حديث القبطى الذى أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا كرم الله وجهه بقتله قال فرفعت الريح ثوبه فاذا هو حصور (بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء) حذاق جمع حاذق بمعنى ماهر فى علم التفسير والنقاد جمع ناقد وهو الذى يميز جيد النقدين من رديئهما وأصل معناه الوزن وخلاف النسئة ولم يذكر الاول فى القاموس وهو المراد هنا (وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء) عليهم الصلاة والسلام أى لا تصلح لهم ولا تناسبهم من لاق الدواة يليقها اذا أصلحها (وانما معناه انه كان معصوما من الذنوب) كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والعصمة عندنا ان لا يخلق الله تعالى فيهم ذنبا وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور وسيأتى الكلام على تفصيل عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (أى لا يأتيها كأنه حصر عنها) أى منع عنها فحصور بمعنى محصور قال التجانى هذا الجواب ضعيف لما ورد فى حديث بشر بن عطية قال لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تحصر فى الاسلام وقال لا حصور الا يحيى بن زكريا كما أخرجه الماوردى وغيره وفيه نظر سيأتى (وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة فى النساء) يعنى ان له قدرة على الجماع ولكنه يمنع نفسه عنها باشتغاله بغيرها من العبادة أو له قدرة ولكن لا تتوق نفسه له ولا يريده فانهم عرفوا الشهوة بانها توقان النفس الى الامور المستلذة وفرقوا بينها وبين الارادة بان الارادة أعم فان الارادة قد تتعلق بما لا تشتهى كارادة شرب الدواء والاشتهاء ميل طبيعى غير مقدور ولذلك يعاقب بارادة المعاصى عند بعض ولا يعاقب باشتهائها فالمعنى ان الله تعالى عصمه بان

(فقد بان لك من هذا) أي الذي ذكرناه (ان عدم القدرة على النكاح نقص) أي للكمل (وانما الفضل في كونها) أي القدرة (موجودة) أي قائمة بمحالها ثابتة (ثم قمعها) قال الدلجي مبتدأ والظاهر انه مجرور عطفا على كونها أي ثم الفضل في قمع القدرة عن النكاح مخالفة للشهوة (اما بمجاهدة) أي ٤٥٦ برياضة نفسانية (كعيسى عليه الصلاة والسلام أو بكفاية من الله) أي لهذه المؤنة بالعصمة من غير الحاجة الى المجاهدة (كيحيى عليه الصلاة والسلام فضيلة زائدة) بالنصب على التمييز من قوله موجودة وجعله الدلجي خبر المبتدأ بناء على اعرابه في رفع قمعها فاحتاج الى ان يقول زائدة على فضيلة القدرة على قمعها وكان حقه ان يقول مع عدم قمعها والظاهر ان المصنف أراد ان القوة مع القدرة على قمعها فضيلة زائدة لا خصلة راتبة كما عبر الفقهاء بالسنن الزوائد والرواتب ولا شك ان الزوائد قد تترك لبعض العوارض الموجبة لكون تركها حينئذ أفضل من فعلها بالنسبة الى بعض الاشخاص والاحوال وأوقاتها فهذه الفضيلة زائدة قد تترك (لكونها شاغلة) وفي رواية مشغلة بضم الميم وكسر الغين أو بفتحهما (في كثير من الاوقات) أي عن الطاعات التي تورث الدرجات العاليات في روضات الجنات (حاطة) بتشديد الطاء أي واضعة منزلة له عن علو الحالات لكونها مرغبة ومميلة وجارة (الى الدنيا) أي محبتها أو جمعها والاشتغال بها لحصول تلك الفضيلة الزائدة والحاصل ان كل فضيلة لها مضار ومنافع كالنكاح والتبتل والعزلة والخلطة والغنى والفقر فينظر الى زيادة المنفعة وقلة المضرة بالنسبة الى طالبها وصاحبها فيحكم بمقتضاه ولا يجوز الاطلاق فيما استفتاه ولذا قال المصنف

لم يخلق فيه ميلا للمشتهيات ولو لم يفسر بما ذكر لما صح تعقيبه بقوله (فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها) وهذا معنى ما قاله السهيلي في تفسيره ان الظاهر ان كونه حصورا كان عن اختيار منه لان خلافه نقص في الخلقة وعيب ينزه عنه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما ذكره ابن حزم في الملل والنحل من ذمه انما يتمشى فيما اذا كان لمجرد الشهوة البهيمية اما اذا كان لتكثير النسل في الاسلام فلا ذم فيه وقال ابن العربي في قول من قال الحصور هو الذي يكف عن النساء عن قدرة هو الصحيح لوجهين أحدهما انه أثنى به عليه ومثله انما يكون على المكتسب لا الجبلي الثاني ان حصورا فعولا من صيغ المبالغة وهو انما يكون في الافعال الاختيارية فهو كف عن قدرة وهو في شرعه مطلوب بخلاف شرع نبينا المنهي صلى الله تعالى عليه وسلم عن التبتل انتهى فاندفع ما قيل ان قوله لا شهوة له في النساء لا وجه له لذكره هنا لانه في مقام الجواب عما أورد وهذا مقرر للايراد لا جواب عنه وما ذكر في هذا المقام هو وجه تفضيل البشر على الملك فان قلت فما تقول فيما ورد في الحديث على فرض صحته من انه عنين أو ماله كقذاة أو نواة أو هدب ثوب قلت أجيب عنه بانه لغلبة خوف الله تعالى عليه وشدة الرياضة التي كانت مشروعة له ذبلت أعضاؤه واضمحلت حتى صار كانه مثل ما ذكر لا أنه نقص في خلقته فهو على طريق التشبيه والتمثيل (اما بمجاهدة) متعلق بقمع والمراد بذلك ان الله خلق الانبياء عليهم السلام على أحسن تقويم فلهم قوة على الجماع زائدة على غيرهم الا أن منهم من قهر شهوته وغلبها حتى أضعفها وذلك اما بمجاهدة كافراط الرياضة بجوع وسهر وخلوة عنهن للعبادة وهو المراد بالمجاهدة لانه يجاهد نفسه ويمنعها عما تريده من الشهوات وهو الجهاد الاكبر (كعيسى عليه الصلاة والسلام) أو يقهرها بعدم مطاوعتها على ما تريد لان الله تعالى خلقه وجعل فيه ملكة على ترك الشهوات من غير مجاهدة وهو المراد بقوله (أو بكفاية من الله كيحيى عليه الصلاة والسلام) فان الله تعالى صرفه عن شهوة الجماع قيل والاليق أن يكون له قدرة قمعها بالمجاهدة كعيسى عليه الصلاة السلام ولذا فسر البيضاوي حصورا بمبالغ في حبس نفسه عن الشهوات والملاهي والتبتل في حق المعصوم أمر مطلوب وفي غيره منهي عنه وكان مشروعا في دينهم كما مر فترك التزوج عبادة عندهم لمن قدر على صون نفسه عن الشهوات وكان يحيى عليه الصلاة والسلام شديد الخوف من الله تعالى حتى قيل انه وضع وجهه على الارض وبكى حتى ذهب لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين (فضيلة زائدة) مرفوع خبر للمبتدأ وهو قمعها في قوله ثم قمعها أي ترك الشهوة والجماع بعد القدرة والقوة عليه فضيلة محمودة وصفة حميدة زائدة في الخلقة على أصلها (لكونها شاغلة في كثير من الاوقات) أي لكون الشهوات تشغل الانسان كثيرا عن العبادة والمهمات وفي نسخة مشغلة قال التلمساني مفعلة من الشغل وروى مشغلة اسم فاعل من أشغل وهو قليل وروى شاغلة انتهى قلت الاخير هو الصحيح رواية ودراية لان الاشغال لغة رديئة ولذا لما وقع الصاحب على رقعة فيها الاشغال قال من قال اشغالي لا يصلح لاشغالي كما مر وهو لم يقع في النسخ المتداولة (حاطة الى الدنيا) اسم فاعل من الحط وهو الانزال من علو الى أسفل وهو منصوب خبر بعد خبر لكون أي تنزل الانسان الى شهوات الدنيا الدنية لمن لم يعصمه الله

(ثم هى) أى الفضيلة الزائدة (فى حق من أقدر عليها) بصيغة المجهول من الاقدار أى من أعطى له الاقتدار عليها (وملكها) بان لم يتزلزل فيها وهو بفتح الميم واللام قال فى التلمسانى هو بضم الميم وكسر اللام مشددة على طبق أقدر قلت والاول أولى وأظهر ويؤيده قوله (وقام بالواجب فيها ولم تشغله) بفتح أوله وثالثه وفى لغة بضم أوله وكسر ثالثه أى لم تمنعه (عن ربه) أى طاعته وحضوره (درجة عليا) بالرفع أى مرتبة قصوى وهى مضبوطة فى النسخ المعتبرة بضم العين

مقصورا وضبط محش بفتح العين والمد (وهى درجة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذى لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه) أى طاعته وحضوره لوصوله الى مقام جمع الجمع فى كمال حصوله وهو ان لاتحجبه الكثرة عن الوحدة ولا تمنعه الوحدة عن الكثرة فكل من له حظ فى هذا المقام بمتابعته عليه الصلاة والسلام وله مؤنة القيام فتحصيل هذه الفضيلة الزائدة له ومن كمال المرام دون من لم يصل الى هذه المرتبة فان عليه ترك هذه الزيادة والاشتغال بالامور المهمة والفضائل المؤكدة (بل زاده ذلك) أى ماذكر من كثرتهن (عبادة لتحصينهن) أى لتحصينه اياهن (وقيامه بحقوقهن) أى من أمر المعيشة وحسن العشرة (واكتسابه لهن) أى مايتعلق بهن من آدابهن (وهدايته اياهن) أى بالعلوم الدينية لاسيما

مايجب عليهن (بل صرح انها) أى كثرتهن (ليست من حظوظ دنياه) أى التى تغيبه عن حظور مولاه (هو) أى بخصوصه (وان كانت من حظوظ دنيا غيره) أى دائما أو فى بعض الاوقات لارباب الحالات (فقال) أى كما رواه الحاكم والنسائى (حبب الى من دنياكم) تمامه النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة وليس زيادة ثلاث فى صحيح الروايات وانما أضاف الدنيا اليهم اشارة الى تبريه عنها وتقلله منها وعدم مبالاته بها والتفاته اليها القلة بقائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها وأورد الفعل بصيغة المجهول ايماء بان حبه لها لم يكن الا لما خلق فى جبلته وميل طبيعته وانه كالمجبور عليه فى محبته وأما قول الدلجى تلويحا بان حبه لها لم يكن من جبلته فهو خلاف موضوع الصيغة كما لايخفى على أرباب الصنعة

الله عن التحلى بها وتمنعه عن اشتغال قلبه بها (ثم هى) أى الشهوة فى الجماع لا الفضيلة الزائدة عليها كما توهم (فى حق من أقدر عليها) بالبناء للمجهول أى من اقداره الله على شهوته فلم تغلب (وملكها) أى تصرف فيها كما يريد منعا وفعلا وهو بفتح اللام والميم مبنى للفاعل أو بضم الميم وكسر اللام المشددة والبناء للمجهول قال التلمسانى وهو أولى ليكون على نسق أقدر والحق هنا بمعنى الشان والحال كما يقال الغنى فى حق الكريم حسن (وقام بالواجب فيها) معطوف على ملكها أى من ملك شهوته ولم يمنعه من القيام بما يجب عليه من مهمات دينه ودنياه لان ما يمنع عن ذلك ينبغى تركه وفيها متعلق بقام أى قام بما يجب عليه وهو متلبس بها (ولم تشغله عن ربه) شغل يشغل كسأل يسأل وقوله (درجة علياء) مرفوع خبر هى أى مرتبة رفيعة عند الله تعالى وعلياء بفتح العين والمد وهى فى الاصل كل مكان مشرف أى مرتفع وأريد به علو المنزلة (وهى درجة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى هذه الدرجة العلياء عند الله التى وصل اليها فى الدنيا مع انها غير شاغلة له عن التقرب الى الله تعالى بفعل ما يجب عليه من العبادة ودعوة الخلق (الذى لم يشغله) صفة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم مبينة لما قلناه (كثرتهن) أى النساء (عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة) على عبادته المعروفة من الصلاة والصوم وقيام الليل (لتحصينهن) أى جعلهن محصنات متعففات بنكاحه صلى الله تعالى عليه وسلم لهن (وقيامه بحقوقهن) من النفقة والكسوة وغير ذلك فان فيه أجرا أيضا (واكتسابه لهن) فان الكسب الحلال للعيال عبادة وارشاد للخلق وان كان لو سأل الله تبارك وتعالى ذلك أوصله له من غير كسب لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم ملتزم لمقام العبودية (وهدايته اياهن) بتعليمه الدين بعد خلوص الايمان بالله ورسوله ثم ترقى لمرتبة أعلى من هذه بين فيها ان حظوظه الدنيوية ليست ناشئة عن ميل قلب وتوجه فكر حتى يشغله عن ربه فاضرب عما يوهم ذلك فقال (بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو) جمع حظ كاحاظ وأحظ وهو النصيب المقدر مما يسر به ويقال حنظ بالنون وهى لغة يمانية (وان كانت من حظوظ دنيا غيره) من الناس فانهم يسرون بها ويعدونها لذة عظيمة واضافة الدنيا ومحبتها لغيره اشارة الى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم برىء منها ومن محبتها فان قلبا امتلأ بمحبة الله تعالى عز وجل لايدخله محبة غيره كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبى ❊ فان ترد الزيادة هات قلبا

ثم فسر تصريحه بانها ليست من حظوظه بالحديث (فقال حبب الى) بالبناء للمجهول (من دنياكم) ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة قال السيوطى رحمه الله تعالى هذا الحديث رواه الحاكم والنسائى عن أنس رضى الله تعالى عنه بدون لفظ ثلاث الا ان أحمد رواه عن عائشة رضى الله تعالى عنها ولفظه كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الدنيا ثلاثة أشياء النساء والطيب والطعام فاصاب اثنين ولم يصب واحدة أصاب النساء والطيب ولم يصب الطعام واسناده صحيح

الان فيه رجالا لم يسم وقد روى هذا الحديث من طرق أخرى يقوى بعضها بعضا فهو صحيح الان أكثر الحفاظ على انه ليس فيه لفظ ثلاث كابن القيم والعراقى وابن حجر وانها مدرجة فى الحديث ومن رواها فقد وهم وخالفهم فى ذلك ابن فورك وقال انها مروية فى الحديث وألف فى ذلك جزأ مستقلا صحح فيه روايتها ولم أقف عليه وتبعه فى اثباتها الزمخشرى فى سورة آل عمران والراغب وابن عربى فى الفصوص وغيرهم من وهمهم قال الصلاة ليست من أمور الدنيا فلا يصح عدها منها لفظا ومعنى ومن أثبتها افترقوا فرقتين فرقة قالت ان المراد بامور الدنيا ما وقع فى الدار الدنيا لذة كان أو عبادة فالصلاة من أمورها على هذا وفى لفظ ثلاث تغليب للمؤنث على المذكر عكس القاعدة المشهورة لنكتة وغير الاسلوب فى الثالث فعبر عنه بالفعل اشارة لمغايرته لما قبله وفيه عطف الفعل على الاسم الجامد والمعروف عطفه على المشتق كما قال ابن مالك رحمه الله

وأعطف على اسم شبه فعل فعلا * وعكسا استعمل تجده سهلا

فليست زيادة مخلة بالمعنى كما توهم وفرقة ذهبت الى انه نوع من البديع يسمونه الطى وهو ان يذكر جمع او عدد تفصيله فيذكر بعضا منه ويترك بعضا فالثالث يطوى ذكره فى الحديث لنكتة كابهامه على السامع لعدم ارادته ووقوف السامع عليه لنكتة فان هناك الطعام كما ورد التصريح به فى رواية أحمد كما قطيه لخسته عنده واستشهدوا له بقوله

ان الاحامرة الثلاثة أهلكت * مالى وكنت بهن قدما مولعا
الخمر والماء القراح وأطلى * بالزعفران فلا ازال مولعا

(وقوله) كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها

وفيه مع النكتة المذكورة تقليل اللفظ مع تكثير المعنى وقد يقال لا شاهد فيما ذكر أما الاول فالثالث وهو قوله وأطلى الخ على نهج ما تقدم فى الحديث وأما الثانى فلأنه ذكر قبيلة بنى حنيفة وجعلها أثلاثا عبيدا وموالى وحلفاء فبقى نفس القبيلة وصميمها وهى مذكورة أولا وقال حبب بالبناء للمجهول ودنياكم بالاضافة اليهم ولم يقل أحببت من دنياى اشارة الى ان محبته صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك ليست باختياره لشهوات نفسه بل بفعل الله فحبه انما هو لله وذاته لما أراده ورضيه له لانه صلى الله تعالى عليه وسلم بشرى الظاهر ملكوتى لا يتحلى باحوال البشر الا اذا أمره الله تعالى بها للتأسى به أمته وتتشرف بما رضيه له فعده صلى الله تعالى عليه وسلم من البشر كعد الياقوت من الاحجار وكان اذا دخل فى الصلاة اشتغل ظاهره وباطنه عن الخلق لوقوفه بين يدى خالقه فيزداد قربا ومشاهدة فيتصل نور بصره بنور بصيرته فلذا جعلها قرة عينه ولذا شرع السلام لعوده الى من عنده من معراجه ولذا كان بعض الناس يصافح من عنده فافهم وروى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جلس مع أصحابه الاربعة رضى الله تعالى عنهم فقال حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة فقال أبو بكر رضى الله عنه وأنا يا رسول الله حبب الى من الدنيا ثلاث الجلوس بين يديك والنظر اليك وانفاق جميع مالى عليك وقال عمر رضى الله تعالى عنه وأنا يا رسول الله حبب الى من الدنيا ثلاث الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وحفظ الحدود وقال عثمان رضى الله تعالى عنه وأنا يا رسول الله حبب الى من الدنيا ثلاث افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وقال على رضى الله عنه وأنا يا رسول حبب الى من الدنيا ثلاث اقراء الضيف والصوم بالصيف والضرب بين يديك بالسيف فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال وأنا يا رسول الله حبب الى من دنياكم ثلاث حب المساكين وتبليغ الرسالة للمسلمين واداء الامانة واذا النداء من قبل الله وهو يقول ان الله يحب من دنياكم ثلاث بدن صابر ولسان ذاكر وقلب شاكر فالخطاب على هذا للخلفاء الاربعة رضى الله عنهم ويجوز أن يكون لجميع الناس

(فدل) أى هذا الحديث على (ان حبه لما ذكر) أى بنفسه (من النساء والطيب الذين هما) كما فى نسخة التى هى (من أمر) وفى نسخة من أمور (دنيا غيره) أى فى الاصالة بحسب العادة (واستعماله لذلك) أى وان استعماله لما ذكر من النساء والطيب وفى رواية واشتغاله بذلك (ليس بدنياه) أى لمجرد حظها (بل لآخرته) أى قصد مثوبته ورفع درجته (للفوائد التى ذكرناها فى التزويج وللقاء الملائكة فى الطيب) أى لمحبتهم اياه (ولانه) أى (الطيب أيضا مما يحض) أى يحث ويحرض (على الجماع ويعين عليه) أى على ذاته أو كثرته (ويحرك أسبابه) أى مقدماته كالقبلة والشهوة (وكان حبه لهاتين الخصلتين) أى مباشرة النساء والطيب (لاجل غيره) كمباهاته بالكثرة منه باولقائه الملائكة والنساء مطيبا (وقمع شهوته) أى ولاجل قمعها بمنع الخواطر الرديئة ودفع الوساوس النفسية ولو كان قادرا على قمعها بمجاهدة رياضية أو بكفاية الهمة فان هذه السيرة أعلى المراتب البهية وأولى بقواعد الملة السمحاء الحنفية ولما كان هذا الحب جعليا وعارضيا كسائر محبة الاشياء مما سوى الله تعالى من حيث انها لا تحب الا ابتغاء المرضاة قال المصنف (وكان حبه الحقيقى المختص بذاته) أى بذات الله (فى مشاهدة جبروت مولاه) أى عظموت قدرته ومطالعة ملكوت عظمته (ومناجاته) أى فى مقام حضور حضرته بغيبته عن الشعور بذاته المعبر عنه بمقام الفناء والبقاء والمحو والصحو (ولذلك ميز بين الحبين) أى غيريا وذاتيا (وفصل بين الحالين) أى فرق بين المقامين الجليلين بالجملتين من الفعلية والاسمية المشير بالاولى الى الحالة الجعلية العارضية وبالثانية الى المستمرة الذاتية كما فى الرواية المشهورة بلفظ وقرة عينى فى الصلاة وأما ما ذكره المصنف بقوله (فقال وجعلت قرة عينى فى الصلاة) ففيه اشارة لتعبيره بالقرة الى هذه المحبة ايماء الى زيادة هذه المودة وقال الدلجى بين الحالين أى محبة ومناجاة وكانه قصد بهذا ان المراد بقرة عينى فى الصلاة الصلاة التى هى معراج المؤمن ومناجاة الموقن خلافا لمن قال المراد بها الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والله أعلم

أو الامة (فدل) ذلك على (ان حبه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما من دنيا غيره) أى دل ما ذكر من بناء حبب للمجهول واضافة الدنيا لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم (واستعماله لذلك) بالنصب عطفا على اسم ان والمراد باستعماله لذلك مباشرته للجماع وتطيبه وتضمخه بالطيب (ليس لدنياه) والتلذذ بها (بل لآخرته) أى استعمالها بنية العبادة التى هى من أمور الآخرة (للفوائد التى ذكرناها فى التزويج) من تحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه وهدايته لهن (وللقاء الملائكة فى الطيب) أى استعماله لاجل محبة الملائكة له وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يلاقيهم كثيرا ولذا ترى أصحاب العزائم والهيا كل يلازمون البخور بمحبة الروحانية له (ولانه) أى الطيب (أيضا مما يحض على الجماع ويعين عليه) أى مما يحرك داعية الجماع ويقويها لانتعاش الروح به (ويحرك أسبابه) أى يهيج مقدماته كالشهوة والقبلة أو المراد آلته فكنى به عنها تأدبا واحتشاما وهو تعبير حسن (وكان حبه صلى الله تعالى عليه وسلم لهاتين الخصلتين) الجماع والطيب (لاجل غيره) أى الزوجات والملائكة عليهم الصلاة والسلام (وقمع شهوته) لا لمجرد التلذذ والتنعم كغيره وان كان قادرا على ذلك ولذلك كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرد الطيب اذا أهدى اليه وفى الحديث من عرض عليه طيب فلا يرده فانه طيب الريح خفيف المحمل واذا أعطى أحدكم ريحانا فلا يرده والمراد الريحان المعروف أو كل ذى رائحة طيبة *(تنبيه)* قال ابن عربى ما ورد قط عن نبى من الانبياء انه حبب اليه النساء الا سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان كانوا أرزقوا منهن كثيرا كسليمان وغيره ولكن كلامنا فى كونه حبب اليه وذلك انه كان منقطعا الى ربه عز وجل لا ينظر معه الى كونه يشغله عنه فانه مشغول بالتلقى عن الله تعالى ورعاية الادب فلا يتفرغ الى شئ دونه فحبب اليه النساء عناية منه عز وجل لهن فكان يحبهن لكون الله حببهن اليه والله جميل يحب الجمال (وكان حبه الحقيق المختص بذاته) لا لامر آخر عرفى يرجع بالآخرة الى الدين والثواب (فى مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته) الجبروت فعلوت كالرهبوت والملكوت والمراد عظمة الله تعالى سيده ومولاه والمناجاة المسارة بتلقى وحيه ودعائه وقراءة القرآن وقال الدوانى فى شرح هيا كل النور الجبروت يراد به عالم العقول أى الملائكة ويسمى أيضا بالملكوت الاعلى والاعظم قيل انما سمى بالجبروت لانها مجبورة على كمالاتها الفطرية أولانه جبر نقصها الامكانى بحصول ما يمكن لها بالفعل انتهى (ولذلك ميز) فرق وفصل (بين الحبين) أى حب ما هو من أمور الدنيا ظاهرا وبين حب ما هو حقيقة لله (وفصل بين الحالين) أى حال المحبتين بتغيير العبارة والاسلوب كما مر (فقال وجعلت قرة عينى فى الصلاة) فاوردها جملة فعلية معطوفة على اسم قبلها كما مر تعظيما لشانها وتفخيما لامرها لكونها مجبولة لذاتها فليست معطوفة على حبب عطف الفعلية على الفعلية كما ذهب اليه من جعل الثالث مطويا كما عرفته وقرة العين ما يسر من ينظره من قر يقر بالفتح اذا برد لانه كما قيل دمعة السرور باردة أو

يشغله ذلك عن قيامه بحقوق مولاه لاجلهن فهذا الحال أكمل لمن قدر عليهن (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم من أقدر على القوة) بصيغة المفعول من الاقدار أى ممن أعطى القدرة على قوة الشهوة وبكثرة الجماع (فى هذا) أى الامر الذى حبب اليه مما يتعلق بدنياه وخدمة مولاه (وأعطى الكثير منه) أى الحد الكثير الزائد على العادة من أمر الجماع (وقوة الباءة ولهذا أبيح له من عدد الحرائر) وهو التسع (مالم يبح لغيره) أى من هذه الامة وهو الزائد على الاربع (وقد روينا) بفتح الراء والواو مخففة وبضم الراء وكسر الواو مشددة ولا يبعد ان يكون بضم الراء وكسر الواو المخففة بناء على الحذف والايصال أى روى الينا (عن أنس) كما فى البخارى والنسائى (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدور على نسائه) أى يجامعهن (فى الساعة) أى الواحدة والمراد بها الزمن القليل لا الساعة النجومية (من الليل) أى مرة (والنهار) أى تارة (وهن) أى مجموعهن (احدى عشرة) بسكون الشين وتكسر والمعنى منها سريتاه مارية وريحانة فلا ينافى رواية وهن تسع

من القرار والسكون لسكونها اذا نظرت من تحب أو بنومها الان الحزين يسهر وقد قيل عيني تقربكم عند تقربكم ولو لم يغير الاسلوب قال والصلاة التى بها قرة عيني أو وقرة عيني فى الصلاة فلا يحصل التمييز بين ما حبه عرضى و بين ما حبه ذاتى وحقيقى و بهذا العدول علم انها ليست من دنياهم وهذا انما يتوهم اذا كان الحديث لفظه هكذا والمصنف رحمه الله تعالى ممن لا يقول بصحته كما سيأتى فى فصل وقاره والمراد بالصلاة الصلاة المعروفة ذات الركوع والسجود لما يشاهد فيها كما مر وقيل المراد صلاة الله وملائكته عليهم الصلاة والسلام عليه قال ابن قرقول والاول أظهر (فقد ساوى) صلى الله تعالى عليه وسلم (يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فى كفاية فتنتهن) يعنى ان يحيى وعيسى صلى الله تعالى عليهما وسلم تبتلا وتركا التزوج مع القوة والقدرة خوفا من فتنة النساء وهى تمكن حبهن فى القلب والاشتغال بهن عن العبادة فى مشاهدة عالم الملكوت وهن لم يشغلنه صلى الله عليه وسلم ولم يمنعنه عنها فى حال من الاحوال فساواهما فى عدم الاشتغال حتى كان الوحى ينزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى فراش زوجاته واعانته خديجة رضى الله تعالى عنها فى اول أمره فلا يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حال مضاجعتهن مشغول عن عبادته الا أن يعد جماعه عبادة (وزاد فضيلة عليهما) أى يحيى وعيسى (بالقيام بهن) أى له صلى الله تعالى عليه وسلم فضيلة زائدة على ما ذكر بقيامه على زوجاته وكسبه لهن وهدايته لهن مع عدم غفلته صلى الله عليه وسلم طرفة عين عن الله تعالى (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ممن أقدر) بالبناء للمجهول اى أقدره الله تعالى (على القوة فى هذا) أى أمر النكاح مع القيام بحقه وحق الله وليس فى هذا دلالة على ان غيره صلى الله تعالى عليه وسلم أقدر منه كما توهم (وأعطى الكثير منه ولهذا أبيح له) صلى الله تعالى عليه وسلم (من عدد الحرائر) جمع حرة على خلاف القياس لكونه بمعنى عقيلة فجمع جمع فعيلة كما قال النابغة

حذارا على ان لا تنال مقادتى * ولا نسوتى حتى يمتن حرائر

(مالم يبح لغيره) من جمع ما فوق الاربعة وهو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنسبة لامته فابيح له ان ينكح من النساء ما شاء فى أول أمره ثم حرم عليه بعد ذلك ان يزيد على ما فى عصمته من أزواجه فقال لا تحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك قاله التجانى وقال مغلطاى له صلى الله تعالى عليه وسلم خصائص جمة منها اباحة تسعة نسوة والصحيح ان له صلى الله تعالى عليه وسلم الزيادة قال بعض الشراح من قال لا يزيد على التسعة استدل بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وهو خطأ بالاجماع لانه ليس معنى الآية وليست الآية فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هى فى حق الامة والزيادة على الاربعة لهم ممنوعة بالاجماع الدال عليه معنى حديث غيلان ولم يخالفه مستدلا عليه بهذه الآية الا بعض الروافض والزنادقة كما فصله ابن حزم فى كتاب المحلى (وقد روينا عن أنس) رضى الله تعالى عنه قال السيوطى هذا الحديث عزاه المصنف رحمه الله تعالى للنسائى وهو عند البخارى ورويناه بفتح الراء والواو المخففة وما قاله الشمنى نقلا عن المزى من أنه بضم الراء وكسر الواو المشددة لا وجه له (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدور على نسائه) أى يجامعهن من دار على كذا وطاف به اذا مشى حوله فجعله كناية عما ذكر (فى الساعة من الليل والنهار) أى مقدار ساعة منهما فقدرته صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك مع ما كان عليه من قلة الاكل والشرب معجزة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم قيل والتبتل فى حق يحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام تشبها بالملائكة كان أفضل فى زمانهم ودوره صلى الله تعالى عليه وسلم عليهن كان برضاهن فلا ينافى وجوبه فى القسم (وهن احدى عشرة) أى نساؤه صلى الله تعالى عليه وسلم اللاتى دار عليهن كذلك عدتهن قال البرهان كذا فى صحيح البخارى من حديث أنس

رضى الله تعالى عنه وقال ابن خزيمة لم يقل أحد من أصحاب قتادة بانهن احدى عشرة الا معاذ بن هشام عن أبيه وعن أنس رواية أخرى فى البخارى انهن تسع وجمع بينهما بان أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم كن تسعا فى ذلك الوقت كما فى رواية سعيد وسريتاه مارية وريحانة عند من قال ان ريحانة كانت أمة وبعضهم قال انها زوجة وروى أبو عبيد انه كان مع ريحانة فاطمة بنت شريح وقال ابن حبان كان هذا أول ما قدم صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة فكانت زوجاته تسعا الان جمع نسائه لم يقع مرة واحدة ولا يستقيم هذا الا فى آخر أمره حيث اجتمع عنده تسع نسوة وجاريتان ولا يعلم اجتماع احدى عشرة زوجة عنده فانه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج احدى عشرة امرأة أولاهن خديجة ولم يتزوج عليها حتى ماتت انتهى ماذكره البرهان وكلام ابن خزيمة يدل على ان رواية الاحدى عشرة مرجوحة والتسع راجحة وجمع بينهما بان مع التسع فاطمة بنت شريح وريحانة على القول بانها زوجة فصدر الجمع منه صلى الله تعالى عليه وسلم مرة تسعا ومرة احدى عشرة وأيضا قيل التسع محمول على الحقيقة والاخرى على تغليب الزوجات على السريتين وهما ريحانة ومارية فان قيل الرواية بلفظ النساء وهن حقيقة فى غير الرجال فلا حاجة الى التغليب قيل لا يقال انه حقيقة فى ذلك الا اذا لم يضف للازواج الاماء كما فى الحديث وقوله تعالى والذين لا يظهرون من نسائهم فان أضيف لهم لم يتناول الاماء حقيقة ولذا احتج علماؤنا بهذه الآية على عدم صحة ظهار الاماء خلافا لمالك وقد تبعه التجانى اذ جمع بين روايتى أنس بانهن تسع حرائر واحدى عشر منكوحة وسريتان لدخول السرائر فى النساء كالآية والنساء والنسوة والنسوان جمع المرأة من غير لفظها كالقوم فى جمع المرء وقد علم ان طوافه صلى الله تعالى عليه وسلم على نسائه فى ساعة واحدة لا ينافى القسم ان قلنا بوجوبه عليه ولم تقل ان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يجب عليه القسم وقد ذهب الى هذا الزيلعى من أئمتنا وبعض المحدثين فقسمه صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان تطييبا لخاطرهن تفضلا منه وتعليما للامة ولذا كان يقرع بينهن اذا أراد السفر مع أن القسم انما يجب عليه فى الحضر أو نقول هذا برضاهن مع ان هذا لا يفوت القسم لمساواتهن فيه والاختيار فى القسم للزوج ويدل على عدم الوجوب انه روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقسم لثمان ويترك واحدة منهن قيل انها صفية بنت حيى رضى الله تعالى عنها كما فى مسلم وعليه قوله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء وقال المنذرى كان ممن يؤوى عائشة وأم سلمة وزينب وحفصة رضى الله تعالى عنهن انتهى ومن ارجاء سودة وجويرية وأم حبيبة وصفية وميمونة رضى الله عنهن أجمعين انتهى واستدل القائل بالوجوب عليه بحديث الترمذى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك وقد يقال هذا كان قبل اعلامه بعدم الوجوب عليه أو لعدوله عن الافضل فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم والكلام على ترجمة زوجاته رضى الله تعالى عنهن مفصل فى السير وللعلامة ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى

توفى رسول الله عن تسع نسوة * اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة يتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست نظمهن مهذب

والواو فى قوله من الليل والنهار بمعنى أو (قال أنس رضى الله تعالى عنه وكنا نتحدث أنه صلى الله عليه وسلم أعطى قوة ثلاثين رجلا) فى الجماع وهذا تتمة الحديث الذى قبله (خرجه) أى رواه مسندا (النسائى) وقد تقدم ان البخارى رواه أيضا (وروى) بالبناء للفاعل والمفعول (نحو عن أبى رافع) أى

(قال أنس وكنا) أى معشر الصحابة (نتحدث) أى فيما اختص به صاحب النبوة من القدرة والقوة (انه أعطى قوة ثلاثين رجلا) أى فى الجماع (خرجه النسائى) أى ذكره فى سننه وهو كذا فى صحيح البخارى فى كتاب الغسل هذا وليس أحد من أصحاب الكتب الستة توفى بعد الثلثمائة الا النسائى فانه توفى فى سنة ثلاث وثلاثمائة (وروى) بصيغة المجهول (نحوه عن أبى رافع) وهو مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أخرج الترمذى وابن ماجه فى الطهارة والنسائى فى عشرة النساء عنه انه عليه الصلاة والسلام طاف على نسائه يغتسل عند هذه وعند هذه الحديث

(وعن طاوس) وهو ابن كيسان اليمانى من أبناء الفرس يقر أبواوين قيل ويهمز قال ابن معين لقب بذلك لانه كان طاووس القراء روى عن أبى هريرة وابن عباس وعائشة رضى الله تعالى عنهم وتوفى بمكة سنة ست ومائة (أعطى عليه الصلاة والسلام قوة أربعين رجلا فى الجماع ومثله عن صفوان بن سليم) بالتصغير امام كبير قدوة ممن يستشفى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره ويقال لم يضع جنبيه على الارض أربعين سنة وانه مات وهو ساجد ويقال ان جبهته نقبت من كثرة السجود روى عن ابن عمر وغيره وعنه مالك وطبقته وفى الحلية لابى نعيم عن مجاهد قوة أربعين رجلا كل رجل من رجال أهل الجنة وروى الترمذى ان رجال أهل الجنة قوة كل رجل منهم بقوة سبعين رجلا وصححه وروى بقوة مائة رجل وقال صحيح غريب قلت فعلى هذا كان صابرا عنهن غاية الصبر كثرة الاشتياق اليهن ثم اعلم ان قوله وعن طاوس الى آخر ماههنا زيادة على ما فى بعض النسخ المصححة والاصول المعتمدة (وقالت سلمى) بفتح السين المهملة والميم مقصورا (مولاته) وخادمته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هى مولاة صفية عمته وهى زوج أبى رافع ودابة فاطمة الزهراء وقابلة ابراهيم بن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الصحابيات من اسمها سلمى غير هذه خمس عشرة وقد روى ابن سعد وأبو داود عنها وعن زوجها أبى رافع عن رافع ولده منها (طاف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة) أى دار (على نسائه التسع) فرجه وهو كناية عن جماعهن (وتطهر من كل واحدة) أى اغتسل من أجل قربان كل واحدة (قبل أن يأتى الاخرى وقال هذا) الى التفريق بالغسل (أطهر) أى أنظف (وأطيب) أى ألذ وأنشط وفى رواية أحمد أزكى وأطيب فالمراد بازكى أنمى وأقوى وقيل الطهارة للظاهر والطيب والتزكية للباطن أى لزيادة الصفاء والضياء لان أولاهما الازالة الاخلاق الذميمة وأخراهما التحلى بالشيم الحميدة كما ذكره الدلجى فانه لا يناسب بالنسبة الى الشمائل المصطفوية فانها منزهة عن الاخلاق الرديئة ومتحلية على الدوام بالشيم الرضية البهية السنية

هذا الحديث مروى عن أبى رافع أيضا فى سنن أبى داود والبيهقى والنسائى ولفظه طاف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على نسائه فى يوم أو ليلة واحدة وكان يغتسل عند هذه وهذه ولذا قال نحوه لاختلاف لفظه وزيادته وأبو رافع هذا هو مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قبطى واسمه ابراهيم وقيل أسلم وقيل ثابت وقيل هرمز وقيل صالح وقوله قوة ثلاثين قال البرهان الحلبى فى الصحيح من رواية الاسمعيلى عن معاذ أعطى قوة أربعين رجلا وفى حلية أبى نعيم عن مجاهد قوة أربعين رجلا من رجال الجنة وفى الترمذى ان كل قوة رجل من رجال الجنة قوة سبعين رجلا يعنى من أهل الدنيا وصححه وفيه قوة مائة رجل وقال انه صحيح غريب وقال ابن حبان قوة كل رجل فى الجنة قوة مائة رجل والنسائى هو الامام الحافظ الحجة أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على صاحب السنن سمع من قتيبة وطبقته وأصحاب مالك وحماد بن زيد وانتهى اليه علم الحديث وروى عنه كثيرون وتوفى سنة ثلاث وثلثمائة ويشبه انه ولد سنة خمسة عشرة ومائتين ولم يبق من أصحاب الكتب الستة بعد الثلاثمائة غيره فعلى هذا قوته صلى الله تعالى عليه وسلم قوة ألوف ووقع فى بعض النسخ هنا برواية اللخمى عن المصنف (وعن طاووس أعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوة أربعين رجلا) وقد تقدم من رواه وما فيه وطاوس هو الامام عبد الرحمن بن كيسان اليمانى وهو من أبناء الفرس وقيل من النمر بن قاسط وقيل اسمه ذكوان ولقب بطاووس لانه كان طاووس القراء وروى عن عائشة وأبى هريرة وابن عباس وغيرهم رضى الله تعالى عنهم وروى عنه الزهرى والتيمى وابنه وغيرهم وتوفى بمكة سنة ست ومائة وأخرجه أصحاب السنن وغيرهم (ومثله عن صفوان بن سليم) بالتصغير وهو امام عابد قيل انه لم يضع جنبيه على الارض أربعين سنة حتى نقبت جبهته من السجود توفى سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو تابعى روى عنه أصحاب السنن (وقالت سلمى مولاته) بفتح السين بلا خلاف وغلط من ضمها كما قاله النووى رحمه الله تعالى والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم لانها خادمته وقيل انها مولاة صفية عمته صلى الله عليه وسلم وهى زوج أبى رافع داية فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وروى عنها ابن ابنها عبيد الله وهذا الحديث صحيح رواه أبو داود كما قاله السيوطى (طاف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة) أى من جماع كل واحدة منهن (قبل أن يأتى الاخرى وقال هذا) أى الغسل من كل جماع (أطهر وأطيب) وروى أزكى وأطيب وأطهر أما كونه أطهر فظاهر وأما انه أطيب فلانه يقوى البدن بانعاشه وقيل أطيب للباطن وأطهر للظاهر وهذا الحديث متصل لان سلمى روته عن زوجها أبى رافع وفيه دليل على أن الغسل على الفور وانه لا يجب لكل جماع وقيل ان لم يغتسل يستحب له الوضوء كوضوء الصلاة وروى عن عمر انه لازم وما ورد فى الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يطوف على نسائه بغسل واحد فلبيان الجواز وحمل بعضهم الوضوء فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أتى أحدكم أهله فليتوضأ على الوضوء اللغوى أى يغسل

(وقد قال سليمان عليه الصلاة والسلام) على ما رواه الشيخان (لاطوفن الليلة) من الطواف بمعنى الدوران وكذا الاطافة ومن ثمه ورد
فى رواية لاطيفن الليلة (على مائة امرأة أو تسع وتسعين) على الشك من الراوى وفى رواية على ستين وفى أخرى على تسعين ولمسلم على
سبعين امرأة كلهن تاتى بغلام يقاتل فى سبيل الله فقال له صاحبه أو الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسى فلم تأت واحدة منهن الا واحدة
جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو قال ان شاء الله لم يحنث أى لم يفته متمناه وكان أدرك لحاجته
فيما اقتضاه (وانه فعل ذلك) فدل ذلك على كمال قوته ولا تعارض بين هذه الروايات اذ ليس فى اثبات قليلها نفى لكثيرها ومفهوم العدد ليس بحجة عند جمهور أرباب الاصول مع احتمال تعدد الواقعات والله أعلم بالحالات (قال ابن عباس) كما رواه ابن جرير فى تفسيره عنه موقوفا (كان فى ظهر سليمان ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى النقاش) وفى نسخة وغيره كذا رواه الحاكم عن محمد ابن كعب بلغنى انه (كان له سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية) وفى المستدرك للحاكم فى ترجمة عيسى ابن مريم ان سليمان كان له تسعمائة سرية (وقد كان لداود عليه الصلاة والسلام على زهده) أى مع كمال زهده وتورعه المفاد من قوله (وأكله من عمل يده) ويروى من يده (تسع وتسعون امرأة) هذا هو الصواب وفى أصل
التلمسانى تسعة وتسعون وفى الكشاف كان لداود أيضا ثلاثمائة سرية (وتمت بزوج أورياء) بضم همزة وقيل بفتحها فواو ساكنة
وراء مكسورة وتحتية ممدودا أى بزوجته (مائة) بالرفع على انها فاعل تمت أى من النساء بتزوجه اياها بعد نزول أورياء له عنها بسؤاله
على ما كان من عادتهم فى زمانه أو بعد ما مات عنها زوجها لما رآها بغتة وأحب جمالها فتنة وطلب ربه مغفرة وأناب اليه معذرة هذا
وقيل انها أم سليمان عليه الصلاة والسلام

فرجه وهذا بناء على ان الوضوء لا يستحب كما قاله أبو يوسف وذهب بعضهم الى انه يستحب لانه انشط
كما ورد فى الحديث (وقد قال سليمان عليه الصلاة والسلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين
وانه فعل ذلك) أى الطواف عليهن وجماعهن كما قال وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه
انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لاطوفن الليلة على سبعين
امرأة كلهن يأتى بغلام يقاتل فى سبيل الله فقال صاحبه أو الملك قل ان شاء الله تعالى فلم يقل ونسى فلم
تأت واحدة منهن بولد الا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو قال ان شاء
الله تعالى لم يحنث وكان له دركا لحاجته وفى رواية على ستين امرأة وفى رواية على تسعين امرأة وفى أخرى
على سبعين وفى رواية على تسعة وتسعين امرأة وستأتى الزيادة وما فيها قالوا ولا تعارض بين الروايات لان
اثبات القليل لا ينفى الكثير والعدد لا مفهوم له ثم هذه النساء ان كانت اماء أو بعضها حرائر وبعضها
اماء فلا اشكال وان كانت حرائر فلان الحصر فى الاربع لم يكن شرعا لمن قبلنا وانما صار شرعا لنا لضعف
الابدان وقلة الاعمار ويقال طاف بالشئ وأطاف به اذا دار حواله وقد قدمنا انه كناية عن الجماع وعلى
اختلاف اللغتين جاءت روايتان لاطوفن ولاطيفن وفى الحديث جواز القسم والتعليق بالمشيئة واما
كون سليمان عليه الصلاة والسلام لم يقله وانه نسيه فسيذكره المصنف رحمه الله تعالى فى أول القسم
الثالث وقوله فى الحديث لم يحنث يعنى لم يأثم ويخطئ لانه فعله وليس المقسم عليه الولد لانه ليس فى
قدرته ومثله لا يخفى عليه والدرك بفتح الراء بمعنى الادراك والتحصيل وفى البخارى بدله كان ارجاء
لحاجته وسليمان نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمره ونسيه مفصل فى القصص والتواريخ (قال
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان فى ظهر سليمان عليه الصلاة والسلام ماء مائة رجل) المراد بالماء
المنى ومنبعه من الرجال صلب الرجال كما ذكروه فى قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب والمراد ان
له قوة مائة رجل فى الجماع (وكانت له ثلاثمائة امرأة وثلثمائة سرية وحكى النقاش) رحمه الله تعالى
تقدمت ترجمته (وغيره) انه كان له (سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية) وروى أن له ألف امرأة وتسعمائة
سرية وهذا يخدش فيما تقدم من العدد وقد تقدم ما أجابوا به عنه الا أن بعضهم ضعفه وجمع بين
الروايات بان بعضها محمول على الحرائر وبعضها على الحرائر والسرارى ولا يخفى ما فيه ولو قيل ان
الاختلاف لاختلاف أحواله صلى الله عليه وسلم باعتبار الزمان فكانت تزيد وتنقص بهذا الاعتبار
لكان أظهر وفى تفسير النسفى عكس ما حكى المصنف رحمه الله تعالى عن النقاش فقال كان لسليمان
عليه الصلاة والسلام ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية وكذا فى الكشاف والله أعلم بالصواب (وقد كان
لداود عليه السلام على زهده وأكله من عمل يده) لان الله تعالى ألان له الحديد فكان يصنع منها الدروع
ويبيعها ويأكل هو وأهله من ثمنها مع ما آتاه الله من الملك وأفضل ما أنفق المرء ما كان من كسب حلال
كالصنعة والتجارة والزراعة واختلفوا فى الافضل منها وفصلوه فى كتب الفقه والحديث بما لا مزيد عليه
ولا حاجة هنا لنا به (تسع وتسعون امرأة) كما ذكره القشيرى فى تفسيره (وتمت بزوج أورياء مائة) بالرفع

والنصب فالرفع ظاهر على الفاعلية والنصب على أن يكون الفاعل العدة وهو مضمر ويجوز النصب على الحال منها أى وتمت العدة فى حال كونها امائة يقال لكل قرنين من ذكر وانثى زوج وزوجة لغة رديئة واوريا علم لرجل من بنى اسرائيل عبرانى واختلفوا فى ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وواو وراء مهملة ومثناة تحتية فقيل ممدودة وقيل مقصورة وهمزته مضمومة وواوه ساكنة وراؤه مكسورة وياؤه مفتوحة بعدها ألف وقيل همزته مفتوحة وهو أوريا بن حنان وقال أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب النساء هو أوريا السعدى وزوجته هى أم سليمان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقصته هى المذكورة فى القرآن فى قوله تعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة وقصته سيأتى ما فيها فى القسم الثالث من هذا الكتاب ولكنا نوردها هنا تبعا لما فى بعض الشروح وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام كان فى ملأ من بنى اسرائيل فاعجب بعلمه وانه لا يخاف الفتنة ويقال انه قال للملكين الحافظين له انى لا أقع فى مكروه غبتما أو حضرتما وانفرد فى محرابه يوما فوقع بين يديه طائر حسن الهيئة يقال انه ابليس فمد يده ليأخذه فزال من موضعه غير بعيد فتبعه فخرج من مدخله فاطلع داود منه فرآى امرأة جميلة تغتسل فاعجبته فلما شعرت به أرسلت شعر ذوائبها فسترها فزاده ذلك عجبا وميلا لها فانصرف وسال عنها فقالوا انها امرأة رجل من جندك يسمى أوريا وكان مع جيش له بعثوا للقتال فارسل لاميره ان يجعله مع التابوت فى المقدمة وهو معترك الحرب واشده فقدمه فاستشهد فلما جاء خبر الشهداء كان كلما أخبر برجل منهم توجع فلما أخبر به قال الموت مكتوب على كل نفس وخطب امرأته وتزوجها وولدت له سليمان عليه الصلاة والسلام فبعث الله له خصمين ليعلمه بحكمه ان ما فعله ظلم وهو أشد عليه فتسورا حائطه ودخلا عليه ففزع منهما الخوف انهما من أهل مملكته بغاة لان التسور فى العادة كذلك لانه كان ليلا بلا استئذان ففهما منه الخوف وقالا لا تخف وقصا أمرهما وقالا له أحكم ولا تجر كما قصه الله تعالى وقررا كلامهما على لسان أوريا وقوله تعالى اكفلنيها أى اجعلها فى كفالتى أو اكفل بمعنى زوجنى والنعجة كناية عن المرأة وقوله عزنى أى غلبنى لغلبته على وقهره فقال داود لخصمه ما تقول فاقر فزجره وأمره بالرجوع للحق وقال لقد ظلمك فتبسما وذهبا وقيل ارتفعا للسماء فشعر بما أرادا وقيل بيناله ما فعل وعرفاه ان ما قالاه تمثيل له فخر ساجدا فغفر الله تعالى فقال يارب ما أصنع اذا طالبنى بدمه فقال استرضيه فسر بذلك قالوا وهذه القصة مما افتراه القصاص وأهل الكتاب حتى روى عن على كرم الله وجهه من حدث بقصة داود عليه الصلاة والسلام جلدته مائة وستين وهو حد قذف الانبياء عليهم الصلاة والسلام عنده والمعتمد ان داود عليه الصلاة والسلام رآى امرأته فاعجبته فسأله تطليقها فطلقها بطيب خاطره فتزوجها ومثله فى شرعهم جائز وقد كان مثله فى صدر الاسلام مع المهاجرين والانصار وسياتى بقية الكلام على هذا (وقد نبه الله) عز وجل (على ذلك فى الكتاب العزيز بقوله ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة الآية) حكاية عن الخصمين اللذين نزلا نفسهما منزلة أوريا ونزل احدهما الآخر منزلة الاخ لان الصحبة كالاخوة كما قال

صحبة يوم نسب قريب * وذمة يعرفها اللبيب

تشديد الظلمة والعرب تكنى عن المرأة بالنعجة وهى فى الاصل أنثى الضأن تاؤها التاكيد التأنيث لان مذكرها لفظ مخصوص هو خروف وتطلق على البقرة الوحشية أيضا فاستعيرت للمرأة كما استعيرت لها الشاة فى قوله

ياشاة ماقنص لمن حلت له * حرمت على وليتها لم تحرم

وفى مصحف ابن مسعود نعجة انثى لمزيد تأكيد التأنيث أو لبيان المراد كحديث فلاولى رجل ذكر وقيل انثى بمعنى امرأة مؤنثة يستانس بها زوجها وضدها امرأة مذكرة وهى التى لا تلين لزوجها ولا يأنس بها ووصفها بواحدة تشنيع على ظلم صاحبه فانه مع كثرة نعاجه حسده مع قلة ما عنده (وفى حديث أنس عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه الدارقطنى فى الاوسط

(وقد نبه) أى الله سبحانه وتعالى (على ذلك) أى على ماذكر من العدد (فى الكتاب العزيز بقوله تعالى) أى حكاية عن لسان احد الملكين اللذين أتياه فى صورة الخصمين (ان هذا أخى) أى فى الدين (له تسع وتسعون نعجة) وهى الانثى من الضأن وقعت ههنا كناية عن المرأة فان الكناية أبلغ من الصراحة من حيث التأثير مع ما فيه من مراعاة الادب فى التعبير لاسيما وهو فى مقام التعبير (وفى حديث أنس) بسند جيد للطبرانى (عنه عليه الصلاة والسلام

قضلت على الناس باربع) أي من الخصال (بالسخاء) أي الكرم والجود ذمع الاحباء (والشجاعة) بالنسبة الى لاعداء (وكثرة الجماع) أي للنساء (وقوة البطش) أي الاخذ حال العطاء وأما تفسيره بالاخذ الشديد بقوة كما ذكره بعضهم فلا يخفى انه لا يناسب المقام فانه حينئذ من جزئيات الشجاعة لاخصلة مستقلة من الاربع (وأما الجاه) أي الذي يتوسل به الى مساعدة الضعفاء (فمحمود عند العقلاء) من الحكماء والعلماء (عادة) أي مستمرة لكنها مقيدة بما اذا كانت على وفق الشريعة حتى تكون معتبرة (وبقدر جاهه) أي جاه الشخص في العيون (عظمه) بكسر ففتح فضمير أي عظمته (في القلوب) أي قلوب الخلق أو بقدر جاهه صلى الله تعالى عليه وسلم عند الحق كان عظمته في قلوب الخلق ويدل عليه أنه عليه السلام أخذ من أبي جهل للاراشي ثمن ابله التي اشتراها أبو جهل منه ومطله فقالت قريش لابي جهل ما رأينا مثل ما صنعت من انقيادك لامر محمد مع فرط اذائك له وعداوتك اياه فقال ويحكم ما هو الآن ضرب بابي وسمعت صوته فلئت رعبا (وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه الصلاة والسلام وجيها) أي ذا جاه ووجاهة عظيمة (في الدنيا والآخرة) أي عند أهلهما أو في الدنيا بالرسالة وفي العقبى بالشفاعة (لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس) وفي رواية ببعض الناس (لعقبى الآخرة) أي في الآخرة التي هي عقبى كما قال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (فلذلك) أي فلكون الجاه مضرا ببعضهم (ذمه من ذمه ومدح ضده) أي من الخمول وعدم الاعتبار فيما بين الخلق (وورد في الشرع مدح الخمول) وهو بضم الخاء المعجمة ضد الشهرة كما ورد في حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره وفي الحديث ان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا (وذم العلو في الارض) أي وورد في الشرع ذم الجاه والشهرة كما في الحديث ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المؤمن وفي رواية من حب الشرف والمال والحاصل ان الجاه

بسند جيد كما قاله السيوطي رحمه الله تعالى انه قال (فضلت) بالتشديد والبناء للمجهول (على الناس باربع السخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش) البطش هو قوة السطوة والاخذ بعنف وعطفه على كثرة الجماع لما فيه من اذهاب القوة لانه ماء الحياة يصب في الارحام ونور العين ومخ العظم اشارة الى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم تضعف قوته وانه من آياته وسيأتي معنى السخاء والشجاعة (وأما الجاه) وهو كونه وجيها عند الناس بتسخير القلوب وطاعتها ومحبتها وانقيادها له بحيث يقدر على استعمال أربابها في مقاصده وهي لا تنقاد الا باعتقاد الكمال التام عندها حتى يستعبدهم كما يستعبد الارقاء (فمحمود عند العقلاء عادة) منصوب على الظرفية أو الحالية أي جرت عادة العقلاء بحمده ويجوز جعله تمييزا وعند متعلق بمحمود ظرف لغو وقيل انه حال وكونه محمودا عقلا يقتضي انه محمود شرعا بحسب ذاته وأصله وان كان قد يذم شرعا بحسب ما يعرض له عند بعض الناس وهو أعظم نفعا من المال لان المال يكسب به ولا يخشى عليه ما يخشى على المال (وبقدر جاهه) أي الانسان ذي الجاه يعظم في القلوب بمقدار عظمة جاهه وقيل المراد جاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا بالنبوة وفي الآخرة بلواء الحمد يكون (عظمه) بكسر العين وفتح الظاء المشالة وفي آخره هاء الضمير كما قاله البرهان الحلبي (في القلوب) لان الجاه كما تقدم متفرع على اعتقاد الكمال والقدرة وكلما ازداد اعتقاده زادت عظمة شانه في قلوب الناس وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم مهيبا معظما حتى عند أعدائه ثم أيد كونه محمودا بقوله (وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه الصلاة والسلام وجيها في الدنيا والآخرة) أي عظيما ذا جاه عند الله في الدارين وفيه دليل على ان الجاه من الوجاهة فقلب وكان أصله وجه فوزنه عفل ووجيها منصوب على انه حال مقدرة من كلمة في قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه ووجاهته صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا بالنبوة وفي الآخرة بعلو رتبته كما مر ثم استدرك على كونه محمودا بدفع ما يتوهم من انه مذموم لما فيه من العلو فقال (لكن آفاته كثيرة) جمع آفة وهي العاهة والمفسدة أي يعرض له ما يفسده ويجعله مذموما كثيرا (فهو مضر لبعض الناس) باعتبار ما يعرض له (لعقبى الآخرة) باعتبار ما يعقبه ويترتب عليه في الآخرة فاللام لتقييد التأقيت والتخصيص بالوقت كما قيل ويجوز أن تكون تعليلية (فلذلك) أي لضرره في العاقبة (ذمه من ذمه ومدح ضده) وهو الخمول وعدم الشهرة بين الناس أي انما ذمه من ذمه لهذا لا لانه في نفسه أمر مذموم كما ورد في الحديث الصحيح ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المؤمن وقد فصله في الاحياء فقال طلب رفعة المنزلة في القلوب باعتقاد صفة ليست فيه كالعلم والزهد حرام لانه كذب وتلبيس وطلبها بما فيه ليجعلها وسيلة لنفع الناس ونفعه في الآخرة جائز ممدوح كقول يوسف عليه الصلاة والسلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وقد تضمن هذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه أو دنياه رواه البيهقي (وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض) معطوف على قوله ذمه وهذا كما في الحديث

والمال مضران لارباب الكمال الجامعين بين العلم والعمل والحال (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة) أى الوقار والهيبة (والمكانة) أى التمكن فى مرتبة الجلالة (فى القلوب والعظمة) أى الاجلال والمهابة فى العيون (قبل النبوة عند الجاهلية) كما مر عن أبى جهل فى تلك القضية وما روى عنه أيضا أنه ساوم رجلا من بنى زبيد ثلاثة ابعرة هى خيرة ابله ثلث ثمنها فامتنع الناس من الزيادة لاجله فاخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فزاده حتى رضى فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث وأعطى ثمنه أرامل بنى عبد المطلب وأبو جهل مخزى ينظره ولا يتكلم ثم قال له صلى الله تعالى عليه وسلم اياك ان تعود لمثل ما صنعت بهذا الاعرابى فترى منى ما تكره فقال لا أعود يا محمد فقال له أمية بن خلف ذللت فى يد محمد فقال ان الذى رأيتم منى لما رأيت معه رجالا عن يمينه ويساره يشيرون برماحهم الى لو خالفته لكانت اياها أى لاهلكونى (وبعدها) أى ورزق الجاه بعد النبوة عندهم (وهم يكذبونه) بالتشديد والتخفيف أى والحال ان أهل الجاهلية ينسبونه الى الكذب ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه (فى نفسه خفية) بضم الخاء وكسرها وسكون الفاء أى مخفيا لما تمكن من هيبته فى صدورهم وعظمته فى قلوبهم (حتى اذا واجههم) أى قابلهم علانية (أعظموا جهرة أمره) أى حشموا اقدره (وقضوا حاجته) أى مقصده اليهم فى سيره وهذا باعتبار غالب معاملاتهم معه فلا ينافى ما وقع من وضع أبى جهل سلا الجزور على ظهره وهو ساجد فى الحجر (وأخباره فى ذلك معروفة سيأتى بعضها) أى فى محله ان شاء الله سبحانه وتعالى

ان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا وان كان العلو فى الآية مقيدا بصفة زائدة عليه من ظلم أو غيره والخمول بضم الخاء المعجمة وفتحها خطأ ضد الظهور وكون الخمول فضيلة ممدوحة لا يضر مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين لم يرضوه والخلفاء الراشدين والائمة العلماء فان المذموم هو طلب الشهرة فاما وجودها من الله من غير تكلف من العبد فليس بمذموم بل أفضل من الخمول فى حق من قدر على نفع الناس مع خلوص نيته وسلامة طويته ولذا قال الله لا يريدون علوا فى الارض دون يعلون ومن لم يقدر و يصبر على ذلك فالخمول فى حقه أحسن كما أشار اليه فى الاحياء واليه الاشارة فى حديث المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل ولذا قال الشاعر

من أراد العز والرا * حة فى الدهر الطويل
فليكن فردا من النا * س و يرضى بالخمول
ويرى ان قليلا * كافيا غير قليل

(وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة) أراد بالحشمة المهابة والعظمة فى أعين الناس ولذا عطفه عليه (والمكانة) وهى المنزلة الرفيعة رفعة معنوية كالعطف التفسيرى وتبع فى هذا الاستعمال المشهور ولانها وردت فى كلام الناس بمعنى الاستحياء فاريد به لازم معناه وهو المهابة وتحقيقه كما فى شرح أدب الكاتب لابن السيد ان الحشمة تضعها الناس موضع الاستحياء وعليه قول المتنبى

* ضيف ألم برأسى غير محتشم * وليس كذلك انما هى الغضب يقال هذا مما يحشمه أى يغضبه وهذا قول الاصمعى وهو المشهور وذكر غيره انها تكون بمعنى الاستحياء وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال طاعم حشمة وقال الطرماح

ورأيت الشريف فى أعين النا * س وضيعا وقل منه احتشامى

انتهى (فى القلوب والعظمة) معطوف على الحشمة (قبل النبوة عند الجاهلية) أى عند أهل الجاهلية والمراد بالجاهلية ما بين المولد والمبعث وتطلق على ما كان قبل البعثة ومنه ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وبه جزم النووى فى شرح مسلم فان أضيف للشخص أريد به ما قبل اسلامه وقد يراد بها ما قبل فتح مكة (وبعدها) أى بعد النبوة (وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه فى نفسه خفية) بضم الخاء وكسرها كما قاله البرهان لانه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم عندهم وعظمته فى قلوبهم لا يواجهونه بما يؤذونه وهو منصوب بمفعول مطلق لمذكور أو مقدر أو حال (حتى اذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته وأخباره فى ذلك معروفة سيأتى بعضها) وهذا بالنسبة لما فى نفس الامر وأكثر الاحوال كما روى عن أبى جهل لعنه الله أنه ساوم رجلا من بنى زبيد ثلاثة ابعرة هى خير ابله بثلث ثمنها فامتنع الناس من الزيادة لاجله فاخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فزاده حتى رضى فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث وأعطى ثمنه أرامل بنى عبد المطلب وأبو جهل مخزى ينظره ولا يتكلم ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم له اياك ان تعود لمثل ما صنعت بهذا الاعرابى فترى منى ما تكره فقال لا أعود يا محمد فقال له أمية بن خلف ذللت فى يد محمد فقال ان الذى رأيتم منى لما رأيت معه لقد رأيت رجالا عن يمينه ويساره يشرعون رماحهم الى لو خالفته لكانت اياها أى لاهلكونى فى وقائع أخرى مثلها وهذا لا ينافى انهم فى بعض الاحيان قد آذوه صلى الله تعالى عليه وسلم

جهرة كوضعهم الجزور على ظهره الشريف وهو ساجد وتكذيبهم له في قصة الاسراء وقول أبي جهل لابي طالب عند موته لا تطعه أترغب عن ملة عبد المطلب وتحمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحيانا الذلك لحكمة تظهر بها غيرة الله وأمره بمقاتلتهم (وقد كان يبهت) ثلاثي مبني للفاعل أو المفعول بمعنى يتحير ويدهش كما في قوله تعالى فبهت الذي كفر (ويفرق لرؤيته) بالبناء للفاعل من باب علم أي يخاف (من لم يره) فاعله (كما روى عن قيلة) بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهاء وفي الصحابيات من يقال له قيلة ثلاث قيلة أم بني انمار ويقال أخت بني انمار وقيلة الخزاعية أم سباع وقيلة بنت مخرمة العنبرية وقيل العنزية نسبة لعنزة بنون وزاء معجمة مفتوحتين وقيلة الغنوية بفتح الغين المعجمة والنون كما قاله البرهان والمراد قيلة بنت مخرمة وحديثها مذكور في شمائل الترمذي وفي سنن أبي داود وأخرجه ابن سعد بتمامه كما قاله السيوطي وهو أنها رأته صلى الله تعالى عليه وسلم في المسجد وهو قاعد القرفصا قالت فلما رأيته متخشعا في الجلسة أرعدت من الفرق وهذا هو المراد وان اختلف بعض لفظه وقال التجاني هي ابنة مخرمة الغلوية أو العنزية ويقال بل التميمية ولا تنافي بين الاخير وغيره لان العنبرية نسبة لبني العنبر والعنبر أبو حي من تميم كما ان العنزة حي من ربيعة بن نزار وفي مثل هذه القصة وقعت لعمر رضي الله عنه وكان مهيبا وقوله (انها لما رأته) صلى الله عليه وسلم (أرعدت) بضم الهمزة وسكون الراء وكسر العين وفتح الدال المهملات مبني للمجهول أي لحقتها رعدة من الخوف وقوله (من الفرق) بفتحتين وهو شدة الخوف وفي نسخة ارتعدت (فقال) صلى الله عليه وسلم لها (يا مسكينة عليك السكينة) وصفها بالمسكنة ترحما لها والسكينة هنا بمعنى الطمانينة أي الزمي الاطمئنان وعدم الخوف والسكينة ثبت في النسخ المعتمدة بالرفع على انها مبتدأ وخبر والجملة خبرية مراد بها الامر أي أسكني وبالنصب أي الزمي السكينة للاغراء أو عليك اسم فعل بمعنى الزمي ولم يثبت هنا ما قيل انما أنا ابن امرأة من قريش تاكل القديد وبين سكينة ومسكينة تجنيس ومسكين بكسر الميم على الافصح وتفتح وحق مسكينة ان لا تلحقها الهاء لان باب مفعيل ومفعال للمبالغة لا تلحقه التاء لكنه حمل على فقيرة وسكينة بالفتح والتخفيف وقد تكسر وتشدد وتفتح وهو قليل جدا (وفي حديث أبي مسعود) رضي الله تعالى عنه هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي الصحابي رضي الله تعالى عنه البدري كما في البخاري وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى انه لم يصح انه شهد بدرا وانما شهد العقبة الثانية وعليه الاكثر وانما سكنها فهو بدري دارا لا حضورا وبهذا يحصل الجمع بين القولين وروى عنه أيضا أحمد وأصحاب السنن ومات سنة أربعين أو احدى أو اثنتين وأربعين وهذا الحديث رواه البيهقي من طريق قيس عنه موصولا وعن قيس مرسلا وقال هو المحفوظ وأخرج الحاكم مثله وصححه (ان رجلا قام بين يديه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فارعد) بضم الهمزة وكسر العين المهملة أي أخذته رعدة من خوفه وفي رواية أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم برجل فكلمه فجعلت ترعد فرائصه بالفاء والصاد المهملة كالفرائض بالمعجمة وهي لحمة بين الجنب والكتف ترعد من الخائف (فقال له هون عليك فاني لست بملك الحديث) وتمامه وانما أنا ابن امرأة من قريش تاكل القديد وهون بتشديد الواو المكسورة أمر من الهون وهو الامر الهين السهل والعرب تقول هون عليك بمعنى لا تخف قال

فهون عليك فان الامور * بكف الاله مقاديرها

(وقد كان يبهت) على صيغة المجهول صورة مع ذكر فاعله كما في قوله تعالى فبهت الذي كفر من البهت وهو الحيرة وفعله كعلم ونصر وكرم وعنى وهو أفصح فيجوز بناؤه على الفاعل أيضا أي يدهش ويتحير (ويفرق) بفتح الياء والراء أي يخاف ويفزع (لرؤيته) وفي نسخة من رؤيته (من لم يره) لما ألقى عليه من الهيبة والعظمة في قلوبهم (كما روى عن قيلة) بفتح قاف فسكون تحتية وهي بنت مخرمة العنبرية وقيل الكندية وقيل التميمية (انها لما رأته أرعدت) بصيغة المجهول أي أخذتها الرعدة بكسر الراء وهي اضطراب (المفاصل خوفا والمعنى انها ارتعدت من الفرق) بفتحتين وهو الخوف ورواية أبي داود والترمذي في الشمائل عن عبد الله ابن حسان عن جدته عنها انها رأته في المسجد وهو قاعد القرفصاء قالت فلما رأيته المتخشع في الجلسة ارتعدت من الفرق وزاد ابن سعد (فقال يا مسكينة عليك السكينة) بالنصب أي الزمي الطمانينة وفي رواية بالرفع أي السكينة لازمة عليك ولم يثبت هنا انما ثبت في بعض النسخ (انما أنا ابن امرأة تاكل القديد) وذلك غير صحيح على ماذكره التلمساني والمسكينة بكسر الميم والسكينة بفتح السين مخففة هو الفصيح (وفي حديث أبي مسعود) أي عقبة بن عمرو الانصاري كما رواه البيهقي عن قيس عنه مرسلا وقال هو المحفوظ ورواه الحاكم وصححه (ان رجلا قام بين يديه) أي قدامه صلى الله تعالى عليه وسلم (فارعد فقال له هون) أي سهل أمرك (عليك فاني لست بملك) بكسر اللام وقيل وتسكن أي بسلطان من سلاطين الظلمة حتى تفزع مني (الحديث) أي الخ ولم يذكره لطوله

(فاماعظيم قدره بالنبوة) وهى أخذ الفيض من الحق (وشريف منزلته بالرسالة) وهى ايصال الفيض الى الخلق (وانافة رتبته) بكسر الهمزة وبالفاء وفى نسخة بالباء والنون أى رفعة رتبته وزيادتها أوظهورها (بالاصطفاء) أى على سائر الانبياء (والكرامة فى الدنيا) أى بانواع المعجزة منها الاسراء ومقام دنا فتدلى ووصوله الى سدرة المنتهى (فامرهو مبلغ النهاية) من أثر العناية ليس فوقه غاية (ثم هو فى الآخرة سيد ولد آدم) كما فى حديث البخارى أنا سيد ولد آدم ولا فخر والمراد انه سيد هذا الجنس وهو نوع البشر الذى هو أفضل أنواع المخلوقات بدليل حديث البخارى أيضا أنا سيد الاولين والآخرين ولا فخر وزيد فى بعض الاصول هنا ولا فخر لكنه لا يصح لان يكون حكاية (وعلى معنى هذا الفصل) أى الاخير (نظمنا هذا القسم) يعنى الاول (باسره) أى جميعه فى سلك مدحه بصفات شريفة وسمات منفية (فصل * وأما الضرب الثالث) أى مما تدعو ضرورة الحياة اليه وليست فضيلة ذاتية محتوية عليه (فهو) من هذه الحيثية واختلاف النية (ماتختلف الحالات فى التمدح به) أى بنفسه أو بكثرته (والتفاخر بسببه) أى فيما بين العامة (والتفضيل لاجله) أى عند الخاصة (ككثرة المال) فانها تمدح فى بعض الاحوال (فصاحبه على الجملة) أى على الاجمال لا على تفصيل جميع الاحوال (بسببه)
(معظم عند العامة) من حيث ان قلوبهم بيد حبه أسيرة (لاعتقادها توصله به) أى توصل صاحب المال بسببه (الى حاجاته) أى قضاء مهمات صاحبه وفى نسخة حاجته (وتمكن أغراضه) بالغين المعجمة وتمكن بالرفع أو الجر

ولاوجه لتفسيره باقتصد فى الهيبة ولا تبالغ فى التعظيم وملك بفتح الميم وكسر اللام ويجوز تسكينها بمعنى السلطان يعنى لست من الملوك الجبابرة حتى تخاف منى لان جبريل عليه السلام جاء من الله وخيره بين أن يكون ملكا نبيا وعبدا نبيا فاختار أن يكون عبدا نبيا ولم يرض بوصفه بالملك وكذا الخلفاء الاربعة وأول من ملك فى الاسلام معاوية رضى الله تعالى عنه فلا وجه لقول بعضهم هنا ان هذا لا ينافى انه ظهر ملكه وان كان ملكه نبوة فانه لم يرد الا نفى انه ملك كسائر الملوك عند المخاطب انتهى وهذا الرجل لم يسمه أحد من شراح الحديث (فاماعظيم قدره بالنبوة) أى وصف قدر نبوته بالعظم لان النبوة مقربة له من الله وفيه من العظم مالا يخفى (وشريف منزلته بالرسالة) جعل منزلة رسالته شريفة لانها واسطة بين الله تعالى وخلقه وفى تأهيله لذلك دون غيره شرف له على من عداه وجعلها منزلة لنزوله اليهم بتبليغه عن اتصاله بالملأ الاعلى (وانافة رتبته بالاصطفاء) لانافة بالنون والفاء بمعنى الاعلاء والاشراف على ما تحته والمراد بالاصطفاء ولايته وهى أقرب مقاماته من الله تعالى عز وجل لتمحيصها للطرف الاعلى ولذا جعلها مرتبة لانها من الرتوب وهو العلو والمرتبة كالمرقبة أعلى الجبل كما فى الصحاح فتفطن لتعبيره أولا بالقدر وثانيا بالمنزلة وثالثا بالرتبة بمصادفة ذلك لمحزه وفى نسخة بدل انافة انابة بالنون والموحدة (والكرامة فى الدنيا) خصها الانها محل ظهور أمره صلى الله تعالى عليه وسلم والافذلك فى الآخرة مما لاشبهة فيه كما سيذكره (فامرهو مبلغ النهاية) أى ليس فوقه مرتبة أخرى يكون نهاية أى هو نهاية النهاية (ثم هو فى الآخرة سيد ولد آدم) عطفه بثم لتراخيه زمانا ومعنى ورتبة وهذا بعض من حديث البخارى وهو أنا سيد ولد آدم ولا فخر وتقدم ان قوله ولا فخر سقط من بعض نسخ الشفاء وثبت فى بعضها قيل وهو الاكثر الاولى لانه هنا من كلام المصنف رحمه الله لا من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن أثبته فهو حكاية كما قاله التلمسانى وفيه نظر والمراد أنا أشرف هذا النوع آدم وولده لما ورد آدم ومن دونه تحت لوائى ومر فى معنى قوله ولا فخر انه لم يذكره للافتخار ومدح نفسه بل لبيان الواقع تحدثا بنعمة الله تعالى أو المراد أنى لا أفتخر بهذا فان لى ما هو أعظم منه من المنزلة عند ربى ولا حاجة للاستدلال عليه بكنتم خير أمة لانه يلزم من تفضيل أمته على الامم تفضيل نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم لان أجرأعمالهم له (وعلى معنى هذا الفصل) المشتمل على أوصاف يتمدح بكثرتها ويتميز باستئثاره بها (نظمنا هذا القسم) الاول من الكتاب أى جعلناه موضوعا لبيانه وهو المقصود منه بالذات فجعل ما فيه كالعقد المحتوى على اللآلى والفرائد كناية وأثبت له النظم تخييلا كما قيل ولك أن تقول المراد بالفصل المشار اليه ما تضمنه قوله فاماعظيم قدره الى آخره (باسره) أى جميعه وأصل الاسر شد الاسير بما يربطه ويطلق على ما يربط به فاذا قيل خذ الاسير برباطة فالمراد خذه بجميع ماله ثم تجوز به عن معنى الجميع (فصل وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات) جمع حالة والحالة تذكر وتؤنث والغالب عليها التانيث (فى التمدح به) هو تفعل للكثرة أو بمعنى المجرد لا للتكلف (والتفاخر بسببه) بين الناس (والتفضيل) من الناس لصاحبه (لاجله) غاير بين العبارة تفننا وهربا من التكرار فى مقام الاسهاب الخطابة (ككثرة المال) ثم بين اختلاف الناس فيه فقال (فصاحبه على الجملة) هذا كما يقال فى الجملة والمال انه أحيانا لا فى كل حال (معظم عند العامة) أى عوام الناس أو أكثر الناس الناظرين للدنيا ووجه تعظيمه (لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن أغراضه) مجرور معطوف على حاجاته

(بسببه والا) أي وان لم يكن هذا الاعتقاد الموجب لتعظيم صاحب المال عند العامة في الجملة (فليس) أي المال (فضيلة) وفي نسخة فضيلته (في نفسه) أي في حد ذاته وباعتبار جميع جهاته وعموم صفاته (فمتى كان المال بهذه الصورة) أي من قضاء الامال (وصاحبه منفقاله في مهماته ومهمات من اعتراه) أي غشيه واعترضه (وأمله) بتشديد الميم أي ومن رجا كرمه ومنه قول القائل

أملتهم ثم تأملتهم * فلاح لي ان ليس فيهم فلاح

وهو معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر تقله والناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة (وتصريفه) بالجر أي وتصرفه بوضعه (في مواضعه) اللائقة به (مشتريا به المعالي) جمع معلاة أي مستبدلا به المفاخر العالية ومختاراته الاوصاف المتعالية (والثناء الحسن والمنزلة) أي الجاه والمرتبة (من القلوب) وفي نسخة في القلوب (كان) أي المال (فضيلة في صاحبه) أي في الجملة (عند أهل الدنيا) أي من العامة مع انه لا عبرة بهم عند الخاصة (واذا صرفه في وجوه البر) أي الطاعة والاحسان (وأنفقه في سبل الخير) وفي نسخة سبيل الخير (وقصد بذلك) أي الصرف (الله تعالى) أي رضاه مآبا (والدار الآخرة) أي ثوابا (كان) أي ماله (فضيلة) أي لما يؤدي الى الفضيلة (عند الكل) أي الخاصة والعامة (بكل حال) أي مطلقا لا في الجملة (ومتى كان صاحبه ممسكاله) من الامساك أي بخيلا به (غير موجهه وجوهه) أي غير نفقه ومصرفه في وجوه ما ذكر من صرفه في مهماته ومهمات من تأمل منه قضاء حاجاته أو اكتساب محمدة أو اجتلاب محبة (حريصا على جمعه) مبالغا في منعه (عاد كثره) بضم الكاف وتكسر أي رجع كثيره وفي نسخة كثرته بفتح الكاف وتكسر وأما قول التلمساني يصح بفتح الكاف والراء وضم التاء فلا يصح (كالعدم) بمنزلة يسيره أو مشبها بعدمه حيث لم ينتفع به فيكون كمن لا مال له وقد ورد الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له وجمع من لا عقل له وقد ورد ان الحسن البصري رحمه الله تعالى رأى رجلا يقلب دنانير في كفه فقال الك هي قال نعم قال انها ليست لك حتى تخرجها من يديك يعني ان حظك منها وحظ غيرك اذا لم تنفقها وتخرجها واحد اذ لا نفع فيها باعيانها وورد عنه صلى الله تعالى

(بسببه) أي المال (والا) أي وان لم يكن ذلك أو ان لم يعتقد فيه ذلك وجواب الشرط محذوف تقديره فلا يعظمه أحد وأقيم بسببه مقامه وهو قوله (فليس له فضيلة في نفسه) ثم فسر ما أجمله فقال (فمتى كان المال بهذه الصورة) أي مصروفا في هذه المصارف (وصاحبه منفقاله في مهماته ومهمات من اعتراه) بهملتين بينهما مثناة فوقية أي من ورد عليه وقصده من الضيوف والاخوان وأرباب الحاجات من عراه اذا غشيه ودخل عليه كما قيل

يا لهف نفسي على مال أجود به * على المقلين أرباب المروآت

(وأمله) أي رجاه ورجا احسانه واكرامه ولو قرئ أم له بمعنى قصده صح ولكن لا يساعده الرسم كما قيل من أم له يقال ما أمله (وتصريفه في مواضعه) تصريفه مرفوع معطوف على المال أي كان تصريفه في مواضعه أي تصرفه واقع موقعه ويصح عطفه على قوله صاحبه وهما سواء معنى ويجوز جره عطفا على مهماته وكذا ضبط بالقلم في بعض النسخ أي ان صاحبه منفقاله في مهماته ومنفقاله في تصريفه في موضعه لكن الاظهر على هذا ان يقول صرفه بدل تصريفه وتصريفه مضاف للفاعل أي ضمير صاحبه وللمفعول أي ضمير ماله والاول أولى لقوله (مشتريا به المعالي والثناء) الذكر الجميل (الحسن) فانه حال منه أي حال كونه مشتريا بماله وتصريفه معالي الامور وثناء الناس عليه والمراد بالمعالي جمع معلاة وهي الجاه والرتب العالية والثناء الذكر الجميل كما علم وذلك انما يكون بصرفه واعطائه لطالبه فجعل تحصيل ذلك بخرجه بمنزلة اشتراء أمر نفيس كما في قوله تعالى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ومثل هذه الاستعارة شائع في الكلام القديم وغيره وقوله الحسن صفة مؤكدة (والمنزلة من القلوب) أي كونه له مهابة وعظمة في قلوب الناس لانها جبلت على حب من أحسن اليها وهو منصوب معطوف على المعالي مفعول الحال (كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا) جواب متى المسبب عنه وقيده بقوله عند أهل الدنيا لان نظرهم لهذا فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون لا انه ليس فضيلة عند الله كما توهم لانه ان اقترن بنية صالحة كان فضيلة عند الله أيضا (واذا صرفه في وجوه البر) أي اذا صرف المال في أنواع الاحسان كالصدقة والهبة والهدية فالوجوه بمعنى الجهات أو هو مستعار لما ذكر استعارة تصريحية أو مكنية (وأنفقه في سبيل الخير) أي في طريقه كالحج والجهاد وصلة الرحم (وقصد بذلك) المذكور من الصرف والانفاق أو المصروف والمنفق (الله والدار الآخرة) أي قصد أن يكون ذلك لله وثواب الآخرة (كان فضيلة) أي أمرا فاضلا محمودا (عند الكل) أي كل الناس من أهل الدنيا وغيرهم العامة والخاصة ومر ان ادخال أل على كل وبعض منعه بعض النحاة ولم يسمع من العرب الا ان القياس لا يأباه (بكل حال) أي سواء اكتسب به المعالي والثناء أم لا (ومتى كان صاحبه ممسكاله) أي لا يصرفه في مصارفه بل يخزنه لشحه به ومحبته له (غير موجهه وجوهه) أي غير صارف له في مصارفه من مهماته ووجوه الخير (حريصا على جمعه عاد) أي رجع أو صار (كثره كالعدم) الكثر

عليه وسلم يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت أو أكلت فافنيت أو لبست فابليت يعنى ان المال الذى لم ينفقه ولم يتصدق به قد تساوى فيه مع غيره ممن لا مال بيده اذ لا فائدة فى عين المال بل فيه الوبال فى المآل (وكان منقصة) بفتح القاف وكسرها أى وكان المال نقيصة (فى صاحبه) أى فى حقه دنيا وأخرى كما ورد تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وكما ورد ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة (ولم يقف) أى المال (به) أى بصاحبه (على جدد السلامة) بفتح الجيم والدال المهملة الاولى أى طريقها المستوية تقول العرب من ملك الجدد أمن العثار وبضم الجيم جمع جدة كمدة أى طرقها من الجادة التى تسلم المارة فيها من العثرة ومنه قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض أى طرائق واما ما ضبط فى بعض النسخ والحواشى بضمهما فلا مناسبة له هنا فانه جمع جديد على ما فى القاموس (بل أوقعه) أى ماله عند ماله (فى هوة رذيلة البخل) بضم هاء وتشديد واو مفتوحة أى فى وهدة دناءته وعمق نقيصته والبخل بضم فسكون وبفتحهما قراءتان فى السبع (ومذلة) وفى نسخة ومذمة (النذالة) بفتح النون والذال المعجمة أى الخساسة والسفالة (فاذا) بالتنوين وفى نسخة بالنون والفاء فصيحة معربة عن شرط مقدر أى ومتى كان المال كما وصف كان حينئذ (التمدح) أى تمدح صاحبه لنفسه ويروى المتمدح (بالمال) أى على توهم الكمال (وفضيلته) أى وفضيلة المال أو صاحبه (عند مفضليه) اذا أى مرجحيه من العامة وفى نسخة بصيغة الافراد (ليست لنفسه) أى ذاته (وانما هو) أى المال أو التمدح به (للتوصل به الى غيره وتصريفه) بالجر أى انفاقه (فى متصرفاته) بفتح الراء أى فى محاله (فجامعه اذا لم يضعه مواضعه) أى من مهماته ومهمات من يرجوه (ولا وجهه وجوهه) أى من أنواع البر وأصناف الخير (غير ملئ) بفتح الميم وكسر اللام فتحتية فهمزة ويجوز ابدالها واوا وادغامها أى غير ثقة

كالكثير معنى وهو بضم الكاف وكسرها وظاهر كلام أهل اللغة جواز فتحها فهو مثلث ومثلثة ساكنة وهو المال الكثير يقال ماله قل ولا كثر ومقابلته بالعدم أبلغ من مقابلته بالقليل ولذا عدل عنه وان كانت القلة تكون بمعنى العدم أيضا وانما كان كالعدم لعدم انتفاعه به فانه خازن لغيره حارس لنعمته يستعجل الفقر الذى هرب منه ويفوته الغنى الذى طلبه فيعيش عيش الفقراء ويحاسب عليه حساب الاغنياء كما قيل وقد مر

يفنى البخيل بجمع المال مدته * وللحوادث والوراث ما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

(وكان منقصة فى صاحبه) لذم الناس له ووصفه بالبخل والرذالة وقبحه عقلا وشرعا (ولم يقف على جدد السلامة) أى لم يحصل ما يسلم به من النقص والوبال والذم والجدد بفتح الجيم ودالين مهملتين أولاهما مفتوحة وهى الارض الصلبة وفى المثل من ملك الجدد أمن العثار فالمراد به الطريق المسلوكة وهكذا هو مضبوط فى النسخ وارتضاه البرهان رحمه الله تعالى فمن قال انه وهم فقد وهم واما ضبط بعضهم له بضم الجيم والدال على انه جمع جديد فلا وجه له وفى بعض الحواشى انه بضم الجيم وفتح الدال على انه جمع جدة كمدة ومدد أى طرق ومنه قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض أى طرق وهو صحيح أيضا ومنه ركب فلان جده فى الامر أى رأى فيه رأيا ظاهرا ولم يقف فى أمر يوصله للسلامة وهو عدم الجمع أو صرف ما جمعه فى مصارفه فعدل عن طريق السلامة فهلك كما أشار اليه بقوله (بل أوقعه) ماله الذى جمعه وبخل به (فى هوة) بضم الهاء وتشديد الواو وهى الاهوية الحفرة العميقة وهو مضاف لقوله (رذيلة البخل) أى أوقعه فى وهدة دناءته وخسته التى حفرها لنفسه وفيه استعارة مكنية وتخييلية كالذى قبله فشبه السماحة بطريق يسلم سالكها ويأمن من كل عثرة وشبه ضده بحفرة يقع فيها من أتاها (ومذمة النذالة) هى بالنون والذال المعجمة الدناءة والخسة وهو معطوف على رذيلة ففيها الاستعارة السالفة أو على هوة وهذه من آفات المال المقابلة لمحاسنه السالفة الدالة على انه فى نفسه ليس ممدوحا وانما يمدح بما يكتسب به كما بينه بقوله (فاذن التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله) أى عند من مدحه ومدح صاحبه ومفضله بكسر الضاد المشددة وفتحها (ليست لنفسه) من حيث هى (وانما هو) أى التمدح به (للتوصل به الى غيره) من الثناء الجميل والاجر الجزيل وهو انما يكون ببذله (وتصريفه فى متصرفاته) وفى الحديث يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت أو أكلت فافنيت أو لبست فابليت فمن لم يتوصل بماله لما ذكر ولم ينتفع به كمن لا مال له قال أبو العتاهية

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه * تملكه المال الذى هو مالكه
الا انما مالى الذى هو منفق * وليس لى المال الذى أنا تاركه

(فجامعه اذا لم يضعه مواضعه) بصرفه فى مهماته ومهمات من أمله (ولا وجهه وجوهه) من أنواع البر وسبل الخير ويحتمل التعميم فى كل منهما (غير ملئ) أى غير غنى يقال ملؤ ملاءة وملاء بالمد

بالحقيقة) أي في نفس الامر (ولاغني بالمعنى) أي بل بمجرد الصورة والمبنى فكأنه فاقد لاواجد (ولامتمدح) وفي نسخة ولا ممدح بالمفعولين أي ولا ممدوح (عند أحد من العقلاء) فضلا من العلماء والفضلاء (بل هو فقير أبدا) أي بقلبه ولو كان غنيا بيده قال المتنبي
ومن ينفق الساعات في جمع ماله ※ مخافة فقر فالذي فعل الفقر

(غير واصل الى غرض من أغراضه) أي لخسته وبخله (اذ ما بيده من المال الموصل) بالتشديد أو التخفيف (لها) وفي نسخة اليها أي الذي من شأنه أن يوصل صاحبه الى أغراضه (لم يسلط عليه) بصيغة المجهول أي لم يمكن منه ولم يفوض اليه (فاشبه خازن مال غيره) أي حافظه (ولا مال له) أي الا وديعة عنده (فكأنه ليس في يده منه شئ) أي من الاشياء (والمنفق) أي في وجوه البر والخير من صدقة وصلة (ملئ) أي ثقة (غني) واجد لا فاقد (بتحصيله فوائد المال) من جميل الحال وحسن المآل (وان لم يبق في يده من المال شئ) حيث يدل على كمال كرمه واعتماده على رزق ربه وقد قال الله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وورد اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وهذا المعنى في حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح (فانظر سيرة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي طريقته (وخلقه) أي سجيته (في المال) أي في

اذا استغنى (بالحقيقة) أي في نفس الامر لان الغناء هو المغني لصاحبه عما سواه وهو محتاج ولغيره في اكتسابه وقد قال الحكماء الغني هو الذي لا يحتاج في ذاته وكماله الى شئ (ولا غني بالمعنى) المقصود منه وهو كفاية المهمات واكتساب المحمدات فكأنه فقير (ولا متمدح به) بفتح الدال (عند أحد من العقلاء) بالجر معطوف على ملي أي من كمل عقله لا يمدح بمثله (بل هو فقير أبدا غير واصل الى غرض من أغراضه)
ومن ينفق الساعات في جمع ماله ※ مخافة فقر فالذي فعل الفقر
وكونه لم يصل لغرضه لعدم انفاقه وكسبه به ما يريد كما أشار اليه بقوله (اذ ما بيده) أي في ملكه وتصرفه (من المال الموصل لها) بكسر الصاد مخففة ومشددة أي اغراضه (لم يسلط عليه) بالتشديد والبناء للمجهول أي لم يرزقه الله تعالى ويقدره الانفاق منه في أغراضه (فاشبه خازن مال غيره) في حراسة المال وعدم قدرته على الانفاق منه (ولا مال له) جملة حالية من خازن (فكأنه) أي صاحب المال (ليس في يده شئ منه) كما قيل

اذا كنت جماعا للمال ممسكا ※ فأنت عليه خازن وأمين
تؤديه مذموما الى غير حامد ※ فيأكله عفوا وأنت دفين

ولمحمود الوراق

تمتع بمالك قبل الممات ※ والا فلا مال ان أنت متا
شقيت به ثم خلفته ※ لغيرك بعدا وسحقا ومقتا
فجادوا عليك بزور البكاء ※ وجدت عليهم بما قد جمعتا
وأرهنتهم كل ما في يديكا ※ وخلوك رهنا بما قد كسبتا

(والمنفق ملئ غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شئ) فالممسك كأنه فقير بالقوة فكذا المنفق غني بالقوة لان له خلفا من الله بمنزلة الحاصل عنده كما قيل

واني لارجو الله حتى كأنني ※ أرى بجميل الظن ما الله صانع

وهذا كله توطئة لبيان أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالنسبة للمال عدما ووجودا كما قال (فانظر سيرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) أي طريقته وهديه (وخلقه) بضمتين أوضم فسكون (في المال) أي في شأن المال وماله بالنسبة اليه (تجده قد أوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد) أي آتاه الله تعالى ذلك كما ورد في الحديث الصحيح بينا أنا نائم أوتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وفي كتاب الوفاء عن جابر رضي الله تعالى عنه مسندا قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق عليه قطيفة من سندس واليه أشار الصرصري رحمه الله تعالى بقوله

بعثت مقاليد الكنوز جميعها ※ تهدى اليه على سراة حصان
جعلت عليه قطيفة من سندس ※ فله استقام الزهد عن امكان

ومثله ثابت من طريق عديدة وهذا يدل على ان الله تعالى أعطاه ذلك حقيقة وخزائن الارض دفائنها ومعادنها بان يطلعه الله عليها ويجعل الملائكة الموكلين بها طوع يده فان السلطان خزينته بيد خازنها حاضر مطيع لديه فهذا معنى كونها في يده عرفا وأما المفاتيح فان كانت بمعنى الخزائن فكذلك وان كانت جمع مفتح أو مفتاح بمعنى آلة الفتح فاعطاؤها ارسالها كما هو ظاهر الحديث السابق وقيل

حق أخذه واعطائه وامتناعه عن التلبس بوجوده وبقائه (تجده) بالجزم أي تعلمه (قد أوتي خزائن الارض) أي عرضت عليه (ومفاتيح البلاد) أي أعطيت له وفي نسخة رواية صحيحة مفاتح البلاد ومنه قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب وهو كناية عن فتحها عليه وعلى أمته بعده وجباية أموالها اليهم واستخراج كنوزها لديهم وتلويح بالتوصل اليها كما يتوصل بالمفاتيح الى ما غلق عليه من أبوابها وقد روي مرفوعا في صحيح مسلم بينا أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي أي في تصرفي وتصرف أمتي

(وأحلت له الغنائم) أى لزيادة الفضيلة (ولم تحل) بصيغة المجهول المناسب لاحلت أو بفتح أوله وكسر ثانيه أى والحال انه لم تبح (لنبى قبله) اذجاء فى الآثار انهم كانوا ٤٧٢ يجمعون الغنائم فتاتى نار من السماء فتأكلها وفى حديث مسلم لم تحل الغنائم لاحد من قبلنا وذلك لان الله تعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا (وفتح عليه فى حياته بلاد الحجاز) سميت بها لحجزها بين نجد والغور (واليمن) بالرفع والجر سمى به لكونه عن يمين الكعبة لمن وقف بالباب ووجهه لخارج ونحوا لمعتبر لكونه بمنزلة المنبر (وجميع جزيرة العرب) وهى مابين أقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وماوالاها من ساحل البحر الى طرف الشام عرضا وقال مالك هى الحجاز واليمن واليمامة وقيل هى المدينة وقيل مكة والمدينة واليمامة واليمن ولعل هذا معنى قول مالك (وما دانى ذلك) أى ماقارب بلاد الحجاز وجزيرة العرب (من الشأم) بالهمز الساكن وابداله ألفا ويقال بفتح الشين والمد وهو من العريش الى الفرات طولا وقيل الى نابلس وعرضا من جبل طيئ من نحو القبلة الى بحر الروم وماسامت ذلك من البلاد قال ابن عساكر فى تاريخه دخل الشام عشرة آلاف عين رأت صلى الله تعالى عليه وسلم واشتقاقه منه لكونه عن شمال الكعبة وأما قول الحلبى قد دخله عليه الصلاة والسلام أربع مرات فغير معروف بل لم يدخل دمشق أصلا وانما بلغ الى بصرى مدينة حران (والعراق) أى عراق العرب من الكوفة والبصرة قيل فارسى معرب وقيل سمى المكان عراقا لكثرة عروق أشجاره (وجلبت اليه) ويروى وجلب وروى وجبيت أى وجىء له الاموال

انه كناية عن فتح البلاد على أمته وجباية أموالهم والمفاتح روى فى الصحيح بدون ياء جمع مفتح وروى بياء فى كلام المصنف جمع مفتاح والاول أفصح كما قيل (وأحلت له الغنائم ولم تحل لنبى قبله) الغنيمة مايؤخذ من الكفار وكذا الفيء وفرق الفقهاء بينهما بان الفيء مايحصل بلا قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب كسرقة وهبة والغنيمة ماحصل بقتال ولو قبله أو بعده وقد تستعمل كل منهما بمعنى الآخر كما فيما نحن فيه وكان قبل ذلك كل مايحصل من أهل الحرب كالقرب من الذبائح تنزل نار من السماء فتحرقه ان قبل *فان قلت كيف هذا وقد كان لسليمان وداود عليهما الصلاة والسلام سرارى ولا شك انها تحصل من أهل الحرب غنيمة حتى تملك *قلت قالوا ان الذى كانت تأكله النار سهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون سهام الامة وقرابينهم فكانت تحل لهم فاذا اشترى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كداود عليه الصلاة والسلام من أمته شيأ منها كان له ذكره ابن الجوزى رحمه الله فى الوفاء (وفتح عليه فى حياته بلاد الحجاز) الحجاز بمعنى الحاجز وسميت بها لانها تحجز بين نجد وتهامة أو بين اليمن والشام وهى مكة والمدينة والطائف واليمامة وقراها وخيبر وطرقها الممتدة بينها وقيل غير ذلك وقيل المدينة نصفها حجازى ونصفها تهامى (واليمن) وهو معروف وسمى به لانه عن يمين الكعبة أو ليمنه أو لانه عن يمين الشمس (وجميع جزيرة العرب) الجزيرة فعيلة من جزر الماء وهو انكشافه ورجوعه بعد المد وجزيرة العرب مابين أقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وماوالاها الى أطراف الشام عرضا عند الاصمعى ومن حفر أبى موسى الى أقصى اليمن طولا ومن رمل قبرس الى منقطع السماوة عند أبى عبيدة وقال مالك هى الحجاز واليمن واليمامة ومالم يبلغه ملك فارس والروم مع أقوال أخر وسميت جزيرة لان بحر فارس وبحر الحبشة ودجلة والفرات أحاطت بها (وما دانى ذلك) أى قرب منه أو من جزيرة العرب فتذكيره باعتبار المكان ونحوه (من الشام والعراق) أما الشام فبهمزة وتبدل ألفا وقد تمد همزته فيقال شآم وبعضهم أبى هذا ويذكر ويؤنث كغيره من أسماء البلدان وينسب اليه شامى بهمزة وألف وشآمى بالتخفيف والتشديد كيمان فيقال امرأة شامة وشامية مخففا ووجه تسميتها بذلك انها عن شمال الكعبة أو لانه يتشأم بها قوم أو باسم صاحبها وهو سام ابن نوح عليه الصلاة والسلام فعربت بابدال السين المهملة شينا معجمة وأنكر بعضهم هذا وقال انه لم ينزلها سام قط وانما سميت بها لان فى أرضها شامات حمر وسود وبيض وحده من العريش الى الفرات أو الى نابلس طولا وعرضه من جبل اجا دسلمى الى بحر الروم ومايسامته وقد دخله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا أنه لم يدخل دمشق وقيل دخل الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأما العراق فهو اقليم معروف وهو عراق العرب وفيه مدن عظيمة وقرى وطوله من تكريت الى عبادان وهى قرية ولذا قيل فى المثل ماوراء عبادان قرية وعرضه من القادسية الى حلوان ودجلة حده جانبها الايمن للعراق واليسار لفارس وأما عراق العجم وهو اقليم خراسان ولفظ العراق عربى وقيل انه معرب ايران وفيه كلام ليس هذا محله واليمن فتحها على رضى الله تعالى عنه فى سنة عشر من الهجرة والشام فتح منها دومة الجندل فتحها عبد الرحمن والعراق فتح منها البحرين وقدم أهلها على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على مافصل فى السير والتواريخ ومن لم يقف على هذا قال انها انما فتحت فى زمن أبى بكر رضى الله تعالى عنه لكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أوتى مفاتيحها ووعد بفتحها (وجلبت اليه) بالبناء للمفعول نائب فاعله مالا يجبى الآتى وأنثه باعتبار المعنى وهو

(من أخماسها) في الغنيمة (وجزيتها) من أهل الذمة (وصدقاتها) من أغنياء الامة (مالايجبئ) أي مالايؤتى به (للملوك الابعضه) أي لكثرته مع زيادة بركته روى ان أعظم مال أتى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مال الجزية ما قدم عليه من البحرين وقدره مائة ألف درهم ثمانون ألفا (وهادته) أي صالحه وفي نسخة صحيحة هادته بمعنى أهدته (جماعة من ملوك الاقاليم) أي بارسال هدايا اليه فقبلها منهم كما في كتب السير دلالة عليه (فما استأثر) أي ما انفرد وما استبد وما اختص (بشئ منه) أي مما هادوه (ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه) أي أنفقه في مواضعه من أنواع الخير وأصناف البر (وأغنى به غيره) أي لغناه بربه واستغنائه بقلبه (وقوى به المسلمين) على مهماتهم وقضاء حاجاتهم ونصرهم على أعدائهم ودفع بلائهم وكان يعطي عطاء من ليس يخشى الفقر انتهاء (وقال) أي كما رواه الشيخان عنه (صلى الله تعالى عليه وسلم ما يسرني) أي لم يوقعني في السرور ولم يفرحني (ان لي أحدا) بضمتين ووجد بخط المبرد باسكان الحاء جبل عظيم بالمدينة (ذهبا) تمييز لرفع الابهام عن جبل أحد (يبيت) أي يثبت ليلة (عندي منه) أي من مقدار أحد ذهبا (دينار الا دينارا) بالنصب على الاستثناء وفي نسخة بالرفع على البدل

الاموال (من اخماسها) أي غنائمها الان الغنائم تجعل خمسة أجزاء خمس للامام وأربعة أخماس للجند أو المراد نفس الخمس لانه الذي يختص به (وجزيتها) بكسر فسكون وهو ما يؤخذ من الكفار من الخراج على الرؤس سمي بها امالانها تجزى أو من المجازاة أو من الاجزاء بمعنى الكفاية وقيل انها معرب كزيت وأحكامها تفصيلا في كتب الفقه (وصدقاتها) المراد ما كان يؤخذ من الزكاة كبيت المال لانه يسمى صدقة (مالايجبى) أي يجمع يقال جباه اذا جمعه (للملوك الابعضه وهادته) أي أهدت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وليس المراد المفاعلة (ملوك الاقاليم) المتقدمون قسموا الارض سبعة أقسام سموا كل قسم منها اقليما كما يعلم من علم مساحة الارض المسمى جغرافيا وحد كل اقليم وما فيه من البلدان مفصل في كتب الهيئة والمساحة قيل المصنف أراد بالاقليم النواحي والبلدان وان كانت من اقليم واحد أو اقليمين من السبعة بطريق المجاز وهو بهذا المعنى مستعمل أيضا كما يقال أقاليم مصر فسموا كل ناحية منها اقليما والهدية ما يبعث بلا عوض الى المهدى اليه اكراما وقال السبكي الاكرام ليس شرطا فيها وانما الشرط كونها من المنقولات فلا يقال العقار هدية فهي أخص من الهبة والظاهر ان قيد الاكرام بناء على الظاهر فرقا بينها وبين الصدقة وممن هاداه صلى الله تعالى عليه وسلم المقوقس ملك القبط أهدى له جاريتين وكسوة وبغلة بيضاء وهي الدلدل وهاداه فروة بن عمرو الجذامي عامل قيصر بعد ما تبرع بالاسلام وأهدى له بغلة بيضاء تسمى فضة وفرسا وأثوابا وقباء من سندس ولما بلغ ذلك قيصر حبسه مدة طويلة ثم أرسل يقول له ارجع لدينك أطلقك وأعيد لك ملكك فأبى وقال لا أفارق دينه وانك لتعلم انه حق ولكن ضننت بملكك فقال صدق والانجيل ومنهم أكيدر دومة الجندل كما في البخاري والتجاني وأما هدايا غير الملوك التي كانت تصل مع الوفود فكثيرة لا تحصى كما يعلم من السير وأهدى له الرهبان أيضا كراهب نجران ولا منافاة بين قبوله هدية من يسلم منهم كالمقوقس والنجراني ورده بعض هدايا المشركين وقوله انا لا نقبل زبد المشركين أي عطيتهم لانه كان يقبل الهدية ممن يرجو اسلامه استئلافا له لما فيه من المصلحة للمسلمين ويرد هدية غيره أو ذلك خاص بالمشركين ومن قبل منه من أهل الكتاب فيقبل كما توكل أطعمتهم وذبائحهم وقيل ان عدم القبول منسوخ باحاديث القبول لا العكس على الارجح ثم ان قبول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الهدية مع انه لا يجوز لغيره من الحكام من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم لانتفاء التهمة في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم رد ما أهدى له خاصة دون ما أهدى للصحابة (فما استأثر بشئ منه) أي ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون أصحابه لرؤيته انه أحق به كما يفعله الملوك فيما يليق بها وهو استفعال من الاثرة وهي المكرمة والخصوصية كما قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم (ولا أمسك منه درهما) أي لم يبق لنفسه منه شيئا ولم يجعله عنده أو في يده (بل صرفه) في (مصارفه) باعطائه لمن يستحقه وفي وجه الخيرات (وأغنى به غيره) من الجند والمؤلفة قلوبهم فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخاف الفقر (وقوى به المسلمين) بصرفه في مهماتهم وفيما ينصرهم على أعدائهم (وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان مسندا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (ما يسرني) أي يجعلني في سرور وفرح (ان لي أحدا ذهبا) أي مثل أحد ونفس أحد يكون ملكا لي وهو ذهب حقيقة وقوله ذهبا تمييز أي من ذهب وأحد بضمتين وقد تسكن حاؤه اسم جبل معروف قريب من المدينة سمي به لتوحده وانقطاعه عما هناك من الجبال وقال صلى الله تعالى عليه وسلم فيه أحد جبل يحبنا ونحبه (يبيت عندي منه دينار الا دينارا

(أرصده لديني) وفي نسخة لدين وهو بفتح الهمزة وضم الصاد وبضم وكسر من الارصاد أي أحفظه منتظر القضاء ديني وقال بعضهم رصدته رقبته وأرصدت أعددت قال تعالى شهابا رصدا وارصادا لمن حارب الله ولعل التعبير بالبيتوتة لارادة المبالغة لان الليل مظنة فقد الفقير والغيبوبة توهم حصول الذهول والغفلة ووقع في أصل الدلجي درهم الادينارا فتكلف وقال نصبه على الاستثناء من عام عبر عنه بالدرهم ورفعه على البدل وكانه قال ما يسرني ان يبيت عندي شئ منه الا ما أرصده لدين لي بفتح الهمزة وضم الصاد وبضم وكسر (وأتته دنانير مرة) وهي كثيرة (فقسمها) أي على من استحقها (وبقيت) وفي نسخة بقي (منها ستة) وفي نسخة بقية أي قليلة يسيرة (فدفعها لبعض نسائه) نظرا الى حدوث حاجة لهن اليها وفي رواية فرفعها بعض نسائه بالراء وهو اما بامره واما على عادة النساء في حفظ المال لامر المعاش وغيره فلم

(يأخذه نوم حتى قام وقسمها) اتكالا على كرم ربه عند الاحتياج اليها (وقال الآن)

وهو اسم للزمان الحاضر (استرحت) أي حصل الراحة لقلبي المعتمد على رزق ربي وفيه دلالة واضحة على ما كان عليه من التقالل للدنيا وملازمة الفاقة في أيام حياته الى آوان مماته كما يدل عليه قوله (ومات ودرعه مرهونة) أي عند يهودي هو أبو الشحم وقيل أبو شحمة (في نفقة عياله) أي الى سنة في ثلاثين صاعا من شعير على ما في البخاري والترمذي والنسائي وفي البزار أربعين وفي مصنف عبد الرزاق وسق شعير

أرصده لديني) وقد روى هذا الحديث بروايات مختلفة اللفظ متقاربة المعنى ففي الصحيح تأتي على ثالثة وعندي منه دينار أو أمسى ثالثه وعندي منه دينار وروى تحول ذهبا ويصير ذهبا والا دينارا روى بالرفع والنصب وأرصده بفتح الهمزة وضم الصاد ويجوز ضم الهمزة وكسر الصاد المهملة لانه يقال رصدته وأرصدته بمعنى أعددته للخير أو الشر وقيل رصدته بمعنى راقبته وأرصدته بمعنى أعددته وهو المشهور وقوله لديني بفتح الدال المهملة وسكون المثناة التحتية والنون وارصاده للدين أما لان صاحبه غائب أو لانه لم يحل أجله وفيه دليل على جواز الاستقراض وانه لا ينبغي ان يكون المرء مستغرقا في الدين حتى لا يجد له وفاء وبقية الحديث في الصحيحين وشروحهما فان أردته فانظره وفي بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصنف وهي (وأتته صلى الله تعالى عليه وسلم دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت) انتهى وقوله دفعها روى رفعها بالراء قال السيوطي رحمه الله تعالى هذا الحديث رونه ابنة سعد عن عائشة رضي الله عنها بهذا اللفظ وفي الشرح الجديد لم أقف عليه الا أن له نظائر أوردها وكانت هذه الدنانير جاءت من الصدقة وانما لم يأخذه صلى الله تعالى عليه وسلم النوم لخوفه ان يفجاه الاجل قبل تفريقها فانظر هذا مع انه غفر له صلى الله تعالى عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر بعد ما عصمه الله تعالى مع أشقياء هذا الزمان وصرفهم بيت المال في هوى أنفسهم قاتلهم الله أنى يؤفكون * (ومات صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله) جمع عيل وهو من تلزمه مؤنته والدرع مؤنثة وهي الزردية وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عدة ادراع ذات الفضول سميت بها لطولها أهداها له سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه لما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لبدر وذات الحواشي ودرعان أصابهما من بني قينقاع السغدية وفضة ويقال ان السغدية كانت درع داود عليه الصلاة والسلام التي لبسها لقتال جالوت والبتر والخريق فهذه سبع وقال ابن الاثير رحمه الله تعالى في مادة س ب ع ذرع البتر ذات السبوع لتمامها وسعتها فيحتمل واحدة مما ذكر أو غيرها فتكون ثمانية وقال ابن الجوزي ان التي رهنها صلى الله تعالى عليه وسلم هي ذات الفضول ورهنها عند يهودي يسمى أبا الشحم كما وقع في كتب فقه الشافعية ووقع في كلام بعض تسميته بابي شحمة والمعرف الاول والسغدية لم يتعرضوا الحركة سينها المهملة ويجوز فتحها وضمها والمشهور الثاني وهي بغين معجمة منسوبة للسغد وهو جبل معروف (٣) وقال مغلطاي انها بعين مهملة وفي معرب الجواليقي

(٣) والسعد بالسين والعين المهملتين جبل بالحجاز بينه وبين الكديد ثلاثون ميلا وعنده قصر ومنازل وسوق وماء عذب على جادة طريق كان يسلك من فيد الى المدينة وهو أيضا اسم بلدة يعمل فيها الدروع فيقال الدروع السعدية نسبة اليه وقيل السعد قبيلة نسبت اليها الدروع وأما السغد بالغين المهملة المضمومة فبساتين نزهة وأماكن مثمرة بسمرقند وهو أحد متنزهات الدنيا على ما حكاه المؤرخون من فتوح قتيبة بن مسلم وقد فحصنا الكتب اللغوية فلم نجد في مادة (س غ د) هذا اللفظ بمعنى الجبل وغيره من المعاني التي ذكرناه فما قاله الشارح انه بغين معجمة آه فليس بسديد بل الصواب ماذكره نقلا عن مغلطاي انه بعين مهملة لكونه موافقا لما في كتب اللغة فاحفظه قاله مصححه

وهوستون صاعا ويمكن الجمع بتعدد الواقعة حقيقة أو حكما عند نزول قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الآية ولعل
عدوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الصحابة الى معاملته بيان للجواز أو قلة الطعام عند غيره أو حذرا من ان يضيق على أصحابه أو لانهم
لا ياخذون منه رهنا ولا يتقاضون منه ثمنا بل ولا يعطونه دينا وهو لا يريد صنيعة لاحد عليه أو ليكون حجة على اليهود فى قولهم ان الله
فقير ونحن أغنياء حيث لم يقتض القرض لصاحبه الافتقار وعدم الاقتدار ولعله كان منعوتا فى كتابهم انه يكون مختار الفقر على الغنى
وانه لا يبالى بكلام الاعداء من الاغنياء الاغبياء الذين يدعون الاستغناء (واقتصر من 475 نفقته وملبسه ومسكنه) بفتح الكاف
وكسرها أى من أجلها أو فى حقها (على ماتدعوه ضرورته اليه) أى على مقدار قليل لابد له منه مما تقتضيه الحاجة الضرورية اليه (وزهد) بكسر الهاء أى ولم يرغب (فيما سواه) فزهد فعل ماض عطف على اقتصر ووقع فى أصل الدلجى وزهده بالضمير فتحير فى أمر مرجعه فقال عطف على الضمير المجرور بالى أو على ضرورته أى والى زهده أو ويدعوه زهده فيما سواه اليه ذهابا الى الاقتصاد المحمود اذ ماقل وكفى خير مما كثر وألهى (فكان يلبس) بفتح الياء والباء معا (ماوجده) أى أصابه وصادفه أى تيسر له من غير كلفة وشهوة (فلبس فى الغالب الشملة) وهى كساء يشتمل به وقال ابن حماد هى شبه العباء وهى أكسية فيها خطوط سود
وكل كساء خشن فهو شملة ثم هى ضبطت فى النسخ بالفتح لكن فى القاموس الشملة هيئة الاشتمال و بالكسر كساء دون القطيفة
يشتمل به انتهى والظاهر انه وهم منه فان صيغة الهيئة وهى النوع انما هى بالكسر والفعلة موضوعة للمرة وقد تكون للاسم كما هنا ولذا
أطلق صاحب النهاية حيث قال الشملة كساء يتلفف به (والكساء) بكسر الكاف معروف (الخشن) بفتح وكسر أى الغليظ ضد
الرقيق (والبرد) أى اليمانى وهو الثوب الذى فيه خطوط (الغليظ) أى الخشن واختار هذا كله زهدا وقناعة وتنزها عما يلبسه من
لا خلاق له تفاخرا وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا ان الله يحب المتبذل الذى لا يبالى مالبس (ويقسم) بالتخفيف ويجوز
تشديده بقصد التكثير (على من حضره أقبية

الجواليقى انه بالسين والصاد لانه قياس فى كل سين معها حرف استعلاء قال شقيق الاسدى
* وخافت من جبال السغد نفسى * وذكر مغلطاى أيضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له مغفر
يسمى السبوغ والحديث المذكور فى صحيح مسلم مسندا عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله
تعالى عليه وسلم اشترى من يهودى طعاما نسيئة فاعطاه درعا رهنا وفى رواية فرهنه صلى الله تعالى عليه
وسلم درعا له من حديد ورواه البخارى أيضا بزيادة ثلاثين صاعا من شعير ومنه علم جواز معاملة الكفار
مع ان كسبهم لا يخلو من خبث وجواز الرهن على الثمن المؤجل وادخار القوت خلافا لزفر وقال
المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم انه مكروه عند مالك وأحمد وأجمعوا على انه يجوز معاملة أهل الذمة
وغيرهم الا فى آلات الحرب وما يستعان به عليه وقال الحنفية يكره بيع السلاح والكراع من أهل
الحرب وتجهيزه اليهم قبل الموادعة وبعدها وامارهنه فانه خشى التقوى به علينا فهو كالبيع فما فعله
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اما لان اليهودى لم يكن من أهل الحرب أو لانه كان بين أظهر المسلمين فلا
يخشى تقويه به وفى رواية ان تلك الدرع رهنت فى عشرين صاعا وفى أخرى أربعين وفى رواية وسق شعير
والاجل سنة فحل الاجل قبل الاجل ومن ثم قيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم افتكه قبل موته لخبر
نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن ذلك والاصح خلافه
كما اقتضاه كلام المصنف ولقول ابن عباس توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه مرهونة عند
يهودى والخبر محمول على غير الانبياء وجمع بين الروايات السابقة بتعدد الواقعة وكان موسرا وقد تعسر
لانفاقه جميع ما عنده ولا يعلم أحد بذلك اذ لو علم الصحابة ذلك لاسوه صلى الله تعالى عليه وسلم بجميع
أموالهم كما كانوا يواسونه بارواحهم ولكنه يكتمه ويصبر تلذذا بالرضى بما قسم وفى قوله فى نفقة عياله
للتعليل (واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ماتدعو ضرورته اليه وزهد) بصيغة الماضى معطوف
على اقتصر (فيما سواه) أى ماسوى مقدار الضرورة ووقع فى بعض النسخ زهده بصيغة المصدر المضاف
للضمير وهو مرفوع عطفا على ضرورته أو مجرور بالعطف على مجرور الى من غير اعادة الجار والنسخة
الاولى أوضح (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يلبس ماوجده) حاضرا عنده من غير تكلف (فيلبس فى
الغالب الشملة) وهى كساء يشتمل به وقيل يختص بماله هدب وقال ابن دريد هو كساء يؤتزر به وهى البردة
واما تسمية العوام مايلف على الرأس شملة فلا أصل له (والكساء الخشن) أى الكسوة الملبوسة والكسا
قريب من البرد وخشن بزنة حذر ضد اللين والرقيق (والبرد الغليظ) البرد بضم أوله ثوب فيه
خطوط ومطلق الثوب ثم أشار الى ان هذا ليس من عجزه صلى الله تعالى عليه وسلم عن فاخر الالبسة
بل لعدم ميله لها فقال (ويقسم) مما عنده من الغنائم والهدايا (على من حضر عنده أقبية

الديباج) بكسر الدال وقد يفتح وهو نوع من الحرير والاقبية جمع القباء بالمد كالاكسية جمع الكساء وهو صنف من الثياب (المخوصة) بتشديد الواو المفتوحة أي المنسوجة (بالذهب) أي بمثل خوص النخل وهو ورقه وقيل في طرائق من ذهب مثل خوص النخل أو المكفوفة به وفي رواية المزرورة بالذهب أي التي لها ازرار منه أو المطوقة به أو التي زينت ازرارها به وفي الحديث مثل المرأة الصالحة مثل التاج المخوص بالذهب (ويرفع) أي منها (لمن لم يحضر) أي يغيب من أصحابه المستحقين لها كمخرمة بن نوفل كما في حديث الصحيحين عن ابن المسور قال ٤٧٦ أبي يا بني بلغني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت عليه أقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه في منزله فقال لي ادعه لي فاعظمت ذلك فقال لي يا بني انه ليس بجبار فدعوته فخرج ومعه قباء من ديباج مزرور بالذهب فقال يا مخرمة خبأت لك هذا وجعل يريه محاسنه ثم أعطاه له ولمسلم فنظر اليه فقال رضي مخرمة زاد البخاري وكان في خلق مخرمة شدة محبته هذا وكان يفعل ذلك ايثارا لغيره وتنزها عما يتباهى العوام به (اذ المباهاة) أي المنافة والمفاخرة (في الملابس) الثمينة (والتزين بها) أي في المنازل المكينة (ليست من خصال الشرف والجلالة) أي شمائل أرباب الشرافة وأصحاب العظمة المعنوية

الديباج المخوصة بالذهب) الاقبية جمع قبا وهو المخيط من اللباس والديباج نوع من أقبية الحرير معرب ديبا (٢) بالدال المهملة فيهما بكسر داله وقد تفتح والمخوصة بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الواو يليها صاد مهملة وهاء أي منسوجة باعلام من ذهب كالخوص وفعل ياتي للتشبيه كثيرا (٣) فلا وجه لانكارهم مسرج بمعنى كالسراج في كتب المعاني وقيل هو المكفوف بالذهب أو المطوق أو المزرور به اما نفقته صلى الله تعالى عليه وسلم في ماكله فكان التمر والماء وحده فكان يمضي عليه الشهر لاتوقد في بيته نار وهو يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا أو كفافا وملبسه في الاكثر أكسية الصوف الغليظة الخلقة مع انه لبس ثياب الكتان والقطن أيضا حسبما اتفق له وكان له صلى الله عليه وسلم حلة حمراء وبرد أحمر يلبسه في العيدين وعند قدوم الوفود عليه وكانت له صلى الله تعالى عليه وسلم جبة رومية ضيقة الكمين وكان أحب اللباس اليه القميص القصير الكمين فوق الكعبين مساو كمه لاطراف أصابعه وكانت عمامته قصيرة صغيرة كما بيناه في الشمامة في صفة العمامة وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم قلنسوة وقسمته صلى الله تعالى عليه وسلم ماذكر مروية في البخاري وهذا اما ان يكون قبل تحريم الحرير والذهب أو كان يقسمه ليباع أو يعطى ذلك للنساء والصغار (ويرفع لمن لم يحضر) أي يرفعها من مجلسه حتى يعطيها لمن لم يحضر القسمة وهو اشارة لقصة مخرمة التي رواها الشيخان عن مسور بن مخرمة قال قال لي أبي يا مسور بلغني انه صلى الله تعالى عليه وسلم جاءته أقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه في منزله فقال ادعه لي فاعظمت ذلك فقال يا بني انه ليس بجبار فدعوته صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج ومعه قباء من ديباج مزرور بالذهب فقال يا مخرمة خبأت لك هذا فجعل صلى الله تعالى عليه وسلم يريه محاسنه ثم أعطاه له فنظر اليه وقد رضي وكان فيه شدة واستئثار (اذ المباهاة) أي اظهار الفخر باللباس والعجب به والتزين وأصل معنى المباهاة المفاخرة فنزل ذلك بمنزلتها (في الملابس) جمع ملبس وهو واللباس بمعنى (والتزين بها) أي اظهار الزينة بالملابس (ليست من خصال الشرف والجلالة) أي المغالات في ذلك واظهاره ليس مما يعد شرفا ولا مما يقصده الاشراف وقال الفقهاء رضي الله تعالى عنهم لبس الثوب الجميل للتزين مباح في الجمع والاعياد ومجامع الناس وما يستر العورة ويدفع الحر والبرد واجب وما فيه جمال لصاحبه مسنون بشرط ان لاينوي به العظمة والزينة بل اظهار نعمة الله وتعظيم من يجتمع لملاقاته وقد كان صلى الله عليه وسلم يفعله وقلت في ذلك

نصيحة لطيفة * قالت بها الاكياس
كل ماشتهيت والبس * ماتشتهيه الناس

(٢) اعلم ان الديباج لفظ فارسي معرب ديباي أي عرب بابدال الياء الاخيرة جيما وقيل أصله ديبا وعرب بزيادة الجيم العربية وفي شفاء الغليل ديباج معرب ديوباف أي نساجة الجن كما قاله الزبيدي في تاج العروس فاحفظه قاله مصححه

(٣) ومنه قول العجاج (وفاحما ومرسنا مسرجا) أراد تشبيه حسن الانف ولطافته في الدقة والاستواء بالسيوف السريجية وشريح كزبير قين معروف تنسب تلك السيوف اليه وقيل أي كالسراج في البريق واللمعان كذا في القاموس فبان من هذا ان فعل ياتي للتشبيه كثيرا كما ذكر في محله وان أنكره أهل المعاني فلا عبرة بانكارهم كما قال الشارح قاله مصححه

(وهى) أى تلك الملابس (من سمات النساء) بكسر السين أى من خصال النسوة وعلاماتهن المتزينة بالحلى الصورية (والمحمود) أى الممدوح (منها) أى من الملابس المطلقة (نقاوة الثوب) بفتح النون النظافة وفى نسخة بضمها وهى خياره لكنه غير ملائم للمرام فى هذا المقام (والتوسط فى جنسه) لورود الذم عن لبس الشهرتين (وكونه لبس مثله) أى لباس بعض أمثاله حال كونه (غير مسقط لمروة جنسه) أى ابناء جنسه وفى نسخة حسبه بفتحتين فوحدة (مما يؤدى) أى يؤل (الى الشهرة فى الطرفين) أى المكتنفين من الاعلى والادنى للتوسط افراطا وتفريطا وخير الامور أوساطها وقد قال الثورى كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقد ورد النهى عن الشهرتين أيضا (وقد ذم الشرع ذلك) أى ماذكر من الشهرتين أيضا أو المباهاة فى الملابس (وغاية الفخر فيه) أى فى ذلك المذموم (فى العادة عند الناس انما تعود) أى ترجع غايته (الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال) أى وسعة الجاه وكثرة المال وقد سبق ان هذا مذموم فى المآل (وكذلك التباهى) أى ومثل الفخر حكم الافتخار (بجودة المسكن) أى بتجصيصها وتزيينها وتبييضها (وسعة المنزل) بفتح السين أى من جهة طولها وعرضها زيادة على مقدار الحاجة (وتكثيرا لآلة) أى أمتعته وظروفه ومفارشه

(و) انما (هى من صفات النساء) أى المباهاة والتزين انما يقصده النساء ومن فى حكمهم كالاطفال وأكثر ما رأينا ذلك فى محدث النعمة ومن لا قدر له (والمحمود منها) أى ما يحمد منها عند الله وعند الناس من صفات الملابس (نقاوة الثوب) بفتح النون وضمها أى كونه نقيا من الوسخ والنجاسة وهو مصدر ويهمز فيقال نقاءة بمعنى نقاء وفى البستان يستحب للرجل الذى له مروءة وعلم أن تكون ثيابه نقية من غير كبر ورأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا وسخت ثيابه فقال أما وجد هذا شيأ ينقى ثيابه وقال أيضا ما على الرجل حرج ان يتخذ ثوبين سوى ثوبى مهنته وفى المثل المروءة الظاهرة فى الثياب الطاهرة وقال البرهان النقاوة بضم النون الخيار والظاهر هنا فتحها وهى النظافة كالنقاء بزنة السخاء (والتوسط فى جنسه) أى المحمود فى اللباس استعمال الوسط منه فلا يكون نفيسا جدا ولا خسيسا (وكونه لبس مثله) بضم اللام بمعنى اللازم أى كونه مما يلبسه أمثاله من جنسه فينبغى ان يوافق أقرانه فى لباسه فلا يخالفهم فيوقع الناس فى الفتنة ونهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن الشهرتين فى اللباس المرتفعة جدا والمنخفضة جدا وقال مبارك الموصلى أكثر الناس فى مدح الملابس وذمها واللازم ان يلبس كل أحد على قدر حاله فلا يلبس الغنى ما هو دون حاله ولا الفقير ما هو فوق حاله ولا يتزين العالم بزى الجاهل ولا الجاهل بزى العالم وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يشبه الزى بالزى حتى يشبه القلب بالقلب والى ما ذكرناه أشار بقوله (غير مسقط لمروة جنسه) أى مما يعد مسقطا لمروءة أمثاله (مما لا يؤدى الى الشهرة فى الطرفين) أى غاية التعظيم وغاية الخسة فيكون بين بين وخير الامور أوسطها والشهرة اسم من الاشتهار وهو الظهور بين الناس لامتداد النظر لما لم يعهد قال النووى كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد والثياب الرذلة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وبهذا ورد الحديث فلبس المرقعات أمر مكروه شرعا وربما يكون حراما اذا قصد اظهار الزهد للطلب كما تراه اليوم وما نهى الشرع عنه كالحرير خارج مما نحن فيه وأما توسيع الاكمام كما يفعله الفقهاء فمخالف للسنة كتكبير العمائم وقد قال ابن الحاج انه مكروه وبدعة قبيحة وسرف وتضييع للمال الان ابن عبد السلام والسبكى قالا اذا كان ذلك شعار العلماء يندب ليعرفوا فيسألوا ويطاعوا فاذا كان كذلك فى نفس الامر لا يسقط المروءة وقال السبكى انه استنبطه من الآية فى نساء النبى يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ومثله لباس الخضرة للاشراف فاختار علماء الشافعية انه سنة وليس من الشهرة المنهى عنها لاهله ولبس ثياب الفقراء مع القدرة على غيرها ليروج حاله عند الظلمة ويجعله مكتسبا له منهى عنه وفى الحديث من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة (وقد ذم الشرع ذلك) كما عرفته وذلك اشارة الى المباهاة فى الملابس والتزين بها (وغاية الفخر فيه عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال) يعنى ان كثرة المال والملابس عند العقلاء غير محمودة لانها مذمومة شرعا غير مقصودة لذاتها وأما العوام فيفتخرون بكثرتها وتعددها حتى رأينا بعض الحمقاء يلبس فى المجلس الواحد ألوانا من الثياب والغاية النهاية وأصلها غيية بيائين أعلت أولاهما والتحصن الثانية بتاء التانيث وكثرة الموجود المراد به ما عنده من المال ونحوه ووفور الحال المراد به قوة حاله وقدرته على ما لا يقدر عليه غيره فالوفور على ظاهره أو بمعنى القوة (وكذلك التباهى) أى مثل التفاخر بما ذكر التفاخر (بجودة المسكن) أى حسنه بحسن بنائه وزخرفته وعلوه والجودة بفتح الجيم وجوز ضمها ابن رسلان وهو كذلك فى القاموس (وسعة المنزل) لانه مما يتمدح أهل الدنيا به وقد قالوا خير المنازل ما يسافر فيه النظر وقد قالوا الدار الضيقة العمى الاصغر ثم اتبع ذلك بما يتبعه فقال (وتكثير آلاته) آلات جمع آلة والآلة

ما يصنع به الاعمال كالقدوم للنجار والابرة للخياط والمراد به هنا لوازمه كالفراش وأوانيه (وخدمه) جمع خادم وفعل بفتحتين جمع سمع منه ألفاظ معدودة (ومركوباته) كالخيول والبغال وغيرها واضافتها للمنزل لأدنى ملابسة أو لأنها فيه فنسل هذه الامور لا يفتخر بكثرتها الا ذوو العقول السخيفة ومن له حرص على حطام الدنيا * (تنبيه) * لا يكره البناء للحاجة وان طال والاخبار الدالة على منع ما زاد على سبعة أذرع وان فيه الوعيد الشديد محمولة على من فعل ذلك للخيلاء والتفاخر على الناس ويكره الزيادة عليها لغير حاجة أى من حيث القدر وفى معناه على ما هو الظاهر ما لا تدعو الحاجة اليه من حيث الوصف كأن تتخذ بيتا من نحو العنبر والعود والدر * فان قلت يشكل ذلك بان الظاهر أنه لا كراهة فى تناول نفس الاطعمة والملابس على ما تقدم * قلت يفرق بان النفيس منهما قد ينفع البدن أو يحتاج اليه لمصلحة بخلاف المسكن لان كل ما زاد منه على ما يدفع نحو الحر والبرد لا مصلحة فيه للبدن وهل تختص كراهة ما زاد على الحاجة بالبناء حتى لا يكره شراء ما زاد منه على الحاجة فيه نظر ولا يبعد عدم الفرق نظرا للمعنى نبه عليه شيخنا ابن قاسم رحمه الله ثم بين المصنف أن النبى حائز للفضيلة المالية أيضا وواصل منها ما لم يصل اليه غيره ولذا قالوا لا يجوز أن يقال فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير على ما سيأتى فى آخر الكتاب (ومن ملك الارض) بتمليك الله اياها له فلو أراد ملكها من المشرق للمغرب يسره الله له فى طرفة عين وقد خيره الله تعالى بين الملك والعبودية فاختار العبودية كما مر (وجىء اليه مافيها) أى جمع له ما فيها من الغنائم وجزيتها وصدقاتها مما افتتح فى زمانه (فترك ذلك) أى المال المحى (زهدا وتنزها) أى لاجل الزهد والتنزه عن قبوله والزهد هو الترك لاجل الله فالزهد أخص من الترك وكلاهما مفعول لاجله ويجوز جعلهما تمييزا والزهد الرغبة عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة فى الآخرة ولا يتصور ممن لا مال له ولا جاه وقيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها أما أنا ففيم زهدت حجة على وهو من أعلى المقامات وفى الحديث ازهد فى الدنيا يحبك الله ويقال زهد فيه وعنه وقوله (فهو حائز) جواب من أو خبرها وحائز بالحاء المهملة والزاء المعجمة أى جامع ومحصل (الفضيلة المال) أى من كان كذلك حاز فضيلة المال التى يفتخر بها أهل الدنيا وقادر على التنعم والتلذذ بها الا انه لا يريد ذلك (ومالك للفخر بهذه الخصلة) المالية الا انه لا يفعله كأهل الدنيا وقيل المراد خصلة الزهد والتنزه وهذا هو الذى يلتئم مع قوله (ان كانت فضيلة زائدا عليها فى الفخر) أن بفتح الهمزة مفسرة بمعنى أى كما قال التلمسانى رحمه الله تعالى وهو تحقيق واثبات للفضيلة التى حازها من الزهد والتنزه عن الدنيا الفانية وكان تامة أو ناقصة والتقدير كانت تلك فضيلة زائدة على فضيلة المال ولكن الظاهر أن يقول زائدة وزائدا على هذا منصوب صفة وقيل ان صح نصبه فهو حال من فاعل حائز وقال بعض الشراح فيه دليل على عدم الجزم بكونها فضيلة وفيه نظر اذ لا يتحقق الكرم بدونها قطعا وهذا مبنى على ان ان شرطية مكسورة الهمزة وهو مبنى على ان المراد بالخصلة المالية لا الزهد وفى الشرح الجديد ما ذكر من نصب زائدا على الحالية ان صحت روايته فانه فى بعض النسخ مرفوع ومعرق الآتى مرفوع فى جميع النسخ وعندى ان نصب زائدا على انه حال من فاعل مالك لا حائز أى هو ومالك للفخر بهذه الخصلة حال كونه زائدا عليها فى الفخر لعدم التفاته لها ولا اكتراثه بها فهو فى ملكها غير مساو لغيره ممن ملكها وفخره بهذه الفضيلة على تقدير كونها فضيلة ليس مساويا لفخر من افتخر بها فقد ملكها حالة كونه زائدا على سائر ملاكها باعراضه عنها فزائدا وصف له صلى الله تعالى عليه وسلم والاولى انه صفة مصدر هو مفعول مطلق لمالك أى مالك ملكا زائدا على هذه الفضيلة باعراضه عنها انتهى وهذا محصل ما فى جميع الشروح وقوله فى الفخر متعلق بقوله زائدا * وأقول لا يخفى ان هذا كله كلام مظلم لا ينور به كلامه وتحقيقه ان يقال هو مبتدأ حائز خبره ومالك معطوف عليه وان مكسورة شرطية وكانت ناقصة

(وخدمه) أى من عبيده وجواريه (ومركوباته) أى زيادة على مقدار حاجاته (ومن ملك الارض وجىء اليه) بصيغة المجهول أى أتى اليه (مافيها) من كل زوج كريم وصنف جسيم (فترك ذلك) أى مع القدرة عليه (زهدا وتنزها) أى رفعة للنفس وبعدا لها عما يشينها فان الزهد هو عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة فى العقبى وهذا فى الحقيقة لا يتصور ممن لا مال له ولا جاه على وجه الكمال ولهذا لما قيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها أما أنا ففيم زهدت والزهد أعلى المقامات وأعلى الحالات وقد ورد ازهد فى الدنيا يحبك الله اذ جعله سببا لمحبة الله له (فهو حائز) أى جامع ومشتمل (لفضيلة المالية) التى هى أسباب التلذذ بالاعراض الدنيوية والاغراض الشهوية (ومالك للفخر) أى للافتخار فى العادة بين العامة (بهذه الخصلة) أى الكثرة المالية والوسعة الجاهية (ان كانت فضيلة) بسبب ما مر من كونه وسيلتها والا فليست هى فضيلة فى ذاتها فان شرطية تقديرية وقال التلمسانى هى بفتح الهمزة وهى تفسيرية ولا يخفى بعد ما قاله (زائدا عليها فى الفخر

اسمها ضمير للفضيلة أو للمالية وفضيلة منصوب خبرها وقوله زائدا خبر ثالث والخبر اذا تعددت يجوز عطف الجميع وترك عطفها وعطف بعضها دون بعض كالصفات وترك العطف فيه لانه ليس من جنس ماقبله لان الفضيلة الدنيوية ليست من جنس مازاد عليها في الفخر والفضيلة لان الاول أمر دنيوي لافخر فيه باعتبار ذاته بل باعتبار مايترتب عليه اذا اصرف في وجوه الخيرات من الثواب ونصرة الدين ولذلك أتى فيه بان الشرطية لانه لكونه ذا وجهين اذ لافضيلة له بحسب ذاته فيترا أى انه لافضيلة له أصلا فان نظر لما يترتب عليه فله فضيلة لكنها لكونها غير ذاتية كانها غير محققة أى هو زائد على تلك الفضيلة المالية في فخره بالامور الدنيوية لو اراد اما الزيادة ماياتيه لو بقى على ماعند غيره أو لكونه مكسبه طيبا ومصرفه في محله وفيه من الفوائد مالا يتيسر لغيره فحاصل المعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم حاز من الغنى وفضل المال والفخر به وان لم يعبأ به مالم يحز بعضه غيره ولذا قال بعض العرب كما سيأتي ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم يعطى عطاء من لايخاف الفقر وزاد غناه على غنى غيره فوائد لاتتيسر لغيره ويجوز نصب زائدا على أنه حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم وما مر من أنه لايتحقق الكرم بدونه فكيف لايكون فضيلة ليس بشئ فان المراد انه ليس فيه فضيلة ذاتية وما ذكره لاينافيه كما لايخفى (ومعرق في المدح) بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الراء المخففة وفتحها مع التخفيف والتشديد والاول هو القياس من أعرق الرجل والشجر اذا اشتدت وامتدت عروقه والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أصل في الكرم والحسب قال

أمحمد يا خير ضنء كريمة * في قومها والفحل فحل معرق

وقد يقال في اللوم تهكما وعرق الثرى آدم قال امرؤ القيس * الى عرق الثرى وشجت عروقى * وهو مرفوع معطوف على قوله زائد فان نصب نصب يعنى ان الناس تتمدح بالمال بكثرة جمعه وكذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جمع له ماجمع لاهل الدنيا وهو زائد عليهم في ذلك وأصيل في المدح بذلك لانها لاقيمة لها عنده كما أشار اليه بقوله (باضرابه عنها) أى بسبب اعراضه عن الجهة المالية (وزهده في فائتها) بالفاء ومثناة تحتية ثم فوقية أى يزهد فيما هو فائت منها أى ذاهب كما قال تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم وفي بعض النسخ فانيها بنون بعد الالف (وبذلها) بموحدة وذال معجمة أى اعطائها (في مضانها) من الضنة بالضاد المعجمة والنون أى يجود صلى الله تعالى عليه وسلم في محال تبخل فيها الناس كذا ضبطه وفسره التلمساني وهو في غاية الحسن والظهور وضبطه البرهان الحلبي بالظاء المشالة وعليه الرواية في أكثر النسخ مظنة بالكسر وهى الموضع الذي يظن كونها فيه فالمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يبذلها في محلها الذي يرجى فيه كمحال البر والصدقة

* (فصل وأما الخصال المكتسبة) أى الصفات الحميدة التي ليست ضرورية ولا طبيعية (من الاخلاق الحميدة) من هنا تبعيضية أو بيانية (والآداب الشريفة) جمع أدب وهو الافعال المستحسنة في معاملة الناس ومخالطتهم (التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها) أى من قامت به (وتعظيم المتصف) واتصف بها (بالخلق الواحد منها) أى يمدح بكل واحد منها منفردا (فضلا عما فوقه) أى عما زاد على الواحد منها وفضلا يفيد ان مابعده أولى بالحكم مما قبله كقولهم فلان لايملك درهما فضلا عن دينار ولابن هشام فيه رسالة مستقلة في بيان اعرابه ومعناه وهى مشهورة الا أنهم قالوا انها تلزم الوقوع بعد نفي صريح أو مأول كقوله

قلما يبقى على هذا القلق * صخرة صماء فضلا عن رمق

لان قل ورد بمعنى النفي لان القلة أخت العدم ولايختص هذا بكونها مكفوفة كما قاله ابن هشام والمصنف

ومعرق) بضم الميم وكسر الراء وتفتح أى له عرق أى أصل (في المدح) والمعنى هو زائد بهما على فضيلة المال (باضرابه) بكسر الهمزة أى بسبب اعراضه (عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها) بفتح ميم وتشديد نون أى محالها من صلة رحم وجهة بر وهو بالظاء المشالة وقد تصحف على التلمساني فضبطه بالضاد وقال أراد مواضع البخل

(فصل)

(وأما الخصال المكتسبة) وتسمى ملكات نفسانية لانها تخلقات كسبية لاسجية جبلية (من الاخلاق الحميدة) أى المحمودة من الشمائل المعدودة من الاحوال السعيدة (والآداب الشريفة) أى الناشئة من النفوس النفيسة اللطيفة (التي اتفق جميع العقلاء) أى من الفضلاء والعلماء اذ لاعبرة بالجهلاء (على تفضيل صاحبها) أى بالنسبة الى فاقدها (وتعظيم المتصف) بتشديد التاء المثناة أى المتلبس والمتخلق (بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه) أى أكثر منه مما أجمع على حسنها وطوبى لمن جمعها باجمعها

استعمالها هنا في الاثبات لان معنى الواحد الذي لا يتعدد فلا اشكال في كلامه (وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها) فيدل الثناء عليها على حسنها والامر بها على انها مكتسبة والا لم يكن للامر بها فائدة وفيه دليل على جواز تغيير الطباع وتبدلها وقواه والطبع في الانسان لا يتغير أول أو أكثري (ووعد السعادة الدائمة) منصوب بنزع الخافض أي وعد بالسعادة أو هو مضمن معنى أعطى (للمتخلق بها) أي الذي اتخذها خلقا واتصف بها اذا قصد بذلك وجه الله وليس المراد المتكلف المتصنع باظهار ما ليس فيه فانه مذموم كما قيل يا أيها المتحلي غير شيمته * ان التخلق يأبى دونه الخلق

(ووصف بعضها بانه من أجزاء النبوة) كما ورد في الحديث السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربع وعشرين جزأ من النبوة وورد في حديث آخر ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزأ من النبوة وهذا هو الذي أشار اليه المصنف أي هذه الخصال من شمائل الانبياء وفضائلهم عليهم الصلاة والسلام وليس معناه ان النبوة تتجزئ أو تكتسب بجمع هذه الخصال لانها كرامة يخص الله بها من يشاء من عباده (وهي المسماة بحسن الخلق) قيل أطلق عليها خلقا لكونها ناشئة عنه والافحسن الخلق هيئة للنفس باعثة على الافعال الحسنة والشيم الشريفة وهنا أربعة أمور صدور الفعل الحسن والقدرة عليه ومعرفته والهيئة الحاملة للنفس على صدور ذلك عنها وليس حسن الخلق عبارة عن الاول لان ذلك قد يصدر عنه تكلفا أو رياء ونحوه ولا عن الثاني لان تعلق القدرة بالسيئ والحسن على السوية ولا عن الثالث لذلك فتعين الرابع انتهى وقيل ان المصنف جعل الخصال الحميدة حسن خلق وجعلها مكتسبة فانها اكتسبية في أول أمرها ثم تصير سجية وطبيعة وهو مبني على الاصح من ان الاخلاق مكتسبة قابلة للتغير كما عليه المحققون والخلق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال بسهولة ثم أطال بما لا طائل تحته والثمرة تدل على الشجرة فكن على بصيرة (وهو) أي حسن الخلق (الاعتدال في قوى النفس وأوصافها) قوى جمع قوة وليست الشدة وضد الضعف كما توهم بل الامور المذكورة في الخلق كما يسمى المتخيلة قوة ونحوها من سائر القوى النفسية واعتدال القوى ان لا تخرج الى حد الافراط والتفريط فاعتدال قوة العقل يعبر عنه بالفطنة والكياسة فان مالت الافراط تسمى مكرا وخداعا وان مالت الى التفريط تسمى بلها وحمقا وكذا اذا اعتدل قوة الغضب تسمى شجاعة فان أفرطت فهي تهور وان مالت الى التفريط تسمى جبنا فطرفا كل قوة مذموم والاعتدال هو الوسط المحمود وهو المعبر عنه بحسن الخلق كما أشار اليه بقوله (والتوسط فيها دون الميل الى منحرف أطرافها) منحرف بكسر الراء من اضافة الصفة الى موصوفها أي أطرافها المنحرفة والمنحرف بمعنى المائل والمراد بالاطراف ما بيناه ويجوز فتح رائه على انه مصدر ميمي بمعنى الانحراف والاول أولى (فجميعها) أي جميع الخصال الحميدة (قد كانت خلق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) أنث ضمير جميع لاكتسابه التأنيث من المضاف اليه (على الانتهاء في كمالها) حال من ضمير كانت أي مستقرة تلك

(وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها) أي جمعا وافرادا مجملا ومفصلا (ووعد السعادة الدائمة) أي تعلقها (للمتخلق بها) أي للذي اتخذها خلقا كما هو مذكور في الترغيب والترهيب وكتب الاخلاق من الاحياء وغيره (ووصف بعضها بانه من أجزاء النبوة) كحديث السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربع وعشرين جزأ من النبوة وحديث ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزأ من النبوة والمعنى ان هذه الخصال منحها الله تعالى أنبياءه فهي من شمائلهم وفضائلهم وانها جزء من أجزائها فاقتدوا بهم فيها الان النبوة تتجزأ ولا ان

من جمعها يكون نبيا اذ النبوة غير مكتسبة بل هي كرامة مختصة بمن تعلقت به المشيئة أو المعنى ان هذه الخصال جزء من خمس وعشرين جزأ مما جاءت به النبوة ودعت اليه أصحاب الرسالة وتانيث أربع وخمس على معنى الخصال أو القطعة مع ان الاجزاء تجري مجرى الكل في التذكير والتأنيث (وهي) أي الخصال المكتسبة التي ورد باستحسانها الكتاب والسنة هي (المسماة بحسن الخلق) أي في الجملة (وهو) أي حسن الخلق (الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها) فان لها ثلاث قوى نطقية اعتدالها حكمة وشهوية اعتدالها عفة وغضبية اعتدالها شجاعة فللنطق طرف افراط هو الجربزة كاستعمال الفكرة واشتغال الآلة فيما لا ينبغي وتفريط وهو الغباوة كتعطيل الفكرة عن اكتساب العلوم وافادتها واستفادتها وللشهوة طرف افراط هو الفجور كالانهماك في اللذات وتفريط هو الخمود كترك ما رخص شرعا وعقلا من اللذات وللغضب طرف افراط هو التهور كالاقدام على ما لا ينبغي وتفريط هو الجبن كترك الاقدام على ما ينبغي فما بينهما هو التوسط في الاخلاق المسماة مثلا بالحكمة والعفة والشجاعة وأما قول الدلجي فللحكمة والعفة والشجاعة طرف افراد وتفريط خبط وتخبيط (فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على الانتهاء في كمالها

والاعتدال الى غايتها) يحتمل عطف الاعتدال على الانتهاء وهو الظاهر الانسب فى المعنى والعطف على كمالها وهو خلاف المتبادر لكنه الاقرب فى المبنى (حتى) أى الى حد (اثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم) وقد قيل هو ما أمر به من قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقيل هو ماورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم هو ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من منعك والاكمل فى تفسيره ماذكره المصنف بقوله (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) أى وقد سألها سعيد ابن بن هشام عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان خلقه القرآن) بالرفع ويجوز نصبه زاد البيهقى فى دلائله على ماهو فى بعض النسخ (يرضى برضاه) أى يرضى مافيه من الواجب والمندوب والمباح (ويسخط بسخطه) أى ويغضب ويكره ما ينافيه من الحرام والمكروه وخلاف الاولى وزاد فى نسخة يعنى التأدب بآدابه والتخلق بمحاسنه والالتزام لاوامره وزواجره (وقال عليه الصلاة والسلام) على مارواه أحمد والبزار (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) ورواه مالك فى الموطأ ولفظه بلغنى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت لاتمم حسن الاخلاق ورواه البغوى فى شرح السنة بلفظ ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال أى الملكات النفسية والحالات القدسية التى جمعها احسن الخلق المتضمن لاداء حق الحق والخلق مما لا يستحضى ولا يتصوران يستقصى وفيه ايماء الى ان الانبياء كانوا موسومين بالاخلاق الرضية والشمائل البهية الا انها لم تكن على وجه الكمال الذى لا يكون فوقه كمال وانه صلى الله تعالى عليه وسلم مجتمع الاخلاق العلية ومنبع الاحوال السنية بحيث لا يتصور فوقها كمال حتى من تعدى عن ذلك الحد وقع فى النقصان فى المآل ويدل على ماقررنا على وجه حررنا حديث مثلى ومثل الانبياء قبلى كمثل قصر أحسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة فكنت أنا سددت موضع اللبنة ختم بى النبيون ويشير الى هذا المبنى قوله تعالى اليوم

الاخلاق الحسنة على انتهاء الكمال بتشبيه تمكنها واستقرارها بتمكن الراكب على مركوبه كما تقرر فى قوله تعالى على هدى من ربهم (والاعتدال الى غايتها) معطوف على كمالها أى وصلت الى غاية الاعتدال والسداد (حتى) غاية للغاية (أثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم) أى مستقر ثابت على خلق يستعظمه كل واقف عليه لحسن مداراته وتحمل أذى قومه وملاطفته لهم كما تضمنه قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه) أى كان صلى الله تعالى عليه وسلم متمسكا باوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب لا يتعداها فيرضى بكل ما يرضى الله ويسخط كل ما لا يرضاه كل ذلك لله لا لحظ نفسه وقال السهروردى قدس الله روحه فى عوارف المعارف فى كلام الصديقة بنت الصديق رضى الله تعالى عنهما سر غامض وذلك ان النفوس البشرية مجبولة على طبائع وصفات شيطانية وبهيمية وسبعية والى الاولى أشار بقوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار لدخول النار فى الفخار وخلق الجان من مارج من نار والله بعظيم عنايته نزع حظ الشيطان منه كما ورد فى حديث شق صدره فبقيت نفسه الزكية على حد النفوس البشرية مبقاة فيها امهات تلك الصفات الا انها فى غيره ممتزجة بظلمة الطبائع لتفاوت حاله عن حالهم فتنزل الآيات لقمعها تاديبا من الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة خاصة به وعامة للامة موزعة على الاوقات عند ظهور الصفات كما قال تعالى كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا فثبت فؤاده بها عند ظهور بعض الصفات لارتباطه بنفسه فعند كل اضطراب تنزل آية لمصالح سنية كما وقع فى أحد اذ شج صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل عليه ليس لك من الامر شئ فلبس قلبه لباس الاصطبار وفاء بعد الاضطراب الى القرار فلما توزعت الآيات على تلك الصفات بحسب الاوقات صفت الاخلاق النبوية بالقرآن وفى ابقاء أمهات تلك الصفات تهذيب للامة وتأديب لنفوسهم ولا يبعد ان يقال فى كلامها رضى الله تعالى عنها رمز وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت ان تقول كان متخلقا باخلاق الله وعبرت بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وستر الاحال بلطيف المقال لوفور علمها وكمال أدبها رضى الله عنها انتهى ولا يخفى ان خلقه فى كلامها اسم كان والقرآن خبرها وما قيل من انه على العكس بضبط النسخ الصحيحة ويجوز بحسب العربية عكسه لانهما معرفتان لا وجه له فان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم معلوم والذى قصد اثباته انما هو بيان حاله وما تخلق به وهذا مما اتفق عليه النحاة وأهل المعانى فالوجه هو الاول وهذا الحديث رواه البيهقى فى دلائل النبوة بتمامه والسخط ضد الرضى وقد يقابل الرضى بالاكراه فله معنيان وعليه مبنى الخلاف فى رضى الله تعالى بالكفر وعدمه كما فصلناه فى حواشى البيضاوى وقوله (وقال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) حديث صحيح رواه أحمد

أكملت لكم دينكم (قال أنس رضي الله عنه) فيما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحسن الناس) أي من الاولين والآخرين (خلقا) بشهادة الله الكريم وانك لعلى خلق عظيم (وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه مثله وكان) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فيما ذكره المحققون مجبولا) أي مخلوقا ومطبوعا (عليها من أصل خلقته) أي من ابتداء نشأته الروحية (أول فطرته) أي خلقته الجسدية وفي بعض النسخ في أصل خلقته بالظرفية بدلا من من الابتداء (لم تحصل له باكتساب ولا رياضة) خلافا لما قاله الفلاسفة والحكماء الرياضية (الابجود الهي) أي لكن حصلت له بجذبة صمدانية (وخصوصية ربانية وهذا) أي وكذا فعل الله (لسائر الانبياء) وفي

رواية سائر الانبياء أي باقي الانبياء الماضية واما وجود الاخلاق الحميدة في غيرهم فقيل انها جبلية وطبيعية مثل الانبياء وهذا بعيد عن مشرب الاصفياء ولو مال اليه الطبراني من العلماء وقيل مكتسبة لا جبلية ولا طبيعية وهذا قول ظاهر البطلان لمشاهدة تفاوت الاحوال في اخلاق الاطفال والصبيان كما يدل عليه حكاية حاتم الطائي وأخيه ورواية أمهما في ابتداء ارضاعهما وقيل منها ما هي جبلية طبع عليها في أول الخلقة وما هي كسبية تحصل بالرياضة وتصير لصاحبها ملكة ويؤيده حديث أشبح عبد القيس حيث قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناءة فقال يا رسول الله أشئ من قبل نفسي أو جبلني الله عليه فقال جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يرضاهما الله ورسوله والتحقيق ان حال الانسان مركب من الاخلاق قبله المحمودة الملكية ومن الاخلاق المذمومة الشيطانية فان مال الى الاولى فهو خير من الملائكة المقربين وان مال الى الثانية فهو شر من الشياطين وتحقيق هذا المرام لا يسعه الكلام في هذا المقام وقد صنف في هذا المبحث كتب الاخلاق منها الناصرية ومنها الدوانية ومنها الكشافية وقد حقق الامام الغزالي في الاحياء الادلة على وجه الاستقصاء (ومن طالع سيرهم) أي سلوك الانبياء في سيرهم (منذ صباهم الى مبعثهم) أي من مبدأهم الى منتهاهم (حقق ذلك) أي عرف حقيقة ما ذكر من ان اخلاقهم مرضية وهبية لا رياضية كسبية

عن معاذ والبزار عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بهذا اللفظ ورواه مالك في الموطأ وغيره بغير هذا اللفظ ومكارم الاخلاق كانت موجودة قبله لا سيما في العرب فتممها صلى الله تعالى عليه وسلم بشريعته السمحة وزاد فيها ما لم يسبق اليه وجمع ما تفرق منها فيه وفي أمته فهذا على حقيقته وليس من قبيل قولهم ضيق فم الركية كما لا يخفى (قال أنس رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحسن الناس خلقا) وهو حديث صحيح رواه الشيخان وقال الحليمي وصف خلق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانه عظيم في الآية والغالب وصفه بالحسن كما في هذا الحديث لان حسن الخلق وكرمه يراد به اللين والسماحة ولم يكن خلقه مقصورا على ذلك بل كان رحيما رؤفا بالمؤمنين عائدا على الكفار مهيبا في صدورهم فكان وصفه خلقه بالعظم أولى ليشمل الانعام والانتقام ولذا أردفه المصنف رحمه الله تعالى بحديث أنس خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي مسلم عنه خدمت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي أف قط (وعن علي بن أبي طالب مثله) أي روى عن علي كرم الله وجهه مثل ما قاله أنس رضي الله تعالى عنه كما ذكره أبو عبيد في الغريب (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (فيما ذكره المحققون مجبولا) أي مخلوقا مطبوعا (عليها) أي على مكارم الاخلاق (في أصل خلقته وأول فطرته) التي فطره الله تعالى عليها أي من غير تكلف ولا تعلم (لم تحصل باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية) بفتح الخاء وضمها (ربانية) منسوبة للرب على خلاف القياس (وهكذا) أي مثل هذا من جمع مكارم الاخلاق فطرة ثبت (لسائر الانبياء) عليهم الصلاة والسلام أي لباقيهم أو لجميعهم انهم مجبولون على كرم الاخلاق وحسنها واما غيرهم فبعضها فيهم فطرة وجبلة وبعضها مكتسب وأما الخلاف في الاخلاق هل هي جبلية أو كسبية فليس هذا محله كما ذكره بعضهم والحق ان بعضها جبلي وبعضها مكتسب والجبلي لا يقبل التغير والزوال كما سبق تفصيله وفي قوله فيما ذكره المحققون اشعار بان خلافهم ذهب الى انها كسبية في الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيعلم حال غيرهم بالطريق الاولى ولذا اعترض عليه بانا لا نعلم خلافا في ذلك وخلط بعض الشراح هنا فادخل نفس النبوة في كلامه وجعل هذا اشارة الى مذهب الحكماء في ان النبوة تحصل بالرياضة والتصفية ولا حاجة لمثله من التكلف فان مراده الاشارة الى الخلاف في مطلق الاخلاق والفضائل النفسية كما ذكر في كتب الاخلاق وهو أشهر من ان يذكر (ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك) أي كونها خلقية جبلية وانما قيده بقوله الى مبعثهم لان بعد البعثة ونزول الوحي لا يظهر كونه جبليا لتعليم الله تعالى له ذلك باخباره ملائكته عليهم الصلاة والسلام فلا تقوم الحجة على من يقول انه جبلي حينئذ اما

(كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم بل غرزت) بصيغة المجهول أي طبعت وغرست (فيهم هذه الاخلاق في الجبلة) أي الطبيعة الاصلية (وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة) أي أول الخلقة الانسانية (قال الله تعالى وآتيناه) أي أعطينا يحيى (الحكم) أي النبوة واتقان المعرفة (صبيا) أي صغيرا (قال المفسرون أعطى يحيى العلم) بصيغة المجهول أو المعلوم ويؤيده نسخة أعطى الله تعالى (بكتاب الله) أي التوراة أو بمضمون كتب الله تعالى مجملة أو مفصلة (في حال صباه) فيه ايماء الى ان صبيا نصب على الحال من المفعول وقد روي انه نبئ وفهم العلم بالكتاب وهو ابن ثلاث أو سبع (وقال معمر) بفتح الميمين ابن راشد أبو عروة الازدي مولاهم عالم اليمن روى عن الزهري وهمام وخلق وعنه ابن المبارك وعبد الرزاق أخرج له الائمة الستة (كان) أي يحيى (ابن سنتين أو ثلاث) على ما رواه عنه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم في تفسيره والديلمي عن معاذ ولم يسنده والحاكم في تاريخه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسند رواه والتحقيق ان يحيى عليه الصلاة والسلام أعطى هذا المقام وهو في بطن أمه كما ورد من ان السعيد من سعد في بطن أمه وانما قيد سبحانه وتعالى بحال الصبا لتعلق علم الخالق به حينئذ فاختلاف الروايات مبني على اختلاف اطلاع الناس على ما به من الحالات (فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال أللعب خلقت) فيه همزة الاستفهام للانكار على ما في الاصول المصححة واللعب فيه لغتان فتح اللام وكسر العين وكسر أوله وسكون ثانيه ووقع في أصل الدلجي ما للعب خلقت بما النافية ولعله رواية في المبنى أو نقل بالمعنى ثم أغرب واعترض على معمر في قوله أو على المصنف في اعتماده على نقله حيث قال والذي قاله معمر كان يومئذ ابن ثمان سنين وهو الاصح وما ذكر ههنا فغريب في الرواية عنه بشهادة ما رواه ابن قتيبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص دخل يحيى بيت المقدس وهو ابن ثمان فنظر الى العباد به واجتهادهم فرجع الى أبويه فمر في طريقه بصبيان يلعبون فقالوا هلم فلنلعب فقال اني لم أخلق للعب فذلك قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا انتهى ووجه الغرابة لا يخفى اذ لا يبعد ان يكون ظهور آثار النبوة عليه كان وهو ابن سنتين أو ثلاث ثم وقع له هذا المقال عقيب هذا ولو بعد سنين مع الاطفال مع انه لا مانع من تعدد الواقعة ولو بالاحتمال

قبله فامره ظاهر لا يشتبه (كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم الصلاة والسلام) قيل انما خص هؤلاء بالتمثيل لما اشتمل عليه موسى وسليمان من الشهامة ويحيى وعيسى من الانقطاع عن الخلق والسياحة ولذا قدم عيسى على موسى وهو قبله ويحيى على سليمان أو لذكره أخبار هؤلاء في الطفولية وهذا الثاني هو الحق فان هؤلاء وقع منهم أمور في طفوليتهم وأمور الطفولية جبلية من غير شبهة كما أشار اليه بقوله (بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة) غرزت بالبناء للمجهول وأصل معنى الغرز ادخال شئ في شئ فكان الطبيعة أدخلت فيهم ومنه الغريزة وهي الطبيعة. وقال البرهان معنى غرزت خلقت والفطرة الخلقة وفاطر السموات بمعنى خالقها وأودعوا بالمجهول أيضا من الوديعة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وما ذكره من الترتيب في النسخ عندنا ما يخالفه وسيأتي من المصنف رحمه الله تعالى ما يبين ما قلناه (قال الله تعالى * وآتيناه الحكم صبيا) الحكم والحكمة من الحكم وهو المنع ومنه الحكمة بفتحتين سمي به لمنعه من الفساد وكل ما لا ينبغي واختلف في تفسيرها هنا (فقال المفسرون اعطى يحيى العلم بكتاب الله تعالى) يعني التوراة (في حال صباه) اشارة الى ان قوله صبيا في الآية حال وهذا أحد التفاسير فيها وقيل هو الفهم والعلم وقيل هو النبوة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل من قرأ القرآن قبل ان يحتلم فقد أوتي الحكم صبيا وعلى تفسيره بالنبوة فالمراد انه اظهر آثارها كأنه أوتيها فهو مجاز بناء على ان الله تعالى لم يبعث نبيا صبيا قط وكذا أول قول عيسى عليه الصلاة والسلام وهو طفل اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقيل الحكم العمل مع العلم (وقال معمر) بن راشد (كان) أي يحيى عليه الصلاة والسلام (ابن سنتين أو ثلاث) وفي بعض النسخ ابن معمر والصواب معمر بدون ابن وتقدم ان معمر بميمين مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة وراء مهملة وهو معمر بن راشد أبو عروة الازدي المهلبي مولاهم عالم اليمن روى عن الزهري وغيره وروى عنه كثيرا أخرج له الائمة الستة وهو ثقة الا ان له أوهاما تحتمل في جنب سعة علمه توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة باليمن وله ترجمة في الميزان وقوله ابن سنتين أو ثلاث قيل هذا غريب في الرواية والاصح انه كان ابن ثمان وقيل لا غرابة فيه فانه منقول عن قتادة ومقاتل بن طارق والغريب ما انفرد به رواية فكيف يكون غريبا (فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال أللعب خلقت) قال السيوطي رواه الديلمي عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه ولم يسنده والحاكم في التاريخ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعا وسنده واه وأخرجه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم في تفسيره عن معمر قال بلغني فذكره والاستفهام انكاري في معنى النفي ولذا روي لم أخلق للعب والمشهور انه لم يبعث الله تبارك وتعالى نبيا طفلا بل روي انه لم يبعث نبيا قبل الاربعين فقيل هو المطرد

(وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيي بعيسى) أي آمن به (وهو ابن ثلاث سنين) وحكى السهيلي عن ابن قتيبة انه كان ابن ستة أشهر (فشهد) وفي نسخة وشهد (له انه كلمة الله وروحه) فهو أول من آمن به وسمى كلمة لوجوده بامره تعالى بلا أب فشابه المخترعات التي هي عالم الامر المعبر عنه بقول كن كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (وقيل) كما في تفسير محمد بن جرير الطبري (صدقه) أي آمن به يحيي (وهو في بطن أمه) حال من ضمير الفاعل (فكانت) بالفاء وفي نسخة وكانت (أم يحيي) أي وهي حامل به (تقول لمريم) أي أختها اذا دخلت عليها وهي حامل بعيسى والله انك لخير النساء وان ما في بطنك لخير مولود (واني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له) أي تعظيما وتسليما وتكريما وهذا يدل على ان مريم حملت مدة الحمل كما عليه الاكثر وهو لا ينافي ما تقدم والله أعلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حملته ووضعته في ساعة واحدة فتصديقه انما كان وهو ابن ثلاث كما سبق (وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها الا تحزني) الاولى ان لاتحزني

وهذا نادر لا يرد نقضا ومن الغريب ما قيل ان الله عز وجل خلق عيسى عليه الصلاة والسلام بالغا عاقلا وان كان في صورة طفل كما خلق آدم عليه الصلاة والسلام حتى قيل انه ألهم التوراة في بطن أمه وروى عن الحسن فلا حاجة لتأويل ما ورد فيه بالتأويل المشهور (وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيي بعيسى عليهما الصلاة والسلام) هذا بناء على أن المراد بالكلمة عيسى عليه الصلاة والسلام لانه أوجد بدون أب فشابه ما أبدع من عالم الامر كما قاله البيضاوي أو لكونه أوجد بكلمة كن أو لاهتداء الناس به كما يهتدون بكلام الله كما سمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكرا رسولا كما قاله الراغب وقال الصدر القنوي في نفحاته لصورة كل شئ في عرصة العلم الالهي الازلي مرتبته الحرفية فاذا صبغه الحق بنوره الوجودي الذاتي وذلك بحركة معقولة معنوية يقتضيها شأن من الشؤن الالهية المعبر عنها بالكناية تسمى صورة ومعلومية الشئ المراد بكونيته وبهذا الاعتبار سمى الله الموجودات كلمات وسمى عيسى كلمة وقال اليه يصعد الكلم الطيب أي الارواح الطاهرة انتهى وهذا يحتاج لذوق شهودي فافهم ولا حاجة لجعل من زائدة على هذا كما قيل (وهو) أي يحيي عليه الصلاة والسلام (ابن ثلاث سنين يشهد له انه كلمة الله وروحه) قد بينا معنى كونه كلمة الله وكان يحيي وعيسى عليهما الصلاة والسلام ابنا خالة كما روى ويحيي أكبر سنا منه واطلاق روح الله تعالى عليه اما لان جبريل عليه الصلاة والسلام المسمى بالروح نفخ في درع أمه فتكون من نفخته فاضافته الى الله اضافة ملك وتشريف أو لانه خلقه من غير واسطة بشر ولذا وقع النصارى فيما وقعوا فيه وعن كعب ان الله خلق أرواح بني آدم قبل أجسادهم لما أخذ عليهم الميثاق فامسك روح عيسى عليه الصلاة والسلام فلما أراد خلقه أرسلها لمريم فلذا كان روحانيا وقيل الاضافة للتشريف كبيت الله كما علم وقيل معنى روح الله نعمة الله لان الروح تطلق على النعمة وفي صحيح البخاري مسندا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة (وقيل صدقه) يحيي عليه الصلاة والسلام (وهو في بطن أمه فكانت أم يحيي تقول لمريم اني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له) منصوب مفعول له أي سجوده له سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة وكان السجود مما يعظم به المخلوق قبل الاسلام وهذا الحديث رواه أحمد وابن جرير عن مجاهد من طرق متعددة فهو حديث صحيح الا انهم لم يرفعوه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله لا يقال من قبل الرأى فهو في حكم المرفوع قالوا وهذا هو المراد بقوله مصدقا بكلمة من الله وهذا يقتضى ان حمل مريم بعيسى عليه الصلاة والسلام طالت مدته وفي تلك المدة اختلاف وقيل انها ولدت في ساعة نفخ الروح (وقد نص الله على كلام عيسى عليه الصلاة والسلام لامه عند ولادتها اياه بقوله لها الا تحزني) وهذا أحد من تكلم في المهد وفي عدتهم خلاف وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وصاحب جريج وغلام كان يرضع في حجر أمه ومر عليه راكب فقالت أمه اللهم اجعل ابني مثله فقال اللهم لا تجعلني مثله وظاهره الحصر اذ لم يذكر معهم الصبي المذكور في حديث الساحر الذي قال لامه اصبري فانك على الحق وهو في صحيح مسلم وأجيب بانه لم يكن في المهد وان كان صغيرا لم يبلغ حد التكلم ورد بان ابن قتيبة حكى انه ابن سبعة أشهر فلعله صلى الله تعالى عليه وسلم انما أطلع أولا على ثلاثة ثم أطلعه الله بعد ذلك على غيرهم لثبوته في صحيح مسلم كما علم وقالوا تكلم في المهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما ذكره البغوي والقاضي في التفسير وروى ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم في المهد وهو عند حليمة السعدية وأول كلمة تكلم بها الله أكبر وحكى عن الواقدي وشاهد يوسف كما حكاه القرطبي وقيل انه كان رجلا وابن ماشطة

(على قراءة من قرأ من تحتها) بفتح الميم والتاء كما قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر (وعلى) أي وكذا على (قول من قال ان المنادي عيسى) كأبي بن كعب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد لانه خاطبها من تحت ذيلها لما خرج من بطنها وفيه احتراز عن قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعلقمة والضحاك ان المنادي جبريل لانه كان بمكان منخفض عنها قال الدلجي لا وجه لتخصيص القراءة الاولى بالخلاف في المنادي مع وقوعه في الثانية قلت حيث تعارض القولان عن الائمة ولا يتصور الجمع بينهما الا بتعدد القضية أشار المصنف الى ان القراءة الاولى محملها على المعنى الاول أولى وهو أن يكون المنادي عيسى فلا ينافي احتمال وجود آخر في المعنى على ما لا يخفى (ونص) أي صرح الله سبحانه وتعالى (على كلامه) أي نطق عيسى (في مهده فقال) أي الله في كلامه حكاية عنه (اني عبد الله) ردا على اثبات اله سواه وافتخارا بالعبودية واحترازا عن دعوى الربوبية (آتاني الكتاب) أي أعطاني الله من فضله علم الانجيل أو جنس الكتاب (وجعلني نبيا) في سابق قضائه أو تنزيلا للمحقق وقوعه منزلة الواقع به كما في أتى أمر الله كذا ذكره الدلجي والظاهر المتبادر انه جعله نبيا في ذلك الحال من غير توقف على الاستقبال فلا يحتاج الى تأويله بالمآل ويؤيده ما روي عن الحسن أكمل الله عقله ونبأه طفلا وقضية يحيى صريحة أيضا في هذا المعنى غايته ان اعطاء النبوة في سن الاربعين غالب العادة الالهية وعيسى ويحيى خصا بهذه المرتبة الجليلة كما ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خص بما ورد عنه من قوله كنت نبيا وان آدم لمنجدل بين الماء والطين هذا وفي المستدرك عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا لم يتكلم في المهد الا عيسى وشاهد يوسف وصاحب جريج وابن ماشطة فرعون ولفظ مسند أحمد وابن ماشطة

ابنت فرعون كما في مسند أحمد وفيه زيادة لقوله ابن ماشطة ابنة فرعون وروى الضحاك تكلم يحيى عليه الصلاة والسلام في المهد أيضا ومبارك اليمامة الذي كلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما في الدلائل فهم أحد عشر كما فصله البرهان الحلبي رحمه الله ونظم غالبهم القائل في قوله

اذا رمت عد الناطقين بمهدهم * فمنهم رسول الله أحمد ذو المجد
خليل ويحيى ثم عيسى وطفل من * دعت لابنها فورا كذي شاره فرد
فقال الا لا تجعلني مثله * ورد عليها قولها أفصح الرد
كذاك الذي قد قال ان جريجنا * بريء فلا ترموه بعد بما يردي
ومنهم نجيب كان يدعى مباركا * وقال رسول الله قد جاء بالرشد
وماشطة كانت لفرعون تنتمي * وكان لها طفل تكلم في المهد
كذا شاهد في شان يوسف منهم * فدونك جمعا زائدا الحسن في العد

وقوله بقوله الى آخره يعني انها لما حملت بلا زوج وكانت فرت وهي حامل لمكان بعيد خوفا من أهلها فلما وضعته قال لها لا تحزني (على قراءة من قرأ من تحتها) بفتح الميم على ان من موصولة وتحتها بنصب التاء ظرف صلته وقد أورد على المصنف هنا أمران الاول ان تخصيص دلالة الآية على ان المتكلم عيسى عليه الصلاة والسلام في المهد بهذه القراءة لا وجه له فان القراءتين على حد سواء في احتمال أن يكون المنادي عيسى أو جبريل أو بعض الملائكة وكيف لا ومعنى النظم على القراءتين واحد فان المعنى ناداها منادمن تحتها قائلا لا تحزني فان قيل لو كان المنادي جبريل عليه الصلاة والسلام كان فوقها لا تحتها الا تيانه من الافق قيل ان جبريل كان منها مكان القابلة وقيل انها كانت على أكمة هو تحتها واذا كان المنادي عيسى عليه الصلاة والسلام قال الجعبري معنى كونه تحتها انه كان تحت ثيابها الثاني انه قيل ان كلام المصنف رحمه الله تعالى في حسن الاخلاق وانها جبلية وكلام من في المهد ليس من هذا القبيل بل من قبيل خوارق العادة كنطق الجوارح يوم القيامة وتسبيح الحصا ونطق الشجر وهو لم يدم فانه ينقطع ويعود في زمنه ولم يقولوا باستمراره ولو استمر كان مناسبا لما ذكر والجواب (٢) ان ما ذكره بحسب الظاهر لانه لو كان جبريل وقد ذكر هنا بقوله تعالى انما أنا رسول ربك كان الظاهر ان يقول فناداها كما في القراءة بمن الجارة فلما عرفه بالاسم الظاهر وعدل اليه في محل الاضمار علم انه غيره وليس ثمه أحد فعلم انه عيسى ومعنى كونه من تحتها ان المرأة في حال الوضع ترتفع عن الارض على عال فيقع الولد تحتها فلا حاجة لما قاله الجعبري واما السؤال الثاني فساقط لانه وان كان خارقا للعادة يدل على ان ما يأتي بهذه من جنسه أمر جبلي وقراءة الكسر بمن الجارة والفتح بمن الموصولة كلاهما متواترة من السبعة (وعلى قول من قال ان المنادي) بكسر الدال (عيسى) عليه الصلاة والسلام لا الملك (ونص على كلامه في مهده) المهد كالمهاد بمعنى الفراش الممهد للنوم كما مر ثم خص بما يربط فيه الطفل لنومه وقراره فيه (فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) فلما تكلم

(٢) وفي نسخة والمراد اه مصححه

ابنة فرعون وزاد البغوى فى تفسير سورة الانعام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وممن تكلم صغيرا يحيى بن زكريا ومبارك
اليمامة كلامه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره فى الدلائل ورضيع الماشطة ورضيع التى مر عليها راكب فقالت اللهم اجعل
ابنى مثل هذا والصبى الذى فى حديث الساحر والراهب الذى قال لامه اصبرى فانك على الحق وهو فى أواخر مسلم وفى كلام السهيلى
فى آخر روضته ان أول كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مرضع عند حليمة أن قال الله أكبر

قال السهيلى رأيته كذا فى بعض كتب الواقدى (وقال) أى عز قائله (ففهمناها سليمان) أى الحكومة أو الفتيا اذ روى انه تحاكم الى داود صاحب غنم وصاحب زرع أو كرم رعته ليلا فحكم بها لصاحب الحرث لاستواء قيمتها وقيمة نقصه فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بهما فعزم عليه ليحكمن فدفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بدرها ونتاجها وأصوافها والحرث لصاحب الغنم يصلحه فاذا عاد الى ما كان عليه ترادا ولعلهما قالا مقالهما اجتهادا فقال داود اصبت القضاء ثم حكم بذلك والاول نظير قول أبى حنيفة فى العبد الجانى والثانى نظير قول الشافعى بالغرم للحيلولة فى العبد المغصوب اذا أبق أما فى شرعنا فلا ضمان عند أبى حنيفة

عليه الصلاة والسلام بذلك اعلاما ببراءة مريم ثم سكت حتى بلغ مدة التكلم لامثاله وجعل أول تكلمه
الاقرار بالعبودية ابطالا لقول النصارى انه ابن الله لان الولد لا يكون عبدا ولو ملكه عتق عليه
والكتاب الانجيل ويجوز أن يريد التوراة لعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بها أو الاعم وتعبيره بالماضى
باعتبار ما قدره الله تعالى له أو جعله بمنزلة الواقع لتحققه وقيل انه نبى فى صغره حقيقة كما روى عن
الحسن (وقال الله تعالى ففهمناها) أى القصة الآتية (سليمان) عليه الصلاة والسلام (وكلا) أى
سليمان وأباه داود (آتينا حكما وعلما) اشارة الى قصة سليمان عليه الصلاة والسلام اذ أتى الحكم صبيا
وعمره اذ ذاك أحد عشر سنة فى الغنم التى نفشت فى الحرث أى رعته ليلا وأفسدته والنفش الرعى بالليل
بلا راع فان كان بالنهار فهو همل وكان يجلس على الباب الذى يخرج منه الخصوم الداخلين عليه من
باب آخر فتخاصم رجلان لاحدهما حرث وهو زرع وقيل كرم والحرث يطلق عليهما وللآخر غنم
دخلت حرثه فافسدته فحكم داود بدفع الغنم لصاحب الحرث على أن يبقى الحرث بيده وقيل بدفع الغنم
لصاحب الحرث ويدفع الحرث لصاحب الغنم فداود عليه الصلاة والسلام رأى على القول الاول ان
الغنم تقاوم الغلة الفاسدة وعلى الثانى رأى انها تقاوم الحرث والغلة معا فلما خرجا على سليمان عليه
الصلاة والسلام سألهما عما حكم لهما به فرجع لابيه وقال انى رأيت ما هو أوفق بالجميع وهو أن يأخذ
صاحب الغنم الحرث فيقوم عليه حتى يعود لما كان عليه ويأخذ صاحب الحرث الغنم فينتفع بنسلها
وريعها فاذا عاد الحرث لحاله صرف ملك صاحبه له فقال أصبت وحكم بما قاله قال العلامة ابن القيم فى
كتابه معالم التقويم حكم داود عليه الصلاة والسلام له بقيمة المتلف فاعتبر الغنم فوجدها بقدر
القيمة فدفعها الى صاحب الحرث اما لانه لم يكن له دراهم وتعذر بيعها ورضوا بدفعها وأخذها بدلا عن
القيمة وسليمان عليه الصلاة والسلام قضى بالضمان على أصحاب الغنم وأن يضمنوا ذلك بالمثل بان
يعمروا البستان حتى يعود كما كان فلم يضع عليهم شيأ من حين الاتلاف الى حين العود فاعطى أصحاب
بستان الماشية ليأخذوا من نمائها بقدر نماء البستان فيستوفوا من نماء الغنم بقدر ما فاتهم من نماء
حرثهم وقد اعتبر النمائين فوجدهما سواء فهذا علم خصه الله به وأثنى عليه بادراكه وقد تنازع العلماء
فى ضمان النفش وفى المثل وهو الحق وهو أحد القولين فى مذهب أحمد والشافعى ومالك والمشهور
خلافه والقول الثانى موافقته فى ضمان النفش دون التضمين بالمثل وهو المشهور عن أحمد ومالك
والشافعى والثالث موافقته فى التضمين بالمثل دون النفش كما اذا رعاها صاحبه باختياره دون ما اذا
انفلتت ماشيته ولم يشعر بها وهو قول داود ومن وافقه والقول الرابع ان النفش لا يوجب الضمان
بحال وما وجب من ضمان الرعى بغير النفش فانه يضمن بالقيمة لا بالمثل وهو مذهب أبى حنيفة وما
حكم به سليمان عليه الصلاة والسلام أقرب الى العدل والقياس وقد حكم رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان على أهل الحوائط حفظها بالنهار وما أفسدت المواشى بالليل ضمانه على أهلها يصح بحكم

لحديث جرح العجماء جبار أى هدر الا أن يكون معها حافظ أو أرسلت عمدا وأوجبه الشافعى ليلا
لانها رالجرى العادة فى حفظ الدواب بالليل دون النهار لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا على أهل الاموال
حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل وفى الحديث اشارة لطيفة الى قول أبى حنيفة فى تقييد القضية بحالة العمدية اذ
تخلص الدابة ليلا أو نهارا واتلافها من غير تقصير من صاحبها لا يوجب الغرامة المنفية فى الملة الحنيفية حيث قال ليس عليكم فى الدين
من حرج (وكلا) أى من داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) أى معرفة بموجب الحكومة وعلما بسائر القضايا الشرعية

ضمان

(وقد ذكر) بصيغة المجهول (من حكم سليمان) كذا في النسخ المتعددة المعتمدة ووقع في أصل الدلجي وقد ذكر عن سليمان (وهو صبي) أي في حال صباه (يلعب) أي مع الصبيان (في قصة المرجومة) أي التي كانوا يريدون أن يرجموها وفي نسخة في قضية المرجومة وهي ما رواه ابن عساكر في تاريخه بسنده الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان امرأة حسناء في بني اسرائيل راودها عن نفسها أربعة من أكابرهم وقيل من قضاتهم الذين رفعت حكمها اليهم فامتنعت فاتفقوا أن يشهدوا عليها عند داود انها مكنت من نفسها كلبا لها قد عودته ذلك منها فأمر برجمها أوهم به فلما كان عشية يوم رجمها جلس سليمان واجتمع اليه ولدان فانتصب حاكما وتزيى أربعة منهم بزي أولئك الاربعة وآخر بزي المرأة وشهدوا عليها بان مكنت من نفسها كلبا فسألهم متفرقين عن لونه فقال أحدهم أسود وآخر أحمر وآخر أغبش وآخر أبيض فامر بقتلهم فبلغ ذلك داود فاستدعى من فوره بالشهود فسألهم متفرقين عن لون كلبها فاختلفوا فقتلهم (وفي قصة الصبي ما اقتدى) أي الذي اقتدى (به) أي بسليمان ورجع الى حكمه (داود أبوه) عطف بيان لدفع توهم أن يكون غيره وهذه القضية رواها الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بينما امرأتان معهما ابنان لهما فاخذ ذئب أحدهما فاحتكما الى داود في الآخر فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان وقال هاتوا السكين أشقه بينهما فقالت الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى لها به مستدلا بشفقتها عليه بقولها لا تشقه ورضى الكبرى بشقه لتشاركها في المصيبة أو لما كان بينهما من العداوة ولعل داود عليه السلام حكم به للكبرى لكونه في يدها أو اعتمادا على نوع من الشبه وهو لا يخلو من الشبه فان قيل المجتهد لا ينقض حكم المجتهد فالجواب ان سليمان فعل ذلك وسيلة الى حقيقة القضية فلما أقرت بها الكبرى عمل باقرارها أو لعل في شرعهم يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد وقيل كان بوحي ناسخ للاول قيل وكان قضاؤه وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومات وهو ابن اثنتين وخمسين سنة وقيل كان حكم داود باجتهاد وحكم سليمان بوحي والوحي ينقض غيره

ضمان النفس وصح بالنصوص السابقة والقياس الصحيح وجوب الضمان بالمثل وصح بنص الكتاب الثناء على سليمان عليه الصلاة والسلام بتفهيم هذا الحكم فصح انه الصواب انتهى وقال التجاني اختلف في حكمهما في هذه القضية هل كان بوحي فالثاني ناسخ للاول أو باجتهاد بناء على ان كل مجتهد مصيب وكونه فتيا برده ان فتيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام حكم مع انه يأباه قوله اذ يحكمان وكنا لحكمهم شاهدين قيل ويؤيد انه اجتهاد قول سليمان عليه الصلاة والسلام اني رأيت ما هو أوفق للجميع وهو مبني على جواز خطأ الانبياء عليهم الصلاة والسلام في اجتهادهم وانهم لم يقروا عليه وفي التلويح هنا كلام يلوح عليه أثر الضعف وعلى ان شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا مطلقا وقد ورد في الحديث ما يخالفه كما سمعته آنفا وقول أبي السعود ان رأي سليمان استحسان ورأي داود قياس قيل انه غير سديد لان الاستحسان اما دليل ينقدح في نفس المجتهد والهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يكون الا صوابا وهو العدول عن قياس الى قياس أقوى منه وحينئذ كل منهما قياس واجتهاد وهو العدول عن الدليل الى العادة لمصلحة ومثله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام جائز ولا يخفى ما فيه وفي الكشاف ان حكم داود عليه الصلاة والسلام لان الضرر وقع بسبب الغنم فسلمت بجنايتها الى المجني كما قال أبو حنيفة في العبد اذا جنى جناية على نفس فسيده يدفعه أو يفديه وعند الشافعي يبيعه بذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت قدر النقصان في الحرث وسليمان عليه الصلاة والسلام جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث ما يزيل ضرره كما لو غصب عبدا فابق في يده فان قيمته تدفع لسيده ينتفع بها فاذا ظهر ترده وفي هذا المقام كلام طويل لا حاجة لنا به فان أردته فارجع اليه (وقد ذكر من حكم سليمان عليه الصلاة والسلام وهو صبي يلعب في قضية المرجومة وفي قضية الصبي ما اقتدى به أبوه) كما اقتدى به في قصة الحرث وذلك كان في صباه وأول أمره فهذا وأشباهه مما يدل على انها أمور جبلية غير كسبية وقصة المرجومة كما حكاه التلمساني ان امرأة كانت بارعة الجمال وهي من أهل الدين ولها حق فرفعت أمرها الاحد قضاة بني اسرائيل فلما رآها افتتن بها وراودها عن نفسها فامتنعت ثم ذهبت لثان وثالث ورابع فكل راودها عن نفسها فاتت لنبي الله داود عليه الصلاة والسلام فخبئت عنه فاجمع الاربعة أن يقولوا لداود عليه السلام ان لها كلبا تمكنه من نفسها ويزني بها ففعلوا فأمر برجمها فرجمت فبينما داود عليه الصلاة والسلام يوما في علية له مشرفا على صبيان يلعبون مع سليمان وفيهم صبي جميل فجعلوا سليمان قاضيا والصبي كمرأة ذات حق وأربعة منهم قضاة وفعلوا مثل تلك القصة بعينها من المراودة والتهمة وذلك بمرأى من داود عليه الصلاة والسلام كما في قصة المرجومة ففرقهم سليمان وقال لاحدهم ما لونه فذكر لونا وادعى كلا بانفراده فذكر كل لونا مخالفا للآخر فأمر الصبيان فضربوهم فقال داود على القضية هكذا فبعث للقضاة وسألهم عن لون الكلب على الانفراد فاختلفوا

كالصبيان فامر بهم فقتلوا وهكذا نقله غيره من الشراح عن ابن عساكر مسندا وكذا نقله السيوطى رحمه الله تعالى فى تخريج أحاديث هذا الكتاب ولم يتعقبه فقول ابن رسلان المراد بالمرجومة التى أريد رجمها الان داود هم برجمها ثم لما رأى صنيع سليمان درأعنها الحد فسماها المصنف رحمه الله تعالى مرجومة باعتبار ما يؤول أولانه أريد رجمها ينبغ فيه غيره فلا يخفى انه مخالف للظاهر فلا وجه لكلامه ولا لمن تبعه فيه ثم انه قيل ان هذا يقتضى انه كان فى شريعتهم ان المرأة الممكنة من نفسها حيوانا ترجم وان شاهد الزور يقتل وفى الشريعة المحمدية ان حكمهما التعزير * وقصة الصبى هى ما رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال بينما امرأتان معهما ابنان لهما فاخذ ذئب أحدهما فاختصما الى داود عليه الصلاة والسلام فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان عليه الصلاة والسلام فقال هاتوا سكينا أشقه بينهما فقالت الصغرى يرحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى به لها لشفقتها عليه ورضيت الاخرى بشقه لتتشاركا فى المصيبة قال التجانى وهذا ما لا شبهة فى صحته وأما الحديث الاول فالله أعلم بصحته وقد ورد فى الاسرائيليات على غير رواية ابن عساكر ان داود عليه السلام لم يرجمها وانما أمرهم برجمها فرواها على سليمان فاوقفها وأحضر الشهود وفرق بينهم كما مر ورجع داود عن حكمه وعلى هذا يبنى ما مر من ان المرجومة هنا مجاز عن من أريد رجمها وفيه فوائد منها أنه اذا تجوز بالفعل عن ارادته لا يلزم وقوعه ومنها ان أبا هريرة رضى الله تعالى عنه قال والله ان سمعت بالسكين الا ذلك اليوم ومنها ان داود عليه الصلاة والسلام يحتمل انه قضى به للكبرى لشبه بينهما وانه كان فى شريعته يجوز الالحاق بالشبه أو لكونه فى يدها والترجيح باليد شريعة له صلى الله تعالى عليه وسلم وأما سليمان عليه الصلاة والسلام فتوصل بلطفه لمعرفة باطن القضية فاوهمهما ارادة شقه ليسوى بينهما ومثله يفعله حذاق الحكام فيقضون بامور لو تجردت لم يقض بها شرعا ولعل الكبرى أقرت بانه ليس ولدها فرده باقرارها لا بمجرد الشفقة فلذا نقض داود عليه الصلاة والسلام حكمه أو ان فى شرعهم انه يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد كما فى مزيل الخفاء ومنها انه وقع فى مسلم ان الصغرى قالت لسليمان عليه الصلاة والسلام لا ويرحمك الله فيرحمك الله جملة مستأنفة دعائية لكنها موهمة للدعاء عليه وفى الاكمال ان السلف كرهوا مثله لما فيه من الايهام يريد ما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال لمن قال له مثله لا تقل هذا وقل يرحمك الله لا وروى بعضهم ويرحمك الله أقول يعنى ان الواو تزاد لدفع الايهام كما تحذف له فى نحو قوله

وتظن سلمى اننى أبغى بها * بدلا أراها فى الضلال تهيم

فانه لو قال وأراها ربما ظن انه معطوف على أبغى وليس مراده ذلك وسأل الرشيد رجلا عن شئ فقال له لا وأيد الله الخليفة فاستحسنه منه فلما سمعه قال هذه الواو أحسن من واوات الاصداغ فى خدود الملاح وهذه الواو اما زائدة أو اعتراضية أو لعطف الانشاء على الخبر (وحكى الطبرى ان عمره كان حين أوتى الملك اثنى عشر عاما وكذلك قصة موسى) عليه الصلاة والسلام (مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل) فرعون لقب لكل من ملك القبط كما مر وهذا هو مصعب بن الوليد بن ريان كان من القبط العمالقة عمر أكثر من أربعمائة سنة وسن موسى عليه الصلاة والسلام حين أخذ بلحيته ابن عامين وكان فرعون لعنه الله استعبد بنى اسرائيل واستخدمهم وضرب عليهم الجزية فرأى فى منامه أو أخبره الكهنة ان زوال ملكه على يد غلام من بنى اسرائيل فامر بقتل كل مولود يولد منهم فرأى أهل مملكته ان فى ذلك ضررا عليهم لانهم خدمهم ويكفونهم المؤنة فعزموا على قتلهم عاما بعد عام قيل وهو بعيد لاحتمال أن يولد عام استحيائهم واتفاق العقلاء على مثله غير ظاهر فلعلهم رأوا عام ولادته زوجا أو فردا أو عينوه وولد هارون فى عام الاستحياء وولد موسى فى العام الرابع من ولادته وكان عام قتل فخافت أمه عليه فاوحى الله تعالى اليها اما بان أتى على لسان ملك أو رأت ذلك فى منامها والقول الاول اما الان من لا يكون نبيا

(وحكى الطبرى) وفى نسخة وقال الطبرى وهو محمد بن جرير (ان عمره) أى سن سليمان (كان حين أوتى الملك اثنى عشر عاما) أى سنة (وكذلك) أى ومثل ما ذكر عن سليمان فى صغره (قصة موسى) قيل وزنه مفعل أو فعلل أو فعلى (مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل) وقصته ان فرعون كان يرى ان من ياخذ بلحيته ويأخذ منها خصلة هو الذى يقتله ويسلب ملكه فبينا موسى فى حجره اذ تناول لحيته فاخذ منها خصلة فقال هذا عدو لنا فقالت له امرأته المسلمة آسية بنت مزاحم انه صغير فالقى له الدر والجمر فاخذ الجمر وأدخله فى فيه فمنه كان فى لسانه عقد وفرعون هذا هو عدو الله الوليد بن مصعب ابن الريان كان من القبط العماليق وعمر أكثر من أربعمائة سنة وقد كتبت رسالة مسماة بفر العون من ادعى ايمان فرعون

قد يرى الملك وقد جوزه جماعة من السلف ولعله كان في الزمن السالف أو ان أمه كانت نبيئة
والمشهور ان النبي لا يكون الا ذكرا قال التجاني وقد ذهب علماء قرطبة الى صحة نبوة المرأة وصححه ابن
السيد ونسبه ابن الهمام الى بعض أهل الظاهر فاوحى الله تعالى الى أمه أن تتخذ تابوتا وتاتضعه فيه
وتقذفه في النيل ففعلت وكان النيل يدخل منزل فرعون فبينما هو جالس اذ دخل التابوت به عنده
فاخذه آل فرعون ففتحته آسية امرأة فرعون رضي الله تعالى عنها فلما رأته فيه موسى رحمته وسألت من
فرعون أن يتخذه ابنا فاجابها لذلك فكانت تدخل به عليه فاحبه وجعله يوما في حجره فمد يده للحيته
وجذبها جذبا شديدا فغضب فرعون وقال هذا عدولي وأمر بذبحه فناشدته الله تعالى وقالت انه لا يعقل
فقال بل يعقل فقالت جربه فخبر به فجعل بين يديه تمرة وجمرة وقيل درة وجمرة وقال ان أخذ التمرة أو
الدرة فهو يعقل والا عذر فلما مد يده للتمرة غمز به جبريل عليه الصلاة والسلام فاخذ الجمرة فاحرقت
لسانه ومنها كان في لسانه عليه الصلاة والسلام عقدة تمنعه من ابانة بعض الحروف وهي التي أزالها الله
تعالى بدعائه فعذره فلم يزل في حجره الى ان كان ما كان وموسى وقصصه ونسبه مذكور في محله والطفل
يكون للواحد وغيره وقد يختص بالواحد فيجمع على اطفال * (فائدة) * قيل كل مولود ذكرا وأنثى يزيد
كل سنة أربع أصابع باصابع نفسه وكل أحد طوله أربعة أذرع مقبوضة الاصابع بذراع نفسه والقوة
تزيد الى أربعين وتقف الى ستين وتنقص بعد ذلك وفرعون هذا غير فرعون يوسف وقيل انه هو وانه
أسلم ثم ارتد وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام قال يا رب أمهلت فرعون مع كفره فقال انه كان سهل
الحجاب فكافأته على ذلك في الدنيا (وقال الله تعالى * ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل * أي هديناه
صغيرا قاله مجاهد وغيره) هذا أحد التفاسير في العلم السابق وقيل المراد قبل موسى وهارون والرشد
الاهتداء لوجوه الصلاح ويقال رشد ورشد وبهما قرئ قال في الكشاف معنى اضافة الرشد له عليه الصلاة
والسلام انه رشد ثابت له ورد بان هذا المعنى حاصل بدون الاضافة لو قيل آتيناه رشدا له أفاد ذلك مع
التعظيم ولم يفهم مراده اذ مراده انا آتيناه رشدا معلوما من حاله لائقا به وبامثاله من الرسل عليهم الصلاة
والسلام لا كرشد غيره (وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابتداء خلقه) أي اختاره رسولا خليلا في علمه فانه
لا يختص به بل المراد انه حين أراد خلقه في بطن أمه أمر الملائكة أن تكتب اصطفاءه وخاتمته تنويها به
وتعظيما لقدره بخلاف غيره فانه انما يكتب حاله بعد خلقه والظاهر ان المراد انه اصطفى روحه في عالم
الذر قبل خلق جسده كما في حديث كنت نبيا وآدم الى آخره وفي نسخة قبل ابتداء خلقه وقيل لما كان من
قبل على هذا بمعنى قبل خلقه ولا معنى لهدايته قبل خلقه أوله باصطفائه اللازم له لصحة اصطفاء المعدوم
(وقال بعضهم لما ولد) نبي الله (ابراهيم) عليه الصلاة والسلام (بعث الله اليه ملكا يامره عن الله تعالى
أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك رشده) يعني عبر بالماضي الدال على
وقوعه قبل أمره فيكون المعنى آتيناه رشده قبل أمره فيدل ذلك على الايمان واشتغاله بذكر ربه أمر جبلي
مجبول عليه أو أمر عرفه به في عالم الذر والارواح فيكون بمعنى ما قاله ابن عطاء أو المراد انه عبر بالماضي
لسرعة امتثاله حتى كأنه وقع منه فمعنى من قبل على هذا من قبل أمره لا من قبل بلوغه كما قيل (وقيل ان
القاء ابراهيم في النار ومحنته) التي وقعت له مع نمرود فانه كما رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما ولد في زمنه وكان له كهنة فقالوا له يولد في هذه السنة مولود يفسد آلهة الارض
ويدعوهم الى غير دينهم وهلاك أهل بيتك على يديه فعزل النساء عن الرجال ودخل آزر
الى بيته فوقع على زوجته فحملت فقال له الكهان ان الغلام قد حمل به الليلة فقال اقتلوا كل
غلام ولد فلما أخذ أم ابراهيم عليه الصلاة والسلام المخاض خرجت هاربة فوضعته في نهر

(قال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده) أي كمال هدايته وصلاح حالته (من قبل) أي قبل أوان معرفته (أي هديناه) ووقع في أصل الدلجي هداه بالاضافة (صغيرا) أي قبل بلوغه (قاله مجاهد وغيره) وقال غيرهم قبل موسى وهرون وقيل قبل محمد عليهم الصلاة والسلام (وقال ابن عطاء) هو أبو العباس أحمد بن سهل بن عطاء مات سنة تسع وثلاثمائة (اصطفاه) أي في سابق قضائه في عالم الارواح (قبل ابداء خلقه) أي اظهار جسده من العدم الى الوجود في عالم الاشباح (وقال بعضهم) كالكواشي وغيره (لما ولد ابراهيم بعث الله تعالى اليه ملكا يامره عن الله تعالى أن يعرفه بقلبه) أي المعرفة التامة الشاملة للافعال والصفات والذات الكاملة (ويذكره بلسانه) بوصف المداومة (فقال قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك رشده) أي حيث بالغ في الامتثال حتى عبر بالماضي عن الحال فكانه امتثله واخبره ومن هنا قيل النفي أبلغ من النهي (وقيل ان القاء ابراهيم عليه السلام في النار ومحنته) أي بليته من نمرود

(كانت وهو ابن ست عشرة سنة) وفي عين المعاني عن ابن جريج ست وعشرين اذا قسم ليكيدن أصنامهم فالقوه فيها فكانت عليه بردا
وسلاما (وان ابتلاء اسحق عليه السلام بالذبح) أي كان كما في نسخة صحيحة (وهو ابن سبع سنين) وقيل ثلاث عشرة وهذا على أحد
القولين في الذبيح مع خلاف في الترجيح حتى توقف فيه شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي في رسالة مستقلة
بعد ذكر من الطرفين
بعض الادلة لكن المشهور
بل الصحيح انه اسمعيل
لحديث أنا ابن الذبيحين
اى اسمعيل وعبد الله اذ
قد نذر عبد المطلب ان
يسر الله حفر زمزم أو بلغ
بنوه عشرة ذبح أحدهم
فتم متمناه فاسهم فخرج
على عبد الله ففداه بمائة
من الابل ومن ثم شرعت
الدية مائة ولان ذلك كان
بمكة وكان قرنا الكبش
معلقين بالكعبة حتى
احترقا في فتنة ابن الزبير
ولان بشارته باسحق
كانت مقرونة بانه يولد له
يعقوب المنافي للامر
بذبحه مراهقا وأيضا
كانت مقرونة بالنبوة في
آية أخرى والغالب في
الانبياء وصولهم الى حد
الاربعين ولان اسمعيل
كان أول ولده والابتلاء
حينئذ أشق على ذبحه
وفقده قيل وهذا هو
الصواب عند علماء
الصحابة والتابعين
والقول بانه اسحق باطل
منشاؤه الحسد من اليهود
للعرب بان يكون أبوهم
هو الذبيح قال ابن قيم
الجوزية في الهدى وهو مردود باكثر من عشرين وجها وأما حديث سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وضرب
أي النسب أشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فاما الذي قاله صلى الله
تعالى عليه وسلم على ما رواه البخاري وغيره الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فزوائده
مدرجة من الراوي وما روي من ان يعقوب كتب الى يوسف مثله فلم يصح

يابس وافته في خرقة ووضعته في حلفاء وأخبرت به أباه فاتاه فحفر له سردابا وسد عليه بصخرة فكانت أمه
تختلف اليه فترضعه حتى شب وتكلم فقال لامه من ربي فقالت أنا فقال من ربك قالت أبوك قال فمن
رب أبي فقالت له أسكت فسكت فرجعت الى زوجها فقالت له الغلام الذي يتحدث به انه يغير دين
أهل الارض ابنك فاتاه فقال له مثل ذلك وقوله (كانت وهو ابن ستة عشر سنة) كذا في الكشاف قال
التجاني المعروف انه كان ابن ست وعشرين سنة والذي أشار باحراقه رجل من اعراب العجم وهم الكرد
ولما هموا باحراقه حبسوه وبنوا حظيرة وجمعوا الحطب الصلاب شهرا حتى كان من مرض ينذر جمع
الحطب له ثم أشعلوا نارا عظيمة اذا مرت بها الطير احترقت لشدتها ثم وضعوه في منجنيق مقيدا مغلولا
ورموه فيها فناداها جبريل عليه الصلاة والسلام يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلم يحترق غير
وثاقه فقال له حين ألقي ألك حاجة فقال أما اليك فلا حسبي من سؤالي علمه بحالي وقيل نجا منها بقوله
تعالى حسبي الله ونعم الوكيل وأشرف نمرود عليه من صرحه فاذا هو في روضة معه جليس من الملائكة
فقال اني مقرب الى الهك فقرب أربعة آلاف بقر وكف عنه وقصته مذكورة في القرآن مجملة مفصلة
في التفسير * واعلم ان نمرود كما قاله السهيلي بضم النون وذال معجمة وقد تهمل انتهى قيل لما أرادوا
رميه في النار لم يقدروا على القرب منه فعلمهم ابليس لعنه الله صنعة المنجنيق فلما أرادوا رميه لم يرتم
لمنع الملائكة عليهم الصلاة والسلام له فامرهم ابليس ان يحضروا نساء مكشوفة الفروج فصعدت
الملائكة للسماء (وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين) وقيل ثلاثة عشر سنة وهذا بناء على ان
الذبيح اسحق عليه الصلاة والسلام كما عليه أهل الكتاب وكثير من المفسرين والمحدثين حتى صنف
الجلال السيوطي في تصحيحه رسالة مستقلة والمشهور وهو مذهب الجمهور انه اسمعيل عليه الصلاة
والسلام وهو قول أكثر الصحابة كابن عباس وابن عمر ومعاوية رضي الله عنهم وهو الظاهر فان سارة
زوجة ابراهيم عليه الصلاة والسلام كانت لا ولد لها وهاجر جاريته ولدت اسمعيل فغارت منها وكرهت
مقامها معها فنقلها الى مكة ومعها اسمعيل عليه الصلاة والسلام وكان ينتابهما فلما كبرت سارة وشاخ
ابراهيم عليه الصلاة والسلام بشرتهما الملائكة باسحق فقالت أألد وأنا عجوز الآية فلو كان الذبيح
اسحق عليه الصلاة والسلام ناقض ذلك اخبار الله بانه سيولد له يعقوب ولا يصح انه أمر بذبحه بعد ما ولد
له يعقوب للاجماع على انه في صغره كما مر ولقوله تعالى فلما بلغ معه السعي ولانه في الصافات ذكر تبشيره
باسحق بعد قصة الذبح وبهذا احتج مالك وغيره وورد في الحديث أنا ابن الذبيحين يريد عبد الله
واسمعيل وفي تفسير الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما تزعم اليهود ان اسحق هو الذبيح وكذبوا
وقال بعض من أسلم من أحبارهم انهم يحسدونكم معشر العرب أن تكون هذه الفضيلة فيكم وقال
الاصمعي سالت أبا عمرو عن الذبيح فقال اعزب عنك عقلك ألم تر الى الموضع الذي أضجع فيه
الذبيح بمكة ومنى ومتى دخل اسحق مكة وقال ابن الجوزي هو الصواب والقول بانه اسحق باطل باكثر
من عشرين وجها وأطال فيها ابن القيم في الهدى وقال المحب الطبري الاكثر انه اسحق ورجحه هو
وغيره والصحيح ما مر ويدل له حديث أنا ابن الذبيحين وقصة ذبح أبيه عبد الله مشهورة لان عبد
المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة أن يذبح واحدا منهم تقربا الى الله تعالى فلما كملوا أتى بهم البيت

(وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان) أى فى نفسه (وهو ابن خمسة عشر شهرا) فحكاه الله تعالى عنه جهرا ولا بدع انه كان زمان مراهقته وأول مقام نبوته تنبيها لقومه على خطئهم بعبادة غيره سبحانه وتعالى وارشادا لهم الى طريق الحق على سبيل النظر والاستدلال على حدوث عالم الخلق وان للشمس والقمر والكواكب وسائر الاشياء النورانية والظلمانية محدثا دبر طلوعها وسيرها وانتقالها وزوالها من حالها الى حالها بدليل قوله تعالى يا قوم انى برىء مما تشركون (وقيل أوحى) وفى نسخة أوحى الله (الى يوسف) بضم السين وفتحها وكسرها مع الهمز وعدمه وكان بخده الايمن خال أسود وبين عينيه شامة وبقى فى الرق ثلاث عشرة سنة وقيل ثنتى عشرة قيل عدد حروف اذكرنى عند ربك وان عد المضاعف اثنين فثلاث عشرة والا فاثنتا عشرة وعن على كرم الله تعالى وجهه ان أحسن الحسن الخلق الحسن وأحسن ما يكون الخلق الحسن اذا كان معه الوجه الحسن (وهو صبى) أو بالغ فعن الحسن وله سبع عشرة سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة ودفن بمصر بالنيل ثم حمله موسى عليهما الصلاة والسلام حين خرجت بنو اسرائيل من مصر الى الشام

وضرب عليهم القداح فخرج قدح عبد الله ففداه كما هو مشهور والقول بان المراد بالذبيحين عبد الله وهابيل بناء على ان الذبيح اسحق كما نقله مغلطاى مع غرابته لا يعلم له وجه لانه لم يتعين انه من ولد هابيل الا ان يجعل العم بمنزلة الاب ولا يخفى ما فيه من التعسف (وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا) ووجه الاستدلال ان الاجرام السماوية آفلة وكل آفل فهو متغير وكل متغير حادث ولا شئ من الحادث بصانع فلا شئ من هذه الاجرام بصانع وتلك الاصنام كهذه الاجرام فى التغير فلا شئ منها بصانع بل هى دونها فيثبت لها ذلك بالطريق الاولى فالصانع المغاير لها موجود اذ لا بد للعالم من صانع فثبت المطلوب بدليل مؤلف من قضايا تستلزم لذاته قولا آخر هو النتيجة أو الدليل ما يدل بالقوة وان كان مفردا وهو المعرف بما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبرى كالعالم المستدل به على وجود الصانع والاجرام المذكورة وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أخفته أمه فى غار خوفا عليه كما مكث فى الغار عشرة أعوام أو أربعة أعوام كما فى عيون المعانى أو خمسة عشر شهرا كما حكاه المصنف فلما عقل سأل أمه من ربى كما روى فى رواية فقالت أبوك فقال من رب أبى فقالت الملك فعرف جهلها ونظر ما يستدل به عليها فرأى النجم فقال هذا ربى الى آخر ما قصه الله والاقوال بناء على ان هذا قبل بلوغه فى الغار وقيل انه بعد بلوغه فى الغار أو بعد بلوغه وخروجه منه وقد بعثه الله نبيا وعمره أكثر مما ذكروه والذى يقتضيه ظاهر القرآن لانه حكى فيه انه قال لابيه أتتخذ أصناما آلهة الى آخره ثم عقبه بقوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات الخ ثم ربط به قوله تعالى فلما جن عليه الليل الخ فدلت الفاء على كونه بعد هذا كله وقوله تعالى وتلك حجتنا الخ يدل على مناظرته مع قومه ليرشدهم الى الايمان بالصانع لا لنفسه وبينه قوله تعالى يا قوم انى برىء مما تشركون ولو كان فى الغار نظر النفسه قال انى برىء من الاشراك فاذا ثبت هذا وانه موحد جازم بعدم ربوبية الكوكب فقوله هذا ربى اما انه أتى فى المناظرة بما قالوه ليكر عليه بالابطال لانه مسلم عنده أو قوله هذا ربى على تقدير الاستفهام والاستفهام انكارى أو هو على تقدير أى يقولون هذا ربى والتقدير فى الكلام قالوا هو البحر حدث عنه ولا حرج وهو فى القرآن كثير أو انه عرف طباعهم عن قبول الحق لو صرح به ابتداء فأتى بما يستدرجهم الى استماع حجتهم بان أسمعهم ما يوهم موافقته لهم فاذا أصاخوا له أورد الدليل المبطل لما يعتقدونه بما هو أتم وأنفع وهذا قريب من الاول وان فرق بينهما بما فى هذا من الايهام وعدم اظهار الانكار وسيأتى فى القسم الثالث ما يتعلق بهذا وقول المصنف رحمه الله تعالى استدلاله وهو ابن خمسة عشر شهرا ان كان قصد به دفع ما قيل ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام موحدون لا يصدر منهم شك فى الله ووحدانيته فكيف صدر هذا من الخليل عليه الصلاة والسلام بانه صدر منه قبل سن التمييز وهو غير مكلف فليس بكفر ولا جهل بالله فغير مناسب فانه يجب ان يعتقد انهم أعرف الناس وانهم مجبولون على فطرة سليمة موحدون فالاولى ما قدمناه من التأويل وقد تقدم ان الاصح انه صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بلوغه بل وبعثته وان سياق الآية ناطق به كما قررناه أولا وهو ظاهر ارتضاه القرطبى فى تفسيره وقيل انه قاله فى طفوليته من غير اعتقاد ولا قصد كذب والقول بانه بعد البعثة فاسد وقوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قصة أخرى لانه قصد النظر لنفسه والفاء ليست لتعقيب كلامه هذا على ما قاله لابيه وانما هو من قبيل المعاريض تعريضا بجهل عبدة الاصنام وتضليل قومه والقول بانه على تقدير مضاف أى هذا مخلوق ربى لا يخفى بعده (وقيل أوحى الله الى يوسف عليه الصلاة والسلام وهو صبى) هذا الوحى يحتمل أن يكون برسول من الملائكة أرسله الله تعالى اليه وهو طفل ان لم يقل انه لم يبعث

نبى الا بعد الاربعين وهو وان اشتهر فقد روى المحدثون والمفسرون مايخالفه ويحتمل انه الهام أورؤيا منام وقد ذهب الى كل من هذه الاقوال طائفة وفى الكشاف ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان اذذاك مدركا وعمره تسع عشرة سنة وهو مخالف لما قاله المصنف رحمه الله تعالى من انه كان صبيا (عند ماهم اخوته) بكسر الهمزة وضمها جمع أخ (بالقائه فى الجب) بضم الجيم وتشديد الباء وهو البئر غير مطوية بالحجارة وسميت بالجب من الجب وهو القطع والجب ببيت المقدس وقيل بالاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه الصلاة والسلام وقصة القائه بالجب مشهورة غنية عن البيان وسيأتى ذكر اخوته وقصتهم (بقوله تعالى) فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب (وأوحينا اليه لتنبئنهم) أى لتخبرن يا يوسف اخوتك (بامرهم هذا) وهم لا يشعرون وهذه جملة حالية امامتعلقة بقوله أوحينا أو بقوله لتنبئنهم وذلك لانه كان صغيرا كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وقيل بل كان ابن اثنتى عشرة سنة أو ثمانية عشر فعلى الاول هو ممن نبئ وأوحى اليه فى صباه كيحيى وعيسى فالوحى فى الآية على ظاهره كما ذهب اليه المصنف رحمه الله تعالى وقوله هم هو معنى قوله تعالى وأجمعوا الى آخره أى اجمعوا أمره لان معنى اجمع عزم وهم كانه جعل رأيه جميعا بعدما تفرق وهو يقتضى ان الوحى وقع له حين هموا بالقائه وفى الآية مايقتضى انه وقع بعد القائه قال القاضى انهم أتوا بيوسف عليه الصلاة والسلام الى البئر ودلوه فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم حيلة منهم فقال ردوا قميصى أتوارى به فقالوا أدع الاحد عشر كوكبا يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وفيها ماء فآوى الى صخرة بها وقام عليها يبكى فجاءه جبريل عليه السلام بالوحى كما قال الله تعالى انتهى وهذا يقتضى ان الوحى بعد الالقاء تطييبا لقلبه وهم يظنون انه معذب مذلل وهم لا يشعرون ان الله تعالى أراحه بما يبشره به من نصره فالحال من ضمير أوحينا والاولى جعله حالا من قوله لتنبئنهم أى لتحدثنهم بما فعلوا وهم لا يشعرون انك يوسف لبعد العهد وتغير حالك فهو اشارة لما وقع لهم لما أتوا ممتازين ليعلم ان المحنة تنقلب محنة (الآية) أى أذكر الآية التى ذكر فيها هنا مالها (الى غير ذلك من أخبارهم) أى أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام الدالة على أنهم مجبولون على الكمال من ابتداء أمرهم فى صغرهم (وقد حكى أهل السير) ممايدل على ذلك (ان آمنة بنت وهب) أم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كامر (أخبرت ان نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولد حين ولد) أى خرج من بطنها حين أراد الله تعالى اخراجه منها فلا لغوية فيه وقيل حين ظرف متعلق بباسطا الآتى وهو حال من الضمير المستكن فى ولد الاول والظرف مؤكد لدفع ان الحال مقدرة (باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السماء) رواه ابن الجوزى فى الوفاء عن أبى الحسين بن أسيد مرسلا قال قالت آمنة ولدته صلى الله تعالى عليه وسلم جاثيا على ركبتيه ينظر الى السماء ثم قبض قبضة من الارض وأهوى ساجدا وولد وقد قطعت سرته وكنت وضعت عليه اناء فوجدته قد انفلق الاناء عنه وهو يمص ابهامه يشخب لبنا انتهى وروى الطبرانى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقع الى الارض وقع مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وله نظائر ذكرها ابن حجر فى كتاب المولد قيل ولا منافاة بين قبض أصابعه فى هذا الحديث وبين مافى سيرة ابن اسحق من أنه ولد واضعا يديه فى الارض رافعا بصره وانه كان مسبحا * أقول أما التسبيح فلا دلالة عليه فى الحديث وأما عدم منافاته لما فى سيرة ابن اسحق فسلم لكنه مناف لما ذكره المصنف رحمه الله تعالى الا بتأويل بعيد ويؤيده قول البوصيرى فى قوله رافعا طرفه الى السماء وفى * ذلك الرفع الى كل سودد ايماء (وقال فى حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نشأت) أى صرت شابا وهذا الحديث رواه أبو نعيم فى الدلائل عن شداد بن أوس (بغضت لى الاوثان) بالبناء للمجهول أى بغضها الله لى وهى جمع وثن وهو حجارة

(عند ماهم اخوته بالقائه فى الجب) أى فى قعر بئر وهى على ثلاثة فراسخ من منزل أبيهم (يقول الله تعالى وأوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الآية) أى الى وهم لا يشعرون ففيه بشارة الى مآل أمره أى انخلصنك ولتخبرن اخوتك بما فعلوه وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شأنك ورفعة مكانك وكان الحال كما قال تعالى فعرفهم وهم له منكرون وأبعد من جوز تعلق جملة وهم لا يشعرون باوحينا كما لا يخفى لان الوحى لا يكون الا على وجه الخفا (الى غير ذلك من أخبارهم) ويروى ماذكر من أخبار غيرهم (وقد حكى أهل السير ان آمنة بنت وهب أخبرت ان نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حين ولد) أى أول ماولد (ولد باسطا يديه الى الارض) أى معتمدا بيديه على الارض وقد جاء كذلك مفسرا (رافعا رأسه الى السماء) ايماء الى بسط يديه وملكه على بساط الارض ورفعة شانه بالاسراء الى جهة السماء (وقال فى حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى على مارواه أبو نعيم فى الدلائل (لما نشأت) أى انتشأت بحيث ميزت بين الخير والشر وفرقت بين الحق والباطل وهو أولى من قول الدلجى تبعا للتلمسانى أى شببت وصرت شابا (بغضت) بالتشديد للمبالغة أى كره الله (لى الاوثان) أى عبادتها والمعنى انه خلق فى جبلته وفطرته بناء على تحقق عصمته محبة الله وبغض عبادة ماسواه

كانت

(وبغض الى الشعر) لما أراد أن ينزهه عن كونه شاعرا وان يكون كلامه شعرا وهو لا ينافي ان يكون موزونا في طبعه كما حقق في
موضعه (ولم أهم) بفتح فضم وتشديد ميم مضمومة أو مفتوحة أي لم أقصد (بشيء مما كانت الجاهلية تفعله) أي من المعارف وغيرها
مما نهى الله عنه (الامرتين فعصمني الله منهما) أي من الاستمرار عليهما وفي أكثر النسخ منها أي من افعال الجاهلية بتمامها (ثم لم أعد)
أي لم أرجع اليها ابدا فعن علي كرم الله وجهه على مارواه البزار بسند صحيح عنه مرفوعا بلفظ ماهممت بشيء مما كان أهل الجاهلية
يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد ثم ماهممت بعدهما بشيء حتى أكرمني الله برسالته ورواه
الحاكم في المستدرك في التوبة بلفظ ماهممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية الامرتين من الدهر كلتاهما يعصمني الله منهما قلت ليلة لفتى من قريش كان باعلى مكة يرعى غنما لاهله أبصر غنمي حتى اسمر هذه الليل كما يسمر الصبيان فجئت أدنى دار مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ماهذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغناء وذلك الصوت حتى غلبتني عيناي فما أيقظني الاحر الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي مافعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك فسمعت كما سمعت حتى غلبتني عيناي فما أيقظني الامس الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي مافعلت فقلت شيئا أي وذلك حياء قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم والله ماهممت بعدهما بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته وفيه تنبيه على ان هذا الهم انما كان حال
الصغر دون البلوغ كما يشير اليه قوله كما يسمر الصبيان وهذا أوفى دليل على قبح سماع اللهو وضرب الدف الا ماشرع له خلافا لما يفعله
الجهلة من الصوفية حيث يجمعون بين الاذكار وضرب الدفوف ونفخ المزمار حتى في مجالس المواليد ومزار قبور المشايخ الابرار
والحاصل ان الانبياء مخلوقون على المكارم الرضية ومجبولون على الشمائل البهية وانه لا يضر في ذلك ماوقع لهم حال الصغر على
سبيل الندرة (ثم يتمكن الامر لهم) أي يزداد (وتترادف) أي تتوالى وتتابع (نفحات الله) جمع نفحة أي عطياته ومعارفه وجذباته
(عليهم)

كانت تعبد من أوثنته اذا أجزلت عطيته وأوثنت كذا أي كثرت منه قاله الراغب وقيل الوثن ماله جثة مما
يعبد والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من سوى بينهما وقد يطلق على الصليب وكل مايشغل عن الله
(وبغض الى الشعر) أي استماعه والتلفظ به (ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الامرتين فعصمني
الله منهما ثم لم أعد) وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بغض اليه الشعر لا ينافي قوله ان من الشعر لحكمة
لان فيه ما يحمد كالحكم والمواعظ ومدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهجاء الكفار كما قال الله تعالى
وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقد استمعه صلى الله تعالى عليه وسلم وأجاز
قائله وقال مرة لقائله لا يفضض الله فاك لان الامر المذموم قد يحمد لعارض أو يقال تعريف الشعر للعهد
وقوله أهم بفتح الهمزة وضم الهاء كما قاله البرهان الحلبي وفسر بمعنى لم أردوا أقصد وهذا اشارة الى حديث
صحيح رواه البزار مسندا عن علي كرم الله وجهه ولفظه ماهممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به
غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد ثم ماهممت بعدها بشيء حتى أكرمني الله تعالى برسالته
ورواه في المستدرك بلفظ آخر قلت ليلة لفتى من قريش كان باعلى مكة يرعى غنما أبصر لي غنمي حتى
أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الصبيان فجئت أدنى دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف
ومزامير فقلت ماهذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغناء وذلك الصوت حتى غلبتني عيني فما
أيقظني الاحر الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي مافعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى كذلك
والله ماهممت بغيرهما مما تفعله الجاهلية وروى ان الله ألقى عليه النوم في المرتين صيانة له وليس في
هذا ارتكابه لمحرم لانه كان قبل تحريم السماع ولان ضرب الدف في العرس غير ممنوع وأما النهي عن
سمر الليل فليس نهي تحريم مطلقا وكان مباحا اذ ذاك مع انه شرعا قد يكون أفضل من النوم كمذاكرة
العلم وانما يحرم أو يكره لعارض كما ذكره الفقهاء وقوله فعصمني الله أي حفظني من ذلك لما غلب عليه
من النوم حتى لم يسمع وما وقع في بعض الشروح ان كلامه اشارة الى أنه كان لقريش صنم يسمى بوانه
يجتمع عنده في كل عام فقالوا له انك لا تجتمع مع قومك ولا تكثر لهم جمعا فذهب ثم عاد مرعوبا
لرؤية رجل طويل حال بينه وبينها فغير مناسب هنا مع ان في روايته كلاما للسهيلي ليس هذا
محله والمراد بالجاهلية ما كان قبل البعثة في زمن الفترة كما تقدم (ثم يتمكن الامر لهم
وتترادف نفحات الله عليهم) الضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام والظاهر أنه معطوف على غرزت
من قوله سابقا بل غرزت فيهم الاخلاق الى آخره وعطفه بثم لبعد رتبته أو زمانه باعتبار
الابتداء أو الانتهاء ويتمكن بمعنى يقر ويثبت لا بمعنى يزداد لانه تفعل من المكان والمراد بالامر ما أودع
فيهم من الكمال والعلوم وتترادف تتفاعل من الردف وهو الركوب خلف غيره والمراد أنها تتوالى

وتشرق) من الاشراق أى تضىء (أنوار المعارف فى قلوبهم) أى وآثار العوارف على صدورهم (حتى يصلوا الغاية) وفى نسخة الى الغاية أى نهاية أرباب الهداية وأصحاب العناية (ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة فى تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية) بالنصب مفعول يبلغوا والمراد بها النهاية التى مافوقها نهاية لكن كما قيل النهاية هى الرجوع الى البداية فهم بين فناء وبقاء ومحو وصحو فى مرتبة الكمال بين صفتى الجلال والجمال (دون ممارسة ولا رياضة) أى من غير معالجة وملازمة رياضة كسبية بل مخلقة جبلية وجذبة الهية (قال الله تعالى ولما بلغ أشده) أى وصل موسى نهاية قوته وغاية نشأته من ثلاثين الى أربعين سنة (واستوى) أى استحكم عقله واستقام حاله وبلغ أربعين سنة وهو سن بعث الانبياء عليهم السلام غالبا فى سنة الله وعادته سبحانه وتعالى (آتيناه حكما) أى نبوة (وعلما) أى معرفة تامة وأبعد الدلجى فى تفسيره الحكم بعلم الحكماء ثم فى ترجيحه (وقد نجد) أى نصادف (نحن غيرهم) أى غير الانبياء من العقلاء والحكماء والاولياء (يطبع على بعض هذه الاخلاق) أى الكريمة المستحسنة (دون جميعها) وفى أصل الدلجى دون بعضها (ويولد عليها) أى يولد بعضهم على تلك الاخلاق (فيسهل عليه اكتساب تمامها) بواسطة تخلقه واتصافه بها (عناية) أى بعناية (من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان) بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام (على حسن السمت) أى الهيئة والطريقة والتحلية بحلية أهل الحقيقة كما روى عن بعض أرباب هذا الشان انه لم يكن يرضع فى نهار رمضان (أو الشهامة)

فيأتى بعضها عقب بعض ونفحات بفتحتين جمع نفحة بالسكون وهى فى الاصل رائحة تأتى مع هبة من النسيم طيبة وهى هنا بمعنى الهبة والعطية قال

لما أتيتك أرجو فضل نائلكم * نفحتنى نفحة طابت لها العرب

والمراد هنا أمداد الله لهم بوحى وغيره واطلاق النفحة على مايصيب من الشر مجازاتهم كقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك وفى الحديث ان لربكم نفحات الا فتعرضوا لها (وتشرق أنوار المعارف فى قلوبهم) تشرق بمعنى تضىء يقال أشرقت الشمس اذا أضاءت وشرقت اذا طلعت والمعارف العلوم الربانية (حتى يصلوا الغاية) أى غاية الكمال فى التخلق بأخلاق الله تعالى (ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم) أى بجعلهم من صفوة خلقه الذين اختارهم (بالنبوة) متعلق بيبلغوا أو باصطفاء (فى تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية) التى لا يصل اليها غيرهم والغاية والنهاية واحد لكنه تفنن فى العبارة (دون ممارسة) أى من غير تكرار عمل ومزاولته (ولا رياضة) أى تمرين على العمل باعتباره من رضت الدابة أروضها اذا عودتها السير والجرى (قال الله تعالى ولما بلغ أشده) أى موسى صلى الله تعالى عليه وسلم بلغ نهاية قوته وتمام عقله وهو من ثلاثين الى أربعين أو ما بين ثمانى عشرة الى ثلاثين وهو مفرد أو جمع لا واحد له أو واحده شدة أو شد بالفتح أو الكسر وقيل خمس وعشرين لما روى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال ينتهى لب الرجل اذا بلغ خمسا وعشرين قيل هذا لا ينافى ما مر لما ذكره العلماء من ان رشد البالغ ببلوغ هذا السن لانه حال كمال لبه كما مر عن عمر رضى الله عنه (واستوى) ذكر الاستواء فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام ولم يذكره فى قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وقال التلمسانى لان الاستواء كمال العقل ووقت الرسالة وموسى ارسل فى ذلك الوقت ويوسف لم يرسل حينئذ ونقل ابن مرزوق عن ابن عرفة انه قال قال ابن جماعة من استوى فى خمسين سنة فقد بلغ انتهاء الكهولة وهو مجمع الاشد ومن بلغ أربعين فقد بلغ حد الاستواء ومنتهى الكمال انتهى (آتيناه حكما) أى نبوة (وعلما) بالدين وسياسة الامة وكذلك نجزى المحسنين علق وقوع الجزاء بالاحسان للتنبيه على انه انما جازاهم لكونهم محسنين أى مخلصين مراقبين لله فى أعمالهم وهل جزاء الاحسان الا الاحسان واستشهد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الآية لانه تعالى أخبر فيها بكمالهم وترادف نفحات الله عليهم حتى ارتفعوا الى أقصى الدرجات من غير سبق ممارسة ورياضة (وقد نجد غيرهم) أى غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام (يطبع) أى يخلق مجبولا (على بعض هذه الاخلاق الشريفة دون جميعها) وفى نسخة دون بعضها (ويولد عليها) موجودة فيه وجودا متأصلا وهذا كالتفسير لما قبله (فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله عز وجل) منصوب بنزع الخافض أى بعناية الله ولطفه اذ جبله على أصولها (كما نشاهد من خلقه) بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام وقاف وهاء تأنيث أو بفتحها مضافا فالضمير لله والاول أولى وعليه اقتصر ابن رسلان (بعض الصبيان على حسن السمت) السمت الطريق وهيئة أهل الخير يقال ما أحسن سمته أى هديه وسيرته وقد ورد فى الحديث بهذا المعنى (أو الشهامة) أى أو خلقه على الشهامة بفتح الشين المعجمة والهاء والميم أى حدة الفؤاد والذكاء والجلادة والنفاذ فى الامور يقال رجل شهم اذا كان سيدا نجيبا نشيطا فى اكتساب المعالى وعدم الالتفات للملاحاة والخصومة وفى الحديث من لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته ومازال جبريل ينهانى عن ملاحاة الرجال

بفتح المعجمة أى على الجلادة وذكاء الفطنة (أو صدق اللسان) أى مع نطق البيان (أو السماحة) أى الجود والكرم والصبر والحلم وقلة الاكل وكثرة الحياء وكمال الادب والرضى بما أعطى من المأكل والملبس وغيرهما (وكما نجد بعضهم) أى بعض غير الانبياء أو بعض الصبيان (على ضدها) أى فى الصغر والكبر (فبالاكتساب يكمل) بضم الميم أى يتم (ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها) بصيغة المجهول (ويعتدل منحرفها) أى مائلها لمن وفقه الله تعالى على اكمالها واستقامة أحوالها (وباختلاف هذين الحالين) أى الجبلى والكسبى (يتفاوت الناس فيها) أى قلة وكثرة وتحصيلا وتعطيلا (وكل ميسر) أى معدومهيأ (لما خلق له) وهو مقتبس من حديث أعملوا فكل ميسر لما خلق له امامن كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة واما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة (ولهذا) أى ولتفاوت الناس فيها وفى أكثر النسخ ولهذا (ما) أى وثبت لهذا ما (قد اختلف السلف فيها) أى فى الاخلاق (هل هذا الخلق) أى الحسن أو جنسه (جبلة أو مكتسبة فحكى الطبرى) أى صاحب التفسير والتاريخ (عن بعض السلف ان الخلق الحسن) أى وكذا ضده (جبلة وغريزة فى العبد وحكاه) أى بعض السلف أو الطبرى (عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه والحسن) أى البصرى (وبه قال هو) أى ابن جرير الطبرى

كما نهانى عن عبادة الاوثان (أو صدق اللسان أو السماحة) كان الظاهر عطفها بالواو ولكنه لما أتى بيانا لبعضها رأى أن أو الفاصلة أنسب (وكما نجد بعضهم على ضدها) أى ضد المذكورة كالكذب والبخل وعبر بعلى لانه متمكن منها تمكن الراكب من مركوبه كما فى قوله تعالى على هدى من ربهم (فبالاكتساب يكمل ناقصها) فان قلت لم عبر هنا بالكمال وقبله بالتمام وهل هو تفنن فى التعبير أو بينهما فرق قلت قال العينى بينهما فرق الا أنه لم يفصح عنه وقال ابن أبى الاصبغ فى كتاب التوكيد الفرق بينهما ان التمام الاتيان بما نقص من الناقص والكمال الزيادة على التمام فاذا قلت رجل تام الخلق لم يفهم منه السامع عربيا كان أو غيره الا أنه تام الخلق ليس فى اعضائه نقص فاذا قلت انه كامل فهم وصفه بمعنى زائد على التمام كالحسن والفضيلة الذاتية أو العرضية وهذا هو المتداول بينهم فالكمال تمام وزيادة فهو أخص منه وقد يطلق كل منهما على الآخر تجوزا وعليه قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى انتهى وماذكره المصنف رحمه الله تعالى يتمشى على الاخير حيث جعل ما فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام تماما وما فى حق غيرهم كمالا ولو عكس كان أحسن (وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها) بالجيم والبناء للمجهول أى تكتسب وتحصل لمن لم يطبع على شئ منها وطبع على ضدها وان لم يكن الطبع كالتطبع وهذا قسم آخر غير ما تقدم فان الاول وهو مرتبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام أن يطبع على جميعها والثانى أن يطبع على بعضها ويكتسب البعض وهذا ان يطبع على عدمها ولكونه ناقصا لم يتعرض له أولا فسقط ما قيل ان الرياضة والمجاهدة طريق الاكتساب وقد قرر انه يطبع على بعض هذه وبالاكتساب يكون كمالها الى كمال البعض الخلقى الا أنه بعينه استجلاب المعدوم بالنسبة لذلك البعض (ويعتدل منحرفها) المراد بمنحرفها المائل عن الاعتدال المحمود لانه هو الطريق فمن فرط أو أفرط فقد مال عنه وهذا بناء على القول الاصح أن الطباع يمكن تغييرها والالضاعت المواعظ والنصائح وكان الانسان دون البهائم التى برياضتها قد تتعلم ما ليس فى طباعها وقد قال الله تعالى وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا وقال الشاعر

تكرم لتعتاد الجميل فلن ترى ❁ أخا كرم الا بان يتكرما

كما فصل فى علم الاخلاق (وباختلاف هذين الحالين) الجبلى والكسبى (يتفاوت الناس فيها) أى فى الصفات الحميدة قلة وكثرة وقوة وضعفا (وكل ميسر لما خلق له) هذا من الامثال النبوية وجوامع الكلم وهو بعض من حديث صحيح وأوله أعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن خلق سعيدا يعمل عمل أهل السعادة ومن خلق شقيا يعمل عمل أهل الشقاء ولذا كان التوفيق خلق قدرة الطاعة والخذلان خلق قدرة المعصية وقال الله تعالى فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى (ولهذا التفاوت فيها (ما قد اختلف السلف فيها) ما فى أكثر النسخ وهى موصول اسمى أو حرفى أو زائدة ولذا سقطت من بعض النسخ وهو الاظهر والمراد بالسلف من تقدم من العلماء (هل هذا الخلق) الحسن الذى يحمد به الناس (جبلة أو مكتسبة) الجبلة والغريزة والطبيعة والسليقة بمعنى وهى بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وتخفيفها (فحكى) الامام المفسر محمد بن جرير (الطبرى عن بعض السلف أن الخلق الحسن) الذى يجمع أكثر الطباع المحمودة (جبلة وغريزة) خلقها الله (فى العبد) وتعبيره بالعبد ايماء الى ان المطلوب منه تخلقه باخلاق الله سيده (وحكاه عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه والحسن) البصرى (وبه قال هو) أى ابن جرير

(والصواب ما أصلناه) أي جعلناه أصلا فيما مر ان منها ما هو جبلة غريزية ومنها ما هو كسبية رياضية وكان حق المصنف ان يقول والظاهر أو الصحيح كما في نسخة مكان قوله والصواب مراعاة لما سبق من السلف كما يقتضيه حسن الآداب ثم التحقيق ما قدمناه (وقد روى سعد) أي ابن أبي وقاص كما في مقدمة كامل بن عدي وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أبي امامة (عن

صرح به لانه لا يلزم من حكايته اعتقاده له (والصواب ما أصلناه) أي قدمناه وجعلناه أصلا وقاعدة فيما مر من ان منها ما هو جبلة غير مكتسبة ومنها ما هو مكتسب بالتعلم والرياضة وقد تقدم الكلام عليه (وقد روى سعد) أي ابن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل الخلال) بكسر الخاء المعجمة بوزن رجال جمع خلة بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام وهي الخصلة والصفة (يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب) وهو حديث صحيح رواه أحمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان وابن أبي شيبة في المصنف عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن سعد مرفوعا وموقوفا وقال الدارقطني في العلل الموقوف أشبه وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الذهبي يطبع المؤمن على كل شيء الا الخيانة والكذب والخيانة ضد الامانة وهي تشتمل أمورا كالسرقة وانكار الوديعة وخيانة غيره بالنظر لزوجته ونحو ذلك والكذب معروف يعني ان هذين لا يكون طبيعة مخلوقة في المؤمن مطلقا لان المؤمن جبلته وفطرته سليمة وهاتين الخصلتين في غاية القبح فلا يختار اتصافه بهما وان كانت هذه الخصلة لا تقتضي كفره أو المراد المؤمن الكامل (وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) قال السيوطي رواه عنه سعيد بن منصور في سننه وابن جرير وابن أبي حاتم (في حديثه والجرأة) بوزن الجرعة وقد تنقل حركة الهمزة للراء وتحذف وهي الشجاعة أو أعم منها ومقابله ما أشار اليه بقوله (والجبن) بضم الجيم والباء وتخفيف النون وتسكن باؤه كثيرا وهو عدم الاقدام للخوف وضده الشجاعة واما الجبن المأكول فبتثقيل الباء والنون وقد تخفف فيكون كهذا ولذا تلمح القائل

يقولون لي هل اجترأت لدى الوغى * وكنت شديد البأس في الضرب والطعن
فقلت دعوني قانعا بسلامتي * فاني ممن يأكل الخبز بالجبن

(غرائز يضعها الله تعالى حيث يشاء) وفي هذا وما قبله دليل لما صوبه فانه فيما قبله جعل الخيانة غير مطبوعة وفي حديث عمر رضي الله عنه جعل الخيانة والجرأة غريزتين مطبوعتين فدلا على ما ادعاه من ان منها ما هو طبيعي ومنها ما هو غير طبيعي (وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة كثيرة) لا يمكن استيفاء اقسامها تفصيلا (ولكنا نذكر أصولها) التي تتضمن باقيها اجمالا (ونشير الى جميعها) اشارة لا تصريحا (ونحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى) فانه المقصود من ذكرها

*(قد تم بحمد الله طبع الجزء الاول من الشفا ويليه الجزء الثاني أوله فصل اما أصل فروعها)

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل الخلال) بكسر الخاء جمع خلة بالفتح أي الصفات والخصال (يطبع عليها المؤمن الا الخيانة) ضد الامانة (والكذب) أي فلا يطبع عليهما بل قد يوجدان فيه ويعرضان ويحدثان تخلقا وتكسبا (وقال عمر رضي الله تعالى عنه) أي ابن الخطاب كما في أكثر النسخ (في حديثه) أي الذي رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وسعيد بن منصور عنه موقوفا (الجرأة) على وزن الجرعة الشجاعة ويقال بفتح الراء وحذف الهمزة كما يقال للمرأة مرة وبفتح الجيم والراء والمد (والجبن) ضدها وهو بضم الجيم وسكون الباء وقد يضم (غرائز) جمع غريزة أي طبائع وقرائح (يضعها) وفي نسخة يضعها (الله حيث يشاء) أي كما قال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه (وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة) وفي نسخة الشريفة بدلها وفي نسخة جميعها (كثيرة ولكن) وفي رواية ولكنا وفي أخرى ولكنا (نذكر أصولها) أي في فصولها (ونشير الى جميعها) أي باعتبار فروعها (ونحقق) أي نثبت (وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها) أي على وجه كمالها (ان شاء الله تعالى) أي اتمام ما قصدنا اليه



